جامع آثار الشيخ العلامة حمود بن عقلاء الشعيبي
رحمه الله تعالى

١٣٤٦ - ١٤٢٢ هـ

جمع وترتيب : عبدالله آل حمدان

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد:

فإن الله سبحانه وتعالى بعث الأنبياء والرسل لعبادة الله وحده لا شريك له وإحياء ملة أبينا إبراهيم عليه السلام، قال تعالى (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ)، وبعث الرسول محمد ﷺ خاتم للأنبياء ومبعوث بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، فأكمل به الدين وأتم به النعمة، فدخل الناس في دين الله أفواجا، وأشرقت الأرض بنور النبوة ، حتى تركهم ﷺ على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها، وسار على هذا المنهج القويم الخلفاء الراشدون، والصحابة الأبرار، وأئمة الهدى والصلاح من بعدهم.

ثم خلف من بعدهم أقوام هجر السنن وأتبعوا البدع ، وباعوا دينهم بدنياهم ، ولكن الله سبحانه وتعالى حفظ لهذه الأمة دينها بأن يبعث في كل قرن من يجدد دينها، وكما جاء عن الرسول صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا».سنن أبي داود (٤٢٩١) وصححه الألباني .

والعلماء هم ورثة الأنبياء ولذلك يجب الاهتمام بتراثهم من الكتب والرسائل وغيرها، حتى لا يضيع تراثهم فهو نور على الدرب ، ومما يقلل الاستفادة من تراث العلماء ان يكون متفرق وغير مجتمع بينَ دِفّتي كتاب واحد، ولهذه يجب خدمة آثار العلماء بالتحقيق والجمع والترتيب والدراسة ، وخدمة آثار العالم تعتبر من أنبل صور الوفاء لهذا العالم فهو إحياء لعلم هذا العالم وصدقة جارية لهذا العالم ولمن خدم آثاره، وإحياء وتجديد لسير إعلام الهدى والصلاح .

وممن نحسبه إن شاء الله من أئمة التجديد والدعوة للتوحيد والسنة ، المحاربين للطواغيت وأهل البدع ، فضيلة الشيخ العلامة مدفع التوحيد الشيخ حمود بن عقلاء الشعيبي رحمه الله تعالى .

وحينما رأيت آثار الشيخ العلامة حمود بن عقلاء الشعيبي رحمه الله تمنيت لو تجمع وتخدم في كتاب واحد، ثم رأيت مشاريع الشيخ عبد الرحمن القاسم وابنه مُحَمَّد رحمهم الله ، من مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ، والدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ومجموع فتاوى الشيخ مُحَمَّد بن إبرهيم ،

فقلت في نفسي لماذا لا أقتدي بهم ، فتاقت نفسي لجمع هذا العلم العظيم، فبدأت في العمل على مشروع جامع آثار الشيخ العلامة حمود بن عقلاء الشعيبي رحمه لله تعالى ، وبدأت أجمع آثاره من الموقع الرسمي لفضيلة الشيخ حمود بن عقلاء الشعيبي رحمه الله(١) ، وملف الشيخ حمود بن عقلاء الشعيبي في موقع صيد الفوائد(٢) ، ومن المجلات والصحف القديمة ، وغيرها من المصادر ، ومنهجي في هذا المشروع هو جمع كل ما كتبه الشيخ حمود رحمه الله أو شارك في كتابته وترتيبه بشكل شبه موضوعي ، وعملي في هذا الكتاب هو تصحيح بعض النصوص ، وعزو الآيات إلى مواضعها في كتاب الله الكريم ، وتخريج الأحاديث والآثار بنسبتها إلى مصادرها مع ذكر حكم الشيخ مُحَمَّد ناصر الدين الألباني رحمه الله أو حكم أحد علماء الحديث ، ولي تعليقات قليلة على بعض المواضع ، وقد واجهت بعض الصعوبات في الحصول على بعض الفتاوى و البيانات و الرسائل والمقالات ولكن أستطعت بحمد الله تجاوزها ، وهذا المشروع ولله الحمد ضمَ كل آثار الشيخ العلامة حمود بن عقلاء الشعيبي التي أستطعت الحصول عليها .

وفي ختام هذه المقدمة أشكر كل من ساعدني من طلاب وأبناء الشيخ حمود رحمه الله ، وأشكر أبو سليمان الذي قام بتفريغ مقابلة الشيخ حمود رحمه الله ، وأشكر جميع الأخوة الذين شجعوني على العمل وأتمام المشروع.

وأدعو كل المهتمين بآثار الشيخ العلامة حمود بن عقلاء الشعيبي رحمه الله إلى التواصل معي بكل ما يستدرك سواء من كتب، أو فتاوى، أو رسائل، أو أشرطة وقفوا عليها لم تدخل في المشروع، أو من تصحيحات في نصوص الكتب، أو اقتراحات تُثْرِي العمل وتسدده.

وصلى الله على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلم، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

كتبه: عبدالله آل حمدان

تاريخ: ١٤٣٩/٩/١ هـ

للتواصل على حساب تيليجرام: @Abdullah١٣٤٦

(١) هذا رابط الموقع الرسمي لفضيلة الشيخ حمود بن عقلاء الشعيبي : http://aloqlaa.com/index.php

(٢) هذا رابط ملف الشيخ حمود في موقع صيد الفوائد :
https://www.saaid.net/Warathah/hmood/index.htm

لقاء مع فضيلة الشيخ العلامة حمود بن عقلاء الشعيبي

هذا لقاء أجراه الشيخ عبدالرحمن بن مُحَّد الهرفي مع فضيلة الشيخ العلامة حمود بن عقلاء الشعيبي رحمه الله في شهر ذو الحجة عام ١٤٢١ هـ ، وهو لقاء مسجل في شريط منشور على الموقع الرسمي للشيخ العلامة حمود بن عقلاء الشعيبي رحمه الله، وقد قام بتفريغه الأخ الفاضل أبو سليمان جزاه الله خيرا، وقد قمت بمراجعته وتصحيحه فإذا وجدت قوسين مثلا [....] فمعناه أنه لم نستطع معرفة الكلام المسجل بسبب رداءة التسجيل ولعدم وضوح الصوت في بعض المواضع، وأحب أن أبين للقارئ الكريم أن ما كتب في الحواشي هو من كلامي .

الهرفي : بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله. اما بعد .
فهذا اللقاء مع فضيلة الشيخ حمود العقلاء حفظه الله ورعاه ، يتناول نبذة من ترجمته وسيرة حياته ؟

السؤال الأول : مولد فضيلة الشيخ ونشأته:

الشيخ : بسم الله الرحمن الرحيم . أنا ولدت عام ١٣٤٦هـ ،في بلدة الشقه، قرية من القرى التابعه لمدينة بريدة ونشأت ، في أسرة فلاحة فقيرة، وعندما بلغت السنة الخامسة أدخلني والدي رحمه الله في المدرسة التي في القرية، تدرس القرآن والكتابة فقط، تسمى الكُتَّاب، يسمونها الآن الكُتَّاب حنا نسميها المدرسة، وأكملت معرفة الهجاء وبدأت بجزء عم وعندما وصلت الى سورة عبس أصبت بالجدري وفقدت بصري وبعد أن تماثلت بالشفاء أعادني رحمة الله عليه إلى المدرسة، والدي لحرصه علي وعلى مستقبلي، وبدأت بقراءة القرآن حفظا لأني كنت لا بصر أعمى وعمري في ذلك الوقت قريب سبع سنوات بعد أن فقدت بصري وكان عمري يمكن ما يقارب سبع سنوات، وبدأت بحفظ القرآن وحرص والدي رحمه الله بأن كان والدي هو يقرؤني قراءة كل يوم في البيت فإذا جيت للمدرسة ؛يعني كانت حضور المدرسة تجريبها وتصحيح بعض الكلمات الغير معربه، وبعد أن درست اثنا عشر عاما أكملت القرآن حفظا إلا البقرة وآل عمران، أما غيرهما من القرآن فقد حفظته والحمد لله وأنا في الثانية عشر من عمري، وبقيت في البلدة إلى عام ١٣٦٧، فانتقلت إلى الرياض لطلب العلم في ذلك العام فبدأت بالقراءة على الشيخ عبداللطيف بن إبراهيم رحمه الله ولأنه كان في ذلك الوقت هو الذي يدرس الطلاب المبتدئين، بدأت بقراءة الآجرومية في النحو، وثلاثة أصول في التوحيد، والرحبيه في الفرائض، ووفقني الله للفهم في النحو وكان عند الشيخ ما

لايقل عن أربع مئة طالب كلهم لا يعرفون شيء من النحو ولهم عشرات السنين يقرؤون عنده، وأنا وفقني الله لمعرفة بعض القواعد في النحو وكانوا يقرؤون عنده في الآجرومية فإذا وصلوا إلى الفصل، وأنتم تعلمون أن الآجرومية أولها عن الكلام وأقسامه ،وعلامات الفعل وعلامة الفعل، وعلامات الاسم بعد ذلك يقول فصل فيبدأ بالمرفوعات، والأشياء والمنصوبات وكذا الى آخره، هم إذا وصلوا ارجعهم قال لم تستعدوا بالكتابة، أنا لما وصلت الى الفصل، كنت قد عرفت كثير في اللغة العربية الابتدائية، يعني إذا أعطاهم مثل يعربونه أنا أكون أول واحد على يمينه، وطريقة المشايخ رحمهم الله أن أول واحد على يمينه وهو جالس هو الذي يبدا بالقراءة وأنا أبدا بالإعراب، فإذا كان أول مثال بالإعراب يعطيني إياه لأني على يمينه فأجيب عنه أعربه وإذا عجزوا عن الإعراب رد علي، فقلت أريد أن استمر في الكتابة إلى أن أتجاوز الفصل، فقال الطلاب لا يقدرون على ذلك ولكن أشير عليك بأن تقرا عند الشيخ مُحَمَّد في قطر الندى، فاستأذنت من الشيخ مُحَمَّد رحمه الله فبدأت في قطر الندى أقرا فيه أنا وابنه إبراهيم الذي كان وزير العدل، أنا وياه فقط نقرأ في قطر الندى الصباح وبعد أن أتممته بدأت في ألفية ابن مالك حفظا وقراءة، هذا ما يتعلق بالنحو، أما ما يتعلق بالعلوم الأخرى فبالأصول، وشروط الصلاة، والقواعد الاربع، أتممتها عند الشيخ عبداللطيف، بعد ذلك عند الشيخ مُحَمَّد رحمه الله، وهو أبرز مشايخي واعتبره والدي والمربي الكبير الأول لي وهو بمنزلة والدي، بدأت عنده بقراءة متن الزاد المستقنع، وبلوغ المرام في الحديث، وكتاب التوحيد في التوحيد، وكذلك الواسطية، وكشف الشبهات، ثم قراءة عليه رحمه الله في التدمرية حفظا، وأما في الحديث والفقه فأتممنا متن زاد المستقنع، والبلوغ، أتممناها عدة مرات على الشيخ رحمه الله ، وبعد أن فتح المعهد عام ٧٠، المعهد العلمي، فأنضميت إليه وصنفت في السنة الثانية ثانوي، ما كان فيه متوسط وثانوي، كان الثانوي أربع سنوات صنفوني في السنة الثانية هذا عام ٧١، وخلال أيام نقلوني من الثانية الى الثالثة وكان من أبرز زملائي في السنة الثالثة والرابعة، لأن تخرجنا من الثانوي السنه الرابعة درست الثالثة والرابعة، من أبرز زملائي الشيخ علي الرومي في القضاء في التمييز، والشيخ ابراهيم ابن مُحَمَّد حفظه الله الذي كان وزير العدل، ومنهم أيضا الشيخ عبدالله ابن إدريس الشاعر المشهور، ومن زملائي الشيخ راشد ابن خنين مستشار في مجلس الوزراء، وكثيرون ، واحد وعشرين طالب عددهم، تخرجت من الكلية كلية الشريعة في عام ٧٦ ، تلقيت في هذه الكلية دروس من عدة مشائخ منهم عبدالعزيز بن رشيد رحمه الله شارح الواسطية ، ومنهم الشيخ مُحَمَّد آمين الشنقيطي رحمهم الله ، وهذا كان هو الوالد الثاني بعد الشيخ مُحَمَّد بن ابراهيم هذا اخذت عنه ، درسني في الكلية أصول الفقه ، وتفسير، وحديث،

والأدب، وقد كان لي عنده دروس في البيت خاصة في المنطق، وأصول الفقه ، ودرست عليه الروضة، روضة الناظر في الأصول ، والسلم في المنطق وشرحه ، وكان من ضمن المشايخ الذين تلقيت عنهم العلم في الكلية الشيخ عبدالعزيز ابن باز وفقه الله ، والشيخ عبدالرحمن الأفريقي رحمه الله في الحديث ، درسني في الحديث ، عالم جليل أفريقي من مالي وكان لي مشاركات، يعني تلقيت العلوم على بعض الإخوان في أول الطلب منهم الشيخ سعود بن رشود الذي كان قاضي الرياض ومنهم الشيخ مُحَمَّد بن سنان أتقنا عليه القرآن في الرياض ، درست عليه القرآن في التجويد. أما الأعمال التي قمت بها كانت التدريس فقط عندما تخرجت عام ٧٦، وبدأت السنة الدراسة عام ٧٧، عُينت مدرسا في المعهد العلمي، درست
الحموية للطلاب في السنة الخامسة وفي عام ٧٨ نقلت إلى كلية الشريعة يعني درست فيها.

الهرفي : من كان زملائكم يا شيخ في الكلية؟

الشيخ : زملائي في الطلب والا في التدريس؟

الهرفي : التدريس.

الشيخ : كان من زملائنا من أشهرهم الشيخ عبدالعزيز ابن رشيد رحمه الله وكان منهم مصريين كثيرون، أكثر أساتذتي في النحو، والبلاغة، والعروض، من المصريين زاملوني وأما السعوديون فلا أعرف أحد زاملوني في التدريس، والذي عاصرتهم بالكلية كلهم مصريين، وفلسطينيون، هذا كما قلت لك كان عام ٧٨ بالكلية في التدريس واستمر عملي بها إلى عام١٤٠٠، ومن التلاميذ الذي سألتني عنهم .

الهرفي : ومن التلاميذ الذي درستم خلال هذه السنوات الطويلة ؟

الشيخ : خلال هذه السنوات الطويلة التي تقارب ٤٠ عام تخرج من عندي كثير وتقلدوا أعمالا مهمة في الدولة وبرزوا وبرز منهم الكثير، ومن أبرزهم الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي، وزير الشؤون الإسلامية ، وكذلك الدكتور صالح الفوزان الذي برز في هيئه كبار العلماء، ومنهم أيضا الدكتور عبدالله بن مُحَمَّد بن ابراهيم وزير العدل الآن، ومنهم كثيرون ، ومنهم الشيخ عبدالعزيز بن سعيد رئيس الهيئات ، ومنهم رؤساء المحاكم في معظم المملكة مدن المملكة كالشيخ ابن مهنا رئيس محاكم الرياض، والشيخ عبدالرحمن العجلان رئيس محاكم القصيم، وكثيرون وكذلك منهم في مجلس القضاء ، ومنهم من هو في هيئة كبار العلماء كما ذكرنا ومنهم رؤساء مصالح وكلاء وزارات كثيرون .

الهرفي : يا شيخ المتون العلمية التي قرأتها ودرستها ؟

الشيخ : المتون العلمية ذكرتها في الشواهد السابقة سردتها مع من قبلها .

الهرفي : لكن طريقة التدريس؟

الشيخ : طريقة التدريس كنا نحفظ ، أولاً شيخنا رحمه الله محمد بن ابراهيم ما يسمح لأحد يبدأ يقرئ عنده في المتون حتى يصير حافظا للقرآن، هذا شرط فأنا كنت حافظا للقران كما قلت بقي لي البقرة وآل عمران، سمعتها في الرياض حينما وصلت أول شئ وكنا نقرئ عنده بعد صلاة الفجر في المسجد في الألفية ومتن القطر والروض المربع وبلوغ المرام .

الهرفي : حفظا؟

الشيخ : حفظا ما فيه إلا حفظا كل شيء حفظ إلا الكتب المطولة هذي في قراءة مجلسه في الضحى يقرأ في المطولة بعد أن تنتهي هذه الجلسة نخرج ونقصد بيت الشيخ نجلس عند الباب لحظة وهو يدخل البيت يفتح له الباب وندخل المجلس نشرب فنجال قهوه فيأتي رحمه الله فيجلس نبدأ بالمختصرات أول ما يقرا كتاب التوحيد وأول ما يختبرنا أول مادة يختبر بها التوحيد وأول مادة يفتتح بها بمجلس في البيت في الضحى كتاب التوحيد نقرؤه حفظا، ومعه الواسطية، وكشف الشبهات، والباقي يقرأ اذا تمت نرجع نعيده مرة ثانية حفظا .

الهرفي : والمطولات يا شيخ؟

الشيخ : المطولات في هذا بعد ما يجلس في البيت الصباح يبدؤون عددا من الإخوان من الطلاب يقرؤون، واحد يقرا في الصراط المستقيم، وواحد يقرا في شرح العقيدة الطحاوية ،وواحد يقرأ في منهاج السنة لابن تيمية، وواحد يقرا في صحيح البخاري، وأذكر منهم الشيخ عبدالرحمن الفريان كان يقرأ في صحيح البخاري، وأذكر منهم ضحيان ابن عبدالعزيز رحمه الله، الذي توفي قبل[....] كان يقرأ في منهاج السنة والعقل والنقل إذا أكمل منهاج السنة، وكان كثيرون من الإخوان قد يقرأ عليه في حوالي عشر مطولات، لا ينتهي هذا المجلس إلا قريب الظهر .

الهرفي : يا شيخ يبدو أن لكم اختصاص بالشيخين محمد ابن ابراهيم، والشيخ محمد الشنقيطي رحمهم الله؟

الشيخ : نعم الشيخ محمد آمين الشنقيطي إختصاصي به أنني كنت كإبن له في البيت، اخذت عليه دروسا خاصة كما ذكرت لك في أصول الفقه، والمنطق، والشيخ محمد ابن إبراهيم كان عبارة عن

والدي لأنه يرعاني بكل الأمور حتى من ناحية المادة رعاني، وكنت عنده في البيت أكثر الأوقات وهو الذي فتح لي باب تلقي العلوم وشجعني على المشاركة لاسيما في كتاب الألفية لابن مالك لأني استصعبتها بعد أن اتقنت متن القطر ولزم علي أن اقراها حفظ ، وكان عندي جلسات في البيت وبحوث وهو أثر بي تأثير جيد قوي . هذا ما كان من مسيرة طلبي للعلم . فيه سؤال ثاني والا قضيت؟

الهرفي : طريقة الحفظ يا شيخ كيف كنتم تحفظون هل يقرئ لكم؟

الشيخ : ايه أنا عندي أخوه بعد مُحَمَّد فيه موجود [....] هذا هو اللي كان عندي وأصغر مني وكنت اجعله يمسك لي وأنا أقرا والذي ساعدني على رسوخ المحفوظات أنني اسهر في الليل على قراءتها أقرؤه أكثر تكرارا ، موب احفظ الكتاب او المتن واعتمد على حفظي، لا أكثر من تكراره ،تعرف أحيانا أبدا لا صليت الأخير عند باب الحجرة، وحنا كنا في الرباط ولا أنام حتى أنهي متن الزاد حفظا، وأحيانا أجلس قبل صلاة الفجر ولا أخرج حتى أنهي متن الآجرومية والألفية حفظا يعني قراءة سردا حتى أني من شدة حفظي في الألفية أقراها لا أقول باب كذا وإذا انتهى الباب بديت الباب اللي بعده من غير الترجمه بسرعه ، يعني الحفظ والسرعة والحرص على السرعة في إنهاءه؛ ولكن الأن نسيت كثيرا من هذه المحفوظات نسيتها إلا أن يعني رؤوسها وأصولها موجوده، لا عند الرجوع لها يكفي أقرا الباب مره وحده.

الهرفي : طريقة تدريسكم يا شيخ عندما كنتم بالجامعة في كتب التوحيد وكيفية التخطيط؟

الشيخ : نشرح الموضوع في الأول في السنوات الاولى أشرح مواضيع الكتاب المقرر مثل شرح الطحاوية وبعد أن أقل من ٢٠ سنه في التدريس بدأت أنتقي للطلاب من المواضيع المهمة من الكتاب وأضيف معها مواضيع أخرى من خارج الكتاب وأشرحها لهم وأقررها لهم لكي يكونون مسؤولين عنها في الاختبارات .

الهرفي : البحوث والمؤلفات التي قمتم بها ؟

الشيخ : قِلَّة ، أنا كتبت بحث في أصول الفقه واشتركت مع الشيخ عطيه في المدينة والشيخ عبدالمحسن العباد اشتركت معه في تأليف كتاب في أصول الفقه ، أنا كان عندي كتاب مؤلف مخطوط فيه ١٥٠صفحة، فهذا الكتاب أخذت من تراجمه ما شاركت فيه الإخوان، وكتبنا الكتاب الأن مقرر في الجامعة الإسلامية تيسير الوصول في علم الأصول في أصول الفقه، مشتركه والكتاب

المسودة عندي في حوالي مئة وخمسين صفحة ، بحث جاهز أنما فقدت ولعلنا أن شاء الله نعثر عليه، ولي بحثي في قضية الايمان بالله والإيمان باليوم الاخر هذا بحث يقرب ١٢٠ صفحة قررته في أوله بالقسم الأول إثبات وجود الله سبحانه وتعالى والرد على المنكرين لوجوده من الفلاسفة وغيرهم واثبت في ذلك الأدلة العقلية، والنقلية، والعلوم التجريبية، والفصل الثاني اشتمل على بيان أشراط الساعة ،والبعث ،واليوم الاخر، والجنة والنار إلى آخره، وكتبت بحثا في شرح كشرح للربع الأخير من كتاب البلوغ؛ لأني كنت أدرسه في جامعة كتاب بلوغ، وكنت أدرس سبل السلام الربع الأخير فيه، وكتبت شرحا وهو الأن موجود عندي مخطوط [....] ،وكتبت بحثا في الإمامة العظمى وفيه ما يقارب ١٥٠ صفحة يشتمل على حكم الإمامة العظمى، وحق الرعية على الراعي، وحق الراعي على الرعية، وأقسام الوزارات، التنفيذية، والتشريعية، والشورى ،والحرية، وما يتعلق بذلك هذه هي البحوث التي تعتبر بحوث جاهزة للطبع، أما أعمالي الأخرى كنت بدأت بتحقيق الطحاوية ونسبة النقول إلى مصادرها واختصار المتكرر لكن هذا عمل تعثرت فيه، بدأت فيه لما كنت أدرس في الرياض ووقفت عنه منذ أكثر من خمس عشر سنة من الآن نرجوا أن شاء الله أنه [....]،كتبت بحث صغير في الروح حقيقتها وخلاف قدمها، وحدوثها، وتنزيل قول الفلاسفة بأنها قديمه، و بيان حقيقة ماهي وأيضا ما الفرق بينها وبين النفس؟ وهل تموت الروح أولا تموت؟ وأين مستقرها في البرزخ إلى آخره، هذه هي البحوث .

الهرفي : ما المناظرات العلمية يا شيخ ؟

الشيخ : لم يحصل بيني وبين أحد مناظرات تذكر سوى أن حصلت بيني وبين، أنا نسيت أن أذكر أني كتبت مقالات تعتبر كبحث رد على الشيخ الهراس رحمه الله في شرحه للواسطية فندته في حوالي [...] موضع ولكنها فقدت عندي منها مقالين أو ثلاثة أو أربع و الباقي راح .

الهرفي : مقالات ماذا يا شيخ ؟

الشيخ : هو كانت جريدة ذاك الحين تصدر يقال لها جريدة القصيم .

الهرفي : حقت العمري

الشيخ : إيه

الهرفي : ماهي موجوده الجريدة؟

الشيخ : والله بحثنا عن أعداد منها ولم نحصل منها إلا ثلاث حلقات أو أربع .

الهرفي : كم تجي من حلقة يا شيخ ؟

الشيخ : والله كثير بدأت بها في شعبان أذكر حتى شوال كله استغرقته .
الهرفي : وقفنا عند المناقشات.

الشيخ : نعم نعم المناظرات لم اجري بين أحد مناظرة سوى رجلين مصريين أحدهما أسمه عبدالواحد وافي(١)، هذا دكتور خبيث (٢) يدرس في الجامعة، رجل مغرور يعني يرى أنه هو كل شيء، وأن غيره لا شيء ، ولا يرضى من الطلاب أن يقولوا له يا أستاذ أو يا دكتور لازم تقول : يا دكتور الأستاذ يجمعون بينهن، هذا جرى بيني وبينه مناقشات في مسألة العلو، حيث ذكرت أنا كنا[....] ، الكلية وذكرت أني عثرت على كلام لابن الجوزي في صيد الخاطر، تعليق لطنطاوي على آية [....] بحث جيد لرد على الطنطاوي ، الطنطاوي له كتاب اسمه الشيخ مُحَمَّد بن عبدالوهاب ورددت عليه في حوالي أكثر من خمسين موقف بحث جيد أعطيته الشيخ مُحَمَّد ابن إبراهيم لنشره ولكنه ما نشر ولم يبقى عندي له أصل أو نسخ فضاع، فأنا ذكرت أن الطنطاوي له تعليق على صيد الخاطر على مسألة العلو فقال : لي هذا الرجل وهو عبد الواحد وافي قال: نعم ما قاله الطنطاوي هذا صحيح، لأن العلو في حقه سبحانه هو علو في القهر و القدر فقط أما الذات فعلوها يلزم أنه يكون في مكان محصور تناقشت معه في هذه المسألة ووطلب الكلام لطنطاوي يريد أن يصححه فعجز وما زلت معه في المناقشة حتى إنه قال : أسمع هذا تأويل التأويل بالإجماع أنه جائز تأويل العلو في علو القدر والقهر هذا تؤول النصوص بهذا .

قلت له المسلمون مجمعون على أن التأويل في الصفات لايجوز بالإجماع المسلمون ماعدا الفرق الضالة، لما ألجأته وأتى بالكتاب جئنا بالكتاب ووجد النقل إلي ذكرت له قال : أسمع يا شيخ أنا وغيري من علماء المصريين والسوريين وغير النجديين كلنا ندين بهذه العقيدة، تأويل النصوص الواردة في الصفات، هذه عقيدتنا وهي التي تدرس عندنا في الأزهر أو في غيره من جامعات أو مدارسنا ولا يمكن أن أحدا يعتقد سوى هذا مطلقا ولكن هذا هو ديننا وعقيدتنا، حتى إنه لمز بعض المشايخ رحمهم الله قال هذا هو مذهب وعقيدة جميع المصريين وإن أطالوا لحاهم وتقربوا من العلماء أنا عرفت أنه يلمز الشيخ عبد الرزاق(٣) وهو كاذب الشيخ عبدالرزاق سلفي ومحقق وليس على مبدأ شيء من [....] .

---

(١) أسمه علي عبد الواحد الوافي، متخصص في في الفلسفة والاجتماع ،توفي عام ١٤١٢ هـ .

(٢) أنظر لكتاب"الرد على الدكتور علي عبد الواحد وافي في كتابه بين الشيعة وأهل السنة" تأليف إحسان إلهي ظهير .

(٣) يقصد الشيخ عبدالرزاق العفيفي رحمه الله .

الهرفي : طيب يا شيخ مواقف مع مشايخكم ومناقشاتكم ؟

الشيخ : آخر مصري آخر مناظرة وهو أسمه عوض الله حجازي (٤) هذا كتب في الدكتوراه أو الماجستير على ما ظن عن حياة ابن القيم، كتب عنه ونسبه إلى أمور يعني الى تجسيم وإلى كذا وإلى كذا، تناقشت وتناظرت أنا وياه وطلبت منه مناظرة ورفض، قلت أريد أن أتناظر أمام أساتذة في هذه الغرفة وقال لا أنا لا أناظركم ، أنتم بكم كذا وبكم كذا، أنا موحد لله ولست مجسم مثلكم.

فقلت لعميد الكلية ألزموه بالمناظرة ولكن رفضوا ، تعرف يراعون المصريين، وقال لابأس هو معروف مذهبه [....]،عاد علمت رئاسة الكلية حتى انهي العقد هذه المناظرات ، هذه هي المناظرات التي جرت.

الهرفي : مع مشايخ يا شيخ

الشيخ : عند الشيخ الشنقيطي مرة في ما يتعلق بالمجاز وهذا ذكرتها لكم [....]، أنتم تعلمون أن الشيخ رحمه الله شديد كل الشده بمسألة إنكار أن يكون في القرآن مجاز ويقول لا يمكن [....]، ممن يرى أن القرآن لا يخلوا من المجاز من أصناف أو من يعني أنواع البلاغة والفصاحة والبيان، معلوم أن القرآن في قمة من الفصاحة والبيان ومره ناقشته عند ذلك فقلت : له يا شيخ المجاز والاستعارات هذي من أرقى أنواع الفصاحة ومن أجمل أنواع البيان لا يمكن أن يخلو منه القرآن.

قال: نعم وهناك ما هو جميل جدا في اللغة ، ولكنه لا يوجد في القرآن، وهو الرجوع ،والرجوع كما تعلمون هو مسألة في علم البديع معناها أن الشاعر أو الناثر يقر بأمر ثم ينكره في الوقت نفسه أو ينكر أمرا ثم يثبته في الوقت نفسه هذا هو الرجوع، قال أن هذا من أجمل أساليب الترجيع ومع هذا لا يوجد في القرآن، فقلت له إن هذا موجود في القرآن فغضب رحمه الله وقال هات يعني جب لأنه جازم أنه ما فيه سبحان الله،علوم القرآن، يعني يعتبر هو أبرز إنسان في علوم القرآن وتفسيره ومع هذا لم يتنبه لهذه الآية! فقلت له إن في القرآن آية هي نص في الرجوع وهي قوله سبحانه وتعالى في آخر الزمر .

(٤) هو عوض الله جاد حجازي ، كتب رسالة الدكتوراه بعنوان ابن القيم وموقفه من التفكير الإسلامي .

الهرفي : [....].

الشيخ : [....](أين شركاءكم الذين تدعون من دون الله)(٥) قال يوم القيامة (أين شركاءكم الذين تدعون من دون الله قالوا ضلوا عنا بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا)(سورة غافر آية:٧٣-٧٤) أليس هذا فيه رجوع [....]قالوا سئلوا أين شركاءكم قالوا ضلوا عنا أليس هذا إقرار بأن لهم شركاء ولا، طيب لم نكن ندعوا من دونه من شيء أليس هذا نفي إذا هذا رجوع مئة في المئة وذكرت آية أخرى محتملة وهي آية ياسين فغضب رحمه الله واستعمل مكانه كأستاذ ومكاني كطالب وتجاهل كلامي هذا والرجوع كما ذكرت لكم أن الشاعر لم يكن يثبت أمر ثم ينفيه بنفس الوقت او يرجع ثم يثبته بنفس الوقت ومن الشاهد قول الزهير بن أبي سلمه في مطلع إحدى قصائده :

قف بديار التي لم يعفها القدم * بلا وغيرها الأرواح والديم**

الأول الشطر؛ الأول من البيت ادعى أن ديار قومه باقية كما هي لم يغيرها القدم ولا الديم التي هي السحب لم يعفها قدم يعني أقر في أول البيت أن ديار قومه قائمة لم يؤثر بها قدم مغادرة قومه لها ثم في الشطر الآخر قال بلا وغيرها الأرواح والديم رجع وقال لكن غيرتها السحب والأمطار والرياح هذا ما جرى بيني وبين الشيخ رحمه الله.

الهرفي : كلمه توجيهية ؟

الشيخ : الكلمة التوجيهية قلت أبنائي وإخواني تعلمون مما أعلمه مما ينفع ويضر ولكن لابأس .
أولا أوصيكم وأوصي من كان منكم مدرسا أن يركز في تربية طلابه وتوجيههم إلى مذهب أهل السنة والجماعة، وتوعيتهم فيما ينتظرهم بعد التخرج من مخططات الأعداء ومؤامرات اليهود، والنصارى، والمشركين، وأعوانهم في الداخل الذين هم كثر، وعوهم، أخبروهم لأنهم يتربصون بهم وأنهم سوف يعني يضعون أمامهم الشبهة والشكوك والخزعبلات ثم حذروهم عن التفرق والانقسامات وهذه النصيحة لكم ولطلابكم، التفرق والتحزب والانقسامات والجماعات هذه ضررها كبير وفسادها عريض وهي التي فرقت النهضة والصحوة الاسلامية وحدت من نشاطها وحدت من اتساعها ؛وهو تقسيم المسلمين ولاسيما الشباب إلى جماعات وأحزاب وما يزيد للأسف والأسى أن كل فرقة تغلو بمشروعها ومتبوعها ورئيسه وتجعله هو المصيب في كل ما يقول

(٥) يوجد خطأ في بداية الآية والصحيح هو(ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ (٧٣)مِن دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُو مِن قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ)(٧٤) .

حقا كان او باطلا ووتشتم كل ما يأتي به المنافس لرئيسها وكل ما يأتي به تعارضه وتبطله وترد عليه وتنسبه إلى الضلال وتنسبه الى الخطأ، لا لأنه ضال او لأنه يخطئ بل لأنه يخالف مسلك متبوعي هذه الجماعة أو هذا المنتسب لهذه الجماعة وهذا هو الذي فرق اخواننا وأبنائنا وجعلهم في تشرذم، هؤلاء إخوان المسلمين، وهؤلاء السلفيون ،وهؤلاء التبليغيون ،وهؤلاء السروريون ،وهؤلاء الجاميون، وهؤلاء كذا، ما لنا حاجه، ما هو مصلحتنا في انتهاج هذه المناهج، نحن قوم نؤمن بالله وبرسوله وبما جاء به الله وبما جاء به رسوله ومعتقدنا معتقد أهل السنة والجماعة وهو التمسك بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ونبذ ما يخالفهما من آراء وأحزاب وجماعات ومذاهب وغيرها، لماذا لا نجتمع على كتاب الله وسنة نبيه ﷺ ونتخذ مثلا الوحدة و الاجتماع شعار لنا وننبذ هذا العداء وهذا الاختصام وهذا التنابذ بالألقاب ومعايير وتلطيخ السمعه بالكفر والضلال والخروج وما الى ذلك، ينبغي أن نكون إخوة أمة واحده كما قال سبحانه وتعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس) أمة واحده تتمسك بكتاب الله وسنة رسولها، تعمل وتعتقد وتعمل بمقتضاها ولا تلتفت إلى ما سواها مطلقا وكون الأنسان ، العالم مثلا او زعيم الجماعة زعيم الفرقة قد يقع منه شيء من الأخطاء هذا طبيعي، البشر كلهم خطاؤون وخير الخطائين التوابون فالبشر أن لم يذنبوا لذهب الله بهم وأتى بقوم يذنبون ويستغفرون، البشر محل للخطأ، يخطئ ولكن اذا وقع منه الخطأ لا يكون هذا ينسف كل ما معه من خير وكل ما معه من صلاح، تجد العالم الرباني الداعية المصلح الامام الذي ضحى بحياته في سبيل الدعوة الى الله تجده هدف للتكفير والتغليل والتفسيق واتباعه كذلك، لأنه وقع في كتبه أو في أقواله ومقالاته ما لا يرضا ،كل الناس يخطؤون والخطأ يرد ويبين والصواب يقبل منه ويرضى به، فلا ينسف ونتجاهل كل ما لعلمائنا السابقين والحاضرين وبالأثر والإصلاح والدعوة في سبيل الله نعطله ونهمله لأنه قال كذا في كتاب كذا [....]، منهم الأئمة كبار علماء في علم الحديث وعلم الفقه وأحكام وفي علم الأصول ولكن وقع لهم شيء من الخطأ لا نقول ، مثلا الإمام ابن حجر رحمه الله على ما قام به من أمامه وصبر وما له من آثار، الأمة لاتنسى فضله وعلمه وعلومه التي ضمنها فتح الباري ، وحصلت فيه مسأله ومسألتين وثلاثة أؤل فيه النصوص نقول هذا ضال مضل، هذا باطل ما قاله لا ينتفع به ، وغير بعيد عنا حينما انعقد مؤتمر المجلس القومي الأمريكي لبحث المسائل المجزيه في الوقوف في سبيل الصحوة الإسلامية ، اجتمع هذا المجلس وهو من أكبر مجالسهم وأعلاها لبحث هذه المسأله التي هي الوقوف ضد المد الاسلامي، خرجت القرارات بعد أسابيع منها ايقاع الخلاف بين علماء المسلمين، قالوا ينبغي أن يوقع الخلاف بين علماء المسلمين ويجعل يفرق بينهم ويجعل هذي فرقة، وهذي فرقة، وهذه جماعة، وهذي جماعة

فإنه اذا افترقوا ضعف النشاط الإسلامي، والمد الإسلامي، وضعفت الصحوة وأقتتلوا فيما بينهم واشتغلوا عن الرد على اعدائهم، وعن نقد ما يكتب من كتب الإلحاد، والضلال، والكتب الهدامة، والافكار التي ترد على العالم الاسلامي لهدمه ، قالوا نفرق بينهم خلو هؤلاء يشتغلون في سب تلك الفرقة، وتلك الفرقة تشتغل في سب تلك الفرقة، وهؤلاء الجماعة يشتغلون ويؤلفون في الرد على أولئك، وهؤلاء يؤلفون في الرد على أولئك، لأنهم اذا اشتغلوا في الرد فيما بينهم سلمنا منهم، سلمنا من شرهم، هكذا يقولون وهذا هو المبدأ الذي سار عليه اعداؤنا ونتيجته هي ما بيننا الأن من انقسامات و تفرقات الى اخره، هو كذلك أيضا أعدائنا اقحموا مسألة القيام على الحكام والخروج على الحكام، اقحموا فيها في مسألة الأمر بالمعروف والنهي عن النكر والدعوة الى الله وما إلى ذلك، قالوا أن هذا كله خروج عن الأئمة، ونحن والحمد لله مسلمون ومتأسون بالسلف رضوان الله عليهم، نؤمن، ومن عقيدتنا أنه تجب علينا الطاعة، ويجب علينا السمع لولي الامر بالمعروف، ونسمع له ونطيعه إذا أمر بالمعروف واذا أمر بالمعصية فلا سمع له ولا طاعه، لما قاله صلى الله عليه وسلم، لكن لا ينبغي أن يكون هذا الموضوع هو المحور التي تدور عليه المحاضرات والدروس والكلمات وغيرها، ينبغي أن يبين في هذا الموضوع ما يجب على الأمة نحو ولي أمرها وطاعته وعدم الخروج عليه، ولكن لا يجعل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خروج، ولا يجعل النصائح التي تتقدم للإمام خروج، ولا يجعل مثلا الدعوة الى الله وبيان سبيل الإصلاح خروج، لا الخروج معناه الخروج على الإمام؛ أي مقاومة حكمه، ونحن لا نقاوم حكم الإمام ولا نرضى لأحد أن يقاوم حكم الإمام الشرعي أبد، إنما نحن سامعون ومطيعون ولكن بالمعروف، وأما الطاعة بالمعاصي فالنبي ﷺ يأمرنا بذلك قال إذا أمر بمعصيه فلا سمع ولا طاعة (٦) .

(٦) وإلى هنا يتوقف تسجيل اللقاء بسبب حدوث عطل في جهاز التسجيل!! وأما باقي ما جاء في اللقاء فهو مدَون في مقالة الشيخ الهرفي عن هذا اللقاء .

السيرة ذاتية لسماحة الشيخ حمود بن عقلاء الشعيبي

المقدمة

الْحَمْدُ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ :

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ"[آل عمران:١٠٢]

" يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا "[سورة النساء:١]

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا "[سورة الأحزاب:٧١]

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ وَخَيْرُ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ ـ وَشَرُّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ

مازالت الأمم تسطر بكل فخر واعتزاز تراجم عظمائهم وكبرائهم ليقتدى بهم من جاء من بعدهم ممن كان على طريقتهم ، فكان لزاما على هذه الأمة ان تسطر تأريخ رجالاتها عامة وتأريخ علمائها بشكل أخص ؛ حيث إن هذه الأمة هي الأمة الخالدة الباقية إلى قيام الساعة ، ورجالاتها هم من يفتح الله بهم الدنا ويعبّد بهم العباد له – جل شأنه وتقدست ذاته – ، وخير رجالاتها العلماء ؛ لأنهم ورثة النبي ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ و آله وَسَلَّمَ ـ فأكرم به من رسول وأكرم بميراثه من ميراث وأكرم بورثته من ورثة .

ومازال الناس يسطرون التراجم فكل جيل يكتب عمن سبقه ، ومن هذا المنطلق انطلقت في سفر طويل قاصدا سماحة والدنا وشيخنا العلامة الفقية الأصولي الشيخ حمود بن عبدالله العقلا الشعيبي ، حيث إنني كنت أسمع الثناء العطر على سماحته ولم أفز بلقائه ؛ كنت اسمع عن قولته بالحق والتي قلّتْ في هذا الزمان ؛ كنت اسمع عن غزارة علمه ودقة فهمه وعمله بعلمه وقد قل العلماء العالمين ، فبحثت فترة من الزمن عن كتاب يتحدث عنه أو ترجمة – ولو مختصرة – له ولكن لم أجد ؛ فعزمت على السفر واللقاء به ، ونعم اللقاء كان ؛ فقد رحب سماحته أيما ترحيب ، وفتح بابه ومن قبل صدره .

وقد حزت على شرف لم يبلغه غيري ؛ فلا أعرف أن أحدا ترجم لسماحته . حفظه الله . مع كثرة طلابه وانتشارهم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده ، وبعد أن كتبت ردود سماحته على أسئلتي عرضتها عليه مرة اخرى فأجازها ، وها هي بين يديك ، فاظفر بها تظفر بخير كثير .

وأحب أن أبين للقارئ الكريم أن ما كتب في الحواشي هو من كلامي(١) .

وكتبه عبدالرحمن بن مُحَّد الهرفي

نبدأ بالحديث معكم يا فضيلة الشيخ ونود ان تحدثوننا عن نسبكم ومولدكم ونشأتكم . حفظكم الله . ؟

أنا أبو عبدالله حمود بن عبدالله بن عقلاء بن مُحَّد بن علي بن عقلاء الشعيبي الخالدي من آل جناح من قبيلة بني خالد ، جدنا الخامس(٢) انتقل من المنطقة الشرقية إلى شقرة ثم تحول إلى القصيم وأقام فيها ، وأخوه إنتقل إلى الجوف وأقام فيها ، والعقلاء من أهل الجوف من أبناء عمومتنا .

ولدت في بلدة الشقة من أعمال بريدة(٣)؛ سنة ١٣٤٦هـ ونشأت فيها ، وعندما بلغت السادسة ألحقنى والدي بالكتّاب فتعلمت القراءة والكتابة والحساب ، وأتقنت هذه الأمور ثم انتقلت إلى قراءة القرآن ولما بلغت السابعة من عمري كف بصري بسبب مرض الجدري الذي عم كثير من مناطق المملكة وذلك عام ١٣٥٢هـ ، وعلى الرغم من ذلك واصلت دراستي في الكتَّاب بناءً على رغبة والدي – رحمه الله– فقد أمرني بحفظ القرآن وكان والدي هو الذي يحفظني القرآن قبل ذهابي للكتاب وبقيت مدة أحفظ القرآن على يد الشيخ عبدالله بن مبارك العمري ، وقد حفظت القرآن وعمري ثلاثة عشر عاماً وذلك عام ١٣٥٩ هـ ، ولكن ضبطت الحفظ والتجويد عندما بلغت الخامسة عشر من عمري وكان ذلك عام ١٣٦١هـ ، وكان لوالدي جهدٌ كبير في تنشأتي وتعليمي فكان . رحمه الله . يحرص على أن أكون من طلبة العلم .

وبعد حفظ القرآن عملت مع الوالد في الحقل بما أقدر عليه وقد كنت أشارك في تلقيح النخل واصلاح المزرعة قدر الاستطاعة .

---

(١) لقد إضافة بعض الحواشي وعدلت في بعضها .

(٢) يريد به جده عقلاء .

(٣) وهي الان طرف بريدة الشمالي وفيها كان يقيم الشيخ رحمه الله .

ثم رحلت إلى الرياض لطلب العلم وذلك في سنة ١٣٦٧هـ بإشارة من والد . رحمه الله . ، فبدأت بتلقي العلوم على فضيلة الشيخ عبداللطيف بن إبراهيم آل الشيخ ، وأكملت الأجرومية والأصول الثلاثة والرحبية في الفرائض والقواعد الأربعة حتى اكملتها فهما وحفظا .

ثم انتقلت للقراءة على سماحة الشيخ مُحَمَّد بن إبراهيم آل الشيخ سنة ١٣٦٨هـ ، فقرأت عليه وبدأت بقراءة زاد المستقنع ثم كتاب التوحيد وكشف الشبهات والواسطية لشيخ الإسلام والأربعين النووية وألفيت ابن مالك وبلوغ المرام وهذه تقرأ على الشيخ عادا ولابد منها ، وأضفت أنا عليها كتب أخرى كنت أقرأها لوحدي على سماحة الشيخ . رحمه الله . الطحاوية والدرة المضيئة للسفاريني والحموية لأبن تيمية هذه قرأتها لوحدي واستمرت القراءة على سماحة الوالد الشيخ مُحَمَّد بن ابراهيم . رحمه الله . حتى فتح المعهد العلمي عام ١٣٧١هـ وهو أول معهد يفتح . وكل هذه الكتب كنت احفظها كما أحفظ الفاتحة .

هل كان لوالدكم . رحمه الله . أثر في تربيتكم ؟؟

والدي – رحمه الله – كان عاميًّا يقرأ القرآن فقط ولا يحفظه، وكان حريصا عليّ وهذا يظهر أنه لما فقدت بصري حرص على تحفيظي القرآن بل كان يحفظني كل يوم الجزء المطلوب مني قبل ذهابي للكتّاب ، ثم أرسلني للرياض لأكمل دراستي وتعليمي رحمه الله وغفر له .

شيخكم في الكتّاب لو حدثتمونا عنه . رحمه الله . ؟

هو الشيخ عبدالله بن مبارك العمري –رحمه الله– كان يدرس في الكتاب متبرعًا لا يأخذ أجرًا وكان يحتسب عمله لله جل وعلا ، وكان أحيانا يساعده بعض أولاده .

ما هي طريقة الدراسة في الكتّاب ؟

نبدأ بدراسة حروف الهجاء ، ثم ينتقل منها لمعرفة الحركات الفتحة والضمة وهكذا ، فنقول مثلاً {بُ } رفاع يعني باء مرفوعة و{ بِ } خفاض يعني باء مكسورة وهكذا ، ثم ننتقل للحركتين . ثم ننتقل للحرفين من الهجاء وأكثر ، وبعدها يعمل لنا اختبار نسميه الهجوه وطريقته أن المدرس يعطي الطالب كلمة أو أكثر ليتأملها ويعرفها بعيدا عن الطلاب لوحده ثم بعد قليل يطلبه المدرس ويسأله عنها فإن عرفها كتب له ثانية وثالثة فإن عرفها يعتبر قد اجتاز هذه المرحة من الكتاب ، وأنا اذكر الكلمة التي كتبت لي وحتى الآن لم أنساها فوالدتي – رحمها الله – اسمها هيلة وكتب لي المطوع – المدرس – هيلة فعرفتها وأضاف لها كلمة أو كلمتين ؛ فنجحت وهذا عام ١٣٥٢هـ .

وبعد هذه المرحلة نبدأ بقراءة القرآن قراءة فقط بدون حفظ ويكون الحفظ للأعمى فقط ، فيأخذ لطالب لوحًا من خشب له حبل يعلق به ، ويطلي للكتابة فإذا انهى من الكتابة يطلى بطين أبيض يسمي طلو ، ويكتب عليه مرة أخرى .

وبعد أن ينتهى من جزء عمّ يستمر في قراءة القرآن تلاوة في المصحف حتى يتمه كاملاً ، ومن رغب حفظ القرآن يكمل حتى يحفظه ولكن هذا نادر .

هل تذكرون بعض زملائكم في الكتّاب ممن طلب العلم وبرز ؟

أذكر ضحيان بن عبدالعزيز الضحيان من قبيلة عتيبة الذي كان من خيرة طلبة العلم . رحمه الله . وهذا فقط الذي أذكر أنه تعلم وصار طالب علم ومن خيره العلماء .

هل بقي شيئ مما كنت تحفظ من المتون ؟

الحمد لله كنت احفظ المتون كما أحفظ الفاتحة من القرآن ، ولكن بعد دخولي للمعهد العلمي ودرسنا مدرسين من بعض البلاد خربوا علينا هذه الطريقة وقالوا : الحفظ ما يصلح والحفظ يدمر الذهن ويفسد عقلية الطالب ينبغي الفهم بدون حفظ فأهملنا الحفظ ولكن بحمد لله اذا سمعت الباب مرة واحدة استعدته .

هل تذكر أحدا مما زاملكم في الدارسة وبرز على الشيخ مُحَّد بن إبراهيم والشيخ عبداللطيف وبرز ؟

درس كثيرون على الشيخين وبرزوا ، أذكر منهم الشيخ صالح علي بن الغصون – رحمه الله – وإن كنت ما زاملته إلا في آخر دراسته تخرج ثم تولى القضاء ثم صار في التميز ثم مجلس هيئة كبار العلماء ثم توفي – رحمه الله – ومنهم الشيخ زيد بن فياض – رحمه الله – ومنهم الشيخ إبراهيم بن مُحَّد بن إبراهيم آل الشيخ وزير العدل السابق ، ومنهم مُحَّد الدريبي وكيل وزارة الداخلية سابقا ، والشيخ علي بن سليمان الرومي تولى التدريس ثم القضاء في المحاكم ثم انتقل الى التمييز ، هؤلاء بعض من زاملتهم في الدراسة .

ما هي طريقة الدراسة على الشيخ مُحَّد – رحمه الله – ؟

كل واحد يقرأ لنفسه حفظا ، كلٍ على حده فإذا فرغوا من قراءة المتن حفظا بدا الشيخ بشرح ما سمّعوه .

ألتحقت بالمعهد العلمي فكيف كانت الدراسة فيه ؟

كان المعهد مرحلة ثانوية ومتوسطة وتمهيدي ، والتمهيدي تعادل الخامسة والسادسة الابتدائيتين ، ثم الكلية أربع سنوات ، وعلى حسب مستوى التحصيل يصنف الطالب إما في الأولى او الثانية او الثالثة حسب تقويم اللجنة وأنا صنفت في الثانية الثانوي ، وبعد أن درست عشرة أيام تقريبا نقلت بأمر من مدير المعهد إلى الثالث ، وذلك عام ١٣٧١هـ .

هل الطلاب الذين درسوا في المعهد هم أنفسهم الذين التحقوا بالمعهد ؟ وهل تذكرون بعض ممن زاملكم في المعهد ؟

لا .. الذين درسوا على المشايخ كثر يزيدون على المئة بينما في المعهد كنا واحد وعشرين طالب فقط ، منهم الشيخ علي الضالع والشيخ زيد بن فياض والشيخ مُحَمَّد بن دخيل هؤلاء توفي – رحمهم الله – ، الشيخ إبراهيم بن مُحَمَّد الشيخ علي الرومي والشيخ عبدالله بن إدريس الشاعر المعروف والشيخ مُحَمَّد الشاوي كاتب العدل والشيخ عبدالله الغديان(٤) والشيخ عبدالعزيز بن عبدالمنعم ، الشيخ إبراهيم بن عثمان ، والشيخ سعد بن اسحاق والشيخ علي بن سليمان الرومي(٥) كل هؤلاء باقين

لو تذكرون لنا حفظكم الله بعض من درسكم في تلك الفترة ؟؟

درسنا الشيخ عبدالعزيز ابن باز – رحمه الله – التوحيد والحديث ، والشيخ مُحَمَّد الأمين الشنقيطي ، والشيخ عبدالرحمن الأفريقي عالم جيد في الحديث ، والشيخ عبدالعزيز بن رشيد(٦) درسنا الفقه وهو عالم كبير ، والشيخ عبدالله الخليفي والشيخ حمد الجاسر درسنا الانشاء والإملاء ، ودرسنا آخرين من أهالي مصر في النحو والبلاغة منهم يوسف عمر حسنين وعبداللطيف سرحان ويوسف الضبع .

انقلتم بعد الدراسة في المعهد للدراسة في الكلية مباشرة ؟

صنفت في المعهد في الثاني ثانوي ثم بعد عشرة أيام صدر أمر من مدير المعهد بنقلي للثالثة كما ذكرت ، ثم اتقلت للدراسة في الكلية وكان هذا في عام ١٣٧٤هـ .

---

(٤) تولى الشيخ التدريس أول حياته ثم انتقل للأفتاء وهو كان عضو الجنة الدائمة للإفتاء وعضو هيئة كبار العلماء .

(٥) مفسر الأحلام المعروف .

(٦) من علماء الرس .

لو تتفضل بذكر من درسكم خلافا لمن ذكرت آنفا ؟

من المشائخ الذين تلقيت عليهم العلم غير من ذكرتهم سابقا فضيلة الشيخ سعود بن رشود قاضي في محكمة الرياض والشيخ ابراهيم بن سليمان .

درس فضيلتكم على جملة من المشايخ فمن هو أكثر من أثر فيك منهم ؟

شيخي وأستاذي والدي – رحمه الله – ، والذي تأثرت به كثيرًا هو سماحة مفتي البلاد سابقًا الشيخ مُحَمَّد بن ابراهيم – رحمه الله –.

بعد الدراسة في الكلية ماذا عملتم ؟

عينت مدرسًا في المعهد(٧) وذلك عام ١٣٧٦هـ وذلك لمدة سنة واحدة ، ثم نقلت للدريس في الكلية وذلك عام ١٣٧٧هـ وبقيت فيها إلى عام ١٤٠٦ ـ ١٤٠٧ هـ طلبت ان احال للتقاعد .

تذكر أحًدا ممن عين معكم في المعهد ؟

الشيخ علي الرومي درس سنة او سنتين ثم نقل للقضاء وكذلك الشيخ على الضالع .

لو تذكرون لنا بعض ممن درس عندكم في تلك الفترة سواء في الكلية أو المعهد ؟

منهم المفتي عبدالعزيز بن عبدالله آل الشيخ(٨) ومعالي الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي وزير الشؤون الإسلامية سابقا(٩) ، ومعالي الدكتور عبدالله بن مُحَمَّد بن إبراهيم آل الشيخ وزير العدل ، وفضيلة الشيخ الدكتور صالح بن فوزان الفوزان عضو هيئة كبار العلماء ، والشيخ غيب الغيهب، وفضيلة الشيخ قاضي تمييز عبدالرحمن بن صالح الجبر ، والشيخ قاضي تمييز عبدالرحمن بن سليمان الجارالله ، والشيخ قاضي تمييز عبدالرحمن بن عبدالعزيز الكِلِيّة ، الشيخ قاضي تمييز عبدالرحمن بن غيث ، الشيخ عبدالرحمن بن عبدالله العجلان رئيس محاكم منطقة القصيم سابقا ، والشيخ سليمان ابن مهنا رئيس محاكم الرياض ، والشيخ عبدالعزيز بن عبدالرحمن السعيد الرئيس العام لهيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والشيخ مُحَمَّد بن مهوس رئيس هيئة التحقيق والادعاء العام ،

---

(٧) لما تخرج الشيخ من كلية الشريعة عين قاضيا في وادي الدواسر ثم أُلغي ذلك التعيين بشفاعة الشيخ مُحَمَّد الأمين الشنقيطي رحمه الله .

(٨) سماحة مفتي عام المملكة ورئيس هيئة كبار العلماء ، درسه الشيخ ـ حفظه الله ـ في الكلية

(٩) مدير جامعة الإمام ووزير الشؤون الإسلامية سابقا ، وأمين رابطة العالم الإسلامي حاليا .

والشيخ الدكتور عبدالله الغنيمان ، والشيخ حمد بن فريان وكيل وزارة العدل سابقا ، وفضيلة الشيخ إبراهيم بن داود وكيل وزارة الداخلية والشيخ صالح بن عبدالله الدرويش القاضي بالمحكمة الكبرى بالقطيف .

في تلك الفترة درس في كلية الشريعة كل من الشيخ صالح اللحيدان رئيس مجلس القضاء الأعلى ، والشيخ مُحَمَّد الصالح العثيمين . رحمه الله . فهل درستموهم ؟

درستهما ولكن دروس اضافيه ، وكانت الطريقة في الكلية أن المدرس إذا غاب دخل مدرس آخر الذي عنده انتظار بدلاً من المدرس الغائب فكثيرًا ما كنت أذهب لفصلهما وأدرسهما .

هل تذكورون طلاب درستموهم في القصيم ؟

الشيخ سلمان بن فهد العودة، والشيخ علي بن خضير الخضير .

هل اشرفتم على رسائل للمجاستير والدكتوراه ؟

وممن أشرفت على رسائلهم العلمية سواء في الدكتوراه أو الماجستير : الدكتور مُحَمَّد عبدالله السكاكر(١٠)، والدكتور عبدالله بن صالح المشيقح ، والدكتور عبدالله بن سليمان الجاسر، والدكتور صالح بن عبدالرحمن المحيميد(١١) ، والدكتور مُحَمَّد بن عبدالعزيز اللاحم(١٢) ، والدكتور عبدالعزيز بن صالح الجوعي(١٣) ، والدكتور ناصر السعوي ، والدكتور خليفة الخليفة(١٤) ، والدكتور إبراهيم بن مُحَمَّد الدوسري(١٥) ، والدكتور يوسف القاضي(١٦) وغيرهم كثير .

هل كلفتم بأعمال أخرى أثناء تدريسكم في الكلية ؟

أبدًا لم أكلف بشيئ سوي المشاركة في أعمال الحج لثلاث أو أربع سنوات فقط ، وكنت أشارك في التدريس في تلك الفترة .

---

(١٠) رسالة ماجستير في قسم التوحيد

(١١) رسالة الدكتوراه وهو قاضي بمحكمة المدينة

(١٢) رسالة ماجستير

(١٣) رسالة دكتوراه

(١٤) رسالة ماجستير

(١٥) رسالة ماجستير في التوحيد

(١٦) رسالة ماجستير

ما هي المواد التي قمتم بتدريسها في الجامعة ؟

درَّست في الجامعة جميع المواد التي تدرَّس في كلية الشريعة التوحيد والفقه والفرائض والحديث والأصول والبلاغة والنحو كلها درستها .

هل شاركتم في تقويم أعمال بعض المشايخ لترقيتهم ؟

أرسلت لي الجامعة الإسلامية أعمال عدد من المشايخ والدكاترة لتقويم عملهم لترقيتهم اذكر منهم الشيخ مُحَمَّد ابن عثيمين وعبدالقادر شيبة الحمد وأبو بكر الجزائري ومُحَمَّد أمان الجامي الصومالي وربيع بن هادي مدخلي .

يقال أنك لم تكن تأخذ مقابل على التدريس فهل هذا صحيح ؟

لا .. ليس بصحيح .كان لي راتب شهري وأول ما عيِّنت كان راتبي (١٢٠٠ ريال) وذلك عام ١٣٧٧هـ ، وكل زملائي كان راتبهم (١٠٠٠ ريال) ولكن الشيخ عبداللطيف شفع لي حيث أنني كفيف فأحتاج لقارئ يقرأ لي لتحظير المواد فوافق مدير المعهد على ذلك ، ولما جاء التصنيف على المراتب صنفوني في الرابع وزملائي على المرتبة الخامسة (١٧) ، واستمر الراتب في الزيادة حتى وصل راتبي التقاعدي (١٧٢٥٠ ريال) وقد تقاعدت تقاعدًا مبكرًا وذلك عام ١٤٠٦هـ .

هل شاركتم في وسائل الإعلام ؟

شاركت في الكتابة في صحيفة كانت تصدر من القصيم وتسمي صحيفة القصيم يصدرها الشيخ صالح بن سليمان العمري رحمه الله واخوانه ، وكتبت فيها سلسلة رد على الشيخ مُحَمَّد خليل هراس في شرحة للواسطية وقد وقع في أخطاء عقائدية كثيرة تبلغ ثلاثين خطأ ، وقد وقع فيها جهلا فهو انتسب لمذهب أهل السنة بعدما قرأ كتب ابن تيمية . رحمه الله . وتأثر بها وكتب كتاب (ابن تيمية السلفي) وقد تراجع الشيخ عن هذه الأخطاء وعدلها . وقد كتبت ردا على هذه الأخطاء ونشرت في جريدة القصيم ولكن الجريدة أوقفت لأمر ما .

ولم يكن لي مشاركة في الإذاعة في الوقت البعيد ولكنني طلبت قبل فترة المشاركة في الإذاعة ولكن لم يسمح لي بهذا .

---

(١٧) كانت المراتب تبدأ من التاسعة وهي أقل مرتبة ثم الثامنة أعلى وهكذا وكانت أعلى مرتبة الثانية .

كيف كانت الحالة العلمية في الرياض والقصيم في تلك الفترة ؟

كانت الدروس والحلقات قليلة في تلك الفترة سواء في الرياض أو القصيم ، ولا اذكر في القصيم سوى دروس الشيخ عبدالله ابن حميد والشيخ صالح بن احمد الخريصي والشيخ مُحَمَّد بن صالح المطوع والشيخ صالح بن ابراهيم البليهي رحمهم الله .

هل درستم على أحد من علماء القصيم ؟

لم أدرس على أحد في القصيم كل دراستي كانت في الرياض ، فقط درست على الشيخ عبدالله بن حميد ليوم واحد فقط ثم تركت الدرس ، وكنت طلبت منه أن أقرأ المنظومة الشيبانية في التوحيد وذلك عام ١٣٧٨هـ وكانت أثناء الإجازة .

هل كان لكم دروس علمية خارج الجامعة في تلك الفترة ؟

لم يكن لي دروس في الرياض ولا في في القصيم إلا متأخرا بعد التقاعد .

لو حدثتمونا عن اول حج لكم ؟

أول حج حججته كان عام ١٣٧٨هـ وكان بالسيارة ولكن الطريق لم يكن ممهدا وكان كله صحراء واستغرقت المسافة من الرياض إلى مكة تسعة أيام فالسيارات كانت غير جيدة والطريق كان صعبا . ولا اذكر أنني لقيت أحدا من العلماء في تلك الفترة .

متى كان اشتغالكم بالمحاماة ؟

كان حوالي عام ١٤٠٥هـ ، ولكنني عانيت معاناة شديدة لأخذ شهادة المحاماة (الرخصة) فقد تقدمت لأخذ الموافقة من محكمة بريدة فأحيل طلبي لقاضيين أحدهما حمد بن تركي بن مقبل والثاني الدكتور أحمد الخضير فتصدى لي حمد بن تركي ورفض منحي الرخصة وكان حمد رئيس اللجنة وحاولت معه ولكن رفض ، وبعد جهد جهيد قال : الرخصة تحتاج إلى اختبار !!!! ، فقلت له : جوابي عن هذا أن مثلي لا يختبر لأن أحد مواد في تنظيم الأعمال الإدارية في الدوائر الشرعية تنص على أن من يحمل شهادة المعهد العلمي السعودي أو ما يعادلها لا يختبر هذا الأول أما الثاني أنني مستعد للإختبار !! ، فاتصلت بوزير العدل وذكرت له ما حصل ، فكتب للمحكمة وقال : يعط رخصة فورًا بدون اختبار وبدون أي تأخر فأخذت الرخصة ولله الحمد .

من يساعدك في اعداد البحوث العلمية والفتاوى ؟

يساعدني بعض بناتي وأبنائي –جزاهم الله خيرًا– فيساعدونني على القراءة والكتابة ولله الحمد ، وإذا أحتجت مساعدة من بعض الإخوان والأصدقاء فهم كذلك يبذلون وسعهم . جزاهم الله خيرًا جميعًا.

كان لكم مواقف طيبة في تخفيف معاناة المزارعين فهل تذكر لنا ما حدث معك ؟

في أحد الأعوام توقفت صوامع الغلال عن قبول القمح من المزارعين فذهبت أنا وأحد الإخوة المزارعين للملك فهد ، وقدمت له عريضه بهذا الشأن وكلمته فقبل مني ، وأمر باستقبال القمح ، فاستقبلت الصوامع من المزارعين بعد ذلك .

سنذكر لكم اسماء بعض المشائخ ونحب معرفة اتصالكم بهم ؟

الشيخ عبداللطيف بن ابراهيم : هو أخ للشيخ مُحَمَّد بن ابراهيم وهو عالم لا سيما في الفرائض فقد كان منقطع النظير فيها ، وكان ضعيف البصر لكنه يستطيع أن يقرأ .

الشيخ مُحَمَّد بن إبراهيم : كان سماحة الوالد من أحرص المشايخ على طلابهم وكانت طريقته في التدريس هي كالتالي : يجلس للطلاب في المسجد بعد الفجر ونقرأ عليه في الألفية والبلوغ والزاد وقطر الندى . وكنا نحفظها كاملة . ثم يطلب الشيخ أن نعرب الأبيات كاملة ثم يقرأ الشيخ مُحَمَّد بن قاسم شرح ابن عقيل على الشيخ . وهو شرح للابيات التي قرأناها قبل قليل ، ثم بعد إشراق الشمس بنحو نصف ساعة يذهب الشيخ إلى بيته والطلاب يلحقونه إلى بيته ثم بعد مدة يأذن لهم فيدخلون ويجلس لهم كذلك وتبدأ قراءة المختصرات أولا كتاب التوحيد ثم كشف الشبهات ثم الواسطية ثم إن كان هناك دروس خاصة لأحد الطلاب قرأ من يريد القراءة ثم تبدأ قراءة المطولات مثل صحيح البخاري أو المغني أو منهاج السنة النبوية لشيخ الإسلام ، وهي تسمي قراءة المطولات هذا يقرأ والشيخ يستمع فقط وإذا عرض لأحد الطلاب إشكال سأل الطلاب وإلا الشيخ لا يشرح ، وللشيخ جلسة ثالثة قبل العشاء يقرأ عليه فيها تفسير ابن كثير يقرأها الشيخ عبدالعزيز بن شلهوب وأحيانا يعلق الشيخ على التفسير ، وليس له إلا هذه الجلسات فقط.

الشيخ عبدالعزيز ابن رشيد : عالم كبير من علماء الرس . رحمه الله . لا سيما في التوحيد والفقه وعيّن في الأخير رئيسا لمدارس البنات .

الشيخ مُحَمَّد الأمين الشنقيطي : درست على الشيخ في الكليّة وأما في البيت فكانت لي دراسة يومية معه في الأصول والمنطق وكانت في المنطق سلّم الأخضري وشرحه وفي الأصول روضة الناظر ، وأتممتها على الشيخ ـ رحمه الله ـ وكانت دراستي لها دراسة جيدة ، وكانت الدراسة لوحدي بعد المغرب ، وأذكر أنني لما تخرجت من الكلية عينت قاضيا في وادي الدواسر فذهب الشيخ الشنقيطي للشيخ مُحَمَّد بن إبراهيم وقال له : هذا لا يمكن أن يعين في القضاء بل في التدريس لما يظهر منه من أهلية لهذا وبروز في التدريس ، والشيخ مُحَمَّد بن إبراهيم إذا عين أحد في القضاء لا يمكن أن يتراجع أبدا مهما حصل ، ولكنه كان يجل الشيخ الشنقيطي ويحترمه جدا . وكان علْم الشيخ الشنقيطي غزير جدا خاصة في الأصول والمنطق والتفسير والتأريخ واللغة والأدب وكان منقطع النظير في هذه ويجمع لها غيرها .

الشيخ زيد بن فياض : زاملته عند الشيخ عبداللطيف والشيخ مُحَمَّد بن إبراهيم وفي المعهد وفي الكلية ، وكان عالما جيدا وكاتبا فله مقالات كثيرة في الصحف .

الشيخ حمود التويجري : لم يتح لي اللقاء مع فضيلته رحمه الله .

الشيخ صالح البليهي : كان بيننا لقاء وصداقة ولم يكن بيننا مذاكرة (١٨) .

الشيخ عبدالرحمن الفريان : زاملته في المساجد عند الشيخ مُحَمَّد بن إبراهيم وكان يقرأ على الشيخ في صحيح البخاري ، وهو من كبار العلماء وقادة المدافعين عن العقيدة .

الشيخ سعود بن رشود : هو قاض في الرياض وكان قاضي الحضر (١٩) وقرأت عليه كتاب التوحيد .

الشيخ إبراهيم بن سليمان : قرأت عليه في الفرائض وكان قاضياً في الرياض

ولماذا هذه العناية بالدراسة على الشيخ الشنقيطي بالذات ؟

الشيخ مُحَمَّد هو شيخي وإمامي في كل شيئ ، وكان من خيرة العلماء علمًا وورعًا وزهدًا ـ رحمه الله وغفر له ـ وكان يعاملني مثل أولاده ويعتبرني ولدًا له .

---

(١٨) ومن أصحاب الشيخ حمود رحمه الله الشيخ عبدالله بن إبراهيم بن عبدالله الطويل أحد أعيان بلدة الشقة الذي يكنّي بـ حاتم الشقة كناية لكرمة وشهامته ، وكان الشيخ حمود العقلاء أحد رفاقه المقربين من الصغر حتى الوفاة ، ومن أصحاب الشيخ حمود، الشيخ عبد الله الرشيد السليمان المنصور العضاض رحمه الله وهو من طلاب المفتي مُحَمَّد بن إبراهيم رحمة الله عليهم جميعا .

(١٩) كان هناك قاضى للبدو وآخر للحضر .

سمعنا أن الشيخ عندما جاء للحج لم يكن على عقيدة أهل السنة فهل هذا صحيح ؟ وكيف انتقل لإعتقاد أهل السنة ؟

كلا لم يكن الشيخ الأمين على خلاف مذهب اهل السنة بل كان من المتحمسين لمذهب السلف وعقيدة اهل السنة .

هل كان لكم إهتمام بالأدب واللغة عموما والشعر على وجه الخصوص ؟

لما كنت طالبًا كنت مهتمًا في اللغة العربية نحو وصرف وبلاغة ، وكنت عازمًا على ان ادرس اللغة وكنت اظن أنني لو درست غيرها فشلت وأن فني الخاص هو اللغة العربية ولكن لما تخرجت قالوا إن اللغة يدرسها من تخرج من كلية اللغة وأنت ماعندك تخصص فرفضوا أن أدرس اللغة ، وكان لي اهتمام بالشعر الجاهلي على وجه الخصوص وكنت أحفظ كثيرًا من الشعر الجاهلي ، وكنت مولع به ، من ذلك معلقة امرئ القيس وعمرو بن كلثوم ، ولامية العرب للشنفرى ولامية العجم للطغرائي وحوليتين من حوليات زهير القافية التي مدح فيها الهرم بن سنان والكافية .

يقال إن كثيرًا ممن يحفظ الشعر يكتب الشعر فهل كتبتم شيئا من الشعر ؟

كتبت القليل من الفصيح والنبطي .

لو حدثتمونا عن مؤلفاتكم ؟

ألفت عددا من البحوث أولها بحث في الإمامة العظمى والثاني : البراهين المتظاهرة على حتمية الإيمان بالله واليوم الآخرة والثالث : القول المختار في حكم الإستعانة بالكفار ، وكان لي مشاركة قديمة مع الشيخ عبدالمحسن العباد والشيخ عطية سالم في كتاب تيسير الوصول .. وعندي مجموعة من الفتاوى تصل لمئة فتوى فيها نقد لبعض الأمور الواقعة وبيان لبعض الأحكام .

ما رأيكم في المشاركة في الصحف والإذاعة والتلفاز ؟ مع ما فيها من المنكرات مثل صور النساء والأغاني وغيرها ؟

الكتابة في الصحف جيدة ، إذا كانت فيه حرية ان يكتب ما يريد ، لأن فيها بياناً للحق ونصرة للدين ورد على الملحدين ، ولكن الإنسان لا يستطيع أن يكتب ما يريده .

والإذاعة كذلك وينبغي أن تكون منبرا للدعوة إلى الله وبيان أحكام الشريعة للمستمعين والرد على الملحدين وبيان حقيقتهم ، ولو حصل هذا لكان أمرا طيبا ، لكن الذي نراه في المشتركين في

الإذاعة يتكلمون في حقل واحد تقريبا ولا ينوعون الكلام . إذا ترتب على المشاركة في الاذاعة الدعوة الى الاصلاح فهذا طيب، أما التلفاز فلا أنصح بالمشاركة فيه .

ما رأيكم ـ رعاكم الله ـ في الانتساب للجماعات الإسلامية ؟

المسلمون جماعة واحدة وحزب واحد وهم الذين على الكتاب و السنة ، ولكن هذه الجماعات الحادثة هي التي أضعفت الدعوة وفرقت الأمة إلي فرق وأحزاب ، فهذه جماعة التبليغ وهذه جماعة السلفيين– الذين يتسمون بالسلفيين زورا – وهذه جماعة الإخوان وغيرها ، والذي يوافق الكتاب والسنة ومن هذه الجماعات هو الحق أما من حيث التفرق والتجزء والإفتراق فهذا شر حدث من أعداء المسلمين ، لأن أعداء الإسلام يدركون ان الإسلام الصحيح خطر عليهم لذلك هم يبذلون جهودا ليفرقوا بين المسلمين حتى لا يقوم للمسلمين قائمة ، وهذا التفرق لا يجوز وهو يضعف الأمة ، ويجب على الجميع الإجتماع على الكتاب والسنة والنصرة بين المسلمين أما كل جماعة تسب الأخرى وتعيرها فهذا خطأ ولا يجوز ، قال تعالى : " وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا .." وقال تعالى : " وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ " واتحاد المسلمين هو اصل القوة والعزة وهو سبب النصر .

هل قام العلماء في هذا الزمان بواجبهم تجاه الله تعالى ودينه ؟؟

علماء الشريعة أوجب الله عليهم واجب وحملهم أمانة وهو أن يقولوا الحق ولا يخافون فيه لومة لائم ، هذا واجب على علماء الشريعة مهما كان منصب العالم ومهما كانت مكانته ، يجب عليه أن يقوم بهذا الواجب وأن يقوم بهذا الأمانة ، يجب الرد على أعداء الإسلام وبيان دين الله وانكار المنكرات واصلاح الفساد والدفاع عن الشريعة وأحكامها وأن يكون هذا همهم ، ولا يحل لهم ترك شيئا من ذلك محابة لفلان أو ارضاء لفلان بل يكون هدفهم رضا الله سبحانه ورضى المسلمين لقوله ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ ـ : (من لتمس رضا الناس بسخط الله سخط الله عليه واسخط عليه الناس ومن التمس رضا الله بسخط الناس ﷺ وارض عليه الناس)(٢٠) فحمل العلماء ثقيل والأمانة التي حملوها عظيمة ولا ينظروا إلى حاكم ولا كبير ولا صغير ولا عامة لا خاصة بل يصدعوا بالحق رغم كل كاره له أما إذا تقاعسوا وتركوا ما اوجبه الله عليهم بتأويل أو ما أشبه ذلك

(٢٠) صحيح ابن حبان (٢٧٦) وحكم الألباني صحيح.

يريدون ارضاء فلان أو فلان فهم خاسرون ولم يقوموا بما اوجب الله عليهم من الأمانة والتكاليف الخاصة التي حملهم الله عليها والإنكار على من خالف شرع الله حاكم أو محكوم ، فينبغي للعلماء أن تكون مواقفهم مع الله فلا يبالوا بأحد سواه ، هذا الذي يجب ، كما يجب عليهم بذل النصح لولاة الامور ، فالله منّ عليهم بعلم وتفضل عليهم به وجعلهم من حملته فعليهم أن يؤدوا واجبه ويقوموا بمافرض الله عليهم فيه .

يدخل بعض أهل الخير والصلاح للبرلمانات حتى يخففون من الشر الذي قد يحصل إذا هم تركوا هذا المكان ، فما رأيكم في الدخول للبرلمانات ؟ وهل من دخل وهو ينوى الإصلاح يعذر بهذا ويكون مجتهدا ؟

البرلمانات قائمة على القوانين الوضعية كما لا يخفى ، والتعامل مع القوانين والوضعية محرم لا يجوز ، والذي يحكّم القوانين كافر ، والذي أراه أن الدخول في البرلمانات لا يجوز ، ولكن بعض العلماء قال : إذا كان من الممكن أن يكون الأغلبية في البرلمان للاسلامين فيترتب عليه أن يكون وجودهم مؤثر ويبطل المشاريع العلمانية جاز ذلك .

سماحة الشيخ حمود العقلاء الشعيبي زكيتم حكومة طالبان الاسلامية تزكية مطلقة ألا ترى يا سماحة الشيخ أن هذا فيه تعجل حيث أن الأمر لم يستتب لهم بعد ولعلهم يظهرون أمرا آخر إذا تمكنوا من الدولة كما فعل غيرهم ؟

أنا أرى أن الأمر استتب لهم وأن حكمهم عام على أفغانستان ولم يخرج على حكمهم إلا القليل من أرض أفغانستان ، وقد زكيتهم لأنهم يعلنون أن الشريعة هو دستورهم الوحيد ويحاربون كل ما عدا ذلك ، بل نرى أن النصارى واليهود والملاحدة وأعوانهم يضربون الحصار الإقتصادي على أفغانستان ويحاربونها فلماذا هذه الحرب ؟؟ لأنهم يحكمون كتاب الله وسنة نبيه ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ ـ في كل شيئ وهذا أكبر دليل على أن طالبان دولة اسلامية رشيدة تطبق أحكام الله ، ولا أدل على ذلك من حملتهم على أصنام بوذا (٢١) وتهديمها مع معارضة دول الكفر وتهديدهم لها . وكذا المستسلمين الذين نصروا الكفار على اخوانهم المسلمين وأفتوا بحرمة هذا الهدم . ونحن نحكم بأنهم دولة اسلامية بما يظهرون لنا .

---

(٢١) حدث هذا في شهر أول شهر ذي الحجة لعام ١٤٢١هـ ، وأتموا الهدم بعد عيد الحج وقد استعملت المتفجرات الشديدة لهذا الغرض ، بعدما لم تفلح الدبابات ونحوها في الهدم .

ولكنهم يحمون القبور ومزارع الأفيون ؟

الذي ثبت لنا أنهم بدأو بإزالة القبور ومنع عبادتها وازالة مزراع الأفيون(٢٢) ، وأقاموا بدل الأفيون مزارع القمح .. ثم لماذا لا ننظر للدول التي تحمي القبور ومدارسها صوفية وتدعوا للشرك ؟ لماذا لا نقول عن هذه الدول أنها غير اسلامية ؟ كل الدول الإسلامية فيها الحق والباطل

بعض الناس قد يقع في كفر ويعتذر أنه يخشى من الإكراه ، فما الفرق بين الإكراه وخوف الإكراه ؟؟

الإكراه نوعان الأول متحقق منه المكروه والآخر يغلب على الظن انه يحصل ، أما كونه يغلب عليه الظن انه فهذا لا يبيح له أن يكفر ، أما إن تحقق مئة في المئة أنه إذا لم يقل الكفر قتل مثلا ، فهذا يباح له أن يقول الكفر اذا كان يكرهه في قلبه .

بعض حكومات الدول الإسلامية تقول لو طبقنا الشريعة نخشى أن نقتل أو نقاتل فهل هذا عذر في ترك تتطبيق الشريعة ويستبدلونها بالقوانين ؟؟

قال الله تعالى : " يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥١) فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ "(٥٢)"سورة المائدة " فهم أعتذروا فقالوا : " نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ " ، فلو أن الحكومات وقفوا مع الله وصدقوا مع الله وتركوا دول الكفر ونبذوا معاملتهم وعلاقاتهم معهم واستعانوا بالله وبما أعطاهم من القوة في المال والبلدان والرجال لانتصروا على أعداء الله الكَفَرة ولنا مثال يبين لنا هذا : فهذا الإتحاد السوفيتي قاتل أفغانستان والذين قارعوهم أناس قليلو المال والسلاح ومع هذا اخرجوهم أذلاء حقراء بل تسببوا في تفكك دولتهم فأصبحت أثر بعد عين ، فهل الأفغان اكثر وأقوى من دول الإسلام مجتمعه ؟؟ لا ، ولكن الجبن والخور وحب الدنيا وملذاتها هو الذي يجعلهم يحكّمون القوانين ويتركون تحكيم الشريعة .

(٢٢) صدر تقرير عن هيئة الأمم المتحدة نشر في عام ١٤٢٢هـ يذكر فيه أن أفغانستان اصبحت خالية من مزارع الأفيون بسبب فتوى علماء طالبان التي تحرم الأفيون .

ما حكم ترك تحكيم الشريعة ؟

من حكم القوانين وأعتمد عليها وأبعد الشريعة وأزاحها عن مجال الحكم فهذا كافر لقوله تعالى : "وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ "سورة المائدة آية(٤٤) جاء المتحذلقون من مرجئة العصر بل من مرجئة الجهمية قبلهم وقالوا : إن هذه الأية لا تدل على كفر من أبعد الشريعة عن التحكيم لأنها نزلت في اليهود ولسنا مخاطبين فيما خوطب به اليهود ، وما عرف هؤلاء القاعدة الأصولية التي تقول إن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب والآية هنا عامة فلفظ " مَنْ " عام لأنه من صيغ العموم فهو عام لليهود وغيرهم .

وقالوا : إن ابن عباس قال كفر دون كفر وهذا ليس ثابت عن ابن عباس فهذا من رواية هشيم بن حجير عن ابن عباس وهشيم معلوم أنه متكلم فيه ومطعون فيه ، وأيضا أن طاوس روى عنه ابنه عبدالله . وهو ثقة وهو أعرف بأبيه من هشيم

أن ابن عباس ﷺ قال : هي به كفر، والمهم أن رواية هشيم عن ابن عباس كفر دون كفر ساقطة لا يحتج بها بمقتضى هذا .

ثم قوله سبحانه وتعالى : " فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا "سورة النساء(٦٥)هذه الآية صريحة أصرح من التي قبلها أقسم سبحانه أنه لا يحصل الإيمان من هؤلاء حتى تحصل ثلاث غايات :

أولا : التحكيم .

ثانيا : التسليم لهذا الحكم .

ثالثا : الرضى به وقبوله .

فهل هذه الثلاثة موجودة في القوانين التي وضعها البشر الكفرة الفجار ؟؟

إذن الذي يحكم القوانين ويزيح الشريعة كافر لا شك في كفره بكلام الله وكلام رسوله ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ ـ وكلام السلف الصالح .

الله سبحانه أرسل رسوله ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ ـ بأمور أولها وأهمها الدعوة إلى عبادته سبحانه وترك الإشراك به ، ثانيا الدعوة إلى شريعته وتحكيمها والحكم بمقتضاها ، فالذي يعبد معه غيره فهذا مشرك بالله في عبادته ، والذي يحكّم غيره مشرك بالله في حكمه قال تعالى : " .. وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا .. "سورة الكهف الآية (٦٢)، وهذا نص ظاهر وقال تعالى :(إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ۞)(سورة يوسف آية: ٤٠)

وهذا حصر ومن أبلغ طرق الحصر النفي والإستثناء هذه أمور ظاهرة وقد قال تعالى : "(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا *(٦٠) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا)(سورة النساء آية: ٦٠- ٦١)

فالذين يحكمون القوانين ثم يقلون نحن مسلمون فهؤلاء يزعمون مثل زعم المنافقين ، فالحاصل أن الرجل الذي يرفع حكم الله ورسوله عن محاكمة ودوائره ثم يحل محلها القوانين الوضعية التي وضعها الكفار بدلا من حكم الله ورسوله ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ ـ فهذا كافر لا شك في كفره ، كافر مهما كان ومهما قال المرجئة وأذنابهم الذين يريدون ارضاء الطغاة من الحكام الذين يحكمون القوانين ، يريدون أن يرضوهم بأن فعلهم هذا ليس كفرا ، الذي يحكم القانون كيف يكون مسلما هذا دينه دين من وضع له القوانين وشرعه شرع من وضع له القوانين وقد نقل ابن كثير ـ رحمه الله ـ الإجماع على كفر من حكم غير الشريعة .

ما حكم ترك الجهاد الذي نراه في هذا الزمان واتهام المجاهدين أنهم ارهابيين ؟

ترك الجهاد كفر لقوله ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ ـ .... حتى تراجعوا دينكم (٢٣) فهذا يدل على أن ترك الجهاد كفر(٢٤) ـ والعياذ بالله ـ ثم إن الأمة إذا تركت الجهاد وأعرضت عنه وتركت الأعداء يعيثون في بلاد المسلمين الفساد ثم لم تقم ولم تجاهد فهؤلاء خرجوا عن دينهم لأن الرسول ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ ـ قال : حتى تراجعوا دينهم ، فالجهاد لم يوصم من قبل المسلمين في العصور السابق بأنه أرهاب أو أعتبروا المجاهدين أرهابيون والسبب لا يخف على من له أدني بصيرة .

الشعوب العربية والإسلامية لا تستطيع أن تظهر دينها وعقيدتها وهي واقعة تحت ضغوط فما هو تقويمكم لهذا الوضع ؟

نحن نعلم أن الحكومات العربية والإسلامية لا تقول ما تريد بل تقول ما يريد غيرها فكثير من الحكومات لا تجرأ على أن تقول ما تريد ، وبعضها لا يريد أن يقول إلا ما يقال لها ، ولكن هناك دول عربية والإسلامية تحب الخير ولكنها لا تقدر عليه ولا تجرأ عليه لأن غيرها لا يريد منها ان تقول غير ما يريد الكفار ومن المعلوم أن كثيرا من الدول الإسلامية تدور في فلك الدول الكافرة

(٢٣) سنن أبي داود (٣٤٦٢) وحكم الألباني صحيح

(٢٤) أنظر ص ٩٧٠. للتوضيح .

الصديقة كما يقال فهي تخش غضبها وتخش سخطها وتبحث عما يرضيها فهي لا تقدر على أن تقول كل ما تريده، ولكن لو أن الأمر بيد هذه الدول وكانوا أحرارا واتحدوا لما عجزوا على هزيمة اليهود وهم بهذه القوة الجغرافية والمالية .

في ختام هذا اللقاء الشيق لا يسعني إلا أن أشكر سماحتكم جزيل الشكر على منحي هذه الفرصة ، وأن أدعوا الله تعالى لسماحتكم بوافر الصحة والعافية وان يمد في عمركم على عمل صالح وان يثبتكم على الحق وأن ينفع بكم الإسلام والمسلمين ، وأن يمن عليكم بالنظر إلى وجهه الكريم وأن يجمعكم بالنبيين والصدقين والشهداء والصالحين في الفردوس الأعلى من الجنة .. .. آمين
وصلى الله على نبينا مُحَمَّد وعلى اله وصحبه اجمعين ..

حررت في نهاية شهر ذي الحجة عام ١٤٢١هـ

إيناس النبلاء في سيرة شيخنا العقلاء

شيء من سيرة فضيلة الشيخ العلامة حمود بن عقلاء الشعيبي رحمه الله
مع ملاحق عن بعض ما قيل فيه من مقالات وأشعار(١)

بقلم
عبدالرحمن بن عبدالعزيز الجفن
١٦ / ٤ / ١٤٢٣ هـ . الطائف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد .

فإن التسطير عن علمائنا ومشايخنا ودعاتنا وكتابة سيرهم وبعض مواقفهم من أقل صنوف برهم والوفاء بحقهم ، خاصة ممن كان لهم الحظ الوافر في ضرب أعظم المواقف في نصرة الدين والذود عن حياضه والثبات على الحق ، وقد رأينا في هذه الأزمان وعلى أرض الواقع كيف كانت حقيقة الصدق في القول من عدمه ، ليس من الصعب أن تشنف الإسماع بقول الحق حال الركود الدعة والرخاء ، لكن من المكارهة الحقيقية أن تستنزل النفس حال الشدة إلى قول ما تعتقده مع ثباتها على ذلك .

وقد مر على الأمة الإسلامية شخصيات عرفهم التاريخ بصدقهم وقوتهم في الحق ، فلم يلتفتوا إلى ما يمنعهم من قول ما يعتقدون كون فلان رضي أو سخط ، أو كونهم أصابهم شيء من الأذى .. ولذلك سمعنا وقرأنا كيف كانت مواقفهم رحمهم الله .

أنظر إلى أبي الحسن الندوي رحمه الله (٢)ماذا يقول عن أحدهم :

لقد رفع ابن تيمية لواء الجهاد والتجديد محاربا لهذه الأعمال والأفكار والتقاليد المشركة الرائجة ، مستغنيا في ذلك عن سخط العامة وغضب الخاصة وعتابهم ، وضرب على جذور تلك العقائد والآراء التي كانت أساس هذه الأعمال المشركة .. اهـ .

---

(١) لقد نقلتها إلى ملحق نهاية الكتاب.

(٢) ٢/٤٠١ رجال الفكر والدعوة في الإسلام.

ومع ما يحمله بعض المسلمين من حق ومع ما وعدهم الله به من جنات عدن تجد بعضهم أسرع إلى الفرة من الكرة .

وقرأنا أيضا لأصحاب المناهج الضالة في ثباتهم على ما يدينون به حتى مماتهم ، انظر إلى من استتابهم المسلمون عن قولهم الكفر كيف ثبتوا حتى صلبوا .وبين أيدينا سيرة والدنا وشيخنا العلامة المجاهد مدفع التوحيد(٣) وجبل العقيدة رجل المواقف الشيخ حمود بن عقلاء الشعيبي رحمه الله رحمة واسعة ، عرفه الصغير والكبير العالم والجاهل الحاكم والمحكوم ، عرفه بعلمه وحنكته ورباطة جأشه وقوته في الله لا تأخذه فيه لومة لائم ، عُرف رجلا مخضرما عاشر الحاضرتين ، تتلمذ عليه الأكابر والرؤوس ، عرفته منذ سنوات رجلا متواضعا متصدقا صاحب عطف وصِلات ، رحوما على الصغار قبل الكبار ، يعرفه الفقراء قبل الأغنياء .

إمام جاهد بلسانه فقال ما يدين الله به ، ونصر الدين في وقت أحوج ما يكون المسلمون لمثله ، رجل يحترق لمصائب المسلمين ونكباتهم ، فقد كان رحمه الله كثيرا ما يمرض بسبب ما يصيب المسلمين من نكبات ، فلم يكن رحمه الله ذا همة مصطنعة بل كان رحمه الله يعيش بقلوب الفتية ، حماسه لقضايا المسلمين كحماس المجاهد في ساحة القتال ،لم يكن حماسه مؤقتا حال الحدث ، بل كان رحمه الله لا يمل ولا يكل ولا يتراخى حتى قبل وفاته رحمه الله بدقائق .

وكان رحمه الله كثيرا ما ينبذ الأفكار المنهزمة والمناهج المتميعة ، بل كان لا يقبل أن يجلس في مجلسه أحد يميت همته أو يبدد حماسه ، و قد أخرج بعضهم من مجلسه .

نكتب هذه الأسطر في سيرته رحمه الله من مولده حتى وفاته ، مع ذكر بعض أحواله الخاصة وشؤونه وقوة شخصيته وبعض ممن تأثر بهم رحمه الله وبعض مواقفه معهم ، نستمتع بها لعلها أن تكون سببا في شحذ الهمم ونصرة الدين .

وقد ألحقنا بعض ما كتب في الشيخ من مقالات وقصائد رثاه فيها محبوه جزاهم الله خيرا . وصلى الله على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين .

كتبه / عبدالرحمن بن عبدالعزيز الجفن

الطائف

hotmail.com@٢٠Gafn

(٣) لقب أسماه به فضيلة الشيخ عبد الله بن قعود عضو الإفتاء سابقا رحمه الله .

مولد الشيخ ونسبه ونشأته :

هو شيخنا العلامة المجاهد أبو عبدالله . حمود بن عبدالله بن عقلاء بن مُحَمَّد بن علي بن عقلاء الشعيبي الخالدي من آل جناح من بني خالد ، ولد رحمه الله تعالى في بلدة الشقة (٤) من أعمال القصيم سنة ١٣٤٦ للهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ، ونشأ رحمه الله في بيت دين وكرم ، فلما كان عمره ست سنوات التحق بالكتّاب فتعلم القراءة والكتابة والحساب ، وفي عام ١٣٥٢هـ أصيب بمرض الجدري وبسبب ذلك فقد بصره رحمه الله ، وقد حرص عليه والده منذ نعومة أظفاره ، وكان والده عبدالله رحمه الله صاحب زراعة وفلاحة فتعلم منه الشيخ رحمه الله مع فقده لبصره الزراعة والسقي وغير ذلك كما سيأتي تبيينه إن شاء الله .

بداية طلبه للعلم :

قرأ الشيخ رحمه الله القرآن وحفظه مع فقدانه بصره على يد الشيخ عبدالله بن مبارك العمري رحمه الله وعمره ثلاث عشرة سنة ، يقول الشيخ رحمه الله :

وقد حفظت القرآن وعمري ثلاثة عشر عاما وذلك عام ١٣٥٩ هـ ، ولكن ضبطت الحفظ والتجويد عندما بلغت الخامسة عشر من عمري وكان ذلك عام ١٣٦١هـ ، وكان لوالدي جهدٌ كبير في تنشأتي وتعليمي فكان رحمه الله يحرص على أن أكون من طلبة العلم . اهـ .

انتقاله إلى الرياض :

ولما بلغ العشرين من عمره أشار عليه والده عبدالله رحمه الله تعالى أن يسافر إلى الرياض ليتلقى العلم ، وكان ذلك في سنة ١٣٦٧ هـ فانتقل إلى الرياض ولازم الشيخ عبداللطيف بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله قرابة السنة فقرأ وحفظ ودرس عليه صغار المتون في العقيدة والفرائض والنحو وغير ذلك ، يقول الشيخ رحمه الله : فبدأت بتلقي العلوم على فضيلة الشيخ عبداللطيف بن إبراهيم آل الشيخ ، وأكملت الآجرومية والأصول الثلاثة والرحبية في الفرائض والقواعد الأربعة حتى أكملتها فهما وحفظا (٥) . اهـ .

---

(٤) قرية تقع الآن في طرف بريدة الشمالي وكان مسكن الشيخ رحمه الله فيها

(٥) أستفدت من بعض النقولات مما كتبه الشيخ عبد الرحمن الهرفي في مقابلته مع الشيخ رحمه الله التي أجراها معه في شهر ذي الحجة لعام ١٤٢١هـ، على هذا العنوان:

http://www.saaid.net/Warathah/hmood/٢/١.htm

وكان الشيخ عبداللطيف رحمه الله هو المرحلة الأولى لطلبة العلم ، فحينما يتقن الطالب عند الشيخ عبداللطيف يتم نقله إلى حلقة الشيخ مُحَّد بن إبراهيم رحمه الله فانتقل الشيخ حمود رحمه الله بعد سنة إلى حلقة الشيخ مُحَّد بن إبراهيم فقرأ عليه وحفظ بعض طوال المتون ، بل يكاد رحمه الله يحفظ شروحها ، وقد عرف عنه قوة الحفظ في شبابه ، وقد قرأت عليه رحمه الله بعض المتون مع شروحها فكان رحمه الله يكمل عنا غالبا شروحها ، بل كان يخطِّئ النسخ التي بين أيدينا ، وكان يعيد علينا أحيانا تعليق أحد شيوخه على بعض المسائل باللفظ والهيئة ، وكان من ضمن ما حفظه ألفية ابن مالك في النحو وزاد المستقنع في الفقه الحنبلي ، فكان يقول لنا : كنت أجلس أحيانا بعد العشاء في عريش رباط الشيخ مُحَّد بن إبراهيم فلا أقوم من مكاني حتى أنهي هذين المتنين .

ملازمته للشيخ مُحَّد بن إبراهيم رحمه الله :

وقرأ أيضا على الشيخ مُحَّد بن إبراهيم رحمه الله مفتي الديار السعودية في العقيدة والحديث والفقه والتفسير وأصول الفقه والنحو فأتقن ، يقول الشيخ رحمه الله :

انتقلت للقراءة على سماحة الشيخ مُحَّد بن إبراهيم آل الشيخ سنة ١٣٦٨هـ ، فقرأت عليه وبدأت بقراءة زاد المستقنع ثم كتاب التوحيد وكشف الشبهات والواسطية لشيخ الإسلام والأربعين النووية وألفية ابن مالك وبلوغ المرام ، وهذه تقرأ على الشيخ عادة ولابد منها ، وأضفت أنا عليها كتبا أخرى كنت أقرأها لوحدي على سماحة الشيخ ـ رحمه الله ـ الطحاوية والدرة المضيئة للسفاريني والحموية لابن تيمية هذه قرأتها لوحدي واستمرت القراءة على سماحة الوالد الشيخ مُحَّد بن إبراهيم ـ رحمه الله ـ حتى فتح المعهد العلمي عام ١٣٧١هـ وهو أول معهد يفتح ، وكل هذه الكتب كنت احفظها كما أحفظ الفاتحة . اهـ

وقال أيضا : كان سماحة الوالد (يعني مُحَّد بن إبراهيم) من أحرص المشايخ على طلابهم وكانت طريقته في التدريس هي كالتالي :

يجلس للطلاب في المسجد بعد الفجر ونقرأ عليه في الألفية والبلوغ والزاد وقطر الندى (وكنا نحفظها كاملة) ثم يطلب الشيخ أن نعرب الأبيات كاملة ثم يقرأ الشيخ مُحَّد بن قاسم شرح ابن عقيل على الشيخ ـ وهو شرح للأبيات التي قرأناها قبل قليل ، ثم بعد إشراق الشمس بنحو نصف ساعة يذهب الشيخ إلى بيته والطلاب يصحبونه إلى بيته ثم بعد مدة يأذن لهم فيدخلوا ويجلس لهم كذلك وتبدأ قراءة المختصرات : أولا كتاب التوحيد ثم كشف الشبهات ثم الواسطية ثم إن كان هناك دروس خاصة لأحد الطلاب قرأ من يريد القراءة ثم تبدأ قراءة المطولات مثل صحيح

البخاري أو المغني أو منهاج السنة النبوية لشيخ الإسلام ، وهي تسمي قراءة المطولات هذا يقرأ والشيخ يستمع فقط وإذا عرض لأحد الطلاب إشكال سأل الطلاب وإلا الشيخ لا يشرح .
وللشيخ جلسة ثالثة قبل العشاء يقرأ عليه فيها تفسير ابن كثير يقرأها الشيخ عبدالعزيز بن شلهوب وأحيانا يعلق الشيخ على التفسير ، وليس له إلا هذه الجلسات فقط . اهـ
وكان الشيخ ابن إبراهيم رحمه الله إذا انتهى من الدرس قام الطلاب إلى الشيخ حمود – وكان منهم بعض العلماء الموجودين حاليا – وطلبوا منه أن يعيد لهم درس الشيخ بن إبراهيم فكان الشيخ حمود كما يحدثنا – يمازحهم — يرفض ذلك أول الأمر ثم يقوم إلى ركن المسجد فيعيد عليهم درس الشيخ كاملا. وقد تأثر الشيخ حمود رحمه الله في شيخه مُحَمَّد بن إبراهيم حتى قال عنه : شيخي وأستاذي ووالدي رحمه الله ، تأثرت به كثيرا .

ملازمته للشيخ مُحَمَّد الأمين الشنقيطي رحمه الله :

يقول الشيخ مُحَمَّد الأمين الشنقيطي رحمه الله : أذكى من قابلت من المشايخ الشيخ مُحَمَّد بن إبراهيم ، وأذكى من قابلت من التلاميذ حمود العقلاء(٦) .
وقد لازم شيخنا الشيخَ مُحَمَّد الأمين الشنقيطي حتى في بيته وكان الشيخ يشرح له لوحده ، فقرأ الشيخ عليه في التفسير والعربية والحديث وأصول الفقه والمنطق .
يقول الشيخ رحمه الله وهو يتحدث عن دراسته على الشيخ مُحَمَّد الأمين :
درست على الشيخ في الكليّة وأما في البيت فكانت لي دراسة يومية معه في الأصول والمنطق وكانت في المنطق سلّم الأخضري وشرحه وفي الأصول روضة الناظر ، وأتممتها على الشيخ رحمه الله وكانت دراستي لها دراسة جيدة ، وكانت الدراسة لوحدي بعد المغرب .. وكان علْم الشيخ الشنقيطي غزيرا جدا خاصة في الأصول والمنطق والتفسير والتأريخ واللغة والأدب وكان منقطع النظير في هذه ويجمع لها غيرها . اهـ

وكان للشيخ حمود رحمه الله مع شيخه مُحَمَّد الأمين بعض المناقشات والمباحثات ، منها ما حدثنا به رحمه الله فقال :

---

(٦)– حدثنا الشيخ عبدالله بن حسين أبا الخيل حفظه الله فقال : كان الشيخ حمود فيه من الذكاء والفطنة ما استغربه وتعجبه طلبة العلم في الرياض آن ذاك ، بل إن الرجل ليبتسم حينما يستمع لحديث الشيخ من شدة ما يراه من توقد ذكاءه رحمه الله إهـ .

في درس التفسر لما مر الشيخ مُحَّد الأمين رحمه الله على قوله تعالى (قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى) الآية(٧)، قال الشيخ حمود : فقلت : يا شيخ ألا يكون موسى هذا أحد نذر الجن ؟ فقال الشيخ مُحَّد : لو سبقت إلى هذا لقلت بقولك(٨). اهـ

ومنها أيضا يقول الشيخ رحمه الله في شرحه للتدمرية عند ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى لقوله تعالى (والسماء بنيناها بأيد) أي قوة ، قال الشيخ حمود رحمه الله :
والعلماء يعلمون أن في القرآن مجازاً ولكنهم ينفون ذلك لسد الذرائع ، وكان شيخنا الشنقيطي رحمه الله يشدد في نفي المجاز وأنا كنت أرى المجاز ، فقال الشيخ الأمين رحمه الله : إن الرجوع في البديع لا يوجد في القرآن أبدا .. ثم استطرد الشيخ حمود قائلا : والرجوع هو أن يثبت معناً من المعاني ثم ينفيه أو العكس ، فقلت له : بل في القرآن ذلك ، فاضطرب الشيخ وقال : أين ؟ فقلت : في قوله تعالى (قالوا ضلوا عنا بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا) وقوله تعالى (قالوا ياويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون) استفهام .. لا يعلمون ، ثم ردوا على أنفسهم بأنه الله ، ولكن رحمه الله لم يقبل كلامي وقال : إنك لم تستدرك الأدلة التي استدللت بها . أهـ
وكان للشيخ رحمه الله عند الأمين الشنقيطي مكانة وقدر يبينها ما قاله الشيخ نفسه ، حيث قال : لما تخرجت من الكلية عينت قاضيا في وادي الدواسر فذهب الشيخ الشنقيطي للشيخ مُحَّد بن إبراهيم وقال له : هذا لا يمكن أن يعين في القضاء بل في التدريس لما يظهر منه من أهلية لهذا وبروز في التدريس ، والشيخ مُحَّد بن إبراهيم إذا عين أحدا في القضاء لا يمكن أن يتراجع أبدا مهما حصل ، ولكنه كان يجل الشيخ الشنقيطي ويحترمه جدا .

وكان من تأثر الشيخ حمود بشيخه الشنقيطي رحمهما الله ما عبر عنه بقوله :
الشيخ مُحَّد هو شيخي وإمامي في كل شيئ ، وكان من خيرة العلماء علما وورعا وزهدا رحمه الله وغفر له وكان يعاملني مثل أولاده ويعتبرني ولدا له . إهـ

---

(٧) الأحقاف آية ٣٠

(٨) – وقد تتبعت الآيات في كتاب الله التي ذكر فيها موسى ومُحَّد ولم يذكر عيسى عليهم الصلاة والسلام فوجدتها في : سورة الأنعام آية ٩١ وآية ١٥٤ ، وسورة القصص آية ٤٨ ، و سورة هود آية ١٧ ، وسورة الأحقاف آية ١٢ وآية ٣٠ ، وفي صحيح البخاري رحمه الله في حديث ورقه بن نوفل حيث قال : بخ بخ هذا الناموس الذي كان يأتي موسى يا ليتني أكون فيها جذعا) الحديث . ولم يأت ذكر في هذه المواضع لعيسى عليه السلام .

التحاقه بالمعهد وكلية الشريعة :

ولما افتتح المعهد العلمي التحق به رحمه الله تعالى وكان سنة ١٣٧١هـ يقول الشيخ رحمه الله : كان المعهد مرحلة ثانوية ومتوسطة وتمهيدي ، والتمهيدي تعادل الخامسة والسادسة الابتدائيتين ، ثم الكلية أربع سنوات ، وعلى حسب مستوى التحصيل يصنف الطالب إما في الأولى أو الثانية أو الثالثة حسب تقويم اللجنة وأنا صنفت في الثانية الثانوي ، وبعد أن درست عشرة أيام تقريبا نقلت بأمر من مدير المعهد إلى الثالث ، وذلك عام ١٣٧١هـ

مشايخه :

وقرأ الشيخ رحمه الله في المعهد وكلية الشريعة وغيرهما على يدي أكابر العلماء غير من سبق ، منهم الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله درسه في التوحيد والحديث، والشيخ عبدالرحمن الإفريقي رحمه الله في الحديث أيضا ، والشيخ عبدالعزيز الرشيد في الفقه ، وفضيلة الشيخ سعود بن رشود قاض في محكمة الرياض ، والشيخ إبراهيم بن سليمان ، والشيخ عبدالله الخليفي ، والأستاذ حمد الجاسر في الإنشاء والإملاء ، ومن أهل مصر في النحو والبلاغة منهم الشيخ يوسف عمر حسنين والشيخ عبداللطيف سرحان والشيخ يوسف الضبع وغيرهم رحمهم الله جميعا .

بعد تخرجه من كلية الشريعة :

ولما تخرج من كلية الشريعة عين قاضيا في وادي الدواسر ثم الغي ذلك التعيين بشفاعة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله كما سبق ذكره ، فعين مدرسا في المعهد العلمي لمدة سنة واحدة وذلك عام ١٣٧٦ هـ ثم انتقل إلى الكلية بعدها عام ١٣٧٧هـ وبقي فيها أربعين عاما يدرس فيها حتى سنة ١٤٠٧هـ وترقى خلالها حتى وصل إلى درجة أستاذ ، وقد درّس فيها جميع المواد التي كانت تدرس في المعهد والكلية كالتوحيد والفقه والفرائض والحديث والأصول والبلاغة والنحو كلها درسها رحمه الله .

ميوله لتدريس اللغة العربية :

وكان رحمه الله يهوى أن يدرس في كلية اللغة العربية فقد قرأ كثيرا من أبوابها على الشيخ محمد الأمين الشنقيطي والشيخ محمد بن إبراهيم وحمد الجاسر وغيرهم ، فقرأ في الأدب النحو والصرف والاشتقاق والبلاغة والبديع والإنشاء والإملاء وغيرها .. فكان رحمه الله يقول :

لما كنت طالبا كنت مهتما في اللغة العربية من نحو وصرف وبلاغة ، وكنت عازما على أن أدرس اللغة وكنت أظن أنني لو درّست غيرها فشلت وأن فني الخاص هو اللغة العربية ولكن لما تخرجت قالوا إن اللغة يدرسها من تخرج من كلية اللغة وأنت ما عندك تخصص فرفضوا أن أدرس اللغة ، وكان لي اهتمام بالشعر الجاهلي على وجه الخصوص وكنت أحفظ كثيرا من الشعر الجاهلي (٩)، وكنت مولعا به ، من ذلك معلقة امرئ القيس وعمرو بن كلثوم ، ولامية العرب للشنفرى ولامية العجم للطغرائي وحوليتين من حوليات زهير القافية التي مدح فيها الهرم بن سنان والكافية . إهـ

وقد حدثني الشيخ عبدالله بن حسين أباالخيل حفظه الله فقال : كنا في رباط الشيخ مُحَّد بن إبراهيم رحمه الله ولما جاءنا الشيخ حمود من (الشقة) تعجبنا من إتقانه اللغة العربية . وكان عمر الشيخ آن ذاك عشرين سنة كما ذكرنا .

ولما سئل رحمه الله عن كتابته للشعر قال : كتبت القليل من الفصيح والنبطي .

اهتمامه بطلابه :

كان الشيخ رحمه الله يتفقد طلابه ويسأل عنهم وعن أحوالهم ويواسيهم ، فإذا تغيب أحدهم بحث عن هاتفه حتى يجده ثم يتصل به ويسأله عن حاله وسبب تغيبه ، فإن كان مريضا عاده وزاره ودعا له ، وإن كان لسبب من الأسباب حثه على المبادرة والاجتهاد .

وكان الشيخ رحمه الله يحرص أن يتخرج الطالب على يديه متقنا ضابطا ، طلب منه أحد الطلبة منه أن يقرأ عليه إحدى المواد فوافق ، ولما جاء الطالب في الموعد المحدد وقرأ البسملة والحمدلة قال له الشيخ قف ، ثم قال : الطلاب لا ينقطع حضورهم عندي ، فإما الاستمرار وإما من الآن ، فقال الطالب : الاستمرار يا شيخ ، فكان هذا الأخ يحدث قائلا : منذ تلك المقولة من الشيخ وأنا لم أنقطع عن الدروس والعلم فرحمه الله (١٠) .

وكان من حرصه عليهم أنه كان يدرس لبعضهم بعض مواد الدراسة النظامية إذا كان عندهم امتحانات فيها ، بل يسألهم حتى عن أسئلة الامتحانات ونتائجها .

وكان رحمه الله يطلب بطريقة لطيفة من بعض تلامذته أن يبحثوا بعض المسائل لكي يتدربوا على طريقة البحث ، وكان يناقشهم على تلك البحوث رحمه الله فإما أن يصحح لهم أو يوافقهم.

---

(٩) يقول المثنى ابن الشيخ حمود : كان والدي الشيخ حمود معجب كثيرا بهذا البيت لبشار ابن برد

إذا أنت لم تشرب مرار على القذى ظمئت .... وأي الناس تصفو مشاربه

(١٠) كان يأتي عند الشيخ رحمه الله شاب مصري يقرأ عليه القرآن بقراءة ورش أو قالون عن نافع، وللشيخ فيها سند .

وكان رحمه الله في حلقة الدرس يسأل عن مسائل الدرس السابق ويطلب من الطلبة في النحو إعراب الآيات القرآنية والأبيات الشعرية والشواهد العربية ، بل ويطالبهم أحيانا أن يحفظوا بعض أشعار العرب .

وكان رحمه الله يدرس تلامذته أحيانا في اليوم الشديد الحر حتى ترى في وجهه رحمه الله تصبب العرق ومع ذلك يصبر ويتحمل ، بل كان يحتاج إلى النوم و ترى التعب باديا على وجهه رحمه الله ولم يكن ليعتذر عن الدرس ، فكان بعض طلبته يقولون له : لعلنا نرجئ درسنا لليوم التالي يا شيخ ، فيقول : اقرأ فقد جئتَ من بعيد .

وهذه قصة سردها أحد طلبة الشيخ ، يقول فيها (١١) :كان أحد الاخوة قد دعا الشيخ لوليمة في مزرعته بعد صلاة العشاء وكان في الوليمة مجموعة من المشايخ وطلبه العلم وانشغل صاحب الوليمة فلم يستطيع إحضار الشيخ للمزرعة فكلمنا لنحضر الشيخ .. فذهبت إلى مزرعة الشيخ وكما هو معروف أن مزرعة الشيخ خارج مدينة بريدة وتبعد حوالي ثلاثين كيلو أو تزيد.. وقدر الله قبل هذه الوليمة بأيام أن يطمس بعض الأطفال حروف لوحة سيارتي فلما ذهبت للشيخ كان هناك نقطة تفتيش فانتبه العسكري للوحة المطموسة فحرر لي مخالفة و قام باحتجاز السيارة ونقلها إلى حجز السيارات الذي يبعد عن مزرعة الشيخ أربعين كيلو تقريبا .. حاولت أن أفهمهم أني مرتبط مع أحد المشايخ و أني سوف أقوم بتعديل اللوحات وان المسالة لا تستدعي حجز السيارة ..ولكن لقد أسمعت لو ناديت حياً .. فلما وصلنا للحجز وضعوا السيارة في مكان حجز السيارات ثم قالوا : انصرف .. دبر حالك .. ؟؟؟ تخيلوا أيها الأحباب رجال الأمن يحجزون سيارة مواطن في إحدى الطرق البعيدة عن المدينة وفي مكان مقطوع ويقولون : دبر حالك !! الشاهد .. تأخر علي الوقت والشيخ ينتظر و تأخرت على صاحب العزيمة .. ويسر الله لي سائق أجرة فركبت معه وذهبنا مباشرة لمزرعة الشيخ فلما وصلت طرقت الباب فخرج لي الشيخ – رحمه الله – فقال لي : لماذا تأخرت ؟ فأخبرت الشيخ بما حدث .. فما كان من الشيخ –رحمه الله – إلا أن أدخل يده في جيبه واخرج من جيبه النقود وقال : خذ أعطى الحساب لسائق الأجرة .. قلت : يا شيخ لا .. عفا الله عنك .. فأقسم الشيخ فما كان إلا أن قبلت بعد أن أ قسم الشيخ .. ثم طلب الشيخ من سائقه أن يجهز السيارة وقال لي : اركب معنا .. وفي الطريق تمتعت بحديث الشيخ وعلمه وكلامه الذي يقطر كالعسل .. فلما اقتربنا من بريدة قال لسائقه :

---

(١١)– على هذا العنوان :

htm.١٦/٢aid.net/Warathah/hmood/http://www.sa

اذهب إلى إدارة مرور بريدة ..!!! قلت : يا شيخ عفا الله عنك لماذا ؟ قال : حتى نخرج سيارتك .. فقلت له : لكن الاخوة ينتظروننا والمشايخ موجودين .. فقال : أنت تعبت وأتيت من أجلي فلذلك سأذهب ولن نخرج من عندهم إلا ومعك سيارتك .. أصابني إحراج شديد ...و تلعثم لساني .. حينها أخذت انظر للشيخ واستغرب .. ثم فكرت وتذكرت الاخوة والمشايخ الذين ينتظرون الشيخ – رحمه الله – . وبعد جهد جهيد ..أقنعت الشيخ أنني سوف أراجعهم وإذا أشكل علي شيء سوف ارجع له .. فوافق الشيخ بهذا الشرط ..

تلامذته :

قرأ على الشيخ رحمه الله أفواج من الطلاب ، فقد كان يدرس في الجامعة وغيرها أربعين سنة وتخرج على يديه جملة من العلماء والمصلحين منهم فضيلة الشيخ علي بن خضير الخضير وقد لازمه لسنوات عدة وكان الشيخ رحمه الله يثني عليه كثيرا ويجله ويقدره ويحثنا على التتلمذ عليه والاستفادة من علمه ، والشيخ عبدالله الغنيمان ، والشيخ سلمان بن فهد العودة قرأ عليه في النحو ، والشيخ عبدالعزيز بن صالح الجوعي ، ومن هيئة كبار العلماء المفتي العام عبدالعزيز آل الشيخ ، والشيخ صالح الفوزان ، وقد درس عليه الشيخ مُحَمَّد بن عثيمين رحمه الله والشيخ صالح اللحيدان دروسا إضافية في كلية الشريعة في الرياض .

وتتلمذ عليه أيضا بعض الوزراء في الدولة كوزير العدل عبدالله بن مُحَمَّد بن إبراهيم ، ووزير الشؤون الإسلامية سابقا عبدالله بن تركي ، ومن القضاة : فضيلة الشيخ عبدالرحمن بن عبدالله العجلان رئيس محاكم منطقة القصيم سابقا ، وقاضي تمييز عبدالرحمن بن صالح الجبر ، وقاضي تمييز عبدالرحمن بن سليمان الجارالله ، و قاضي تمييز عبدالرحمن بن عبدالعزيز الكِلِيّة ، وقاضي تمييز عبدالرحمن بن غيث ، ورئيس محاكم الرياض سليمان بن مهنا ، ووكيل وزارة العدل حمد بن فريان ، ووكيل وزارة الداخلية إبراهيم بن داود ، ورئيس العام لهيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عبدالعزيز بن عبدالرحمن السعيد ، ورئيس هيئة التحقيق والادعاء العام مُحَمَّد بن مهوس .

وممن أشرف على رسائلهم العلمية سواء في الدكتوراه أو الماجستير : رئيس محكمة البكيرية الدكتور عبدالله الدخيل ، و الدكتور مُحَمَّد بن عبدالله السكاكر ، والدكتور عبدالله بن صالح المشيقح ، والدكتور عبدالله بن سليمان الجاسر ، والدكتور صالح بن عبدالرحمن المحيميد ، والدكتور مُحَمَّد بن لاحم ، والدكتور عبدالعزيز بن صالح الجوعي ، والدكتور ناصر السعوي ، والدكتور خليفة الخليفة ، والدكتور إبراهيم بن مُحَمَّد الدوسري ، والدكتور يوسف القاضي ، وغيرهم كثير .

وكان الشيخ رحمه الله تعرض عليه بعض الرسائل والمؤلفات لبعض المدرسين من قبل الجامعة لقبول ترقيهم في سلك التدريس فكان يقبل بعضها ويرد البعض الآخر فمما عرض عليه :
الشيخ مُحَمَّد بن عثيمين رحمه الله عن طريق جامعة الإمام مُحَمَّد بن سعود الإسلامية ، عرضت عليه بعض رسائله في العقيدة ، و منهم أيضا الشيخ عبدالقادر شيبة الحمد وأبو بكر الجزائري ومُحَمَّد أمان الجامي الصومالي(١٢) وربيع بن هادي مدخلي وغيرهم .

مؤلفاته :

للشيخ رحمه الله بحوث ومؤلفات ورسائل وردود وفتاوى عدة ، منها ما فقده الشيخ ومنها ما احتفظ به ثم نشره ، فمن ذلك :
كتاب الإمامة العظمى وهو بحث كتبه لنيل درجة أستاذ كرسي في جامعة الإمام مُحَمَّد بن سعود ونشر في مجلة الجامعة في عددها الصادر سنة ١٤٠٠ هـ ، وكتاب القول المختار في حكم الاستعانة بالكفار ، والبراهين المتظاهرة في حتمية الإيمان بالله والدار الآخرة ، وكتاب مختصر العقيدة ، وشرح جزءا من بلوغ المرام وهو مما افتقده أيضا ، وشارك في تأليف كتاب تسهيل الوصول إلى علم الأصول المقرر في الجامعة الإسلامية ، ورد على الشيخ هراس في شرحه الأول على الواسطية وقد فقده كتبه على حلقات في صحيفة تعرف آن ذاك بصحيفة القصيم .(١٣)
وله شرح على كتاب التوحيد وشرح على التدمرية وشرح على الحموية وشرح على الواسطية وشرح على متن الطحاوية وتعليق على ألفية بن مالك وشرح للآجرومية وعلق على شرحها للعشماوي ، وتعليق على كتاب السنة لعبدالله بن الإمام احمد(١٤) ، وتعليق على حائية ابن أبي داود وشرحها للسفاريني ، وتعليق على اقتضاءالصراط المستقيم وعلى جزء كبير من الصارم المسلول لابن تيمية ، وتعليق على سبل السلام ، وشرح سلم الأخضري في المنطق (١٥) ،

---

(١٢) يقول الشيخ فيصل الحازمي : سمعت شيخنا حمود العقلا الشعيبي يُثني ويحضّ عليه ..وكان أحد المحكّمين والمجيزين له في الجامعة الإسلاميَّة (يتحدث عن كتابالصفات الإلهية في الكتاب والسنة للشيخ مُحَمَّد أمان الجامي رحمه الله .

(١٣) أنظر ص ٥٠٣ .

(١٤) يقول الشيخ عبد الرحمن الجفن : قرأت على الشيخ حمود العقلاء رحمه الله كتاب السنة لعبدالله بن الإمام أحمد ، لما جاء فصل الكلام على أبي حنيفة قال اقفزه تلك أمة قد خلت ..

(١٥) – شرحها لبعض الطلاب وهم غير معروفين وقد سأل عنهم الشيخ رحمه الله كثيرا .

وجزء من شرح السنة للبربهاري وغير ذلك ، وله رسائل وبحوث وردود وفتاوى من ضمنها رسالة عن حكم الخلاف في أصول الإيمان (١٦) ، ورسالة في التصوير ورسالة في الأعياد البدعية ورسالة في الحكم بغير ما أنزل الله ، ورسالة في تعريف الإرهاب وحقيقته ، وفتوى في حكم استئذان الوالدين في الجهاد ، وفتوى لأحداث أمريكا ، وفتوى عن شرعية حكومة طالبان والجهاد معها ضد تحالف الشمال . وبيان لضلالات حسن فرحان المالكي ،ورد على خالد العنبري ، ورد على وزير الشؤون الإسلامية صالح آل الشيخ في منعه القنوت، ورسالة للدكتور محسن العواجي عن ضلالات موقعه في الإنترنت(١٧) المسمى بالوسطية ، وفتوى في تكفير تركي الحمد ، وفتوى في تكفير المغني عبدالله رويشد ، وأجوبة عن رسائل وصلته من بعض البلدان ، وغيرها كثير يصل عدد الفتاوى المدعمة بالبحث العلمي قريبا من الأربعين فتوى ، أما ما تخص أحوال المسلمين فكتب رحمه الله عشرات الفتاوى بعضها منشور في موقعه في الإنترنت ، وقد كلفه مفتي الديار السعودية الشيخ مُحَمَّد بن إبراهيم رحمه الله للفتوى والواعظ والإرشاد في الحرم أيام الحج لثلاث أو أربع سنوات . وقد انتهج الشيخ رحمه الله تعالى في كتبه وردوده وغالب فتاواه منهج البحث والتفصيل ، فتجده رحمه الله لا يكتفي في فتواه أو رده على القول مجردا عن الأدلة والبراهين بل تجد الفتوى تصل إلى عشر ورقات بل إلى خمس عشرة ورقة أو تزيد ، وتجدها مدعّمة بالكتاب والسنة مع عرض أقوال أهل العلم وخلافهم مع ترجيحه ما يراه صوابا ، ومثل هذا المنهج للشيخ في عرض الفتوى شبيه بطريقة شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في فتاويه ، ومع جرأة شيخنا رحمه الله ومع سلوكه هذا المنهج ومع توفيق الله قبل ذلك رأينا كيف راجت فتاويه في جميع أنحاء العالم العربي فضلا عن الإسلامي .

قوته في الحق ورباطة جأشه :

ليس سرا أن نقول إن الشيخ رحمه الله سجن سنة ١٤١٧ هـ لأكثر من أربعين يوما ومنع من الإفتاء عدة مرات ومع ذلك لم يقف عن قول ما يعتقده حقا يدين الله به ، بل كان كثيرا ما يردد

---

(١٦) – مقال كتبه في مجلة أضواء الشريعة الصادرة من كلية الشريعة في الرياض في عددها الأول سنة ١٣٨٩هـ ، وقد تكلم فيه رحمه الله عن تعريف الإيمان عند أهل السنة وعند أهل البدع وناقش انحراف المبتدعة فيه نقاشا شرعيا وعقليا وذكر أثر الخلاف فيه .

(١٧)- https://www.saaid.net/Warathah/hmood/h٣٣.htm

عند منعه من الإفتاء قول الله تعالى (إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون) وقول رسول الله ﷺ : (من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة) ، وكان كثيرا ما يحث المشايخ وأهل العلم بأن يقولوا ما يعتقدوه دينا يدينون الله به ولو أصابهم شيء من الأذى حتى لا يلعنوا كما لعن الذين من قبلهم .

وقد عرف عن الشيخ رحمه الله منذ صغره بقوته وصلابة قلبه ورباطة جأشه فلم يكن للخوف مكان في صدره إلا من الله سبحانه ، حكى لنا الشيخ مرة أنه حدث له قديما في إحدى الليالي أن أزعجته بعض الكلاب في نباحها فلم يستطع النوم فأخذ البندقية (الشوزن) ذات الطلقة الواحدة وخرج على الكلاب فوجه البندقية صوبها فأطلق النار عليها حتى قتل بعضها والشيخ لا يبصر .

وحكى لنا ابنه عزيز حفظه الله أن الشيخ رحمه الله لما كان صغيرا كان يدخل يده في جحر الضب مع فقده بصره ، فكان يتلمس العقرب بيده فيدفع إبرتها بأصبعه مرة ومرتين ومع ذلك لا يخافها .

ومن رباطة جأشه رحمه الله ما حدثنا به ابن الشيخ المثنى حيث قال : كنت خلف والدي في المزرعة فرأيت ثعبان تتجه نحو الشيخ رحمه الله فصحت به : الثعبان ، فقال لي : لا تتحرك ، وثبت في مكانه ومرت من بين رجليه ولم تصبه بأذى .

وكانت له في صغره بعض المواقف والطرائف لا يسع المجال لذكرها ، فكان رحمه الله من الأفذاذ قليلي المثل في هذه الأزمان، وكان مثلَ ذلك التاريخ جدير بعد الله بأن يخرج لنا أحد الأبطال الذين لن ينساهم التاريخ ، وقد كانت له صولات وجولات يعرفها القريب والبعيد .

اتصل رحمه الله ببعض من يتحدث في إحدى الإذاعات فقال له بعد السلام : اعلم يا أخي أن من يستمع إليك تعدادهم يصل إلى الملايين ، وأنت من خلال حديثك إليهم تضع عقلك ، ولا يخفاك أن من يستمع إليك من جميع الطبقات والفئات ، فهناك العالم والمثقف والطبيب والرجال والنساء حتى الأطفال ، ولا يخفاك أيضا أن كثيرا من هؤلاء يفهمون العبارة وما بين السطور مهما غيرت الحقائق أو أخفيت ، فالناس الآن ليسوا كما يعتقد البعض أنهم من السذاجة ما يجعل البعض يخفي عليهم أو يبدل في بعض الأمور ، فأنت حينما تعرض عليهم ما عندك مخير بين أمرين لا ثالث لهما : إما أن تقول الحق وتترك اللف والدوران ، أو أن تعتذر عن الإجابة .. هذه نصيحة من أخ ناصح . أهـ

وله فتاوى تدل على ذلك منتشرة معروفة وما فتواه عن أحداث أمريكا وشرعية القتال مع حكومة طالبان إلا صورة مقربة مما نقول وكان الناس على مثل تلك الفتاوى عيالا عليه رحمه الله .

تقول مي ابنته في رسالتها عن حياة والدها رحمه الله :

.. وجاءت الحرب الصليبية الجديدة على الإسلام ابتداءاً بأفغانستان فتشرف الشيخ بأن كان أول من خط سوداء في بيضاء . إهـ ومن المواقف التي حدثت له رحمه الله وحدثنا بها أن كان في بداية طلبه للعلم يخطب الجمعة في الرياض فمنع من الخطابة لمخالفته السائد في أسلوب الخطبة .

ومع ذلك كان رحمه الله تعالى مؤثرا في أسلوبه قويا في حجته لا تكاد تكتمل أحرف مناقشه تخرج من فمه إلا وتجد الحجة والدليل في مواجهته ، وتجده يتتبع الحق أينما كان ولا يرده عن قبوله كونه جاء من مخالفه فضلا عن موافقه ، وكان مجلسه العامر تدور فيه النقاشات والحوارات وكان الحاضر يستمتع بالمجلس لوجود الجرأة النادرة ، فكان يتعجب من ذهاب الخوف والرهبة من قلب الشيخ رحمه الله ، ولم يكن يثنيه عن الرد على المخطئ كونه له صداقة معه أو قرابة ، فلم تكن جرأته لخطأ دون خطأ ، أو لمنهج ضال دون منهج ، أو لشخصية منهزمة دون أخرى .

فمن جرأته رحمه الله لما ناقشه أحد الحضور عما حدث لأمريكا ومخالفته لذلك الفعل أجابه الشيخ ورد على تلك الشبه بإجابة مختصرة فأحاله على فتواه المشهورة في ذلك ولما أكثر في الجدال ، وكان رحمه الله أثناء نقاشه يأكل تمرات رمى ما بيده من نوى وقال له اسمع يا أخي : **نحن لا نريد أن يبقى في أمريكا ولا طوبة** .. وكان مجلسه ذلك رحمه الله عامرا بالحضور .

مبايعة الملك فيصل بن عبدالعزيز: (١٨)

وفي سنة ١٣٨٣ هـ حصل خلاف بين الملك سعود وإخوانه، على رأسهم الأمير فيصل ولي العهد، فتدخل المشايخ بالموضوع ، وتصدَّر من ذلك سماحة شيخنا مُحَمَّد بن إبراهيم، وكتب لعدد من المشايخ للحضور إليه، ومن ضمنهم كتاب ورد إليَّ من سماحته بتاريخ:١٣٨٣/٨/٢ هـ ، وقد حضرنا ليلة الخميس:١٣٨٣/٨/٣ هـ ، ووجدنا الموضوع هو النظر في الخلاف الواقع بين الملك سعود وإخوانه وعلى رأسهم الأمير فيصل، وهناك أشياء يعلمها شيخنا أوجبت خلع الملك سعود، وقد أطلَعَنا عليها بصفة خاصة لا تصلح للنشر، ولا يمكنني أن أبوح بها، وقد نتج عن هذا الاجتماع وما تلاه خلع الملك سعود وتولية فيصل، لما ثبت عجز سعود عن القيام بإدارة دفَّة الحكم، وذلك في يوم الاثنين الموافق:١٩٦٥/١١/٢م، وقد حضر الاجتماع عدد كثير من المشايخ، نذكر منهم:

---

(١٨) نقلت هذا الموضوع من كتاب : الشيخ العلامة عبدالله بن عبدالعزيز بن عقيل سيرته الذاتية وأهم مراسلاته الجزء ١ ص ٢٧٠ – ٢٧٢ وهو إضافة على ما كتبه الشيخ عبدالرحمن الجفن حفظه الله .

١- مُحَمَّد بن إبراهيم آل الشيخ.
٢- عبداللطيف بن إبراهيم آل الشيخ.
٣- عمر بن حسين آل الشيخ.
٤- عبدالرحمن بن إسحاق آل الشيخ.
٥- عبدالعزيز بن مُحَمَّد بن إبراهيم آل الشيخ.
٦- إبراهيم بن مُحَمَّد بن إبراهيم آل الشيخ.
٧- عبدالعزيز أبو الحبيب الشثري.
٨- عبداللطيف بن مُحَمَّد آل الشيخ المصري.
٩- ناصر بن حمد الراشد.
١٠- عبدالله بن دهيش.
١١- عبدالعزيز بن رشيد.
١٢- عبدالله بن عبد العزيز بن عقيل.
١٣- راشد بن صالح بن خنين.
١٤- مُحَمَّد بن عبدالله بن عودة.
١٥- عمر بن عبدالعزيز المترك.
١٦- عبدالملك بن عمر آل الشيخ.
١٧- عبدالله بن سليمان المنيع.
١٨- مُحَمَّد بن إبراهيم البواردي.
١٩- صالح بن مُحَمَّد اللحيدان.
٢٠- مُحَمَّد بن سليم.
٢١- عبدالرحمن بن مُحَمَّد بن فارس.
٢٢- عبدالرحمن بن مُحَمَّد بن هويمل.
٢٣- حمد بن فريان.
٢٤- مُحَمَّد بن سليمان البدر.
٢٥- مُحَمَّد بن الأمير.
٢٦- عبدالرحمن بن سعد.
٢٧- صالح بن العلي.

٢٨- **حمود العقلا.**

٢٩- صالح التويجري.

فاجتمع هؤلاء المشايخ مرات، وتفاهموا مع الملك سعود، لعله يتنازل لأخيه فيصل بطوعه واختياره، فلم تجد تلك المفاهمة، وأخيرا قرروا خلعه لما تحقق لهم عجزه، ومبايعة فيصل ملكا على البلاد، وعاش الملك سعود بعد ذلك مدة، حيث توفي في أثينا في اليونان بتاريخ :١٣٨٨/١٢/٦ هـ ، ونقلت جنازته إلى مكة المكرمة، وصلي عليه بالحرم المكي يوم الاثنين :١٣٨٨/١٢/٧هـ بحضور الملك فيصل، ثم نقل إلى الرياض، ودفن في مقبرة العود.

ذكره في : الأطلس التاريخي للمملكة، ص٢٣٨.

عبادته :

كان الشيخ رحمه الله تعالى صاحب عبادة وصلاة ، فكان رحمه الله يقوم من الليل ما يسره الله له ، تقول مي ابنته في رسالتها عن حياته رحمه الله :

كان رحمه الله يستيقظ من نومه عند الساعة الثالثة صباحا ويبدأ بقراءة القران إلى أن يؤذن لصلاة الفجر . أهـ

وهذا ما جعل الشيخ رحمه الله يقول لنا لما سألناه عن ضبطه للقران : أحفظه مثل الفاتحة .

وقد كان ينهي مراجعته للقران خلال أسبوع واحد ، ولم يمنعه عن ورده اليومي منه كثرة مشاغله وتدريسه لطلابه ومتابعته لقضايا المسلمين ، وكان يقرأ ورده منه قبل صلاة الفجر فإذا غلبه النوم عن ذلك قرأه بعد الصلاة كما حدثنا بذلك ، بل قال لنا رحمه الله : لما كنت في السجن ختمت القران أربعين مرة ، وكان رحمه الله سجن قريبا من أربعين يوما .

وكان الشيخ رحمه الله كريما شهما وقد عرف ذلك أضيافه ، وكان رحمه الله صاحب صدقة وإحسان ، يتعاقبه الفقراء يوما بعد يوم رأيتهم عند بابه نساءا ورجالا صغارا وكبارا ، يسر بها كما عرفته حتى لا يعلم بها أقرب الناس إليه ، و بعث معي مرة إلى أحد الفقراء بعض المال وقال : إياك أن يعلم به أحد ، ومرة قال لي : اشهد أنني سامحت فلانا عن دينه الذي لي عنده وإياك أن تخبر أحدا ، لكنه رحمه الله لم يشترط علي الإسرار بذلك بعد موته ، وبعث معي مرة بعض المال إلى امرأة تعول أطفالا ، وعلمت صدفة أنه كان يواسي بعض طلبة العلم المتفرغين للعلم ببعض الأموال ، فجزاه الله خيرا كثيرا وأخلفه في ذلك جنات عدن .

الشيخ رحمه الله وقضايا المسلمين وأخبارهم :

كان الشيخ رحمه الله يعيش أمس المسلمين و حاضرهم ومستقبلهم ، فكان يتتبع الأخبار ويجلس الأوقات الطويلة لذلك ، ومن حرصه أنه كان يستخدم الراديو بنفسه فيعرف أماكن القنوات وأرقامها فكان يأخذ الراديو من يد الجالس إذا عجز عن إخراج مكان الخبر فيدله عليه ، بل كان رحمه الله يتعرف على أهمية الخبر من خلال معرفته بالمذيع .

فكان رحمه الله لاهتمامه بذلك تجد كل أحوال المسلمين عنده وكل جديد الأحداث وصله ، فما على الحاضر إلا أن يسأل الشيخ عن جديد الأحداث فيخبره بذلك مع تحليلها وسبر أبعادها ومضامينها .

وكان الشيخ رحمه الله مع ذلك خبيرا بتواريخ الوقائع والحروب والسياسات وكبار الساسة – الحي منهم والهالك – تواريخهم ومواقفهم ، فكان يربط الحدث بتاريخ صاحبه وسوابقه ، ولهذا فمع العلم الراسخ وفهم الواقع وأحداثه وجد المسلمون بغيتهم عند الشيخ رحمه الله .

وكان اهتمامه بمصالح المسلمين وأحوالهم حتى قبل وفاته رحمه الله بدقائق ، فقد كان يتحدث رحمه الله حينها عن أحداث أفغانستان وحكومة طالبان وأخبار المجاهدين وجديد أخبارهم ، وقد ختم له إن شاء الله تعالى بخير .

ولما كان بعض المشايخ وطلبة العلم في السجن كان لا يفتر رحمه الله عن السؤال عنهم وعن جديد أخبارهم ، فكان كثيرا ما يدعوا لهم بالثبات على الحق والصبر جزاه الله عنا وعنهم كل خير .

وكانت أخبار الإنترنت تعرض عليه يوميا فكان يجلس الساعة والساعتين بل أكثر من ذلك ، يستمع لقارئها فلا يمل ولا يكل ، حتى صار أخبر بتلك الشبكة من المتابعين لها ، بل كان رحمه الله يعرف بعض من يكتب في منتديات الإنترنت وأفكارهم ومناهجهم من خلال الاستماع لمقالاتهم .

مواقف المخالفين مع الشيخ :

ومع ذلك لم يسلم الشيخ رحمه الله من لمز بعض المنهزمين والمنتكسين ، في حياته وبعد مماته ممن كانوا من أقرب الناس إليه ممن تتلمذوا عليه واستفادوا من علمه وجرأته بل ومواقفه معهم رحمه الله ، فلما خالفوا الحق وجد سلاطة اللسان وزوال السابقة ، بلْه الألفاظ الرديئة ، فمرة الشيخ تكفيري ، وأخرى لا علم عنده ، وثالثة يغرر به ، ولو أراد أحدهم حضور مجلس الشيخ لسُمِعَ لفرائصهم قرقعة وفرقعة من خلف الباب خشية ورهبة منه ، وهؤلاء – سبحان الله — مع قلتهم وكون بعضهم

ينتسب إلى منهج السلف إلا أنك تجدهم من أعق الناس مع السلفيين وأرحم الناس مع مخالفيهم ، ولم يكن لهم مع ذلك مناقشة علمية مع الشيخ رحمه الله سوى رميه بتلك الألفاظ ، وتلك حجة العاجز .

أحواله الخاصة في بيته ومزرعته :

الشيخ رحمه الله مثله مثل غيره من الناس له أحوال وأمور في حياته اليومية ، وحاجيات يحتاج فيها لمن يقضيها ، فكان رحمه الله مع فقده لبصره لا ينتظر أن يأت من يقوم بها حتى لما كان في رباط الشيخ مُحَمَّد بن إبراهيم رحمه الله كان يخرج في الليل شديد البرودة ، فكان رحمه الله يحدثنا فيقول : كنت أخرج في الليلة الشاتية من الرباط لأحضر الحطب وأبحث عما يشعلها فأجمعه وأحضره إلى البيت وأضع الحطب والقدر عليه حتى أطبخ لنفسي ، وأخرج لآتي بالماء بنفسي ، وكان رحمه الله تعالى يقود سيارته أحيانا في بعض طرق مزرعته كما حدثني بذلك ، بل إذا أصاب السيارة بعض الأعطال يقوم هو بنفسه لإصلاحها ، يقول لي ابنه المثنى حفظه الله : أخذت والدي الشيخ رحمه الله إلى بعض حاجته ليلا ولما كنا في الطريق أشار إلينا بعض المارة أن في السيارة – أسفلها — شرارة نار ، فوقفت ونزل الشيخ معي ، يقول : فقلت هذا (سلك) متدل ، فاقترب الشيخ أسفل السيارة ثم أخذ بالسلك وتتبعه ثم قال : هذا مؤشر السرعة منقطع ، يقول ابن الشيخ : وفعلا بعد الكشف عليها وجد أن كلام الشيخ رحمه الله في محله ، فكيف عرف الشيخ ذلك ؟

وكان أيضا رحمه الله في بيته بين أهله وأبناءه يقضي حاجاتهم في الغالب وطلباتهم بنفسه مع السائق ، حتى أبناءه الصغار الذين يسكنون معه في البيت معن وإياد وأخواتهما حفظهم الله كان يخرج بنفسه مع السائق ليوصلهم إلى ما يريدون .

طرقت عليه رحمه الله الباب يوما من الأيام ففتح لي فإذا في يديه شيئ من الأسمنت فقال لي تعال معي : فذهبت معه إلى داخل البيت فوجدته رحمه الله يبني حوضا لمكان الوضوء ، وكأنك ترى معي (خلطة) الأسمنت حوضا من الماء وعليها شيئ من التراب كأنها فعلة أحد المبصرين ، فجلست أنظر إليه وهو يبني ، فقلت له رحمه الله : أنت من يبني يا شيخ ؟ فقال مازحا: وهل تظن أنني لا أبصر ؟

ومرة قال لي تعال معي أريد أن أبني عتبة صغيرة على باب المسجد فقد آذانا التراب في نزوحه إلى الفراش ، فذهبت معه وكان قد جهز الأسمنت والتراب والماء والبلوك ، فقام بالخلطة على أحسن ما يقام بها حتى بنى رحمه الله العتبة .

وجئته رحمه الله مرة فأدخلني مطبخ البيت فوجدت أدوات السباكة على مغسلة المطبخ فظننت أن عاملا في بيته يصلح شيئا ما ، فقال لي : امسك هذا وأعطاني (أبو جلمبو) وقال أدر هذا فقد أنهكني ، فكان (خلاط) الماء تصدأ وأراد تغييره وقد خلعه من مكانه فكان يحاول رحمه الله أن يركب الجديد ، فلما أردت تركيبه قال انتبه أن تكسره ، فلما بدأت بالإدارة قال – مازحا – هات عنك أخشى أن تخرب علينا (سِنة) الخلاط ، فأخذه وداره بنفسه رحمه الله حتى ركبه في مكانه .
وجئته يوما من الأيام في يوم شاتٍ ولما طرقت الباب وفتح لي قال : الحقني فتبعته كأنني خلف مبصر حتى أوقفني على (سخانة) دورة المياه وكان رحمه الله يريد أن يزن حرارة الماء ولم أكن أعلم حينها أن للسخانة ميزاناً للحرارة ، قلت له : إيش تعمل يا شيخ ؟ قال أريد أن أزيد من حرارة التسخين ، قلت له : وهل لها ميزان ؟ قال : نعم أنظر هنا ، وأشار إلى أسفل السخانة عند المفتاح ، وقال هذه الجهة تزيد وهذه الجهة تُنقص ، ثم أكمل ما يريده حتى انتهى .
وكان رحمه الله له جلسته في خيمته كل مغرب يشرب القهوة وتقرأ له الأخبار كما ذكر سابقا وكان بعض أبنائه الكبار يقومون بطهي القهوة فإذا لم يوجد أحدهم قام بها أخوه مُحَمَّد حفظهم الله فإذا غاب طبخها الشيخ بنفسه ، فتراه يقوم بها على الطريقة القديمة على طريقة المحماس والمحراك بعد أن يوقد بالحطب بنفسه .
وكان رحمه الله منضبطا في توقيت طعامه وشرابه ، فلا يدخل طعاما على طعام ، ولا يأكل كل ما اشتهاه ، وكان بعض الضيوف يأتونه في أوقات لم يكن وقتها وقت طعام فكان يقدم لهم بعض الشيء فلا يتقدم معهم .

أما مزرعته فكان الشيخ رحمه الله يقول: لقد كنت أعمل مع أبي في الحقل بما أقدر عليه وكنت ألقح النخل وأصلح الزرع ، فكان الشيخ رحمه الله مزارعا متقنا ، وكان يعرف أماكن النخيل بأنواعها في مزرعته ، فتجده يشير عند حديثه عنها إلى النخلة التي يريد أن يتكلم عنها فيقول مثلا : نخلة (السكري) هذه – ويشير إليها بيده – ، أو (نبتة عقلاء) هذه – يشير إليها – ، وكنت لما آتي إليه ويريد أن يذهب إلى المزرعة يسير أمامي دون قائد بين النخيل والأشجار ذات الأشواك التي يدفعها بيديه ، وكانت الأشواك تصيبه فلا يكترث لها ، وترى مسير قدميه ظاهرا قد أكلت قدميه بعض أعشاب الأرض من كثرة مروره في ذلك الطريق .

زرته في بيته فقيل هو في المزرعة (١٩)، وكانت بيت الشيخ في مزرعته ، فذهبت أبحث عنه فيها فجعلت أنادي الشيخ .. فلما أجاب فإذا هو في أعلى إحدى النخلات يقوم بتلقيحها ، وكانت النخلة على ارتفاع ما يقارب الأربعة أمتار وقد صعد إليها دون ما يسميه الفلاحون عندنا بـ (الْكَرْ) وهو الحبل الذي يُصعد عليه للنخل، والشيخ في ذلك الوقت تجاوز السبعين رحمه الله .
حدثني رحمه الله قائلا : لما كنت صغيرا كان الصغار من أصدقائي يطلبون مني أن أبين ما أصابه اللون مما لم يصبه من ثمار النخل وكنت حينها قد كف بصري ، فكنت أدخل يدي بين الأعذاق وأخرج المتلون منها .

أبناؤه رحمه الله :

للشيخ رحمه الله ثلاث وعشرون ولدا وبنتا ، أحد عشر ابنا واثنتي عشرة ابنة ، فكان رحمه الله يهتم بهم اهتماما بالغا ، في ملبسهم ومأكلهم وفي أحوالهم الخاصة ، حتى كان رحمه الله يختار لهم أجمل الأسماء وأحسنها ، فتجد أسماء أبنائه عبدالله وأديب و عبدالحكيم وعزيز والمثنى وطارق وإبراهيم ووليد ولؤي وإياد ومعن ، وحتى بناته رحمه الله كان يتخير لهن أحسن الأسماء وأجملها بل أكثرهن بأسماء الصحابيات ، وله أيضا خمسة أبناء غير هؤلاء وقد توفوا – جعلهم الله لأهلهم من الشفعاء – ، وهم مسلمة وإياس ويزيد وخالد وأحمد .
وكان رحمه الله يتابع الصغار منهم ممن يسكن معه في بيته في الصلاة والصيام وغير ذلك ، فكان إذا انتهى من صلاته قال أحاضر فلان و فلان يعني أبناءه الصغار ؟ وكان يدرسهم بنفسه ، وكان مع كبر سنه وفقده بصره يذهب بهم بنفسه إلى المصحات عند الحاجة ، ويتابع معهم العلاج ، فرحمه الله وجزاه عنهم خير الجزاء .

وفاته رحمه الله :

توفي فضيلة الشيخ العالم المجاهد حمود بن عقلاء الشعيبي رحمه الله وقد لازمته لعدة سنوات ، فكان الشيخ المعلم ، والأب الحاني ، والأخ البار ، والصديق الناصح .
كان الشيخ رحمه الله يعاني من ضعف في عضلة القلب وكان يزداد تعبه منها عندما يسمع بازدياد مساوئ المسلمين ، في يوم الجمعة في ٤ /١١/ ١٤٢٢هـ سقط رحمه الله في بيته بين أبنائه وأحبابه قبل آذان المغرب بدقائق فقد كان عنده الشيخ إبراهيم الجارالله وأخو الشيخ مُحَمَّد وابنه عزيز

---

(١٩) والشيخ حمود رحمه الله شرح جُل متون العقيدة في مزرعته على طريق الحائل القديم .

وإبراهيم فأخذَ إلى المستشفى التخصصي ببريدة ، وقد اتضح أن الشيخ قد أصيب بجلطة في قلبه ، فاجتمع حوله قريبا من عشرة أطباء فحاولوا تنشيط قلبه بصعقات الكهرباء ، ولما كانوا يجرون عليه ذلك كنت انظر إلى رجليه ويديه رحمه الله ترتفعان عن مستوى السرير قريبا من نصف متر من شدة الصعق ، وكانوا يعيدون ذلك عليه عدة مرات ، وكان وهو في تلك الحالة وهو فاقد لوعيه يرفع سبابته بين الفينة والأخرى ، وكان يتحسن قليلا ثم يرجع إلى حالته وهو فاقد لوعيه ، كل هذا من بعد المغرب حتى قريب الساعة العاشرة والنصف ليلا ، ولما تحسن قليلا أدخل رحمه الله العناية المركزة ، فجلس ساعة ونصف ساعة تقريبا ثم توفي رحمه الله ، ثم دخلنا مع فضيلة الشيخ علي الخضير إلى غرفة العناية المركزة لرؤية الشيخ بعد وفاته وقد وجدناه رحمه الله نظر الوجه مبتسما .

وفي ظهيرة يوم السبت جاءت الجموع لتغسيل الشيخ وتكفينه ،فدخل فضيلة الشيخ علي الخضير وأخو الشيخ مُحَمَّد وابن الشيخ إبراهيم وآخر غيرهم وقاموا بتغسيله ، فلما انتهوا من تغسيله دخلنا لتقبيله رحمه الله ، فلما أردنا وضعه على النعش وقد ظننا أنه جامد الأعضاء رأينا كيف انحنى جسمه رحمه الله كأنه مات تلك اللحظة ، فحمل إلى جامع الخليج وصلي عليه العصر وتبع جنازته من الناس عشرات الآلاف بل قيل إنهم قريب من عشرين ألفاً أو يزيدون ، في مشهد عظيم لم يعرف له مثل في بلاد القصيم ، كما حكا لنا بعض الأشياخ الكبار الذين شهدوا جنازته رحمه الله .

ورأى الناس كثرة الجالية المسلمة الذين حضروا الجنازة خاصة من الباكستانيين والهنود والخليجيين فتذكرت مقولة الإمام أحمد رحمه الله تعالى حين قال لبعض أهل البدع : موعدنا يوم الجنائز ، وقد حضر للصلاة عليه جموع من العلماء والدعاة والمخلصين من جميع أنحاء الجزيرة ومن الخليج ، حتى أبناءه لم يستطيعوا أن يقتربوا من جنازة والدهم ليشاركوا الأمة في دفنه من شدة التزاحم عليها ، ثم وضعت جنازته ليصلي عليها قبل دفنها من لم يصلي عليها في المسجد ، فجاءت الجموع تلو الجموع بالعشرات بل بالمئات ، ولما أرادوا دفنه رحمه الله رأى الجميع دم الشيخ ينزف كأنه الساعة توفي وكان قد فتح له الوريد بالأمس في المستشفى للقسطرة ، ثم دفن رحمه الله ، وقد تتابع المسلمون بعد دفنه للصلاة عليه ممن لم يصل عليه منهم قريبا من الشهر بل أكثر ، وفقدت الأمة بموته عالما مجاهدا صادعا بالحق لا يخاف في الله لومة لائم ، وما أصدق ما قاله الشاعر فيه :

مات الإمام وما ماتت مواقفه * والفكر يبقى إذا ما غابت الصور**

وقد كتب بعض مرضى القلوب من السفهاء وغيرهم في الشيخ رحمه الله بعد وفاته — وقد خافوه في حياته – في بعض الصحف المنبوذة بعض الأكاذيب والاختلاقات وتصدى لهم مجموعة من المشايخ وطلبة العلم بالرد والتكذيب ، ففندوا ما قالوه في الشيخ وبينوا زيف مقالهم .

نسأل الله بمنه وقدرته أن يغفر لوالدنا و شيخنا العلامة حمود بن عقلاء الشعيبي وأن يجزل له المثوبة وأن يسكنه جنات تجري من تحتها الأنهار مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ، وأن يأجرنا في مصابنا بفقده وأن يخلف على الأمة بإمام صادع بالحق لا يخاف في الله لومة لائم ، وصلى الله على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين .

كتبه / عبدالرحمن بن عبدالعزيز الجفن

الطائف

١٦ / ٤ / ١٤٢٣ هـ

hotmail.com@٢٠Gafn

(ترجمة الشيخ حمود بن عقلاء في كتاب روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين)

عدد (٣٣٧) (**حمود العبدالله العقلا**) من القصيم

هو العالم الجليل والحبر البحر الفهامة الشيخ حمود بن عبد الله بن مُحَمَّد العقلا من أسرة الشعيبي من آل جناح من بني خالد ، ولد هذا العالم في الشّقة بالقصيم سنة ١٣٣٨ هـ وتبعد عن بريدة خمسة عشر كيلاً ونشأ نشأة حسنة بتربية أبوية كريمة، وفقد بصره في السادسة من عمره بسبب الجدري وعلى وجهه أثاره وقرأ القرآن وحفظه غيباً وهو يافع في مدرسة العُمري عبد الله المبارك المنسوبة إليه، لأنه المؤسس لها ولما بلغ الثامنة عشر انتقل إلى الرياض لطلب العلم وذلك سنة ١٣٥٧ هـ فلازم علماء الرياض في جلساتهم.

(**ومن أبرز مشائخه**): سماحة الشيخ مُحَمَّد بن إبراهيم مفتي نجد وعبداللطيف بن إبراهيم و مُحَمَّد بن عبد اللطيف كما قرأ على غيرهم وجد في الطلب وثابر عليه وكان قوي الحفظ سريع الفهم قوي الذاكرة جداً وكان مشائخه معجبين بفرط ذكائه ونباهته ولما افتتح معهد الرياض العلمي سنة ١٣٧١ هـ انتظم به وكان يقفز من سنةٍ إلى أخرى ، وكان من أساتذته المشهورين في المعهد الشيخ عبد الرحمن بن عودان و عبد العزيز بن باز وعبد الرازق عفيفي وعبد العزيز بن رشيد وعبد الله الصالح الخليفي وبعد تخرجه من المعهد العلمي انتظم في كلية الشريعة وتخرج منها سنة ١٣٧٦ هـ من أول فوج وتعين مدرساً في المعهد العلمي بالرياض سنة واحدة ثم نقل منه إلى جامعة الإمام مُحَمَّد بن سعود في القصيم وظل مدرساً في كلية الشريعة وأصول الدين إلى سنة ١٤٠٧ هـ وعندها طلب الإحالة إلى التقاعد نظراً إلى اضطرارهم لمثله فقد تعاقدوا معه مدرساً فيهما وكان يؤم في مساجد جوامع أولاً في الرياض تولى الإمامة والخطابة في جامع الشميسي من عام ١٣٦٩ هـ إلى ١٣٧٣ هـ واشترك في التوعية الإسلامية وفي مواسم الحج والعمرة كل عام من سنة ١٣٨٠هـ إلى سنة ١٣٨٥هـ وكان خلالها يدرس في المسجد الحرام ويحاضر في مساجد مكة ويرشد ويفتي في مواسم الحج والعمرة ، وله مؤلفات كثيرة فمنها تسهيل الوصول إلى علم الأصول في أصول الفقه شاركه الأستاذ عبد المحسن العباد والشيخ عطية سالم وتدرس الآن في الجامعة الإسلامية بالمدينة وعنده مخطوطات من تأليفه لم تُطبع حتى الان وأشرف على عشر رسائل للماجستير والدكتوراه في الفقه وأصول الدين في العقائد فهو باحث مُعمق ومدرس قدير وواسع الإطلاع في فنون عديدة ولهذا أوردنا له ترجمة كعادتنا فيمن فقد بصره ، أمد الله في عمره ، وله أبناء أربعة وكلهم جامعيون .

وبالجملة فهو أستاذ الجيل أمضى حوالي أربعين سنة مدرساً ومربياً لأجيال وشارك في فكره النير وعلمه الغزير في كل ما فيه نفع متعدي وتخرج على يديه أجيال شغلوا وظائف عالية في الدولة ولا يزال يوالي نشاطه العلمي وفقه الله وكان مستقيماً في دينه وخلقه .

(**وأوصافه)**: طويل القامة أسمر اللون ومتوسط الجسم على وجهه آثار الجدري وله قيمته ووزنه بين مواطنيه حفظه الله أمين .

(ترجمة الشيخ حمود في كتاب الحنابلة خلال ثلاثة عشرة قرن)

٦٣٠٤ - حمود العقلاء (١)

١٣٣٨-١٤٢٢ هـ (٢)

حمود بن عبد الله بن مُحَمَّد العقلا (٣)الشعيبي ، القصيمي ، النجدي ، الشيخ ، شيخنا بكلية الشريعة .

ولد بالشقة – من القصيم – ونشأ بها ، وفقد بصره في السادسة من عمره (٤)، وقرأ القرآن وحفظه ، ولما بلغ الثامنة عشرة انتقل إلى الرياض لطلب العلم فأخذ عن الشيخ مُحَمَّد بن إبراهيم (ت١٣٨٩ هـ) ، والشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم (ت١٣٩٦ هـ)(٥)،وغيرهما.

التحق بمعهد الرياض العلمي عام ١٣٧١ هـ ، ثم التحق بكلية الشريعة وتخرَّج فيها عام ١٣٧٦ هـ من أول فوج تخرَّج فيها . تعيَّن مدرساً في معهد الرياض العلمي ولمدة سنة ، ثم انتقل إلى التدريس بكلية الشريعة بالرياض حتى عام ١٤٠٠ هـ ، حيث انتقل إلى كلية الشريعة وأصول الدين في القصيم(٦) ، وبقي فيها حتى أحيل للتقاعد .

أمَّ المصلين في عدد من الجوامع في الرياض ، واشترك في التوعية الإسلامية في مواسم الحج ، وكان خلال ذلك يقوم بالتدريس في المسجد الحرام ، ويلقي الكلمات في مساجد مكة ، ويرشد ، ويفتي ، وألّف . مات ببريدة ، مساء الجمعة ، الرابع من ذي القعدة ، وصلي عليه بعد صلاة العصر من يوم السبت ، الخامس من ذي القعدة في مسجد الخليج (جامع الونيان)(٧) .

---

(١) ترجمته في موسوعة أعلام المكفوفين:٢٥٤ ، روضة الناظرين:٢٨/٣ رقم ٣٣٧ ، موسوعة تاريخ التعليم:٢٣٢/٤ رقم ٩٢٤ ، دليل خريجي جامعة الإمام مُحَمَّد بن سعود الإسلامية:٢٥ ، جريدة الجزيرة ، يوم الأحد ٦/١١/١٤٢٢ العدد ١٠٧٠٦ ص ٣ ، جريدة عكاظ ، يوم الأحد ٦/١١/١٤٢٢هـ العدد ١٢٩٣ ص ٦.

(٢) هذا خطأ وقد صرح الشيخ في لقائه مع الهرفي بأنه ولد عام ١٣٤٦هـ .

(٣) لقد أخطأ في الإسم والشيخ يقول في لقائه أن اسمه حمود بن عبد الله بن (عقلاء) بن مُحَمَّد ، فقد خلط بين مُحَمَّد وعقلاء .

(٤) جاء في ترجمة الشيخ في موسوعة أعلام المكفوفين : ص٢٥٤ تعلم طريقة (لغة) برايل قبل عام ١٣٨٠هـ على يد الشيخ صالح العلي ناصر رحمه الله تعالى غير أنه تركها لعدم حاجته إليها واعتماده أكثر على القارئ المرافق .

(٥) يقول الشيخ عبد الرحمن الجفن : حدثني الشيخ العقلاء أنهم كانوا يدرسون على الشيخ عبداللطيف وطالبٌ معه الكتاب فقال (عن جابرٌ) فزجره الشيخ وأمر غيره أن يقرأ عنه .

(٦) كان رئيس قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة فيها .

(٧) وقد أمَّ الناس في الصلاة عليها الشيخ صالح الونيان ودفن الشيخ رحمه الله في مقبرة الموطأ .

يقول الشيخ صالح الصيخان عن العلامة حمود:

شيخنا حمود رحمه الله علامة موسوعي يتقن عدة علوم منها التفسير – وهو حافظ لكتاب الله – ومتقن لعلم العقيدة ومعرفة الأديان والفرق الضالة، ومتقن للفقه وليس متعصب لمذهب، وينصر مايدل عليه الدليل، وله اختيارات عجيبة وله معرفة بالفقه المقارن، ومتقن لأصول الفقه وقواعده ، وأخبرني بأنه درس أصول الفقه على شيخه العلامة مُحَمَّد الأمين الشنقيطي وقال بأنه خصص له درس في المنطق، وشيخنا يحب سبل السلام وكان يقرأ عليه ويحب اختيارات الصنعاني والشوكاني، وينصح شيخنا بحفظ كتاب التوحيد ونونية ابن القيم، وكان أحد الإخوة يقرأ عليه شرح ابن عيسى على النونية، وينصح شيخنا بحفظ العقيدة الواسطية ومنظومة حافظ الحكمي في العقيدة، ويقول بأن أوسع كتاب في العقيدة شرح السفاريني ومعارج القبول وينصح به، ويقول فيه أدلة كثيرة ومهمه، وكان شيخنا يثني على كتاب مُحَمَّد أمان الجامي رحمه الله تعالى في الصفات المسمى بالصفات الألهية ويقول هو من أحسن الكتب في بابه.

من مسائل العقيدة :

يقول شيخنا بأن الظل في حديث لاظل الا ظله مختلف فيه لكن لامانع من أثبت ظَل لله يليق به سبحانه، ويقول بأن حديث الصورة يرجع الضمير فيه لله ومن قال غير ذلك فهو مخطيء مخالف لقول السلف، وقال بأنه يثبت صفة الشمال لله ولكن هي كاليمين في القوة والفضل ويمكن التعبير عنها بالأخرى او باليسار، وقال من أنكر وجود الجنة او النار او الجن او الملائكة او نزول عيسى ابن مريم او خروج يأجوج ومأجوج او خروج الدجال فهو كافر، ويقول بأن ابن عربي الطائي كافر وكذلك الحلاج وابن سبعين وابن الفارض، ويكفر غلاة الصوفية وشيخنا يكفر الروافض والنصيرية والأسماعيلية والقاديانية والبهائية والبابية والبريولية، وشيخنا لايعذر بالجهل في الشرك مطلقاً، ويتعجب ممن يقول بذلك ويقول بأنه بعد بلوغ الحجة لاعذر لأحد بالجهل ،وله رد واضح على العنبري وغيره ممن روجوا للإرجاء ،ويرى ضلال جماعة التبليغ ولايجيز الخروج معهم .

ولشيخنا أختيارات في الفقه :

في الطهارة يرى أن من به حدث دائم يتوضأ مرة واحدة ولاينتقض وضوئه الا بحدث آخر غير حدثه الدائم، ويرى أن المسح على الخفين لايحدد له وقت للمحتاج من خائف او مضطر، ويرى أن غسل الجمعة واجب لكن لايأثم تاركه لعدم وجود دليل يدل على الأثم!، وفي الصلاة يرى كفر

تارك الصلاة تكاسلًا ،ويقول بجواز الجمع بين الصلاتين للحاجة مطلقاً، ويقول بجواز القصر مادمت مسافر وليس هناك تحديد وقت، ويقول قصر الصلاة للمسافر يبدأ من الخروج من البنيان، ولايجوز القصر في الحضر، ويجوز الجمع للمسافر قبل سفره، ومن اختيارات شيخنا حمود المتعلقة بالصيام أنه لايرى ان ألقيء يفطر مطلقاً ، ويقول هذا هو اختيار البخاري ويضعف حديث من استقاء فقد افطر ، ويختار بأن الحجامة لا تفطر مطلقاً، ويقول الاولى للصائم أن لايحتجم لأن ذلك يضعفه ، ويقول التبرع بالدم كذلك لا يفطر الا اذا أضر بالصائم ، ويقول بأن قول من قال بمنع صيام يوم السبت مطلقاً قول شاذ وحديثه منكر ترده نصوص كثيره ، وقال هو قول حادث لايعرف في نجد أو غيرها وكان يستغرب ممن يقول به جدا وهناك أختيارات أخرى(١) .

وكان شيخنا حمود يحب شيخنا العلامة أبن باز حبا شديدا ويتعجب منه جدا ، ويقول عنه صاحب علم وتوحيد وغيرة على الدين ومحب للدعوة وأهلها معين لهم ، ويقول عن شيخنا العلامة ابن عثيمين انه فَقِيه عصره ويقول لي احرص على كتبه وفقهه!، وكان يخالف الشيخ ابن عثيمين في بعض المسائل!، ويحب الشيخ حمود التويجري جدا ويثني عليه ويحب كتبه وينصح بقرأتها ويقول بأنه ناصر العقيدة والمدافع عن السنة ، وشيخنا رحمه الله يحفظ غالب المعلقات ويستشهد بها ، وكانت تعجبه معلقة عمرو بن كلثوم لما فيها من الفخر، وتعجبه معلقة طرفة ابن العبد، ويحفظ لامية العرب للشنفرى، وطلب مني حفظها، وكانت تعجبه جدا قصائد أبي الطيب ، ويقول اتعب الناس من بعده وقل من يأتي بمثل شعره ، ويحفظ شيخنا مثلث قطرب ويستشهد به ، وطلب مني حفظه ، وأنا بدأت الدراسة عليه في آخر ١٤٠٩ للهجرة وتوقفت في عام ١٤١٥ للهجرة ، يتخلل ذلك بعض فترات انقطاع ، ولازمته حوالي ٤سنوات بدون انقطاع!، أتي له يوميا بعد العصر أقرأ عليه ثم نصلي المغرب معه ثم أقرأ عليه حتى صلاة العشاء ، قرأت عليه في التوحيد والعقيدة وفِي الفقه وفِي شروح الحديث وفِي اللغة والأدب ، وأحيانا في التفسير وكان يحبني جدا ويطلب مني بحث بعض المسائل ، وإذا جائت مسألة في الحديث او الفقه سألني ما رأيك ، ومرة طلب مني ادرس عنه محاضرة بالجامعة!، وقد قال لي مرة سوف ادخلك مكتبتي وخذ منها ماشئت فلن أجد أحد أحرص منك على الكتب والعلم، رحمه الله !، وكان معي بعض طلاب العلم بعضهم استمر وبعضهم انقطع ومنهم : الشيخ الفاضل زياد الوردي وكان يسجل بعض شروح شيخنا حمود رحمه الله تعالى والشيخ جاسر بن صالح العايد والشيخ سعود السرحان وغيرهم .

---

(١) يقول المثنى ابن الشيخ حمود: كان أبو صالح مُحَمَّد بن علي الحميد رحمه الله يقول لي بأن والدي الشيخ حمود هو من افتى له بنصح الناس وتذكيرهم في المقابر وقال كنت أواجه كل من يعترض علي بهذه الفتوى .

وكان شيخنا دائما يردد هذا البيت:

إِذَا أنْتَ لَمْ تشْربْ مِراراً علَى الْقذى * ظمئت وأي الناس تصفو مشاربه**

وهو مكتوب في بعض أوراقه الرسمية، والشيخ رحمه الله شديد الغيرة على الدين ويقول رأيه بكل صراحة ويرد على الزنادقة والمبتدعة ودعاة الضلال ، ويرد على من ينتقص الدين ، وله في ذلك رسائل ومواقف معروفة مشهورة ، وشيخنا متابع للأحداث بطريقة عجيبة ، ويخصص وقت لكي يستمع الأخبار وله من يقرأ عليه عناوين الصحف فإذا أعجبه خبر يهتم به .

كان شيخنا شديدا على أهل البدع ، وله دور في أنهاء عقد بعض من عندهم أخطاء عقدية من جامعة الإمام بالقصيم، ولشيخنا موقف قوي ضد المرجئة خصوصا نوايا العصر منهم ، وتجد في رده على خالد العنبري نائبين ذلك اذ فيه حجج ونقض لشبه المرجئة لاتجده في غيره وتجد فيه تنبيه لمسائل لاتجدها في غيره.

انتهى .

شيوخه:

١- الشيخ عبدالله بن مبارك العمري / ٢- الشيخ عبداللطيف بن إبراهيم آل الشيخ

٣- الشيخ مُحَمَّد بن إبراهيم آل الشيخ / ٤- الشيخ مُحَمَّد بن عبداللطيف آل الشيخ

٥- الشيخ عبدالعزيز ابن باز / ٦- الشيخ مُحَمَّد الأمين الشنقيطي

٧- الشيخ عبدالرحمن بن يوسف الأفريقي / ٨- الشيخ عبدالعزيز بن ناصر الرشيد

٩- الشيخ عبدالله الصالح الخليفي / ١٠- الشيخ حمد الجاسر

١١- الشيخ سعود بن رشود / ١٢- الشيخ ابراهيم بن سليمان

١٣- الشيخ عبدالله بن حميد / ١٤- الشيخ يوسف عمر حسنين

١٥- الشيخ عبداللطيف سرحان / ١٦- الشيخ يوسف الضبع

١٧- الشيخ عبد الرحمن بن علي عودان / ١٨- الشيخ عبد الرازق عفيفي

١٩- الشيخ عبدالرحمن بن قاسم /٢٠- الشيخ مُحَمَّد عبدالرزاق حمزة

٢١- الشيخ عبدالعزيز بن مُحَمَّد الشثري /٢٢- الشيخ مُحَمَّد بن أحمد سنان

تلاميذه:

١- الشيخ مُحَمَّد بن صالح بن عثيمين / ٢- الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله آل الشيخ

٣- الشيخ صالح بن فوزان الفوزان / ٤- الشيخ صالح بن مُحَمَّد اللحيدان

٥- الشيخ عبدالله بن مُحَمَّد بن إبراهيم آل الشيخ / ٦- الشيخ عبدالله بن عبدالمحسن التركي

٧- الشيخ غيهب بن مُحَمَّد بن عبدالله الغيهب / ٨- الشيخ عبدالرحمن بن صالح الجبر

٩- الشيخ عبدالرحمن بن سليمان الجارالله / ١٠- الشيخ عبدالرحمن بن عبدالعزيز الكِليّة

١١- الشيخ عبدالرحمن بن غيث / ١٢- الشيخ عبدالرحمن بن عبدالله العجلان

١٣- الشيخ سليمان بن عبدالله آل مهنا / ١٤- الشيخ عبدالعزيز بن عبدالرحمن السعيد

١٥- الشيخ مُحَمَّد بن مهوس / ١٦- الشيخ عبدالله بن مُحَمَّد الغنيمان

١٧- الشيخ حمد بن فريان / ١٨- الشيخ إبراهيم بن داود

١٩- الشيخ صالح بن عبدالله الدرويش / ٢٠- الشيخ سلمان بن فهد العودة

٢١- الشيخ علي بن خضير الخضير / ٢٢- الشيخ عبدالعزيز بن صالح الجوعي

٢٣- الشيخ عبدالرحمن المحمود / ٢٤- الشيخ سعيد بن زعير

٢٥- الشيخ يوسف مُحَمَّد الغفيص / ٢٦- الشيخ يحيى بن عبد العزيز اليحيى

٢٧- الشيخ إسماعيل بن سعد بن عتيق / ٢٨- الشيخ عبدالرحمن بن عبدالعزيز الجفن

٢٩- الشيخ صالح الصيخان / ٣٠- الشيخ زياد بن عبد الله بن مسعد الوردي

٣١- الشيخ خباب بن مروان الحمد / ٣٢- الشيخ ناصر بن حمد الفهد

٣٣- الشيخ أحمد بن حمود الخالدي / ٣٤- الشيخ جاسر بن صالح العايد

٣٥- الشيخ منيف بن سعد الرويس / ٣٦- الشيخ مشعل بن رابح العياضي

٣٧- الشيخ أحمد بن مُحَمَّد الصقعوب / ٣٨- الشيخ خالد بن سليمان السعيد

٣٩- الشيخ عبدالله بن مُحَمَّد بن أحمد الطريقي / ٤٠- الشيخ فيصل الحازمي

٤١- الشيخ عثمان مُحَمَّد الخميس / ٤٢- الشيخ حمد بن علي الحمد

٤٣- الشيخ عبدالله بن سليمان القفاري / ٤٤- الشيخ سليمان بن ناصر العلوان

٤٥- الشيخ مُحَمَّد فهد القطيشي / ٤٦- الشيخ سعد بن سعيد الحجري

٤٧- الشيخ عبد الله بن مُحَّد بن أحمد الطيار

٤٨- الشيخ عبدالكريم بن مُحَّد اللاحم

وكثيرون غيرهم .

أهم أعماله ووظائفه:

١- تولى الإمامة والخطابة في جامع الشميسي في الرياض من عام ١٣٦٩ هـ إلى ١٣٧٣ هـ.

٢- عين قاضيا في وادي الدواسر عام ١٣٧٦ هـ (١).

٣- تعيَّن مدرساً في معهد الرياض العلمي ولمدة سنة في عام ١٣٧٧ هـ .

٤- انتقل إلى التدريس بكلية الشريعة بالرياض وعمل فيها من عام ١٣٧٨ هـ إلى عام ١٤٠٠ هـ وعمل فيها أستاذ مشارك في كلية أصول الدين : قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة .

٥- انتقل إلى كلية الشريعة وأصول الدين في القصيم وعمل فيها من عام ١٤٠٠ هـ إلى عام ١٤٠٧ هـ ، وعمل فيها رئيس للقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة .

٦- كلفه مفتي الديار السعودية الشيخ مُحَّد بن إبراهيم رحمه الله للفتوى والواعظ والتدريس والإرشاد في الحرم المكي أيام مواسم الحج والعمرة كل عام من سنة ١٣٨٠هـ إلى سنة ١٣٨٥هـ وكان خلالها يدرس في المسجد الحرام ويحاضر في مساجد مكة .

٧- أشتغل في المحاماة وأخذ شهادة المحاماة (الرخصة) في عام ١٤٠٥ هـ

---

(١) لست متأكد من أنه عمل في القضاء أو انه عرض عليه فقط.

من جهود ومشاركات الشيخ حمود رحمه الله:

للشيخ حمود رحمه الله جهود ومشاركات متنوعه فمنها جهود دعوية وخيرية وجهادية وسياسية وإعلامية، **فمن جهوده الدعوية**: إلقاء كثير من الدروس والمحاضرات في مختلف العلوم الشرعية وخاصة العقيدة في المساجد والجامعات والمجالس العامة وفي مزرعته وبيته وكان يلقي محاضرات و الندوات عبر الهاتف إلى مستمعين له في دول أخرى وكذلك كان يخطب في صلاة الجمعة وله مشاركة في التوعية الإسلامية في مواسم الحج وله رسائل وفتاوى مشهورة في التصدي للعلمانيين والزنادقة والمرجئة وكان أيام تدريسه في جامعة الأمام الرياض يناظر بعض المدرسين من الأشاعرة والصوفية ويتصدى لهم وكذلك كان له دور قوي في محاربة المنحرفين في العقيدة بجامعة الأمام في القصيم بل وصل الأمر إلى إنهاء عقد بعضهم!!. وله جهود في مناصرة القضايا الإسلامية مثل قضية فلسطين وقضية الجهاد الأفغاني الأول والثاني وقضية الشيشان والفلبين وأريتريا والبوسنة وغيرها من القضايا الأسلامية .

وأما جهوده الخيرية: فمنها الحث على التبرعات لقضايا المسلمين في أفغانستان والبوسنة والشيشان وغيرها من قضايا الأمة وله أيضا جهود في التخفيف من معاناة المزارعين حيث توقفت صوامع الغلال عن قبول القمح من المزارعين فذهب الشيخ رحمه الله إلى الملك فهد وكلمه في موضوعهم فأمر الملك فهد باستقبال القمح ، فاستقبلت الصوامع من المزارعين بعد ذلك. وله أيضا مشاركه في مؤتمر التضامن مع المظلومين الذي عقد في مسجد التويجري في مدينة بريدة في تاريخ ١٤١٥/٤/٧ هـ الموافق ١٩٩٤/٩/١٣م .وكان عريف الحفل هو تلميذه الشيخ علي الخضير وكان المتكلمين في المؤتمر هم الشيخ سلمان العودة والشيخ يحيى اليحيى والشيخ سليمان الرشودي والشيخ خليفة البطاح والشيخ صالح المحيميد والشيخ صالح السديري والشيخ إبراهيم التويجري والشيخ مُحَمَّد الدبيخي والشيخ عائض القرني وأهم ما جاء في المؤتمر هو توقيع خطاب موجه إلى هيئة كبار العلماء يتضمن المطالبة بإطلاق سراح المعتقلين والمطالبة بوقف الظلم والاعتقالات لدعاة والمحتسبين والسماح للدعاة بالخطابة والكتابة دون تضييق أو منع الا بأمر من القضاء الشرعي و الوقوف بقوة ضد الانحرافات الواقعه في الأعلام والوقوف ضد تعديات وظلم المسؤولين على الدعاة والمصلحين وعامة الناس ، والمطالبة الدولة بمقاطعة العلاقات الخارجية مع الحكومة المصرية والتونسية وغيرها من الدول الطاغية والإعلان عن حملة لجمع التبرعات لقضية البوسنة والهرسك .

وأما جهوده الجهادية: فهي كثيره فمنها رسائل وفتاوى تبين أحكام الجهاد في الجهاد الأفغاني ضد الروس وبعد ذلك الجهاد الأفغاني ضد الأمريكان وفي الجهاد في الشيشان و البوسنة والفلبين وأريتريا وكردستان وفلسطين وغيرها من قضايا الأمة وكان رحمه الله يراسل قادة المجاهدين ويناصحهم ويوجههم ، ويذب عن المجاهدين ويفرح لأنتصاراتهم وكان يدعو للجهاد بكافة أشكاله العسكرية والأقتصادية والأعلامية والفكرية في مواجهة أعداء الإسلام وكان رحمه الله يتمنى أن يجاهد في ساحات الجهاد بنفسه لكن المرض وكبر السن وفقدان البصر منعه من ذلك ولكن لم يمنعه ذلك من أن يجاهد بلسانه وعلمه ،حيث كان من أول من أفتى ضد الأحتلال الأمريكي في أفغانستان .

وأما جهوده السياسية: فهي جهود كبير في تاريخ السياسة المعاصرة فمنها أنه اجتمع الشيخ حمود ومجموعه من المشايخ على رأسهم الشيخ المفتي مُحَّد إبراهيم في ليلة الخميس ١٣٨٣/٨/٣ هـ للنظر في الخلاف الواقع بين الملك سعود وأخوه ولي العهد فيصل وقد حاول المشايخ أن يتفاهموا مع الملك سعود للتنازل لأخيه فيصل بطوعه واختياره، فلم تجد تلك المفاهمة ، وقد تم خلع الملك سعود ومبايعة الملك فيصل في يوم الاثنين الموافق :١٩٦٥/١١/٢م .
ومن جهوده المشاركة في توقيع مذكرة النصيحة في عام ١٤١٣ هـ التي تحتوي على مطالب متنوعه من ضمنها مطالب إصلاح السياسة الداخلية والخارجية للدولة السعودية والتي تمثل نقطة فاصلة في تاريخ السياسي للمجتمع والدولة السعودية ،وكذلك للشيخ فتوى في شرعية حكومة طالبان ،وله موقف واضح وصارم من الأستعانة بالقوات الغربية في حرب الخليج ، وله تواصل ورسائل مع قادة الدول والوزراء مثل الملك فهد حيث كان يرسل له رسائل وكان يذهب ويقابله بنفسه ، وكان يرسل رسائل الى الأمير الملا مُحَّد عمر وقد كان هناك محاولة للأتصال هاتفي بالأمير الملا عمر ولكن لأسباب وظروف غير معروفه لم تتم، وله أيضا أراء في السياسة الشرعية في كتابه الإمامة العظمى وبعض أرائه منثوره في فتاويه و رسائله .

وأما جهود ومشاركاته الإعلامية: فقد كتب عدة مقالات في جريدة القصيم ،وكذلك في مجلة أضواء الشريعة ،وله أيضا بحث بعنوان الإمامة العظمى منشور في مجلة أصول الدين التابعة للجامعة الإمام مُحَّد بن سعود الإسلامية ، وله مشاركات في الإذاعة السعودية، وله كثير من الأشرطة المسجلة ولكن للأسف أغلبها مفقود وغير منشور، وكان يستخدم الهاتف في إلقاء محاضرات إلى

مستمعين له في دول أخرى في وقت كان إستخدام الهاتف في بداياته ،وكان رحمه الله من أوائل العلماء الذين وظفوا شبكة الإنترنت في بداية أنتشارها للنصرة الإسلام والمسلمين حيث كان يستخدم الأيميل لإستقبال أسئلة المستفتين ويراسل بها أيضا، وكذلك إنشاء"الموقع الرسمي لفضيلة الشيخ العلامة حمود بن عقلاء الشعيبي" على الإنترنت حيث كان ينشر فيه كتبه ورسائله وفتاواه ، وللشيخ رحمه لقاء صحفي بعد إحداث ١١ سبتمر مع الصحفي الأمريكي دوغلاس جيهل حيث كان الحوار يدور حول إحداث ١١ سبتمر والغزو الأمريكي لأفغانستان وموقف الشيخ منها وقد سجل هذا اللقاء في شريط ولكن لم أعثر عليه ، وقد نشر مقال عن لقاء الشيخ حمود رحمه الله في جريدة نيويورك تايمز في تاريخ ٢٠٠١/١٢/٥ م .

بعض الرسائل الجامعية التي أشرف عليها فضيلة الشيخ حمود رحمه الله تعالى:

١- الشيخ عبدالله بن مُحَمَّد بن عبدالوهاب ومنهجه في تقرير العقيدة . مع دراسة وإخراج كتاب جواب أهل السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والزيدية . الباحث : ناصر بن سليمان بن عبدالله السعوي . جامعة الامام ، كلية أصول الدين ، رسالة ماجستير ، تاريخ :١٤١١ هـ ، ١٩٩١ م.

٢- مسائل العقيدة في كتاب مشكل الآثار للطحاوي : عرض ودراسة . الباحث : عبدالله بن صالح بن مُحَمَّد المشيقح . جامعة الامام ، كلية أصول الدين ، رسالة دكتوراه ، تاريخ : ١٤١١ هـ القسم : قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة .

٣- الكبيرة وحكم مرتكبها . الباحث : عبدالله بن سليمان بن حمد الجاسر ، جامعة الامام ، رسالة ماجستير ، تاريخ : ١٤٠٢ هـ .

٤- المرجئة و موقف أهل السنة منهم . الباحث : مُحَمَّد بن عبدالعزيز العلي اللاحم . جامعة الامام ، رسالة ماجستير ، تاريخ : ١٤٠٦ هـ .

٥- التبصرة في أصول الدين على مذهب الامام الجليل ... أحمد بن حنبل ﷺ / تأليف أبو الفرج عبدالواحد بن مُحَمَّد بن علي الشيرازي المقدسي ؛ تحقيق إبراهيم بن مُحَمَّد بن عبدالرحمن الدوسري ، جامعة الامام ، رسالة ماجستير ، تاريخ : ١٤٠٥ هـ .

٦- أصول الدين عند أمام أهل السنة أحمد بن حنبل ﷺ. الباحث : عبدالله بن سليمان بن حمد الجاسر ، جامعة الامام ، رسالة دكتوراه ، تاريخ : ١٤٠٧ هـ .

٧- كتاب " الشفا بتعريف حقوق المصطفى " للقاضي عياض : دراسة وتقويما .الباحث : يوسف بن عبد الرحمن بن عثمان القاضي ، جامعة الامام ، رسالة ماجستير ، تاريخ : ١٤١٥هـ .

٨- الإمام مُحَمَّد بن عبد الوهاب ومنهجه في الدعوة ١١١٥- ١٢٠٦هـ . الباحث : مُحَمَّد بن عبد الله بن حمد السكاكر ، جامعة الإمام ، كلية أصول الدين ، قسم : العقيدة والمذاهب المعاصرة ، رسالة ماجستير ، تاريخ :٩٨/١٣٩٩ هـ .

٩- الإبراء من الحق في الفقه الإسلامي . الباحث : صالح بن عبد الرحمن بن سليمان المحيميد ، جامعة الإمام ، المعهد العالي للقضاء ، رسالة دكتوراه ، تاريخ : ١٤٠٥هـ /١٩٨٥م .

١٠- المجد أبو البركات وآراءه الفقهية في غير العبادات . الباحث: خليفة بن صالح الخليفة ،جامعة الإمام ،المعهد العالي للقضاء ، رسالة دكتوراه ، تاريخ :١٤١٢/١٤١١هـ .

١١- حقوق الزوجة في الفقه الإسلامي . الباحث: عبدالعزيز بن صالح بن إبراهيم الجوعي ، جامعة الإمام ، المعهد العالي للقضاء ، رسالة ماجستير ، تاريخ :١٤٠٨/١٤٠٧هـ .

١٢- دراسة وتحقيق "شرح مختصر الخرقي". من اول كتاب السبق والرمي الى نهاية كتاب عتق امهات الأولاد . الباحث: عبدالعزيز بن صالح بن إبراهيم الجوعي، جامعة القصيم ، رسالة دكتوراه تاريخ : ١٩٩٣م. ١٤١٤هـ .

١٣- تحقيق ودراسة كتاب " التعليق الكبير في المسائل الخلافية على مذهب الإمام أحمد " للقاضي أبي يعلي - كتاب البيوع . الباحث: عبدالله بن علي مُحَمَّد الدخيل ، جامعة الإمام ، المعهد العالي للقضاء ، رسالة دكتوراه ، تاريخ : ١٤١٥هـ .

آثار الشيخ حمود بن عقلاء الشعيبي المفقودة هي :

١- شرح الجزء الأخير من بلوغ المرام، قال الشيخ انه مفقود .

٢- مسودة في أصول الفقه من ١٥٠ صفحة، قال الشيخ انه مفقود .

٣- حاشية على سبل السلام، كانت موجوده في حياة الشيخ رحمه الله ولكن لم أجدها.

٤- تحقيق متن العقيدة الطحاوية، كانت موجوده في حياة الشيخ رحمه الله ولكن لم أجدها.

٥- بحث في مسألة الروح وحقيقتها، كانت موجوده في حياة الشيخ رحمه الله ولكن لم أجدها.

٦- مسودة بيان للكلام عن تيار الإمامية المعاصرة ، توفي الشيخ رحمه الله قبل أن ينشرها ولم أجدها ولكن يوجد في لقاء الشيخ علي الخضير مع منتدى السلفيون سؤال رقم٤٥ جواب يحتوي على كثير من تقريرات الشيخ حمود الموجوده في المسودة .

٧- كتاب سيرة الشيخ العلامة حمود بن عقلاء الشعيبي رحمه الله للشيخ علي الخضير لم أجد الكتاب .

٨- الرد على الطنطاوي في تعليقه على كتاب صيد الخاطر حول مسألة العلو وهو رد في أكثر من خمسين موقف، وقد اعطاه للشيخ مُحَمَّد بن إبراهيم لكي ينشره ولكنه فقد .

٩- مقالات في صحيفة القصيم وقد وجدت منها ثلاث مقالات فقط والشيخ يقول أنه كتب مقالات أخرى في جريدة القصيم ولكني بحثت عنها في الجريدة ولم أجدها!!.

١٠- الشيخ رحمه الله كتب قليل من الشعر الفصيح والنبطي .

١١- فتوى للقائد الأفغاني حكمتيار في قتال بقايا الشيوعيين، أملاها الشيخ على الأستاذ عصام المعمر وتحتوي على توقيعات مجموعة من المشايخ ومعها بالفتوى تعليق الشيخ أبن جبرين رحمه الله والشيخ يحيى اليحيى والشيخ سليمان الثنيان والشيخ عبدالله الجلالي وقد نشرت الفتوى في جريدة شهادات التابعة للحزب الإسلامي عام ١٩٩٤م .

١٢- أشرطة شرح التدمرية في جامع الجاسر بريدة في عام ١٩٩٥م لم أجدها .

١٣- تعليقات على كتاب فتح المجيد ، مفقودة وأملاها على أحد الطلاب في عام ١٩٩٥م .

١٤- أشرطة شرح لمعة الاعتقاد سجلها الشيخ زياد الوردي مفقودة.

١٥- مذكرات شرح التدمرية جمعها طلاب في كلية الشريعة في القصيم ويوجد منها عدت نسخ منها ما هو مفقود ومنه ما فسد!! .

١٦- فتوى في حكم التصوير ووجدت جزء منه فقط.
١٧- تسجيل لندوة ألقاها الشيخ عبر الهاتف في المغرب العربي قبل وفاته بشهرين .

الكتب التي شرحها الشيخ للطلاب:

وهي تنقسم الى ثلاثة أقسام، القسم الأول شروح مسجلة في الأشرطة والقسم الثاني شروح مدّونة في دفاتر وكراسات الطلاب و القسم الثالث هي الشروح التي لم تسجل لم تدّون وهي كثيره ، الذي يهم هو القسم المسجل والمدّون، حيث يمكن تفريغ الأشرطة وتحويلها الى كتب، والمدّونة يمكن جمعها وترتيبها وإخراجها على شكل كتب، ومن هنا ادعوا طلاب الشيخ الى إخراج كل ما لديهم من أشرطة أو أوراق مدّونه للشروح الشيخ رحمه الله حتى نكون قد أوفينا بحق الشيخ رحمه الله وهذه بعض الكتب التي شرحها الشيخ وقد تكون مسجله أو مدّونه .
١- شرح كتاب التوحيد
٢- شرح كتاب التدمرية
٣- شرح على الحموية
٤- شرح كتاب العقيدة الواسطية
٥- شرح متن الطحاوية [أقصد شرح اخر غير الشرح المنشور لأن الشيخ شرح الطحاوية مرات كثيره]
٦- تعليق على ألفية بن مالك
٧- شرح للآجرومية
٨- تعليق على شرح الآجرومية للعشماوي

٩- تعليق على كتاب السنة لعبدالله بن الإمام احمد

١٠- تعليق على حائية ابن أبي داود

١١- تعليق على شرح حائية ابن أبي داود للسفاريني

١٢- تعليق على اقتضاء الصراط المستقيم

١٣- تعليق على جزء كبير من الصارم المسلول لابن تيمية

١٤- تعليق على سبل السلام

١٥- شرح سلم الأخضري في المنطق

١٦- تعليق على جزء من شرح السنة للبربهاري

١٧- شرح لمعة الاعتقاد

١٨- شرح بلوغ المرام

١٩- شرح تجريد التوحيد المفيد

٢٠- شرح كشف الشبهات

٢١- تعليق على فتح المجيد شرح التوحيد

٢٢- تعليق الأصول الثلاثة وشروط الصلاة والقواعد الأربع

٢٣- شرح زاد المستقنع

وغيرها كثير .

شرح شروط لا إله إلا الله

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يا أَيَهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿ يا أَيَهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء:١].

﴿ يا أَيَهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا (٧٠) يصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾[الأحزاب:٧٠،٧١].

أما بعد:

فإن أصدقَ الحديث كتابُ الله، وخيرَ الهدي هدي محمَّد ﷺ، وشر الأمور مُحدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

فإن أشرف وأجل وأعظم كلمة هي كلمة التوحيد (لا إله إلا الله).

أفضل ما نُطق به، لأجلها خلق الله الخلق، وأرسل الرسل، وأنزل الكتب وشرَّع الشرائع، وشَرعَ الجهاد والولاء والبراء.

وهي كلمة لو وزنت بالسموات والأرض لرجحت بهن كما في حديث أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ.

عن رسول الله ﷺ قال: «قال موسى: يا رب علمني شيئًا أذكرك وأدعوك به، قال: قل يا موسى: لا إله إلا الله، قال: يا رب كل عبادك يقولون هذا، قال: يا موسى لو أن السموات السبع وعامرهن غيري، والأرضين السبع في كفة ولا إله إلا الله في كفة، مالت بهن لا إله إلا الله»(١) .

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمه الله: «والقرآن من أوله إلى آخره يبينُ هذا ويقرره ويرشد إليه»(٢) .

---

(١) أخرجه النسائي في «عمل اليوم والليلة» رقم (٨٣٤)، والحاكم في «المستدرك» (٥٢٨/١)،وصححه الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (٢٠٨/١١).

(٢) «فتح المجيد لشرح كتاب التوحيد» (١٢٢/١) .

ولقد عُني مشايخنا وعلماؤنا ببيان معنى كلمة التوحيد وأفردوا لها المصنفات، وحرروا المسائل في بيان معناها، وحكم تاركها، وحضوا على تعلمها وتعليمها.

ولما لهذه الكلمة من أهمية كبيرة ومنزلة عالية رفيعة، آثرت الكلام عنها لأدلي بدلوي ولبيان الحق والصواب في مفهوم هذه الكلمة؛ بما يفتح الله علي في بيان معناها، وأقوال أئمة العلم فيها؛ راجيا من الله عز وجل أن يجعلها ذخرًا لي يوم يقوم الأشهاد إنه ولي ذلك والقادر عليه.

أملاه فضيلة الشيخ حمود بن عقلاء الشعيبي رحمه الله

١٤٢٢/١/٢١ هـ

الفصل الأول معنى الإله

أله في اللغة معناه: عبد.

والإله: هو المعبود.

يقال: أله يألَه ـ بالفتح ـ بمعنى عبد يعبد.

والتأله: التنسك والتعبد.

والتأليه: التعبيد(٣) .

قال ابن فارس: «الهمزة واللام والهاء أصل واحد وهو التعبد فالإله الله تعالى، وسمي بذلك لأنه معبود، ويقال: تأله الرجل إذا تعبد»(٤) .

وقال الزجاج: «معنى قولنا: (إله) إنما هو الذي يستحق العبادة وهو تعالى المستحق لها دون سواه»(٥) .

وقال الفيروز أبادي: «أله يأله إلهة وتألها كعبد يعبد عبادة وتعبدًا»(٦) .

وقال ابن جرير: «أله بمعنى عبد، والإله مصدره من قول القائل: أله الله فلان إلاهة كما يقال: عبد الله فلان عبادة»(٧) .

---

(٣) بتصرف من «لسان العرب» (١٣/٤٦٧).

(٤) معجم «مقاييس اللغة» (١/١٢٧).

(٥) «تفسير أسماء الله الحسنى» (ص٢٦).

(٦) «بصائر ذوي التمييز» (٢/١٤).

(٧) «تفسير ابن جرير» (١/٥٤).

وبهذا يتضح أن لفظة (إله) مأخوذة من التأله وهو التعبد ومعناه المعبود المطاع سواء كان بحق أو بغير حق، فكل ما عبد بأي نوع من أنواع العبادات ولو كان المعبود جمادًا فهو إله عند عابده كما قال تعالى: ﴿ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مِن شَيءٍ لَّمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيرَ تَتْبِيبٍ ﴾ [هود:١٠١].

ولكن هذا اللفظ غلب على المعبود بحق وهو الله سبحانه وتعالى، وهذا هو التفسير الصحيح لكلمة الإله .

وقيل في اسم الباري سبحانه: إنه مأخوذ من أَلِه يأله إذا تحير، لأن العقول تأله في عظمته.

ولا يطلق لفظ الجلالة «الله» إلا على المعبود بحق وهو الله سبحانه وتعالى، وهو مختص به لا يطلق على غيره.

وقد بين شيخ الإسلام ابن تيمية معنى الإله الحق فقال: «فالإله هو الذي تألهه القلوب عبادة واستعانة ومحبة وتعظيمًا وخوفًا ورجاءً وإجلالاً وإكرامًا، والله عز وجل له حق لا يشاركه فيه غيره فلا يعبد إلا الله ولا يدعى إلا الله ولا يخاف إلا الله ولا يطاع إلا الله»(٨) .

قال ابن رجب ـ رحمه الله ـ: «الإله هو الذي يطاع فلا يعصى هيبة له وإجلالاً ومحبة وخوفًا ورجاءً وتوكلاً عليه وسؤالاً له ودعاءً له، ولا يصلح ذلك كله إلا لله عز وجل، فمن أشرك مخلوقًا في شيء من هذه الأمور التي هي من خصائص الإلهية، كان ذلك قدحًا في إخلاصه في قوله: «لا إله إلا الله»، وكان فيه من عبودية المخلوق بحسب ما فيه من ذلك»(٩) .

وقال الشيخ سليمان بن عبد الله ـ رحمه الله ـ: «ومعنى لا إله إلا الله أي لا معبود بحق إلا إله واحد»(١٠) . وقال الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمه الله ـ: «لا إله إلا الله، أي: لا معبود حقٌّ إلا الله»(١١) . وشهادة التوحيد لا تنفي مطلق الآلهة من الوجود، وإنما تنفي مطلق الآلهة التي تستحق وصف الإلهية، التي تستحق أن تُعبد من دون ـ أو مع ـ الله تعالى. وندرك من خلال هذا التعريف بطلان من فسر شهادة التوحيد بقوله: «لا خالق إلا الله» أو «لا رازق ـ أو لا نافع ـ إلا الله»، فإن هذا المعنى كان المشركون يقرون به، ويعترفون به قال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يؤْفَكُونَ ﴾ [العنكبوت:٦١].

---

(٨) «الفتاوى» (٣٦٥/١) .

(٩) «قرة عيون الموحدين» (ص٢٥) .

(١٠) «تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد» (ص٥٣) .

(١١) «فتح المجيد لشرح كتاب التوحيد» (١٢١/١) .

وقال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيا بِهِ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يعْقِلُونَ ﴾[العنكبوت:٦٣].

وقال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إنْ أَرَادَنِي اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِي اللَّهُ عَلَيهِ يتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ [الزمر:٣٨].

وقال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يؤْفَكُونَ ﴾ [الزخرف:٨٧]، فهم لم يخالفوا الرسل والأنبياء في ذلك، وإنما كان الخلاف في معنى «الإله» ومن يستحق العبادة خالصة.

الفصل الثاني أركان لا إله إلا الله

الركن في اللغة: جانب الشيء الأقوى الذي يستند إليه، وللرجل لما فيه من عزة ومنعة وعشيرة أو سلطان ولما يتقوى به.

وجمعه أركان وأركن.

وأركان الإنسان جوارحه، وأركان الشيء جوانبه التي يستند إليها(١٢) .

والركن في الاصطلاح: ما يقوم به ذلك الشيء.

وقيل: الركن ما يتم به وهو داخل فيه بخلاف شرطه وهو خارج عنه.

وقيل: الركن ما توقف الشيء على وجوده وكان جزءًا من حقيقته كقراءة القرآن في الصلاة فإنها ركن لها لتوقف وجودها في نظر الشرع على تحقيقها وهي جزء من حقيقة الصلاة، وهكذا كل ما كان ركنًا لشيء فإن ذلك الشيء لا يكون له وجود في نظر الشارع إلا إذا تحقق ذلك الركن(١٣) ومن هذه التعريفات يتبين لنا أن أركان الشيء أجزاؤه التي لا يتحقق بدونها.

وعليه فللشهادة ركنان:

الركن الأول: نفي في قوله: «لا إله» .

الركن الثاني: إثبات في قوله: «إلا الله» .

الركن الأول: لا إله: النفي المطلق لوجود الآلهة التي تستحق أن تُعبد .

الركن الثاني: إلا الله: الإثبات، وهو إثبات أن المعبود بحق هو الله تعالى وحده .

---

(١٢) «الصحاح» للجوهري (٦٢١٢/٥)، و«لسان العرب» (٩١٢١/١).

(١٣) «التعريفات» للجرجاني (ص١١٧).

فهي تنفي أن يكون في الوجود معبود بحق غير الله سبحانه وتعالى، وتثبت العبادة له وحده لا شريك له.

فمن أتى بجانب النفي دون جانب الإثبات لا يكون مؤمنًا، ومن أتى بجانب الإثبات دون جانب النفي لا يكون مؤمنًا، بل لابد للمرء أن يأتي بالركنين معًا.

قال شارح الطحاوية ـ رحمه الله ـ:

«وإثبات التوحيد بهذه الكلمة باعتبار النفي والإثبات المقتضي للحصر، فإن الإثبات المجرد قد يتطرق إليه الاحتمال، ولهذا ـ والله أعلم ـ لما قال تعالى: ﴿ وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾ قال بعده: ﴿ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ [البقرة:١٦٣](١٤) .

وكما قال تعالى عن أصحاب الكهف: ﴿ وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ ينشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَيهَيِئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴾ [الكهف:١٦].

وقال تعالى عن نبيه إبراهيم عليه السلام: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ (٢٦) إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيهْدِينِ ﴾[الزخرف:٢٧،٢٦]، وقال تعالى: ﴿ قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ (٧٥) أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الأَقْدَمُونَ (٧٦) فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلاَّ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الشعراء:٧٥_٧٧].

فهو عليه السلام يعلن عداوته واعتزاله لجميع الآلهة التي تعبد إلا الله تعالى المعبود بحق .

الفصل الثالث إعراب لا إله إلا الله

لقد اهتم العلماء رحمهم الله تعالى في بيان إعراب لا إله إلا الله منهم شارح الطحاوية وكذلك بدر الدين الزركشي وعلماء الدعوة؛ فقالوا في إعرابها:

لا: نافية للجنس.

إله: اسم لا النافية للجنس مبني على الفتح لأنه مفرد نكرة تضمن معنى الحرف.

وقال سيبويه: «لا إله» جملة في محل رفع مبتدأ.

واتفق جميع النحاة على أن الخبر محذوف واختلف تقديرهم للخبر، والصواب تقديره بكلمة (حق)، لأن المعبود بحق هو الله سبحانه وتعالى أما غيره من المعبودات فهي موجودة ولكنها معبودات باطلة قال تعالى: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يدْعُونَ مِن دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِي الْكَبِيرُ ﴾ [لقمان:٣٠].

---

(١٤) شرح ابن ابي العز ٦٤/١ ط الأوقاف السعودية

قال الزركشي: «قول: (لا إله إلا الله) قدر فيه الأكثرون خبر «لا» محذوفًا، فقدر بعضهم: «الوجود»، وبعضهم: «لنا»، وبعضهم: «بحق» قال: لأن آلهة الباطل موجودة في الوجود كالوثن، والمقصود نفي ما عدا إله الحق، ونازع فيه بعضهم، ونفى الحاجة إلى قيد مقدر محتجًّا بأن نفي الماهية من غير قيد أعم من نفيها بقيد.

والتقدير أولى جريا على القاعدة العربية في تقدير الخبر، وعلى هذا فالأحسن تقدير الأخير، لما ذكر، ولتكون الكلمة جامعة لثبوت ما يستحيل نفيه ونفي ما يستحيل ثبوته»(١٥) .

وقال حافظ حكمي رحمه الله:

«فتقدير خبر «لا» المحذوف بـ«حق» هو الذي جاءت به نصوص الكتاب والسنة كما سنوردها إن شاء الله، وأما تقديره بـ«موجود» فيفهم منه الاتحاد، فإن الإله هو المعبود، فإن قيل: لا معبود بـ«موجود» إلا الله، لزم منه أن الإله هو المعبود.

فإذا قيل: لا معبود موجود إلا الله، لزم منه أن كل معبود عبد بحق أو باطل هو الله فيكون ما عبده المشركون من الشمس والقمر والنجوم والأشجار والأحجار والملائكة والأنبياء والأولياء وغير ذلك هي الله فيكون ذلك كله توحيدًا، فما عبد على هذا التقدير إلا الله، إذ هي هو، وهذا والعياذ بالله أعظم الكفر وأقبحه على الإطلاق.

وفيه إبطال لرسالات جميع الرسل وكفر بجميع الكتب وجحود لجميع الشرائع وتكذيب بكل ذلك وتزكية لكل كافر من أن يكون كافرًا إذ كل ما عبده من المخلوقات هو الله فلم يكن عندهم مشركًا بل موحدًا، تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون علوًّا كبيرًا.

فإذا فهمنا هذا فلا يجوز تقدير الخبر موجود، إلا أن ينعت اسم «لا» بـ«حق» فلا بأس ويكون التقدير لا إله حقًّا موجود إلا الله، فبقيد الاستحقاق ينتفي المحذور الذي ذكرنا»(١٦) .

إلا: حرف استثناء.

الله: لفظ الجلالة بدل من الخبر المحذوف مرفوع.

وفي هذا القدر من الإعراب كفاية إن شاء الله تعالى .

---

(١٥) «معنى لا إله إلا الله» (ص ٨٠،٨١).

(١٦) «معارج القبول» (٢/٤١٦).

الفصل الرابع شروط لا إله إلا الله

قال الشيخ حافظ حكمي ـ رحمه الله ـ في منظومته:

وبشروطٍ سبعةٍ قد قُيدت ــــــــــــــــ وفي نصوصِ الوحي حقًّا وردت

فإنه لم ينتفع قائلها ــــــــــــــــ بالنطقِ إلا حيث يستكملها

العلم واليقين والقبول ــــــــــــــــ والانقياد فادر ما أقول

فـ«لا إله إلا الله» لها شروط، لا يصح إيمان صاحبها إلا بها وقبل الدخول في بيان شروط هذه الكلمة لا بد أن نذكر قاعدة مهمة؛ وهي أنه لا بد لمن أراد الدخول في الإسلام أن يقر لفظًا بشهادة التوحيد. ومن أبى ـ مع القدرة ـ أن يقر بالشهادة لا يكون مسلمًا معصوم الدم بالإسلام .

كما في الحديث الصحيح عن سعيد بن المسيب، عن أبيه قال: لما حضرت أبا طالب الوفاةُ جاءه رسولُ الله ﷺ وعنده أبو جهل، وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة، فقال رسول الله ﷺ: «يا عم قل لا إله إلا الله، كلمة أحاجّ لك بها عند الله».

فقالا له: أترغب عن ملة عبد المطلب؟

فأعاد عليه النبي ﷺ، فأعاد.

فكان آخر ما قال: هو على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول: لا إله إلا الله.

فقال رسول الله ﷺ: «أما والله لأستغفرنَّ لك ما لم أنه عنك»، فأنزل الله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِي وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُوْلِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَينَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ [التوبة:١١٣]، وأنزل الله تعالى في أبي طالب: ﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يهْدِي مَن يشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ [القصص:٥٦](١٧) .

وقال ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقّ الإسلام وحسابهم على الله»(١٨) . قال النووي ـ رحمه الله ـ: «فيه أن الإيمان شرطه الإقرار بالشهادتين مع اعتقادهما واعتقاد جميع ما أتى به رسول الله ﷺ»(١٩) .

(١٧) أخرجه البخاري برقم (١٣٦٠)، (٣٨٨٤)، (٤٧٧٢)، ومسلم برقم (٢٤).

(١٨) أخرجه مسلم برقم (٢١)، وأحمد في «المسند» (٢/٣٤٥، ٤٣٢).

(١٩) شرح مسلم (١/٢١٢).

وقال ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: «الشهادتان إذا لم يتكلم بهما مع القدرة فهو كافر باتفاق المسلمين، وهو كافر باطنًا وظاهرًا عند سلف الأمة وأئمتها وجماهير علمائها»(٢٠) .

* * *

الشرط الأول

العلم بمعناها نفيا وإثباتًا:

فالعلم بالتوحيد شرط لصحته؛ قال الله عز وجل: ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ ﴾ [مُحَمَّد:١٩].

وقال رسول الله ﷺ: «من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة»(٢١) .

ومفهوم الحديث أن من مات وهو لا يعلم التوحيد لا يدخل الجنة.

وكان النبي ﷺ إذا أرسل أحدًا من أصحابه إلى بلدٍ يأمره بأن يدعو أهلها أولاً إلى التوحيد قبل أن يدعوهم إلى أي شيءٍ آخر، كما في حديث ابن عباس أن رسول الله ﷺ لما بعث معاذًا إلى اليمن قال له: «إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله ـ وفي رواية: إلى أن يوحدوا الله ـ فإن هم أطاعوك لذلك، فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلواتٍ في كل يومٍ وليلة...»(٢٢) . وقال ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: «الكفر يكون بتكذيب الرسول فيما أخبر، أو الامتناع عن المتابعة مع العلم بصدقه، مثل كفر فرعون واليهود ونحوهم»(٢٣) .

وقال الشيخ مُحَمَّد بن عبد الوهاب رحمه الله: «فالله الله يا إخواني تمسكوا بأصل دينكم، وأوّله وأسه ورأسه، شهادة أن لا إله إلا الله، واعرفوا معناها وأحبوها، وأحبوا أهلها، واجعلوهم إخوانكم، ولو كانوا بعيدين منكم نسبًا»(٢٤) .وقال سيد قطب ـ رحمه الله ـ: «كل من ينطق بالشهادتين: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، لا يقال له: إنه شهد إلا أن يؤدي مدلول هذه الشهادة ومقتضاها، ومدلولها هو ألا يتخذ إلا الله إلهًا، ومن ثمّ لا يتلقى الشريعة إلا من الله .

---

(٢٠) «مجموع الفتاوى» (٧/٦٩٠).

(٢١) رواه مسلم: كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعًا (١/٥٥) حديث رقم (٤٣) .

(٢٢) «صحيح البخاري مع الفتح» كتاب الزكاة، باب أخذ الصدقة من الأغنياء وترد على الفقراء (٣/٣٥٧) برقم (١٤٦٩)، و«صحيح مسلم مع شرح النووي» كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام (١/١٣٠) برقم (٢٩).

(٢٣) «درء تعارض العقل والنقل» (١/٢٤٢).

(٢٤) «مجموعة التوحيد» (ص٣٨٦).

ولن يكون الإسلام إذن هو النطق بالشهادتين دون أن يتبع شهادة أن لا إله إلا الله معناها وحقيقتها؛ وهي توحيد الألوهية وتوحيد القوامة، ثم توحيد العبودية وتوحيد الاتجاه...

هذا هو الإسلام كما يريده الله، ولا عبرة بالإسلام كما تريده أهواء البشرية في جيل منكود من أجيال الناس، ولا كما تصوره رغائب أعدائه المتربصين به وعملائهم هنا وهناك: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [آل عمران:٨٥]»(٢٥) .

ولكن في زماننا هذا أصبح العلم بهذه الشهادة العظيمة علمًا نظريا، ولم تعد منهج حياة، وركيزة عمل، بل لم تلامس هذه الكلمة شغاف قلوبهم.

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمه الله: «فـ(لا إله إلا الله): لا تنفع إلا من عرف مدلولها نفيا وإثباتًا، واعتقد ذلك، وقَبِلَه وعَمِلَ به، وأما من قالها عن غير علم واعتقاد وعمل فقد تقدم كلام العلماء أن هذا جهلٌ صِرفٌ، فهو حجة عليه، بلا ريب»(٢٦).

* * *

الشرط الثاني

اليقين المنافي للشك:

فهو شرطٌ من شروط شهادة التوحيد، قال الله تعالى: ﴿ أَلَمْ يأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لا يعْلَمُهُمْ إلاَّ اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَينَاتِ فَرَدُّوا أَيدِيهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيهِ مُرِيبٍ (٩) قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ [إبراهيم:٩، ١٠]، فهم كفروا لأنهم شكوا في صحة دعوة الرسل لهم.

وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾[الحجرات:١٥].

وفي الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيهما إلا دخل الجنة»(٢٧) .

مفهوم الحديث أن من لقي الله تعالى بشهادتي التوحيد شاكًّا فيهما لا يدخل الجنة ولا يكون من أهلها.

---

(٢٥) «في ظلال القرآن» (٤٢١/٣).

(٢٦) «فتح المجيد لشرح كتاب التوحيد» (١٢٨/١).

(٢٧) رواه مسلم: كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعًا (٥٧.٥٥/١) حديث رقم (٢٧).

* * *

الشرط الثالث

القبول المنافي للرد:

فمن علم بمعنى شهادة ألا إله إلا الله وأيقن بمدلولها ولكنه يردها إما كبرًا أو حسدًا، فقد شابه علماء أهل الكتاب، قال تعالى:﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ﴾ [البقرة:١٠٩].

ولقد عرف المشركون من قبل معنى ما كان يدعوهم إليه رسول الله ﷺ، ولكنهم استكبروا عن قبوله قال تعالى:﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ يسْتَكْبِرُونَ (٣٥) وَيقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴾ [الصافات:٣٥،٣٦].

* * *

الشرط الرابع

الانقياد والتسليم لها ظاهرًا وباطنًا:

قال تعالى: ﴿ فَلا وَرَبِّكَ لا يؤْمِنُونَ حَتَّى يحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَينَهُمْ ثُمَّ لا يجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيتَ وَيسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء:٦٥]. فلا يكفي لتحقيق الإيمان أن تحتكم إلى الشرع إلا إذا رضيت به وانتفى الحرج: ﴿ ثُمَّ لا يجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيتَ ﴾ ، ثم لا يكفي ذلك بل لا بد من التسليم ظاهرًا وباطنًا الذي يتنافى معه أدنى اعتراض ﴿ وَيسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ .

قال ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في تفسير هذه الآية: «فكل من خرج عن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وشريعته، فقد أقسم الله بنفسه المقدسة أنه لا يؤمن حتى يرضى بحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم في جميع ما يشجر بينهم من أمور الدين والدنيا، وحتى لا يبقى في قلوبهم حرج من حكمه، ودلائل القرآن على هذا الأصل كثيرة»(٢٨) .

وقال سيد قطب ـ رحمه الله ـ: « ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لا يؤْمِنُونَ ﴾ ومرة أخرى نجدنا أمام شرط الإيمان وحدّ الإسلام، يقرره الله سبحانه بنفسه ويقسم عليه بذاته، فلا يبقى بعد ذلك قول لقائل في تحديد شرط الإيمان وحد الإسلام ولا تأويل لمؤول، اللهم إلا مماحكة لا تستحق الاحترام، وإذا كان يكفي لإثبات الإسلام أن يتحاكم الناس إلى شريعة الله وحكم رسوله... فإنه لا يكفي في الإيمان هذا ما لم يصحبه الرضا النفسي، والقبول القلبي، وإسلام القلب والجنان».

---

(٢٨) «مجموع الفتاوى» (٤٧١/٢٨).

وقال تعالى: ﴿ يا أَيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَينَ يدَي اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١) يا أَيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِي وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لا تَشْعُرُونَ (٢) إِنَّ الَّذِينَ يغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [الحجرات: ١-٣].

قال ابن القيم - رحمه الله -:

«فإذا كان رفع أصواتهم فوق صوته سببًا لحبوط أعمالهم فكيف تقديم آرائهم وعقولهم وأذواقهم وسياستهم ومعارفهم على ما جاء به ورفعها عليه؟ أليس هذا أولى أن يكون محبطًا لأعمالهم؟»(٢٩) .

وقال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يكُونَ لَهُمُ الْخِيرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِينًا ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

مسألة: ما الفرق بين الانقياد والقبول؟

لعل الفرق بين الانقياد والقبول أن الانقياد خاص بالأفعال، وأما القبول فخاص بالأقوال، ويلزم منهما جميعًا الاتباع.

* * *

الشرط الخامس

الصدق فيها المنافي للكذب:

وهو أن يقولها صادقًا من قلبه، قال تعالى:﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ (٨) يخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يشْعُرُونَ (٩) فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يكْذِبُونَ ﴾ [البقرة: ٨ - ١٠].

وفي «الصحيحين» من حديث معاذ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من أحدٍ يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله صدقًا من قلبه إلا حرمه الله على النار»(٣٠) .

* * *

(٢٩) «إعلام الموقعين» (١/٥١).

(٣٠) رواه البخاري: كتاب العلم، باب من خص بالعلم قومًا دون قوم (١/٢٢٦)، ورواه مسلم: كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعًا (١/٦١) رقم الحديث (٣٢).

الشرط السادس

الإخلاص المنافي للشرك:

وهي النية الصالحة النقية من شوائب الشرك والرياء، قال تعالى:﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يوحَى إِلَيَ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ [الكهف:١١٠].

فالإخلاص شرط لصحة العبادة.

وقال أهل التفسير في قوله تعالى: ﴿ لِيبْلُوَكُمْ أَيكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾ [تبارك:٢] أي: أصوبه وأخلصه.

وفي حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «أسعد الناس بشفاعتي من قال: لا إله إلا الله خالصًا من قلبه أو نفسه»(٣١) .

* * *

الشرط السابع

المحبة المنافية للكراهية:

وصفة هذه المحبة أن يكون الله تعالى ورسوله ﷺ أحب إليه مما سواهما، وأن يكون الله تعالى وحده هو المحبوب لذاته، وما سواه فهو محبوب له وفيه، لا يحب مع الله أحدا.

قال الله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ وَلَوْ يرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴾ [البقرة:١٦٥].

قال ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: «لا يجوز أن يحب شيء من الموجودات لذاته إلا هو سبحانه وبحمده، فكل محبوب في العالَم إنما يجوز أن يحب لغيره لا لذاته، والرب تعالى هو الذي يجب أن يحب لنفسه، وهذا من معاني إلهيته: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ [الأنبياء:٢٢]، فإن محبة الشيء لذاته شرك فلا يحب لذاته إلا الله، فإن ذلك من خصائص إلهيته فلا يستحق ذلك إلا الله وحده، وكل محبوب سواه لم يحب لأجله فمحبته فاسدة»(٣٢) .

---

(٣١) رواه البخاري: كتاب العلم، باب القراءة على المحدث (١٤٨/١، ١٤٩)، ورواه مسلم: كتاب الإيمان، باب السؤال عن أركان الإسلام (٤١/١،٤٢).

(٣٢) «مجموع الفتاوى» (٢٦٧/١٠).

وقال تعالى: ﴿ قُلْ إن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٣١) قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإن تَوَلَّوْا فَإنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٣١، ٣٢] .

وقال ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: «فكل من ادعى أنه يحب الله ولم يتبع الرسول فقد كذب، وليست محبته لله وحده، بل إن كان يحبه فهي محبة شرك، فإنما يتبع ما يهواه، كدعوى اليهود والنصارى محبة الله، فإنهم لو أخلصوا له المحبة لم يحبوا إلا ما أحب فكانوا يتبعون الرسول، فلما أحبوا ما أبغض الله مع دعواهم حبه كانت محبتهم من جنس محبة المشركين»(٣٣) .

وقال تعالى: ﴿ قُلْ إن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ [التوبة: ٢٤].

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «دل على أن متابعة الرسول ﷺ هي حب الله ورسوله وطاعة أمره، ولا يكفي ذلك في العبودية حتى يكون الله ورسوله أحب إلى العبد مما سواهما؛ فلا يكون عنده شيء أحب إليه من الله ورسوله، ومتى كان عنده شيء أحب إليه منهما فهذا هو الشرك الذي لا يغفره الله لصاحبه ألبتة، ولا يهديه الله، قال الله تعالى: ﴿ قُلْ إن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ .

فكل من قدم طاعة أحد من هؤلاء على طاعة الله ورسوله، أو قول أحد منهم على قول الله ورسوله، أو مرضاة أحد منهم على مرضاة الله ورسوله، أو خوف أحد منهم ورجاءه والتوكل عليه على خوف الله ورجائه والتوكل عليه، أو معاملة أحدهم على معاملة الله، فهو ممن ليس الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وإن قاله بلسانه فهو كذب منه، وإخبار بخلاف ما هو عليه.

وكذلك من قدم حكم أحدٍ على حكم الله ورسوله، فذلك المقدَّم عنده أحب إليه من الله ورسوله ﷺ»(٣٤) .

وقال رسول الله ﷺ: «من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني دخل النار»(٣٥) .

وقال رسول الله ﷺ: «لا يؤمن عبد حتى أكون أحب إليه من أهله وماله والناس أجمعين»، وفي رواية: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين»

---

(٣٣) «مجموع الفتاوى» (٨/٣٠٦).

(٣٤) «مدارج السالكين» (١/١٠٠).

(٣٥) رواه البخاري: كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنة رسول الله ﷺ (١٣/٢٤٩).

قال أبو سليمان الخطابي ـ رحمه الله ـ في شرحه للحديث: «فمعناه لا تصدق في حبي حتى تفني في طاعتي نفسك، وتؤثر رضاي على هواك وإن كان فيه هلاكك»(٣٦) . وقال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «فالله تعالى إنما خلق الخلق لعبادته الجامعة لكمال محبته، مع الخضوع له والانقياد لأمره»(٣٧).

* * *

الشرط الثامن

الكفر بالطاغوت:

من شروط صحة التوحيد الكفر بالطاغوت، إذ لا إيمان إلا بعد الكفر بالطاغوت ظاهرًا وباطنًا، قال تعالى: ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة:٢٥٦].

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل:٣٦].

وقال رسول الله ﷺ: «من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله»(٣٨) .

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب: «فمن عبد الله ليلاً ونهارًا، ثم دعا نبيا أو وليا عند قبره، فقد اتخذ إلهين اثنين ولم يشهد أن لا إله إلا الله، لأن الإله هو المدعو، كما يفعل المشركون عند قبر الزبير أو عبد القادر أو غيرهم، ومن ذبح لله ألف ضحيةٍ ثم ذبح لنبي أو غيره فقد جعل إلهين اثنين: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأنعام:١٦٢]»(٣٩) .

قال الشيخ سليمان بن سحمان رحمه الله :

فعاد الذي عادى لدين محمد ـــــــــــــــ ووال الذي والاه من كل مهتد

وأحبب لحب الله من كان مؤمنًا ـــــــــــــــ وأبغض لبغض الله أهل التمرد

وما الدين إلا الحب والبغض والولا ـــــــــــــــ كذاك البرا من كل غاو ومعتد

* * *

---

(٣٦) «شرح صحيح مسلم» (١٥/٢).

(٣٧) «مدارج السالكين» (٩٩/١).

(٣٨) «صحيح مسلم مع شرح النووي» كتاب الإيمان باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله (٣٢٥/١) برقم (٣٧).

(٣٩)«الرسائل الشخصية للشيخ محمد بن عبد الوهاب (ص١٦٦).

الشرط التاسع الموت عليها:

ثم بعد كل ذلك لا بد له من أن يموت عليها لكي ينتفع بها، فإن مات على ضدها من الشرك والكفر لم ينفعه شيء، فمن خُتم له بالتوحيد ومات عليه فهو من أهل الجنة، ومن خُتم له بالشرك ومات عليه فهو من أهل النار.

قال تعالى: ﴿ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُون ﴾[البقرة:٢١٧].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَئِكَ عَلَيهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (١٦١) خَالِدِينَ فِيهَا لا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلا هُمْ ينظَرُونَ ﴾ [البقرة:١٦١،١٦٢].

فعلق الله سبحانه وتعالى عذابهم في النار وخلودهم فيها بالموت على الكفر المناقض للتوحيد.

وقال رسول الله ﷺ: «ما من عبد قال: لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة».

وقال ﷺ: «فوالذي نفسي بيده إنَّ أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإنَّ أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها».

قال النووي ـ رحمه الله ـ: «فلا يخلد في النار أحد مات على التوحيد ولو عمل من المعاصي ما عمل، كما أنه لا يدخل الجنة أحد مات على الكفر ولو عمل من أعمال البر ما عمل، هذا مختصر جامع لمذهب أهل الحق في هذه المسألة».

نسأل الله تعالى الثبات في الدنيا والآخرة، ونسأله حسن الخاتمة إنه تعالى سميع قريب مجيب.

مسألة:

قد يقول قائل: إنك جعلت شروط التوحيد تسعة، وثان قد جعلها عشرة، وآخر جعلها ثمانية وآخر جعلها سبعة، فما الصحيح في ذلك؟

أقول: لا تضاد في كل ذلك، وإنما هذا من باب اختلاف تنوع، فالذي عدها سبعة أدخل ثلاثة شروط أو شرطين في شرطٍ واحد والذي جعلها عشرة أو تسعة شروطٍ إنما فصل في بعض الشروط.

* * *

مختصر عقيدة أهل السنة والجماعة

مقدمة

الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يا أَيهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿ يا أَيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء: ١].

﴿ يا أَيهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا (٧٠) يصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾[الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أحسن الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي مُحَمَّد ﷺ(١) وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة(٢)، وكل ضلالة في النار(٣) .

فهذا مُختصر لعقيدة أهل السنة والجماعة ولما نعتقده ونؤمن به، أمليته وقررته على أحد طلابي لأمرين:

أما الأول:فقد نُسب إلينا، وتُقول علينا ما لم نعتقد ونقول، ولم أكن أعتقدُ أن يأتي اليوم الذي أكتبُ فيه مُعتقدي، وأُبين فيه منهجي، ردًّا على المتقولين، ودفاعًا عن غربة الدين، فإننا لم نأت بجديد في دين الله تعالى، ولم نؤلف أصولاً لنخرق بها إجماع السلف ، وإنما لبعد الناس عن المنهج السليم أصبح كل من لم يوافقهم في أمرٍ أو نازلة خارجي، وتكفيري، ومُتنكبٌ عن الصراط المستقيم .

---

(١) أخرجه مسلم في «الصحيح»، كتاب الجمعة، باب/ تخفيف الصلاة والخطبة (٥٩٢/٢) ح(٤٣،٤٤).

(٢) أخرجه أحمد في المسند: (١٢٦/٤، ١٢٧)، وأبو داود: كتاب السنة، باب/ في لزوم السنة (٣٥٩/١٢، ٣٦٠) حديث رقم (٤٥٨٣) العون، والترمذي: كتاب العلم، باب/ ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع (٤٣/٥) حديث رقم (٢٦٧٦)، وابن ماجه في المقدمة، حديث (٤٢.٤٤)، والدارمي في «المقدمة» (٤٤/١، ٤٥) وصححه الألباني في «إرواء الغليل» برقم (٢٤٥٥).

(٣) أخرجه النسائي في «السنن»، كتاب العيدين (١٨٨/٣، ١٨٩) برقم (٥٦١٠) وقد صحح المحدث الألباني رحمه الله هذه الزيادة في تخريج خطبة الحاجة.

وثانيهما:ما رأيتُ ما تعيشه الأمة اليوم من تخبط وتيه، وتفرق واختلاف، فكثرت الجماعات والفرق، وتعددت المناهج، وأصبح كل يدَّعي المنهج السليم، والعقيدة الصافية، ويخطئ بل يكفر من خالفه ورد عليه.

فعزمت أن أُبين مُعتقد السلف بطريقة مُبسطة، وإن كان سلفنا وعلماء الأمة قبلي قد كتبوا وصنفوا في هذا المجال.

ونسأل الله العلي العظيم أن يتقبل أعمالنا، ويصلح نياتنا، ويبرم لهذه الأمة أمر رشدٍ، يعز فيه أهل طاعته، ويذل فيه أهل معصيته والمحاربين لدينه، إنه ولي ذلك والقادر عليه، إنه نعم المولى ونعم النصير.

أملاه أبو عبدالله حمود بن عبدالله بن عقلاء الشعيبي

١٢ / ٧ / ١٤٢٢هـ

باب الإيمان يزيد وينقص:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فهذا اعتقادنا الذي ندين الله تعالى به، وهو اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة أهل السنة والجماعة فنقول: نؤمن بأن الإيمان: هو اعتقادٌ بالجنان، وعملٌ بالأركان، ونطقٌ باللسان.

ولا يكملُ الإيمان إلا بالعمل، ولا قول ولا عمل إلا بنية، ولا قول ولا عمل ولا نية إلا بموافقة السنة، وأن الإيمان يزيدُ بالطاعة، وينقصُ بالمعصية، قال تعالى: ﴿ لِيسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا ﴾ [المدثر: ٣١]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيتْ عَلَيهِمْ آياتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يتَوَكَّلُونَ ﴾[الأنفال: ٢]. وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «الإيمانُ بضعٌ وسبعونَ أو بِضعٌ وستونَ شعبة، فأفضلها قولُ: لا إله إلا اللهُ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريقِ، والحياءُ شُعبةٌ من الإيمان»(٤) .

وقال البخاري: «لقيتُ أكثر من ألف رجل من العلماء بالأمصار، فما رأيتُ أحدًا يختلف في أن الإيمان يزيدُ وينقص»(٥).

---

(٤) أخرجه مسلم كتاب الإيمان، باب/ عدد شعب الإيمان حديث (٥٨) .

(٥) أخرجه اللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (١٧٣/٢)، و«فتح الباري» لابن حجر (٤٤/١)، و«سير أعلام النبلاء» (٣٩٥/١٢).

ونؤمن بأن للإيمان شعبٌ، منها ما هو أصلٌ يزولُ الإيمان بزواله كالتوحيد، ومنها ما هو من واجبات الإيمان ينقصُ بزوالها ولا ينتقض أو لا يزول عنه أصل الإيمان، كإماطة الأذى عن الطريق والحياء.

وكل نفي للإيمان ورد في الشرع فإما أن يراد به نفي أصل الإيمان، أو يرادُ به نفي الإيمان الواجب.

باب الإيمان بالله:

نؤمن بأن الله واحدٌ لا شريك له، لا في ربوبيته، ولا في ألوهيته، ولا في أسمائه وصفاته، ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين، قال تعالى: ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، وقال تعالى: ﴿ وَمَاذَا عَلَيهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴾ [النساء: ٣٩]، وقال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يفَرِّقُوا بَينَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُوْلَئِكَ سَوْفَ يؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء: ١٥٢]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ [الحجرات: ١٥]، وقال تعالى: ﴿ آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ [الحديد: ٧]، وقال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآياتِنَا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ [الحديد: ١٩] ، وقال تعالى: ﴿ سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يؤْتِيهِ مَن يشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾[الحديد: ٢١].

وفي الحديث الصحيح عن عثمان بن عفان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من مات وهو يعلمُ أن لا إله إلا اللهُ دخلَ الجنةَ»(٦) .

ونؤمن بأنه وحده لا شريك له في ربوبيته، كما قال تعالى: ﴿ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وقال تعالى:﴿ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴾ [فاطر: ١٣]، وقال تعالى: ﴿ قُل لِّمَنِ الأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٨٤) سَيقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَذَكَّرُونَ (٨٥) قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (٨٦) سَيقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ(٨٧) قُلْ مَنْ بِيدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيءٍ وَهُوَ يجِيرُ وَلا يجَارُ عَلَيهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٨٨) سَيقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴾[المؤمنون: ٨٤ ـ ٨٩].

---

(٦) رواه مسلم كتاب الإيمان، باب/ من مات على التوحيد دخل الجنة قطعًا حديث (٤٣).

ونؤمن بأنه تعالى هو الإله الحق لا شريك له، هو الإله المستحق للعبادة وحده دون سواه، ولهذا خلق الله الثقلين كما قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإنسَ إلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وقال تعالى: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[الحج: ٦]، وقال تعالى: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾ [الحج: ٦٢]، وقال تعالى:﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾ [لقمان: ٣٠]، وقال تعالى: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران: ١٨]، وقال تعالى: ﴿ يا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (٣٩) مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِياهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف: ٣٩، ٤٠].

ونؤمن بما أثبته الله تعالى لنفسه في كتابه أو سنة رسوله من الأسماء والصفات على الوجه اللائق به ، من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل، كما قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

وقال تعالى: ﴿ وَلَهُ الْمَثَلُ الأَعْلَى فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [الروم: ٢٧]، وقال تعالى: ﴿ لَيسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١].

باب الإيمان بالملائكة:

ونؤمن بملائكة الله تعالى إجمالاً، وأنهم خلقٌ من خلقه، مجبولين مكلفين بطاعته وعبادته، كما قال تعالى: ﴿ لاَ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحريم: ٦]، وقال: ﴿ وَلَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُ لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلا يَسْتَحْسِرُونَ (١٩) يُسَبِّحُونَ اللَّيلَ وَالنَّهَارَ لا يَفْتُرُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٩، ٢٠]، وقال:﴿ لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٧].

ليسوا بالإناث ولا بينات الله كما ادَّعى المشركون . تبارك وتقدس ربنا عما يقولون .

قال تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا الْمَلائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴾ [الزخرف:١٩].

وقال: ﴿ أَمْ خَلَقْنَا الْمَلائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ (١٥٠) أَلا إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ (١٥١) وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ [الصافات: ١٥٠ ـ ١٥٢]، وقال تعالى: ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦].

ومن الأدلة على وجوب الإيمان بالملائكة، قوله تعالى: ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَينَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيكَ الْمَصِيرُ ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، وقوله تعالى: ﴿ لَيسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيينَ ﴾ [البقرة: ١٧٧]، وقوله تعالى: ﴿ يا أَيهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيدًا ﴾ [النساء:١٣٦]، وحديث جبريل الطويل وفيه: «الإيمانُ أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله...»(٧).

فجعل الرسول ﷺ الإيمان بالملائكة ركنًا من أركان الإيمان وعدم الإيمان بهم وبوجودهم كفر مخرجٌ من الملة بالإجماع كما قال تعالى: ﴿ وَمَن يكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيدًا ﴾[النساء: ١٣٦].

ولا يحصيهم إلا الله تعالى، فقد ثبت في «الصحيحين» من حديث أنس ﷺ في قصة المعراج «أن النبي عليه الصلاة والسلام رُفع له البيت المعمور في السماء يدخله يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك، إذا خرجوا لم يعودوا إليه» (٨).وقد يتمثل الملك بأمر الله على هيئة بشر، كما في قصة مريم، وحديث جبريل حين سأل النبي ﷺ عن الإسلام، والإيمان والإحسان.

أما صورته الحقيقية، فقد ذكر الله ـ تعالى ـ في القرآن أنه جعل من الملائكة رسلاً أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع، يزيد في الخلق ما يشاء إن الله على كل شيء قدير، وقد رأى النبي عليه الصلاة والسلام جبريل على صورته الحقيقية وله ستمائة جناح قد سد الأفق (٩).

---

(٧) أخرجه البخاري: كتاب الإيمان، باب/ سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان، والإسلام، والإحسان، وعلم الساعة... حديث (٥٠)، ومسلم كتاب الإيمان، باب/ بيان الإيمان والإسلام والإحسان... حديث (١) .

(٨) البخاري: كتاب بدء الخلق، باب/ ذكر الملائكة حديث (٣٢٠٧)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب/ الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات وفرض الصلوات ح(٢٦٤).

(٩) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق (٨٣/٤) باب/ إذا قال أحدكم والملائكة في السماء...، وكتاب التفسير (٥٠/٦) باب/ ﴿ فكان قاب قوسين أو أدنى ﴾ ، ومسلم في كتاب الإيمان (١٥٨/١)، باب/ في ذكر سدرة المنتهى.

وظائف الملائكة:

أولاً: تثبيت المؤمنين كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ [فصلت:٣٠]، وقال تعالى: ﴿ إِذْ يوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾ [الأنفال: ١٢]، وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٢٣) إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يكْفِيكُمْ أَن يمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلاثَةِ آلافٍ مِّنَ الْمَلائِكَةِ مُنزَلِينَ (١٢٤) بَلَى إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلافٍ مِّنَ الْمَلائِكَةِ مُسَوِّمِينَ (١٢٥) وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلاَّ بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾ [آل عمران: ١٢٣ ـ ١٢٦].

ثانيا: قبض الأرواح والنفخ في الصور قال تعالى: ﴿ قُلْ يتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾ [السجدة: ١١].

وقال تعالى: ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيرْسِلُ عَلَيكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لا يفَرِّطُونَ ﴾ [الأنعام: ٦١]، وقال تعالى: ﴿ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يوْمَئِذٍ يمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ﴾ [الكهف: ٩٩]، وقال تعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ ينسِلُونَ ﴾ [يس: ٥١].

وقال تعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيامٌ ينظُرُونَ ﴾[الزمر:٦٨].

ثالثًا: تسجيل الأعمال وحفظها، كما قال تعالى: ﴿ مَا يلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [ق:١٨]، وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّ عَلَيكُمْ لَحَافِظِينَ (١٠) كِرَامًا كَاتِبِينَ (١١) يعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الانفطار: ١٠ ـ ١٢].

رابعًا: خزنة جهنم، كما قال تعالى: ﴿ يا أَيهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدادٌ لاَّ يعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيفْعَلُونَ مَا يؤْمَرُونَ ﴾ [التحريم: ٦]، وقال: ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ (٢٧) لا تُبْقِي وَلا تَذَرُ (٢٨) لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ (٢٩) عَلَيهَا تِسْعَةَ عَشَرَ (٣٠) وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلاَّ مَلائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا لِيسْتَيقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلا يرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلاً كَذَلِكَ يضِلُّ اللَّهُ مَن

يشَاءُ وَيهْدِي مَن يشَاءُ وَمَا يعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إلاَّ هُوَ وَمَا هِي إلاَّ ذِكْرَى لِلْبَشَرِ ﴾ [المدثر: ٢٧ ـ ٣١].

خامسًا: الترحيب بالمؤمنين كما قال تعالى: ﴿ وَسِيقَ الَّذينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلامٌ عَلَيكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾ [الزمر: ٧٣]. وقال تعالى: ﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ يدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّياتِهِمْ وَالْمَلائِكَةُ يدْخُلُونَ عَلَيهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴾ [الرعد: ٢٣]، وليست هذه الأعمال المذكورة هي كل الأعمال التي يقوم به الملائكة، وإنما على سبيل التمثيل، وإلا فأعمالهم كثيرة جدًّا.

باب الإيمان بالكتب:

ونؤمن بكتب الله تعالى التي أنزلها على رُسله إجمالاً، ونؤمن بما سماه منها على التفصيل،كالتوراة والإنجيل والزبور والقرآن، وهي كلامه أوحى به إلى رسله، ليبلِّغوه حُجةً لله على خلقه.

وأن الإيمان بها ركن من أركان الإيمان، قال تعالى: ﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَينَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِي مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِي النَّبِيونَ مِن رَّبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَينَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٦] .

والإيمان بها صفة من صفات المؤمنين، كما قال تعالى: ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَينَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيكَ الْمَصِيرُ ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وقال تعالى: ﴿ الم (١) ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (٢) الَّذِينَ يؤْمِنُونَ بِالْغَيبِ وَيقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ ينفِقُونَ (٣) وَالَّذِينَ يؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يوقِنُونَ ﴾ [البقرة: ١ ـ ٤].

وحكم تعالى بالكفر على من لم يؤمن بها فقال تعالى: ﴿ يا أَيهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيدًا ﴾ [النساء: ١٣٦].

وقال تعالى: ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَى بَينَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً أُوْلَئِكَ يؤْمِنُونَ بِهِ وَمَن يكْفُرْ بِهِ مِنَ الأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلا تَكُ فِي مِرْيةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يؤْمِنُونَ ﴾ [هود: ١٧].

وقال تعالى: ﴿ الَّذِينَ آتَينَاهُمُ الْكِتَابَ يتْلُونَهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ أُوْلَئِكَ يؤْمِنُونَ بِهِ وَمَن يكْفُرْ بِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ [البقرة: ١٢١].

ونؤمن بأن الله تعالى حفظ كتابه الذي أنزله على نبيه مُحَمّد من التبديل والتغيير، فقال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾[الحجر: ٩]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ (٤١) لا يأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يدَيهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت:٤١،٤٢]، وهو الذي بين دفتي المصحف، يبدأ بالفاتحة وينتهي بسورة الناس.

وهو والسنة المطهرة مصدرا التشريع لهذه الأمة المحمدية، لا يسع لأحد الخروج عنه؛ لأن فيه خيري الدنيا والآخرة، كما قال تعالى:﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيكَ الْكِتَابَ تِبْيانًا لِّكُلِّ شَيءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل:٨٩].

ونؤمن بأنه مُنزل من الله تعالى وليس بمخلوق، قال تعالى: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان:١]، وقال تعالى: ﴿ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأعراف: ٥٤]. ولا يساويه شيء من كلام المخلوقين، أنزله على رسوله بلفظه ومعناه، وتكلم به الله عز وجل على الحقيقة بصوت مسموع على ما يليق بجلاله وعظمته، قال تعالى: ﴿ لَيسَ كَمِثْلِهِ شَيءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى:١١]، كما قال ربنا في كتابه: ﴿ وَنَادَينَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الأَيمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيا ﴾ [مريم: ٥٢]. وعن عبدالله بن أنيس قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «يحشر الله العباد فيناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب: أنا الملك، أنا الديان»(١٠)، وهو صفةٌ من صفاته فمن قال غير ذلك فقد كفر.

باب الإيمان بالرسل والأنبياء:

ونؤمن بأنبياء الله ورسله أجمعين الذين أخبر الله تعالى عنهم في كتابه، أو أخبر رسوله ﷺ عنهم في سنته، لا نفرق بين أحد من رسله، اصطفاهم الله تعالى على خلقه، وخصّهم برسالاته، وجعلهم واسطة بينه وبين خلقه، لتبليغ وحيه، وإيصال كلامه وشرعه.

ونؤمن بأنهم بلغوا الرسالة، وأدوا الأمانة، ونصحوا لأممهم، ولم يكتموا شيئًا حملوه، ومن كفر بنبي من الأنبياء فقد كفر بسائر الأنبياء، قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيرِيدُونَ أَن يفَرِّقُوا بَينَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيرِيدُونَ أَن يتَّخِذُوا بَينَ ذَلِكَ سَبِيلاً (١٥٠) أُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا (١٥١) وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يفَرِّقُوا بَينَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُوْلَئِكَ سَوْفَ يؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء: ١٥٠ ـ ١٥٢].

---

(١٠) أخرجه البخاري معلقًا: كتاب التوحيد، باب/ قول الله تعالى: ﴿ ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له ﴾ برقم (٣٢) (٤١٩/١٥) .

ونؤمن بأنهم يدعون لأصل واحد وهو التوحيد، فالإسلام دين جميع الأنبياء، والرسل، وإن اختلفت شرائعهم، كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل:٣٦]، وقال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء:٢٥].

ونؤمن بأن آخرهم مُحَمَّد خير البشر، وسيد ولد آدم، فضله الله تعالى على جميع رسله وأنبيائه، وخصه بما لم يخص به أحدًا غيره، وجعل أمته خير أمة أُخرجت للناس، وأن رسالته عامة للثقلين الإنس والجن، وأنها باقية إلى يوم القيامة، وشريعته هي الشريعة المهيمنة على سائر الشرائع، قال تعالى: ﴿ قُلْ يا أَيهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُو يحْيي وَيمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِي الأُمِّي الَّذِي يؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وقال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يعْلَمُونَ ﴾ [سبأ:٢٨].

* * *

باب الإيمان باليوم الآخر:

ونؤمن بأنه لا تصح عقيدة العبد إلا بالإيمان باليوم الآخر، قال تعالى: ﴿ لَيسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيينَ ﴾ [البقرة: ١٧٧]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيهِمْ وَلا هُمْ يحْزَنُونَ ﴾ [البقرة: ٦٢].

وحديثُ جبريل الطويل وفيه:«الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر...»(١١).

باب الإيمان بخروج المهدي:

ونؤمن بخروج المهدي بعدما يعم الفساد والظلم والطغيان الأرض، فيأتي يملؤها عدلاً وقسطًا كما ملئت جورًا وظلمًا.

---

(١١) سبق تخريجه.

باب الإيمان بخروج الدجال:

ونؤمن بخروج الدجال آخر الزمان يدعو إلى الربوبية، رجل أعور، جعد الشعر، وعينه طافية قد ذهب نورها، كما أخبرنا بصفاته رسولنا ﷺ عن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال:قال النبي ﷺ: «ما بعث نبي إلا أنذر أمته الأعور الكذاب: ألا إنه أعور، وإن ربكم ليس بأعور، وإن بين عينيه مكتوب كافر»(١٢).

باب الإيمان بنزول عيسى عليه السلام :

ونؤمن بنزول عيسى عليه السلام على المنارة البيضاء شرقي دمشق، فيقتل الدجال، ويحكم بالإسلام، ويكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية.

فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل ابن مريم حكمًا مقسطًا، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد»(١٣).

باب الإيمان بخروج يأجوج ومأجوج :

ونؤمن بيأجوج ومأجوج، كما قال تعالى: ﴿ قَالُوا يا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴾ [الكهف: ٩٤]، وقال تعالى: ﴿ حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ ينسِلُونَ ﴾ [الأنبياء: ٩٦].

وعن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «يقول الله تعالى: يا آدم! فيقول: لبيك وسعديك والخير في يديك، فيقول: أخرج بعث النار. قال: وما بعث النار؟، قال: من كل ألف تسعمائة وتسعةٌ وتسعون، فعنده يشيب الصغير، وتضع كل ذات حمل حملها، وترى الناس سكارى، وما هم بسكارى، ولكن عذاب الله شديد».

قالوا: يا رسول الله وأينا ذلك الواحد قال: «أبشروا فإن منكم رجل، ومن يأجوج ومأجوج ألف»(١٤).

---

(١٢) أخرجه البخاري (١٩/١٣، ٣٨٩)، ومسلم رقم (٢٩٣٣)، وأخرجه مسلم أيضًا من طريق أخرى عن قتادة.

(١٣) أخرجه البخاري في البيوع (٤١٤/٤) رقم(٢٢٢٢)، وفي المظالم (١٢١/٥) رقم(٢٤٧٦)، وفي الأنبياء (٤٩٠/٦، ٤٩١) رقم (٣٤٤٨)، ومسلم في الإيمان (١٣٥/١) رقم(١٥٥).

(١٤) أخرجه البخاري (٣٨٢/٦، ٤٤١/٨، ٣٨٨/١١، ٤٥٣/١٣)، ومسلم رقم (٢٢٢).

باب الإيمان بخروج الدابة :

ونؤمن بخروج دابة يراها كل أهل جهة في جهتهم، وتكتب بين عيني المؤمن مؤمنًا، وبين عيني الكافر كافرًا، تنذر الناس بقرب العذاب والهلاك، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لا يوقِنُونَ ﴾ [النمل: ٨٢].

باب الإيمان بطلوع الشمس من مغربها :

ونؤمن بطلوع الشمس من مغربها علامة من علامات الساعة الكبرى، فعندها لا ينفع الندم، ولا تُقبل التوبة، قال تعالى: ﴿ هَلْ ينظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يأْتِي رَبُّكَ أَوْ يأْتِي بَعْضُ آياتِ رَبِّكَ يوْمَ يأْتِي بَعْضُ آياتِ رَبِّكَ لا ينفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيرًا قُلِ انتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥٨].

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا رآها الناس آمن من عليها، فذاك حين لا ينفع نفسًا إيمانها، لم تكن آمنت من قبل»(١٥).

باب الإيمان بفتنة القبر وعذابه ونعيمه :

ونؤمن بفتنة القبر، وهي سؤال الميت في قبره عن ربه ودينه ونبيه، كما جاءت به الأخبار متواترة عن رسول الله ﷺ فالمؤمن يثبته الله تعالى في قبره، وأما الكافر والمنافق فإنه يفزع ويحارُ في جواب الملكين، قال تعالى: ﴿ يثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَفِي الآخِرَةِ وَيضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيفْعَلُ اللَّهُ مَا يشَاءُ ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

وقال رسول الله ﷺ: «المسلم إذا سئل في القبر شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، فذلك قوله: ﴿ يثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَفِي الآخِرَةِ وَيضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيفْعَلُ اللَّهُ مَا يشَاءُ ﴾ »(١٦).

---

(١٥) أخرجه البخاري: كتاب الرقاق رقم(٦٥٠٦) (١٥٦/١٣)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب/ بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان رقم (٢٤٨).

(١٦) أخرجه البخاري: كتاب تفسير القرآن، باب/ ﴿ يثبت الله الذين آمنوا... ﴾ من حديث البراء بن عازب ح (٤٦٩٩).

وعن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ عن رسول الله ﷺ قال: «إن العبد إذا وضع في قبره، وتولى عنه أصحابه، وإنه ليسمع قرع نعالهم، أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل مُحَمَّد ﷺ؟. فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه مُحَمَّد عبدالله ورسوله. فيقال له: انظر إلى مقعدك من النار، قد أبدلك الله به مقعدًا من الجنة» قال النبي ﷺ: «فيراهما جميعًا»(١٧).

ونؤمن بعذاب القبر لمن كان له أهلاً، وبنعيمه للمؤمنين، وقد اتفق أهل السنة والجماعة على إثبات عذاب القبر ونعيمه، قال تعالى: ﴿ النَّارُ يعْرَضُونَ عَلَيهَا غُدُوًّا وَعَشِيا وَيوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾ [غافر: ٤٦]، وقال تعالى: ﴿ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَينِ ثُمَّ يرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴾ [التوبة:١٠١] وقد فسر ابن عباس والحسن وقتادة العذاب الثاني بعذاب القبر(١٨)، وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن يهودية دخلت عليها، فذكرت عذاب القبر، فقالت لها: أعاذك الله من عذاب القبر.

فسألت عائشة رسول الله ﷺ عن عذاب القبر فقال: «عذاب القبر حق».

قالت عائشة: فما رأيت رسول الله ﷺ بعد صلى صلاة إلا تعوذ من عذاب القبر(١٩).

وعن ابن عباس قال: مر النبي ﷺ بقبرين فقال: «إنهما ليعذبان، وما يعذبان في كبير أما أحدهما فكان لا يستتر من البول، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة»(٢٠).

وعن أبي هريرة قال: كان رسول الله ﷺ يدعو: «اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر، ومن عذاب النار، ومن فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجال»(٢١).

---

(١٧) رواه البخاري كتاب الجنائز، باب/ الميت يسمع خفق النعال، حديث رقم (١٣٧٤)، ومسلم: كتاب الجنة/ باب: عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه، حديث (٧٠).

(١٨) تفسير ابن كثير (١٧٠٢.١٧٠١/٤) بتحقيق البنا، «أحكام القرآن» للقرطبي (١٥٣/٨) بتحقيق سالم البدري، «تفسير الطبري» (٤٥٨/٦)، «فتح القدير» (٤٥٧/٢)، «الدر المنثور» (٤٨٧/٣).

(١٩) هذا الحديث له ثلاث طرق عن عائشة:

الأولى: من طريق أشعث، عن أبيه، عن مسروق عن عائشة ـ أخرجه البخاري في الجنائز، ح(١٣٧٢) (٢٣٢/٣)، ومسلم في المساجد ح(٥٨٦) (٤١١/١).

الثانية: من طريق أبي وائل، عن مسروق، عن عائشة، رواه البخاري في كتاب الدعوات ح(٦٣٦٦) (١٧٤/١١)، ومسلم ح(٥٨٦) (٤١١/١).

الثالثة: من طريق يحيى بن سعيد، عن عمرة، عن عائشة، رواه البخاري في الكسوف ح(١٠٤٩) (٥٣٨/٢) مختصرًا ـ، ومسلم في الكسوف

(٢٠) أخرجه البخاري كتاب الأدب، باب/ الغيبة (٨٨/١٢ ـ فتح) ح(٦٠٥٢).

(٢١) أخرجه البخاري: كتاب الجنائز، باب/ التعوذ من عذاب القبر (٦١٠/٣) مع الفتح ح(١٣٧٧).

ونؤمن بأن الشهيد يأمن من فتنة القبر كما قال رسول الله عندما سأله رجل فقال: يا رسول الله، ما بال المؤمنين يفتنون في قبورهم إلا الشهيد؟ قال: «كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة»(٢٢).

باب الإيمان بالنفخ في الصور:

ونؤمن بأن إسرافيل عليه السلام مُلتقم القرن، منتظر الأمر بالنفخ، كما في حديث أبي سعيد الخدري عند الترمذي قال: قال رسول الله ﷺ: «كيف أنعم وقد التقم صاحب القرنِ القرنَ، وحنى جبهته، وأصغى سمعه، ينتظر أن يؤمر أن ينفخ فينفخ»(٢٣)، وقال تعالى:﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيامٌ ينظُرُونَ ﴾ [الزمر:٦٨] وقال تعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ ينسِلُونَ ﴾ [يس: ٥١].

ونؤمن بأن النفخ نفختان، كما دل على ذلك الحديث الصحيح عند البخاري عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ. قال: قال رسول الله ﷺ:«ما بين النفختين أربعون، قال: أربعون يومًا؟ قال: أبيت، قال: أربعون شهرًا؟ قال: أبيت، قال: أربعون سنة؟ قال: أبيت.

قال: ثم ينزل الله من السماء ماء. فينبتون كما ينبت البقل ليس من الإنسان شيء إلا يبلى، إلا عظمًا واحدًا وهو عجب الذنب، ومنه يركب الخلق يوم القيامة»(٢٤).

باب الإيمان بالبعث والحشر :

ونؤمن بالبعث والحشر، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ (٤٩) لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴾ [الواقعة: ٤٩ ، ٥٠]، وقال تعالى: ﴿ هَذَا يوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالأَوَّلِينَ ﴾ [المرسلات: ٣٨]، وقال تعالى: ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يسِيرٌ ﴾ [التغابن: ٧].

---

(٢٢) رواه النسائي (٢٨٩/١)، وقال الألباني: سنده صحيح كما في كتاب أحكام الجنائز (ص:٥٠).

(٢٣) أخرجه الترمذي (٣١٦/٧٠/١)، وقال: حديث حسن، وابن ماجه (٤٢٧٣)، وأحمد (٧/٣، ٧٣)، وأبو نعيم في «الحلية» (١٠٥/٥) (١٣٠/٧، ٣١٢)، وابن المبارك في «الزهد» (١٥٩٧)، وقد حسنه الألباني في «الصحيحة» (٦٦/٣) ح(١٠٧٩).

(٢٤) أخرجه البخاري في كتاب تفسير القرآن، باب/ ﴿ يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجًا ﴾ ح(٤٩٣٥)، ومسلم: كتاب الفتن، باب/ ما بين النفختين ح(٢٩٥٥). ح(٩٠٣) (٦٢١/٢).

ونؤمن بأن الله عز وجل يحشر الناس على أرض بيضاء، لم يسفك فيها دم، ولم يظلم عليها أحد، وذلك كما جاء في الحديث الصحيح عن سهل بن سعد قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرص نقي»(٢٥)، ويحشرون حفاة عراة غرلاً بُهمًا كما قال تعالى: ﴿ يوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَي السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَينَا إنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ (٢٦) [الأنبياء: ١٠٤].

باب الإيمان بالحساب:

ونؤمن بإطلاع الله ـ تعالى ـ عباده على أعمالهم في الحياة الدنيا ويقررهم بذلك، وذلك بين العبد وربه، كما جاء في البخاري من حديث عدي بن حاتم قال: قال النبي ﷺ: «ما منكم من أحد إلا وسيكلمه الله يوم القيامة، ليس بين الله وبينه ترجمان، ثم ينظر فلا يرى شيئًا قدامه، ثم ينظر بين يديه فتستقبله النار، فمن استطاع منكم أن يتقي النار ولو بشق تمرة»(٢٧)، وقال تعالى: ﴿ فَلَنَسْئَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إلَيهِمْ وَلَنَسْئَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [الأعراف: ٦].

باب الإيمان بالميزان:

ونؤمن بالميزان وهو ما يضعه الله تعالى يوم القيامة لوزن أعمال العباد، قال تعالى:
﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيوْمِ الْقِيامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيئًا وَإن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَينَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ [الأنبياء: ٤٧].
وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال النبي ﷺ: «كلمتان حبيبتان إلى الرحمن، خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم»(٢٨).

---

(٢٥) أخرجه البخاري: كتاب الرقاق، باب/ يقبض الله الأرض يوم القيامة برقم (٦٥٢١).

(٢٦) أخرجه البخاري: كتاب الأنبياء، باب/ قول الله تعالى: ﴿ واتخذ الله إبراهيم خليلاً ﴾ حديث رقم (٣٣٩٤)، ومسلم: كتاب الجنة، باب/ فناء الدنيا، وبيان الحشر يوم القيامة حديث رقم (٨٥).

(٢٧) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب/ كلام الرب يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم (٤٧٤/١٣) ح(٧٥٢١)، ومسلم: الزكاة، باب/ الحث على الصدقة ولو بشق تمرة، أو كلمة طيبة، وأنها حجاب من النار، (٧٠٣/٢) ح(٦٧)، وهو عند أهل السنن.

(٢٨) أخرجه البخاري: كتاب الأيمان والنذور، باب/ إذا قال: والله لا أتكلم اليوم فصلى أو قرأ أو سبح (٥٦٦/١١) ح(٦٦٨٢)، ومسلم: كتاب الذكر، باب/ فضل التهليل والتسبيح والدعاء (٢٠٧٢/٤) ح(٣١).

باب الإيمان بالصراط :

ونؤمن بالصراط المنصوب على متن جهنم، وهو الجسر الممدود على ظهر جهنم ليعبر الناس عليه إلى الجنة.

ونؤمن بأن الناس كلهم سوف يمرون عليه، قال تعالى: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيا ﴾ [مريم: ٧١]، ويكون المرور على حسب إيمان العبد وأعماله، «فمنهم من يمر كلمح البصر، ومنهم من يمر كالبرق، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر كالفرس الجواد، ومنهم من يمر كالركاب الإبل، ومنهم من يعدو عدوًا، ومنهم من يمشي مشيا، ومنهم من يزحف زحفًا، ومنهم من يخطف خطفًا ويلقى في جهنم»(٢٩)، «وهو أحد من السيف، وأدقُّ من الشعرة»(٣٠) وعلى جنباته كلاليب مثل شوك السعدان مأمورة بأخذ من أمرت به، فعن أبي سعيد الخدري أن رسول الله سئل عن الصراط فقال: «مدحضة مزلةٌ، عليه خطاطيف وكلاليب وحسكة مفلطحة، لها شوكة عقيفاء تكون بنجد يقال لها: السعدان»(٣١).

فإذا عبروا عليه، وقفوا عند قنطرة بين الجنة والنار، فيقتص من بعضهم لبعض، فإذا هذبوا ونقوا، أذن لهم في دخول الجنة(٣٢).

باب الإيمان بالحوض :

ونؤمن بحوض نبينا مُحَمَّد عليه الصلاة والسلام، ترده أمته قبل دخول الجنة، قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾ [الكوثر: ١]، وعن سهل بن سعد عن النبي ﷺ قال:«إني فرطكم على الحوض»(٣٣).

---

(٢٩) أخرج الحديث في ذلك البخاري برقم (٧٤٣٩) في التوحيد، باب/ قول الله تعالى: ﴿ وجوه يومئذ ناضرة ﴾ ، ومسلم برقم (١٨٣) في الإيمان، باب/ معرفة طريق الرؤية عن أبي سعيد الخدري ﷺ.

(٣٠) أخرجه أحمد في «المسند» (١١٠/٦) لكن في سنده ابن لهيعة، وذكره أيضًا مسلم في «صحيحه» عن أبي سعيد الخدري برقم (١٨٣) في الأيمان، والحديث له حكم الرفع.

(٣١) أخرجه البخاري كتاب التوحيد، باب/ قول الله: ﴿ وجوه يومئذ ناضرة، إلى ربها ناظرة ﴾ حديث رقم (٧٤٣٩) (٣٨٢.٣٨١/٥١).

(٣٢) أخرج الحديث في ذلك البخاري برقم (٦٥٣٥) في الرقاق باب/ القصاص يوم القيامة عن أبي سعيد الخدري ﷺ.

(٣٣) أخرجه البخاري: كتاب الرقاق، باب/ صفة الحوض رقم (٦٥٨٣)، ومسلم: كتاب الفضائل باب/ إثبات الحوض (٢٢٩٠).

ونؤمن بأن ماءه أشد بياضًا من اللبن، وأحلى من العسل، وأن فيه من الأباريق كعدد نجوم السماء، وطوله مسيرة شهر، وعرضه مسيرة شهر، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدًا(٣٤)، حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف، وهو موجود الآن، لقول الرسول:«وإني والله أنظر إلى حوضي الآن».

ونؤمن بأن أصنافًا من أمته ﷺ يمنعون من ورود الحوض، فيقول ﷺ مدافعًا عنهم: «أمتي»، فيقال له: إنك لا تدري ما عملوا بعدك، فإنهم ما زالوا يرجعون على أعقابهم، فلقد مشوا القهقرى، فيقول ﷺ: «سحقًا سحقًا لمن بدل بعدي»(٣٥).

باب الإيمان بالشفاعة :

ونؤمن بالشفاعة يوم القيامة، ولا تكون إلا لمن أذن له الله عز وجل وارتضاه شفيعًا، كما قال تعالى: ﴿ مَن ذَا الَّذِي يشْفَعُ عِندَهُ إلاَّ بِإذْنِهِ ﴾[البقرة: ٢٥٥]، وقال تعالى: ﴿ يوْمَئِذٍ لاَّ تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِي لَهُ قَوْلاً ﴾ [طه: ١٠٩]، وقال تعالى: ﴿ يوْمَ يقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلائِكَةُ صَفًّا لاَّ يتَكَلَّمُونَ إلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴾ [النبأ: ٣٨].

ونؤمن بأن لرسولنا محمد ﷺ يوم القيامة شفاعة خاصة، وهي المقام المحمود الذي وعده الله تعالى لنبيه، كما قال تعالى:﴿ عَسَى أَن يبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ [الإسراء: ٧٩]، وهي في أهل الموقف كي يقضي الله تعالى بينهم بعد أن يتراجع الأنبياء: آدم، ونوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى عليهم السلام عن الشفاعة حتى تنتهي إلى نبينا ﷺ، فيشفع الرسول فيهم إلى الله، فيأتي الله سبحانه وتعالى للقضاء بين عباده.

ونؤمن بالشفاعة العامة للنبي ﷺ ولغيره من الأنبياء والمرسلين والملائكة والمؤمنين لمن دخل النار من المؤمنين، كما في حديث أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ وفيه:«فيشفع النبيون والملائكة والمؤمنون فيقول الجبار: بقيت شفاعتي»(٣٦).

ونؤمن بشفاعة النبي للموحدين من أمته كما في حديث أبي هريرة أنه قال: قيل يا رسول الله! من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة ؟

---

(٣٤) ورد ما ذكره المصنف رحمه الله في صفة الحوض عدة أحاديث، انظر: البخاري رقم (٦٥٧٩، ٦٥٨٠، ٦٥٨٣) في الرقاق، باب/ في الحوض، وأيضًا أخرجه مسلم برقم (٢٢٩٢، ٢٣٠٠) في الفضائل، باب/ إثبات الحوض.

(٣٥) الحديث أخرجه البخاري برقم (٦٥٧٩، ٦٥٨٠، ٦٥٨٤، ٦٥٨٥، ٦٥٨٦، ٦٥٨٧، ٦٥٩٣) في الرقاق، ومسلم برقم (٢٢٩٣، ٢٢٩٤، ٢٢٩٥) في الفضائل.

(٣٦) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان (١/١٦٧) (١٨٣).

قال رسول الله ﷺ: «لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك، لما رأيت من حرصك على الحديث، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله، خالصًا من قلبه أو نفسه»(٣٧).

ونؤمن بشفاعة المؤمنين لإخوانهم المؤمنين يوم القيامة، كما في حديث أبي سعيد الخدري الطويل وفيه: «وإذا رأوا أنهم قد نجوا في إخوانهم يقولون: ربنا إخواننا كانوا يصلون معنا، ويصومون معنا ويعملون معنا، فيقول الله تعالى: اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من إيمان فأخرجوه،ويحرم الله صورهم على النار، فيأتونهم وبعضهم قد غاب في النار إلى قدمه وإلى أنصاف ساقيه، فيخرجون من عرفوا، ثم يعودون فيقول: اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار فأخرجوه، فيخرجون من عرفوا، ثم يعودون فيقول: اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من إيمان فأخرجوه فيخرجون من عرفوا»(٣٨).

باب الإيمان بالجنة :

ونؤمن بوجود الجنة ونعيمها، وقد هيئت وأعدت لعباده الصالحين، قال تعالى: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

ولقد أخبر عنها رسوله الكريم في الحديث الصحيح: عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إني رأيت الجنة ـ أو أريت الجنة ـ فتناولت منها عنقودًا، ولو أخذته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا»(٣٩).

ونؤمن بأن نعيم الجنة لن يزول ويفنى، ولا يموت سكانها، ولا يهرم شبابها، نعيمها دائم، فيها ما لا عين رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشر، قال تعالى: ﴿ فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِي لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يعْمَلُونَ ﴾ [السجدة: ١٧]، وقال تعالى: ﴿ جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴾ [البينة: ٨].

---

(٣٧) أخرجه البخاري: كتاب العلم، باب/ الحرص على الحديث (١/١٩٣) ح(٩٩).

(٣٨) تقدمه صفحة (٣٢) تعليق رقم (١).

(٣٩) أخرجه البخاري: كتاب الكسوف (٢/٥٤٠) (١٠٥٢)، ومسلم: الكسوف (٢/٦٢٦) (٩٠٧).

باب: الإيمان بالنار:

ونؤمن بوجود النار وأنها حق، أعدها الله ـ تعالى ـ لعقاب الكافرين والمنافقين، قال تعالى: ﴿ وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣١]، وأنها خالدة أبدية، قال تعالى: ﴿ إِلاَّ طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يسِيرًا ﴾ [النساء: ١٦٩]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا (٦٤) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لاَّ يَجِدُونَ وَلِيا وَلا نَصِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٦٤، ٦٥]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُوْلَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيةِ ﴾ [البينة: ٦].

ويدخلها عصاة الموحدين، ولا يخلدون فيها، بل يعذبون بقدر ذنوبهم ثم مصيرهم إلى الجنة.

* * *

باب الإيمان بالقدر:

ونؤمن بالقدر خيره وشره، حلوه ومره، وأن كل ما يقع من الخير والشر فهو قضاء الله وقدره، وأن كل ما يجري في الآفاق والأنفس فهو مقدر من الله تعالى، ومكتوب قبل خلق الخليقة كما قال تعالى: ﴿ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يسِيرٌ (٢٢) لِكَيلا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لا يحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ [الحديد:٢٢، ٢٣].

وروى مسلم في «صحيحه» عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ:

«كل شيء بقدر حتى العجز والكيس، أو الكيس والعجز»(٤٠).

وروى البخاري في «صحيحه» عن عبدالله بن محيريز الجمحي أن أبا سعيد الخدري أخبره أنه: بينما هو جالس عند النبي ﷺ جاء رجل من الأنصار فقال: يا رسول الله! إنا نصيب سبيا ونحبُّ المال، كيف ترى في العزل؟ فقال رسول الله ﷺ: «أو إنكم تفعلون ذلك، لا عليكم أن لا تفعلوا، فإنه ليست نسمة كتب الله أن تخرج إلا هي كائنة»(٤١).

وروى البخاري في «صحيحه» عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «لا يأتي ابن آدم النذر بشيء لم أكن قد قدرته، ولكن يلقيه النذر إلى القدر وقد قدرته له، أستخرج به من البخيل»(٤٢).

---

(٤٠) أخرجه مسلم: كتاب القدر، باب/ كل شيء بقدر (٢٠٤٥) حديث: (١٨).

(٤١) انظر: كتاب البيوع، باب/ بيع الرقيق ح(٢٢٢٩) (١٧٢.١٧١/٥) وأيضًا ورد الحديث بألفاظ مختلفة في نفس الصحيح برقم (٢٥٤٢)، (٤١٣٨)، (٦٦٠٣)، (٧٤٠٩).

(٤٢) انظر: ح(٦٦٠٩)، (٣٣٩/١٣) كتاب القدر، باب/ إلقاء العبد النذر إلى القدر.

فلا يخرج شيء عن إرادته وسلطانه، ولا يصدر شيء إلا بتقديره وعلمه.

ونؤمن بأن الإيمان بالقدر على أربع مراتب:

فالإيمان بعلم الله تعالى أولاها: كما قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾[الحج: ٧٠]، وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَلا أَصْغَرُ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْبَرُ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ [سبأ: ٣]، وعند البخاري من حديث علي ـ ﷺ ـ قال: كنا في جنازة في بقيع الغرقد، فأتانا رسول الله ﷺ فقعد، وقعدنا حوله، ومعه مخصرة، فنكس فجعل ينكت بمخصرته، ثم قال: «ما منكم من أحد، ما من نفس منفوسة إلا كتب مكانها من الجنة والنار، وإلا قد كتبت شقية أو سعيدة». فقال رجل: يا رسول الله! أفلا نتكل على كتابنا، وندع العمل فمن كان منا من أهل السعادة فسيصير إلى أهل السعادة، وأما من كان منا من أهل الشقاء فسيصير إلى عمل أهل الشقاوة؟ قال: «أما أهل السعادة فييسرون لعمل السعادة، وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل الشقاوة»، ثم قرأ: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى(٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴾ [الليل: ٥، ٦](٤٣).

وثاني المراتب: الإيمان بأن الله ـ تعالى ـ كتب في اللوح المحفوظ مقادير كل شيء، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ [الأنعام: ٣٨]، وقال تعالى: ﴿ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾[الأنعام: ٥٩].

وثالث المراتب: الإيمان بمشيئة الله النافذة، فلا يجري في ملكه إلا ما أراد، قال تعالى: ﴿ فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

والمرتبة الرابعة: الإيمان بأنه تعالى هو الخالق لكل شيء، قال تعالى: ﴿ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴾ [الفرقان: ٢]، وقال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات: ٩٦].

---

(٤٣) انظر: البخاري مع الفتح (٣/٥٩١) ح(١٣٦٢) كتاب الجنائز، باب/ موعظة المحدِّث عند القبر، وأخرجه أيضًا في مواضع متعددة بألفاظ مختلفة (٤٩٤٥)، (٤٩٤٦)، (٤٩٤٧)، (٤٩٤٨)، (٦٢١٧)، (٦٦٠٥)، (٧٥٥٢).

باب الإيمان برؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة :

ونؤمن برؤية ربنا في الآخرة، وهي أفضل وألذ نعيم يناله الموحدون، قال تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣]، وقال تعالى: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلا ذِلَّةٌ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [يونس: ٢٦]، وقال تعالى: ﴿ كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ [المطففين: ١٥]، وفي الحديث الصحيح عن أبي هريرة قال: قال أناس: يا رسول الله! هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال: «هل تضارون في الشمس، ليس دونها سحاب؟». قالوا: لا يا رسول الله! قال: «هل تضارون في القمر ليلة البدر، ليس دونه سحاب؟». قالوا: لا يا رسول الله! قال:«فإنكم ترونه يوم القيامة كذلك، يجمع الله الناس، فيقول: من كان يعبد شيئًا فليتبعه، فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس، ويتبع من كان يعبد القمر القمر، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها، فيأتيهم الله في غير الصورة التي يعرفون فيقول: أنا ربكم، فيقولون: نعوذ بالله منك، هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فإذا أتانا ربنا عرفناه فيأتيهم الله في الصورة التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا، فيتبعونه ويضرب جسر جهنم»(٤٤).

وفي حديث عبدالله بن قيس عن رسول الله ﷺ قال: «جنتان من فضة، آنيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن»(٤٥).

قال ابن القيم في نونيته:

ويرونه سبحانه من فوقهم ــــــــــــــــــ نظر العيان كما يرى القمران

هذا تواتر عن رسول الله لم ــــــــــــــــــ ينكره إلا فاسد الإيمان

وأتى به القرآن تصريحًا ــــــــــــــــــ وتعريضًا هما بسياقه نوعان

وهي الزيادة قد أتت في يونس ــــــــــــــــــ تفسير من قد جاء بالقرآن

ورواه عنه مسلم بصحيحه ــــــــــــــــــ يروي صهيب ذا بلا كتمان

وهو المزيد كذاك فسره ــــــــــــــــــ أبو بكر هو الصديق ذو الإيقان

وعليه أصحاب الرسول وتابعو ــــــــــــــــــ هم بعدهم تبعية الإحسان

---

(٤٤) أخرجه البخاري في الرقاق، باب/ الصراط جسر جهنم (٢٧١/١٣) (٦٥٧٣)، ومسلم.

(٤٥) الحديث أخرجه البخاري (٦٢٣/٨، ٦٢٤) (٤٢٣/١٣) ومسلم حديث رقم (١٨٠).

ولقد أتى ذكر اللقاء لربناً ـــــــــــــــ الرحمن في سور من الفرقان
ولقاؤه إذ ذاك رؤيته حكى ـــــــــــــــ الإجماع فيه جماعة ببيان
وعليه أصحاب الحديث جميعهم ـــــــــــــــ لغة وعرفًا ليس يختلفان(٤٦)

وروى أحاديث الرؤية جماعة من الصحابة منهم: أبو بكر الصديق، وعبدالله بن قيس، وأبو هريرة، وأبو سعيد الخدري، وجرير بن عبدالله البجلي، وصُهيب بن سنان الرومي، وعبدالله بن مسعود، وعدي بن حاتم، وأنس بن مالك، وأبو موسى الأشعري.

باب الإيمان بالحكم بما أنزل الله :

ونؤمن بوجوب تحكيم كتاب الله ـ تعالى ـ في كل أمور الدين والدنيا، تعبدًا لله وامتثالاً لأمره، ونخضع لحكمه، ونرضى بشرعه، فهو مظهرٌ من مظاهر التوحيد، وخير للأمة أجمعين، قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ [النساء: ٥٨].
وقال تعالى: ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلاً وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ [المائدة: ٤٤].
وقال تعالى: ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنفَ بِالأَنفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [المائدة: ٤٥].
وقال تعالى: ﴿ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [المائدة: ٤٧].
وقال تعالى: ﴿ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾ [النساء: ٥٩].

(٤٦) انظر: النونية مع شرحها للهراس (٢/٤٠٧).

* * *

باب الإيمان بصفات الله عز وجل :

الإيمان بالوجه:

ونؤمن بأن لله ـ تعالى ـ وجهًا لا يشبه المخلوقين، كما قال تعالى: ﴿ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن: ٢٧]، وقال تعالى:﴿ وَلا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [القصص: ٨٨].

وفي الحديث الصحيح عن جابر بن عبدالله قال: لما نزل قول الله تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ ﴾ [الأنعام: ٦٥] قال رسول الله ﷺ: «أعوذ بوجهك»(٤٧).

الإيمان باليد:

ونؤمن بأن لله ـ تعالى ـ يدين لائقتين بجلاله وعظمته وكماله، وهما يدان حقيقيتان تليقان به تعالى، قال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [المائدة: ٦٤]. وقال تعالى: ﴿ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴾ [ص:٧٥].

وقال تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[الزمر: ٦٧].

وفي حديث عبدالله بن مسعود قال:«جاء رجل إلى النبي ﷺ من أهل الكتاب، فقال: يا أبا القاسم! إن الله يمسك السموات على إصبع، والأرضين على إصبع، والشجر والثرى على إصبع، والخلائق على إصبع، ثم يقول: أنا الملكُ، أنا الملكُ.

فرأيت النبي ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه، ثم قرأ: ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ (٤٨)[الزمر: ٦٧]».

---

(٤٧) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب/ ﴿ قل هو القادر على أن يبعث عليكم... ﴾ الآية، حديث رقم (٤٦٢٨)، وانظر (٧٣١٣)، (٧٤٠٦).

(٤٨) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد (١٧٢/٨)، باب (١٩)، قول الله تعالى: ﴿ لما خلقت بيدي ﴾ ، ومسلم (٢١٤٧/٢) في كتاب: صفة القيامة والجنة والنار (٢٧٨٦).

الإيمان بأصابع الله تعالى:

ونؤمن أن لله ـ تعالى ـ أصابع لا تشبه أصابع المخلوقين، وأجمع السلف على ذلك اتباعًا لورود إثباتها في سنة النبي ﷺ من حديث عبدالله بن مسعود السابق، وللحديث الصحيح عن عبدالله بن عمرو بن العاص أن النبي ﷺ قال:«إن قلوب بني آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن، كقلب واحد يصرفه كيف يشاء»(٤٩).

الإيمان بكلام الله تعالى:

ونؤمن بأن الله ـ تعالى ـ أثبت لنفسه الكلام، وأثبته له رسوله، فهو سبحانه يتكلم كيف يشاء ومتى يشاء، ونؤمن بكلامه على الوجه الذي يليق بجلاله، وهو كلامٌ حقيقي، بحروف وأصوات مسموعة، فقد كلم الله موسى كما قال تعالى في كتابه: ﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، وقال تعالى: ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾ [النساء: ١٦٤]، وكلم آدم كما في قوله: ﴿ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ [الأعراف: ٢٢]، ويكلم جبريل عليه السلام، كما في الحديث الصحيح عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «إن الله إذا أحب عبدًا نادى جبريل: إن الله قد أحب فلانًا فأحبه»(٥٠).

ويكلم الله ـ تعالى ـ الملائكة والمؤمنين، كما في الحديث عن النبي ﷺ قال: «يقول الله لأهل الجنة: يا أهل الجنة! فيقولون: لبيك ربنا وسعديك، والخير كله بين يديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى يا رب...»(٥١).

---

(٤٩) أخرجه مسلم في كتاب القدر (٢٠٤٥/٤) ح(٢٦٥٤).

(٥٠) رواه البخاري في التوحيد، باب/ كلام الرب مع جبريل، ونداء الله الملائكة (٤٦١/١٣. فتح)، وفي الأدب، ومسلم في البر والصلة، باب/ إذا أحب الله عبدًا حببه إلى عباده (٢٢/١٦. نووي).

(٥١) الحديث أخرجه البخاري (٤١٥/١١)، (٤٨٧/١٣) عن أبي سعيد الخدري، ومسلم حديث رقم (٢٨٢٩) .

الإيمان بالعلو والفوقية :

ونؤمن بعلو الله ـ تعالى ـ وفوقيته على خلقه، وكونه في السماء، وذلك بدون تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل، قال تعالى: ﴿أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ (١٦) أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴾[الملك:١٦، ١٧].

والمراد بالسماء الفوقية، وليس المراد أن السماء تحويه سبحانه وتعالى عن ذلك، قال تعالى: ﴿ وَهُوَ الْعَلِيُ الْعَظِيمُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقال تعالى : ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى ﴾ [الأعلى: ١]، وقال تعالى: ﴿ إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَى ﴾ [الليل: ٢٠]، وقال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَ ﴾ [آل عمران:٥٥].

وقال تعالى: ﴿ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: ١٥٨]، وقال تعالى: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يؤْمَرُونَ﴾ [النحل: ٥٠].

وكان النبي ﷺ يقول في سجوده:«سبحان ربي الأعلى»(٥٢).

وكما في حديث الجارية التي سألها النبي عليه الصلاة والسلام: «أين الله؟».

قالت: في السماء.

قال: «من أنا؟».

قالت: أنت رسول الله.

قال: «أعتقها فإنها مؤمنة»(٥٣).

الإيمان بالاستواء على العرش :

ونؤمن بأن الله تعالى مستو على عرشه، بائنٌ من خلقه، والعرش هو أعلى المخلوقات وأكبرها، وهو ذو قوائم تحمله الملائكة، قال تعالى:﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾ [الأعراف: ٥٤].

وقال تعالى: ﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾[الرعد: ٢].

وقال تعالى: ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ [طه:٥].

---

(٥٢) رواه مسلم في كتاب (صلاة المسافرين وقصرها) باب/ استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل (٢٠٣).

(٥٣) حديث أخرجه مسلم كتاب المساجد، باب/ تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من إباحة رقم (٣٣).

وقال تعالى: ﴿ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْئَلْ بِهِ خَبِيرًا ﴾ [الفرقان: ٥٩].

وقال تعالى: ﴿ وَتَرَى الْمَلائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِي بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الزمر: ٧٥].

وقال تعالى: ﴿ الَّذِينَ يحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيؤْمِنُونَ بِهِ وَيسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾ [غافر: ٧].

وقال تعالى: ﴿ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَن يشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِينذِرَ يوْمَ التَّلاقِ ﴾ [غافر: ١٥].

وقال تعالى: ﴿ سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يصِفُونَ ﴾ [الزخرف: ٨٢].

وقال تعالى: ﴿ وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يوْمَئِذٍ ثَمَانِيةٌ ﴾ [الحاقة:١٧]، وقال تعالى: ﴿ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴾ [البروج: ١٥].

ونؤمن بأنه سبحانه مع استوائه على عرشه وعلوه فوق سماواته قريب من عباده، كما قال سبحانه: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ﴾[البقرة: ١٨٦].

وفي الحديث المتفق عليه: «أيها الناس أربعوا على أنفسكم، فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبًا، إنما تدعون سميعًا بصيرًا قريبًا، إن الذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته»(٥٤).

الإيمان بالعينين:

ونؤمن بأن لله تعالى عينان تليقان بجلاله، كما أثبت لنفسه في كتابه، وكما أثبت له نبيه محمد ﷺ في سنته، قال تعالى: ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْينِنَا ﴾ [الطور: ٤٨].

وقال تعالى: ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَينِي ﴾ [طه: ٣٩].

وفي حديث عبد الله بن عمر قال: ذُكر الدجال عند النبي ﷺ فقال:«إن الله لا يخفى عليكم، إن الله تعالى ليس بأعور وأشار إلى عينه وإن المسيح الدجال أعور عين اليمنى كأن عينه عنبة طافية»(٥٥).

---

(٥٤) أخرجه البخاري في «صحيحه» (٥٠٠/١١)، ومسلم حديث رقم (٢٧٠٤).

(٥٥) الحديث أخرجه البخاري (٣٨٩/١٣) عن موسى بن إسماعيل عن جويرية بنت أسماء عن نافع عن ابن عمر، وأخرجه مسلم برقم (٢٩٢٣) من طرق أخرى عن نافع عن ابن عمر.

الإيمان بالغضب :

ونؤمن بصفة الغضب لله تعالى، غضب حقيقي يليق بجلاله وعظمته، قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ ﴾[الأعراف: ١٥٢]. وقال تعالى: ﴿ فَعَلَيهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[النحل: ١٠٦]. وقال تعالى: ﴿ وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيهَا إن كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾[النور: ٩]. وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيهِم ﴾ [المجادلة: ١٤]. وقال تعالى: ﴿ يا أَيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيهِمْ ﴾ [الممتحنة: ١٣]. وقال تعالى: ﴿ فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[الزخرف: ٥٥].

وفي حديث أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن رحمتي تغلب غضبي»(٥٦). وفي حديث الشفاعة الطويل:«إن ربي غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولا بعده مثله»(٥٧)

الإيمان بالضحك :

ونؤمن بصفة الضحك لله تعالى متى شاء وكيف شاء، وهو ضحك حقيقي يليق بالله تعالى، فعن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ:«يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر يدخلان الجنة»(٥٨) .وفي الحديث الآخر عن النبي ﷺ وفيه: «فلا يزال يدعو حتى يضحك الله منه، فإذا ضحك الله منه قال: ادخل الجنة»(٥٩).

الإيمان بالحب والرضا :

ونؤمن بالحب والرضا أنهما صفتان ثابتتان لله ـ تعالى ـ على ما يليق بجلال الله تعالى وعظمته، فإن الله يحب أعمالاً وأشخاصًا ويرضى عنهم، ويحب ويرضى عن الذين يتصفون بهذه الصفات والأعمال التي ترضي الله تعالى ويحبها، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾

---

(٥٦) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، باب/ قوله تعالى: ﴿ بل هو قرآن مجيد ﴾ ح(٧٥٥٤) (٥٠٣/١٥).

(٥٧) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، باب/ قوله تعالى: ﴿ وجوه يومئذ ناضرة، إلى ربها ناظرة ﴾ حديث رقم (٧٤٣٩).

(٥٨) أخرجه البخاري في الجهاد، باب/ الكافر يقتل المسلم، ثم يسلم، حديث رقم (٢٨٢٦) (٣٩/٦)، ومسلم في الإمارة، باب/ بيان الرجلين يقتل أحدهما الآخر يدخلان الجنة (١٢٨) (١٠٤/٣)، وكلاهما من حديث أبي هريرة.

(٥٩) رواه البخاري في كتاب التوحيد، باب/ قول الله تعالى: ﴿ وجوه يومئذ ناضرة ﴾ (٤٣٠/١٣-٤٣١) (٧٤٣٧) من حديث أبي سعيد، ومسلم كتاب (الإيمان) باب/ آخر أهل الجنة دخولاً الجنة.

[البقرة: ١٩٥]. وقال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٢٢]. وقال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ يحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾ [آل عمران:١٤٦].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ [التوبة: ٧].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ [الحجرات:٩].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يحِبُّ الَّذِينَ يقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيانٌ مَّرْصُوصٌ ﴾ [الصف: ٤].

وقال تعالى: ﴿ يا أَيهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يحِبُّهُمْ وَيحِبُّونَهُ ﴾ [المائدة:٥٤].

وقال تعالى: ﴿ قَالَ اللَّهُ هَذَا يوْمُ ينفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِي اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [المائدة: ١١٩].

وقال تعالى: ﴿ لَقَدْ رَضِي اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يبَايعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ [الفتح: ١٨].

وقال تعالى: ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيئًا إِلاَّ مِنْ بَعْدِ أَن يأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يشَاءُ وَيرْضَى ﴾ [النجم: ٢٦].

وعن سهل بن سعد أن النبي ﷺ قال يوم خيبر: «لأعطين الراية غدًا رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله»(٦٠) .

وعن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها، أو يشرب الشربة فيحمده عليها»(٦١).

الإيمان بصفتي السخط والكراهية لله تعالى :

ونؤمن بأن السخط والكراهية صفتان لله ـ تعالى ـ على ما يليق بجلاله وعظمته، قال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴾ [التوبة: ٤٦].

وقال تعالى: ﴿ تَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴾ [المائدة: ٨٠].

---

(٦٠) أخرجه بطوله البخاري (٤٧٦/٧)، ومسلم رقم (٢٤٠٦) كتاب فضائل الصحابة، باب/ من فضائل علي رضي الله عنه.

(٦١) أخرجه مسلم الذكر والدعاء، باب/ استحباب حمد الله تعالى بعد الأكل ح(٨٩).

وقال تعالى: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴾ [محمد: ٢٨].
وقد كان من دعاء النبي ﷺ: «اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك»(٦٢) .
وعن المغيرة بن شعبة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله كره لكم ثلاثًا: قيل وقال...»(٦٣).

الإيمان بالنفس :

ونؤمن بنفس الله تعالى على ما يليق بجلاله وعظمته، وهي صفة من صفاته الثابتة بالكتاب والسنة وإجماع السلف الصالح، قال تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ [آل عمران: ٢٨]،وقال تعالى: ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾ [آل عمران: ٣٠].
وقال تعالى: ﴿ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾ [الأنعام:١٢]. وقال تعالى: ﴿ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ ﴾[المائدة: ١١٦]. وقال تعالى: ﴿ وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴾ [طه: ٤١]. وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله تعالى: أنا مع عبدي حين يذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي»(٦٤).

الإيمان بالنزول والإتيان والمجيء :

ونؤمن بأن النزول والإتيان والمجيء من صفات الله تعالى يجب الإيمان بها وإثباتها بما يليق بجلاله وعظمته، فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ينزل ربنا إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير، فيقول: من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له»(٦٥).
وقال الله تعالى: ﴿ هَلْ ينظُرُونَ إِلاَّ أَن يأْتِيهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلائِكَةُ وَقُضِي الأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ ﴾ [البقرة: ٢١٠]. وقال تعالى: ﴿ كَلاَّ إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكًّا دَكًّا (٢١) وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾[الفجر: ٢١،٢٢].

---

(٦٢) أخرجه مسلم: كتاب الصلاة، باب/ ما يقال في الركوع والسجود حديث رقم (٢٢٢).
(٦٣) أخرجه البخاري: كتاب الزكاة، باب قول الله تعالى: ﴿ لا يسألون الناس إلحافًا ﴾ (٣٩٨/٣) (١٤٧٧)، ومسلم كتاب الأقضية، باب/ النهي عن كثرة المسائل (١١/٤، ١٢).
(٦٤) أخرجه البخاري كتاب التوحيد، باب/ قول الله تعالى: ﴿ ويحذركم الله نفسه ﴾ (٣٩٥/١٣) (٧٤٠٥).
(٦٥) أخرجه البخاري: كتاب التهجد، باب/ الدعاء والصلاة من آخر الليل حديث(١١٤٥)، ومسلم: كتاب صلاة المسافرين، باب/ الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل حديث (١٦٨).

وقال تعالى: ﴿ هَلْ ينظُرُونَ إلاَّ أَن تَأْتِيهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يأْتِي رَبُّكَ ﴾ [الأنعام:١٥٨].
وفي حديث الشفاعة الطويل وفيه: «فيأتيهم الله في الصورة التي يعرفون»(٦٦).

الإيمان بالقدرة:

ونؤمن بأن الله أثبت لنفسه صفة القدرة، وأثبتها له نبيه مُحَمَّد ﷺ، وأجمع السلف على ثبوتها على ما يليق بجلاله وعظمته تعالى، قال تعالى: ﴿ إنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة: ٢٠].
وقال تعالى: ﴿ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الملك:١].
وقال تعالى: ﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيءٍ مُّقْتَدِرًا ﴾ [الكهف: ٤٥].
وقال تعالى: ﴿ إنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴾ [الطارق:٨].
وفي حديث الاستخارة قول النبي ﷺ: «وأستقدرك بقدرتك»(٦٧).

الإيمان بالإرادة والمشيئة:

ونؤمن بأن من صفات الله ـ تعالى ـ الإرادة والمشيئة، وهي ثابتة بالكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة، وهما بمعنى واحد يستعمل كلٌّ منهما موضع الآخر، كما قال الشافعي وابن بطال.
قال تعالى: ﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ يفْعَلُ مَا يرِيدُ ﴾ [البقرة:٢٥٣].
وقال تعالى: ﴿ يا أَيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ إلاَّ مَا يتْلَى عَلَيكُمْ غَيرَ مُحِلِّي الصَّيدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ إنَّ اللَّهَ يحْكُمُ مَا يرِيدُ ﴾[المائدة: ١].
وقال تعالى: ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ إنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يرِيدُ ﴾ [هود:١٠٧]. وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ ﴾[البقرة: ٢٠].
وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِم مِّنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَينَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يفْعَلُ مَا يرِيدُ ﴾ [البقرة: ٢٥٣].
وقال تعالى: ﴿ بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ بَغْيا أَن ينَزِّلَ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ عَلَى مَن يشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾ [البقرة: ٩٠].
وقال تعالى: ﴿ إنَّ اللَّهَ لا يغْفِرُ أَن يشْرَكَ بِهِ وَيغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يشَاءُ ﴾ [النساء: ٤٨].

---

(٦٦) تقدم.

(٦٧) رواه البخاري في كتاب التوحيد، باب/ قول الله تعالى: ﴿ قل هو القادر ﴾ (٣٢٨/١٥) ح(٧٣٩٠).

وعن أبي قتادة عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ حين ناموا عن الصلاة: «إن الله قبض أرواحكم حين شاء وردها حين شاء»(٦٨).

الإيمان بالعجب :

ونؤمن بأن العَجَب صفة من صفات الله تعالى، إيمانًا يليق بجلاله وعظمته، قال تعالى: ﴿ بَلْ عَجِبْتَ وَيسْخَرُونَ ﴾ [الصافات: ١٢] .

وقال النبي ﷺ: «لقد عجب الله عز وجل من فلان وفلانة»، فأنزل الله عز وجل: ﴿ وَيؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ [الحشر: ٩](٦٩).

الإيمان بالسمع والبصر :

ونؤمن بأن السمع والبصر صفتان ثابتتان لله تعالى، وهي من صفات الكمال الذي يوصف به الله تعالى دائمًا، ولقد أثبتها الله تعالى لنفسه، وأثبتها له رسوله وسلف الأمة الصالح، قال الله تعالى: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيهُ مِنْ آياتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الإسراء: ١].

وقال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ يقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يدْعُونَ مِن دُونِهِ لا يقْضُونَ بِشَيءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [غافر: ٢٠].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يجَادِلُونَ فِي آياتِ اللَّهِ بِغَيرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلاَّ كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [غافر: ٥٦].

وقال تعالى: ﴿ فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيسَ كَمِثْلِهِ شَيءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾[الشورى: ١١].

وقال تعالى: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يولِجُ اللَّيلَ فِي النَّهَارِ وَيولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ [الحج:٦١].

---

(٦٨) رواه البخاري في كتاب التوحيد، باب/ في المشيئة والإرادة، ح(٧٤٧١)، (٥٩٥).

(٦٩) رواه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب/ قول الله تعالى: ﴿ ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ﴾ رقم (٤٨٨٩) عن أبي هريرة مرفوعًا وهو عند مسلم في كتاب الأشربة باب/ إكرام الضيف (٢٠٥٤) بلفظ: «قد عجب الله من صنيعكما بضيفكما الليلة».

وقال تعالى: ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ [المجادلة:١]. وقال تعالى: ﴿ قَالَ لا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى ﴾ [طه: ٤٦].

وعن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «إن جبريل عليه السلام ناداني قال: إن الله قد سمع قول قومك وما ردوا عليك»(٧٠).

وكان رسول الله ﷺ يقول في صلاته: «سمع الله لمن حمده»(٧١).

وعن أبي موسى قال: كنا مع رسول الله في سفر، فكنا إذا علونا كبَّرنا فقال:

«أربعوا على أنفسكم، فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبًا، إنكم تدعون سميعًا بصيرًا قريبًا»(٧٢).

الإيمان بالعلم :

ونؤمن بعلم الله تعالى، وأن علمه محيط بجميع الأشياء من الكليات والجزئيات، قال تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيوْمَ يقُولُ كُن فَيكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يوْمَ ينفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴾ [الأنعام: ٧٣].

وقال تعالى: ﴿ يعْتَذِرُونَ إِلَيكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيهِمْ قُل لاَّ تَعْتَذِرُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيبِ وَالشَّهَادَةِ فَينَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [التوبة: ٩٤].

وقال تعالى: ﴿ عَالِمُ الْغَيبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴾ [الرعد: ٩].

وقال تعالى: ﴿ ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ [السجدة: ٦].

وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِينَّكُمْ عَالِمِ الْغَيبِ لا يعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَلا أَصْغَرُ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْبَرُ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ [سبأ: ٣].

وقال تعالى: ﴿ عَالِمُ الْغَيبِ فَلا يظْهِرُ عَلَى غَيبِهِ أَحَدًا ﴾ [الجن: ٢٦].

---

(٧٠) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب/ وكان الله سميعًا بصيرًا (٧٣٨٩) من حديث عائشة.

(٧١) أخرجه البخاري في الصلاة، باب/ ما يقول الإمام ومن خلفه إذا رفع رأسه من السجود حديث رقم (٧٥٣) من حديث أبي هريرة.

(٧٢) أخرجه البخاري في التوحيد، باب/ وكان الله سميعًا بصيرًا حديث رقم (٢٣٨٦) من حديث أبي موسى ، ومسلم في الذكر والدعاء، باب/ استحباب خفض الصوت بالذكر، حديث رقم (٤٤).

وقال تعالى: ﴿ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيرٍ يعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يا أُوْلِي الأَلْبَابِ ﴾ [البقرة: ١٩٧].

وقال تعالى: ﴿ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ [البقرة:٢٧٠].

وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِن تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يعْلَمْهُ اللَّهُ وَيعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران: ٢٩].

وفي قصة موسى مع الخضر عليه السلام قال رسول الله ﷺ: «فركبا في السفينة» قال: «ووقع عصفور على حرف السفينة فغمس منقاره في البحر، فقال الخضر لموسى: ما علمك وعلم الخلائق في علم الله إلا مقدار ما غمس هذا العصفور منقاره»(٧٣).

الإيمان بالمعية :

ونؤمن بمعية الله تعالى مع عباده أينما كانوا يعلم ما هم عاملون، كما قال تعالى: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَينَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[الحديد: ٤]، معية تليق به سبحانه وتقتضي كمال تنزيهه.

وله سبحانه وتعالى مع عباده المؤمنين معية خاصة، هي معية النصرة والتمكين والتوفيق والتسديد، يحفظهم وينصرهم ويكلؤهم، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ [النحل:١٢٨]، فهو سبحانه مع استوائه على عرشه، وعلوه فوق عباده، مع عباده أينما كانوا يعلم ما كانوا عاملين، وهو قريب سبحانه ممن دعاه.

فقربه سبحانه ومعيته لا تنافي علوّه، وفوقيته ﴿ لَيسَ كَمِثْلِهِ شَيءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى:١١]، فهو علي في قربه قريب في علوّه.

باب في مسائل التكفير:

لا نُكفر إلا ما دل الكتاب والسنة على كفره، فلا نخرجُ أحدًا من الإسلام ثبت إيمانه بشك عندنا، فما ثبت بيقين لا يزول إلا بيقين.

ونُسمي أهل قبلتنا مسلمين، والأصل فيهم الإسلام ما لم يأت أحدهم بناقض، ولم يمنع من تكفيره مانع.

---

(٧٣) رواه البخاري في كتاب العلم، باب/ ما يستحب للعالم إذا سئل: أي الناس أعلم؟، وفي كتاب التفسير، باب/ تفسير سورة الكهف، ومسلم في كتاب الفضائل، باب/ من فضائل الخضر (١١١/٨) مع النووي ح(٢٣٨٠).

ونحكم في أحكام الدنيا بالظاهر، والله يتولى السرائر، ويحاسب عليها، ونتحرز في تكفير أهل التأويل، خصوصًا إذا كان الاختلاف لفظيا أو في المسائل العلمية التي يعذر فيها المخالف بالجهل(٧٤).

ولا نقول بخلود أهل الكبائر في النار إن ماتوا وهم موحدين، حتى وإن ماتوا وهم مصرين عليها، بل هم تحت مشيئة الله تعالى وحكمه، إن شاء سبحانه غفر لهم وعفا عنهم بفضله، وإن شاء عذبهم بعدله، كما قال تعالى: ﴿ وَيغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يشَاءُ ﴾ [النساء: ٤٨].

ولا نكفر بالمآل، أو بلازم القول، فلازم المذهب ليس بمذهب.

ونفرق بين الحكم المطلق على أصحاب البدع، وبين الحكم على شخص معين.

ولا نكفر أحدًا من المسلمين بكل ذنب ارتكبه، ولا نقول كما قال الطحاوي: «لا يضر مع الإيمان ذنب»(٧٥) بل من الذنوب ما ينقص الإيمان، ومنها ما يزيله.

ونبرأ إلى الله تعالى من كل دين خالف الإسلام أو انتقصه، ونكفر بكل ما ناقضه وعارضه من الملل الباطلة والمذاهب الفاسدة ونكفر كل من شرع مع الله قانونًا، أو نظامًا يتحاكم إليه البشر أو في الكتب يسطر.

باب موالاة المؤمنين من الإيمان:

ونوالي رسول الله ﷺ بمحبته، وطاعته، ونُصرة سُنته، كما في حديث أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يؤمن عبدٌ حتى أكون أحب إليه من أهله وماله والناس أجمعين»(٧٦).

وقال الله تعالى: ﴿ مَن يطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّهَ وَمَن تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيهِمْ حَفِيظًا ﴾ [النساء: ٨٠].

وقال تعالى: ﴿ وَأَطِيعُوا اللّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٣٢]. ونوالي ونعاضد المؤمنين ونناصرهم بأمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر، واللين، وخفض الجناح لهم، ومحبتهم بحسب إيمانهم، قال تعالى:﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ ﴾ [التوبة: ٧١].

---

(٧٤) ذكر الشيخ علي الخضير في رسالة المتَمِمَة لكلام أئمة الدعوة في مسألة الجهل في الشرك الأكبر ص٣٨ أن الشيخ حمود رحمه الله يوافق الشيخ ابن باز رحمه الله في مسألة العذر بالجهل في الشرك الأكبر .

(٧٥) انظر كتاب الطحاوية بتحقيق الألباني (ص:٣١٦).

(٧٦) أخرجه البخاري: الإيمان، باب/ حب الرسول ﷺ من الإيمان (٥٨/١) ح(١٤)، ومسلم: الإيمان، باب/ وجوب محبة رسول الله ﷺ أكثر من الأهل والولد والوالد... (٦٧/١) ح(٦٩)

وقال تعالى: ﴿ يا أَيهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يحِبُّهُمْ وَيحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾[المائدة:٥٤].

وقال تعالى: ﴿ مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَينَهُمْ ﴾ [الفتح:٢٩].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُوْلَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ ﴾[الأنفال:٧٢].

وقال تعالى: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ يأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَينْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ٧١].

والأخوّة الإيمانية ثابتة لعموم أهل القبلة مع المعاصي والكبائر، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَينَ أَخَوَيكُمْ ﴾ [الحجرات: ١٠].

وقال تعالى: ﴿ فَمَنْ عُفِي لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ [البقرة:١٧٨].

باب معاداة الكافرين من الإيمان:

ونعادي ونجانب ونبغض الكافرين والمشركين والمرتدين، ونتبرأ من كفرهم وشركهم ومذاهبهم وقوانينهم وتشريعاتهم، ونعلن ذلك جهارًا نهارًا، لا نخشى في الله لومة لائم، اتباعًا لأنبياء الله تعالى ورسله، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ (٢٦) إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيهْدِينِ (٢٧) وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يرْجِعُونَ ﴾ [الزخرف:٢٦ . ٢٨].

وقال تعالى: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَينَنَا وَبَينَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلاَّ قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيءٍ رَّبَّنَا عَلَيكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيكَ أَنَبْنَا وَإِلَيكَ الْمَصِيرُ ﴾ [الممتحنة: ٤].

وقال تعالى: ﴿ لا تَجِدُ قَوْمًا يؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيوْمِ الآخِرِ يوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِي اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [المجادلة: ٢٢].

* * *

باب الإيمان بكرامات الأولياء:

ونؤمن بكرامات الأولياء، وهي ما قد يجريه الله تعالى على أيدي بعض الصالحين من خوارق العادات، إكرامًا لهم، كما قال تعالى: ﴿ أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٦٣) لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [يونس: ٦٢ ـ ٦٤].

وليس كل أمر خارق للعادة يكون كرامة، بل قد يكون استدراجًا، أو صادرة من مشعوذ أو دجال، فالكرامة سببها الطاعة ومختصة بأهل الاستقامة، أما الشعوذة فسببها الكفر والمعاصي ومختصة بأهل الضلال.

* * *

باب من الإيمان محبة آل البيت وصحابة رسول الله ﷺ:

وحب أصحاب رسول الله ﷺ، وسلامة ألسنتنا وقلوبنا تجاههم دين ندين الله به، وأصل قطعي معلوم من الدين بالضرورة، ولا نبرأ من أحد منهم، ونبغض من يبغضهم، فحبهم والذب عنهم دين ندين الله به فهم أكمل الناس إيمانًا، وأعظمهم طاعةً وجهادًا، اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه، واصطفاهم لحمل رسالته وتبليغها للناس، أفضل الأمة بعد نبينا محمد ﷺ، قال تعالى: ﴿ وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ١٠٠].

قال الناظم:

وأهل بيت المصطفى الأطهار ـــــــــ وتابعيه السادة الأخيار

فكلهم في محكم القرآن ـــــــــ أثنى عليهم خالق الأكوان

في الفتح والحديد والقتال ـــــــــ وغيرها بأكمل الخصال

كذاك في التوراة والإنجيل ـــــــــ صفاتهم معلومة التفصيل

وذكرهم في سنة المختار ـــــــــ قد سار سير الشمس في الأقطار

وكل من رأى رسول الله ﷺ أو صحبه وآمن به فهو من الصحابة، وإن كانت صحبته ساعةً من نهار، وكلهم عدول بتعديل الله تعالى ورسوله لهم.

ونكف عما شجر بينهم، فهم في ذلك بين مجتهد مصيب ومجتهد مخطئ، وليسوا معصومين من الخطأ.

ونؤمن بأن خير الأمة بعد نبيها هم الأربعة: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وهم الخلفاء الراشدون المهديون، وفيهم كانت خلافة النبوة.

* * *

باب الإيمان بالوعد والوعيد:

ونؤمن بنصوص الوعد والوعيد، ونُمرها كما جاءت، ونشهد لمن مات على الإسلام بظاهر إسلامه على العموم بأنه من أهل الجنة، ولا ندري بما يختم للعبد عند الله تعالى، لقوله ﷺ:«إن العبد ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس، وهو من أهل النار، وإن العبد ليعمل بعمل أهل النار، فيما يبدو للناس، وهو من أهل الجنة»(٧٧).

ونشهد للكفار والمنافقين والمرتدين بأنهم من أهل النار.

ونشهد لكل من شهد له رسول الله ﷺ بالجنة، بأنه من أهل الجنة، كالعشرة المبشرين بالجنة، وعُكاشة، والمرأة السوداء التي كانت تقُمُّ المسجد، وعبدالله بن سلام، وآل ياسر، وبلال بن رباح، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت مُحَّد، وجميع أزواجه وغيرهم.

ومن جاءت النصوص بأنهم من أهل النار، فنشهد لهم بذلك، كأبي لهب وامرأته.

ولا نجزم لأحد بعينه كائنًا من كان بجنة ولا بنار إلا من جزم له النبي ﷺ.

ولا نوجب العذاب لكل من توجه إليه الوعيد، فقد يغفر الله له بما فعله من طاعات أو شفاعات أو توبة أو بمصائب وأمراض مُكفرة.

ونؤمن بأن وعد الله للمؤمنين بالجنة، ووعيده بتعذيب العصاة الموحدين، وتعذيب الكفار والمنافقين في النار ـ حق لا يخلفُ الله وعده، قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً ﴾[النساء: ١٢٢]. ولكن يعفو عن عصاة الموحدين بفضله وكرمه، وقد وعد الله تعالى بالعفو للموحدين، ونفاه عن غيرهم.

---

(٧٧) أخرجه البخاري كتاب المغازي (٤٢٠٧) من طريق أبي حازم عن أبيه عن سهل بن سعد.

باب من الإيمان:

ونأمر بالمعروف وننهى عن المنكر، والصبر على أذى الخلق في سبيل إقامة هذه الشعيرة، وأنه سبب لحفظ الجماعة، قال تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [آل عمران: ١١٠].

ونؤمن بوجوب السمع والطاعة لولاة أمور المسلمين ما لم يأمروا بمعصية، فإذا أمروا بمعصية فلا تجوز ولا تحل طاعتهم، وتبقى طاعتهم بالمعروف.

ونصبر على أذاهم، ولا نجيز الخروج عليهم بالسيف إذا ارتكبوا مخالفة دون الكفر، بل ننصح لهم، وندعو لهم بالصلاح والاستقامة.

ونؤمن بأن الدعاء للحكام والولاة على المنابر من بدع الجمعة التي لم ترد عن الرسول ﷺ وصحابته الكرام، وعلامة على الدخول في طاعتهم.

ونقوم بالنصح لكل مسلم، والتعاون على البر والتقوى، ونحافظ على إقامة الجمع والجماعات، والحج، والجهاد، مع أولي الأمر المسلمين، وإن كانوا عصاة خلافًا للمبتدعة.

ونتواصى بالصبر، والثبات عند البلاء والمحن، والشكر عند الرخاء، ونرضى ونسلم بما قدر ربنا وكتب، ولا نسأله تعالى البلاء، ولا ملاقاة الأعداء لقوله ﷺ: «لا تتمنوا لقاء العدو، واسألوا الله العافية»(٧٨).

ولا نعتمد في المحن ونصرة الدين على الأسباب الأرضية، والأماني الترابية، ولا نغفل عن السنن الكونية، وأن النصر من عند الله متى صدقنا وآمنا واستغفرنا.

وصلى الله على مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلم .

---

(٧٨) أخرجه البخاري في كتاب التمني، باب/ كراهية تمني لقاء العدو (١٤١/١٥) مع الفتح، ح(٧٢٣٧).

البراهين المتظاهرة في حتمية الإيمان بالله واليوم الآخر

مقدمة

الحمد لله الذي أوجد الكائنات من العدم ، واختص بصفة الأزلية والقدم ، أوجب لنفسه صفات الكمال ، وتنزه عن الأشباه والانداد والأمثال ، أحمده سبحانه وأشكره ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه و على آله و صحبه وسلم .

أما بعد:

فقد دفعني إلى كتابة هذا البحث ما أراه منتشرًا في بعض مجتمعات المسلمين وخاصة بين بعض فئات الشباب الذين أخذتهم مظاهر العصر ، والذين لم يكن لهم حظ من العلم والمعرفة، يتقون به آثار تلك المظاهر الزائفة ويتسلحون به ضد الشبهات والدعايات المضللة التي ما فتئ أعداء الإسلام من الملاحدة وجوديين وغيرهم يروجونها ويضللون عقول كثيرين بها ، الأمر الذي قد يجرهم إلى التشكيك في عقيدتهم ، وقبول ما يرد من أعداء الإسلام إليهم من دعايات مضللة وشبهات مصطنعة بقصد إحداث البلبلة والتشكيك بين صفوف الشباب ليسهل عليهم بذلك صرفهم عن دينهم ، وتغيير فطرتهم التي فطرهم الله عليها من معرفته والإيمان بوحدانيته ، وهذا الدور الذي يقوم به هؤلاء خطير جدًّا على النشء ، حيث تجمعهم بهم عدة عوامل من حيث اللغة والجنس والوطن وغير ذلك من الأشياء التي هي سبب مباشر في استمالة النشء والتأثير عليه .

وقد قصرت هذا البحث على حتمية الإيمان بالله واليوم الآخر معتمدًا في ذلك على البراهين القطعية الثابتة من الكتاب والسنة والفطرة والعقل .

ويلاحظ القارئ أنني ركزت جانبًا مهمًّا من هذا البحث على الأدلة العقلية والعلمية التجريبية حيث أن الشبه الرائجة في هذا العصر مصدرها فئات لا يسلمون بالأدلة السمعية لذلك أردت أن يكون جانبًا من الرد عليهم بالعقل والمنطق .

فبدأت أولاً بذكر الدليل الفطري وأوضحت فيه أن كل إنسان عاقل يشعر ضرورة في قرارة نفسه بمقتضى فطرته أن له ربًّا خالقًا مدبرًا له في جميع شئونه ولا يشذ عاقل عن هذه القاعدة إلا من فسدت فطرته بمرض الكبر والعناد وغير ذلك من الأمراض التي تطرأ على فطرة الإنسان فتغيرها عن اتجاهها الصحيح .

ثم انتقلت إلى الاستدلال على وجود البارئ سبحانه وتعالى وأزليته بالنظر في مخلوقاته وما أودعه في هذا الكون الفسيح من عجيب الصنع وبديع الإحكام والدقة في التنظيم ،الأمر الذي يمنع صدور مثل هذا عن غير فاعل مريد .

وبعد ذلك أقمت الدليل العلمي التجريبي الذي أدئ بكثير من العلماء غير المسلمين إلى الاعتراف بوجوده سبحانه وتعالى وأزليته .

أما الإيمان باليوم الآخر . . فقد أقمت البرهان على ثبوته وبينت منهج القرآن العزيز في الاستدلال على حتمية البعث ، وقد جاء بطرق متعددة كل واحدة منها تؤكد حتمية بعث الأبدان وقيام الناس من قبورهم لرب العالمين. هذا وأسأل الله أن ينفع بهذا البحث تلك الفئات التي حادت عن الطريق السوي .

الأستاذ المشارك

حمود بن عبدالله بن عقلاء الشعيبي

جامعة الإمام مُحمَّد بن سعود بالرياض

١٣٩٦/٥/١٠هـ

الإيمان بالله :

الإقرار بوجود الخالق سبحانه وتعالى والشعور بعظمته وقهره أمر فطري يجده ويشعر به كل إنسان في قرارة نفسه من غير أن يحتاج إلى برهان نظري، أو تجربة علمية، ويشترك في هذا الشعور وهذا الاعتقاد الفطري كل إنسان مهما كانت منزلته من الفهم والإدراك، أو الجهل والغباء، أي أن الإنسان العاقل سواء كان عالما أم جاهلاً فإنه يدرك بالضرورة أن له ربًّا خالقًا قاهرًا مسيطرًا عليه مدبرًا لشئونه.

إن الإنسان ليشعر بوجود قوة كبرى مهيمنة على الكون تمنحه التدبير والتنظيم وتتصرف فيه بالحياة والموت والبناء والفناء والتغير والتطور والحركة والسكون وجميع أنواع التغييرات الحكيمة التي تجري فيه.

إنه ليشعر بهذه الحقيقة ويؤمن بها إيمانًا عميقًا، سواء استطاع أن يقيم الدليل البرهاني على صدق هذا الشعور أو لم يستطع، فدليل الفطرة ودليل البداهة شاهد حقّ يسبق الشواهد النظرية وقد يكون أدق منها وأصدق، وحسب الإنسان في إيمانه واعتقاده بشيء ما أن يوافق شعوره الفطري

وإحساسه البديهي النتائج النظرية التي يتوصل إليها الباحثون من علماء وفلاسفة، أو أن يتفق شعوره وإحساسه مع الشعور والإحساس الصادق للكثرة الكاثرة من المجموعة الإنسانية.

بل ربما يقال: إن سلامة الفطرة وصفاء الإحساس الخفي من أهم الوسائل الأساسية في شعور الإنسان بكثير من البديهيات واكتسابه كثيرًا من المعارف الحقة التي يعرفها الإنسان في أطوار حياته.

إن كثيرًا من علومنا ومعارفنا ليس لها دليل في أنفسنا غير شعورنا الفطري بها، ومهما تقدمت العلوم والمكتشفات فإنها لا تزيدنا عنها شيئًا غير ما توصلنا إليه بفطرتنا(١) .

إن هذه الفطرة وهذا الشعور الذي يشترك فيه جميع الناس في جميع المجتمعات والعصور على اختلاف أجناسهم وتفاوت ثقافاتهم وأفكارهم لبرهان كاف في القطع بوجود البارئ عز وجل من غير حاجة إلى برهان علمي تجريبي أو دليل نظري ولا يشك في صحته إلا من فسدت فطرته بمرض الكبرياء والعناد،أو الشهوات النفسانية، أو الشكوك المادية التي كونت حجابًا كثيفًا على بصائر هؤلاء المنحرفين عن الفطرة السليمة.

* * *

إثبات وجود الخالق عن طريق التأمل في مخلوقاته :

إننا إذا انتقلنا من الدليل الفطري على وجود الخالق العظيم إلى الأدلة النظرية وتأملنا هذا الكون الواسع الفسيح، وما أودع فيه من بديع الصنع وعجيب الإتقان الذي لا يصدر إلا عن فاعل مختار.

إننا إذا تأملنا العالم العلوي بما فيه من سموات وأفلاك وكواكب وشمس وقمر... ونظرنا في العالم السفلي بما فيه من جبال وأنهار وبحار وحيوان ونبات.

حصل لنا القطع بوجود الخالق، بل نفس الإنسان فيها من الشواهد والأدلة ما يفيد القطع بوجود الصانع، فإن جسم الإنسان يشتمل على كثير من الأجهزة التي بلغت في الدقة والتعقيد درجة حيرت عقول الأطباء والفلاسفة وغيرهم كجهاز التنفس وجهاز الدورة الدموية وجهاز الهضم وغيرها من الأجهزة الدقيقة التي حير العلماء قرونًا عديدة كشف أسرارها.. بل إن غير الإنسان من الحيوانات الكثيرة التي نعلمها والتي لا نعلمها يشارك الإنسان في دقة الصنع وغرابة التكوين، فانظر إذن كم عدد أفراد الإنسان في جميع البلدان وفي جميع الأعصار.

---

(١) العقيدة الإسلامية وأسسها (ج١ / ص٩١) الشيخ عبد الرحمن حبنكة الميداني.

وكم عدد الحيوانات كذلك وإلى هذه النشأة البديعة العجيبة، نشأة الإنسان والحيوان والنبات من المادة الميتة التي لا حياة فيها ولا شعور.

يشير الكتاب الكريم بقوله تعالى: ﴿ يُخْرِجُ الْحَي مِنَ الْمَيتِ ﴾ [الأنعام:٥٩].

إن أي عاقل نظر في هذا العالم علويه وسفليه، حيوانه وجماده وما أودع فيه من عجائب المخلوقات وغرائب الصنع وما يسير عليه من نظام متقن بديع لا تفاوت فيه ولا اضطراب يدرك ضرورة أن مثل هذا لا يصدر إلاّ عن مدبر حكيم(٢) .

وهذا المنهج منهج النظر في آلاء الله ومخلوقاته هو الذي نهجه القرآن العزيز في لفت نظر الخلق إلى الاعتراف بالله والإقرار بوجوده وتدبيره وربوبيته : ﴿ سَنُرِيهِمْ آياتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَينَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ [فصلت: ٥٣].﴿ وَفِي الأَرْضِ آياتٌ لِّلْمُوقِنِينَ (٢٠) وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ ﴾ [الذاريات: ٢٠،٢١]. ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا ينفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّياحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَينَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآياتٍ لِّقَوْمٍ يعْقِلُونَ ﴾[البقرة: ١٦٤]. آيات عظيمة وبراهين قاطعة،سماء واسعة عالية بلا عمد، وشمس تشرق فيأتي النهار، وتغرب فيأتي الليل، قمر وكواكب، ليل ونهار متعاقبان، يأتي الليل فيغطي العالم بظلامه ينقطع فيه الخلق إلى نومهم وراحتهم، ويعقبه النهار فيخرجون فيه إلى معاشهم وحروثهم وتجاراتهم وصناعاتهم وغيرها... حار تضطرب أمواجها وتعلو متونها السفن، وتنقل المسافرين من بلد إلى بلد ومن إقليم إلى إقليم . سحب تتكاثف وأمطار تنزل... كل هذه آيات وشواهد ناطقة بوجود الخالق المدبر العظيم . هل يتصور عاقل أن تتم مثل هذه الأمور صدفة من غير فاعل مريد وقد ضرب ابن القيم رحمه الله في كتابه «مفتاح دار السعادة» الجزء الأول ص٢١٤ مثالاً أوضح فيه استحالة صدور الكون عن غير مدبر حكيم فقال: «فاسأل المعطل الجاحد ما تقول في دولاب دائر على نهر قد أحكمت آلاته وأحكم تركيبه وقدرت أدواته أحسن تقدير وأبلغه حيث لا يرى الناظر فيه خللاً في مادته ولا في صورته، وقد جعل على حديقة عظيمة فيها من كل أنواع الثمار والزروع يسقيها حاجتها وفي تلك الحديقة من يلُم شعثها ويحسن مراعاتها وتعهدها والقيام بجميع مصالحها فلا يختل منه شيء ولا يتلف ثمارها، ثم يقسم غلتها عند الجذاذ على سائر المخارج بحسب حاجاتهم وضروراتهم، فيقسم لكل صنف منهم ما يليق به ويقسم هكذا على الدوام.

---

(٢) الاشارات والتنبيهات لابن سيناء مجلد ١ ص ٦٧ .

أترى هذا اتفاقًا بلا صانع ولا مختار ولا مدبر؟

بل اتفق وجود ذلك الدولاب وتلك الحديقة وكل ذلك اتفاقًا من غير فاعل ولا قيم ولا مدبر.

أفترى ما يقول لك عقلك في ذلك لو كان؟ وما الذي يفتيك به؟ وما الذي يرشدك إليه؟».

يشير رحمه الله في هذا المثال إلى أن هذه الجزئية الصغيرة من جزئيات الكون الكثيرة لا يصح في عقل إنسان أن يكون هذا المثال صدر عن غير فاعل مدبر، فمن باب أولى ألا يصدر هذا الكون الكبير عن غير فاعل وصانع حكيم عليم يفعل بمشيئته وإرادته.

* * *

إثبات وجود الخالق بالأدلة العقلية والبراهين العلمية التجريبية :

إن كثيرين من مرضى العقول ممن فسدت فطرهم وانحرفت أفكارهم واستولت عليهم الشبه والشكوك ينكرون وجود الصانع ولا يعترفون بشيء سوى هذا العالم المادي المشاهد، ويدعون أن كل شيء في هذا الكون صدر عن: إما الطبيعة أو الصدفة أو المادة؛ أصنام ثلاثة يعللون بها باطلهم ويموهون بها على السذج من الناس من أمثالهم.

وسوف ترى أن هذه الشبه الثلاث التي طالما تغنى بها الملاحدة أوهام ما هي إلا كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئًا.

* * *

عجز الطبيعة عن الإبداع والخلق:

مما لا شك فيه حتى عند أصحاب الطبيعة أن الطبيعة ميتة لا حياة فيها ولا شعور لها ولا إدراك ولا عقل ولا إرادة...

ومن هذا شأنه فلا يقدر على خلق ذرة أو إيجاد حبة فضلاً عن خلق هذا الكون العظيم بما فيه من تنظيم وإحكام وتدبير وإتقان وحياة ونمو، فكيف يتصور عاقل يعي ما يقول أن الطبيعة الفاقدة للحياة والشعور والإدراك تمنح غيرها الحياة والشعور والإدراك... وكيف يفسر عاقل ما يحدث في هذا الكون من اختلاف وتغير بين أنواع جزئياته عن محدث لا يملك الإرادة؟

هذا أمر يستحيل تصوره في بديهة كل إنسان.

إن القول بأن الطبيعة تخلق شبه مصطنعة من شبهات العصر وضلالة مبتدعة من ضلالاته وهي مع هذا لا تعدو كونها وهمًا لا حقيقة له ولا وجود ولا يستند إلى أصل صحيح ولكنها مع

اصطناعها هذا و كونها وهمًا نجدها مسيطرة على عقول كثير ممن يدعون الثقافة والمعرفة، وقد انطلت عليهم دون أن يكلفوا أنفسهم عناء البحث والتمحيص.

إنك حينما تبادر أحد الطبيعيين بالقول: من خلق السموات والأرض؟ يقول لك: الطبيعة. ومن خلق النبات والحيوان؟ يقول لك: الطبيعة.. من خلق الإنسان؟ يقول لك الطبيعة.

فمن يدبر جميع هذه الأمور الفلكية والحيوية والغريزية وكل حساب دقيق ونظام لا يحيد؟ فسيقول لك: الطبيعة.

إذن: فما هي الطبيعة؟ وما هي مفاهيمها؟ وما هي حقيقة تأثيرها؟

الطبيعة في اللغة: السجية والخلق.

غير أن للطبيعة اليوم في عقول الناس حسب تفاوتهم (مفهومان):

المفهوم الأول:

أنها عبارة عن الأشياء بذاتها، فالجماد والنبات والحيوان، كل هذه الكائنات هي الطبيعة. وهو مفهوم غير دقيق. وحكم غير سديد كما سنبين لك في فصل لاحق.

المفهوم الثاني:

إنها عبارة عن صفات الأشياء وخصائصها، فهذه الصفات من حرارة وبرودة ورطوبة ويبوسة وملاسة وخشونة... وهذه القابليات من حركة وسكون ونمو واغتذاء وتزاوج وتوالد، كل هذه الصفات والقابليات هي الطبيعة.

أما القول الأول فلا يخرج بالطبيعة بالنسبة لخلق الوجود عن تفسير الماء بالماء.

فالأرض خلقت الأرض والسماء خلقت السماء والأصناف صنفت نفسها والأشياء أوجدت ذاتها.

فهي الحادث والمحدث، وهي المخلوق والخالق في الوقت ذاته وهذا القول بين البطلان.

أما القول الثاني وهو الاعتماد على قابليات الأشياء وخصائصها في التكوين فنقول فيه:

الحقيقة أن الذين يعزون الخلق إلى تلك القابليات والخصائص لا يعدون كونهم وصّافين لتلك الظواهر لا يعرفون كنهها ولم يكلفوا أنفسهم عناء البحث عن حقيقتها، ولو فعلوا ذلك لوجدوا أن القابلية التي اعتمدوا عليها في خلق الشيء سراب خادع يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئًا ولإيضاح ذلك بالطريق العلمي نضرب المثال التالي:

نضع حبة في التراب ونسقيها بالماء فتنتفخ وتنفلق فيظهر منها الرشيم ويندفع فيه الجذر إلى أسفل والساق إلى أعلى وتنشأ الأوراق فالأزهار فالثمار وتكون الحبة قد أنتجت تفاحة مثلاً فالقابلية التي كانت في الحبة هي:

الانتفاخ والانفلاق وظهور الرشيم ولولا هذه القابليات المتوالية لما اضطرت تلك الظواهر الحيوية ولما نشأت عنها الثمرة، فلنأت إلى هذه القابلية بالذات نبحث عن حقيقتها.

لو لم تنتفخ الحبة وتنفلق لما نشأ شيء فمن الذي نفخها وفلقها؟ لو كان للحبة عقل وتفكير وتدبير لقلنا إن عقلها هو الذي هيأ لها ذلك، ولو أن الماء هو الذي نفخها وفلقها لأمكن للماء أن ينفخ الحديد ويفلقه، إذن فلابد من مؤثر وقبول لتأثير ذلك المؤثر، وإذا كانت الحبة بذاتها جدلاً انتفخت وانفلقت فلماذا لم تجمد وتضمر بدل أن تنتفخ وتنمو؟ ولكي يحصل التكاثر والبقاء يحتاج الأمر إلى عقل وإدراك ومنهاج مرسوم من قبل تلك البذرة.

والبذرة لا تملك شيئًا من ذلك فكيف حصلت إذن ثمرة بعينها؟ بل كيف حصلت ثمار كثيرة ومتنوعة؟ وكيف كمنت الغاية المعينة والصفات المقصودة في صميم كل بذرة منها؟

والحقيقة أن من أمعن النظر في تعبير الطبيعيين المستندين إلى القابلية حينما يقولون: طبع النبات على ذلك، انتفخت الحبة وانفلقت وتوالدت الخلايا، تميل الخلية الحية إلى الانقسام، إنها أفعال مبنية للمجهول لجهلهم أو تجاهلهم الفاعل الحقيقي فكأن الطبيعي أغمض العين عن السبب الحقيقي وبنى الفعل للمجهول تخلصًا، فمن الذي نفخ الحبة؟ ومن الذي فلقها؟ ومن الذي أدى إلى التوالد؟ ومن الذي جبل الخلية على الانقسام؟ ومن الذي جعلها تنتفخ بدلاً من أن تضمر؟ كل هذا التحقيق لا تصل إليه نظرة الطبيعيين القصيرة بل المقتصرة على وصف الظواهر دون الذهاب إلى أسبابها، بل المخطئة في جعل الصفة المنفصلة سببًا فاعلاً، والقابلية مؤثرًا، والظاهرة المجهولة عاملاً مكونًا، فالانتفاخ صفة نشأت عن المؤثر الخارجي عن الشيء وعن قبول أثره في ذلك الشيء والانفلاق صفة.. إلخ.

وما زاد الطبيعي على أن جعل من مجموع هذه الصفات مفهومًا مركبًا سماه: «قابلية التوالد والنمو» فجعل من القابليات التي هي عرض من أعراض الشيء سببًا في الخلق ومن الصفة الانفعالية التي لا تعي ولا تدرك سببًا فاعلاً واعيا في تكوين الأشياء... إذن فمن الذي ركز الطبيعة في العناصر؟ ومن الذي نوع تلك الطبائع؟(١)

---

(١) البراهين العلمية على وجود الخالق من ص٤٢ إلى ص٤٦ . مُحَمَّد فؤاد البرازي.

الصدفة لا تخلق:

وبعد أن هوى الصنم الأول (الطبيعة) وتحطم على صخرة الحقيقة وبعد أن احترق الحجاب الكثيف الذي نسجه الملاحدة الدهريون من الدعاية والأباطيل حول الطبيعة بشهب اليقين فإننا نعرض لصنم آخر هو الصدفة أي دعوى الملاحدة بأن هذا العالم حدث صدفة لم يكن له فاعل مريد وحيث إن هذه الدعوى وهمٌ وخيال رسخت في أذهان الملحدين، فسوف نشرحها لك بإيجاز؛ لنبين بطلانها بطريقة لا تدع للشك مجالاً في أنها كذب وافتراء.

إنهم يقولون: صحيح أن الكون المادي لم يكن موجودًا في صورة نجوم وكواكب وسيارات كالتي نشاهدها فتلك حادثة قطعًا لكن شيئًا ما يمكن اعتباره أساسًا للمادة كان موجودًا قبلها فحدث شيء ما فجأة لسبب مجهول فأدت الصدفة البحتة إلى نوع من الاضطراب في الأساس الذي نشأت عنه مادة الكون الحالية فنشأت عن ذلك الاضطراب ظروف مواتية أدت إلى تحليق الكواكب والسيارات في مجموعات كبيرة ما لبث أن انفصل بعضها عن بعض بقوة دفع الاضطراب المتتابع الأثر ثم تكونت الأرض وأخذت العناصر تتجمع على سطحها وتختلط حتى حدث بطريق المصادفة البحتة أن اجتمعت عناصر معينة وتفاعلت بمحض الصدفة فصادف تجمعها ظروفًا ملائمة لنشأة الحياة على الأرض فانبعثت من هذه الظروف نواة الحياة الأولى التي نمت وتفرعت وتطورت تلقائيا حتى وصلت إلى النبات والحيوان والإنسان فتأثرت في ذلك كله بعوامل البيئة المادية وتطور الأجناس الطبيعي.

هذا هو ملخص دعوى الماديين في أصل الكون ونشأة الحياة، فما نصيب هذه الدعوى من التفكير العلمي المحض بحق؟

إن دعوى صدور هذا الكون عن طريق الصدفة المحضة دعوى باطلة لا تقوم على أصل صحيح ولا تستند إلى أصل ثابت بل لقد أثبت العلماء الرياضيون عن طريق القوانين الرياضية أن صدور الكون عن طريق المصادفة المحضة أمر مستحيل التصور فقد وضعوا قانونًا يضبط نسبة الإمكان والاحتمال في كل قول بالمصادفة وهو يقوم على جمع إحصائي لكل ما يتضمنه القول.

ثم تطبيق قواعد رياضية علمية ينتج عنها تحديد كامل لشروط الإمكان الصحيح في القول المفترض وعلى سبيل المثال فإن العلماء الرياضيين قاسوا قدر الإمكان والاحتمال في القول المادي السابق بنشأة نواة الحياة الأولى بمحض تجمع عناصر معينة بطريق المصادفة البحتة دون تدبير قاصد فانتهوا من ذلك إلى الاستحالة أن يكون الأمر قد حدث على هذا النحو لأنهم جمعوا عناصر المادة

وكميتها وتنوعها فوجدوا أن قدر المادة الموجودة في الكون لا يكفي رياضيا لنشأة نواة الحياة، ومن ثم توصلوا إلى أنه لابد من وجود إرادة قاصدة عالمة وراء بدء الخلق ونشأة الحياة فيه .

إن دعوى الملحدين بأن حدوث العالم حصل صدفة بلا فاعل مريد دعوى كاذبة ينقضها الإحكام والإتقان المشاهد في جميع أفراد الكون وجزئياته التي إذا تأملها العاقل بإنصاف وتجرد، أدرك يقينًا أن مثل هذا لا يحدث إلا عن إرادة صادرة عن مريد حكيم عالم يضع الأشياء في مواضعها اللائقة بها.

ولقد أكثر العلماء من ذكر الأمثلة التي يثبت بها بطلان شبهة المصادفة فمن ذلك نسبة الذكور إلى الإناث في كل مجتمع ففي كل مجتمع يوجد الأعزب من الرجال والعزبة من النساء كما يوجد المتزوجون الذين تختلف حالاتهم من حيث الإنجاب بين العقم أو إنجاب الذكور وحدهم أو إنجاب الإناث وحدهن أو إنجاب الذكور والإناث فعندنا إذن خمس حالات فردية في كل مجتمع صغير أو كبير لكن حصيلة الأمر دائمًا في كل مجتمع هو التناسب بين مجموع عدد الذكور من كل الأعمار ومجموع عدد الإناث من كل الأعمار (٤٩ . ٥١ أو ٤٩,٥ . ٥٠,٥ أو ٤٨,٥ . ٥١,٥ أو ٤٨. ٥٢) ولم يختل هذا التناسب في أي مجتمع بشري اختلالاً كبيرًا إلا بسبب ظروف طارئة مثل الحرب الكبيرة التي تأكل الرجال فتزيد نسبة النساء ونحو ذلك ومع هذا فقد لوحظ بمزيد من الدهشة أن آثار هذه الظروف الطارئة لا تستمر طويلاً حيث لوحظ أنه في أعقاب الحرب الكبيرة تزيد نسبة المواليد من الذكور حتى يرجع التناسب تدريجيا.

ما الذي يدل عليه هذا التناسب العجيب الذي يسود الأجناس البشرية كلها في كل زمان ومكان؟ إنه يقطع بأن هناك نظامًا كونيا يتمثل في سنة عامة قاصدة هيمنت على البشرية.. فهل يمكن أن يكون هذا النظام المحكم ذو الغايات المقصودة قد صدر عن محض الصدفة البحتة التي لا قصد فيها ولا إرادة.

أعتقد أن التفكير السليم يقضي باستحالة ذلك.

ومثال آخر يذكره العلماء عند نقض شبهة دعوى المصادفة: وهو أن نسأل هؤلاء هذا السؤال: هل لو وضعنا في علبة من الخشب مثلاً مجموعة كبيرة من الحروف المعدنية التي تستعمل في الطباعة تكفي لتكوين فقرة تامة من الكلام المحكم الرصين، تصور حادثة وقعت تصويرًا صحيحًا وضعًا مشوشًا غير مرتب ثم هززنا العلبة هزًّا قويا يحرك جميع ما فيها من حروف وهي محكمة الغلق ثم فتحنا العلبة أيمكن أن تتضام الحروف المناسبة بعضها إلى بعض حتى تُكوّن كلمات ثم الكلمات المناسبة بعضها إلى بعض حتى تكون جملاً صحيحة ثم الجمل بعضها إلى بعض حتى تكون الفقرة

المطلوبة، هل يجوز ذلك؟ فإذا جوزوا حدوثه مرة هل يجوز حدوثه ثانية، وإذا جوزوا حدوثه ثانية هل يجوز حدوثه ثالثة ورابعة وخامسة ومئات وآلاف وملايين المرات بحيث تصبح المصادفة البحتة تكفي لأن تصنع ذلك ملايين المرات، ولو بلغ بهم العناد والمكابرة حدًّا يقولون معه بجواز ذلك(١).

أو أن في هذين المثالين دلالة قاطعة على بطلان دعوى المصادفة التي طالما لجأ إليها الملحدون وتستروا وراءها إذا سئلوا عن خالق هذا الكون ومبدعه... ولنذكر نماذج من أقوال العلماء ـ علماء الطبيعة والكيمياء والأحياء وغيرها ـ الذين وصل بهم العلم التجريبي إلى الإقرار بوجود الله عز وجل.

فمن ذلك قول الدكتور «جون وليام كلونس»: «إن هذا العالم الذي نعيش فيه قد بلغ من الإتقان والتعقيد درجة تجعل من المحال أن يكون قد نشأ بمحض المصادفة، إنه مليء بالروائع والأمور المعقدة التي تحتاج إلى مدبر والتي لا يمكن نسبتها إلى قدر أعمى.

ولا شك أن العلوم قد ساعدتنا على زيادة فهم وتقدير ظواهر هذا الكون المعقدة وهي بذلك تزيد من معرفتنا بالله ومن إيماننا بوجوده».

وقال الدكتور (توماس دافين باركس): «إنني أقرأ النظام والتصميم في كل ما يحيط بي من العالم غير العضوي ولا أستطيع أن أسلم بأن يكون كل ذلك قد تم بمحض المصادفة العمياء التي جعلت ذرات هذا الكون تتألف بهذه الصورة العجيبة، إن هذا التصميم يحتاج إلى مبدع ونحن نطلق على هذا المبدع اسم (الله)».

وقال العالم البيولوجي (لوكترسيل هامان): «إن نظرة واحدة إلى إحدى الخرائط التي تبين التفاعلات الدائرية العديدة وما يدور حول كل منها والآخر من متفاعلات أخرى كفيلة بأن تقنع الإنسان بأن مثل هذه العلاقات لا يمكن أن تتم بمحض المصادفة. ولعل هذا الميدان يهيئ للإنسان من العالم ما لا يهيئه أي ميدان آخر بأن الله يسير هذا الكون تبعًا لسنن رسمها ودبرها عندما خلق الحياة».

إن أقوال هؤلاء العلماء وعشرات غيرهم من العلماء الذين توصلوا بطريق العلوم التجريبية والكشوفات العلمية إلى الإقرار بوجود الخالق تدل دلالة قاطعة على استحالة الصدفة في إيجاد الكون(٢).

---

(١) المرجع: الإشارات والتنبيهات لابن سينا (ج١ / ص٦٧).

(٢) المصدر: الله يتجلى في عصر العلم (ص٢٦) .

* * *

حدوث الكائنات برهان قاطع على وجود الخالق:

إننا إذا تأملنا هذا الكون العظيم المحيط بنا ونظرنا في جزئياته التي لا تنفك تحدث شيئًا فشيئًا أدركنا أن لوجوده مبدأ.

إذن فلابد له من محدث لأنه يستحيل عقلاً أن يكون أحدث نفسه أو أن يكون حدث من غير محدث. كما أشار القرآن الكريم إلى ذلك: ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيرِ شَيءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴾ [الطور: ٣٥].

ومن البراهين العقلية على حدوث العالم أنه ليس أزليا، فهذه التغيرات التي تحدث في هذه الموجودات

الكونية سواء منها الموجودات المادية المدركة بالحس أو الموجودات الأخرى الخارجة عن نطاق الإدراك الحسي والتي نستنتج وجودها ببرهان العقل فنلاحظ أن حوادث التغير لا تنفك عنها أبدًا، فما من شيء في هذا الكون الفسيح إلا ونلاحظ أنه في أوضاع من التغيرات الكثيرة بشكل مستمر.

فهذه التحاويل الكونية في المواد الكيميائية حوادث مستمرة وهذه الأعراض في الظواهر الفيزيائية في تغير مستمر... نرى في ذلك تحول البذور إلى أشجار وثمار ثم تحولها إلى رماد أو هشيم يتفتت ثم يتحول إلى عناصره الكيميائية والفيزيائية البسيطة أو المركبة.

ونرى ذلك في تحول الأغذية إلى دماء في الأحياء ثم إلى نطف ثم إلى أحياء أخرى لها وحدات مستقلة في صفاتها وأعراضها وخصائصها وأعمارها وطباعها إلى غير ذلك من التغيرات الكثيرة التي لا تتناهى استقصاء وحصرًا.

ولقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الطريقة أعني طريقة الاستدلال بالتغير على الحدوث في آيات تنير الأفكار وتنبهها بطريق غير مباشر إلا أن فكرة (التغير) تتنافى مع فكرة الأزلية لأن التغير يتضمن حدوثًا متتابعًا ينبه إلى أن له بداية كما ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ (٧٥) فَلَمَّا جَنَّ عَلَيهِ اللَّيلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ (٧٦) فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ (٧٧) فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (٧٨) إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام: ٧٥ . ٧٩].

ولقد أيدت العلوم التجريبية الحديثة النظريات العقلية القائلة بحدوث هذا العالم فكشف عن قوانين هامة لا تدع للشك مجالاً في أن هذا العالم وجد بعد أن لم يكن وأن له محدثًا أحدثه هو الله سبحانه وتعالى ومن بين تلك القوانين القانون الثاني للحرارة الديناميكية ويسمى هذا القانون الطاقة المتاحة أو (ضابط التغير) وهذا القانون يثبت أن الطاقة في الكون تقل تدريجيا بصورة مطردة حيث تنتقل الحرارة فيه دائمًا من وجود حراري إلى وجود حراري أقل مع استحالة أن يحدث العكس فتزيد الطاقة المتاحة في الكون لأنها تنتقل من وجود إلى وجود أقل بصورة تدريجية مطردة(١).

لكن كيف يثبت هذا الكشف حدوث الكون المادي؟

القضية ببساطة هي أن هذا القانون يثبت أن الكون المادي لابد أن ينتهي إلى نوع من الخمود والفناء، يتوقف فيه نشاطه المعتاد وتختل الوظائف الطبيعية فيه وذلك حين تنفد الطاقة التي يفقدها تدريجيا بحكم استمرار العمليات الكيميائية والطبيعية فيه.

وهذا يثبت قطعًا وضرورة أن لهذا الكون بداية إذ لو كان أزليا لفقد طاقته من وقت بعيد جدًّا لأن الأزل لا نهاية له فمهما قدرت عظمة الطاقة فإنها تتلاشى في الأزل اللانهائي(٢).

ما يجب لله من صفات الكمال:

بعد أن ثبت بشكل قاطع لا يدع مجالاً للشك في أن الله موجود وأن وجوده واجب فإني سأبين ما يجب له سبحانه وتعالى من صفات الكمال وما يجب تنزيهه عنه من صفات النقص والعيب.

إن الطريقة الصحيحة التي يجب أن يسار عليها في صفات الله إثباتًا ونفيا هي أن يثبت له من صفات الكمال إثباتًا مفصلاً وينفى عنه كل نقص وعيب نفيا مجملاً.

﴿ لَيسَ كَمِثْلِهِ شَيءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾[الشورى: ١١] وهذه الطريقة هي التي سار على نهجها أصحاب رسول الله ﷺ والتابعون لهم بإحسان. وما زالوا كذلك إلى أن حدث الاختلاف في عقيدة المسلمين بسبب أعداء الإسلام الذين انضموا إلى صفوف المسلمين يظهرون الرغبة في الإسلام ويبطنون الكيد له ولأهله فافترق المسلمون واختلفوا في العقيدة كما قال صلى الله عليه وسلم: «افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة».

---

(١) العقيدة الإسلامية وأسسها للميداني (ج١ / ص١٣٦).

(٢) تناقض المذاهب المادية فيما يتصل بقضية الألوهية ص٢٣ للدكتور مُحَّد بلتاجي .

قيل: من هم يا رسول الله؟ قال: «هم من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي»(٣).

* * *

منهج السلف في أسماء الله وصفاته:

لقد سار السلف في أسماء الله وصفاته على منهج القرآن في ذلك فوقفوا مع نصوص الكتاب والسنة في الأسماء والصفات فما أثبته الله لنفسه في كتابه أو أثبته له رسوله ﷺ فإنهم يثبتونه ويؤمنون به ولا فرق عندهم في ذلك بين الصفات الذاتية كالعلم والقدرة والصفات الفعلية كالغضب والرضا، يثبتون الجميع إثباتًا خاليا من التشبيه.

كما ينزهون الله سبحانه وتعالى عن كل ما لا يليق به من النقائص والعيوب تنزيهًا لا يصل إلى حد التعطيل وفقًا لقوله تعالى: ﴿ لَيسَ كَمِثْلِهِ شَيءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١].

يثبتون إثباتًا مفصلاً وينفون نفيا مجملاً؛ ومعنى الإثبات المفصل والنفي المجمل ألا يثبت لله من الصفات إلا ما ورد به النص، أما النفي فإننا نجمل فيه ونقول: كل نقص أو عيب فالله منزه عنه.

أما المخالفون لمنهج السلف منهم فرق عديدة أكبرها:

(أ) الجهمية.

(ب) المعتزلة.

(ج) الأشاعرة والكلابية والماتريدية.

(د) المشبهة.

الجهمية:

الجهمية أتباع الجهم بن صفوان السمرقندي والجعد بن درهم.

وهؤلاء قوم نفوا عن الله سبحانه وتعالى جميع الأسماء الحسنى والصفات العليا وقالوا لا يوصف الله بصفة يوصف بها المخلوق، ولا يسمى باسم يسمى به المخلوق مطلقًا فجردوه تعالى عن أسمائه الحسنى وعطلوه عن صفات الكمال، وشبهتهم في ذلك التنزيه فإنهم يقولون لو أثبتنا لله صفة يوصف بمثلها المخلوق للزم أن يكون الله مشابهًا للمخلوقين فهم عطلوا الصفات خوفًا من التشبيه بزعمهم.

---

(٣) سنن الترمذي رقم (٢٦٤١) وحكم الألباني حسن .

ونقول لهم عند نقض هذه الشبهة إما أن تثبتوا لله صفة الوجود وإما أن تنفوها عنه، وعلى كلا التقديرين فأنتم محجوجون لأنكم إن نفيتم صفة الوجود كفرتم وإن أثبتم صفة الوجود قيل لكم: المخلوق يوصف بالوجود فإن قلتم وجود الله ليس كوجود المخلوق بل هو وجود يخصه ويليق بجلاله قيل لكم وكذلك الصفات الأخرى التي نفيتموها ليست كصفات المخلوقين بل هي صفات تخصه وتليق به. كالغضب والرضا والنزول والاستواء وغيرها من الصفات الفعلية والذاتية التي جحدتموها وعطلتم الباري منها.

المعتزلة:

المعتزلة أتباع واصل بن عطاء الغزال، وعمرو بن عبيد وسموا معتزلة لأن واصل بن عطاء كان من تلامذة الحسن البصري وكان يومًا في حلقته فسأل أحد الحاضرين عن حكم مرتكب الكبيرة هل يخرج من الإيمان بمجرد ارتكابه الكبيرة؟ وقبل أن يجيب الحسن عن هذا السؤال سارع واصل بن عطاء فقال: أنا أقول مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن ولا كافر ثم اعتزل الحلقة وجلس إلى سارية من سواري المسجد يشرح هذه القاعدة ويبين للحاضرين أصولها فقال له الحسن (اعتزلت حلقتنا) فسمي واصل وأصحابه المعتزلة.

ورأي المعتزلة في الصفات كرأي الجهمية (التعطيل) ينفون عن الله كل صفة من صفات الكمال، إلا أنهم يختلفون مع الجهمية في مسألة الأسماء الحسنى فإن الجهمية ينفونها والمعتزلة يثبتونها ولكن يجعلونها أعلامًا مترادفة لا تدل على شيء أكثر من الذات فالعليم لا يدل على العلم والرحيم لا يدل على الرحمة والمريد لا يدل على الإرادة وهكذا كل اسم أثبتوه لله فإنه لا يدل إلا على ذات الله فقط.

وشبهة المعتزلة في نفي الصفات التنزيه أيضًا كشبهة الجهمية إلا أنهم يختلفون معهم في طريقة الاستدلال، فالجهمية يستدلون على نفي الصفات بقولهم: إنه يلزم من إثبات الصفات لله أن يكون جسمًا لأن الصفات أعراض والأعراض لا تقوم إلا بالجسم، والأجسام متماثلة لأن جواهرها التي ركبت منها متماثلة قبل التركيب.

ونقول لهم عند نقض هذه الشبهة:

لا نسلم أن الصفات أعراض حتى يلزم منها الجسم.

وإذا سلمنا أن الصفات أعراض فلا نسلم أن الأجسام متماثلة لوجود الفرق الكبير بين جسم الذرة وجسم الفيل مثلاً.

وكل منهما يسمى جسمًا، علمًا بأن مسألة الجسم عند السلف لا يجوز إطلاق القول فيها لا نفيا ولا إثباتًا؛ لأن الصفات توقيفية ولم يرد في القرآن ولا في السنة إثبات للجسم ولا نفيه.

وبعض المعتزلة يسلكون طريقًا آخر في الاستدلال على نفي الصفات ويقولون إن أخص أوصاف الله القدم ولو أثبتنا له صفات قديمة لزم ذلك تعدد القدماء وهو شرك بالله في القدم فنفوا عنه الصفات لهذا المعنى، ويرَدُّ عليهم فيقال: إن صفات الله تعالى صفات قائمة بذاته ليست منفصلة عنه ولا بائنة منه حتى يلزم التعدد فهو سبحانه وتعالى واحد بذاته، موصوف بصفات الكمال، قديم وما سواه محدث.

الأشاعرة والكلابية والماتريدية :

الأشاعرة:

قوم ينتسبون إلى أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري ويزعمون أنهم على مذهبه في الصفات.

والواقع أنهم مخطئون في هذا الزعم لأن مذهب الأشعري الأول هو مذهب المعتزلة.

ومذهبه الأخير مذهب السلف ومذهب الأشاعرة في الصفات مخالف لمذهب المعتزلة، لأنهم يثبتون بعض الصفات والمعتزلة لا يثبتون شيئًا منها.

ومخالف لمذهب السلف حيث إن السلف يثبتون لله جميع الصفات الواردة في الكتاب والسنة والأشاعرة لا يثبتون إلا بعضها وأنت بهذا ترى أن الأشاعرة أقرب إلى رأي الجهمية منهم إلى رأي السلف، وحقيقة مذهبهم في الصفات أنهم يثبتون لله صفات الذات وهي العلم والإرادة والحياة والقدرة والسمع والبصر والكلام.

وينفون عنه صفات الفعل كالغضب والرضا والرؤية والاستواء، وبعضهم يثبت صفات زائدة على هذه السبع، وشبهتهم في ذلك أن الصفات الفعلية حادثة.. والله سبحانه وتعالى منزه عن الحوادث.

والرد عليهم أن يقال: إن الصفات الفعلية وإن كانت تحدث آحادها فجنسها قديم فهي قديمة النوع حادثة الآحاد.

فأيضًا فلو قالوا مثلاً: إن الغضب غليان دم القلب فكيف يوصف الله به قيل لهم أنتم تثبتون الإرادة لله ومعلوم أن الإرادة ميل القلب إلى المراد فكيف تثبتونها لله... فلابد أن يقبلوا أن الإرادة التي تفسر بميل القلب هي إرادة المخلوقين.

أما إرادة الله: فإنها تخصه وتليق به،قيل لهم وكذلك الغضب الذي يفسر بغليان دم القلب هو غضب المخلوقين.. أما غضب الله: فإنه يخصه ويليق به وهكذا يقال في جميع الصفات الفعلية التي تنفونها.

أما الكلابية:

أتباع عبدالله بن سعيد بن كلاب، والماتريدية: أتباع أبي منصور الماتريدي فمذهبهم في الصفات مماثل لمذهب الأشاعرة لا يختلف عنه إلا في مسائل قليلة جدًّا(١).

المشبهة:

المشبهة: أتباع هشام بن الحكم الرافضي وداود الجواربي وغيرهما وهؤلاء قوم أثبتوا لله الصفات ولكن غلوا في الإثبات حتى مثلوا الله بخلقه فقالوا: إن صفات الله الواردة في القرآن الكريم والسنة تماثل صفاتنا من كل وجه وقالوا: إن الله جسم مركب له طول وعرض وأعضاء وأبعاض تماثل أعضاءنا وأبعاضنا.

تعالى الله وتقدس عن قولهم علوًّا كبيرًا، وهؤلاء كفار خارجون عن الإسلام وقد استدلوا على مذهبهم الفاسد بمطلق الإثبات الذي تضمنته آيات الصفات وأحاديثها.

ويرَدّ عليهم بنصوص النفي التي تضمنت تنزيه الله عن مشابهة المخلوقين كقوله تعالى: ﴿ لَيسَ كَمِثْلِهِ شَيءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾[الشورى: ١١].

وكقوله: ﴿ وَلَمْ يكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص: ٤].

وقوله: ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيا ﴾ [مريم: ٦٥]. وغير ذلك كثير في القرآن مما يدل على نفي مشابهة المخلوقين أو مماثلتهم بشيء من صفاته سبحانه وتعالى(٢).

* * *

---

(١) التدمرية لشيخ الإسلام ابن تيمية.

(٢) التدمرية: لشيخ الإسلام ابن تيمية.

الإيمان بالمعاد :

تمهيد:

لقد بينا في البحث السابق وجوب وجود الله سبحانه وأقمنا عليه البراهين العقلية والعلمية التجريبية بما لا يدع للشك مجالاً في وجود الباري وأزليته سبحانه وتعالى، ولما كان الإيمان بالمعاد من أهم الأصول التي بينها النبي ﷺ وأخبر أنها من أصول الإيمان لما سأله جبريل عن الإيمان.

فقد رأيت أن أُردف بحث الإيمان بالله بالبحث في المعاد لا سيما وقد كثر في القرآن ذكر الإيمان باليوم الآخر مقروناً مع الإيمان بالله فلو استقرأنا كتاب الله لوجدنا فيه عشرات الآيات التي تجمع بين هذين الأصلين فقد تضمنت سورة البقرة وحدها بضع آيات تتضمن ذلك منها:

(أ) ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة: ٨].

(ب) ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة: ٦٢].

(ج) ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ﴾ [البقرة: ١٢٦].

(د) ﴿ لَيسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ﴾[البقرة: ٢٢٨].

(هـ) ﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ وَلا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ﴾ [البقرة: ٢٣٢].

(و) ﴿ ذَلِكَ يوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ ﴾ [البقرة: ١٧٧].

(ز) ﴿ يا أَيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَى كَالَّذِي ينفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلا يؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ﴾ [البقرة: ٢٦٤].

فهذه ثمانية مواضع في سورة واحدة ذكر فيها الإيمان باليوم الآخر مقروناً مع الإيمان بالله إثباتاً ونفيا فما بالك بما في القرآن كله من هذا النمط؟

لقد اقتضت حكمة الله سبحانه وتعالى أن يكون الإنسان منذ وجد على هذه الأرض من فئة مخلوقاته المزودة بصفات تؤهله للامتحان والابتلاء الرباني في مجال الحياة الدنيا وهذه الصفات هي:

١ ـ العقل المزود بالاستعداد لفهم النهي والأمر والتمييز بين الخير والشر والنفع والضر.

٢ ـ الإرادة التي لها جانب من الحرية والتصرف.

٣ ـ القدرة الظاهرة على تنفيذ بعض الأفعال التي يريدها.

ولما كان الإنسان مزودًا بهذه الصفات التي تكفي لتأهيله لمعرفته سبحانه وتعالى ومعرفة أمره ونهيه؛ وإخباره على ألسنة رسله أنه سيثيبه إن أطاع أوامره واجتنب مناهيه وأنه سيعاقبه إن عصى أوامره وارتكب مناهيه وجعل لهذا الثواب على الأعمال الصالحة والعقاب على الأعمال السيئة دار جزاء يصير إليها الإنسان بعد مفارقته لهذه الدنيا التي جعلت دار ابتلاء وامتحان كما قال تعالى: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ (١) الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُور} ﴾ [الملك: ١، ٢].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الإنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ [الإنسان: ٢].

ولقد سار المؤمنون بالله واليوم الآخر على هذه الطريقة واعتقدوا وجوب الثواب والعقاب في الآخرة على الأعمال التي يعملها الإنسان في هذه الدنيا ووفقوا بين النصوص التي ضل فيها غيرهم فقيدوا نصوص الوحي المطلقة بالنصوص المقيدة وخصصوا النصوص العامة بالنصوص الخاصة . أما الذين نبذوا كتاب الله وسنة نبيه وراء ظهورهم تكلموا في الجزاء والثواب والعقاب بغير علم ولا هدى فضلوا في هذا الباب وأخطئوا الصواب.

فقالت المعتزلة والقدرية: إن كلاً من الثواب والعقاب مرتب على الأعمال ترتيب العوض على المعوض ولا أثر في ذلك لمشيئة الله وإرادته وفضله وعفوه بل ذلك واجب على الله للعامل وجوبًا ذاتيا.

وقالت الجبرية: إن كلاً من الثواب والعقاب لا علاقة له بأفعال العباد ولا هو مترتب عليها لأن العباد ليست لهم أفعال اختيارية في نظر هؤلاء، إنما هي أفعال الله حقيقة لكن أضيفت إلى العبد مجازًا لأنه محلها. وقد استدلت المعتزلة على مذهبهم في هذه المسألة بقوله تعالى: ﴿ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يعْمَلُونَ ﴾ [الواقعة:٢٤]. واستدلت الجبرية بقوله ﷺ: «لن يدخل الجنة أحد منكم بعمله»، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل» (١) .

أما السلف الذين وقفوا مع كتاب الله وسنة نبيه ﷺ بعيدًا عن تحكيم الرأي وتقديمه على الوحي فإنهم جمعوا بين هذه النصوص ووفقوا بين دلالاتها فقالوا: إن الباء في قوله تعالى: ﴿ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يعْمَلُون ﴾ للسببية أي أن العمل سبب في حصول الثواب إن كملت شروطه وانتفت موانعه ترتبت عليه مسبباته وإلا فلا .

ومن شروط ترتب الثواب على العمل أن تتحقق مشيئة الله وتفضله على عباده.

---

(١) صحيح البخاري (٥٦٧٣) .

أما الباء في قوله ﷺ : «لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله» فهي باء العوض أي لا يكون العمل عوض بمجرده بل لابد أن تنضم إليه مشيئة الله وتفضله.

وبعد هذا التمهيد الذي تضمن بيان مناسبة الإتيان ببحث البعث عقب بحث الإيمان بالله.

أبدأ ببيان المقصود وهو البعث ومواقف القيامة.

* * *

البعث:

البعث لغة المصدر: بعثه يبعثه بعثًا.

وقد ورد استعمال البعث في اللغة العربية في معنيين أحدهما: الإرسال تقول بعثت فلانًا بكذا أي أرسلته ومنه قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً ﴾ [النحل: ٣٦] الآية.أي أرسلنا في كل جيل رسولاً.

المعنى الثاني: إحياء الأموات ومنه قوله تعالى: ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ﴾ [البقرة: ٢٥٩].

وهذا المعنى الذي هو إحياء الأموات يعبر عنه بلفظ البعث كما ذكر ويعبر عنه بالنشر والنشور، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴾[الدخان: ٣٥]. ومنه قول المهلهل بن ربيعة:

يا لبكر انشروا لي كليبا يا لبكر أين أين الفرار

أي: أحيوا لي كليبا بعد موته.

وهذا المعنى للبعث الذي هو إحياء الأموات يوم القيامة من قبورهم هو المقصود بالبحث في هذا الموضوع.

لقد اجتمعت الشرائع السماوية على أن البعث الجسماني آت لا محالة فجميع الرسل أنذروا أممهم ذلك اليوم وأخبروهم بأن الله سيبعثهم بعد موتهم ويجازيهم على أعمالهم.

* * *

طريقة القرآن الكريم في إثبات البعث والرد على منكريه:

لقد أكثر الله سبحانه من ذكر البعث في القرآن، وأقام الدليل عليه ورد على منكريه في غالب سور القرآن وهذا أمر لا يخفى على كل من قرأ كتاب الله وتدبر آياته وتفهم أوجه دلالاته فمعظم سور القرآن تشتمل على ذكر البعث وبيان براهينه بأساليب مختلفة وعبارات متنوعة فتارة يذكر سبحانه وتعالى البعث بطريقة الإخبار المجرد كقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ (١٥) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ تُبْعَثُون ﴾[المؤمنون:١٥، ١٦].

وتارة يأمر سبحانه وتعالى نبيه ﷺ بأن يقسم على البعث كما في قوله تعالى: ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يسِيرٌ ﴾ [التغابن: ٧].

وأحيانًا يكون الإخبار عن المعاد بطريقة إرشاد العقل وتنبيه المكلفين إلى البراهين العقلية التي من نظر فيها أدرك يقينًا قدرة الباري سبحانه وتعالى على إعادة الحياة مرة أخرى إلى الأجسام بعد فنائها واستحالتها، من ذلك:

١ ـ الاستدلال بالبدء على الإعادة، فإن كل عاقل يدرك يقينًا أن من قَدَر على بدء خلق الإنسان وإيجاده من العدم فهو أقدر على إعادته مرة أخرى كما قال تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيهِ ﴾ [الروم:٢٧]، وقوله تعالى: ﴿ أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ [ق:١٥].

أي: أَحَصَلَ لنا شيء من العجز والإعياء عند خلقنا للإنسان أول مرة حتى تكونوا أيها المنكرون للبعث في شك وريب من قدرتنا عليه؟!

ومن هذا النمط في الاستدلال قوله تعالى: ﴿ وَيقُولُ الإنسَانُ أَئِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيا (٦٦) أَوَلا يذْكُرُ الإنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يكُ شَيئًا ﴾ [مريم: ٦٦، ٦٧].

أي: ويقول الإنسان متعجبًا ومستبعدًا إعادة الحياة إليه مرة أخرى بعد موته أئذا مت سوف تعود لي الحياة مرة أخرى؟ فأجيب على هذا التساؤل بقوله: ﴿ أَوَلا يذْكُرُ الإنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يكُ شَيئًا ﴾ [مريم:٦٧]. أي أيستبعد الإنسان إعادة الحياة إليه مرة أخرى ولا يذكر أن الله خلقه من قبل أن يكون شيئًا مذكورًا.

٢ ـ ومن ذلك الاستدلال بقدرته سبحانه على إحياء الأرض بعد موتها على قدرته على البعث.

فإن كل عاقل نظر إلى الأرض وهي ميتة مجدبة ثم نظر إليها بعد أن كساها الله بأصناف النبات المختلفة الأشكال والألوان والزهور والثمار يدرك يقينًا أن من قدر على ذلك فهو على إحياء الأموات أقدر.

قال تعالى: ﴿ وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (٥) ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الحج: ٥، ٦] إلخ.

وقوله تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمُوتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٍ﴾ [فصلت: ٣٩].

والآيات في هذا المعنى كثيرة جدًّا يبين فيها سبحانه وتعالى قدرته على إعادة الحياة يوم القيامة إلى الأجسام مستدلاً على ذلك بقدرته على إحياء الأرض بعد موتها.

٣ ـ ومنها الاستدلال بقدرته على خلق السموات والأرض على قدرته على البعث وذلك أن من قدر على خلق الشيء العظيم فهو على خلق ما دونه أقدر، ومعلوم أن خلق السموات والأرض أكبر وأعظم من خلق الناس وإعادتهم قال تعالى: ﴿ لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يعْلَمُونَ ﴾ [غافر: ٥٧].

وقال تعالى: ﴿ أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا ﴾ [النازعات:٢٧].

وقال تعالى: ﴿ أَوَ لَمْ يرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلَمْ يعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ ﴾[الأحقاف: ٣٣].

وهذا النوع من الاستدلال كثير في القرآن ومن الأساليب الكثيرة المتنوعة في القرآن في سوق الأدلة على إمكان البعث إخباره سبحانه وتعالى عن إحياء الأموات في الدنيا قبل يوم القيامة مثل قصة عزير وحماره حيث أماته الله مائة عام ثم بعثه يشير إلى هذا قوله تعالى: ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يوْمًا أَوْ بَعْضَ يوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَينَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة: ٢٥٩].

وكذلك قصة إبراهيم عليه السلام والطيور وإحياء الله لهن بعد أن جعل على كل جبل منهن جزءًا يشير إلى هذه القصة قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يأْتِينَكَ سَعْيًا ﴾ [البقرة: ٢٦٠].

ولو سقت ما في القرآن من الآيات الدالة على إثبات البعث لطال الكلام جدًّا وفيما ذكرته من الأدلة القرآنية مقنع وكاف في حصول القطع في ثبوت البعث الجسماني.

ومن أوضح الآيات القرآنية دلالة على إمكان المعاد الآيات من أواخر سورة (يس) من قوله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (٧٨) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ (٧٩) الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴾ [يس: ٧٨ . ٨٠] إلى آخر السورة.

فلو رام أعلمهم وأفصحهم وأقدرهم على البيان أن يأتي بأحسن من هذه الحجة أو بمثلها بألفاظ تشابه هذه الألفاظ في الإيجاز ووضوح الأدلة وصحة البرهان لما قدر فإنه سبحانه وتعالى افتتح هذه الحجة بسؤال أورده ملحد اقتضى جوابًا فكان في قوله: ﴿ وَنَسِيَ خَلْقَهُ ﴾ ما يفي بالجواب وإقامة الحجة وإزالة الشبهة، ولما أراد سبحانه تأكيد الحجة وزيادة تقريرها قال: ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ فاحتج بالبدء على الإعادة وبالنشأة الأولى على النشأة الأخرى، إذ كل عاقل يعلم ضروريا أن من قدر على هذه قدر على تلك، وأنه لو كان عاجزًا عن الثانية لكان عن الأولى أعجز وأعجز، ولما كان الخلق يستلزم قدرة الخالق على المخلوق وعلمه بتفاصيل خلقه أتبع ذلك بقوله: ﴿ وَهُوَ الْخَلاَّقُ الْعَلِيمُ﴾ فهو عليم بتفاصيل الخلق الأول وجزئياته ومواده وصورته وكذلك الثاني فإذا كان تام العلم كامل القدرة كيف يتعذر عليه أن يحيي العظام وهي رميم ثم أكد الأمر بحجة قاهرة وبرهان ظاهر يتضمن جوابًا عن سؤال ملحد آخر يقول: العظام إذا صارت رميمًا عادت طبيعتها باردة يابسة، والحياة لابد أن تكون مادتها وحالها طبيعة حارة رطبة بما يدل على أمر البعث ففيه الدليل والجواب معًا فقال: ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴾ فأخبر سبحانه بإخراج هذا العنصر الذي هو في غاية الحرارة واليبوسة من الشجر الأخضر الممتلئ بالرطوبة والبرودة فالذي يخرج الشيء من ضده وتنقاد له مواد المخلوقات وعناصرها ولا تستعصي عليه هو الذي يفعل ما أنكره الملحد ودفعه من إحياء العظام وهي رميم ثم أكمل هذا بأخذ الدلالة من الشيء الأجل الأعظم على الأيسر الأصغر فقال: ﴿ أَوَلَيسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَى وَهُوَ الْخَلاَّقُ الْعَلِيمُ ﴾ [يس: ٨١].

ثم أكد سبحانه وتعالى ذلك وبينه ببيان آخر وهو أنه ليس فعله كفعل غيره الذي يفعل بالآلات والكلفة والنصب والمشقة ولا يمكنه الاستقلال بالفعل بل لابد معه من آلة ومعين أما هو سبحانه فيكفي لما يريد أن يخلقه ويكونه نفس إرادته وقوله للمكون (كن) فإذا هو كائن كما شاءه وأراده.

وهذا العرض الرائع للأدلة والتنظيم العجيب والترتيب المتقن والإكثار من الاستدلال هو الذي جعل الفلاسفة يدعون زورًا أن معاد الأبدان لم يفصح عنه أحد من الرسل ولم يخبر به أمته إلا محمد ﷺ.

ولقد كذبوا على الأنبياء وضلوا في هذا الباب فإن جميع الرسل أخبروا عن اليوم الآخر وبينوه لأممهم بيانًا كافيا إلا أن محمدًا ﷺ بين تفصيل اليوم الآخر بيانًا لا يوجد في شيء من كتب الأنبياء.

لأنه ﷺ خاتم الأنبياء ولأن القوم الذين بعث فيهم النبي ﷺ كانوا ينكرون البعث أشد الإنكار ويرونه من الأمور المستحيلة الوقوع كما صرح بذلك العاص بن وائل حيث جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخذ عظمًا قد أرم ففته بيده وقال أتزعم يا مُحَمَّد أن الله يقدر أن يحيي هذا، وكما حكى الله عنهم ذلك في قوله تعالى: ﴿ ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ (١) بَلْ عَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ (٢) أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ﴾ [ق: ١-٣](١).

* * *

مذاهب الناس في البعث والجزاء يوم القيامة:

لقد أجمع أهل الملل والشرائع السماوية بحسب أصولها الصحيحة على أن البعث حق لا شك فيه كما تقدم وذلك لأنه أمر جائز الوقوع عقلاً. وقد جاءت الأخبار الربانية الصريحة القاطعة في جميع الأصول الصحيحة للأديان والشرائع السماوية كافة بأنه من الأمور المقدرة المقضية بقضاء الله وقدره التي لا شك في وقوعها إذا جاء أجلها ، لذلك يجب التسليم لإخبار الله عز وجل والإيمان بما تضمنته دون تردد أو تأويل أو تحوير.

والإيمان بالبعث وإن كثرت أدلته في القرآن العزيز والسنة المطهرة وشرائع الرسل السابقين فقد أنكره بمفهومه الصحيح كثيرون ويمكننا أن نقسم هؤلاء المنكرين إلى ثلاثة أقسام:

الفرقة الأولى:

أن يقولوا كما حكى الله عنهم في قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا إنْ هِي إلاَّ حَياتُنَا الدُّنْيا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾ [الأنعام: ٢٩].

وقوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا مَا هِي إلاَّ حَياتُنَا الدُّنْيا نَمُوتُ وَنَحْيا وَمَا يهْلِكُنَا إلاَّ الدَّهْرُ ﴾ [الجاثية: ٢٤].

وطبيعي في هؤلاء أن ينكروا أمر البعث بعد أن أنكروا وجود الخالق الذي تظاهرت على إثباته جميع الأدلة المثبتة في كل ذرة من ذرات الكون وبعد أن جحدوا هذه الحقيقة الظاهرة التي يشهد لها ما لا يحصى من الأدلة في أنفسهم وفي الكون من حولهم فطبيعي أن ينكروا المعاد.

(١) شرح الطحاوية لعلي بن أبي العز الحنفي.

والرد على هؤلاء الوجوديين الذين جمعوا بين إنكار الخالق وإنكار البعث أن يقال: إن الله سبحانه وتعالى قد أنكر على هؤلاء ورد عليهم في كتابه العزيز بلفت النظر إلى وجود الخالق العظيم من خلال مظاهر قدرته وحكمته في خلق السموات والأرض وهذا الطريق من الاستدلال يأخذ بيد المنكرين إلى التعرف على حقيقتين:

الحقيقة الأولى: حقيقة وجود الخالق العظيم الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد.

الحقيقة الثانية: إثبات البعث لأن من أقر بوجود الله وآمن بصفاته العظيمة كقدرته على كل شيء وعلمه المحيط بكل شيء وعدله بين خلقه وحكمته العظيمة أدرك يقينًا أنه لم يخلق هذا الخلق عبثًا بل لابد من أن يكون لهم دار للجزاء غير هذه الدار.

الفرقة الثانية:

وهم قسم من الذين يعترفون بوجود الخالق ويقرون بربوبيته ولكنهم يشركون به في العبادة وينكرون البعث ومن هذا القسم المشركون الوثنيون من العرب وغيرهم في زمن الرسول ﷺ، وليس لهؤلاء من حجة إلا الاستبعاد المجرد وإظهار التعجب والاستغراب.

وقد حكى الله عنهم ذلك بقوله: ﴿ بَلْ عَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ (٢) أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ﴾[ق:٢،٣].

الفرقة الثالثة:

وهم قسم من الذين يعترفون بوجود الخالق ووحدانيته ولا يشركون معه أحدًا ولكنهم ينكرون البعث الجسدي ويثبتون الحياة الثانية بشكل روحاني فقط، وذلك لأنهم حكموا تصوراتهم الخاصة في أمور الغيب دون أن ينظروا إلى الحقائق التي جاءت بها الشرائع السماوية.

وليس لهؤلاء أدنى شبهة على إنكار المعاد الجسماني سوى استبعادهم لذلك وعدم الالتفات لما جاءت به الشرائع السماوية وطريقة القرآن العزيز في الرد على هاتين الفرقتين: الثانية والثالثة : هي استقصاء شبههم وحصر أوهامهم ثم نقضها شبهة شبهة كما تقدم في أول هذا البحث كاستدلاله بالبدء على الإعادة، واستدلاله بإحياء الأرض بعد موتها على إعادة الحياة إلى الأجسام يوم القيامة، واستدلاله بإخراج النار وهي ذات طبيعة حارة يابسة من الشجر الأخضر وطبيعته رطبة باردة، وكاستدلاله بخلق السموات والأرض على خلق الناس، إلى غير ذلك من أساليب المحاجة والمناظرة الواردة في القرآن العزيز على منكري البعث.

* * *

مواقف القيامة:

لقد ذكر الله اليوم الآخر في كتابه العزيز وأخبر عن أحوال القيامة وما يكون فيها من الأهوال العظيمة وما يلاقون فيها من أنواع الفزع والخوف ما لا يعلمه إلا الله قال تعالى: ﴿ فَكَيفَ تَتَّقُونَ إن كَفَرْتُمْ يوْمًا يجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا (١٧) السَّمَاءُ مُنفَطِرٌ بِهِ ﴾ [المزمل: ١٧،١٨].

وقال تعالى: ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يوْمَ الآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلا شَفِيعٍ يطَاع ﴾ [غافر: ١٨]. وقال تعالى: ﴿ وَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يؤَخِّرُهُمْ لِيوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ (٤٢) مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لا يرْتَدُّ إِلَيهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴾ [إبراهيم: ٤٢، ٤٣].

ومن هذه المواقف عبور الصراط.

الصراط :

تعريفه: **الصراط في اللغة:** الطريق الواضح تقول سلك فلان الصراط المستقيم أي الطريق الواضح.

ومن ذلك قول جرير:

أمير المؤمنين على صراط ــــــــــــــــ إذا عوج الموارد مستقيم

وهو بالصاد والسين المهملتين وبالزاي على نزاع في إخلاصها ومضارعتها بين الصاد والزاي من سرطت الشيء بكسر الراء ابتلعته لأنه يبتلع المارة أي يغيبهم.

وفي الشرع: جسر ممدود على متن جهنم يرده الأولون والآخرون ويحتمل أن يكون خلق عند خلق النار ويحتمل تأخر خلقه إلى يوم القيامة والله أعلم.

وقد استفاضت الأحاديث عن النبي ﷺ في ذكر الصراط وبيان صفاته.

ومن ذلك قوله ﷺ: «ويمر الناس على الصراط بقدر أعمالهم فمنهم من يمر كلمح البصر ومنهم من يمر كالبرق»

وجاء عنه ﷺ في بعض الآثار وصف الصراط بأنه دحض مزلة وأنه أدق من الشعرة وأحد من السيف،وهي آثار ضعيفة وقد ورد ذكر الصراط في القرآن كثيراً، لكن المراد به الطريق المعنوي أي الدين والشريعة لأن الصراط يطلق تارة على الطريق الحسي كما ورد في الأحاديث عن الجسر المنصوب على متن جهنم وقد يطلق على الطريق المعنوي كقوله تعالى: ﴿ وأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فاتَّبِعُوه ﴾[الأنعام:١٥٣] ومثل هذا كثير في القرآن، يعبر سبحانه وتعالى عن دينه وشرعه

بالصراط . ومن الأخبار الواردة في ذكر الصراط المستقيم ما رواه البيهقي بسنده عن مسروق عن عبد الله قال: «يجمع الله الناس يوم القيامة..» إلى أن قال: « فيعطون نورهم على قدر أعمالهم فمنهم من يعطى نوره مثل النخلة بيمينه ومنهم من يعطى دون ذلك بيمينه حتى يكون آخر من يعطى نوره على إبهام قدمه يضيء مرة ويطفأ مرة إذا أضاء قدم قدمه وإذا طفئ قام فيمر ويمرون على الصراط، والصراط كحد السيف دحض مزلة فيقال لهم امضوا على قدر نوركم فمنهم من يمر كانقضاض الكواكب ومنهم كالريح ومنهم من يمر كالطرف ومنهم من يمر كشد الرجل يرمل رملاً يمرون على قدر أعمالهم حتى يمر الذي نوره على إبهام قدمه تخر يد وتعلق يد وتعلق رجل وتخر رجل وتصيب جوانبه النار فيخلصون، فإذا خلصوا قالوا : الحمد لله الذي نجانا منك بعد أن أراناك لقد أعطانا الله ما لم يعط أحدًا»(١).

والمرور على الصراط المشار إليه بقوله تعالى: ﴿ وإِنْ مِنكم إِلاَّ وَارِدهَا كَانَ عَلَى رَبِّك حَتْمًا مَقْضِيًّا ﴾ [مريم:٧١].

وقد اختلف المفسرون في معنى الورود المذكور في هذه الآية على ثلاثة أقوال هي:

١ . أن المراد بالورود العبور على الصراط بالنسبة للمؤمنين الناجين، وأما غيرهم فورودهم دخول النار، وهذا أرجح الأقوال وعليه أكثر المفسرين ولا يعارضه قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي الذِينَ اتَّقَوْا ﴾ كما أورده بعضهم وقال: إن النجاة من الشيء لا تحصل إلا بعد الوقوع فيه والصواب عن هذا أن يقال لا نسلم أنه يلزم من النجاة من الأمر الوقوع فيه فإنه يجوز في اللغة أن تقول نجا فلان من الشر وإن لم يقع فيه إذا انعقدت أسبابه وكاد أن يصيبه والمؤمنون الذين يعبرون الصراط وينجون من النار قد انعقدت أسباب وقوعهم فيها لأنهم قد مروا من فوق ظهرها على الصراط وهو دحض مزلة، أحد من السيف وأدق من الشعرة إلا أن الله سلمهم بفضله وكرمه.

قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّينَا هُودًا ﴾ [هود:٥٨] ومعلوم أن هودًا عليه السلام لم يقع في العذاب ومع هذا أخبر سبحانه أنه نجاه من العذاب.

٢ . وقيل: المراد بالورود دخول النار لجميع الخلق إلا أنها لا تضر المؤمنين ولا يحسون بحرها وتكون عليهم بردًا وسلامًا كما كانت على إبراهيم عليه السلام حينما ألقي في النار وهذا القول له وجه من الصحة لولا أنه يرد عليه قوله ﷺ: «لن يلج النار أحد بايع تحت الشجرة».

ولهذا سألت حفصة رضي الله عنها رسول الله ﷺ إن الله يقول: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا ﴾ [مريم:٧١]

---

(١)المستدرك للحاكم (٣٤٢٤) وأنظر تعليق السلسلة الصحيحة (٢- ٦١٩ و ٦٢٠)

وأنت تقول: «لن يلج النارأحد بايع تحت الشجرة».

فقال ﷺ: «إنما ذلك العبورعلى الصراط أما سمعتيه يقول : ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا ﴾ [مريم:٧٢] (١) .

٣ ـ وقيل: إن المراد بالورود الوقوف حول النار قريبًا منها والاطلاع عليها وليس المراد العبور على الصراط ولا الدخول فيها وهذا أضعف الأقوال وإن كان جائزًا لغة.

وقد استدل أصحاب هذا القول بقوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يسْقُونَ ﴾ [القصص: ٢٣].

ووجه الاستدلال أن الله أخبر عن نبيه موسى عليه السلام أنه ورد ماء مدين ومعلوم أن موسى عليه السلام لم يدخل في البئر وإنما وقف حولها ومع هذا عبر عن وقوفه بالورود.

* * *

عقائد الناس في الصراط:

لقد اتفق المسلمون ـ عدا طائفة من المعتزلة ـ على إثبات الصراط في الجملة وإن خالف بعضهم في صفاته ونستطيع أن نقسم المسلمين بالنسبة إلى إثبات الصراط إلى ثلاثة أقسام:

١ ـ الجمهور من المسلمين: على إثبات الصراط بحقيقته وصفاته التي وردت في الآثار من كونه جسرًا منصوبًا على متن جهنم أحد من السيف وأدق من الشعرة وأحر من الجمر إلى غير ذلك من الصفات التي تصور صعوبة سلوك الصراط وهؤلاء اعتمدوا على النصوص الكثيرة المستفيضة فأثبتوها على ظاهرها ولم يتعرضوا لتأويلها وصرفها عن ظواهرها.

٢ ـ القسم الثاني: وهم طائفة من العلماء منهم عز الدين بن عبد السلام والقرافي وغيرهما وهؤلاء أثبتوا الصراط وآمنوا بوجوده وأنه منصوب على متن جهنم يمر المؤمنون عليه إلى الجنة لكنهم أنكروا كونه أدق من الشعرة وأحد من السيف وقالوا : إن ثبت هذا في الآثار فهو محمول على غير ظاهره لمنافاته للأحاديث الأخرى من قيام الملائكة على جنبتي الصراط وكون الكلاليب والحسك فيه وإعطاء كل من المارين عليه من النور قدر موضع قدميه.

وأوَّلَ ما ورد من وصف الصراط بأنه أحد من السيف وأدق من الشعرة بأن المراد يسر المرور عليه وعسره على قدر الطاعات والمعاصي ولا يعلم حدود ذلك إلا الله تعالى.

---

(١)صحيح مسلم (٢٤٩٦) .

وقد جرت العادة بضرب المثل بدقة الشعر مثلاً للغامض الخفي، وأصحاب هذا الرأي أقرب للصواب في نظري لعدم ثبوت هذه الصفات عن النبي ﷺ وليس لاستبعاد اتصاف الصراط بهذه الصفات فلو ثبت ذلك عنه ﷺ لوجب الإيمان به لأن قدرة الله لا يعجزها شيء.

٣ ـ القسم الثالث: طائفة من المعتزلة منهم القاضي عبد الجبار الهمذاني شيخ المعتزلة وهؤلاء أنكروا ما ثبت في الأحاديث من ثبوت الصراط زعمًا منهم أنه لا يمكن عبوره ولو قدر إمكانه لكان فيه تعذيب للمؤمنين.

والمؤمنون والصلحاء لا عذاب عليهم وإنما المراد بذكر الصراط في الأحاديث طريق الجنة المشار إليه بقوله تعالى: ﴿ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴾[مُحَمَّد: ٥].

وطريق النار المشار إليه بقوله تعالى: ﴿ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴾ [الصافات: ٢٣].

وهذا رأي باطل معارض للأخبار الصحيحة الثابتة عن النبي ﷺ.

والمعتزلة مولعون بمعارضة النصوص، واختراع الأقوال التي لا تقوم إلا على مجرد الرأي والهوى والقول على الله بلا علم والله أعلم.

* * *

الميزان:

تعريفه: الميزان مفعال من الوزن لأنه آلته، والمراد به هنا الميزان الذي ينصب يوم القيامة لوزن أعمال العباد وتمييزها.

وقد أجمع المسلمون ـ عدا المعتزلة ـ أن لله ميزانًا ينصب يوم القيامة وتوزن به أعمال العباد، وهو ميزان حسي له كفتان ولسان وقد استفاضت النصوص وتواترت من الكتاب والسنة على ثبوت الميزان وأنه حق.

فمن الكتاب:

أ ـ قوله تعالى: ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾[الأنبياء: ٤٧].

ب ـ وقوله تعالى: ﴿ وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٨) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ﴾ [الأعراف:٨،٩].

ج ـ وقال تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ (٦) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ (٧) وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ (٨) فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴾ [القارعة: ٦ ـ ٩].

ومن السنة:

أ ـ قوله ﷺ: «كلمتان خفيفتان على اللسان حبيبتان إلى الرحمن ثقيلتان في الميزان سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم»(١).

ب ـ وقوله ﷺ: «الطهور شطر الإيمان والحمد لله تملأ الميزان»(٢)

ج ـ وقوله ﷺ: «إنهما لفي الميزان أثقل من جبل أحد».(٣)

وهذه النصوص وأمثالها مما لم يذكر كافية في القطع بوجود الميزان يوم القيامة فهي لا تدع مجالاً للشك في ثبوت الميزان يوم القيامة إلا من أعمى الله بصيرته كالمعتزلة الذين أنكروا الميزان وأعرضوا عن نصوص الكتاب والسنة التي دلت عليه واعتمدوا على رأيهم الفاسد فقالوا ليس لله حاجة في وزن أعمال عباده واستدلوا على هذا بأمرين:

١ ـ أن الأعمال أعراض والأعراض لا تقبل الوزن وإنما الذي يقبل الوزن ويوضع في الميزان الأجسام.

٢- أن الله سبحانه وتعالى عالم بأعمال العباد فلا يحتاج في تمييزها ومعرفة كيفيتها إلى الميزان، وإذا كان الله عالما بها مطلعًا عليها لا تخفى عليه منها خافية، كان وزنها والحالة هذه عبثًا، والله سبحانه وتعالى منزه عن فعل العبث.

وقد أجاب الجمهور على هاتين الشبهتين بجواب مفحم لا يدع للمعتزلة أي تعليق فيما أوردوه فقالوا: أما قولكم: إن الأعمال أعراض والأعراض لا تقبل الوزن فالجواب عنه أن يقال: إن الله سبحانه وتعالى قادر على أن يقلب الأعراض ويحولها إلى أجسام، وقد بين النبي ﷺ شيئًا من ذلك فقال: «يؤتى بالموت يوم القيامة في صورة كبش أملح». اهـ الحديث(٤).

ومعلوم أن الموت معنى وقد قلبه الله وصيره جسمًا. وقال ﷺ: «إن الميت المؤمن إذا وضع في قبره أتاه ملكان...» إلى أن قال: «فيأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح، فيقول: من أنت؟ فوجهك الذي يجيء بالخير، فيقول: أنا عملك الصالح»(٥).

فإذا كان الله سبحانه وتعالى قادرًا على جعل العمل رجلاً فهو قادر على جعل الأعراض أجسامًا قابلة للوزن.

---

(١) صحيح البخاري (٦٤٠٦).

(٢) صحيح مسلم (٢٢٣).

(٣) صحيح ابن حبان (٧٠٦٩) وحكم الألباني صحيح.

(٤) معجم الكبير للطبراني (١٣٣٤٦) بلفظ يجاء بالموت.

(٥) مسند أحمد(١٨٥٣٤) وحكم الأرنؤوط إسناده صحيح.

٢. أما قولكم فإن الله عالم بأعمال العباد فلا يحتاج في معرفتها وتمييزها إلى ميزان فهذا صحيح، ولكن له في وزن الأعمال حِكَمٌ قد يظهر لنا بعضها ويخفى علينا الكثير، ومما ظهر لنا من الحكم إظهار العدل وإعذاره من عباده فإنه لا أحد أحب إليه العذر منه سبحانه من أجل ذلك أرسل الرسل مبشرين ومنذرين.

هل الوزن للأعمال أو للصحائف ؟

إننا إذا استقرأنا الأحاديث الواردة في ذكر الميزان أدركنا أن بعضها يدل على أن الوزن للأعمال وبعضها يدل على أن الوزن للعاملين وبعضها يدل على أن الوزن للصحائف، لأجل ذلك اختلف العلماء:

١ . فقالت طائفة: إن الوزن للأعمال لأن الأعمال هي التي يترتب عليها الثواب والعقاب واستدلوا على ذلك بقوله ﷺ: «الطهور شطر الإيمان والحمد لله تملأ الميزان»(١) ومعلوم أن قوله: الحمد لله عمل من أعمال اللسان وقد صرح هذا الحديث بأنه هو الذي يوضع في الميزان فدل على أن الوزن يكون للعمل.

٢. وقال آخرون: بل الوزن لصحائف الأعمال واستدلوا على ذلك بقوله ﷺ في حديث (البطاقة) الذي رواه عنه عبدالله بن عمرو وهو قوله ﷺ: «إن الله يخلص رجلاً من أمتي على رءوس الخلائق يوم القيامة...» إلى قوله: «فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة» (٢)(والبطاقة: صحائف) وقد وضعت في الميزان.

٣ . وقول أن الوزن للعامل نفسه مستدلين بقوله ﷺ: «والذي نفسي بيده إنهما لفي الميزان أثقل من جبل أحد»(٣) يعني ساقي عبدالله بن مسعود.

وقوله ﷺ:«إنه ليؤتى بالرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة، اقرءوا إن شئتم : ﴿ فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَزْنًا ﴾ [الكهف:١٠٥]»(٤).

والراجح أن الوزن يكون للأعمال وصحائفها وللعاملين جمعًا بين النصوص المختلفة التي استدل بها كل فريق من أصحاب الأقوال السابقة.

---

(١) صحيح مسلم (٢٢٣).

(٢) سنن الترمذي(٢٦٣٩) وحكم الألباني صحيح.

(٣) صحيح ابن حبان(٧٠٦٩) وحكم الألباني صحيح.

(٤) صحيح البخاري (٤٧٢٩) مسلم (٢٧٨٥).

* * *

الجنة والنار

تعريفهما:

الجنة في اللغة: عبارة عن البستان الذي تكثر فيه الأشجار المختلفة فتستر أرضه مأخوذة من جنَّ بمعنى ستر لأن مادة جَنَّ تدل على الستر والتغطية ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيهِ اللَّيلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي ﴾ [الأنعام: ٧٦]، أي: فلما غطاه الليل وستره بظلامه، ومن هذا المعنى قول الراجز:

حتى إذا جن الظلام واختلط

ومن هذه المادة اشتقاق المجن، الآلة التي يتقي بها المحارب ويستتر عن السيوف والرماح قال عمر بن أبي ربيعة:

فمكان مجني دون من كدت أتقي ______________ ثلاث شخوص كاعبان ومعصش

أي فكانت هذه الفتيات الثلاثة سترًا لي ممن كنت أريد اتقاءهم والاستتار عن أعين الإنس، والجنين لاستتاره في بطن أمه.

أما الجنة شرعًا: فهي تلك الدار التي أعدها الله مستقرًّا لعباده المؤمنين بعد أن يبعثهم وقد أعد لهم فيها من أصناف النعيم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

قال تعالى: ﴿ فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِي لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يعْمَلُونَ ﴾ [السجدة:١٧].

أما النار: فهي هذا العنصر الشفاف المحرق، وفي الشرع: دار أعدها الله لعباده الكافرين عقابًا لهم على كفرهم.

وقد أعد لهم فيها من أصناف العذاب والنكال ما لا تقوى على تحمله الجبال الراسيات.

قال تعالى: ﴿ إنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا (٢١) لِلطَّاغِينَ مَآبًا (٢٢) لابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا ﴾ [النبأ: ٢١، ٢٢].

الجنة والنار موجودتان الآن:

وهما موجودتان الآن وما زال المسلمون يعتقدون أن الجنة والنار موجودتان فيهما من أصناف النعيم وأشكال العذاب، ولم يشك أحد من المسلمين في وجودهما لاستفاضة النصوص من الكتاب

والسنة وتواترها على إثبات وجودهما فمن الكتاب قوله تعالى في الجنة: ﴿ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران:١٣٣] وقوله في النار: ﴿ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة:٢٤].

وقوله: ﴿ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴾ [النبأ:٢١].

ومن السنة قوله ﷺ: «عرضت علي الجنة والنار»(١)وقوله ﷺ: «دخلت الجنة فإذا هي جنابذ اللؤلؤ»(٢).

وقوله ﷺ: «اطلعت على الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء واطلعت على النار فرأيت أكثر أهلها النساء».(٣)

والقرآن والسنة مملوءان من أمثال هذه النصوص التي تعطي علمًا يقينًا بأن الجنة والنار قد خلقتا وفرغ من خلقهما.

خلاف المعتزلة في وجود الجنة والنار قبل يوم القيامة:

وقد خالفت القدرية والمعتزلة في خلق الجنة والنار قبل يوم القيامة فأنكروه وقالوا: إنه يلزم من خلقهما قبل يوم القيامة وصف أفعال الله بالعبث وعدم الحكمة ولما كان متقررًا عند المعتزلة وغيرهم أنه لا يقبل أي رأي مهما كان مصدره وصاحبه إلا بحجة التمسوا أدلة يزعمون أنها نص في عدم وجود الجنة والنار قبل يوم القيامة، فمن ذلك:

١ ـ قالوا: لو كان الله قد خلق الجنة والنار لبقيتا معطلتين عن السكان مددًا متطاولة وهذا عبث فإننا لو رأينا إنسانًا بنى بيتًا وأغلق أبوابه وهجره من السكنى سنين طويلة لحكمنا عليه بالعبث والله حكيم لا يفعل العبث.

واستدلوا أيضًا بقوله ﷺ: «لقيت إبراهيم ليلة أسري بي فقال: يا مُحَمَّد أقرئ أمتك مني السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء وأنها قيعان وأن غراسها: سبحان الله وبحمده» (٤)سنن الترمذي، ووجه الدلالة من الحديث في نظرهم أن الجنة إذا كانت قيعانًا وكان التسبيح غراسها لزم أنها معدومة.

---

(١) صحيح البخاري (٥٤٠)

(٢) صحيح البخاري (٣٣٤٢)

(٣) صحيح البخاري (٣٢٤١)

(٤) سنن الترمذي (٣٤٦٢) وحكم الألباني حسن

٢ ـ قالوا وكذلك قوله تعالى: ﴿ كُلُّ شَيءٍ هَالِكٌ إلاَّ وَجْهَهُ ﴾ [القصص: ٨٨] يدل على أن الجنة والنار غير مخلوقتين قالوا ووجه الاستدلال من الآية أننا قد علمنا بالضرورة من الدين أن كل شيء يهلك ويفنى قبل يوم القيامة فلو كانت الجنة والنار موجودتين الآن للزم أن تهلكا وتفنيا ومعلوم بالضرورة أن الجنة والنار خلقتا للبقاء لا للفناء.

مناقشة أدلة المعتزلة:

وقد أجاب الجمهور من المسلمين الذين لا يشكون في وجود الجنة والنار عن أدلتهم السابقة فقالوا:

أما قولكم أنه يلزم من خلقهما قبل يوم القيامة وصف أفعال الله بالعبث قياسًا على أفعال المخلوقين فالجواب من وجهين:

١ ـ أنه لا يجوز قياس الله على خلقه فكذلك لا يجوز قياس أفعاله سبحانه على أفعال خلقه فليس كل ما هو قبيح من العبد يكون قبيحًا من الله.

فإننا نعلم أن صفة الجبروت والكبرياء كمال لله سبحانه وتعالى، وهي صفة ذم وعيب في المخلوقين.

٢ ـ لا نسلم أن يكون مثل هذا الفعل عبثًا حتى في حق المخلوقين لأنه يجوز أن يعد الإنسان بيتًا ويهيئه للسكن ويبقيه مدة قبل نزوله ولا يكون ذلك عبثًا لاسيما إذا علم أن ضيفًا عزيزًا يقدم عليه فإنه يهيئ له المسكن ويبقيه معطلاً إلى أن يقدم ذلك الضيف.

وأما استدلالهم بقوله ﷺ: «لقيت إبراهيم...» الحديث فالجواب أن يقال: ليس في الحديث نص على ما تدعون من أن الجنة والنار معدومتان الآن بل بالعكس ففيه الدلالة على أن الجنة موجودة حيث وصفها إبراهيم عليه السلام بأنها طيبة التربة عذبة الماء وأنها قيعان ووصفه لها عن مشاهدة ورؤية وأما أن كون غراسها سبحان الله فلا يتعارض مع وجودها بأننا لا ندعي أن الله سبحانه وتعالى بعد أن خلق الجنة والنار لا يحدث فيهما بناء ولا غراسًا أو عذابًا أو جحيمًا بل لا يزال يحدث فيهما من الغراس والبناء وغيرهما حتى بعد أن يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار فإنه يحدث لهم فيهما كل يوم من أصناف النعيم وأشكال العذاب.

وأما استدلالهم بقوله تعالى: ﴿ كُلُّ شَيءٍ هَالِكٌ إلاَّ وَجْهَهُ ﴾ أن المراد من الآية عند المفسرين كل شيء كتب الله عليه الهلاك فإنه هالك والجنة والنار خلقتا للبقاء لا للفناء فلا تدخلان تحت عموم هذه الآية.

خلود الجنة والنار وآراء الناس في ذلك:

لقد أجمع المسلمون على خلود الجنة والنار ما عدا الجهم بن صفوان فإنه قال بفناء الجنة والنار وما عدا طائفة من السلف فإنهم قالوا بفناء النار دون الجنة وكذا أبو الهذيل العلاف من المعتزلة قال بفناء حركات أهل الجنة والنار.

أجمع المسلمون عدا من ذكرت على أن الجنة والنار خالدتان باقيتان لا تفنيان أبدًا ولا تبيدان ولم يشك أحد منهم في ذلك لاستفاضة الأدلة من الكتاب والسنة وتواترها على خلود الجنة والنار ومما ورد في الكتاب العزيز من أدلة خلود الجنة:

١ ـ قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيرَ مَجْذُوذٍ ﴾ [هود: ١٠٨].

٢ ـ وقوله تعالى: ﴿ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا ﴾ [الرعد: ٣٥].

ومن نصوص الكتاب الدالة على خلود النار قوله تعالى: ﴿ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴾ [البقرة:١٦٧]، وقال: ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾[المائدة:٣٧]، وقوله: ﴿ إنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴾ [الفرقان:٦٥] أي: لازمًا لهم مقيم.

أما من السنة فقد دلت على ما دل عليه الكتاب العزيز من دوام الجنة والنار من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: «يؤتى بالموت في صورة كبش أملح فيذبح بين الجنة والنار فينادى مناد يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت» البخاري بمعناه.

وقوله ﷺ: «من يدخل الجنة ينعم فلا يبأس ويخلد فلا يموت» وقوله: «ينادي مناد يا أهل الجنة إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا وأن تشبوا فلا تهرموا أبدًا وأن تحيوا فلا تموتوا أبدًا»(١).

وأمثال هذه النصوص في الكتاب والسنة كثير ومع هذه الأدلة الكثيرة التي تفيد القطع بخلود الجنة والنار فقد وقع خلاف في هذه المسألة ونستطيع أن نقسم الخلاف إلى أربعة أقسام:

١ ـ جمهور المسلمين يعتقدون بأن الجنة والنار باقيتان لا تفنيان كما تقدم ذلك مع أدلته.

٢ ـ الجهم بن صفوان وأتباعه: أعرضوا عن هذه النصوص وحكموا آراءهم وعقولهم الفاسدة وخالفوا جماعة المسلمين وقالوا يجب عقلاً أن تفنى الجنة والنار ويفنى من فيهما.

وشبهة الجهم بن صفوان على هذا المذهب الباطل اعتقاده أن التسلسل في أفعال الباري كما كان له حد في الماضي يجب أن يكون له حد في المستقبل ولو دامت الجنة والنار يلزم دوام أفعال الله

---

(١) صحيح مسلم (٢٨٣٧).

وللزم دوام الخلق ومشاركتهم لله في صفة البقاء والدوام، والرد على هذه الشبهة أن يقال:

١ . أن تسلسل أفعال الباري في الماضي والمستقبل أمر واجب لأن ذلك يعتبر كمال في حق الله سبحانه وتعالى لأن القول بانقطاع تسلسل أفعاله سبحانه وتعالى سواء كان من طرف الأول أو من طرف الأبد نقص لأنه يلزم على القول به أن يبقى الله سبحانه وتعالى معطلاً عن الفعل الذي هو من صفات كماله ووصفه بالعجز لأنه إذا امتنع عليه الفعل كان عاجزًا.

٢ . وأما قوله أنه يلزم من دوام الجنة والنار ودوام أهلها مشاركة الخلق لله في صفة البقاء والدوام فالجواب أن يقال: إن هناك فرقًا كبيرًا بين دوام الله ودوام الجنة والنار فإن دوام الله سبحانه وتعالى واجب لذاته ولا يقبل العقل غيره أما دوام الجنة والنار ومن فيهما فجائز غير واجب عقلاً بل هو حاصل بإرادة الله وإبقائه لهما.

٣ . أما أبو الهذيل العلاف أحد شيوخ المعتزلة فله مذهب في هذه المسألة يقرب من مذهب الجهم بن صفوان، فإنه يرى أن حركات أهل الجنة والنار تفنى وتنقطع ويبقون في سكون دائم لا يتحركون ولا يأكلون ولا يشربون ولا يحسون، ويقول: إن انقطاع الحركات كاف في انقطاع التسلسل في أفعال الباري في المستقبل وشبهته في هذا الرأي شبهة الجهم بن صفوان بعينها، والرد عليها عين الرد على شبهة الجهم.

٤ . وقد ذهبت طائفة من أهل العلم من السلف والخلف إلى القول بفناء النار دون الجنة، بعد أن يمكث أهلها حقبًا ويطهرون من درن الكفر والشرك، وقد استدلّ أصحاب هذا الرأي بآثار وردت عن الصحابة وعمومات وظواهر من الكتاب والسنة.

فمن الآثار ما روي عن عمر بن الخطاب ﷺ أنه قال: «لو لبث أهل النار في النار كقدر رمل عالج لكان لهم وقت يخرجون فيه»(١) ذكر ذلك عبد بن حميد في تفسيره. ومنها ما روي عن ابن مسعود ﷺ أنه قال: «ليأتين على النار يوم تصفق أبوابها من قلة الساكنين».(٢)

أما عمومات النصوص، وهي أقوى دلالة على ما ذهبوا إليه من الآثار الواردة في ذلك فهي:

قوله تعالى: ﴿ ورَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيء ﴾ [الأعراف:١٥٦] ووجه الاستدلال من هذه الآية على فناء النار أن يقال : الكفار المعذبون شيء، ورحمة الله وسعت كل شيء، فلا بد أن تسعهم، فينقطع عنهم العذاب وذلك بفناء النار قالوا: وتعذيب الكفار ليس المراد لذاته وإنما هو مراد

(١) قال الالباني في تحقيقه لكتاب "رفع الأستار" ص٦٥: ضعيف الإسناد لانقطاعه

(٢) السلسلة الضعيفة (٦٠٦)وحكم الألباني موضوع

بالعرض الذي استحقوا العذاب لأجل ما عرض لهم من الشرك والكفر لتطهيرهم من درن الكفر والشرك فإذا لبثوا في النار مدة تكفي لتطهيرهم وتنقيتهم أصبح بقاؤهم في النار خلاف الحكمة .

ومما استدلوا به من عمومات السنة قوله ﷺ: «لما قضى الله الخلق كتب كتابًا فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي سبقت غضبي» وفي رواية: «تغلب غضبي»(١) قالوا: فقد دل هذا الحديث على أن الرحمة تغلب الغضب ومعلوم أن الجنة أثر الرحمة وأن النار أثر الغضب فلابد أن تغلب الجنة النار فتبقى وتدوم وتفنى النار.

وقد أجاب هؤلاء القائلون بفناء النار دون الجنة عن النصوص الدالة على دوام النار وخلودها بأن قالوا كل ما ورد من ذلك حق نؤمن به ونعتقد معناه ولن يكون ذلك ما دامت النار موجودة فقوله تعالى: ﴿ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴾ [البقرة:١٦٧] أي: ما دامت موجودة وقوله: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ [المائدة:٣٧] أي: ما دامت موجودة باقية وهكذا فأولوا كل نص ورد في هذه المسألة بهذا المعنى، قالوا: ويدل على صحة هذا التأويل أنه لو حلف إنسان أن يحبس شخصًا في هذا البيت ولا يخرجه من حبسه أبدًا ثم خرب البيت وانهدم أن المحبوس يخرج منه ولا يحنث الحالف.

* * *

مقدمات اليوم الآخر:

بعد أن انتهى الكلام في اليوم الآخر وبيان مواقف القيامة وأحوالها فلابد من الكلام على مقدمات اليوم الآخر وبيانها وهي:

١ . أشراط الساعة:

تعريفها: الأشراط جمع شرط بفتحتين أي العلامة وأشراط الساعة علاماتها، والساعة هي الزمن المحدد في علم الله لإنهاء نظام الدنيا وبدء اليوم الآخر ونظرًا إلى أهمية قيام الساعة واحتمال قيامها على غفلة من الناس فقد ذكرها الله في مواضع كثيرة من كتابه العزيز مؤكدًا قرب قيامها، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ﴾ [القمر: ١].

وقوله: ﴿ وَمَا يدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴾ [الأحزاب:٦٣].

وقوله: ﴿ فَهَلْ ينظُرُونَ إلاَّ السَّاعَةَ أَن تَأْتِيهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا ﴾ [محمد: ١٨].

وقوله: ﴿ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ (١٧) يسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لا يؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلا إِنَّ الَّذِينَ يمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلالٍ بَعِيد ﴾ [الشورى: ١٧، ١٨].

---

(١) صحيح مسلم (٢٧٥١) .

وقد أكد النبي ﷺ ما دلت عليه نصوص الكتاب العزيز من قرب قيام الساعة في أحاديث كثيرة جدًّا منها قوله ﷺ:« بعثت أنا والساعة كهاتين وأشار بأصبعيه السبابة والوسطى »(١) وأكثر ﷺ من ذكر علاماتها وأماراتها منبهًا على قرب وقوعها وعدم الاغترار بالغفلة عنها، ومع إيماننا بوقوعها وقطعنا بقرب ذلك، فإننا نجزم بأنه لا يمكن لأحد معرفة الوقت الذي تقوم فيه الساعة مهما كانت منزلته عند الله سبحانه وتعالى فإنه لا يعلم بقيام الساعة أحد؛ لا ملك مقرب ولا نبي مرسل لأن علم الساعة من الأمور التي استأثر الله بعلمها قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَينَزِّلُ الْغَيثَ ﴾ [لقمان: ٣٤] أي: مختص سبحانه به وحده.

وقال تعالى: ﴿ يسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لا يجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إلاَ هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً يسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِي عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ ﴾ [الأعراف: ١٨٧].

ومن هذه الآيات والأحاديث الصريحة في اختصاص الله سبحانه وتعالى بعلم الساعة نعلم أن كل محاولة لتحديد قيام الساعة بحساب أو غيره، قام بها بعض العلماء فهي محاولة خاطئة ومردودة على صاحبها بمقتضى هذه النصوص التي قدمناها وبهذا يعلم أن ما ذكره جلال الدين السيوطي رحمه الله من أن الساعة تقوم على رأس المائة الخامسة بعد الألف غير صحيح.

ولقد استشكل بعض العلماء معاني النصوص الدالة على قرب قيام الساعة لاسيما وقد مضت مئات السنين على الإخبار عن قرب قيامها ولم تقم.

والجواب عن هذا أن يقال: إن القرب المذكور في كلام الله وكلام رسوله ﷺ قرب نسبي ـ أي ما بقي من الدنيا قليل بالنسبة إلى ما مضى منها، وقد بين النبي ﷺ هذا المعنى حيث قال في الحديث الذي رواه ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «لم يبق لكم في الدنيا بالنسبة للأمم السالفة إلا مثل ما بين العصر إلى غروب الشمس أي بالنسبة إلى كل اليوم».

* * *

(١) معجم الطبراني الكبير (١٩٩٨).

أقسام أشراط الساعة:

إننا إذا استقرأنا الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة المتضمنة لبيان أشراط الساعة استطعنا أن نقسمها إلى أقسام ثلاثة وهي:

١ ـ علامات مضت وانتهت مثل موته ﷺ، وفتح بيت المقدس، والفتن التي جرت كفتنة قتل عثمان وفتنة حروب الجمل وصفين وهذه العلامات أشار إليها ﷺ في قوله: «اعدد ستًا بين يدي الساعة موتي، ثم فتح بيت المقدس، ثم موتان يأخذ فيكم كقعاص الغنم، ثم استفاضة المال حتى يعطى الرجل مائة دينار فيظل ساخطًا، ثم فتنة لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته، ثم هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر فيغدرون، فيأتونكم تحت ثمانين غاية تحت كل غاية اثنا عشر ألفًا» رواه البخاري(١).

٢ ـ علامات ما زالت تحدث وسيستمر حدوثها إلى ظهور العلامات الكبرى ومن أمثلة هذا القسم قوله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يكون أسعد الناس بالدنيا لكع بن لكع»(٢) وقوله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تعود جزيرة العرب مروجًا وأنهارًا»(٣) وأمثلة هذا القسم كثيرة جدًّا منها: كثرة موت الفجأة وكثرة الفسق في القراء والتطاول في البنيان وأمثالها وتعرف عند العلماء بالعلامات الصغرى البعيدة.

٣ ـ أما العلامات الكبرى والقريبة التي يعقبها قيام الساعة وهي القسم الثالث من أقسام أشراط الساعة ـ فعشر أو إحدى عشرة على الخلاف:

١ ـ المهدي:

رجل يخرج في آخر الزمان يحكم المسلمين ويقاتل اليهود يملأ الأرض عدلاً وإيمانًا كما ملئت جورًا وظلمًا، وهو من أهل بيت رسول الله ﷺ واسمه مُحَمَّد بن عبدالله أو أحمد بن عبدالله وقد وردت فيه أحاديث كثيرة جدًّا إلا أنها لا تخلو من مقال لذا كان خروج المهدي محل نزاع بين العلماء. والتحقيق كما هو رأي ابن تيمية رحمه الله تعالى وكثير من المحققين: صحة الاحتجاج بالأحاديث الواردة في ذكر المهدي لأنها وإن كانت ضعيفة على رأي البعض فإنها تجبر بكثرة الطرق ومن أشهر

---

(١) صحيح البخاري (٣١٧٦) .

(٢) سنن الترمذي (٢٢٠٩) وحكم الألباني صحيح.

(٣) مسند أحمد (٨٨٣٣) وحكم الأرنؤوط حسن لغيره.

الأحاديث عن المهدي قوله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يحكم رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي يملأ الأرض عدلاً وقسطًا كما ملئت جورًا وظلمًا(١).

٢ . الدجال:

خروج الدجال من أمارات الساعة الكبار، وهو العلامة الثانية، وهو رجل كافر يخرج في آخر الزمان يحكم الناس ويفتنهم عن دينهم، قيل يخرج من مصر وقيل: من خراسان في إيران وهو الراجح لصحة الأخبار الواردة في ذلك وهو فتنة عظيمة للناس لأن الله سبحانه وتعالى أعطاه الأموال وأعطاه القدرة الخارقة للعادة يقتل الرجل ثم يحييه على ما ورد.

يأمر السماء أن تمطر فتمطر والأرض أن تنبت فتنبت ومعه نهران أحدهما ماء بارد، وعذب والآخر نار محرقة، وقد أرشدنا ﷺ إلى أن نختار نهر النار لو أدركنا الدجال على نهر الماء البارد وقال ﷺ:« إن جنته نار وناره جنة »(٢) وقال عليه الصلاة والسلام: «ما من نبي إلا وقد حذر أمته المسيح الدجال»(٣) ووصفه بأوصاف تميزه عن غيره خشية أن يخفى على الأمة فيفتنها، فقال عليه الصلاة والسلام:«الدجال أعور العين اليمنى كأن عينه عنبة طافية»(٤) وفي رواية: «أعور العين اليسرى»(٥). وقد جمع العلماء بين الروايتين أنه أعور العينين، والعور هنا المراد به: العيب فكلٌّ من عينيه عوراء بمعنى معيبة لكن إحداهما لا تبصر والأخرى معيبة وإن كانت مبصرة لأن العور في اللغة: العيب وقال ﷺ: «إنه ربعة آدم» وقال عليه الصلاة والسلام: «إنه جعد مكتوب بين عينيه (ك. ف. ر) يقرؤها كل مسلم قارئًا كان أو غير قارئ يبقى حكمه أربعين يومًا: يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وبقية أيامه كأيامنا هذه ويبقى في هذه المدة يعيث في الأرض فسادًا حتى ينزل عيسى ابن مريم فيقتله فتنتهي فتنته».

ومن هذه الأحاديث التي أشرت إليها وغيرها مما لم نذكره يتضح بطلان رأي بعض الجهلة والأدعياء على الشريعة الذين لم يصلوا إلى درجة التحقيق في النصوص والذين قالوا: إن الدجال عبارة عن المبادئ الهدامة (الشيوعية) وما يماثلها أو عبارة عن الدجل والشعوذة أو المادة التي فتنت الناس

---

(١) سنن أبي داود (٤٢٨٢) وحكم الالباني حسن صحيح .

(٢) صحيح مسلم (٢٩٣٤) .

(٣) التوحيد لابن خزيمة ص ١٠٣ .

(٤) صحيح البخاري (٣٤٣٩).

(٥) صحيح مسلم (٢٩٣٤).

وكانت أهم أمورهم وغاية مطلبهم حيث غيرت سلوكهم وأخلاقهم لأن الأحاديث صريحة كل الصراحة بأن الدجال رجل إذ الأوصاف التي وصف بها لا تنطبق إلا على إنسان حقيقي.

٣ . نزول عيسى ابن مريم عليه السلام:

نزول عيسى ابن مريم عليه السلام في آخر الزمان من علامات الساعة الكبرى، ولقد أخبر عليه الصلاة والسلام بأن عيسى ابن مريم عليه السلام ينزل في آخر الزمان حكمًا عدلاً يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية... وكذلك القرآن أشار إلى نزوله بقوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يكُونُ عَلَيهِمْ شَهِيدًا ﴾ [النساء:١٥٩] وقال: ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ يقِينًا (١٥٧) بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيهِ﴾ [النساء:١٥٧،١٥٨].

ويكون نزوله عليه السلام بالشام ويحكم الناس بشريعة محمد ﷺ ويقتل الدجال.

٤ . يأجوج ومأجوج:

خروج يأجوج ومأجوج من علامات الساعة الكبرى القريبة وقد ذكر يأجوج ومأجوج في القرآن الكريم. قال تعالى: ﴿ حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ ينسِلُونَ ﴾ [الأنبياء: ٩٦].

وقال تعالى: ﴿ حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَينَ السَّدَّينِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لاَّ يكَادُونَ يفْقَهُونَ قَوْلاً (٩٣) قَالُوا يا ذَا الْقَرْنَينِ إِنَّ يأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَن تَجْعَلَ بَينَنَا وَبَينَهُمْ سَدًّا ﴾[الكهف: ٩٣، ٩٤].

وهم أمتان عظيمتان من بني آدم على الراجح من نسل يافث بن نوح يخرجون في آخر الزمان ويفسدون في الأرض وقد جعل الله لخروجهم أجلاً لا يخرجون قبله، كما قال تعالى حكاية عن ذي القرنين: ﴿ قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴾[الكهف: ٩٨].

وقد ذهب بعض العلماء المعاصرين إلى أن يأجوج ومأجوج أمة الصين نظرًا إلى أنهم أكثر الأمم ولأنهم ذوو نزعة إجرامية ولأن الكرة الأرضية قد تم اكتشافها ولم يعثر على يأجوج ومأجوج الواردة في الأحاديث، وهذا الرأي غير صحيح لمصادمته النصوص كقوله تعالى: ﴿ قَالُوا يا ذَا الْقَرْنَينِ إِنَّ يأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَن تَجْعَلَ بَينَنَا وَبَينَهُمْ سَدًّا قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَينَكُمْ وَبَينَهُمْ رَدْمًا (٩٥) آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى

بَينَ الصَّدَفَينِ قَالَ انفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيهِ قِطْرًا (٩٦) فَمَا اسْطَاعُوا أَن يظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ﴾ [الكهف: ٩٥_٩٧].

فهذا النص الصريح في أن يأجوج ومأجوج قد حجز ذو القرنين بيننا وبينهم بسد حسي من الحديد والنحاس لا يستطيع يأجوج ومأجوج ظهوره ولا نقبه حتى يأتي أمر الله، فلو كانت الصين هي يأجوج ومأجوج لوُجِد السدّ وشوهد لأنه مادي محسوس، ولا يصح القول بأن المراد بالسد منع الله للصين من التسلط على الناس والخروج عليهم وأن السد أمر معنوي لأنه يلزم على هذا التعبير صرف الكلام عن حقيقته إلى مجازه بلا قرينة وهذا لا يجوز عند علماء البيان أما كون الكرة الأرضية اكتشفت ولم يعثر عليهم فهذا لا يستقيم من جهتين:

١ . أن الكرة لم تكتشف جميع أجزائها بل لا تزال بعض أجزائها مجهولة.

٢ . وحتى لو اكتشفت بالفعل لم يكن ذلك كافيا بالقطع بأن الصين هم يأجوج ومأجوج لاحتمال أن يكون الله أخفى هاتين الأمتين وصرف أعين الناس عنهم إلى أن يأتي وعد الله بخروجهم.

وقد دل القرآن على أن السد مادي محسوس فكذلك النبي ﷺ أخبر بما يتفق مع القرآن فقال: «ويل للعرب من أمر قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج هكذا»(١) وشبك بين أصابعه.

٥ . دابة الأرض:

هي دابة عظيمة الخلق غريبة الشكل لم تكن معهودة للناس وهي المشار إليها في الكتاب العزيز بقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآياتِنَا لا يوقِنُونَ ﴾ [النمل: ٨٢].

وقد وردت في ذكر الدابة وأوصافها ومكان خروجها آثار كثيرة منها المرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم ومنها الموقوف على الصحابة، وآثار عن التابعين . وأكثر الأقوال على أنها دابة عظيمة ذات قوائم يقال لها الجساسة تكلِّم الناس وتسمهم.

قيل: طولها ستون ذراعًا وفيها أوصاف الكثير من الحيوانات.

وقيل: هي فصيل ناقة صالح الذي دخل الصخرة وانطبقت عليه عندما عقرت أمه.

وأكثر الأقوال أنها تخرج من مكة من المسجد الحرام، أو من جبل الصفا، وإما من شعب أجياد، وقيل تخرج ثلاث مرات.

---

(١) صحيح البخاري (٧٠٥٩).

وعلى كل حال فإنه يجب الإيمان بخروج هذه الدابة عند قيام الساعة لثبوت ذلك في القرآن، وأما شكلها أو المكان الذي تخرج فيه فالله أعلم به .

ومن الآثار الواردة في الدابة ما روى ابن عمر عن النبي ﷺ أنه قال: «إن أول الآيات خروجًا طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس ضحى وأيتهما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على أثرها قريبًا»(١).

ومنها ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال:«بئس الشعب شعب أجياد ــ مرتين أو ثلاثًا ــ» قيل: ولِمَ يا رسول الله؟! قال: «تخرج منه الدابة فتصرخ ثلاث صرخات يسمعها ما بين الخافقين فتكلم الناس بالعربية بلسان ذلق وذلك قوله تعالى: ﴿تُكَلِّمُهُم ﴾ »(٢).

٦ . طلوع الشمس من مغربها:

وهي من آخر الآيات ظهورًا، وقد اختلف أيهما يكون قبل خروج الدابة أو طلوع الشمس من مغربها، مع اتفاقهم على أن زمنهما متقارب جدًّا إذا ظهرت إحداهما فالأخرى تليها، وقد قال ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا رآها الناس آمنوا كلهم فذلك حين لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا» (٣).

أما الإيمان الذي يكون موجودًا قبل ذلك ثم يستمر بعد طلوع الشمس من مغربها فإنه ينفع صاحبه.

فإن قيل: قد روي عن الرسول ﷺ أنه قال: «أول الآيات خروجًا طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة»(٤) ومعلوم أن الدجال ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام قبل ذلك، فالجواب أن يقال: إن طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة أول الآيات غير المألوفة في الناس، لأن الناس قد ألفوا طلوع الشمس من المشرق،فإذا طلعت من المغرب على غير عادتها كان ذلك أمرًا غريبًا عليهم، وأما الدابة فهي غريبة على الناس ولم يسبق أن رأوا حيوانًا يماثلها لا في الشكل ولا في التركيب ولا في كبر الجسم وضخامته.

أما الدجال وعيسى ابن مريم فهم أشخاص مألوفون ومعروفون للناس.

---

(١) صحيح مسلم (٢٩٤١).

(٢) الأوسط للطبراني (٤٣١٧) وحكم الألباني ضعيف. انظر السلسلة الضعيفة (٣٣٧٦).

(٣) صحيح البخاري (٦٥٠٦).

(٤) صحيح مسلم (٢٩٤١).

٧ . الدخان:

من أمارات الساعة الكبار على أحد أقوال المفسرين قوله تعالى: ﴿ يوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَان مُبِين(١٠) يغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيم ﴾[الدخان: ١٠،١١] . فقد روي عن علي وابن عباس وابن عمر وأبي هريرة، وزيد ابن علي، والحسن أن الدخان يظهر في العالم في آخر الزمان يكون علامة على قرب الساعة يملأ ما بين المشرق والمغرب وما بين السماء والأرض يمكث أربعين يومًا وليلة. أما المؤمن فيصيبه كالزكام ، وأما الكافر فيصير كالسكران فيملأ جوفه ويخرج من منخريه وأذنيه وتكون الأرض كلها كبيت أوقدت فيه النار.

أما القول الثاني في تفسير الدخان: أن الدخان ما أصاب قريشًا من شدة الجوع بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم حتى كان الرجل يرى بين السماء والأرض دخانًا فلمّا اشتدَّ عليهم الجهد جاء أبو سفيان إلى النبي ﷺ قال: يا مُحَّد جئت تأمر بصلة الرحم وإن قومك قد هلكوا فادع الله أن يكشف عنهم(١).

وهذا قول ابن مسعود وابن عباس أيضًا ومقاتل ومجاهد والفراء والزجاج، وهذا القول أقوى وأمشى مع ظاهر الآيات، فإن قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُون ﴾ ، وقوله : ﴿ إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذاب قَلِيلاً إِنَّكُمْ عَائِدُون ﴾ يدل على أن هذا الدخان يكون قبل أمارات الساعة، إذ لا يمكن أن يسأل الله أن يكشف عنهم العذاب بعد ظهور أمارات الساعة كما أن الإيمان لا ينفع بعد ذلك.

القول الثالث: أن المراد بالدخان المذكور في الآية الغبار الذي غشي مكة يوم الفتح من ازدحام جيوش الإسلام حتى حجب الأبصار عن رؤية السماء. وهذا القول أضعف الأقوال الثلاثة.

ثانيا: البرزخ

إن كل إنسان لابد له من ثلاث مراحل يمر بها من ولادته إلى أن يستقر في الجنة أو في النار.

المرحلة الأولى: الدنيا: يبقى الإنسان فيها من بلوغه إلى أن ينتهي أجله ويفارقها مكلفًا بفعل أوامر الله ورسوله وترك معاصيه فإن امتثل وفعل ما كلف به وخلق من أجله أثيب عليه في الآخرة وإن ترك ما كلف به وخلق من أجله عوقب عليه في الآخرة.

---

(١) صحيح البخاري (١٠٢٠) .

تعريف البرزخ:

هو في اللغة الحاجز بين الشيئين ومنه قوله تعالى: ﴿ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يلْتَقِيانِ (١٩) بَينَهُمَا بَرْزَخٌ لاَّ يبْغِيانِ ﴾ [الرحمن: ١٩، ٢٠]. وقال تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَينِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَينَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴾ [الفرقان: ٥٣].

وسميت الفترة التي تبدأ بموت الإنسان وتنتهي ببعثه يوم القيامة برزخًا لأنها تحجز بين الدنيا والآخرة، وقد جاء في القرآن الإشارة إلى البرزخ في قوله تعالى: ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (٩٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلاَّ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يوْمِ يبْعَثُونَ ﴾ [المؤمنون: ٩٩، ١٠٠].

أحوال البرزخ:

١ . سؤال الملكين في القبر:

من الأمور التي اتفق المسلمون على الإيمان بها: سؤال الملكين للميت في قبره عن: ربه ودينه ونبيه.

وأكثر العلماء على أن السؤال في القبر يكون عن هذه الأحوال الثلاثة، ولا يسأل الميت عن غيرها، جاء في حديث البراء بن عازب الذي أخرجه أحمد، وأبو داود: أن العبد إذا وضع في قبره، يأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟

وقال رسول الله ﷺ: «إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه إنه ليسمع قرع نعالهم، فيأتيه ملكان فيقعدانه فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل محمد ﷺ؟ فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبدالله ورسوله»(١) صحيح البخاري ومسلم.

والسؤال في القبر يكون للمؤمن والمنافق والكافر كما دلت على ذلك الأحاديث بخلاف ما ذهب إليه ابن عبد البر وغيره من أن السؤال خاص بالمؤمن والمنافق دون الكافر كما يؤيد العموم ظاهر قوله تعالى: ﴿ يثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَفِي الآخِرَةِ وَيضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ ﴾ [إبراهيم:٣٧].

ثبت في «الصحيحين» وغيرهما أن المراد بالتثبيت في هذه الآية التثبيت عند السؤال في القبر وليس السؤال خاصًّا بهذه الأمة كما ظنه بعضهم بل هو عام لها وللأمم قبلها، كل أمة تسأل عن ربها، ودينها، ونبيها.

(١) صحيح البخاري (١٣٧٤).

٢ . عذاب القبر ونعيمه:

لقد اتفق المسلمون ما عدا طائفة من المعتزلة فإنهم أنكروا عذاب القبر ونعيمه وردوا الأخبار الكثيرة الواردة في ذلك بمجرد أن عقولهم تستبعد حصول العذاب أو النعيم بعد أن يبلى الإنسان ويتحلل جسمه ، لو آمن هؤلاء المبتدعة بالنصوص واعتقدوا معناها وتصوروا عظم قدرة الله على كل شيء لما استبعدوا عذاب البرزخ ومن النصوص الدالة على عذاب القبر قوله تعالى: ﴿ وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ (٤٥) النَّارُ يعْرَضُونَ عَلَيهَا غُدُوًّا وَعَشِيا وَيوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾[غافر:٤٥، ٤٦]، وقال تعالى:﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الأَكْبَرِ ﴾ [السجدة:١٢] وهذا أحد الأوجه في تفسير هذه الآية أعني تفسير العذاب الأدنى بعذاب البرزخ، وقال تعالى: ﴿ فَذَرْهُمْ حَتَّى يلاقُوا يوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يصْعَقُونَ (٤٥) يوْمَ لا يغْنِي عَنْهُمْ كَيدُهُمْ شَيئًا وَلا هُمْ ينصَرُونَ (٤٦) وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ ﴾ [الطور: ٤٥ . ٤٧].

وأما الأحاديث الواردة في عذاب القبر فكثيرة جدًّا منها: ما روت عائشة ﵂ أنها سألت النبي ﷺ عن عذاب القبر فقال: «نعم عذاب القبر حق»(١) صحيح البخاري ومسلم.

ومنها ما روى ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ كان يعلمهم هذا الدعاء كما يعلمهم السورة من القرآن: «اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم وأعوذ بك من عذاب القبر وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال» صحيح مسلم.

ومنها ما رواه زيد بن ثابت عن النبي ﷺ قال: بينما النبي ﷺ في حائط لبني النجار على بغلة له ونحن معه إذ حادت به فكادت أن تلقيه وإذا أقبر ستة أو خمسة أو أربعة فقال: «من يعرف أصحاب هذه الأقبر» فقال رجل: أنا، فقال: «متى مات هؤلاء» فقال: ماتوا في الإشراك فقال النبي ﷺ: «إن هذه الأمة تُبتلى في قبورها ولولا ألا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر ما أسمع». ثم أقبل علينا بوجهه فقال: «تعوذوا بالله من عذاب القبر» (٢)صحيح مسلم.

ومنها ما روى ابن عباس عن النبي ﷺ أنه مر بقبرين فقال: «إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير أما أحدهما فكان لا يستبرئ من بوله وأما الآخر فكان يمشي بين الناس بالنميمة» فدعا بجريدة رطبة فشقها نصفين وغرز على كل قبر واحدة وقال: «لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا»(٣) صحيح البخاري.

---

(١) صحيح البخاري (١٣٧٢) .

(٢) صحيح مسلم (٢٨٦٧) .

(٣) صحيح البخاري (٢١٨) .

وكما تواترت النصوص واستفاضت في بيان عذاب القبر فكذلك النعيم، جاء في السنة الكثير من الأحاديث التي تدل على أنَّ المؤمن ينعم في البرزخ من ذلك قوله ﷺ في حديث البراء بن عازب ﵁ حيث جاء فيه قوله ﷺ بعد أن ذكر احتضار المؤمن والصعود بروحه إلى السماء ثم إعادتها إلى الأرض قال: «فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربي الله. فيقولان: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام. فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله. فيقولان له: ما علمك؟ فيقول: قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت. فينادي منادٍ من السماء أن صدق عبدي، فأفرشوه من الجنة وافتحوا له بابًا من الجنة. قال: فيأتيه من روحها وطيبها ويفسح له في قبره مد بصره»(١) سنن أبي داود ومسند الإمام أحمد.

وقال عليه الصلاة والسلام: «نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة» (٢)وقال: «لما أصيب إخوانكم – يعني في أحد – جعل الله أرواحهم في حواصل طير خضر تسرح في الجنة وترد أنهارها وتأوي إلى قناديل معلقة في ظل العرش» (٣)مسند الإمام أحمد.

وكل إنسان استحق العذاب أو النعيم في البرزخ فلابد أن يناله نصيبه من ذلك قُبر أو لم يقبر، وتسميته بعذاب القبر باعتبار الغالب لأن أغلب الأموات يقبرون وقد اختلف المقرون بعذاب القبر ونعيمه هل يكون على الروح أو على الروح والبدن جميعًا؟ فأكثر السلف على أن العذاب والنعيم في البرزخ يكون على الروح والبدن جميعًا إلا أن الروح أوفر نصيبًا في ذلك، وقال آخرون منهم الإمام أبو مُحَمَّد علي بن حزم: إن العذاب للروح دون البدن.

قال ابن القيم رحمه الله في كتاب «الروح» حول هذا المعنى:

«إن الدور ثلاث: دار الدنيا ودار البرزخ ودار القرار، وقد جعل الله لكل دار أحكامًا تخصها وركب هذا الإنسان من روح وبدن وجعل أحكام الدنيا على الأبدان والأرواح تبعًا لها، وجعل أحكام البرزخ على الأرواح والأبدان تبعًا لها فإذا جاء يوم حشر الأجسام وقيام الناس من قبورهم صار حكم النعيم والعذاب على الأرواح والأجساد جميعًا» انتهى.

يعني رحمه الله بهذا الكلام: أن الذي ينعم أو يعذب في القبر الروح إلا أن البدن يناله قسط من ذلك كما كان العذاب والنعيم في الدنيا للبدن وينال الروح نصيبها من ذلك وبمناسبة ذكر الروح هنا فلابد من بيان حقيقتها وآراء الناس فيها.

---

(١) سنن أبي داود (٤٧٥٣) وحكم الالباني صحيح

(٢) سنن ابن ماجه (٤٢٧١) وحكم الألباني صحيح

(٣) مسند أحمد (٢٣٨٨) ومسند البزار (٤٧٢٠) وسنن الترمذي (٢٥٢٠) وحكم الألباني حسن

* * *

الروح

إذا تحدثنا عن الروح فإننا نقصد الحديث عن هذا الجسم اللطيف الذي يعمر بدن الإنسان زمن الحياة، ويكسبه الحس والحركة والحياة، وينفصل عنه ويفارقه عند الوفاة.

وهذا الموضوع ـ أعني البحث في الروح ـ يتضمن بيان حقيقة الروح ووجودها، والخلاف في حدوثها وأزليتها، وهل الروح غير النفس أو هما لفظان مترادفان ومسماهما واحد، وهل تفنى الروح بعد مفارقتها للبدن وانفصالها عنه أو هي باقية خالدة.

حقيقة الروح:

لقد أكثر الناس من الكلام ببيان حقيقة الروح وتباينت آراؤهم فيها واختلفت مذاهبهم واضطربت أقوالهم لأن أكثر تلك الأقوال لم يعتمد على حجج واضحة أو براهين صحيحة وإنما قام على الظن والتخمين، والظن لا ينفع في الأمور الغائبة ولا يصلح حجة يعتمد عليها.

فقيل: الروح عبارة عن عرض من أعراض البدن به تكون الحياة، وبزواله تكون الوفاة.

وقيل: الروح عبارة عن اعتدال الطبائع الأربع: الحرارة ، والبرودة، والرطوبة، واليبوسة.

وقيل: الروح الحرارة الغريزية الموجودة في البدن وقت الحياة.

وقيل: هي الدم الصافي الخالي من الكدرة والعفونات.

وهذه الأقوال كلها باطلة، وتدل على كفر صاحبها وإنكاره للمعاد، لأن كلا من العرض واعتدال الطبائع تذهب وتنعدم بالموت، ولا تبقى لتعذب أو تنعم في البرزخ وتعود إلى الأبدان عند بعثها وإخراجها يوم القيامة.

وأحسن ما قيل في بيان حقيقة الروح هو ما دلت عليه عمومات الكتاب والسنة، أنها جسم مخالف بالماهية لهذا الجسم المحسوس وهو جسم نوراني علوي خفيف حي متحرك ينفذ في جوهر الأعضاء ويسري فيه سريان الماء في الورد وسريان الدهن في الزيتون والنار في الفحم.

وهذا التعريف هو الذي اختاره ابن القيم ونصره وأورد عليه أكثر من مائة دليل من الكتاب والسنة، وهي وإن كانت عمومات إلا أنها لكثرتها تؤيد هذا القول وتدل عليه ومن تلك الأدلة قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلائِكَةُ بَاسِطُوا أَيدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ ﴾ [الأنعام: ٩٣].

فإنها دلت على أن الروح جسم من عدة وجوه:

أولاً: قوله: ﴿ وَالْمَلائِكَةُ بَاسِطُوا أَيدِيهِمْ ﴾ فلو لم تكن الروح جسمًا يصلح لبسط اليد وقبضها لم يكن لبسط الملائكة أيديهم معنى عند احتضار الكافر.

ثانيا: قوله: ﴿ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ ﴾ وجه الاستدلال أن الروح لو لم تكن جسمًا يقبل الخروج والإخراج والخطاب لم يكن لقوله أخرجوا أنفسكم معنى.

ثالثًا: قوله: ﴿ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ ﴾ مخاطبة الروح وتوبيخها دليل على أنها جسم يقبل الخطاب والتوبيخ.

ومن الأدلة أيضًا قوله ﷺ: «إن الروح إذا خرج تبعه البصر» (١)وفي هذا دليل واضح على أن الروح شيء يرى ويتبعه البصر.

وأصرح من هذا الحديث في الدلالة حديث البراء بن عازب ﵁ وقد جاء فيه أن النبي ﷺ قال: «إن العبد المؤمن إذا كان في إقبال من الآخرة وانقطاع من الدنيا نزلت إليه من السماء ملائكة كأن وجوههم الشمس معهم كفن من أكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة حتى يجلسوا منه مد البصر ثم يجئ ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الطيبة اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان فتخرج فتسيل كما تسيل القطرة من في السقاء فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن...» الحديث(٢).

فخروجها من البدن وأخذ ملك الموت لها وأخذ الملائكة إياها من ملك الموت ووضعها في الكفن كل ذلك يدل على أن الروح جسم.

والنصوص الدالة على عذاب الروح ونعيمها في البرزخ تدل على أنها جسم وهي كثيرة جدًّا منها قوله ﷺ: «نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة»(٣).

* * *

الخلاف في حدوث الروح:

لم يكن الخلاف قاصرًا على بيان حقيقة الروح وشرح ماهيتها فلقد تنازع الناس في الروح هل هي قديمة أزلية لم يسبقها عدم؟ أو هي حادثة مخلوقة كسائر المخلوقات؟ فكثير من الفلاسفة وعلى رأسهم ابن سيناء يرون أن الروح قديمة أزلية وأنها هبطت على الإنسان من العالم العلوي قسرًا عنها ولقد تعصب ابن سيناء لهذا الرأي في أكثر كتبه حتى قال قصيدته المشهورة في هذا المعنى تعرف

(١) صحيح مسلم (٩٢٠) بلفظ (إن الروح إذا قبض تبعه البصر)

(٢) شرح العقيدة الطحاوية للشيخ علي بن علي بن مُحَمَّد بن أبي العز الحنفي (ص٤٤٤).

(٣) سنن ابن ماجة (٤٢٧١) وحكم الألباني صحيح

بعينية ابن سينا أو النفسية، ومن أبيات هذه القصيدة قوله:

هبطت إليك من المحل الأرفع ـــــــــــــــــــ ورقاء ذات تعزز وترفع

محجوبة عن كل مقلة عارف ـــــــــــــــــــ وهي التي سفرت ولم تتبرقع

وصلت على كره إليك وربما ـــــــــــــــــــ كرهت فراقك وهي ذات تفجع

ألفت وما سكنت فلما واصلت ـــــــــــــــــــ ألفت مجاورة الخراب البلقع

وأظنها نسيت عهودًا بالحمى ـــــــــــــــــــ ومنازلاً بفراقها لم تقنع

حتى إذا اتصلت بهاء هبوطها ـــــــــــــــــــ عن جسم مركزها بذات الأجرع

علقت بها تاء الثقيل فأصبحت ـــــــــــــــــــ بين المعالم والطلول الخضع

تبكي وقد ذكرت عهودًا بالحمى ـــــــــــــــــــ بمدامع تهمي ولما تقلع

وتظل ساجحة على الدمن التي ـــــــــــــــــــ درست بتكرار الرياح الأربع

إذ عاقها الشرك الكثيف وصدها ـــــــــــــــــــ قفص عن الأوج الفسيح المربع

ومنها أيضًا قوله:

فلا شيء أهبطت من شاهق ـــــــــــــــــــ عال إلى قمر الحضيض الأوضع

ونحن إذا تأملنا أبيات هذه القصيدة ظهر لنا بوضوح رأي ابن سيناء في هذه المسألة، فإنه صور النفس البشرية بحمامة هبطت من أعلى مكان وأقدسه إلى أسفل مكان وأوضعه فهو يقول: إن النفس البشرية كانت ذات سمو وعلو في العالم العلوي بعيدة عن أن يدركها مدرك حتى ولو كان من العارفين الذين سخرت لهم طبائع الأشياء وكشف لهم من الغيب ما يدركون به بعض العالم الغائب على حد زعمهم.

ومن هذا المحل الرفيع أهبطت إلى الأرض إلى جسم الإنسان مكرهة تبكي فسكنت جسم الإنسان فألفته وكرهت فراقه وأصبحت بسبب هبوطها الذي فارقت به أوجهًا وعلوها أرضية ثقيلة تأنس بكل أرض فنسيت عهد العلو والسمو بسبب الشرك والأقفاص التي حبست فيها وهي أجسام البشر.

ولما كان قول الفلاسفة بقدم الروح مجرد دعوى ومعلوم أن كل دعوى تفتقر في ثبوتها إلى حجة وبرهان يدعمها فقد بحث أصحاب هذا الرأي الفاسد عن شيء يدعمون به رأيهم فلم يجدوا إلا

ظواهر آيات لا تدل على ما ذهبوا إليه، فمن ذلك استدلالهم بظاهر قوله تعالى: ﴿ قُلْ الروح مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾ ،وقوله تعالى: ﴿ وَنَفَخْت فِيهِ مِنْ روحِي ﴾ ووجه استدلالهم من الآية الأولى أن الروح إذا كانت من أمر الله فأمر الله قوله، وقوله صفة من صفاته وصفاته قديمة، إذًا فالروح قديمة. ووجه استدلالهم من الآية الثانية أن إضافة الروح إلى الله تقتضي قدمها كما أن إضافة العلم والقدرة وغيرهما من صفات الباري إليه سبحانه تدل على قدمها.

مناقشة الدليلين:

أ ـ مناقشة أدلة القائلين بقدم الروح:

أولاً: ﴿ قلْ الروح مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾ الأمر يطلق ويراد به الأمر الطلبي ، أي: القول ويطلق ويراد به الشأن، والمأمور والروح من أمر الله الذي هو الشأن، والمأمور لا من أمر الله الذي هو القول ومعلوم أن كل شأن ومأمور مخلوق لتكون الروح من سائر مخلوقات الله ويتضح الفرق بين الأمرين عند الجمع فإن الأمر الذي بمعنى الشأن يجمع على أمور، أما الأمر القولي فإنه يجمع على أوامر.

ثانيا: ﴿ وَنَفَخْت فِيهِ مِنْ رّوحِي ﴾ إضافة الروح إلى الله سبحانه وتعالى من باب إضافة المخلوق إلى خالقه لا من إضافة الصفة إلى الموصوف، والإضافة إلى الله نوعان: إضافة ذوات، كعبد الله وبيت الله وناقة الله وروح الله، وإضافة صفة إلى الموصوف كعلم الله وقدرة الله وحياة الله.

الرأي الثاني:

الروح محدثة بعد أن لم تكن مخلوقة مربوبة كغيرها من سائر المخلوقات، وهذا هو القول الصحيح، وقد أجمعت عليه الرسالات السماوية وهو ما يؤيده العقل والفطرة السليمة والقياس، فإن كل ما سوى الله حادث، والروح غير الله وصفاته؛ فهي حادثة، ولقد جاءت الدلالة في القرآن الكريم في أكثر من آية على أن الروح حادثة بعد أن لم تكن، من ذلك ما يأتي:

أ ـ قوله تعالى: ﴿ الله خالق كل شيء ﴾ وجه الاستدلال من الآية أن يقال : الروح شيء وكل شيء مخلوق ينتج الروح مخلوق لأن القاعدة المنطقية في مثل هذا القياس أن تكون النتيجة مركبة من موضوع المقدمة الصغرى ومحمول الكبرى.

ب ـ قال تعالى: ﴿ وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئًا ﴾ وجه الاستدلال من الآية أن الله تعالى أخبر أن زكريا عليه السلام لم يكن شيئًا قبل خلقه له، ومعلوم أن الإنسان عبارة عن بدن وروح، والخطاب في الآية لزكريا لبدنه وروحه.

ومثل هذه الآية في الدلالة على حدوث الروح قوله تعالى: ﴿ هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئًا مذكورًا ﴾ .

وبما ذكرته يتضح لك أن الروح محدثة مخلوقة من عدم، وأن الله سبحانه وتعالى هو المختص بالأولية والقدم وحده ودون من سواه.

الخلاف في سبق الروح للبدن في الحدوث أو تأخرها عنه:

كما تنازع الناس في قدم الروح وحدوثها تنازع القائلون بأنها محدثة في هل كان حدوثها سابقًا لخلق البدن أو متأخرًا عنه، فذهبت طائفة منهم الإمام أبو مُحَمَّد بن حزم الأندلسي ومُحَمَّد بن نصر المروزي إلى أن الأرواح سابقة للأبدان في الحدوث فيقولون: إن الله خلق الأرواح يوم أخذ الميثاق على آدم واستخرج ذريته من ظهره وأنه أودعها في مكامن خاصة بها ثم يرسل منها إلى الأبدان جملة بعد جملة فإذا تكون الجنين في الرحم وبلغ مرحلة نفخ الروح أرسلت إليه روحه من مكمنها بواسطة الملك واستدلوا على هذا الرأي بأدلة منها قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُم ثُمَّ صَوَّرْنَاكُم ثُمَّ قُلْنَا للمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَم ﴾ ، وقوله تعالى: ﴿ وَإذ أَخَذَ رَبُّك مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِم ذُرِّيتِهم وأشهدهم على أَنْفُسِهِم أَلَسْتُ بِرَبِّكُم قَالُوا بَلَى ﴾ وقوله ﷺ: «إنَّ الله مسح ظهر آدم فاستَخْرَجَ ذُريته كالذر».

وجه استدلالهم من الآية الأولى أن الله سبحانه وتعالى أخبرنا بأنه خلقنا وصورنا قبل أمر الملائكة بالسجود لآدم لأنه عطف أمر الله للملائكة بالسجود على خلقنا وتصويرنا بثم وهي للتراخي، ومعلوم أن أبداننا لم تخلق إلا بعد خلق أبينا آدم وسجود الملائكة له فتعين أن الخلق والتصوير المذكورين في الآية كانا للأرواح أما وجه الاستدلال من الآية الثانية والحديث أن الآية تضمنت الإشارة إلى أن الله أخرج ذرية آدم من صلبه قبل خلق أبدان ذريته كما يبين ذلك النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: «إن الله مسح ظهر آدم فاستخرج ذريته» أي: أرواحهم.

مناقشة الأدلة:

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُم ثُمَّ صَوَّرْنَاكُم ثُمَّ قُلْنَا للمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَم ﴾ الآية.. الخلق والتصوير المذكوران في هذه الآية الكريمة المراد بهما خلق آدم وتصويره، وكون الخطاب بصيغة الجمع لا يمنع هذا التفسير إذ من الجائز في اللغة أن يرد الخطاب بلفظ الجمع ويراد به واحد لأهميته وكونه داخلاً في المجموع.

أما استدلالهم بقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَتَهُمْ ﴾ [الأعراف:١٧٢] فاستدلال غير صحيح لأن الآية المذكورة لا تدل على أن الله استخرج أرواح ذرية آدم من ظهره قبل خلق بنيه وإنما تدل على أن الله أخرج من بني آدم ذريتهم بعضهم من بعض، نعم يكون في الآية دليل على ما ذهبوا إليه لو كان لفظ الآية (وإذ أخذ ربك من آدم من ظهره ذريته) لكنه قال: ﴿ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ﴾[الأعراف:١٧٢].

الرأي الثاني في المسألة:

أن خلق الأبدان متقدم على حدوث الأرواح وإلى هذا القول ذهب أكثر العلماء منهم تقي الدين شيخ الإسلام ابن تيمية والشيخ ابن القيم وأكثر المحققين وهو الذي تشهد له الأدلة الصحيحة من الكتاب والسنة ومن أدلة هذا القول من الكتاب قوله تعالى: ﴿ يا أَيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً ﴾ [النساء: ١] وجه الاستدلال أن الآية صرحت بأن خلق جملة النوع الإنساني حدث بعد خلق أصله بدلالة من قوله تعالى: ﴿ مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ على هذا المعنى.

ومن السنة قوله ﷺ: «إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك» إلى قوله ﷺ: «ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح»(١)فلو كانت الروح موجودة قبل ذلك لقال: ثم يرسل إليه الروح لكنه قال: فينفخ فيه الروح، تدل على أنها تحدث وقت النفخ بأمر الله.

* * *

الفرق بين الروح والنفس:

لقد بحث العلماء هذه المسألة أعني مسألة الفرق بين النفس والروح وتوصلوا إلى نتيجة هي أن لفظ النفس ولفظ الروح لفظان مترادفان يدلان على مسمى واحد، من حيث الوضع اللغوي: هو الروح التي تكون في بدن الإنسان في الحياة وتفارقه بالموت(٢).

ولا يرد على هذا الرأي أن لفظ النفس قد يطلق على أمور لا يصح إطلاق لفظ الروح عليها كإطلاق النفس على الدم لأن ذلك عن طريق المجاز لا بمقتضى الوضع اللغوي فإن قول السموأل بن عاديا اليهودي:

تسيل على حد الضباة نفوسنا ــــــــــــــــ وليست على غير الضباة تسيل

---

(١) مسند أحمد (٣٦٢٤) وحكم الألباني صحيح أنظر : صحيح الجامع الصغير (١٥٤٣) .

(٢) شرح الطحاوية لعلي بن أبي العز الحنفي.

لا يعني أن أرواح قومه تسيل على أطراف السيوف والرماح وإنما يعني أن دماءهم هي التي تسيل على سبيل المجاز لعلاقة ملازمة خروج الروح لسيلان الدم الكثير جدًّا في الغالب وكما أن النفس تطلق على معان لا تطلق عليها الروح فكذلك يجوز إطلاق لفظ الروح مجازًا على معان لا يصح إطلاق لفظ النفس عليها كإطلاق بعضهم الروح على الهواء المتردد في بدن الإنسان، وحسب ظني أن العلاقة في التجوز في إطلاق الروح على الهواء أن الريح أصلها الهواء المتحرك والريح: واوية العين أصلها روح وقعت الواو ساكنة بعد كسر فوجب قلبها ياء لتلائم الكسرة كما تقتضيه القاعدة الصرفية ومما يدل على ذلك رجوع الواو في الجمع في كلام العرب كقول زهير بن أبي سلمى:

قف بالديار التي لم يعفها القدم ـــــــــــــــــ بلى وغيرها الأرواح والديم

أي: الرياح وكذا قول الشاعرة العربية:

لبيت تخفق الأرواح فيه ـــــــــــــــــ أحب إلي من قصر منيف

تعني: الرياح.

* * *

هل تموت الروح أو الموت خاص بالبدن ؟

يرى بعض الناس أن الروح قابلة للموت والفناء كغيرها من سائر المخلوقات ويستدل أصحاب هذا الرأي بأدلة منها قوله تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، وقوله تعالى: ﴿ كُلُّ شَيءٍ هَالِكٌ إلاَّ وَجْهَهُ ﴾ [القصص: ٨٨]، وقوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَينِ ﴾ الآية [المؤمن: ١١].

وجه استدلالهم من الآية الأولى أن الروح نفس وكل نفس ذائقة الموت. النتيجة: الروح ذائقة الموت. أما وجه الاستدلال عندهم من الآية الثانية فهو أن الروح شيء وكل شيء هالك إلا الله، النتيجة: الروح هالك، أما الآية الثالثة فوجه استدلالهم منها: أنها نصت على أن أهل النار ذكروا في تضرعهم إلى الله واعترافهم بذنبهم أنه أماتهم مرتين فتكون إحدى الإماتتين للبدن والأخرى للروح لأن الأبدان لا تموت إلا مرة واحدة(١).

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية للشيخ علي بن علي بن مُحَمَّد بن أبي العز الحنفي (ص٤٤٤).

مناقشة الأدلة:

لقد استدل هؤلاء كما ترى بثلاث آيات من القرآن واستخرجوا منها قياسًا منطقيا من مقدمتين ونتيجة من الشكل الأول من أشكال القياس الأربعة وهذا الشكل نتيجته دائمًا صادقة عند علماء المنطق إذا كانت المقدمات كلها صحيحة مسلم بها الخصم وخصوم هؤلاء ينازعون في المقدمة الصغرى ويقولون: لا نسلم أن الروح دائمًا لا تصدق إلا على النفس وأن النفس دائمًا لا تصدق إلا على الروح فمن الجائز أن يكون المراد بلفظ النفس في الآية الكريمة: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾ الذات فيكون المعنى: كل ذات ذائقة الموت لاسيما وقد ورد في القرآن إطلاق لفظ النفس على الذات في أكثر من موضع كقوله تعالى: ﴿ وَلا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ﴾ [النساء:٢٩]، وقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ ﴾ [النور:٦١] الآية، المراد: ذواتكم، أي: لا تقتلوا ذواتكم. سلموا على ذواتكم.

وبهذا يتضح أن النفس التي بمعنى الروح لم تقع موضوعًا في المقدمة الصغرى فيختل القياس فتكذب النتيجة.

أما استدلالهم بقوله تعالى: ﴿ كُلُّ شَيءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ ﴾ فهم إنما استدلوا بها أيضًا عن طريق القياس فقالوا: الروح شيء وكل شيء هالك ينتج الروح هالك، وهذا القياس معارض من حيث إن توهم العموم في موضوع المقدمة الكبرى غير صحيح لأن المعنى: كل شيء كتب الله عليه الهلاك فإنه هالك أما الروح فإنها خلقت للبقاء فلا تدخل في عموم كل فتكون خارجة عن موضوع المقدمة الكبرى فيختل القياس إذ يمكن أن يقول الخصم: كل شيء كتب الله عليه الهلاك فهو هالك والروح خلقت للبقاء فهي باقية.

الرأي الثاني في هذه المسألة:

اعتقاد بقاء الروح بعد مفارقتها للأبدان بالموت في عالم الأرواح إما في عذاب وإما في نعيم إلى أن يرجعها الله إلى الأبدان عند البعث وهذا الرأي هو الحق الذي تشهد له نصوص الكتاب والحديث بل والإجماع ممن يعتد بقولهم فإن الآيات الكثيرة والأحاديث المستفيضة الدالة على عذاب القبر ونعيمه تؤيد هذا الرأي وتدعمه كقوله تعالى: ﴿ النَّارُ يعْرَضُونَ عَلَيهَا غُدُوًّا وَعَشِيا وَيوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾ [غافر: ٤٦].

وجه الدلالة من الآية أنها نصت على أن أرواح آل فرعون تعرض على النار غدوًّا وعشيا قبل قيام الساعة أي زمن البرزخ فلو كانت الروح تموت أو تفنى لم يكن عرض أرواح آل فرعون على النار الغداة والعشي.

ومن الأدلة أيضًا على بقائها وخلودها قوله ﷺ: «نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة»(١) وقوله عليه الصلاة والسلام ما معناه: لما أتلف إخوانكم في سبيل الله يعني: الشهداء ـ جعل أرواحهم في أجران طير خضر ترد أنهار الجنة تأكل من ثمارها وتأوي إلى قناديل معلقة تحت العرش، ولقد أشار القرآن إلى هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿ وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْياءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يرْزَقُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٩].

والحق في هذه المسألة أن يقال ـ والمعنى لابن القيم ـ : إن أراد القائل بموت الأرواح خروجها من أبدانها ومفارقتها لها عند الموت فالأرواح تموت بهذا المعنى وإن أراد أنها تفنى وتنعدم فهي لا تموت بهذا المعنى، وهكذا من قال: إن الأرواح لا تموت إن كان يريد أنها لا تفارق الأبدان ولا تنفصل عنها عند الموت فهذا غير صحيح وإن أراد أنها لا تفنى فهي لا تفنى في هذا المعنى وهو الصحيح(٢).

* * *

خاتمة:

لقد أصبح الاعتراف بوجود الباري جل شأنه حقيقة ثابتة لا تقبل الجدل، والإيمان به والإقرار بربوبيته ووحدانيته أمر مقطوع به لدى كل عاقل فإن كل ذرة في هذا الكون الفسيح شاهد ناطق بوجود الله صانع الكون وموجده وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد.

بل في نفس الإنسان وتركيب خلايا جسمه وأجهزته الدقيقة المعقدة ما يكفي في الدلالة على وجود الله سبحانه وتعالى، ولقد كان الاعتراف بوجود الله مركوزًا في الفطرة يشعر به كل إنسان إلا من فسدت فطرته بمرض الشكوك أو العناد أو الطمع، وكما ثبت وجود الله بدليل الفطرة والنظر في مخلوقاته ومصنوعاته فإن العلوم التجريبية شاهدة أيضًا بوجوده وأزليته وكل من نظر في الأدلة الكثيرة المتنوعة العقلية منها والكونية أدرك ضرورة أن لهذا الكون خالق ومحدث وأن ذلك المحدث لا يمكن أن يكون إلا أزليا قديمًا ومن خلال ما تقدم يثبت فساد ما أورده الوجوديون من شبه

(١) سنن ابن ماجة (٤٢٧١) وحكم الألباني صحيح .

(٢) لوامع الأنوار البهية (ج٢ ص٤٠) للشيخ محمد بن أحمد السفاريني.

اصطنعوها لتضليل الناس وتشكيكهم في خالقهم وموجدهم كشبهة قدم العالم أو إسناد خلق العالم إلى الطبيعة أو الصدفة أو غيرها.

ويتبين أيضًا ثبوت البعث وقيام الناس من قبورهم لرب العالمين لقيام البراهين القطعية على ذلك في الكتاب العزيز والسنة المطهرة بأساليب مختلفة وطرق متعددة تارة بالاستدلال ببدء الخلق على الإعادة وتارة بالاستدلال بإحياء الأرض بعد موتها على إحياء الأموات ومرة أخرى الاستدلال بالقدرة على خلق الأشياء الكبيرة العظيمة على ما هو أصغر منها وغير ذلك من الطرق الكثيرة المتنوعة التي لا تدع مجالاً للشك في قدرته سبحانه وتعالى على إعادة الحياة إلى الأجسام مرة أخرى بعد فنائها كما أنشأها أول مرة.

هذا وأسأل الله أن ينفعنا والمسلمين بهذا البحث إنه على كل شيء قدير.

وصلى الله على نبينا مُحَمَّد وآله وصحبه وسلم.

١٠/٥/١٣٩٦هـ

مؤلفه

حمود بن عبد الله بن عقلاء الشعيبي

أستاذ العقيدة في كلية الشريعة

جامعة الإمام مُحَمَّد بن سعود الإسلامية

* * *

مراجع البحث

١ . القرآن الكريم.

٢ . صحيح الإمام البخاري.

٣ . صحيح مسلم.

٤ . سنن الترمذي.

٥ . مسند الإمام أحمد.

٦ . سنن أبي داود.

٧ . تفسير ابن جرير الطبري.

٨ . تفسير الرازي.

٩ . الفتوحات الإلهية للجمل.

١٠ . شرح الطحاوية للشيخ علي بن علي بن أبي العز الحنفي.

١١ . لوامع الأنوار للشيخ مُحَمَّد السفاريني

١٢ . الإشارات والتنبيهات لابن سينا.

١٣. التدمرية لشيخ الإسلام ابن تيمية.

١٤.كتاب الروح لابن القيم.

١٥. العقيدة الإسلامية وأسسها للشيخ عبد الرحمن حبنكة الميداني.

١٦. البراهين العلمية على وجود الخالق ـ مُحَمَّد فؤاد البرازي.

١٧. موافقة المعقول لصحيح المنقول لشيخ الإسلام ابن تيمية.

١٨.كتاب الفصل في الملل والأهواء والنحل للإمام علي بن حزم.

* * *

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

شرح العقيدة الطحاويّة

المقدمة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده .

وبعد .

فإنه لا يشك عاقل مطلع أن الأمة الإسلامية لا تزال تعاني خللا واضحا في فهمها للمعتقد الصحيح ، وكانت مثل هذه الأحداث الأخيرة التي اخترق فيها العدو الصليبي بلادنا بأسهل طريق من أمثل الأدلة على أننا نحتاج إلى تصحيح شامل عام يشمل أكثر مناحي الحياة العلمية والعملية ، مما يَضطر هذا الواقع إلى أن تكشف منطلقات هذا المخترِق الثالوثي بوجهه المادي الجديد ، حتى يغلق المعنيون تلك الثغرات التي ولج من خلالها إلى هذا العمق من بلاد المسلمين ، وقد استجمع قواه واستدعى كل طاقاته ليعيد نفس سلسلة الحروب الصليبية السابقة .

ولعل في التاريخ القريب ما يثبت لنا جليا أننا أمام تكرار لحلقات سابقة مرت بها الأمة الإسلامية ، ظهرت فيها حقيقة تلك الشعارات البراقة والتي تصيد بها العدو المخدوعين منا ، كشعارات حرية الرأي والفكر ، وحرية العقائد ، وحقوق الأقليات ، وتقارب الأديان ، والديمقراطية وغيرها ، وما تلك الدماء والأشلاء في فلسطين وأفغانستان والعراق وغيرها إلا أجلى صورة تظهر فيها حقيقية تلك الشعارات .

إن ما نراه من تشويه تصويري لهذه الأحداث وما نرى من تسليم فئات كثيرة من الأمة لهذا الاختراق ولهذا الواقع البائس سواء من رؤوس الناس أو من عامتهم ليدفع أهل العلم إلى المسارعة في توضيح الحالة ، وتنبيه الأمة ، وقد كان أهل العلم على وجه الخصوص – وغيرهم من المطلعين – أول من توضع على عواتقهم مثل هذه الأحمال وهذه الهموم .

ثم في هذا اليوم الذي نرى فيه الأمة الإسلامية أحوج ما تكون إلى فهم معتقدها الصحيح وفهم واقعها – نرى فئات تنتسب إلى العلم والدين تقف سدا منيعا ضد إفاقة الناس من رقدتهم لفهم حقيقة واقعهم وتصحيح منهجهم ، بل وتدعو إلى الإعانة على قيام مؤسسات وتجمعات تدعوا إلى التشويه وإلى الذلة والاستكانة .

فضلا عن تراجع فئات أخرى عن منهجها الصحيح وقد انهزمت وتضعضعت في أولى مراحل التصحيح ، وقد أوهموا البعض أن هذه الانهزامية عبارة عن تكتيك يحتاجه المسلمون في هذه

المرحلة – في نفس الوقت الذي تدعو فيه هذه الفئات إلى إقحام الأمة إلى مناهج أخرى أكثر سلمية في نظرهم ، حتى جاء اليوم الذي يتنادى فيه هؤلاء إلى أن يلتحم أو ينتقل أهل السنة – بصورة أو بأخرى – إلى عقائد أخرى ومناهج ومؤسسات أخرى أجمعت الأمة على ضلالها وإضلالها .

و مع ما نراه من اتفاق بعض هذه الفئات مع بعض المناهج الخرافية والارجائية والليبرالية .. وما نراه من تحسينهم لصورة عقائد أخرى ضالة كالرافضة وغيرها .. وما نراه من مطالبتهم بالتعايش مع الغازي الصليبي وقد أعادوا لنا تجربة بني قريظة في غزوة الأحزاب .. وما نراه من التفاف هؤلاء مع أعوان الغزاة – مع ذلك كله – هاهم المنهزمون يرجفون بالأمة بقوة معسكر الصليب ، في حالة لا يسمح فيها أن تطرح مثل مسألة لزوم المكافئة في القوة في جهاد الدفع(١) ،مع أنه لا يخفاهم ذلك .

ولكن قد قال تعالى : (لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم)(سورة التوبة آية :٤٧) .

وقد كان للشيخ حمود رحمه الله جهوده في كشف مثل هذا الفكر المنهزم وتبيين حاله أمام الناس ، وقد ذكر رحمه الله في بعض المواضع أن كثيرا من أصحابه يتسترون لنشر فكرهم المنهزم بما رصدوه من تاريخ حافل استغفلوا فيه بعض الناس ، وقد ناقش الشيخ بعضا منهم ، وألزمهم بمنطلقاتهم السابقة .

ومع هذا الخضم المتلاطم من الأحداث الشائكة والتي تزحف بالأمة إلى ما نرى لا ننسى أن ننوه بأولئك الشبيبة النزاع من القبائل الذين وضعوا أرواحهم على أكفهم في سبيل تخليص مقدسات المسلمين وبلادهم وحريمهم ، وقد هابهم ما يُظن أنه أكبر قوة في الأرض ، مع ما يكتنف هؤلاء الشباب من العجز المادي والمعنوي والمطاردة وغيرها ، متمثلين بقول الأول :

ولست أبالي حين اقتل مسلما
على أي شق كان في الله مصرعي

وذلك في ذات الإله وإن يشأ
يبارك على أوصال شلو ممزع

---

(١) ينظر التعليق أسفل ص ٣٠٤ من هذا الشرح .

مع صبر هؤلاء الشباب حتى على أقرب الناس إليهم وقد شوهوا صورتهم وألبسوهم ثيابا ليست لهم ، والصقوا بهم تقتيل المسلمين وتكفيرهم وغير ذلك ، وقد كان الأولى أن يوصف بذلك الملبِّسون أنفسهم ممن وقف مع أعوان الغزاة ، حتى غدا الأمر بهذه الصورة المشوهة – في بعض الأحيان – على أوثق من يعرفهم ، والله يتولى هؤلاء الشباب بنصره ومؤازرته سبحانه .

ولعل في إخراج هذا الشرح إسهاما في القيام ولو بشيء يسير مما ذكرنا ، وقد تطرق فضيلة الشيخ في ثنايا الشرح إلى مسائل مهمة معاصرة يحتاج الكثير إلى توضيح صورها ، كبعض مكر العدو الصليبي في تفريق المسلمين بإبرازه لأفكار ومناهج تدعو إلى ترك الجهاد والاعتياض عنه بأمور أخرى أقل أهمية في زمن صولة معسكره على بلاد المسلمين ، وغيرها من المسائل . وقد كان فضيلة الشيخ حمود رحمه الله شرح هذه العقيدة الطحاوية ارتجالا على بعض طلابه من مدينة الرس فيما يقارب عام ١٤١٤ هـ ، سجل هذا الشرح في أشرطة كاسيت وهي متناولة في شبكة الانترنت وبين طلبة العلم ، وقد قمت بتفريغها وتهذيبها وتنقيحها من بعض التكرار ، وبالتقديم والتأخير في بعض المواضع ، مع عزو الأحاديث والآثار إلى مصادرها ، والتعليق على ما يحتاج إليه الأمر ، وأضفت بعض الإضافات اليسيرة من شروح أخرى للشيخ دون عزو ، نقلته عنه سماعا ولم يذكره الشيخ في هذا الشرح ، وذلك لأن الشيخ رحمه الله كان يشرح هذا المتن دون تحضير له ، وقد جعله مختصرا اختصارا شديدا جدا كما ذكر في أحد فصول الشرح فيما ستراه إن شاء الله (١) .

أما ما كان يعرضه الطلاب من أسئلة ومناقشات فقد أدرجت كثيرا من إجابات الشيخ في الشرح دون تنبيه ، والبعض الآخر تركته لرداءة التسجيل ولعدم وضوح الصوت في بعض المواضع .

وقد كان السبب في نشر هذا المؤلف أمور منها :

أولا : الإسهام في نشر معتقد أهل السنة والجماعة ، والرد على أهل الأهواء والبدع .

ثانيا : حرص كثير من العلماء وطلبة العلم على مؤلفات الشيخ ومعرفة رأيه حول مسائل مهمة في معتقد أهل السنة والجماعة .

ثالثا : خبرة الشيخ بأقوال الفرق واختلافاتهم وتبيينه ذلك .

رابعا : كون الشيخ طرح في هذا الشرح قضايا عقدية مهمة معاصرة تحتاج إليها الأمة شُوهت حقيقتها ، كتحكيم القوانين الوضعية ، والجهاد ، والتعامل مع الحاكم المرتد ، والتقارب مع المبتدعة وغير ذلك .

---

(١) ينظر ص ٣٢٤.

خامسا : سهولة الشرح ووضوحه .

فما كان فيه من خطأ فهو للمتصرف فيه ، والله يكتب الأجر ، ولسنا بمعزل عن الحاجة إلى إبداء النصيحة والتوجيه ، وما كان فيه من صواب فنسبته إلى الله تعالى ، وأسأل الله بمنه وكرمه أن يغفر للشيخ حمود ويجعل منازله في عليين ، وأن يأجر من أعان على نشر الكتاب ، والله أعلم وصلى الله على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

موقع فضيلة الشيخ حمود بن عقلاء الشعيبي

غرة شوال ١٤٢٩ هـ

سيرة مختصرة للشيخ حمود العقلاء الشعيبي:

هو أبو عبدالله حمود بن عبدالله بن عقلاء الشعيبي الخالدي من آل جناح ، ولد في الشقة من بريدة عام ١٣٤٦هـ حفظ القرآن قبل البلوغ على يد الشيخ عبدالله العمري ، وقد فقد إحدى عينيه عام ١٣٥٢ هـ بسبب مرض الجدري ثم لحقت الأخرى بعدها بوقت قصير حتى فقد بصره ، انتقل إلى الرياض لطلب العلم عام ١٤٦٧ و التحق بدروس الشيخ عبداللطيف بن إبراهيم كمرحلة علمية أولى ، ثم في فترة وجيزة انتقل إلى دروس الشيخ مُحَمَّد بن إبراهيم ، فلازمه ملازمة تامة حتى برز من بين طلابه ، وقد كان يلقي الدروس في مسجد شيخه بعده مباشرة ، وذكر لنا الشيخ سعيد بن زعير – وهو من طلابه — أن الشيخ ابن إبراهيم إذا كتب فتوى لم يصدرها حتى يعرضها على تلميذه الشيخ حمود العقلاء .

انتظم الشيخ في المعهد العلمي في أول افتتاحه ثم استثني من إكمال بعض سني الدراسة حتى الحق بكلية الشريعة ، فدرس فيها حتى تخرج منها في أول دفعة لها وكان من أوائلها ، ثم عين قاضيا ، فوقف دون تعيينه في القضاء الشيخ مُحَمَّد الأمين الشنقيطي ، وطالب الشيخ ابن إبراهيم أن يعين الشيخ مدرسا ، فعيّن في نفس كلية الشريعة ، وقد ترقى في سلم الدرجات العلمية فيها حتى بلغ إلى درجة بروفيسور .

وقد تتلمذ الشيخ على العلامة مُحَمَّد الأمين الشنقيطي فقرأ عليه في التفسير والأصول والنحو والمعتقد والمنطق وغيره ، وكان الشيخ حمود متأثرا به تأثرا ملحوظا ، وقرأ أيضا على الشيخ عبدالرحمن الإفريقي والشيخ يوسف الضبع وغيرهم من أهل العلم .

و تتلمذ على الشيخ – خلال الخمسين سنة من التعليم – مئات من الطلاب فكان اشتهارهم بين الناس ملحوظا حتى غدا من بين طلابه علماء ومصلحون وأساتذة جامعات وغير ذلك ، ومن ضمن طلابه فضيلة الشيخ سعيد بن زعير رئيس قسم الإعلام في جامعة الملك سعود سابقا وفضيلة الشيخ عبدالله الغنيمان رئيس قسم الدراسات العليا في الجامعة الإسلامية سابقا وفضيلة الشيخ عبدالرحمن العجلان رئيس محاكم القصيم سابقا وفضيلة الشيخ علي الخضير وغيرهم كثير .

وللشيخ مؤلفات وفتاوى وشروح وتعليقات منها الإمامة العظمى والبراهين المتظاهرة ومختصر عقيدة أهل السنة والجماعة وكتاب القول المختار في حكم الاستعانة بالكفار وهذا المؤلف الذي بين أيدينا وغيرها ، وللشيخ فتاوى منتشرة في المعتقد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد وغير ذلك .

وله فتاوى في وجوب جهاد الأمريكان ومن معها ودفع صولتها ، وله أيضا فتاوى في نصرة قيام الحكومات الإسلامية كحكومة طالبان والجماعات الجهادية في الشيشان والفلبين وغيرها .
توفي الشيخ رحمه الله سنة ١٤٢٢ هـ اثر مرض أصابه في قلبه ، نسأل الله أن يغفر للشيخ وأن يفسح له في قبره .

قال الإمام الطحاوي رحمه الله :

(هذا ذكر بيان اعتقاد أهل السنة والجماعة على مذهب فقهاء الملة أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي وأبي يوسف يعقوب بن إبراهيم البجلي وأبي عبد الله مُحَمَّد بن الحسن الشيباني رضي الله عنهم أجمعين وما يعتقدون من أصول الدين ويدينون به لرب العالمين)

الشرح : هذا المختصر جمع فيه الإمام الطحاوي رحمه الله جل المسائل التي يتفق عليها أهل السنة والجماعة في المعتقد ، والإمام الطحاوي إمام في الحديث والفقه على مذهب الإمام أبي حنيفة ، وهو إمام أيضا في العقيدة ، لأن منهجه في المعتقد منهج أهل السنة والجماعة إلا أن عليه بعض المآخذ التي لا تخرجه عن كونه من أهل السنة والجماعة التي ستأتي الإشارة إليها إن شاء الله في أثناء الكلام على الكتاب ولا سيما فيما يتعلق بالإيمان والكفر(١) . وهذا المختصر عني به العلماء شرحا وتعليقا ، وهو يشتمل على أكثر المسائل التي هي معتقد أهل السنة و الجماعة .

---

(١) ذكر الشيخ رحمه الله أثناء الشرح عدة ملاحظات على الطحاوي من ضمنها قول الطحاوي رحمه الله :
١ – ما زال بصفاته قديما قبل خلقه .
٢ – وتفسير على ما أراد .
٣ – ومعناه على ما أراد .
٤ – ومن لم يتوق .. التشبيه .
٥ – موصوف بصفات الوحدانية منعوت بنعوت الفردانية .
٦ – تعالى عن الحدود والغايات والأركان والأعضاء والأدوات ...
٧ – ولا يخرج العبد من الإيمان إلا بجحود .
٨ – والإيمان هو الإقرار باللسان والتصديق بالجنان .
٩ – الإيمان واحد وأهله في أصله سواء .
١٠ – وأفعال العباد خلق لله .
١٢ – ولم يكلفهم إلا ما يطيقون ولا يطيقون إلا ما كلفهم .
وهناك ألفاظ أخرى محتملة اعرض عنها الشيخ رحمه الله ، وألفاظ أخرى ليست على طريقة السلف ، وكون الشيخ يصف الطحاوي أنه من أهل السنة مع ما ذكره من مؤاخذات فلا يعني نسبة أقواله التي أخطأ فيها إلى أهل السنة .

ذكر المؤلف أن هذا المعتقد على مذهب أهل السنة والجماعة الأئمة ، فذكر منهم النعمان بن ثابت وأبا يوسف ومُحَّد بن الحسن ، ومن أئمة السنة والسلف من هم أشهر من هؤلاء كالإمام احمد بن حنبل والإمام الشافعي والإمام مالك رحمهم الله ، ولكنه قدم هؤلاء واكتفى بذكرهم لأنه حنفي وهؤلاء أحناف ، فمثّل لأئمة السلف بالسلفيين الذين هم على مذهبه الفقهي .

(نقول في توحيد الله معتقدين بتوفيق الله : إن الله تبارك اسمه وتعالى جده وجل ثناؤه واحد لا شريك له) .

الشرح : التوحيد معناه إفراد الله سبحانه وتعالى بما يستحقه ،(١) سواء إفراده بأفعاله هو سبحانه ، أو إفراده بأفعال العباد ، أو تنزيهه عما لا يليق بجلاله وعظمته من السوء ، وإثبات ما يليق به ويختص به من الكمال .

فالتوحيد ثلاثة أنواع :

- توحيد الربوبية
- توحيد الألوهية
- توحيد الأسماء والصفات (٢)

لا بد من هذه الأنواع الثلاثة للعبد حتى يكون موحداً ، ولا بد أن يحقق هذه الأنواع الثلاثة ، ولو قصر بواحد منها أو نقصت كلها فإنه لا يكون موحدا .

وتوحيد الله في ربوبيته : هو اعتقاد أنه الواحد في خلقه وفعله وتدبيره وتصرفه في الكون ، وأنه لا أحد يشاركه في ذلك ، بل هو الخالق وحده والفاعل وحده ولا يشاركه أحد في أفعاله الخاصة به سبحانه وتعالى .

أما توحيد الإلهية : فهو أن يفرد الله بأفعال العباد ، بمعني أن يؤلَّه ويُعبد وحده دون غيره ، أي لا يصرف لأحد سواه - كائنا من كان - شيء من أنواع العبادة التي لا تصرف إلا له سبحانه وتعالى ، فجميع أفعال العباد العبودية يجب أن تصرف لله وحده ولا يجوز صرف شيء منها لغيره ، كالذبح والنذر والاستعاذة والاستغاثة والتوكل والصلاة والزكاة والصوم والحج ،كل هذه يجب

---

(١) انظر منهاج التأسيس والتقديس للشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن ص ٦

(٢) انظر هذا التقسيم في الإبانة لابن بطة الكتاب الثالث (الرد على الجهمية) ٢ / ١٧٢ ، وكذلك شرح ابن أبي العز للطحاوية ص ٢٤ ت التركي ط ٢ ، وللتوسع ينظر جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية ١ /٩٠ وما بعدها

صرفها لله سبحانه ، أي كل ما يصدر عن العبد من فعل من أفعال العبادة فإنه يكون موجها لله وحده .

النوع الثالث توحيد الأسماء والصفات : فهو أن يوصف الله سبحانه وتعالى بكل صفات الكمال على وجه التفصيل وينفى عنه كل نقص أو عيب أو سوء على وجه العموم ، ولذا فالقاعدة عند السلف في هذا الباب هي إثبات الصفات إثباتا مفصلا خاليا من التشبيه والتمثيل ونفي النقائص والعيوب نفيا مجملا خاليا من التعطيل وقاعدتهم في ذلك قوله تعالى (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)(سورة الشورى آية :١١) فإن في قوله : (ليس كمثله شيء) نفيا عاما مجملا وفي قوله : (وهو السميع البصير) إثبات مفصل لأنه أثبت صفتين إحداهما تخالف الأخرى ، فاثبت صفة السمع وصفة البصر وكل صفة مستقلة عن الأخرى وهذا هو التفصيل في الإثبات .

(ولا شيء مثله ولا شيء يعجزه ولا إله غيره) .

الشرح : إن الله واحد لا يماثله شيء لا في أسمائه وصفاته ولا في أفعاله ، فهو واحد مختص بالوحدانية في ذلك ، لا أحد يماثله ولا أحد يستطيع أن يفعل كما يفعل سبحانه و تعالى ، لأنه الفاعل المطلق الخالق المدبر المتصرف في الكون خلقا وتدبيرا وتصرفا مطلقا ، لا أحد يماثله في شيء من ذلك . و أما قوله : (ولا شيء مثله) فمعناه ما سبق ، أنه منزه عن مماثلة المخلوقات تنزيها عاما مجملا، أما طريقة المبتدعة الذين حادوا عن طريق أهل السنة والجماعة ، طريقتهم في التنزيه أنهم ينزهون الله على سبيل التفصيل ، فيقولون : إن الله ليس بجسم وليس بجوهر وليس بعَرَض وليس متصلا بالعالم ولا منفصلا عنهم ولا هو بائن من خلقه ولا هو حال فيهم ، وهذه التفاصيل في النفي المستعمِلُ لها يصل إلى العدم ، لأن الذي لا يوصف بهذه الصفات ولا تقوم به كلها معدوم ، وكما ذكر العلماء في غير موضع أن هذا مع أنه يوصل إلى العدم ففيه أيضا تنقص لله سبحانه وتعالى ، قالوا فلو أنك أتيت إلى ملك وقلت له : أطال الله عمرك ، أنت رجل طيب ، لست بكسّاح ولا حلاق ولا قمّام ولا كذا ولا كذا ، هو صحيح ليس كذلك لكن هل في هذه السّلوب (١) المفصلة كمال .؟ أو هي عيب ونقص في حقه ؟ هو صحيح أنه ليس متصفا بشيء

(١) أي الصفات السلبية وهي التي دلت على سلب مالا يليق به سبحانه ، والمراد أنهم لا يعرفون الله إلا بالسّلوب ، فمثلا صفة العزة لا يثبتونها بل يقولون ليس بذليل وليس بحقير ، أما أنهم يصفونه بالعزة أو العظمة أو غيرها مما ينازعون فيها فلا يثبتونها بل يقولون ليس بكذا وليس بكذا . انظر بيان تلبيس الجهمية ٧ / ٣٦٩ هامش رقم ٦ .

من هذه الصفات الرديئة ، وفي نظره وفي نظر غيره فوق ذلك بكثير – ينطبق عليه قول البيت المعروف :

ألم تر أن السيف ينقص قدره

إذا قيل إن السيف أمضى من العصا (١)

السيف أمضى من العصا يقينا ، لكن إذا قرنته بالعصا كان ذلك نقصا في حقه ، وكما قال العلماء : لو أنك قلت مثلا : إن الذهب خير من قشر البصل وخير من قشر السمك لكان صحيحا لكن فيه تنقص لهذا المعدن النفيس حيث قارنته بهذه الأمور الرديئة.

الحاصل أن طريقة السلف رضوان الله عليهم هي النفي و التنزيه المجمل ، (ليس كمثله شيء) ، ليس له مثيل ليس له شبيه ليس له سمي ليس له ند وليس له ظهير ، نفي عام مجمل ، فهذا هو الذي فيه التنزيه وهو الذي يتضمن الكمال ، أما السّلوب المفصلة فإنها لا تتضمن كمالا وتفضي إلى العدم ، وهي عيب وذم .

قوله : (ولا شيء يعجزه) إثبات لقوته وقدرته سبحانه وتعالى .

قوله : (ولا إله غيره) أي وهو الواحد في الإلهية أيضا ، إله واحد لا مثيل له أو لا أحد يستحق أن يؤله أو أن يعبد بأن يصرف له شيء من أنواع العبادة كما يصرف لله سبحانه وتعالى .

(قديم بلا ابتداء دائم بلا انتهاء)

الشرح : جعله القديم من أسماء الله سبحانه وتعالى – السلف يتحفظون فيه ، ويقولون إن القديم هو الذي يكون مسبوقا بالحدوث ، وليس هو من الأسماء الواردة في الكتاب والسنة ، لأن أسماء الله سبحانه وتعالى وصفاته توقيفية ، لا يوصف بصفة ولا يسمي باسم إلا بما ثبت في كتاب الله سبحانه وتعالى وسنة نبيه ﷺ ، أما الذي ورد في القران وفي السنة وهو الذي يفضله السلف رضوان الله عليهم فهو الأول ، لأنه جاء في القران قوله سبحانه وتعالى (هو الأول والأخر والظاهر والباطن)(سورة الحديد آية:٣) وجاء في الحديث الصحيح قوله صلى الله علية وسلم : (اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء ..) الحديث (٢) وأما القديم فقد أطلقه الطحاوي رحمه الله هنا وتحفظ بعض أهل السنة في إطلاقه وقالوا الأولى بالاستعمال ما ورد ، وإن كان الطحاوي رحمه الله

---

(١) أورده الثعالبي في تتمة اليتيمة ٢٩٩/٥

(٢) رواه مسلم (٢٧١٣) .

يقصد بالقديم هنا الأول قطعا ، ولا يقصد بالقديم الذي سبقه حدوث ، لأنه من أهل السنة والجماعة وليس من أهل البدع أو أهل المذاهب المنحرفة ، ولذا قال : (قديم بلا ابتداء) ، أي قديم لا بدء لوجوده سبحانه وتعالى ، لأن وجوده سبحانه وتعالى واجبٌ ، والواجب لا أول له ، واجب عقلا لا يقبل العقل سوى أوليته سبحانه وتعالى ، فهو لا يريد القديم بمعناه المقابل للحديث وإنما يريد بالقديم هنا الأول . وقوله : (قديم بلا ابتداء) يحسن أن يبحث هنا مسألة بدء الحوادث وخلاف الناس فيها ، فمسألة بدء الخلق ونهايته — وهي التي تعرف عند العلماء بتسلسل الحوادث — افترق الناس فيها على ثلاثة مذاهب :

فالمذهب الأول مذهب أهل السنة والجماعة : وهو أن الحوادث متسلسلة في الماضي كما هي متسلسلة في المستقبل .

ويقابله المذهب الثاني مذهب الجهم بن صفوان وأتباعه : وهو أن الحوادث ليست متسلسلة في الماضي كما أنها ليست متسلسلة في المستقبل .

المذهب الثالث مذهب الأشاعرة ومن سار على طريقهم كالكلابية والماتريدية : وهو أن تسلسل الحوادث مستمر في المستقبل ولكنه منقطع في الماضي .

أما أهل السنة والجماعة فقالوا إن الله سبحانه وتعالى كما أنه لم يزل موجودا ولا أول لوجوده فهو لم يزل فاعلاً ولا أول لفعله لكن أفعاله سبحانه وتعالى تحدث شيئاً بعد شيء ، يعني خلقه للسموات حادث لكن قبله خلق آخر وقبل ذلك الخلق خلق وهكذا ، إنما كل أمر أحدثه الله سبحانه وتعالى فهو أحدثه من العدم ولكنه ليس هو الأول بل قبله محدث وذلك المحدث حادث من العدم وليس هو الأول بل قبله محدث وهكذا إلى ما لا نهاية في الأزل وإلى ما لا نهاية في الأبد ، وأما الجهم بن صفوان وأتباعه فإنهم قالوا بانقطاع التسلسل في الماضي لأنه لو قلنا إن الحوادث لم تزل للزم أن تكون مماثلة لله ومشاركة له وهذا لا يجوز ، هكذا يقولون ، يعني إذا كان الله لا حدّ لأوليته والحوادث لا حدّ لأوليتها كانت مماثلة لله في الأولية ، ولكنهم عموا عن أننا لا نقول إن كل حادث بعينه فهو أول لا أول له وإنما نقول كل حادث بعينه فقد حدث من العدم وقبله حادث آخر وهكذا إلى ما لا نهاية .

وأما شبهتهم في انقطاع التسلسل في المستقبل فهم يقولون لو قلنا بالدوام للزم أن تكون هذه الحوادث مماثلة لله في البقاء والدوام وهذا شرك لا يجوز ، وعموا عن كون تسلسل الحوادث في المستقبل كدوام الجنة والنار ودوام أهلها ودوام إحداث النعيم فيها ، نسوا الفرق بين ذلك وبين دوم الله وبقائه سبحانه وتعالى ، فإن صفة البقاء وصفة الدوام لله سبحانه وتعالى واجب لذاته ، وأما

الحوادث كالجنة والنار ومن فيها فهذا دائم لإدامة الله له وليس دائما لذاته بل الله أراد أن يدوم فدام ، وإلا فهو ممكن وليس بواجب الدوام والبقاء .

وأما المذهب الثالث وهو مذهب الأشاعرة ومن معهم وكذلك المعتزلة فهؤلاء يقولون إننا لا بد وأن نضع للحوادث حدا في الأزل لأن الله سبحانه وتعالى يجب أن يتفرد بالوجود من غير أن يكون معه موجود ، ولكن بعد مدةٍ متطاولة حدث له الفعل والإحداث ، وهذا يرد عليهم بأنه يلزم عليه أن يكون الله سبحانه وتعالى – مدداً متطاولة – لا يفعل ولا يحدث ولا يخلق ، والفعل والإحداث كمال ، فيلزم من ذلك أن الله سبحانه وتعالى ناقص في ذلك الوقت الذي جردوه فيه عن الفعل والإحداث تعالى الله وتقدس .

فالأشاعرة والكلابية : يقولون التسلسل في الماضي له حد وكذلك الجهمية لكن بينهم فرق ، فالجهمية والمعتزلة يقولون كان التسلسل في الماضي منقطع وهو ممتنع على الله ، بمعنى أن الله سبحانه لو أراد أن يحدث لما قدر وهو مستحيل عليه الفعل في ذلك الوقت وممتنع ، والأشاعرة يقولون الفعل كان ممكنا والله قادر عليه لكنه ما أراد أن يفعل في تلك الأوقات المتطاولة في الأزل ، وعلى كل فهذا مختصر ما قيل في مسألة الحوادث ونهايتها .

فقول الطحاوي رحمه الله : (قديم بلا ابتداء) يعني أنه أول لا نهاية لأوليته وهذا لا يمنع من أن يكون لا حد ولا أولية لأفعاله و إحداثاته سبحانه وتعالى .

لما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : إن جنس الحوادث لا أول لها وأما إفرادها فلها أول ، قال خصومه : إن قولك لم يزل سبحانه وتعالى يفعل ويحدِث يلزم منه أن تلتقي مع الفلاسفة في قدم الحوادث ، ولكن فرق بين مذهب الفلاسفة ومذهب شيخ الإسلام رحمه الله تعالى والسلف في قدم الحوادث ، فإن الفلاسفة يقولون : إن كل جزء من العالم فهو قديم لم يسبقه حدوث ، لأن كل جزء فهو من جزء من آخر ، وكل جزء من جزء آخر ، ولا يوجد شيء عند الفلاسفة وجد من العدم بعد أن لم يكن ، بل العالم قديم والأجزاء التي توجد بعضها بعد بعض كلها متولدة من العالم القديم ، وهذا فرق .

والجهمية قالوا : إنه يستحيل أن يكون معه سبحانه مثيل في الأولية ، إذ لو قلنا إنه يوجد معه محدثات لكانت مماثلة له في الأولية والقدم ، ولكنهم غفلوا عن أنه لا يوجد محدثات بعينها قديمة أزلية ، يعني جنس الحوادث قديم وأما أعيانها وأفرادها فهي حادثة ، فإذا كانت كذلك ما لزم المحذور الذي تخشاه الجهمية .

ونقول تقريبا لفهم ما يقصده السلف أو تقريبا لفهم الفرق بين مذهب الفلاسفة ومذهب أهل السنة و الجماعة :

نحن نقول هذه الأرض محدثة لكن هل أحدثت من شيء قبلها ؟ نقول محدثة من العدم ، كانت في وقت ما معدومة ثم أحدثها سبحانه ، لكن ليست هي أول ما حدث بل قبلها العرش والعرش خُلق من العدم لا من شيء آخر وقبل العرش عالم والعالم خُلق من العدم لا من شيء آخر وقبل ذلك العالم عالم لكن ذلك العالم حدث من العدم ، وهكذا يتسلسل الأمر والأفعال والحوادث إلى ما لا حد لذلك ، والذي يلزم هو المحذور الذي يكون في مذهب الفلاسفة وهو أن العالم بعينه لا أول له ، هذا الجدار لا أول له أبدا لأنه خلق من الاسمنت والحصى ، والاسمنت والحصى خلق من شيء آخر والشيء الآخر خلق من شيء آخر إلى ما لا نهاية ، فهم لا يعتقدون بأن هناك جزء من العالم وجد من العدم ، الذي عند الفلاسفة أن كل جزء من جزء قبله ، وهكذا إلى ما لا نهاية (١) .

(لا يفنى ولا يبيد) .

الشرح : صفات الباري سبحانه وتعالى في اصطلاح العلماء ثلاث أقسام :

صفات ذاتية وصفات فعلية وصفات اصطلحوا على تسميتها : خبرية .

فأما القسم الأول : الصفات الذاتية ، وهي صفات الذات التي تلازم الذات كالعلم والحياة و القدرة و الإرادة و السمع و البصر و الكلام ، وهذه هي التي أثبتتها الأشاعرة والكلابية والماتريدية ، وقالوا : إن العقل يثبتها فأثبتوها ، وأما ما عداها من الصفات فقد نفوها .

وطريقة إثبات الصفات السبع بالعقل عندهم : يقولون إن الإحكام الموجود في الخلق يدل عقلا على العلم ، والتخصيص الموجود في المخلوقات يدل على المشيئة والإرادة قالوا وهذه الصفات لا تكون إلا للحي ، ثم الحي لا يخلوا : إما أن يكون سميعا بصيرا متكلما أو أصم أعمى أبكم ، والصفات الأُول أكمل فيكون الله سبحانه وتعالى مستحقا لها بالعقل ، هذه الصفات السبع أثبتوها بالعقل بهذه الطريقة وقالوا ما عداها فإن العقل لا يثبته وإذا كان العقل لا يثبته فإننا لا نثبته ، وقد رد عليهم شيخ الإسلام رحمه الله وقال : إن إثباتكم هذه الصفات السبع ونفيكم ما عداها لا يصلح الاستدلال عليه بالعقل لأن العقل وإن دل على هذه الصفات السبع فإنه يدل على غيرها أيضا بالطريقة التي استدللتم بها ، وأيضا العقل لا ينفي هذه الصفات الزائدة على الصفات

---

(١)يأتي إن شاء الله مزيد توضيح عند جواب الشيخ على الإشكال الذي أورده الألباني حول كلام ابن تيمية ص ٢٤٤

السبع ، وإذا كان العقل لا ينفيها فلا يجوز لكم نفيها ، لاحتمال أن تكون ثابتة بدليل آخر لأن انتقاء الدليل المعين لا يدل على انتقاء المدلول المعين فقد يكون الأمر منتفيا عنه دليل ما مخصوص لكن يوجد دليل آخر يثبته وهذا هو الواقع في صفات الباري سبحانه وتعالى ، فعلى تسليم أن العقل لا يدل على ما عدا الصفات السبع فإنه لا ينفيها وكونه لا يدل عليها لا يقتضي انتفاؤها لأنه يمكن أن تكون ثابتة بدليل آخر كما هو الواقع ، فإذا أثبت لهم أن العقل أثبت الصفات السبع فإن صفات الباري سبحانه وتعالى ثابتة بالسمع أيضا ، والسمع دليل سالم من المعارض فيجب القول به . وقد أجابهم رحمه الله بطريقة أخرى فقال : إنه يمكننا أن نثبت ذات الصفات بالعقل بالطريقة التي أثبتم بها الصفات السبع ، فكما أنكم استدللتم بالإحكام على العلم واستدللتم بالتخصيص على المشيئة فإننا نستدل على الرحمة بالإحسان ، فإحسانه إلى عباده يدل على صفة الرحمة ، وإكرامه لأوليائه يدل على صفة المحبة وعذابه وانتقامه من أعدائه الكافرين يدل على صفة الغضب عقلا ، فالطريقة التي أثبتم بها الصفات السبع نثبت بها أيضا باقي الصفات .

القسم الثاني : الصفات الفعلية وهي التي يفعلها إذا شاء ويتركها إذا شاء كالنزول والاستواء والمجيء والغضب والرضا والمحبة والرحمة وغير ذلك من صفات الفعل . وهذه تسمى صفات فعلية وتسمى صفات اختيارية .

القسم الثالث : اصطلح العلماء عليه – وخصوصا علماء الكلام – على تسميتها بالصفات الخبرية ، والصفات الخبرية هي اليد والقدم والأصبع والعين و الساق وغيرها (١) ، ومثل هذه الصفات الخبرية يقول من أثبتها : جاء بها الخبر فنثبتها لأجل الخبر الصحيح السالم من المعارض ، ولكن السلف رضوان الله عليهم يثبتون هذه كلها على سبيل أنها لا تماثل شيئا من صفات المخلوقين ، ويثبتونها لأن الخبر أثبتها ، فكل صفاته تخصه وإن اشتركت في الاسم فإنها تختلف عند الإضافة والتقييد ، فمطلق علم ، مطلق حياة ، مطلق بصر ، مطلق كلام ، هذا قبل الإضافة والتقييد يصلح لكل من يتصف به لكن إذا أضيف تقيد بمن يضاف إليه ، فقولك علم الله حياة الله سمع الله بصر الله هذا يفصل العموم الموجود في العلم والسمع والبصر والحياة – يفصله ويضيفه إلى الله سبحانه وتعالى ، فيكون لائقا بجلاله وعظمته ، فكما أن له ذاتا لا تشبه ذوات المخلوقين فكذلك له صفات لا تشبه صفات المخلوقين .

ووجه غلط النفاة المعطلة ظنهم أنه إذا حصل اشتراك في الاسم فإنه يلزم اشتراك في المسمى ، فقالوا ما دام أننا نرى صفة الحياة وصفة العلم وصفة البصر وصفة الغضب وصفة الرضا لا نشاهد

(١) أسموها خبرية لأنه لا يمكن إثباتها بالعقل ثم حرفوا معانيها باسم التأويل .

– في العالم الشاهد الحاضر – لا نشاهد شيئا متصفا بها إلا وهو جسم فلو أثبتناها لله سبحانه وتعالى للزم أن يكون جسما ولكن هذا يرد بأن الصفات التي يشاهدونها ويرونها هذه تليق بمن قامت بهم وهم المخلوقون أما الله سبحانه وتعالى فصفاته قائمة بذاته وتناسبه ، كما أن ذاته لا تشبه الذوات فكذلك صفاته لا تشبه الصفات .

وقوله : (لا يفنى و لا يبيد) هذا تأكيد لدوامه سبحانه وتعالى وصفة البقاء والدوام لله سبحانه وتعالى من صفاته الذاتية الواجبة له ، فإذا كان كذلك انتفى عنه الفناء وانتفى عنه أن يكون من الأمور التي تبيد ، فهو دائم سبحانه وتعالى لا يفنى يعني لا يجوز عليه الفناء ولا يجوز عليه أن يبيد أو أن ينعدم لأن دوامه كأزليته سبحانه وتعالى فكما أنه أزلي لا مبدأ لوجوده فكذلك هو دائم باق لا نهاية لدوامه ، فلا يطرأ عليه الفناء ، ولا يطرأ عليه أن يبيد أو ينعدم ، لأن بقاءه واجب وجوبا ذاتيا لا يقبل العقل سواه ، فإذا كان العقل لا يقبل سواه امتنع أن يطرأ عليه الفناء أو أن يطرأ عليه العدم ، فهو دائم سبحانه وتعالى ، ودوامه واجب لذاته ، إذاً فلا يجوز عليه الفناء ولا يجوز عليه العدم .

(ولا يكون إلا ما يريد) .

الشرح : هذا له صلة بالكلام على القضاء والقدر ، فإن الله سبحانه وتعالى لا يكون في ملكه إلا ما يريد ، فما أراده كونا وقدرا كان ، وما لم يرده كونا وقدرا فإنه لا يكون ، **والإرادة نوعان** :

إرادة كونية وإرادة شرعية :

فالإرادة الكونية لا بد من كونها ، والإرادة الشرعية قد تحصل وقد لا تحصل ، فإن الله سبحانه وتعالى إذا أراد شيئا كونا وقدرا فلابد أن يقع وإذا أراد شيئا شرعا فقد يقع وقد لا يقع ، فهو سبحانه وتعالى أراد من أبي جهل وأبي لهب كونا وقدرا – أي قضى عليهما وقدر عليهما – أن يكونا كافرين إرادة كونية ، وأراد من أبي بكر وعمر رضي الله عنهما أن يكونا مؤمنين فكانا مؤمنين ، أراد منهما ذلك كونا وقدرا وأراده منهما شرعا ودينا . فالمحبة والرضى ، والإرادة الشرعية والأمر الشرعي من الله – كل هذه مترادفة ، فما أراده شرعا فقد أحبه ورضيه وأمر به ، أما الإرادة الكونية فإنها المشيئة الشاملة والقضاء والقدر السابق ، وأهل السنة والجماعة متفقون على الإيمان بالإرادتين واعتقادهما ، وأما القدرية من المعتزلة وغيرهم فإنهم يقرون بالإرادة الشرعية وينفون عن الله الإرادة الكونية لأفعال العباد ، وينكرون أن الله قضى وقدر أو أراد شيئا مما يكون ، لا سيما المعاصي والكفر والفسوق الواردة إرادتها في القران ، ففي اعتقاد المعتزلة ، والقدرية من غير المعتزلة

، أن كل إرادة وردت في القران والسنة تفسر بالإرادة الشرعية ، أما الإرادة الكونية لأفعال العباد فإنها لا تكون ولا وجود لها عندهم لأنهم يقولون إن الله سبحانه وتعالى إذا أراد المعاصي والكفر والفسوق ثم عاقب الناس عليه يكون ظالما لهم ، وما عرفوا أن الله لا يظلم أحدا شيئا ، وأنه أراد ذلك منهم كونا وقدرا لكنه أرسل إليهم الرسل وأمرهم بطاعته ونهاهم عن معصيته ، واخبرهم بأنهم إنْ هم أطاعوه أفلحوا ، وإنْ هم عصوه خسروا ، فاختاروا الطريق الآخر بمحض إرادتهم ، فكان الله سبحانه وتعالى عادلا في تعذيبهم وليس ظالما .

(لا تبلغه الأوهام ولا تدركه الأفهام ولا يشبه الأنام)

الشرح : لا تدركه الأفهام بمعنى إدراك حقيقته سبحانه وتعالى ، أما نحن فنعلم أن الله سبحانه وتعالى موجود ، ونعلم أنه فوق السموات ، فوق العرش ، ونعلم أنه متصف بجميع صفات الكمال من العلم والحياة والقدرة وغيرها ، ونعلم أنه أكبر من كل شيء ، ولكن الإدراك غير العلم ، والإحاطة به علما لا تمكن كما قال سبحانه وتعالى (لا تدركه الأبصار)(سورة الأنعام آية :١٠٣) فنفى الإدراك مع العلم بأن الأبصار تراه ، لكنه نفى الإدراك لأن الإدراك شيء والعلم والفهم شيء آخر .

ومهما تخيل الإنسان ما لله سبحانه من عظمة وجلال فهو أكبر من ذلك وأعظم بكثير ، وكذلك الأفهام لا تدركه عز وجل ولا تحيط به ، يعني لا يحيط أحد علما بربه سبحانه وتعالى (١).

(حي لا يموت قيوم لا ينام)

الشرح : يوصف سبحانه وتعالى بصفة الحياة الكاملة إذ الحياة تكون تامة كاملة و تكون ناقصة ، فحياة البشر ناقصة لأنها يطرأ عليها النوم ويطرأ عليها السّنة ويطرأ عليها الغفلة ، أما حياته سبحانه فهي تامة لا يطرأ عليها شيء من ذلك .

قوله : (قيوم) بمعنى أنه قائم بنفسه مقيم لغيره وأنه لا يحتاج إلى أحد من خلقه ، فهو الحي القيوم : حي حياة كاملة وقيوم السماوات والأرض ، قيوم يقوم بنفسه وبذاته ويقيم غيره سبحانه وتعالى ، وهو الغني عن خلقه وجميع خلقه فقراء إليه .

---

(١) سيأتي إن شاء الله تعليق الشيخ ص ٢٢٢ على كلام المؤلف حول لفظة (التشبيه) وكلام السلف في عدم ثبوتها .

(خالق بلا حاجة ، رازق بلا مؤونة ، مميت بلا مخافة باعث بلا مشقة)

الشرح : الله سبحانه وتعالى خلق الخلق ، هل خلقهم لاحتياجه إليهم ، لا حاجة به إليهم ، هو خلقهم لعبادته سبحانه وتعالى لا يريد بخلقه لهم التكثّر من قلة والتقوّي من عجز ، فهو سبحانه وتعالى الغني الغنى المطلق وهو قائم بنفسه ومقيم لغيره وغني عما سواه . وسواه فقير إليه .

قوله : (رازق بلا مؤونة) يعني يرزق الناس ويقوم بأرزاقهم كلهم ، ولا يثقله ذلك ولا يعجزه ولا يشق عليه .

قوله : (مميت بلا مخافة) إذا جاءت آجال خلقه يميتهم ولا يخشاهم ، لا يخيفه أحد ولا يخشى أحداً سبحانه وتعالى .

قوله : (باعث بلا مشقة) البعث سيأتي له موضوع ، لكن هو سبحانه يبعث الناس ولا يشق عليه ذلك كما قال عز وجل : (إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون)(سورة يس :٨٢) لا يشق عليه ولا يعجزه ولا يكون خلقه للناس وبعثه لهم كأفعال الناس التي تحتاج إلى آلات وتحتاج إلى كذا وإلى كذا ، إذا أراد خلق الناس قال كن فيكونون .

(ما زال بصفاته قديما قبل خلقه ، لم يزدد بكونهم شيئاً ، لم يكن قبلهم من صفته ، وكما كان بصفاته أزلياً كذلك لا يزال عليها أبدياً ، ليس بعد خْلق الخلق استفاد اسم الخالق ، ولا بإحداثه البريّة استفاد اسم الباري ،له معنى الربوبية ولا مربوب ، ومعنى الخالق ولا مخلوق ، وكما أنه محيي الموتى ، بعد ما أحيا استحق هذا الاسم قبل إحيائهم كذلك استحق اسم الخالق قبل إنشائهم ، ذلك بأنه على كل شيء قدير ، وكل شيء إليه فقير ، وكل أمر عليه يسير ، لا يحتاج إلى شيء)

الشرح : ما زال بصفاته قديما (١) قبل خلقه يعني هو موصوف بالخالق ولا خلق ، وموصوف بالرازق ولا رزق ، وهذا يتلاءم مع مذهب القائلين بأن الله سبحانه وتعالى بقى مدة طويلة أو مدداً متطاولة لا يفعل ثم أراد الفعل ففعل ، وهذا قول من أقوال الناس بالتسلسل ، سبق عند قوله : (قديم بلا ابتداء) .

قوله : (لم يزدد بكونهم شيئاً ، لم يكن قبلهم من صفته) أي لم يزدد بخلقه للناس صفة الخلق ، فهو موصوف بأنه الخالق قبل أن يخلقهم ، فليس اسمه الخالق اكتسبه عندما خلق الناس ، هو لم يزل خالقا ، فكما أنه لم يزل خالقاً ولم يزل رازقاً ولم يزل محيياً ولم يزل مميتاً ولم يزل فاعلاً فهو لن يزال

(١) أشار الشيخ قبل قليل أن صفاته الذاتية سبحانه قديمة ، أما الفعلية فإنها حادثة .

أيضاً ، يعني هذه الصفات التي استحقها في الأزل هو مستحقها في الأبد أيضاً ، فصفاته كما أنها قديمة فهي دائمة وباقية لا تفنى ولا تنقطع ، يعني ما سميناه الخالق يوم خلق الناس فهو خالق قبل ذلك ، ومن صفاته الخلق ، ويطلق عليه اسم الخالق ، حتى قبل أن يخلق الناس ، هذا على رأي من يرى أنه كان لا يخلق ثم خلق .

(ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) .

الشرح : (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) لما ذكر ما ذكره من أسماء الله وصفاته فيما تقدم وبين مسلك أهل السنة والجماعة في ذلك أحب أن يذكر دليلاً يكون مرجعاً يعرف أنه مرجع لأهل السنة والجماعة وهو الأساس الذي تقوم عليه عقيدتهم وهو قوله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير لأن وصف الله سبحانه وتعالى على طريقة أهل السنة والجماعة أنهم يثبتون له ما أثبته لنفسه من الصفات أو أثبته له رسول الله ﷺ على سبيل التفصيل ، وينفون عنه ما لا يليق بجلاله وعظمته نفياً عاماً مجملاً خالياً من التفصيل ، وهذا المنطلق أخذوه من قوله سبحانه وتعالى (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)(سورة الشورى آية :١١) وما يماثلها من الآيات الواردة في القرآن الكريم من إثبات الكمال لله سبحانه وتعالى على سبيل التفصيل ونفي النقائص والعيوب على سبيل الإجمال ، فقوله (ليس كمثله شيء) هذا نفي عام مجمل ، ليس كمثله شيء ليس كالنفي المفصل عند المعطلة ليس بجسم ولا بعرض ولا بجوهر ولا كذا ولا كذا .(ليس كمثله شيء) الكمال لازم لمثل هذا النفي ، لأنه إذا كان لا يماثله شيء من خلقه علم كماله سبحانه وتعالى . أما الذين سلكوا طريق التنزيه والنفي على سبيل التفصيل ، فهؤلاء يصلون بنفيهم وتفصيلهم إلى العدم فإذا كان ليس فوق العالم ولا داخل العالم ولا خارج العالم ولا متصلا بالعالم ولا منفصلا من العالم – يصلون في النهاية إلى أنه لا شيء . وقوله : (كمثله) بعض المفسرين ولا سيما الذين يعتنون بتفسير القرآن من حيث اللغة يقولون إن الكاف هنا زائدة ، والمعنى مفهوم بدونها ، أي ليس مثله شيء ، ومن المفسرين المحققين – كابن كثير رحمه الله وغيره – من لا يستسيغ إطلاق الزيادة في القرآن ، وإنما يقولون ليس كمثله شيء أي لو فرض له مثل لم يكن لمثله مثل ، أي ليس مثل الله سبحانه وتعالى شيء ، ومثل هذه الكاف تكون لتأكيد نفي المماثلة ،والمعنى الثاني أسلم . قوله : (وهو السميع البصير) فهذا معناه إثبات صفات كاملة لله سبحانه وتعالى متغايرة المعنى ليس معناها واحدا كما يقوله أهل الضلال والتعطيل الذين يقولون إن العلم بمعنى الحياة والحياة بمعنى السمع والسمع بمعنى البصر وكلها بمعنى واحد تدل على ذات واحدة .

السلف يثبتون لله ما يثبتونه من صفات الكمال :

أولا : أن يكون الإثبات دليلهم فيه كلام الله أو كلام رسوله .

ثانياً : أن يكون على سبيل التفصيل لا على سبيل الإجمال الذي يوهم ، كوصف المعطلة لله سبحانه وتعالى أنه موجود وجوداً مطلقاً أو أنه الوجود المطلق وأنه لا يجوز تقييد وجود الله سبحانه وتعالى بصفة بل يثبتون إثباتاً مجملاً ، أما أهل الحق الذين استضاءوا بكتاب الله وسنة نبيه (فإنهم يثبتون لله سبحانه وتعالى الكمال ولكن على التفصيل ، فما ثبت في القرآن أثبتوه ، ومالم يثبت فهم فيه على نوعين :

النوع الأول : إما أن يكون من الألفاظ المجملة التي تحتمل حقا وباطلا ، فهذا يمسكون عنه فلا يثبتونه ولا ينفونه .

مثل وصف الله بالجسم فهذا من الأمور التي لم يرد في الكتاب ولا في السنة إثباتها ولا نفيها فالسلف يتوقفون في مثل هذه لا ينفونها ولا يثبتونها وإنما يقولون : لا نثبت إلا ما أثبته الله ورسوله ، ولا ننفي إلا ما كان نقصاً أو عيباً في حقه سبحانه وتعالى ، وسوف يأتي إن شاء الله زيادة بيان لهذا النوع (١).

النوع الثاني : أن يكون فيها نقص وعيب فينفوه .

وهذه الآية ومثلها هي التي تغضب نفاة الصفات والمعطلة وتقض مضاجعهم ، ولهذا يقال إن الجهم بن صفوان أو أحد أقرانه طلب من أحد القراء أن يقرأ قوله تعالى (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)(سورة الشورى آية:١١) ليس كمثله شيء وهو العزيز الحكيم ، ولكن ذلك القارئ رفض ، يقول شيخ الإسلام رحمه الله وغيره : حتى لو أطاعه وخان أمانته وكتب وهو العزيز الحكيم فإن العزة صفة والحكمة صفة ، فيقع في مثل ما فرّ منه .

(خلق الخلق بعلمه)

الشرح : يعني أنه سبحانه وتعالى خلق الخلق وهو عالم بهم وأوجدهم وهو قادر عليهم لا أنه يجهل شيئاً من أمورهم قبل خلقهم ، وإنما هو يعلم ما تكون عليه حالهم بعد خلقهم يعلم ذلك قبل أن يخلقهم ، وعالم بما كان وما سيكون وما لم يكن لو كان كيف يكون ، فعلمه سبحانه وتعالى لا

---

(١) أنظر ص ٢٢٣.

يحد ولا يحيط به أحد ، عام شامل ولا يخفى عليه خافية ، فهو عالم بخلقه ، خلقهم بعلمه وقدرته ، ما خلقهم وهو جاهل بعواقب الأمور التي سيصيرون إليها ، علم أحوالهم قبل خلقهم وعلم أعمالهم قبل أن يعملوا ، وخلقهم مع قدرته عليهم ، فلم يستعن بأحد ولم يعجزه شيء من خلقه الخلق ، (إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون)(سورة يس:٨٢) فهو سبحانه وتعالى لا يحتاج إلى شيء عند إيجاده لما يريد ، إنما يقول له كن فإذا هو كائن .

قوله : (خلق الخلق بعلمه) يشير إلى الرد على المعتزلة والقدرية(١) الذين يقولون إن الله خلق الخلق وهو لا يعلم ما سيفعلون ، خصوصاً من الشر والمعاصي فإنه لم يعلمها ولم يخلقها وإنما بعد خلقه لهم هم خلقوها ، ففيه رد على المعتزلة و القدرية الذين يقولون إن الله لا يعلم أعمال العباد حتى يوجدوها . والقدرية طبقات ، من أول طبقاتهم من ينكر علم الله بالشر ، أما الخير فإنه يعلمه وهو منه ، وهو الذي ييسره ويهيئه له ،ولكن كما تفطن ابن عباس ﷺ حينما قال :(والذي نفسي بيده ليؤولن بهم الأمر إلى أن يخرجوا الله من أن يكون قدر الخير وعلمه كما أخرجوه من أن يكون علم الشر وقدره)(٢) .

والمتأخرون منهم قالوا إن الله لا يعلم شيئاً من أفعال العباد حتى يفعلوها لا الخير ولا الشر .

(وقدر لهم أقداراً وضرب لهم آجالاً)

الشرح : يعني قدر كل شيء على العباد ، وقدر ما سيفعله العبد من خير وشر ، قدر أن يكون سعيدا أو شقياً وأن يموت مؤمناً أو كافراً ، وهذا الذي تنكره المعتزلة والقدرية من غير المعتزلة ، ويقولون إن الله لم يقدر شيئاً مطلقاً وإنما إيجاد العباد لأفعالهم يستحيل أن يكون الله قدره بل يستحيل أن يكون علمه ، لأنه لو حصل ذلك لكان ظالماً لهم فلما كان عادلاً والظلم مستحيل عليه لزم أن يقال إنه لم يقدر شيئاً على العباد مطلقاَ (٣).

قوله : (وضرب لهم آجالاً) هذا أيضاً فيه استنكار لمذهب المعتزلة الذين يقولون إن الآجال لا تتقدم ولا تتأخر ، ويقولون إن المقتول مات قبل أجله وله أجل محدود فإذا مات قبل ذلك بقتل أو بغيره يقولون إنه مات قبل أجله وهذه من ضلالاتهم وباطلهم وإلا فالمسلمون كلهم مجمعون– عداهم – على أن من مات فقد مات بأجله سواء مات بقتل أو حرق ، وسواء هَرِم أو مات طفلاً

(١) أي الغلاة منهم الذين ينفون علم الله بأفعال العباد .

(٢) رواه احمد في المسند (٣٠٥٤) وأورده ابن حجر في المطالب العالية (٢٩٣٦) ونسبه إلى إسحاق بن راهويه .

(٣) يأتي إن شاء الله ص ٢٣٥ الرد على هذه الشبهة.

، إنما لحياته حد قدره الله وحدّه ولا يجوز له أن يتقدمها ولا يجوز له أن يتأخرها (١).

(ولم يخف عليه شيء قبل أن يخلقهم ، وعلم ما هم عاملون قبل أن يخلقهم ، وأمرهم بطاعته ونهاهم عن معصيته ، وكل شيء يجري بتقديره ومشيئته ، ومشيئته تنفذ ، لا مشيئة للعباد إلا ما شاء لهم ، فما شاء لهم كان وما لم يشأ لم يكن)

الشرح : خلق الخلق وقدر عليهم المقادير ، وأمرهم بطاعته ونهاهم عن معصيته ولا تعارض بين قوله قدّر وأمر ، فإنه قدر التقدير العام وأمرهم أمراً خاصاً أمراً شرعياً ، وهو الذي يرادف الإرادة الشرعية ، لأن **الإرادة والمشيئة نوعان** :

النوع الأول : إرادة كونية معناها المشيئة والقضاء والقدر والتقدير الشامل العام .

النوع الثاني : إرادة شرعية معناها الأمر والمحبة والرضا بما يعمله الإنسان .

فهو قدر عليهم المقادير ولكنه أمرهم ونهاهم ، ولا تعارض بين ذلك كما أشار إليه في حديث الصحابي الجليل سراقة بن مالك حينما قال: يا رسول الله : بين لنا ديننا ، كأنا خلقنا الآن ، فيم العمل اليوم ؟ أفيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير ، أم فيما يستقبل ؟ قال : (لا ، بل فيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير) ، قال : ففيم العمل ؟ فقال : (اعملوا فكل ميسر لما خلق له)(٢) . يعني لا يجوز للإنسان أن يقول أؤمن بأن الله قضى عليّ الخير والشر ، فإن كان قد قضى علي الخير فسوف يحصل لي سواء عملت أم لم أعمل ، وإن كان قدر لي الشر فسوف يصلني سواء عملت أم لم أعمل ، وذلك أن نقول إن رسول الله ﷺ الذي أُمرنا بطاعته و اتباعه أخبرنا بأن الله قضى كل شيء وقدره فنؤمن بذلك ، وأمرنا أن لا نتكل على ذلك التقدير ، بل أمرنا أن نطيع الله ونهانا أن نعصيه ، فالمؤمن حقا هو الذي يؤمن بما أخبر الله به رسوله من القضاء والقدر ، ويطيع الله ويطيع رسوله فيما أمر به من الشرع والدين .

---

(١) يقول ابن أبي العز رحمه الله عند هذا الموضع : (وعند المعتزلة : المقتول مقطوع عليه أجله ، ولو لم يقتل لعاش إِلَى أجله فكأن له أجلان وهذا باطل ، لأنه لا يليق أن ينسب إِلَى الله تَعَالَى أنه جعل له أجلاً يعلم أنه لا يعيش إليه ألبتة ، أو يجعل أجله أحد الأمرين ، كفعل الجاهل بالعواقب ، ووجوب القصاص والضمان عَلَى القاتل لارتكابه المنهي عنه ومباشرته السبب المحظور ، وعلى هذا يخرج قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (صلة الرحم تزيد في العمر) أي: سبب طول العمر ، وقد قدر الله أن هذا يصل رحمه فيعيش بهذا السبب إِلَى هذه الغاية ، ولو لا ذلك السبب لم يصل إِلَى هذه الغاية ، ولكن قدر هذا السبب وقضاه ، وكذلك قدر أن هذا يقطع رحمه فيعيش إِلَى كذا ، كما قلنا في القتل وعدمه) اهـ.. انظر شرح الطحاوية لابن أبي العز ص ١٢٨ ت التركي

(٢) رواه مسلم (٢٦٤٨) وفي البخاري بلفظ آخر (١٣٦٢) .

فجمع المؤلف بين القضاء والقدر والأمر والنهي يريد بذلك رفع هذه الشبهة التي قد يوردها جبري ويقول : إذا كان الله قدر علي الخير والشر فأي فائدة في عملي ؟ يقال له : الرسول الذي أخبرنا بأن الله قدّر الخير والشر أمرنا أن نعمل فقال : (اعملوا فكل ميسر لما خلق له) فنؤمن بالخبر ونطيعه فيما أمر ، والله سبحانه وتعالى أخبرنا أن ما قضاه سيكون مطلقاً ولا بد أن يكون .

وقوله تعالى : (يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب)(سورة الرعد آية :٣٨) يمحو الله ما يشاء من التفاصيل التي تأتي بعد التقادير العامة ، والذي قضاه الله في اللوح المحفوظ لا يمكن أن يمحى .

والله سبحانه وتعالى مشيئته نافذة لا مشيئة لأحد مع مشيئته ، والعبد له مشيئة وله إرادة ولكن مشيئته وإرادته محدودة ومقيدة بمشيئة الله وإرادته ، كما قال سبحانه وتعالى : (وما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين)(سورة التكوير آية :٢٩) فما شاءه الله كان ، سواء أراده العباد أم لم يريدوه ، وسواء رضيه العباد أولم يرضوه ، ما أراده الله إرادة كونية فسيكون خيراً كان أو شراً ، وما لم يرده إرادة كونية فلن يكون مهما بذل العبد من الوسائل ، وهذا يمثله البيت الذي نظمه بعض العلماء حينما قال:

فما شئتَ كان وإن لم أشأ

وما شئتُ إن لم تشأ لم يكن

فما شئت يا رب كان وإن لم أشأ أنا ، وما شئتُ أنا إن لم تشأ يارب لم يكن ،(١)

هذا يمثل مذهب السلف تماما ، و يوضح مذهبهم في المشيئة والإرادة ، وفي فعل العبد ومشيئة العبد توضيحاً كاملاً .

(يهدي من يشاء ويعصم ويعافي فضلاً ، ويضل من يشاء ويخذل ويبتلي عدلا)

الشرح : هذه المسألة هي مسألة القضاء والقدر ، ومسألة العدل ، والمسألة التي ضل فيها فئام من الناس كالمعتزلة والرافضة وغيرهم من القدرية الذين يقولون إننا لو قلنا إن الله يهدي بمعنى يوفق ويلهم للزم أن يكون ظالماً ، كيف يهدي فلاناً ويوفقه ويضل فلاناً أو يمنعه من الهداية .

الهداية عند علماء أهل السنة لها معان :

هداية معناها البيان والإرشاد .

هداية معناها التوفيق والإلهام والتسديد .

---

(١) هذا البيت منسوب للإمام الشافعي رحمه الله ، انظر الإيمان بالقضاء والقدر لعمر بن سليمان الأشقر ص٢١

فالهداية التي بمعنى البيان والإرشاد هذه تكون من الله وتكون من الرسل وتكون من المؤمنين العلماء ، وهي بيان الطريق والإرشاد والنهي عن الضلال والتحذير من الوقوع فيه .

أما الهداية التي بمعنى التوفيق والإلهام فهذه لا تكون إلا من الله عز وجل كما قال سبحانه وتعالى : (إنك لا تهدي من أحببت)(سورة القصص آية :٥٦) تهدي بمعنى تدل وترشد وتبين وأما هداية التوفيق فهي في قوله تعالى : (وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم*صراط الله)(سورة الشورى آية:٥٢-٥٣) و معنى (إنك لا تهدي من أحببت) أي لا توفقه ولا تعينه ولا تسدده بل ذلك كله إلى الله سبحانه وتعالى ، وهذه القضية من كبريات القضايا التي احتدم فيها الجدال والخصام و المناظرة بين القدرية وغيرهم من مثبتة القضاء والقدر ، يقولون كيف نعتقد بأن الله يهدي فلانا ويضل فلانا ثم لا يكون ظالماً لمن أضله ؟ والجواب عن هذه الشبهة أجاب به كثير من العلماء ، وهو أن الهداية التي يعطيها سبحانه وتعالى من يشاء ويمنعها من يشاء هي ملك لله سبحانه وتعالى ، والمالك لملكه إن تفضل به على أحد فهو فضل منه وإن منعه فهو عدل منه لأن المالك للشيء يتصرف به في المنح وفي المنع .

وقد جرت مناظرة بين عبد الجبار الهمذاني المعتزلي وبين أبي إسحاق الإسفرائيني الأشعري حيث دخل عبد الجبار على الصاحب بن عباد وكان عنده الإسفرائيني : فقال عبدالجبار على الفور : سبحان من تنزه عن الفحشاء .

فقال الإسفرائيني فورا : كلمة حق أريد بها باطل ، سبحان من لا يقع في ملكه إلا ما يشاء .

فقال عبدالجبار – وفهم انه قد عرف مراده – : أيريد ربنا أن يعصى ؟

فقال أبو إسحاق : أيعصى ربنا قهرا ؟

فقال عبد الجبار : أرأيت إن منعني الهدى وقضى علي بالردى ، أحسن إلي أم أساء ؟

فقال الإسفرائيني : إن كان منعك ماهو لك فقد أساء ، وإن كان منعك ماهو له فيختص برحمته من يشاء ، فانقطع القدري عبدالجبار وسكت ولم يجد جواباً (١) .

(وكلهم يتقلبون في مشيئته بين فضله وعدله)

الشرح : سبق أن ذكرنا أن الإيمان بالقضاء والقدر من أصول أهل السنة والجماعة ، وأن الله قضى وقدر كل شيء على العباد قبل خلقهم ، وبينا أن الله سبحانه وتعالى هو الذي يملك هداية التوفيق ، وبينا أن الهداية تنقسم إلى هداية التوفيق وهداية الدلالة والإرشاد وأن هداية التوفيق هي التي

(١) انظر دفع إيهام الاضطراب للشنقيطي في آخر أضواء البيان ٣٣١/١٠ ، ولوامع الأنوار البهية للسفاريني ١ / ٣٣٩

اختص الله سبحانه وتعالى بها ، أما هداية الدلالة والإرشاد فتكون من الله ومن الرسل ومن العلماء وهي هداية الطريق والسبيل لمن يريد السلوك .

وهنا قال : (وهم يتقلبون) أي مع تقديره وقضائه عليهم الخير والشر كله هم يتقلبون بين عدله وفضله ، يعني هو سبحانه وتعالى يعامل عباده إما بالعدل وإما بالفضل فإذا وفقهم للخير وهداهم إليه ويسر لهم طرقه وفعلوه كان هذا من فضل الله سبحانه وتعالى ، وإذا منع عنهم التوفيق وخذلهم فإن ذلك يكون عدلاً منه سبحانه وتعالى ولا يكون ظلماً ، وقد بينت سابقاً أن القدرية يقولون إن الله لو شاء المعاصي ثم عذب عليها يكون ظالما لهم ولا يتحقق العدل في حق الله عند المعتزلة والقدرية إلا إذا أنكروا أو نفوا عنه أن يكون قدر شيئاً من المعاصي والكفر وغيره ، ولكن الذي عليه أهل السنة والجماعة وسلف الأمة أن الله سبحانه وتعالى حُكمه في عباده دائر بين أمرين ، إما أن يعاملهم بفضله وإما أن يعاملهم بعدله ، فإن وفقهم للخير فقد تفضل عليهم بذلك ، وإن منعهم ذلك التوفيق فقد عدل في حقهم لأن من ملك شيئاً ومنعه غيره لا يكون ظالماً لهم وإنما يكون عادلا في حقه ، لأن العقلاء كلهم متفقون على أن المالك للشيء إعطاؤه لغيره فضل ومنعه عن غيره عدل ، فهذا معنى قوله : (يتقلبون في مشيئته بين فضله وعدله) .

(وهو متعال عن الأضداد والأنداد)

الشرح : يعني أن الله سبحانه وتعالى لا ند له ولا ضد له ، والند والضد متقاربان ، و المماثل و المناظر والنديد بمعنى واحد.

(لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه ولا غالب لأمره ، آمنا بذلك كله وأيقنا أن كلا من عنده)

الشرح : الكلام الذي تقدم كله يتعلق بقوله : (نقول بتوفيق الله إن الله واحد لا شريك له)

(وأن مُحَّداً عبده المصطفى ونبيه المجتبى ورسوله المرتضى)

الشرح : الآن انتقل إلى الكلام عن الرسول ، ومعلوم أن الركن الأول من أركان الإسلام هو الإقرار بالوحدانية لله والإقرار بالنبوة والرسالة لمحمد، وأنه لا ينفع الإقرار بالتوحيد مالم ينضم إليه الإقرار بالرسالة والنبوة لمحمد ، ولهذا قال ﷺ لما سأله جبريل عن أركان الإسلام قال : (أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن مُحَّداً رسول الله)(١) .

---

(١) رواه البخاري (٤٧٧٧) ومسلم (١) .

وقوله : (وأن مُحَمَّداً عبده المصطفى) يعني اصطفاه الله واجتباه من بين خلقه واصطفاه لعلمه سبحانه وتعالى السابق أنه هو من يصلح للرسالة والنبوة ، اختاره واجتباه وأرسله إلى أهل الأرض .
قوله : (ورسوله) الرسول هو من أوحى الله إليه بشرع وأمره بتبليغ ذلك الوحي ، بخلاف النبي : وهو من أوحي إليه بشرع وإن لم يؤمر بتبليغه ، فالنسبة بين الرسول والنبي هي العموم والخصوص المطلق ، فكل رسول نبي وليس كل نبي رسولاً ، والرسول أخص من النبي لأنه لا يمكن أن يكون رسولاً إلا وهو نبي ، لأن التنبئة معناها الإخبار بوحي الله ، لكن إن كان هذا الموحى إليه بوحي الله وخبر الله أُمر بتبليغه للناس صار نبيا بإخباره بالوحي وصار رسولا بأمره بالتبليغ ، وإن أخبر بشيء من الوحي ولم يكلف بتبليغ الناس بذلك كان نبياً فقط .

وأما من يقول إن النبي هو المقرر لشرع من قبله فيعترض عليه بأن آدم عليه الصلاة و السلام نبي وهو لم يجدد لوحي قبله ، فيكون هذا التعريف ناقص لا يشمل كل نبي وكل رسول ، والتعريف الصحيح هو الذي ذكرته ، وهو الذي عليه أئمة السلف وهو الذي يشمل جميع من أوحى إليه بشرع سواء أمر بتبليغه أولم يؤمر بتبليغه ، كل من أوحى إليه بشيء من خبر الله فهو نبي ولا يخرج أحد عن ذلك أبداً ، لكن يكون رسولاً إن أمر بالتبليغ .

(وأنه خاتم الأنبياء وإمام الأتقياء وسيد المرسلين وحبيب رب العالمين)

الشرح : من أصول الشريعة الإيمان بأن النبوءات ختمت بمحمد ، وهذا جاء في القرآن وجاء في الحديث أيضاً ، ففي سورة الأحزاب جاء صريحاً أن نبينا مُحَمَّدا خاتم النبيين ، قال تعالى : (ما كان مُحَمَّد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين)(سورة الأحزاب آية : ٤٠) ، والنبي صلى الله عليه وسلم أخبر أنه خاتم الأنبياء وأنه لا نبي بعده فكان إجماعا من المسلمين أن مُحَمَّداً هو آخر الرسل وأن رسالته أخر الرسالات ولا يخالف أحد في ذلك من المسلمين ، ولهذا من ادعى النبوءة أو ادعى الرسالة حكم المسلمون عليه بالكفر إجماعاً .

قوله : (وإمام الأتقياء وسيد المرسلين وحبيب رب العالمين) هذا كله من باب السجع و المؤلف رحمه الله مع أن عقيدته هذه مختصرة جداً إلا أنه يكثر فيها من التكرار لأجل مراعاة السجع .

(وكل دعوى النبوة بعده فغيٌّ وهوى)

الشرح : قد أخبر أنه سيكون بعده متنبئون ، فقال : (سيكون في أمتي كذابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبي وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي)(١) ، وقد وجدوا كلهم ، منهم الأسود العنسي ومنهم مسيلمة الكذاب ومنهم سجاح ، ومنهم كثيرون كلهم ادعوا النبوة ولكن ما تم لهم شيء .

وقوله : (كذابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبي) هذا للحصر ، ولهذا لم يقل أحد إنه وجد أكثر من ثلاثين متنبئا ، وما يظهر في الأوقات المتأخرة من دعوى النبوة فإن ذلك يكون نتيجة خلل في العقل ، و أنا شاهدت بالرياض اثنين أو ثلاثة يوم كنا طلبة عند الشيخ مُحَّد بن إبراهيم(٢) كلهم مجانين ، وحصل عند الشيخ ابن حميد(٣) مره أو مرتين لكن هؤلاء كلهم عندهم خلل في العقل ، الرسول ﷺ يتكلم عمن يدعي النبوة جاداً ويكون له شوكة وأتباع ، فيقبلها من الرعاع ناس يتبعونه ويكونون معه ، هذا هو الأولى بحمل كلامه .

والنبي لابد له من علامات وآيات تبينه وتميزه من غيره ، فإذا وجدت تلك الآيات عرف أنه نبي وأما بدونها فإنه لا يحكم بنبوته ، أما رسالة مُحَّد فلا يمكن أن يأتي أحد بآيات ولا يمكن أن يكون أحد رسولاً بعده أبداً .

ومن هنا تعلم ضلال المعتزلة في نفيهم كرامات الأولياء ، وقد نفوها متذرعين بأنهم لو اثبتوا للأولياء كرامات لالتبس عليهم الولي بالنبي ، وهؤلاء يقال لهم :

أولا : إن العلماء فرقوا بين الكرامة والمعجزة .

ثانيا : يقال لهم هل هناك نبي سيأتي بعد نبينا مُحَّد حتى تنكروا ذلك خشية الالتباس بينهما ..!

والمعجزات كثيرة وهي آيات الأنبياء والرسل ، وهي خوارق للعادات وسوف يأتي زيادة توضيح لذلك عند الكلام على ذلك في موضعه إن شاء الله (٤).

---

(١) رواه أبو داود (٤٢٥٢) واللفظ له ، والبخاري (٣٦٠٩) ومسلم (١٥٧) .

(٢) هو الشيخ مُحَّد بن إبراهيم من أحفاد الشيخ مُحَّد بن عبدالوهاب آل الشيخ مفتي الديار النجدية ، ولد في الرياض سنة ١٣١١ هـ، وهو من ابرز مشايخ الشيخ حمود العقلاء ، وكان الشيخ حمود يثني عليه كثيرا ، له رسائل وفتاوى ومكاتبات مجموعة في ثلاث عشرة مجلد ، توفي رحمه الله سنة ١٣٨٩ هـ . انظر روضة الناظرين لمحمد بن عثمان القاضي ٣٣٥/٢ .

(٣) هو الشيخ عبدالله بن مُحَّد بن حميد الخالدي رئيس مجلس القضاء الأعلى ، ولد في الرياض ١٣٢٩ هـ ، عين قاضيا في بريدة لفترة طويلة ، و قرأ عليه عدة من علماء القصيم ، وكذا الرياض وغيرها ، له مؤلفات ورسائل ، وقد طبع له مجلد فيه بعض فتاويه ، توفي رحمه الله سنة ١٤٠٢ هـ انظر روضة الناظرين للقاضي ٢/ ٥٥

(٤) أنظر ص ٣٦٤.

(وهو المبعوث إلى عامة الجن وكافة الورى بالحق والهدى والنور والضياء)

الشرح : هذا بيان اعتقاد السلف أن رسالة النبي ﷺ عامة لجميع الناس ، كان الرسول يبعث إلى قومه خاصة أما النبي ﷺ فقد بعث إلى الناس عامة ، قال الله تعالى : (قل يأيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً)(سورة الأعراف آية :١٥٨) ، فالناس هنا صيغة عموم لأنه معرّف بأل فيعم جميع الناس ، وهو عليه الصلاة والسلام أخبر بذلك وقال في الحديث المتفق على صحته في الخمسة التي لم يؤتها نبي قبله منها (وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة) (١) وهذا بإجماع المسلمين ، أما ما يقوله أعداء الإسلام من عيسوية اليهود وغيرهم الذي يقرون برسالة مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم ولكنهم يقولون إنه رسول للعرب فقط فهذا ضلال وكفر ولا يلتفت إليه (٢) ، لكن المسلمون كلهم مجمعون على أنه ﷺ بعث إلى الناس عامة أي إلى جميع الناس .

(وأن القرآن كلام الله منه بدأ بلا كيفية قولاً ، وأنزله على رسوله وحيا ، وصدقه المؤمنون على ذلك حقاً ، وأيقنوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة ، ليس بمخلوق ككلام البريّة ، ومن سمعه فزعم أنه كلام البشر فقد كفر وقد ذمه الله وعابه و أوعده بسقر ، حيث قال تعالى (سأصليه سقر) فلما أوعد الله بسقر لمن قال (إن هذا إلا قول البشر) علمنا وأيقنا أنه قول خالق البشر ولا يشبه قول البشر)

الشرح : هذا المقطع يتعلق ببيان مذهب أهل السنة والجماعة في كلام الله ، والإمام الطحاوي واحد منهم ، وهو يتكلم على أن هذا هو مذهب أهل السنة والجماعة وهو كذلك ، وهو سائر على طريقتهم رحمه الله إلا في مسائل قليلة ينبه عليها في حينها .

الكلام في لغة العرب من حيث هو ما تكون من كلمتين وأفاد فائدة يحسن سكوت المتكلم عليها ، وكلام الله سبحانه وتعالى هو ما تكلم به وسمع من ملائكته وأنبيائه ، وللناس في كلام الله مذاهب كثيرة ، ذكر شارح الطحاوية منها تسعة مذاهب ، ولكن كلها ترجع إلى ثلاثة مذاهب :

---

(١) رواه البخاري (٣٣٥) ومسلم (٥٢١) .

(٢) أهل الكتاب يستشهدون على هذا من القرآن ، وقد رد عليهم شيخ الإسلام رحمه الله في الجواب الصحيح (١/١٣٠ وما بعدها) ودحض حجتهم بأمور منها ما ملخصه :

١ – إن في كلام نبينا مُحَمَّد ما يبين كفرهم وشركهم ، فلماذا يأخذون ما يريدون ويدعون مالا يريدون .؟!

٢ – أنهم يكذّبون مُحَمَّدا فكيف يستشهدون بكلامه .؟!

٣ – أن هذا يعني إقرارهم بنبوة مُحَمَّد إلى العرب .

المذهب الأول : قول السلف أهل السنة والجماعة وهو أن القرآن والتوراة والإنجيل كلام الله ، وأنه يتكلم بكلام يسمع منه بحرف وصوت إذا نادى أو كلم من شاء من عباده سواء في ذلك الملائكة أو الرسل أو غيرهم ، كما قال سبحانه وتعالى في عدّة مواضع من كتابه العزيز ، ومنها قوله عز وجل :(فأجره حتى يسمع كلام الله)(سورة التوبة آية :٦) وكذلك قوله :(وكلم الله موسى تكليماً)(سورة النساء آية :١٦٤) وقوله سبحانه: (ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه)(سورة الأعراف آية :١٤٣) وغيرها من النصوص الدالة على أن الله يتكلم إذا شاء ، والكلام صفة من صفاته سبحانه وتعالى كسائر صفاته ، يثبت له على الكيفية التي تليق بجلاله وعظمته .

فنؤمن بأن الله يتكلم وله كلام وأن كلامه بحرف وصوت ويسمع منه ولكن كيف يكون ذلك أو ما هو كنه ذلك الكلام ؟ هذا نقف عنه ولا نتكلم فيه لأننا مأمورون بالإيمان بمعاني الصفات وحقائقها أما كيفياتها وكنهها فهذا ليس إلى البشر ، والكلام كلام الله ، هو يتكلم إلى جبريل وجبريل يسمعه ثم ينقله إلى رسله ، وقد يتكلم إلى رسله مباشرة كما كلم موسى وكما كلم مُحَّمداً على الصحيح حين أسري به . وهذا لا خلاف فيه بين السلف ، السلف كلهم متفقون على الإيمان بأن اللفظ والمعنى كلاهما كلام الله ، ليس كلامه المعاني دون الحروف ولا الحروف دون المعاني كما قال شيخ الإسلام رحمه الله .

والدليل على أن الله يتكلم بصوت ما ثبت عنه ﷺ من حديث عبدالله بن أنيس انه قال (يحشر الله الخلائق يوم القيامة عراة حفاة غرْلا ، بهما، فيناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب : أنا الملك أنا الديّان)(١) .

وهذا خلاصة مذهب السلف في الكلام .

المذهب الثاني : فهو للأشاعرة والكلابية والماتريدية ، والأشاعرة الكلابية والماتريدية مشربهم واحد ومنهجهم واحد ، وأدلة الإثبات وأدلة النفي عندهم واحدة ، ولا يختلفون إلا في أمور خفيفة لا تستحق أن يقال إنه خلاف ، لأنه إن وقع بينهم شيء فهو من طرق الخلاف اللفظي (٢) .

---

(١) ذكره البخاري في صحيحه معلقا بعد حديث (٧٧) ووصله الحافظ ابن حجر في تغليق التعليق (٥/٣٥٥) ورواه البخاري أيضا في خلق أفعال العباد ص ٩٩ ، ورواه في صحيحه بلفظ آخر (٧٤٨٣) ، وفي الأدب المفرد (٩٧٠) ورواه احمد في مسنده (١٦٠٤٢) بسند حسن .

(٢) ينظر الماتريدية للشمس السلفي الأفغاني رحمه الله ١/ ٤٣٠ والتدمرية لشيخ الإسلام ص ١٩١ ت مُحَّمد عودة السعوي .

هؤلاء رأيهم في كلام الله أن كلام الله هو المعنى القائم بذاته – معنى الكلام فقط – وأما أن يتكلم بكلام يسمع منه فهذا لا يقر به هؤلاء أبداً ، وإنما يقولون الحروف والأصوات التي تسمع هي كلام البشر .

فمعنى الكلام قائم بذاته ، و معنى الأمر و النهي و الاستفهام و الاستخبار كله قائم بذاته ، فإذا أراد تبليغ شيء من هذه المعاني أقدر جبريل على أن يفهم ما في نفسه سبحانه وتعالى فيعبر عنه ، فعلى هذا التفسير يكون القرآن مخلوقا(١) وإن قالوا إنه كلام الله ، لماذا ؟ لأنهم يقولون إن الله لم يتكلم بكلام سمعه جبريل وعبر عنه أو نقله ، يقولون إن جبريل فهم ما يريده الله فتكلم به ، فيكون معنى الكلام عندهم راجعاً للإرادة .

وهم إن أقروا به مع الصفات السبع التي يقرون بها لكنه على هذا النمط ، يقرون بكلام الله بمعنى أن معنى الكلام هو كلام الله وأما اللفظ فهو لفظ جبريل جاء به إلى مُحَمَّد ﷺ بعد أن فهم ما يريده الله ، فلفظ الكلام عندهم مخلوق ، فهم يتفقون مع الجهمية والمعتزلة بالنسبة للفظ الكلام وأنه مخلوق(٢) ، لكنهم يختلفون عنهم بدعواهم أن كلام الله معاني قائمة بذاته يُفهمها من شاء فيفهمها عنه ، لا أنه تكلم ، ويقولون الكلام في حقه سبحانه وتعالى محال لأن الكلام يحتاج إلى لسان وشفتين وأسنان وحلق ولهاة وغير ذلك .

ولكن يرد عليهم هذا الكلام الذي ذكروه : بأن هذا من شئون المخلوقين ومن صفاتهم ، الإنسان هو الذي كلامه يفتقر إلى هذه الآلات ، أما الله سبحانه وتعالى كما أن ذاته لا تماثل ذوات المخلوقين فكذلك صفاته ومنها الكلام لا تماثل صفات المخلوقين ، وإلا فلو طردنا هذا الباب على قولهم لبطلت صفات الله كلها .

لأنه يمكن لقائل أن يقول كالجهم مثلاً : الإرادة والعلم والحياة وغيرها من الصفات العقلية لا يوصف الله بها لأننا لا نرى متصفا بهذه الصفات – في المشاهد – إلا وهو مخلوق ، فلو أثبتناها لله لكان مشابهاً للخلق ، فلهذا لا يلزم على صفاته ما يلزم على صفات المخلوقين .

وكما أن الكلام أخبر الله عنه أنه صدر من بعض الأشياء من غير أن يكون لها لسان ولا أسنان ولا حلق كالسموات والأرض (ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرها قالتا أتينا طائعين)(سورة فصلت آية :١١) . هل للأرض لسان ، وهل للسماء لسان

---

(١) انظر قول ابن قدامة في البرهان في بيان القرآن ص ٥٢.

(٢) ذكر بعضهم أن الخلاف بين المعتزلة والأشاعرة في كلام الله خلاف لفظي ، انظر شرح المواقف للجرجاني ٩٣/٨ وشرح العقائد العضدية للدواني ص ٥٨٨.

وقد أخبر عنهما أنهما قالتا ؟ فالقول والكلام لا يتوقف على هذه الآلات إلا بالنسبة لما نشاهده من البشر ، والله سبحانه وتعالى أعظم من كل ما يخطر في خلد إنسان مهما كان ، لا يمكن لإنسان أن يتصور عظمته حتى يقول يلزم على كلامه كذا أو يلزم على رؤيته كذا أو يلزم على استوائه ونزوله كذا ، الله سبحانه وتعالى عظيم ولا يقاس بخلقه ، ولا يجوز عليه ما يجوز على خلقه من الأمور التي تكون عيوباً ونقائص .

فالكلابية والأشاعرة يقولون بهذا المذهب ، ولكن يختلفون في التعبير ، فالكلابية يقولون : إن القرآن حكاية عن كلام الله وليس هو كلام الله ، والأشاعرة يقولون إن القرآن عبارة عن كلام الله وليس هو كلام الله ، فكلهم متفقون على أنه ليس كلام الله وإنما هو كلام جبريل ، واختلافاتهم فيما بينهم كلها كهذا الاختلاف ، فلا فرق بين العبارة والحكاية إنما الأشاعرة تبرر قولها فتقول : إن الحكاية معناها المحاكاة والمشابهة ، وإذا قلنا إن القرآن حكاية عن كلام الله كأننا نقول إنه شبيه بكلام الله .

المذهب الثالث : مذهب الجهمية والمعتزلة ، هؤلاء يقولون إن كلام الله مخلوق لفظه ومعناه ، خلقه الله في اللوح المحفوظ ونقله جبريل عنه أو خلقه في أي مكان .

فمكالمته لموسى يقولون إنه خلق الكلام في الشجرة ، وهذا باطل لوجوه :

أولاً : أنه لو خلق في الشجرة لصار كلام الشجرة ، ولأنه خلق فينا كلاماً فهو كلامنا ، وخلق في الحيوانات الأصوات فالأصوات أصواتها .

ثانيا : لو كان الكلام خلقه في الشجرة لكانت الشجرة تدعو إلى عبادتها ، لأن الله سبحانه وتعالى نادى موسى (إني أنا ربك) فهل تقول الشجرة يا موسى إني أنا ربك ؟ فلما كان الكلام هو كلام الله سمعه موسى عليه الصلاة والسلام من تلقاء الشجرة ، فلا يصح أن يكون كلامه سبحانه وتعالى مخلوقاً لا في الشجرة ولا في غيرها ، صحيح أنه كَتب في اللوح المحفوظ سبحانه وتعالى ما شاء لكن تكلم به وكتبه لا أنه خلقه من غير أن يتكلم به ، هو كتبه بعد أن تكلم به سبحانه وتعالى .

ولهذا لما احتج عبد العزيز الكناني بالسبر والتقسيم على بشر المريسي في المناظرة التي جرت بين يدي المأمون عن كلام الله سبحانه قال عبد العزيز : هذا الكلام الذي تقوله يا بشر المريسي قولك إن الله خلقه أخبرني :

هل خلقه في نفسه سبحانه وتعالى ، أو خلقه في غيره ، أو خلقه لا في مكان ، ولا قسم رابع ، فلما كان السؤال مفحماً والجواب لا يجده المبطل عجز بشر عن الجواب .

فرجع المأمون إلى عبد العزيز الكناني وقال : انقطع بشر وعجز عن الجواب لكن أخبرني ماذا تقول لو أجاب بأي واحد منها ؟

قال : يا أمير المؤمنين أنا سألته هل خلق الله الكلام في ذاته الكريمة ؟ فلو قال : نعم لكفر ، لأنه جعل ذات الباري محلاً للحوادث وبالإجماع أن من اعتقد أن الباري محلاً للحوادث فقد كفر ، ولو قال : خلقه في غيره من سائر المخلوقات لطالبته بالفرق بين كلام الله وبين كلامي وكلامك وكلام زيد وعمرو ونهيق الحمير وصياح الكلاب ، كل هذه الأصوات خلقها الله في غيره ، فأي فرق بينها وبين كلام الله ، قال : ولو قال خلقه لا في مكان ، لا يقوله لكنه لو قاله لبُيّن له أن العقلاء أجمعوا بأن المخلوق لا بد وأن يكون في مكان ، ولا يمكن أن يكون في غير مكان ، فكل مخلوق لا يخلوا من مكان ، فانقطع المريسي ودحضت حجته .(١)

وأحد الأقسام الثلاثة التي جاء بها هي التي يقولها المعتزلة والجهمية وبالنسبة لكلام الله ، يقولون خلقه في غيره ، كلامه لموسى خلقه في الشجرة ، وكلامه لمحمد خلقه في اللوح المحفوظ ، فهم جعلوا كلام الله ككلام غيره لا فرق بينه وبين كلام الناس .

هذا حاصل أو خلاصة ما يقال في مذاهب الناس في كلام الله على سبيل الإجمال ، ولكن نعيد الجمل هذه التي قالها المؤلف لأنه رحمه الله يأتي في الحُكم الواحد بعدة عبارات من باب التكرار ، لأنه كما ذكرنا يحمله على التكرار مراعاة فقرات السجع .

(وأن القرآن كلام الله تعالى منه بدأ بلا كيفية (٢) قولاً)

الشرح : قوله : (بلا كيفية) نفي للتكييف ، وقوله : (قولا) لا أنه بدأ منه خلقاً ، خلافاً للأشاعرة ومن معهم الذين يقولون إنه بدأ منه إفهاماً أفهمه جبريل.

(أنزله على رسوله وحياً)

الشرح : أنزله على مُحَمّد ﷺ وحيا أوحاه إليه ، والوحي قد يكون بواسطة الملك ، يتكلم الله بالوحي فينقله جبريل ثم ينقله إلى مُحَمّد ﷺ فيوحيه إليه ، وقد يكون بطريقة أخرى ، فالوحي له عدة طرق كما قد دون في علوم القرآن .

---

(١) ذكر الشيخ رحمه الله هذه القصة مختصرة مع شيء من الشرح ، وتجد نصها في كتاب الحيدة لعبدالعزيز الكناني ص ١٢٦ تحقيق د. جميل صليبا .

(٢) الأولى بالطحاوي رحمه الله أن يقول بلا تكييف ، لأن كلام الله تعالى له كيفية الله اعلم بها ، لكن لا نكيفها ولا نسأل عنها بكيف .

(وصدقه المؤمنون على ذلك حقاً)

الشرح : أي وصدقه المؤمنون أنه جاء بوحي من عند الله ، وأن الله تكلم بذلك ، اعتقدوه حقاً لا مجازاً.(١)

(وأيقنوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة)

الشرح : وأيقنوا أنه كلام الله حقيقة لا مجازاً كما تقوله الجهمية والأشاعرة .

(ليس بمخلوق ككلام البرية)

الشرح : ليس بمخلوق ككلام البشر كما تقوله المعتزلة والجهمية والأشاعرة أيضاً.

المشكلة الآن أن الأشاعرة يقال إنهم أقرب الناس إلى أهل السنة ، علماً بأنهم إن نظرت إليهم من حيث صفة الكلام وجدت أنهم يوافقون المعتزلة من حيث إن الله لم يتكلم ولم يقل ، وإن نظرت إليهم من حيث القدر وأفعال العباد وجدتهم جبرية لأنهم ينفون أن يكون للعبد فعل ، وإن نظرت إليهم من حيث الصفات وجدتهم جهمية إلا فيما يدّعون إثباته من سبع صفات ، فمن أين لهم القرب ، فهم بعيدون من أهل السنة كل البعد .

هم متفقون مع أهل السنة والجماعة في الحكم على الصحابة وفي موالاتهم والترضي عنهم وعدم تضليل أحد منهم أو تكفيره ، ومواقفهم السابقة زمن صلاح الدين وغيره إنما كانت في أبواب الصحبة ، كما كان عداؤهم للرافضة وللنواصب ، فهم يلتقون مع أهل السنة في هذا المنطلق فقط ، وكذلك في مناظرتهم للمعتزلة كانت في إنكارهم للصفات السبع .

---

(١) الأصل في الكلام الحقيقة ، ولا يصار إلى غير ذلك إلا بدليل يوجب صرف اللفظ من الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح ، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (إن في تقسيم الكلام إلى حقيقة ومجاز اصطلاحًا حادثًا بعد انقضاء القرون الثلاثة ، لم يتكلم به أحد من الأئمة المشهورين في العلم : كمالك ، والثوري ، والأوزاعي ، وأبي حنيفة ، والشافعي ، بل ولا تكلم به أئمة اللغة والنحو مثل : الخليل ، وسيبويه ، وأبي عمرو بن العلاء ، ونحوهم) إلى أن قال : (وهذا الشافعي هو أول من جرد الكلام في أصول الفقه لم يقسم هذا التقسيم ولا تكلم بلفظ الحقيقة والمجاز ، وكذلك مُحَمَّد بن الحسن له في المسائل المبنية على العربية كلام معروف في الجامع الكبير وغيره ولم يتكلم بلفظ الحقيقة والمجاز) الخ . ثم نقل أن للإمام احمد في ذلك روايتين ثم قال : (والذين أنكروا أن يكون أحمد وغيره نطقوا بهذا التقسيم قالوا إن معنى قول احمد من مجاز اللغة أي مما يجوز في اللغة) .

انظر كتاب الإيمان لابن تيمية ص ٨٤ – ٨٥ تحقيق الشيخ الألباني رحمه الله .

مع أن إثبات الأشاعرة للصفات السبع ليس على طريقة أهل السنة والجماعة ، فصفة الكلام مثلا يقولون هي المعنى القائم بذات الله تعالى أما اللفظ فلفظ جبريل وهو مخلوق ، وهم يؤولون في ذلك ولا يجاملون ويصرحون بأنه لا يتكلم ، بل ويعللون بما تعلل به المعتزلة والجهمية بأن القول والصوت يحتاج إلى لسان وشفتين وأسنان ، وهذا صريح في مذهبهم على ما يأتي تبيينه إن شاء الله .

فإن قيل إنهم يسمون بأهل السنة ، قيل الأشاعرة هم من سمى أنفسهم بذلك ولم يسمهم أهل السنة ، وما ذكر عن السفاريني في هذا فإن السفاريني رحمه الله من أهل السنة (١) ، لكن له نزعات في بعض المسائل يلتقي فيها مع الأشاعرة .

(فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر فقد كفر ، وقد ذمه الله وعابه و أوعده بسقر حيث قال تعالى (سأصليه سقر) فلما أوعد الله بسقر لمن قال (إن هذا إلا قول البشر) علمنا وأيقنا أنه قول خالق البشر ولا يشبه قول البشر)

الشرح : يشير إلى الآيات الواردة في سورة يا أيها المدثر (٢) .

(ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد كفر ، فمن أبصر هذا اعتبر وعن مثل قول الكفار انزجر وعلم أنه بصفاته ليس كالبشر)

الشرح : هذا تكميل للعبارات السابقة .

(والرؤية حق لأهل الجنة بغير إحاطة ولا كيفية)

الشرح : الرؤية حق للمؤمنين يوم القيامة ، والرؤية من الصفات التي حصل فيها الخلاف بين أهل السنة والجماعة وبين غيرهم من المعطلة ، فجمهور المسلمين يثبتون الرؤية ، ما عدا المعتزلة والجهمية وبعض الأشاعرة فإنهم ينكرون الرؤية ويقولون الله سبحانه وتعالى لا يرى في الدنيا ولا في الآخرة وعللوا ذلك بأن معنى الرؤية أن يقع البصر على شيء مقابل ، وأن المرئي لا بد أن يكون منحازاً في مكان ينعكس عليه البصر ، والله لو كان كذلك لكان منحازا في مكان ، وهذا يدل على

---

(١) السفاريني رحمه الله من أهل السنة فيما وافق فيه أهل السنة ، وإلا شرحه لوامع الأنوار يبين انه يعتقد أن مسلك السلف هو التفويض ، وهو الذي يظهر من شرحه ، مع تناقضات أخرى له فيه رحمه الله . وانظر في ذلك شرح الشيخ ابن قاسم للدرة المضية ص ٢٤ ، و مذهب أهل التفويض في نصوص الصفات ص ٢٤٢ للشيخ احمد القاضي .

(٢) (إن هذا إلا قول البشر * سأصليه سقر) آية ٢٥-٢٦

تنقص في حق الله هكذا يقولون ، فنفوا الرؤية وصرفوا جميع النصوص الواردة فيها عن مدلولها إلى معانٍ تصوروها بعقولهم أو سفسطوا (١) وغالطوا ، وهم يعلمون أن تأويلاتهم باطلة .

الحاصل أن المعتزلة والجهمية وبعض الأشاعرة أنكروا الرؤية بتاتاً ، أما جمهور الأشاعرة فإنهم أثبتوا الرؤية ولكن أثبتوها بطريقة ليست بالطريقة التي أثبتها أهل السنة والجماعة ، فإنهم قالوا إن الله يرى والرؤية من صفاته ولكن يرى لا في مكان ، أرادوا أن يتخلصوا من شبهة المعتزلة والجهمية وهو أن المرئي يجب أن يكون في مكان منحاز ، ولهذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : إن الأشاعرة في مسألة الرؤية هم مخنثو المعتزلة ، بمعنى أنهم لا هم معتزلة وجهمية فيطردون الباب وينكرون الرؤية ، ولا هم من أهل السنة والجماعة فيقرونها ، فسماهم مخنثي المعتزلة ، كما أن الخنثى لا هو ذكر ولا أنثى ، أما أهل السنة والجماعة وأكثر المسلمين من غيرهم فإنهم يثبتونها لله سبحانه وتعالى و أدلتهم كثيرة في القرآن وفي الحديث ، كقوله سبحانه وتعالى : (وجوه يومئذ ناضرة * إلى ربها ناظرة)(سورة القيامة آية :٢٣-٢٢) ناظرة يعني تنظر إلى الله سبحانه وتعالى وكذلك : قوله : (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة)(سورة يونس آية :٢٦) فسر المحققون من المفسرين أن الزيادة هي النظر إلى الله سبحانه وتعالى (٢)، وكذلك قوله سبحانه وتعالى (كلا إن كتاب الفجار لفي سجين وما أدراك ما سجين كتاب مرقوم) إلى أن قال : (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون)(سورة المطففين آية :١٥-٧) فلما ذكر أن من عقاب الكافرين أن يحجبوا عن رؤية الله دل ذلك على أن غيرهم لا يحجب وأنه يرى الله سبحانه وتعالى ، وكذلك قوله ﷺ : (إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته)(٣) ، فالرؤية في حق المؤمنين لله واجبة عند أهل السنة والجماعة ولا شك في ثبوتها .

---

(١) يقول الشيخ حمود في شرح التدمرية : السفسطة كلمة يونانية مركبة من سوف سطا ، أي مموه الحكمة ، ومعناها المغالطة وإظهار الباطل مظهر الحق ، وهي إحدى طرق الاحتجاج عند أهل المنطق .

وقد أشار شيخ الإسلام إلى هذا ثم قال : وإن كان لفظ السفسطة قد صار في عرف المتكلمين عبارة عن جحد الحقائق . انظر التسعينية ١/ ٢٥٣ ت د مُحَمَّد العجلان.

(٢) روى الترمذي (٢٥٥٢) عن النبي عليه الصلاة والسلام في قوله (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) قال : (إذا دخل أهل الجنة الجنة نادى مناد : إن لكم عند الله موعدا ، قالوا : ألم يبيض وجوهنا وينجينا من النار ويدخلنا الجنة ؟ قالوا : بلى ، قال : فيكشف الحجاب ، قال : فوالله ما أعطاهم شيئا أحب إليهم عن النظر إليه) . وانظر صحيح البخاري بعد حديث (٤٦٧٩) ومسلم (١٨١) .

(٣) رواه البخاري (٥٥٤) ومسلم (٦٣٣) .

أما نفاة الرؤية فيزعمون — كما سبق – أن العقل يدل على أن كل مرئي لابد أن يكون متشكلاً بشكل ومنحازاً في مكان حتى تقع عليه أشعة البصر ، وهذا لا يحق وجوده في حق الله سبحانه وتعالى ، وأضاف نفاة الرؤية إلى الدليل العقلي هذا قوله تعالى في خطابه لموسى : (لن تراني) ، قالوا : وهذا يدل على أنه لا يرى ، والسلف أجابوا عن هذا بأن معنى : (لن تراني) أي : لن تقدر على رؤيتي في هذه الدنيا ، الله سبحانه وتعالى رؤيته ليست سهلة يسيرة يقوى عليها بصر الإنسان العادي ، فلا يمكن أن يرى إلا إذا أعطي البصر قوة خارقة زائدة عن عادة البصر في الدنيا ، فقال موسى لما قال : (رب أرني أنظر إليك) قال : (لن تراني) يعني لست في حالة تمكنك من رؤيتي لأن بصرك قاصر ، فليس معنى لن تراني أي لا أرى ، الله سبحانه وتعالى لو كانت رؤيته مستحيلة لقال لموسى إنني لا أرى ، لكنه قال لن تراني أي لن تراني في هذه الدنيا.

و من الأدلة التي قلبها أهل السنة على نفاة الرؤية أن (لن) في قوله تعالى (لن تراني) لا تعني مطلق التأبيد ، بل تعني نفي الرؤية لوقت معين ، والدليل على هذا أن الله تعالى ذكر عن الكفار أنهم (لن) يتمنوا الموت ، كما في قوله عز وجل : (ولن يتمنوه أبدا)(سورة البقرة آية :٩٥) أي الموت ، وفي الآية الأخرى بين أنهم تمنوه ، كما في قوله تعالى :(وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ)(سورة الزخرف آية :٧٧) ، فاستعمالهم (لن) في الآية الأولى يعني أنهم لن يتمنوا الموت لزمن معين ، وأما الآية الثانية فتدل على أنهم سيطلبون الموت ، وأن لن في آية موسى تدل على امتناع الرؤية لوقت معين . وكذلك قوله تعالى عن قوم موسى : (قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ)(سورة طه آية:٩١) ورجوع موسى عليه السلام يقطع التأبيد .

وكذلك قوله تعالى في سورة يوسف (آية :٨٠) : (فلن أبرح الأرض حتى يأذن لي أبي) يعني إذا أذن له أبوه برح .

ورؤية الله سبحانه وتعالى في الدنيا محل خلاف بين السلف ، أهل السنة والجماعة مجمعون على أن غير الرسول عليه الصلاة والسلام لا يمكن أن يرى الله في الدنيا لعجز بصره عن ذلك بدليل قوله ﷺ (حجابه النور لو كشفه لأحد لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه)(١) يعني أن أبصار الناس في الدنيا لا تقوى على مقابلة الله ورؤيته ، لكن اختلفوا في مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم هل رأى ربه في الدنيا أو لم يره ، الجمهور على أنه لم ير ربه ، وبعض السلف ومنهم الصحابة يقولون إنه رأى ربه ، و منشأ الخلاف في قوله ﷺ لما سئل: هل رأيت ربك

---

(١) رواه مسلم (١٧٩) وابن ماجه (١٩٥ — ١٩٦) .

قال : (نور أنَّ أراه) وفي لفظ : (نور أنّي أراه) أو قال في لفظ آخر : (رأيت نوراً) ، فقالوا قوله ﷺ (نور أني أراه) يدل على أنه رآه في الدنيا (١).

وما ذكر عن شيخ الإسلام رحمه الله في جواز رؤية الله سبحانه وتعالى في المنام فليست من الرؤيا التي فيها الخلاف ، لأنها رؤية منام وليست حقيقة(٢) ، وقوله ﷺ : (تعلّموا أنه لن يرى أحد منكم ربه عز وجل حتى يموت)(٣) المقصود به الموت الحقيقي وليس النوم .

أما رؤيته في الآخرة فكما سبق – السلف وأئمة الهدى والدين كلهم مجمعون على أن الله سبحانه وتعالى يراه المؤمنون وأن أفضل النعيم الذي يعطيه عباده يوم القيامة هو النظر إلى وجهه الكريم (٤) .

وبالنسبة لخلاف السلف في هذه المسألة أو في غيرها يستدل به بعض الناس فيقول أنتم تنكرون على من خالفكم في العقيدة وتبدعونه ، وهذا خلاف السلف أنتم تنقلون عنهم في هذه المسألة ، نعم نحن نقول إن السلف اختلفوا فيها بناء على اختلاف لفظ عن النبي ﷺ ، فكل منهم ينزع بلفظ ، ولم يختلفوا كاختلافكم وصرفكم النصوص عن ظواهرها ، فالذين قالوا إن الرسول صلى الله عليه وسلم رأى ربه وهم القليل استدلوا بقوله :(نور أني أراه) ، أما الكثير وهم الذين قالوا : لا يرى ، استدلوا بقوله ﷺ: (نور أنّى أراه) ، واستدلوا بقول عائشة رضي الله عنها لما سألها مسروق بن الأجدع : هل رأى مُحَمَّد ﷺ ربه ؟

---

(١) ابن القيم رحمه الله جمع بين الأقوال في هذه المسألة فقال : (وقد حكى عثمان بن سعيد الدارمي في كتاب الرؤية له إجماع الصحابة على أنه لم ير ربه ليلة المعراج ، وبعضهم استثنى ابن عباس فيمن قال ذلك ، وشيخنا يقول ليس ذلك بخلاف في الحقيقة ، فإن ابن عباس لم يقل رآه بعيني رأسه وعليه اعتمد أحمد في إحدى الروايتين حيث قال إنه رآه عز وجل ولم يقل بعيني رأسه ولفظ أحمد لفظ ابن عباس رضي الله عنهما ويدل على صحة ما قال شيخنا في معنى حديث أبي ذر رضي الله عنه قوله في الحديث الآخر حجابه النور فهذا النور هو والله أعلم النور المذكور في حديث أبي ذر رضي الله عنه رأيت نورا) انظر اجتماع الجيوش الإسلامية ١٢/١ وزاد المعاد ٣ / ٣٧ ومجموع الفتاوى ٥٠٩/٦ .

(٢) ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في الفتاوى (٣ / ٣٩٠) أن المؤمن قد يرى ربه في المنام في صور متنوعة على قدر إيمانه ويقينه ، فإن كان إيمانه صحيحا لم يره إلا في صورة حسنة ، ثم قال : ورؤيا المنام لها حكم غير رؤيا الحقيقة في اليقظة .. انظر بيان تلبيس الجهمية ت القاسم ١ / ٧٣ – ٧٤ .

(٣) رواه مسلم (٢٦٣١) والترمذي (٢٢٣٥) وابن ماجه (٤٠٧٧) .

(٤) روى مسلم في صحيحه (١٨١) عن صهيب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : (إذا دخل أهل الجنة الجنة نادى مناد : إن لكم عند الله موعدا ، قالوا : ألم يبيض وجوهنا وينجينا من النار ويدخلنا الجنة ؟ قالوا : بلى ، قال : فيكشف الحجاب ، قال : فوالله ما أعطاهم شيئا أحب إليهم عن النظر إليه) ورواه الترمذي (٢٥٥٢) .

قالت : (قف شعري مما قلت .! من حدثك أن مُحَمَّدا ﷺ رأى ربه فقد كذب)الحديث (١) ، وقوله : (نور أنى أراه) هذا رأي استدل به قوم ، وقوم استدلوا بلفظ : (نور أني أراه) فالسلف اختلافهم على نصوص شرعية صحيحة ،لم يختلفوا كمخالفة المعتزلة والجهمية والأشاعرة الذين اعتمدوا على مقدمات عقلية كاذبة ، والذين يضربون بالنص عرض الحائط ويأتون له بمعنى من تلقاء أنفسهم ، وفرق بين هذا وهذا .

قوله : (لأهل الجنة) احترازا من الكافرين كما في قوله تعالى : (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) ، وأما ما رواه البخاري (أن الله سبحانه وتعالى يأتي يوم القيامة في صورة غير صورته فيسجد له كل مؤمن ، ويبقى من كان يسجد لله رياءا وسمعة فيذهب كيما يسجد فيعود ظهره طبقا واحدا)(٢) فهذا الحديث ليس فيه أن المنافقين يرون ربهم .

وقيل إنهم يرونه ولكن ليس كرؤية المؤمنين ، بل رؤية غضب .

قوله : (بغير إحاطة) الإحاطة معناها الإدراك ، أن يكون الرائي يحيط بالمرئي من جميع جهاته ، يراه رؤية محيطة ، ولهذا أجاب السلف عن شبهة نفاة الرؤية حينما استدلوا بقوله تعالى : (لا تدركه الأبصار) أجابهم السلف وقالوا : إن الرؤية غير الإدراك ، فالرؤية هي مجرد رؤية المرئي ، والإدراك إحاطة البصر بالمرئي إحاطة كاملة ، فالله سبحانه وتعالى يرى لكن لا يحاط به رؤيةً ، فقوله : (بغير إحاطة) يعني أن أهل الجنة إذا رأوا الله لا يحيطون به رؤية وإنما يرونه فقط .

أنت الآن ترى السماء ، فهل تحيط بجميع السماء الآن ، والأرض أيضاً تراها هل تحيط بها رؤية ؟ هذا الفرق بين الرؤية والإحاطة . وقوله : (ولا كيفية)(٣) لا نكيفه ،كيف نراه ؟ هل نراه كذا وعلى كذا وعلى هيئة كذا ، بل نراه فقط كما أخبرنا سبحانه وتعالى ، وأخبرنا رسوله صلى الله عليه وسلم ، وأما كيف نراه فهذا يقال فيه كما قال مالك رحمه الله لما سئل : كيف استوى ؟ قال : (الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة ، واخرجوا عني هذا الرجل المبتدع أو لا أراه إلا مبتدعاً)(٤) فمن سأل : كيف نراه ؟ نقول الرؤية معلومة والكيف

---

(١)رواه البخاري (٤٨٥٥) ومسلم (١٧٧) .

(٢) روه البخاري (٧٤٣٩) ومسلم (١٨٣) .

(٣) رؤية الله تعالى لها كيفية لكننا لا نعلمها ، أما الرؤية بلا كيفية –كما تقول الاشاعرة انه يرى من غير جهة – فغير معقول .

(٤) أثر مالك أخرجه اللالكائي (٦٦٤) والبيهقي في الأسماء والصفات ص (٤٠٨) والبغوي في شرح السنة ١ / ١٧ ، والذهبي في العلو وصحح إسناده ٢/ ٩٥٢ ، وجود إسناده ابن حجر في الفتح ١٣ / ٤٠٧ .

مجهول والإيمان بها واجب والسؤال عنها بدعة فالله سبحانه وتعالى أعظم من أن يدركه أحد ويحيط به أو يحيط به علم .

(كما نطق به كتاب ربنا : وجوه يومئذ ناضرة * إلى ربها ناظرة)

الشرح : المعطلة نفاة الرؤية يؤولون قوله تعالى : (ناظرة) ، ويقولون أي منتظرة للثواب ، فيفسرونه بتفسير لا يجوز لغة(١) ولا شرعا(٢) .

(وتفسيره على ما أراده الله سبحانه وتعالى وعلمه)

الشرح : تفسيره هنا إن كان يريد تفسير المعني فهذا خطأ ولا يوافقه السلف على هذا ، لأن المعنى يفسره العلماء ويعلمونه ، وإن كان يريد بالتفسير كما يريده غيره في بعض الأحيان ويعني بذلك الكيفية التي سبق الكلام عليها وهي تفسير كيفيته وكنهه على ما يعلمه الله تعالى ويراه فهذا صحيح ، أما إطلاق لفظ التفسير فهذا يحتمل الحق ويحتمل الباطل .

---

(١) أهل السنة ردوا على تحريف أهل الأهواء اللغوي لقوله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) من عدة أوجه منها :

١ - أن لفظ النظر المقرون بحرف الجر (إلى) يفيد في الوضع الرؤية الحقيقية بالعين دون احتمال شيء آخر كالانتظار ونحوه ، كما قرره علماء العربية وتعقبوا من صرفه إلى الانتظار بالتخطئة (انظر الاختلاف في اللفظ والرد على المشبهة ص ٣٠) ، قال أبو جعفر النحاس : أما قول من قال : معناه منتظرة فخطأ ، سمعت علي بن سليمان (الأخفش الصغير) يقول لا يقال نظرت إليه بمعنى انتظرته ، إنما يقال نظرته ، وهو قول إبراهيم بن مُحَمَّد بن عرفة (نفطويه) وغيره . وقال الأزهري : من قال : إن معنى قوله (إلى ربها ناظرة) بمعنى منتظرة فقد أخطا ، لأن العرب لا تقول نظرت إلى الشيء بمعنى انتظرته ، إنما تقول نظرت فلانا أي انتظرته ، ومنه قول الحطيئة :

وقد نظرتكم أبناءَ صادرةٍ

للورد طال بها حوزي وتَنْساسي

٢ - : أن النظر إذا ذكر مع الوجه فيعني الرؤية الحقيقية ، قال أبو الحسن الأشعري : ولا يجوز أن يكون عنى نظر الانتظار ، لأن النظر إذا ذكر مع ذكر الوجه فمعناه نظر العينين اللتين في الوجه ، وهو قول الباقلاني .

انظر إعراب القران لابن النحاس فقد ذكر في هذا تسع صفحات ، وقد نقلت هذه الأوجه بتصرف من كتاب : الأثر العقدي في تعدد التوجيه الإعرابي لآيات القران ٢ / ٩٥٠ تأليف د. مُحَمَّد بن عبدالله السيف .

(٢) سيأتي إن شاء الله تبيين الشيخ اضطرابهم في التأويل عند الكلام على الصفات السبع .

(وكل ما جاء في ذلك من الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ فهو كما قال ، ومعناه على ما أراد)

الشرح : قوله : (على ما أراد) هذا فيه شيء من الغموض ، يعني هل المعنى لا يعرفه إلا الله أو الرسول (الذي جاء به ، أو أنه يعلمه الناس و يفسرونه ؟ فقوله هذا فيه شيء من الإجمال لأنه باتفاق السلف أن معاني النصوص معلومة لنا ، نفسِّرها ونبينها ونتكلم عليها ونوضحها ونترجمها بلغات أخرى ، أما الذين يقولون إن المعنى لا يعلمه إلا الله فهؤلاء هم المفوضة وليس مذهب المفوضة في شيء من مذهب السلف ، وعلى كل **المفوضة قسمان** :

الأول : من قال إن ظاهر آيات الصفات مراد لكن لا يعلمه إلا الله .

الثاني : من قال إن ظاهر آيات الصفات غير مراد ، وليس لها معنى أبدا لا ظاهرا ولا باطنا ، لكنها سيقت للتعبد .

فقوله : (ومعناه على ما أراده) يحتمل أنه يريد الكيفية وهذا حق ، ويحتمل أنه يريد معنى اللفظ ومعنى الكلام العربي وهذا غير صحيح لا يوافق عليه.

(لا ندخل في ذلك متأولين بآرائنا ولا متوهمين بأهوائنا)

الشرح : لا ندخل في ذلك متأولين بآرائنا ولا متوهمين بأهوائنا ولكن نفسره ونبينه ونتكلم فيه على ما نعرفه من لغتنا ، إذا ثبت النص لنا عن الله سبحانه وتعالى أو عن نبيه ﷺ فإننا لا نتوهم ولا ندخل فيه بالتأويل ، وإنما نفسره حسب ما نعرفه من لغتنا فالرسول ﷺ قال : (إنكم سترون ربكم)(١) الرؤية معروفة في لغتنا ، معنى رأى ويرى و رأيت والرؤية هذا نعرفه في لغتنا ، لكننا لا ندخل و نخوض في كيفية هذه الرؤية ، كذلك قال سبحانه : (الرحمن على العرش استوى)(سورة طه آية:٥) الاستواء نعرفه في لغتنا ونفسِّره ونبينه ونترجمه باللغات الأخرى ولكن كيف استوى هذا هو الذي ليس إلينا .

(فإنه ما سلم في دينه إلاّ من سلّم لله عز وجل ولرسوله)

الشرح : سلّم لله و لرسوله يعني آمن بما جاء عن الله ورسوله وصدقه واعتقده ، ولكن إذا كان فيه شيء لم يدركه عقله أو تاه فيه عقله فإنه يسلم لله ورسوله ولا يعارضه أو ينكره لأن عقله لم يدركه أو لم يحط به ، لأن العقول محدودة ، العقول ذرة صغيرة من ذرات الكون التي خلقها الله فلا يمكن

---

(١) رواه البخاري (٥٥٤) ومسلم (٦٣٣) .

أن نحكم بها على حِكَم الله وعلى مراد الله ، فما صح وثبت لنا عن الله سبحانه وتعالى أو عن رسوله ﷺ صدقناه وآمنا به وما علمنا من معناه بيّناه ، وما عجزت عقولنا عن إدراكه وكلنا علمه إلى عالمه سبحانه وتعالى .

(وردّ علم ما اشتبه عليه إلى عالمه)

الشرح : المشتبه والمتشابه من القرآن ومن الحديث يرد إلى الله سبحانه وتعالى وإلى رسوله ﷺ ، والمتشابه فيه بحث طويل للعلماء : هل نصوص الصفات من المتشابه أو أن نصوص الصفات من المحكم الذي يفسَّر ويبين ، فأهل السنة والجماعة والمثبتة للصفات كلهم متفقون على أن نصوص الصفات كلها من المحكم الذي يفسَّر ويبين ويشرح ويترجم .

أما كيفيات الصفات فبعضهم يطلق عليها أنها من المتشابه بمعنى أنها من الشيء الذي لا يعلمه إلا الله فلا يتكلمون فيها ولا يخوضون فيها ، وإن أطلق عليها بعض العلماء كما أطلقه بعض السابقين وقال إنّها من المتشابه فهذا مقبول ، لكن أن يجعل معنى النص من المتشابه هذا هو الباطل ، لأن النصوص معروفة ، ونعرفها في لغتنا ، فإذا ثبت لنا أن الرسول ﷺ تكلم بها أو كانت في القرآن فإن معناها معروف لنا نفسرها به من لغتنا ، لأن كل حقيقة شرعية لها أصل في اللغة مأخوذة من الحقيقة اللغوية إلا أن الشارع قيدها وخصصها بقيود ، فمثلاً الصيام ، حقيقة الصيام في اللغة : الإمساك عن الأكل و الشرب ، و الإمساك عن المشي و الإمساك عن الكتابة و الإمساك عن الكلام ، و الإمساك عن كل شيء يسمى صياما ، الشارع أخذ هذه الحقيقة ووضعها أساساً للحقيقة الشرعية وزاد عليها قيودا ثم أوجبها على المسلمين ، وبدل أن يسميه الإمساك فقط قال : الإمساك عن المفطرات من طلوع الفجر الثاني إلى غروب الشمس ، إذاً كل حقيقة شرعية أصلها الحقيقة اللغوية زادها الشارع قيودا وتخصيصا.

ومقصود المؤلف بالمتشابه أن أي معنى من المعاني التي ثبتت في الشرع حتى لو كان في الأخبار فيما يتعلق بالآخرة أو أخبار الأمم السابقة أو في الصفات فلا نرده ونكذبه لأننا ما فهمنا معناه ، بل نؤمن به ونعتقد صدق الخبر لكننا نقول الله أعلم به ، مثل قوله تعالى : (ألم) ونحوها من الحروف المقطعة جمهور المفسرين على أنها من المتشابه الذي نؤمن به ونقول الله أعلم بمراده في ذلك ، وإن كان بعضهم التمس لها معاني ، لكن هذا مذهب كثير من المفسرين .

(ولا تثبت قدم الإسلام إلا على ظهر التسليم والاستسلام ، فمن رام علْم ما حُظِرَ عنه علمه ولم يقْنع بالتسليم فهمه ، حجبه مرامه عن خالص التوحيد وصافي المعرفة وصحيح الإيمان ، فيتذبذب بين الكفر والإيمان والتصديق والتكذيب والإقرار والإنكار ، موسوسا تائهاً شاكاً زائغا ، لا مؤمناً مصدقاً ولا جاحداً مكذباً)

الشرح : التسليم لأوامر الله سبحانه وتعالى ورسوله ﷺ هذه قاعدة من قواعد الشريعة ، أن المؤمن يتلقى أوامر الله وأوامر رسوله ﷺ يؤمن بها ويصدقها وينقاد لها ، ولا يلزم أن يعلم ما قصد منها من حكمة أو مصلحة ، إن ظهر له شيء من ذلك قال به وعمل به ، فالإيمان بنصوص الشريعة لا يتوقف على معرفة الحكمة ، لأن الله سبحانه وتعالى تارة تكون الحكمة ظاهرة في تشريعه وتارة تكون خفية ، والبشر عقولهم قاصرة وإدراكهم ناقص ، ولا يجوز للإنسان إن ظهر له حكمة أخذ بالنص وإلا رفضه أو أوّله إلى غير المعنى الظاهر منه ، لأن حكم الله في تشريعاته نعلم منها القليل والكثير مطوي عنا لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى ، فالإسلام قائم على قدم التسليم – من سلم لله ولرسوله ، يعني لأوامرهما سلم في دينه .

قوله : (فمن رام) يعني بحث أو حاول أن يصل على علم ما لم يكلف بالبحث عنه ، كغوامض الحِكَم فإنه يبقى دائماً في شك وفي حيرة ، إذا كان يحكم عَقْله فما عَقَله عقْله آمن به وسلم به ، وما لم يعقلْه عقْله أنكره أو رده أو أوّله فهذا دائماً يبقى متذبذباً شاكاً ، لا هو مؤمن مع أهل الإيمان ولا هو كافر مع أهل الجحود كما قال الماتن : (لا مؤمنا مصدقا ولا جاحدا مكذبا) .

وليس معنى هذا أننا نقول إن تعليمات الشريعة ليست معللة ، هي معللة ، والله سبحانه وتعالى يأمر بحكمه والرسول ﷺ يأمر ويشرع لحكمه ولكن قد تظهر هذه الحكمة وقد تخفى .

قوله : (من رام علم ما حظر عنه) يعني معرفة الكيفيات وكنه الحِكَم التي يريدها سبحانه وتعالى من تشريعاته ، يعني من رام ذلك فإنما رومه لذلك المطلوب يجعله شاكاً ، ومن شك فإنه غير موحد ، إذا ورده عن الشرع أمر أو نهي التمس له حِكمة إن عرفها ووصل إليها عمل به وإلا رده ، فيبقى متذبذباً ويبقى في غير دائرة التوحيد لأن التوحيد هو التسليم لله .

فإذا ثبت لك سلِّم له وعليك الإقرار به والإيمان به والعمل به إن كان عملياً ، وليس عليك البحث الطويل والنظر لتصل إلى الحكمة ، المقصود لب التشريع التصديق والإيمان والعمل ، أما أن يجعل همه هو البحث عن الحكم والتعاليل ويكون مناط عمله بالنصوص العملية ومناطه في اعتقاده في النصوص الاعتقادية هو أن يصل إلى : ماذا يقصده الله بذلك الأمر ، فمن كان في هذه المنزلة فقد خاب وخسر ، لكن أولا يسلم إذا قال الله كذا نفعله إن كان من الأمور العملية ، أو نعتقده

إن كان من الأمور الاعتقادية ، فإذا ظهر لنا شيء مما قصده الله بذلك التشريع فيها ، وإلا وكلنا أمره إلى الله عز وجل .

(ولا يصلح الإيمان بالرؤية لأهل دار السلام لمن اعتبرها منهم بوهم أو تأولها بفهم)

الشرح : نعم لا يكون مؤمناً بالرؤية من فسّرَ الرؤية بالفهم أو العلم ، لأن هناك من نفاة الرؤية من يقولون إن النصوص التي وردت كقوله ﷺ (سترون ربكم)(١) ونحو ذلك يقولون معناه يعلمونه ويفهمونه ، يقول هذا لا يعد إيماناً بالرؤية وإنما يعد تأويلاً والتأويل لا يقبل فيما يتعلق بمسألة الأصول ، هو لما تكلم على الرؤية وذكر أدلتها قال ومن ادعى — من نفاة الرؤية — أن الإيمان بالرؤية معناه الإيمان بأن رؤية أهل الجنة لله هي علمهم له وفهمهم له فهما حقيقياً يقول هذا تأويل باطل.

(إذ كان تأويل الرؤية وتأويل كل معنى يضاف إلى الربوبية بترك التأويل ولزوم التسليم وعليه دين المسلمين)

الشرح : التأويل هو ترك التأويل ، يعني أن المطلوب من المؤمن أن يترك التأويل حتى يكون ذلك هو التأويل الصحيح ، أي لزوم التسليم وترك التأويل ، فمن أول الرؤية بالفهم أو بالوهم أو بغيره فقد ضل ، لأن المطلوب في ذلك التسليم لا التأويل .

(ومن لم يتوق النفي والتشبيه زل ولم يصب التنزيه)

الشرح : النفي والتشبيه الذي لا يحاذره ويهرب عنه لا بد وأن يكون بعيدا عن التنزيه ، لأن التنزيه المطلوب شرعاً هو نفي التشبيه ، وليس المطلوب مثلاً استعمال الأساليب التي يستعملها النفاة من السّلوب المفصلة ليس بكذا ولا بكذا ، فتوقي التشبيه هو إثبات ما أثبته الله ورسوله لله على حد ما أراده الله و أراده رسوله إثباتاً بلا تشبيه ، نزهه عن النقائص والعيوب تنزيهاً بلا تعطيل ، هذا هو المطلوب .

أما طريقة نفاة الصفات التي سلكوها لتنزيه الباري نفيا للتشبيه فهذه طريقة من طرق التعطيل ، فإذا قالوا إن الله ليس بجوهر ولا عرض ولا بجسم ، ولا فوق العالم ولا تحت العالم ، ولا متصل بالعالم ولا منفصل عن العالم ، ولا حال في العالم ولا مباين للعالم فهذا تعطيل لوجود الله سبحانه

---

(١) رواه البخاري (٥٥٤) ومسلم (٦٣٣) .

وتعالى لأنه يفضي إلى العدم ، ولأن المعدوم هو من يوصف بهذه الصفات ، أما الموجود فلا بد أن يكون له صفات تميزه وتخصص وجوده .

مع أن شيخ الإسلام رحمه الله يقول : إن ما اصطلح عليه علماء الكلام من نفي التشبيه هو الذي سبب لهم الخطأ ، فإنهم جعلوا إثبات الصفات تشبيها وربطوا به التنزيه ، فقالوا إثبات الصفات تشبيه ولا يحصل التنزيه للعبد إلا إذا نفى الصفات ، فجعلوا إثبات الصفات تشبيهاً وجعلوا نفيها نفياً للتشبيه .

وشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى يقول ما ورد في القرآن ولا في السنة لفظ (نفي التشبيه) ، وإنما الذي ورد هو نفي الضد ونفي الند ونفي الكفوء و نفي المثل ، أما نفي التشبيه بهذا اللفظ فلم يأت في القرآن (١) .

هو يريد أن يرد عليهم دعواهم أن نفي الصفات المقصود منه نفي التشبيه ، وهم يقولون يجب نفي التشبيه عن الله ثم ينفون الصفات ويقولون هذا هو نفي التشبيه عن الله ، يقولون لا يتم التوحيد إلا بنفي الصفات فمن أثبت لله صفات فهو غير موحد ، والتوحيد نفي الصفات كما هو أصل من أصول المعتزلة .

(فإن ربنا جل وعلا موصوف بصفات الوحدانية منعوت بنعوت الفردانية ليس في معناه أحد من البرية)

الشرح : الله سبحانه وتعالى موصوف بصفات الوحدانية ، أي موصوف بالصفات التي لا يوصف بها إلا هو ، ومنعوت بنعوت الفردانية ، فالصفات والنعوت بمعنى واحد ، والوحدانية والفردانية بمعنى واحد ، ولكن الماتن نوّع في العبارة لأجل السجع لأنه كما ذكرنا أكثر من مرة يحرص على أن تكون ألفاظه مسجوعة ، فلو قال : لأنه موصوف بصفات الوحدانية ، يكفي عن قوله منعوت بنعوت الفردانية ، لماذا ؟ لأن الصفات والنعوت والفردانية سواء ، والسلف عند وصفهم لله ببعض الكلام يقولون : واحد أحد فرد صمد ويعنون بالفرد أنه (واحد) ، لكن أن يسموا من أسماء الله (الفرد) أو (الفردانية) فهذا ما ورد ، أما من باب الإخبار عنه وليس من باب الصفة فلا بأس به ، لأن الإخبار شيء والصفة شيء آخر ، فالإخبار يأتي ويعبر به عن ما ورد كقوله سبحانه وتعالى : (إنهم يكيدون كيداً * وأكيد كيداً)(سورة الطارق آية :١٦-١٥) فأخبرنا أنه يكيد لهم

---

(١) ثم إنه ما من شيئين في الوجود إلا وبينهما مشابهة ، ولو كان في أصل الوجود ، يقول ابن تيمية رحمه الله في بيان تلبيس الجهمية ٥٢٥/٦ : كذلك ثبوت ذات لا تشبه الموجودات بوجه من الوجوه ممتنع في العقل . الخ

فهل نسميه الكائد أو نجعلها صفة له ؟ لا . نقول نؤمن بخبره ، ونصدق أنه يكيد بمن كاد له لكن لا نأخذ له منه صفة ، كذلك قوله تعالى : (ومكروا ومكر الله)(سورة آل عمران آية :٥٤) فهل نسميه ماكراً أو نصفه بالمكر تعالى الله ؟ لا ، وإنما نصدق خبره ونقول إنه يمكر بمن يمكر به ، ولا يجوز أن يوصف بالماكر .

(تعالى عن الحدود والغايات والأركان والأعضاء والأدوات ، لا تحويه الجهات الست كسائر المبتدعات)

الشرح : مثل هذا التفسير لا يرضاه السلف ، لأن هذه الأمور تحتمل حقاً وباطلاً ، فتحتمل حقا بمعنى أن الله سبحانه وتعالى أعظم من كل شيء وأنه أعظم من أن يحويه مكان أو يحيط به زمان فهو عظيم أكبر من كل ما يقع في نفس الإنسان ، ويحتمل النفي المفصل الذي يستعمله المعطلة من قولهم لا كذا ولا كذا ، إذاً فترك هذه الألفاظ أولى فلو قال : يتعالى عن المثل والند والشبيه لكان أفضل وأولى .

مثل لفظ الجسم والجهة والتحيز ، هذه ألفاظ تكلم عليها ابن تيمية رحمه الله كلاماً جيداً وقال إنها لا تطلق في حق الله سبحانه وتعالى لا نفيا ولا إثباتاً ، إلا بعد الاستفسار والاستفصال ، فإذا قال : تعالى عن الأركان ، ماذا يعني بالأركان ؟ تعالى عن الحدود ماذا يعني بالحدود ، تعالى عن الجهة ماذا يعني بالجهة ، تعالى عن التحيز ماذا يعني بالتحيز ؟ فإن بين مراده واشتمل على باطل رد ، وأن اشتمل على حق قيل له المعنى الذي قصدته صحيح لكن اللفظ مبتدع ولا ينبغي أن تستعمله.

فمن قال إن الله سبحانه وتعالى في جهة أو قال إن الله سبحانه تنزه عن الجهة ، يقال له كلامك هذا يحتمل حقاً وباطلاً لأن كلامك مجمل ، و يقال لمثبت الجهة : إن أردت بالجهة أن الله سبحانه وتعالى في جهة العلو فالمعنى الذي قصدته صحيح ولكن اللفظ الذي عبرت به مبتدع ، السلف لم يتكلموا في الجهة لأنها لم ترد في الكتاب ولا في السنة .

أما إن قال : أريد بالجهة المكان المحدد المتحيز فإنه يقال له المعنى الذي قصدته باطل واللفظ الذي جئت به باطل ، كذلك الجسم عند السلف لا يطلق في حقه سبحانه وتعالى لا نفياً ولا إثباتاً ، ومن أثبت لله جسماً أو نفى عن الله الجسم فإنه يستفسر منه لا يسلم له مطلقا ولا ينكر عليه مطلقاً ، فإن كان ممن يثبتون لله الجسم قيل له : لفظك هذا مجمل يحتمل حقاً وباطلاً ففسِّر لنا الجسم الذي أثبتَّه لله ، هل تعني أن لله جسماً بمعنى أن له جسماً متركباً يماثل أجسام المخلوقين إذا

أردت هذا فاللفظ باطل والتعبير باطل والمعنى الذي قصدته باطل ، وإن أردت بالجسم أن لله ذاتاً قائمة بنفسها بائنة من غيرها متصفة بالصفات فالمعنى الذي قصدته صحيح ولكن التعبير الذي عبرت به وهو إثبات الجسم كان مخالفا لمذهب السلف لأن السلف لم يعبروا به نفيا ولا إثباتا .
وكذلك من ينفي عن الله الجسم يقال كلامك هذا مجمل يحتمل حقاً وباطلاً فماذا تعني بالجسم الذي نفيته عن الله وقلت إن الله يتنزه عن الجسم ، فسر لنا هذا الجسم فإن قال : أعني بالجسم الأجسام المركبة كأجسام المخلوقين قلنا المعنى الذي قصدته صحيح فالله يتعالى عن ذلك ، لكن اللفظ والتعبير الذي عبرت به مبتدع ، فما كان السلف يقولونه ، وإن قال أعني بتنزيه الله عن الجسم تنزيهه عن الذات ، تعالى عن أن يكون له ذات قائمة بنفسها قيل له المعنى الذي قصدته باطل واللفظ و التعبير الذي عبرت به أيضاً باطل وهكذا في كل لفظ مجمل .

(والمعراج حق ، وقد أسري بالنبي ﷺ وعرج بشخصه في اليقظة إلى السماء ، ثم إلى حيث شاء الله من العلا ، وأكرمه الله بما شاء ، و أوحى الله إليه ما أوحى (ما كذب الفؤاد ما رأى) فصلى الله عليه وعلى آله وسلم في الآخرة والأولى)

الشرح : المعراج مفعال من العروج ، وهو الآلة التي عرج عليها النبي ﷺ إلى السماء ، وقد وردت أحاديث كثيرة في كيفية عروجه عليه الصلاة والسلام ، وقبل ذلك الإسراء ، وقد اتفق المسلمون على الإيمان بالإسراء والمعراج .
أسري به من مكة إلى بيت المقدس على البراق(١) بصحبة جبريل عليه السلام .
وبعد أن وصل إلى بيت المقدس صلى بالأنبياء صلوات الله وسلامه عليه ثم عرج به إلى السماء واستفتح به جبريل وفتح له من سماء إلى سماء ، حتى وصل إلى سدرة المنتهى فأوحى الله إليه ما أوحى ، فمن ذلك فرض عليه الصلوات الخمس في تلك الليلة ، وكان أصل فرضها خمسين ، وقد جاء في الصحيحين (٢) أن النبي ﷺ قال في حديث الإسراء : (ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقلام ، ففرض الله على أمتي خمسين صلاة ، فرجعت بذلك ، حتى مررت على موسى، فقال : ما فرض الله لك على أمتك ؟ قلت: فرض خمسين صلاة ، قال: فارجع إلى ربك

(١) قال الشيخ رحمه الله مستطردا : البراق دابة فوق الحمار ودون البغل ، يقع حافره عند منتهى طرفه ، يعني إذا كان ينظر إلى مكان بعيد مثلاً فإن كل خطوة من خطواته تكون من مكانه إلى المكان الذي ينظر إليه ، وإذا كانت أبعد كانت الخطوة أبعد ، والحافر هو في الدابة كالخف في البعير .

(٢) (البخاري (٣٤٩) ومسلم (١٦٢)

فإن أمتك لا تطيق ذلك ، فراجعني فوضع شطرها ، فرجعت إلى موسى ، قلت : وضع شطرها ، فقال : راجع ربك ، فإن أمتك لا تطيق ، فراجعت فوضع شطرها ، فرجعت إليه ، فقال ارجع إلى ربك ، فإن أمتك لا تطيق ذلك ، فراجعته ، فقال : هي خمس ، وهي خمسون ، لا يبدل القول لدي ، فرجعت إلى موسى ، فقال: راجع ربك ، فقلت : استحييت من ربي ، ثم انطلق بي ، حتى انتهى بي إلى سدرة المنتهى ، وغشيها ألوان لا أدري ما هي ، ثم أدخلت الجنة ، فإذا فيها حبايل اللؤلؤ ، وإذا ترابها المسك) ، ثم نزل إلى الأرض وصلى بمكة الفجر صلوات الله وسلامه عليه ، هذا هو الإسراء والمعراج .

وقد حدثت فوضى في صفوف المشركين ، وانتهزوها فرصة لتكذيب النبي ﷺ : فقالوا : إن بيننا وبين بيت المقدس شهرا ، وبين السماء والأرض ما هو أبعد من ذلك ، ثم يزعم أنه ذهب إلى بيت المقدس وإلى السماء ثم رجع إلى بيت المقدس ثم إلى مكة خلال ليلة ، قالوا هذا أمر لا يحتاج إلى دليل يبطله ، و لكن أخبرهم عليه الصلاة والسلام بأمارات تدل على صدقه ، فأخبرهم بأنه مرّ بِعيرٍ لهم وأن معهم كذا وكذا ، وأن معهم جملا ندّ منهم – هرب – صفته كذا ، فلما جاءت العير ازداد المؤمنون إيمانا ، والكافرون ازدادوا كفراً وعناداً .

وهذه الحادثة التي حصلت للنبي ﷺ أكرمه الله بها عدة كرامات ، منها أنه عرج به إليه سبحانه وتعالى ، وكلّمه مشافهة وفرض عليه الصلوات مباشرة ، وهذا يدل على فضل الصلوات وعظم شأنها ، حيث كانت الشرائع تأتي للنبي ﷺ عن طريق الوحي وهذه كلّمه الله بها مشافهة ، فدل على أهمية الصلاة وعظم شأنها .

وقد اختلف الناس في الإسراء والمعراج هل كان يقظة أو مناماً وهل كان الإسراء بروح النبي صلى الله عليه وسلم وجسده أو بروحه فقط على خلاف وأصحها وأقواها أن الإسراء كان بروحه وبدنه جميعاً وأنه كان يقظة لا مناماً .

فالذين قالوا يقظة قالوا النائم يرى أنه وصل إلى بيت المقدس ووصل إلى وراء ذلك ووصل إلى السماء وغيره ولا ينكر عليه ، فلما أنكرت قريش ذلك وقالوا إنه جاء بأمر لا يقبل ولا يعقل وأنا كنا نشك في صدقة والآن قطعنا بكذبه وأنه جاء بأمر لا تقبله العقول ، فلو كان ادعى أنه رأى ذلك مناما لما أنكرت قريش ذلك ، لأنهم لا ينكرون المنامات ولا يعارضونها ، فلما أنكروه وعارضوه عرف أن الإسراء كان يقظة ، وأنه بروحه وجسده كما قال سبحانه وتعالى : (سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى)(سورة الإسراء آية :١) والعبد يطلق في اللغة على البدن والروح جميع .

وهناك رأي لبعض العلماء أن الإسراء كان بروحه وأن جسده لم يفقد كما يروى عن عائشة رضي الله تعالى عنها أنها قالت : (ما فقد جسد رسول الله ﷺ ولكن أسري بروحه)(١) ، ويروى هذا القول عن معاوية ﷺ(٢) وبعض الصحابة.

فعلى كلٍ الأقوال في مسألة الإسراء ثلاثة :

القول الأول : وهو أحقها وأرجحها وأثبتها أن الإسراء كان يقظة لا مناما ، وأنه بروحه وجسده جميعاً .

والقول الثاني : أن الإسراء كان بروحه دون جسده .

والقول الثالث : أن الإسراء كان مناماً .

والذين قالوا أنه كان مناماً يستدلون برواية أو بلفظة وردت في رواية شريك ، لما ساق المعراج وانتهى قال : قال رسول الله ﷺ ثم استيقظت وأنا في المسجد الحرام ، قالوا : وقوله ثم استيقظت يدل على أنه كان مناماً .

فأجاب المخالفون بأن هذه اللفظة زيادة من شريك وأنه لم يقل ﷺ : ثم استيقظت (٣).

أما قول عائشة ﷺ فإن رسول الله ﷺ لم يتزوجها إلا بعد الإسراء بوقت طويل ، وهي كانت تتحدث عما كان يُتحدث به وتسمعه (٤) .

وكان اختلاف أهل السنة في ذلك حسب ما ورد في النصوص (٥).

والإسراء والمعراج من خصائص نبينا محمد ﷺ فإن الله اختصه بأمور وفضائل منها الإسراء والمعراج ومنها الحوض ومنها الشفاعة ، وخصائصه ﷺ كثيرة وهذا منها .

هذا حاصل ما يقال في مسألة الإسراء والمعراج على سبيل الاختصار

---

(١) اثر عائشة ﷺ ذكره الطبري في تفسيره عند قوله تعالى (سبحان الذي أسرى بعبده) وفيه انقطاع .

(٢) اثر معاوية ﷺ رواه ابن إسحاق في سيرته من طريق يعقوب بن عتبة بن المغيرة عن معاوية ، ويعقوب هذا لم يلق معاوية ، وانظر زاد المعاد ٣ / ٤٠ .

(٣) رواه البخاري (٧٥١٧) وفيه أن المعراج قبل أن يوحى إلى رسول الله ﷺ ، مع أنه ذكر في هذا المعراج فرض الصلوات الخمس ، وقد قال ابن القيم في زاد المعاد ٤٢/٣ : (وقد غلّط الحفاظ شريكاً في ألفاظ من حديث الإسراء ، ومسلم أورد المسند منه ثم قال : وقدم وأخر وزاد ونقص . ولم يسرد الحديث فأجاد رحمه الله) اهـ وقد نقل ابن حجر رحمه الله كلام الخطابي وابن حزم والاشبيلي وغيرهم على رواية شريك هذه فلتراجع .

(٤) سبق الكلام قبل قليل على ضعف ما نقل عن عائشة في ذلك .

(٥) انظر كلاما للشيخ حول اختلاف أهل السنة في باب العقائد ، والفرق بينه وبين خلافهم مع المبتدعة عند الكلام عن الرؤية ص ٢١٥ .

(والحوض الذي أكرمه الله تعالى به غياثاً لأمته حق)

الشرح : الحوض أكرمه الله تعالى به غياثاً لأمته يعني أغاث الله الأمة عن طريق نبيها بهذا الحوض الذي أعطاه النبي ﷺ وهو لأمته وجاء فيه أحاديث كثيرة ، وكذلك القران ، أشار إليه في قوله سبحانه : (إنا أعطيناك الكوثر)(سورة الكوثر آية:١) لأن الحوض يمد من الكوثر ، وفي حديث أنس رضي الله عنه قال كان النبي ﷺ مع أصحابه فأغفى إغفاءة ثم رفع رأسه متبسما ، فقلنا له : ما أضحكك يا رسول الله ؟ فقال : أنزلت علي آنفا سورة فقرأ : (بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ إنا أعطيناك الكوثر فصل لربك وأنحر) ثم قال : (أتدرون ماالكوثر ؟) فقلنا : الله ورسوله اعلم ، قال : (نهر وعدنيه ربي عز وجل عليه خير كثير وهو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة)(١) .

يؤخذ من هذا الحديث أن الحوض هو الكوثر ، ولكن العلماء وجهوا ذلك فقالوا إن الكوثر نهر في الجنة ، لأنه قال : (نهر أعطانيه ربي) (٤)وقالوا إن هذا النهر يصب في الحوض(٥) قالوا : ليس الحوض هو الكوثر وإنما يصب في الحوض ميزابان من الكوثر(٦) وقد جاء وصف سعته كما قال (: (قدر حوضي كما بين أيلة وصنعاء من اليمن) (٧)، وبيّن في بعض الألفاظ : (أن طوله مسيرة شهر وأن عرضه كذلك وأن آنيته عدد نجوم السماء) (٨)، وجاء من خصائصه في الآثار : (أن من شرب منهم شربة لم يظمأ بعدها أبداً) (٩) ، وجاء : (أن ماءه أبيض من اللبن وأحلى من العسل)(١٠) .

وقد اعترض بعض المبتدعة على هذه الأوصاف فقالوا : إذا كان أبرد من الثلج (١١) فكيف يقبل الناس على شربه وأي لذة تكون فيه ، والثلج نفسه لا يشرب وهذا أبرد من الثلج ؟ ولكن أجيب عن هذا بأن الله سبحانه وتعالى يعطي أهل هذا الحوض أو الواردين على هذا الحوض

---

(١) رواه البخاري (٤٩٦٤) ومسلم (٤٠٠) وغيرهما .

(٤) رواه البخاري (٤٩٦٤) والترمذي (٢٥٤٢) واللفظ له .

(٥) روى احمد في مسنده (٣٧٨٧) بسند فيه مقال عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (ويفتح نهر الكوثر إلى الحوض) .

(٦) جاء في مسلم (٢٣٠٠) عن أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال (يشخب فيه ميزابان من الجنة)

(٧) رواه البخاري (٦٥٨٠) ومسلم (٢٣٠٣)

(٨) نفس المصدر .

(٩) رواه مسلم (٢٢٩٩)

(١٠) رواه البخاري (٦٥٧٥) وما بعده ، ومسلم (٢٢٨٩) وما بعده

(١١) هذه اللفظة رواها الإمام احمد في مسنده برقم (٦١٦٢) ت التركي .

يعطيهم قدرة وقوة على برده ويكون ذلك زيادة في لذته والتذاذهم به .

وكما تقدم – وردت بعض الآثار بأن لكل نبي حوضاً (١)، ولكن الذي عليه المحققون أن الحوض من خصائصه (٢) ﷺ ، وأن من مسببات وروده المحافظة على سنته ﷺ وأن من أسباب منع الشاربين منه الارتداد أو التغيير في الدين ، قال ﷺ: (أنا فرطكم على الحوض)(٣) وقال : (ليردن على أقوام أعرفهم ويعرفونني ، أو فإذا عرفتهم اختُلِجوا من دوني ، فأقول إنهم أمتي ، فيقال إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك ، فأقول : بعداً بعداً أو قال : سحقاً سحقاً لمن بدل بعدي)(٤) ﷺ. فاتباع السنة والتمسك بها واقتفاء آثار النبي ﷺ هذا من أسباب ورود الحوض ، والانحراف عن طريق أهل السنة والجماعة واستبداله بطرق من طرق أهل الهوى والضلال والنحل هذا من أسباب المنع من ورود حوضه عليه الصلاة والسلام .

(والشفاعة التي ادخرها لهم حق ، كما روي في الأخبار)

الشرح : الشفاعة مصدر من شفع يشفع شفعا و شفاعة ، وهي مشتقة من الشفع ويتحقق هذا المعنى في الشفاعة من حيث إن طلب الحاجة كان فرداً لما كان بدون شافع ، فلما انضم إليه الشافع في تحصيل الحاجة التي يريدها الطالب صار شفعاً له فيكون طالب الحاجة بعد أن كان فرداً يكون شفعاً ، يعني أن الإنسان الذي يريد الحصول عليه من الأمور ما دام يتشوف إليه ويتطلبه وحده فهو فرد فإذا انضم إليه في تحصيل ذلك الغرض شخص آخر يشفع له عند من يملك ذلك صار شفعاً بعد أن كان فردا ، هذا أصل اشتقاق الشفاعة وتسميتها من هذا الباب .

والشفاعة نوعان :

١ – شفاعة ممنوعة .

٢ – وشفاعة جائزة .

والشفاعة الممنوعة نوعان :

١ – شفاعة بدعية أو شركية .

---

(١) رواه الترمذي (٢٤٤٣) واختلف في تصحيحه وتضعيفه .

(٢) نقل ابن حجر رحمه الله في الفتح ٤٦٧/١١ كلام القاضي عياض أن الحوض من خصائص رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكذا القرطبي تبعا له .

(٣) رواه البخاري (٦٥٨٩) ومسلم (٢٢٨٩)

(٤) رواه البخاري (٦٥٨٣) ومسلم (٢٢٩٠) واحمد في مسنده (١١٢٢٠)

٢- وشفاعة ليست كذلك ، فإذا صارت الشفاعة في أمر من أمور الدنيا عند من يملك ذلك الأمر :

١ – فإنها تارة تكون جائزة .

٢ – وتارة تكون ممنوعة .

فإن كانت شفاعة في تحصيل مباح أو في دفع أمر من الأمور المباحة كانت جائزة بل مندوباً إليه كما قال ﷺ : (اشفعوا تؤجروا ويقض الله على لسان نبيه ما شاء)(١) .

وإن كانت الشفاعة في تحقيق باطل أو في إسقاط حد من الحدود أو إعفاء من وجب عليه حد فإنها لا تصح ومحرمة كما دل على ذلك قصة المخزومية التي سرقت وأهم قريشا أمرُها فطلبوا من أسامة بن زيد أن يشفع لها عند رسول الله ﷺ فغضب رسول الله ﷺ وقال : (أتشفع في حد من حدود الله) ثم قال : (والذي نفسي بيده لو أن فاطمة بنت مُحَمَّد سرقت لقطعت يدها)(٢) .

فالشفاعة في الحدود محرمة لا تجوز ، كما في الحديث : (إذا بلغت به السلطان فلعن الله الشافع و المشفع)(٣) .

أما الشفاعة الشركية فهي التي تطلب من عند غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله سبحانه وتعالى ، وهذه تكون شركية إذا فقدت شروطها ، أما إذا كانت الشروط متوفرة فلا بأس أن تطلب الشفاعة عند من هو أهل لها وذلك أن يكون الله سبحانه وتعالى قد :

١ – أذن للشافع .

٢ – ورضي عن المشفوع له .

فإذا كانت الشفاعة بإذن من الله وكان المشفوع له قد رضي الله عمله – أي من أهل التوحيد – فإن الشفاعة هنا جائزة وهي التي تنفع وتجزئ ، لكن بهذه الشروط كما قال سبحانه وتعالى : (ولا يشفعون إلا لمن ارتضى)(سورة الأنبياء آية (٢٨) ، وقال : (من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه)(سورة البقرة آية (٢٥٥) .

فأما الشفاعة التي تطلب من غير الله أو في أمر لا يقدر عليه إلا الله سبحانه وتعالى كأن تطلب شفاعة من ميت ليشفع لك عند الله أو تطلب شفاعة من جماد أو إنسان أو وثن أو غير ذلك – تطلب منها أن تتوسط لك وتشفع لك عند الله فهذه الشفاعة الشركية وهذا الشرك هو الذي

---

(١) رواه البخاري (١٤٣٢) وأبو داود (٥١٣٢) والنسائي (٢٥٥٧) .

(٢) رواه البخاري (٣٤٧٥) ورواه مسلم (١٦٨٨) وغيرهما .

(٣) رواه مالك في الموطأ ٣/ ٤٩ عن الزبير ﷺ .

كانت عليه حالة المشركين قبل مبعث النبي ﷺ فإنهم كانوا يعبدون تلك الأصنام ويتوسطون بها إلى الله سبحانه وتعالى ويطلبون منها الشفاعة ، وإلا فهم لا يعتقدون أن أصنامهم ومنحوتاتهم تخلق وترزق وتحي وتميت يعني أن هذا خاص بالله سبحانه وتعالى وإنما يطلبون منها الشفاعة ويطلبون منها الوسيلة لأجل أن تشفع لهم عند الله سبحانه وتعالى فمن طلبها أي الشفاعة من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله فهو مماثل لهؤلاء المشركين والقرآن فيه كثير من الآيات التي تدل على أن المشركين ما عبدوا أصنامهم والتجئوا بها وتبرّكوا بها وسألوها الوسيلة إلا لأن تتوسط لهم عند الله ، وإلا فهم لا يعتقدون أنها تحي وتميت وتخلق وترزق : (ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى)(سورة الزمر آية :٣) ، (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له)(سورة سبأ آية :٢٣-٢٢) ، فالشفاعة المشروعة هي التي تطلب من الله بإذن منه وتطلب لمن رضي : (وكم من ملك في السموات ولا تغني شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى)(سورة النجم آية :٢٦) .

والشفاعة تكون من الأنبياء وتكون من الأولياء وتكون من الصالحين ، ولكن بهذين الشرطين ، فالرسول عليه الصلاة والسلام أعطاه الله الشفاعة بل أعطاه شفاعات كثيرة ، يشفع صلى الله عليه وسلم لأهل الموقف أن يقضي بينهم ، ويشفع ﷺ بعد ذلك في فتح باب الجنة لأهل الجنة وكذا شفاعته ﷺ في عمه أبي طالب وقد سئل ﷺ هل أغنت شفاعتك عن عمك شيئاً قال : (نعم ، وجدته في غمرات من النار فأخرجته إلى ضحضاح)(١) .

والشفاعة أنواع أيضا ، من أنواعها : الشفاعة في أهل الكبائر لأجل أن يخرجوا من النار فإن الرسل صلوات الله وسلامه عليهم يشفعون لأهل الكبائر كما قال عليه الصلاة والسلام : (شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي)(٢) يشفعون لهم في أن يتفضل الله عليهم ويخرجهم من النار قبل أن يستوفوا ما استحقوه من التقريع والعذاب في النار ، وكما في حديث أبي سعيد رضي الله عنه مرفوعا قال : (فيقول الله تعالى : شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين ، فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط) الحديث(٣) .

---

(١) رواه البخاري (٣٨٨٣) ومسلم (٢٠٩) .

(٢) رواه أبو داود (٤٧٣٩) والترمذي (٢٤٣٥) وقال حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه وفي الباب عن جابر .

(٣) قطعة من حديث طويل رواه مسلم (١٨٣) واحمد في المسند (١١٨٩٨) .

وأهل الكبائر الشفاعة فيهم حق عند أهل السنة والجماعة فإن مذهب أهل السنة والجماعة أن أهل الكبائر يشفع فيهم الأنبياء والرسل فيخرجهم الله من النار بشفاعة هؤلاء .

وأوّلت الخوارج والمعتزلة الشفاعة وقالوا : من مات مصرا على الكبيرة ودخل النار فإنه لا يخرج منها أبداً واستدلوا بقوله تعالى : (فما تنفعهم شفاعة الشافعين)(سورة المدثر آية :٤٨) ، وهذا الاستدلال باطل لأن المعنيين في الآية هم الكفار ، والكفار لا ينفع فيهم شفاعة ولا غيرها ، أما الموحدون الذين ماتوا وهم مصرون على الكبائر فهم أهلٌ لفضل الله وعفوه ، وأهل لشفاعة الشافعين ، هذا ملخص ما يقال في الشفاعة .

(والميثاق الذي أخذه الله تعالى من آدم وذريته حق)

الشرح : يشير إلى قوله سبحانه وتعالى : (وإذا أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون)(سورة الاعراف آية:١٧٢) والميثاق معناه في اللغة العهد والعقد والله سبحانه وتعالى أخذ على عباده عقداً وعهداً أن لا يشركوا به شيئاً ، ولكن هذا الميثاق وهذا الإشهاد هل هو إشهاد حقيقي أي كلمهم الله أو غير ذلك .؟ لأن العلماء صاروا في هذه المسألة على قولين .

القول الأول : من يرى أن الإشهاد حقيقي ، وأن الله سبحانه وتعالى استخرج ذرية آدم ووقفهم بين يديه وأشهدهم على أنفسهم قائلاً ألست بربكم قالوا بلى شهدنا ، فأقروا بهذه الشهادة وآمنوا بها وصارت ميثاقا أخذه الله تعالى عليهم ، و أصحاب هذا القول أخذوه من ظاهر قوله سبحانه وتعالى : (وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا) ، وقد وردت أحاديث تعضد هذا القول ، منها ما ورد عن النبي ﷺ أنه قال : (أخذ الله الميثاق من ظهر آدم بنعمان – أي عرفة – فأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها فنثرهم بين يديه كالذر ثم كلمهم قبلا ، قال (ألست بربكم قالوا بلى شهدنا)(١).

وفيه أحاديث عن أبي هريرة (٢) و أنس بن مالك(٣) رضي الله عنهما وغيرهما .

---

(١) رواه احمد في المسند (٢٤٥٥) ت التركي ، وابن أبي عاصم في السنة (٢٠٢) والنسائي في الكبرى (١١١٩١) ومال ابن كثير إلى وقفه على ابن عباس كما فعل ابن أبي حاتم .

(٢) رواه الترمذي (٣٠٧٨) وابن أبي عاصم في السنة (٢٠٥) والبيهقي في الأسماء والصفات ص ٣٢٤ ، وقال الترمذي حسن صحيح ، وصححه ابن حبان (٦١٣٤) والحاكم ووافقه الذهبي .

(٣) حديث أنس رضي الله عنه يأتي بعد قليل .

القول الثاني (١): أن هذا الإشهاد الذي أخذه الله على آدم وذريته ليس على هذا الوجه الذي قاله هؤلاء ، بل الإشهاد معناه ما أقامه الله من حجج وآيات و بينات تشهد بوحدانيته سبحانه وتعالى وربوبيته وإلهيته .

وأصحاب هذا القول يقولون لم يحصل من الله سبحانه وتعالى استخراج لذرية آدم ولم يحصل منه كلام واستشهاد ولم يخرج منهم إيجاب و إقرار بلسان المقال ، وإنما الاستشهاد هو نصب الأدلة والبراهين والآيات الكونية ، فيكون الاستشهاد والإقرار بلسان الحال لا بلسان المقال ، فكأن إقامته سبحانه وتعالى للآيات الكونية والشواهد الخلقية على وحدانيته — كأن هذا استشهاد منهم له وإقرار منهم له بأنه ربهم ومليكهم سبحانه .

وعلى القول الأول أكثر أهل الحديث وأكثر أهل التفسير .

وعلى القول الثاني أهل الكلام قاطبة .

وكذلك بعض أهل التفسير صاروا إلى القول الأخير ، و اعترضوا على الاستدلال بالآية من عدة وجوه :

فقالوا إن الله سبحانه وتعالى قال : (وإذ أخذ ربك من بني آدم) ولو كان الأمر كما أشارت إليه الأخبار لقال وإذا أخذ ربك من آدم لكنه قال من بني آدم فكونه جعل الأخذ من بني آدم ومن ظهورهم لم يقل وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهره بل قال من بني آدم من ظهورهم فدل ذلك على أن المأخوذ عليهم الميثاق هم بنو آدم في الحياة الدنيا يعني بعد ولادتهم وبعد وجودهم في الدنيا أخذ عليهم الميثاق بهذه الآيات التي نصبها لهم .

ومما اعترض به على الإشهاد بظاهر الآية أن كل إنسان يولد وهو لا يذكر هذا العهد ولا يذكر هذا الميثاق فأي فائدة تكون في عهد وميثاق يولد الإنسان وهو لا يذكره ولا تقوم به حجة ، والله سبحانه وتعالى أخبر أنه أخذ الميثاق لأجل أن تقوم المحجة على بني آدم ، وإذا كانوا يولدون ويخرجون إلى الدنيا ويكبرون ويبلغون وهم لا يذكرون هذا الميثاق دل ذلك على أن المراد به شيء آخر غير ما أشارت إليه الأحاديث من استخراج ذرية آدم من ظهره كأمثال الذر .

وهذه الاعتراضات ظاهرة : (وإذ أخذ ربك من بني آدم) ما قال وإذ أخذ ربك من آدم ولم يقل وإذ أخذ ربك من ظهره أيضاً ، بل قال من ظهورهم .

بهذا يقول كثير من علماء التفسير وهو أن المراد بالإشهاد ما أودعه الله ونصبه من الدلائل والبراهين الكونية الناطقة بوحدانيته سبحانه وتعالى ، وهذا البحث ذكره شارح الطحاوية في شرحه

(١) أنظر الدر المنثور ٣/ ١٤١- ١٤٥ وتفسير ابن كثير ٢/ ٢٦١ — ٤٦٤ والروح لابن القيم ص ٢١١ — ٢١٦ .

وأطال كثيراً وهو نقله من كلام ابن القيم رحمه الله ، وابن كثير في بعض كتبه أيضاً تكلم فيه ، وأنت إذا تأملت نص الآية ترجح لك القول الثاني ، وهو القول الذي يذهب إليه ابن القيم رحمه الله .

أما ما جاء عن انس رضي الله عنه كما في الصحيح أن النبي ﷺ قال : (إن الله تعالى يقول لأهون أهل النار عذابا : لو أن لك مافي الأرض من شيء أكنت تفتدي به ؟ قال نعم ، قال : فقد سألتك ماهو أهون من هذا وأنت في صلب آدم أن لا تشرك بي فأبيت إلا الشرك)(١) فإنه لم يذكر فيه الإشهاد ، بل معناه أن الله أخرج ذرية آدم من ظهره فقط .

(قد علم الله تعالى فيما لم يزل عدد من يدخل الجنة وعدد من يدخل النار)

الشرح : أي أنه سبحانه وتعالى علم ذلك في الأزل فلم يحدث له علم بذلك إنما علمه سبحانه وتعالى علماً مسبقاً ، وهكذا كل شيء يحدث فإن الله سبحانه وتعالى كان عالماً به قبل حدوثه وفي الأزل أيضاً ، وكلامه هذا متمش مع مذهب السلف رحمهم الله ، وهو أن الله سبحانه قبل أن يقدر الأشياء علمها أولاً ، ثم قدّرها ثم كتبها على وفق ما علم وقدر ، وقول المصنف هذا فيه رد على غلاة المعتزلة ومن وافقهم على مذهبهم الذين يقولون : إن الله لا يعلم آثار العباد حتى يخلقوها و يوجدوها ، فهم ينفون العلم وينفون التقدير وينفون خلق الله لأفعال العباد ، وهذا كله على خلاف ما عليه سلف الأمة رضوان الله عليهم .

وهذه المسألة – القضاء والقدر – من المسائل الكبار التي ضل فيها فئام من الناس انقسموا فيها إلى ثلاثة أقسام ، ومن المعلوم أن المراد بالقضاء والقدر والمشيئة معنى متقارب ، فتقول قضى الله كذا ، وشاء كذا ، وقدر كذا ، وأراد كذا بمعنى واحد إذا كانت الإرادة المراد بها الإرادة الكونية .

وقد تكلم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن هذه المسألة وقسم القضاء والقدر إلى مراتب (٢) ، فجعل :

المرتبة الأولى : العلم ، وهي علم الله القديم والذي هو موصوف به أزلاً وأبداً ، علمه بالكائنات ، وعلمه بما سيكون وما لا يكون وبما لم يكن لو كان كيف يكون (٣).

---

(١) رواه البخاري (٣٣٣٤) ومسلم (٢٨٠٥) .

(٢) وانظر أيضا في شفاء العليل لابن القيم ذكره لهذه المراتب ص ٧١ ت خالد عبداللطيف السبع.

(٣) قال ابن تيمية رحمه الله (درء التعارض ٣٦٩/٩) : اتفق سلف الأمة وأئمتها على أن الله عالم بما سيكون قبل أن يكون . وقال ابن قتيبة (الاختلاف في اللفظ ص ٢٥) : لم يقل احد من الناس إن شيئا يحدث في الأرض لا يعلمه الله .

المرتبة الثانية : لما علم سبحانه وتعالى أحوال العباد وأحوال العالمين كتبها في اللوح المحفوظ (١).

المرتبة الثالثة : وهي درجة المشيئة ، يعني شاء سبحانه وتعالى أن توجد الأمور التي علم أنها ستكون ، شاء أن توجد في الأوقات المحددة لها (٢) .

المرتبة الرابعة : وجود المقدرات في أوقاتها (٣).

ثم إن الناس في هذه المسألة افترقوا ثلاث فرق :

الفريق الأول : فرقة آمنت بالقضاء والقدر ، وآمنت أن كل شيء يحدث فهو بالقضاء والقدر ، وأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، وأن الله يسر العباد لما قدّر عليهم وقضاه لهم ،وجعل لهم مشيئة وفعلاً ، فالعبد فاعل بمشيئته لكن مشيئة العبد تابعة لمشيئة الله سبحانه وتعالى ، هذا هو مذهب أهل السنة والجماعة .

الفريق الثاني : نفوا القضاء والقدر وقالوا إن الله لم يقدر أفعال العباد ، بل لا يعلمها إلا إذا فعلوها وأوجدوها ، وهذا مذهب القدرية من معتزلة وغيرها .

والقدرية إذا أطلق يراد به الذين نفوا القدر وأنكروه ونفوا أن يكون الله خالقاً لأفعال العباد ، والقدر يشمل المعتزلة والرافضة وطوائف أخرى ، وأول ما نشأت هذه البدعة أنشأها رجل يهودي من يهود البصرة يقال له سوسن اليهودي ، وهو أول من تكلم بنفي القدر سراً ، فأخذه عنه بعض الناس ونشروه كمعبد الجهني وغيلان الدمشقي وأمثالهما ، ثم تطور أمر هذه البدعة وهذه الضلالة وتصدر لها واصل بن عطاء ، وهو الذي وضع القواعد لهذا المذهب ونظمه وجعله مقالة ومذهباً يصار إليه ، إلى جانب ما أحدثه من نفي الصفات ومن القول بالمنزلة بين المنزلتين ومن القول بتخليد أهل المعاصي في النار .

---

(١) في طبقات الحنابلة ٢٧/١ قال حنبل قلت له – يعني الإمام احمد – الشقاء والسعادة مكتوبان على العبد ؟ قال : نعم ، سابق في علم الله وهما في اللوح المحفوظ . وقال أبو الحسن الأشعري رحمه الله : (رسالة إلى أهل الثغر ص ٢٤٧) واجمعوا على انه قد قدر جميع أفعال الخلق وأثبت في اللوح المحفوظ جميع ماهو كائن منهم إلى يوم يبعثون .

(٢) قال ابن قتيبة رحمه الله (تأويل مختلف الحديث ص ١٤) : أصحاب الحديث كلهم مجموعون على أن ما شاء الله كان ، ومالم يشأ لم يكن . وقال ابن تيمية (بيان تلبيس الجهمية ٤٢٠/١) خلافا لما اجمع عليه المسلمون من أن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن .

(٣) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (مجموع الفتاوى ٤٠٦/٨) أفعال العباد مخلوقة باتفاق سلف الأمة وأئمتها . وقال ابن عبدالبر رحمه الله (فتح البر ٢٨٣/٢) في معرض شرحه لحديث تحاج آدم وموسى : وفيه الأصل الجسيم الذي اجمع عليه أهل الحق وهو أن الله عز وجل قد فرغ من أعمال العباد فكل يجري فيما قدر له وسبق في علم الله تبارك اسمه .

ثم تطورت هذه الضلالات وانتشرت وتشعبت ، فالقدرية في أول الأمر كانوا يقولون إن الله لا يقدر المعاصي والكفر والفسوق لكنه قدر الخير وخلقه ، فيقولون الشر من العبد والعبد الخالق له والله لم يقدره ، ولما أخبر ابن عباس رضي الله عنهما بذلك قال : (هذا أول شرك في الإسلام والذي نفسي بيده ليؤولن بهم رأيهم إلى أن يخرجوا الله من أن يكون قدر الخير كما أخرجوه من أن يكون قدر الشر)(١) ، وفعلاً وقع ذلك قريباً وصدق ما توقعه ابن عباس ﷺ ، فما هي إلا سنوات حتى اتفقت القدرية على أن الله سبحانه وتعالى لم يقدر شيئاً من أفعال العباد لا الخير ولا الشر .

هذه أصول الفرق وكل ينزَع لدليل ، فالقدرية النفاة لهم شبه يستدلون بها ، يقولون : لو قلنا بأن الله قدر المعاصي على العباد وخلقها لكان ظالماً لهم إذا عذبهم كيف يقدر عليهم المعصية ويخلقها ثم يعاقبهم عليها ، ولكن الأئمة رضوان الله عليهم ناظروهم وناقشوهم وأبطلوا مذهبهم بالحجج العقلية ، فالإمام الشافعي رحمه الله يقول : ناظروا القدرية بالعلم فإن أقروا به خصموا وإن أنكروه كفروا .

ووجه ذلك أن تسأل القدري إذا قال إن الله لم يخلق أفعال العباد — تسأله :

هل كان عالماً بها أو لا ؟

فإن قال : لا .لم يكن عالماً بها لزمه وصف الله بالجهل ، ومن وصف الله بالجهل فقد كفر إجماعاً .

وإن قال : بلى علمه .

قيل له : لما علمه هل كان قادراً على صرفهم عنها أو لا ؟ .

فإن قال : نعم . كان قادراً على صرفهم عنها لكنه لم يصرفهم .

قيل : كيف يكون قادرا على صرفهم عن المعصية ولم يصرفهم ، إذاً يكون ظالما ، فيلزمهم في ذلك نظير ما فروا منه .

فإن قال : لم يكن قادرا كفر إجماعا ، لأن من وصف الله بالعجز فهو كافر .

وقد جرت مناظرة بين عبد الجبار الهمذاني المعتزلي وبين أبي إسحاق الإسفرائيني الأشعري حيث دخل عبد الجبار على الصاحب بن عباد وكان عنده الإسفرائيني :

فقال عبدالجبار على الفور : سبحان من تنزه عن الفحشاء .

فقال الإسفرائيني فورا : كلمة حق أريد بها باطل ، سبحان من لا يقع في ملكه إلا ما يشاء .

فقال عبدالجبار — وفهم انه قد عرف مراده - : أيريد ربنا أن يعصى ؟

---

(١) رواه احمد في المسند (٣٠٥٤) وأورده ابن حجر في المطالب العالية (٢٩٣٦) ونسبه إلى إسحاق بن راهويه .

فقال أبو إسحاق : أيعصى ربنا قهرا ؟
فقال عبد الجبار : أرأيت إن منعني الهدى وقضى علي بالردى ، أحسن إلي أم أساء ؟
فقال الإسفرائيني : إن كان منعك ماهو لك فقد أساء ، وإن كان منعك ماهو له فيختص برحمته من يشاء .
فانقطع القدري عبدالجبار وسكت ولم يجد جواباً (١) .
فحينما قال عبدالجبار سبحان من تنزه عن الفحشاء عرف الاسفرائيني أنه يريد بذلك تنزيه الله عن أن يكون قدر المعاصي وخلقها ، فقال : سبحان من لا يقع في ملكه إلا ما يشاء ، ومراد الاسفرائيني أنه إذا كنت تقول : إن الله لا يريد المعاصي ثم وقعت فمعناه أنه وقع في ملكه ما لا يشاء ، فلما أدرك عبدالجبار أن الاسفرائيني ظهر عليه قال : أتراه يمنعني ..يعني قد عرفنا أن التوفيق ملك لله لكن ألا يكون ظالما لي أن منعني إياه ؟ فقال له الاسفرائيني : كلا ، انظر إن كان التوفيق ملكك ثم منعك إياه فقد ظلمك ، وإن كان ملكه فالمالك للشيء يتصرف فيه كيف يشاء .
فصاح الحاضرون كلهم والله ما لهذا من جواب .
وقد سبق أن ذكرت أن علماء الكلام – القدرية وغيرهم – لا يرون في النصوص السمعية حجة على مسائل العقيدة لكن إذا كان النص معهم فإنهم يستدلون به من باب إلزام الخصم بما يراه ، فمما يستدلون به قوله تعالى : (فتبارك الله أحسن الخالقين)(سورة المؤمنون آية:١٤) فقالوا هذا يدل على أن هناك خالقين غير الله ، وخالقين صفة ذم ، ولكن السلف ردوا عليهم هذا التأويل وهذا الفهم وقالوا(٢) : إن الخالقين في الآية ليس معناها الموجدين بل المراد بها معنى آخر ، لأن **خلق في اللغة تطلق ويراد بها أمور ، منها :**
١ – يقال : خلق بمعنى أوجد كما في قوله سبحانه و تعالى : (خلق الله السماوات والأرض) .
٢ – ويقال:خلق الخياط الثوب بمعنى قدره وفصله ، وخلق الخرّاز النعل بمعنى قاسها وقدرها وصورها على القياس الذي يريد ، وفعله هذا يسمى خلقا ،كل هذا يقال في اللغة العربية (٣) .

(١) انظر دفع إيهام الاضطراب للشنقيطي في آخر أضواء البيان ٣٣١/١٠ ، ولوامع الأنوار البهية للسفاريني ١ / ٣٣٩ .
(٢) انظر أضواء البيان للشنقيطي ٥/ ٧٨١ ، وشفاء العليل لابن القيم ص ١١٩ ت خالد السبع
(٣) وقد تطلق ويراد بها الكذب ،كما في قوله تعالى : (وتخلقون إفكاً) ، لكن إذا قصد بها الإبداع فهو خاص بالله سبحانه . انظر منهاج السنة ٢/ ٢٥٠ ، ومفردات الراغب الأصفهاني مادة خلق .

فيكون قوله : (تبارك الله أحسن الخالقين) يعني أحسن المصورين والمقدرين ، وليس المعنى الموجدين أو أحسن المخترعين ، لأنه لا موجد ولا مخترع إلا الله ، وهذا معروف في لغة العرب أن الخلق يطلق ويراد به غير الإيجاد مثل قول الشاعر :

ولأنت تفري ما خلقت * وبعض القوم يخلق ثم لا يفرى(١)**

يقول إن الممدوح لا ينازعه أحد ، فهو إذا قدر أمراً أوجده ولا يخشى من أحد ، أما غيره فإنه يقدّر ويصوّر ولكن ليست لديه القدرة في التنفيذ ، وقوله : بعض القوم يخلق أي يقدر و يقيس .

هذا ما يتعلق بمذهب القدرية ، والبحث في مذهبهم والرد عليهم يطول لكن هذه نبذة تعطيك فكرة عنهم .

الفريق الثالث: الجهمية الذين أثبتوا القدر كما أثبته أهل السنة والجماعة يعني آمنوا بأن الله سبحانه وتعالى قضى وقدر كل شيء على عباده وأنه لا شيء يوجد إلا بمشيئة الله وإرادته لكنهم غلوا في هذا التقرير وفي هذا الإثبات حتى جعلوا العبد مجبوراً على أفعاله ، وقالوا إن العبد لا فعل له ، وأفعال العباد هي أفعال الله حقيقة ، فأخرجوا العبد من أن يكون له مشيئة وإرادة يفعل بها ويتصرف على ضوئها .

والقرآن كله مملوء مما يخالف هذا الكلام ، كقوله سبحانه تعالى : (ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها) قوله : (ألهمها) فيه التوفيق والإعانة ، (فجورها) فيه الدلالة على أن الفجور من العبد ، لأنه أضافه إليه فقال (فجورها وتقواها) ، فلو لم يكن للعبد فعل إذا فجر وفعل إذا اتقى لما صح إضافة الفجور والتقوى إليه ، والأدلة كثيرة جدا .

ومما يستدلون به أن الرسول ﷺ في إحدى المواقف أخذ كفا من الحصى ورمى بها المشركين ، فانزل الله تعالى قوله : (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى)(سورة الأنفال آية:١٧) ، يقولون : إن الله سبحانه وتعالى نفى عن نبيه الفعل مع أنه صادر عنه فقال : (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) قالوا : فهذا دليل على أن العبد ليس له فعل ، وأن الأفعال التي تصدر عنه هي أفعال الله .

ورد أهل السنة والجماعة عليهم هذا الاستدلال فقالوا : إن الرمي في اللغة يطلق ويراد به أحد أمرين :

١ – تارة يطلق ويراد به الحذف .

٢ – وتارة يطلق ويراد به إصابة الغرض .

(١) ينظر مفردات الراغب الأصفهاني مادة خلق ، وأضواء البيان ٦/٢٦٧ .

إذا حذفت السهم من القوس أو أطلقت الرصاصة من البندقية تقول رميت ، سواء أصبت أم لم تصبه ، وتقول رميت الغرض إذا أصبته ، فالذي نفي عن النبي ﷺ هو الإصابة (فما رميت) أي ما أصبت ، (إذ رميت) إذ حذفت ، (ولكن الله رمى) ولكن الله أصاب ، فالفعل الذي نفي عن النبي ﷺ هو الإصابة ، والإصابة لا تكون إلا بإذن الله وبإرادة الله ، والرامي يرمي ويحتاط ويسدد الرمية للغرض ولكن قد يصيب وقد لا يصيب ، فإذا أراد الله الإصابة حبس السهم في الرمية ، وإن لم يرد ذلك طاش السهم أو زل يميناً أو شمالاً .

(جملة واحدة ، فلا يزاد في ذلك العدد ولا ينقص منه)

الشرح : يعني علم عددهم جملة واحدة ، بمعنى أنه سبحانه وتعالى لم يكن علْمه متدرجاً حتى حدث له علم ببعض أهل الجنة وبعض أهل النار ، بل كان الكل معلوماً لديه لأن علمه شامل سبحانه وتعالى ، كما قال عز وجل : (لا يعزب عنه مثقال ذرة)(سورة سبأ آية:٣) فهو علم ذلك قبل أن يكون .

(وكذلك أفعالهم فيما علم منهم أن يفعلوه ، وكل ميسر لما خلق له)

الشرح : هو قضى وقدر وكل ميسر لما خلق له ، وهذا العبارة التي قالها رحمه الله تتفق مع الحديث الذي ثبت عنه ﷺ أنه لما ذكر القضاء والقدر قال له سراقة بن مالك : يا رسول الله : بين لنا ديننا ، كأنا خلقنا الآن ، فيم العمل اليوم ؟ أفيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير ، أم فيما يستقبل ؟ قال : (لا ، بل فيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير) ، قال : ففيم العمل ؟ فقال : (اعملوا فكل ميسر لما خلق له)(١) .

وجاء في مسلم أيضا عن علي رضي الله عنه قال : كنا في جنازة في بقيع الغرقد فأتانا رسول الله ﷺ فقعد وقعدنا حوله ومعه مخصرة فنكس فجعل ينكت بمخصرته ثم قال : (ما منكم من أحد ، ما من نفس منفوسة إلا وقد كتب الله مكانها من الجنة والنار ، وإلا وقد كتبت شقية أو سعيدة) قال : فقال رجل : يا رسول الله : أفلا نمكث على كتابنا وندع العمل ؟ فقال : (من كان من أهل السعادة فسيصير إلى عمل أهل السعادة ومن كان من أهل الشقاوة فسيصير إلى عمل أهل الشقاوة) ، ثم قال : (اعملوا فكل ميسر لما خلق له ، أما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل

---

(١) رواه البخاري (١٣٦٢) ومسلم (٢٦٤٧) .

السعادة وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاوة) ، ثم قرأ (فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى)

فعلى الإنسان في هذا الباب أن يؤمن بالقضاء والقدر وعليه أن يعمل بما أمر به ولا يوجِد بينهما تناقضا حتى لا يكون من الطائفة الإبليسية التي تدعم إبليس في إلقاء الشبه والمعارضات حين قالت : كيف يقدر علينا الأفعال ثم يعاقبنا عليها ؟ أيقدر علينا الكفر ويأمرنا باجتناب الكفر ؟ هذا تناقض ، وهؤلاء يسمون الإبليسية لأن شبهتهم تماثل شبهة إبليس لعنه الله حيث قال : (أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين) فكيف يسجد من خلقه من النار القوية لمن خلقه من الطين الضعيفة ، هؤلاء قالوا نعم : نصدق بأن الله قدر وقضى ، ونصدق بأن الله أمرنا أن نطيعه ونهانا أن نعصيه ، ولكن هذا تناقض من الخالق ، كيف يقدر شيئا ويأمر بخلافه ؟

فالرسول ﷺ لما ذكر لهم القضاء والقدر وأنه سبقت مشيئة الله وأنه ما من حركة وسكون يقع من البشر إلا الله خالقه ومقدره ، كأنهم استشكلوا هذا فقالوا يا رسول الله هل الثواب والعقاب متعلق بالمشيئة والقدَر أم أنه متعلق بما نستأنفه من الأفعال ؟ فقال عليه الصلاة والسلام بل بما قضي وقدر ، وعليكم أن تعملوا وكل ميسر لما خلق له ، وقال : فأما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة ، وأهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاوة ، يعني أنه لا يحتج الإنسان بالقضاء والقدر على ترك الأوامر ، أو ينظر إلى جانب الأوامر ويهمل القضاء والقدر ، عليه أن يصدق بما أخبر به ويعمل بما أمر به .

(والأعمال بالخواتيم والسعيد من سَعُد بقضاء الله والشقي من شقي بقضاء الله)

الشرح : يعني أن الله سبحانه وتعالى جعل مناط السعادة والشقاوة ما يختم للإنسان به ، فإن ختم له بخير فإنه يكون من أهل السعادة ، وإن ختم له بخلاف ذلك – والعياذ بالله – فإنه يكون من أهل الشقاوة ، ولا عبرة لما يكون عليه الإنسان قبل أن يختم له ، فلا يقطع له بالجنة إذا رئي متعبدا ومطيعا لله ومتبعا لأوامره ، ولا يقطع له بالنار إذا رئي مسرفا على نفسه و مرتكبا للمعاصي والسيئات ، كما قال ﷺ : (إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً ، ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل إليه ملك فيؤمر بأربع كلمات : يكتب رزقه وعمله وأجله وشقي أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح) ثم قال ﷺ : (والذي نفسي بيده إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه

الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها)(١) ، فالعبرة بالخواتيم ، الخاتمة هي مناط الشقاوة أو السعادة ، فقد يكون الإنسان مسرفا في حياته ، أو قد يكون كافرا وفي آخر حياته منّ الله عليه بالتوفيق و الهداية فهداه للإيمان و دخل في الإسلام واستقام وصار من عباد الله المؤمنين فيختم له بخير وقد يكون بخلاف ذلك ، نسأل الله العافية .

و السعيد من قدر الله له السعادة والشقي من قدر الله عليه الشقاوة .

(وأصل القدر سر الله تعالى في خلقه لم يطلع على ذلك ملك مقرب ولا نبي مرسل)

الشرح : قال ابن عباس رضي الله عنهما : (القدر سر الله في خلقه فلا تكشفوه)(٢) فلا ينبغي التعمق بالقدر والتنطع والبحث عن الأمور التي تخفى على الإنسان كالعلل والأحكام والأسرار ، ولا ينبغي(٣) أن يحاول الغوص فيها واكتشافها واجتنائها وهي مما لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى. والقضاء والقدر مترادفان ، فتطلق قضى على قدَّر فتكون هي والقدر سواء ، إلا أن القضاء قد يطلق على أمور غير القدر كالحكم والأمر ، كقوله : (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه)(سورة الإسراء آية:٢٣) ، لكن إذا أطلق القضاء فقيل قضى الله كذا فيكون القضاء والقدر بمعنى واحد .

(لم يطلع على ذلك ملك مقرب و لا نبي مرسل)

الشرح : أي لم يطْلع سبحانه وتعالى على سر القضاء والقدر أحداً لا من الأنبياء ولا من الرسل ولا من الملائكة ولا من غيرهم .

(والتعمق والنظر في ذلك ذريعة الخذلان ، وسلم الحرمان ، ودرجة الطغيان)

الشرح : يعني أن التعمق في ذلك يوصل الإنسان إلى هذا الدركات التي ذكرها كالطغيان والحرمان والخذلان .

و التعمق الذي هو بحث عن جوانب في القضاء والقدر لا يمكن للعبد أن يطلع عليها ، أما معرفة القضاء والقدر كما ورد في النصوص – في القرآن والسنة فهذا بحثه العلماء وناقشوه وتكلموا فيه وناظروا منكريه ، إنما يقصد بالتعمق إيجاد المعارضات والبحث عن كشفها وحلها بما لا يمكن

---

(١) رواه البخاري (٣٢٠٨) ومسلم (٢٦٤٣) .

(٢) انظر شرح الطحاوية لابن أبي العز ص ٣٢٠ ت التركي ط ٢

(٣) مراد الشيخ رحمه الله هنا المنع ، وهو من باب قول الله تعالى (وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا)

كشفه عن طريق الكتاب والسنة ، هذا هو الذي يكرهه العلماء ويحذرون منه، والرسول ﷺ خرج ذات يوم والناس يتكلمون في القدر فكأنما تفقأ في وجهه حب الرمان من الغضب ، فقال لهم : (ما لكم تضربون كتاب الله بعضه ببعض ؟ بهذا هلك من كان قبلكم)(١) ، فالتعمق الذي نتيجته إيجاد التعارض وإيجاد المشكلات ، والبحث عما يظهر عنه أنه تناقض هذا هو الذي لا يجوز .

(فالحذر كل الحذر بذلك نظراً وفكراً و وسوسة)

الشرح : يعني لا ينبغي أن ينظر فيه الإنسان نظرة تعمق ولا ينبغي أن يفكر فيه فكر تعمق ولا ينبغي أن يزيد في ذلك التفكر حتى يصل إلى الوسوسة .

فالنظر : هو أول استعراض هذه الوساوس .

والفكر : هو التفكير فيها والبحث عن وجوهها وعن ما يراد بها .

أما الوسوسة : فهي درجة تكون بعد التفكير .

أولاً ينظر الإنسان ثم يفكر ثم قد يخرج من الفكر إلى الوسوسة ، ولهذا يقول شارح الطحاوية : إن أول واجب على الإنسان هو معرفة الله لا النظر ولا التفكر ولا الشك ، فالنظر عند الأشاعرة هو أول واجب على المكلف ، يعني يبحث عن الأدلة على ربوبية الله ، والمؤلف يمنع ذلك ويقول طريقة السلف أن أول شيء هو عبادة الله وتوحيده ، لا النظر ولا الفكر ولا الشك الذي هو الوسوسة .

(فإن الله تعالى طوى علم القدر عن أنامه ، ونهاهم عن مرامه)

الشرح : طوى عنهم علمه ونهاهم عن أن يحاولوا كشفه .

(كما قال تعالى في كتابه : لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون)

الشرح : هو قضى وقدر ولا ينبغي لأحد أن يعترض على ذلك فيسأله : لماذا قدر كذا ، لأنه (لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون) وهذه قاعدة من قواعد السلف جعلها ابن تيمية رحمه الله قاعدة عامة من القواعد السبع المذكورة في التدمرية وهو أنه يجب على العبد الإيمان بما صح عن الله ورسوله اعتقادا وعملا ، وأنه لا يلزم أن يبحث عن العلة أو الحكمة أو السر في هذا التشريع أو في هذا الأمر بالاعتقاد بل عليه أن يؤمن ويسلم ، ولا يقول إن وجدت الحكمة أو السر في هذا

---

(١) رواه احمد في مسنده (٦٦٦٨) وابن ماجه (٨٥) بسند صحيح ومسلم بنحوه (٢٦٦٦) .

الاعتقاد اعتقدته أو في هذا التشريع عملته ، بل يجب عليه أن يؤمن ويصدق ويسلم ، ولا يكون إيمانه أو تسليمه متوقفاً على معرفة سر التشريع أو سر الأمر بالاعتقاد ، لأن الله سبحانه وتعالى : (لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون)(سورة الأنبياء آية:٢٣) .

(فمن سأل :لم فعل ؟ فقد رد حكم الكتاب)

الشرح : يشير إلى قوله تعالى : (لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون) ، الله سبحانه وتعالى يقول : (لا يسئل عما يفعل) فمن سأل عما فعل الله أو لم فعل فقد عارض و رد قوله : (لا يسئل عما يفعل) .

(فمن رد حكم الكتاب كان من الكافرين)

الشرح : فمن رد حكم الكتاب كان من الكافرين ، في كل شيء وليس في هذه المسألة فقط ، في أي مسألة من مسائل الكتاب ، من رده ورفضه وأنكره ورغب عنه فإنه يكون من الكافرين بدليل قوله سبحانه وتعالى : (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون)(سورة المائدة آية:٤٤) ، و بدليل قوله سبحانه وتعالى : (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما)(سورة النساء آية:٦٥) فهذه الآية نفت الإيمان عمن رد حكم الكتاب ، والآية التي قبلها حكمت بكفر من رد حكم الكتاب وحكم بغيره .

(فهذا جملة ما يحتاج إليه من هو منور قلبه من أولياء الله تعالى وهي درجة الراسخين في العلم)

الشرح : قوله : (فهذا) الإشارة يحتمل أنه يقصد بها ما ذكره من حكم القضاء والقدر ، ويحتمل أنه يقصد ما ذكره مما تقدم كله من قوله : (نقول في توحيد الله معتقدين بتوفيق الله أن الله واحد لا شريك له) إلى آخره ، أو أنه يريد بذلك هذه الجمل التي تتعلق بالقضاء والقدر والإيمان به والتسليم له وعدم رد حكم كتاب الله وسنة نبيه ﷺ .

(لأن العلم علمان : علم في الخلق موجود ، وعلم في الخلق مفقود ، فإنكار العلم الموجود كفر ، وادعاء العلم المفقود كفر ، ولا يثبت الإيمان إلا بقبول العلم الموجود وترك طلب العلم المفقود)

الشرح : العلم المفقود : هو علم الغيب والإطلاع على أسرار التشريع وأسرار الأخبار التي ترد عن الله ورسوله ، لا يمكن لأحد أن يطلع على الغيب

ولا يمكن لأحد أن يعلم شيئاً من الغيب : (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً) .
العلم الموجود : علم الشريعة ، وإنكاره كفر ، وكذلك ادعاء العلم المفقود – علم الغيب – وإدعاء علم أسرار الله في أقضيته وأقداره كفر .
فالاعتدال هو الإقرار بعلم الشرائع والإقرار بالعجز عن علم الغيوب والإطلاع على أسرار الله سبحانه وتعالى .

(ونؤمن باللوح والقلم)

الشرح : من معتقد أهل السنة والجماعة الإيمان بأن الله سبحانه وتعالى كتب في اللوح المحفوظ بالقلم ما هو كائن إلى يوم القيامة ، واللوح يعنون به اللوح المحفوظ ، والقلم هو الذي كتب الله به ما يكون في اللوح المحفوظ ، وهو الذي أقسم الله به ، على الراجح في قوله تعالى : (ن والقلم وما يسطرون)(سورة القلم آية:١).
وهنا عند ذكر القلم يبحث العلماء في مسألة : أيهما خلق أولاً : القلم أم العرش ، قوم قالوا : إن العرش هو أول المخلوقات ، وقوم قالوا : إن القلم هو أول المخلوقات ، سبب الخلاف في ذلك هو الآثار التي وردت في هذا الموضوع ، منها قوله ﷺ : (إن أول ما خلق الله القلم فقال : له اكتب)(١) .
جاء هذا الخبر بعدة ألفاظ منها : (أولُ ما خلق الله القلم)(٢) ومنها : (إن أولَ ما خلق الله القلم) ومنها : (أولَ ما خلق الله القلم قال له : اكتب) ، فكل لفظ من هذه الألفاظ يؤدي إلى معنى .
قوم قالوا : إن العرش مخلوق قبل بدليل قوله ﷺ : (كان الله ولم يكن شيء معه وكان عرشه على الماء)(٣) ، والواو هنا للحال ، إذاً فالعرش كان موجوداً قبل كتابة الأشياء التي كتبها الله بالقلم ، فالذين ذهبوا إلى أن العرش كان قبل استدلوا بهذا الخبر (كان الله ولا شيء معه ..) لا قلم ولا لوح ولا غيره .
وأما الذين استدلوا بحديث عبادة فإنهم تمسكوا بقوله : (إن أولَ ما خلق الله القلم) وكذلك قوله : (أولُ ما خلق الله القلم) فقالوا هذا نص في أن أول شيء خلقه الله القلم .

---

(١) رواه أبو داود (٤٧٠٠) والترمذي (٢١٥٥) وأحمد في مسنده (٢٢٧٠٥) بسند صحيح
(٢) رواه أحمد في مسنده (٢٢٧٠٧) وابن أبي عاصم في السنة (١٠٣) بإسناد فيه مقال .
(٣) رواه البخاري (٤٧١٨) واحمد في مسنده (١٩٨٧٦) .

ولكن أجاب الذين رجحوا أن العرش هو الذي قبل أجابوا عن حديث عبادة وغيره بأن أول ما خلق الله القلم من هذا العالم المشهود ، قالوا الدليل على هذا أن سبب هذا الحديث أن قوما سألوا النبي ﷺ وقالوا يا رسول الله جئنا نسألك عن أول هذا الأمر ، فقال ﷺ : (إن أول ما خلق الله القلم قال له : اكتب) وفي رواية : (فقال له اكتب) ، فقالوا إن في قوله : (أول ما خلق الله القلم) أو : (إن أولَ ما خلق الله القلم) أو : (أولُ ما خلق الله القلم) يعني من هذا العالم المشاهد ، لأن هذا العالم المشاهد هو الذي سئل عنه ﷺ ، وهو الذي كان سبب جواب الرسول ﷺ ، لا أنه أول المخلوقات مطلقاً .

وعلى كل هو خلاف ، وابن القيم أشار إلى هذا الخلاف في النونية فقال :

والناس مختلفون في القلم الذي * كُتب القضاء به من الديان(١)**

هل كان قبل العرش أو هو بعده* قولان عند أبي العلا الهمذاني**

وذكر أن من العلماء من اختار الأول ومنهم من اختار الثاني(٢) ، وهو اختار أن العرش خلق قبل فقال :

والحق أن العرش قبلُ لأنه * قبل الكتابة كان ذا أركان**

يشير إلى قوله عليه الصلاة والسلام : (كان الله ولا شيء قبله وكان عرشه على الماء)(٣)

أما قول الألباني :

(الاختلاف المذكور يدل بمفهومه على أن العلماء اتفقوا على أن هناك أول مخلوق والقائلون بحوادث لا أول لها مخالفون لهذا الاتفاق ، لأنهم يصرحون بأن ما من مخلوق إلا وقبله مخلوق وهكذا إلى ما لا أول له ، كما صرح بذلك ابن تيمية في بعض كتبه ، فإن قالوا : العرش أول مخلوق – كما هو ظاهر كلام الشارح – نقضوا قولهم بحوادث لا أول لها ، وإن لم يقولوا بذلك خالفوا الاتفاق فتأمل هذا فإنه مهم ..الخ)(٤)

---

(١) ينظر نونية ابن القيم ت عبدالله بن مُحَّد العمير ص ٩٦ ، ورقم البيت الأول ٩٨٩ .

(٢) انظر منهاج السنة لابن تيمية ١ / ٣٦١

(٣) رواه البخاري (٧٤١٨) (٣١٩١) وابن خزيمة في التوحيد ص ٣٧٦ .

(٤) انظر تعليق الألباني رحمه الله على شرح الطحاوية لابن أبي العز ص ١٧٨ ط المكتب الإسلامي .

فالألباني ما فهم كلام ابن تيمية رحمه الله ، ابن تيمية لا يدعي أن قبل القلم ليس هناك مخلوق ، هو أجاب عن حديث (أول ما خلق الله القلم) أن المراد به هذا العالم المشهود ، ولا يلزم أن هذا العالم المشهود هو أول المخلوقات ، هناك مخلوقات غير هذا العالم ، هناك عوالم ، فالله سبحانه وتعالى لا أول لوجوده ولا أول لأزليته ، فلا نحد موجوداته ومخلوقاته على هذا العالم الحاضر بل ما دام أنه لا بدء لأوليته فكذلك لا بدء لأفعاله سبحانه وتعالى ، لكن الحوادث ما منها شيء يكون قديماً ليس قبله شيء ، بل كل حادث فقبله حادث وهذا الحادث قبله حادث وهكذا إلى ما لا نهاية .

والذين أنكروا على شيخ الإسلام ابن تيمية ما فهموا المبدأ الذي سار عليه ، لأنهم ساووه بالفلاسفة ، قالوا : الفلاسفة يقولون العالم قديم وكلام ابن تيمية يتفق مع كلام الفلاسفة ، وهم لو فهموا من كلام ابن تيمية غرضه أو قصده ما قالوا هذا ، فهناك فرق بين كلام ابن تيمية وكلام الفلاسفة ، فالفلاسفة يقولون ما من جزء من جزئيات العالم الموجود إلا هو متولد من قديم ، فالقدم عندهم عام جميع الموجودات ، وليس هناك شيء محدث من العدم ، بل كل محدث فهو متولد من قديم وذلك القديم متولد من القديم إلى مالا نهاية ، أما شيخ الإسلام رحمه الله فيقول : المحدثات كلها حدثت من العدم ، لكن ليس هو أول مخلوق بل قبله مخلوق وذلك المخلوق مخلوق من العدم وقبله مخلوق إلى مالا نهاية ، فيكون جنس الحوادث قديما ولكن أفرادها محدثة من العدم.
هذا خلاصة رأي ابن تيمية والألباني لم يفهم كلام ابن تيمية وإلا لما ألزمه بهذا اللازم .
أما مقولة : تتابع الآنات أو تتابع الأوقات : فالعقلاء كلهم مجمعون على أن التسلسل في المؤثرين غير جائز ، إنما التسلسل في المحدثات هذا هو الذي يجوز .
فعندنا مؤثر وأثر ومحدِث ومحدَث وفاعل ومفعول ، هذا المحدث والمفعول والأثر أهل السنة والجماعة كلهم متفقون على أنه متسلسل وأنه لا يمنع العقلُ من أن يكون المحدَث مسبوقاً بمحدث والأثر مسبوقا بأثر ، والمفعول مسبوقاً بمفعول إلى مالا نهاية ، والعقل لا يمنع هذا ، إنما الذي يمانعون منه وينكرونه هو أن يكون المؤثر أو الفاعل أو المحدِث متسلسلا ، لأنه يلزم عليه الدور ولا يجوز .

يعني بعبارة أقصر التسلسل في المحدثات والمفعولات والآثار جائز والتسلسل في المؤثر أو الفاعِل أو المحدِث هذا لا يجوز .

(وجميع ما فيه قد رُقم)

الشرح : كل ما كتبه الله ورقمه فيه من مقادير الأشياء نؤمن بها ، أي نؤمن بأن الله سبحانه وتعالى كتب القضاء والقدر في اللوح المحفوظ وأنه كلما حدث في الدنيا من خير وشر فهو مكتوب ومفروغ منه في اللوح المحفوظ .

(فلو اجتمع الخلق كلهم على شيء كتبه الله تعالى فيه أنه كائن ليجعلوه غير كائن لم يقدروا عليه ، ولو اجتمعوا كلهم على شيء لم يكتبه الله تعالى ليجعلوه كائنا لم يقدروا عليه ، جف القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة)

الشرح : أي لو اجتمع أهل الأرض على أن يغيروا شيئاً كتب الله أنه سيكون وأرادوا أن يجعلوه غير كائن فإنهم لا يستطيعون ذلك ، فكذلك لو كتب الله في اللوح المحفوظ أموراً أنها غير كائنة فلو اجتمع أهل السموات وأهل الأرض أن يجعلوها كائنة ما استطاعوا ذلك كما قال ﷺ رفعت الأقلام وجفت الصحف(١) ،فما من شيء إلا وقد فرغ من كتابته ، كما قال شيخ الإسلام رحمه الله : ما من حركة ولا سكون في الأرض ولا في السماء إلا الله خالقه ومقدره وكاتبه سبحانه وتعالى ، كتبت المقادير وكتبت الكائنات وجف القلم ورفعت الصحف وانتهى كل شيء ، وكل شيء يحدث فهو حسب التقدير السابق .

(وما أخطأ العبدَ لم يكن ليصيبه وما أصابه لم يكن ليخطئه ، وعلى العبد أن يعلم أن الله قد سبق علمُه في كل كائن من خلقه ، فقدّر ذلك تقديراً محكماً مبرماً)

الشرح : ومن بحث القضاء والقدر الإيمان بأن ما أصاب العبد لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه ، فما قدر الله على العبد أنه يصيبه فسيحدث لا محالة ، وما قدر الله على العبد أن يسلمه ويجنبه الأمور التي يكرهها فإنه لا يمكن أن تقع ، لأن كل شيء يحدث و يوجد حسب ما شاءه الله وعلم أنه سيكون ، وحسب ما كتبه سبحانه وتعالى .

---

(١) رواه الترمذي (٢٥١٦) واحمد في مسنده (٢٦٦٩) بسند صحيح .

(ليس فيه ناقض ولا معقب ولا مزيل ولا مغير ولا محول ولا ناقص ولا زائد من خلقه في سماواته وأرضه ، وذلك من عقد الإيمان وأصول المعرفة والاعتراف بتوحيد الله تعالى وربوبيته كما قال تعالى : وخلق كل شيء فقدره تقديرا ، وقال تعالى : وكان أمر الله قدرا مقدورا)

الشرح : كل ما سبق مما يتعلق بالقضاء والقدر من عقد الإيمان ،يعني من الاعتقاد الذي يجب الإيمان به الإيمان بأن الله علم كل شيء ،الإيمان بأن الله قدر كل شيء وكتب كل شيء ،الإيمان بأن أحداً لا يستطيع أن يغير ما كتبه الله ،الإيمان بأن ما أصاب العبد لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه ،كل هذه من عقد الإيمان ، كلها يجب على العبد أن يعتقدها ليتم إيمانه ،وكلها من الإيمان بالقضاء والقدر ،لأن الإيمان من أصوله :الإيمان بالقضاء والقدر كما قال ﷺ عند بيان أصول الإيمان :(أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره)(١) .

(فويل لمن صار لله تعالى في القدر خصيماً وأحضر للنظر فيه قلباً سقيماً)

الشرح : المعتزلة ومن سار على طريقهم من نفاة القدر : يُعدون خصوماً ، كأنهم يخاصمون الله ، يقولون : كيف يقدر علينا المعاصي ثم يعاقبنا عليها ؟ فهم بمنزلة الخصم لأنهم يعترضون على القضاء والقدر وينكرونه ، يقولون : لو كان الله قضى وقدر أعمالاً ثم عاقب عليها يكون ظالماً وجائراً ، فنفوا القدر من باب معارضة ما قضاه الله وقدره ، فويل لمن صار لله في القدر خصيماً

قوله :(واحضر للنظر فيه قلباً سقيما) يقول ويل لمن خاصم الله في قضائه وقدره وحكمته ، وويل لمن جعل قلبه بالنظر في القضاء والقدر مريضا سقيما ، لأن الشبه التي يوردونها على القضاء والقدر هي شبه صادرة عن مرض قلوبهم ، والقلوب تمرض كما تمرض الأبدان ، و عامة مرض القلب من الشبه ،وقد يكون للشهوات أيضاً مدخل في مرض القلب ،لكن أساس أمراض القلب من الشبه .

(لقد التمس بوهمه بفحص الغيب سراً كتيما)

الشرح : كتيم بمعنى مكتوم ، فعيل بمعنى مفعول .

الله سبحانه وتعالى كتم عن العباد سر تقديره ومشيئته وأفعاله وحِكَمِه ،لم يطْلع عليها نبيا مرسلاً ولا ملكا مقربا ، كما قال ابن عباس رضي الله عنهما : (القدر سر الله فلا تكشفوه)(٢) ، فما دام أن الله

---

(١) رواه البخاري (٥٠) ومسلم (٨) وأبو داود (٤٦٩٥) وابن ماجه (٦٣) والترمذي (٢٦١٠) وغيرهم .

(٢) انظر ص ٢٤٠ .

تبارك وتعالى طوى عنا علمه ومنعنا من رومه كما سبق فلا ينبغي لنا أن نبحث أو نحاول أن نحصل على أمور لا يمكننا الحصول عليها ، وهي معرفة أسرار القضاء والقدر .
قوله : (فحص الغيب) المقصود به البحث في الأمور المغيبات ليصل إلى السر الذي كتمه الله ، وهذا أمر لا يمكن الوصول إليه ولا ينبغي الاشتغال به (١) .

(وعاد بما قال فيه أفاكاً أثيما)

الشرح : بعد الفحص والتعب الشديد والنظر في مسائل القضاء والقدر وسر الغيب سيرجع خسران ما عنده إلا خفي حنين ويكون ما قاله كذبا باطلا يأثم فيه ، لأن هذا لأمر الذي رامه وحاول بحثه – مستحيل على البشر الوصول إليه فإنه لا بد إن يبوء بالخسران ويرجع بعد بحثه وتعبه بالندم .

(والعرش والكرسي حق وهو مستغن عن العرش وما دونه محيط بكل شيء وفوقه)

الشرح : العرش مشتق من التعرّش وهو العلو والارتفاع ، وهو أعلى المخلوقات وهو سقف الجنة ، والله سبحانه وتعالى مستوٍ عليه ، والإيمان به من معتقد أهل السنة والجماعة لكثرة وروده في القرآن والحديث ،وله حملة من الملائكة يحملونه ، قال تعالى (ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية)(سورة الحاقة آية:١٧) والله سبحانه وتعالى فوق العرش .
قوله :(محيط بكل شيء وفوقه) ، في بعض النسخ (يحيط بكل شيء فوقه) ، والنسخة الصحيحة : (وفوقه) ، لأن معناها أن الله يحيط بكل شيء وفوق كل شيء ، أما النسخة الأخرى فمعناها أن الله محيط بكل شيء فوقه أي فوق العرش ، ولو أعربت على أنها حال كونه فوقه لصح المعنى ، لكن العلماء رحمهم الله يقولون إن النسخة التي فيها الواو هي الصحيحة . وهذا تخصيص لإحاطته سبحانه وتعالى ، فهو محيط بكل شيء فوق العرش ودون العرش وتحت العرش ، وليس فوق العرش إلا الله سبحانه وتعالى لأن الأفلاك كلها بعضها فوق بعض وأعلاها كلها العرش ، وأما الكرسي فهو – كما قال بعض السلف – أمام العرش كالمقدمة له أو كالمرقاة له ، وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال :(الكرسي موضع القدمين لله سبحانه وتعالى)(٢)، وعلى كل فالعرش جاء فيه آيات كثيرة وأحاديث .

---

(١) انظر التعليق رقم ٣ ص ٢٤٠.

(٢)أخرجه الطبراني (١٢٤٠٤)والطبري (٥٧٩٢)والدارقطني في أحاديث النزول ص ٤٩وصححه الحاكم ووافقه الذهبي

والكرسي كذلك : (وسع كرسيه السماوات والأرض) فالكرسي الذي هو بمنزلة المرقاة للعرش وسع السماوات والأرض ، إذاً فما بالك بالعرش ، وما بالك بمن هو فوق العرش سبحانه وتعالى من حيث العِظم ، فإذا كان الكرسي بمنزلة المرقاة للعرش وهو وسع السماوات والأرض فالعرش لا يقدر قدره إلا الله سبحانه وتعالى ، والسماوات أفلاك ، السماء الدنيا تحيط بالأرض وتحيط بها السماء الثانية وتحيط بالسماء الثانية الثالثة والرابعة بالثالثة وهكذا ، والعرش يحيط بها كلها ، وقد ذكر بعض العلماء أن العرش محيط بالعالم كله كإحاطة قشر البيضة بالبيضة .

والله سبحانه وتعالى فوق ذلك كله ، وهو الذي يحمل العرش ويحمل السموات والأرض بقدرته سبحانه وتعالى وهو غني عن ذلك كله غني عن العرش وغني عن الكرسي وغني عن الأرض وغني عن السماء وغني عن المخلوقات كلها ، فكل شي فقير إلى الله ، والله سبحانه وتعالى غني عن كل شيء .

(وقد أعجز عن الإحاطة خلقه)

الشرح : الله سبحانه وتعالى محيط بكل شيء من خلقه ، وقد أعجز خلقه عن أن يحيطوا به علماً ، وأعجزهم عن أن يحيطوا به رؤية ، وأعجزهم من أن يحيطوا به قدرة ، فهم لا يدركونه ، يرونه ولكن لا يحيطون به رؤية ويعلمونه ولكن لا يحيطون به علما وهو سبحانه وتعالى المحيط بكل شيء ولا يحيط به شيء .

(ونقول إن الله اتخذ إبراهيم خليلاً وكلم الله موسى تكليما إيماناً وتصديقاً وتسليما)

الشرح : هاتان الصفتان من صفات الله تعالى ، إحداهما من الصفات الفعلية الاختيارية وهي الخلة ، والخلة هي خالص المحبة ، والثانية صفة الكلام وهي من الصفات التي يؤمن بها السلف .

فأما الخلة فإن الله سبحانه وتعالى اتخذ إبراهيم خليلاً أو حبيباً محبّاً خالص المحبة ، والنبي ﷺ خليل الله كما قال عليه الصلاة والسلام : (لو كنت متخذاً من أمتي خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكن صاحبكم خليل الرحمن)(١) يعني نفسه ﷺ ، فالخلة ثابتة لمحمد ﷺ كما هي ثابتة لإبراهيم عليه الصلاة والسلام .

---

(١) رواه مسلم (٢٣٨٣) والترمذي (٣٦٥٦) وابن ماجه (٩٣) والبغوي (٣٨٦٧) وغيرهم .

و الجهمية والمعتزلة والأشاعرة ينكرون المحبة التي الخلة خالصها ، ويقولون إن معنى المحبة أثر ينشأ في نفس المحِب بسبب ما يكون من المحبوب ، والله سبحانه وتعالى منزه عن أن يؤثر فيه شيء ، ولكن السلف رضوان الله عليهم يقولون إن الله وصف نفسه بالمحبة ووصفه رسوله بالمحبة فنثبتها له كما أثبتنا له سائر الصفات كما قال تعالى : (فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه)(سورة المائدة آية:٥٤) ، فالله سبحانه وتعالى يُحِب ويُحَب ، فالمحبة صفة تقوم بذاته سبحانه وتعالى تليق بجلاله وعظمته ، ما دام أنه أثبتها لنفسه فلا يلتفت لقول متكلم أو معطل ضال – أنه يلزم من ذلك أن يؤثر فيه شيء من مخلوقاته ، فإنه يحب أولياؤه وليس أولياؤه هم الذين جعلوه يحبهم ، بل يحبهم وحبه لأوليائه صفة قائمة بذاته ، كما أن رحمته وعلمه وكما أن حياته وسمعه وبصره صفات قائمة بذاته فكذلك رحمته ، فالمحبة والخلة بمعنى واحد إلا أن الخلة خالص المحبة ، كما قال البحتري(١) :

قد تخللتَ مسلك الروحِ مني ***وبذا سمي الخليل خليلاً

والخُلة بخلاف الخَلة ، فالخَلة الحاجة والفقر ، أما الخُلة فهي خالص المحبة .

قد يرد سؤال هنا يقول : قول أبي هريرة ﷺ : (أوصاني خليلي ﷺ بثلاث أن لا أنام قبل أو أوتر)(٢) إلى آخره ، فكيف يقول أبو هريرة ﷺ أوصاني خليلي والرسول ﷺ يقول : (لو كنت متخذاً من أمتي خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً) ؟

الجواب أن يقال : إن الخلة في حديث أبي هريرة كانت من قِبل أبي هريرة ، فهو الذي اتخذ النبي ﷺ خليلاً بمعنى أنه أحبه حباً وصل إلى درجة الخلة ، أما النبي ﷺ فإنه خليل الله ولم يتخذ خليلاً غيره .

أما الكلام فصفة من الصفات التي تقوم به سبحانه وتعالى ، يتكلم إذا شاء ويترك الكلام إذا شاء ، فهي صفة فعلية من حيث كونه يتكلم مختاراً ، وصفة ذاتية من حيث كونها قائمة بذات الباري سبحانه وتعالى ، وهذا معنى قول السلف إن الكلام صفة ذات من جهة وصفة فعل من جهة أخرى .

والناس لهم في كلام الله مذاهب ذكر الشارح منها قريباً من تسعة مذاهب ولكن الصحيح منها مذهب أهل السنة والجماعة أهل الحق الذين قالوا : إن الله يتكلم كلاما حقيقيا بصوت وحرف

---

(١) ينظر مفردات الراغب الأصفهاني مادة خل ت صفوان عدنان .

(٢) رواه البخاري (١٩٨١) ومسلم (٧٢١) وغيرهما .

يُسمع منه ، إذا تكلم بكلام سمعه أهل السماوات وفهموا منه كلامه ، وأكثر ما يكلم جبريل عليه الصلاة والسلام ، لأن جبريل هو الذي ينزل بالوحي وهو الذي يخاطبه الله ويكلمه ويأمر نبيه على لسانه أو ينهاه على لسانه ، كما قال ﷺ: (فينادي بصوت يسمعه من قرب كما يسمعه من بعد)(١) ، وكما قال ﷺ: (ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان)(٢) ، وهذا هو المذهب الحق ، لكن اندفقت مذاهب باطلة ، أولها :

مذهب الجهمية والمعتزلة هؤلاء يقولون : إن كلام الله مخلوق والله لا يتكلم ولا يكلم ولا ينادي ولا يناجي ، ويقولون إن الكلام يحتاج إلى أسنان ولسان وشفتين وحلق والله سبحانه منزه عن ذلك ، **وهذا الكلام الضال يرد عليه من وجهين** :

الأول : أن الكلام يحتاج إلى هذه الأدوات بالنسبة للمخلوق أما الخالق سبحانه وتعالى فهو قادر على كل شيء ، وقادر على أن يتكلم ويسمِع من شاء ، ولا يكون مضطرا بأن يكون له هذه الآلات .

الثاني : أن بعض المخلوقات تكلمت وقالت وهي ليست لها أسنان ولا لسان ولا شفتان ولا خيشوم ولا حلق كالسموات التي : (قالتا أتينا طائعين)(٣) ، وكالجذع الذي حن للنبي صلى الله عليه وسلم – لما صنع له منبر يخطب عليه ، لأنه كان يخطب على جذع نخلة فلما صنع له منبر وهجر الجذع حن ، والحنين صوت و نوع من الكلام (٤) .

وأما الأشاعرة و الكلابية و الماتريدية فإنهم يثبتون لله الكلام ، ولكن ليس على طريقة أهل السنة والجماعة بحيث يقولون إن الله يتكلم بكلام يسمع منه ، بل يقولون إن الله يتكلم ومن صفاته الكلام ولكن يعنون بالكلام المعنى القائم بذات الله سبحانه وتعالى .

والأشاعرة وإن أثبتوا الكلام إلا أن الفرق بين إثباتهم واثبات أهل السنة واضح ، فأهل السنة والجماعة يقولون إن الله يتكلم بصوت وحرف ، ويقولون إنه يتكلم و يسمع منه الصوت ، أما الأشاعرة ومن معهم فهم وإن قالوا إن الكلام صفة من صفات الله تعالى وقالوا نثبت الكلام الله سبحانه وتعالى لكن هم يقولون لا يسمع منه يعني لا يتكلم بصوت ولا حرف ، وإنما الكلام

---

(١) ذكره البخاري في صحيحه معلقا بعد حديث (٧٧) ووصله الحافظ ابن حجر في تغليق التعليق (٣٥٥/٥) ورواه البخاري أيضا في خلق أفعال العباد ص ٩٩ ورواه في صحيحه بلفظ آخر (٧٤٨٣) وفي الأدب المفرد (٩٧٠)

(٢) رواه البخاري (٦٥٣٩) ومسلم (١٠١٦) وغيرهما .

(٣) رواه النسائي (١٣٩٦) واحمد في مسنده (١٤١٤٢) و عبدالرزاق في المصنف (٥٢٥٤) بإسناد صحيح .

(٤) وكذلك جهنم كما في قوله تعالى : (يوم نقول لجهنم هـ٤ل امتلأت وتقول هل من مزيد) .

الذي يثبتونه لله سبحانه وتعالى يعنون به المعنى القائم بنفسه ، يعني معاني ، مثلاً معنى الأمر معنى النهي معنى الاستفهام معنى الإخبار ، يخبر جبريل عليه السلام على أن يفهم ما في نفس الله فيعبر عن ذلك المعنى بصوته هو ، فعلى هذا تكون الحروف الأصوات عندهم مخلوقه .
إذاً هم ينكرونه ويعدون كلام الله المعنى القائم بالنفس ، ولكن المعنى القائم بالنفس لا يسمى كلاما ، وإنما استدلوا بما يروى عن الأخطل النصراني أنه قال (١) :

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما * جعل اللسان على الفؤاد دليلاً**

ويقولون هذا دليل على أن الكلام قائم في النفس ، وأما الكلام الذي يكون باللسان فهو دليل عليه .

والعلماء ذكروا أنه لا دلالة في البيت بوجه من الوجوه ، وقالوا :

أولاً : أن الشاعر نصراني والنصارى ضلوا في مسألة الكلام حيث جعلوا عيسى عليه الصلاة والسلام هو نفس كلمة الله .

ثانياً: أن البيت مروي بلفظ غير هذا وهو(٢) :

إن البيان لفي الفؤاد وإنما ...

فليس فيه الكلام ، بل ذكر البيان .

ثالثا : أن البعض يشكك في نسبته ، ويقول إن البيت مصنوع لم يثبت في ديوان الأخطل .

رابعا : أن البيت لو ثبت للأخطل ، فإن الأخطل من الشعراء المولدين الذين لا يحتج بشعرهم في شواهد اللغة العربية .

والسلف رضوان الله عليهم يرون أن القول بخلق كلام الله كفر ، فلهذا خالد بن عبد الله القسري قتل الجعد بن درهم وقال لأنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً ولم يكلم موسى تكليماً (٣) ، فدل على عظم هذه البدعة وكبر هذه الفرية التي هي زعمهم أن كلام الله مخلوق .

---

(١) ينظر شرح ابن أبي العز ص ١٩٩ ت التركي ط ٢ .

(٢) ينظر شرح ابن أبي العز ص ١٩٩ ت التركي ط ٢ .

(٣) رواه البخاري في خلق أفعال العباد (٣) وفي تاريخه الكبير (٦٤/١/١) ورواه عثمان بن سعيد الدارمي في الرد على الجهمية ص ٢١ ، وقد استفاض ذكر هذه القصة التاريخية في كتب أهل العلم وتلقوها بالقبول .

(**ونؤمن بالملائكة والنبيين**)

الشرح : قوله : (ونؤمن بالملائكة) الإيمان بالملائكة أحد أركان الإيمان الستة .

والملائكة جمع ملك والملك أصله مألك من ألكت فلانا في كذا أي أرسلته فيه ، والرسالة تسمى ألوكة ، كما قال الشاعر :

ألكني إليها بخير الرسول * أُعلمهم بنواحي الخبر(١)**

وكما جاء في لامية الأعشى إطلاق الألوكة على الرسالة ، وقد قال :

أبلغ يزيد بني شيبان مألكة * أبا ثبيت أما تنفك تأتكل(٢)**

وملائكة مألكة وهو مأخوذ من الألوكة التي هي الرسالة لأن الملك مرسل من الله سبحانه وتعالى ، سواء أرسلوا إلى عباده لتبليغهم بالوحي كجبريل ، أو يرسلهم في قضاء تدبير أمور الكون .

ومن أصول أهل السنة والجماعة الإيمان بأن لله ملائكة لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، وأنه سبحانه وتعالى سخرهم للقيام بالأعمال فمنهم من ينزل بالوحي ومنهم من ينزل لقبض الأرواح ومنهم من يكتب أعمال العباد ، ومنهم من هو موكل بالقطر ومنهم من هو موكل بالنبات ومنهم من هم مفرّغون للعبادة يصلون ويسبحون ، ويقومون بعبادته سبحانه وتعالى كما في قوله : (يسبحون الليل والنهار لا يفترون)(سورة الأنبياء آية:٢٠) .

ولم يضل في الملائكة إلا طوائف قليله كالفلاسفة الذي قالوا إن الملائكة عبارة عن قوة عقلية يدبرون الكون وليسوا مخلوقين ولا ذوات .

وهذا يقرب منه قول مُحَّد عبده الذي يسمى الإمام في الأزهر سابقاً ، فإن خلاصة قوله في الملائكة يؤول إلى هذا المعنى ، كما في كلامه عن القوى التي تشغل الحيوان والنبات ، و مُحَّد عبده معروف أنه يفسر القرآن على حسب عقله ورأيه ، وأنه لا يتقيد بتفسير السلف والصحابة رضوان الله عليهم ، إذا قرأت كلامه في تفسير مُحَّد رشيد رضا الذي جمعه عنه وجدت أن كلامه يحوم حول هذا المعنى .

---

(٢) ينظر لسان العرب مادة ألك .

(٣) ينظر لسان العرب مادة ألك .

وأما المسلمون فإنهم متفقون كلهم على أن الملائكة عباد مكرمون ، خلقهم الله لطاعته ، وأكرمهم بما اسند إليهم من الأمور ، وكلفهم في أمور العالم يديرونه كله بأمره و علمه وقدرته سبحانه وتعالى والعلماء يبحثون في هذه المسألة غالباً في فضلهم ، فهناك من العلماء من فضلهم على صالح البشر ومن العلماء من فضل صالح البشر عليهم كالرسل ، والقول المعتمد في مذهب أهل السنة والجماعة هو أن الرسل أفضل من الملائكة(١) ووجهوا ذلك بأمور :

منها أن البشر يجاهدون في سبيل كبح نزوات نفوسهم ، لأن الله ركب فيهم الشهوة — شهوة الأكل والشرب والجماع والانتقام والبطش ، ونهاهم عن تعاطي بعض هذه الشهوات ، ومع هذا أطاعوا الله سبحانه وتعالى واستطاعوا أن يكبحوا جماح نفوسهم فمنعوها ، وهذا فضل كبير ، وأما الملائكة فإن الله لم يخلق فيهم شهوات حتى يكابدوها ، حتى يتبين هل يستطيعون كما يستطيع البشر الصبر ومقاومة الشهوة أو لا يستطيعون ، فكان البشر أفضل منهم من هذه الناحية ، ومن الأمور التي يستدل بها الذين يفضلون الملائكة على صالحي البشر قوله سبحانه وتعالى : (لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون)(سورة النساء آية:١٧٢) فكون المسيح لا يستنكف أن يكون عبدا لله فكأنه أمر عادي لكنه قال : (ولا الملائكة) الذين هم أقوى منه وأقدر فإنهم أيضا لا يستنكفون عن عبادة الله سبحانه وتعالى .

وشارح الطحاوية رحمه الله ذكر عشرات الأوجه للذين يفضلون الملائكة على البشر ، وعشرات الأوجه للذين يفضلون البشر على الملائكة .

لكن من العلماء من يرى أن هذه المسألة لا فائدة ترجى من بحثها ، فلا يتعلق بها أحكام ولا يتعلق بها تكليف وهي تشغل الوقت فينبغي أن لا يشتغل بها .

وأما من يقول في تعريف الملائكة إنهم أجساد نورانية (٢) ، فهذا مأخوذ من عمومات النصوص ، يعني مفهوم ، كما فهم ابن القيم رحمه الله أن الروح عبارة عن جسم نوراني خفيف شفاف إلى آخره ، ومن أنهم يكونون موجودين في المجلس ولا يرون ، لكن ما فيه شيء ينص على هذا التعريف .

قوله : (والنبيين) أي ونؤمن بالنبيين ، والنبي مشتق إما من نبأ ، لأن الله ينبئه ، وإما من النَّبوة وهي المكان المرتفع من الأرض .

لأنه إن كان من النبأ فالهمزة فيه أصلية : النبي : الياء فيه أصلها همزة ، ولذا يقرأ ورش عن نافع في

---

(١) ينظر حاشية الدرة المضية للشيخ ابن قاسم رحمه الله ص ١٣١ .

(٢) انظر بدائع الفوائد ٤/ ١٥٥٩ ت علي العمران .

جميع القرآن النبيين بـ (النبيئين) والنبي بـ (النبيء) على أساس أن الياء عند غيره منقلبة عن الهمزة .

وأما على التعريف الثاني أو الاشتقاق الثاني فتكون الياء هنا في (النبي) منقلبة عن واو (النبيوُ) لأنهم يقولون اشتقت من النبوة ، اجتمعت الياء والواو في كلمة ، وسبقت إحداهما بالسكون فقلبت الواو ياء وأصبح (النبيُّ) و (النبيين) .

والمتبادر والأرجح حسب ما قرأت أنه مشتق من النبأ الذي هو الإعلام ، لأن الله سبحانه وتعالى يعلمه وينبئه بالوحي وهو ينبئ الناس بذلك .

والنبي تارة يكون رسولا وتارة يكون نبيّاً فقط ، والنبوة والرسالة والرسول والنبي يتفقان تارة ويختلفان أخرى ، فالنسبة بين النبي والرسول هي العموم والخصوص المطلق ، فكل رسول نبي وليس كل نبي رسولا ، والنبي أعم مطلقاً والرسول أخص مطلقاً ، فالرسول لا يمكن أن يكون رسولا إلا وهو نبي ، لكن النبي قد يكون نبياً رسولاً وقد يكون نبياً وليس برسول ، من هذه الوجهة قلنا إن النسبة بينهما العموم والخصوص المطلق(١) .

والنبوة والرسالة لها براهين ودلائل ومعجزات وآيات ، ولهذا فرق العلماء بين ما هو خارق للعادة وبين معجزة الرسول ، وفرقوا بين الكرامة وبين معجزة الرسول ، فعرفوا كل واحدة من هذه بتعريف لا تدخل فيه الأخرى .

فالرسول لا بد له من آيات ، والمعجزة هي آية يظهرها الله ، يقيمها الله على يديه ليظهر بها صدق دعوته ، وقد أجرى الله سبحانه وتعالى العادة بأن تكون المعجزة التي يأتي بها الرسول هي من الأمور التي تكون معظمة عند قومه ولها مكانتها في المجتمع ، لهذا لما كان قوم موسى الغالب عليهم والعالي مكانة عندهم السحر ، كان السحرة في ذلك الوقت لهم السلطان ولهم القوة ويستجيب لهم الشعب والحكام والعلماء وغيرهم ، فلما كانت هذه الظاهرة هي المتفوقة في عصر موسى عليه السلام كانت آيته من جنس تلك الظاهرة ، ولهذا لما تناظر هو وسحرة فرعون وجمعوا ما لديهم من قوة في السحر وسحروا أعين الناس أعطاه الله آية من جنس سحرهم لأنهم جعلوا الحبال والعصي ثعابين تضطرب حتى خاف الناس منها ، فالله سبحانه وتعالى أمره أن يلقي عصاه فصار حية عظيمة فاقت تلك العصي والحبال التي ألقاها السحرة بعشرات الأضعاف وابتلعتها وكانت هذه أعظم معجزاته ، وإلاّ فله معجزات أخرى ، آتاه الله تسع آيات ، لكن من أعظمها

---

(١) ينظر ص ٢٠٣ ، ٢٠٤.

أو أعظمها جعل العصا حية التهمت آلات السحر التي جاء بها سحرة فرعون ، الأمر الذي جعل السحرة آمنوا ، لأنهم عرفوا أن أقصى ما يصل إليه السحرة قد جاءوا به فلما جاء ما هو فوقهم وغلبهم آمنوا بأن ذلك من عند الله وكفروا بفرعون وسحره .

وكذلك لما كان في عصر عيسى عليه الصلاة والسلام الطب شائعاً والطبيب له المكانة العليا في المجتمع جعل الله آياته من هذا الباب ، فجعله يبرئ الأكمه والأبرص ويحي الموتى بإذن الله .

وكذلك معجزة مُحَمَّد عليه الصلاة والسلام ، فقد كان السائد في عصره وفي قومه الفصاحة والبلاغة والبيان ، فأعطاه الله هذا القرآن وهو أعظم معجزة أعطيها ﷺ فكانت هذه المعجزة التي هي أكبر معجزاته من جنس ما يتفاخر به القوم ويعظمونه كالبلاغة والفصاحة والبيان ، وإن كان للنبي صلى الله عليه وسلم معجزات كثيرة لكن هذه هي أعظمها ، وهي التي تحدى الله بها قريشاً ، قال ائتوا بشيء قليل من مثل هذه المعجزة قال ائتوا بعشر سور مثله ، ثم قال ائتوا بسورة ، وكلها عجزوا ما جاؤوا لا بعشر سور ولا بسورة ، وانبهروا من القرآن واندحروا وعجزوا عن مقاومته ومعارضته .

فالله سبحانه وتعالى أجرى العادة بأن معجزات الأنبياء تكون مثل ما هو مشتهر في مجتمع قوم النبي الذي بعث فيهم .

والرسول (١) : ذكر آتاه الله خارقة وقرنها بالتحدي ، لأن التحدي شرط ، أما الخارقة فقد تأتي إما كرامة لبعض أولياء الله وإما خارق شيطاني ، لكن قرْنها بالتحدي هذا هو الذي يجعلها معجزة ، يأتي بأمر خارق للعادة ويتحدى الناس أن يعارضوه .

لذا يقول العلماء في تعريف المعجزة : هي أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي ، يجريه الله على يد عبد من عباده ، ويكون مدعياً للنبوة .

وهم إن اختلفوا في التعريف لكن هذه الفصول هي التي يجمعون عليها .

بخلاف الكرامة فإنها أمر خارق للعادة يجريه الله على يد أحد من عباده الصالحين ولكن لا يكون مقرونا بالتحدي .

وأما الخارق الشيطاني فهو أمر خارق للعادة يجريه الله على يد عبد لا يعرف بالصلاح ولا بالاستقامة ولا باتباع السنة ، بل يعرف بخلاف ذلك .

فهذه هي الخوارق و المخاريق الشيطانية ، وهذا هو الفرق بين الخارق الشيطاني والكرامة والمعجزة .

وما بعث الله من نبي إلا وأعطاه آية على مثلها يؤمن البشر ، يعني أعطاه آية تبهر العقول وتخرق العادة ويتحداهم بأن يأتوا بمثلها ، ولكنهم يعجزون .

---

(١) الشيخ هنا لم يرد هنا تعريف الرسول ، لكنه أراد التفريق بين الرسول والولي ليصل إلى تعريف المعجزة كما سيأتي .

والإيمان بالنبيين أحد أصول الإيمان ، فإن المسلمين أجمعوا على أن الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام بشر أوحى الله إليهم واصطفاهم الله واجتباهم واختصهم بوحيه ، أما من يسمون بفلاسفة الإسلام ، وكذلك الملحدون ممن يدعون الإسلام كالقرامطة والباطنية ومن يسمون بأهل التخييل ، فإن هؤلاء لا يقرون بنبوة الأنبياء ، وإنما يقولون هم رجال ذوو عبقرية (١) كبيرة ولديهم الشخصية المؤثرة ولديهم الإرادة والإدراك والتخييل الكامل وهم بهذه الصفات يخيلون على الناس أنهم رسل وإلا فهم ناس من الناس امتازوا عليهم بهذه الصفات .

فالرسل صلوات الله وسلامه عليهم أعطاهم الله قوة الإيمان وقوة الصبر وقوة التوكل على الله ، يظهر ذلك من قصة هود عليه الصلاة والسلام ، فهود عليه الصلاة والسلام رجل واحد بعث إلى قومه ودعاهم وكذبوه ونسبوه إلى الجنون وإلى السفه : (قالوا يا هود ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين * إن نقول إلاّ اعتراك بعض آلهتنا بسوء) يعني أصابتك الآلهة بجنون وخبل ، ماذا قال ؟ هل خشي منهم وخاف ؟ (قال إني أشهد الله)

رجل واحد يتحدى امة : (واشهدوا أني بريئ مما تشركون * من دونه فكيدوني جميعاً ثم لا تنظرون)(سورة هود آية:٥٥-٥٣) لا تمهلون ، كل ما عندكم من كيد ، أنا بريئ منكم وبريئ من شرككم وبريئ من عبادتكم ولا أعبد إلا الله ولكن أتحداكم بأن تجمعوا كل ما لديكم من سوء وبطش وعذاب وإيذاء وأن لا تمهلون ، كل ما لديكم ائتوا به ثم لا تنظرون ، علل قوة صبره وعدم اكتراثه بهم وبكثرتهم وبقوتهم علل ذلك بماذا ؟ (إني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم)(سورة هود آية:٥٦) وكل رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم موقفهم هذا الموقف مع قومهم .

والرسول مُحَّد عليه الصلاة والسلام بعث إلى قومه رجلاً واحداً ليس له نصير ولا وزير ولا ظهير ولا معين ولاقى منهم أصناف العذاب وأنواع النكال والتسفيه والضرب والتجهيل والحبس والنفي ومع هذا صبر ولم يتأثر بشيء من ذلك حتى أظهره الله عليهم ونصره عليهم وأصبح الأمر له ودحروا و انخذلوا ، وهكذا طريقة رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم .

---

(١) ولهذا درج بعض المعاصرين بوصف النبي عليه الصلاة والسلام بالعبقرية ، وسموا بعض مؤلفاتهم بذلك ، مع أن الرسالة أعلى ما يمدح به الرسل ، أما العبقرية والذكاء وغيرهما فإنها من ضمن الرسالة .

(والكتب المنزلة على المرسلين ونشهد أنهم كانوا على الحق المبين)

الشرح : الكتب هي الوحي الذي ينزله الله على أنبيائه صلوات الله وسلامه عليهم ، كالتوراة والإنجيل والقرآن والزبور وصحف إبراهيم وموسى وغيرها ، لأن الله سبحانه وتعالى أنزل على رسله كتباً منها ما بينه الله لنا ومنها ما خفي علينا .

فمذهب أهل السنة والجماعة في هذه المسألة الإيمان بجميع ما أنزل الله على رسله إجمالاً ما عدا الذي أنزل على مُحَمَّد ﷺ فإنه يجب الإيمان به تفصيلاً.

فنؤمن بأن الله أنزل على موسى التوراة وأنزل على عيسى الإنجيل وعلى داود الزبور وعلى إبراهيم و موسى الصحف ، لكن هناك فرق بين الإيمان بالكتب المنزلة السابقة وبين الإيمان بالكتاب الذي أنزله الله على نبيه ﷺ ، فإن ما عدا القرآن نؤمن به ولا يلزمنا العمل به إلا إذا أيده كتاب الله أو شرع نبينا مُحَمَّد ﷺ ، فنؤمن بأن الله أنزل على موسى كلاماً هو التوراة ونؤمن بأن الله أنزل على عيسى كلاماً هو الإنجيل ونؤمن بأن الله أنزل على إبراهيم وموسى كلاماً هو الصحف ، وليس إيماننا بالإنجيل كإيمان النصارى فإن النصارى يؤمنون بالإنجيل ويدعون إليه ولكن لا يقولون إنه كلام الله ولا يعتقدون أن الله الذي تكلم به بل هو كلام الرسل والرسل عندهم يوحنا ومرقص ومتى وبولس هؤلاء هم الذين ينشئون الكلام ، فلا يدعون أن هذا الكلام نزل على عيسى وإنما يدعون أنهم علموا عن عيسى هذه الآداب والأخلاق والأمور التي يزعمون أنها في الإنجيل ، وأن عيسى علم تلامذته هذه النصائح وهذه المواعظ .

فالرسل عند النصارى رجال أو على الأصح تلاميذ لعيسى عليه الصلاة والسلام ، أما نحن فإيماننا بالرسل ليس كإيمان هؤلاء بل نؤمن بأن الله تعالى نزّل على رسله كلاماً إما تكليماً كما كلم موسى أو عن طريق رسل الملائكة كجبريل ، و إيماننا بالكتب السابقة إيمان مجمل ، فنؤمن بأن الله أنزل كتبا نقطع بأنها محرفة لأن الله سبحانه وتعالى أخبرنا في كتابه العزيز بأنهم (يحرفون الكلم) والأمثلة على هذا كثيرة في الكتاب والسنة .

أما إيماننا بالكتاب العزيز فهو أعم من ذلك ، نؤمن به كتاباً من عند الله ونؤمن به شرعاً نتبعه ونتقيد به ، فنحن مكلفون بأن نؤمن بأن القرآن كلام الله سبحانه وتعالى نزله على نبيه صلى الله عليه وسلم ومكلفون بأن نؤمن ونعتقد بأنه يجب علينا العمل بما جاء في القرآن ، أما الكتب السابقة فلا يلزمنا ذلك – يلزمنا أن نصدق بها وأنها نزلت على رسل الله إجمالا ، وأن لله كتبا يخفي علينا علمها كما أن له رسلاً كذلك ، منهم رسل قصهم الله على نبيه ومنهم رسل لم يخبر بهم

نبيه عليه الصلاة والسلام كما قال (رسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك)(سورة النساء آية: ١٦٤) .
وكذلك نؤمن بأن من كتاب الله ما يجب العمل به وأن آيات نزلت على النبي ﷺ نسخ العمل بها ، كما قال سبحانه وتعالى (ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها)(سورة البقرة آية:١٠٦) .

والنسخ حق يجب الإيمان به ، أما اليهود فإنهم ينكرون النسخ ويقولون النسخ لا يمكن ، إذا حكم الله بحكم فلا يجوز أن ينسخه لأنه لو قلنا بأن الله ينزل آية أو ينزل حكماً ثم ينسخه للزم من ذلك أن يكون بدا رأى آخر ، كان يرى أن الحكم كذا ثم نسخه ، بمعنى أن عواقب الأمور قد خفيت عليه ، فعلم أنه أخطأ فشرع حكما آخر كما يقولون ، وهذا باطل من عدة وجوه :

من أوضحها أن الله سبحانه وتعالى ينزّل الشريعة والأحكام حسب الظروف وحسب المقتضيات ، فقد يوحي إلى نبيه بحكم في وقت وتنتهي مصلحة ذلك الحكم فينسخه بحكم آخر ، كما أنه سبحانه وتعالى أوجب على الصحابة في الغزوات في أول الأمر مصابرة الواحد منهم للعشرة من الكفار يبرز إليهم كما قال سبحانه وتعالى (إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين)(سورة الأنفال آية:٦٥) ثم بعد ذلك لما ضعفت شوكت الكفار وكثر الصحابة وزالت العلة المقتضية نسخ هذا الحكم بأخف منه كما قال عز وجل : (الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين)(سورة الأنفال آية:٦٦) الواحد يغلب اثنين ، فالله سبحانه وتعالى يشرع الحكم لمصلحة فإذا زالت المصلحة المقتضية نسخه بحكم آخر .

وبعضهم يقول إن النسخ يعتبر تخصيصا للحكم ، لكن التخصيص غير النسخ ، فالله سبحانه وتعالى نسخ استقبال بيت المقدس باستقبال الكعبة ، فهل يقال هذا تخصيص للحكم الأول ، ومن اطلع على تعريف النسخ تبين له أن النسخ معناه النقل والإزالة .
والذي يجب علينا العمل به من كتاب الله هو المحكم ، أما المنسوخ فباتفاق المسلمين أنه لا يجب علينا العمل به وأن حكمه غير باق .

(ونسمي أهل قبلتنا مسلمين مؤمنين ما داموا بما جاء به النبي ﷺ معترفين وله بكل ما قاله وأخبر مصدقين)

الشرح : هذا فيما يتعلق بمسألة الأسماء والأحكام .

قوله : (أهل القبلة) من دان بدين النبي ﷺ وصلى إلى القبلة ، ثم من دخل في الإسلام فهو من أهل القبلة ، كما جاء في الأثر : (من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فهو المسلم له ما لنا وعليه ما علينا)(١) .

ومسألة من هو المسلم الكلام فيها طويل ، الآن المسلمون في العالم يقولون إن تعدادهم مليار ، إذاً المسلمون ألف مليون مسلم ، لكن المسلم ليس هو من يدعي الإسلام فقط ، وليس هو من في حفيظته أو جوازه مسلم ، بل المسلم هو من أدى أركان الإسلام وأركان الإسلام هي الشهادتان وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج بيت الله الحرام ، هذه الأركان الخمسة هي علامة المسلم ، من أتى بها فهو المسلم كما في حديث جبريل الطويل لما سأل رسول الله ﷺ قال أخبرني عن الإسلام ، ما معنى الإسلام ، أخبرني عن الأمر الذي إذا فعله الإنسان صار مسلماً ، فقال عليه الصلاة والسلام : (الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن مُحَّداً رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت)(٢) هذا هو المسلم ، إذا لم يفعل مع هذه شيئاً ينقض إسلامه ، ولا نقول من أتى بهذه كلها فهو مسلم دائماً ، فقد يكون يشهد أن لا إله إلا الله وأن مُحَّداً رسول الله ويقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويصوم رمضان ويحج البيت ولكنه كافراً ، بمعنى أنه قد يفعل شيئا من المكفرات ، وإذا فعل شيئا من المكفرات كفر ، ولو كان يأتي بأركان الإسلام ، لأن هذه الأركان ثبوتها للإنسان له ضوابط وله شروط ، والنبي ﷺ علق عصمة دم المرء المسلم بأركان الإسلام (٣) ، كما قال عليه الصلاة والسلام في إحدى روايات الحديث قال : (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة)(٤) ولم يقل : أمرت أن أقاتل الناس حتى يكتبوا في حفائظهم أو هوياتهم (مسلم) .

---

(١) رواه البخاري (٣٩١) والنسائي (٤٩٩٧) . قال ابن سحمان رحمه الله معلقا على هذا الحديث : هذا فرضه ومحله في أهل الأهواء من هذه الأمة ومن لا تخرجه بدعته من الإسلام . الدرر السنية ١٠ / ٤٣١

(٢) رواه البخاري (٥٠) ومسلم (٩) .

(٣) سيأتي ص ٢٩٦ الكلام على حل دم المسلم إذا أوجب الشرع ذلك ،كما في حديث : (لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث ..) الحديث .

(٤) رواه البخاري (٢٥) ومسلم (٢٢) .

وإن كان سواد المسلمين كثيراً إلا أنهم قليل ، لأن هناك من يصلي ويشهد أن لا إله إلا الله وأن مُحَمَّداً رسول الله ويقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويصوم رمضان ويحج البيت ولكنه يحكم بالقانون — يحكّم الطاغوت — يجعل الدستور الذي يسير عليه في حكمه هو القوانين وهذا كافر .

فمن حكم القوانين الوضعية وظن أنها تقوم مقام حكم الله ورسوله فهو كافر حتى لو صلى وصام وشهد أن لا إله إلا الله ، وهذا البلاء والعياذ بالله عام في حكام المسلمين ، كل حكام المسلمين يحكمون بالقانون ، لكن منهم من يطبق القانون في كل شيء ما عدا مسائل تعد على الأصابع مثل الأحوال الشخصية كالنكاح وغيره ، بل حتى الطلاق يطبقونه على القانون ، ومنهم من يحكم الشريعة الإسلامية في بعض مجالات الحياة ويحكم القانون في الكثير ، تجد الحاكم مسلماً يصلي ويصوم ولكنه يضع للعمال محكمة قانونية يتحاكمون إليها ويضع لفضّ النزاع والمخاصمات التجارية محكمة يتقاضون إليها ، ويمنع قضايا من أن تحال إلى المحاكم الشرعية ، فيمنع أن تحيل قضية من قضايا البنوك أو من قضايا المصارف أو من قضايا العمال أو غير ذلك — يصدر قوانين بمنعها من إحالتها إلى المحاكم الشرعية ، لكنه يدع الأمر إذا اعتدى إنسان على إنسان بضرب أو بمال أو بنحو ذلك ، وما يمانع أن يحال إلى المحاكم الشرعية .

الحاصل أن من حكام المسلمين من يحكمون القوانين مطلقاً ومنهم من يحكم القوانين في معظم أموره ويحكم المحاكم الشرعية في بعض المسائل التي تقع بين الناس ، والمكفرات كثيرة .

وقوله : (مسلمين مؤمنين) هذا على أصل المؤلف رحمه الله ، فإنه من مرجئة الفقهاء لا فرق عندهم بين الإسلام والإيمان ، لأن الإيمان التصديق فلا يجعلون العمل داخلاً في مسمى الإيمان ، ولهذا المسلم مؤمن كامل الإيمان ولو كان مقصراً عاصياً ، ولا يختلف الناس عندهم في الإيمان ، إنما الاختلاف في التقى والفضل ،كما سيأتي قول الماتن (وأهله في أصله سواء)(١) أي في الإيمان ، فأصل الإيمان عند الناس سواء كلهم واحد .

والراجح في مذهب أبي حنيفة في مسمى الإيمان أنه التصديق فقط ، وهو شيء واحد وجزء لا يتجزأ ، لكن لما كان التصديق لا يعرف إلا بالنطق باللسان قالوا : النطق باللسان ركن وليس جزء من الإيمان (٢) ، لأنه لا يُعرف هل هو مصدق بالله أو ليس بمصدق ، أما العمل عندهم فإنه أطلق على الإيمان مجازا .

---

(١) انظر ص ٢٨٤ .

(٢) يأتي مزيد بيان إن شاء الله ص ٢٨٤ .

وهم بهذا لا يُخرَجون عن أهل السنة ، لأنهم يرون وجوب العمل ، فيرون وجوب الصلاة والصوم والزكاة والحج ، ويرون أنها يعاقب عليها تاركها في الدنيا والآخرة لكنهم لا يسمونه إيمانا فلا يسمى تاركها كافرا بل مؤمنا .

أما تارك الصلاة عند الإمام حنيفة رحمه الله لو تركها عمداً بدون عذر فإنه لا يقتل بل يحبس حتى يتوب ويصلي أو يموت ، هذه عقوبته ، أما الأئمة الثلاثة فغير خافٍ أنهم يوجبون قتل تارك الصلاة سواء أكان قتله حداً كما يراه الإمام مالك والشافعي أو ردة وكفراً كما هو مذهب أحمد رحمه الله وكثير من السلف .

الحاصل أن جمهور أهل السنة والجماعة لا يسمون المسلم مؤمناً دائماً بل قد يكون مسلماً كامل الإيمان وقد يكون مسلماً ناقص الإيمان .

والإسلام له تعريف في اللغة وله تعريف في الشرع .

فتعريفه في اللغة : الذل والخضوع .

وتعريفه شرعا : فهو مع الذل والخضوع – امتثال الأوامر واجتناب النواهي ، كما قال عليه الصلاة والسلام : (ما منكم إلا وله قرين من الجن وقرين من الملائكة) ، قالوا : وإياك يا رسول الله ؟ قال : (وإياي ، إلا أن الله أعانني عليه فأسلم)(١).

لأجل الفرق بين المعنى اللغوي للإسلام والمعنى الشرعي للإسلام اختلف شرّاح الحديث في معنى (أسلم) ، فمنهم من قال : أي استسلم لي وخضع وذل ، ومنهم من فسره بالإسلام الشرعي أي فدخل في الإسلام ، قالوا : ويؤيد هذا قوله : (فلا يأمرني إلا بخير) وأظن فيه رواية بالضم (فأسلمُ) ذكرها – أظن – عياض في شرح صحيح مسلم ، وإلا فمعظم الروايات (فأسلمَ) أي فاستسلم وذل وخضع ، ولكن : (فأسلمُ) هذه تبين أنه يسلم من قرينه لا أن قرينه دخل في الإسلام .

ويبين لك الفرق بين الإسلام والإيمان قوله سبحانه وتعالى : (قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا)(سورة الحجرات آية:١٤) فبين أن الإسلام اللغوي غير الإيمان :(قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا)أنتم لم تؤمنوا بعد ولكن قولوا : استسلمنا وخضعنا وذللنا وأنقدْنا فقط. ويأتي الكلام على الإيمان في موضوعه إن شاء الله في بيان حقيقة الإيمان والفرق بين اللغوي والشرعي واختلاف العلماء في حقيقته ومذاهبهم .

---

(١) رواه مسلم (٢٨١٤) وأحمد في مسنده (٣٦٤٨) وغيرهما .

قوله : (ما داموا بما جاء به النبي ﷺ معترفين) ، الاعتراف غير التصديق ، الاعتراف يعنى انه يعرف ذلك ويعترف و يقر به ، فإن الإنسان قد يعرف الشيء وينكره يجحده ، والتصديق : إذا كان مصدقاً بالشيء فهو عارف به .

وقوله : (وله بكل ما قال وأخبر مصدقين) هم معترفون بصدق النبي ﷺ معترفون بأن ما قاله حق ، ويصدقونه في أخباره وأحكامه ، وقد يكون معنى معترفين و مصدقين متقارب .

ولو قال : عارفين لكانت هي التي يفسر الجهم بن صفوان وأتباعه الإيمان بها ، يقول : الإيمان هو المعرفة فقط ، إذا عرف الإنسان ربه فهو مؤمن كامل الإيمان حتى لو كفر بالله وحتى لو أنكر الشرع وأنكر كل شيء ، ما دام عارفا فهو مؤمن إيماناً تاما .

(ولا نخوض في الله)

الشرح : الخوض معناه الشك والريب والاختلاف والمخاصمة والمنازعة ، وهذا يعني أننا لا نتمحل في الجدال والمراء مع الآخرين فيما يتعلق بذات الله سبحانه وتعالى ، بل نؤمن به وننزهه عن كل مالا يليق به ، ونثبت له ما يستحقه من الكمال ، ولا نقول إنه ليس بكذا ولا كذا ولا فوق العالم ولا تحت العالم ولا كذا كذا ، يعني لا نخوض في الله في كلام يلزم عليه ضلال أو ابتداع أو فساد ، فنقتصر في الكلام في الله وأسمائه وأفعاله وذاته على ما ورد في القرآن والحديث ولا نخوض كما خاض فيه الأعداء من جهمية ومعتزلة وغيرهم ، الذين دخلوا في متاهات هلكوا وضلوا فيها ، كاستعمالهم السّلوب المفصلة والفلسفة التي ليس لها نهاية ، بل نهايتها الضلال ونهايتها العدم ، لا نكون كهؤلاء بل نسلم لله ولرسوله من غير إن نجادل أو نماري أو نخوض في ذلك .

ومعنى كلام المؤلف أنه يبرأ من الجهمية والمعتزلة و الأشاعرة وغيرهم .

(ولا نماري في دين الله ولا نجادل في القرآن)

الشرح : المراء معناه الجدال الذي يقصد منه الانتصار للنفس أو الانتصار للمذهب الضال أو الباطل أو المبتدع ، كل هذا لا نماري فيه ولا نجادل ، والمراء لا يكون إلا باطلا .

والجدال قد يكون بحق كما قال تعالى : (ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم)(سورة العنكبوت آية:٤٦) ، وقد يكون باطلا إن كان من باب المراء والتعمق والتنطع والتقعر والانتصار للمذهب .

أما الجدل ففيه تفصيل ، وخلاصة التفصيل إن كان الجدل المراد به التمحل والتعصب للرأي والمراء والظهور على الخصم سواء أكان حقاً أو باطلاً فهذا ممنوع شرعاً ولا يجوز ، وإن كان المراد به هو المناقشة بقضية من القضايا والتّحاج فيها ، كل واحد من المتعارضين في الرأي يحتج على رأيه حسب ما يرى أنه حق إذا كان غرض المتجادلين كليهما إظهار الحق وإحقاقه إذا لم يصحب الجدال سب أو شتم أو تكبر على الآخر فهذا جائز كما قال تعالى : (ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم)(سورة العنكبوت آية:٤٦) كأنه يقول : جادلوا أهل الكتاب بالتي هي أحسن ولا تجادلوهم بالطرق الأخرى ، فكذلك أخوك المسلم من باب أولى أن يكون جدالك معه هو طلب لإظهار الحق وإحقاقه ، وبعض المتجادلين يحاول إظهار رأيه ومسلكه ومنهجه وظهوره على خصمه سواء أكان حقاً أو باطلاً وهذا لا يجوز ، لأن هذا تعدٍ على الغير والتعدي ممنوع لا يجوز ، يعني كونك تحاول أن تظهر على أخيك بحجتك إن كنت في خصومة أو بدليلك وتأييد قولك إن كنت مجادلاً وأنت تعلم إن ذلك ليس بحق أو تعلم أنك غير محق فهذا لا يجوز كما قال ﷺ فيما يتعلق بالخصومات : (إنما أنا بشر وإنكم تختصمون إلي ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي على نحو ما أسمع فمن قضيت له بحق أخيه شيئا فلا يأخذه فإنما أقطع له قطعة من النار فليأخذها أو ليتركها)(١) ، يقول عليه الصلاة والسلام قد يكون أحدكما أيها المتخاصمان أفصح من الآخر وأقدر على الكلام والإقناع ، فلا يغره ذلك ويظن أن فعله ذلك يحلل له ما أحكم به له فإنما أقطع له قطعة من نار فليأخذها أو ليدعها ، وكما قال عليه الصلاة والسلام : (إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم)(٢) ، يعني اللّسِن القادر على الظهور على خصمه ولو باطلاً .

قوله : (ولا نجادل في القرآن) يحتمل أنه يريد لا نجادل في القرآن أي هل هو مخلوق أو غير مخلوق ، وهل هو اللفظ والمعنى أو المعنى دون اللفظ أو ما أشبه ذلك .

ويحتمل أنه بمعنى ألاّ نعارضه ونلتمس الأمور التي تكون متعارضة معه في الظاهر كما يفعله أعداء الإسلام من علمانيين وغيرهم .

ويحتمل أنه يريد ألا نجادل في القرآن أي لا نماري فيه ونلتمس الأمور التي نجعلها كمعارضة للقرآن ، والملاحدة معروف أنهم يعارضون القران ويلتمسون ذلك من كل حدب وصوب ، كما نقل عن

(١) رواه البخاري (٢٤٥٨) ومسلم (١٧١٣)

(٢) رواه البخاري (٢٤٥٧) ومسلم (٢٦٦٨)

أبي العلاء المعري الذي عارض قطع اليد بقوله :

يد بخمس مئين عسجد وديت * ما بالها قطعت في ربع دينار**

تناقض ما لنا إلا السكوت له * وأن نعوذ بمولانا من النار(١)**

وهذا من الجدال الذي نهى عنه أو نفاه المؤلف .

(ونشهد أنه كلام رب العالمين)

الشرح : هذه العبارة كل المسلمين يقولونها ، الجهمية، المعتزلة، الأشاعرة، أهل السنة والجماعة، كلهم يقولون نشهد أن القرآن كلام الله ، لكن هل معنى كلام الله أي تكلم به سبحانه وتعالى بحرف وصوت وسمع منه ، أو أنه كلام الله بمعنى أنه مخلوق من مخلوقات الله كما تقول الجهمية والمعتزلة .

الجهمية والمعتزلة يقولون القرآن كلام الله لكن يعنون بذلك أنه كلامٌ خلقه الله ، كما تقول : عباد الله وكما تقول أرض الله وكما تقول بيت الله وكما تقول ناقة الله يعني أنه مخلوق خلقه الله ، أي إضافة مخلوق إلى خالقة ، وهم يعبرون بهذه العبارة ، لكن يفسرونها بما لا يليق وبما لا يتفق مع ما يراه أهل الحق وأهل السنة والجماعة .

والأشاعرة والكلابية والماتريدية يقولون القرآن كلام الله ، ويعبرون بعبارة المؤلف أنه كلام الله لكنهم يعنون بذلك أن معنى القرآن هو كلام الله ، أما الحروف والأصوات فإنها مخلوقة ، لكن هل كلام الله عندهم اللفظ والمعنى والحروف والأصوات ، أو كلام الله بعض ذلك ؟ يقولون كلام الله بعض ذلك ، المعنى القائم بذاته سبحانه وتعالى هو الكلام ، أما ما سمعه النبي ﷺ من جبريل فهو كلام جبريل ، اللفظ لفظ جبريل والأصوات أصوات جبريل والحروف التي صدرت عن جبريل ، ويقولون إن الله لا يتكلم بكلام يسمع ، وهذا باطل لأنه يعارض كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ.

---

(١) قال الشنقيطي رحمه الله في أضواء البيان (٣ / ٤٣١) عن شعر المعري :

وللعلماء عنه أجوبه كثيرة نظماً ونثراً . منها قوله القاضي عبد الوهاب مجيباً له في بحره ورويه :

عز الأمانة : أغلاها ، وأرخصها *** ذل الخيانة فافهم حكمة الباري

وقال بعضهم : لما خانت هانت . ومن الواضح : أن تلك اليد الخسيسة الخائنة لما تحملت رذيلة السرقة وإطلاق اسم السرقة عليها في شيء حقير كثمن المجن والأترجة ، كان من المناسب المعقول أن تؤخذ في ذلك الشيء القليل ، الذي تحملت فيه هذه الرذيلة الكبرى .

وأما أهل الحق فإنهم يقولون القرآن كلام الله كما قال المؤلف رحمه الله ، ويعنون بذلك اللفظ والمعنى والحرف والصوت ، كما قال شيخ الإسلام رحمه الله : (هو كلام الله حروفه ومعانيه ليس الكلام الحروف دون المعاني ولا المعاني دون الحروف)(١)، فليس الكلام الحروف دون المعاني كما يدعيه قوم ، أو حروف وأصوات خلقت في الأزل ، ولا المعاني دون الحروف كما تقوله الأشاعرة ومن وافقهم ، بل الكلام كله معناه ولفظه وأصواته وحروفه كلها كلام الله .

والقرآن أبدى وأعاد في هذا المعنى كما قال عز وجل : (فأجره حتى يسمع كلام الله)(سورة التوبة آية:٦) ، وكذلك قوله : (فلما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه)(سورة الأعراف اية:١٤٣)وقوله : (وكلم الله موسى تكليما)(سورة النساء آية:١٦٤) ، وكذلك في سورة الفتح آيات تدل على هذا وهي صريحة في الدلالة كما قال عز وجل : (يريدون أن يبدلوا كلام الله)(سورة الفتح آية:١٥) والنبي ﷺ ذكر ذلك صريحاً في مواضع كثيرة كما في حديث عبدالله بن أنيس أنه قال (يحشر الله الخلائق يوم القيامة عراة حفاة غرْلا بهما، فيناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب : أنا الملك أنا الديّان)(٢) ، فذكر النداء والصوت ولم يقل إنه يفهم جبريل ما في نفسه فيتكلم جبريل ، وكذلك قوله ﷺ : (إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله)(٣) .

فالقرآن والسنة كلاهما مملوءان من النصوص الصريحة الصحيحة التي لا تحتمل إلا أن القرآن كلام الله منه بدأ وإليه يعود وأنه منزل غير مخلوق ، وهذا مذهب سلف الأمة ما عدا ما ذكر من الفرق الضالة التي انحرفت عن هذا المنهج كالجهمية والمعتزلة ، وهؤلاء الرد عليهم وإفحامهم واضح .

كما فعل ذلك عبد العزيز الكناني رحمه الله عندما قال للمريسي :

أنت تقول إن الله خلق كلامه . قال نعم .

قال : اجبني عن أمور ثلاثة لا رابع لها :

إذا سلمنا لك جدلاً أنه خلق كلامه ، هل خلقه في ذاته الكريمة ، أو خلقه في مكان غير ذاته الكريمة ، أو خلقه لا في مكان ، ولا هناك قسم رابع ؟

---

(١) انظر العقيدة الواسطية في باب كلام الله تعالى .

(٢) ذكره البخاري في صحيحه معلقا بعد حديث (٧٧) ووصله الحافظ ابن حجر في تغليق التعليق (٣٥٥/٥) ورواه البخاري أيضا في خلق أفعال العباد ص ٩٩ ، ورواه في صحيحه بلفظ آخر (٧٤٨٣) ، وفي الأدب المفرد (٩٧٠) ورواه احمد في مسنده (١٦٠٤٢) بسند حسن .

(٣) رواه البخاري (٤٨٠٠) وابن ماجه (١٩٤) .

وهذه كما تعلمون طريقة من طرق الجدل والمناظرة تسمى بالسبر والتقسيم ، والقسمة هنا عقلية صحيحة ، فلما أفحمه وألقمه الحجر قال المريسي :

أقول : خلقه كما يخلق الأشياء .

قال : لا بد أن تجيبني بواحد من هذه الأمور الثلاثة وإلا فأنت انقطعت .

فقال : أنا أقول خلقه كما يخلق الأشياء .

فقال المأمون يا عبد العزيز : انقطع المريسي ، لكن اشرح لنا كلامك هذا .

فقال يا أمير المؤمنين : لو قال خلقه في ذاته الكريمة لكفر لأن المسلمين مجمعون بأن الله سبحانه وتعالى لا يكون محل الحوادث ، وأن من قال ذلك فهو كافر ، ولو قال خلقه في مكان آخر لطالبناه بالفرق بين كلام الله وكلام الإنسان ونبيح الكلاب ونهيق الحمير ونحو ذلك لأن كلها أصوات خلقها الله في ذوات أخرى أو في أمكنة أخرى ، فأي فرق بين كلام الله وبينها ، وأي ميزة لكلام الله عليها ، ولو قال : إن الله خلقه لا في مكان ولا أظنه يقوله لأن العقلاء مجمعون على أن كل مخلوق لا بد أن يكون له مكان وليس هناك مخلوق لا يكون في مكان ، فانقطع المريسي بهذه الطريقة (١) .

الحاصل أن بيان حقيقة كلام الله سبحانه وتعالى للناس فيه عدة أقوال :

القول الأول : مذهب أهل السنة والجماعة والسلف الصالح من الصحابة والتابعين وأئمة الهدى الذين اتبعوهم ، هؤلاء يقولون إن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود ، والقرآن هو كلام الله معنى ولفظاً وحروفاً وأصواتاً ، ومن أدلتهم ما سبق .

القول الثاني : قول الأشاعرة والكلابية و الماتريدية ، يقولون إن كلام الله المراد به والمنسوب إليه هو عبارة عن المعنى القائم بنفسه ، يقولون إذا أراد الله استفهاماً أفهم جبريل أنه يريد ذلك فتكلم به ، وإذا أراد الله أمراً أفهم جبريل أنه يريد ذلك فتكلم به ، وإذا أراد الله نهياً أفهم جبريل أنه يريد ذلك فتكلم به ، ويستحيل على الله أن يتكلم بكلام يسمع ، يقولون لأن الكلام يحتاج إلى أسنان ويحتاج إلى شفتين ويحتاج إلى حلق ويحتاج إلى كذا ويحتاج إلى كذا وهذه خاصة بالمخلوقين .

ولكن هذه الشبهة التي يلبسون بها على الناس أجاب علماء السلف عنها بقولهم :

إن الكلام الذي يحتاج إلى هذه الأمور هو كلام المخلوق أما كلام الخالق سبحانه وتعالى فإن كلامه لا يحتاج إلى هذه الأمور ، فهو يتكلم بأي طريقة أرادها .

---

(١) ذكر الشيخ رحمه الله هذه القصة مختصرة مع شيء من الشرح ، وتجد نصها في كتاب الحيدة لعبدالعزيز الكناني ص ١٢٦ تحقيق د. جميل صليبا .

وأيضاً فإنه يمكن صدور الكلام بدون هذه الآلات كلها في المخلوقات ، فمثلاً قوله تعالى : (ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرها قالتا أتينا طائعين)(سورة فصلت آية:١١) قالتا ، فهل للأرض لسان وأسنان وشفتان وحلق ، وهل للسماء شيء من ذلك ، وكذلك أشياء أخرى تكلمت مثل الجذع الذي تركه النبي ﷺ لما فقده حن له(١) ، والجذع ليس له هذه الآلات ، وعلى كل فكثير من المخلوقات أخبر الله عنها ورسوله أنها تقول وتتكلم ومع هذا ليس لها هذه الآلات ، فقولهم لا يجوز على الله الكلام لأنه يلزم عليه هذه الأمور قول باطل :
أولاً : لأن الله لا يقاس بخلقه وإن كان المخلوق محتاجاً إلى مثل هذا .
وثانياً : أن هناك مخلوقات يمكن منها الكلام من غير أن تكون لها هذه الآلات .

(نزل به الروح الأمين فعلمه سيد المرسلين مُحَمَّداً)

الشرح : نزل به الروح الأمين جبريل عليه الصلاة والسلام فعلمه سيد المرسلين مُحَمَّداً
وطريقة الوحي إلى النبي ﷺ مختلفة ليست هي بطريقة واحدة ، جبريل يأتي تارة في صورة رجل ويبلغه الوحي ، وتارة ينفث في روعه الكلام ، وعلى كل فالوحي له عدة طرق وقد تكلم عليها السيوطي كلاما جيداً في الإتقان بطريقة مفيدة جداً ، وكتاب الله سبحانه وتعالى بين أن جبريل نزل به على النبي ﷺ: (نزل به الروح الأمين * على قلبك لتكون من المنذرين)(سورة الشعراء آية:١٩٤-١٩٣) وقال (علمه شديد القوى)(سورة النجم آية:٥) وذكر أنه قول جبريل في بعض الأحيان (إنه لقول رسول كريم * ذي قوة)(سورة التكوير آية:٢٠-١٩) بمعنى أنه جاء به للنبي ﷺ وبلغه إياه قولاً ، أي كلمه مشافهة ، والفرق بين هذه الآية وبين آية الحاقة (إنه لقول رسول كريم * وما هو بقول شاعر قليلاً ما تؤمنون)(سورة الحاقة آية:٤١-٤٠) المراد بالرسول هناك مُحَمَّد ﷺ ، والمراد به هنا في سورة التكوير جبريل ، وعلمه النبي ﷺ بأي طريقة من طرق الوحي .

(وهو كلام الله تعالى لا يساويه شيء من كلام المخلوقين ، ولا نقول بخلقه ولا نخالف جماعة المسلمين)

الشرح : نعم ، لأن من قال بخلق القرآن فهو مخالف لجماعة المسلمين مخالف لأهل السنة والجماعة ، والسلف الصالح الذين منهم الصحابة رضوان الله عليهم والتابعون لهم بإحسان ، والمؤلف يرى أن

---

(١) رواه النسائي (١٣٩٦) واحمد في مسنده (١٤١٤٢) وعبدالرزاق في المصنف (٥٢٥٤) بإسناد صحيح.

القول بخلق القرآن خرق للإجماع لأنه لا يَعتبر إجماع المعتزلة والجهمية .

(ولا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب)(١)

الشرح : أهل السنة والجماعة من قواعدهم أنهم لا يكفرون بالذنوب ما لم تكن الذنوب مكفرة بمقتضى نص شرعي ، أو ما لم يستحل المرتكب للذنب ذنبه ، هذه قاعدة يسير عليها أهل السنة والجماعة سلفاً وخلفاً ، وهذه المسألة للناس فيها أربعة مذاهب .

المذهب الأول : هو مذهب أهل السنة والجماعة أن الإنسان المسلم لا يخرج من الإسلام ولا من الإيمان بمقتضى ذنب يرتكبه ما لم يكن ذلك الذنب مكفراً أو ما لم يستحله ، وهذا أدلته كثيرة في الكتاب والسنة ، ونصوص القرآن بتسمية العاصي أو الفاسق مؤمناً كثيرة ، والحديث عن النبي ﷺ فيه كثير أيضا ، ومن أقوى ما يستدل به أهل السنة والجماعة على أن المعاصي لا توجب الكفر وأن الإنسان لا يخرج من الإسلام والإيمان بمقتضى الذنب قوله سبحانه وتعالى : (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله)(سورة الحجرات آية:٩) وقوله : (إنما المؤمنون أخوة فأصلحوا بين أخويكم) (سورة الحجرات آية:١٠) فجعل الفئة الخارجة على الفئة الأخرى – سواء أكانت الفئة الدولة أو فئتان من المسلمين اقتتلوا فالخارج مرتكب لذنب كبير ومع هذا عدَّه الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز مؤمنا ، فأهل السنة والجماعة لا يخرجونه من الإيمان بمقتضى الذنب وإنما يحكمون عليه بنقص الإيمان ، ويقولون مؤمن ناقص الإيمان أو يعبرون عنه بقولهم : مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته ، وهذا مقتضى النصوص . والنبي ﷺ أتي برجل قد شرب الخمر فقال : (اضربوه) ، قال أبو هريرة ؓ : فمنّا الضارب بيده والضارب بنعله والضارب بثوبه ، فلما انصرف قال بعض القوم : أخزاك الله ! قال :(لا تقولوا هكذا لا تعينوا الشيطان على أخيكم)(٢) رجل سكران وحُدَّ ومع هذا عده عليه الصلاة والسلام أخاً للذي سبه أو شتمه أو قذفه ، فدل ذلك على أن الذنب لا يخرج به المسلم والمؤمن من الإيمان.

---

(١) الطحاوي رحمه الله أراد هنا أن يرد على الخوارج القائلين بالتكفير بالكبائر ، وابن أبي العز نقل امتناع كثير من الأئمة من إطلاق قول الطحاوي هذا ، قال رحمه الله : بل يقال : لا نكفرهم بكل ذنب (الشرح ص ٤٣٣ ت التركي) . مع انه سيأتي بعد قليل قول الطحاوي (ولا يخرج العبد من الإيمان إلا بجحود ما أدخله فيه) وهذا إرجاء واضح مخالف لمذهب أهل السنة كما سيأتي تبيين الشيخ حمود لذلك ، ولهذا فقد ميز الشيخ هنا قول أهل السنة بأنهم لا يكفرون بالذنوب مالم تكن الذنوب مكفرة ، وهذا قيد مهم .

(٢) رواه البخاري (٦٧٨١) وأبو داود (٤٤٨٧)

وكذلك قوله سبحانه وتعالى (فمن عفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان)(سورة البقرة آية:١٧٨) هذه الآية الكريمة عدت القاتل أخا لولي القصاص ، ولا معنى للأخوة هنا إلا أخوة الإسلام والإيمان .

الحاصل أن النصوص مستفيضة في تأييد مذهب أهل السنة والجماعة في أن المسلم إذا ارتكب معصية لا يخرج بها من الإيمان بل ينقص إيمانه بقدر ذلك الذنب وأدلة هذا كثيرة .

بعض فرق المعتزلة يسمون العاصي فاسقاً ولكن ليس حكمهم كحكم أهل السنة عليه بالفسق ، فهم يسمونه فاسقا تسمية فقط ، وفي الدنيا يحكمون عليه بحكم الإسلام بالأحكام الظاهرة ، وأما في الآخرة فهو مخلد في النار سواء سموه فاسقاً أو سموه بمنزلة بين المنزلتين .

المذهب الثاني : الخوارج والمعتزلة ، وإن كان بينهما بعض الفروق إلا أن مؤدى مذهبهم واحد في الآخرة ، فالخوارج يحكمون على مرتكب الكبيرة بالكفر والخروج من الإيمان في الدنيا والخلود في النار في الآخرة ، والمعتزلة يحكمون عليه بالخروج من الإيمان في الدنيا ولكن لا يحكمون عليه بالكفر بل يقولون إنه خرج من الإيمان وبقى في مرتبة بين الكفر والإيمان يسمونها المنزلة بين المنزلتين ، وهذا أصل من أصول المعتزلة .

والمعتزلة أصول الدين عندهم خمسة كما لا يخفى على الكثير :

١ — التوحيد .

٢ — والعدل .

٣ — والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

٤ — وإنفاذ الوعيد .

٥ — والمنزلة بين المنزلتين ، و هي خروج العاصي بمعصيته من الإيمان وبقاؤه بمنزلة دون الكفر ، هذه نقطة الخلاف بين الخوارج والمعتزلة ، الخوارج والمعتزلة متفقون كلهم على أنه يخرج من الإيمان بمجرد ارتكابه للمعصية ، لكن الخوارج يوافقونهم على هذا ويخالفونهم في الحكم عليه بعد خروجه من الإيمان ، يقولون بأنه بخروجه من الإيمان دخل الكفر وأصبح كافراً حلال الدم والمال .

أما المعتزلة فيقولون كذلك ولكن يجعلونه في طبقة من النار — أعوذ بالله — أخف من عذاب الكافرين ، ولا دليل لهؤلاء الخوارج والمعتزلة إلا ظواهر نصوص لا تدل على ما ذهبوا إليه كقوله سبحانه وتعالى (فما تنفعهم شفاعة الشافعين)(سورة المدثر آية:٤٨) يقولون إن هذه الآية دليل على أن العاصي لا يشفع فيه ولا يخرج من النار أبداً ، وكذلك تقول المعتزلة إن قوله سبحانه وتعالى (إنك من تدخل النار فقد أخزيته)(سورة آل عمران آية:١٩٢) يقولون هذا نص في أن

من يدخل النار فإنه لا يخرج منها ، فإنه إذا استحق خزي الله فلا يليق به أن يدخله الله الجنة ويبقى في النار خالداً مخلداً فيها .
فأما استدلالهم بقوله (فما تنفعهم شفاعة الشافعين) فهذا خاص بالكفار كما دلت عليه الآيات التي بعدها وقبلها .

وأما استدلالهم بقوله سبحانه (إنك من تدخل النار فقد أخزيته) فقد أجاب عنه السلف بأن الخزي هنا ليس الذي معناه الإبعاد – اللعن والغضب وإنما معناه الخجل ، يعني ربنا إنك من تدخل النار من المسلمين فقد سببت له الخجل ، لأنه إذا حكم عليه بالنار ودخل النار ورآه أقاربه وأصحابه الذي يظنون أنه مجتنب للكبائر ومتباعد عنها إذا رأوه في النار فإنه يخجل منهم يخزى ، فمعنى قوله (فقد أخزيته)(١) فقد أخجلته .
فالحاصل أن مرتكب الكبيرة عند المعتزلة والخوارج لا يخرج من النار أبداً أما عند أهل السنة والجماعة فإن مرتكب الكبيرة إذا مات مصراً عليها ولم يكن مستحلاً لها ولم تكن تلك الكبيرة من المكفرات فإنه يحتمل أحد أمرين :
الأول : أما أن يتفضل الله عليه ويعامله بالفضل ويعفو عنه ويغفر له ويدخله الجنة من أول وهلة .
الثاني : وإما أن يدخله النار ليطهره بمقتضى أعماله السيئة ثم يخرجه من النار بشفاعة الشافعين أو برحمة أرحم الراحمين .
هذا هو مذهب أهل السنة والجماعة وهم لا يختلفون في هذا الأصل أبداً .

المذهب الثالث : مذهب المرجئة ، والمرجئة قوم يعتمدون على نصوص الرجاء ويرجحونها على نصوص الوعيد ، وسمّوا بهذا الاسم لهذا السبب .

---
(١) قال ابن فارس في مادة (خزو) :
ومن هذا الباب قولهم خزي الرجل : استحيا من قبح فعله .. قال جرير :
وإن حميً لم يحمه غير فزْتني *** وغير ابن ذي الكيرين خزيان ضائع

وهم طبقات :

الطبقة الأولى : المرجئة المحضة ، وهم الجهم بن صفوان وأتباعه ، هؤلاء يقولون لا يضر مع الإيمان ذنب مطلقا ، فالمؤمن العارف ما دام أنه عرف الله لا يضره ذنب مهما كان ذلك الذنب سواء كان تركا للصلاة أو ارتكابا للفواحش لأن الإيمان عندهم مجرد المعرفة (١) .

وهؤلاء الطبقة كفار ، لأنهم يحكمون على ترك العمل وعلى ارتكاب العمل المحرم بأنه لا يضر ، ولا يشترطون في الإيمان الإقرار والتصديق ، يقولون إذا كان عارفاً فهو مؤمن كامل الإيمان ولا يضره أي ذنب فعله ، ولذا قال السلف رضوان الله عليهم : يرد على هذا بأن إبليس وفرعون وغيرهم من الذين عرفوا الله هل كانوا مؤمنين كاملي الإيمان .

الطبقة الثانية : مرجئة الفقهاء ، وهم الذين أخرجوا العمل عن حقيقة الإيمان وقالوا إنه لا يسمى إيمانا ، وهؤلاء أخف بكثير من المرجئة المحضة ، لأن هؤلاء لا يبيحون ارتكاب المعاصي ولا يبيحون ترك الواجبات ، ويوجبون على المسلم أن يعمل الواجب وان يترك المحرم ، لكنهم لا يجعلون العمل من مسمى الإيمان .

(ما لم يستحله)

الشرح : هذا بالإجماع ، من ارتكب كبيرة مستحلا لها فهو كافر بإجماع المسلمين ، ولا يشذ على هذا إلا الذين لا يعبئون بقواعد الشريعة ونصوصها ، لأن القائل بذلك مكذب للرسول ومكذب للقرآن ، إذا كان القرآن يقول : (ولا تقربوا الزنى)(سورة الإسراء آية:٣٢) و الرسول عليه الصلاة والسلام جلد شارب الخمر لكونه مستحقا للعقوبة ، وكذلك السارق حكم عليه القرآن والسنة بأنه تقطع يده ، فإذا كانت هذه العقوبات ما وجبت إلا لتحريم ذلك الفعل ، فالذي يقول إن الخمر حلال أو الزنى حلال أو أن السرقة مباحة أو أن القتل عمداً مباح هذا مكذب لله ولرسوله ، فإذا كان مكذباً لله ولرسوله فهو كافر بالاتفاق ، ولهذا لما شرب بعض الصحابة رضوان الله

---

(١) قال ابن حزم في الفصل : الثاني (يعني من فرق المرجئة) : الطائفة القائلة إن الإيمان عقد بالقلب ، وإن أعلن الكفر بلسانه بلا تقية ، وعبد الأوثان أو لزم اليهودية أو النصرانية في دار الإسلام ، وعبد الصليب وأعلن التثليث في دار الإسلام ، ومات على ذلك فهو مؤمن كامل الإيمان عند الله عز وجل ، وليّ لله تعالى من أهل الجنة ، وهذا قول أبي محرز جهم بن صفوان السمرقندي . الفصل ٣ / ١٢٢ ت يوسف البقاعي

عليهم الخمر متأولين قوله سبحانه وتعالى (ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا)(سورة المائدة آية:٩٣) جلده عمر وأقام عليه الحد وقال لو استحله لحكمت بكفره وهذا لا أحد يخالف فيه (١) .

(ولا نقول لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله)

الشرح : لما كان المؤلف رحمه الله من مرجئة الفقهاء وكان ممكناً أن يتوهم متوهم — إذا كانوا مرجئة — أنهم يقولون كما تقول المرجئة المحضة لا يضر مع الإيمان ذنب ، فقال نحن لا نقول ذلك ، يعني نحن وإن سمينا مرجئة فلا نوافق المرجئة المحضة على القول بأنه لا يضر مع الإيمان ذنب ، بل نقول الذنوب تضر وتضعف الإيمان ولا نقول إنها تنقص الإيمان ، لأنه ليس من مذهبهم أن الإيمان ينقص ، الطحاوي لا يرى نقص الإيمان لكنه يرى أن الإيمان يقوى ويضعف ، ويقول : الذنوب تضر بتنقيصها للإيمان وتضر باستحقاق مرتكبها العقوبة في الدنيا والآخرة .

(نرجو للمحسنين من المؤمنين أن يعفو عنهم ويدخلهم الجنة برحمته ولا نأمن عليهم)

الشرح : نرجو للمحسن ونخاف على المسيء ، هذا مذهب أهل السنة والجماعة في مسألة الشهادة للمعين بالجنة أو بالنار ، إذا رأينا الإنسان يعمل أعمالا صالحة ومستقيما على طاعة الله فإننا نرجو له الخير بمقتضى إحسانه ، ولا نشهد له بالجنة ، وإذا رأينا إنسانا مسرفا على نفسه بارتكاب المعاصي والإساءة فإننا نخاف عليه من عقاب الله ونخشى عليه ونشفق عليه ، ولكن لا نشهد له بالنار أو نقنطه من رحمة الله ، هذه القاعدة التي عليها مذهب أهل السنة والجماعة .

وهو هنا يشير إلى أن الإنسان المحسن يستحق الجنة ولكن يستحقها بفضل من الله ورحمته سبحانه لا أن مقتضى العمل يكفي في إدخال العبد الجنة ، ومسألة تعلق الثواب و العقاب بالعمل(٢)

فيها ثلاثة أقوال للعلماء :

المذهب الأول : أن أي عمل يعمله الإنسان لا يكون وحده كافيا في استحقاقه للجنة بل لابد أن ينضم إلى ذلك فضل الله ورحمته سبحانه وتعالى ولكن الأعمال الصالحة أسباب تقتضى الثواب بمعنى أن الثواب والعقاب يتعلقان بالعمل الصالح تعلق المسبب بالسبب ،

---

(١) انظر نقل الاتفاق على ذلك في شرح ابن أبي العز ص ٤٤٦ ت التركي ط ٢ ، و مجموع فتاوى ابن تيمية ٣٤/ ٢١٣ والاستغاثة في الرد على البكري له أيضا ص ٢٥٣ والدرر السنية ١٠ / ٣٧١ .

(٢) هذه المسألة غير مسألة الشهادة بالجنة أو النار للمعين .

وهذا هو الذي عليه أهل السنة والجماعة ، ومن أدلتهم قوله سبحانه وتعالى (ادخلوا الجنة بما كنتم تعلمون)(سورة آية:٣٢) أي بسبب أعمالكم .

المذهب الثاني : مذهب القدرية والمعتزلة ، وهو أن الثواب والعقاب يتعلقان بالعمل تعلق العِوض عن المعوّض ، يعني أنه إذا وجد العمل الصالح تحتم وجود الثواب وإذا وجد العمل السيئ تحتم وجود العقاب ، وأنه لا دخل لمشيئة الله وأرادته وفضله وإحسانه في ذلك .

المذهب الثالث : مذهب الأشاعرة وكثير من الجبرية وهو أن الثواب والعقاب لا تعلق لهما بالعمل مطلقا ، وإنما يتعلقان بمشيئة الله وإرادته وقضائه وقدره ، فمن قضى الله أن يكون مثابا فإنه يثاب سواءا كان محسنا أو مسيئا ، ومن قضى الله أنه يعاقب فإنه سيعاقب سواءا كان محسنا أو مسيئا فلا علاقة للعمل بالثواب والعقاب مطلقا عند هؤلاء .

فأهل السنة والجماعة استدلوا بقوله تعالى : (ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون) ونحوها ، وعلقوا الثواب والعقاب على العمل أنه سبب له .

أما المعتزلة والقدرية فإنهم أخذوا بهذه الآية أيضا (ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون) وقالوا إنها تدل على أن الثواب عوض عن العمل بمجرده من غير أن يكون لله سبحانه وتعالى في ذلك فضل ولا مشيئة ولا إرادة .

وأما منزع الجبرية ومن معهم فإنهم استدلوا بقوله ﷺ : (لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه و فضل)(١) .

فالقدرية استدلوا بالآية التي ذكرتها على أن الثواب عوض للعمل ، والجبرية والأشاعرة استدلوا بالحديث على أن العمل لا يكون مقتضيا للثواب والعقاب لا من حيث التسبب ولا من حيث الحقيقة ، ولكن أهل السنة والجماعة جمعوا بين الدليلين .

هو صحيح أن قولكم : (ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون) ظاهره أن العمل يدخل الجنة ويدخل النار ، وقوله : (لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله) ظاهره أن العمل لا يمكن أن يكون سببا لدخول الجنة أو لدخول النار لكن السلف جمعوا بين النصوص وقالوا : إن (الباء) في قوله (ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون) هي باء السبب ، أي أدخلوا الجنة بسبب عملكم ، لا أن العمل وحده مقتضي لدخول الجنة أو النار ، قالوا : وأما (الباء) في الحديث : (لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله) فهي باء العوض أي لن يكون عمل أحدكم كافيا في إدخاله الجنة ،

(١) رواه البخاري (٦٤٦٧) ومسلم (٢٨١٨).

بل لابد أن ينضم إلى العمل أمور أخرى كإرادة الله وإحسان الله وفضل الله سبحانه وتعالى ونحو ذلك .

فالمعتزلة الذين تمسكوا بظاهر الآية ما وفقوا إلى الحق .

والأشاعرة والجبرية الذين أخذوا بظاهر الحديث ما وفقوا إلى الحق .

فكان الحق مع أهل السنة والجماعة الذين جمعوا بين النصوص .

وأما الجواب عن قوله عليه الصلاة والسلام : (لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله) فإن أهل السنة والجماعة كما قلت أجابوا عن ذلك بان الباء هنا للعوض ، وقالوا إن الرسول عليه الصلاة والسلام يخبر بأن العمل لا يمكن أن يكون بمجرده عوضا لدخول الجنة وإنما فيه الإشارة إلى أن عمل الإنسان مهما بلغ ومهما كان لا يكفي وحده لدخول الجنة وذلك أن الله سبحانه وتعالى تفضل على عباده وأنعم عليهم وأحسن إليهم في هذه الدنيا بشتى أصناف النعم وأن كل عمل يعمله الإنسان مهما كان فإنه لا يمكن أن يقوم بشكر نعم الله سبحانه وتعالى عليه لولا أن الله يعفو ويتجاوز ويتفضل .

ويستدل على هذا المعنى بالحديث الصحيح أن النبي ﷺ ذكر أنه كان فيمن كان قبلكم رجل منقطع للعبادة في صومعته لا يشتغل بشيء سوى العبادة أطلاقا حتى رزقه يجريه الله عليه بحيث هيأ له شجرة رمان تثمر له كل يوم حبة من الرمان فيتقوتها ويتغذى بها ، وأجرى عند صومعته عينا عذبة يشرب منها فما يشتغل حتى بكسب رزق ، بل هو متفرغ للعبادة ، قال عليه الصلاة والسلام : فإذا كان يوم القيامة يؤتى بهذا الرجل إلى الله ويعرض عليه فيقول سبحانه وتعالى : أدخلوا عبدي الجنة برحمتي ، قال : فيتكاثر عمله ويقول : لا يا رب ، بل بعملي ، فيقول الله سبحانه وتعالى : زنوا أعماله الصالحة وزنوا النعم التي أنعمت بها عليه وقابلوا النعم بالأعمال التي عملها وفعلوا ، قالوا : فلم تقابل أعماله كلها نعمة البصر التي من الله بها عليه وأنعم بها عليه ، فلما رأى ذلك قال : يا ربي برحمتك .

فقوله عليه الصلاة والسلام : (لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله) يعني أن العمل وحده لا يمكن أن يكون كافيا لدخول الجنة بل العمل سبب ، ولابد أن ينضم إليه مكملات السبب ومقتضياته ، كتفضله سبحانه وتعالى ومشيئة وإرادته وإحسانه على عباده .

(ولا نشهد لهم بالجنة ، ونستغفر لمسيئهم ، ونخاف عليهم ولا نقنطهم)

الشرح : هذه المسألة اختلف العلماء فيها على ثلاثة أو أربعة مذاهب :

المذهب الأول : أرجحها وأقواها مذهب أهل السنة والجماعة وهو أنه لا يشهد لأحد بعينه أنه من أهل الجنة مهما كان عمله الذي يقوم به ، ولا يشهد لأحد بعينه أنه من أهل النار مهما كان العمل الذي يؤديه ويقوم به وإنما يرجون للمحسن ويخافون على المسيء .

أما على الأعيان فلا يشهدون لأحد بجنة ولا نار إلا إذا ورد نص صحيح صريح فلهذا يقولون من شهد له النبي ﷺ بعينه نشهد له بعينه ، كعكاشة بن محصن رضي الله لأن النبي ﷺ لما قال (إن سبعين ألفا من أمتي يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب) قال عكاشة بن محصن ﵁ : ادع الله أن يجعلني منهم قال : (أنت منهم)(١) ، نص في أن عكاشة من أهل الجنة بعينة ، وكذلك العشرة أبو بكر وعمر عثمان وعلي والستة الباقون كلهم شهد لهم النبي ﷺ بالجنة بأعيانهم (٢) ، وكذلك ثابت بن قيس بن شماس ﵁ لما نزل قوله سبحانه وتعالى : (يا أيها الذين أمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون)(سورة الحجرات آية:٢) قال ﵁ لقد حبط عملي لأنني رجل جهوري أرفع الصوت عند رسول الله ولزم بيته فسأل عنه النبي ﷺ فقالوا أنه لزم بيته يبكي ويقول حبط عملي فقال عليه الصلاة والسلام : (بل هو من أهل الجنة)(٣) فثابت بن قيس ممن شهد لهم بأعيانهم بالجنة .

وكذلك لا نشهد لأحد بالنار إلا إذا شهد له النص عن المعصوم ، لأن الأصل الذي قام عليه مذهب أهل السنة والجماعة في الشقاوة والسعادة منوط بما يموت عليه الإنسان ، فإذا رأينا إنسانا يكثر من الطاعات ويلزم المساجد ويجاهد في سبيل الله فلا نأمن عليه أن تكون خاتمته سيئة فقد يرتد ، وكذلك لو رأينا إنسانا كافراً عاصيا يجاهر بالمعاصي والكفر والضلال لا نشهد له بعينه أنه في النار لأنه ربما يتوب ويرجع ويسلم ويحسن إسلامه ويكون من أهل الجنة كما قال عليه الصلاة والسلام : (إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها)(٤) .

---

(١) رواه البخاري (٥٧٠٥) و مسلم (٢١٦)

(٢) رواه الترمذي (٣٧٤٨) واحمد في الفضائل (٢٧٨) والبغوي (٣٩٢٥) بسند صحيح .

(٣) رواه البخاري (٣٦١٣) ومسلم (١١٩)

(٤) رواه البخاري (٣٢٠٨) ومسلم (٢٦٤٣)

فإذا شهد نص بأن أحدا ما من أهل النار فإننا نقطع له بأنه من أهل النار قطعا ، كأبي لهب فإن الله سبحانه وتعالى أخبرنا بأنه من أهل النار فقال : (سيصلى نارا ذات لهب) وإخبار الله سبحانه وتعالى حقٌ ، وكذلك عمرو بن لحي الخزاعي نشهد له بأنه من أهل النار لأن الرسول عليه الصلاة والسلام قال : (رأيت عمرو بن لحي الخزاعي يجر قصبه في النار)(٢) فمن ورد نص صحيح من القرآن أو من الحديث بأنه من أهل النار أو أنه من أهل الجنة فإننا نقطع له بعينه ، و أما ما عدا ذلك فلا ، لأن مجرد العمل لا يكفي .

وأيدوا أهل السنة والجماعة هذا المذهب بأمور منها :

الأمر الأول : أن ظاهر الإنسان لا يكفي فلابد أن يتفق الظاهر والباطن ، لأن العبرة بعقيدة الإنسان وما يضمره في نفسه ، فقد يكون الإنسان منافقا والعياذ بالله يصلي الصلوات ويؤدي شعائر الإسلام مع الناس في الظاهر ولكنه في الباطن ملحد يكفر بالله وبرسوله فإذا شهدنا له بعينه أنه من أهل الجنة على ما نرى من أعماله الصالحة وإقامته لشعائر الإسلام نكون قد أخطأنا لأن الله سبحانه وتعالى علم أنه في الباطن غير ، أما بالنسبة للحكم عليه بالإسلام أو غيره فهذا مناطه الظاهر ، يعني إذا رأينا من يؤدي شعائر الإسلام ويقول : لا إله إلا الله نحكم له بالإسلام ظاهرا وأما باطنه وسريرته فنكلها إلى الله .

الأمر الثاني : أن العبرة بالموافاة فقد يكون الإنسان مؤمنا في الظاهر يؤدي شعائر الإسلام ومؤمنا في الباطن أيضا ولكن يطرأ عليه سوء الخاتمة – والعياذ بالله – ينحرف ويرتد فيموت كافرا فتكون شهادتنا له بالجنة مخالفة لما علمه الله وأراده ، كذلك أيضا قد يكون الإنسان كافرا ظالما ملحدا باطنا وظاهرا لا يؤدي شعائر الإسلام ولا يعتقد بصحة الشرائع ثم عند الخاتمة يهديه الله ويوفقه للخير ويمن عليه بالهداية فيتوب من كفره وضلاله ويشهد أن لا إله إلا الله وأن مُحَمَّدًا رسول الله فيعمل بعمل أهل الجنة فيكون من أهلها . وهذا هو أمثل الأقوال وأرجحها .

هناك قول ثان: يقول لا نشهد لأحد بجنة ولا نار إلا الأنبياء فقط ، إذا ثبتت لنا نبوة نبي قطعنا أنه من أهل الجنة ، أما غير الأنبياء فلا نشهد لهم وهذا متعارض مع النصوص التي صرح عليه الصلاة والسلام بها لأشخاص معينين بأنهم من أهل الجنة .

ولهذا يكون هذا المذهب بدرجة أقل من درجة المذهب الأول لأنه لا يعرف له أصل يستند عليه القائل لا تعليل ولا دليل .

---

(٢) رواه البخاري (٣٥٢١) ومسلم (٢٨٥٦) .

القول الثالث : من يسلك مسلك أهل السنة والجماعة ولكن يتوسعون فيه ويقولون لا نشهد لمعين بالجنة ولا بالنار إلا لمن شهد له النص أو شهد له المسلمون ، إذا شهد النص من القرآن أو الحديث قطعنا أنه من أهل الجنة أو من أهل النار ، وإذا شهد المسلمون له بذلك فإننا نقطع له أيضا بالجنة أو بالنار لأنهم لا يجمعون على ضلالة ولأنهم شهداء الله في أرضه .
وهؤلاء مستندهم أنه مرت جنازة برسول الله ﷺ فأثني عليها خيراً حتى تتابعت الألسن فقال رسول ﷺ : (وجبت) قال : ومرت به جنازة أخرى فأثني عليها بشر حتى تتابعت الألسن فقال رسول ﷺ : (وجبت) فقال عمر بن الخطاب : يا رسول الله : قلت في الجنازة الأولى وجبت وقلت في الثانية كذلك فقال : (هذا أثنيتم عليه خيرا فوجبت له الجنة وهذا أثنيتم عليه شرا فوجبت له النار أنتم شهداء الله في الأرض مرتين أو ثلاثا)(١) .

ولكن هذه الزيادة لا يرضاها السلف ويجيبون عنها فيقولون إن قوله عليه الصلاة والسلام : (وجبت) ليس السبب في ذلك أن المسلمين شهدوا له ، بل السبب في ذلك أنه يعلم صلى الله عليه وسلم أن هذا من أهل الجنة وأن هذا من أهل النار ، أي ليس الحامل له على أن يقول وجبت للذي أثنى عليه الخير وقوله للآخر وجبت الذي أثنى عليه الشر ليس دليله على وجوب الجنة أو النار شهادة المسلمين بل كان يعلم هو عليه الصلاة والسلام من الله عن طريق الوحي أن هذا من أهل الجنة وأن هذا من أهل النار .

يبين هذا المعنى قوله عليه الصلاة والسلام في الحديث الآخر : (توشكون أن تعلموا أهل الجنة من أهل النار) قالوا : بم يا رسول الله ؟ قال : (بالثناء الحسن والثناء السيئ أنتم شهداء الله بعضكم على بعض)(٢) ، فقوله : (توشكون) يدل على أنهم لا يقطعون وإنما ثناؤهم بالخير أو بالشر يكون قرينة تدل على ذلك ، لأن أوشك : بمعنى قرب ، فتوشكون بمعنى تقربون .
إذاً فالقول الراجح هو المذهب الأول وهو أننا لا نقطع لإنسان بعينه بجنة ولا نار إلا إذا شهد له النص .

---

(١) رواه البخاري (١٣٦٧) ومسلم (٩٤٩)

(٢) رواه ابن ماجه (٤٢٢١) و احمد في المسند بسند صحيح (١٥٤٣٩) ت التركي

(والأمن و الإياس ينقلان عن ملة الإسلام وسبيل الحق بينهما لأهل القبلة)

الشرح : الأمن معناه أن يأمن الإنسان من عذاب الله ويأمن من مكر الله ويأمن من أخذ الله ، وهذا مذهب نهجته المرجئة .

الذين يرتكبون المعاصي ويتركون الواجبات ويقولون لا يضر مع الإيمان ذنب معناه الأمن من عذاب الله ، والأمن من عذاب الله محرم ولا يجوز ومن أمن من عذاب الله فإنه ينكر عليه ويبدع (أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون)(سورة الأعراف آية:٩٩) .

كذلك اليأس والقنوط ، كون الإنسان ييأس من ورح الله وييأس من رحمة الله ويقنط من رحمة الله ويقطع الرجاء نهائيا هذا أيضا محرم ولا يجوز ، بل قال بعض أهل العلم : إن الرجاء والخوف بالنسبة للمسلم كجناحي الطائر فكما أن الطائر لا يستقيم طيرانا ولا يطير إلا بجناحين فكذلك الرجاء والخوف .

فالمسلم لا يسلم في دينه إلا إذا كان عنده رجاء ولكن لا يصل إلى درجة الأمن وعنده خوف ، لكنه لا يصل إلى درجة اليأس ، يكون كالطائر الذي سلمت جناحاه فإنه يستقيم ويطير .

أما لو قُطع أحد جناحيه فلا يمكن أن يطير ، كذلك المسلم لو فقد الأمن واعتمد على اليأس ما نفعه ذلك ، أو فقد اليأس واعتمد على الأمن ما نفعه ذلك ، فالقنوط من رحمة الله محرم والأمن من عذاب الله محرم أيضا .

(ولا يخرج العبد من الإيمان إلا بجحود ما أدخله فيه)

الشرح : هذه النقطة عليه – رحمه الله – فيها مؤاخذة ، ومعنى كلامه هنا أنه لا شيء يكفر إلا الجحد ، فالأعمال لا تكون مكفرة ، وهذا خلاف مذهب أهل السنة والجماعة ، لكن الإمام الطحاوية رحمة الله من المرجئة ، والمرجئة لا يرون أن الأعمال من الإيمان ، ولا يكفرون بمجرد العمل فقوله : (ولا يخرج العبد من الإيمان إلا بجحود ما أدخله فيه) هذا غير صحيح ، فقد يخرج من الإيمان بغير جحود ، قد يكون مقراً غير جاحد ، ولكنه يرتكب شيئا من المكفرات فيكون كافرا خارجا من الإيمان .

(والإيمان هو الإقرار باللسان والتصديق بالجنان)

الشرح: الإيمان مصدر آمن يؤمن إيماناً ، وحقيقته عند أهل السنة والجماعة أنه اعتقاد بالقلب ونطق باللسان وعمل بالجوارح ، فالاعتقاد جزء من الإيمان ، والعمل بالجوارح جزء من الإيمان ، والنطق باللسان جزء من الإيمان ، يعني كل واحد من هذه الثلاثة يسمى إيمانا حقيقة (١) .

وأما على رأي المؤلف فهو : اعتقاد بالقلب ونطق باللسان ، أما العمل فإنه لا يدخل عند المؤلف – ومن سبقه من الأحناف – في مسمى الإيمان .

والإيمان للناس في تعريفه وحقيقته مذاهب :

المذهب الأول : وهو المتمشي مع كتاب الله وسنة نبيه وسلف الأمة أنه اعتقاد بالقلب ونطق باللسان وعمل بالأركان ، وهذا أدلته نستعرضها أن شاء الله .

المذهب الثاني : مذهب الأحناف – ومنهم المؤلف – :أنه اعتقاد بالقلب ونطق باللسان أما العمل فلا يدخل في مسمى الإيمان .

المذهب الثالث : مذهب الكرامية وهو أن الإيمان مجرد النطق باللسان فقط ، فالمنافق عندهم مؤمن .

المذهب الرابع : مذهب الجهمية ، الجهم بن صفوان وأتباعه ، وهو أن الإيمان مجرد المعرفة فقط ، يعني أن المعرفة هي الإيمان ، فعلى مذهب الجهمية لا يبقى هناك كافر ، لأن الكل يعرف الله .

أما مذهب أهل السنة والجماعة فإنه هو المذهب الصحيح لأنه هو المذهب الذي يعضده الكتاب والسنة .

فمن الكتاب قوله سبحانه وتعالى وهو أوضح الأدلة (وما كان الله ليضيع إيمانكم)(سورة البقرة آية:١٤٣) أجمع المفسرون من الصحابة وغيرهم أن المراد : وما كان الله ليضيع صلاتكم ، لأن سبب نزول الآية يبين ذلك ، لما حولت القبلة قال بعض الصحابة ضاع إيمان إخواننا الذين ماتوا وهم يستقبلون بيت المقدس ، ظنوا أن إيمانهم كان باطلا لأن القبلة الصحيحة هي الكعبة ، فنزل قوله تعالى (وما كان الله ليضيع إيمانكم) ومثله كثير في القرآن .

---

(١) بعض أهل العلم يرى أن التعريف المشهور : قول باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالأركان .. تعريف ناقص ، وذلك أن فيه ذكر اعتقاد القلب دون عمله ، والاعتقاد غير العمل ، وأن الصواب هو : قول القلب واللسان وعمل القلب واللسان والجوارح ينظر شرح الشيخ سليمان العلوان لسنن الترمذي كتاب الصيام باب ما جاء في التشديد في الغيبة .

ومن السنة قوله ﷺ: (الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان)(١) ، فالحياء عمل من أعمال القلب وإماطة الأذى عن الطريق عمل من أعمال الجوارح ، وهذا الحديث صحيح ولا كلام فيه ، أما الأحناف فإنهم قالوا إن هذا الحديث روي :بـ (سبع وسبعون شعبة) وفي لفظ آخر (بضع وسبعون شعبة) قالوا فهذا يدل على اضطراب الحديث ، والاختلاف في العدد لا يقدح بالحديث بإجماع علماء الحديث ، لأن هذه الرواية غير الرواية الأخرى ويكون بعض الخصال الزائدة على الثلاث والستين داخلة فيه .

وأما مذهب الأحناف فإنهم قالوا الإيمان هو الاعتقاد بالقلب والنطق باللسان فقط ، أما عمل الجوارح فلا يدخل في مسمى الإيمان ، وقالوا إن الإيمان واحد .

واستدلوا على هذا بأمور منها عطف العمل على الإيمان في قوله سبحانه وتعالى : (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات) قالوا عَطف العمل على الإيمان ومعلوم أن العطف يقتضي المغايرة ، والجواب عن هذا سهل يسير ، **أجاب به السلف رضوان الله عليهم فقالوا** :

إن العطف يقتضي المغايرة غالبا ، لكنه قد يأتي العطف لغير المغايرة ، فقد يعطف الشيء على نفسه لاعتبار من الاعتبارات : فعطف عام على خاص أو عطف خاص على عام ، أو أي أمر يقتضى ذلك يوجب أن يعطف شيء على نفسه كقوله سبحانه وتعالى : (من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل)(سورة البقرة آية:٩٨) جبريل الآن عُطف على الملائكة فهل جبريل غير الملائكة ؟ جبريل من الملائكة ولكنه عُطف عليهم عَطف خاص على عام لبيان مزيته عليهم ، ولبيان فضله عند الله سبحانه وتعالى ، إذ هو سفيره إلى رسله ، وإلاّ فهو من الملائكة .

وكذلك قوله سبحانه وتعلى (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى)(سورة البقرة آية:٢٣٨) هل الصلاة الوسطى خارجة عن الصلوات الخمس ، الصلاة الوسطى من الصلوات الخمس لكنه عطفها على الصلوات من باب عطف الخاص على العام لتأكيد أهمية هذه الصلاة وهي صلاة العصر كما هو الراجح .

وكذلك يعطف العام على الخاص كما في قوله تعالى : (رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات)(سورة نوح آية:٢٨) فعطف المؤمنين على من دخل بيته وعلى والديه وهم منهم ، فوالديه ومن دخل بيته مؤمنون وعَطف عليهم عموم المؤمنين فدل على أن الشيء يعطف على نفسه لاعتبارات ، حتى إنه ورد في اللغة عطف الشيء على نفسه وليس هناك مميز للمعطوف والمعطوف عليه ولا مغايرة مطلقا إلا مجرد اللفظ ، كقول الشاعر :

---

(١) رواه البخاري (٩) ومسلم (٣٥) وبقية أصحاب السنن .

فقدّدت الأديم لراهشيه * وألفى قولها كذباً وميناً (١)**

والكذب هو المين و المين هو الكذب ، ومع هذا عطف المين على الكذب لاختلاف اللفظ فقط ، فبطل استدلالهم بعطف العمل على الإيمان .

قالوا ومن أدلة ذلك أن الإيمان يطلق في اللغة على التصديق كقول إخوة يوسف عليه السلام لأبيهم :(وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين)(سورة يوسف آية:١٧) وما أنت بمؤمن أي مصدق ، ولكن الجواب عن هذا أن يقال : إن حقيقة الإيمان في اللغة التصديق (٢) ، لكن حقيقة الإيمان شرعا : هو ما دل عليه الشرع ، وفرق بين الحقيقة اللغوية والحقيقة الشرعية ، وكل حقيقة شرعية مبنية على الحقيقة اللغوية فقولهم : (وما أنت بمؤمن لنا) أرادوا بذلك الإيمان اللغوي لا الإيمان الشرعي .

والصلاة : الأصل فيها لغة الدعاء ، يقول الشاعر :

وقابلها الريح في دنّها * وصلى على دنّها وارتسم (٣)**

أي دعا ، هذه الحقيقة اللغوية التي هي الدعاء للصلاة أخذها الشارع وأضاف إليها قيودا فأصبحت حقيقة شرعية ، و كانت حقيقة الصلاة شرعاً هي الدعاء على وجه خاص ، أي الدعاء في الوقت الذي يبدأ فيه بتكبيرة الإحرام ويختم بالتسليم ، هذا الدعاء الخاص سمي صلاة لأن أصل الصلاة في اللغة الدعاء .

وكذلك الصيام ، فحقيقة الصيام في اللغة الإمساك مطلقاً ، والإمساك عن أي عمل يسمى في اللغة الصيام ، كقول الشاعر :

خيل صيام وخيل غير صائمة * تحت العجاج وأخرى تعلك اللجما (٤)**

يعني واقفة عن الجري ، وكذلك قوله سبحانه وتعالى حكاية عن مريم (إني نذرت للرحمن صوماً)(سورة مريم آية:٢٦) هل هي نذرت للرحمن أن تصوم عن الأكل والشرب ؟ لا ، نذرت أن

---

(١) انظر لسان العرب مادة مين .

(٢) هذا التعريف اللغوي قال به الشيخ حافظ حكمي رحمه الله (معارج القبول ٢ /٢١) ، والشيخ حمود جعل التعريف الشرعي هنا مكملا للغوي مزيدا عليه بقيود بخلاف المرجئة الذين اكتفوا باللغوي ، وسوف ترى بعد قليل أن الشيخ يخطئ تقييد إطلاق مسمى الإيمان على التعريف اللغوي فقط دون ما أضافه إليه أهل السنة .

(٣) ينظر معجم مقاييس اللغة مادة صلى .

(٤) ينظر لسان العرب مادة صوم .

تمسك عن الكلام ،إذاً فحقيقة الصيام لغة الإمساك مطلقاً ، لكن الشارع أخذ هذه الحقيقة اللغوية وأضاف إليها قيودا فأصبحت هي حقيقة الصيام في الشرع ، فقال : الصيام هو الإمساك عن الأكل والشرب و المفطرات الخاصة من طلوع الفجر إلى غروب الشمس .

فكل حقيقة شرعية لا بد وأن توجد فيها الحقيقة اللغوية .

فاستدلالهم بأن الإيمان يطلق في اللغة على التصديق لا يصح من هذا الوجه ، يعني من حيث كونه يطلق في اللغة فقط .

والأحناف يسمون بالمرجئة ، ويقيد إرجاؤهم بإرجاء الفقهاء ، فيقال مرجئة الفقهاء أو يقال مرجئة أهل السنة ، وقد حاول شارح الطحاوية رحمه الله وهو حنفي أن يوفق بين مذهب أهل السنة والجماعة وبين مذهب الأحناف وحاول أن يجعل الخلاف لفظياً ، ولكن أنى له ذلك ، الخلاف معنوي واضح يتبين بأن أهل السنة والجماعة يكفرون بالعمل أما الأحناف فإنهم لا يرون العمل مكفراً مطلقاً لا لارتكاب المحرم ولا ترك الواجب . أما الكرامية فمذهبهم باطل وهو أنه يلزم عليه أن المنافقين كانوا مسلمين لأنهم يقولون لا إله إلا الله ويقرون بألسنتهم ولا يمكن أن يأتوا بدليل يبرر هذا المذهب ، إلا ما علم من عمومات النصوص من أن لا اله إلا الله تدخل في الإسلام ، كما قال عليه الصلاة والسلام لأسامة (أقتلته بعدما قال لا إله إلا الله)(١) ونحو ذلك ، ولكن هذا له شروط وله قيود وله أركان ، وليس مجرد النطق بالكلمة يكفي في الإيمان . وأما المرجئة المحضة وهم الجهمية فإنهم لا يشترطون التصديق ، يقولون إذا وجدت المعرفة في قلب الإنسان فهو مؤمن كامل الإيمان ولو أنكر وحدانية الله وأنكر وجود الله ، إذا كان يعرف الله بنفسه فهو مؤمن ، وألزمهم أهل السنة على هذا المذهب بأن إبليس مؤمن وأن فرعون مؤمن وأن أبا طالب مؤمن ، قالوا لأن إبليس يعرف الله بدليل قوله (رب بما أغويتني)(سورة الحجر آية:٣٩) ، وآيات كثيرة ، وكذلك فرعون يعرف الله بدليل قوله سبحانه وتعالى (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً)(سورة النمل آية:١٤) يعني عرفتها نفوسهم ، وكذلك قوله سبحانه وتعالى (لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض)(سورة الإسراء آية:١٠٢) والله لقد علمت يا فرعون ما أنزل هؤلاء الآيات إلا رب السموات والأرض وأبو طالب كذلك يعرف الله بدليل قوله (٢) :

ولقد علمت بأن دين محمد ***من خير أديان البرية ديناً(٣)

(١) رواه البخاري (٤٢٦٩) ومسلم (٩٦)

(٢) انظر شرح ابن أبي العز للطحاوية ص ٤٦١ ت التركي ط ٢

(٣) انظر شرح ابن أبي العز للطحاوية ص ٤٦١ ت التركي ط ٢

فبطلان مذهب الجهمية لا يحتاج إلى أن يستدل عليه بدليل .

ومن يقول ما فيه كفر يخرج من الملة إلا كفر الاعتقاد فهذا ينطبق عليه مذهب المرجئة تماما (١) ، فمثلا لو نبذ الشرع وراء ظهره فحكّم القانون لحكمنا بكفره بمجرد العمل ، أما ما في قلوبهم — أي المحكمين للقانون — فلا علم لنا به ولا علاقة له . هذا ملخص ما افترق فيه الناس حول بيان حقيقة الإيمان شرعاً ، وأما مسائل أخرى في الإيمان تأتي إن شاء الله .

(وأن جميع ما أنزل الله في القرآن وما صح عن رسول الله ﷺ من الشرع والبيان كله حق)

الشرح :كل ما صح من الشرع والبيان نؤمن بأنه حق هذا مذهب أهل السنة والجماعة .

(والإيمان واحد وأهله في أصله سواء)

الشرح : هذا على منهج الأحناف — مرجئة الفقهاء — الإيمان عندهم واحد وهو التصديق فقط ، وأما النطق باللسان فلا يدخل في الإيمان ، الإيمان يقوى ويضعف ، كالنور لكن بعض النور أقوى من بعض ، فأبو بكر وأنا وأنت كلنا في أصل الإيمان سواء ، إلا أن أبا بكر يفضلنا بقوة الإيمان وبقوة التقوى .

ولا يقرون بأنه يزيد وينقص ، لأن الإيمان عندهم شيء واحد ، وإذا كان شيئاً واحداً فإنه لا يزيد ولا ينقص(٢) ، وأهله يختلفون فيه فيما يتعلق بالتقوى والهدى ، يعني فمن كان أتقى فإيمانه أقوى ، ولا يقولون إن إيمانه أكثر لأن الزيادة تكون في العمل والقول وهما ليسا من الإيمان(٣) .

فكلما أكثر المؤمن من الذكر والتسبيح والتحميد زاد إيمانه وكلما أكثر من العمل الصلاة والزكاة ونحوها زاد إيمانه ، وإذا كانوا لا يدخلون هذه الأمور في الإيمان فهم لا مفر لهم من أن يقولوا إنه شيء واحد لا يزيد ولا ينقص .

فأما مذهب أهل السنة والجماعة فأدلته كثيرة من الكتاب والسنة (إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون)(سورة الأنفال آية:٢)

---

(١) من بدهيات مذهب أهل السنة أنهم يكفرون بالقول والفعل والترك والاعتقاد والشك ، ينظر نواقض الإيمان القولية والعملية للشيخ عبدالعزيز بن عبداللطيف ص ٣٦ وما بعدها .

(٢) ينظر الإيمان عند السلف وعلاقته بالعمل لمحمد بن محمود آل خضير ١/٢٧٥ .

(٣) سبق ص ٢٦١ قول الشيخ : لما كان التصديق لا يعرف إلا بالنطق باللسان (يعني عند الأحناف) قالوا : النطق باللسان ركن وليس جزء من الإيمان لأنه لا يُعرف هل هو مصدق بالله أو ليس بمصدق ، أما العمل عندهم فإنه أطلق على الإيمان مجازا .

وزادتهم إيمانا نص ، كذلك قوله ﷺ : (الإيمان بضع وسبعون شعبة) فالتصديق واحد ، والرسول ﷺ قال : (بضع وسبعون شعبة) وهذا مما يدل على أن الإيمان غير التصديق ، فإذا كان بضعا وسبعين شعبة إذاً فهو عدد ، ولهذا مثّل بقول : (أعلاها قول لا إله إلا الله) وقول لا إله إلا الله ليس من التصديق ، (وأدناها إماطة الأذى عن الطريق)(١) وإماطة الأذى عن الطريق عمل من أعمال الجوارح ، سماه : (الإيمان) .

فالنصوص كثيرة في القرآن والحديث على أن الإيمان يزيد وينقص ، أما الأحناف فقالوا إنه شيء واحد لا يزيد ولا ينقص وقالوا : الأعمال لا تكون معه ولا تسمى إيماناً ، لا يجوزون أن يطلق على الأعمال إيمان لأن حقيقة الإيمان التصديق .

واستدلوا على هذا بقوله سبحانه وتعالى (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات) قالوا :

لو كان العمل من الإيمان لما صح عطفه عليه ، لأن العطف يقتضي المغايرة ، ورد عليهم القائلون بزيادة الإيمان ونقصانه بأن العطف وإن كان في الأصل للمغايرة إلا أنه قد يأتي ولا يقصد منه المغايرة فقد يعطف الشيء على نفسه لاعتبارات أخرى كقوله تعالى (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى)(سورة البقرة آية:٢٣٨) فالصلاة الوسطى داخلة في الصلوات ومع هذا عطفها على الصلوات وكذلك قوله (من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال)(سورة البقرة آية:٩٨) جبريل من الملائكة ومع هذا عطفه عليه ولكن هذا عطف خاص على عام وهو داخل في ذلك العام والنكتة من عطفه لبيان ما له من القدر والفضل ، وجبريل من الملائكة وصلاة العصر من أفضل الصلوات فكان ذكر جبريل مرتين وذكر صلاة العصر مرتين يدل على زيادة الأهمية فعطف الشيء على نفسه جائز إذا كان العطف خاصاً على عام لبيان العناية والفضل بالمعطوف ، وكذلك العكس عطف العام على الخاص كقوله سبحانه وتعالى(رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمناً وللمؤمنين والمؤمنات)(سورة نوح آية:٢٨) فالمؤمنين عُطفوا على من دخل بيت النبي نوح عليه السلام وهم أعم ، وهذا كثير جداً ويأتي في القرآن وغير القرآن يعطف الشيء على نفسه لأجل بيان فضله ومزيته العامة .

---

(١) رواه البخاري (٩) ومسلم (٣٥) وبقية أصحاب السنن .

(والتفاضل بينهم بالخشية والتقى)

الشرح : مقصوده الكيفية ، أي القوة والضعف ، وليس قصده الزيادة والنقصان ، لأنها ليست عندهم كما سبق ، وإنما قصده التصديق الذي يكون في قلب الإنسان ويعقد عليه يختلف من شخص لآخر ، فأحدٌ إيمانه قوي جدا كمحمد عليه الصلاة والسلام ، وجبريل عليه السلام ، وأحدٌ إيمانه ضعيف كسائر الناس ، فالشيء الواحد يكون قويا ويكون ضعيفا ، لكن لا يزيد ولا ينقص ، وهذا يرد عليهم بالنصوص التي سبق ذكر بعض منها التي صرحت بأن الإيمان يزيد وينقص .

(ومخالفة الهوى وملازمة الأولى)

الشرح : مخالفة الهوى يعني الاستقامة على أمر الله وجهاد النفس عن ارتكاب المعاصي التي تميل إليها النفس وهوى الإنسان .

(والمؤمنون كلهم أولياء الرحمن ، وأكرمهم عند الله أطوعهم وأتبعهم للقرآن)

الشرح : المؤمنون حقاً هم أولياء الرحمن ، وأما أكثرهم ولاية فهو أطوعهم الله سبحانه وتعالى .

(والإيمان هو : الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره ، وحلوه ومره من الله تعالى)

الشرح : الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والإيمان بالقضاء والقدر ، هذه الأصول الستة هي التي تضمنها حديث عمر ﵁ حينما جاء جبريل إلى النبي ﷺ في صورة رجل فقال أخبرني عن الإسلام ، قال : (أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان ، قال جبريل : صدقت ، قال الصحابة رضوان الله عليهم عجبنا له يسأله ويصدقه ، ثم قال : أخبرني عن الإيمان قال : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره)(١) .

أما الإيمان بالله فمعناه التصديق الجازم الذي لا يتطرق إليه شك بأن الله سبحانه وتعالى موجود وأنه متصف بصفات الكمال وأنه لا يتطرق إليه شيء من صفات النقص أو العيب ، وأنه المعبود وحده دون غيره ، وأنه الخالق الرازق وحده دون غيره ، ولا يكون العبد مؤمنا بالله إلا إذا حقق

---

(١) رواه البخاري (٤٧٧٧) ومسلم (١).

هذه الأمور ، أن يؤمن بوجود الله وكماله وأن يؤمن بوحدانيته في العبادة ، وأن يؤمن بوحدانية الله في الربوبية ، فإذا أقر بأن الله موجود وأنه كامل وأثبت له صفات الكمال ونزهه عن النقائص والعيوب وأقر إقراراً جازما بأن العبادة خاصة بالله وأنه لا يجوز صرف شيء منها لغير الله واعتقد اعتقادا جازما بأنه لا يخلق ولا يرزق ولا يدبر ولا يتصرف في العالم إلا الله سبحانه وتعالى فقد أصبح مؤمنا بالله .

والإيمان بالملائكة كذلك هو الاعتقاد بأن لله سبحانه وتعالى ملائكة يدبرهم ويستعملهم فيما يشاء سبحانه وتعالى من الأعمال ، وأن أعمالهم ومهماتهم مختلفة ، منهم من وكل بالقطر ومتابعة السحاب ، ومنهم وكل بالنبات ومنهم من وكل بقبض أرواح العباد ومنهم من وكل بالوحي يأتي به من الله إلى رسله كجبريل ومنهم من وكلوا بكتابة أعمال العباد وهم الكاتبان ومنهم من وكل بحفظ الإنسان وهم الحفظة . والملائكة عند أهل السنة والجماعة عباد اصطفاهم وأكرمهم خلقهم من نور ، وهم نورانيون علويّون مختلفون عن بني آدم .

وهنالك فرق ضالة تفسر الملائكة بغير ما دل عليه الكتاب والسنة كالفلاسفة الذين يقولون إنهم قوى عقليه تدبر الكون ، وليس لها أجسام وليس لها عقول وهي قوة عقلية .

على كلٍ حتى من المسلمين من أخطئوا في بيان حقيقة الملائكة في اعتقادهم ، ومنهم مُحَمَّد عبده الذي يسمونه الإمام الأكبر ، ومنهم مُحَمَّد رشيد رضا ، يقولون : إن الملائكة هم عبارة عن القوى التي تُعْمل الحيوان وتُعْمل النبات ، فقوة النمو في النبات يقولون : هي من الملائكة ، وقوة النمو في الإنسان من ملائكة وهكذا ، وهذا ضلال كبير .

العلماء إذا بحثوا الإيمان بالملائكة تعرضوا إلى المقارنة بينهم وبين صالحي البشر : أيهم أفضل فمن المسلمين من يفضل الملائكة على صالحي البشر ومنهم من يفضل صالحي البشر كالرسل على الملائكة وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة(١) ، ومن أهل السنة من يميل إلى ما ذهبت إليه المعتزلة من تفضيل الملائكة على صالحي البشر ، والمقارنة أطال عليها الكلام شارح الطحاوية ، وذكر أدلة هؤلاء وهؤلاء وقارن بين هذه وهذه وناقشها بكلام لا طائل تحته .

ثم الذي يلزمنا ومكلفون به هو الإيمان بوجود الملائكة وأنهم عباد مطيعون لله سبحانه وتعالى في أوامره ونواهيه أما هل هم أفضل أو صالحو البشر أفضل فهذا شغل وقتٍ بدون فائدة .

---

(١) يقول ابن القيم رحمه الله : ومن ذرية آدم من هو خير من الملائكة . انظر بدائع الفوائد ٤/ ١٥٥٩ ت علي العمران .

(ونحن مؤمنون بذلك كله لا نفرق بين أحد من رسله ونصدقهم كلهم على ما جاؤوا به)

الشرح : ونحن مؤمنون بذلك كله مثل ما سبق من أصول الإيمان ، مؤمنون بالله مؤمنون بملائكته ومؤمنون بكتبه ومؤمنون برسله ومؤمنون باليوم الآخر ومؤمنون بالقضاء والقدر ، ولا نفرق بين رسله فنقول نؤمن بهذا ونكفر بهذا ، كطريقة الكفار الذين يقولون (نؤمن ببعض ونكفر ببعض) (سورة النساء آية:١٥٠) أما نحن فالواجب علينا الإيمان بجميع رسل الله أنهم رسل من عند الله وأنهم أمروا بتبليغ قومهم لكن لا يلزمنا العمل برسالاتهم وشرائعهم لأن شريعة مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم نسخت شرائعهم .

أما اليهود فإنهم يؤمنون بموسى عليه السلام وينكرون رسالة عيسى ورسالة مُحَمَّد ﷺ، والنصارى يؤمنون بعيسى عليه السلام وينكرون رسالة مُحَمَّد ﷺ ويعارضونها ، وهذا هو الكفر ، وهؤلاء هم الذين يقولون : (نؤمن ببعض ونكفر ببعض) .

ويُلحق بهذا لو رأينا إنسانا يحكّم بعض نصوص الشريعة ويرفض تحكيم بعضها ، ويحكّم بدلا منها القانون فإنه داخل في عموم قوله تعالى : (نؤمن ببعض ونكفر ببعض)(سورة النساء آية:١٥٠) فإنه إذا حكم بعض الأمور كأنه آمن بها ، وإذا رفض تحكيم بعض الشريعة فكأنه كفر بها ، فهو داخل في هذه الآية .

أما الإيمان بالكتب فحقيقته الاعتقاد الجازم بأن الله سبحانه وتعالى أنزل إلى رسله كتباً وأمرهم بتبليغها لقومهم ودعوهم بهذه الكتب إلى توحيد الله وإلى شرع الله ، ما ذكر مفصلا فنؤمن به مفصلا ، فنؤمن بأن الله نزل على موسى التوراة ونؤمن بأن الله نزل على عيسى الإنجيل ونؤمن بأن الله نزل على إبراهيم صحفا وعلى داود الزبور وعلى مُحَمَّد القرآن ، أما الإجمال فهو أننا نؤمن بصحة كل كتاب ثبت أن الله سبحانه أنزله على نبيه ، نؤمن به بمعنى أننا نصدق به وليس معنى ذلك أننا نعمل به .

واليوم الآخر معناه أننا نؤمن بأن الله تعالى سيبعث الناس يوم القيامة بعثا حقيقيا يبعث أرواحهم وأجسادهم ، وأن هناك حياة أخرى يدانون فيها على أعمالهم أو يجازون ، وسوف يأتي لهذا استطراد إن شاء الله .

(وأهل الكبائر من أمة مُحَمَّد ﷺ في النار لا يخلدون ، إذا ماتوا وهم موحدون ، وإن لم يكونوا تائبين ، بعد أن لقوا الله عارفين مؤمنين ، وهم في مشيئته وحكْمه ، إن شاء غفر لهم وعفا عنهم بفضلة ، كما ذكر عز وجل في كتابة (ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) وإن شاء عذبهم في النار بعدله ، ثم يخرجهم منها برحمته وشفاعة الشافعين من أهل طاعته ، ثم يبعثهم إلى جنته ، وذلك بأن الله تعالى مولى أهل معرفته ، ولم يجعلهم في الدارين كأهل نكرته ، الذين خابوا من هدايته ، ولم ينالوا من ولايته ، اللهم يا ولي الإسلام وأهله ثبتنا على الإسلام حتى نلقاك به)

الشرح : الكبائر جمع كبيرة ، والكبيرة هي الذنب والمعصية الكبيرة .

والكبيرة أصلها وصف ، لكن غلبت عليها الاسمية وأصبحت كأنها اسم مستقل ، وإلا فهي صفة لاسم قبلها ، أي المعصية الكبيرة أو الخصلة الكبيرة أو ما أشبه ذلك .

وقد اختلف العلماء في ضابط الكبيرة على أقوال كثيرة جداً أوصلها بعضهم إلى أربعين قولا ، لكن المهم منها أن الذي عليه أهل السنة والجماعة أن الكبيرة : هي كل ذنب ثبت فيه حد في الدنيا أو وعيد في الآخرة بغضب أو لعنة أو نار ، كالزنا والسرقة أو البراءة من الشخص الذي يفعل ذلك ، كما في قوله (: (من غشنا فليس منها)(١) .

وهذا التعريف من أحسن ما حدّت به الكبيرة لأمور منها :

أولا : أنه مضطرد منعكس ، بمعنى أنه جامع مانع فلا يخرج منه شيء من الكبائر ولا يدخل معه شيء من الصغائر .

ثانيا : من مرجحات هذا التعريف أنه مروي عن السلف رضوان الله عليهم كبعض الصحابة ، وبعض الأئمة الذين عرفوا الكبيرة بهذا التعريف .

وأما التعاريف الأخرى فكلها إما أن تكون جامعة غير مانعة أو مانعة غير جامعة أو لا جامعة ولا مانعة .

من التعاريف الأخرى قول من يقول إن الكبيرة هي كل ذنب اتفقت الشرائع على تحريمه ، وهذا التعريف غير جامع ، لأن الشرائع اختلفت في تحريم الخمر ، فبعض الشرائع تحرمه وبعض الشرائع تبيحه ، وعلى هذا التعريف يكون شرب الخمر صغيرة ، لماذا ؟ لأن الشرائع اختلفت فيه ، إذاً فهو غير جامع لخصال الكبيرة ، وهو غير مانع أيضا ، فإن هناك من الصغائر ما أجمعت الشرائع على تحريمها ، فالكذب مجمع على تحريمه في جميع شرائع الرسل ، والسرقة مجمع على تحريمها في جميع

---

(١) رواه مسلم (١٠١) وأبو داود (٣٤٥٢) والترمذي (١٣١٥) وابن ماجه (٢٢٢٤)

شرائع الرسل ، ونجد في شريعتنا أن من الكذب ما هو صغيرة ،مثلوا لهذا فقالوا : لو أن إنسانا كذب كذبة صغيرة لا يترتب عليها ضرر على أحد ولا فساد فإنها تعد من الصغائر ، وكذلك من السرقة ماهو صغير ، مثلوا لذلك فقالوا : لو أن أنسانا سرق حبة برٍّ أو تمرة من مخزن فيه مئات الأطنان ، قالوا هذا ليس بكبيرة ، وإن كان سرقة لعدم تعلق البال والاهتمام به لزهادته وقلته .

ومن الناس من قال إن الكبيرة ليس لها ضابط ، لأن كل ذنب كبيرة بالنسبة لما دونه ، صغيرة بالنسبة لما فوقه ، وهذا يخالف ما جاء في القرآن والحديث من تسمية الذنوب كبائر .

ومنهم من قال الكبيرة هي كل ذنب سدّ باب المعرفة بالله وهذا لا ضابط له لأن الذنوب كلها قد تحجب الإنسان عن معرفة ربه وعن الإقبال إليه حتى الصغائر .

وهناك تعاريف كثيرة أخرى لا يتسع المجال لاستعراضها .

قوله : (وأهل الكبائر من أمة مُحَّد ﷺ في النار لا يخلدون إذا ماتوا وهم موحدون) هذا أصل من أصول أهل السنة والجماعة ، أن من مات من أمة مُحَّد فإنه لا يخلد في النار ، بل يكون إما أن يعامله الله سبحانه وتعالى بعفوه وفضله فيكفّر عنه سيئاته ويدخله الجنة من أول وهلة ، وإما أن يعامله بعدله فيعذبه في النار بقدر ذنوبه ثم يخرجه منها إلى الجنة ، فمآل الموحد إذا مات وعليه ذنوب مصرّ عليها – مآله إلى الجنة ، سواء طهر في النار أو أدخل الجنة دون تعذيب ، بشرط أن لا تكون هذه الذنوب شركا .

أما الشرك فلابد من أن يأخذ المشرك عقابه ، فإذا كان شركه أكبر فإنه لابد له من النار ولابد له من الخلود فيها ، وإذا كان شركه أصغر فإنه يعذب في النار ولابد ، لقوله سبحانه وتعالى : (إن الله لا يغفر أن يشرك به) ولكن يخرج من النار بعد التطهير .

إذاً الفرق بين الشرك الأصغر والكبيرة أن الكبيرة قد يعفى لصاحبها وقد يؤاخذ ، أما الشرك الأصغر فلابد أن يؤاخذ ولا بد أن يطهر في النار بقدر شركه .

فالفرقة الأولى : أهل السنة والجماعة يقولون من مات وهو مرتكب للكبيرة من غير توبة فإنه إما أن يعفو الله عنه وإما أن يدخله النار ثم يخرجه منها إلى الجنة .

ومنشأ مذهبهم هو الأخذ بأحاديث الوعيد وأحاديث الوعد والجمع والتوفيق بينهما وتخصيص العام وتقييد المطلق .

وأما غير أهل السنة والجماعة من فرق المسلمين فإن الخوارج يكفرون مرتكب الكبيرة بارتكابه لهذه الكبيرة ، يخرجونه من الإيمان ويحكمون عليه بالكفر ويخلدونه في النار إذا مات من غير توبة .

وأما المعتزلة فإنهم أيضاً يخرجونه من الإيمان بمقدار الكبيرة ، ولكن لا يدخلونه في الكفر كما تفعل الخوارج ، وإذا أخرجوه من الإيمان منهم من يقول هو في المنزلة بين المنزلتين – بين الإيمان والكفر – لا يسمى مؤمنا ولا يسمى كافرا ، ومنهم من يقول هو فاسق ولكن في الآخرة إذا مات من غير توبة يتفقون مع الخوارج على أنه خالد مخلد في النار .

ومنشأ مذهبهم أنهم أخذوا أحاديث الوعيد وأهملوا أحاديث الوعد ونبذوها وراء ظهورهم .

الفرقة الرابعة : المرجئة المحضة كالجهم بين صفوان وأتباعه هؤلاء يقولون إن الكبائر لا تضر ، فلا يضر مع الإيمان ذنب ، أي ذنبٍ ارتكبه ، سواء ارتكب المحرمات أو ترك الواجبات ، فلو لم يصل ولم يحج ، ولو ارتكب الزنا والسرقة والقتل وشرب الخمر وغير ذلك فإنه لا يضره ذلك كله ما دام مؤمنا .

والإيمان عندهم هو معرفة الله ، فما دام عارفا بالله فلا يضره ذنب .

ومنشأ مذهبهم أنهم اعتمدوا على نصوص الوعد وأهملوا نصوص الوعيد فلم يلتفتوا إليها .

(ونرى الصلاة خلف كل بر وفاجر من أهل القبلة وعلى من مات منهم)

الشرح : هذا هو أصل مذهب أهل السنة والجماعة أنهم يطيعون الإمام الشرعي – الإمام الأعظم أو نائبه – ويجاهدون معه ويؤدون الجمع والجماعات خلفه سواء كان برا أو فاجرا ، ولا يردهم في ذلك كونه فاسقا أو جائرا أو ظالما ، فالصلاة خلف الأئمة الفجار هي طريقة أهل السنة والجماعة رضوان الله عليهم ، ولا يقتضي فسق الإمام أو جوره – لا يقتضي معصيته والخروج عليه ، لكن بشرط أن يكون آمراً بالمعروف ناهيا عن المنكر محكما لكتاب الله وسنة نبيه ﷺ أما إذا حصل منه ما يخرجه من الإسلام فإنه لا يجوز الصلاة خلفه ، ولا تجوز الصلاة عليه أيضا إذا مات (١) .

والإمام الأعظم هو :

١ – من نصّبه المسلمون – انتخبوه – إماما عليهم .

٢ – أو من عَهِدَ له الإمامُ السابق بالإمامة ، ووافقه المسلمون على ذلك .

٣ – أو من استولى على السلطة وخضعت له الأمة ، ودانت له ، وأصبح هو الحاكم .

---

(١) أشار الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن رحمه الله أن المؤمن قد يصلي خلف المرتدين إذا كان لهم شوكة ودولة ويعيد صلاته ، وقد نقل عن عبدالله بن أحمد أن الإمام أحمد كان يعيد صلاة الجمعة وغيرها إذا صلاها خلف المرتدين ، (الدرر السنية ١٠ / ٤٢٢ بتصرف) .ونقل أبو الحارث عن الإمام أحمد النهي عن الصلاة خلف المبتدع ، إلا إذا خافه فيصلي ثم يعيد ، أنظر المسائل والرسائل المروية عن الإمام احمد بن حنبل في العقيدة ٢ / ٤١٥ لعبدالاله الأحمدي

فمثل هؤلاء الثلاثة هم الأئمة الذين يصلى خلفهم .

أما إذا حصل من أحدهم ما يقدح في إيمانه وإسلامه ويخرجه من الإسلام ، كالردة ، أو الحكم بغير ما أنزل الله ، أو كإلزام المسلمين بالمعاصي ، أو نهيهم عن أداء الواجبات ، فإن هذا لا يصلى خلفه ، كما لا يطاع في أمره ونهيه .

والصلاة خلف الفاسق – غير الإمام الأعظم – للعلماء رحمهم الله خلاف فيها ، منهم من يرى أن الصلاة خلف الإمام الذي نصبه الإمام الأعظم وعينه إماما للناس أن الصلاة خلفه صحيحة ولو كان فاسقا ، وهذا القول تدل عليه العمومات ، كقوله ﷺ لما سئل عن الأئمة الفجار قال : (يصلون لكم فإن أصابوا فلكم ولهم وإن أخطؤا فلكم وعليهم)(١) ، وكما جاء في بعض الأحاديث وإن كان فيه ما فيه ، قال : (صلوا خلف من قال لا إله إلا الله)(٢) ، و : (صلوا خلف كل بر وفاجر)(٣) ، وكما كان السلف رضوان الله عليهم يصلون خلف الأئمة الفجار كالحجاج وغيره وهم يعلمون أنه جائر ظالم ، كل هذه الأمور ترجح المذهب القائل بالصلاة خلف الإمام الفاسق مطلقا .

ومما يرجح ذلك من حيث المعنى أن الفسْق لا يبطل صلاة الإمام الفاسق إذا صلى فصلاته في نفسه ولنفسه صحيحة ، ولم يقل أحد من المسلمين إن صلاته باطلة ، فإذا كان كذلك فمن باب أولى أن تكون صلاة المأموم صحيحة ، وهذا هو أقوى ما يؤيد به ويرجح به هذا القول .

وهناك من الطوائف كالخوارج والمعتزلة من يقول إن الفسق يبطل إمامة الفاسق ولا يصح الائتمام به ، وإذا صلى إنسان خلفه وجب عليه إعادة الصلاة .

و مسألة الصلاة خلف الإمام الفاسق لها باب في الفقه – باب الإمامة – ولكن علماء العقيدة رحمهم الله جرت العادة أنهم يذكرونها في عقائدهم ، لأن هناك من الفرق الضالة من يخالف في ذلك كما ذكرتُ ، كالخوارج والمعتزلة فقد ذكر العلماء هذه المسألة في كتب العقائد للرد على تلك الطوائف الضالة التي ضلت في هذه لمسألة .

أما من أمّ الناس في الصلاة وهو فاسق ، وهو ليس الإمام ولا نائب الإمام فهذه المسألة جرى فيها الخلاف بين الفقهاء ، فالبعض أجاز الصلاة خلفه كالإمام الأعظم ، والبعض أبطلوها

---

(١) رواه البخاري (٦٩٤) .

(٢) رواه الدارقطني بأسانيد ضعيفة وقال : لا يثبت منها شيء .

(٣) رواه الدارقطني والبيهقي بإسناد ضعيف .

وقالوا إن النصوص التي وردت في الحث على الائتمام بالإمام الفاسق كلها تخص الإمام الأعظم ، وقالوا الصلاة باطلة ، ومذهب المتأخرين من الحنابلة أن الصلاة لا تصح خلف الإمام الفاسق إذا لم يكن هو الإمام الأعظم ، كما أشار إلى ذلك في زاد المستنفع في قوله : ولا تصح خلف فاسق كالكافر(١) .

وفي المسألة أقوال للعلماء وتفصيلات .

وكذلك الصلاة على من مات من الأئمة الفسّاق ، ومن الفساق غير الأئمة ، مذهب أهل السنة والجماعة أن الصلاة عليهم مشروعة ولا يجوز ترك الصلاة عليهم ، إلا بعض الفساق كالغال وكالقاتل لنفسه ، ومثل هؤلاء لا يصلي الإمام عليهم وإنما يصلي عليهم المسلمون .

وأما عامة فساق الأمة أعني غير الإمام ونائبه فهؤلاء مذهب أهل السنة والجماعة أن الصلاة عليهم جائزة ، بل هم أحوج في الصلاة عليهم من غيرهم ، لأن الصلاة على الميت معناها الدعاء له ، ومن مات على فسق أو ظلم فإنه أولى أن يصلى عليه من التقي النقي الذي لا تكون حاجته إلى دعاء المسلمين كحاجة الفاسق الظالم الجائر من أبناء المسلمين ، والرسول عليه الصلاة والسلام صلى على الغامدية رضي الله عنهما(٢) ، وعلى أمثالها من الذين ارتكبوا الذنوب ، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام لما قال له عمر تصلى عليها وقد زنت يا رسول الله قال : (لقد تابت توبة لو قسمت على سبعين من أهل المدينة لوسعتهم)(٣) والحاصل أن الراجح والذي يتمشى مع مذهب السلف الصلاة على كل مسلم مطلقا .

(ولا ننزل أحدا منهم جنة ولا ناراً)

الشرح : هذه مسألة القطع للمعين بالجنة أو النار ، هذه فيها ثلاثة أقوال :

القول الأول : قول السلف وجمهور والمسلمين أننا لا نقطع لمعين بجنة ولا بنار مهما كان عمله ، يعني لو كان ناسكا عابداً مجتهدا في الطاعات ولا نعرف عنه معصية ثم مات فإننا لا نقطع له بالجنة وإنما نرجو له الخير ، ولهذا يقولون نرجو للمحسن ونخاف على المسيء ، إلا من شهد له نص معصوم من القرآن أو من الحديث ينص على أن فلانا بعينة من أهل الجنة نقطع له بذلك ، كما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال : (إن سبعين ألفا من أمتي يدخلون الجنة بغير حساب ولا

---

(١) انظر حاشية الروض المربع لابن قاسم ٢ / ٣٠٦ – ٣٠٩

(٢) رواه مسلم (١٦٩٥)

(٣) رواه مسلم (١٦٩٦)

عذاب) فقام عكاشة ﷺ وقال يا رسول الله :أدع الله أن يجعلني منهم ، قال :(أنت منهم)(١) ، فهذه شهادة من النبي ﷺ لعكاشة بن محصن أنه من السبعين الفائزين الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب ، إذاً فقطعنا لعكاشة أنه في الجنة من شهادة النبي ﷺ له بذلك ، حتى على الرواية الأخرى أنه قال له : (اللهم اجعله منهم)(٢) وهذا يدل على أنه منهم ، وكذلك من الأمثلة ثابت بن قيس بن شماس ﷺ نشهد له بعينه أنه من أهل الجنة ، لأنه لما نزل قوله تعالى (يا أيها الذين أمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون)(سورة الحجرات آية:٢) وكان ثابت ﷺ جهوري الصوت ، لزم بيته يبكي وقال حبط عملي ، لأنه كان يرفع صوته عند النبي ﷺ ، ففقده النبي ﷺ فسأل عنه فقيل له هكذا فقال : ﷺ بل هو من أهل الجنة (٣) ، فشهد له بعينه ، وكذلك الخلفاء الأربعة وبقية العشرة كل هؤلاء نشهد لهم بالجنة بأعينهم .

وكذلك من شهد له النص أنه في النار فإنا تقطع بأنه في النار بعينه كعمرو بن لحي الخزاعي لعنه الله ، لأن النبي ﷺ أخبر أنه رآه ليلة أسري به يجر أمعاءه في النار ، فهذا نص من المعصوم عليه الصلاة والسلام أن هذا لشخص في النار ، وكذلك أبو لهب في قوله سبحانه وتعالى : (سيصلى ناراً ذات لهب)(سورة المسد آية:٣) ، الحاصل أن هذا القول الذي هو قول السلف وجمهور المسلمين أننا نقطع بالجنة ونقطع بالنار للشخص بعينة إذا شهد له نص من القرآن أو الحديث ، أما غيره فمهما كان عمله صالحا أو فاسدا فلا نقطع له بالجنة ولا بالنار .

قالوا دليل هذا المذهب أمران :

الأمر الأول : أننا لا نعلم ماذا تكون عليه خاتمة الإنسان ، من يعمل عملا صالحا لا ندري هل يستمر عليه إلى الوفاة أو يتركه ويرتد ويعود إلى الكفر وكذلك الكافر أو المشرك لا نقطع له بالنار لأننا لا نعلم ما هي الحقيقة أو الحالة التي يموت عليها ، والرسول عليه الصلاة والسلام أخبرنا أن العبرة بالخواتيم حيث قال : (إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً ، ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يرسل إليه ملك فيؤمر بأربع كلمات : يكتب رزقه وعمله وأجله وشقي أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح) ثم قال ﷺ : (والذي نفسي بيده إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار

---

(١) رواه البخاري (٥٧٠٥) و مسلم (٢١٦)

(٢) رواه البخاري (٦٥٤١)

(٣) رواه البخاري (٣٦١٣) ومسلم (١١٩) .

فيدخلها ، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها)(١)

الأمر الثاني : أننا لا نعلم بواطن الأمور ، فإذا رأينا إنسانا يعمل الصالحات ويكثر منها فقد يكون في الباطن بخلاف ذلك فقد يعمل الأعمال الصالحات وهو منافق كافر ، والعكس فقد يكون الإنسان يرتكب المعاصي وفيه من الإيمان والخوف والوجل والخشية والندم ، وهو في باطن أمره يكفر ذلك .

القول الثاني : هناك من يقول لا نقطع لمعين مطلقا إلا للأنبياء والرسل فقط ، وهذا لا يعرف له دليل خاص ، وهو قول قيل .

القول الثالث : أنهم يقولون نشهد لمعين بالجنة أو النار إذا شهد له النص أو إذا شهد له المسلمون ، يضيفون إلى المنهج الأول قولهم إذا شهد المسلمون لشخص بعينه ، وهؤلاء يستدلون بما ثبت عنه ﷺ أنه مر بجنازة فأثني عليها خيرا فقال : (وجبت) ومر بأخرى فأثنى عليها شراً فقال (وجبت) فقال عمر ﷺ يا رسول الله ما وجبت فقال : (هذا أثنيتم عليه خيرا وجبت له الجنة وهذا أثنيتم عليه شراً وجبت له النار أنتم شهداء الله في أرضه)(٢) .

ولكن هذا الحديث يجاب عنه بأن شهادة المسلمين للمعين تكون قرينه ترجح حالته التي هو عليها ولا تكفي للقطع بدليل قوله عليه الصلاة والسلام في الحديث الآخر : (توشكون أن تعرفوا أهل لجنة من أهل النار) قالوا بم يا رسول الله قال : (بالثناء الحسن والثناء السيئ ، أنتم شهداء الله بعضكم على بعض)(٣) ، فقوله : توشكون يدل على أنهم لا يقطعون وأن شهادتهم لا تكفي للقطع وإنما هي قرينه ، لأن توشكون من أوشك وأوشك معناها قرب .

فعلى هذا يكون المذهب الراجح هو الأول .

(ولا نشهد عليهم بكفر ولا بشرك ولا بنفاق ما لم يظهر منهم شيء من ذلك ونذر سرائرهم إلى الله تعالى)

الشرح : قوله : (ونذر) ندع ونترك سرائرهم إلى الله سبحانه وتعالى ما لم يظهر منهم فعل مكفر ، فمجرد إسرافهم في فعل المعاصي وتفريطهم في الطاعات لا نشهد بكفرهم بمجرد ذلك ، لكن لو

---

(١) رواه البخاري (٣٢٠٨) ومسلم (٢٦٤٣)

(٢) رواه البخاري (١٣٦٧) ومسلم (٩٤٩)

(٣) رواه ابن ماجه (٤٢٢١) و احمد في المسند بسند صحيح (١٥٤٣٩) ت التركي

ظهر من أحدهم فعل يكفر من المكفرات من ردة وغيرها فإننا نكفره .

(ولا نرى السيف على أحد من أمة مُحَمَّد إلا من وجب عليه السيف)

الشرح : ولا نرى السيف على أحد من أمة مُحَمَّد ﷺ ، وفي نسخه : (ولا نرى القتل على أحد من أمة مُحَمَّد ﷺ والمعنى واحد ، ومعنى ذلك أننا لا نحل دم أحد من المسلمين إلا إذا أوجب الشرع وأباح دمه ، كما قال عليه الصلاة والسلام : (لا يحل دم امرئ مسلم يشهد ألا اله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث :الثيب الزاني ، النفس بالنفس ، والتارك لدينه المفارق للجماعة)(١) هؤلاء نرى قتلهم ودمهم مباح ، كما قال ذلك عليه الصلاة والسلام .

وكذلك من جحد أركان الإسلام ورفض الإتيان بها فإنه يقاتل ويقتل حتى يأتي بها ، وكذلك تارك الصلاة عند كثير من السلف إذا تركها عمدا من غير عذر وخرج وقتها وضاق وقت ما تجمع إليه ولم يصلها فإنه يقتل ردة ، هذا مذهب أحمد رحمه الله وأصحابه و الأوزاعي والثوري وكثير من السلف ، يقولون من ترك الصلاة عمدا من غير عذر ودعي إليها ولم يصل فإنه يقتل ردة

قوله : **(إلا من وجب عليه شيء)**

الشرح : يعني إلا من حل قتله بمقتضى نص من نصوص الشريعة كما مثلنا .

(ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا وإن جاروا ، ولا ندعو عليهم ، ولا ننزع يداً من طاعتهم ، ونرى طاعتهم من طاعة الله عز وجل فريضة ما لم يأمروا بمعصية ، و ندعو لهم بالصلاح والمعافاة)

الشرح : قال سبحانه وتعالى : (يا أيها الذين أمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم)(سورة النساء آية:٥٩) فطاعة ولي الأمر عند السلف رضوان الله عليهم واجبة ما لم يأمر بمعصية ، ولا يكفي مجرد ظلمه أو جوره وفسقه لمعصيته والخروج عليه ، ولكن إذا حصل منه ما يضر بالإسلام كتعطيله للجهاد وكتعطيله للحدود وكأمره للناس بالمعاصي أو إباحتها للناس ، أو كنهي الناس عن الحج وغيره ، أو ارتد بأي فعل من أفعال الردة كتحكيم القوانين ونبذ الكتاب والسنة أو ما أشبه ذلك ، فمثل هذا لا يطاع ويخرج عليه إذا أمكن ، إذا قدرت الأمة على الخروج عليه وقد وصل إلى هذه الدرجة فلهم ذلك .

---

(١) رواه البخاري (٦٨٧٨) ومسلم (١٦٧٦) وغيرهما .

وطاعة ولاة الأمور وبذل الطاعة لهم يحصل به اجتماع الأمر وعدم الفتن وعدم التفرق وعدم الشقاق ، وهذه المصلحة مصلحة أكبر من المفسدة التي هي فسقهم أو ظلمهم أو معصيتهم ، لكن إذا كانوا يتعاطون ما يضر بأصول الإسلام فإنهم لا يطاعون في ذلك ولهذا ورد وعيد عنه ﷺ في ذلك حيث قال : (خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم وتصلون عليهم ويصلون عليكم ، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم) : قالوا يا رسول الله : أفلا ننابذهم بالسيف ؟ قال : (لا . ما أقاموا فيكم الصلاة)(١) يعني ما بقوا على الإسلام وتحقيق واجباته والنهي عن ارتكاب المحرمات من ارتكاب المعاصي وغيرها .

الله المستعان ، أئمة اليوم ما فيهم أحد ينطبق عليه هذا الحديث ، كلهم يحكمون القوانين ويعطلون الجهاد ويحتقرون القرآن والسنة ، ويوالون الكفار أعداء الله ويحبونهم وربما فضلوهم على المؤمنين وقدموهم عليهم ، وقدموا آراءهم على آراء المسلمين الصالحين فهذا كله يطعن في إمامتهم ويقدح فيها .

(ونتبع السنة والجماعة ونجتنب الشذوذ والخلاف والفرقة)

الشرح : السنة في اللغة معناها الطريقة ، وتطلق في الشرع على اطلاقات كثيرة :

تطلق تارة ويراد بها ضد البدعة ، فيقال هذا الأمر سنة وهذا الأمر بدعة .

وتطلق تارة في مقابل الكتاب ، فيقال هذا الأمر ثابت في السنة وهذا الأمر ثابت في الكتاب .

وتطلق تارة في مقابل الفرض ، فيقال هذا الأمر فرض وهذا الأمر سنة .

فأما السنة التي يطلقونها في مقابل البدعة فيراد بها طريقة السلف .

وأما السنة التي تطلق في مقابل القرآن فالمراد بها أقواله وأفعاله وتقريراته ﷺ فأي فعل فعله فهو من السنة ما لم يثبت بيان اختصاصه بذلك كالوصال مثلا ، وأي قول قاله أو أمر به فهو سنة ، وأي فعل فُعل عنده وأقره فهو من السنة أيضا .

وأما السنة التي تطلق في مقابل الواجب والفرض فهي التنفل الذي يؤديه المسلم نفلا ، يكون مسنونا ومطلوبا منه ومندوبا إليه لا على سبيل الوجوب بل على سبيل الاستحباب .

والذي يريده المؤلف هنا في قوله : (ونتبع السنة) يريد بالسنة ما يقابل البدعة .

قوله : (الجماعة) الجماعة في اللغة هم ما زادوا على اثنين فأكثر .

---

(١) رواه مسلم (١٨٥٥) وأبو داود (٤٧٦٠) وغيرهما.

وفي الشرع ما اجتمع عليه المسلمون ، أو جماعة المسلمين ، ولا ينظر لكثرتهم أو قلتهم بل من كانوا على الحق فهم الجماعة ، ولو كانوا قليلا ولو كان الذي على الحق واحداً فهو الجماعة كما قال سبحانه وتعالى عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام (إن إبراهيم كان أمة قانتاً لله حنيفاً ولم يك من المشركين)(سورة النحل آية:١٢٠) علما بأن إبراهيم واحد ولكن لما كان على الحق وصف بأنه أمة ، فالجماعة هم من كانوا على الحق ، سواء أكانوا أكثر من غيرهم أو أقل من غيرهم .

والكثرة غالبا تكون بخلاف الصواب كما قال سبحانه وتعالى (وإن تطع أكثر في الأرض يضلوك عن سبيل الله)(سورة الأنعام آية:١١٦) فالكثرة ليست عبرة في الإتباع والأخذ بل العبرة بالإتباع والأخذ هو ما كان عليه السلف الصالح ومثله عن النبي ﷺ ، وقد أشار عليه الصلاة والسلام إلى هذا المعنى في قوله : (افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقه وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقه وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقه كلها في النار إلا واحدة)(١) قيل من هم يا رسول الله ؟ قال : (من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي)(٢) وجاء في بعض ألفاظ الحديث أنه قال : (وهي الجماعة)(٣) .

أما قوله : (الشذوذ والخلاف) فهو مخالفة المسلمين والشذوذ عن طريقهم ، لأن اتباع جماعة المسلمين أصل من أصول أهل السنة والجماعة – يتبعون الجماعة ويجتنبون الفرقة والخلاف والشذوذ .

قوله : (والفرقة) معناها ما يقتضي تفرق المسلمين أو يقتضي إيقاع خلاف بين المسلمين في أمر من الأمور ، والشذوذ عن طريقة السلف رضوان الله عليهم ، والتفرق مذموم شرعا (إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء)(سورة الأنعام آية:١٥٩) ، (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا)(سورة آل عمران آية:١٠٣) ، وكثير في القرآن ذم الفرقة لأنها تحدث ضعفا في الأمة وانشقاقا وشرخا في قوة الأمة .

---

(١) رواه احمد في المسند (٨٣٩٦ ، ١٢٢٠٨) والترمذي (٢٦٤٠) وقال حديث حسن صحيح ، قال ابن تيمية (مجموع الفتاوى ٣٤٥/٣) : الحديث صحيح مشهور في السنن والمسانيد .

(٢) رواه الترمذي (٢٦٤١) وسنده حسن .

(٣) رواه أبو داود (٤٥٩٦) والدرامي ٢٤١/٢ واحمد (١٦٩٣٧) ، وابن ماجه (٣٩٩٢) .

والمسلمون كانوا في عصر الصحابة رضوان الله عليهم ومعظم التابعين على السنة إلى أن ظهرت رؤوس البدع التي حرفتهم عن السنة وأوجدت الفرقة والخلاف كما حصل من الذين أحدثوا مذهب القدرية في الأمة ومن الذين أحدثوا مذهب الروافض ومذهب الخوارج وغيرهم هؤلاء جاءوا بعد عصر الصحابة رضوان الله عليهم وإن كان بعض البدع والشبه والضلالات وجدت في عصر الصحابة كنفي القدر ، بل وجذور هذه البدع كانت موجودة في عصر النبي ﷺ:

فشبهة القدرية ونفي القدر كانت موجودة كما في قوله سبحانه وتعالى : (الذين قالوا لإخوانهم لو أطاعونا ما قتلوا)(١) هذا دليل على نفي القدر و أنهم ما أقروا بالقدر ولكن قالوا : (لو أطاعونا ما قتلوا) معناه أنهم ما التفتوا إلى القضاء والقدر وما نظروا إليه ولا أيقنوا بأن ذلك أمر مقدر عليهم .

وكذلك شبهة الجبرية أصلها موجود في قوله سبحانه وتعالى : (وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء) فقولهم هذا يساوي قول الجبرية تماما ، لأن معنى الآية أنهم يقولون لو شاء الله عدم إشراكنا ما أشركنا ولكنه شاء إشراكنا فأشركنا ، فهم يحتجون على جواز الشرك بالقضاء والقدر كونه أمراً مقدراً عليهم .

وكذلك شبهة الخوارج ظهرت بذورها في عهده ﷺ حينما قال ذو الخويصرة : يا محمد اعدل فإنك لم تعدل ، فقال عليه الصلاة والسلام : (ويلك من يعدل إذا لم أعدل)(٢) وفي لفظ قال : (يخرج من ضئضئ(٣) هذا الرجل قوم يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم عن الرمية)(٤) ، يعني الخوارج ، فأصول الشبهة موجودة على عهده ﷺ ، وظهر بعضها في عصر الصحابة ولكن ظهورها كمذاهب لها أصول ولها قوانين ولها أئمة جاء متأخرا كما ظهرت بدعة المعتزلة في أئمة المعتزلة كواصل بن عطاء وأبي هذيل العلاف وعمرو بن عبيد وغيرهم ، فظهور بدعة الخوارج كان في عهد علي رضي الله عنه في أواخر عهد الصحابة حينما خرجوا عليه وقاتلوه .

---

(١) يشير إلى قوله تعالى (الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا ۗ قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)[سورة آل عمران ١٦٨]

(٢) رواه البخاري (٣٦١٠) ومسلم (١٠٦٤)

(٣) أي من أصله ونسله . أنظر اللسان مادة ضأضأ . وذكر لنا الشيخ حمود رحمه الله في أحد دروسه أن عمود الظهر يسمى ضئضئ .

(٤) رواه البخاري (٣٣٤٤) ومسلم (١٠٦٤) .

وكذلك بدعة الرافضة أيضا خرجت في أواخر عهد الصحابة حينما دعا إليها اليهودي الذي جاء مدعيا الإسلام وسمى نفسه عبد الله بن سبأ ، فهذا وقت ظهورها وهو الذي تبناها ، علما بأنه أول من قاد الناس إلى بدعة الخوارج فإنه أول من خطط للخروج وقاد الناس حينما دعا إلى الثورة على عثمان ﷺ وقاد أهل الشام وبعض المتمردين للثورة المسلحة عليه ﷺ ، حتى قتلوه وخلعوه من الحكم .

الحاصل أن السنة والجماعة هي الطريقة التي كان عليها النبي ﷺ وأصحابه .

(ونحب أهل العدل والأمانة ونبغض أهل الجور والخيانة)

الشرح : العدل والأمانة معناهما أن يكون الإمام عادلا أمينا على حقوق الأمة ، والجور والخيانة معناه أن يكون الإمام جائرا ظالما وخائنا لأمته ودينه ، فهو يقول نحب هؤلاء ونبغض هؤلاء ، وليس معنى قوله : (نبغض أهل الجور والخيانة) ما يفهم منه أنه يدعوا إلى الخروج على الإمام إذا جار أو ظلم أو خان ، وإنما يبين أنه لا تلازم بين السمع والطاعة للإمام وبين بغضه ، فإنه يكون إماماً شرعياً ولو كان يبغضه المسلمون لظلمه وجوره وخيانته ، لأن هذا لا يقدح في إمامته ويبيح الخروج عليه .

لكن الخيانة تختلف ، إذا كانت الخيانة تضر الإسلام ومسيرة الإسلام بأن كانت الخيانة هي تقريب الكفار وموالاتهم والاعتماد عليهم دون المسلمين ، أو كانت الخيانة معناها تعطيل شرائع الله وإبدالها بتحكيم القوانين فهذه الخيانة تبيح الخروج على الإمام .

أما الخيانة التي معناها أخذ أموال الناس أو محاباته في الوظائف أو الأعمال فهذه خيانة ولكنها لا تقتضي الثورة عليه والخروج عليه .

(ونقول الله أعلم فيما اشتبه علينا علمه)

الشرح : يعني ما علمناه قلنا به واعتقدناه وحكمنا به ، وما اشتبه علينا علمه نرد علمه إلى عالمه كما أشار سبحانه إلى ذلك في قوله (فأما الذي في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله)(سورة آل عمران آية:٧) وكما جاء عن عائشة ﷺ أن النبي ﷺ قال : (إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم)(١) يعني سماهم بقوله تعالى : (وأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة) .

---

(١) رواه البخاري (٤٥٤٧) ومسلم (٢٦٦٥) .

الحاصل أن المسلم يجب عليه تجاه نصوص القرآن والحديث أنه إذا علم معنى النص اعتقده إن كان عقيدة ، أو عمل به إن كان شريعة ، أو صدقه إن كان خبرا ، وإذا اشتبه عليه ذلك فإنه يرد إلى الله ، فيقول الله أعلم بذلك .

والمؤلف يشير رحمة الله إلى ما حدث للأمة من التفرق والاشتباه بسبب الشبة التي تعْرِض للناس ، فمن أجل هذا الاشتباه ومن أجل عدم رده للمحكم يقع العبد في الخطأ ، سواء كان خطأ اعتقاديا أو خطأ شرعياً ، فعلينا الإيمان بما علمناه والتصديق به والعمل به ، وعلينا تجاه المتشابه أن نرده إلى الله سبحانه وتعالى إلا إذا أمكن تبيينه بالمحكم فإننا نرده إلى المحكم ونبينه به .

(ونرى المسح على الخفين في السفر والحضر كما جاء في الأثر)

الشرح : المسح على الخفين مسألة فرعية فقهية محضة .

ولهذا يُسأل : لماذا ذكر المؤلف رحمه الله مسألة المسح على الخفين في المعتقد وهي من مسائل الفقه ؟

يجاب عن هذا كما قلت في مسألة الإمامة : أنه لما كان هناك من يعارض أو ينكر هذه السنة الثابتة كالرافضة جرت عادة المؤلفين في المعتقدات أن يذكروا هذه المسألة ليبينوا أن السنة الأخذ بها وأن عدم إتباعها من علامات الابتداع و الرفض .

والمسح على الخفين ثابت عنه ﷺ في أحاديث كثيرة ، قال الإمام أحمد رحمه الله ليس في نفسي شي من المسح ، فيه أربعون حديثا عن النبي(١) ﷺ ، وذهب الجمهور إلى أن أحاديث المسح من قسم المستفيض ، ولكن ذهب علماء الحديث إلى أنها من المتواتر ولذا ذكرت مع بعض المسائل التي ذكر أنها متواترة ، وقد جمعها بعضهم في بيتين :

مما تواتر حديث من كذب

ومن بنى لله بيتا واحتسب

شفاعة ورؤية والحوض (٢)

---

(١) انظر المغني لابن قدامة ٣٦١/١ ت التركي .

(٢) ينظر نظم المتناثر من الحديث المتواتر لمحمد بن جعفر الكتاني ١ / ١٨

مما تواتر عند هذا الناظم حديث (من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعدة من النار)(١) وحديث : (من بنا لله بيتا بنى الله له بيتا في الجنة)(٢) وكذا الشفاعة ورؤية الله سبحانه ، وحوض نبينا مُحَمَّد ﷺ، هذه الأمور يرى صاحب هذا النظم أنها من المتواتر ، وكذا أحاديث المسح فقوله : ومسح الخفين وهذى بعض . أي هذه بعض ما جاء متواترا عن النبي ﷺ.

والمسح على الخفين تدرس في باب المسح على الخفين في الفقه ، والقواعد الثابتة أن المسح سنة ، وأنه للمقيم يوم وليلة وللمسافر ثلاثة أيام بلياليها ، وأن ذلك يكون في الحدث الأصغر وأما الحدث الأكبر فلابد فيه عند الاغتسال من خلع الخفاف ، ولابد أن يكون الخف مباحا طاهرا ساترا ، وأن يكون لبسه على طهارة .

وهناك مسائل كثيرة خالف فيها المبتدعة أهل السنة والجماعة وذكرت في المعتقدات ، منها مسألة الإمامة ومسألة المسح على الخفين كما ذكرنا ، وهناك مسائل أخرى كالحج والجهاد مع الإمام لكن التي يشتهر فيها الخلاف مع المبتدعة هي التي يذكرها أهل العلم في معتقداتهم .

(والحج والجهاد ماضيان مع أولي الأمر من المسلمين برهم و فاجرهم إلى قيام الساعة ، لا يبطلهما شيء ولا ينقضهما)

الشرح : أي قيادة الإمام للمسلمين في الحج ، هذا أمر واجب عند أهل السنة والجماعة لابد للمسلمين من إمام يقودهم ويدبر أمرهم فيه ، ولا ينقطع هذا الوجوب إلى قيام الساعة ، وكذلك الجهاد .

والجهاد واجب مع كل إمام براً كان أو فاجراً ، لا يشترط للإمام أن يكون تقيا براً ، لا في مسألة الجهاد ولا في مسألة الحج ولا في مسألة إمامة الجمع والجماعات بل إذا كان إماما للمسلمين أو نائبا لإمام المسلمين فإنه يصلي بالناس ويحج بهم ويقودهم في الجهاد ولو كان فاجرا ، لأن المصلحة تقتضي ذلك .

---

(١) رواه البخاري (١١٠) ومسلم (٣) .

(٢) رواه البخاري (٤٥٠) ومسلم (٥٣٣).

والجهاد هو ركن من أركان الإسلام فلا يتم إسلام بدون جهاد ، وهو دائم مستمر لا ينقطع حتى تقوم الساعة كما أخبر عليه الصلاة والسلام أن الهجرة باقية إلى قيام الساعة(١) والهجرة من الجهاد – مهاجرة الإنسان من بلاد الكفار إلى بلاد المسلمين نوع من الجهاد ، وجهاد الكفار كذلك واجب ، مات النبي ﷺ وهو واجب وفرض لم ينسخه شيء .
ووجوب الجهاد على الكفاية ، يعني يجب على المسلمين عموما أن يجاهدوا لكن وجوب كفائي إذا قام بالجهاد من يكفي من الأمة سقط التكليف والإثم عن الباقين ، إلا في بعض الحالات يكون فيها الجهاد فرض عين :

الحالة الأولى : لو استنفر الإمام شخصا بعينه وجب عليه النفور والالتحاق بالمجاهدين .

الحالة الثانية : إذا حضر المسلم المعركة وجب عليه نصرة المسلمين : إذا قامت معركة بين المسلمين والكفار وحضرها بعض من المسلمين وجب عليهم الدخول والقتال مع إخوانهم المسلمين ، ولا يقولون هذا فرض كفاية وإخوانهم فيهم كفاية .! لا . حتى لو كان فيهم الكفاية ، إذا حضروا تلاحم الصفوف والمعارك فإنه يجب عليهم وجوبا عينيا .

الحالة الثالثة : إذا حاصر العدو البلد ، وخيف من سقوطها بيده فإنه يجب على كل مسلم بعينه أن يقوم ويشارك في الدفاع عن البلد .
أما في غير هذه المسائل الثلاث فالجهاد فرض كفاية إذا قام به من يكفى سقط الإثم عن الباقين .
ولما كان الجهاد هو أساس قيام دولة المسلمين و نصرتهم ، وهو الذي به تقوى الأمة كان أعداء الإسلام يحاولون إيقاف الجهاد و إضعافه أو تعطيله ، ولهذا تجد أعداء الإسلام يوجدون جماعات وفرق تدعوا إلى تعطيل الجهاد ، كالقاديانية ، فإن من أصول القاديانية تعطيل الجهاد وعدم الوقوف في وجه الدولة ، فقالوا يجب على الناس أن يهملوا الجهاد ويعطلوه فلا يكون له أثر ولا مكان .
ومن الفرق التي تدعوا إلى ذلك جماعة التبليغ ، فإن من الأصول التي تدعو إليها تعطيل الجهاد وإيقافه ، وأن يكتفى عن الجهاد بالخروج للقرى والأرياف وغيرها للدعوة وتذكير الناس .

---

(١) روى أحمد (١٦٩٠٦) وأبو داود (٢٤٧٩) والنسائي (٤١٧٢) أن النبي ﷺ : (لا تنقطع الهجرة ما قوتل الكفار) .

وكلا الفرقتين حدوثهما كان من مؤامرات الإنجليز (١) ، فإن الإنجليز هم الذين أوجدوا القاديانية في الهند وباكستان وهم الذين أوجدوا جماعة التبليغ ودعوا إليهما في الهند وباكستان أيضا ، ولأنهم كانوا يعرفون أهمية الجهاد ويعلمون تحمس المسلمين للجهاد قاوموه بإحداث فرق تدعو إلى تعطيله وإيقافه .

ولا يقوم أمر المسلمين بدون الجهاد إطلاقا ، ولا ينفع في المسلمين سواه ، وهو هدفهم ومطلبهم ، لأن دولتهم ما قامت إلا على الجهاد ، ولهذا لما كادت تبدأ المعركة بين المسلمين والروم في غزوة مؤتة ورأى الروم صرامة المسلمين وحبهم للقتال وحرصهم على بدء المعركة أرسلوا رسولهم إلى خالد بن الوليد فقال الرسول لخالد : يقول لك القائد نحن نعلم أنكم ما أخرجكم من بلادكم إلاّ الحاجة والجوع وطلبكم للرزق فهل لكم أن نعطيكم أموالا لكم ولأميركم الذي أرسلكم وتكون عادة لكل سنة ؟ فقال خالد : قل له إنه واهم في ظنه هذا ، نحن ما خرجنا إلا للجهاد ، نحن قوم نحب دماء أعدائنا الكفار ، وقد ذكر لنا أنه لا أحلى من دم الروم فجئنا لنشرب من دمهم ، فلما سمع قائد الروم هذا الكلام انهارت معنوياتهم وضعفت ، وحصلت المعركة وأسفرت عما تعلمون .

---

(١) لجأ المحتل الصليبي الانجليزي لبلاد الهند قبل قرنين تقريبا إلى بعض من يتظاهر بالعلم لكي يستصدروا منهم فتوى تقول بأن الجهاد في حالة عدم التكافؤ بين قوة المسلمين وقوة المحتل عبارة عن عبث ومضيعة للنفس والمال ، وأن المستعمر مادام أنه لا يتدخل في الصلاة وأداء الفرائض فلا تكون البلاد الإسلامية المحتلة بلاد حرب ، وكان الغرض من هذه الفتوى هو إبطال الفتوى القديمة التي أصدرها الشيخ شاه عبدالعزيز الدهلوي ابن الإمام ولي الله الدهلوي (ت ١٢٣٩) سنة ١٨٠٣ م والتي تقول بأن دار الإسلام إذا احتلها الكافر فهي دار حرب ، ولو أقيمت فيها الصلاة والشعائر الإسلامية ، وقد كون المسلمون بهذه الفتوى جيشا لحرب الانجليز والسيك حتى وقفت ضدهم القاديانية وغيرها بعد وعد الصليبيين لهؤلاء الخونة ووعيدهم .

والجدير بالذكر أن الصليبيين أثّروا على أولئك المسترزقة لكي يحرضوا بعض علماء مكة المهاجرين من الهند ليؤيدوا فتواهم بمنع الجهاد ، وفعلا أصدرت تلك الفتوى عام ١٨٧٨ م بتوقيع تسعة منهم ، وهي فتوى تدل على مدى تخوف المحتل الصليبي من نشر فقه الجهاد بين المسلمين .

وفتوى الشيخ شاه ولي الله موجودة في كتاب (فتاوى عزيزية) للشاه عبدالعزيز باللغة الفارسية طبع دلهي ص ١٦ – ١٧ ، وفي كتاب (تاريخ الإسلام في الهند) . وفي فتاوى الشيخ عبدالرحمن السعدي ص٨٦ ذكر أن البحرين والعراق إبان احتلال الانجليز السابق تعتبران دار حرب وإن كان بها كثير من المسلمين لأن الحكم فيها والنفوذ للكفار ، وأحكام الكفر تجري فيها ، وهو قول ابن حجر (تحفة المحتاج ١٢/١٠٨-١٠٩) وقول إسحاق بن عبدالرحمن آل الشيخ (الأجوبة السمعيات ص ٧١) وابن سحمان (منهاج أهل الحلق ص ١٠٢) .

(ونؤمن بالكرام الكاتبين ، فإن الله قد جعلهم علينا حافظين)

الشرح : الكرام الكاتبون هم الملائكة الذين يكتبون أعمال العباد ، لأن الله سبحانه وتعالى وكل بالعبد عند بلوغه ملكين أحدهما عن اليمين والآخر عن الشمال يكتبون أفعال العبد وأقواله حتى النيات ، يطلعهم الله على ما ينويه الإنسان فيسجلونه ، والله سبحانه وتعالى أخبر عن ذلك في الكتاب العزيز فقال : (وإن عليكم لحافظين * كراما كاتبين * يعلمون ما تفعلون)(سورة الإنفطار آية:١٢-١٠) وقال بالنسبة لكتابة الأقوال : (ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد)(سورة ق آية:١٨) أما بالنسبة لكتابة ما يَهِمُ به العبد وينويه فيستدل عليه بقوله تعالى في الحديث القدسي : يقول الله تعالى لملائكته : (إذا هم عبدي بسيئة فلا تكتبوها عليه فإن عملها فاكتبوها سيئة ، وإذا هم بحسنة فلم يعملها فاكتبوها حسنة فإن عملها فاكتبوها عشرا)(١) ، وهذا دليل على أنهم يكتبون ما يَهِمُ به الإنسان ولا يقال إنهم يعلمون الغيب ، الله سبحانه وتعالى يطلعهم على ذلك فيعلمونه ويكتبونه .

وهناك ملائكة غير الكرام الكاتبين ، هناك ملائكة حفظة وهم الذين وكلوا بالإنسان يحفظونه من أمر الله أو يَحفظوا بأمر الله كما قال سبحانه : (له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله)(سورة الرعد آية:١١) الله سبحانه وتعالى جعل جماعات الملائكة المعقبين يحفظون الإنسان من ورائه ومن أمامه ، فقوله (يحفظونه من أمر الله) أي بأمر الله ، وليس المعنى أنهم يحفظونه ويمنعون أمر الله من أن يقع به ، بل يحفظونه وحفظهم له حاصل بأمر الله لهم بذلك ، وحرف (من) وحرف (الباء) كثيرا ما يتناوبان ، وله أمثلة كثيرة من قول العرب ، كقول الشاعر (٢) :

شربن بماء البحر ثم ترفعت ***متى لجج خضر لهن نئيج

فقوله : شربن بماء البحر ، أي شربن من ماء البحر ، فالباء هنا جاءت بدلا من (من) ، وكذلك (يحفظونه من أمر الله) ، (من) جاءت بدلا من (الباء) ، وقوله : شربن بماء البحر يعني روينا بماء البحر ، وشرب لا يعدى بـ (الباء) لا يقال شربت بماء كذا وإنما يؤول أو يفسر بروي ، وهذا كثير يأتي في اللغة العربية كقول الشاعر :

---

(١) رواه البخاري (٧٥٠١) ومسلم (١٢٨)

(٢) البيت لأبي ذؤيب الهذلي ، ينظر شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ت مُحَّد محي الدين عبدالحميد ١٠/٢

علفتها تبناً وماءاً بارداً ***حتى شتتْ همالة عيناها (١)

فالماء لا يعلف ، ولكن يقولون : إنه ضمنه فعلا يؤدي الأمرين ، ومعنى علفتها : (ناولتها) أو أعطيتها تبنا وماء ، أو أطعمها ، أو أن ذلك يؤول بوجه آخر فيكون هناك فعل محذوف هو العامل بالماء ، فيكون المعنى علفتها تبنا وسقيتها ماءا وهذا وجه آخر .

ومثل هذا البيت أيضا بيت الشاعر الذي يقول فيه :

إذا ما الغانيات برزن يوما * وزججن الحواجب والعيونا (٢)**

التزجيج خاص بالحواجب ، فخرج على أحد الوجهين ، كما خرج في البيت السابق ، قالوا إنه ذكر فعلاً – الذي هو التزجيج – يصلح للأمرين ، فيكون زججنا بمعنى حسنّ ، أي حسنّ الحواجب وحسنّ العيون ، وحسنّ تصلح للحواجب وتصلح للعيون ، أو الوجه الآخر : يقدر للعيون فعل مناسب محذوف فيكون المعنى : زججنا الحواجب وكحلنا العيون ، والتزجيج هو الأخذ من الحواجب مأخوذ من الزّج ، و زج الرمح دقيق جداً فتدقق حواجبها وتجعلها كزج الرمح .

والكرام الكاتبون ملائكة يتعاقبون ، كما قال ﷺ : (يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر ، ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم – وهو أعلم بهم – : كيف تركتم عبادي؟ فيقولون : تركناهم وهم يصلون ، وأتيناهم وهم يصلون)(٣) .

وقوله : (يتعاقبون فيكم ملائكة) استعمل ﷺ لغة : أكلوني البراغيث ، ولغة أكلوني البراغيث هي أن يأتي بعد ضمير المتكلم أو المخاطب أو الغائب اسم ظاهر .

(الواو) هنا في (يتعاقبون) عبارة عن فاعل ، لكن (ملائكة) ماذا نفعل بها ؟

قالوا يخرج على أحد ثلاثة أوجه :

١– إما أن يكون الاسم الظاهر بدلا من الضمير فيعرب إعرابه ، يكون الضمير هو الفاعل والاسم الظاهر الذي يأتي بعده بدلا منه ، فنقول الواو هنا فاعل و (ملائكة) بدل من الواو .

---

(١) البيت نسبه الفراء إلى بعض بني أسد في معاني القران ١ / ١٤ وفي ٣ / ١٢٤ نسبه إلى بعض بني دبير ، وانظر خزانة الأدب ٣ / رقم ١٨١

(٢) البيت للراعي النميري واسمه عبيد بن عمير ، ينظر شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ت محيي الدين عبدالحميد ٢٢١/٢

(٣) رواه البخاري (٥٥٥) ومسلم (٦٣٢)

٢- أو يقال تكون الجملة اسمية وملائكة مبتدأ مؤخر ، و (يتعاقبون فيكم) فعل وفاعل ،وتكون الجملة في محل رفع خبر مقدم كأنه يقول : ملائكة يتعاقبون فيكم ، فقدم الخبر على المبتدأ .

٣- وهناك وجه آخر وهو أضعف الوجوه : أن يجعل الضمير حرفا فيقال عند إعراب يتعاقبون : الواو حرف دال على الجمع ، وملائكة فاعل ، لكن هذا أضعف التوجيهات .

وهذه اللغة وإن كانت لقبيلة خاصة من العرب إلا أنها كثيرا ما تأتي في شعر الشعراء ، يقول الشاعر:

يلومونني في اشْتراء النخيـل أهلي ، فكلهمُ يعذل (١)

فأهلي بدل من الواو في يلوموني ، أو على حسب الأوجه الثلاثة التي سبقت .

ومثله قول الشاعر :

رأين الغواني الشَّيب لاح بعارضي

فأعرضن عني بالخدود النواظر (٢)

النون في رأين فاعل ، و الغواني إما بدل منه وإما مبتدأ مؤخر ، وإما أن تكون النون حرفا دالا على جمع النسوة كالتخريج السابق .

(ونؤمن بملك الموت الموكل بقبض أرواح العالمين)

الشرح : ملك الموت هو من ملائكة الله وكّله الله بقبض أرواح العباد ، فما من عبد يموت إلا وهناك ملك يقبض روحه ويسلمها إلى ملائكة الرحمة إن كان صالحا أو ملائكة العذاب - والعياذ بالله - إن كان غير ذلك ، كما قال سبحانه وتعالى : (قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم)(سورة السجدة آية:١١).

والكلام على ملك الموت عادة يتطلب الجمع بين آيات وردت في التوفي كقوله سبحانه وتعالى : (قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم) وقوله في آية أخرى : (الله يتوفى الأنفس حين موتها) (سورة الزمر آية:٤٢)وقوله في آية أخرى (حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا)(سورة المؤمنون آية:٩٩)

---

(١) ينظر شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ١/ ٤٢٧

(٢) ينظر شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ٤٢٨/١

ففي إحدى الآيات ملك الموت هو الذي يتوفى الأنفس وفي الأخرى الله هو الذي يتوفى الناس وفي الثالثة رسل الله هم الذين يتوفون الإنسان .

والجمع بين هذه الآيات متيسر والحمد لله :

وذلك أن الله يتوفى الأنفس بمعنى أنه قضى عليها الموت وأمر ملك الموت بقبضها ، فتوَفي الله معناه قضاء الأمر ، وتوفي ملك الموت هو مباشرةُ قبض أرواحهم ، وأما : (توفته رسلنا) فالمراد بهم ملك الموت وأعوانه ، لأنه يقبضها ثم يسلمها لأعوانه من ملائكة الرحمة أو ملائكة العذاب .

والإيمان بملك الموت من أصول أهل السنة والجماعة ، يؤمنون بأن هناك ملكا سخره الله وكلفه بتوفي عباد الله .

وقد يرد إشكال فيقال : كيف يمكن لملك الموت أن يقبض الناس لو مات جماعة في غرق أو حرق أو هدم أو في معارك يموتون جميعا ، كيف يتمكن من قبض أرواحهم جميعا وهو واحد ؟

والجواب عليه أن يقال : هذا السؤال يوجهه الذي لا يعلم قدرة الله سبحانه و تعالى ولا يتصور عظمة الله سبحانه وتعالى ، فإن الله يقدره على ذلك في لحظة واحدة ، ولهذا لو أن إنسانا قبل مائة سنة يتكلم في أمريكا ثم يسمعه العالم جميعا في لحظة واحدة هل يصدق ذلك ؟ لا يمكن أن يصدق ، لكن رأيناه الآن بأعيننا ، فما دام أنه أمكن في الدنيا أن يقع ما كان مستحيل التصور قبل مائة سنة – قبل أن يقع – فكذلك قدرته على قبض أرواح الناس جميعا في آن واحد متصور ، بمعنى أن الله يجعل ذلك في إمكانه وفي قدرته .

(وبعذاب القبر لمن كان له أهلاً ، وسؤال منكر ونكير في قبره عن ربه ودينه ونبيه ، على ما جاءت به الأخبار عن رسول الله (وعن الصحابة رضوان الله عليهم)

الشرح :من أصول مذهب أهل السنة والجماعة الإيمان بعذاب القبر في البرزخ لمن كان أهلا لذلك.

والبرزخ في اللغة : الفاصل كما في قوله تعالى (وجعل بينهما برزخا)(سورة الفرقان آية:٥٣) ، وسميت الفترة التي تبدأ بموت الإنسان وتنتهي ببعثته يوم القيامة برزخا لأنها تحجز بين الدنيا والآخرة ، وقد أشار القرآن إلى البرزخ في قوله سبحانه تعالى : (حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون * لعلي أعمل صالحا فيما تركت كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون)(سورة المؤمنون آية:١٠٠-٩٩) .

ومن أصرح الأدلة على عذاب القبر من كتاب الله قوله عز وجل : (النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب)(سورة غافر آية:٤٦) .

ومن أصرح ما ورد في السنة على ذلك قوله ﷺ في الحديث الذي رواه ابن عباس رضي الله عنهما قال مر النبي ﷺ على قبرين فقال : (إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير – وإنه لكبير – أما أحدهما فكان لا يستبرئ من بوله وأما الآخر فكان يمشي بين الناس بالنميمة) ثم دعا بجريدة فشقها نصفين ثم وضع على كل قبر شق ثم قال : (لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا)(١) .

مر بقبرين فقال (إنهما ليعذبان) خبر بمؤكدين (إن) و (اللام) لأن الخبر تارة يكون مجرداً وتارة يكون مؤكداً ، فالمجرد لو قال : يعذبان صاحبا هذا القبر أو صاحبا هذا القبر يعذبان ، هذا خبر مجرد مرسل عن التوكيد لكنه قال (إنهما ليعذبان) واللام هنا موطئه للقسم والخبر منه صلى الله عليه وسلم إذاً فنقطع بأن عذاب القبر يقع في البرزخ وأنه حق .

ومن أدلة عذاب القبر ونعيمة أيضا حديث البراء بن عازب ﷺ قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا كان العبد المؤمن في انقطاع من الدنيا وإقبال على الآخرة جاءته ملائكة كأن وجوهم الشمس ، فجلسوا منه مد البصر ، ثم يأتي ملك الموت فيجلس عند رأسه فيقول : أيتها الروح الطيبة أخرجي إلى روح وريحان ورب غير غضبان فتخرج تسيل كما تسيل قطرة من فيّ السقا ، فيأخذها ملك الموت فإذا أخذها لم يدعها ملائكة الرحمة في يده طرفة عين – وأخبر أن مع كل واحد منهم كفن وحنوط من الجنة ، فيضعون الروح في هذه الأكفان ويصعدون بها إلى السماء ثم يؤمرون بالرجوع بها إلى صاحبها – قال فيفسح له في قبره مد بصره ، ويفتح له باب إلى الجنة ويرى منزله فيها ، ويأتيه من روح الجنة ونعيمها من هذا الباب الذي فتح له) فهذا شاهد على نعيم القبر .

قال : (وإذا كان العبد الكافر في انقطاع من الآخرة وإقبال على الدنيا نزلت ملائكة سود الوجوه ومعهم المسوح – والمسوح هي نسيج من الصوف الخشن لكنها من نار – ويأتي ملك الموت ويجلس عند رأسه ويقول أيتها الروح الخبيثة أخرجي إلى غضب من الله وعذاب ، أو كما قال ﷺ قال فتتفرق في بدنه لا تريد الخروج إلى هذه العذاب ، قال فيجتذبها وينزعها كما ينزع السفود من الصوف المبلول – السفود الشوك إذا علق بالصوف يصعب جدا انتزاعه منه لاسيما إذا صار الصوف مبلولا – قال فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يضعوها في تلك الأكفان – والعياذ بالله – فيصعدون بها إلى السماء ثم لا يفتح لهم ويطرحونها في الأرض طرحا فتذهب إلى جسد صاحبها ثم يقعد ويفتح له باب إلى النار ويأتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه

---

(١) رواه البخاري (٦٠٥٥) ومسلم (٢٩٢).

قبره – والعياذ بالله – حتى تختلف إضلاعه) (١).

نسأل الله العافية ، وهذا من شواهد عذاب القبر والحديث مخرج في السنن ، والآثار من ذلك كثيرة ، منها أن يهوديتين دخلتا على عائشة ﵂ فقالتا : إن أهل القبور يعذبون في قبورهم ، قالت : فكذبتهما ، ولم أنعم أن أصدقهما فخرجتا ، ودخل علي رسول الله ﷺ فقلت له : يا رسول الله إن عجوزين من عجز يهود المدينة دخلتا علي فزعمتا أن أهل القبور يعذبون في قبورهم فقال : (صدقتا ، إنهم يعذبون عذابا تسمعه البهائم)(٢) .

وأما المعتزلة وبعض الملاحدة من فلاسفة وغيرهم فإنهم أنكروا عذاب القبر وقالوا لا يعقل أن الإنسان إذا مات وتحلل جسمه وتحول إلى مواد أخرى لا يقبل العقل أنه يعذب أبداً ، ولكن هذا اتباع للعقول الفاسدة التي هي أحقر من أن تدرك تلك الأسرار وتلك الحقائق التي تكون غائبة عنا.

وعذاب القبر يكون للمقبور وغير المقبور ، إذا مات الإنسان وهو مستحق لعذاب القبر عذب ، وإذا مات وهو مستحق لنعيم القبر نعّم ، سواء قبر أو ترك على ظهر الأرض أو أحرق أو أكلته السباع فلابد أن ينال من عذاب القبر أو نعيمه ما قسم له ، على الكيفية التي يريدها الله سبحانه وتعالى ، ومعرفة حقيقة العذاب غير معرفة كيفية العذاب ، فإن الذي أُمرنا به وكُلفنا به هو اعتقاد حصول العذاب وحصول النعيم أما كيف يكون العذاب وكيف يكون النعيم فهذا لم يخبرنا عنه المعصوم ولن تشاهده عقولنا وتطلع عليه ، فالله سبحانه وتعالى طوى علمه عنا فلا نكلف أنفسنا بالتخرص والتحري ، فإذا كان كذلك فعلينا إذاً علينا أن نكل علمه إلى الله سبحانه وتعالى ، فنقول يعذب في قبره وينعم في قبره على كيفية يعلمها الله سبحانه وتعالى .

والعذاب والنعيم :

قيل للروح والجسد جميعا وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة ، إلا أن نصيب الروح منه أكبر من نصيب الجسد .

وقيل للروح فقط ، وهذا قول ينقل عن بعض أهل السنة .

وقيل للجسد فقط ، وهذا قول باطل لا يدل عليه دليل .

---

(١) حديث طويل رواه أبو داود (٤٧٥٣) و أحمد في المسند (١٨٦١٤) ت التركي وغيرهما ، وصححه ابن القيم في الروح ص ٧٦ .

الشيخ رحمه الله ذكر الحديث مختصرا ، وله أصل في الصحيحين رواه البخاري (١٣٦٩) ومسلم (٢٨٧١) .

(٢) رواه البخاري (٦٣٦٦) ومسلم (٥٨٦).

أما القول الأول فهو مذهب أهل السنة والجماعة ، بدليل العمومات ، كحديث البراء بن عازب : (إذا كان العبد في انقطاع من الدنيا ..)(١) الحديث ، والعبد اسم للروح والجسد جميعا .

وابن القيم رحمه الله ذكر أن للروح في الجسد ثلاث تعلقات (٢):

١ – تعلقها به في الدنيا وهذا تختلف فيه الأحكام ، أحكام النعيم والعذاب بين الروح والجسد .

٢ – وتعلقها به في البرزخ وهذا تختلف فيه أيضا الأحكام .

٣ – وتعلقها به بعد البعث أي يوم القيامة .

قال : فأما في الدنيا فالعذاب والنعيم يكون للبدن ، وينال الروح قسط منه على سبيل التبعية ، فإذا تعذب البدن تعذبت الروح وإذا تنعم البدن تنعمت الروح ، ولكن عذاب البدن وعذاب الروح أقوى ، فإذا كان في البرزخ انعكس الأمر فيكون العذاب والنعيم للروح والبدن ، ولكن نصيب الروح من العذاب والنعيم أقوى من نصيب البدن ، فتعذب الروح ويعذب البدن تبعا للروح ، وأما في الآخرة فيكون العذاب والنعيم للروح والبدن جميعا ، وكل من البدن والروح يحس بالعذاب إحساسا كاملا .

(والقبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران)

الشرح : القبر روضة من رياض الجنة على من أراد الله نعيمه ، وحفرة من حفر النيران إذا أراد الله لصاحبها العذاب ، وقد قال عليه الصلاة و السلام : (لولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي اسمع منه)(٣)، وهذا استدل به بعض الجهلة أن من لم يقبر لا يعذب ، ولكن هذا فهم باطل لأنه عليه الصلاة والسلام قال ذلك بناء على ما يَظن أن الناس يتوهمون بأن الذي لا يقبر لا يعذب ، فكأنه يقول عليه الصلاة والسلام بناء على هذا الوهم – وهمكم – أنا لا أدعوا الله أن يسمعكم ذلك خشية أن تطبقوا هذا الوهم وتتركوا موتاكم على ظهر الأرض .

وقال بعض العلماء : ربما يكون قوله هذا قبل أن يعلمه الله بأن العذاب والنعيم يكونان لمن يقبر ومن لا يقبر ولكن الجواب الأول هو الصحيح .

---

(١) سبق تخريج الحديث قبل قليل.

(٢) الشيخ حمود رحمه الله نقل هنا كلام ابن القيم باختصار ، وقد ضمّن التعلقات الخمس التي ذكرها ابن القيم بهذه الثلاث . انظر شرح الطحاوية ت التركي ط٢ ص ٥٧٨.

(٣) رواه مسلم (٢٨٦٧).

والقاعدة عند السلف هي الإيمان بالنعيم والعذاب وعدم الخوض في كيفية ذلك

أما ما رآه في ليلة الإسراء كتعذيب عمرو بن لحي وغيره فقد رآهم رؤية صحيحة كاملة والله قادر على أن يصور له أجسادهم وأرواحهم ، كما يقال هذا في الأنبياء الذين أمهم النبي ﷺ في القدس فمن العلماء من قال أمّ أرواحهم ، والصحيح أنه أمّ أرواحهم وأشباحهم ، وقد مثلت وهيئت له فأمهم .

فقدرة الله سبحانه تفوق إدراك العقل فإذا عجز العقل عن ذلك قال (١) : الله سبحانه وتعالى قادر على كل شيء .

(ونؤمن بالبعث)

الشرح : **البعث يطلق في اللغة على معنيين** :

١ – يطلق على إحياء الأموات .

٢ – ويطلق على الإرسال .

تقول في اللغة بعث الله الأموات بمعنى أحياءهم ، وتقول بعثت فلانا إلى فلان بمعنى أرسلته إليه كما قال سبحانه وتعالى : (ولقد بعثنا في كل رسولا أن أعبدوا الله واجتبوا الطاغوت)(سورة النحل آية:٣٦) .

هذان المعنيان في اللغة للبعث ، ويستعمل البعث مجازاً في أمور أخرى ، كقولك : بعثت فيه اليقظة أو بعثت فيه الحركة ، أو إذا أردت فقل أيقظت همته أو أيقظت وعيه ، بمعنى أنه حصل منك له هذا الأمر الذي جعله ينبعث فيه بعد أن كان غافلا ، المهم أن معناه الوضعي إحياء الأموات والإرسال .

ويراد في البعث وإحياء الأموات النشور والنشر ، تقول نشر الله الأموات بمعنى أحياهم ، ومن ذلك قوله (في الدعاء المأثور : (اللهم بك أصبحنا وبك أمسينا وبك نحيا وبك نموت وإليك النشور)(٢) ومثله كثير في القرآن ، كقول الكفار (وما نحن بمنشرين)(سورة الدخان آية:٣٥) أي بمبعوثين ، ومن أدلة إطلاق النشر على إحياء الأموات في اللغة العربية قول مهلهل :

يا لبكر انشروا لي كليبا * يا لبكر أين أين الفرار (٣)**

---

(١) يعني صاحب العقل.

(٢) رواه أبو داود (٥٠٦٨) والترمذي (٣٣٩١) بسند صحيح .

(٣) من أبيات لمهلهل بن ربيعة ، ينظر تفسير الطبري عند قوله تعالى : (يقول الإنسان يومئذ أين المفر).

فمعنى انشروا لي كليبا أي أحيوه .

الحاصل أن النشر والبعث في أحد معنييه يطلقان على إحياء الأموات .

والشعراء معروفون في المبالغة لكن نورد هنا لأحدهم شاهدا للمعنى الذي نحن فيه وأظنه للأعشى إن لم تخني الذاكرة ، يقول :

لو أسندت ميتا إلى نحرها * عاش ولم ينقل إلى قابر**

حتى يقول الناس مما رأوا * يا عجبا للميت الناشر (١)**

الناشر أي المنشور المبعوث المحيا .

والبعث بعد الموت فيه ثلاثة مذاهب للناس :

المذهب الأول : مذهب جمهور المسلمين من أهل السنة والجماعة ومن مبتدعة ، أن البعث حق وأنه واقع لابد منه ، وأنه يكون بعثا للأرواح والأبدان جميعا ، وأدلته في القرآن كثيرة جدا بل أكثر ما تقرأ في سور القرآن لابد وأن تجد فيه ما يشير إلى ثبوت البعث وأنه حق ، لكن أساليب الأدلة في القرآن على ثبوت البعث متنوعة :

منها أدلة عقلية ترشد العقول وتلفتها إلى الإقرار بأن الله سبحانه وتعالى يبعث الناس يوم القيامة : من ذلك الاستدلال بإحياء الأرض بعد موتها على إحياء الأموات ، كثيرا ما يذكر سبحانه وتعالى دليلا على قدرته في بعث الخلق بقدرته على إحياء الأرض بعد أن تكون ميتة — تكون يابسة مغبرة فينزل الله المطر ثم بعد فترة تراها خضراء نضرة مهتزة ، كما قال سبحانه وتعالى : (وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج * ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحي الموتى وأنه على كل شي قدير)(سورة الحج آية:٦-٥) ، والآية الأخرى التي يقول فيها سبحانه وتعالى : (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ ۚ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) [سورة فصلت ٣٩] ، وهذا كثيراً ما يتكرر في القرآن ، يلفت سبحانه وتعالى عقول عباده إلى قدرته على البعث استدلالا بقدرته على إحياء الأرض وإيجاد الحياة فيها .

وكذلك الاستدلال ببدء الخلق على الإعادة كلفته سبحانه وتعالى أنظار عباده إلى أنهم وجدوا من العدم ، وأن الله بدأ خلقهم من غير أن يكون لهم مثال سابق ، فإذا كان كذلك فمتقرر عقلا أن

---

(١) من أبيات للأعشى ، ينظر أضواء البيان ٢٧٢/٦ .

إعادة الفعل أهون من البدء به ، ولهذا قال سبحانه وتعالى :(وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده) (سورة الروم آية:٢٧) وكذلك في قوله سبحانه وتعالى : (ويقول الإنسان أإذا ما مات لسوف أخرج حيا)(سورة مريم آية:٦٦) الإنسان يستغرب أنه يبعث ويحي بعد الموت .! رد الله عليه بقوله : (أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً)(سورة مريم آية:٦٧) أي أيدعي الإنسان عجزنا عن الإحياء والبعث وينسى ولا يذكر الإنسان أننا أوجدناه من العدم من غير مثال سابق؟.

وكذلك قوله سبحانه وتعالى : (أولم ير الإنسان أن خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين * وضرب لنا مثلا ونسي خلقه)(سورة يس آية:٧٨-٧٧) وسبب نزول هذه الآية أن أحد طغاة قريش (١) أخذ عظما قد أرم وبلي وفته بين يدي الرسول ﷺ وقال : يا مُحَمَّد أتزعم أننا إذا صرنا مثل هذا نبعث ؟! فنزل قوله سبحانه وتعالى : (وضرب لنا مثلا) الآية ، ضرب مثلا لعجز الله سبحانه وتعالى عن البعث بهذا العظم الميت ، لكن الله رد عليه بقوله : (ونسي خلقه) يعني نسيت يا أيها الطاغية كونه سبحانه وتعالى أوجدك من لا شيء حتى تستبعد قدرته على خلقك مرة أخرى : (قال من يحي العظام وهي رميم)(سورة يس آية:٧٨) ، قوله : (قال من يحي العظام) حكاية لما فعله هذه الطاغية حيث فت العظم ، وقال : هذا العظم الذي قد أرم تزعم يا مُحَمَّد أن الله يبعثه إذ صرنا مثله ؟!

فقال سبحانه وتعالى : (قل يحييها – يعني العظام – الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم)(سورة يس آية:٧٩) يعني بدء خلقكم وإعادتكم هو عليم به سبحانه وتعالى : (الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً)(سورة يس آية:٨٠) ، يقول ابن القيم رحمه الله عن هذه الآية : هذا رد على هذا الملحد من جنس حجته ، فهو احتج على عدم قدرة الله على البعث بكون العظم يصير إلى رميم بالٍ ، قال رحمه الله : فهو يقول هذا العظم بلغ الغاية في اليبس والبرودة ، ليس فيه أي حرارة وليس فيه أي رطوبة ، ومعلوم أن حياة المخلوقين لابد أن تكون متصفة بالرطوبة والحرارة ، ولا يمكن أن يوجد مخلوق حي ويستغني عن أن يكون فيه رطوبة وحرارة ، كيف يوجد الله الحياة التي هي مستلزمة للرطوبة والحرارة من هذه العظام التي هي مستلزمة لليبوسة والبرودة ، يقول : إن الله تعالى رد عليه بقوله : (الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً) ومعلوم أن النار طبيعتها الحرارة واليبوسة وقد أوجدها – في ضدها – في الشجر الأخضر الذي طبيعته الرطوبة والبرودة ، فإذا كان يقدر سبحانه وتعالى على إيجاد العنصر الحار اليابس من

(١) ذكر ابن كثير في تفسيره لهذه الآية أن هذا الطاغية هو أبي بن خلف .

الشجر الذي هو عنصر بارد رطب فكذلك قادر على إيجاد الحياة في العظم البارد اليابس وإن كانت مستلزمة للحرارة والرطوبة .

وهناك دليل أخر كثيرا ما يتكرر في القرآن ، وهو استدلاله سبحانه وتعالى بقدرته على خلق الشيء العظيم بخلق ما هو أكبر منه :

من ذلك قوله سبحانه وتعالى : (أو ليس الذي خلق السماوات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم)(سورة يس آية:٨١) أي : أليس الله الذي خلق هذه السماوات العظيمة والأرض العظيمة بقادر على أن يخلق مثل بني آدم أو يعيدهم مرة أخرى ، وكذلك قوله سبحانه وتعالى : (أأنتم أشد خلقا أم السماء)(سورة النازعات آية:٢٧) معلوم أن السماء أشد خلقا وأعظم ، أذاً فهو قادر على بعث الناس وخلقهم ، وكذلك قوله سبحانه وتعالى : (لخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس)(سورة غافر آية:٥٧) كل هذه الآيات دلائل على قدرته سبحانه وتعالى على البعث .

ومن أصناف الأدلة على قدرته على البعث كونه سبحانه وتعالى يحي بعض الناس في الدنيا :

وقد حصل منه إحياء بعض الأموات في الدنيا وشوهدوا ، كإحياء قتيل بني إسرائيل : (فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحي الله الموتى)(سورة البقرة آية:٧٣) أي اضربوا القتيل ببعض من هذه البقرة فيحيا فضربوه فحيي ، فما دام أن الله سبحانه وتعالى قدر على إحياء هذا القتيل فإنه قادر على إحياء جميع الأموات إذا أراد ، وكذلك في قوله تعالى : (أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال أنى يحي هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه – لم يتغير – وأنظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شيء قدير)(سورة البقرة آية:٢٥٩) لما رأى الحمار يبعثه الله طورا بعد طور حتى قام حيا كاملا قال : (أعلم أن الله على كل شيء قدير) أي فهو قدير على بعث الناس ، وكذلك قوله سبحانه وتعالى في الآية التي بعد هذه : (وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك – أي اجعلهن إليك – ثم أجعل على كل جبل منهن جزءا ثم أدعهن يأتينك سعيا واعلم أن الله عزيز حكيم)(سورة البقرة آية:٢٦٠) قال المفسرون إن هذه الآية تعني أن الله أمر إبراهيم أن يعصب عدداً من الطير ويذبحها ويقطعها أجزاء ثم يخلط هذه الأجزاء بعضها ببعض ثم يجعل كل جزء منها على جبل ثم يدعوها ، ففعل فجاءته حية تسعى .

وهناك طريقة أخرى للاستدلال على قدرة الله على البعث وهي كونه يضرب على آذان بعض الناس للنوم سنين طويلة جداً ثم يوقظهم :

كما حصل لأصحاب الكهف لما هجروا قومهم وفروا من الشرك و الكفر وأووا إلى كهف في جبل ، ناموا وبقوا في نومهم أكثر من ثلاثمائة سنة ، ثم استيقظوا وظنوا أنهم ما ناموا إلا يوما أو بعض يوم ، والله سبحانه ذكر هذه القصة في سورة الكهف ليبين لعباده أن الذي قدر على حفظ الحياة أو إعادة وعيهم وحياتهم بعد ثلاثمائة سنة وأكثر — أنه قادر على إحياء الأموات : (فضربنا على أذانهم في الكهف سنين عدداً)(سورة الكهف آية:١١) إلى أخر الآيات التي تشير إلى هذا المعنى.

ومن مباحث البعث التي ينبغي عدم إهمالها في هذه المناسبة أن الله سبحانه وتعالى أكثر في القرآن في تكرار البراهين الدالة على البعث والدالة على توحيد الإلهية ، فأنت إذا قرأت سورة قَلّ أن تخرج منها إلا ولديك حجة على قدرته على البعث أو حجة على وحدانية سبحانه وتعالى على الإلهية .

ولهذا يرد سؤال هنا لماذا يكثر في القرآن جداً تكرار الاستدلال على البعث وتكرار الاستدلال على توحيد الإلهية أكثر من غيرهما بكثير ؟

والجواب عن هذا أن يقال : هناك أمران يقتضيان هذا التكرار :

الأمر الأول : أن القوم الذين بعث فيهم النبي ﷺ كانوا يبالغون في إنكار البعث ويبالغون في إنكار توحيد الإلهية ، و يعجبون من دعوة النبي ﷺ إلى توحيد الله في العبادة (أجعل الآلهة إلها واحداً إن هذا لشيء عجاب)(سورة ص آية:٥) ، وكذلك يعجبون ويستنكرون من ذكره عليه الصلاة والسلام أن الله يبعث الناس مرة أخرى ، فلما كانوا يبالغون في إنكار البعث وإنكار التوحيد احتاجوا إلى تكرار الأدلة والحجج وتنويعها وتصنيفها ليكون ذلك مقنعا لهم .

الأمر الثاني : أن هذين الأمرين هامان جداً ، والرسول عليه الصلاة والسلام هو أخر الرسل لن يأتي بعده رسول ، والرسل الذين كانوا قبله كان إذا مات نبي خلفه نبي آخر يجدد ما نسي من الشريعة ويبين ما غمض و اندرس منها ، أمّا النبي ﷺ فهو خاتم الأنبياء ولن يأتي بعده نبي ، فكان تكرار هذه الأدلة والحجج والبراهين وتصنيفها وتنويعها لئلا يتطرق إليها الاندراس والنسيان والغموض .

ومما يبحث أيضا في هذا الباب دعوى الفلاسفة بأن الرسل صلوات الله وسلامه عليهم لم ينذروا أممهم ويبلغوهم بالبعث ، ولم يفصح عن البعث إلا مُحَمَّد ﷺ، ولكن هذا قول باطل والقرآن مملوء من تحذير الرسل لقومهم من البعث ، ولكن الفلاسفة لما رأوا كثرة الأدلة والبراهين في القرآن قالوا : إنه لم يفصح عن البعث إلا مُحَمَّد .

والجواب عن هذا – عن كلام الفلاسفة – هو المذهب الأول في مسلك الناس فيما يتعلق بإثبات البعث وهو مذهب الرسل وإتباعهم الذين يقولون ببعث الأجسام وبعث الأرواح جميعا ، وقد سبق ذكره .

المذهب الثاني: هو للفلاسفة الذين يسمون بالفلاسفة الإسلاميين ، كابن سيناء والفارابي والكندي وغيرهم ، هؤلاء يقولون هناك بعث بعد الموت ولكنه بعث للأرواح فقط أما الأبدان فإنها تبلى وتنعدم ولا تبعث لكن الأرواح هي التي تبعث وهي التي تجازى ، ويقولون : إن الأرواح إذا مات صاحبها وهي فاضلة تفعل الخير فإنها تنعّم ، وإذا كانت شريرة تفعل الشر فإنها تعذب ، ولكن العذاب والنعيم معنويان وليسا حسيين ، فليس في الآخرة أكل ولا شرب ولا جماع ولا لبس ولا تلذذ بأي شيء إنما النعيم هو عبارة عن انشراح وانبساط وفرح يحصل للروح ، والنار عبارة عن كآبة وحزن وانقباض ونحو ذلك ، إذاً هم لا يقرون بشيء من العذاب الحسي أو النعيم .

المذهب الثالث : مذهب الملاحدة من العالم ، الذين ينكرون بعث الأرواح وبعث الأبدان جميعا ، ويقولون : (إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين)(سورة المؤمنون آية:٣٧) وهؤلاء ليس لهم أي دليل ولا منزع إلا قولهم : يقولون إذا مات الإنسان وبلى وتحلل لا يمكن بعثة ، فكيف نبعث ؟ هذه شبهتهم .

(وجزاء الأعمال يوم القيامة)

الشرح : أي نؤمن بأن الله سبحانه وتعالى يبعث الناس ويحاسبهم ويجازيهم على أعمالهم ، إنْ خيراً فخير وإنْ شراً فشر ، وهذا مذهب أهل السنة والجماعة وكثير من الطوائف الأخرى كالمعتزلة والجهمية وغيرهم .

أما الجبرية فإنهم لا يؤمنون بذلك ولا يقرون ويقولون ما يحصل للإنسان في الآخرة من جنة ونار ليس جزاء لأعمالهم وإنما هو من الله يحصل لهذا العذاب و لهذا النعيم ، بناءً على المشيئة السابقة فقط ، أما الأعمال فليس لها جزاء لأنها ليست أعمالهم وإنما هي أفعال الله أجبرهم عليها ، فلا يمكن أن يكون الجزاء مترتبا عليها لأنه إذا أراد الله أن يعذب الإنسان في الأزل فإنه يعذبه ولو كان من الصالحين والأولياء وغيرهم ، ومن أراد الله في الأزل أن ينعمه ويثيبه فإنه يفعل به ذلك ولو كان من الكافرين وغيرهم . فلا علاقة للجزاء بالعمل عند هؤلاء الضلال .

(والعرض والحساب)

الشرح : العرض المراد به عرض الناس على الله سبحانه وتعالى يوم القيامة ، والناس يعرضون عليه حفاة عراة غرلا ، كما جاء في الحديث الصحيح (١)، فإنهم حينما يبعثون يموج بعضهم في بعض لا يدرون ماذا يفعل بهم ولا يدرون كيف يحاسبون إلا أنهم إذا اشتد بهم الأمر ذهبوا إلى الرسل طلبا للشفاعة لأن يعرضوا عليه ويقضي بينهم وكل إنسان يتبين سبيله إما إلى الجنة أو إلى النار ، فيسألون آدم ثم نوحا ثم إبراهيم ثم موسى ثم عيسى وكلهم يعتذرون عن الشفاعة ، فإذا جاؤوا إلى مُحَمّد ﷺ قال أنا لها ، ثم ذهب وسجد تحت العرش ، قال : (ثم يفتح الله علي من محامده ما لم أكن أعلمه قط فيقال : يا مُحَمّد ارفع رأسك وسل تعطه واشفع تشفع ، فيقول : أمتي أمتي)(٢) ثم يأتي سبحانه وتعالى للقضاء بين الناس والفصل بينهم فيعرض الناس عليه كلهم ويقررهم بأعمالهم كما قال سبحانه (وعرضوا على ربك صفا لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة)(سورة الكهف آية:٤٨) يعرضون عليه ويخاطبهم سبحانه وتعالى ويقررهم بأعمالهم عملت كذا يوم كذا وكذا في مكان كذا فيحصل منهم اعتذار وإنكار ، ثم في آخر الأمر يختم على أفواههم وتتكلم أعضاؤهم وجلودهم وألسنتهم بما كانوا يعملون ، هذا معنى قول المؤلف : (والعرض) .

قوله : (والحساب) معناه محاسبة الله سبحانه وتعالى لعباده على أعمالهم ومجازاتهم عليها ، فمن عمل صالحا جازاه على عمله بإدخاله الجنة ومن عمل سيئا جازاه عليها بتعذيبه في النار إن شاء .

والجزاء الذي يكون في الآخرة أنواع :

الأول : جزاء للأعمال الصالحات ، الذين يعملون الصالحات جزاؤهم الجنة .

الثاني : جزاء للكافرين والمنافقين وهؤلاء جزاؤهم الخلود في النار .

الثالث : جزاء للعصاة من أمة مُحَمّد ﷺ الذين ماتوا على الكبائر ، من أراد الله أن يجازيه بسيئاته منهم ، لأن من مات مصراً على المعصية وهو من أهل التوحيد فإنه معرّض لأحد أمرين :

الأول : إما أن يعفو الله عنه ويدخله الجنة من أول وهلة .

الثاني : وإما أن يدخله النار ويعذبه بقدر أعماله ثم يصير إلى الجنة .

إذاً الجزاء ثلاثة أنواع : إما في الجنة خالدين ، وإما في النار خالدين ، وإما في النار يعذبون عذابا مؤقتا ثم يخرجون إلى الجنة ، والجزاء معناه مجازاة العامل على عمله ، وهذا باتفاق المسلمين ما عدا الجبرية من فرق الضلال كما سبق .

---

(١) رواه البخاري (٦٥٢٧) ومسلم (٢٨٥٩) .

(٢) رواه البخاري (٧٥١٠) ومسلم (١٩٣) .

(وقراءة الكتاب)

الشرح : قراءة الكتاب معناها أن كل إنسان له كتاب ، في هذه الدنيا الله سبحانه وتعالى وكل بكل إنسان عند البلوغ ملكين يكتبان في هذا الكتاب ما يفعله هذا الإنسان وما يقوله وما يهم به وما ينويه ، فإذا كان يوم القيامة عرض على صاحبه وسلم إياه ، لكن من الناس من يعطى كتابه بيمينه ومنهم من يعطى كتابه بشماله – والعياذ بالله – فإن كان من عباد الله المطيعين ثم أعطي كتابه بيمينه فرح به ثم دفعه إلى كل من يعرفه من أصدقائه وأهله وأقاربه ، ويقول أقرؤوا : (فأما من أوتى كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرؤوا كتابيه) أي خذوا كتابي اقرؤوه – من الفرح والسرور – ((وأما من أوتي كتابه بشماله – والعياذ بالله – فيقول يا ليتني لم أوت كتابيه)(سورة الحاقة آية:٢٥-١٩) يتمنى أن لم يعط إياه لأن فيه خسارته وفيه ما يقتضي عذابه والعياذ بالله .

وجاء في القرآن الكريم أن الإنسان يعطى كتابه بشماله وجاء في آية أخرى أنه يعطى كتابه وراء ظهره : (وأما من أوتي كتابه وراء ظهره * فسوف يدعو ثبوراً)(سورة الانشقاق آية: ١١-١٠) قوله تعالى : (وأما من أوتي كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم أوت كتابيه)(سورة الحاقة آية:٢٥) .

قد يقول قائل كيف يعطى بشماله ومن وراء ظهره ؟

والجواب عن هذا أن يقال : أنه يعطى كتابه بشماله ومن وراء ظهره ، يعني يدفع له من وراء ظهره وليس من الأمام ليكون ذلك أشد تبكيتا وتعنيفا و إهانة .

وقد أنشد عبد الله بن المبارك رحمه الله أبياتا في هذا المعنى فقال:

وطارت الصحف في الأيدي منشّرة يود قوم ذوو عز لو أنهم فكيف سهمك والأنباء واقعة أفي الجنان وفوز لا انقطاع له تهوي بساكنها طوراً وترفعه طال البكاء فلم ينفع تضرعهم فيها السرائر والجبار مطلع هم الخنازير كي ينجو أو الضبع عما قليل ولا تدري بما تقع أم الجحيم فلا تبقي ولا تدع إذا رجوا مخرجا من غمها قمعوا هيهات لا رقة تغني ولا جزع (١)

المعنى أنهم لم تنفعهم فدية ولا بكاء ولا غيره ، وهذا المقام يصور دفع الكتب للناس كونهم يعطون إياها في ذلك الوقت الذي تكون فيه الحسرة أو تكون فيه الفرحة ، فمن آخذ كتابه بيمينه أو بشماله . والله سبحانه وتعالى أشار إلى هذا في كثير من آيات القرآن : (وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشوراً اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا)(سورة الإسراء آية:١٣) كل إنسان يقرأ ما في كتابه سواء أكان قارئا أم غير قارئ ،

---

(١) سير أعلام النبلاء ٤١٣/٨ .

وغير القارئ يعطيه الله سبحانه وتعالى قدرة على القراءة حتى لو كان في الدنيا غير قارئ .

(والثواب والعقاب)

الشرح : يعني نؤمن بالثواب والعقاب وأنه منوط بالأعمال وأن الثواب والعقاب نتيجة عمل الإنسان .

وفي مسألة ارتباط الثواب بالعمل ثلاثة مذاهب :

المذهب الأول: والأحق والمطابق لكتاب الله عز وجل وسنة نبيه ﷺ هو مذهب أهل السنة والجماعة ومن وافقهم من فرق الأمة ، وهو أن الثواب مترتب على العمل ومربوط به ، والعمل الصالح سبب لحصول الثواب ، والعمل السيئ سبب لحصول العقاب ، ولكن ليس كون الثواب مترتبا على العمل أن يكون هذا الترتب حتميا ، هم يقولون إن الأعمال أسباب ولكن الأسباب لا تتم مسبباتها إلا بشروط وانتفاء موانع ، فمن الشروط أن يشاء الله سبحانه وتعالى ترتب الثواب أو العقاب على العمل ، ولهذا يقولون إن المعاصي سبب لدخول النار ولكن ليس كل من ارتكب معصية ومات مصراً عليها دخل النار ، فقد يعفو الله عنه ويتولاه بالعفو ويدخله الجنة ولو وجد منه السبب الذي هو العمل السيئ .

المذهب الثاني : مذهب المعتزلة ، يقولون إن الثواب والعقاب مترتب على العمل ، فالثواب مترتب على العمل الصالح والعقاب مترتب على العمل السيئ ، ولكن يختلفون عن أهل السنة في أن هذا الترتب يكون حتما ، يعني لابد وأن يحصل ، فمتى ما عمل الإنسان صالحا فلابد وأن يحصل ثوابه ، ولا يعلقون ذلك بمشيئة الله ، وإذا حصل معصية فلابد أن ينال العقاب ولا يعلقون ذلك بمشيئة الله بل يقولون الثواب مترتب على العمل كترتب العوض على المعوض تماما ، فلا يجوز أن يوجد عاص ، ولا يوجد عقاب أبداً .

المذهب الثالث : مذهب الجبرية ، فإنهم يقولون لا صلة بين الثواب والعقاب كما تقدم ، فالثواب لا يتعلق بالعمل الصالح والعقاب لا يتعلق بالعمل السيئ بل هو متعلق بالمشيئة فقط ، ووجهتهم كما سبق يقولون إن العبد ليس له عمل حتى يثاب عليه أو يعاقب لأنه مجبور على عمله .

(والصراط)

الشرح : يعني نؤمن بالصراط ، والصراط في اللغة الطريق ، يقال هذا صرا ط مستقيم يعني طريق لا اعوجاج فيه .

فيطلق على الطريق المعنوي كالمذهب والدين والمنهج ، فيقال هذا صراط الله وهذا صراط الشيطان ، كما في قوله سبحانه (صراط الذين أنعمت عليهم)(سورة الفاتحة آية:٧) والمراد بالصراط هنا الطريق المعنوي وهو الدين .

ويطلق أيضا على الطريق الحسي كما هو أصله ، وهو الذي أراده هنا ، وهو الصراط الحسي ، أي الجسر الذي ينصب على متن جهنم يوم القيامة ويكلف الناس باجتيازه ، ويجتازونه على حسب أعمالهم ، فمن الناس من يجتازه بسرعة خاطفة ومنهم من يجتازه بسرعة بطيئة ومنهم من يحبو حبواً تقر رجل وتعلق أخرى ، وتقر يدٌ وتعلق أخرى ، لكنه يخلص منها وينجو ، فإذا نجا قال الحمد لله الذي آتاني ما لم يؤت أحداً من خلقه ، لأن النجاة من النار فضل لا يتصور الإنسان عِظَمه .

ومذهب أهل السنة و الجماعة الإيمان بالصراط ، وقد جاءت أوصافه في أحاديث كثيرة منها أنه أدق من الشعرة وأحدّ من السيف وأحرّ من الجمر وأنه دحضٌ مزلة ، لكن من أئمة السلف من يرى أن هذه الصفات لم تثبت كلها ، يؤمِن بالصراط وأنه جسر منصوب على متن جهنم ولكن يقول هذه الصفات لم تثبت .

وعادة العلماء يبحثون في مسألة الصراط معنى الورود كما في قوله تعالى : (وإن منكم إلا واردها)(سورة مريم آية:٧١) هذه الآية للمفسرين في معناها ثلاثة مذاهب :

المذهب الأول : الورود الذي ذكر في الآية معناه العبور على الصراط بالنسبة للمؤمنين ، والدخول إلى النار بالنسبة للكافرين ، يعني لا أحد إلا وسوف يرد النار ، إما أن يدخل فيها إن كان من أهلها وإما أن يمرّ عليها إن كان من أهل الجنة .

المذهب الثاني : أن الورود معناه الوقوف حول النار والإطلاع عليها من كثب ويستدل هؤلاء بقوله تعالى : (ولما ورد ماء مدين)(سورة القصص آية:٢٣) يقولون إنه أطلق الورود مع أن موسى ما دخل في ماء مدين (ورد ماء مدين) يعني وقف قربه ووقف حوله .

المذهب الثالث : الذين يقولون ما من أحد إلا سيدخل النار دخولا حقيقا ، من أهل الجنة ومن أهل النار ، فأما أهل الجنة فتكون عليهم برداً و سلاما ثم يخرجون منها إلى الجنة ، وهؤلاء يقولون إن تفسير الورود بالمرور على الصراط يرده قوله سبحانه وتعالى : (وإن منكم إلا واردها — إلى قوله — ثم ننجي الذين اتقوا)(سورة مريم آية:٧٢-٧١) ، قالوا : فيفهم من هذا أن النجاة حصلت بعد الوقوع في النار .

وهذا أجاب عنه العلماء بأنه لا يلزم من وصف الإنسان بالنجاة من الشيء أنه دخل فيه ، بل إذا انعقدت أسباب الأمر وأوشك أن يحصل ثم لم يحصل قيل نجى ، ولذا قال سبحانه نجينا هوداً نجينا صالحا نجينا شعيبا ، مع أن العذاب الذي أصاب قومهم ما أصابهم ، ومع هذا قال نجيناهم .

فيكون معنى : (ثم ننجي الذين اتقوا) أي ننجيهم من النار بطريق عبورهم على الطريق ، وليس بعد أن دخلوا فيها .

والأقوال في مسألة الورود هي هذه الثلاثة :

١ — إما العبور على الصراط بالنسبة للمؤمنين ودخول النار بالنسبة للكافرين .

٢ — وإما الوقوف حولها والقرب منها .

٣ — وإما الدخول الحقيقي لجميع الناس فيها ، لكنها تكون برداً وسلاما على المؤمنين كما كانت برداً وسلاماً على إبراهيم .

والراجح الأول هو الذي عليه أكثر المفسرين .

(و الميزان)

الشرح : الإيمان بالميزان من أصول أهل السنة والجماعة ، وهو أن الله سبحانه وتعالى ينصب الميزان يوم القيامة و يزن أعمال العباد ليتبين ثقلها من خفتها .

والمعتزلة أنكروا ذلك وقالوا هذا غير صحيح ولا يعقل وقد أنكروه بشبهتين :

الشبهة الأولى : قالوا الله سبحانه وتعالى عالم بأفعال العباد لا يحتاج إلى الميزان ، الذي يحتاج إلى الميزان هو الفوّال والبقّال الذين لا يعرفون العواقب ولا يعرفون المقادير ، أما الله سبحانه وتعالى فإنه عالم بأعمال العباد فلا حاجة به إلى وزنها .

الشبهة الثانية : قالوا إن الأعمال أعراض ، والأعراض لا تقبل الوزن وليس لها ثقل حتى توزن ، إنما الذي يقبل الوزن الأعيان .

لكن أجاب أهل السنة والجماعة عن هاتين الشبهتين فقالوا :

أما الأولى : فإننا نقول إن الله سبحانه وتعالى عالم بأعمال العباد قبل وزنها وأنه لا حاجة له إلى وزنها ، ولكن يريد سبحانه وتعالى أن يُعذر من عباده ، وأن يوقفهم على أعمالهم ويجعلهم يرون ميزانهم إذا ثقل أو خف حتى لا يحتجوا فإنهم إذا شاهدوا صحفهم تطيش وتخف عندها لا يمكنهم الاحتجاج أو الاعتذار ، وأيضا قالوا فإن الله سبحانه وتعالى يحب العدل ويريد أن يري عباده عدله ،فإذا شاهدوها عرفوا أنه ما ظلم أحداً .

وأما الشبهة الثانية : وهي قولهم إن الأعمال أعراض فأجابوا عنها بقولهم :

إن الله سبحانه وتعالى قادر على قلب الأعراض أعيانا ، هو صحيحٌ أن الأعمال وإن كانت – كالصلاة والصيام – أعراضا لكن إذا كان يوم القيامة يجعلها الله سبحانه وتعالى أعيانا ، كما ورد أن القرآن يأتي في صورة رجل يوم القيامة يجادل عن صاحبه ويحاج دونه ، وكذلك الصيام ، وقد ورد في الصحيح : (اقرؤوا القران فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه ، اقرؤوا الزهراوين : البقرة وسورة آل عمران فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو كأنهما غيايتان أو كأنهما فرقان من طير صواف تحاجان عن أصحابهما اقرؤوا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة)(١) وكذلك ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال :(يؤتي بالموت يوم القيامة في صورة كبش أملح فيذبح فيقال لأهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت)(٢) وليس المراد بالموت ملك الموت كما يغلط بعض الناس ويفهم ذلك ، بل المراد بالموت الموت الذي هو مفارقة الحياة ، وهو معنى من المعاني ، ومع هذا يؤتى به في صورة كبش ، فإذا كان الموت كذلك فإن الله سبحانه وتعالى يجعل الأعراض أجسادا تقبل الوزن وتوضع في الميزان ، فبطلت هاتان الشبهتان .

ويبحث بعض العلماء في الوزن هل يكون للعمل أو للعامل أو للصحف ؟

من العلماء من قال الذي يوزن العامل نفسه ، يجعل في كفة وأعماله في كفة أخرى ، وهؤلاء يستدلون بأحاديث منها قوله عليه الصلاة والسلام حينما كان مع أصحابه في السفر قالوا تحت شجر الأراك وبدؤوا يجنون من ثمره ، فعبد الله بن مسعود تسلق الشجرة ليجني للنبي ﷺ من ثمرها ، وكان دقيق الساقين وصغير الجسم وهناك ريح كانت تقلبه مع الغصن ، فرآه الصحابة فضحكوا ، فقال عليه الصلاة والسلام : (مم تضحكون) ، قالوا : من دقة ساقيه يا رسول الله فقال عليه الصلاة والسلام : (والذي نفسي بيده إنهما في الميزان أثقل من جبل أحد)(٣) هذا استدل به من يقول بأن العامل هو الذي يوزن ، وكذلك جاء في الحديث قوله ﷺ: (يؤتي بالرجل العظيم السمين يوم القيامة فيوضع في الميزان لا يزن عند الله جناح بعوضة)(٤) .

---

(١) رواه مسلم (٨٠٤) .

(٢) رواه البخاري (٤٧٣٠) ومسلم (٢٨٤٩) .

(٣) رواه أحمد في مسنده (٣٩٩١) والبخاري في الأدب المفرد (٢٣٧) وغيرهما بسند صحيح .

(٤) رواه البخاري (٤٧٢٩) ومسلم (٢٧٨٥) .

وهناك قول آخر يقول به السلف أن الصحف هي التي توزن ، وهؤلاء استدلوا بحديث البطاقة حينما أوتي برجل وأخرج له تسعة وتسعون سجلا كلها مسودة بالسيئات ، كل سجل منها مد البصر ، فقال الله له : أتنكر من هذا شيئا ؟ أظلمك كتبتي الحافظون ؟ فيقول : لا يارب ، فيقول الله : أفلك عذر ؟ فيقول : لا يارب ، فيقول : بلى إن لك عندنا حسنة ، فإنه لا ظلم عليك اليوم ، فتخرج بطاقة فيها : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن مُحَّد رسول الله) فيقول : احظر وزنك ، يقول : يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات ؟ - يعني ماذا تجدي ورقة مع هذه السجلات المائة التي كل وأحد منها مد البصر ؟ - فقال: (إنك لا تظلم) فتوضع السجلات في كفة و البطاقة في كفة ، فطاشت السجلات وثقلت البطاقة (١) ، فترجح بالسيئات فينجو ويخلصه الله بهذه البطاقة ، قالوا هذا دليل على أن الصحائف هي التي توزن .

وهناك قول ثالث يقول إن الوزن للعمل وليس للعامل ولا للصحف ، توضع السيئات في كفة والحسنات في كفة وأيهما رجحت كان لها الحكم ، وهؤلاء مما استدلوا به قوله ﷺ : (الطهور شطر الإيمان والحمد لله تملأ الميزان)(٢) ، وقوله ﷺ: (كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم)(٣) .

وجمع بعض العلماء بين هذه الأقوال فقال إنه يمكن وزن العامل والعمل والصحف جميعا ولا تعارض بين هذه النصوص التي وردت في هذه .

هذا ما يتعلق بهذه النقاط ، وقد اختصرتها اختصاراً شديداً جداً ، وإلا فكل نقطة منها تحتاج إلى محاضرة وقد كنت أدرس في الجامعة الميزان أجعل له محاضرتين والصراط محاضرتين والبعث أجعل فيه أكثر من عشر محاضرات ، لكنني ضغطها لك باختصار زائد جداً .

(والجنة و النار مخلوقتان لا تفنيان أبداً ولا تبيدان)

الشرح : الجنة معناها في اللغة البستان ، فكل بستان اسمه جنة ، لأنه تُجنّ أرضه وما تحته ، فالبستان يكون فيه أشجار والأشجار تجن ما تحتها أي تستره ، فالجنة مأخوذة من جن بمعنى ستر.

---

(١) رواه الترمذي (٢٦٣٩) وابن ماجه (٤٣٠٠) وسنده صحيح .

(٢) رواه مسلم (٢٢٣) والترمذي (٣٥١٢) .

(٣) رواه البخاري (٧٥٦٣) ومسلم (٢٦٩٤).

وهذه المادة التي هي جن (الجيم والنون) في أي تركيب استعملت فإنها تدل على الستر والتغطية من ذلك قوله سبحانه وتعالى : (فلما جن عليه الليل رأى كوكبا)(سورة الأنعام آية:٧٦) ، أي ستره وغطاه بظلاله ، كما قال الراجز :

حتى إذا جن الظلام و اختلطْ

جاؤوا بمذق هل رأيت الذئب قطْ (١)

قوله : جن الظلام أي ستر وغطى الأرض .

ومنه الجنين سمي جنينا لاستتاره في رحم أمه ، من ذلك قول عمرو بن كلثوم :

ذراعي عيطل أدماء بكرٍ

هجان اللون لم تقرأ جنينا (٢)

فأطلق عليه اسم الجنين لاجتنانه في بطن أمه .

والمجن هو شيء يستتر به المحارب ويغطي به نفسه من السيوف والرماح ، وربما الرصاص إذا كان قويا .

ومنه قول عمرو بن ربيعة :

فكان مجني دون من كنت اتقى

ثلاث شخوص كاعبان ومعصِر (٣)

فكان مجني : أي ستري ، يصور النساء الثلاث اللاتي هن صديقاته أنه جعلهن كالستر عليه عن عيون الناس .

وقوله : (ثلاث شخوص) هنا وقفة نحوية :

فإن القاعدة للعدد من ثلاث إلى عشرة أن يذكر مع المؤنث ويؤنث مع المذكر ، بمعنى أنه إذا كانت الثلاثة إلى العشرة لمذكر فإنه يؤتى بالتاء فتقول ثلاثة ، وإذا كان لمؤنث تحذف التاء فتقول ثلاث ، وهو هنا قال : فكان مجني دون من كنت أتقى ثلاث شخوص ، والشخوص جمع شخص

---

(١)ينظر شرح ألفية ابن مالك لابن عقيل ١٨٥/٢ ت مُحَّد محي الدين عبدالحميد .

(٢) ينظر أضواء البيان ٧/٧.

(٣) ينظر تفسير القرطبي ١٧٢/١٩ .

والشخص مذكر ، فلماذا جاء بالتاء في جمع الثلاثة مع أنها مذكر ، والقاعدة أنه لا تأتي التاء ؟
قالوا الذي أباح هذا كون الشخوص مذكرا لفظا ومؤنثا معنى ، يعني قوله ثلاث شخوص أي ثلاث نساء ، فلما كان معنى الشخوص هنا مؤنثا ساغ حذف التاء ، فقال : ثلاث شخوص ، وإلا فالأصل والقاعدة أن يقول ثلاثة شخوص .
بقي أن يقال ما الدليل على أن هذه الشخوص مؤنث ؟
الدليل على ذلك أنه وصف هذه الأشخاص الثلاثة بأوصاف لا تنطبق إلا على النساء فقال ثلاث شخوص كاعبان ومعصر ، فالكاعب والمعصر أوصاف لا يوصف بها إلا النساء ، لأن الكاعب هي التي تكعب ثديها أي برز ، والمعصر هي الفتاة التي قاربت الحيض ولم تحض ، وهذان الوصفان لا يقعان إلا على النساء ، إذاً فالشخوص نساء فساغ تأنيث العدد هنا .
ومنه قل الراجز :

جارية بسفوان دارها

تمشي الهوينى ساقطا خمارها

قد أعصرت أو قد دنا إعصارها (١)

يعني حاضت أو قارب حيضها .
ويطلق مجازاً على المطر ، إذا قاربت السحب المطر يقال هذه سحابة معصر ، كما في قوله تعالى : (وأنزلنا من المعصرات ماءً ثجاجا)(سورة النبأ آية:١٤) .
الحاصل أن الشخوص في البيت السابق معناه ثلاث نساء .
وعادة الشعراء أنهم يزعمون — سواء كان صحيحا أو يزعمون — أن صديقاتهم أو معشوقاتهم تستر عليهم بكسائها ، كما قال امرئ القيس :

خرجت بها أمشي تجر وراءنا

على أثرينا ذيل مرط مرجل (٢)

أي تجر مرطها على الأثر ، تعميها عن الناس حتى لا يعرفوا مجيئه إليها .
هذا معنى الجنة في اللغة .

---

(١) ينظر تفسير القرطبي ١٧٣/١٩.

(٢) ينظر زاد المسير عند تفسيره لقوله تعالى (كان لم يغنوا فيها ..).

أما معنى الجنة في الآخرة فهي تلك الدار التي أعد الله فيها لعباده المؤمنين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر من النعيم والسرور والحور وغير ذلك .

وأما النار لغة : هي العنصر المحرق المعروف ، تسمى ناراً وتسمى جهنم وتسمى جحيما وتسمى الحطمة لها أسماء كثيرة ، وجهنم لفظ أصله فارسي ، لأن الفرس يسمون النار كهنام ، فالعرب عرَّبوها وقالوا جهنم وأطلقوها على النار .

أما النار شرعا : فهي تلك الدار التي أعدها الله مكانا لعباده العاصين والكافرين والمنافقين ، وأوجد فيها من الجحيم والسعير والأغلال – والعياذ بالله – والسلاسل ما لا يتصوره بشر .

أما حكم وجود الجنة والنار الآن فجمهور المسلمين على أنهما موجودتان ، خلقهما الله قبل أن يخلق الخلق ، وأعدهما وهيأهما ، ولا يزال سبحانه وتعالى يوجد فيهما من أصناف النعيم والعذاب ، يحدثه فيهما شيئا بعد شيء إلى يوم القيامة ، حتى بعد دخول أهل الجنة الجنة وأهل النار النار .

أما المعتزلة فإنهم أنكروا وجود الجنة والنار الآن وقالوا إنهما غير مخلوقتين الآن ولن تخلقا إلا يوم القيامة ، ولا يجوز خلقهما قبل يوم القيامة .

ما دليلهم على ذلك ، لأن قولهما الجنة والنار معدومتان الآن هذه قضية إيجابية ، وكل قضية – سواء كانت إيجابية أم سلبية – لا تقبل من صاحبها إلا بدليل .

إذاً فما الدليل لدى المعتزلة على عدم وجود الجنة والنار الآن وأنهما لن توجدا إلا يوم القيامة ؟

الشبهة الأولى : قالوا من حيث المعنى فإن الله سبحانه وتعالى حكيم ويجب عقلا تنزيهه عن العبث والقبح ، ووجود الجنة والنار قبل يوم القيامة عبث لأنه لا حكمة في ذلك .

قالوا : لو أن إنسانا أعد بيتا وجعله مهيئا ، بناه وفرشه وهيئه سنين بدون ساكن لعدّ هذا عبثا ، إذاً فكذلك الله ، فما الحكمة في كون الجنة والنار يوجدان ثم يبقيان سنين طويلة بل ملايين السنين بدون ساكن ، إذاً فلا يجوز عقلا أن تكون الجنة والنار موجودتين الآن .

جمهور المسلمين الذين قالوا بوجودهما أجابوا عن هذه الشبهة وقالوا :

الوجه الأول : لا يجوز قياس الخلق على الخالق أو قياس الخالق على الخلق ، وحتى لو كان مثل هذا بالنسبة للمخلوق عبثا ، فإنه في حقه سبحانه وتعالى لا يكون عبثا لأنه لا يجوز لنا أن نقيس الخالق على المخلوق ، ولا يجوز لنا أن نقيس أفعاله على أفعال المخلوق ، والله سبحانه لا يشبه خلقه في شيء من الأشياء ولا الصفات التي يتصفون بها ، الله سبحانه حكيم وفاعل لما يختار ولا يكون في فعله قبيح .

الوجه الثاني : أن يقال إن مثل هذا ممكن أن يصدر عن مخلوق ولا يكون عبثا ، يمكن للإنسان أن يتوقع قدوم ضيف عليه أو قريب له مسافر ويهيئ له منزلا ويعده ويفرشه ويهيئه ويبقى أشهراً وأكثر من أشهر بدون ساكن ، بل مهيئا لمن سيسكنه فيما بعد فلا يعد هذا عبثا في حق الإنسان ، فمن باب أولى أن يكون ذلك في حق الله سبحانه وتعالى ليس عبثاً .

الشبهة الثانية : تمسكوا بظواهر نصوص لا تدل ولا توصل إلى ما ذهبوا إليه :

١- من ذلك قوله سبحانه وتعالى حكاية عن امرأة فرعون أنها قالت : (رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة)(سورة التحريم آية:١١) قالوا : لو كانت الجنة موجودة الآن لما طلبت أن يبني الله لها بيتاً في الجنة .

٢- ومن ذلك قوله سبحانه وتعالى : (كل من عليها فان)(سورة الرحمن آية:٢٦) قالوا لو كانت الجنة والنار مخلوقتين الآن للزم أن تفنيا ضرورة قبل يوم القيامة .

٣- قالوا وكذلك قوله ﷺ : (لقيت أبي إبراهيم ليلة أسري بي فقال أقرئ أمتك عني السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء وأنها قيعان وأن غراسها سبحان الله والحمد لله ..) الحديث (١) .

٤- واستدلوا أيضا بقوله ﷺ : (من قال سبحان الله العظيم وبحمده غرست له نخلة في الجنة) (٢).

قالوا هذا يدل على أن الجنة غير موجودة ، فلو كانت موجودة لم يكن للغراس معنى ، كما أنه لم يكن للبناء معنى في آية التحريم السابقة ، وكون البناء موجودا إذا خلقت الجنة معناه أن كل شيء موجود ، هذا وجه الدلالة عندهم .

والجواب أن يقال :

أولا: قولهم إن قوله تعالى حكاية عن امرأة فرعون : (رب ابن لي عندك بيتا في الجنة) يلزم لو كنا نقول إن الله خلق الجنة والنار ولم يَبق شيء إلا وخلقه فيهما ، نحن نقول إن الجنة والنار مخلوقتان ولكننا لا نقول إن خلقهما قد كمل وإن الله تعالى لا يخلق فيهما شيئا ولا يحدث فيهما شيئا ، لو كنا نقول هذا لكان ما ذكروه دليلا ، نحن نقول : خلق الله الجنة والنار ولا يزال سبحانه وتعالى يخلق فيهما ويحدث فيهما من البناء و الغراس وغير ذلك إلى يوم القيامة ، بل بعد أن يدخل أهل الجنة الجنة والنار النار فإنه يحدث ويخلق فيهما من أنواع النعيم والعذاب الشيء الكثير ، إذاً فلا

---

(١) رواه الترمذي (٣٤٦٢) بسند صحيح .

(٢) رواه الترمذي (٣٤٦٤) بسند صحيح .

يبقي للاحتجاج بهذه الآيات شيء .

ثانيا: وأما قوله تعالى : (كل من عليها فان)(سورة الرحمن آية:٢٦) كقوله تعالى : (كل شيء هالك إلا وجهه)(سورة القصص آية:٨٨) وهذه الآية أقوى لهم في الاستدلال من الأخرى ، لأن النار والجنة شيء ، فلو كانتا موجودتين الآن للزم أنهما يهلكان قبل يوم القيامة ويفنيان .

والجواب عن هذا أن يقال : إن قوله سبحانه وتعالى : (كل من عليها فان) أي كل شيء قابل للفناء فإن الله سبحانه تعالى سيفنيه ، كما أن كل شيء قابل للهلاك ومن شأنه أن يموت فإن الله سبحانه وتعالى سيهلكه قبل يوم القيامة ، أما الجنة والنار فهما خلقتا للبقاء ولا يمكن عليهما الفناء ، إذاً فلا يدخلان في عموم (كل شيء هالك) ولا في عموم (كل من عليها فان) .

وأما أدلة أهل السنة والجماعة وجمهور المسلمين وغيرهم فالقرآن والسنة كلها مملوءة من الأدلة على أن الله أعد الجنة والنار كما في قوله تعالى (أعدت للكافرين) وقوله عن الجنة (أعدت للمتقين) ، ومعنى الإعداد الإيجاد ، ومعنى أعدها أي أوجدها وهيأها .

ثالثا: أما إخباره عليه الصلاة والسلام ليلة أسري به أنه دخل الجنة وأنه نظر إلى النار وأنه وجد في الجنة كذا ووجد في النار كذا فهذا عليهم وليس لهم ، لأن كل هذا يدل على أن الجنة والنار مخلوقتان الآن .

رابعا: أما الجواب عن حديث (من قال سبحان الله العظيم وبحمده غرست له نخلة في الجنة)(١) .

فالجواب عليه أن يقال :

هذا الحديث وغيره مما يشْبهه كان ذكره ترغيبا للمؤمنين في المسارعة للعمل الصالح ، ومثله يقال فيما رآه النبي عليه الصلاة والسلام في النار من تعذيب عمرو بن لحي وغيره أن ذلك كان ترهيبا للكافرين ، ولا يعني الإحداث فيهما عدم وجودهما .

أما ما يتعلق بدوامهما وعدم فنائهما ، هل الجنة والنار تفنيان أو لا تفنيان أو يفنى أحدهما ، أو تدومان وتبقيان وتخلدان المسألة باختصار فيها أربعة مذاهب :

المذهب الأول : أن الجنة والنار باقيتان خالدتان لا تفنيان ولا تبيدان أبداً ، وهذا عليه جمهور المسلمين من أهل السنة والجماعة والأشاعرة والمعتزلة وغيرهم ، هؤلاء كلهم يعتقدون أن الجنة والنار دائمتان خالدتان لا تفنيان ولا تبيدان أبداً ، والأدلة على ذلك كثيرة من القرآن والحديث لا يتسع المقام لسردها منها ، من ذلك قوله سبحانه و تعالى : (خالدين فيها أبدا)

---

(١) رواه الترمذي (٣٤٦٤) بسند صحيح .

، وقوله سبحانه وتعالى بالنسبة للنار : (وما هم منها بمخرجين) ، وقوله سبحانه وتعالى بالنسبة للجنة : (عطاء غير مجذوذ)(سورة هود آية:١٠٨) أي غير مقطوع ، ونصوص كثيرة جداً لا يتسع المقام لسردها .

المذهب الثاني : مذهب ينسب لبعض السلف ووردت به آثار عن بعض الصحابة أنهم قالوا به ، وهو :أن الجنة باقية خالدة لا تفنى أبداً ولا تبيد وأهلها خالدون لا يبغون عنها حولا ، وأما النار تبقى مدة طويلة يعذب فيها أهلها ثم تفنى ويخرج منها أهلها ، وهذا قول يروى عن بعض السلف ، نقل عن عمر وغيره أنهم قالوا :(لو لبث أهل النار في النار كقدر رمل عالج لجاء لهم يوم يخرجون فيه) (١)، وكذلك ما روي عن أبي هريرة ومثله عن ابن مسعود وغيرهما أنهم قالوا : (سيأتي على جهنم يوم تصفق فيه أبوابها من قلة الساكنين)(٢) .

هذه الآثار وأمثالها استدل بها القائلون بفناء النار دون الجنة وأجابوا عن كل دليل يورده القائلون ببقاء النار بأن ذلك حاصل ما دامت النار موجودة :

كقوله سبحانه وتعالى : (وما هم بخارجين من النار) هذا نص على دوام النار ، لكنهم يمنعون ذلك ويقولون هذا في حالة محدودة ، يعني ما دامت موجودة .

وكذلك قوله سبحانه تعالى : (إن عذابها كان غراما)(سورة الفرقان آية:٦٥) أي ملازم لأهلها مادامت باقية .

فكل آية أو حديث وردت تدل على تأبيد النار يقولون : هذا مراد به ما دامت موجودة .

ومما استدل به القائلون بفناء النار أن الله سبحانه وتعالى قال : (إن الله لما قضى الخلق كتب عنده فوق عرشه: إن رحمتي سبقت غضبي)(٣) . وفي لفظ : (تغلب غضبى)(٤) ، قالوا فإذا كانت

---

(١) رواه عبد بن حميد عن عمر بن الخطاب ﷺ وقد ضعفه الصنعاني في رفع الأستار ص٦٥ .

(٢) يقول ابن القيم رحمه الله تعالى في أول الوابل الصيب . ولما كان الناس ثلاث طبقات :

طيب لا يشوبه خبث ، وخبيث لا طيب فيه وآخرون فيهم خبث وطيب ،كانت دورهم ثلاثة :

دار الطيب المحض ودار الخبيث المحض وهاتان الداران لا تفنيان .

ودار لمن معه خبث وطيب وهي الدار التي تفنى وهي دار العصاة فإنه لا يبقى في جهنم من عصاة الموحدين أحد فإنهم إذا عذبوا بقدر جزائهم أخرجوا من النار فأدخلوا الجنة ولا يبقى إلا دار الطيب المحض ودار الخبيث المحض .

انظر شرح الطحاوية لابن أبي العز تحقيق التركي ص ٦٢٦.

(٣) رواه البخاري (٧٥٥٤) .

(٤) رواه البخاري (٣١٩٤) ومسلم (٢٧٥١).

رحمة الله تغلب الغضب وتسبقه ، والجنة أثر الرحمة والنار أثر الغضب فلابد أن يغلب أثر الرحمة أثر الغضب ، فالجنة هي أثر الرحمة ستغلب النار التي هي أثر الغضب ، فتبقى وتخلد وتدوم ، أما النار فتفنى .

قالوا وكذلك من وجه آخر : العذاب مراد لله سبحانه وتعالى لغيره لا لذاته ، والرحمة مرادةٌ لله سبحانه وتعالى للاحسان لذاته ، فالله يريد الإحسان ويحب الإحسان لأجل الإحسان ويريد العذاب والانتقام لا لأجل العذاب والانتقام ، ولكن لأجل تأديب المعذبين وتطهيرهم وتهديدهم عن درن الكفر والمعاصي التي ارتكبوها ، فإذا عذبهم الله في النار مدداً كافية لتطهيرهم وتأديبهم فإن التأديب بعد ذلك يبقى لا حكمة فيه ، فلابد أن يخرج أهل النار منها إذا تطهروا وتهذبوا .

وكذلك قوله سبحانه وتعالى (ورحمتي وسعت كل شيء)(سورة الأعراف آية:١٥٦) قالوا : المعذبون في النار شيء ، فلا بد أن تسعهم رحمة الله فيخرجون من النار . وهكذا استمروا في سرد الشبهة التي يرون أنها توصل إلى ما ذهبوا إليه . وقد نسب هذا القول إلى ابن القيم وابن تيمية ولكن عندما تتأمل أقوالهما وتمحصها يتبين للإنسان أنهما متوقفان لم يقطعا بفناء النار ولا بخلودها(١) .

المذهب الثالث : مذهب الجهم بن صفوان واتباعه : وهو أن النار والجنة كلاهما تفنى وتبيد ، وأن ما فيهما يفنى ويبيد .

شبهتهم في ذلك : أن الجنة والنار لو بقيتا وخلدتا إلى ما لا نهاية لكانتا مشابهة لله سبحانه وتعالى في صفة البقاء والدوام ، لأن من صفات الله سبحانه وتعالى الدوام والبقاء ، وعدم قبول العدم عقلا .

والجواب عن هذا أن يقال : هناك فرق بين وصف الله سبحانه وتعالى بالدوام والبقاء وبين وصف الجنة والنار بالدوام والبقاء ، فإن دوامه سبحانه وتعالى واجب لذاته ولا يقبل العقل بخلافه ، أما دوام الجنة والنار فهو ممكن إلا أن الله سبحانه وتعالى حكم به وأراد أن تبقيا ، فلولا إرادة الله وحكمه لبقائهما لكانتا كغيرهما من المخلوقات تفنيان وتبيدان .

المذهب الرابع : مذهب أبي الهذيل العلاف وأتباعه من أئمة المعتزلة ، وهذا المذهب لا يبعد عن مذهب الجهم بن صفوان ، لأن الجهم بن صفوان يقول تفنى النار وتفنى الجنة ويفنى من فيهما ، أما أبو الهذيل العلاف فمذهبه قائم على أن الجنة والنار باقيتان وأن من فيهما باقون ولكن تنقطع الأفعال ، أي يبقون في النار وفي الجنة بسكون دائم لا يتحركون ولا يأكلون ولا يشربون ولا

---

(١) وقد نشر لشيخ الإسلام ابن تيمية كتاب "الرد على من قال بفناء الجنة والنار" ط دار بلنسية عام ١٩٩٥م .

يتنعمون ولا يتلذذون فيبقون في الجنة إلى ما لا نهاية ويبقون في النار إلى ما لانهاية ، من دون أن يكون لهم أفعال أو حركات .

وشبهته تقرب جداً من شبهة الجهم بن صفوان يقولون : لو قلنا بدوام حركات أهل الجنة والنار ودوام أفعالهما للزم أن تكون مشبهة لأفعال الله سبحانه تعالى فإذا كانت أفعاله تدوم ولا تنقطع وقلنا بأن أفعال أهل الجنة وأهل النار تدوم ولا تفنى لصارت مثل أفعال الله ، فاقترح هذا المذهب الوسط بين مذهب جمهور المسلمين وبين مذهب الجهم بن صفوان .

ولكن المذهب الصحيح الأول ، والثاني يليه في الصحة (١) ، أما المذهب الثالث والرابع فهما مذهبان باطلان لا يقومان على أساس ولا يقومان على مبدأ .

(وأن الله تعالى خلق الجنة والنار قبل الخلق وخلق لهما أهلاً ، فمن شاء منهم إلى الجنة فضلا منه ، ومن شاء منهم إلى النار عدلا منه ، وكل يعمل لما قد فرغ له وصائر إلى ما خلق له و الخير و الشر مقدران على العباد)

الشرح : هذا المقطع يتعلق بالقضاء والقدر ، بمعنى أن الله سبحانه وتعالى قدر وشاء وكتب ما سيصير إليه العبد قبل أن يخلقه ، فهو إذا كان سعيداً أو شقيا فهذا كله مكتوب ومقدر ، ويدل علية آيات كثيرة من القرآن وكذلك أحاديث ، كقوله ﷺ عند خلق الجنين : (ويؤمر بأربع كلمات : يكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد)(٢) .

يورد القدرية – نفاة القدر – على هذا فيقولون :

إذا كان الله قدر على العباد الشقاوة والسعادة فلماذا يعملون ، لماذا لا يتكلون على كتابتهم السابقة ولا حاجة إلى العمل .

وهذا جوابه أن يقال : إن الصحابة سألوا النبي ﷺ عن ذلك لما خطبهم وأخبرهم بأن الله كتب الشقاوة والسعادة قام سراقة بن مالك فقال: يا رسول الله : بين لنا ديننا ، كأنا خلقنا الآن ، فيم العمل اليوم ؟ أفيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير ، أم فيما يستقبل ؟ قال : (لا ، بل فيما

---

(١) لا يعني قول الشيخ (يليه في الصحة) تصويب هذا القول ، ولكن يعني قبول الاجتهاد في الأخذ به وأن ذلك لا يلزم عليه التبديع والتضليل ، وذلك لورود بعض الآثار عن السلف بهذا القول ، وهناك فتوى مخصوصة للشيخ حول هذه المسألة. أنظر ص٣٨٣ ، مما قال فيها : فمن اجتهد وهو من أهل الاجتهاد ، وأخذ بأحد القولين فإنه لا ينكر عليه ولا يضلل ولا يبدع .. الخ .

(٢) رواه البخاري (٣٢٠٨) ومسلم (٢٦٤٣) .

جفت به الأقلام وجرت به المقادير)، قال : ففيم العمل ؟ فقال : (اعملوا فكل ميسر لما خلق له)(١) فإذا كان الله سبحانه وتعالى أخبرنا بالقضاء والقدر وأمرنا أن نعمل فنؤمن بإخباره لنا بالقضاء والقدر ونصدقه ونعتقد ذلك ونعمل بقوله اعملوا كما قال سبحانه وتعالى : (فأما من أعطى واتقى * وصدق بالحسنى * فسنيسره لليسرى * وأما من بخل واستغنى * وكذب بالحسنى * فسنيسره للعسرى)(سورة الليل آية:١٠-٥) إذاً فنحن مطلوب منا الإيمان بالقضاء والقدر ومأمورون بالعمل ، فلابد لنا من الأمرين ، لابد أن نؤمن بما أخبرنا به من سبق القضاء والقدر ، ولا بد لنا أن نطيع الله ورسوله ونعمل ، والله ييسر لنا الخير و يقدرنا إليه سبحانه وتعالى .

والقضاء والقدر كره المؤلف في الكتاب ويأتي إن شاء الله زيادة كلام في موضع آخر.

(والاستطاعة التي يجب بها الفعل من نحو التوفيق الذي لا يوصف المخلوق به تكون مع الفعل ، وأما الاستطاعة من جهة الصحة والوسع والتمكن وسلامة الآلات فهي قبل الفعل و بها يتعلق الخطاب كما قال تعالى : لا يكلف الله نفسا إلا وسعها)

الشرح : الاستطاعة معناها لغة القدرة والطاقة .

ولها في اصطلاح العلماء ثلاثة مذاهب :

المذهب الأول : مذهب أهل السنة والجماعة .

المذهب الثاني : مذهب القدرية .

المذهب الثالث : مذهب الجبرية و الأشاعرة .

فأما خلاصة مذهب أهل السنة والجماعة في الاستطاعة فهي عندهم نوعان :

نوع يكون قبل الفعل ، ونوع يكون مع الفعل .

فالنوع الأول : ما يكون قبل الفعل وهو القدرة على الفعل ، يعني الوسع والتمكن وسلامة آلات الفعل ، فمن كانت عنده هذه الاستطاعة فهو مكلف وإن لم تكن عنده فليس بمكلف ، ولذا فسرها بسلامة آلات الفعل . مثلا : الرجل الأعمى يقال لا يستطيع الكتابة لماذا ؟ لأن آلات الكتابة عنده غير موجودة وهي البصر ، وكذلك المريض الذي لا يستطيع القيام للصلاة هذا لا يكلف بأن يصلي قائما بل يكفي منه شرعاً أن يصلي قاعداً كما قال ﷺ: (صل قائماً فإن لم تستطع فقاعداً فإن لم تستطع فعلى جنب)(٢) .

---

(١) رواه مسلم (٢٦٤٨) و البخاري بلفظ آخر (١٣٦٢) .

(٢) رواه البخاري (١١١٧) وأبو داود (٩٥٢) والترمذي (٣٧٢) وابن ماجه (١٢٢٣) .

إذاً هذا النوع من أنواع الاستطاعة يفسر بالقدرة على الفعل بكون العبد يمكنه أن يفعل ، بمعنى أن تكون آلات الفعل موجودة كاملة عنده وليس هناك ما يمنعه من أن يفعل ، فمن كان مستطيعا للنوع الأول كلّف وخوطب وأثيب على فعله وعوقب على تركه ، ومن لم يكن مستطيعا فإنه لا يكلف ولا يعاقب على ترك الفعل .

النوع الثاني : هو ما يعطيه الله للعبد من التوفيق والتسديد والإعانة حتى يحصل منه الفعل ، وهذا النوع يكون مع الفعل مقارنا له ، لا يأتي وحده بل لا يمكن أن يوجد الفعل إلا وهذا النوع من الاستطاعة مقارن ومصاحب له ، إذاً فهو استطاعة ، ولكن لا يتعلق بها التكليف الشرعي لكون هذه الاستطاعة من الله سبحانه وتعالى ، ولأن التكليف يتعلق بمعنى سلامة الفعل والآلات والتمكن منه .

ويستدل أهل السنة على النوع الأول بآيات كثيرة وأحاديث :

كقوله سبحانه (لا يكلف الله نفسا إلا وسعها)(سورة البقرة آية:٢٨٦) هذا يدل على أن الإنسان إذا فقد الاستطاعة التي بمعنى التمكن من الفعل فهو غير مكلف .

وكذا قوله سبحانه وتعالى : (فاتقوا الله ما استطعتم)(سورة التغابن آية:١٦) .

وقوله تعالى : (ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا)(سورة آل عمران آية:٩٧) فالعاجز عن أداء الحج إذا لم يكن لديه مال ولا راحلة يتوصل بهما إلى مكة فلا يكلف ، لأن الاستطاعة التي هي مناط التكليف مفقودة منه .

وكذا قول النبي ﷺ : (صل قائما فإن لم تستطع فقاعداً فإن لم تستطع فعلى جنب)(١) .

و يستدلون على النوع الثاني :

كما في قوله سبحانه وتعالى عن الكفار (ما كانوا يستطيعون السمع)(سورة هود آية:٢٠) فهل الكفار صم ما يسمعون ؟ هم يسمعون ، فنفيه عنهم الاستطاعة مما يدل على أنه نفى عنهم التوفيق والإعانة والتسديد فقوله (ما كانوا يستطيعون) يعني ما حصل لهم التسديد من الله والإعانة من الله ولا التوفيق من الله .

وكذلك قوله (إنك لن تستطيع معي صبراً) الخضر قال لموسى لن يحصل منك استطاعة لما سأفعله ، فهل موسى عاجز عن الاستطاعة التي هي بمعنى التمكن من الفعل ؟ موسى عليه السلام من أولي العزم الخمسة الذين أمر نبينا ﷺ أن يقتدى بهم كما في قوله تعالى

---

(١) رواه البخاري (١١١٧) وأبو داود (٩٥٢) والترمذي (٣٧٢) وابن ماجه (١٢٢٣) .

(فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل) وموسى واحد منهم ، وهم يستطيعون الصبر أكثر من غيرهم ومع هذا قال الخضر (إنك لن تستطيع معي صبرا)(سورة الكهف آية:٦٧) يعني لن يحصل منك فعل الصبر ، ولن يعطيك الله فعل الصبر ، فالاستطاعة التي مع الفعل هي التي بمعنى التوفيق والإعانة والتسديد من الله سبحانه وتعالى .

المذهب الثاني : مذهب القدرية ، والقدرية يقرون بالاستطاعة التي قبل الفعل ، التي هي بمعنى التكليف والقدرة على الفعل ، ولكن ينكرون النوع الثاني ، ويقولون ليس هناك استطاعة مع الفعل ، فالاستطاعة عندهم نوع واحد وهي التي تكون قبل الفعل وهي التي يتعلق بها التكليف .
يعني النوع الأول عند أهل السنة والجماعة يقر به المعتزلة ، ولكن ينكرون النوع الثاني الذي هو بمعنى التوفيق . وشبهتهم في ذلك يقولون : إذا قلنا إن هناك استطاعة بمعنى توفيق الله وإعانته وأنه يوفق من يشاء ولا يوفق من يشاء ويعين من يشاء ولا يعين من يشاء ، لو أقررنا بهذا لكان الله ظالماً ، كيف يوفق هذا ويمنع توفيقه عن هذا ، فينكرون التي مع الفعل بهذه الشبه الفاسدة تعالى الله عن ذلك وتقدس .
ولكن شبهتهم هذه أبطلها أهل السنة والجماعة وقالوا : إن التوفيق والتسديد والإعانة ملك لله سبحانه وتعالى ، والمالك للشيء يعطيه من شاء ويمنعه من شاء ولا يكون ظالما ، فأنت إذا كان لك شيء تملكه كتاباً أو غيره ، فلو أعطيت فلانا ومنعت فلانا لا تعتبر ظالما لأن الكتاب ملكك ، والمالك للشيء يعطيه من شاء فضلا ويمنعه من شاء عدلا .
ولهذا لما دخل عبد الجبار الهمذاني المعتزلي على الصاحب بن عباد وكان عنده الإسفرائيني ، وكان الاسفرائيني أشعريا يخالف المعتزلة ، وعبد الجبار منهم ينكر الاستطاعة التي مع الفعل والاسفرائيني يقر بها لأنه اشعري جبري .
قال عبدالجبار على الفور : سبحان من تنزه عن الفحشاء .
فقال الإسفرائيني فورا : كلمة حق أريد بها باطل ، سبحان من لا يقع في ملكه إلا ما يشاء .
فقال عبدالجبار — وفهم انه قد عرف مراده – : أيريد ربنا أن يعصى ؟
فقال أبو إسحاق : أيعصى ربنا قهرا ؟
فقال عبد الجبار : أرأيت إن منعني الهدى وقضى علي بالردى ، أحسن إلي أم أساء ؟
فقال الإسفرائيني : إن كان منعك ماهو لك فقد أساء ، وإن كان منعك ماهو له فيختص برحمته من يشاء .

فانقطع القدري عبدالجبار وسكت ولم يجد جواباً (١) .

فقوله : سبحان من تنزه عن الفحشاء يعني سبحان من لا يخلق المعاصي ، والاسفرائيني قال : كلمة حق أريد بها باطل . يعني قول من يقول إن الله متنزه عن الفحشاء حق ولكنك تريد باطلا فلما عرف قصده رد عليه بما ذكر .

فالحاصل أن المعتزلة ينكرون الاستطاعة التي بمعنى التوفيق والإعانة والتسديد وأنها لا وجود لها ، ويقرون بالاستطاعة التي تكون قبل الفعل والتي هي مناط التكليف والتي يتعلق بها الخطاب .

المذهب الثالث : مذهب الجبرية الأشاعرة ، فهؤلاء ينكرون التي قبل الفعل ، ويقولون لا تأثير لها ولا وجود لها ، ويقرون بالاستطاعة التي مع الفعل فقط ، والتي هي بمعنى التوفيق والتسديد ، يقولون هي الأساس فإن حصلت من الله حصل الفعل وإن لم تحصل لم يحصل الفعل .

وهناك كلام طويل للعلماء في هذا الموضوع .

لكن خلاصة ما يقال في هذه المسألة أن أهل السنة والجماعة يقولون بالنوعين ، والقدرية يقرون بالتي تكون قبل الفعل ، والأشاعرة والجبرية يقرون بالتي تكون مع الفعل فقط .

(وأفعال العباد خلق الله)

الشرح : وأفعال العباد خلق الله وكسب من العباد ، أما خلق الله فهذا مذهب أهل السنة والجماعة قاطبة ، وهو أن الله سبحانه وتعالى هو الخالق لأفعال العباد وأن كل شيء يقوم به العبد من حركة أو سكون أو حسن أو قبيح أو طاعة أو معصية كله خلق لله سبحانه وتعالى ، لا خالق إلا الله تعالى .

فأهل السنة يقرون بأن الله هو الخالق لأفعال العباد ولكن العبد هو الفاعل ، وفرق بين الخلق والفعل ، والعبد فاعل حقيقة وله مشيئة وإرادة بفعله ، ولكن فعله لا يكون بدون إرادة الله ومشيئة الله ، الله عز وجل يريد فعل العبد وييسره له ويعينه عليه والعبد هو المتحرك بفعله وهو الفاعل والله الخالق ولكن ذلك تابع لمشيئته سبحانه .

هذا هو المذهب الأول وهو مذهب أهل السنة والجماعة ومن تبعهم من الطوائف الأخرى ، وهذا هو الذي توافرت عليه الأدلة من الكتاب والحديث :

---

(١) انظر دفع إيهام الاضطراب للشنقيطي في آخر أضواء البيان ٣٣١/١٠ ، ولوامع الأنوار البهية للسفاريني ١ / ٣٣٩ .

فمن الكتاب قوله تعالى (أتعبدون ما تنحتون *والله خلقكم وما تعملون)(سورة الصافات آية:٩٦-٩٥) أي خلقكم وخلق أعمالكم ومعمولاتكم ، و (ما) هنا موصولة .

وكذلك قوله سبحانه وتعالى : (ونفس ما سواها * فألهمها فجورها وتقواها)(سورة الشمس آية:٨-٧) فقوله : (ألهمها) دليل على أن الله سبحانه وتعالى هو الموفق للعباد والمعين لهم على أفعالهم ، فبدون إعانته لا تحصل الأفعال وقوله (فجورها وتقواها) إضافة الفجور إلى النفس وإضافة التقوى إلى النفس ، دليل على أنها هي الفاعل لفعلها .

وهذا المذهب أدلته كثيرة في القرآن .

المذهب الثاني :

وأما من خالف أهل الحق كالمعتزلة والرافضة فإنهم أنكروا أن يكون الله سبحانه وتعالى هو الخالق لأفعال العباد ، وقالوا : الله هو الخالق للعباد ، لكن العباد هم من يخلق أفعالهم ، ويقولون لو كان الله هو الخالق لأفعالهم للزم من ذلك وصف الله بالظلم ، يخلق الكفر ثم يعاقب عليه .! يخلق المعصية ثم يعاقب عليها .! يقولون هذا ظلم ، والله سبحانه وتعالى منزه عن الظلم .

ومن أدلتهم التي لبسوا بها :

قوله سبحانه تعالى : (فتبارك الله أحسن الخالقين)(سورة المؤمنون آية:١٤) وجه الاستدلال من الآية أنها تضمنت بيان تعدد الخالقين ، فإذا كان هناك خالقون كان هناك خالق غير الله ، إذاً فالخالقون هنا الله والعباد ، الله يخلق العباد والعباد يخلقون أفعالهم .

أهل السنة والجماعة أجابوا عن الشبهة الأولى التي يزعمون أنها دليل عقلي فقالوا :

إن شبهتكم هذه تلزمكم في كل شيء لو طبقت ، فإننا نناظركم في هذه المسألة ونقول لكم :

أنتم تقولون إن الله لم يخلق أفعال العباد ، لأنه لو خلقها وعاقبهم عليها للزم أن يكون ظالما لهم ، فهل تقرون بأن الله يعلم أفعال العباد قبل أن يخلقها العباد على حسب زعمكم ، أو كان جاهلا بها ؟

وهذا معنى قول الشافعي رحمه الله : ناظروا القدرية بالعلم فإن أقروا به خصموا وإن أنكروه كفروا .

فيقال هل تعتقد أيها القدري وتعترف بأن الله عز وجل علم أفعال العباد كالمعاصي والكفر قبل أن يخلقها أو جهلها ؟ ولا بد له من جواب :

إما أن يقول : علمها الله ، وإما أن يقول جهلها .

فإن قال : إن الله كان جاهلا بها كفر بالإجماع ، لأن المسلمين أجمعوا كلهم على أن من نسب إلى الله الجهل فهو كافر ، وهذا معنى ما قاله الإمام الشافعي : فإن أنكروه – أي العلم – كفروا ، يعني إن قالوا : إن الله يجهل أفعال العباد قبل أن يوجدوها كفروا .

وإن قال : بل علمها الله تعالى قبل أن يخلقوها .

قيل له : هل كان قادراً على صرفهم عن المعاصي والكفر أو كان عاجزاً ؟

فإن قال : كان عاجزاً .

قيل له : كفرت بالإجماع ، لأن المسلمين أجمعوا على أن من وصف الله بالعجز فهو كافر .

فإن قال : بل علمها وكان قادراً على صرفهم عنها .

قيل له : إذاً إذا كان عالما بأن فلانا سيفعل الكفر وقادراً على صرفه عن الكفر إلى الإيمان فكونه تركه يكفر ولم يصرفه إلى الإيمان مع قدرته عليه يكون ظالما له .

إذاً فهم لا يخلوا إما أن يكفروا وإما أن يَلزمهم نظير ما فروا منه .

وهناك طريقة أخرى للمناظرة وهي أن يقال :

إن معنى قول : إن الله يخلق أفعال العباد ، بمعنى أنه يوفقهم ويعينهم ويهديهم وييسر لهم الفعل فهذه الهداية وهذا التوفيق وهذا التسديد الذي به يحصل الفعل هل هو ملك للعبد أو هو ملك لله ؟ ومعلوم قطعا أنه ملك لله ، فإذا اقروا بأنه ملك لله لم يكن الله ظالما لهم إذا منعهم إياها ، فهم كفروا بسبب منع الله سبحانه وتعالى لهدايته لهم وتوفيقه ، إذاً الذي منعه عنهم هو ملكه ، ومعلوم عقلا أن المالك للشيء إذا منعه عن الغير لا يسمى ظالما ، ولا يعتبر ظالما ، لأن المالك للشيء قد يعطيه من شاء فضلا ويمنعه من شاء عدلا ، وكذلك الله سبحانه وتعالى أقدرهم على الفعل فجعل وسائل الفعل موجودة عندهم ، فجعلهم قادرين وجعلهم أصحاء وأعطاهم الاختيار وبين لهم الحق من الباطل ، ولكن غاية ما هنالك أنه منعهم التوفيق ، والتوفيق ملك الله سبحانه وتعالى إن شاء أعطاهم إياه وإن شاء منعهم إياه ، وإذا منعهم إياه فهو ملكه والمانع لملكه لا يكون ظالما لمن منعه عنه .

هذا جوابهم عن الشبهة العقلية .

أما عن الشبهة السمعية : وهي قوله سبحانه وتعالى : (فتبارك الله أحسن الخالقين)(سورة المؤمنون آية:١٤) يقال لهم :

أولا :

كيف استدللتم بالآية وأنتم من أصولكم أن النقل لا يصلح دليلا على مسائل الأصول ، لأن من الأصول والقواعد عند المعتزلة أنه لا يُستدل على مسائل أصول الدين إلا بأدلة عقلية (١) ، أما الأدلة السمعية فإنهم لا يرون فيها دلالة (٢) ، لأنها إما أن تكون ظنية الثبوت كالآحاد وإما أن تكون ظنية الدلالة كالقرآن والمتواتر من السنة .

السمع عند المعتزلة وعلماء الكلام قسمان ، كما هو عند غيرهم : متواتر وآحاد ، هم يقولون المتواتر والآحاد كلاهما لا يصلح دليلا على مسائل أصول الدين – أي العقائد – قالوا :

لأن الآحاد ليست قطعية الثبوت بل هي ظنية الثبوت ، فإذا كانت ظنية فالظني يحتمل الثبوت ويحتمل عدمه ، فلا دلالة فيه .

أما القرآن والمتواتر من الحديث فهو وإن كان قطعي الثبوت فإنه ظني الدلالة ، دلالته محتمله ، والمثال قوله سبحانه وتعالى : (الرحمن على العرش استوى)(سورة طه آية:٥) ، يقولون دلالته على الاستقرار والعلو ظنية ، لماذا ؟ لأنه يحتمل الاستواء ويحتمل الاستيلاء .

فيقال لهم : أنتم لا ترون في الأدلة النقلية حجة على مسائل الأصول فلماذا استدللتم بهذه الآية ؟

ثانيا :

يقال لهم : حتى النصوص التي استدللتم بها واعتقدتم صحتها فإن قوله سبحانه وتعالى : (فتبارك الله أحسن الخالقين) لا دلالة فيها لكم (٣) :

لأن الخلق يطلق في اللغة تارة ويراد به الإيجاد من العدم ، ويطلق تارة ويراد به التصوير والاختراع ، تقول خلق الله الإنسان وخلق الله الخلق أي أوجدهم من العدم ، وتقول خلق الخراز النعل أي قاسه وصوره وقدره ، وخلق الخياط الثوب بمعنى فصّله ، يعني هيأ صورته وقوله تعالى : (فتبارك الله أحسن الخالقين) أي المقدرين المصورين ، وليس الموجودين ، فإنه لا موجد إلا الله ، فالله سبحانه وتعالى أحسن المقدرين وأحسن المصورين ، أما الإيجاد فلا يوجد موجِد إلا الله سبحانه وتعالى

---

(١) يقول عضد الدين الايجي في الموقف الأول من (المواقف) :

الثاني : ما يتوقف عليه النقل مثل وجود الصانع ونبوة محمد فهذا لا يثبت إلا بالعقل .

انظر التنكيل للمعلمي ٢ / ٣٢٥ .

(٢) بل يقول الغزالي في الإحياء ١/ ١٨٠ :

فأما من يأخذ معرفة هذه الأمور من السمع فلا يستقر له فيها قدم ولا يتعين له موقف .

(٣) ينظر ص ٢٦٧.

وهذا معروف في لغة العرب ومنه قول الشاعر في ممدوحه :

ولأنت تفري ما خلقت وبعض القوم يخلق ثم لا يفري (١)

تفري أي تنفّذ ، يصف ممدوحه بأن لديه القدرة على تنفيذ ما يخلق أي ما يقدره ويصوره ويزينه بنفسه من فعل ، والفري هنا متجوّز به عن شق الخراز الجلد ، فكما أن الخراز الماهر إذ أراد أن يوجد نعلا فإنه يقدّر مقدار النعل ثم يفري الجلد أي يشقه على المقاس الذي أراده ولا يتردد في ذلك ولا يخطئ ، يقول أنت أيها الممدوح تفري ما خلقت أي تنفذ ما قدرته وصورته ولا أحد يمنعك عن ذلك ، وأما غيرك من الناس فهو وإن كان لديه الخلق بمعنى التقدير والتصوير والتخطيط إلا أنه يعجز عن التنفيذ فلا يفري .

فهذا دليل على أن الخلق يطلق في اللغة ويراد به غير الإيجاد وهو المراد في قوله تعالى : (أحسن الخالقين) .

هذا ردهم على الشبهة التي تذرعوا بها من النقل .

وسياق الآيات يدل على رد هذه الشبهة ، والذي هو بمعنى التصوير ، وهو قوله تعالى (ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين * ثم جعلناه نطفة في قرار مكين * ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين)(سورة المؤمنون آية:١٤-١١) .

(وكسب من العباد)

الشرح : الكسب الذي يريده المؤلف هنا هو الفعل ، لأنه معروف أن مذهبه في هذه المسألة هو مذهب أهل السنة والجماعة ، فهو يقول هي خلق لله وفعل للعبد ، لكنه عبر بالكسب لأن الكسب والفعل بمعنى واحد لا فرق بينهما .

هو عبر بالكسب عن الفعل وهو لا يريد الكسب الذي تريده الأشاعرة .

فإن الأشاعرة يقولون العبد له كسب وليس له فعل وهذا تناقض ، فلا يعقل شيء اسمه الكسب وشيء اسمه الفعل ، بل الفعل هو الكسب وهذا هو الذي عبر عنه المؤلف في قوله : (وكسب من العبد) هو يريد أن العباد أفعالهم لهم وهي مخلوقة لله سبحانه وتعالى .

---

(١) ينظر مفردات الراغب الأصفهاني مادة خلق ، وأضواء البيان ٢٦٧/٦ .

والكسب أطلقه المؤلف هنا ، والذي لا يعرف مذهب المؤلف قد يظن أنه يساير الأشاعرة فيثبت الكسب وينفي الفعل ، وهذا ليس هو مذهب المؤلف ، بل مذهبه إثبات الفعل للعبد على سبيل الحقيقة والاختيار ، وإن كان يرى أن الفعل مخلوق لله سبحانه وتعالى لكنه عبر بالكسب عن الفعل فقط ، وقوله في المقطع السابق : (وأفعال العباد خلق لله) ينص على أنه مع أهل السنة والجماعة حيث جعلها خلقا لله ، لكن الأوضح لو قال : وأفعال العباد خلق الله وهي أفعالهم ، لكنه قال : (خلق الله وكسب من العبد) يعني وفعل لهم .

المذهب الثالث (١):

مذهب الجبرية و الأشاعرة منهم ، فإنهم يثبتون للعبد كسبا وينفون عنه الفعل .

والعلماء كلهم يقولون إن العقلاء مجمعون على أنه ليس هناك كسب غير الفعل ، بل الكسب هو الفعل والفعل هو الكسب ، فمن أثبت الكسب لزمه ثبوت الفعل ومن نفى الفعل لزمه نفي الكسب فالفعل والكسب سواء ، هذه هي الحقيقة .

لكن الأشاعرة يفرقون ، فيثبتون كسبا لا يعقل وقصدهم التستّر وهم يثبتون ذلك مغالطة ، وإلا فهم في باب أفعال العباد جبرية ، وقد صرح ابن تيمية في أكثر من موضع بأن الأشاعرة جبرية محضة ، لأنهم يقولون أفعال العباد أفعال الله لكن لهم كسب ، مع أنه لا فرق بين الفعل والكسب ، فإذا قالوا إن العبد لا يفعل وإنما أفعاله هي أفعال الله إذاً فقولهم له كسب لا معنى له .

والعلماء قالوا إثبات الكسب ونفي الفعل من الأمور المستحيلة عقلا .

فالجبرية يقولون إن العبد ليس له فعل وليس له اختيار وليس له مشيئة بل هو مجبور على ما يصدر عنه من أفعال وهذه الأفعال التي تصدر عنه هي أفعال الله تبارك وتعالى فإذا قالوا قرأ فلان أو كتب فإنهم يعنون قرأ الله وكتب الله ، يلزمهم هذا ، لأنهم يقولون ليس للعبد فعل مطلقا .

فإذا قيل لهم لماذا يسمى إذاً فاعلا وتنسب إليه الأفعال ؟

قالوا : تنسب إليه على سبيل المجاز المرسل لأنه محلها ، فنسبة الفعل إلى العبد إذا قلت قام فلان نسبة مجازية علاقتها المحليّة ، كما تقول خرج الجامع وكما تقول خرجت الكلية وتقول خرجت المدرسة وأنت تعني خرج الطلاب فكذلك قام فلان وقعد فلان مثل ذلك تماما ، يعني قام الله وقعد الله ، تعالى الله عما يقول هؤلاء علوا كبيرا ، فلا يثبتون للعبد فعلا مطلقا ولا مشيئة ولا اختيارا ، بل هو مجبور وحركته بأفعاله كحركة أغصان هذه الشجرة إذا هبت بها الرياح تماما ،

---

(١) في المقطع السابق ذكر مذهب أهل السنة ومذهب القدرية .

فكما أن الشجرة تتحرك أغصانها بدون إرادة وبدون مشيئة وليست هي المتحركة بل هي محركة ، فكذلك العبد إذا فعل فهو مجبور عليه وحركته مفعولة فيه ، فعلها الله وليس هو الفاعل لها .

وبالنسبة لفعل العبد فإن في مذهب القدرية جزء منه حق وجزء منه باطل ، وفي مذهب الجبرية جزء منه حق وجزء منه باطل ، ومذهب أهل السنة والجماعة هو مجموع جزئي الحق الموجودين في مذهب القدرية وفي مذهب الجبرية .

فالقدري يقول إن للعبد فعلا ومشيئة واختياراً وهذا حقٌ ، ثم يقول ولكن هو الخالق لفعله ، وهذا هو الباطل في مذهب القدرية يعني مذهب القدرية جزآن ، العبد فاعل لفعله حقيقة له فعل وله اختيار له مشيئة وله إرادة وهذا حق ثم يقولون والخالق لأفعاله هو وليس الله خالقهما .

والجبرية يقولون إن الله سبحانه وتعالى هو الخالق لأفعال العباد ، خلقها وشاءها وأرادها وقدرها وهذا حق ، ولكن يزيدون على هذا ويقولون العبد ليس له فعل بل هو مجبور على أفعاله وهذا باطل .

إذاً فقول القدرية العبد فاعل حقيقة وله مشيئة واختيار وقول الجبرية الله خالق أفعال العباد ومقدرها هذا حق أيضا .

فاجمع هذا مع هذا يظهر لك مذهب أهل السنة والجماعة .

أهل السنة والجماعة يقولون العبد فاعل حقيقة وله مشيئة واختيار ، والمعتزلة يقولون كذلك ، ويقول أهل السنة والجماعة الله خالق أفعال العبد ومقدرها ومريدها ، وهكذا تقول الجبرية إنما الخلاف بين أهل السنة و الجماعة وبين القدرية هو خلق الفعل ، فأهل السنة والجماعة يقولون الخالق له الله والمعتزلة يقولون الخالق له العبد .

والخلاف بين أهل السنة والجماعة وبين الجبرية أن أهل السنة والجماعة يقولون كما تقول الجبرية بأن الله خالق أفعال العباد ومقدرها ومريدها ، ولكن نقطة الخلاف بينهم وبين الجبرية أن العبد مجبور كما تقول الجبرية وأهل السنة والجماعة يقولون العبد ليس مجبوراً بل هو مختار وفاعل ومريد لفعله .

بقي أن نعرف شبهة الجبرية بعد أن عرفنا شبهة القدرية :

الجبرية يستدلون بقوله تعالى : (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى)(سورة الأنفال آية:١٧) يقولون هذه الآية نص على أن العبد لا فعل له ، فإنه نفى عنه الفعل فقال : (وما رميت) وأثبت الفعل لله فقال : (ولكن الله رمى) إذاً فالفاعل هو الله وإن تحرك العبد بالفعل .

وأهل السنة والجماعة أجابوا عن هذه الشبهة وهذا الاستدلال الخاطئ فقالوا :

إن الرمي يطلق في لغة العرب ويراد به أحد أمرين :

١ – تارة يطلق ويراد به الإصابة ، إصابة السهم للهدف .

٢ – وتارة يطلق ويراد به إرسال السهم .

والله سبحانه وتعالى نفى عن العبد أحد النوعين وهو الإصابة وأثبت له أحدهما وهو الإرسال فقال سبحانه : (إذ رميت) وهذا إثبات ، لأن العبد رمى ولكن نفى عنه الإصابة ، فكأنه يقول ما أصبت إذ حذفت أو أطلقت السهم . و قد رد عليهم من نفس الآية .

(ولم يكلفهم الله تعالى إلاّ ما يطيقون ، ولا يطيقون إلا ما كلفهم)

الشرح : قوله : (ولا يطيقون إلا ما كلفهم) هذه الفقرة عليها شيء من الملاحظة .

فقوله : (ولم يكلفهم الله تعالى إلا ما يطيقون) هذا صحيح ، الله سبحانه وتعالى لا يكلف نفسا إلا وسعها ، لا يكلف أحداً ما لا يطيق ، وهذا هو الراجح من مذهب الأصوليين أن التكليف بغير المستطاع لا يجوز ، وليس من الحكمة أن يكلف الله أحدا بمالا يطيقه عقلا ، و الشرع كذلك دل على ذلك كقوله تعالى : (لا يكلف الله نفسا إلا وسعها)(سورة البقرة آية:٢٨٦) ، لكن قوله : (ولا يطيقون إلا ما كلفهم) هذا عليه ملاحظة ، لأن الله سبحانه وتعالى كلف الناس بتكاليف ، كلفنا بخمسة فروض في أربع وعشرين ساعة ، وكلفنا بصيام شهر من اثني عشر شهراً ، لكن هل معنى ذلك أننا لا نطيق سوى هذا ؟ لو أن الله سبحانه وتعالى جعل الفرائض ستة : الفجر والضحى والظهر والعصر والمغرب والعشاء ؟ هل نطيق ذلك أولا نطيق ؟ نطيق ذلك بسهولة ، ولكن مقتضى كلام المؤلف أننا لا نطيق أكثر مما كلفنا لقوله : (ولا يطيقون إلا ما كلفهم) وهذا غير صحيح ، لذلك فالعبارة فيها خطأ ، ويلتمس لها تصويب ، ومما التمس لها من التصويب قول بعض العلماء إنه يعني بقوله (ولا يطيقون إلا ما كلفهم) أي لا يطيقون بدون مشقة وبدون ثقل إلا ما كلفهم ، أما ما لم يكلفهم به فإنهم يطيقونه ولكن بمشقة وجهد ، فلو أن الله سبحانه وتعالى فرض علينا صيام شهرين في السنة لأطقنا ذلك ، لكن يكون في ذلك كلفة وفيه ثقل وفيه مشقة ، فقوله : (ولا يطيقون إلا ما كلفهم) أي ولا يطيقون بيسر وسهولة إلا ما كلفهم به ، أما ما لم يكلفهم به فلو كلفهم به لأطاقوه ولكن بمشقة وعسر .

هذا ما أجاب به العلماء عما في هذه العبارة من قلق وأظن الشارح أشار ولا حظ عليها ووجهها بتوجيهات منها الصحيح ومنها غير الصحيح لكن أحسن ما يقال في الاعتذار عن المؤلف بما

سبق ، وكونه مثلا فرض على النبي ﷺ كل يوم وليلة هذا تكليف ، لكنهم لما كانوا لا يطيقونه عادة أي يصعب عادة أن يؤدي الإنسان خمسين فرضا في أربع عشرين ساعة نسخ لكنه شرع في الأول .

وينظّرون لذلك بقولهم :كما لو أن إنسانا يبغض إنسانا قال : أنا لا أطيق النظر إلى فلان هل معنى ذلك أنه ليس في استطاعته أن ينظر إليه ، لا . هو يقدر ويطيق ذلك لكنه لا يطيقه إلا بثقل وعسر . والتكليف بما لا يطاق محل بحثه في أصول الفقه وفي علم الكلام . والراجح أن الله سبحانه وتعالى لا يكلف بما لا يطاق عقلا ، أما مالا يطاق عادة فقد يكلف به سبحانه وتعالى .

(وهو تفسير لا حول ولا قوة إلا بالله ، نقول لا حيلة لأحد ولا حركة لأحد ولا تحول لأحد ولا حركة لأحد عن معصية الله إلا بمعونة الله ، ولا قوة لأحد على إقامة طاعة الله والثبات عليها إلا بتوفيق الله تعالى)

الشرح : قوله لا حول ولا قوة إلا بالله يعني لا يكلفهم الله إلا ما يطيقون ولا يطيقون إلا ما كلفهم ، أي أن الإنسان لا حيلة له ولا تحول له من حال المعصية إلى الطاعة أو العكس إلا بتوفيق من الله سبحانه وتعالى ، فالإنسان لا قوة له على التحول من المعاصي للطاعات والعكس إلا بالله سبحانه وتعالى ، لا حيلة لأحد أي لا قوة إلا بالله ، ولا تحول من حال إلى حال إلا بالله سبحانه وتعالى .

(وكل شيء يجري بمشيئة الله تعالى وعلمه وقضائه وقدره ، غلبت مشيئته المشيئات كلها ، وغلب قضاؤه الحيل كلها ، يفعل ما يشاء وهو غير ظالم أبداً)

الشرح : هذا من تمام الكلام على القضاء والقدر ، علم كل شيء وقدره وشاءه قبل أن يكون ، وكل شيء يجري من ابن آدم على حسب ما قضاه الله وقدره وشاءه من خير أو شر .

والظلم معناه وضع الشيء في غير موضعه ، والله سبحانه وتعالى لا يظلم أحداً ، والقران مليء من الآيات التي تنص على أن الله لا يظلم أحداً (وما ربك بظلام للعبيد)(سورة فصلت آية:٤٦) وقوله تعالى : (ولا يظلم ربك أحداً)(سورة الكهف آية:٤٩) وقوله تعالى : (وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم)(سورة هود آية:١٠١) وكثيرا ما ينزه نفسه سبحانه عن الظلم ، بل وحرم الظلم على نفسه كما في الحديث القدسي أن الله سبحانه قال : (إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا)(١) فهو حرم على نفسه سبحانه وتعالى أن يظلم الناس لأن الظلم لا

يليق به سبحانه وتعالى وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة وهو أن الله لا يظلم أحداً لا لعجزه عن الظلم ولكن لتنزيهه نفسه عنه ، فالظلم ممكن عقلا ولكنه ممتنع عادة ، فالله سبحانه وتعالى أجرى العادة أنه لا يظلم أحداً ، ولا نقول إنه مستحيل على الله ولو أراد أن يظلم لعجز ، لا . نقول الظلم ممكن ولكنه حرمه على نفسه ونزه نفسه عنه ، ولو كان الظلم مستحيلا عقلا لما جاز نفيه ولما جاز تأمين الناس منه : (ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما)(سورة طه آية:١١٢) لو كان الظلم مستحيلا لما أمّن الله المؤمنين من الظلم ، ولما كان لهذه الآية معنى في نفي الظلم ، وذلك أن المستحيل لا يخاف منه – لما أمّن المؤمنين من الظلم دل ذلك على انه ممكن وليس بمستحيل ويحرمه على نفسه .

أما القدرية والمعتزلة فإنهم ينزهون الله عن الظلم ولكنهم يقولون إنه لا يقع منه الظلم لعجزه واستحالته عن أن يفعل ذلك ، ولو أراد أن يظلم أحدا لما قدر (١) ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

(تقدس عن كل سوء وحين ، وتنزه عن كل عيب وشين)

الشرح : السوء ما يسوء من الأفعال الرديئة ، والحَين بفتح الحاء الهلاك ، والله منزه سبحانه وتعالى عن أن يتصف بسوء وعيب ، وهو قديم أزلي أبدي لا يجوز عليه الفناء ولا يجوز عليه الهلاك سبحانه وتعالى .

(لا يسأل عما يفعل وهم يسئلون)

الشرح : هذه قاعدة من القواعد التي نهج عليها السلف رضوان الله عليهم أنهم لا يسألون عن أفعال الله سبحانه سؤال احتجاج واعتراض ، وإنما يسألون سؤال استفهام واستعلام لمعانيها ، لأن أفعاله سبحانه وتعالى صادرة عن حكمة ومشيئة وإرادة ، فإن أدركنا معنى الفعل أو معنى التشريع وحكمته فبها ، وإن عجزنا فلا نرده ونقول إننا لا نعلم معنى هذا الفعل أو هذا التشريع ، الله سبحانه وتعالى أفعاله وتشريعاته كلها تصدر عن حكمة ، لكن منها ما ندرك حكمته ونعرفها وتظهر لنا ومنها ما يخفى علينا ، والكثير مما لا نعلمه أكثر مما يظهر لنا ونعلمه ، لأن الله سبحانه وتعالى : (لا يسأل عما يفعل وهم يسئلون)(سورة الأنبياء آية:٢٣) فالسؤال بلِمَ لا يجوز ،

=(١) رواه مسلم (٢٥٧٧) .

(١) انظر الفصل في الملل والأهواء والنحل ٣ / ١١٢ ت يوسف البقاعي .

لا يجوز أن تقول لم فعل كذا لم شرع كذا لم خلق كذا ، هذا اعتراض على حكم الله وعلى إرادته سبحانه وتعالى .

وإن كان السؤال عن معاني أفعاله وتشريعاته لتُعلم فهذا جائز .

(وفي دعاء الأحياء وصدقاتهم منفعة للأموات)

الشرح : هذه مسألة إهداء الثواب للغير ، أي تصلي وتصوم وتحج وتقرأ قرآنا وتتصدق وتهدي ثواب هذه القُرَب لغيرك .

قوله : (منفعة للأموات) ليس ذلك خاصاً بالأموات ، بل المسألة تعم الأموات وغيرهم .

ومسألة إهداء القُرَب ، هل ينتفع به المهدى له ويصل إليه ويستفيد منه أم لا ؟

هذه المسألة فيها ثلاثة مذاهب :

المذهب الأول : أن كل ما يهدى من طاعات للغير من المسلمين سواء كان ذلك لحيٍ أو ميتٍ يجوز ذلك ويصل ثوابه للمهدى إليه ، وسواء أكان المهدى ثواب عمل بدني أو مالي أو غير ذلك ، مطلقا ، وهذا في القرآن والسنة الكثير من الأدلة عليه من حيث العمومات .

من ذلك قوله تعالى : (وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ)(١) فهؤلاء استغفروا لغيرهم ودعوا لهم ، فلو لم يكن ذلك ينفع لما ورد مثله في القرآن ، والرسول عليه الصلاة والسلام أخبر في مواضع كثيرة أن من حج عن غيره نفعه ذلك (٢)، ومن صام عن غيره نفعه ذلك (٣)، ومن تصدق عن غيره نفعه ذلك(٤) ، في آثار كثيرة في هذا المعنى ، وهذا عليه مذهب الإمام أحمد وكثير من العلماء .

---

(١)[سورة الحشر ١٠]

(٢) منها ما روى البخاري في صحيحه (١٨٥٢) باب الحج والنذور عن الميت : أن امرأة من جهينة جاءت إلى النبي ﷺ فقالت : إن أمي نذرت أن تحج فلم تحج حتى ماتت أفأحج عنها ؟ قال : (نعم حجي عنها أرأيت لو كان على أمك دين أكنت قاضيته ؟! اقضوا الله فالله أحق بالوفاء) .

(٣) لحديث (من مات وعليه صيام صام عنه وليه) رواه البخاري (١٩٥٢) ومسلم (١١٤٧)

(٤) لما روى البخاري في صحيحه (٢٧٥٦) : أن رجلا أتى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله إن أمي توفيت وأنا غائب عنها فهل ينفعها أن تصدقت عنها؟ قال : (نعم) قال : فإني أشهدك أن حائط المخراف صدقة عنها) ، وما رواه مسلم (١٦٣٢) وغيره عن أبي هريرة أن رسول الله (قال : (إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث : إلا من صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له) .

المذهب الثاني : أن القُرَب تنقسم إلى قسمين :

١ – قرب مالية .

٢ – وقرب بدنية .

فالقرب المالية يصح إهداء ثوابها وتصل إلى من أهديت إليه ، وأما القرب البدنية فلا يصح إهداؤها ولا يصل إلى المهدي إليه ، وهذا عليه كثير من العلماء أيضا ، منهم الإمام الشافعي وكثير من أصحابه .

وهؤلاء يستدلون على ذلك بأمور :

منها أثر يروى عن ابن عباس أنه قال (لا يصوم أحد عن أحد ولا يصلي أحد عن أحد)(١) وهذا الأثر موقوف على ابن عباس ، وليس مرفوعا إلى النبي ﷺ ، ولو صح لكان معنى لا يصلى أحد عن أحد بمعنى لا ينوب أحد عن أحد في الفرض ، أي لا يقوم إنسان ويصلي صلاة الظهر عن إنسان يعفيه من الصلاة ، وليس معناه أنه لا يجوز أن يتبرع بثواب صلاة من صلوات التطوع أو غيرها .

المذهب الثالث : منع ذلك مطلقا سواء أكانت العبادة بدنية أو مالية ، وهذا رأي لبعض علماء الكلام وبعض المتصوفة وهو مذهب باطل .

ويحتجون على ذلك بنحو قوله تعالى : (وأن ليس للإنسان إلا ما سعى)(سورة النجم آية:٣٩) ونحوها ، يقولون فيها دلالة على أن الإنسان لا ينتفع إلا بسعيه هو .

ولكن القائلون بجواز إهداء ثواب القرب أجابوا عن هذه الآية ونحوها بجوابين :

الجواب الأول : بالمنع ، قالوا لا نسلم أن الآية تدل على أن الإنسان لا يستفيد من سعي غيره ، إنما الآية دليل على أن الإنسان لا يملك إلا سعي نفسه ، أما سعي غيره فللغير إن شاء تبرع به وأهداه وإن شاء منعه ، وفرق بين قولهم لا ينتفع الإنسان إلا بسعيه وبين قوله لا يملك إلا سعيه ، فكونه لا يملك إلا سعيه هذا مسلم به وتدل عليه الآية الكريمة ، ولكن لا ينتفع إلا بسعيه هذا معنى آخر والآية لم تتعرض له ، ولو قالت الآية لا ينتفع أحد إلا بسعيه ، لكان فيها دليل لكن الآية تقول : (ليس للإنسان إلا ما سعى) اللام هنا للملك ، يعني ليس للإنسان على سبيل الملك إلا سعيه ، أما سعي غيره فهو للساعي إن شاء تبرع به للغير وأفاده ونفعه وإن شاء أمسكه وحبسه لنفسه .

---

(١) رواه النسائي في السنن الكبرى ١٤١/٣ بسند صحيح .

الجواب الثاني : بالتسليم ، قالوا نسلم جدلاً أن الإنسان لا يستفيد إلا من سعيه ، لكن كل ما يُهدى إلى الإنسان فهو من سعيه ، لأن المهدي إما أن يكون ولداً وإما أن يكون زوجا وإما أن يكون صديقا ، والمهدى له سعيه في الصداقة وسعيه في التزوج وسعيه في إنجاب الأولاد هذا هو الذي جعلهم يتصدقون ويهدون له ، فما يهدى له من ثواب أي قربة كانت فهو من سعيه لأنه سعى إلى التزوج فكان إهداء زوجه له من سعيه ، ولأنه سعى إلى إنجاب الأولاد فكان إهداء ولده من سعيه .

فإن قيل : لو أهدى مسلم لمسلم آخر ثواب قربة وهو ليس ولداً وليس زوجا وليس مثلا صديقا فكيف يكون من سعي المهدى له ؟ قالوا إنه بدخوله في الإسلام وانتسابه لأخوة الإسلام يعتبر هذا سعيا له ، وسعيه كونه مسلما وأخا للمهدى له ، فيكون كل ما يهدى للإنسان من ثواب قربة فهو حصل له ذلك بسعيه .

ومع كثرة الأدلة الدالة عليه قالوا : حتى القياس العقلي يدل عليه ، ويرد به على الذين فرقوا بين القرب المالية والقرب البدنية والمخالفين ، قالوا :

إن الأجير الخاص لو أنه استؤجر على عمل بأجر فإنه لا يجوز له أن ينيب غيره في العمل الذي استؤجر عليه ، لكنه إذا استحق الأجر وقبضه يجوز له أن يتبرع به لغيره ، فكذلك الأعمال البدنية وإن كانت لا تدخلها النيابة ولا يصح النيابة فيها فإن ثوابها لا بأس بإهدائه لغيره .

والراجح أن ثواب القرب يصل مطلقا ، سواء أكانت بدنية أو مالية ، وسواء أكانت لحي أو لميت هذا عليه أكثر العلماء من السلف .

(والله تعالى يستجيب الدعوات ويقضي الحاجات)

الشرح : قوله : (والله تعالى يستجيب الدعوات ويقضي الحاجات) هذا المذهب الحق هو مذهب أهل السنة والجماعة ، وهو أن الله سبحانه وتعالى يستجيب الدعوات وأن الدعاء ينفع الداعي كما قال سبحانه تعالى (ادعوني استجب لكم)(سورة غافر آية:٦٠) وكما قال سبحانه وتعالى : (أدعوا ربكم تضرعا وخفية إنه لا يحب المعتدين)(سورة الأعراف آية:٥٥) وكما دعا سبحانه تعالى في مواطن كثيرة وأمر عباده بالدعاء ، وقد قال ﷺ : (الدعاء مخ العبادة)(١) وفي لفظ : (الدعاء هو العبادة)(٢) .

---

(١) رواه الترمذي (٣٣٧١) بسند فيه ضعف .

(٢) رواه أبو داود (١٤٧٩) والترمذي (٢٩٦٩) وابن ماجه (٣٨٢٨) بسند صحيح .

والدعاء من أخلص أنواع العبادة لأن الإنسان يلجأ إلى الله ويتجه إليه سبحانه وتعالى ويضرع إليه وحده وهذا نهاية الإخلاص ، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام الدعاء : (مخ العبادة) أي صافيها وخالصها .

وقد خالفت بعض الطوائف كالفلاسفة وعلماء الكلام في فائدة الدعاء وقالوا : إنه لا يُشرع ولا يَنفع ، واستدلوا على ذلك بقياس فاسد ، قالوا :

الدليل على أن الدعاء لا ينفع أن ما يدعو به الإنسان لا يخلو من أمور :

الأول : إما أن يكون الله سبحانه وتعالى قضى حصول ذلك الأمر وقدره .

الثاني : وإما أن يكون قضى وقدر عدم حصوله .

وعلى كلا التقديرين فإنه لا ينفع .

والذي لم يلم بأصول وقواعد السبر والتقسيم قد يقول إن هذا الدليل حجة صحيحة ، وذلك انه إما أن يكون الله قضاه وأما أن يكون لم يقضه ، وعلى كلا التقديرين فإن الدعاء لا ينفع ، لأنه إن كان الله قد قضاه وقدره فإنه سيحصل ولا محالة ، وإن كان الله قدر عدم حصوله فإنه لن يحصل وإن دعا الإنسان طيلة عمره .

ولكن هذا الدليل العقلي الذي أوردوه ناقص ، لأن السبر والتقسيم دليل صحيح إذ كملت شروطه ، أما إذا نقصت الشروط فإنه يكون دليلا فاسداً ، ومن شروط صحة الاستدلال بالسبر والتقسيم أن يكون التقسيم حاصراً ، بمعنى أن المستدِل أتى بجميع الأقسام الممكنة في المحل .

ونحن إذا تأملنا هذا التقسيم وجدناه ناقصا ، والتقسيم الصحيح –كما ذكره ابن القيم رحمه الله – أن يقال :

القسم الأول : إما أن يكون الله قدر وقضى حصول المدعو به مطلقا .

القسم الثاني : وإما أن يكون قدر عدم حصوله مطلقا .

القسم الثالث : إما أن يكون قدر حصوله بشرط الدعاء .

وهذا القسم الثالث أهمله المستدل ففسد دليله .

ونقول : إن الله سبحانه وتعالى يمكن أن يكون قدر حصول الأمر المدعو به بشرط أن يدعو الداعي بحصوله .

فبطل هذا الاستدلال ، وبان فساد هذا الدليل الذي سموه برهانا ودليلا عقليا .

ولكن قد يرد سؤال هنا ويقول قائل : إننا نرى أن هناك من يدعو الله فلا يستجاب له فكيف يجاب عن ذلك مع قوله : (وقال ربكم ادعوني استجب لكم)(سورة غافر آية:٦٠) ، وهذا معناه أن من دعا الله فإن الله يستجيب له ؟

والجواب عن هذا أن يقال : إن إجابة الله سبحانه وتعالى للدعاء شيء ، وحصول المدعو به المعين شيء آخر ، فليست إجابة الدعاء هي حصول الأمر المعين الذي سأل الإنسان ربه إياه ، بل قد تكون الإجابة بحصول ذلك ، وقد تكون بأمر آخر.

فنقول دعاؤه أجيب ولكن :

١ – إما أن يكون الله سبحانه وتعالى ادخر له في الآخرة من الثواب ما هو خير له من أن يعطيه عين ما سأل .

٢ – وإما أن يكون قد صرف عنه من الشر ما هو أهم وأصلح له من أن يحصل له ذلك الأمر الذي سأل الله إياه .

فإجابة الدعاء أعم من إعطاء السائل عين ما سأل ، وهذا ما أشار إليه ﷺ بقوله : (ما من عبد يدعو الله بدعاء ليس فيه إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه به أحد ثلاثة أمور ، إما أن يعطيه عين ما سأل ، وإما أن يصرف عنه من الشر ما هو خير له من ذلك ، وإما أن يدخر له الثواب في الآخرة)(١) وهذا يبين هذا المعنى .

ثم يقال أيضا : الإجابة لها شروط ولها موانع ، إذا كملت الشروط وانتفت الموانع فإن الإجابة حاصلة لا محالة ، وإن وجد مانع يمنع من الإجابة فإن المدعو به لا يحصل ، كما قال ﷺ في الحديث السابق : (ما من عبد يدعو الله بدعاء ليس فيه إثم ولا قطيعة رحم ..) الحديث ، فهذا يدل على أن من شرط إجابة الداعي أن لا يكون في دعائه إثم – أي معصية – ولا قطيعة رحم ، فإن اشتمل الدعاء على ذلك فإنه لا يجاب ، ولا تشمله الآية التي تدل على أن الله يستجيب الدعاء .

وكذلك القول في قوله :(ادعوا ربكم تضرعا وخفية إنه لا يحب المعتدين)(سورة الأعراف آية:٥٥) فمن دعا بدعاء فيه اعتداء على غيره فإن الله لا يجيب دعاءه .

---

(١) رواه احمد في المسند (١١١٣٣) والبخاري في الأدب المفرد (٧١٠) والبيهقي في الشعب (١١٣٠) والترمذي (٣٥٧٣) بلفظ مقارب ، وسنده صحيح .

وكذلك الحديث الصحيح الذي ورد فيه : (إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا) إلى قوله : (ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء ومطعمه حرام ومأكله حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فأنى يستجاب لذلك)(١) أي فكيف يستجاب له .

بقي شبهة أخرى يوردونها أو يستدلون بها على هذا المذهب الباطل وهي قولهم :

لو أن الدعاء ينفع ويجدي للزم أن يكون الداعي أثّر في الله سبحانه وتعالى حتى جعله يجيب الدعاء ويعطيه المسئول ، وان الله لم يكن يريد أن يجيبك حتى دعوته وأثّر دعاؤك فيه .

ولكن أجاب أهل السنة عن ذلك وقالوا إن الداعي ليس هو الذي أثر في الله ابتداء وجعله يعطيه ما دعاه به ، وإنما الله سبحانه وتعالى هو الذي حرك في نفس الداعي نية الدعاء والتوجه إليه وأثر فيه ، وييسر له أسباب الدعاء وجعله يدعوه (٢) .

إذاً فالدعاء من الله والإجابة من الله وليس العبد هو الذي أثر في الله .

(ويملك كل شيء ولا يملكه شيء)

الشرح : الله سبحانه وتعالى هو المالك لكل شيء وهو المتصرف في كل شيء ولا يملكه أحد ولا يتصرف فيه شيء .

(ولا غنى عن الله تعالى طرفة عين ومن استغنى عن الله طرفة عين فقد كفر وصار من أهل الحين)

الشرح : الإنسان مفتقر إلى الله سبحانه وتعالى دائما (يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد)(سورة فاطر آية:١٥) فكل إلى الله فقير والله سبحانه وتعالى غني عن كل شيء ، ومن زعم أنه يستغني عن الله فقد كذب وأثم وصار من أهل الحين – أي الهلاك – في الدنيا والآخرة ، لأن الله سبحانه وتعالى هو المالك المتصرف المدبر للخلق وهو الذي يملك الخلق ولا يملكه أحد من الخلق سبحانه وتعالى ، فلا أحد يشاركه في الخلق والتدبر والتصرف والنفع والضر ، ولا أحد له عليه سلطان في تشريع أو في فعل من الأفعال أو في قضائه وقدره ، بل هو الواحد الفاعل وحده ، الفاعل بإرادته ومشيئته دون التوقف على غيره .

---

(١) رواه مسلم (١٠٥١) والترمذي (٢٩٨٩) وأحمد في المسند (٨٣٤٨)

(٢) انظر منهاج السنة لابن تيمية ١ / ٤٢١ .

(والله يغضب ويرضى لا كأحد من الورى)

الشرح : هذا شروع من المؤلف في بيان إثبات صفات الفعل لله سبحانه وتعالى ، وكذلك شروع منه في الرد على الأشاعرة والكلابية والماتريدية وغيرهم الذين فرقوا بين صفات الفعل وصفات الذات ، فأقروا بصفات الذات ونفوا صفات الفعل ، لأن الغضب والرضى صفتان فعليتان للباري سبحانه وتعالى .

والعلماء قسموا الصفات إلى قسمين :

١ – صفات ذات

٢ – وصفات فعل .

فالسلف الصالح أقروا بصفات الذات وصفات الفعل .

وبعضهم قسمها إلى ثلاثة أقسام اصطلاحا ، فقالوا :

١ – صفات الذات .

٢ – وصفات الفعل .

٣ – والصفات الخبرية .

قالوا :

الصفات الذاتية : هي الصفات التي تكون لازمة لذات الباري تعالى ، كالعلم والحياة والقدرة والإرادة ونحوها .

والصفات الفعلية : هي الصفات التي تقوم بالباري إذ شاء فعلها وإذا شاء لم يفعلها ، وتسمى الصفات الفعلية ، وتسمى الصفات الاختيارية كالغضب والرضى و النزول والاستواء والمجيء وغير ذلك .

الصفات الخبرية : اصطلحوا على تسمية هذه الصفات بالخبرية ، قالوا لأن مجال ثبوتها الخبر ، وهي اليد والقدم والإصبع والعين والساق وغير ذلك .

فالسلف رضوان الله عليهم يثبتون لله جميع الصفات إذا ثبتت في الكتاب والسنة ، ولا يفرقون بين كونها صفات ذاتية أوصفات فعليه أو صفات خبرية .

والناس في مسألة الصفات والأسماء على ثلاثة مذاهب :

المذهب الأول : مذهب الغلاة في التنزيه ، وهم الجهمية والمعتزلة ، هؤلاء ينفون عن الله سبحانه وتعالى جميع الصفات ولا يثبتون له شيئا من الصفات التي يوصف بها الإنسان مطلقا ، بل جميعها ينفونها ، ويعطلونه منها ، وكل ما ورد من القرآن أو من الحديث أوّلوه ، إما أن يردوه إن كان

آحاداً ويكذبوه ، وإما أن يؤولوا مدلوله إذا كان متواترا ، فينفون عن الله جميع الصفات الفعلية والخبرية والذاتية ولا يثبتون له شيئا ، اللهم إلا المعتزلة يثبتون له الأسماء ولكن مجردة عن المعاني ، فيثبتون لله العليم القدير ولكن مجردة عن العلم والقدرة وغيرها .

المذهب الثاني : مذهب معظم علماء الكلام الأشاعرة والكلابية والماتريدية ، فهؤلاء :

يثبتون لله صفات الذات .

وينكرون الصفات الفعلية والصفات الخبرية ولا يقرون بشيء منها .

وإذا قيل لهم لماذا فرقتم فأثبتم صفات الذات ونفيتم الصفات الفعلية والخبرية ؟

قالوا إن صفات الذات يثبتها العقل ، أما الصفات الأخرى فإن العقل لا يثبتها ، فما أثبته العقل أثبتناه وما لم يثبته العقل نفيناه .

فإذا قيل لهم ما هي الطريقة التي أثبت العقل بها هذه الصفات ؟

قالوا : العلم يدل على التخصيص ، لذا أثبتنا الحكمة لله سبحانه وتعالى .

قالوا : والإرادة تستلزم التخصيص .

يعني الله سبحانه وتعالى إذا أراد أن يكون كذا على كذا وكذا فقد كان في فعله هذا تخصيصا دل على الإرادة فأثبتناها ، فلما وجدنا في فعله تعالى تفريقا و وتخصيصا بين شيء وشيء عرفنا أنه ما فعل ذلك إلا بإرادة فأثبتنا له الإرادة .

واستمروا في هذه الطريقة ، لأنهم يأخذون من الاسم أمراً يدل على الصفة القائمة بذلك الاسم ، أو متصلة بذلك الاسم .

فالإحكام والإتقان في أفعاله سبحانه وتعالى يجعلونه دليلا على صفة العلم .

وكذلك – كما قلت – التخصيص والتنويع دليل على إثبات الإرادة .

والمشيئة والخلق والإيجاد دليلا على صفة القدرة .

وقالوا : العالم القادر المريد لابد وأن يكون حياً ، لأن المتصف بهذه الصفات لا يخلوا من الحياة أو ضدها ، إذاً فالله سبحانه وتعالى موصوف بالحياة .

قالوا والحي لا يخلوا إما أن يكون سميعا بصيراً متكلما ، وإما أن يكون أصم أبكم أعمى وأحسن الأوصاف وأعلاها سميعا بصيراً متكلما .

قالوا فالعقل أثبت الصفات السبع من هذه الطريقة .

قالوا أما ما عداها فإننا لا نجد العقل يدل عليها فلا نثبتها .

وقد ناقشهم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في هذه المسألة كتابة ومشافهة ومناظرة وأفحمهم إفحاما ، وقال لهم :

أما قولكم إن العقل لا يثبت ما عدا الصفات السبع وانتم لا تثبتونها(١) ، يجاب عن هذا بجوابين:

الجواب الأول : لا يسلم لكم أن العقل لا يثبتها ، بل يقال :

كما أن العقل أثبت الصفات السبع التي أثبتموها فهو يثبت الصفات الأخرى بالطريقة التي أثبتم بها الصفات السبع :

فكما أنكم تقولون إن التخصيص دل على الإرادة عقلا فنقول نحن الانتقام منه سبحانه وتعالى يدل على الغضب عقلا والإحسان يدل على الرحمة عقلا ، فنثبت ما نفيتم عقلاً بالطريقة التي أثبتم بها ما قبل ذلك .

ثم قال رحمه الله :

هناك دليل آخر :

وهو أننا نسلم لكم أن العقل لا يثبت صفات الفعل ، ولكنه لا ينفيها ، وكونه لا ينفيها أو لا يدل عليها لا يلزم منه ارتفاعها ، أو عدم وجودها ، فإذا كان هناك مدلول مختلف فيه ثم انتفى دليل معين على القيام بالدلالة على هذا المدلول فلا نقول يلزم من ذلك انتفاء المدلول ، لأنه يمكن أن يكون هذا المدلول ثابتا في نفس الأمر بدليل أخر ، هاتوا لنا دليلا عقليا ينفيها ، وليس لديهم دليل عقلي ينفيها ، بل مجرد استدلالهم لا يكفي دليلا لنفيها وعدم وجودها ، فقد تكون ثابتة في نفس الأمر بدليل أخر كما هو واقع ، فإن الصفات التي انتفى دليل العقل عن الدلالة عليها ثابتة بالدليل السمعي القرآن والسنة وغير ذلك .

فالشيخ رحمه الله أفحمهم بهذه المسألة عن طريق هذه المناظرة وقد قال لهم باختصار :

إذا كنتم تثبتون سبع صفات وتقولون دل عليها العقل وتنفون الباقي لأن العقل لم يدل عليها فنجيب عن ذلك بهذين الأمرين :

إما أن نسلم لكم أن العقل لم يدل عليها ونثبتها بدليل أخر .

وإما أن نثبت لكم أن العقل دل عليها بالطريقة التي سلكتموها أنتم في إثبات الصفات السبع .

فالشيخ رحمه الله ناقشهم في مسألة الغضب والرضى واحتجاجهم بعدم صحة إثبات صفات الفعل وزعمهم أن إثباتها يقتضي التشبيه ، وقد مثلوا لذلك بقولهم :

---

(١) الضمير عائد إلى غير الصفات السبع .

إن الغضب غليان دم القلب ، والله سبحانه وتعالى منزه عن ذلك ، فرد عليهم الشيخ رحمه الله وناقشهم فقال :

الغضب الذي فسرتموه بغليان دم القلب هو غضب الإنسان ، أما غضب الله سبحانه وتعالى فليس كذلك ، وأبطل عليهم هذه الشبهة من مذهبهم فقال :

أنتم تثبتون لله الإرادة ، والإرادة هي ميل القلب إلى المراد ، فأنتم أثبتم الإرادة وهي تقتضي التشبيه !

فقالوا : لا . الإرادة التي أثبتناها ليست هي التي بمعنى ميل القلب ، إذ الإرادة التي بمعنى ميل القلب هي إرادة المخلوق أما الإرادة التي نثبتها فهي إرادة تليق بجلاله وعظمته ولا تماثل إرادة المخلوقين . فقال ﷺ : نحن نقول أيضاً إن الغضب الذي يفسر بغليان القلب هو غضب الإنسان أما غضب الله سبحانه وتعالى فهي صفة تليق بجلاله وعظمته ، فقولوا في الغضب والرضى كما قلتم في الإرادة.

المذهب الثالث : أهل السنة والجماعة ، وسبق الكلام عليه في عدة مواضع من الكتاب .

أما المفوضة فليسوا فرقة رابعة في أهل الإثبات والنفي للصفات لأنهم يقولون : الله أعلم بمعناها ، فيفوضون معناها ، ومنهم من يقول أنه لا معنى لها إطلاقاً ، وهم مع ذلك لا يعقلون ، وإنما يقولون يقتصر فيها على اللفظ والقراءة .

و ابن تيمية رحمه الله في التدمرية أطال في بيان تناقضهم كما في القاعدة الخامسة فليراجع .

ثم إنه لا يقال : هل للمفوضة تأويل سائغ أو غير سائغ ، لأنهم أصلا لم يؤولوا الصفات ، بل سكتوا عنها ، وهم مع ذلك ضلال ، لكن لا يقال بكفرهم .

(ونحب أصحاب مُحَمَّد ﷺ ولا نفرط في حب أحد منهم ، ولا نتبرأ من أحد منهم ، ونبغض من يبغضهم وبغير الحق يذكرهم ، ولا نذكرهم إلا بخير ، وحبهم دين وإيمان وإحسان ، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان)

الشرح : الصحابي هو كل من رأى النبي ﷺ أو صحبه وآمن به ، وإن كانت صحبته ساعة من نهار ، وكل الصحابة عدول بتعديل الله تعالى ورسوله ﷺ لهم ، فنؤمن بأن خير الأمة بعد نبيها هم الأربعة ، أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ، وهم الخلفاء الراشدون المهديون ، وفيهم كانت الخلافة والنبوة (١) .

---

(١) هذا التعريف منقول من كتاب الشيخ حمود رحمه الله : مختصر عقيدة أهل السنة والجماعة .

وقد قال سبحانه وتعالى : (مُحَمَّد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا)(سورة الفتح آية:٢٩) وقال عز وجل : (والذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان)(سورة الحشر آية:١٠) الآية يعني المهاجرين والأنصار ، وقال سبحانه وتعالى : (لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلاً وعد الله الحسنى)(سورة الحديد آية:١٠) والقرآن فيه كثير من الثناء على الصحابة ومدحهم وبيان رضي الله سبحانه وتعالى عنهم ، كما قال سبحانه : (لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة)(سورة الفتح آية:١٨) .

لأجل هذا ، ولأجل أنهم رضوان الله عليهم هم الذين ظهر الدين على أيديهم وعلى أكتافهم وهم الذين أعلوا كلمة لا إله إلا الله ورفعوا رايتها وجعلوها عالية فوق كل شيء .

ولأنهم هم الذين ضحوا بكل غال ورخيص في سبيل إعلاء كلمة الله ونشر كلمة التوحيد ، ضحوا بالأموال ضحوا بالأبدان ضحوا بالأهل ضحوا بالنفوس كل ذلك ضحوا به و أرخصوه في سبيل نصرة النبي ﷺ ونصرة دينه .

والذين هذا شأنهم وهذه صفاتهم لهم فضل كبير على الأمة ﷺ .

ومع هذه الفضائل كلها هم الذين نقلوا لنا الشريعة وأخذوها عن النبي ﷺ سليمة خالية من الغش والباطل والفساد ، نقلوها لنا نقية واضحة لا لبس فيها ، فهم حلقة الوصل بين الأمة وبين رسولها ﷺ في تحمل وتلقي الشريعة أصولا وفروعا .

لما كانت هذه ميزاتهم وهذه صفاتهم كان لهم علينا الحق الكبير .

فكان من خلاصة مذهب السلف في الصحابة رضوان الله عليهم أنهم يحبونهم ويتولونهم ويترضون عنهم ويبغضون من يبغضهم ويتولون من يتولاهم ، ويعتقدون لهم الفضل الكبير على من دونهم ، ولا يخوضون فيما حصل بينهم من خلافات ونزاع وحروب ، ويمسكون عما شجر بينهم مطلقا .

إذ من المعلوم أنه حصلت فتنة بين عثمان ﷺ وبين الذين ثاروا عليه وخلعوه ، وبين عائشة ﷺ والزبير وطلحة ﷺ من جهة و بين علي بن طالب ﷺ من جهة في حرب الجمل ، وما حصل بين علي ومعاوية رضي الله عنهما أيضا في حرب صفين .

هذه كلها فتن وجدت في الإسلام بسبب كيد اليهود ، لأنها كلها وراءها اليهودي ابن سبأ الذي جاء مدعيا للإسلام ، فأوقع هذه الفتن بين المسلمين .

فمذهب السلف رضوان الله عليهم فيما وقع بين الصحابة الإمساك عنه وعدم الخوض فيه ، واعتقاد أن كل فريق منهم إما أن يكون مجتهدا مصيباً له أجر اجتهاده وأجر إصابته ، وإما أن يكون مجتهداً مخطئا له أجر اجتهاده وخطؤه مغفور .

ويقولون إنما حصل منهم نزر يسير إذا نسب إلى ما لهم من الفضائل والكرامات والأعمال الصالحات .

والناس في مسألة الصحابة وموالاتهم ثلاث فرق :

الفريق الأول : أهل السنة والجماعة مذهبهم ما ذكرته قبل قليل .

الفريق الثاني : الروافض ، و الروافض مذهبهم موالاة بعض الصحابة من آل البيت ومعاداة جل الصحابة وتكفيرهم .

فيوالون علياً وآله ونزراً يسيراً من الصحابة كسلمان الفارسي ، ويعادون جميع الصحابة ويبغضونهم بل ويكفرونهم .

وأشد الصحابة بغضا عند الروافض أبو بكر وعمر وعثمان .

الفريق الثالث : النواصب ، وهم قوم عادوا أهل البيت وأبغضوهم ونصبوا لهم العداء وجعلوا سبهم وشتمهم مذهبا من مذاهبهم ، وهذا ظاهر في بعض حكام بني أمية وأتباعهم ، فإنهم نصبوا العداء وكرهوا أهل البيت ، وجعلوا سبهم وشتمهم ديدنهم حتى إنهم جعلوا في خطبة الجمعة فصلا ثابتا لسب بعض أهل البيت وشتمهم ، إلى أن جاء عمر بن عبد العزيز رحمه الله فأبطل هذه البدعة وهذه الضلالة وأزال الفصل من الخطبة وجعل بدلا منه آية كريمة وهي قوله تعالى : (إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون)(سورة النحل آية: ٩٠) .

و النواصب ينصبون العداء لأهل البيت فقط أما بقية الصحابة فإنهم لا يعادونهم بل يوالونهم .

ولهذا قال شيخ الإسلام رحمة الله في الواسطية وغيرها :

إن أهل السنة والجماعة وسط في أصحاب رسول الله بين الرافضة والنواصب ، فالرافضة يغلون في آل البيت ويكفرون من عداهم ، والنواصب يبغضون آل البيت ويسبونهم ويوالون من عداهم ، لكن أهل السنة والجماعة يحبون الجميع ويوالون الجميع ويترضون عن الجميع ويتولون الجميع .

وهناك بحث حول رواية الصحابي وقوله ومن هو الصحابي ، وهذا موضوعه مكان آخر .

أما درجات الصحابة وفضلهم فقد ذكر العلماء في كتبهم وبينوا أنهم على درجات مختلفة ، فمثلا منهم من شهد النبي ﷺ له بالجنة كالعشرة المبشرين بالجنة وكثابت بن قيس بن شماس (١) وغيره ، ومنهم من دون ذلك ، ومنهم أهل بدر الذين أطلع الله عليهم فقال : (اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم)(٢) ومنهم أصحاب بيعة الرضوان (٣)، ومنهم السابقون الأولون ، ومنهم من هم دون ذلك ، فدرجات الصحابة رضوان الله عليهم مختلفة حسب فضلهم وقدم إسلامهم .

يدل على هذا أنه عليه الصلاة والسلام غضب على خالد بن الوليد ، وهو كما يُعلم من فضلاء الصحابة ومن خيرتهم ، غضب عليه لما حصل بينه وبين عبد الرحمن بن عوف خلاف في بعض مسائل الغنيمة ، غضب غضبا شديداً وقال وهو يخاطب خالدا (لا تسبوا أصحابي والذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه)(٤) يعنف خالدا سيف الله ، يقول له لا تسب صاحبي عبد الرحمن بن عوف ، فأنت لو أنفقت مثل أحد ذهبا ما بلغ جبلك هذا مد عبد الرحمن ولا نصيفه ، فهذا يدل على فضيلة سبق الصحبة والتقدم والإبلاء في الجهاد والإنفاق وغير ذلك .

(ونثبت الخلافة بعد رسول الله ﷺ، أولاً لأبي بكر الصديق ﷺ تفضيلا له وتقديما على جميع الأمة ، ثم لعمر بن الخطاب ﷺ ، ثم لعثمان ﷺ ، ثم لعلي بن أبي طالب ﷺ ، وهم الخلفاء الراشدون والأئمة المهتدون)

الشرح : هذه مسألة الخلافة ، المسلمون مجمعون على أن أبا بكر الصديق ﷺ هو الخليفة الشرعي بعد رسول الله ﷺ وليس هناك من يخالف – حسب ما أعلم – في شرعية خلافة أبي بكر الصديق إلا الرافضة ، هذا بالنسبة لشرعية الخلافة .

أما بالنسبة لأولوية أبي بكر في الخلافة فإن هناك من ينضم مع الرافضة وهم الزيدية من الشيعة فإنهم وإن أقروا بخلافة أبي بكر وقالوا إنها شرعية إلا أنهم يقولون إن عليا أولى بها منه .

أما مسألة ثبوت الخلافة لأبي بكر الصديق فكما قلت : هي ثابتة ولكن ماهو الدليل على ثبوتها ،

---

(١) رواه البخاري (٣٦١٣) ومسلم (١١٩) .

(٢) رواه البخاري (٣٠٠٧) ومسلم (٢٤٩٤) .

(٣) في صحيح مسلم (٢٤٩٦) قال عليه الصلاة والسلام : (لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد ، الذين بايعوا تحتها) وفي مسلم أيضا (٢٤٩٥) أن النبي عليه الصلاة والسلام قال لغلام حاطب بن أبي بلتعة : (كذبت ، لا يدخلها – أي النار – فإنه شهد بدرا والحديبية) .

(٤) رواه البخاري (٣٦٧٣) ومسلم (٢٥٤٠) .

هل ثبتت له بالنص من المصطفى ﷺ أو بالاختيار والانتخاب من الصحابة رضوان الله عليهم ، **فيه خلاف بين العلماء** :

القول الأول : من يقول إن الرسول عليه الصلاة والسلام نص على خلافة أبي بكر الصديق وعهد له بها وأنه تولاها بعهد منه .

القول الثاني : أنها ثبتت لأبي بكر الصديق بالاختيار والاتفاق والانتخاب .

والذين قالوا إنها ثبتت من الرسول بالنص والوصية أوردوا عدة أدلة استدلوا بها على ذلك ، لكن سنبين عند مناقشة تلك الأدلة أنها لا توصل إلى ما ذهبوا إليه :

قالوا من ذلك ما في صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال في مرض موته لعائشة رضي الله عنها : (ادعي لي أباك وأخاك لأكتب لأبي بكر كتابا – ثم قال – يأبى الله والمسلمون إلا أبا بكر)(١) ، ولم يكتب ، قالوا : فقوله ادع لي أخاك لأكتب لأبي بكر كتابا معناه أنه نص على أنه هو الخليفة .

ومنها ما صح أن امرأة أتت النبي ﷺ فأمرها أن ترجع إليه ، قالت : أرأيت إن لم أجدك ؟ كأنها تريد الموت ، قال : (إن لم تجديني فأتي أبا بكر)(٢) . قالوا فهذا نص على أن أبا بكر هو الخليفة .

قالوا و مما يستدل به أيضا أنه عليه الصلاة والسلام أقام أبا بكر الصديق إماما عنه في مرضه (٣) ومنها أنه قال : (سدوا كل خوخة على المسجد إلا خوخة أبي بكر)(٤).

قالوا كل هذه نصوص على أن أبا بكر الصديق هو الخليفة ، وذكروا آثارا كثيرة في هذه المسألة .

وأما الذين قالوا إن الخلافة ثبتت لأبي بكر الصديق باتفاق الصحابة عليه واختيارهم له استدلوا بأن عمر رضي الله عنه لما قيل له : ألا تستخلف ؟ قال : إن استخلف فقد استخلف من هو خير مني – أبو بكر – ، وإن أترك فقد ترك من هو خير مني – رسول الله)(٥) .

قالوا : فقوله وإن أترك فقد ترك من هو خير مني – رسول الله ﷺ– نص من عمر أن رسول الله ﷺ عليه وسلم لم يستخلف . وكذلك ما رواه مسلم في صحيحه أن عائشة رضي الله عنها سئلت : من كان رسول الله ﷺ مستخلفا لو استخلف ؟ قالت : أبو بكر ، فقيل لها : ثم من بعد أبي بكر ؟ قالت : عمر ثم قيل لها : من بعد عمر ؟ قالت أبو عبيدة عامر بن الجراح (٦) .

---

(١) رواه مسلم (٢٣٨٧) والبخاري قريبا منه (٥٦٦٦) و (٧٢١٧)

(٢) رواه البخاري (٧٣٦٠) ومسلم (٢٣٨٦)

(٣) رواه البخاري (٦٦٤) ، (٦٧٩) ومسلم (٤٢٠) .

(٤) رواه البخاري (٤٦٧) ومسلم (٢٣٨٢) .

فقول السائل : لو كان مستخلفا ، وإقرار عائشة له على ذلك يدل على أنه لم يوص .

وأقوى الأدلة والذي هو في نظري يرجح القول بأن الخلافة ثبتت لأبي بكر بالاتفاق والاختيار — اختلاف الصحابة بعد وفاة النبي ﷺ في سقيفة بني ساعدة (١) فيمن يكون خليفة ، وهي قصة مشهورة معروفة ومستفيضة في كتب الحديث والتاريخ ، أنه لما توفي النبي ﷺ اجتمع الصحابة رضوان الله عليهم في سقيفة بني ساعدة ، واختلفوا فيمن يكون خليفة ، فالأنصار قالوا نحن الذين نصرنا رسول الله ﷺ ونحن الذين ظهرت على أيدينا نصرة الإسلام وظهر الإسلام على أيدينا ، فنحن أحق بها منكم ، وقال المهاجرون نحن قوم النبي ﷺ ونحن الذين أيدناه وخرجنا معه ، تركنا بلادنا وأهلينا وأموالنا في سبيل الله نصرة للإسلام فنحن أحق بها ، وتفتقت قريحة أحدهم وقال بل الحل الوسط أن يكون منا أمير ومنكم أمير ، إلى أن جاء أبو بكر الصديق ﷺ وخطب الناس وقال : إن العرب لا تعرف لهذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش ، إلى أن قال : ولكني رضيت لكم أحد هذين الرجلين إما عمر وإما أبو عبيدة ، فقام عمر وقال : بل نحن نبايعك ثم قاموا جميعهم فبايعوه .

فلو كان عندهم نص من النبي ﷺ هل يجوز للصحابة أن يختلفوا في أمر فيه نص صريح عن النبي ﷺ ؟ لا يمكن أبداً .

إذاً فهذا دليل قوي على أن الخلافة ثبتت لأبي بكر الصديق ﷺ بالاختيار والاتفاق .

يبقى مناقشة أدلة القائلين بأن النبي ﷺ نص وعهد بالخلافة لأبي بكر فقد أجاب العلماء عنها فقالوا :

أولا : قوله : (ادعي لي أخاك وأباك لأكتب لأبي بكر كتابا ..)(٢) الجواب عليه من وجهين :

الوجه الأول : أنه لا يعلم ما الذي أراد أن يكتبه ﷺ ، لا نعلم هل أراد أن يكتب له ولاية على الصلاة أو أراد أن يكتب له ولاية على أهله أو أراد أن يكتب له ولاية على بيت المال ، هو أراد أن يكتب كتابا لكن لم يقل إنه يريد أن يكتب له بالخلافة .

= (٥) رواه البخاري (٧٢١٨) ومسلم (١٨٢٣) .

= (٦) رواه مسلم (٢٣٨٥) والنسائي في الكبرى (٨٢٠٢) وأحمد في الفضائل (٢٠٤) وفي المسند بلفظ مقارب (٢٤٣٤٦) .

(١) رواه البخاري (٣٦٦٨)

(٢) رواه مسلم (٢٣٨٧) والبخاري قريبا منه (٥٦٦٦) و (٧٢١٧) .

الوجه الثاني : أنه حتى لو كان ينوي أن يكتب له عهداً بالخلافة فإنه لم يكتب ولم يحصل ذلك ، إذاً فلم يحصل منه عهد ولا نص لأبي بكر بالخلافة .

ثانيا : وأما قوله للمرأة : (ائتي أبا بكر)(١) فلا ندري ما الأمر الذي جاءت لأجله المرأة ، هل جاءت تطلب مالا أو جاءت تستفتي فلا يعلم ماذا تريد ، و أبو بكر رضي الله صالح لقضاء حاجتها من جهة المال وصالح لقضاء حاجتها من جهة الفتيا ، ولم يقل (أبو بكر الخليفة بعدي ، أو عهدتُ له بالخلافة فأتيه ، ولو كان هناك نص ظاهر لم يكن ليخص أبو بكر على كل الصحابة ولم يكن مع هذا يعلم بهذا النص أحدهم ، ولهذا لما كان هناك شيء يتعلق بهذا الموضوع وإن لم يكن نصاً في المسألة أوردوه ، فقد قام رجل وقال : إن رسول الله ﷺ قال (الأئمة من قريش)(٢) ، وقد كان الصحابة كلهم مجتمعون كبارهم وصغارهم ولم يقل واحد منهم أن الرسول ﷺ عهد إلى أبي بكر .

وأما علي ﷺ فقد غاب عن ذلك لأنه كان مشغولا بتطمين زوجته فاطمة ﷺ ومواساتها في مصابها بوفاة النبي ﷺ ، وهو حتى لو لم يبايع فهو معذور في ذلك .

ثالثا : وأما تخليف النبي ﷺ لأبي بكر في إمامة الصلاة فهذا يدل على فضل أبي بكر وحب رسول الله ﷺ له ، ولا يعني الخلافة .

إذاً كلها أدلة محتملة ، وإذا كانت محتمله ، فالأدلة الأخرى أوضح منها وأقوى ، والذي أراه وأرجحه هو القول الثاني وهو أن الخلافة ثبتت لأبي بكر بالاختيار .

وترتيب الخلفاء الذي عليه أهل السنة والجماعة أبو بكر الصديق ، فالخلافة ثبتت له بالاختيار ، ثم عمر بن الخطاب ﷺ ، والخلافة ثبتت له بالنص والعهد والاستخلاف من أبي بكر ، ثم عثمان ﷺ والخلافة ثبتت له بالنص من بين عدة نفر ، ثم علي ﷺ وأرضاه .

ومسألة ترتيب الخلفاء في الخلافة هذا هو الذي يترتب عليه التضليل وعدمه ، يعني أن يقدم عمر على أبي بكر أو يقدم عثمان على عمر أو يقدم علي على عثمان ، هذا يعتبر من البدع المضلة ، بخلاف تقديمهم وترتيبهم في الفضل فإنه أهون .

ولهذا قال شيخ الإسلام رحمه الله في الواسطية وغيرها إن المسألة التي يضلل فيها هي مسألة الخلافة أما مسألة الفضل فإنه لا يضلل من خالف فيها (٣) .

---

(١) رواه البخاري (٧٣٦٠) ومسلم (٢٣٨٦) .

(٢) رواه الإمام احمد في المسند ٢/ ١٨٣ وصححه احمد شاكر .

(٣) انظر مجموع الفتاوى ٣ / ١٥٣ .

وجمهور السلف على أن ترتيبهم في الفضل كترتيبهم في الخلافة ما عدا الأحناف وبعض العلماء فإنهم قدموا علياً في الفضل على عثمان فقط (١) ، أما في الخلافة فالمسلمون كلهم مجمعون على أن أبا بكر أولهم ثم عمر ثم عثمان ثم علي .

(وأن العشرة الذي سماهم رسول الله ﷺ وبشرهم بالجنة نشهد لهم بالجنة على ما شهد لهم رسول الله (وقوله الحق ، وهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة بن الجراح وهو أمين هذه الأمة ﵃ أجمعين)

الشرح : نعم هؤلاء العشرة شهد لهم الرسول ﷺ بالجنة (٢) فنشهد لهم بها .

(ومَنْ أحسن القول في أصحاب رسول الله ﷺ وأزواجه الطاهرات من كل دنس و ذرياته المقدسين من كل رجس فقد برئ من النفاق)

الشرح : حب الصحابة رضوان الله عليهم وحب زوجات الرسول وحب ذريات الرسول ﷺ هذا من علامات الإيمان ، والطعن فيهم أو في أحد منهم من علامات النفاق ، ولهذا الروافض يعتبرون منافقين لأنهم يظهرون حب الرسول ﷺ ولكنهم يبطنون بغضه وبغض دينه ، بدليل أنهم يكرهون الصحابة الذين أظهروا الدين وتولوه ، يبغضونهم ويسبونهم ، وهذا يدل على أنهم منافقون .

مع العلم أن النفاق أصل من أصولهم ، التقية عند الروافض أصل من أصولهم ، والتقية معناها النفاق ، وهي إظهار أمر وفي الباطن ما يخالفه ، فبغض الصحابة نفاق ، لأنه لا يمكن أن يبغضهم إلا وهو يبغض ما جاؤوا به من شرع الله ودين الله ، وهولا يبغضهم إلا على ذلك ، إذاً هو منافق .

(وعلماء السلف من السابقين ومن بعدهم من التابعين أهل الخير والأثر وأهل الفقه والنظر لا يُذْكَرون إلا بالجميل ومن ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل)

الشرح : وكذلك العلماء رضوان الله عليهم أئمة هذه الأمة ، علماء الشريعة أصولا وفروعا الذين كرسوا أنفسهم لتأليف الكتب في الفقه والحديث والأصول وغيرها ، اهتموا بذلك ووقفوا حياتهم كلها على خدمة الشريعة شرحا وتأليفا وتعليما ، هؤلاء أيضاً نكن لهم الاحترام والتقدير ،

---

(١) ذكر ابن عبدالبر رحمه الله في الاستيعاب ٣ / ٢١٤ أن أهل السنة استقر قولهم على تقديم عثمان على علي رضي الله عنهما في الفضل .

(٢) رواه الترمذي (٣٧٤٨) واحمد في الفضائل (٢٧٨) والبغوي (٣٩٢٥) بسند صحيح .

ولا نذكرهم إلا بخير ، ونذم ونسب ونعادي من يعاديهم ، لأنه لا مجال ولا معنى لمعاداة أئمة الأمة وعلمائها إلا لأجل ما حملوه ولأجل ما قاموا به من خدمة لهذه الشريعة .

(ولا نفضل أحداً من الأولياء على أحد من الأنبياء عليهم السلام ونقول نبي واحد أفضل من جميع الأولياء)

الشرح : الله سبحانه وتعالى أثنى على أوليائه بقوله : (ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون)(سورة يونس آية:٦٢) وبين سبحانه وتعالى من هم الأولياء فقال : (الذين آمنوا وكانوا يتقون)(سورة يونس آية:٦٣) هؤلاء الأولياء ، ولكن صار في اصطلاح المتصوفة وغيرهم للولي مفهوم غير هذا ، فالولي عند المتصوفة هو العارف الذي وصل في زعمهم إلى النهاية ، أي وصل إلى الله سبحانه وتعالى ، وقد ضل في هذا الباب كثير من الناس وأضلوا ، حيث جعلوا الولي أرفع من النبي وأرفع من الرسول ، فقالوا : إن الرسول والنبي كلاهما يأخذ الوحي عن الله بواسطة الملك ، أما الولي فإنه يأخذ الوحي عن الله مباشرة ، يزعمون أن الولي يجتمع مع الله ويجلس في حضرة الله ويأمره الله وينهاه ويكلمه مشافهة ، ومن هؤلاء الضلال ابن عربي الطائي والتلمساني وابن الفارض والحلاج وغيرهم ، هؤلاء الملحدون الذين هم أئمة في الاتحاد والإلحاد والقول بوحدة الوجود — هؤلاء يزعمون أنهم أولياء ويزعمون أنهم أفضل من الأنبياء والرسل ولذا قالوا:

مقام النبوة في برزخ * فويق الرسول ودون الولي (١)**

فالترتيب في الفضل عندهم :

الولي أفضل من الأنبياء والرسل ، والنبي أفضل من الرسل ، والرسول في المرتبة الثالثة .

وبرروا ذلك بقولهم : إن الولي يأخذ عن الله مباشرة والرسول والنبي يأخذ عن الملك ، الولي يأخذ من المعدن الذي يأخذ منه الملك ، فهو أفضل من الأنبياء وأفضل من الرسل ، قاتلهم الله ، والشيخ رحمة الله يقول إن نبياً واحدا أفضل من جميع الأولياء وهذا باتفاق المسلمين ، فالمسلمون يرون أنه لا أحد دون النبي يصل درجته ، والرسالة أعلى ثم النبوة ثم الولاية الصحيحة الحقيقية ، وأولياء الله (الذين امنوا وكانوا يتقون)(سورة يونس آية:٦٣) الذين امنوا بالله وبرسوله واتقوا الله فيما يفعلون ويدعون ، هؤلاء هم أولياء الله ومع هذا فالأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم أفضل من هؤلاء وأرقى منهم درجة .

---

(١) ينظر جامع الرسائل لابن تيمية ١ / ٢٠٩ .

وكثير من الناس – من المتصوفة وغيرهم من القبوريين – يضلون في مسألة التبرك بالولي والتقرب إليه ، فإنهم يعطون الولي من الخصائص مالله من كشف الضر وجلب النفع وشفاء المريض وغير ذلك ، يطلبون منهم حتى بعد موتهم ما لا يقدر عليه إلا الله سبحانه وتعالى ، وقد ضل في ذلك فئام من الناس من المتصوفة وغير المتصوفة ، فالولي إذا كان من أولياء الله حقا فإن الله سبحانه وتعالى أمّنه من الخوف والحزن ولكنه بشر لا ينفع ولا يضر لاسيما إذا مات وأصبح في قبره عاجزاً عن نفع نفسه ، فكيف ينفع الآخرين ، وتجد الواحد من القبوريين يتبرك بصاحب قبر أو يطوف به أو يدعوه فإذا نهيته قال هذا من أولياء الله والله تعالى يقول : (ألا أن أولياء لله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون)(سورة يونس آية:٦٢) ومن هذا الطريق حصل الفساد والضلال والخرافات التي أفسدت عامة المسلمين بسبب التلبيس في أن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون .

(ونؤمن بما جاء من كراماتهم وصح عن الثقات من رواياتهم)

الشرح : الكرامات جمع كرامة وهي ما يكرم الله بها بعض عبادة وأوليائه .

والكرامة : أمر خارق للعادة ، ممكن عقلا ، خال من التحدي ، خال من دعوى النبوة ، ويجريه الله على يد عبد مستقيم ومتبع لكتاب الله وسنة نبيه ﷺ .

وممكن عقلا يعني غير مستحيل ، فالعقل يقبله ولكنه خارق للعادة يعني العادة أن مثل هذا الأمر لا يجري على يد الناس لكنه جرى على يد هذا الرجل فخرق العادة .

ثم لابد وأن يكون خاليا من دعوى النبوة ومن التحدي ، وإلا لو اقترنت به دعوى النبوة والتحدي لكان معجزة وليس كرامة .

ثم أيضا لابد أن يكون أجراه الله على يد عبد صالح من عباده الصالحين ، وإلا لو وجد أمر ممكن عقلا خارق للعادة خال من دعوى النبوة والتحدي ولكنه جرى على يد رجل معروف بالفسق وبالضلال وبعدم السلوك الحسن أو بالبدعة فإنه يفسر بأنه من خوارق العادات الشيطانية .

فلابد من هذه القيود حتى يكون هذا الأمر كرامة .

ومذهب أهل السنة والجماعة الإيمان بكرامات الأولياء ، الإقرار بها والاعتراف بها والإيمان بها وتصديقها إذا وقعت ، فإن الله سبحانه وتعالى يكرم بعض عباده فيجري على يده ما يخرق العادة ، **ومصدر الكرامة أحدى ثلاثة أمور :**

١ – بالتأثير .

٢ – أو الغنى .

٣ – أو الكشف .

فالكرامة بالتأثير : معناها أن يجري الله على يد عبد من عباده أمراً يؤثر في أمور لا يقدر عادة غيره أن يفعلها ، كمن يمشي على الماء ولا يغوص فيه ، أو يطير في الهواء ، أو يدخل النار ولا تحرقه ، مثل ما حصل لإبراهيم عليه الصلاة والسلام حينما ألقي في النار ولم يحترق ، فهذه كرامة من كرامات الله سبحانه وتعالى .

والكرامة بالغني : معناها أن يؤت الله من يريد كرامته من أوليائه من الأمور التي لا تؤتى لغيره عادة ، كمثل ما حصل لمريم عليها السلام حيث كانت تأتيها فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء .

وأمثلة الكرامة بالغنى كثيرة جدا كرزقه سبحانه وتعالى لبعض عباده برزق لم تجر العادة بحصوله في ذلك المكان أو في ذلك الزمان ، كما حصل للجيش الذي كان بقيادة بعض الصحابة رضوان الله عليهم لما نفد ماؤهم في شدة الصيف في الدهناء (١) ولا ماء ولا مورد ، فلما قاربوا من الهلاك أنشأ الله سبحانه وتعالى سحابة في ذلك الوقت الذي لا يأتي المطر فيه عادة فأمطرتهم فارتووا منها وسقوا رواحلهم وملئوا قربهم ، وهذه كرامة من كرامات الله ساقها الله لهم ، وهي من نوع الكرامة بالغني ، احتاجوا وافتقروا إلى الماء فأغناهم الله بهذه .

والكرامات بالكشف : وهو أن يكشف الله لعبد من عباده أموراً من المغيبات والمسائل العلمية التي لم تجر العادة بفتحها على غيره وكشفها لغيره .

وكما قلت مذهب أهل السنة والجماعة الإيمان بكرامة الأولياء ، على البيان الذي بينته .

أما المعتزلة فإنهم ينكرون الكرامات ويقولون ليس هناك كرامات للأولياء ، ويحتجون على ذلك بأنه لو وجدت الكرامات لالتبست بمعجزات الأنبياء ، فلا يعرف الولي من النبي .

فيقال الدعوى غير صحيحة يوضح ذلك تعريف كل من المعجزة والكرامة ، ثم انه بعد نبينا مُحَمَّد ﷺ كيف يكون ذلك ، فلا يمكن أن يبعث نبي بعده حتى يخشى المعتزلة من الالتباس بينه وبين الولي .

---

(١) الدهناء صحراء معروفة في نجد .

(ونؤمن بأشراط الساعة)

الشرح : الأشراط جمع شَرَط بحركتين ، بخلاف الشروط فإنها جمع شَرْط وهي ليست مما معنا ، والأشراط هي العلامات ، وواحدها شرَط بالفتح ، يقال شَرَط الساعة أي علامتها ، **و أشراط الساعة هي علاماتها وأماراتها التي تدل على قيامها وهي ثلاثة أقسام :**

القسم الأول : أشراط وقعت ومضت .

القسم الثاني : أشراط تأتي ، ولكنها ليست مقارنة لقيام الساعة .

القسم الثالث : أشراط تقارن قيام الساعة وتصاحبها .

فأشراط بعيدة هي التي مضت وانتهت كما أخبر ﷺ : (أعدد ستا بين يدي الساعة ، موتي ثم فتح بيت المقدس ثم موتان يأخذ فيكم كعقاص الغنم ، ثم استفاضة المال حتى يعطى الرجل مائة دينار فيظل ساخطا ، ثم فتنة لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته ، ثم هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر ، فيغدرون فيأتونكم تحت ثمانين غاية ، تحت كل غاية اثنا عشر ألفا)(١) هذه كلها مضت ، و أشراط متوسطة ليست بعيدة ولا قريبة مقارنة وملاصقة للساعة ، وهي التي أشار إليها الرسول عليه لصلاة والسلام في أحاديث كثيرة كقوله : (لا تقوم الساعة حتى يكثر المال ويفيض حتى يخرج الرجل بزكاة ماله فلا يجد أحدا يقبلها منه ، وحتى تعود جزيرة العرب مروجا وأنهاراً)(٢)، أو : لا تقوم الساعة حتى يحصل كذا وحتى يحصل كذا وحتى يحصل كذا .

وأما أشراط الساعة الكبيرة القريبة ، فمنها خروج الدجال والدخان والدابة ونزول عيسى بن مريم سيأتي إن شاء الله ذكرها .

(من خروج الدجال)

الشرح : أحاديث كثيرة تبلغ حد التواتر عند بعض العلماء بأن الدجال يخرج في آخر الزمان وأنه رجل كافر يضل الناس ويفتنهم ، يأتي ومعه المغريات من الأموال ، ولديه بطش وقدرة وقوة ، فيفتتن به كثيرون من الناس ويخرجون معه من أصفهان ولا يبقى بلد إلا ويدخله إلا المدينة المنورة ومكة ، فإنه لا يدخلهما ، والأحاديث الواردة في كثيرة جدا .

---

(١) رواه البخاري (٣١٧٦) وابن ماجه (٤٠٤٢) .

(٢) رواه مسلم تحت حديث (١٠١٢) .

ولهذا من مذهب أهل السنة والجماعة الإيمان بخروج الدجال في آخر الزمان ، وانه يعيث في الأرض الفساد إلى أن ينزل عيسى بن مريم عليه السلام فيقتله وتنتهي فتنة وينتهي شره ، والرسول ﷺ قال : (إني أنذركموه وما من نبي إلا أنذره قومه .. ولكني سأقول لكم فيه قولا لم يقله نبي لقومه : إنه أعور وليس ربكم بأعور وإن إحدى عينيه كأنها عنبة طافية ومكتوب بين عينيه ك ف ر يقرأها من يقرأ ومن لا يقرأ)(١) فهذا كله وردت به الآثار والأحاديث .
أما ابن صياد فالراجح أنه ليس هو الدجال .

(ونزول عيسى بن مريم عليه السلام من السماء)

الشرح : ونزول عيسى بن مريم أيضا من أشراط الساعة ، لأنه ينزل في آخر الزمان ، والله سبحانه وتعالى أخبر بذلك في قوله (وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً)(سورة النساء آية:١٥٩) ، فإنه ينزل ويحكم في أهل الأرض حكماً عادلا ويبطل القوانين والطواغيت و يحكم بشريعة مُحَمَّد ﷺ ويقتل الدجال .

(ونؤمن بطلوع الشمس من مغربها)

الشرح : وطلوع الشمس من مغربها من أشراط الساعة أيضا ، ولكنها من أشراط الساعة القريبة جداً ، والتي إذا طلعت الشمس من مغربها آمن الناس كلهم ، وذلك حين لا ينفعهم إيمانهم ، لأنهم رأوا الأمر معاينة وذهب الإيمان بالغيب وأصبح إيمانهم لا فائدة فيه ولا ثمرة له ، فيكون إيمانهم في ذلك الوقت غير مجدٍ وغير نافع .

(وخروج دابة الأرض من موضعها)

الشرح : وكذلك الدابة ، وردت آثار بأنها تخرج من الأرض ، وأنها دابة عظيمة كبيرة طويلة ، وأنها تكلم الناس كما قال تعالى : (وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون)(سورة النمل آية:٨٢) .
قيل إنها تخرج من جبل جياد في مكة وقيل من غيره والله تعالى أعلم ، ولكن الإيمان بها واجب لأن الله سبحانه وتعالى أخبر عنها ، والرسول ﷺ ذكرها .

---

(١) رواه البخاري (٧١٢٨) ومسلم (٢٩٣٣) .

يأجوج ومأجوج :

وكذلك يأجوج ومأجوج خروجهم من أشرط الساعة ، وهذا لم يذكره المؤلف ، ولكنه جاء في القرآن وجاءت فيه أحاديث كثيرة جدا (١) ، ومن معتقد أهل السنة والجماعة الإيمان بخروجهم ، وأن الله إذا أذن لهم بالخروج خرجوا فعاثوا فساداً في الأرض ، شربوا المياه وأكلوا الثمار وأفسدوا ، وهم موجودون الآن لكن الله أعمى عنهم بصائر الناس .

ومن الناس من ينكرهم ويقول : كيف يكونون موجودين الآن علماً بأن الاكتشافات لم تترك شبراً من الأرض إلا ووصلته ورأته ، ولكن هذا معارضة للنص بالرأي ، والله سبحانه وتعالى أخبرنا : (حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون)(سورة الأنبياء آية:٩٦) وأخبرنا عنهم في سورة الكهف ، فبيّن طريقة خروجهم ، وبين طريقة السد الذي أوجده لمنعهم ، فلا يعترض على هذه النصوص بكون الناس ما رأوهم وما اكتشفوهم ، فالله سبحانه وتعالى يمكن أن يكون قد أضل أبصار الناس وأعماها عنهم إلى أن يأتي الوقت الذي يأذن لهم فيه فيخرجون .

الدخان :

وكذلك الدخان من أشراط الساعة ، وهو دخان يظهر في آخر الزمان ، وقد أشار القرآن إليه : (فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين * يغشى الناس هذا عذاب أليم)(سورة الدخان آية:١١-١٠) .

وشارح الطحاوية رحمه الله تكلم عليها واحداً واحداً وبسط الكلام عليها وأطال فالرجوع إليه مهم جداً .

(ولا نصدق كاهنا ولا عرافا ولا من يدعي شيئا يخالف الكتاب والسنة وإجماع الأمة)

الشرح : قوله : (ولا من يدعي شيئا يخالف الكتاب والسنة وإجماع الأمة) كالمنجم والساحر وغيره ، فإن الكهانة والسحر والعرافة والتنجم كل هذه أفعال محرمة وكلها يشبه بعضها بعضا .

فالساحر : هو الذي يتعاطى السحر .

---

(١) روى البخاري (٣٣٤٦) ومسلم (٢٨٨٠) من حديث زينب بن جحش زوج النبي ﷺ أنها قالت : خرج رسول الله ﷺ يوما فزعا محمر الوجه يقول : (لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه وحلق بإصبعه الإبهام والتي تليها قالت فقلت : يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون قال نعم إذا كثر الخبث) .

والسحر : معناه في اللغة مأخوذ من الخفاء واللطف ، وكل ما دق ولطف وخفي سببه فإنه يسمى سحرا ، ولهذا يسمى آخر الليل سحراً لخفائه وظلمته ولقلة من يسير فيه ، والسَّحر الذي يكون في الحيوان سمي سَحَراً لأنه يكون في آخر مجنة الصدر خفي ، وسواء أكان السحر سحرا حقيقيا بالعقاقير أو بالنفث والعقد وغيرها أو كان أمراً آخر بالشعوذة والدجل وغيرها فإنه كله يسمى سحراً .

والسحر تعلمه محرم وتعاطيه محرم ، ولا يجوز للإنسان أن يذهب إلى الساحر ليسحر له لقوله عليه الصلاة والسلام : (من آتى كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على مُحَمَّد)(١) وقوله : (من أتى عرافا فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة)(٢) .

من العلماء من يرى أن السحر كفر وأن الساحر كافر ، لأنه يتقرب إلى الشياطين بعمله السحر من نفث ورقى ، وكذلك العقاقير التي يعملها ، ولأجل هذا حكم عليه بالكفر عند بعض العلماء. وبعض السلف يرون أنه يقتل كفراً وبعضهم يرى أن يقتل حداً ولا يصل إلى درجة الكفر ، وبعضهم يقول إن قَتل بسحره قُتل وإن لم يقتل بسحره فإنه يعزر تعزيرا رادعا يردعه ويمنعه من تعاطي السحر .

وكذلك اختلف العلماء في السحر هل هو حقيقة أو هو تخييل ، والراجح عند السلف والخلف أن السحر له حقيقة يؤثر بالمسحور حقيقة ، يؤدي إلى مرض المسحور وقد يؤدي إلى التفريق بين الرجل وزوجه بمعنى أنه يجعل أحدهما يكره الآخر حتى تحصل الفرقة بينهما .

والرسول عليه الصلاة والسلام سُحر حقيقة ، حتى قالت عائشة ﵂ كان يخيل إليه أنه يفعل الأمر ولا يفعله(٣) بسبب ما أصيب به من السحر حينما سحره اليهودي لعنه الله ، وكان السحر قد أثر فيه ﷺ فيما يتعلق بالأمور الدنيوية أما الوحي وأما ما يخبر به عن الله فلم يكن للسحر عليه تأثير ولم يكن له عليه أثر (٤) .

---

(١) رواه أبو داود (٣٩٠٤) وابن ماجه (٦٣٩) بسند صحيح وانظر غاية المرام للألباني رحمه الله ص ١٧٣

(٢) رواه مسلم (٢٢٣٠) .

(٣) رواه البخاري (٥٧٦٦) ومسلم (٢١٨٩) . يقول مُحَمَّد فؤاد عبدالباقي في تعليقه على الحديث من سنن ابن ماجه (٣٥٤٥) عند قول عائشة ﵂ (يخيل إليه ..) قال : أي يخيل إليه القدرة على الفعل ثم يظهر له عند المباشرة أنه غير قادر عليه ، وليس المراد أنه يخيل إليه أنه فعل والحال انه ما فعله . وانظر فتح الباري لابن حجر ١٠ / ١٩٣ .

(٤) ينظر كلام عبدالرحمن المعلمي في الأنوار الكاشفة ص ٢٥١ .

وعلى كل تقدير فجمهور المسلمين متفقون على أن الساحر يقتل سواء قتل ردة عند من يرى أن الساحر كافر ، أو يقتل حداً عند من يرى أنه لا يكفر بسحره وإنما يقتل لأنه ثبت عن الصحابة رضوان الله عليهم أنهم قتلوا السحرة (١)، فحفصة أم المؤمنين ثبت عنها أنها قتلت جارية لها سحرتها فأمرت بها فقتلت (٢) ، وكذلك جندب ﷺ رأى ساحرا بالبصرة يسحر الناس ويريهم أنه يقطع رأسه ثم يعيده فضربه بالسيف فقطع رأسه وقال الآن أعده (٣) ، ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (حد الساحر ضربه بالسيف)(٤) .

لأجل هذه النصوص وأمثالها ذهب جمهور المسلمين إلى أن الساحر يقتل سواء وصل به سحره إلى الكفر أم لا .

ورأي الجمهور أن للسحر حقيقة – كما تقدم – وأنه يمرض ويعطل الرجل عن امرأته ، ويفرق بينهما ، ويمرض العقل و الجسم وله أثر ملموس .

وبعضهم قالوا إن السحر تخييل وليس له حقيقة ، وإنما هو تمويه من الساحر وتخييل على المسحور ، وهذا مذهب مخالف لرأي الجمهور ومخالف لواقع السحرة ، لكن هؤلاء يستدلون بقوله تعالى في حق سحرة فرعون : (يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى)(سورة طه آية:٦٦) ، قالوا يخيل إليه ، ومعنى ذلك أنه ليست الحبال والعصي تسعى حقيقة وإنما في نظر موسى خُيل له ذلك ، وهذا ليس نصا في الموضوع لأن معنى يخيل إليه أي رآها .

والكاهن والعراف هما ممن يدعي علم الغيب ويزعم أنه يعرف شيئا من ذلك ، فالكاهن هو الذي يفعل أفعالاً يزعم أنه بها يطلع على الغيب ، يعني شيطانه يطلعه على شيء من الغيب .

---

(١) أخرج الشافعي في بدائع المنن (١٥٣٢) وعبدالرزاق ١٠ / ١٧٩- ١٨٠ وأبو داود (٣٠٤٣) وصححه ابن حزم ١١/ ٣٩٧ عن بجالة بن عبدة قال : (كتب عمر بن الخطاب أن اقتلوا كل ساحر وساحرة ، قال : فقتلنا ثلاث سواحر) ، وقد ذكر الشيخ محمد بن عبدالوهاب في كتاب التوحيد في باب ما جاء في السحر انه من رواية البخاري ، والأثر في صحيح البخاري (٣١٥٦) لكن دون ذكر قتل الساحر فلعله في نسخة لديه .

(٢) رواه البخاري في التاريخ الكبير ٢٢٢/٢ والبيهقي ١٣٦/٨ بسند صحيح ، وقد صححه الشيخ محمد ابن عبدالوهاب في كتاب التوحيد باب ما جاء في السحر .

(٣) رواه مالك في الموطأ في كتاب العقول ، باب ماجاء في الغيلة والسحر ٨٧١/٢ عن محمد بن سعد بلاغا ، ووصله عبدالله بن احمد في مسائل أبيه ص ٤٢٧ والبيهقي ١٣٦/٨ وقد صححه الشيخ محمد بن عبدالوهاب في كتاب التوحيد في باب ماجاء في السحر .

(٤) رواه الترمذي (١٤٦٠) وقد أشار إلى أن وقفه على جندب هو الصحيح .

والكهانة والعرافة لها طرق ، فمن الكهنة والعرافين من يستعمل الخطوط ، يخط بالأرض – يسمى الطرق – ومنهم من يستعمل شيئا من الخرز أو الودع يضرب به في الأرض ، ومنهم من يستعمل الحصى يضرب به الأرض بضربات محصورة أو مُعدّة كما قال لبيد :

لعمرك ما تدري الطوارق بالحصى

ولا زاجرات الطير ما الله صانع (١)

يعني الضوارب بالحصى التي تضرب بالحصى وبالودع وبالخرز وبغيرها وتدعي أنها بذلك تعلم الغيب ، وهذا كله باطل لأن الله سبحانه وتعالى حرس السماء ، بالشهب ، فأصبحت الشياطين لا تدرك شيئا من أخبار الغيب وعلم الوحي ، وكانت في السابق تسرق ، يصعدون إلى السماء ويستمعون ما يقضى فيه من الأمر فيأتون به إذا أخذوا كلمة من الوحي زادوها مائة كذبه ووضعوها لعميلهم ، فإذا أخبر بأمر فوقع قالوا : أليس قد قال كذا يوم كذا وكذا فكان ما قاله صحيحا فيكذبون على إثر هذه الكلمة الصحيحة بمائة خبر كله كذب .

وكذلك المنجم الذي يدعى علم الغيب بالنظر في النجوم ، ينظر في النجوم ويرى أن الطالع الفلاني طلوعه يدل على كذا وغروبه يدل على كذا ، وهو يقول ذلك على أنه عَلِمه عن طريق عميله من الشياطين .

وهذه التي تفعل الآن من الكهانة والعرافة والتنجيم وغيرها كل هذا من باب التخرص والحدس والظن ، وكذلك الشعوذة التي يفعلها المشعوذون كل هذه مبنية على غير برهان ويقين .

أما قبل أن تحرس السماء فكانوا قد يحصلون على كلمة مما يقال في السماء فيلقونها على عملائهم من الإنس ويتكلموا بها ، أما بعد ذلك كما ذكر سبحانه وتعالى عن شياطين الجن أنهم قالوا : (وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصداً)(سورة الجن آية:٩) ، يقول كنا نقعد منها أي من السماء مقاعد للسمع واستماع الخبر لكن يقول من يذهب إلى السماء لاستراق السمع فإنه يجد له شهابا يرصده ويضربه ويحرقه ، فانتهت هذه الطريقة التي كانوا يسرقون بها علم الغيب بحراسة الله سبحانه وتعالى للسماء بهذه الشهب التي لا تدع أحدا من هؤلاء الشياطين يصعد إلى السماء ويقترب منها .

---

(١) ينظر تفسير اللباب لابن عادل ١٦ / ٢٩٤ .

(ونرى الجماعة حقا وصوابا والفرقة زيغاً وعذاباً)

الشرح : هذا مذهب أهل السنة والجماعة ، يرون الجماعة يعني إتباع الجماعة و إتباع سنة النبي ﷺ ، يقصد بذلك ما ورد في قول النبي ﷺ لما سئل عن الفرقة الناجية قال في بعض ألفاظ الحديث : (وهي الجماعة)(١) ،كما في قوله ﷺ افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقه وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقه وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقه كلها في النار إلا واحدة) قيل من هم يا رسول الله ؟ قال : (من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي)(٢) . إذاً فالجماعة هم من كان على مثل ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه ، وهم من اجتمعوا على الحق سوء أكانوا هم الأكثر أم كانوا هم الأقل ، إذاً فالجماعة حق وصواب ، ومخالفتهم ومفارقتهم زيغ وعذاب ، زيغ : أي ضلال عن سواء السبيل ، وعذاب : في الدنيا والآخرة . فالتمسك بما جاء به النبي ﷺ واتباعه والسير على طريقه هذا هو الحق وأما المفارقة والمخالفة والشذوذ عن الحق والشذوذ عن جماعة المسلمين فهذا عذاب وزيغ أيضا ، ولهذا كان السلف الصالح رضوان الله عليهم يحثون على التمسك بالسنة والتمسك بإتباع الجماعة ، ويحذرون من الافتراق والخلاف والشذوذ عن طريق المحققين من المسلمين .

فهذا الذي قرره رحمه الله هو مذهب أهل السنة والجماعة وهو اتباع الجماعة واجتناب الخلاف والفرقة والشذوذ .

(ودين الله في الأرض والسماء واحد وهو دين الإسلام قال الله تعالى : إن الدين عند الله الإسلام ، وقال تعالى : ورضيت لكم الإسلام دينا ، وهو بين الغلو والتقصير وبين التشبيه والتعطيل وبين الجبر والقدر ، وبين الأمن و الإياس ، هذا ديننا واعتقادنا ظاهراً وباطناً ، ونحن براء إلى الله من كل من خالف الذي ذكرناه وبيناه)

الشرح : يقصد أن ما قدمه في هذه الرسالة هو اعتقاده الذي يدين الله به وهو بريء من كل من خالفه ، فكل من خالف ما قرره في هذه العقيدة فإنه بريء منه لأنه يرى أنه مخالف لطريقة السلف ولسنة النبي ﷺ، ودين الله واحد ليس هناك دين صحيح سوى الإسلام ، فالإسلام هو دين الله ولا يقبل الله من أحد سواه : (إن الدين عند الله الإسلام)(سورة آل عمران آية:١٩) .

---

(١) رواه أبو داود (٤٥٩٦) والدرامي ٢٤١/٢ واحمد ١٠٢/٤ و ابن ماجه (٣٩٩٢) .

(٢) رواه احمد في المسند (٨٣٩٦ ، ١٢٢٠٨) والترمذي (٢٦٤٠ – ٢٦٤١) وقال حديث حسن صحيح ، قال شيخ الإسلام (مجموع الفتاوى ٣٤٥/٣) : الحديث صحيح مشهور في السنن والمسانيد ..

قوله : (دين الإسلام) بهذه الجملة حصر للدين في الإسلام ، وهذه طريقة من طرق القصر ، فإنه قصر الدين هنا على الإسلام ، فالدين معرفة والإسلام معرفة ، إذاً فهو أخبر رحمه الله بأن الدين الصحيح مقصور على الإسلام ، وأنه لا دين سواه كما قال سبحانه وتعالى : (ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه)(سورة آل عمران آية:٨٥) .
والدين يَقصد به توحيد الله وشريعة نبيه ﷺ فالدين واحد والشريعة واحدة فلا يجوز لأحد أن يدين الله بدين اليهود ولا أن يدين الله بدين النصارى ويقول هذا دين الأنبياء .

كما لا يجوز له أن يحكّم شريعة التوراة أو شريعة الإنجيل أو غيرها لأن الله سبحانه وتعالى حصر الدين في الإسلام فقال : (إن الدين عند الله الإسلام)(سورة آل عمران آية:١٩) وقال : (ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين)(سورة آل عمران آية:٨٥) ودين الأنبياء كلهم واحد – بالنسبة للتوحيد وعبادة الله – كلهم يدعون إلى عبادة الله وحده من أولهم إلى آخرهم ، كما قال عليه الصلاة والسلام : (إنا معاشر الأنبياء ديننا واحد والأنبياء أخوة لعلات ديننا واحد)(١) يعني كلنا ديننا التوحيد وديننا عبادة الله وحده ولهذا ما بعث الله من نبي إلا دعا قومه لعبادة الله وحده ونبذ ما سواها من عبادة الأصنام وغيرها ، أما شرائع الرسل عليهم السلام فإنها قد تختلف ، قد تختلف شريعة موسى عن شريعة عيسى ، قد تختلف شريعة عيسى عن شريعة مُحَّد ﷺ كما قال سبحانه وتعالى (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا)(سورة المائدة آية:٤٨) الشرائع بالنسبة للتحريم والتحليل تختلف ، أما بالنسبة للتوحيد فدين الأنبياء واحد لا يختلف ، كلهم من أولهم إلى آخرهم دينهم واحد هو عبادة الله وحده لا شريك له والكفر بما يعبد من دونه .

---

(١) رواه البخاري (٣٤٤٣) ومسلم (٢٣٦٥) .

(ونسأل الله تعالى أن يثبتنا على الإيمان ويختم لنا به ويعصمنا من الأهواء المختلفة والآراء المتفرقة والمذاهب الردية مثل المشبهة والمعتزلة والجهمية والجبرية والقدرية وغيرهم من الذين خالفوا السنة والجماعة وحالفوا الضلالة ونحن منهم براء ، وهم عندنا ضلال و أردياء ، وبالله العصمة والتوفيق)

الشرح : رحمه الله ، نعم هذا الذي ذكره مذهب أهل السنة والجماعة وهو أنهم يبرؤون من كل هؤلاء الضلال ويرون أنهم ضالون وأنهم زائغون عن طريق الحق ، وهو يسأل الله ، والله حريٌ أن يثبته على الإيمان وأن يعصمه من طريق هؤلاء الزائغين كالجهمية والمعتزلة والجبرية والمشبهة وغيرهم ، لأن هؤلاء هم الذين ضلوا في العقيدة ، فالمشبهة ضلوا حيث شبهوا الخالق بالمخلوق فحادوا وضلوا وأزاغوا عن طريق الحق ، والجبرية ضلوا حيث جعلوا العبد مجبوراً على أفعاله ونسبوها إلى الله وقال إن هذه الأفعال هي أفعال الله ، والمعطلة الجهمية وغيرهم ضلوا حيث عطلوا الباري عن صفات الكمال ونفوها عنه ولم يثبتوا له شيئا من صفات الكمال ، وهؤلاء كلهم زائغون .

والمؤلف رحمه الله يسأل ربه أن يعصمه ويجنبه طريقهم فنحن نسأل الله لنا ولإخواننا المسلمين ذلك.

انتهى ولله الحمد ..

حكم الخلاف في أصول الإيمان

بقلم الشيخ حمود بن عبد الله العقلا : المدرس بكلية الشريعة (١)

الحمد لله رب العالمين . وبعد : فإن الكتابة في هذا الموضوع تتطلب وقتا طويلا نظرا لأهمية وخطورته .. ولابد لي قبل شروعى في البحث من تعريف الإيمان وبيان حقيقته تلك الحقيقة التي هي موضوع البحث .

تعريف الإيمان:

سلك العلماء قديما وحديثا في التعريف الإيمان مسلكين .. أحدهما .. أن الإيمان عبارة عن التصديق والمعرفة القائمة بالقلب فقط .. وهذا مسلك الأحناف والماتريدية والاشاعرة وغيرهم من المرجئة ..

غير أن الأحناف يدخلون في هذه الحقيقة القول فيجعلونه جزءا من الإيمان .. أما العمل فلا يدخل في حقيقة الإيمان عندهم ولا يسمونه إيمانا وأن أطلق بعضهم على العمل اسم الإيمان فعلى سبيل المجاز .

وجماع ما يستدل به أصحاب هذا المسلك ثلاثة أمور .

١- الإيمان في اللغة مرادف للتصديق فلا فرق بين قولك . آمنت بالخبر او صدقته عند العرب . ويمثلون لذلك من القرآن بقوله تعالى حكاية عن اخوة يوسف (وما انت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين)(٢) .

٢ - جواز عطف العمل على الإيمان فتقول آمنت وعملت . والعطف يفيد المغايرة فعطف العمل على الإيمان يدل على أنه غيره كما في قوله تعالى ((ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات .)(٣)

٣ - لو كان العمل من الإيمان للزم زوال حكم الإيمان بزوال العمل أي للزم أن لا يحكم لشخص بالإيمان ولو كان مصدقا بقلبه مقرا بلسانه حتى يوجد منه العمل وحيث عرضت أدلة المرجئة باختصار فلا بد من أن أشير إلى الجواب عنها .

فأقول:

---

(١) مقال كتبه في مجلة أضواء الشريعة الصادرة من كلية الشريعة في الرياض في ص ٥٧ العدد الأول سنة ١٣٨٩ هـ .

(٢) سورة يوسف : ١٧.

(٣) سورة البقرة : ٢٧٧.

١- أما دعوى أن الإيمان مرادف التصديق في لغة العرب فهذا غير مسلم ويحتاج الى نقل ولم ينقل نص عن العرب حسبما علمت . يقول الإيمان هو التصديق أو مرادف للتصديق وحتى لو ثبت نقل بذلك لامكن ان يقال ان حقيقة الإيمان في عرف الشارع تختلف عن حقيقة الإيمان في أصل الوضع . وأيضا فإننا إذا قارنا بين آمن وصدق في أساليب العرب وجدنا بينهما فروقا من اجلى هذه الفروق ان صدق تتعدى بنفسها فتقول اخبرني فـلان فصدقته وأما آمن فلا تتعدى الا بحرف الجر تقول اخبرني فلان فآمنت له . ولا يصح لغة ان تقول آمنته فاتضح الفرق بين صدق وآمن في استعمال العرب لهاتين الكلمتين .

٢ – وأما الاستدلال بعطف العمل على الإيمان فيقال الاصل في العطف ان يكون للمغايرة الا ان الشيء قد يعطف على نفسه باعتبار اخر كأن يعطف الاعم على الاخص او العكس مثل قوله تعالى:(من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل)(١)عطف جبريل على الملائكة وهو منهم وليس غيرا لهم لنكتة بلاغية هي زيادة الاهتمام والاعتناء بهذا الخاص الذي ذكر في الكلام مرتين مرة مع العام ومرة وحدة ومثل هذا عطف العمل على الإيمان فالإيمان اعم من العمل لكن عطف عليه العمل وهو وان لم يكن غيرا له لكن لبيان أهمية العمل والحث على تحصيله .

٣ – أما الاستدلال بقولهم يلزم من زوال العمل زوال الإيمان لو كان داخلا في حقيقته .. فغير مسلم لانه لا يلزم من زوال الجزء زوال الكل وإنما العكس هو الصحيح اي يلزم من زوال الكل زوال الجزء .

المسلك الثاني :

قول جمهور السلف في حقيقة الإيمان فإنهم يقولون الإيمان اسم يقع على حقيقة مكونة من تصديق القلب وإقرار اللسان وعمل الجوارح وهذا المسلك .. بالإضافة الى انه مذهب جمهور المسلمين فالقرآن والسنة يدلان عليه ويرشدان إليه فإننا نجد في القرآن قوله تعالى (وما كان الله ليضيع ايمانكم)(٢)اتفق جمهور المفسرين على ان الإيمان المشار اليه في الاية الصلاة لانهم قالوا في سبب نزول هذه الاية لما حولت القبلة في الصلاة الى الكعبة قال بعض الصحابة : كيف صلاة اخواننا الذين ماتوا قبل ان تحول القبلة فنزل قول الله تعالى (وما كان الله ليضيع ايمانكم) . وكذلك سنة النبي ﷺ اذا تأملناها نجد فيها الكثير مما يطلق فيه لفظ الإيمان على العمل من ذلك قوله ﷺ لوفد عبد القيس (وآمركم بالايمان بالله وحده اتدرن ما الايمان بالله ؟ شهادة ان لا إله إلا الله وحده لا

---

(١) سورة البقرة : ٩٨.

(٢) سورة البقرة : ١٤٣.

شريك له واقام الصلاة)(١)الحديث وقوله ﷺ (الايمان بضع وسبعون شعبه اعلاها قول لا إله إلا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق)(٢)..

نتيجة الاختلاف في مسمى الإيمان:

أننا إذا تتبعنا مذهب المرجئة الذين تقدم ذكرهم نجد انهم (يوجبون) العمل مع التصديق ويجعلونه شرطا لسعادة المؤمن ويقولون انه إذا ترك العمل استحق على تركه العقوبة في الدنيا والآخرة واستحق الذم شرعا غير انهم لا يسمون شيئا من العمل إيمانا إذا فيتضح لنا ان الخلاف بينهم وبين الجمهور خلاف لفظي فإن الكل متفقون على ان المؤمن لا بد له من العمل وان تركه استحق الجزاء واللوم .

أما المرجئة المحضة وهم الجهمية فان خلافهم مع أهل السنة خلاف معنوي ورأيهم في الإيمان قبيح موصل الى الكفر فإن المؤمن عندهم هو من عرف الله واذا عرف الله فلا يضره فعل معصية ولا ترك طاعة وتصور هذا القول الضال كاف في إبطاله فانه يلزم عليه ان يكون إبليس مؤمنا كامل الايمان لانه يعرف ربه .

أصول الإيمان:

أن للإيمان أصولا ستة هي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر وقد بينها صلى الله عليه وسلم لجبريل عندما سأله عن الإيمان وكل واحد من هذه الأصول لم يخل من خلاف بين الناس.

الأصل الأول . الإيمان بالله:

هو الإعتقاد الجازم بوجود الله سبحانه وتعالى والاعتقاد انه موصوف بصفات الكمال منزه عن النقائص والعيوب وانه المستحق لأن يعبد وحده وانه المدبر لشئون العالم وحده وقد اختلف الناس في هذا الاصل فمنهم من جحد وجوده بالكلية من الفلاسفة دهريين وغيرهم فقالوا ان هذا العالم وجد بالصدفة والاتفاق وليس له صانع ولا موجد وهذا قول باطل عقلا وفطرة فضلا عما تقتضيه الشرائع السماوية من بطلانه فان كل إنسان عاقل يشعر ضرورة ان لهذا الكون صانعا وخالقا خلقه وكذلك الشرائع السماوية كلها متواترة على ان للكون خالقا هو رب الناس ومعبودهم . أما جمهور العالم غير هؤلاء الدهريين فإنهم مقرون بوجود الله سبحانه وتعالى وقدمه ومع ان ثبوت وجود

---

(٣) الإبانة الكبرى لابن بطة (٤٢٥).

(٤) صحيح مسلم (٥٨).

سبحانه وقدمه بديهي لا يحتاج إلى دليل فإن العلماء وضعوا أدلة قطعية على ان الله سبحانه وتعالى واجب الوجود . وقد اختلفت مسالكهم في تنظيم الأدلة على وجود الله فمنهم من يسلك في ذلك التأمل في مصنوعاته ومخلوقاته وما فيها من التنظيم والاحكام والإتقان الذي لا يصدر الا عن فاعل مريد كما سلك ذلك (شيخ الإسلام) شمس الدين بن القيم فإنه نهج في الاستدلال بالتأمل في نظام العالم علوية وسفلية سمائه وأرضه وشمسه وقمره ونجومه وما في هذه الأشياء من بديع الصنع وإتقان الخلق مما يستحيل معه دعوى الجاحدين المدعين ان الكون حصل صدفة واتفاقا من غير ان يكون له فاعل مختار وقد ضرب لذلك مثلا فقال في مفتاح دار السعادة فاسأل المعطل الجاحد ما تقول في دولاب دائر على نهر قد احكمت آلاته واحكم تركيبه وقدرت أدواته احسن تقدير وأبلغه بحيث لا يرى الناظر فيه خللا في مادته ولا في صورته وقد جعل على حديقة عظيمة فيها من كل أنواع الثمار والزروع يسقيها حاجتها وفي تلك الحديقة من يلم شعثها ويحسن مراعاتها وتعهدها والقيام بجميع مصالحها فلا يختل منه شيء ولا يتلف ثمارها ثم يقسم قيمتها عند الجذاذ على سائر المخارج بحسب حاجاتهم وضروراتهم فيقسم لكل صنف منهم ما يليق به ويقسم هكذا على الدوام اترى هذا اتفاقا بلا صانع ولا مختار ولا مدبر ؟ بل اتفق وجود ذلك الدولاب وتلك الحديقة وكل ذلك اتفاقا من غير فاعل ولا قيم ولا مدبر . افترى ما يقول لك عقلك في ذلك لو كان ؟ وما الذي يفتيك به ؟ وما الذي يرشدك اليه ؟ اه

يريد ان يقول رحمه الله في هذا المثال ان هذه الجزئية الصغيرة من جزيئات الكون الكثيرة لا يصح في عقل إنسان ان يكون هذا التدبير الذي تضمنه هذا المثال صدر عن غير فاعل مدبر فمن باب أولى الا يصدر هذا الكون عن غير فاعل وصانع حكيم عليم يفعل بمشيئة وإرادته .

وهذا النهج لابن القيم في الاستدلال قد تبع فيه نهج القرآن الكريم قال تعالى:(قالت لهم رسلهم أفي الله شك فاطر السماوات والأرض؟)(١) أي قالت الرسل لاممهم المكذبين بالله الجاحدين أتشكون في وجود الله ؟ وهو الذي خلق السموات والارض وبدأ خلقهن على غير مثال سابق ..

أما علماء الكلام فيستدلون على وجود الله سبحانه وتعالى بالحدوث اي بحدوث العالم وتقرير الدليل عندهم اننا نشاهد كثيرا من الموجودات تحدث وهي منقسمة الى أعراض وجواهر والأعراض التي نرى حدوثها في كل آونة لا تقوم الا بالجواهر إذا فالجواهر لا تخلو من الأعراض وهي حادثة وما لا يخلو من الحادث فهو حادث إذا فيثبت حدوث العالم وحينئذ لا يخلو هذا الحادث من أن يكون له محدث اولا .

---

(١) سورة إبراهيم :١٠.

فان لم يكن له محدث امتنع حدوثه وان كان له محدث انتقل الكلام إليه وقيل فيه أما أن يكون له محدث اولا وهكذا فاما ان يلزم التسلسل والدور وهو محال واما ان يثبت موجود واجب الوجود قديم وما سواه محدث .

والمعترفون بالصانع متفاوتون في اعترافهم به فمنهم من لا يثبت الا موجودا مطلقا عن كل تقييد بصفة او اضافة ويسمونه علة وجود العالم كالفلاسفة الالهيين ومن قال بقولهم .

ومنهم من يعترف به اعترافا حقيقيا كاملا يثبت له كل ما يليق بجلاله وعظمته من الأسماء الحسنى والصفات العليا وينفي عنه كل نقص وعيب وهذه طريقة أهل السنة والجماعة من أتباع مُحَّد صلى الله عليه وسلم من الصحابة رضوان الله عليهم . فمن جاء بعدهم ممن سار على طريقتهم إلى يومنا هذا يؤمنون بكل ما ورد في القرآن او صح في السنة من أوصافه الكريمة سبحانه وتعالى من غير صرف ولا تأويل ولا تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل يثبتون معاني الصفات التي يفهمونها من ألفاظ القرآن والسنة ويكلون علم كنهها وكيفياتها الى الله سبحانه وتعالى فهم قد حماهم الله عن التعطيل كما حماهم عن التشبيه او التفويض .

فكل من ينسب إلى السلف الصالح انهم لا يفهمون معاني آيات الصفات وأحاديثها بل يفوضونها إلى الله فقد افترى عليهم وكذب وتقول عليهم ما لم يقولوه .

سئل الإمام مالك عن قوله تعالى(الرحمن على العرش استوى)(١)كيف استوى ؟ فقال الاستواء معلوم والكيف غير معقول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة .

فقوله رحمه الله الاستواء معلوم يريد ان المعنى المتضمن له لفظ استوى معلوم يفسر ويترجم بلغة أخرى وان الكيفيات والكنه لا يدركها العقل البشري وهذا الجواب من الإمام مالك كاف شاف عام في جميع مسائل الصفات .

فمن سأل عن قوله تعالى(انني معكما اسمع وأرى)(٢) كيف يسمع ؟ قيل السمع معلوم والكيف غير معقول ..إلخ . وهكذا يقال في العلم والحياة والاستواء والنزول والرضى والغضب وغير ذلك من الصفات مما ورد في الكتاب والسنة اثباته لله فمعاني ذلك كله معلومة أما الكيفيات فغير معقولة لان تعقلها فرع من تعقل ذاته الكريمة فإذا كان ذلك لا يمكن فكذلك كيفيات صفاته سبحانه .

---

(١) سورة طه : ٥

(٢) سورة طه : ٤٦

والطريقة السليمة في هذا الباب التي بها تحصل العصمة للعبد ان يصف الله بما وصف به نفسه او وصفه به رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل وفقا لقوله تعالى (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)(١) فمن شبه استواء الله باستواء المخلوقين فقد مثل(٢) من نفى حقيقة الاستواء فقد عطل ومن أثبت استواء حقيقيا لائقا بعظمة الله وجلاله وسار في الصفات كلها على هذه الطريقة فهو المؤمن الموحد المنزه لله سبحانه عن كل ما لا يليق بعظمته وجلاله وكان من الضرورة ولابد لهذه العقيدة من أعداء وخصوم بحثوا عن الطريقة المثلى للقضاء على هذه العقيدة او اضعافها على الأقل فوجدوا في احداث البدع مرتعا خصبا لنشر أفكارهم وبث سمومهم ويتمثل ذلك بأمهات البدع نفي القدر او الغلو في اثباته ، ونفي الصفات والرفض والخروج على الائمة وهذه الأصول الأربعة ترجع إليها جميع الضلالات التي نشأت في هذه الأمة ومزقتها شر ممزق مصداقا لقوله ﷺ ان هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار الا واحدة .

ونستطيع أن نقسم مذاهب الناس في الصفات الى:

١- قسم نفوا عن الله جميع صفاته الذاتية والفعلية وهم المعتزلة والجهمية والفلاسفة .

٢ - قسم اثبتوا لله صفات الذات كالعلم والقدرة والحياة ونفوا عنه صفات الفعل كالنزول والاستواء والغضب والرضى وهؤلاء هم الأشاعرة والكلابية والماتوريدية.

٣ - وقسم اثبتوا لله جميع الصفات وغلوا فيها حتى مثلوا الله بخلقه وشبهوه بمصنوعاته فقالوا له يد كأيدينا وقدم كأقدامنا وهؤلاء هم المشبهون ومن ائمتهم هشام بن الحكم الرافضي .

٤ - أهل السنة والجماعة اثبتوا لله سبحانه وتعالى كل ما ورد في القرآن وصح في السنة المطهرة اثباتا من غير تشبيه ونزهوه عما لا يليق به تنزيها من غير تعطيل ولما كان هذا الأصل اعني الإيمان بالله هو أساس وبقية أصول الإيمان تابعة له والكلام عليها يستلزم تطويلا ولا يحتمله المقام اكتفيت في بحثي هذا على بيان الأصل الأول وأرجو أن يتاح لي وقت آخر لابين حكم الاختلاف في بقية أصول الإيمان ولما بينت اختلاف الناس في أصل الإيمان كان لا بد لي من بيان اختلافهم في حكم مرتكب الكبيرة اذ البحث فيه فرع عن البحث في الإيمان .

---

(١) الشورى : ١١.

(٢) يظهر من سياق الكلام أنه سقط حرف الواو .

حكم مرتكب الكبيرة :

كان المسلمون الأولون من الصحابة والتابعين يسمون كل من آمن بالله ورسوله وصدقه في شريعته مسلما ومؤمنا وإذا أرتكب كبيرة لم يخرجوه من الإيمان ولا من الإسلام حتى حدث في آخر عهد الصحابة وأول عهد التابعين أقوال متضاربة في حكم مرتكب الكبيرة حيث قالت الخوارج بكفره . والأقوال في حكم مرتكب الكبيرة ترجع إلى أربعة أقوال .

١ - قول أهل السنة والجماعة :

أن المسلم لا يخرج من دائرة الإسلام ولا من مطلق الإيمان بمجرد ارتكابه الكبيرة ويقولون (هو مؤمن فاسق بكبيرته) فلا يعطونه اسم الإيمان المطلق ولا يسلبون مطلق الإيمان لأنهم جمعوا بين نصوص الوعد التي يفهم منها العفو عن المعاصي ونصوص الوعيد التي يفهم منها التخليد في النار ونفي الإيمان ونحو ذلك وقد نص القرآن الكريم على أن المؤمن لا يخرج من دائرة الإيمان بمجرد ارتكابه الكبيرة قال تعالى في حق القاتل عمدا عدوانا (فمن عفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف)(١) الآية فقد اثبت القرآن الأخوة الإسلامية للقاتل وان كان مرتكبا كبيرة القتل . وقال تعالى(وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحو بينهما)(٢) اثبتت الآية الكريمة للطائفتين المقتتلتين اسم الايمان وبهذا نعرف ان حكم الإيمان لا يزول عن المسلم بمجرد المعصية وهذا هو الحق الذي لا مرية فيه ولا غبار عليه وهو اجتماع من الصحابة رضوان الله عليهم .

٢ - مذهب الخوارج :

وهو أن المسلم اذا أرتكب كبيرة كفر بها وحل دمه وماله وان مات من غير توبة من هذه المعصية فمصيره النار خالدا فيها مع الكافرين وشبهة هؤلاء في هذا القول نصوص الوعيد الواردة في بيان عقوبة مرتكب الكبيرة كقوله تعالى (ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها)(٣) الآية . وقوله تعالى (ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم خالدين فيها أبدا)(٤) .

---

(١) سورة البقرة : ١٧٨

(٢) سورة الحجرات : ٩

(٣) سورة النساء :٩٣

(٤) سورة الجن :٢٣

٣- مذهب المعتزلة:

يقولون اذا فعل مسلم كبيرة خرج بها من الإيمان لكنه لا يدخل في الكفر بل يبقى بمنزلة بين منزلتين بين الكفر و الإيمان واذا مات من غير توبة فمصيره النار خالدا فيها مع الكافرين . وأول من عرف عنه هذا القول هو واصل بن عطاء الغزال شيخ المعتزلة فقد كان حاضرا حلقة الحسن البصري فسأل رجل الحسن قائلا أن الكلام قد كثر في حكم مرتكب الكبيرة فأحد يكفره وأحد لا يكفره فما قولك في هذا فتكلم واصل من فوره وقال أنا لا أقول مؤمن ولا كافر بل هو بمنزلة بين منزلتين ثم اعتزل الحسن البصري أي واصل بن عطاء وجلس في ناحية من المسجد يقرر هذه القاعدة فقال : أن الإيمان عبارة عن خصال معينة مجتمعة فمن أتى بها كلها فهو مؤمن ومن فقدها كلها فهو كافر ومن فقد بعضها فهو غير مؤمن لانه لم يأت بجميع خصال الإيمان ولا كافر لانه لم يفقد جميع خصال الإيمان وهذا القول كما هو باطل في الشرع باطل عقلا لأن الكفر والإيمان نقيضان يلزم من وجود أحدهما انتفاء الأخر والعكس .

٤ - مذهب المرجئة المحضة:

وأمامهم الجهم بن صفوان ويقولون أن ارتكاب الكبائر لا يضر مع الإيمان وهذا المذهب اخبث المذاهب وافسدها لانه يدعو الى ترك جميع الطاعات وأرتكاب جميع المعاصي .

ومعلوم ان مذهبا مثل هذا لا يقصد منه أصحابه ومؤيدوه الا فساد الدين وابطال الشريعة وليس لاصحاب هذا المذهب من شبهة سوى تشبثهم بعمومات نصوص الوعد فعلى المسلم التباعد عن هذا المذهب الضال وما يماثله من المذاهب الهدامة التي أسسها أعداء الإسلام في القديم والحديث للقضاء على الإسلام .

وأن يتمسك بكتاب ربه وسنة نبيه ﷺ ففيهم العصمة والنجاة وقد قال ﷺ (أني تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا ابدا كتاب الله)(١) الحديث وقال عليه السلام(تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي الا هالك)(٢)

وصدق ﷺ .

---

(١) المنتخب من مسند عبد بن حميد (٢٤٠) وحكم مصطفى العدوي صحيح لغيره . لفظ [ابدا] لم أجده .

(٢) سنن ابن ماجة (٤٣) وحكم الألباني صحيح . لفظ [المحجة] لم اجدها.

حكم القول بفناء النار

فضيلة الشيخ حمود بن عقلاء الشعيبي حفظه الله من كل سوء ؛
ما رأي فضيلتكم في هذه الفتنة التي ظهرت وانتشرت بين أوساط الشباب لا سيما صغار السن منهم ، وهي القول بفناء النار أو عدم فنائها ؟
أفتونا جزاكم الله خيرا .
الجواب :
الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد :
فإن هذه المسالة قد بحثت وقتلت بحثا منذ عصر الصحابة ﷺ والتابعين وأئمة الهدى والدين وعلماء سلف الأمة المتقدمين منهم والمتأخرين.
اختلف السلف فيها على قولين على ضوء ما جاء في الكتاب والسنة .

القول الأول :

عليه جمهور سلف الأمة وهو خلود النار ودوامها وعدم فنائها .

القول الثاني :

لبعض السلف، وهو أن النار تبقى أحقاب ثم تفنى ويخرج منها أهلها إذا تهذبوا وتطهروا وزال عنهم درن الكفر بما ذاقوه من العذاب .
وكل من القولين مأثور عن السلف، وينظر في أدلة الفريقين فأيهاكان أقوى دلالةكان هو القول الراجح .

فأما القول الأول وهو قول الجمهور فمن أدلته :

قوله تعالى : ﴿ وما هم منها بمخرجين ﴾(سورة الحجر آية:٤٨) ، وقوله تعالى : ﴿ إن عذابها كان غراما ﴾(سورة الفرقان آية:٦٥) أي ملازما دائما، وقوله تعالى : ﴿ وما هم بخارجين من النار ﴾ (سورة البقرة آية:١٦٧) ، وقوله تعالى : ﴿ لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون ﴾(سورة الزخرف آية:٧٥) ، وقوله تعالى : ﴿ خالدين فيها أبدا ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط ﴾(سورة الأعراف آية:٤٠) .

أما القائلين بفناء النار فمن أدلتهم :

قوله تعالى : ﴿ قال النار مثواكم خالدين فيها إلا ما شاء ربك إن ربك حكيم عليم ﴾(سورة الأنعام آية:١٢٨) ، وقوله تعالى : ﴿ فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق * خالدين

فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك إن ربك فعال لما يريد ﴾(سورة هود آية:١٠٧-١٠٦) ، وجه الدلالة من الآيتين أنه لم يأت بعد الاستثناء ما يدل على دوام النار كما جاء في شأن الجنة مما يدل على دوامها في قوله تعالى : ﴿ عطاء غير مجذوذ ﴾(سورة هود آية:١٠٨) ، فدل على أن النار تفنى والجنة نعيمها دائم لا ينقطع، وقوله تعالى : ﴿ لابثين فيها أحقابا ﴾(سورة النبأ آية:٢٣) وجه الاستدلال من الآية أن الأحقاب أوقات معدودة محصورة لا بد لها من نهاية.

كما استدلوا بآثار عن الصحابة كأبي هريرة وابن مسعود وعمر بن الخطاب ﷺ .

قال عمر بن الخطاب ﷺ : (لو لبث أهل النار في النار كقدر رمل عالج لكان لهم على ذلك وقت يخرجون فيه)(١) . قالوا ومن حيث المعنى فإن عذاب الكفار مراد بالعرَض ونعيم الجنة مراد لذاته فما كان مرادا بالعرَض فإنه ينتهي بانتهاء ذلك العرض، وما كان مرادا لذاته فإنه يدوم ولا ينقطع، ومعنى مراد بالعرَض يعني أن تعذيبهم عَرَض لأجل كفرهم فإذا نقوا وتطهروا بالعذاب زال عنهم درن الكفر فأصبح تعذيبهم لا حكمة فيه إلى غير ذلك مما لم يذكر.

فإذا كان الأمر كذلك أعني أن المسألة فيها قولان للسلف فمن اجتهد وهو من أهل الاجتهاد وأخذ بأحد القولين فإنه لا ينكر عليه ولا يضلل ولا يبدع، لأن السب والتجريح و تضليل الآخرين وهم ليسوا كذلك فيه إثم ومعصية ويترتب عليه الاختلاف والفرقة التي نهى الله عباده عنها، ويفرح به أعداء الجميع من يهود ونصارى وعلمانيين وحداثيين ومنافقين وغيرهم من أصناف الكفار الذين يسرهم كثيرا حصول الاختلاف والفرقة بين المسلمين.

وإني أهيب بأبنائي من شباب، وإخواني من طلبة العلم أن يكفوا عن إثارة هذه الفتنة وأن يوجهوا أقلامهم إلى الرد على أعدائهم كلهم من يهود ونصارى وعلمانيين وغيرهم من أنواع الكافرين، فإن ذلك أحرى بأن تتحد كلمة الأمة وعلمائها، وأن يفوتوا بذلك على الأعداء فرصتهم، هذا أملي في أبنائي الشباب وإخواني طلبة العلم والمعنيين في هذه المسألة أن يستجيبوا لندائي هذا ويوقفوا هذه الأعمال التي لا يستفيد منها إلا العدو .

نسأل الله تعالى أن ينصر دينه ويعلي كلمته ويجمع على الحق كلمة المسلمين إنه على كل شيء قدير

وصلى الله على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين

أملاه : حمود بن عقلاء الشعيبي . ١٤٢١/٤/١٨ هـ .

---

(١) حكم الألباني ضعيف . أنظر شرح الطحاوية ط - دار السلام - ص ٤٢٨.

بسم الله الرحمن الرحيم

صفة العلو لله سبحانه ، والصلاة خلف من أنكر هذه الصفة

جواب لأهل الكويت.

فضيلة الشيخ حمود بن عقلاء الشعيبي حفظه الله :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد ...

ما هو مذهب أهل السنة والجماعة في صفة علو الله على خلقه ، واستوائه على عرشه ؟ ، وما حكم من نفى علو الله واستوائه على عرشه ، وهل تصح إمامته في الصلاة ؟ ، أفتونا وجزاكم الله خيرا ...

ونأمل أن يكون الجواب مدعما بالأدلة من الكتاب والسنة ..

الجواب :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد ...

فإن أهل السنة والجماعة رحمة الله عليهم مجمعون على اعتقاد أن الله سبحانه وتعالى مستو على عرشه عالٍ على جميع خلقه علوا بذاته ...

ولم يخالف في ذلك إلا من طمس الله بصيرته من جهمية ومعتزلة وغيرهم من فرق الضلال الذين أعرضوا عن كتاب الله وسنة نبيه وحكموا عقولهم آراء شيوخهم .

وعلو الله سبحانه ثابت في الكتاب والسنة والعقل والفطرة :

أما كتاب الله فهو مملوء بالنصوص الدالة على علوه سبحانه وتعالى بذاته فوق جميع مخلوقاته بأساليب مختلفة وصيغ متعددة ...

أولا : التصريح باستوائه على عرشه جاء ذلك في سبعة مواضع في القران العزيز .

ثانيا : التصريح بلفظ العلي و الأعلى ، قال تعالى : ﴿ وهو العلي العظيم ﴾ ، وقال تعالى :﴿ له ما في السموات وما في الأرض وهو العلي العظيم ﴾(سورة الشورى آية:٤) ، وقال تعالى :﴿ سبح اسم ربك الأعلى ﴾(سورة الأعلى آية:١) ، وقال تعالى :﴿ إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى ﴾(سورة الليل آية:٢٠) .

ثالثا : التصريح بلفظ الفوقية في عدة مواضع .. قال تعالى ﴿ وهو القاهر فوق عباده ﴾ (سورة الأنعام آية:١٨). وقال تعالى ﴿ يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون ﴾ (سورة النحل آية:٥٠).

رابعا : التصريح بصعود الأشياء إليه سبحانه .. قال سبحانه وتعالى ﴿ إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ﴾سورة فاطر آية:١٠) . وقال تعالى﴿ وإذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلي ﴾(سورة آل عمران آية:٥٥). وقال تعالى ﴿ بل رفعه الله إليه ﴾(سورة النساء آية:٥٨). وقال تعالى ﴿ تعرج الملائكة والروح إليه ﴾(سورة المعارج آية:٤) .

خامسا : التصريح بنزول الأشياء من عنده . قال تعالى ﴿ حم * تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم ﴾ (سورة غافر آية:٢-١) . وقال تعالى ﴿ حم * تنزيل من الرحمن الرحيم ﴾(سورة فصلت آية:٢-١) . . ووجه الاستدلال بهذين والنوعين الرابع والخامس أنه لا يعقل الصعود والرفع إلا من أسفل إلى أعلى ، ولا يعقل النزول والتنزيل إلا من أعلى إلى أسفل ..

سادسا : التصريح بأنه سبحانه وتعالى في السماء .. قال تعالى ﴿ ءأمنتم من في السماء .. ﴾ إلى قوله سبحانه ﴿ أم أمنتم من في السماء ﴾(سورة الملك آية:١٧-١٦) .

أما السنة:

فهي طافحة بالأحاديث الدالة على علو الله على خلقه .. منها :

أولا : إخباره ﷺ أن الله في السماء : قال عليه والصلاة والسلام : (ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء)(١). وقال عليه والصلاة والسلام للجارية : (أين الله ؟) ، قالت : في السماء ، قال : (من أنا ؟) ، قالت : أنت رسول الله ، قال : (اعتقها فإنها مؤمنة)(٢). وجه الاستدلال من هذا الحديث أن رسول الله ﷺ شهد لها بالإيمان لما قالت الله في السماء .

ثانيا : قال عليه الصلاة والسلام في رقية المريض : (ربنا الله الذي في السماء)(٣) .

ثالثا : لما خطب ﷺ في المجمع العظيم في الحج قال : (هل بلغت ؟) ، قالوا : نعم ، فرفع إصبعه إلى السماء فقال : (اللهم اشهد)(٤) .

---

(١) رواه البخاري (٤٣٥١) ومسلم (١٠٦٤)

(٢) رواه مسلم (٥٣٧) وأحمد (١٧٩٤٥) .

(٣) سنن أبي داود (٣٨٩٢) حكم الألباني ضعيف .

(٤) سنن أبي داود (١٩٠٥) حكم الألباني صحيح

أما العقل:

فإنه يدل على أن الله سبحانه وتعالى في العلو وذلك عن طريق السبر والتقسيم ، بأن يقال لمنكر علو الله : إما أن يكون الله سبحانه موجودا وإما أن يكون غير موجود – تعالى الله عن ذلك – ، وعلى كلا التقديرين يُلزم منكر العلو ببطلان قوله ، لأنه لا يخلو إما أن يكون الله في العلو أو في السُفل ، وكونه في السُفل باطل لأنه يلزم منه أن يكون الله حالا في مخلوقاته وهذا كفر بإجماع السلف ، فلم يبقى إلا القسم الثاني وهو كونه سبحانه وتعالى في العلو ، فيتعين اعتقاد العلو .

ثانيا : عن طريق السبر والتقسيم أيضا : بأن يقال لا يخلو الحال من أن يكون الله فوق أو تحت أو يمين أو يسار أو أمام أو خلف ، فينظر عند السبر أي الجهات أشرف ، فنجد أن العلو هو الأشرف ، والله سبحانه وتعالى مستحق للأشرف ، فيتعين كونه في جهة العلو .

أما الفطرة:

فإن العقلاء جميعهم مفطورون على التوجه إلى العلو عند الدعاء واللّجاء والاضطرار ، مما يدل قطعا على أن الله في العلو ، يشهد لذلك ما جرى بين الهمذاني والجويني حيث جاء الهمذاني إلى مجلس الجويني وهو يدرس تلامذته ويقرر مسألة نفي علو الله على خلقه ، فقال الهمذاني للجويني : (يا أستاذ أخبرنا عن هذه الضرورة التي نجدها في نفوسنا فإنه ما توجه إنسان إلى الله قط إلا ويجد ضرورة في نفسه أن الله في جهة العلو ؟!) ، فنزل الجويني عن كرسيه وضرب على رأسه وقال : (حيرني الهمذاني ، حيرني الهمذاني) .

أما الحكم على من أنكر علو الله:

فإنه يكفر بذلك إذا لم يكن جاهلا بالنصوص الشرعية الدالة على صفة العلو ، وقد حكم بكفر منكر العلو كثير من العلماء :

فمنهم الإمام أبو حنيفة حينما سأله أبو مطيع البلْخي عمن ينفي استواء الله على عرشه وعلوه على خلقه فقال : (هو كافر) ، قال أبو مطيع ، قلت له : (فإن كان يقول الله مستو على العرش ولا أدري عرشه في السماء أم في الأرض) ، قال : (هو كافر) .

وقال إمام الأئمة مُحَمَّد بن خزيمة عمن ينفي علو الله على خلقه ، فقال : (هو كافر يستتاب فإن تاب وإلا ضربت عنقه وألقيت جثته في المزابل مع جيف الميتات) .

أما حكم إمامة من ينكر علو الله:

فهي باطلة ولا يصح الائتمام به ولا تنصيبه إماما في الصلاة لما تقدم من أقوال العلماء في تكفيره.

هذا ما تيسر ذكره في هذه المسالة الخطيرة ولو استقصينا الكلام على بطلان مذهب هؤلاء الجهمية الذين ينفون علو الله على خلقه وعرضنا لتزييف شبههم لطال بنا الكلام ، وفيما ذكرناه كفاية لمن أراد الهداية .

وبالله التوفيق

وصلى الله على نبينا مُحَّد وعلى آله وصحبه أجمعين

أملاه : حمود بن عقلاء الشعيبي

الأستاذ سابقا بجامعة الإمام مُحَّد بن سعود

الإسلامية فرع القصيم .

١٤٢١/٤/٢٨هـ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الولاء والبراء ووجوب نصرة طالبان وحكم من ظاهر الأمريكان عليها

صاحب الفضيلة الشيخ حمود بن عقلاء الشعيبي .. حفظه الله من كل سوء

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. وبعد

فقد كان متقررًا لدى كل منتسب للعلم الشرعي، أن الولاء والبراء أصل من أصول الشريعة المطهرة، غير أننا نرى اتجاهات كثير من الحكام العرب والمسلمين وكثير من العلماء في العالم الإسلامي وتصرفاتهم تجاه الأحداث التي وقعت في أمريكا وما ترتب عليها من توعد من تلك الدولة الكافرة لإخواننا المسلمين في الأفغان وغيرها .. يتناقض مع ما كان متقررًا في الشريعة الإسلامية، فنأمل من فضيلتكم نبذة مختصرة مدعمة بنصوص من الكتاب والسنة تبين مكانة الولاء والبراء في الإسلام وما يترتب عليها من آثار؟

الجواب ..

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين .. أما بعد

فقبل أن أبدأ ببيان مكانة الولاء والبراء في الإسلام لابد من إيضاح معنى الولاء والبراء في اللغة وفي اصطلاح الشرع:

الولاء في اللغة: اسم مصدر من والى يوالي موالاة وولاء، قال في لسان العرب ما خلاصته: الموالاة كما قال ابن الأعرابي: أن يتشاجر اثنان فيدخل ثالث بينهما للصلح، ويكون له في أحدهما هوى، فيواليه أو يحابيه، ووالى فلان فلانًا إذا أحبه، والولي فعيل بمعنى فاعل، ومنه وَلِيَه إذا قام به، ومنه قوله تعالى: ﴿ الله ولي الذين آمنوا ﴾(سورة البقرة الآية:٢٥٧)، ويكون الولي بمعنى مفعول في حق المطيع، فيقال: المؤمن ولي الله ووالاه موالاة وولاء، من باب قاتل أي تابعه.

وهذه الكلمة المكونة من الواو واللام والياء يصاغ منها عدة أفعال مختلفة الصيغ والمعاني، يأتي منها وليَ وولّى وتولّى ووالى واستولى، ولكل من هذه الأفعال معنى يختلف عن الآخر عند الاستعمال، **أولا**: وليَن يطلق ويراد به القرب، تقول: وليَ فلان فلانًا، وفلان يلي فلانًا أي قريب منه، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: والولي القريب، فيقال: هذا يلي هذا أي يقرب منه، ومنه قوله ﷺ:«ألحقوا الفرائض بأهلها فما أبقت الفروض فلأولى رجل ذكر»(١)أي لأقرب رجل إلى الميّت.

---

(١) البخاري(٦٧٣٢) ومسلم (١٦١٥).

ويأتي: وليَ بمعنى: الاستيلاء والملك، فيقال: وليَ الأمر بعده سلفه إذا صار الأمر إليه.

ثانيًا: ولّى يأتي لازما، فيكون بمعنى ذهب، كقوله ﷺ في قصة ابن أم مكتوم حينما جاء يسأل النبي ﷺ أن يصلي في بيته فرخص له ﷺ، قال الراوي: فلما ولّى -أي ذهب- ناداه فقال: «أتسمع النداء؟» قال نعم، قال: فأجب(١)، وفي لفظ لا أجد لك رخصة(٢).

ويأتي متعديًا فيقال: ولّى فلان فلانًا الأمر إذا أسنده إليه. ثالثًا: تولى، يأتي معدى بحرف (عن) فيكون بمعنى أعرض لقوله سبحانه وتعالى: ﴿ فتول عنهم فما أنت بملوم ﴾(سورة الذاريات آية:٥٤) أي: أعرض عنهم، ويأتي متعديًا بنفسه فيكون بمعنى اتبع، يقال: تولاه: أي اتبعه واتخذه وليًا كقوله تعالى: ﴿ ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين ﴾(سورة المائدة آية:٥١) ويأتي لازمًا كقوله تعالى: ﴿ وإن تتولوا يستبدل قومًا غيركم ﴾(سورة مُحَمَّد آية:٣٨) رابعًا: يقال والى فلان فلانًا إذا أحبه واتبعه، والولاية معناها النصرة والحماية والاتباع. خامسًا: استولى: يقال استولى الجيش على بلد العدو إذا أخذوها عنوة.

أما معنى الولاء في الشرع : فهو تولي العبد ربه ونبيه باتباع الأوامر واجتناب النواهي وحب أولياء الله من المؤمنين. هذا كله من الولاء.

البراء تعريفه لغة :مصدر برى بمعنى قطع، ومنه برى القلم بمعنى قطعه، والمراد هنا قطع الصلة مع الكفار، فلا يحبهم ولا يناصرهم ولا يقيم في ديارهم. قال ابن الأعرابي: بري إذا تخلص، وبريء إذا تنزه وتباعد، وبريء إذا أعذر وأنذر، ومنه قوله تعالى: ﴿ براءة من الله ورسوله ﴾(سورة التوبة آية:١) أي إعذار وإنذار، والبريء والبري بمعنى واحد، إلا أن البراء أبلغ من البريء.

والبراء في الشرع : هو البعد والخلاص والعداوة بعد الإنذار و الإعذار، يقال برى وتبرأ من الكفار إذا قطع الصلة بينه وبينهم فلا يواليهم ولا يحبهم ولا يركن إليهم ولا يطلب النصرة منهم.

منزلة الولاء والبراء في الإسلام :الولاء والبراء قاعدة من قواعد الدين وأصل من أصول الإيمان والعقيدة، فلا يصح إيمان شخص بدونهما، فيجب على المرء المسلم أن يوالي في الله ويحب في الله ويعادي في الله، فيوالي أولياء الله ويحبهم ويعادي أعداء الله ويتبرأ منهم ويبغضهم، قال ﷺ: (أوثق عرى الإيمان الموالاة في الله والمعاداة في الله والحب في الله والبغض في الله)(٣).

---

(١) رواه مسلم (٦٥٣) .

(٢) سنن أبي داود (٥٥٢) ابن ماجه (٧٩٢) وحكم الألباني صحيح.

(٣) معجم الكبير للطبراني (١١٥٣٧) وحكم الألباني صحيح . أنظر السلسلة الصحيحة (٩٩٨)

فمما تقدم يتبين لك أيها القارئ أن الولاء يقوم على المحبة والنصرة والاتباع، فمن أحب في الله وأبغض في الله ووالى في الله وعادى في الله فإنما تنال ولاية الله بذلك، ولن يجد عبد طعم الإيمان وإن كثرت صلاته وصومه حتى يكون كذلك، وقد صارت مؤاخاة الناس على أمر الدنيا، وذلك لا يجدي على أهله شيئًا.

أما من والى الكافرين واتخذهم أصدقاء وإخوانًا فهم مثلهم، قال تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين ﴾(سورة المائدة آية:٥١) ، والقرآن العزيز مشتمل على كثير من الآيات التي تحذر من اتخاذ الكافرين أولياء، كقوله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون ﴾(سورة آل عمران آية ١١٨) الآيات. وقال تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة ﴾(سورة الممتحنة آية:١) الآيات.

أما البراء فهو من الأسس التي تقوم عليها العقيدة الإسلامية وهو البعد من الكفار ومعاداتهم وقطع الصلة بهم، فلا يصح إيمان المرء حتى يوالي أولياء الله ويعادي أعداءه ويتبرأ منهم ولو كان أقرب قريب، قال سبحانه وتعالى: ﴿ لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ﷺ ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون ﴾(سورة المجادلة آية:٢٢) فقد تضمنت هذه الآية الكريمة أنه لا يتحقق الإيمان إلا لمن تباعد عن الكفر المحادين لله ورسوله وبرئ منهم وعاداهم ولو كان أقرب قريب، وقد أثنى سبحانه وتعالى على خليله إبراهيم حينما تبرأ من أبيه وقومه ومعبوداتهم حيث قال: ﴿ وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون * إلا الذي فطرني فإنه سيهدين * وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون ﴾(سورة الزخرف آية:٢٨-٢٦) وقد أمرنا سبحانه وتعالى بأن نتأس بالخليل عليه الصلاة والسلام حيث قال: ﴿ قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء حتى تؤمنوا بالله وحده ﴾(سورة الممتحنة آية:٤) .

وبهذا الموجز المختصر عن الولاء والبراء يتبين بجلاء مدى أهمية هذين الركنين ومكانتهما في الإسلام أما مظاهرة الكفار على المسلمين ومعاونتهم عليهم فهي كفر ناقل عن ملة الإسلام عند كل من يعتد بقوله من علماء الأمة قديما وحديثًا، قال الشيخ الإمام المجدد مُحَّد بن عبد الوهاب رحمه الله:

الناقض الثامن (مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين، والدليل قوله تعالى: ﴿ ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين ﴾(سورة المائدة آية:٥١) .
وقد سئل العلامة عبد الله بن عبد اللطيف رحمه الله عن الفرق بين الموالاة والتولي: فأجاب بأن التولي: كفر يخرج من الملة وهو كالذب عنهم ومعاونتهم بالمال والبدن والرأي. وقال الشيخ العلامة أحمد شاكر رحمه الله في بيانه حكم مقاومة الكفار ومحاربتهم: يجب على كل مسلم في أي بقعة من بقاع الأرض أن يحاربهم وأن يقاتلهم حيثما وجدوا مدنيين أو عسكريين .. إلى قوله: وأما التعاون مع الإنجليز بأي نوع من أنواع التعاون قل أو كثر فهو الردة الجامحة والكفر الصراح لا يقبل فيه اعتذار ولا ينفع معه تأويل ولا ينجي من حكمه عصبية حمقاء ولا سياسة خرقاء ولا مجاملة هي النفاق سواء كان ذلك من أفراد أو حكومات أو زعماء.
كلهم في الردة سواء إلا من جهل .. إلى أن قال رحمه الله: ألا فليعلم كل مسلم ومسلمة أن هؤلاء الذين يخرجون على دينهم ويناصرون أعداءهم من يتزوج منهم فزواجه باطل بطلانًا أصليًا لا يلحقه تصحيح ولا يترتب عليه أي آثر من آثار النكاح مع ثبوت نسب وميراث وغير ذلك وأن من كان منهم متزوجًا بطل زواجه. اهـ
وبناءً على هذا فإن من ظاهر دولة الكفر على المسلمين وأعانهم كأمريكا وزميلاتها في الكفر يكون كافرًا مرتدًا عن الإسلام بأي شكل كانت مظاهرتهم وإعانتهم، لأن هذه الحملة المسعورة التي ما فتئ يدعو إليها المجرم بوش وزميله في الكفر والإجرام رئيس وزراء بريطانيا بلير والتي يزعمان فيها أنهما يحاربان الإرهاب هي حملة صليبية كسابقاتها من الحملات الصليبية ضد الإسلام والمسلمين فيما مضى من التاريخ، وقد صرح المجرم بوش بملء فيه بذلك، حيث قال سنشنها حربا صليبية ،و سواء أكان ثملا عندما قال ذلك أو كان واعيًا فإن هذا هو ما يعتقده هو وأمثاله من أساطين الكفر.
وهذا العداء والحقد على الإسلام والمسلمين من قبل هؤلاء الصليبيين والصهاينة لا يستغرب لأن الكفر وإن كان مِلَلاً شتى إلا أنهم ملة واحدة بالنسبة لعداء المسلمين والحقد عليهم. قال تعالى: ﴿ ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا ﴾(سورة البقرة آية:٢١٧) .
إذا فلا غرابة من عدائهم للمسلمين ومحاربتهم لهم، إن الغرابة كل الغرابة في مظاهرة بعض الحكام والمسلمين لهؤلاء الكفَرة وتقديم العون لهم ومنحهم الأرض والأجواء والقواعد ليستعملها أعداء الله ورسوله في ضرب المسلمين.

وبهذه المناسبة فإننا ندعو جميع المسلمين شعوبًا وحكامًا أن يهبوا لنصرة إخوانهم المجاهدين في الأفغان بكل ما يستطيعون من عون بالنفس والمال والدعاء والدعاية، كما نوصي إخواننا في الأفغان بالصبر والثبات والاستماتة في مقاومة هذا العدوان، وكلنا أمل في الله أن تكون الأفغان مقبرة لهؤلاء الطغاة والمستكبرين كما كانت مقبرة للاتحاد السوفيتي والإنجليز قبلهم.

كما نذكر إخواننا الأفغان بحالة المسلمين يوم الأحزاب حينما تكالبت عليهم قوى الكفر وتحالفوا على غزو المدينة واستئصال شأفة المسلمين إلا أن الله سبحانه وتعالى بقوته التي لا تقهر زلزلهم وفرق شملهم كما أشار سبحانه وتعالى إلى ذلك بقوله سبحانه: ﴿ إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا * هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدًا ﴾(سورة الأحزاب آية:١١-١٠) .

نسال الله أن ينصر إخواننا في أفغانستان وأن يجمع كلمتهم وأن ينصرهم على اليهود والنصارى ومن شايعهم ومن أعانهم، اللهم عليك بالأمريكان وأعوانهم ، اللهم شتت شملهم وأدر الدائرة عليهم. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أملاه فضيلة الشيخ أ. حمود بن عقلاء الشعيبي

١٢/ ٧/ ١٤٢٢ هـ

نصرة طالبان لهدمهم الأوثان

فضيلة الشيخ حمود بن عقلاء الشعيبي حفظه الله تعالى من كل سوء ..

عندما قامت حكومة طالبان الإسلامية بكسر الأوثان الموجودة في أفغانستان قامت قوى الكفر ومن شايعهم وبعض من يدعي الإسلام بالتنديد والاستنكار لهذا الفعل ، و ألقى البعض ببعض الشبه وشكك بهذا العمل منها .

نرجوا من فضيلتكم أن تبينوا لنا مدى شرعية هذا الفعل من حكومة طالبان الإسلامية ، والرد على بعض الشبه التي قيلت .

نسأل الله لكم التوفيق والتثبيت والإعانة على ما تقومون به .

الجواب :

الحمد لله رب العالمين .

والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد . . .

فإن الله سبحانه وتعالى بعث محمدا ﷺ لكسر الأوثان والأصنام وتحطيمها وأمره بالكفر بالطاغوت والبراءة من الشرك وأهله وألا يعبد إلا هو سبحانه وتعالى وحده لا شريك له ، بل هذا هو أصل دعوة كل نبي بعثه الله سبحانه وتعالى ، يقول عز وجل ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾(سورة النحل آية:٣٦) ، وإن الدفاع عن التوحيد وأبوابه لمن أفضل ما يتقرب به العبد إلى مولاه جل وعلا ، ومن أجل ما تقضى به الأوقات وتفنى به الأعمار ، وما تقوم به حكومة طالبان الإسلامية من عزمها على تحطيم أوكار الشرك والتعدي على ألوهية الواحد القهار ليعد مفخرة للإسلام و أهله وسَحقا للشرك وأهله ، يقول تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ﴾(سورة محمد آية:٧) ويقول تبارك وتعالى ﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ﴾(سورة المائدة آية:٢) فعليهم أن يعتصموا بحبل الله سبحانه وأن يكملوا الطريق بأن يقضوا على مظاهر الشرك ورموز الطواغيت ، وألا يكترثوا بمعارضة المعترضين من كفار ، أو استنكار المنهزمين ، بل عليهم أن يمضوا قدما في سبيل إقامة توحيد رب العالمين ، والله ناصرهم ولن يترهم أعمالهم .

وإن من الكفر بالطاغوت خلع الأنداد والأصنام وبغضها ومعاداتها ومحوها ، فهل يُتَصور أن يُحقق التوحيد من نهى أو خذل عن ذلك ؟

جاء في صحيح مسلم رحمه الله أن رسول الله ﷺ قال (من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله)(١).

يقول الشيخ مُحَّد بن عبد الوهاب رحمه الله على هذا الحديث : (إن الكفر بالطاغوت أعظم ما يبين معنى لا إله إلا الله ، فإنه لم يجعل التلفظ بها عاصما للدم والمال بل ولا معرفة معناها مع لفظها ، بل ولا الإقرار بذلك ، بل ولا كونه لا يدعو إلا الله وحده لا شريك له ، بل لا يحرم ماله ودمه حتى يضيف إلى ذلك الكفر بما يُعبد من دون الله ، فإن شك أو توقف لم يحرم ماله ودمه) . اهـ

وقد نقل صاحب تيسير العزيز الحميد إجماع أهل العلم على معنى كلام الشيخ مُحَّد بن عبد الوهاب رحمه الله ، ذكره في باب تفسير التوحيد .

فهل الدعوة إلى إبقاء الأصنام المعظمة التي يعبدها البوذيون أو الأقباط مما يعد تراثا أو حضارة هل هو من الكفر بالطاغوت أم هو من التساهل ؟ سبحانك هذا بهتان عظيم .

وإن من الكفر بما يعبد من دون الله القيام على هذه الطواغيت والتي فتح أهل الكفر باب الدعوة لها باسم العودة إلى التراث والحضارة ، وباسم الآثار الثمينة ، حتى وصل الحال ببعض الجهلة أن يقول : إن توفير الطعام والكساء والدواء وغيره أهم من القيام على هذه الأصنام !! فجاءوا يهرعون مستنكرين على حكومة طالبان الإسلامية فعلها ، فهل يعد هؤلاء الجهلة إبقاء الأصنام التي يعبدها البوذيون أو غيرهم تراثا وحضارة وأن هناك أمورا أهم منها حتى اتفقوا بقولهم هذا مع صناديد الكفر بالله بتلك الحجج الواهية وتلك الشبه التي ألقوها على عوام المسلمين ليجاروا الكفار متطلبات العصر وضرورات الحضارة زعموا.

يقول ابن القيم رحمه الله تعالى عن ترك تلك الأصنام : (لا يجوز إبقاء مواضع الشرك والطواغيت بعد القدرة على هدمها وإبطالها يوما واحدا ، فإنها شعار الكفر والشرك ، وهي أعظم المنكرات ، فلا يجوز الإقرار عليها مع القدرة ألبتة ، وهذا حكم المشَاهد التي بنيت على القبور التي اتخذت أوثانا وطواغيت تعبد من دون الله ، والأحجار التي تقصد للتعظيم والتبرك والنذر والتقبيل ، لا يجوز إبقاء شيء منها على وجه الأرض مع القدرة على إزالته ، وكثير منها بمنزلة اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى أو أعظم شركا عندهم وبها ، والله المستعان ، ولم يكن أحد من أرباب الطواغيت يعتقد أنها تخلق أو ترزق أو تميت وتحيي ، و إنما كانوا يفعلون عندها وبها ما يفعله

(١) صحيح مسلم (٢٣) .

إخوانهم المشركون اليوم عند طواغيتهم ، فاتبع هؤلاء سنن من كان قبلهم وسلكوا سبيلهم حذو القذة بالقذة ، وأخذوا مأخذهم شبرا بشبر وذراعا بذراع ، وغلب الشرك على أكثر النفوس لظهور الجهل وخفاء العلم ، فصار المعروف منكرا والمنكر معروفا ، والسنة بدعة والبدعة سنة ، ونشأ في ذلك الصغير وهرم عليها الكبير ، وطمست الأعلام واشتد البأس وظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ، ولكن لا تزال طائفة من العصابة المحمدية بالحق قائمين ولأهل الشرك مجاهدين إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين) اهـ [زاد المعاد ٣ / ٥٠٦].

ولا شك أن حكومة طالبان الإسلامية التي أقدمت على تحطيم آثار الشرك والكفر بالطاغوت من هذه العصابة المحمدية التي ذكرها ابن القيم .

يقول النووي الشافعي رحمه الله تعالى : (فيا علماء الدين ويا ملوك المسلمين أي رزء للإسلام أشد من الكفر وأي بلاء بهذا الدين أضر عليه من عبادة غير الله ، وأي مصيبة يصاب بها المسلمون تعدل هذه المصيبة ، وأي منكر يجب إنكاره إن لم يكن إنكار هذا الشرك من البين الواضح ؟) اهـ [عون المعبود ٣٧/٩].

وإن الإنسان لا يعجب من تكالب الكفار وما يقومون به من حملة مسعورة على حكومة طالبان الإسلامية لقيامها بهذا العمل الجليل مع أننا لم نر مثل هذه الوقفة منهم لما هدم المسجد البابري في الهند و إنما المستغرب من بعض المنتسبين إلى الإسلام المتطفلين على العلم الشرعي أن يوافقوا الكفار على هذا التنديد لهذا العمل الشريف الذي هو محو للطاغوتية ، وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على أن الكفر ملة واحدة ، وأنهم مهما حاولوا تشويه فعل حكومة طالبان الإسلامية هذا أو غيره فإنما هي مخادعة واستغفال مهما طبل لها مطبل ﴿ ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجعله في جهنم أولئك هم الخاسرون. . . ﴾(سورة الأنفال آية:٣٧) ولا يشك عاقل أن هذه الأصنام التي تريد حكومة طالبان الإسلامية تكسيرها أُوجدت لعبادة غير الله سبحانه .

وما صيحات البوذيين وغيرهم من طوائف الكفر في مشارق الأرض ومغاربها إلا أكبر شاهد على ما نقول ﴿ إلا تنصروه فقد نصره الله. . . ﴾(سورة التوبة آية:٤٠) .

الأدلة من كتاب الله على وجوب كسر الأصنام:

قوله تعالى ﴿ وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناما آلهة إني أراك وقومك في ضلال مبين. . . ﴾(سورة الأنعام آية:٧٤) .

وقوله تعالى ﴿ وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين ﴾(سورة الأنبياء آية:٥٧) .
وقال في موضع آخر ﴿ فراغ إلى آلهتهم فقال ألا تأكلون * مالكم لا تنطقون * فراغ عليهم ضربا باليمين * فأقبلوا إليه يزفون* قال أتعبدون ما تنحتون. . . الآية ﴾(سورة الصافات آية:٩٥-٩١) . وقوله تعالى حكاية عن موسى عليه الصلاة والسلام في قصته مع السامري : ﴿ وانظر إلى إلهك الذي ظلت عليه عاكفا لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفا ﴾(سورة طه آية:٩٧) .
وقوله سبحانه وتعالى بعد تكسير رسول الله ﷺ للأصنام التي حول الكعبة ﴿ وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا ﴾(سورة الإسراء آية:٨١) ، ﴿ جاء الحق وما يبدىء الباطل وما يعيد ﴾(سورة سبأ آية:٤٩) .

ومن سنة رسول الله ﷺ :

ما رواه مسلم رحمه الله تعالى في صحيحه عن عمرو بن عبَسة قال : قلت يا رسول الله : بأي شيء أرسلك الله ؟ قال : بصلة الأرحام وكسر الأوثان ، وأن يوحد الله ولا يشرك به شيئا(١).
وفي الصحيح عن أبي الهياج رضي الله عنه قال : قال لي علي رضي الله عنه : (ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ ألا تدع صورة إلا طمستها ولا قبرا مشرفا إلا سويته)(٢) ، وعند أحمد (وأن أطمس كل صنم)(٣) ، وفي رواية أخرى أيضا عنده (وأن تلطخ كل صنم)(٤) .
وما رواه أحمد رحمه الله وغيره عن أبي أمامة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (إن الله بعثني رحمة للعالمين وأمرني ربي عز وجل بمحق الأوثان)(٥) .
وثبت من فعله ﷺ وبيده الكريمة كما جاء في صحيح البخاري ومسلم لما فتح الرسول ﷺ مكة كان حول الكعبة ثلاثمائة وستون صنما فجعل يطعنها بالقوس ويقول : ﴿ جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا ﴾ ، ﴿ جاء الحق وما يبدىء الباطل وما يعيد ﴾(٦) والأصنام تتساقط على وجهها .

---

(١) صحيح مسلم (٨٣٢)
(٢) صحيح مسلم (٩٦٩)
(٣) مسند أحمد (٨٨٩) وحكم الأرناؤوط إسناده ضعيف
(٤) مسند أحمد (١١٧٦) وحكم الأرناؤوط إسناده ضعيف
(٥) مسند أحمد (٢٢٣٠٧) وحكم الأرناؤوط إسناده ضعيف جدا
(٦) البخاري (٤٧٢٠) وصحيح مسلم (١٧٨٠)

وجاء عند البخاري أن النبي عليه الصلاة والسلام جذب نمطا فيه تصاوير حتى هتكه . وروى الترمذي عن عدي بن حاتم ﷺ قال : أتيت النبي ﷺ وفي عنقي صليب من ذهب ، فقال :(ما هذا ياعدي ؟ اطرح عنك الوثن)(١) .

سراياه ﷺ في ذلك :

١ – أرسل سرية بقيادة خالد بن الوليد ﷺ لتحطيم العزى وكان صنما تعظمه قريش فكسرها وحطمها ٠

٢ – وأرسل رسول الله ﷺ سرية لكسر مناة .

٣ — وأرسل سرية عمرو بن العاص ﷺ فاتح مصر إلى سواع صنم لهذيل فكسره عمرو بيده .

٤ – وأرسل علي بن أبي طالب ﷺ إلى صنم طيء يدعى الفلس ، وكان صنما منحوتا على جبل من جبالهم .

٥ – وأرسل سرية لتحطيم اللات يأتي ذكرها بعد قليل .

وهذه الأصنام الثلاث : العزى واللات ومناة الثالثة الأخرى هي أعظم أصنام العرب ، قال تعالى ﴿ أفرأيتم اللات والعزى * ومناة الثالثة الأخرى. . . الآية ﴾(سورة النجم آية:٢٠-١٩) ، ومع ذلك لم يكترث بأن تجتمع عليه العرب بأجمعها فجعلها رسول الله ﷺ جذاذا كلها ولم يدع شيئا .

٦ – وأرسل سرية جرير بن عبدالله ﷺ كما رواها البخاري في مغازيه ، قال جرير : قال لي رسول الله ﷺ :((ألا تريحني من ذي الخلَصة ؟)) قال : فنفرت في مائة وخمسين راكبا فكسرناه وقتلنا من وجدنا عنده(٢) .

٧ – قصة ثقيف لما سألت رسول الله ﷺ أن يدع لهم الطاغية صنمهم اللات لا يهدمها ثلاث سنين فأبى ، فما برحوا يسألونه سنة سنة ويأبى عليهم ، حتى سألوه شهرا واحدا فأبى أن يدعها فبعث رسول الله ﷺ أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة رضي الله عنهما يهدمانها فهدماها في مشهد عظيم .

---

(١) سنن الترمذي (٣٠٩٥) وحكم الألباني حسن .

(٢) صحيح البخاري (٣٠٢٠) .

يقول ابن القيم رحمه الله تعالى في زاد المعاد [٦٠٠،٦٠١/٣] في فقه قصة وفد ثقيف ، قال : (ومنها هدم مواضع الشرك التي تتخذ بيوتا للطواغيت ، وهدمها أحب إلى الله ورسوله وأنفع للإسلام والمسلمين من هدم الحانات والمواخير ، وهذا حال المشَاهد المبنية على القبور التي تعبد من دون الله ويُشرَك بأربابها مع الله ، لا يحل إبقاؤها في الإسلام ويجب هدمها. . .) .

٨ – وبعث رسول الله ﷺ الطفيل بن عمرو الدوسي رضي الله عنه إلى صنم دوس يقال له ذو الكفين فحرقه .

٩– وبعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد رضي الله عنه من غزوة تبوك لهدم ودا وقاتلهم حتى هدمه وكسره

هذا هدي رسول الله ﷺ إمام الموحدين ومحطم أصنام الملحدين .

فعل السلف و من بعدهم والملوك والمجاهدين :

١ – فقد جاء في معجم البلدان [٤٣٤/٢] : لما غلب عبدالرحمن بن سمرة بن حبيب على ناحية سجستان في أيام عثمان رضي الله عنه سار إلى الدوار فحصرهم في جبل الزون ، و على الزون صنم من ذهب فقطع يديه وقطعه المسلمون وكسروه .

٢ – القائد محمود الغزنوي [٣٦٠-٤٢١ هـ] في نهاية القرن الرابع قال عنه ابن كثير رحمه الله : (الملك الكبير المجاهد الغازي ، وكان يحب العلماء والمحدثين ويحب أهل الخير والدين) [البداية والنهاية ٣٢/١٢] ، حينما غزا الهند كسر صنمهم الأكبر واسمه سومنات سنة ٤١٦هـ .

وذكرابن الجوزي رحمه الله في [تلبيس إبليس ٧٧/١] أن أهل بلْخ كان لهم صنم بناه بنو شهر فلما ظهر الإسلام خرّبه أهل بلْخ .

٣ – وكذا ما فعله الشيخ محمد بن عبد الوهاب من تحطيم الأصنام والأوثان في عصره وهو أمر معروف مشهور .

هذا هدي كتاب الله وهذا هدي رسوله ﷺ وهذا هدي صحابته رضوان الله عليهم وهذا هدي سلف الأمة من ملوك و غيرهم ، أفيجيء بعدهم من الجهلة من يشكك بهذه السنة الربانية بحجج واهية أملتها عليهم ضرورة مجاراة العصر والحضارات الكافرة ؟ ونسوا أو تناسوا أنهم وافقوا الكفار ، وما هذه الشبه التي تلقى على المسلمين والأقاويل التي يتناولها هؤلاء إلا تخذيل لإتمام رسالة محمد عليه الصلاة والسلام علم هؤلاء أو جهلوا ، والله سبحانه وتعالى يقول ﴿ فلا تكونن ظهيرا للكافرين ﴾(سورة القصص آية:٨٦) ، ويقول سبحانه وتعالى ﴿ ولا تكن للخائنين خصيما ﴾

(سورة النساء آية:١٠٥) ، ويقول تبارك وتعالى ﴿ ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم ﴾(سورة النساء آية :١٠٧) ، ويقول تبارك وتعالى ﴿ ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ﴾ (سورة المائدة آية:٢) .

وقد جاء الوعيد الشديد لمن نصب الأصنام والأوثان كما حدث للطاغية عمرو بن لحي الخزاعي إمام الشرك والوثنية في قريش ، فقد قال ﷺ فيما رواه البخاري في المناقب في باب قصة خزاعة عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : (رأيت عمرو بن لحي الخزاعي يجر قصبه في النار وكان أول من سيب السوائب)(١) .

قال ابن كثير رحمه الله تعالى في سورة المائدة : (عمرو بن لحي أحد رؤوس خزاعة وكان أول من غير دين إبراهيم فأدخل الأصنام إلى الحجاز) اهـ .

قال ابن حجر رحمه الله تعالى في الفتح على هذا الحديث : (إن لفظ الحديث أورده ابن إسحاق في السير بأتم من هذا ولفظه : إن رسول الله ﷺ قال :((رأيت عمرو بن لحي يجر قصبه في النار لأنه أول من غير دين إسماعيل فنصب الأوثان))) اهـ .

وأما الإجماع :

فمنعقد على وجوب كسر هذه الأصنام والأوثان ولم يخالف في ذلك أحد ممن يعتد بقوله ، حتى إن الشافعي رحمه الله تعالى نقل عن أئمة مكة أنهم كانوا يأمرون بهدم ما بني على القبور [شرح النووي لمسلم الجنائز باب تسوية القبر] .

ونقل في تيسير العزيز الحميد [ص ٣٣٢] إجماع أهل العلم على النهي عن البناء على القبور وتحريمه ووجوب هدمه ، فكيف بالأصنام والأوثان والتي لم توضع إلا لعبادة غير الله .

ونقل الملا علي القارئ الحنفي رحمه الله تعالى في المرقاة [١٧٧/٤] قول العلماء في وجوب محو الصور ، وهذا الذي قاله الملا رحمه الله يقول به عامة علماء الأحناف وغيرهم .

ويقول أبو يحيى الأنصاري الشافعي رحمه الله في أسنى المطالب في [كتاب الغصب باب الضمان] : (ويلزم المكلف القادر كسر الأصنام ، ثم نقل عن صاحب الإحياء أنه قال : ليس لأحد أن يمنع أحدا من كسرها ، وأن الصبي غير المكلف مأجور على كسرها) .

---

(١) صحيح البخاري (٣٥٢١) .

أما ابن العربي المالكي رحمه الله فقد أوجب كسر الأصنام كما ذكره في تفسيره .

وجاء في مجمع الأنهار شرح ملتقى الأبحر قوله : (وفي الشريعة قتل الكفار ونحوه من ضربهم ونهب أموالهم وهدم معابدهم وكسر أصنامهم وغيره. . . والمراد الاجتهاد في تقوية الدين) اهـ .

وتقدم رأي الحنابلة كما نُقل رأي الشيخ مُحَمَّد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى وابن القيم رحمه الله .

ثم يقال لهؤلاء المشككين :

إن الأدلة التي تدل على تحطيم الأصنام عامة فأين التخصيص للأصنام المعدة للتراث أو النفع الاقتصادي أو المعدة للسياحة أو غيره كما يزعمون ، وهل هناك نفع فيما وصفه الله تبارك وتعالى أنه رجس ؟ يقول عز وجل : ﴿ إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه. . . الآية ﴾(سورة المائدة آية: ٩٠) .

وجاء في الصحيح من حديث جابر ﷺ مرفوعا : إن الله ورسوله حرما بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام اهـ (١). فحرم الله ورسوله بيع الأصنام ولم تجعل بابا من أبواب الاتجار والنفع الاقتصادي ، وهل أصنام العرب إلا من الآثار القديمة التي هي إرث حضاري فاسد ؟ فهل تركها رسول الله صلى الله عليه وسلم أم حطمها ؟ ولماذا لم يأمر عليه الصلاة والسلام بإبقائها لكونها حضارة أو تاريخا أو نفعا اقتصاديا للمسلمين وهو أحرص الناس عليهم ؟ فهل تركها عليه الصلاة و السلام أو احترمها ؟ أم حطمها وقضى عليها ؟ ولماذا لم يتركها للتذكير بأنعم الله كما يزعم بعض الجهلة ، قال تعالى ﴿ قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين ﴾(سورة النمل آية :٦٤) .

ثم من يقول من هؤلاء الجهلة إن المحرم من التماثيل هو ما صنعه المسلمون :

نقول له إن المسلمين لا يصنعون الأصنام ، ومن زعم ذلك فهو جاهل ببدهيات الشريعة ، وإن الأصنام التي حطمها الرسول عليه الصلاة والسلام وأصحابه ومن تبعهم لم يكن منها واحد من صنع المسلمين بل هي من وضع الجاهلية ، ثم نقول أين المخصص لهذا القول والأحاديث عامة ؟ أما ما يقال من أن عمرو بن العاص ﷺ ترك أصنام مصر كأبي الهول أو غيره فنقول لو ثبت أنها لم تطمرها الأتربة و أصلحت في الزمن الذي تلى زمن عمرو ﷺ فإن تلك الأصنام عظيمة كبيرة فلا يُقدر على تحطيمها ، ولهم في هذا عذر ، ونحن نرى الآن حكومة طالبان الإسلامية لا تقدر على تحطيم ما عندها من أصنام إلا بالمتفجرات والصواريخ كما يعلم الجميع فكيف بعصرٍ

---

(١) صحيح البخاري (٢٢٣٦).

السلاح فيه القوس والرمح وما شابهه ؟ وقد سبق أن نقلنا أن عمرو بن العاص ﷺ أمّره رسول الله ﷺ على سرية لكسر بعض أصنام العرب ، فكيف يقال إنه ترك أصنام مصر لجواز تركها ؟ ولو قيل ما قيل فالقدوة في ذلك رسول الله ﷺ فكيف بمن خالفه ؟

وأما ما يقال إنها لا تشكل خطرا على المسلمين فلو كانت كذلك لم يتفق الرسل عليهم الصلاة والسلام على تحطيمها وعدم إبقائها ، إذ الأصنام وكل ما يعبد من دون الله خطر على التوحيد الذي أمر الله سبحانه وتعالى عباده أن يقيموه ، ومن المعلوم أنه لا يتفق وجود الإسلام ووجود عبادة الأوثان .

ومن زعم أنه لا يجوز هدمها وأنه يجب تركها للمنافع المذكورة فهذه جرأة على شهادة أن لاإله إلا الله وجرأة على التشريع ، يقول عز وجل ﴿قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون ﴾(سورة الأعراف آية:٣٣) ، ويقول تبارك وتعالى ﴿ ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب. . . الآية ﴾(سورة النحل آية:١١٦) .

والرسول عليه الصلاة والسلام لما كسرها كان يتلوا قوله تعالى ﴿ وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا ﴾(سورة الإسراء آية :٨١) فعد بقاء الأصنام باطلا ، وهؤلاء بقولهم يزعمون أن بقاء الأوثان والطواغيت والمعبودات لغير الله حق وكسرها باطل فحرموه وجعلوه إهدارا وتضييعا لتراث الأمم السابقة .

وأما قياس هؤلاء الجهلة إبقائها على قصص القرآن بجامع العبرة فقد أمر الله سبحانه وتعالى بتحطيمها وعدم تركها بل دل ذلك بفعله هو ﷺ ، ولو كان فيها عبرة أو ما شابه ذلك لأذن بإبقائها عليه الصلاة والسلام .

ثم نقول لمن أثار هذه الشبه على المسلمين :

هذه الشبه التي أثيرت هل علمها الرسول ﷺ أم جهلها ؟ فإن كان علمها ومع ذلك حطم الأصنام فما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ، والله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ قل أأنتم أعلم أم الله. . . ؟ ﴾سورة البقرة آية ١٤٠) وإن كان جهلها فكيف جهل الرسول صلى الله عليه وسلم شيئا فيه خير للأمة ثم علمتموه انتم .

فعلى حكومة طالبان الإسلامية ألا تكترث بهذا الهجوم من أعداء الله وغيرهم مهما استمرت التنديدات والتهديدات والشبه ﴿ فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في

الأرض ﴾(سورة الرعد آية:١٧) ، فالله ناصرهم ، وعليهم أن يتمسكوا بماهم عليه من الاعتصام بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ونبذ الشركيات ، وأما هذا التكالب من الكفار عليهم فهذا طريق الأنبياء والرسل .

وكما أن قوى الكفر تقف صفا واحدا ضد هذا العمل الذي هو من صميم التوحيد والذي وفقت حكومة طالبان الإسلامية بالقيام به فإننا نهيب بعلماء المسلمين أن يهبوا إلى تأييد طالبان أن تسير في طريق إقامة شعيرة التوحيد وأن يقفوا صفا واحدا في ذلك .

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يثبّتهم وأن يأجرهم على إحياء سنن الرسل صلوات الله وسلامه عليهم وصلى الله على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين

أملاه فضيلة الشيخ أ . حمود بن عقلاء الشعيبي
١٠ / ١٢ / ١٤٢١هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بيان للرئيس الحالي لمنظمة المؤتمر الإسلامي وأعضائه بشأن تحطيم حكومة طالبان الإسلامية للأصنام

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين .. أما بعد . فإن الله سبحانه وتعالى حينما أرسل محمدًا ﷺ إلى أهل الأرض بالهدى ودين الحق ليخرجهم من الظلمات إلى النور بدأ عليه الصلاة والسلام بالدعوة إلى التوحيد وتحقيقه وتخليصه من مظاهر الشرك لأن التوحيد لا يتم ولا يستقيم إلا بإخلاص العبادة لله وحده والكفر بما يعبد من دون الله كما قال تعالى: ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت . ﴾(سورة النحل الآية:٣٦). ومن اجتناب الطاغوت الكفر بما يعبد من دون الله وتحطيم الأصنام والأوثان فقام عليه الصلاة والسلام في هذا الأمر أتم قيام فعندما دخل مكة فاتحًا وكان عند الكعبة ثلاثمائة وستون صنمًا كان أول عمل بدأ به هو تحطيم هذه الأصنام جميعًا، ثم بعد ذلك بعث بعوثه وسراياه لتحطيم بقية الأصنام التي كان يعبدها العرب من دون الله كود وسواع ومناة والعزى واللات وذي الخلصة وغيرها، فأزالها جميعًا ولم يبق منها صنم واحد، حتى إن بعض قبائل العرب لما دخلوا في الإسلام طلبوا منه أن يبقى صنمهم ثلاث سنين فرفض ولم يبقه لحظه واحدة، وقد أجمع علماء الأمة قديمًا وحديثًا على تحريم اتخاذ الأصنام ووجوب تحطيمها وإزالتها ولم يشذ منهم أحد مطلقًا، إلى أن أتى أشخاص تطفلوا على الشريعة وادعوا علمها وهم بعيدون عنها كل البعد، إنما تربوا على المذهب الذي يسمونه المذهب العقلي وهو أيضًا بعيد كل البعد عن الشريعة، هذا المذهب الفاسد الذي أباحوا من خلاله الاختلاط بين الرجال والنساء وأباحوا من خلاله أيضًا سماع الغناء والموسيقى وغيرها كثير، فضللوا فئات من الناس نتيجة تتلمذهم على ذلك المذهب ونتيجة تتلمذهم على أشخاص مغموزين في معتقدهم كجمال الدين الأفغاني ومُحَمَّد عبده وطه حسين وأمثالهم من أرباب هذا الفكر الفاسد . والدليل على ما قلنا أنهم لما قامت حكومة طالبان الإسلامية بتحطيم الأصنام البوذية قامت قوى الكفر على مستوى الدول والمؤسسات والمنظمات والهيئات والأفراد بالتنديد والاستنكار لهذا العمل الإسلامي الجليل، وانضم إليهم بالاستنكار والتنديد هؤلاء المشبوهين المتهمون في دينهم فضموا أصواتهم ونباحهم إلى ما قامت به قوى الكفر من تنديد واستنكار، فألقوا الشبه التي تدل على جهلهم وغباوتهم ليضللوا بها الجهلة من الحكام والمحكومين كقول المدعو يوسف القرضاوي: إن الأصنام التي يجب تحطيمها هي التي يصنعها المسلمون بأيديهم .. اهـ، أليس هناك أحد يفهم هذا الغبي أن المسلمين لا يصنعون

الأصنام إذ الأصنام التي حطمها الرسول عليه الصلاة والسلام من صنع الجاهلية؟ ومن شبهه أيضًا قوله إن عمرو بن العاص لما دخل مصر لم يحطم الصنم المسمى أبو الهول وغيره .. وقد أجبت على هذه الشبهة في فتوى نصرة طالبان وبينت أن الصحابة قد تكون لهم أعذار في تركها إما لعدم العلم بها أو لعجزهم عن إزالتها، ومع ذلك نقول إن قدوتنا التي يجب علينا اتباعها هو مُحَمَّد عليه الصلاة والسلام، وسنة الرسول عليه الصلاة والسلام في تحطيم الأصنام لا غبار عليها، وعلى كل حال فكل قول خالف قول رسول الله ﷺ ضربنا به عرض الحائط . ومن شبههم أيضًا قولهم إن هذه الأصنام آثار حضارة وتراث ثمين .. فيقال لهؤلاء الجهلة أليست الأصنام التي حطمها المصطفى عليه الصلاة والسلام آثارُ حضارة وتراث ثمين؟ فلماذا حطمها عليه الصلاة والسلام وأزالها؟ ثم إن القرآن العزيز قص علينا ما قام به الخليل عليه الصلاة والسلام من تحطيمه الأصنام، قال تعالى حكاية عن إبراهيم الخليل: ﴿ وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين (٥٧) فجعلهم جذاذًا إلا كبيرًا لهم لعلهم إليه يرجعون ﴾(سورة الأنبياء الآية:٥٨-٥٧)، وقال سبحانه : ﴿ فتولوا عنه مدبرين * فراغ إلى آلهتهم فقال ألا تأكلون * ما لكم لا تنطقون * فراغ عليهم ضربًا باليمين .. ﴾(سورة الصافات الآية:٩٣-٩٠)، فإذا كان تحطيم الأصنام هو من سنة الخليلين عليهما الصلاة والسلام وإجماع أهل العلم قديمًا وحديثًا .. فكيف يُلتفت إلى ما يلقيه أدعياء الشريعة من شبه واهية ؟، ومن المؤسف جدًا ما تناقلته الأخبار من أن حاكم قطر قد بعث إلى ممثل حكومة طالبان في الباكستان بصفته رئيس الدورة الحالية لمنظمة المؤتمر الإسلامي، فهل هناك خزي وعار يلحق بهذه المنظمة أكبر من هذا الخزي والعار إن كانت فوضت حاكم قطر بهذا الأمر ؟!! وإن كانت المنظمة لم تفوضه ولم تعلم عنه فهذا يدل على أن هذا الحاكم ليس أهلاً لتولي رئاسة هذه الدورة، لأن المأمول من منظمة المؤتمر الإسلامي أن تقف إلى جانب حكومة طالبان وتؤيدها على هذا العمل الإسلامي الجليل لا أن تقف ضدها. ويجب على المسلمين أن يهبوا إلى تدمير مظاهر الشرك من تماثيل وقباب وأضرحة وغير ذلك؟ هذا وإنا واثقون أن الله سبحانه وتعال سينصر حكومة طالبان وسوف يؤيدها وينصرها بإذن الله تعالى على أعدائهم، كما نوصي إخواننا في الأفغان أن يثبتوا على هذا المبدأ وألا يعيروا هذه الحملة المسعورة أي اهتمام، كما نهيب بإخواننا العلماء وطلبة العلم في هذه البلاد وغيرها أن يقفوا مع الدولة الأفغانية كما تقف قوى الكفر جميعًا وعملاؤها ضدها، والله الموفق. نسأل الله جلت قدرته أن ينصر دينه ويذل عدوه إنه وحده القادر وصلى الله على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين. أملاه فضيلة الشيخ حمود بن عقلاء الشعيبي الأستاذ سابقًا بجامعة الإمام مُحَمَّد بن سعود الإسلامية بالقصيم . ١٥/ ١٢/ ١٤٢١هـ

سيرة المؤلف:

هو الشيخ العلامة أبو عبد الله حمود بن عبد الله بن عقلاء بن مُحَمَّد بن علي بن عقلاء الشعيبي الخالدي من آل جناح من بني خالد، ولد سنة ١٣٤٦هـ ونشأ في بلدة الشقة من أعمال بريدة، وعندما بلغ السابعة من عمره كف بصره بسبب مرض الجدري، وعلى الرغم من ذلك واصل دراسته في الكتَّاب، وكان لوالده جهدٌ كبير في تنشئته وتعليمه، وقد حفظ القرآن وعمره خمسة عشر عاماً في الكتَّاب أيضاً على يد الشيخ عبد الله بن مبارك العمري، ثم رحل إلى الرياض لطلب العلم وذلك في سنة ١٣٦٧هـ بإشارة من والده، فبدأ بتلقي العلوم على فضيلة الشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم آل الشيخ، أخذ عنه مبادىء العلوم، ثم انتقل إلى سماحة الشيخ مُحَمَّد بن إبراهيم آل الشيخ سنة ١٣٦٨هـ، فلازمه وأكثر من الأخذ عنه في شتى فنون العلم، وقد تتلمذ على عدة مشايخ غير هؤلاء منهم فضيلة الشيخ إبراهيم بن سليمان وفضيلة الشيخ سعود بن رشود وفضيلة الشيخ عبد الله بن مُحَمَّد ابن حميد وفضيلة الشيخ عبد العزيز بن رشيد وغيرهم .

وبعد أن فتحت كلية الشريعة بالرياض أخذ فيها عن سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله، وعلى الشيخ مُحَمَّد الأمين الشنقيطي فلازمه حتى في بيته فأخذ عنه المنطق وأصول الفقه والتفسير، وفي سنة ١٣٧٦هـ تخرج من كلية الشريعة وعين في نفس السنة مدرساً في المعهد العلمي بالرياض، وفي عام ١٣٧٨هـ عين مدرساً في كلية الشريعة، وتولى فيها على مدى أربعين سنة تدريس الحديث والفقه وأصول الفقه، والتوحيد والنحو والتفسير، ثم ترقى خلالها حتى وصل إلى درجة أستاذ ولشيخنا بحوث ومؤلفات عدة، منها: الإمامة العظمى، والبراهين المتظاهرة في حتمية الإيمان بالله والدار الآخرة، وشرح جزء من بلوغ المرام، وشارك في تأليف كتاب تسهيل الوصول إلى علم الأصول المقرر في الجامعة الإسلامية، وهذا البحث المبارك " القول المختار في حكم الاستعانة بالكفار " وله فتاوى ومذكرات كثيرة متفرقة متداولة، تتضمن الوقوف ضد التيارات المنحرفة والمبتدعة، منها في التصوير والتحذير من الحفلات الغنائية، والأعياد المبتدعة وقيادة المرأة السيارة وغيرها، ومنها تزكيات للعلماء والمصلحين، فجزاه الله خيراً من مجاهد صادق، وقد تخرج على يده ثلة غفيرة من العلماء والأساتذة والوزراء، منهم معالي الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي وزير الشؤون الإسلامية، ومعالي الدكتور عبد الله بن مُحَمَّد بن إبراهيم آل الشيخ وزير العدل، وفضيلة

الشيخ الدكتور صالح بن فوزان الفوزان عضو هيئة كبار العلماء، وفضيلة الشيخ المجاهد سلمان بن فهد العودة، وفضيلة الشيخ المجاهد علي بن خضير الخضير، وفضيلة الشيخ قاضي تمييز عبد الرحمن بن صالح الجبر، وفضيلة الشيخ قاضي تمييز عبد الرحمن بن سليمان الجارالله، وفضيلة الشيخ قاضي تمييز عبد الرحمن بن عبد العزيز الكِلِيّة، وفضيلة الشيخ قاضي تمييز عبد الرحمن بن غيث، وفضيلة الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله العجلان رئيس محاكم منطقة القصيم، وفضيلة الشيخ سليمان ابن مهنا رئيس محاكم الرياض، وفضيلة الشيخ عبد العزيز بن عبد الرحمن السعيد الرئيس العام لهيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ورئيس هيئة التحقيق والادعاء العام فضيلة الشيخ مُحَمَّد بن مهوس، وفضيلة الشيخ الدكتور عبد الله الغنيمان، وفضيلة الشيخ حمد بن فريان وكيل وزارة العدل، وفضيلة الشيخ إبراهيم بن داود وكيل وزارة الداخلية، وممن أشرف على رسائلهم العلمية سواء في الدكتوراه أو الماجستير: الدكتور مُحَمَّد عبد الله السكاكر، والدكتور عبد الله بن صالح المشيقح، والدكتور عبد الله بن سليمان الجاسر، والدكتور صالح بن عبد الرحمن المحيميد، والدكتور مُحَمَّد بن لاحم، والدكتور عبد العزيز بن صالح الجوعي، والدكتور ناصر السعوي، والدكتور خليفة الخليفة، والدكتور إبراهيم ابن مُحَمَّد الدوسري وغيرهم كثير، فجزاه الله خير الجزاء ونفع الله بعلمه وختم له بخير.

وصلى الله على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين.

١٤٢٠/٢/١٥هـ

لأحد تلامذته

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إله الأولين والآخرين، وأشهد أن مُحَمَّداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى سائر إخوانه من النبيين والمرسلين وعلى آله وأصحابه وأتباعه أجمعين.

أما بعد:

فإن الله سبحانه وتعالى لما أراد بأهل الأرض خيراً أرسل إليهم مُحَمَّداً ﷺ بالهدى ودين الحق وأمره أن يبلغ هذا الدين لأمته، فقام صلوات الله وسلامه عليه بهذا الأمر أتم قيام فما ترك خيراً وصلاحاً إلا دل الأمة عليه وأمرهم به وبين لهم أسباب الوصول إليه، وما ترك شراً إلا وحذر الأمة منه ونهاهم عنه وبين لهم الطرق الموصلة إليه ليجتنبوه، فما توفي عليه الصلاة والسلام إلا وقد بين لأمته كل ما تحتاج إليه ويصلحها في دنياها وأخراها. قال تعالى: {اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً} [١]. وقال عليه الصلاة والسلام: " تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك " [٢]. وقال أبو ذر رضي الله عنه: " ما توفى رسول الله ﷺ وطائر يقلب جناحيه في الهواء إلا وذكر لنا منه علماً " [٣].

وإن مما حذر منه عليه الصلاة والسلام ونهى عنه في آخر حياته وفي مرض موته ﷺ إقامة اليهود والنصارى والمشركين في جزيرة العرب واستعانة المسلمين بالكفار في القتال وفي غيره، والمستقرىء لكتاب الله العزيز يجد فيه النصوص الكثيرة في تحريم الركون إلى الكفار وموالاتهم والاستعانة بهم، وكذلك في سنة النبي ﷺ نصوص كثيرة متظافرة تنهى نهياً مؤكداً عن إقامة اليهود والنصارى والمشركين في جزيرة العرب، وعن الاستعانة بالكفار والركون إليهم وموالاتهم كذلك، وهذا ثابت عنه ﷺ في الصحيحين والمسانيد والسنن وغيرها كما ستقف عليه إن شاء الله في أثناء هذا البحث، ولما رأيت بعض الحكومات – التي تدعي الإسلام – في الجزيرة العربية قد تجاهلت مدلول هذه النصوص فسهلت الطريق لدخول اليهود والنصارى إلى الجزيرة ومكنتهم من الإقامة فيها

---

[١] سورة المائدة، آية ٣.

[٢] رواه ابن ماجه في المقدمة، رقم (٤٣)، والترمذي في المناقب (٣٧٨٦)، ومالك في الموطأ في القدر، باب النهي عن القول بالقدر بلاغاً رقم (٣) تنوير الحوالك، والحاكم ٩٦/١ بسند صحيح.

[٣] رواه أحمد برقم (٢٠٣٩٩ و ٢٠٤٦٧) وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٦٤/٨، وقال رجاله رجال الصحيح، والطبراني في الكبير ١٦٦/٢ رقم (١٦٤٧) بإسناد جيد.

وتكديس ترسانات أسلحتهم المتنوعة فيها لإرهاب المسلمين وتهديد استقرار الشعوب العربية المسلمة ومهاجمتهم بالأسلحة الفتاكة واستمرار الهجمات والضربات العسكرية عليهم من وقت لآخر... رأيت لزاماً عليَّ أن أبين هذه الحقيقة وفق ما يفهم من كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام فكتبت هذا البحث المختصر وضمنته بعضاً من النصوص الواردة في القرآن الكريم وفي السنة المطهرة في هذا الشأن كما ذكرت فيه جملة من أقوال علماء الأمة الذين أدوا الأمانة ووفوا بالعهود التي أخذها الله عليهم فجزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خيراً.

ولقد عزمت على كتابة هذا البحث إبراءاً للذمة وأداءاً للأمانة واتقاءاً للوعيد الذي تضمنه قوله تعالى: {إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون} [٤].

والله أسأل أن ينفع به ويجعله خالصاً لوجهه الكريم.

حمود بن عبد الله بن عقلاء الشعيبي
الأستاذ سابقاً في كلية الشريعة وأصول الدين
في جامعة الإمام مُحَّد بن سعود الإسلامية / فرع القصيم
١٥ شوال ١٤١٩هـ

---

[٤] سورة البقرة، آية ١٥٩.

تمهيد:

قبل الشروع في البحث لابد لي من تمهيد بين يديه تعرف من خلاله السبب الذي من أجله أوصى عليه الصلاة والسلام بإجلاء اليهود والنصارى من جزيرة العرب ونهى عن الاستعانة بالكفار.

فأقول: أعلم وفقنا الله وإياك أنه منذ أشرق نور الإسلام في ربوع مكة المكرمة جُنَّ جنون أعداء الرسل من يهود ونصارى ومشركين ومنافقين فشمَّروا عن سواعدهم لمحاربة الإسلام ومعارضته وقاموا بحملات كلامية استهدفوا فيها شخص النبي ﷺ حيث نعتوه بشتَّى نعوت الذم والعيب والتنقص ليشوهوا ما جاء به وينفروا عنه الناس فتارة قالوا ساحر ومرة قالوا شاعر وأخرى معلَّم مجنون وقالوا: مفترٍ ولكن الله سبحانه وتعالى ردَّ عليهم في كتابه العزيز ونفى كل هذه النعوت الكاذبة الحاقدة عن نبيه عليه الصلاة والسلام فقال {وما صاحبكم بمجنون} [٥] وقال: {فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون} [٦]. وقال: {وما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين} [٧]. وقال: {إنه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلاً ماتؤمنون} [٨] إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة التي نزه الله بها نبيه عن تلك النعوت الكاذبة.

ولما لم تنجح هذه الأساليب في صد الناس عن اتباع الرسول عليه الصلاة والسلام لجأوا إلى إيذاء أصحابه وأتباعه وتسلطوا عليهم بالتعذيب والإهانة والقتل أحياناً رجاء أن يرجعوا عن اعتناقهم الإسلام واتباع النبي ﷺ ولما لم تكن هذه الأساليب ناجحة في صرف المسلمين عن اتباع نبيهم ﷺ لجأ قتلة الأنبياء إلى محاولة القضاء على النبي ﷺ فتارة وضعوا له السُّم في الطعام ومرة سحروه وأخرى حاولوا إلقاء حجر عليه من شاهق غير أن هذه المحاولات الحاقدة باءت بالفشل حيث حمى الله نبيه وأطلعه على هذه المحاولات الشريرة التي استهدفت القضاء على النبي وعلى دين الإسلام الذي جاء به ولما استفحل أمرهم وعظم شرهم وتكرر نقضهم للعهود والمواثيق قاومهم النبي وجرت بينه وبينهم معارك عسكرية هي غزوة بني قينقاع وبني النضير وبني قريظة وغزوة خيبر، وفي كل هذه المعارك انتصر الإسلام، وانهزم أعداء الله، وعندما فتح الله على نبيه خيبر

---

[٥] سورة التكوير، آية ٢٢.

[٦] سورة الطور، آية ٢٩.

[٧] سورة يس، آية ٦٩.

[٨] سورة الحاقة، آية ٤٠-٤١.

صالح عليه الصلاة والسلام اليهود على البقاء فيها والعمل في أرضها بشطر ما يخرج منها ولكنه صُلْح جعل الخيار فيه للمسلمين بأن قال عليه الصلاة والسلام: " نقركم فيها ما شئنا " [٩]. فمقتضى هذا الصلح أن للمسلمين الخيار، فمتى شاءوا أخرجوا اليهود وأنهوا الصلح معهم وهذه الصورة للصلح هي إحدى صورتين صالح فيهما النبي ﷺ أعداءه، والأخرى صلْحه مع المشركين يوم الحديبية وهو صُلْح محدد بزمن معين ينتهي بانتهاء ذلك الزمن، أما غير هاتين الصورتين فلم يحصل صُلْح بين النبي وبين الكفار حسب علمي اللهم إلا أن يقال إنه عند قدومه صلى الله عليه وسلم للمدينة وادع اليهود وهذا صحيح ولكن وادعهم على ألا يعتدوا عليه ولا يعينوا عليه أحداً مقابل بقائهم في قراهم ومزارعهم، أما صُلْح يتضمن تنازل المسلمين عن شيء من أراضيهم لليهود أو أحد من الكفار وتبقى ملك للعدو إلى الأبد ويكونون أصدقاء لهم ويعترفون بهم ويلغون مقاتلتهم وجهادهم فهذا لم يقع منه ﷺ حسب ما علمت.

جرت هذه المعارك بين النبي ﷺ وبين اليهود كما جرت بينه وبين النصارى معارك أخرى هي مؤتة وهي غزوة موجهة إلى نصارى العرب وغزوة تبوك الموجهة إلى الروم النصارى وما ذاك إلا لعلمه ﷺ بخطرهم على الإسلام والمسلمين ثم جدد الأخطبوط – اليهود والنصارى – صراعهم بعد عهد النبوة فحاولوا القضاء على الخلافة الإسلامية بالجهود التي قام بها طاغوتهم وأشقاهم عبد الله بن سبأ [١٠] اليهودي فقد تآمروا على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فقتلوه، وتآمروا على أمير المؤمنين عثمان بن عفان فخلعوه من الخلافة وقتلوه، ثم قتلوا أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب رضي الله عنه، ثم فيما بعد ما قام به النصارى الصليبيون في الداخل من التعاون مع أعداء الدين ضد المسلمين ثم ما قاموا به من حملات صليبية عسكرية استولوا بها على أجزاء من بلاد المسلمين حتى جاءت فتنة الاستعمار العسكري المباشر في القرن الماضي، ثم الغزو الفكري، ثم التغريب والتبعية، ثم العلمنة، واليوم يقومون بنفس الدور في محاربة الإسلام والمسلمين لكن بأسماء مختلفة وشعارات مخدرة بما يسمى بالنظام العالمي الجديد، ومظلة الأمم المتحدة،

---

[٩] الحديث رواه البخاري في كتاب المزارعة، رقم (٢٢١٣)، ومسلم في كتاب المساقاة، رقم (١٥٥١).

[١٠] عبد الله بن سبأ اليهودي، الذي يقال له: ابن السوداء، رأس الطائفة السبئية، وكانت تقول بألوهية علي، أصله من اليمن، كان يقول: العجب ممن يزعم أن عيسى يرجع، ولما بويع علي ﷺ قام إليه ابن سبأ فقال له: أنت خلقت الأرض وبسطت الرزق. قال ابن حجر: ابن سبأ من غلاة الزنادقة، أحسب أن علياً حرقه بالنار، هلك قريب سنة ٤٠هـ. الفتاوى ٤٢٨/٢٨، الأعلام ٨٨/٤، عقائد الثلاث والسبعين فرقة ١٥٤/١.

والشرعية الدولية، ومن تلك الأساليب ما يطلقونه على المجاهدين من ألقاب كالأصولية والإرهاب والتطرف والتشدد، فعادوا إلى المنطقة الإسلامية بأسماء مستعارة كالصداقة ومسمى التعاون أو الاستعانة أو إعادة الشرعية، والواقع أن اليهود والنصارى من أخطر أعداء الإسلام، ولذا جاء ذمهم كثيراً في القرآن الكريم والسنة المطهرة والتحذير من شرورهم.

وفي الجملة فإن كل فساد وضلال وقع في العقيدة الإسلامية فاليهود والنصارى وراؤه، فإذا تأملت ضلالة الخوارج [١١] وبدعتهم وجدت أن وراءَها اليهود، لأن محدثها اليهودي الذي سمى نفسه عبد الله بن سبأ، وإذا تأملت بدعة الرفض [١٢] وجدت أن محدثها هو ابن سبأ، وإذا تأملت ضلالة القدرية [١٣] وجدت أن محدثها يهودي من يهود البصرة يقال له سوسن اليهودي [١٤]، وإذا تأملت كفر الباطنية [١٥] وجدت أن محدثه ميمون بن ديصان اليهودي [١٦]، وإذا تأملت بدعة الجهمية [١٧]

---

[١١] الخوارج: كل من خرج على الإمام الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجياً.. وقد اختلفوا هل علي بن أبي طالب ﷺ كافر أو مشرك، وأجمعوا على أن الله سبحانه وتعالى يعذب أصحاب الكبائر عذاباً دائماً.
مقالات الإسلاميين ص٨٦، الملل والنحل ١٣٢/١.

[١٢] هم الذين يرفضون إمامة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ويتبرأون منهما، ويسبون أصحاب رسول الله ﷺ ويتنقصونهم، ولما تَرحَّم على أبي بكرٍ وعمر زيدُ بن علي رفضته شيعته، فقال رفضتموني؟ فسموا رافضة، أما من لم يرفضه منهم سمي زيدياً. منهاج السنة ٨/١، بذل المجهود لإثبات مشابهة الرافضة لليهود ٨٧/١.

[١٣] القدرية: هم من نفا القدر عن الله سبحانه وتعالى، ونسبه إلى بني آدم خيره وشره، وان العبد هو الذي يخلق فعله، ويطلق القول بالقدر على المعتزلة، على الضد من الجبرية. الملل والنحل ٥٦/١.

[١٤] سوسن اليهودي: لم أجد له ترجمة فيما لدي من المصادر.

[١٥] الباطنية: زنادقة سموا بذلك لأنهم يقولون إن لكل شيء ظاهراً وباطناً، ولهم أسماء غير ذلك مثل الإسماعيلية والقرامطة ومنهم النصيرية والدروز، وهم يعتقدون أن الإله لا يوصف بوجود ولا عدم ولا معلوم ولا مجهول ومذهبهم قائم على استباحة المحظورات وإنكار الشرائع وإنكار القيامة وغير ذلك. الملل والنحل ٢٢٨/١، الفرق بين الفرق ص٢٨١، الفهرست ص٢٣٨.

[١٦] ميمون بن ديصان: بن داود القدّاح، رأس الفرقة (الميمونية) من الإسماعيلية، كان يظهر التشيع ويبطن الزندقة، ولد نحو سنة ١٠٠هـ وهلك نحو سنة ١٧٠هـ. انظر: الأعلام ٣٤١/٧.

[١٧] الجهمية: هم المنتسبون إلى جهم بن صفوان، والجهمية تطلق أحياناً بمعنى عام ويقصد بها نفاة الصفات عامة، وتطلق أحياناً بالمعنى الخاص ويقصد بها متابعوا الجهم بن صفوان في آرائه وأهمها: نفي الصفات، والقول بالجبر، والقول بفناء الجنة والنار. مقالات الإسلاميين ٣٣٨/١، الفرق بين الفرق ١٩٩-٢٠٠، الملل والنحل ٩٧/١.

وجدت أن سند الجهم بن صفوان [١٨]يتصل بلبيد بن الأعصم اليهودي [١٩] الذي سحر النبي ﷺ، وحتى المذاهب الكفرية المعاصرة،مثل الشيوعية [٢٠] والبهائية [٢١] والقاديانية [٢٢] وجدتَ أن محدثيها اليهود والنصارى، فإن إمام الشيوعية كارل ماركس [٢٣] يهودي، والقاديانية والبهائية من صنع البريطانيين، أحدثوها في الهند وفارس ودعوا إليها وعملوا على نشرها في العالم الإسلامي.

وبهذا التمهيد المختصر تعرف الأسباب التي من أجلها أمرنا رسول الله ﷺ بإخراج اليهود والنصارى والمشركين من جزيرة العرب، ونهانا أن نستعين بهم أو نركن إليهم، ولأن الاستعانة بهم تستلزم موالاتهم والركون إليهم واتخاذهم أولياء وأصدقاء.

---

[١٨] الجهم بن صفوان السمرقندي أبو محرز، رأس الجهمية.

قال الذهبي: الضال المبتدع، هلك في زمن صغار التابعين، وقد زرع شراً عظيماً، كان يقضي في عسكر الحارث بن سريج الخارج على أمراء خرسان فقبض عليه نصر بن سيار وقتل سنة ١٢٨هـ، وانظر: ميزان الاعتدال ١/٤٢٦، الأعلام ٢/١٤١.

[١٩] لبيد بن الأعصم: اليهودي حليف بني زريق، كان أعلم اليهود بالسحر والسموم، وقد جعل له اليهود ثلاثة دنانير ليسحر رسول الله ﷺ لما رجع من صلح الحديبية ففعل، وقصته مشهورة في كتب السنة والتفسير. انظر: البخاري رقم (٥٤٣٠) ومسلم رقم (٢١٨٩). انظر: فتح الباري، كتاب الطب، باب السحر تحت حديث رقم (٥٧٦٣).

[٢٠] الشيوعية: مذهب وضعه اليهودي الروسي (كارل ماركس) وهو مذهب يقوم على الإلحاد، وأن المادة هي أساس كل شيء، وأن الدين مثل المخدرات، بل (أفيون الشعوب)، وهم يدْعون إلى تغيير القيم الروحية والمثالية والتقاليد والمعاني الأخلاقية، وأنه لا خالق. انظر: كيف تعرفهم ١٠٦-١٠٨.

[٢١] البهائية: حركة نشأت سنة ١٢٦٠هـ تحت رعاية الاستعمار الروسي واليهودية العالمية، والاستعمار الانجليزي، بهدف إفساد العقيدة الإسلامية، وهي حركة قائمة على معتقد الحلول والاتحاد، والقول بالتناسخ، وخلود الكائنات... انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ص٦٣.

[٢٢] القاديانية: حركة نشأت سنة ١٩٠٠م بتخطيط من الاستعمار الانجليزي في القارة الهندية وكان من أبرز الشخصيات فيها، ميرزا غلام أحمد القادياني، وكان ينتمي إلى أسرة اشتهرت بخيانة الدين، وكان قد فتحت لهم اليهودية المراكز والمدارس ومكنتهم من طبع كتبهم ومجلاتهم ونشراتهم. انظر: الموسوعة الميسرة للأديان ص٣٨٩.

[٢٣] كارل ماركس: ١٨١٨-١٨٨٣م: فيلسوف ألماني واجتماعي وثوري محترف، يهودي روسي حفيد الحاخام اليهودي (مردخاي ماركس) كان المؤسس الرئيسي لحركتين جماهيريتين هما: الاشتراكية والشيوعية، ولد ونشأ في إقليم (ترير) التابع لما كان يعرف باسم (بروسيا) وكان ماركس يعتقد أن الاقتصاد الحر يؤدي إلى تراكم الثروة مع إنفاقها بغير تعقل، وأن ذلك سينشر البؤس بين بني البشر، كان كاتباً متعجرفاً له آراء متطرفة. انظر: الموسوعة العربية العالمية ٢٢/٦٤، انظر: كيف تعرفهم ص١٠٦.

قبل الكلام على حكم إجلاء اليهود والنصارى والمشركين من جزيرة العرب لا بد من بيان الجزيرة العربية وموقعها وحدودها وأهميتها والدول الواقعة فيها.

تعريف الجزيرة:

لغة: جاء في المصباح المنير [٢٤]: " جزر الماء جزراً من بابي ضرب وقتل انحسر وهو رجوعه إلى خلف ومنه الجزيرة سميت بذلك لانحسار الماء عنها ".

اصطلاحاً: والجزيرة في اصطلاح الجغرافيين والمؤرخين وعلماء البلدان: "بقعة من اليابسة يحيط بها الماء من جميع جهاتها ولذا سميت جزيرة لأن الماء جزر عنها وبقيت يابسة".

وجزيرة العرب بهذا التعريف تكون شبه جزيرة لأن الماء يحيط بها من أغلب جهاتها لا من جميع جهاتها ونسبت إلى العرب لأنها مقرهم منذ كانوا.

موقعها: فأما موقعها فهي تقع في الطرف الجنوبي الغربي من قارة آسيا.

حدودها: وأما حدودها فقد أتفق المؤرخون والجغرافيون تقريباً على حدودها الثلاثة الغربي والجنوبي والشرقي واختلفوا في الحد الشمالي اختلافاً يقرب من أن يكون لفظياً.

والذي يتلخص من كلام المؤرخين والجغرافيين في تحديد الجزيرة أنها تحد من الغرب ببحر القلزم المعروف بالبحر الأحمر، ومن الجنوب بالبحر العربي، ومن الشرق بالخليج العربي (خليج البصرة)، ومن الشمال ببادية الشام.

قال شيخ الإسلام [٢٥] تقي الدين: " جزيرة العرب التي هي من بحر القلزم إلى بحر البصرة، ومن أقصى حجر اليمامة إلى أوائل الشام بحيث كانت تدخل اليمن في دارهم ولا تدخل فيها الشام، وفي هذه الأرض كانت العرب حين البعث وقبله " أهـ [٢٦] .

---

[٢٤] المصباح المنير ص٣٨، وانظر: النهاية في غريب الحديث ٢٦٨/١، باب (الجيم مع الزاي).

[٢٥] أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية النُّميري الحراني، ولد سنة ٦٦١هـ بحران، قرأ على أكثر من مائتي شيخ منهم والده وابن عبد الدائم والتنوخي وغيرهم، وتتلمذ عليه ابن القيم وأكثر منه، والذهبي وابن كثير والمزي وابن عبد الهادي وغيرهم من الأئمة . قال الشوكاني: " وأقول: أنا لا أعلم بعد ابن حزم مثله (يعني ابن تيمية) وما أظنه سمح الزمان ما بين عصر الرجلين بمن شابههما أو يقاربهما " اهـ. ولشيخ الإسلام قريب السبعمائة مؤلف بين رسالة وكتاب وفتوى وقاعدة ورد، منها: منهاج السنة، ودرء تعارض العقل والنقل، والجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح وغيرها، توفي رحمه الله سنة ٧٢٨هـ. انظر: العقود الدرية لابن عبد الهادي ص٣، الزيارات للقاضي نور الدين الصالحي ص٩٤ رقم (٩٠)، مقدمة محقق الصارم المسلول، التأصيل لبكر أبو زيد ٢٣/١، البدر الطالع ص٨٢.

[٢٦] اقتضاء الصراط المستقيم ٤٠٦/١.

قال أبو عبيد [٢٧] والأصمعي [٢٨]: " هي من ريف العراق إلى عدن طولاً، ومن تهامة وما وراءها إلى أطراف الشام عرضاً " أهـ [٢٩].

وقال أبو عبيدة [٣٠]: " هي من حفر أبي موسى إلى اليمن طولاً ومن رمل يبرين إلى منقطع السماوه عرضاً " أهـ [٣١].

قال الخليل [٣٢]: " إنما قيل لها جزيرة العرب لأن بحر الحبش وبحر فارس والفرات قد أحاطت بها " أهـ [٣٣].

وقال سماحة الشيخ العلامة بكر أبو زيد: " حدود الجزيرة العربية غرباً بحر القلزم والقلزم مدينه على طرفه الشمالي وهو المعروف باسم البحر الأحمر، ويحدها جنوباً بحر العرب ويقال بحر اليمن، وشرقاً خليج البصرة (الخليج العربي) والتحديد من هذه الجهات الثلاث بالأبحر المذكورة محل اتفاق بين المحدثين والفقهاء والمؤرخين والجغرافيين وغيرهم الحد الشمالي يحدها شمالاً ساحل البحر الأحمر

---

[٢٧] القاسم بن سلاّم الهروي الأزدي أبو عبيد الإمام الحافظ المجتهد ولد سنة ١٥٧هـ، سمع من يحيى بن سعيد وابن عيينة وابن المبارك وغيرهم، وعنه ابن أبي الدنيا وأحمد بن يوسف وغيرهم.

وكان أحمد بن حنبل يقول: أبو عبيد ممن يزداد عندنا كل يوم خيراً اهـ. له تصانيف كثيرة منها الأموال وغريب الحديث وغيرها. توفي رحمه الله سنة ٢٢٤هـ. الأعلام للزركلي ١٧٦/٥، سير أعلام النبلاء ٤٩٠/١٠.

[٢٨] أبو سعيد عبد الملك بن قُريب بن عبد الملك الأصمعي البصري الإمام العلامة الحافظ لسان العرب وحجة الأدب، ولد سنة ١٢٢هـ، سمع من أبي عمرو بن العلاء وسليمان التيمي وآخرون وعنه أبو عبيد وابن معين وآخرون، روى له البخاري تعليقاً بعد حديث (٦٤٩٧) من كتاب الرقاق، له كتاب (الإبل) و (الأضداد) وغيرها. توفي رحمه الله سنة ٢١٦هـ. الأعلام ١٦٢/٤، سير أعلام النبلاء ١٧٥/١٠.

[٢٩] أحكام أهل الذمة ١٧٧/١.

[٣٠] مَعْمَرْ بن المثنى التيمي بالولاء، النحوي صاحب اللغة، ولد سنة ١١٠هـ بالبصرة، روى عن هشام بن عروة وأبي عمرو بن العلاء وعنه أبو عبيد وعمر بن شبّه وآخرون، وقال الدارقطني: لا بأس به إلا أنه يتهم بشيء من رأي الخوارج، عدّ النديم من تصانيفه مائة وعشرة كتب منها (الإنسان) وغيرها. توفي رحمه الله بالبصرة سنة ٢٠٩هـ. تهذيب التهذيب ٥٠٢/٥، ميزان الاعتدال ١٥٥/٤، الأعلام ٢٧٢/٧.

[٣١] أحكام أهل الذمة ١٧٧/١.

[٣٢] أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي البصري الإمام صاحب العربية ومنشىء علم العَروض، كان رأساً في لسان العرب، ديناً ورعاً ولد سنة ١٠٠هـ، سمع من أيوب السختياني وعاصم الأحول وآخرون وعنه سيبويه والأصمعي وآخرون، له كتاب (العين) لم يكمله ولكن العلماء يغرفون من بحره، توفي رحمه الله سنة ١٧٠هـ. سير أعلام النبلاء ٤٢٩/٧، شذرات الذهب ٢٧٥/١.

[٣٣] أحكام أهل الذمة ١٧٧/١.

الشرقي وما على ماسامته شرقاً من مشارف الشام وأطرافه (الأردن حالياً) ومنقطع السماوة من ريف العراق والحد غير داخل في المحدود هنا " أهـ [٣٤].

وبالجملة فالجزيرة العربية هي قاعدة الإسلام والمسلمين ومنطلقه العريق وهي أولى البلاد بأن تكون خالصة للإسلام والمسلمين طاهرة من رجس اليهود والنصارى. بأي مسمى جاؤوا إليها سواء مسمى الإعانة أو الدفاع أو الإقامة، ولذا جاء التحذير من الرسول ﷺ بتطهير الجزيرة العربية منهم.

قال ممليه عفا الله عنه: والعجب مما ذهب إليه بعض العلماء من أن المراد بجزيرة العرب التي ورد ذكرها في الأحاديث هي الحجاز فقط حيث خصصوا الحكم بإجلاء اليهود والنصارى والمشركين من الحجاز مع أن الحجاز لا ينطبق عليه تعريف الجزيرة لأن الجزيرة جزء من اليابسة يحيط به الماء من جميع جهاته أو من أغلبها والحجاز لا يحيط به الماء من جميع جهاته ولا من أغلبه وإنما يحده من جهة واحدة وهي الجهة الغربية فكيف يطلق عليه الرسول ﷺ جزيرة العرب في الأحاديث الكثيرة، وقد بحثت عن دليل يخص الحجاز بهذه التسمية فلم أجد سوى أمرين استدل بهما القائلون بأن الحجاز هي جزيرة العرب، وهما دليلان لا يوصلان إلى المدعى، أما الأول فقالوا إنه ورد عنه ﷺ في أكثر من حديث قوله: " أخرجوا اليهود من الحجاز " [٣٥]، وأما الثاني: فإنهم قالوا إن الحكَّام وبعض العلماء تركوا اليهود في اليمن وتيماء فلو كانت هذه الأماكن من الجزيرة لما تركوا اليهود فيها.

الجواب عن هذين الدليلين:

أما الأول: فإنه قوله ﷺ أخرجوا اليهود من الحجاز وهو لا يتنافى مع قوله ﷺ: أخرجوهم من جزيرة العرب [٣٦] لأن الحجاز جزء من جزيرة العرب ومعلوم أنه قد تقرر في علم الأصول أن ذكر بعض أفراد العام أو أجزاء الكل لا يخلو من أحد أمرين: إما أن يكون ذكر بعض أفراد العام أو أجزاء الكل مخالفاً لحكم العام أو الكل أو موافقاً له، فإن كان موافقاً له فهو مؤكد له غير

---

[٣٤] خصائص الجزيرة العربية ص٣٥.

[٣٥] أخرجه الدارمي في كتاب السير ٣٠٦/٢، والبخاري في التاريخ الكبير ٥٧/٤ من طرق وسكت عنه، وأحمد ١٩٥/١، قال الهيثمي: رواه أحمد بإسنادين ورجال طريقين منها ثقات متصل إسنادهما. المجمع ٣٢٥/٥، انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم (١١٣٢).

[٣٦] متفق عليه بلفظ: " أخرجوا المشركين من جزيرة العرب " وسيأتي تخريجه ص٤١٤.

معارض له كما في ذكر إجلاء اليهود من الحجاز فإنه موافق لقوله: " أخرجوا اليهود والنصارى من جزيرة العرب " [٣٧] غير معارض له لأن الحجاز من جزيرة العرب ، وإن كان ذكر بعض أفراد العام أو أجزاء الكل مخالفاً لحكم العام أو الكل فهو مخصص له غير ناسخ له .

ثانياً: أما استدلالهم بترك بعض الحكَّام والعلماء لليهود في تيماء واليمن فالجواب عنه أن يقال: أولاً: قد يكون لتركهم لليهود في اليمن وغيره مبرر يقتضي ذلك بأن يكون تركهم في هذه الأماكن وعدم إجلائهم فيه مصلحة للإسلام والمسلمين تربوا على مفسدة بقائهم. ثانياً: وقد يكونون غير قادرين على إجلائهم.

وقد تعرض الإمام الصنعاني [٣٨] في كتاب الجهاد من كتاب سبل السلام لهذا فقال رحمه الله: " قلت: لا يخفى أن الأحاديث الماضية فيها الأمر بإخراج من ذكر من أهل الأديان غير دين الإسلام من جزيرة العرب والحجاز بعض جزيرة العرب وورد في حديث أبي عبيدة [٣٩] الأمر بإخراجهم من الحجاز وهو بعض مسمى جزيرة العرب والحكم على بعض مسمياتها بحكم لا يعارض الحكم عليها كلها بذلك الحكم كما قرر في الأصول أن الحكم على بعض أفراد العام لا يخصص العام [٤٠].

وهذا نظيره، وليست جزيرة العرب من ألفاظ العموم كما وهم فيه جماعة من العلماء وغاية ما أفاده حديث أبي عبيدة زيادة التأكيد من إخراجهم من الحجاز لأنه أدخل إخراجهم من الحجاز تحت الأمر بإخراجهم من جزيرة العرب، ثم أفرد بالأمر زيادة تأكيد لا أنه تخصيص أو نسخ كيف وقد كان آخر كلامه ﷺ: " أخرجوا المشركين من جزيرة العرب " [٤١].

---

[٣٧] متفق عليه بلفظ " أخرجوا المشركين من جزيرة العرب " وسيأتي تخريجه ص٤١٤.

[٣٨] أبو إبراهيم عز الدين محمد بن إسماعيل بن صلاح الحسني الكحلاني ثم الصنعاني المعروف كأسلافه بالأمير. ولد سنة ١٠٩٩هـ بكحلان، ونشأ بصنعاء مجتهد من بيت الإمامة في اليمن، أصيب بمحن كثيرة من الجهلاء والعوام، له نحو مائة مؤلف منها: سبل السلام، وتطهير الاعتقاد وغيرها. توفي بصنعاء رحمه الله سنة ١١٨٢هـ. البدر الطالع ١٢٣/٢، الأعلام ٣٨/٦.

[٣٩] سبق تخريجه ص٤١٠.

[٤٠] انظر: إرشاد الفحول للشوكاني ص٢٢٣.

[٤١] سيأتي تخريجه ص٤١٤.

وأخرج البيهقي [٤٢] من حديث مالك عن إسماعيل بن أبي حكيم أنه سمع عمر بن عبد العزيز [٤٣] يقول: " بلغني أنه كان آخر ما تكلم به رسول الله ﷺ أنه قال: قاتل الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد لا يبقين دينان بأرض العرب " [٤٤].

وأما قول الشافعي [٤٥]: إنه لا يعلم أحداً أجلاهم من اليمن فليس ترك إجلائهم بدليل فإن أعذار من ترك ذلك كثيرة، وقد ترك أبو بكر ﷺ إجلاء أهل الحجاز مع الاتفاق على وجوب إجلائهم لشغله بجهاد أهل الردة ولم يكن ذلك دليلاً على أنهم لا يجلون بل أجلاهم عمر ﷺ، وأما القول بأنه ﷺ أقرهم في اليمن بقوله لمعاذ: " خذ من كل حالم ديناراً أو عدله معافرياً "[٤٦] فهذا كان قبل أمره ﷺ بإخراجهم فإنه كان عند وفاته كما عرفت، فالحق وجوب إجلائهم من اليمن لوضوح دليله، وكذا القول بأن تقريرهم في اليمن قد صار إجماعاً سكوتياً لا ينهض على دفع

---

[٤٢] أحمد بن الحسين بن علي بن عبد الله البيهقي النيسابوري الحافظ الكبير الأصولي ولد سنة ٣٨٤هـ وسمع من أبي الحسين العلوي وأبي طاهر الزيادي والحكم بن فورك وغيرهم، وعنه ولده إسماعيل وزاهر بن طاهر وعبد الجبار الخوري وغيرهم. قال الجويني: ما من شافعي إلا وللشافعي فضل عليه غير البيهقي... الخ. له الأسماء والصفات وشعب الإيمان والاعتقاد وغيرها، توفي رحمه الله تعالى سنة ٤٥٨هـ . طبقات السبكي ٨/٤، الأعلام ١١٦/١.

[٤٣] أبو حفص عمر بن عبد العزيز أمير المؤمنين حقاً، الإمام الحافظ المجتهد، ابن مروان بن الحكم بن العاص القرشي الأموي، أشج بني أمية، ولد بحلوان قرية في مصر سنة ٦١هـ، سمع من عبد الله بن جعفر والسائب بن يزيد وأنس بن مالك وغيرهم، وعنه الزهري ويحيى بن سعيد ورجاء بن حيوة وغيرهم، قال الليث: لما ولي عمر بن عبد العزيز بدأ بلحمته وأهل بيته فأخذ ما بأيديهم وسمى أموالهم مظالم، وكان يقول: إن الهديّة كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهي لنا اليوم رشوة، توفي رحمه الله مسموماً سنة ١٠١هـ وقد تولى الخلافة سنتين ونصف تقريباً. تاريخ الخلفاء ص٢٢٨، سير أعلام النبلاء ١١٤/٥.

[٤٤] أخرجه البيهقي في السنن الكبرى ٣٥٠/٩ رقم (١٨٧٥٠)، وأحمد في المسند عن عائشة ١٤٤/١٠، ومالك في الموطأ من كتاب الجامع تنوير الحوالك ٨٨/٣، وأبو عبيد في كتاب الأموال ص١٠٧ رقم (٢٧٢) موصولاً بنحوه وهو صحيح على شرط الشيخين.

[٤٥] أبو عبد الله مُحَمَّد بن إدريس بن العباس بن هاشم المطلبي، إليه نسبة الشافعية، ولد في غزة بفلسطين سنة ١٥٠هـ، سمع من مالك بن أنس وإبراهيم بن سعد ومسلم بن خالد وغيرهم، وعنه أحمد بن حنبل وسليمان بن داود وأبو ثور والبويطي وغيرهم، حفظ الموطأ وعرضه على مالك، أذن له مسلم بن خالد بالفتوى وهو ابن عشرين سنة أو دونها وكان ذا ذكاء مفرط، له كتاب الأم جمعه البويطي، والمسند وفضائل قريش والسنن وغيرها توفي في مصر رحمه الله سنة ٢٠٤هـ. الأعلام ٢٦/٦، تذكرة الحفاظ ٣٦١/١، تهذيب التهذيب ٢٠/٥.

[٤٦] أخرجه النسائي في كتاب الزكاة رقم (٢٤٥٠)، وابو داود في كتاب الخراج والإمارة والفيء رقم (٣٠٣٨)، والترمذي في كتاب الزكاة رقم (٦٢٣)، وقال: هذا حديث حسن، وهو كما قال. انظر: إرواء الغليل رقم (٧٩٥).

الأحاديث فإن السكوت من العلماء على أمر وقع من الآحاد أو من خليفة أو غيره من فعل محظور أو ترك واجب لا يدل على جواز ما وقع ولا على جواز ما ترك فإنه إن كان الواقع فعلاً أو تركاً لمنكر وسكتوا لم يدل سكوتهم على أنه ليس بمنكر لما علم من أن مراتب الإنكار ثلاث باليد أو اللسان أو القلب، وانتفاء الإنكار باليد واللسان لا يدل على انتفائه بالقلب وحينئذ فلا يدل سكوته على تقريره لما وقع حتى يقال قد أجمع عليه إجماعاً سكوتياً إذ لا يثبت أنه قد أجمع الساكت إذا علم رضاه بالواقع ولا يعلم ذلك إلا علام الغيوب. وبهذا يعرف بطلان القول بأن الإجماع السكوتي حجة ولا أعلم أحداً قد حرر هذا في رد الإجماع السكوتي مع وضوحه والحمد لله المنعم المتفضل فقد أوضحناه في رسالة مستقلة، فالعجب ممن قال: " ومثله قد يفيد القطع " ، وكذلك قول من قال: " إنه يحتمل أن حديث الأمر بالإخراج كان عند سكوتهم بغير جزية " باطل لأن الأمر بإخراجهم عند وفاته ﷺ ، والجزية فرضت في التاسعة من الهجرة عند نزول " براءة " فكيف يتم هذا، ثم إن عمر أجلى أهل نجران وقد كان صالحهم ﷺ على مال واسع كما هو معروف وهو جزية ، والتكلف لتقويم ما عليه الناس وردِّ ما ورد من النصوص بمثل هذه التأويلات مما يطيل تعجب الناظر المنصف أهـ [٤٧].

فأما الدول الواقعة فيها فمنها جمهورية اليمن والمملكة والكويت والإمارات العربية المتحدة وقطر وعمان.

وبعد الفراغ من بيان الجزيرة العربية وموقعها وحدودها وأهميتها والدول الواقعة فيها نتكلم على حكم إقامة اليهود والنصارى والمشركين فيها.

---

[٤٧] سبل السلام ٤/١١٦.

حكم إقامة اليهود والنصارى والمشركين في الجزيرة العربية:

لقد اتفق من يعتد بقوله من فقهاء الأمة وعلمائها على أنها لا تجوز إقامة اليهود والنصارى والمشركين في جزيرة العرب لا إقامة دائمة ولا مؤقتة ما عدا أن بعض العلماء يرى جواز إقامتهم ثلاثة أيام للضرورة، ولا يجوز لمسلم أن يأذن لهم في دخولها للإقامة. معتمدين على الأحاديث الصحيحة عن النبي ﷺ والآثار الثابتة عن الصحابة رضوان الله عليهم. فمن تلك النصوص:

أولاً: ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ أوصى عند موته بثلاث: " أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم، ونسيت الثالثة " [٤٨]. وفي صحيح مسلم[٤٩] من طريق أبي الزبير[٥٠] أنه سمع جابر بن عبد الله يقول أخبرني عمر بن الخطاب أنه سمع رسول الله ﷺ يقول:" لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أدع فيها إلا مسلماً "[٥١]. وفي الصحيحين:" أن عمر بن الخطاب ﷺ أجلى اليهود والنصارى من أرض الحجاز "[٥٢]. ومنها ما رواه الإمام أحمد [٥٣] في مسنده من طريق مُحَّد بن إسحاق [٥٤]

---

[٤٨] رواه البخاري في كتاب الجهاد والسير رقم (٣٠٥٣)، ومسلم في كتاب الوصية رقم (١٦٣٧).

[٤٩] الإمام الكبير الحافظ الصادق أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن ورد، من بني قشير، ولد سنة ٢٠٤ بنيسابور قال إسحاق الكوسج لمسلم: لن نعدم الخير ما أبقاك الله للمسلمين سمع مسلم من أحمد بن حنبل والبخاري وابن معين وابن المديني وجمع غفير، وعنه الترمذي وابو بكر بن خزيمة وابن صاعد والسراج وجمع، له الصحيح، والعلل، والمسند الكبير، توفي رحمه الله سنة ٢٦١هـ، قيل بسبب سلة تمر أكل منها حتى فنيت... تهذيب التهذيب ٤٢٦/٥، سير أعلام النبلاء ٥٥٧/١٢، تذكرة الحفاظ ٥٨٨/٢، الأعلام ٢٢١/٧.

[٥٠] أبو الزبير: مُحَّد بن مسلم بن تدرس الأسدي مولاهم، صدوق إلا أنه يدلّس، مات سنة ١٢٦هـ. التقريب ٦٣٣١.

[٥١] رواه مسلم في كتاب الجهاد والسير رقم (١٧٦٧)، والترمذي في كتاب السير رقم (١٦٠٦).

[٥٢] رواه البخاري في كتاب فرض الخمس رقم (٣١٥٢)، ومسلم في كتاب المساقاة رقم (١٥٥١).

[٥٣] أبو عبد الله أحمد بن مُحَّد بن حنبل بن هلال الشيباني، الإمام حقاً وشيخ الإسلام صدقاً، صاحب المذهب، ثقة حافظ فقيه حجة، ولد سنة ١٦٤هـ، أصله من مرو وكان أبوه والي سرَخس، جلد وسجن ليقول بخلق القرآن فصبر وامتنع، سمع من هُشيم وابن عيينة وغُندَر والشافعي وابن مهدي وغيرهم، وعنه البخاري ومسلم وأبو داود وابن معين وغيرهم، له المسند والناسخ والمنسوخ وفضائل الصحابة وغيرها، توفي رحمه الله سنة٢٤١هـ... سير أعلام النبلاء ١٧٧/١١، الأعلام ٢٠٣/١، تقريب التهذيب ص٩٨

[٥٤] مُحَّد بن إسحاق بن يسار المطلبي مولاهم، إمام المغازي، حسن الحديث إذا صرح بالتحديث وإلا هو مدلس، توفي سنة ١٥١هـ. ميزان الاعتدال ٤٦٨/٣.

قال حدثني صالح بن كيسان [٥٥] عن الزهري [٥٦] عن عبيد الله ابن عبد الله بن عتبة [٥٧] عن عائشة قالت: " كان آخر ما عهد به رسول الله ﷺ أنه قال: لا يترك بجزيرة العرب دينان " [٥٨]. وقال الإمام مالك [٥٩] عن إسماعيل بن أبي حكيم [٦٠] أنه سمع عمر ابن عبد العزيز يقول كان آخر ما تكلم به رسول الله ﷺ أن قال: " قاتل الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد لا يبقين دينان بأرض العرب " وحدثني مالك عن ابن شهاب أن رسول الله ﷺ قال: " لا يجتمع دينان في جزيرة العرب فأجلى يهود خيبر " [٦١].

وروى البخاري [٦٢] ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: بينما نحن في المسجد إذ خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: " انطلقوا إلى يهود فخرجنا معه حتى جئنا بيت المدراس [٦٣] فقام النبي ﷺ فناداهم: يا معشر يهود أسلموا تسلموا، فقالوا: قد بلغت يا أبا القاسم فقال: ذلك أريد ثم قالها الثانية فقالوا: قد بلغت يا أبا القاسم، ثم قال في الثالثة فقال: اعلموا أن الأرض لله ورسوله وإني أريد أن أجليكم فمن وجد منكم بماله شيئاً فليبعه وإلا فاعلموا أنما الأرض لله ورسوله [٦٤].

---

[٥٥] صالح بن كيسان مؤدب ولد عمر بن عبد العزيز، روى له أصحاب الكتب الستة، توفي سنة ١٤٠هـ. تهذيب التهذيب ٥٣٧/٢.

[٥٦] أبو بكر مُحَمَّد بن مسلم بن شهاب الزهري بن كلاب القرشي الحافظ الفقيه، متفق على جلالته وإتقانه ولد سنة ٥٠هـ، وسمع من أنس بن مالك وسهل بن سعد ومحمود بن الربيع وأبي هريرة وجمع، وعنه عطاء بن أبي رباح وعمر بن عبد العزيز وقتادة ويحيى بن سعيد وجمع، قيل إنه أول من دون الحديث، توفي رحمه الله في " شغْب " أول أعمال فلسطين سنة ١٢٤هـ... سير أعلام النبلاء ٣٢٦/٥، التقريب رقم ٦٣٣٦.

[٥٧] عبيد الله بن عبد الله بن عتبة الهذلي مؤدب عمر بن عبد العزيز، روى له أصحاب الكتب الستة، توفي سنة ٩٨هـ... تهذيب التهذيب ١٨/٤.

[٥٨] مسند أحمد (٢٦٣٥٢)

[٥٩] أبو عبد الله إمام دارالهجرة مالك بن أنس بن مالك الأصبحي الحمْيري ولد سنة ٩٣هـ في المدينة، صاحب المذهب، كان صلباً في دينه بعيداً عن الأمراء والملوك، وجّه الرشيد إليه ليأتيه فيحدثه، فقال: العلم يؤتى، فقصد الرشيد منزله فاستند إلى الجدار، فقال مالك: يا أمير المؤمنين من إجلال رسول الله إجلال العلم، فجلس بين يديه. امتحن فضربه الوالي سياطاً حتى انخلعت كتفه، أخذ عن الزهري وابن دينار ونافع وربيعة وآخرون، وعنه يحيى بن سعيد وابن مهدي والشافعي وابن المبارك وآخرون توفي في المدينة رحمه الله سنة ١٧٩هـ. تهذيب التهذيب ٣٥٠/٥، الأعلام ٢٥٧/٥، سير أعلام النبلاء ٤٨/٨

[٦٠] إسماعيل بن أبي حكيم القرشي كان عاملاً لعمر بن عبد العزيز، ثقة روى له مسلم وغيره توفي سنة ١٣٠هـ. انظر: تهذيب التهذيب ١٨٤/١.

[٦١]. البيهقي في السنن الكبرى (١٨٧٥١)

هذه النصوص وغيرها مما لم أورده تدل دلالة قاطعة على أنه لا يجوز لليهود والنصارى وغيرهم من الكفار أن يبقوا في جزيرة العرب وهي كما ترى في مكان من حيث الصحة والصراحة ووضوح المعنى والإحكام بحيث لا يمكن الطعن فيها بالتضعيف أو التأويل أو دعوى النسخ وذلك أنها مخرجة في الصحيحين وبعضها في المسند وبعضها في السنن وقد اتفق العلماء على أن ما اتفق على إخراجه البخاري ومسلم رحمهم الله أنه يفيد العلم اليقيني لأن الأمة تلقته بالقبول والتصديق فلا مجال للطعن فيما اتفق عليه البخاري ومسلم [٦٥]، وأما عدم جواز تأويلها فذلك لأجل صراحة ألفاظها ووضوحها وكونها نصاً في الموضوع لا يحتمل لفظها معنى غير المعنى الظاهر منها وما كان كذلك فلا يصح تأويله عند علماء الأصول وغيرهم من العلماء إنما الذي يجوز تأويله من النصوص هو الذي يكون لفظه محتملاً لمعنيين فيرجح أحدهما لأجل قرينة تحف به [٦٦]، أما كونها محكمة وغير قابلة للنسخ فلأجل أن النبي ﷺ أمر وأوصى بإخراجهم من جزيرة العرب في آخر حياته كما روى الإمام أحمد عن عائشة أنها قالت: " كان آخر ما عهد به رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: لا يترك بجزيرة العرب دينان " [٦٧]. وكما قال الإمام مالك رحمه الله في الموطأ: " أنه سمع عمر يقول: " كان آخر ما تكلم به رسول الله ﷺ أنه قال: قاتل الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد لا يبقين دينان بأرض العرب " [٦٨]. فإذا كان الأمر كذلك فدعوى النسخ غير واردة لمعرفة تأخر تأريخ تكلمه ﷺ بذلك، وأيضاً فعمر بن الخطاب رضي الله عنه أجلى اليهود من خيبر والنصارى من نجران بعد وفاة النبي ﷺ، فلو كان أمره ﷺ بإخراجهم

=[٦٢] أبو عبد الله مُحَمَّد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعْفي البخاري حبر الإسلام، ولد سنة ١٩٤ ببخارى ونشأ يتيماً وقد تعصب عليه جماعة فرموه بالتهم فأخرج إلى (خَرْتَنْك) فمات فيها، وكتابه الصحيح أول ما وضع في الإسلام بمثل طريقته، وقد عرضه على الإمام أحمد وابن معين وابن المديني كان يقول رحمه الله: أرجو أن ألقى الله ولا يحاسبني أني اغتبت أحداً، سمع من أحمد والترمذي ومن الذهْلي ويحيى بن يحيى وغيرهم، وعنه الترمذي وقد أكثر منه وأبو حاتم وابن أبي الدنيا وابن خزيمة وخلق، للبخاري (الصحيح) (والأدب المفرد) (وخلق أفعال العباد) وغيرها، توفي رحمه الله سنة ٢٥٦هـ.طبقات الحنابلة ٢٧١/٢، سير أعلام النبلاء ٣٩١/١٢، الأعلام ٣٤/٦، هدي الساري ص ٧.

=[٦٣] بيت المدراس: هو البيت الذي يدرس فيه كتابهم. انظر: فتح الباري ٤٠٧/٦.

=[٦٤] أخرجه البخاري في كتاب الإكراه رقم (٦٩٤٤) ' ومسلم في كتاب الجهاد والسير رقم (١٧٦٥).

[٦٥] انظر: تيسير مصطلح الحديث ص٤٣.

[٦٦] انظر: نثر الورود شرح مراقي السعود، شرح الشيخ مُحَمَّد الأمين الشنقيطي ٣٢٩/١.

[٦٧] رواه أحمد ١٤٤/١٠ بسند صحيح وانظر ص ٤٢١.

[٦٨] رواه مالك في الموطأ من كتاب الجامع مرسلاً تنوير الحوالك ٨٨/٣، ويشهد له الحديث الذي قبله وقد سبق تخريجه ص٤١٥.

من الجزيرة منسوخاً لم يجلهم عمر، ولا يقال يمكن أن يخفى على عمر رضي الله عنه النسخ، كما يدل على هذا ما أخرجه البخاري رحمه الله في صحيحه عن ابن عمر رضي الله عنهما قال لما فدع أهل خيبر عبد الله بن عمر قام عمر خطيباً فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عامل يهود خيبر على أموالهم وقال: نقركم ما أقركم الله وإن عبد الله ابن عمر خرج إلى ماله هناك فَعُدِيَ عليه من الليل فَفُدِعَتْ يداه ورجلاه وليس لنا هناك عدو غيرهم هم عدونا وتهمتنا وقد رأيت إجلاءهم فلما أجمع عمر على ذلك أتاه أحد بني أبي الحقيق فقال: يا أمير المؤمنين أتخرجنا وقد أقرنا مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم وعامَلنا على الأموال وشرط ذلك لنا؟ فقال عمر: أظننت أني نسيت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: كيف بك إذا أخرجت من خيبر تعدو بك قلوصك ليلةً بعد ليلةٍ؟ فقال: كانت هذه هُزَيْله من أبي القاسم. فقال: كذبت يا عدو الله فأجلاهم عمر وأعطاهم قيمة ما كان لهم من الثمر مالاً وإبلاً وعُرُوضاً من أقتاب وحبال وغير ذلك" [٦٩].

ذكر طرف من أقوال العلماء في إجلاء اليهود والنصارى من جزيرة العرب:

قال الإمام ابن القيم رحمه الله [٧٠]: " قال الإمام مالك أرى أن يجلو من أرض العرب كلها لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لا يجتمع دينان في جزيرة العرب ويقول: لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أدع فيها إلا مسلماً " [٧١].

وقال تقي الدين شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: " وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم في مرض موته أن تخرج اليهود والنصارى من جزيرة العرب فأخرجهم عمر رضي الله عنه من المدينة وخيبر وينبع واليمامة ومخاليف هذه البلد ولم يخرجهم من الشام بل لما فتح الشام أقر اليهود والنصارى بالأردن وفلسطين وغيرهما كما أقرهم بدمشق وغيرها " [٧٢].

---

[٦٩] رواه البخاري في كتاب الشرط رقم (٢٧٣٠)، ومسلم في كتاب المساقاة رقم (١٥٥١).

[٧٠] أبو عبد الله مُحَمَّد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي المعروف بابن القيم، ولد سنة ٦٩١هـ سمع من ابن عبد الدائم وابن الشيرازي، وأكثر من ابن تيمية حتى قال عنه ابن حجر: وغلب عليه حب ابن تيمية حتى كان لايخرج عن شيء من أقواله بل ينتصر لها... وهو الذي هذب كتبه ونشر علمه.. الخ اهـ. كان عالماً بالتفسير لا يجارى عليه والأصول وإليه المنتهى فيه والفقه والعربية، وقد حبس فترة لإنكاره شد الرحال لقبر الخليل، له أحكام أهل الذمة وزاد المعاد وإعلام الموقعين وغيره كثير جداً، توفي رحمه الله سنة ٧٥١هـ.انظر: الدرر الكامنة ٣/٤٠٠، ذيل طبقات الحنابلة ٢/٤٤٧.

[٧١] أحكام أهل الذمة ١/١٨٤.

[٧٢] الفتاوى ٢٨/٦٣٠ بتصرف.

وقال أيضاً رحمه الله فيما نقله عنه الإمام ابن القيم: " وأيضاً فإن النبي ﷺ لم يضرب جزية راتبة على من حاربه من اليهود لا بني قينقاع ولا النضير ولا قريظة ولا خيبر، بل نفى بني قينقاع إلى أذرعات وأجلى النضير إلى خيبر وقتل قريظة وقاتل أهل خيبر فأقرهم فلاّحين ما شاء الله وأمر بإخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب " [٧٣].

وقال الشيخ مُحَّد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ [٧٤] رحمه الله في كتاب الجهاد من الفتاوى ما نصه: " الوثنية المحضة لا تقر بحال لا في مشارق الأرض ولا في مغاربها والمرتدون أغلظ وأغلظ واليهود والنصارى يقرون بالجزية لكن لا في جزيرة العرب " لا يجتمع دينان في جزيرة العرب " [٧٥]. وإقرار النبي ﷺ لليهود في خيبر بالجزية لإصلاح ما يصلحون منسوخ بما أوصى به عند موته " أهـ [٧٦].

حكم الاستعانة باليهود والنصارى وسائر الكفار:

تمهيد:

لما أوجد الله الخليقة على هذه الأرض كانوا مفتقرين ومحتاجين لبعضهم في تحقيق أمورهم لأن كل فرد من البشر مهما كانت قدرته وغناه، ومهما بلغ من العلم لا يستطيع أن يقوم بكل شؤونه بل لابد أن يحتاج إلى غيره في تحقيق ما يريد حتى ولو كان ملكاً أو عالماً أو غنياً، فلو كان الملك مثلاً على جانب من الشجاعة والعلم بشؤون الحرب والقتال ماهراً في علوم السياسة والقيادة وأراد الغزو لقتال العدو فلابد أن يحتاج إلى من يعينه على هذه المهمة من مستشارين وضباط وجنود وغيرهم وأولئك الأعوان محتاجون إلى الملك في ما يأخذونه من أجور على أعمالهم.

---

[٧٣] أحكام أهل الذمة ٥٢/١.

[٧٤] مُحَّد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ التميمي مفتي الجزيرة العربية العالم المحقق المدقق، ولد في الرياض سنة ١٣١١هـ في بيت علم وشرف، فقد بصره وهو في الحادية عشرة من عمره، أخذ عن الشيخ سعد بن عتيق والشيخ ابن فارس، وكانوا معجبين بفرط ذكائه، تولى التدريس والإمامة سنة ٣٨ وصار مفتياً للجزيرة العربية سنة ٧٨هـ، له مؤلفات في فنون العلم جمعها بن قاسم رحمه الله، من تلامذته المؤلف والشيخ عبد العزيز ابن باز وعبد الله بن حميد رحمهما الله تعالى وعبد الرحمن بن فريان وعبد الله بن حسين أبا الخيل وغيرهم توفي رحمه الله سنة ١٣٨٨هـ.

انظر: روضة الناظرين لمحمد القاضي ٣٣٥/٢، الأعلام ٣٠٦/٥.

[٧٥] سبق تخريجه ص ٤١٥.

[٧٦] فتاوى الشيخ مُحَّد بن إبراهيم ٢٣٠/٦.

ومثال آخر يبين مدى حاجة كل فرد من البشر إلى غيره، فلو أراد إنسان أن يقيم لنفسه قصراً فإنه لا يقوى على تحقيق ذلك مهما كانت منزلته من الغنى والعلم بشؤون البناء والهندسة بل لابد من احتياجه إلى من يعينه من بنائين وصناع وغيرهم.

والخلاصة أن كل فرد من أفراد البشر محتاج لخدمة غيره، وغيره محتاج لخدمته وإن لم يشعر بذلك:

الناس للناس من بدو وحاضرة بعض لبعض وإن لم يشعروا خدمُ

ولما كان التعاون بين الناس بهذه المنزلة من الأهمية أمر به الإسلام ورغب فيه وحث عليه قال تعالى: {وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان...} [٧٧]، وامتن سبحانه وتعالى على عباده المؤمنين بأن جعلهم أمة واحدة متحدين متعاونين متناصرين بعد أن كانوا مختلفين ومتفرقين قال سبحانه وتعالى: {واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً...} [٧٨] الآية. وقال سبحانه وتعالى ممتناً على نبيه ﷺ: {هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين وألّف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألّفت بين قلوبهم ولكن الله ألّف بينهم إنه عزيز حكيم} [٧٩]، وقال عليه الصلاة والسلام: " مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر " [٨٠]، وقال عليه الصلاة والسلام: " والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه " [٨١]، ولما كانت الاستعانة تقتضي الحب والموالاة والركون إلى المستعان به رأيت أن أقدم نبذة مختصرة عن الولاء والبراء...

---

[٧٧] المائدة، آية ٢.

[٧٨] آل عمران: آية ١٠٣.

[٧٩] الأنفال: آية ٦٢ - ٦٣.

[٨٠] رواه البخاري في كتاب الأدب رقم (٦٠١١)، ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب رقم (٢٥٨٦).

[٨١] رواه مسلم في كتاب الذكر والدعاء رقم (٢٦٩٩)،وأبو داود في كتاب الأدب رقم (٤٩٤٦)، وابن ماجه في المقدمة رقم(٢٢٥)، والترمذي في كتاب الحدود رقم(١٤٢٥)

الولاء

تعريفه في اللغة:

الولي فعيل بمعنى فاعل ومنه وَلِيَه إذا قام به، ومنه قوله تعالى: {الله ولي الذين آمنوا} [٨٢] ويكون الولي بمعنى مفعول في حق المطيع، فيقال: المؤمن ولي الله ووالاه موالاة وولاء: من باب"قاتل" أي تابعه [٨٣].

وقال في لسان العرب ماخلاصته" الموالاة كما قال ابن الأعرابي[٨٤] أن يتشاجر اثنان فيدخل ثالث بينهما للصلح، ويكون له في أحدهما هوى فيواليه أو يحابيه ووالى فلان فلاناً إذا أحبه " [٨٥] أهـ [٨٦] .

وهذه الكلمة المكونة من الواو واللام والياء يصاغ منها عدة أفعال مختلفة الصيغ والمعاني يأتي منها وَلِيَ ووَلّى وتولى ووالى واستولى ولكل من هذه الأفعال معنى يختلف عن الآخر عند الاستعمال.

أولاً: وَلِيَ: يطلق ويراد به القرب، تقول وَلِيَ فلان فلاناً، وفلان يلي فلاناً أي قريب منه، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: " والولي القريب، فيقال هذا يلي هذا أي يقرب منه، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: " ألحقوا الفرائض بأهلها فما أبقت الفرائض فلأولى رجل ذكر " [٨٧].

---

[٨٢] سورة البقرة، آية ٢٥٧.

[٨٣] المصباح المنير ٨٤١/٢.

[٨٤] أبو عبد الله مُحَّد بن زياد بن الأعرابي الهاشمي مولاهم الكوفي الأحول النسابة إمام اللغة ولد سنة ١٥٠هـ، سمع من أبي معاوية الضرير والكسائي والقاسم بن معن وغيرهم، وعنه إبراهيم الحربي وعثمان الدارمي وآخرون، قال الذهبي: كان صاحب سنة واتباع اهـ. له كتاب: (أسماء الخيل وفرسانها) و (تاريخ القبائل) وغيرها، توفي رحمه الله سنة ٢٣١هـ. سير أعلام النبلاء ٦٨٧/١٠، الأعلام ١٣١/٦.

[٨٥] لسان العرب ٩٨٥/٣.

[٨٦] والولي: من الوَلاية بفتح الواو التي هي ضد العداوة، وقد قرأ حمزة {ما لكم من وِلايتهم من شيء} بكسر الواو، والباقون بفتحها، وقيل هما لغتان، وقيل بالفتح النصرة، وبالكسر الإمارة. قال الزجاج: وجاز الكسر لأن في تولِّي بعض القوم بعضاً جنساً من الصناعة والعمل وكل ما كان كذلك مكسور الفاء مثل الخياطة ونحوها، فالمؤمنون أولياء الله والله تعالى وليهم. قال الله تعالى: {الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات} وقال تعالى: {ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم}، وقال تعالى: {والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض}، وقال تعالى: {إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض} وقال تعالى: {إنما وليّكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون}.

[٨٧] رواه البخاري في كتاب الفرائض رقم (٦٧٣٢)، ومسلم في كتاب الفرائض رقم (١٦١٥).

أي لأقرب رجل إلى الميت " أهـ [٨٨]. ويأتي ولي بمعنى الاستيلاء والملك فيقال ولي الأمر بعد سلفه إذا صار الأمر إليه.

ثانياً: ولىَّ: يأتي لازماً فيكون بمعنى ذهب كقوله ﷺ في قصة ابن أم مكتوم حينما جاء يسأل النبي ﷺ أن يصلي في بيته رخص له ﷺ، قال الراوي: " فلما ولىَّ – أي ذهب – ناداه، قال: أتسمع النداء؟ قال: نعم، قال: فأجب ". وفي لفظ قال: " لا أجد لك رخصة " [٨٩]. ويأتي متعدياً فيقال ولَّى فلان فلاناً الأمر إذا أسنده إليه.

ثالثاً: تولىَّ: يأتي معدىً بحرف الجر " عن " فيكون بمعنى أعرض كقوله سبحانه وتعالى: {فتول عنهم فما أنت بملوم} [٩٠]. أي أعرض عنهم ويأتي متعدياً بنفسه فيكون بمعنى اتَّبَعَ، يقال: تولاه أي اتبعه واتخذه ولياً كقوله تعالى: {ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين} [٩١]، ويأتي لازماً كقوله تعالى: {وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم} [٩٢].

رابعاً: والى: يقال والى فلان فلاناً إذا أحبه واتبعه، والمولى: اسم يطلق على جماعة كثيرة فهو الرب والمالك والسيد والمنعم والمعتق والناصر والمحب والجار وابن العم والتابع والصهر والحليف والعقيد والمنعم عليه والعبد والمعتق، هذه المعاني تقوم على النصرة والمحبة.

خامساً: استولى، يقال استولى الجيش على بلد العدو إذا أخذوها عنوة.

فهذه النصوص كلها ثبت فيها موالاة المؤمنين بعضهم لبعض وأنهم أولياء الله وأن الله وليهم ومولاهم، فالله يتولى عباده المؤمنين فيحبهم ويحبونه ويرضى عنهم ويرضون عنه، ومن عادى له ولياً فقد بارزه بالمحاربة وهذه الولاية من رحمته وإحسانه ليست كولاية المخلوق للمخلوق لحاجة إليه، قال تعالى: {وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيراً} فالله تعالى ليس له ولي من الذل بل لله العزة جميعاً خلاف الملوك وغيرهم ممن يتولاه لذلة وحاجة إلى ولي ينصره. [شرح الطحاوية ص٣٥٧].

---

[٨٨] الفتاوى ١٦١/١١.

[٨٩] أخرجه مسلم في كتاب المساجد رقم (٦٥٣)، والنسائي في كتاب الإمامة رقم (٨٥٠)، وابن ماجة في كتاب المساجد والجماعات برقم (٧٩٢)، وأبو داود في كتاب الصلاة رقم (٥٥٢)، والبغوي في شرح السنة ٣٤٩/٣ برقم (٧٩٦).

[٩٠] سورة الذاريات، آية ٥٤.

[٩١] سورة المائدة، آية ٥١.

[٩٢] سورة محمد، آية ٣٨.

منزلة الولاء والبراء في الإسلام:

الولاء والبراء قاعدة من قواعد الدين وأصل من أصول الإيمان والعقيدة، فلا يصح إيمان شخص بدونهما، فيجب على المرء المسلم أن يوالي في الله ويحب في الله ويعادي في الله فيوالي أولياء الله ويحبهم ويعادي أعداء الله ويتبرأ منهم ويبغضهم، قال ﷺ: " أوثق عرى الإيمان الموالاة في الله والمعاداة في الله والحب في الله والبغض في الله " [٩٣].

قال ممليه عفا الله عنه: الناس بالنسبة للموالاة والمعاداة ثلاثة أقسام:

القسم الأول: من آمن بالله ورسوله، وصدق بدينه وشرعه، وامتثل لأوامره، وتجنب معاصيه، فهذا القسم أهله يستحقون الولاية الكاملة من جميع الوجوه.

القسم الثاني: من كفر بالله ورسوله، ولم يؤمن بدينه وشرعه، فهؤلاء يستحقون المعاداة الكاملة من جميع الوجوه.

القسم الثالث: الذين آمنوا بالله ورسوله ودينه وشرعه، ولكن حصلت منهم بعض المخالفات من ارتكابه بعض المعاصي وترك بعض الواجبات فهؤلاء يوالون من جهة إيمانهم بالله ورسوله ويعادون من جهة تقصيرهم في الأوامر والنواهي.

ومما تقدم يتبين لك أيها القارىء أن الولاء يقوم على المحبة والنصرة والاتباع، فمن أحب في الله وأبغض في الله، ووالى في الله، وعادى في الله، فهو ولي الله.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: " من أحب في الله وأبغض في الله ووالى في الله وعادى في الله فإنما تنال ولاية الله بذلك، ولن يجد عبد طعم الإيمان وإن كثرت صلاته وصومه حتى يكون كذلك وقد صارت مؤاخاة الناس على أمر الدنيا وذلك لا يجدي على أهله شيئاً " [٩٤].

---

[٩٣] رواه الطبراني في المعجم الكبير (١١٥٣٧) وسنده حسن، انظر: السلسلة الصحيحة للألباني ٣٠٦/٤، ٧٣٤/٢.

[٩٤] حلية الأولياء (٣١٢/١)، جامع العلوم والحكم ص٣٠.

أما من والى الكافرين واتخذهم أصدقاء وإخواناً فهو مثلهم، قال الله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض، ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين. فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين} [٩٥].

والقرآن العزيز مشتمل على كثير من الآيات التي تحذر من اتخاذ الكافرين أولياء كقوله سبحانه وتعالى: {يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالاً ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضو عليكم الأنامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم إن الله عليم بذات الصدور. إن تمسسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً إن الله بما يعملون محيط} [٩٦].

قال ابن جرير [٩٧] رحمه الله عند تفسيره لهذه الآيات الكريمة: يعني بذلك تعالى ذكره: يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وأقروا بما جاءهم به نبيهم من عند ربهم {لا تتخذوا بطانة من دونكم} يقول: {لا تتخذوا أولياء وأصدقاء لأنفسكم {من دونهم} من دون أهل دينكم وملتكم يعني من غير المؤمنين، وإنما جعل " البطانة " مثلاً لخليل الرجل فشبهه بما وَلِيَ بطنه من ثيابه لحلوله منه في اطِّلاعه على أسراره وما يطويه عن أباعده، وكثير من أقاربه محل ما وَلِيَ جَسَده من ثيابه، فنهى الله المؤمنين به أن يتخذوا من الكفار به أخلاّء وأصفياء ثم عرفهم ما هم عليه لهم منطوون من الغش والخيانة وبغيهم إياهم الغوائل فحذرهم بذلك منهم ومن مخالتهم فقال تعالى ذكره {لا يألونكم خبالاً} يعني لا يستطيعونكم شراً من (ألوت آلُو ألواً)، يقال ما ألا فلان كذا: أي ما استطاع كما قال الشاعر:

جهراء لا تألو إذا هي أظْهر تْبَصَراً ولا مِنْ عَيْلةٍ تغنيني

---

[٩٥] سورة المائدة، آية ٥١، ٥٢.

[٩٦] آل عمران، آية ١١٨-١١٩-١٢٠.

[٩٧] أبو جعفر مُحَّد بن جرير بن يزيد الطبري الإمام المفسر، ولد سنة ٢٢٤هـ في اَمُل طبرستان، يخلط بينه وبين رافضي يحمل اسمه وكنيته ولقبه، يرى في الوضوء المسح على القدمين فنسب ذلك لشيخنا هذا، ذكر ذلك ابن القيم في تهذيب السنن، ونسب أيضاً إلى الرفض بسبب ذلك، له تاريخ الطبري وجامع البيان في تفسير القرآن وغيره، توفي رحمه الله سنة ٣١٠هـ. تهذيب السنن ٩٨/١، ميزان الاعتدال ٤٩٨/٣، الأعلام ٦٩/٦، طبقات الشافعية ١٢٠/٣.

يعني: لا تستطيع عند الظهر إبصاراً، وإنما يعني جل ذكره بقوله {لا يألونكم خبالاً} البطانة التي نهى المؤمنين عن اتخاذها من دونهم فقال: إن هذه البطانة لا تترككم طاقتها خبالاً أي لا تدع جهدها فيما أورثكم الخبال، وأصل الخَبْل والخبال الفساد ثم يستعمل في معان كثيرة يدل على ذلك الخبر عن النبي ﷺ من أصيب بخَبْل أو جراح. وأما قوله: {ودوا ما عنتم} فإنه يعني ودوا عنتكم يقول: يتمنون لكم العنَت والشرَّ في دينكم وما يسوءكم ولا يسرُّكم، وذكر أن هذه الآية نزلت في قوم من المسلمين كانوا يخالطون حلفاءهم من اليهود وأهل النفاق منهم ويصافونهم المودَّة بالأسباب التي كانت بينهم في جاهليتهم قبل الإسلام فنهاهم الله عن ذلك، وأن يستنصحوهم في شيء من أمورهم، ثم استشهد رحمه الله على صحة تغير هذه الآيات بأحاديث وآثار كثيرة نكتفي منها بما رواه رحمه الله، فقد روى بسنده عن ابن عباس قال، كان رجال من المسلمين يواصلون رجالاً من اليهود لما كان بينهم من الجوار والحِلْف في الجاهلية، فأنزل الله عز وجل فيهم ينهاهم عن مباطنتهم تخوُّف الفتنة عليهم منهم {يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم – إلى قوله – وتؤمنون بالكتاب كله} " أهـ [٩٨].

قال ممليه عفا الله عنه: وقد تضمنت هذه الآيات الكريمة معان جليلة منها:

أولاً: نهيه سبحانه وتعالى وتحذيره لعباده المؤمنين عن اتخاذ الكافرين بطانة أي أولياء وأصدقاء.

ثانياً: بين سبحانه وتعالى الأسباب المقتضية للنهي عن موالاة الكافرين والتحذير من مودتهم والركون إليهم، من هذه الأسباب: أنهم لا يألون خبالاً في إعنات المؤمنين وإيذائهم بكل ما يستطيعونه من الأذى، ومنها: أنهم أعداء للمؤمنين عِداءاً مستحكماً بحيث تظهر البغضاءُ والكراهيةُ على ألسنتهم وما يخفونه من العداء والبغضاء في صدورهم أكبر مما يبدو على ألسنتهم، ومنها: أنهم لايحبون المؤمنين ولايؤمنون بما جاء به النبي ﷺ إلا ظاهراً أما في الباطن فإنهم يكفرون بما جاء به النبي ﷺ: {وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضُّو عليكم الأنامل من الغيظ} [٩٩]. ومنها: أن ما يصيب المؤمنين من خير يسؤهم وما يصيب المؤمنين من شر فإنهم يفرحون به ويسرهم، وقال سبحانه وتعالى مبيناً الموالاة الحقيقية: {إنما وليُّكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون. ومن يتولّ الله ورسولَه والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون. يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعباً من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله إن كنتم مؤمنين} [١٠٠].

---

[٩٨] تفسير الطبري ٤٠٦/٣.

[٩٩] سورة آل عمران، آية ١١٩.

بعد أن نهى سبحانه وتعالى عن موالاة اليهود والنصارى وبين أن من اتخذهم أولياء فهو منهم حصر الولاية الصحيحة بموالاة الله ورسوله والمؤمنين بإنما التي هي أبلغ طرق الحصر بعد الحصر بالنفي والاستثناء حيث تقرر في علم المعاني أن أبلغ طرق القصر هي النفي والاستثناء كقولك: " لا إله إلا الله " ويليها في البلاغة الحصر بإنما، كما تضمنت هذه الآية الكريمة أن النصر والغلبة والتأييد يحصل بتولي الله ورسوله والمؤمنين فقط {ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون} [١٠١].

قال ابن جرير رحمه الله عند تفسيره لهذه الآية: " يعني تعالى ذكره بقوله: {إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا} [١٠٢]، أنه ليس لكم أيها المؤمنون ناصر إلا الله ورسوله والمؤمنون الذين صفتهم ما ذكر تعالى ذكره فأما اليهود والنصارى الذين أمركم الله أن تبرأوا من وَلايتهم ونهاكم أن تتخذوا منهم أولياء فليسوا لكم أولياء ولا نُصَراء بل بعضهم أولياء بعض ولا تتخذوا منهم ولياً ولا نصيراً أهـ [١٠٣].

وقال ابن كثير [١٠٤] رحمه الله في تفسيره: " عند قوله تعالى {يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعباً...الآية} [١٠٥] وهذا تنفير من موالاة أعداء الإسلام وأهله من الكتابيين والمشركين الذين يتخذون أفضل ما يعمله العاملون وهي شرائع الإسلام المطهرة المحكمة المشتملة على كل خير دنيوي وأخروي يتخذونها هزواً يستهزئون بها، ولعباً يعتقدون أنها نوع من اللعب في نظرهم الفاسد وفكرهم الفاسد أهـ [١٠٦].

---

[١٠٠] سورة المائدة، آية ٥٥ – ٥٦ – ٥٧.

[١٠١] سورة المائدة، آية ٥٦.

[١٠٢] سورة المائدة، آية ٥٥.

[١٠٣] تفسير الطبري ٦٢٨/٤.

[١٠٤] إسماعيل بن عمر بن كثير القيسي حافظ مؤرخ فقيه مفسر، ولد في قرية في أعمال بُصرى في الشام سنة ٧٠١هـ، أخذ عن ابن تيمية والمزي وابن عساكر، قال الذهبي في المختص: الإمام المفتي المحدث البارع، ثقة متفنن محدث متقن اهـ.له البداية والنهاية، وتفسير القرآن العظيم، وعلوم الحديث وغيرها. توفي رحمه الله تعالى سنة ٧٧٤هـ. ذيل تذكرة الحفاظ ص٣٦١، الدرر الكامنة ٣٧٣/١، الأعلام ٣٢٠/١.

[١٠٥] سورة المائدة، آية ٥٧.

[١٠٦] تفسير القرآن العظيم ٧٤/٢.

وقال أيضاً ابن كثير رحمه الله عند تفسيره تعالى: {لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا...} الآية [١٠٧]، قال: وما ذاك إلا لأن كفر اليهود كفر عناد وجحود ومباهتة للحق وغمط للناس وتنقص بحملة العلم ولهذا قتلوا كثيراً من الأنبياء حتى هموا بقتل رسول الله ﷺ غير مره وسموه وسحروه وألّبوا عليه أشباههم من المشركين عليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة أهـ [١٠٨]. ثم ذكر رواية الحافظ أبو بكر ابن مردويه [١٠٩] بسنده عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " ما خلا يهودي بمسلم قط إلا هم بقتله " [١١٠]. وصدق رحمه الله فيما ذكره من صفات اليهود من أنهم أشد الناس عداءاً للرسل والأديان وخصوصاً عدائهم لنبينا ﷺ، والقرآن الكريم، استدل على ذلك بعشرات الآيات التي تذم اليهود وتبين مكرهم وغدرهم بالرسل واتباعهم، وقد اطلعت على كلام لبعض العلماء ذكره عنهم ابن النقاش [١١١] في كتابه " المذمَّة في استعمال أهل الذمة " تضمن بيان بعض صفات اليهود والنصارى الذميمة التي جاءت في القرآن فأحببت ذكره للقارىء على ما فيه من طول لجودته وكثرة فوائده فقال رحمه الله [١١٢]: "ومعلوم أن اليهود والنصارى موسومون بغضب الله ولعنته، والشرك به، والجحد لوحدانيته، وقد فرض الله على عباده في جميع صلواتهم أن يسألوا هداية سبيل الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وتجنبهم سبيل الذين أبعدهم من رحمته وطردهم من جنته فباءوا بغضبه ولعنته من المغضوب عليهم والضالين، فالأمة الغضبية هم اليهود بنص القرآن، وأمة الضلال هم النصارى

---

[١٠٧] سورة المائدة، آية ٨٢.

[١٠٨] تفسير القرآن العظيم ٨٨/٢.

[١٠٩] أبو بكر أحمد بن موسى بن مردويه الأصبهاني الحافظ مؤرخ مفسر ولد سنة ٣٢٣هـ حدث عن أبي سهل القطان وميمون بن إسحاق وإسماعيل الخطبي وخلق، وعنه عبد الوهاب وعبد الرحمن إبنا منده وسليمان بن إبراهيم الحافظ وغيرهم، له المستخرج على صحيح البخاري وتفسير القرآن العظيم وغيرهما، توفي رحمه الله سنة ٤١٠هـ. شذرات الذهب ١٩٠/٣، سير أعلام النبلاء ٣٠٨/١٧.

[١١٠] الحديث أخرجه ابن حبان في كتاب المجروحين ١٢٢/٣، قال ابن كثير: هذا حديث = غريب جداً. انظر: ضعيف الجامع الصغير للألباني رقم ٥٠٦٢ ص٧٣٢. قال العجْلوْني في كشف الخفاء ١٨٧/٢ ما نصه: " فأقول: ويؤيد ذلك ما ذكره شيخنا المرحوم يونس المصري أنه كان يقرأ على يهودي يوماً في المنطق، فقال له وقد انفرد به: لا تأتني إلا ومعك سكين أو نحوها لأن اليهودي إذا خلا بمسلم ولم يكن معه سلاح لزمه التعرض لقتله اهـ.

[١١١] أبو سعيد مُحَمَّد بن علي بن عمرو الأصبهاني الحنبلي النقاش الحافظ ولد سنة ٣٣٠هـ سمع من جده لأمه أحمد بن الحسن وابن الخشاب والطبراني وخلق، وعنه الفضل بن علي وأبو العباس بن أشته وغيرهم، كان رحمه الله رحالة طاف البلاد، له كتاب القضاة وطبقات الصوفية وغيرها، توفي رحمه الله تعالى سنة ٤١٤هـ. سير أعلام النبلاء ٣٠٧/١٧، تذكرة الحفاظ ١٠٥٩/٣.

المثلثة عباد الصلبان، وقد أخبر تعالى عن اليهود بأنهم بالذلة والمسكنة والغضب موسومون فقال تعالى: {ضربت عليهم الذلة أين ما ثقفوا إلاّ بحبل من الله وحبل من الناس وباءوا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون}[١١٣]، وأخبر سبحانه بأنهم باؤوا بغضب على غضب وذلك جزاء المفترين، فقال سبحانه: {بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغياً أن ينزِّل الله من فضله على من يشاء من عباده فباؤوا بغضب على غضب وللكافرين عذاب مهين}[١١٤].

وأخبر سبحانه أنه لعنهم ولا أصدق من الله قيلاً فقال سبحانه: {يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزّلنا مصدقاً لما معكم من قبل أن نطمس وجوهاً فنردها على أدبارها أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت وكان أمر الله مفعولاً}[١١٥]، وحكم سبحانه بينهم وبين المسلمين حكماً ترتضيه العقول ويتلقاه كل منصف بالإذعان والقبول فقال سبحانه: {قل هل أنبئكم بشَّرٍ من ذلك مثوبةً عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت أولئك شرٌ مكاناً وأضل عن سواءَ السبيل}[١١٦]، وأخبر سبحانه عما أحل بهم من العقوبة التي صاروا بها مثلاً في العالمين فقال تعالى: {فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون فلما عتو عن ما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردةً خاسئين} [١١٧] ثم حكم عليهم حكماً مشتملاً عليهم في الذراري والأعقاب على مر السنين والأحقاب فقال تعالى: {وإذ تأذّن ربك ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوءَ العذاب إن ربك لسريع العقاب}الآية [١١٨]، فكان هذا العذاب في الدنيا بعض الاستحقاق {ولعذاب الآخرة أشق وما لهم من الله من واق}[١١٩]، فهم أنجس الأمم قلوباً، وأخبثهم طويَّه وأرداهم سجية وأولاهم بالعذاب الأليم {أولئك الذين لم يرد الله أن يطهِّر قلوبهم لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم} [١٢٠]، فهم أمة الخيانة لله ورسوله ودينه وكتابه وعباده المؤمنين فقال سبحانه:

=[١١٢] ص٩٩.

[١١٣] سورة آل عمران، آية ١١٢.

[١١٤] سورة البقرة، آية ٩٠.

[١١٥] سورة النساء، آية ٤٧.

[١١٦] سورة المائدة، آية ٦٠.

[١١٧] سورة الأعراف، آية ١٦٥-١٦٦.

[١١٨] سورة الأعراف، آية ١٦٧.

[١١٩] سورة الرعد، آية ٣٤.

{ولا تزال تطَّلع على خائنة منهم إلا قليلاً منهم فاعف عنهم وأصفح إن الله يحب المحسنين} [١٢١]، وأخبر عن سوء ما يصنعون ويقولون وخبث ما يأكلون ويحكمون فقال تعالى وهو أصدق القائلين: {سماعون للكذب أكالون للسحت فإن جاءوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم وإن تعرض عنهم فلن يضروك شيئاً وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط إن الله يحب المقسطين} [١٢٢]، وأخبر تعالى أنه لعنهم على ألسنة أنبيائه ورسله بما كانوا يكسبون فقال سبحانه: {لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون. كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون. ترى كثيراً منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون} [١٢٣]، وقطع الموالاة بين اليهود والنصارى وبين المؤمنين وأخبر أن من تولاهم فإنه منهم في حكمه المبين فقال تعالى وهو أصدق القائلين: {يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين} [١٢٤]، وأخبر عن حال متوليهم بما في قلبه من المرض المؤدي إلى فساد العقل والدين بقوله: {فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين}[١٢٥]، ثم أخبر عن حبوط أعمال متوليهم ليكون المؤمن لذلك من الحذرين فقال: {ويقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعكم حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين}[١٢٦]، ونهى المؤمنين عن اتخاذ أعدائه أولياء وقد كفروا بالحق الذي جاءهم من ربهم وأنهم لا يمنعون من سوء ينالونهم به بأيديهم أو ألسنتهم إذا قدروا عليه فقال تعالى: {يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق – إلى قوله – إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون}[١٢٧] وجعل سبحانه لعباده المسلمين أسوة حسنة في إمام الحنفاء ومن معه

=[١٢٠] سورة المائدة، آية ٤١.

[١٢١] سورة المائدة، آية ١٣.

[١٢٢] سورة المائدة، آية ٤٢.

[١٢٣] سورة المائدة، آية ٧٨ – ٧٩ – ٨٠.

[١٢٤] سورة المائدة، آية ٥١.

[١٢٥] سورة المائدة، آية ٥٢.

[١٢٦] سورة المائدة، آية ٥٣.

[١٢٧] سورة الممتحنة، آية ١–٢.

من المؤمنين إذا تبرأوا مما ليس على دينهم امتثالاً لأمر الله وإيثار مرضاته وما عنده فقال تعالى: {قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برءاؤا منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده} [١٢٨] ، وتبرأ سبحانه ممن اتخذ الكفار أولياء من دون المؤمنين فقال تعالى وهو أصدق القائلين: {ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه وإلى الله المصير} [١٢٩]، فمن ضروب الطاعات أهانتهم في الدنيا قبل الآخرة التي هم إليها صائرون، ومن حقوق الله الواجبة: أخذ جزية رؤوسهم التي يعطونها عن يد وهم صاغرون.

ومن الأحكام الدينية:

أن تعم جميع الذمة إلا من لا تجب عليه باستخراجها وأن يعتمد في ذلك سلوك سبيل السنة المحمدية ومناهجها وألا يسامح بها أحد منهم ولو كان في قومه عظيماً وألا يقبل إرساله بها ولو كان فيهم زعيماً وألا يحيل بها على أحد من المسلمين ولا يوكل من إخراجها عنه أحداً من الموحدين بل تؤخذ منه على وجه الذلة والصغار إعزازاً للإسلام وأهله وإذلالاً لطائفة الكفار وأن تستوفى من جميعهم حق الاستيفاء وأهل خيبر وغيرهم في ذلك على السواء، وأما ما ادعاه الجبابرة من وضع الجزية عنهم بعهد من رسول الله ﷺ فإن ذلك زور وبهتان وكذب ظاهر يعرفه أهل العلم والإيمان لفَّقَه القوم البهت وزوّروه وضعوه من تلقاء أنفسهم وتمموه وظنوا أن ذلك يخفى على الناقدين أو يروج على علماء المسلمين ويأبى الله إلا أن يكشف محال المبطلين وإفك المفترين وقد تظاهرت السنن وصح الخبر بأن خيبر فتحت عنوة وأوجف عليها رسول الله ﷺ والمسلمون الخيل والركاب فعزم رسول الله ﷺ على إجلائهم عنها كما أجلى إخوانيهم من أهل الكتاب، فلما ذكروا أنهم أعرف بسقي نخلها ومصالح أرضها أقرهم فيها كالأُجَرَاء وجعل لهم نصف الأبضاع وكان ذلك شرطاً مبنياً وقال: " نقركم فيها ما شئنا " [١٣٠]، فأقر بذلك الجبابرة صاغرين وأقاموا على هذا الشرط في الأرض عاملين ولم يكن للقوم من الذمام والحرمة ما يوجب إسقاط الجزية عنهم دون من عداهم من أهل الذمة كيف وفي الكتاب المشحون بالكذب والمين شهادة سعد بن معاذ وكان قد توفي قبل ذلك بأكثر من سنتين وشهادة معاوية ابن أبي سفيان وإنما أسلم عام الفتح بعد خيبر

---

[١٢٨] سورة الممتحنة، آية ٤.

[١٢٩] سورة آل عمران، آية ٢٨.

[١٣٠] سبق تخريجه ص٤٠٥.

سنة ثمان وفي الكتاب المكذوب أنه أسقط عنهم الكُلَفْ والسُخَر [١٣١]، ولم يكن على زمانه ﷺ في شيء من ذلك ولا على زمان خلفائه الذين ساروا في الناس أحسن السير.

ولما اتسعت رقعة الإسلام ودخل فيه الخاص والعام وكان في المسلمين من يقوم بعمل الأرض وسقى النخل أجلى عمر ابن الخطاب رضي الله عنه اليهود من خيبر بل من جزيرة العرب ممتثلاً أمر رسول الله ﷺ: " أخرجوا اليهود والنصارى من جزيرة العرب " [١٣٢].

وقال: " لئن بقيت لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أدع فيها إلا مسلماً " [١٣٣].

البراء

تعريفه في اللغة:

مصدر بَرَى بمعنى قطع ومنه برى القلم بمعنى قطعه والمراد هنا: قطع الصلة مع الكفار فلا يحبهم ولا يناصرهم ولا يقيم في ديارهم.

وقال ابن الأعرابي: بري إذا تخلص وبرىء إذا تنزه وتباعد وبرىء إذا أعذر وأنذر ومنه قوله تعالى: {برآءة من الله ورسوله}[١٣٤]. أي إعذار وإنذار [١٣٥]. والبرىء والبراء بمعنى واحد إلا أن البراء أبلغ من البرىء .

والبراء في الاصطلاح: هو البعد والخلاص والعداوة بعد الإعذار والإنذار [١٣٦].

يقال برىء وتبرأ من الكفار إذا قطع الصلة بينه وبينهم فلا يواليهم ولا يحبهم ولا يركن إليهم ولا يطلب النصرة منهم .

---

[١٣١] الكُلَف: جمع الكُلْفة، وهي ما تكلف به من أمر في نائبة أو حق. السُخَر: التسخير ما كان بلا أجر ولا ثمن. انظر تحقيق المرجع نفسه ص١٠٦.

[١٣٢] متفق عليه بلفظ: " اخرجوا المشركين من جزيرة العرب ". انظر: ص٢٧. وأما اللفظ الذي أورده ابن النقاش فلم يوجد في أمهات كتب الحديث، لكن عند الدارمي ٣٠٥/٢ عن أبي عبيدة مرفوعاً: " أخرجوا اليهود من الحجاز، وأهل نجران من جزيرة العرب ".

[١٣٣] سبق تخريجه ص٤١٤

[١٣٤] سورة التوبة، آية ١.

[١٣٥] لسان العرب ١٨٣/١، والقاموس المحيط ٨/١.

[١٣٦] الولاء والبراء ص٩٠.

مكانة البراء في العقيدة الإسلامية:

إن من الأسس التي تقوم عليها العقيدة الإسلامية البعد عن الكفار ومعاداتهم وقطع الصلة بهم فلا يصح إيمان المرء حتى يوالي أولياء الله ويعادي أعداءَه ويتبرء منهم ولو كانوا أقرب قريب.

قال سبحانه وتعالى: {لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ﷺ ورضوا عنه أولئك حزب الله ألاَ إن حزب الله هم المفلحون}[١٣٧]، فقد تضمنت هذه الآية الكريمة أنه لا يتحقق الإيمان إلا لمن تباعد عن الكفار المحادين لله ورسوله وبرىء منهم وعاداهم ولو كانوا أقرب قريب وقد أثنى سبحانه وتعالى على خليله إبراهيم حينما تبرأ من أبيه وقومه ومعبوداتهم حيث قال: {وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براءٌ مما تعبدون إلا الذي فطرني فإنه سيهدين وجعلها كلمةً باقيةً في عقبه لعلهم يرجعون} [١٣٨] وقد نهى سبحانه وتعالى عباده المؤمنين عن اتخاذ الكافرين أولياء فقال: {يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم إن كنتم خرجتم جهاداً في سبيلي وابتغاء مرضاتي تسرون إليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل. إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداءً ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم يوم القيامة يفصل بينكم والله بما تعملون بصير قد كانت لكم أسوةٌ حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برءاؤا منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضآء أبداً} [١٣٩].

قال الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى عند تفسيره لهذه الآية قال: يعني المشركين والكفار الذين هم محاربون لله ولرسوله وللمؤمنين الذين شرع الله عداوتهم ومصارمتهم ونهى أن يتخذوا أولياء وأصدقاء وأخلاء كما قال تعالى: {يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم} الآية [١٤٠]، وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد كما قال تعالى:

---

[١٣٧] سورة المجادلة، آية ٢٢

[١٣٨] سورة الزخرف، آية ٢٦-٢٧-٢٨.

[١٣٩] سورة الممتحنة، آية ١-٢-٣-٤.

[١٤٠] سورة المائدة، آية ٥١.

{يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعباً من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله إن كنتم مؤمنين} [١٤١]، وقال تعالى: {يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطاناً مبيناً} [١٤٢] ، وقال تعالى: {لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيءٍ إلا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه}[١٤٣]، ولهذا قَبِلَ رسولُ الله ﷺ عذرَ حاطب [١٤٤]، لما ذكر أنه إنما فعل ذلك مصانعة لقريش لأجل ما كان له عندهم من الأموال والأولاد، ثم قال رحمه الله تعالى: وقوله تعالى: {يخرجون الرسول وإياكم} [١٤٥]، هذا مع ما قبله من التهيج على عداوتهم وعدم موالاتهم لأنهم أخرجوا الرسول وأصحابه من بين أظهرهم كراهة لما هم عليه من التوحيد وإخلاص العبادة لله وحده ولهذا قال تعالى: {أن تؤمنوا بالله ربكم} أي لم يكن لكم عندهم ذنب إلا إيمانكم بالله رب العالمين كقوله تعالى: {وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد} [١٤٦]، وكقوله تعالى: {الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله} [١٤٧] .

وقوله تعالى: {إن كنتم خرجتم جهاداً في سبيلي وابتغاء مرضاتي}أي إن كنتم كذلك فلا تتخذوهم أولياء إن كنتم خرجتم مجاهدين في سبيلي باغين لمرضاتي عنكم فلا توالوا أعدائي وأعداءكم وقد أخرجوكم من دياركم وأموالكم حنقاً عليكم وسخطاً لدينكم وقوله تعالى: {تسرون إليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم} أي تفعلون ذلك وأنا العالم بالسرائر والضمائر والظواهر {ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداءً ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء} أي لو قدروا عليكم لما أبقوا فيكم من أذى ينالونكم به بالمقال والفعل {وودوا لو تكفرون} أي ويحرصون على أن لا تنالوا خيراً، فهم عداوتهم لكم كامنة وظاهره فكيف توالون مثل هؤلاء؟ وهذا تهييج على عداوتهم أيضاً وقوله تعالى:{لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم يوم القيامة يفصل بينكم والله بما تعملون بصير}،أي قرابتكم لا تنفعكم عند الله إذا أراد الله بكم سوءاً

---

[١٤١] سورة المائدة، آية ٥٧.

[١٤٢] سورة النساء، آية ١٤٤.

[١٤٣] سورة آل عمران، آية ٢٨.

[١٤٤] حاطب بن أبي بلتعة، أحد صحابة رسول الله ﷺ الذين شهدوا بدراً.

[١٤٥] سورة الممتحنة، آية ١.

[١٤٦] سورة البروج، آية ٨.

[١٤٧] سورة الحج، آية ٤٠.

ونفعهم لا يصل إليكم إذا أرضيتموهم بما أسخط الله ومن وافق أهله على الكفر ليرضيهم فقد خاب وخسر وضل عمله ولا ينفعه عند الله قرابته من أحد ولو كان قريباً إلى نبي من الأنبياء. ثم قال رحمه الله تعالى: يقول تعالى لعباده المؤمنين الذي أمرهم بمصارمة الكافرين وعداوتهم ومجانبتهم والتبري منهم {قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه} [١٤٨]، أي وأتباعه الذين آمنوا معه {إذ قالوا لقومهم إنا برءاؤا منكم} أي تبرأنا منكم {ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم} أي بدينكم وطريقكم {وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً} يعني وقد شرعت العداوة والبغضاء من الآن بيننا وبينكم ما دمتم على كفركم فنحن أبداً نتبرأ منكم ونبغضكم {حتى تؤمنوا بالله وحده}. أي إلى أن توحدوا الله فتعبدوه وحده لا شريك له وتدعوا ما تعبدوه معه من الأوثان والأنداد " اهـ.

ويحسن أن نختم بحث الولاء والبراء بأبيات قالها الشيخ سليمان ابن سحمان [١٤٩] حيث قال رحمه الله:

وملة إبراهيم غُودر نهجها عفاءً فأضحتْ طامساتِ المعالم

وقد عدمت فينا وكيف وقد سفت عليها السوافي من جميع الأقالم

وما الدين إلا الحب والبغض والولا كذاك البَراء من كل غاوٍ وآثم

وليس لها من سالك متمسك بدين النبي الأبطحي ابن هاشم

فلسنا نرى ما حل بالدين وانمحتْ به الملة السمحاء إحدى القواصم

فنأسى على التقصير منّا ونلتجي إلى الله في محو الذنوب العظائم

فنشكوا إلى الله القلوب التي قست وران عليها كسب تلك المآثم

ألسنا إذا ما جاءنا متضمَخ بأوضار أهل الشرك من كل ظالم

نهش إليهم بالتحية والثنا ونهرع في إكرامهم بالولائم

وقد برء المعصوم من كل مسلم يقيم بدار الكفر غيرُ مصارم

ولا مظهر للدين بين ذوي الردى

فهل كان منا هجر أهل الجرائم

ولكنما العقل المعيشي عندنا مسالمة العاصين من كل آثم [١٥٠]

---

[١٤٨] سورة الممتحنة، آية ٤.

فصل: الاستعانة بالكفار

حكم الاستعانة بالكفار:

بعد أن بينا حكم الولاء والبراء ومكانتهما في عقيدة المسلم نبدأ ببيان حكم الاستعانة بالكفار.

الاستعانة يختلف حكمها باختلاف حالاتها بالنسبة للمستعان بهم والمستعان عليهم ونوع الاستعانة، فالاستعانة بالكفار تارة يكون المستعان به دولة كافرة، وتارة يكونون أفراد، وتارة تكون الاستعانة بهم في الحرب والقتال، وتارة تكون بالسلاح والمال والمستعان عليهم تارة يكونون دولة كافرة، وتارة تكون دولة مسلمة، وتارة تكون طائفة مسلمة كأهل البغي، ويختلف حكم الاستعانة بالكفار حسب هذه التقسيمات.

أولاً: استعانة المسلمين بالدولة الكافرة على دولة كافرة:

اتفق جمهور فقهاء الأمة وعلمائها على تحريم هذا النوع تحريماً عاماً لا يستثنى منه شيء واستدل أصحاب هذا المذهب بأمور منها:

أولاً: الكتاب العزيز:

حيث شدد سبحانه وتعالى في النهي عن موالاة الكفار والركون إليهم واتخاذهم أولياء وأصدقاء في كثير من آيات الكتاب العزيز فمن ذلك قوله: {ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون} [١٥١]، وقال سبحانه وتعالى: {يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين}[١٥٢].

= [١٤٩] سليمان بن سحمان بن مصلح الخثعمي العالم الجليل من مواليد (تبالة) جنوب الجزيرة العربية سنة ١٢٦٨هـ، كان أبوه عالماً فلازمه، ثم انتقل إلى الرياض وقرأ على الشيخ عبد الرحمن بن حسن وعبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن وحمد بن عتيق وغيرهم، كان شاعراً بارعاً وكان آية في الجدل والاستحضار وله في ذلك صولات وجولات في الذب عن حياض الدين ونصرة أهله. قرأ عليه الشيخ سليمان بن حمدان وعمر بن حسن وعبد الله العنقري وغيرهم، له الأسنة الحداد والصواعق المرسلة الشهابية وكشف شبهات البغدادي وغيرها. توفي رحمه الله تعالى سنة ١٣٤٩هـ. روضة الناظرين للقاضي ١/١٣٥، الأعلام ٣/١٢٦.

= [١٥٠] ديوان سليمان بن سحمان، ص ٤٥٩.

[١٥١] سورة هود ’ آية ١١٣.

[١٥٢] سورة المائدة، آية ٥١.

وقال سبحانه وتعالى: {يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالاً} [١٥٣]. وقال سبحانه وتعالى: {يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة} [١٥٤]، فهذه الآيات وأمثالها كثيرة في الكتاب العزيز، كلها تحذر من الركون إلى الكافرين وموالاتهم واتخاذهم أصدقاء، والاستعانة بالكفار لا تتم إلا بموالاتهم والركون إليهم .

ثانياً: من السنة المطهرة:

ومنها: ما ثبت عن أم المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها أنها قالت: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قِبَل بدر فلما كان بحرَّة الوَبَره أدركه رجل قد كان يذكر منه جُرأة ونَجْدة ففرح أصحاب رسول الله ﷺ حين رأوه فلما أدركه قال لرسول الله ﷺ: جئت لأتبعك وأصيب معك، قال له رسول الله ﷺ: تؤمن بالله ورسوله؟ قال: لا. قال: فارجع فلن استعين بمشرك قالت: ثم مضى حتى إذا كنا بالشجرة أدركه الرجل فقال له كما قال أول مرة فقال له النبي ﷺ كما قال أول مرة قال: فارجع فلن أستعين بمشرك، قال ثم رجع فأدركه بالبيداء فقال له كما قال أول مرة تؤمن بالله ورسوله قال نعم فقال له رسول الله ﷺ انطلق " [١٥٥].

ومنها: ما أخرجه الطحاوي [١٥٦]والحاكم [١٥٧] عن أبي حميد الساعدي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج يوم أحد حتى إذا جاوز ثنية الوداع إذا هو بكتيبة خشناء [١٥٨]،

---

[١٥٣] سورة آل عمران، آية ١١٨.

[١٥٤] سورة الممتحنة، آية ١.

[١٥٥] رواه مسلم في كتاب الجهاد والسير برقم (١٨١٧)، وأبو داود في كتاب الجهاد برقم (٢٧٣٢)، والترمذي في كتاب السير برقم (١٥٥٨)، وابن ماجه برقم (٢٨٣٢).

[١٥٦] أبو جعفر أحمد بن مُحَّد بن سلامه الأزدي الحَجْري الطحاوي ولد في طحا قرية في صعيد مصر سنة ٢٣٩هـ، سمع من النسائي وأبي بكر بن أبي داود وأبو زرعة الدمشقي وغيرهم، وعنه الحافظ الطبراني وابن عدي والحافظ أبو سعيد بن يونس المصري وغيرهم له اختلاف العلماء ومعاني الآثار والعقيدة الطحاوية وغيرها، توفي رحمه الله تعالى بالقاهرة سنة ٣٢١هـ. سير أعلام النبلاء ٢٧/١٥، الأعلام ٢٠٦/١، مقدمة تحقيق شرح الطحاوية للتركي ص٥٥.

[١٥٧] أبو عبد الله مُحَّد بن عبد الله بن حمدويه الطهماني النيسابوري الحافظ الإمام المعروف بابن البيّع، ولد بنيسابور سنة ٣٢١هـ، سمع من مُحَّد بن علي المذكِّر ومُحَّد بن الأصم وجمع غفير يقاربون الألفي شيخ، وعنه أبو الحسن الدارقطني وأبو بكر البيهقي وأبو صالح المؤذن وغيرهم، له كتاب تاريخ نيسابور والمستدرك على الصحيحين وعلوم الحديث وغيرها، توفي رحمه الله بنيسابور سنة ٤٠٥هـ... ميزان الاعتدال ٦٠٨/٣، طبقات الشافعية ١٥٥/٤، الأعلام ٢٢٧/٦.

[١٥٨] خشناء: كثيرة السلاح.

فقال من هؤلاء؟ فقالوا: هذا عبد الله ابن أبي بن سلول في ستمائة من مواليه من اليهود أهل قينقاع وهم رهط عبد الله بن سلام قال: وقد أسلموا؟ قالوا: لا يا رسول الله قال: قولوا لهم فليرجعوا فإنا لا نستعين بالمشركين على المشركين " [١٥٩].

ومنها: ما رواه الإمام أحمد والحاكم عن خبيب بن أساف قال: خرج رسول الله ﷺ في بعض غزواته فأتيته أنا ورجل قبل أن نسلم فقلنا إنا نستحي أن يشهد قومنا مشهداً ولا نشهده معهم، فقال: أأسلمتما قلنا: لا. قال: فإنا لا نستعين بالمشركين على المشركين " [١٦٠].

هذه النصوص كما ترى غاية في الصحة والصراحة على تحريم الاستعانة بالمشركين في الحرب والقتال، فلا يحل لمسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يستعين بكافر أو يجيز الاستعانة بهم وهو يعلم هذه النصوص الصحيحة الصريحة. وكما ثبت بالكتاب والسنة منع الاستعانة بالكفار كما ترى فكذلك الصحابة رضوان الله عليهم ذهبوا إلى منع الاستعانة بالكفار ومن ذلك ما ثبت عن أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب ﷺ إنكاره على أبي موسى حينما استعمل كاتباً نصرانياً ذكر ذلك البيهقي عن أبي موسى: " أنه استكتب نصرانياً فانتهره عمر وقرأ: {يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء... الآية} [١٦١]. فقال أبو موسى والله ما توليته وإنما كان يكتب فقال: أما وجدت في أهل الإسلام من يكتب؟ فقال: لا تدنهم إذ أقصاهم الله ولا تأمنهم إذ خونهم الله ولا تعزهم بعد أن أذلهم الله " [١٦٢].

وقد ذكر صاحب المذمَّة [١٦٣] عن عمر ﷺ غير هذا الخبر فقال: وكتب إليه بعض عماله (أي عمر) ليستشيره في استعمال الكفار فقال: " إن المال قد كثر وليس يحصيه إلا هم فاكتب إلي

---

[١٥٩] رواه الطحاوي في مشكل الآثار ٢٤١/٣، والحاكم في المستدرك ١٢٢/٢، وإسناده حسن. انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم (١١٠١).

[١٦٠] رواه أحمد في المسند ٤٢/٢٥ تحقيق التركي، والحاكم في المستدرك ١٢١/٢-١٢٢ وصححه وسكت عنه الذهبي، والطحاوي في مشكل الآثار (٢٥٧٧)، والبخاري في التاريخ الكبير ٢٠٩/٣ وسكت عنه، والبيهقي في السنن ٦٤/٩، وسنده حسن، ويشهد له ما عند مسلم بلفظ: " فلن استعين بمشرك " رقم (١٨١٧).

[١٦١] سورة المائدة، آية ٥١.

[١٦٢] الأثر رواه الإمام أحمد في المسند، انظر: أحكام أهل الذمة لابن القيم ٢١٠/١، والبيهقي في السنن الكبرى في كتاب الجزية، باب لا يدخلون مسجداً بغير إذن ٢٠٤/٩، وأورده ابن كثير في تفسير ٧٠/٢ عن ابن أبي حاتم بسنده... انظر: عيون الأخبار لابن قتيبة ٤٣/١، وقد صححه شيخ الإسلام ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم ١٦٤/١.

[١٦٣] المذمة في استعمال أهل الذمة ص٥٤.

بما ترى فكتب إليه: لا تدخلوهم في دينكم [١٦٤] ولا تسلموهم ما منعهم الله منه ولا تؤمنوهم على أموالكم وتعلّموا فإنما هي الرجال "، وكتب ﷺ إلى عماله أما بعد: " فإنه من كان قِبَله كاتب من المشركين فلا يعاشره ولا يوادده ولا يجالسه ولا يعتضد برأيه فإن رسول الله ﷺ لم يأمر باستعمالهم ولا خليفته من بعده ".

وورد عليه كتاب معاوية بن أبي سفيان: " أما بعد: يا أمير المؤمنين فإن في عملي كاتباً نصرانياً لا يتم أمر الخراج إلا به فكرهت أن أقلده دون أمرك فكتب إليه: عافانا الله وإياك قرأت كتابك في أمر النصراني: " أما بعد: فإن النصراني قد مات والسلام " [١٦٥]، وكان لعمر عبد نصراني فقال له: أسلم حتى نستعين بك على بعض أمور المسلمين فإنه لا ينبغي لنا أن نستعين على أمورهم بمن ليس منهم فأبى فأعتقه وقال: اذهب حيث شئت " وكتب ﷺ إلى أبي هريرة ﷺ: أما بعد: فللناس نفره على سلطانهم فأعوذ بالله أن تدركني وإياك أقم الحدود ولو ساعة من النهار فإذا حضرك أمران أحدهما: أمر لله والآخر للدنيا فآثر الله على نصيبك من الدنيا فإن الدنيا تفقد والأخرى تبقى عد مرضى المسلمين واشهد جنائزهم وافتح بابك وباشرهم وأبعد أهل الشرك وأنكر أفعالهم ولا تستعن في أمر من أمور المسلمين بمشرك وساعد على مصالح المسلمين لنفسك فإنما أنت رجل منهم غير أن الله سبحانه جعلك حاملاً لأثقالهم.

كما ذكر أيضاً [١٦٦] عن عمر بن عبد العزيز أنه كتب إلى جميع عماله في الآفاق: " أما بعد فإن عمر بن عبد العزيز يقرأ عليكم من كتاب الله {يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجسٌ} [١٦٧]، جعلهم نجساً حزب الشيطان وجعلهم الأخسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً واعلموا أنه لم يهلك هالك قبلكم إلا بمنعه الحق وبسط يد الظلم وقد بلغني عن قوم من المسلمين فيما مضى أنهم إذا قدموا بلداً أتاهم أهل الشرك فاستعانوا بهم في أعمالهم وكتابتهم لعلمهم بالكتابة والجباية والتدبير ولا خير ولا تدبير فيما يغضب الله ورسوله وقد كان لهم في ذلك مدة وقد قضاها الله، فلا أعلم أن أحداً من العمال أبقى في عمله رجلاً متصرفاً على غير دين الإسلام إلا نكّلت به فإن محو عمالكم كمحو دينهم وأنزلوهم منزلتهم التي خصهم الله بها من الذل والصغار " اهـ.

---

[١٦٤] قوله: " لا تدخولهم في دينكم " مشكل لأنه قد يفهم منه النهي عن إدخالهم في دين الإسلام.

[١٦٥] صبح الأعشى في صناعة الإنشا ١/٩٤.

[١٦٦] المذمة في استعمال أهل الذمة ص٥٧.

[١٦٧] سورة التوبة، آية ٢٨.

فإن قيل هذه النصوص التي أوردتموها كلها في رفضه عليه الصلاة والسلام الاستعانة بالأفراد أما عدم الاستعانة بالدولة الكافرة فلم يرد فيه نص يمنعه فالجواب أن يقال:

أولاً: قوله ﷺ: " لن أستعين بمشرك " مشرك هنا نكرة جاءت في سياق النفي واتفق علماء الأصول على أن النكرة في سياق النفي صيغة من صيغ العموم فيكون قوله " لن استعين بمشرك " يعم كل مشرك فرداً كان أو دولة .

ثانياً: الضرر المتوقع والخطر المحتمل من الاستعانة بالفرد الكافر أخف من الضرر المترتب على الاستعانة بالدولة لأن الفرد يكون تحت سيطرة المسلمين ومراقبتهم له أما الدولة فإن قوتها وقدرتها على إيقاع الضرر بالمسلمين أكثر من قدرة الفرد المتوقع حصولها ضد المسلمين فعلى هذا يكون تحريم الاستعانة بالدولة الكافرة أولى من تحريم الاستعانة بالفرد الكافر وبهذا يتبين أن الاستعانة بالكفار لا تجوز مطلقاً أفراداً كانوا أو دولاً.

أما من جوز الاستعانة بالكفار من العلماء فقد استدل بأدلة واهية لا توصل إلى المدّعى لأنها إما ضعيفة أو غير صريحة في الدلالة أو متناقضة وإليك ما استدل به والجواب عنه:

(**١**) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: " شهدنا مع رسول الله ﷺ حنيناً فقال لرجل ممن يدعى بالإسلام: " هذا من أهل النار ". فلما حضرنا القتال قاتل الرجل قتالاً شديداً فأصابته جراحة فقيل: يا رسول الله الرجل الذي قلت له آنفاً " إنه من أهل النار " فإنه قاتل اليوم قتالاً شديداً وقد مات. فقال النبي ﷺ: " إلى النار ". فكاد بعض المسلمين أن يرتاب، فبينما هم على ذلك إذ قيل إنه لم يمت، ولكن به جراحاً شديداً، فلما كان من الليل لم يصبر على الجراح فقتل نفسه .

فأخبر النبي ﷺ بذلك فقال " الله أكبر أشهد أني عبد الله ورسوله "، ثم أمر بلالاً فنادى في الناس: " إنه لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة وإن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر " [١٦٨].

قالوا: فهذا الذي قاتل مع رسول الله ﷺ قد مات إلى النار فربما أنه كان في حقيقة أمره كافراً أو أنه ارتاب وشك في الإيمان فمات كافراً قالوا ويؤيد ذلك آخر الحديث وهو: " الرجل الفاجر " فالفجور عام ويشمل الفسق والكفر.

---

[١٦٨] رواه البخاري في كتاب الجهاد والسير رقم (٣٠٦٢)، ومسلم في كتاب الإيمان رقم (١١١).

(٢) واشتهر عند أهل السير أن صفوان بن امية شهد حنيناً مع النبي ﷺ وكان مشركاً قال ابن حجر [١٦٩]: " وقصته مشهورة في المغازي " [١٧٠].

(٣) وجاء عن بعض أهل السير أن النبي ﷺ استعان بناس من اليهود ولم يسهم لهم قال الإمام الترمذي [١٧١] يروى عن الزهري أن النبي ﷺ أسهم لقوم من اليهود قاتلوا معه [١٧٢].

(٤) روى أبو داود بسنده قال: قال جبير: انطلق بنا إلى ذي مِخْبر – رجل من أصحاب النبي ﷺ – فأتيناه، فسأله جبير عن الهدنة، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: " ستصالحون الروم صلحاً آمناً، وتغزون أنتم وهم عدوّاً من ورائكم " [١٧٣].

(٥) وروى البيهقي أن سعد بن مالك غزا بقوم من اليهود فرضخ لهم " [١٧٤].

وهذه الأدلة كما ترى لا تفيد جواز الاستعانة بالكفار لأنها ضعيفة لا توصل إلى المدعى إما في دلالتها وإما في ثبوتها فحديث أبي هريرة ليس صريحاً في أن الرجل الذي قاتل مع النبي ﷺ كان كافراً بل فيه عكس ذلك حيث قال أبو هريرة ﷺ أنه " يدعي الإسلام " كما أن القصة لا تفيد أن النبي ﷺ استعان به وإنما أذن له فقط في الحضور والقتال، وكذلك الشأن في قصة صفوان فالنبي ﷺ لم يطلب منه أن يقاتل بل إنه هو بنفسه الذي شهد الوقعة ولم يثبت أنه قاتل وإنما كان خروجه مع المسلمين للتفرج والنظر فيما يحصل ولهذا لما انهزم المسلمون في أول وهلة فرح أبو سفيان بذلك وقال: " والله لا يرد هزيمتهم البحر " فقال له صفوان: اسكت فض الله فاك فوالله لأن يربني رجل من قريش أحب إلي من أن يربني رجل من هوازن " [١٧٥] اهـ.

---

[١٦٩] أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن مُحَّد بن مُحَّد الكناني العسقلاني المصري الشافعي، الحافظ ولد في مصر سنة ٧٧٣هـ، أخذ عن السراج البلقيني وعن ابن الملقن والعراقي وغيرهم، انتهى إليه معرفة الرجال واستحضارهم ومعرفة العالي والنازل وعلل الحديث، حكي أنه شرب ماء زمزم ليصل إلى مرتبة الذهبي. له تعليق التعليق وشرح البخاري المسمى بفتح الباري والدرر الكامنة وغيرها توفي رحمه الله تعالى سنة ٨٥٢هـ. ذيل تذكرة الحفاظ ص٣٨٠، شذرات الذهب ٢٧٠/٧.

[١٧٠] شذرات الذهب ٥٢/١.

[١٧١] أبو عيسى مُحَّد بن عيسى السُّلمي الترمذي، أحد الأئمة، ولد سنة ٢٠٩، تتلمذ على البخاري وشاركه في بعض شيوخه وأخذ البخاري منه حديثاً واحداً، وروى عن مسلم حديثاً واحداً فقط في السنن برقم (٦٨٧)، له السنن وكتاب العلل والشمائل وغيرها، توفي رحمه الله سنة ٢٧٩هـ. ميزان الاعتدال رقم ٨٠٣٥، الأعلام ٣٢٢/٦، التقريب رقم ٦٢٤٦، تهذيب التهذيب ٤٢٦/٥.

[١٧٢] سنن الترمذي في كتاب السير، باب ما جاء في أهل الذمة يغزون مع المسلمين هل يسهم لهم تحت رقم (١٥٥٨).

ثم إن الخبر الوارد في قصة صفوان على الرغم من أنه لم يتضمن الدلالة على أن صفوان قاتل مع النبي ﷺ فإنه لا تثبت به حجة، وهو غير ثابت وفيه اضطراب شديد بمتنه وسنده، قال أبو عمر بن عبد البر[١٧٦]: حدثنا عبد الله بن مُحَّد بن يحيى قال حدثنا مُحَّد بن بكر قال حدثنا أبو داود قال حدثنا الحسن بن مُحَّد وسلمة بن شبيب قالا: حدثنا يزيد بن هارون قال حدثنا شريك عن عبد العزيز بن رفيع عن أمية ابن صفوان ابن أمية عن أبيه أن النبي ﷺ استعار منه دروعاً يوم حنين فقال: اغصب يا مُحَّد. فقال: بل عارية مضمونة [١٧٧]. ثم قال ابن عبد البر قال أبو داود: هذه رواية يزيد ببغداد وفي روايته بواسط غير هذا قال أبو داوود وكان أعاره قبل أن يسلم ثم أسلم: قال أبو عمر: حديث صفوان هذا اختلف فيه على عبد العزيز بن رفيع اختلافاً يطول ذكره فبعضهم يذكر فيه الضمان وبعضهم لا يذكره وبعضهم يقول عن عبد العزيز عن ابن أبي مليكة عن ابن صفوان قال: " استعار النبي ﷺ لا يقول عن أبيه ومنهم من يقول عن عبد العزيز بن رفيع عن أناس من آل صفوان أو من آل عبد الله بن صفوان مرسلاً أيضاً وبعضهم يقول فيه عن عبد العزيز بن رفيع عن عطاء عن أناس من آل صفوان ولا يذكر فيه الضمان ولا يقول مؤداه بل عارية فقط والاضطراب فيه كثير ولا يجب عندي بحديث صفوان هذا حجة من تضمين العارية والله أعلم.

وقال أبو مُحَّد علي بن حزم [١٧٨]: أما خبر دروع صفوان فإنا رويناه من طريق أحمد بن شعيب أنبأنا عبد الرحمن بن مُحَّد بن سلام أنبأنا يزيد بن هارون أنبأنا شريك هو ابن عبد الله القاضي

=[١٧٣] رواه أبو داود في كتاب الجهاد رقم ٢٧٦٧ بسند صحيح.

=[١٧٤] سنن الكبرى للبيهقي ٦٤/٩

=[١٧٥] بتصرف من كتاب الاستعانة بغير المسلمين للدكتور عبد الله بن إبراهيم الطريقي ص٢٦٧-٢٦٨.

[١٧٦] أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النَّمَرَيُّ الأندلسي المجتهد الإمام العلامة حافظ المغرب ولد سنة ٣٦٨هـ طال عمره فأدرك الكبار وجمع وصنف وسارت بتصانيفه الركبان، سمع من عبد الله بن عبد المؤمن ومن مُحَّد بن عبد الملك ومن أبي الوليد الفرضي، وعنه أبو مُحَّد بن حزم والحافظ أبو علي الغساني وأبو عبد الله الحميدي وجمعٌ له التمهيد والاستذكار والاستيعاب في أسماء الصحابة، توفي رحمه الله تعالى سنة ٤٦٣هـ انظر: سير أعلام النبلاء ١٥٣/١٨، تذكرة الحفاظ ١١٢٨/٣.

[١٧٧] التمهيد ٤٠/١٢-٤٢.

[١٧٨] أبو مُحَّد علي بن أحمد بن حزم الظاهري، عالم الأندلس، أحد الأئمة الأعلام، ولد بقرطبة سنة ٣٨٤هـ، فارسي الأصل كانت له ولأبيه من قبله رياسة الوزارة وتدبير المملكة، فزهد بها وانصرف إلى العلم والتأليف، كان رحمه الله تعالى بعيداً عن المصانعة، سمع من يحيى بن مسعود ومن يونس بن عبد الله، صنف المحلى في الفقه والإيصال إلى فهم كتاب الخصال في خمسة عشر ألف ورقة. توفي رحمه الله تعالى سنة ٤٥٦هـ. سير أعلام النبلاء ١٨٤/١٨، الأعلام ٢٥٤/٤.

عن عبد العزيز بن رفيع عن أمية بن صفوان بن أمية عن أبيه أن رسول الله ﷺ استعار منه يوم حنين أدرعاً فقال: غصب يا مُحَّد. قال بل عارية مضمونة " شريك مدلس للمنكرات إلى الثقات، وقد روى البلايا والكذب الذي لا شك فيه عن الثقات ".
وقال أيضاً رحمه الله: ومن طريق مسدد أنبأنا أبو الأحوص حدثنا عبد العزيز بن رفيع عن عطاء بن أبي رباح عن ناس من آل صفوان بن أمية استعار رسول الله ﷺ من صفوان سلاحاً فقال: أعارية أم غصب؟ قال: بل عارية ففقدوا منها درعاً فقال رسول الله ﷺ إن شئت غرمناها لك فقال يا رسول الله إن في قلبي من الإيمان ما لم يكن يومئذ. هذا عند ناس لم يسموا.
ومن طريق أحمد بن شعيب أنبأنا أحمد بن سليمان حدثنا عبيد الله ابن موسى أنبأنا إسرائيل عن عبد العزيز بن رفيع عن ابن أبي مليكة عن عبد الرحمن بن صفوان بن أمية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استعار من صفوان بن أمية دروعاً فهلك بعضها فقال رسول الله ﷺ: إن شئت غرمناها لك فقال: لا يا رسول الله " إسرائيل ضعيف وقال في ص١٧ وقد روينا من طريق ابن أبي شيبة حدثنا جرير بن عبد الحميد عن عبد العزيز بن رفيع عن إياس بن عبد الله بن صفوان أن رسول الله ﷺ إذ أراد حنيناً قال لصفوان هل عندك سلاح. قال: عارية أم غصباً؟ قال لا بل عارية فأعاره ما بين الثلاثين إلى الأربعين درعاً فلما هزم المشركون جمعت دروع صفوان ففقد منها فقال له رسول الله ﷺ إنا فقدنا من أدرعك أدرعاً فهل نغرم لك فقال: لا يا رسول الله إن في قلبي اليوم ما لم يكن " فهذا مرسل " اهـ.

أما خبر خروج يهود بني قينقاع مع الرسول ﷺ وأنه أسهم لهم أو رضخ لهم فهالك لأسباب:
أولاً: أن الخبر من مراسيل الزهري ومعلوم أن مراسيل الزهري ضعيفة .
ثانياً: أنه ورد ما يعارضه فقد روى الطحاوي [١٧٩] والحاكم [١٨٠]: هذا الحديث من طريق الفضل ابن موسى السيناني شيخ إسحاق بن راهويه قال الطحاوي حدثنا عبيد بن رجال قال حدثنا مُحَّد بن عمرو عن سعد ابن المنذر بن أبي حميد الساعدي عن جده الساعدي قال: خرج رسول الله ﷺ يوم أحد حتى إذا خلف ثنية الوداع إذا هو بكتيبة خشناء فقال: من هؤلاء فقالوا بنو قينقاع وهم رهط عبد الله بن سلام وقوم عبد الله بن أبي بن سلول فقال: أسلموا. فأبوا قال: قل لهم فليرجعوا فإنا لا نستعين بالمشركين على المشركين ".

---

[١٧٩] مشكل الآثار ٢٤٢/٣.
[١٨٠] المستدرك ١٢٢/٢.

قال ممليه عفا الله عنه: والعجب ممن ذهب من العلماء إلى جواز الاستعانة بالكفار معتمداً في ذلك على هذه الآثار والمراسيل الضعيفة والمضطربة ويعرض عن ما خُرّج في صحيح مسلم والسنن ومسند الإمام أحمد وغيره من رفضه ﷺ الاستعانة بالمشركين، إننا إذا سلكنا طريق الترجيح وجدنا أن حديث عائشة ﵂ الذي رواه مسلم في صحيحه وما وافقه من آثار أخرى أرجح يقيناً من تلك المراسيل المضطربة السند والمتن كما أسلفنا.

قال ابن عبد البر: " وأما شهود صفوان بن أمية مع رسول الله حنيناً والطائف وهو كافر فإن مالكاً قال لم يكن ذلك بأمر رسول الله ﷺ، قال مالك: ولا أرى أن يستعين بالمشركين على قتال المشركين إلا أن يكونوا خدماً أو نوتيه [١٨١] [١٨٢].

وقد ناقش الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن [١٨٣] أدلة القائلين بالجواز فتكلم على مرسل الزهري وبين عدم صحة دلالته على المسألة فقال رحمه الله ما نصه: " أما مسألة الاستنصار بهم فمسألة خلافية والصحيح الذي عليه المحققون منع ذلك مطلقاً وحجتهم حديث عائشة وهو متفق عليه، وحديث عبد الرحمن بن حبيب وهو حديث صحيح مرفوع اطلبهما تجدهما فيما عندك من النصوص والقائل بالجواز احتج بمرسل الزهري وقد عرفت ما في المراسيل إذا عارضت كتاباً أو سنة ثم القائل به قد شرط أن يكون فيه نصح للمسلمين ونفع لهم، وهذه القضية فيها هلاكهم ودمارهم، وشَرَطَ أيضاً أن لا يكون للمشركين صولة ودولة يخشى منها، وهذا مبطل لقوله في هذه القضية واشترط كذلك ألا يكون له دخل في رأي ولا مشورة بخلاف ما هنا كل هذا ذكره الفقهاء وشراح الحديث ونقله في شرح المنتقى وضعف مرسل الزهري جداً وكل هذا في قتال المشرك للمشرك مع أهل الإسلام [١٨٤].

---

[١٨١] النوتيُّ: الملاّح في البحر. انظر القاموس المحيط ص٢٠٧.

[١٨٢] التمهيد ٣٥/١٢.

[١٨٣] العالم الجليل الفقيه المحقق عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن مُحَمَّد بن عبد الوهاب التميمي من المشارفه، ولد بمدينة الدرعية سنة ١٢٢٥هـ، وحفظ القرآن وعمره ثمان سنوات، نفاه إبراهيم باشا فيمن نفي إلي مصر وعمره ثمان سنين مع أقاربه، قرأ على علماء الأزهر الشريف ولازمهم سنين، تزوج هناك ثم رجع إلى الرياض سنة ١٢٦٤هـ، كان رحمه الله مهيباً شجاعاً حازماً وافر العقل، وكان يغزوا مع الإمام فيصل، تخرج على يديه ثلة من العلماء، منهم أخوه إسحاق وابنه عبد الله وسليمان بن سحمان وأحمد بن عيسى وغيرهم، له مصباح الظلام، وشرح نونية ابن القيم لم يكمله، وتأسيس التقديس وله نظم قوي يدل على براعته في الشعر وبحوره، حدث في زمنه قلاقل وفتن ساهم في إخمادها. توفي رحمه الله سنة ١٢٩٣هـ في الرياض... انظر: روضة الناظرين للقاضي ٣٣٨/١.

[١٨٤] الرسائل والمسائل النجدية ٦٧/٣.

قال أيضاً ما نصه: " الشبهة التي تمسَّك بها من قال بجواز الاستعانة هي ما ذكرها بعض الفقهاء من جواز الاستعانة بالمشرك عند الضرورة وهو قول ضعيف مردود مبني على آثار مرسلة تردها النصوص القرآنية، والأحاديث الصحيحة الصريحة النبوية، ثم القول بها على ضعفها مشروط بشروط نبه عليها شراح الحديث ونقل الشوكاني [١٨٥] منها طرفاً في المنتقى، منها: أمن الضرر والمفسدة وألا يكون لهم شوكة وصولة وأن لا يدخلوا في الرأي والمشورة وأيضاً ففرضها في الانتصار بالمشرك على المشرك، وأما الانتصار بالمشرك على الباغي عند الضرورة فهو قول فاسد لا أثر فيه ولا دليل عليه إلا أن يكون محض القياس وبطلانه أظهر شيء في الفرق بين الأصل والفرع وعدم الاجتماع في مناط الحكم " أهـ [١٨٦].

قال ممليه عفا الله عنه: والضرورة التي ترد في بعض كلام الفقهاء المجيزين الاستعانة بالكافر هي الضرورة التي تتعلق بالدين ومصلحة الإسلام والمسلمين.

أما الضرورة التي تتعلق بحكم الحاكم وحماية كرسيه وسلطته فإنها لا تبيح الاستعانة بالكفار حتى عند القائلين بجواز الاستعانة بهم للضرورة.

قال الشيخ سليمان بن سحمان [١٨٧] رحمه الله تعليقاً على كلمة الضرورة التي جاءت في كلام الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن: " غلط صاحب الرسالة – يقصد بصاحب الرسالة من رد عليه الشيخ عبد اللطيف – في معرفة الضرورة فظنها عائدة إلى مصلحة ولي الأمر من رياسته وسلطانه وليس الأمر كما زعم ظنه بل هي ضرورة الدين وحاجته إلى من يعين عليه وتصلح به مصلحته كما صرح به من قال بالجواز وقد تقدم ما فيه والله أعلم " اهـ.

ومن الأئمة الكبار الذين ذهبوا إلى عدم جواز الاستعانة بالكفار في جميع الأحوال الشيخ ابن مفلح [١٨٨] في الآداب الشرعية حيث ذكر كلاماً طويلاً في هذا الباب ضمنه مقتطفات من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية من كتاب اقتضاء الصراط المستقيم حيث قال: فصل في الاستعانة بأهل الذمة. قال بعض أصحابنا: ويكره أن يستعين مسلم بذمي في شيء من أمور المسلمين مثل

---

[١٨٥] محمد بن علي بن محمد الشوكاني، فقيه مجتهد، من كبار علماء اليمن من أهل صنعاء ولد بهجرة شوكان سنة ١١٧٣هـ كان يرى تحريم التقليد. له ١١٤ مؤلفاً تولى القضاء بصنعاء سنة ١٢٢٩هـ ومات حاكماً بها. له نيل الأوطار، والبدر الطالع، والسيل الجرار بنقد كتاب الأزهار، توفي رحمه الله بصنعاء سنة ١٢٥٠هـ... الأعلام ٢٩٨/٦.

[١٨٦] الرسائل والمسائل النجدية ١٦٤/٣.

[١٨٧] الدرر السنية ٣٧٤/٨.

كتابة وعمالة وجباية خراج وقسمة فيء وغنيمة وحفظ ذلك ونقله إلا ضرورة قال في الرعاية الكبرى ولا يكون بواباً ولا جلاداً ونحوها.

وعن أبي موسى الأشعري أنه اتخذ كاتباً نصرانياً فانتهره عمر بن الخطاب ﷺ [١٨٩].

وعن عمر أيضاً أنه قال: لا ترفعوهم إذ وضعهم الله، ولا تعزوهم إذ أذلهم الله.

ولأن في الاستعانة بهم في ذلك من المفسدة ما لا يخفى وهي ما يلزم عادة أو ما يفضى إليه من تصديرهم في المجالس، والقيام لهم وجلوسهم فوق المسلمين وابتدائهم بالسلام أو ما في معناه ورده عليهم على غير الوجه الشرعي وأكلهم من أموال المسلمين ما أمكنهم لخيانتهم واعتقادهم حلها وغير ذلك.

ولأنه إذا منع من الاستعانة بهم في الجهاد مع حسن رأيهم في المسلمين والأمن منهم وقوة المسلمين على المجموع لاسيما مع الحاجة إليهم على قول فهذا في معناه وأولى للزومه وإفضائه إلى ما تقدم من المحرمات بخلاف هذا، وبهذا يظهر التحريم هنا وإن لم تحرم الاستعانة بهم على القتال، وقد نهى الله سبحانه وتعالى المؤمنين أن يتخذوا الكفار بطانة لهم فقال تعالى:

{يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم} [١٩٠] . وبطانة الرجل تشبيهه ببطانة الثوب الذي يلي بطنه لأنهم يستبطنون أمره ويطلعون عليه بخلاف غيرهم، وقوله {من دونكم} أي من غير أهل ملتكم . ثم قال تعالى: {لا يألونكم خبالاً}. أي لا يقون غاية في إلقائكم فيما يضركم والخبال الشر والفساد، {ودوا ما عنتم}. أي يودون ما يشق عليكم من الضر والشر والهلاك، والعنت المشقة يقال فلان يُعنِتُ فلاناً أي يقصد إدخال المشقة والأذى عليه. {قد بدت البغضاء من أفواههم}. قيل بالشتم والوقيعة في المسلمين ومخالفة دينكم، وقيل باطلاع المشركين على أسرار المسلمين. {وما تخفي صدورهم أكبر} أي أعظم، {قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون}. قال القاضي أبو يعلى من أئمة أصحابنا وفي هذه الآية دليل على أنه لا يجوز الاستعانة بأهل الذمة

---

[١٨٨] شمس الدين أبو عبد الله مُحَّد بن مفلح بن مُحَّد بن مفرج القاقوني المقدسي الحنبلي ولد سنة ٧٠٨هـ، أعلم أهل عصره بمذهب أحمد. قال ابن كثير كان بارعاً فاضلاً متقناً في علوم كثيرة ولاسيما في الفروع. قال ابن حجر: صنف (الفروع) في مجلدين أورد فيه من الفروع الغريبة ما بهر العلماء اهـ. له هذا الكتاب والآداب الشرعية والنكت على المحرر لابن تيمية، أخذ عن شيخ الإسلام ابن تيمية وكان يقول له: ما أنت ابن مفلح بل أنت مفلح، وكان أخبر الناس بمسائل ابن تيمية واختياراته... توفي رحمه الله سنة ٧٦٣هـ. شذرات الذهب.١٩٩/٦، الدرر الكامنة ٢٦١/٤، الأعلام ١٠٧/٧.

[١٨٩]سنن الكبرى للبيهقي(٢٠٤٠٩).

[١٩٠] سورة آل عمران، آية ١١٨.

في أمور المسلمين من العمالات والكتبة ولهذا قال الإمام أحمد ﷺ لا يستعين الإمام بأهل الذمة على قتال أهل الحرب، وقد جعل الشيخ موفق الدين رحمه الله هذه المسألة أصلاً في اشتراط الإسلام في عامل الزكاة فدل على أنها محل وفاق .

وقال الإمام أحمد رحمه الله في رواية أبي طالب وقد سأله يستعمل اليهودي والنصراني في أعمال المسلمين مثل الخراج؟ فقال: لا يستعان بهم في شيء. فانظر إلى هذا العموم من الإمام أحمد نظراً منه إلى ردىء المفاسد الحاصلة بذلك وإعدامها وهي وإن لم تكن لازمة من ولايتهم ولا ريب في لزومها فلا ريب في إفضائها إلى ذلك، ومن مذهبه اعتبار الوسائل والذرائع وتحصيلاً للمأمور به شرعاً من إذلالهم وإهانتهم والتضييق عليهم وإذا أمر الشارع عليه الصلاة والسلام بالتضييق عليهم في الطريق المشتركة فما نحن فيه أولى هذا مما لا إشكال فيه، ولأن هذه ولايات بلا شك، ولهذا لا يصح تفويضها مع الفسق والخيانة، والكافر ليس من أهلها بدليل سائر الولايات وهذا في غاية الوضوح، ولأنها إذا لم يصح تفويضها إلى فاسق فإلى كافر أولي بلا نزاع ولهذا قد نقول يصح تفويضها إلى فاسق إما مطلقاً أو مع ضم أمين إليه يشارفه كما نقول في الوصية ولأنه إذا لم تصح وصية المسلم إلى كافر في النظر في أمر أطفاله أو تفريق ثلثه مع أن الوصي المسلم المكلف العدل يحتاط لنفسه وماله وهي مصلحة خاصة يقل حصول الضرر فيها فمسألتنا أولى هذا مما لا يحتاج فيه إلى تأويل ونظر والله أعلم. وقال تعالى:{ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً}[١٩١].

وهذا من أعظم السبيل استدل الشيخ وجيه الدين وغيره من الأصحاب بهذه الآية على أنه لا يجوز أن يكون عاملاً في الزكاة وقد قال أصحابنا في كاتب الحاكم لا يجوز أن يكون كافراً واستدلوا بقوله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة} [١٩٢]. وبقضية عمر على أبي موسى.

وقال الشيخ تقي الدين في أول الصراط المستقيم في أثناء كلام له: ولهذا كان السلف يستدلون بهذه الآية على ترك الاستعانة بهم في الولايات فروى الإمام أحمد بإسناد صحيح عن أبي موسى قال قلت لعمر ﷺ إن لي كاتباً نصرانياً ، قال: مالك قاتلك الله ، أما سمعت الله يقول: {يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض} [١٩٣]. ألا اتخذت حنيفياً؟ قال قلت: يا أمير المؤمنين لي كتابته وله دينه، قال لا أكرمهم إذ أهانهم الله ولا أعزهم إذ أذلهم الله ولا أدنيهم إذ أقصاهم الله. انتهى كلامه [١٩٤]. ورواه البيهقي وعنده فانتهرني وضرب على

---

[١٩١] سورة النساء، ١٤١.

[١٩٢] سورة آل عمران، ١١٨.

[١٩٣] سورة المائدة، آية ٥١.

فخذي وعنده أيضاً فقال أبو موسى والله ما توليته إنما كان يكتب. فقال عمر: له أما وجدت في أهل الإسلام من يكتب؟ لا تدنهم إذا أقصاهم الله ولا تأمنهم إذا أخانهم الله ولا تعزهم بعد إذ أذلهم الله [١٩٥] . وروى الإمام أحمد عن عمر ﷺ أنه قال: لا تستعملوا اليهود والنصارى فإنهم يستحلون الرُّشاء في دينهم ولا تحل الرُّشاء [١٩٦]. وقال سعيد بن منصور [١٩٧] في سننه ثنا هشيم [١٩٨] عن العوام [١٩٩] عن إبراهيم [٢٠٠] التيمي قال قال عمر لا ترفعوهم إذا وضعهم الله ولا تعزوهم إذ أذلهم الله يعني أهل الكتاب كلهم أئمة لكن إبراهيم لم يلق عمر، وقطع الشيخ تقي الدين في موضع آخر بأنه يجب على ولي الأمر منعهم من الولايات في جميع أرض الإسلام، وقال أيضاً الولاية إعزاز وأمانة وهم يستحقون للذل والخيانة، والله يغني عنهم المسلمين، فمن أعظم المصائب على الإسلام وأهله أن يجعلوا في دواوين المسلمين يهودياً أو سامرياً [٢٠١] أو نصرانياً، وقال أيضاً: لا يجوز استعمالهم على المسلمين فإنه يوجب من إعلائهم على المسلمين خلاف ما أمر الله ورسوله ، والنبي ﷺ قد نهى أن يُبدأوا بالسلام وأمر إذا لقيهم المسلمون أن

=[١٩٤] اقتضاء الصراط المستقيم ١/١٦٤.

[١٩٥] سنن الكبرى للبيهقي(٢٠٤٠٩).

[١٩٦] لم أجده في المسند.

[١٩٧] سعيد بن منصور بن شعبة الخرساني أبو عثمان المروزي صاحب السنن، ولد بجوزجان، روى عن مالك وأبو الأحوص وابن عيينة وغيرهم، وعنه مسلم وأبو داود وأحمد بن حنبل وغيرهم، قال سلمة بن شبيب: ذكرت سعيد بن منصور لأحمد بن حنبل فأحسن الثناء عليه وفخم أمره. توفي في مكة رحمه الله تعالى سنة ٢٢٧هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ١٠/٥٨٦، تهذيب التهذيب ٢/٣٣٨.

[١٩٨] هُشيم بن بشير بن القاسم أبو معاوية ولد سنة ١٠٥هـ، روى عن الأعمش وسليمان التيمي والأحول. وعنه مالك وشعبة وسعيد بن منصور وغيرهم. قال ابن حجر: ثقة ثَبْتٌ كثير التدليس والإرسال الخفي. توفي رحمه الله سنة ١٨٣هـ. انظر: التقريب رقم ٧٣٦٢، تهذيب التهذيب ٦/٤١.

[١٩٩] العوام بن حوشب الشيباني أبو عيسى روى عن أبي إسحاق السبيعي ومجاهد وجبلة بن سحيم، وعنه ابنه سلمة وشعبة وحفص بن عمر وأصحاب الكتب الستة، كان صاحب أمر بالمعروف ونهي عن المنكر، توفي رحمه الله سنة ١٤٨هـ. انظر: تهذيب التهذيب ٤/٤٢١.

[٢٠٠] إبراهيم بن يزيد التيمي أبو أسماء، روى عنه أنس والحارث بن سويد وغيرهم وعنه بيان ابن بشر والحكم بن عتبة وأصحاب الكتب الستة وغيرهم، قتله الحجاج بن يوسف سنة ٩٢هـ، ولم يبلغ أربعين سنة رحمه الله. انظر: تهذيب التهذيب ١/١١٥، التقريب رقم ٢٧١.

[٢٠١] السامرة: قوم يسكنون جبال بيت المقدس وقرايا من أعمال مصر يتقشفون في الطهارة أكثر من اليهود، يثبتون نبوة موسى وهارون ويوشع عليهم السلام وينكرون نبوة غيرهم وقبلتهم جبل يقال له كزيريم بين بيت المقدس ونابلس، ويذكر أنهم ليسوا من بني إسرائيل البتة، بل قدموا من بلاد المشرق ثم تهودوا. انظر: الملل والنحل ١/٢٦٠ مع التحقيق.

يضطروهم إلى أضيق الطرق [٢٠٢]، وقال الإسلام يعلو ولا يعلى عليه [٢٠٣]، وقد منعوا من تعلية بنائهم على المسلمين فكيف إذا كانوا ولاة على المسلمين فيما يقبض منهم ويصرف إليهم وفيما يؤمرون به من الأمور المالية ويقبل خبرهم في ذلك فيكونون هم الآمرين الشاهدين عليهم؟ هذا من أعظم ما يكون من مخالفة أمر الله ورسوله، وقد قدم أبو موسى على عمر رضي الله عنهما بحساب العراق فقال ادع يقرؤه فقال إنه لا يدخل المسجد فقال لم؟ قال لأنه نصراني، فضربه عمر بالداوة فلو أصابته لأوجعته وقال لا تعزوهم إذ أذلهم الله ولا تصدقوهم إذ كذبهم الله ولا تأمنوهم إذ خونهم الله [٢٠٤]، وكتب إليه خالد بن الوليد إن بالشام كاتباً نصرانياً لا يقوم خراج الشام إلا به، فكتب إليه لا تستعمله فأعاد عليه السؤال وإنا محتاجون إليه، فكتب إليه مات النصراني والسلام [٢٠٥]، يعني قَدِّر موته، فمن ترك لله شيئاً عوضه الله خيراً منه [٢٠٦]، إلى أن قال وقد يشيرون عليهم بالرأي التي يظنون أنها مصلحة ويكون فيها من فساد دينهم ودنياهم ما لا يعلمه إلا الله وهو يتدين بخذلان الجند وغشهم يرى أنهم ظالمون، وأن الأرض مستحقة للنصارى ويتمنى أن يمتلكها النصارى . وقال أيضاً: كان صلاح الدين [٢٠٧] وأهل بيته يذلون النصارى ولم يكونوا يستعملون منهم أحداً، ولهذا كانوا مؤيدين منصورين على الأعداء مع قلة المال والعدد، وإنما قويت شوكة النصارى والتتار بعد موت العادل حتى قام بعض الملوك أعطاهم بعض مدائن المسلمين وحدثت حوادث بسبب التفريط فيما أمر الله به ورسوله فإن الله تعالى يقول: {ولينصرن الله من ينصره}[٢٠٨]. إلى أن قال: وهم إلى ما في بلاد المسلمين أحوج من المسلمين إلى ما في

---

[٢٠٢] رواه مسلم في كتاب السلام رقم (٢١٦٧)، والبخاري في الأدب المفرد رقم (١١٠٣) ورواه الترمذي في السنن من كتاب الأدب رقم (٢٧٠٠).

[٢٠٣] رواه البخاري تعليقاً في كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه؟ والدارقطني في كتاب النكاح، باب المهر رقم (٣٠) ٢٥٢/٣ وسنده حسن.

[٢٠٤] سنن الكبرى للبيهقي(٢٠٤٠٩)..

[٢٠٥] صبح الأعشى ٩٤/١.

[٢٠٦] رواه الإمام أحمد في مسنده بلفظ: " إنك لن تدع شيئاً لله عز وجل إلا بدلك الله به ما هو خير لك منه " برقم (٢٣٠٧٤) ورجاله ثقات.

[٢٠٧] السلطان الكبير صلاح الدين أبو المظفر يوسف بن الأمير نجم الدين أيوب بن شاذي الدويني التكريتي المولود في سنة ٥٣٢هـ، سمع من أبي طاهر السِّلفي وأبي الطاهر بن عوف والقطب النيسابوري وغيرهم، كان مهيباً شجاعاً حازماً مجاهداً كثير الغزو، قال عنه الذهبي رحمه الله: كانت له همة في إقامة الجهاد وإبادة الأضداد ما سمع بمثلها لأحد في دهر اهـ. قهر بني عبيد ومحا دولتهم، وأسر ملوك الفرنج في (حطين) توفي رحمه الله تعالى بدمشق سنة ٥٨٩هـ. سير أعلام النبلاء ٢٧٨/٢١، شذرات الذهب ٢٩٨/٤.

بلادهم بل مصلحة دينهم ودنياهم لا تقوم إلا بما في بلاد المسلمين والمسلمون ولله الحمد مستغنون عنهم في دينهم ودنياهم، ففي ذمة المسلمين من علماء النصارى ورهبانهم من يحتاج إليهم أولئك النصارى وليس عند النصارى مسلم يحتاج إليه المسلمون مع أن افتداء الإسراء من أعظم الواجبات وكل مسلم يعلم أنهم لا يتجرون إلى بلاد المسلمين إلا لأغراضهم لا لنفع المسلمين، ولو منعهم ملوكهم من ذلك لكان حرصهم على المال يمنعهم من الطاعة فإنهم ارغب الناس في المال ولهذا يتقامرون في الكنائس وهم طوائف كل طائفة تضاد الأخرى ولا يشير على ولي الأمر بما في إظهار شعارهم في دار الإسلام أو تقوية أيديهم بوجه من الوجوه إلا رجل منافق أو له غرض فاسد أو في غاية الجهل لا يعرف السياسة الشرعية التي تنصر سلطان المسلمين على أعدائه وأعداء الدين. وليعتبر المعتبر بسيرة نور الدين [٢٠٩] وصلاح الدين ثم العادل [٢١٠] كيف مكنهم الله وأيدهم وفتح لهم البلاد وأذل لهم الأعداء لما قاموا من ذلك بما قاموا وليعتبر بسيرة من والي النصارى كيف أذله وكبته إلى أن قال: وثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أن مشركاً لحقه ليقاتل معه فقال له: " إني لا استعين بمشرك " [٢١١]، وكما أن استخدام الجند المجاهدين إنما يصلح إذا كانوا مؤمنين فكذلك الذين يعاونون الجند في أموالهم وأعمالهم إلى أن قال: {يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم} [٢١٢]. وقال تعالى: {يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم} [٢١٣].

=[٢٠٨] سورة الحج، آية ٤٠.

[٢٠٩] أبو القاسم، تقي الملوك، ليث الإسلام، نور الدين محمود بن الأتابك زنكي بن أقسنقُر التركي السلطاني الملكشاهي، ولد سنة ٥١١ هـ، كان بطلاً شجاعاً وافر الهيبة حسن الرمي ذا تعبد وخوف وورع وكان يتعرض للشهادة، قال ابن عساكر: روى الحديث وأسمعه وأجازه اهـ. وكان أظهر السنة بحلب وقمع الرافضة، انتزع من الكفار نيفاً وخمسين مدينة وحصناً. يقال إنه الخليفة الراشد السادس. توفي رحمه الله تعالى سنة ٥٦٩هـ. نور الدين محمود: محاضرة للشيخ سفر الحوالي، سير أعلام النبلاء ٥٣١/٢٠ نور الدين محمود. حسين مؤنس.

[٢١٠] الملك العادل سيف الدولة أبو بكر مُحَّد بن أيوب بن شاذي التكريتي، ولد سنة ٥٣٤هـ ببعلبك، كان ذا عقل ودهاء وشجاعة حليماً ديناً كان خليقاً للملك، أزال الخمور والفاحشة في بعض أيام دولته، وكان كثير الصلاة ويصوم الخميس، قليل المرض، سعيد الحظ والبخت، قال ابن خلكان: كان مائلاً إلى العلماء حتى لصنف له الرازي تأسيس التقديس فذكر اسمه في خطبته. توفي رحمه الله سنة ٦١٥هـ... انظر: سير أعلام النبلاء ١١٥/٢٢.

[٢١١] سبق تخريجه ص٤٣٦.

[٢١٢] سورة آل عمران، آية ١١٨.

[٢١٣] سورة المائدة، آية ٥١.

وذكر سبب نزولها ثم قال وقد عرف أهل الخبرة أن أهل الذمة من اليهود والنصارى والمنافقين يكاتبون أهل دينهم بأخبار المسلمين وربما يطلعون على ذلك من أسرارهم وعوراتهم وغير ذلك وقد قيل:

كل العداوات قد ترجى مودتهاإلا عداوة من عاداك في الدين

انتهى كلامه.

وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: " لا تستضيئوا بنار المشركين ولا تنقشوا في خواتيمكم عربياً " [٢١٤] رواه الإمام أحمد والنسائي [٢١٥] وعبد ابن حميد [٢١٦] وغيرهم، ومعنى قوله: " ولا تستضيئوا بنار المشركين " أي لا تستشيروهم ولا تأخذوا آراءهم. جعل الضوء مِثْلا الرأي عند الحيرة هذا معنى قول الحسن [٢١٧] رواه عبد بن حميد، واحتج الحسن بقوله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم} [٢١٨]. وكذا فسره غيره، وفسر الحسن: " ولا تنقشوا في خواتيمكم عربياً " أي لا تنقشوا فيها محمّداً وفسره غيره محمّد رسول الله لأنه كان نقش خاتم النبي ﷺ، وفي حديث عمر: " لا تنقشوا في خواتيمكم العربية " وعن ابن عمر أنه كان يكره أن ينقش في الخاتم القرآن .

---

[٢١٤] رواه الإمام أحمد في المسند ١٨/١٩، تحقيق التركي، والنسائي في كتاب الزينة رقم (٥٢٠٩)، والبيهقي في السنن الكبرى ١٢٦/٩ من طريق الأزهر بن راشد عن أنس ابن مالك به، وإسناده ضعيف لجهالة الأزهر هذا، ورواه البخاري في التاريخ الكبير ١٦/٤ من طريق سليمان بن أبي سليمان مولى بني هاشم عن أنس بن مالك به، وهذا أيضاً إسناد ضعيف لجهالة سليمان هذا، إلا أنه صح الجزء الثاني من الحديث وهو قوله: " ولا تنقشوا في خواتيمكم عربياً " رواه البخاري في التاريخ الكبير ٤٥٥/١ بسند صحيح.

[٢١٥] الإمام الحافظ أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني النسائي صاحب السنن ولد بنسا سنة ٢١٥هـ، وسمع من قتيبة بن سعيد وهشام بن عمار وعلي بن حُجر وجمع وعنه أبو القاسم الطبراني وأبو بشر الدولابي، وأبو علي الحسين النيسابوري وغيرهم. قال السبكي سألت شيخنا الذهبي: ايهما أحفظ مسلم أو النسائي فقال النسائي. اهـ. له السنن الكبرى، وأما الصغرى (المجتبى) فمن جمع تلميذه ابن السني على ما ذكره الذهبي في سيرته، وله الخصائص والضعفاء وغيرها، توفي رحمه الله تعالى بفلسطين سنة ٣٠٣هـ. طبقات الشافعية ١٤/٣، سير أعلام النبلاء ١٢٥/١٤.

[٢١٦] عبد بن حميد بن نصر الكشي أبو محمّد، سماه أبو حاتم في الثقات بعبد الحميد، روى عن عبد الرزاق وأبو داود ويحيى بن آدم وغيرهم، وعنه مسلم والترمذي والبخاري معلقاً وغيرهم، كان ممن جمع وصنف. توفي رحمه الله تعالى سنة ٢٤٩هـ... تهذيب التهذيب ٥٣٤/٣.

وقال ابن عبد البر قال ابن القاسم [٢١٩] سئل مالك عن النصراني يستكتب؟ قال لا أرى ذلك، وذلك أن الكاتب يستشار، فيستشار النصراني في أمر المسلمين؟ ما يعجبني أن يستكتب، وذكر ابن عبد البر أنه استأذن على المأمون [٢٢٠] بعض شيوخ الفقهاء فأذن له، فلما دخل عليه رأى بين يديه رجلاً يهودياً كاتباً له عنده منزله وقربه لقيامه بما يصرفه فيه ويتولاه من خدمته فلما رآه الفقيه قال: وقد كان المأمون أومأ إليه بالجلوس، فقال: أتأذن لي يا أمير المؤمنين في إنشاد بيت حضر قبل أن أجلس؟ قال نعم، فأنشده:

إن الذي شُرِّفتَ من أجله يزعم هذا أنه كاذب

وأشار إلى اليهودي، فخجل المأمون ووجم ثم أمر حاجبه بإخراج اليهودي مسحوباً على وجهه فأنفذ عهداً بإطراحه وإبعاده وأن لا يستعان بأحد من أهل الذمة في شيء من أعماله. قال ابن عبد البر كيف يؤتمن على سر، أو يوثق به في أمر، ومن وقع في القرآن، وكذَّب النبي عليه السلام؟ وقد أمر الناصر لدين الله [٢٢١] أن لا يستخدم في الديوان بأحد من أهل الذمة، فكتب إليه عن أبي منصور بن رطيناً النصراني إنا لا نجد كاتباً يقوم مقامه، فقال نقدِّر أن رطيناً مات هل كان يتعطل الديوان؟ فحينئذ أسلم وحسن إسلامه [٢٢٢] اهـ.

=[٢١٧] الحسن بن أبي الحسن البصري الأنصاري، مولاهم، ثقة فقيه فاضل، ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر، وروى عن أنس وجابر وغيرهم، قال أنس سلوا الحسن فإنه حفظ ونسينا قال الذهبي: وأما مسألة القدر فصح عنه الرجوع عنها، وأنها زلة لسان. توفي رحمه الله سنة ١١٠هـ. انظر: ميزان الاعتدال ٤٨٣/١، تهذيب التهذيب ٤٨١/١، التقريب رقم (١٢٢٧).

=[٢١٨] سورة آل عمران، آية ١١٨.

[٢١٩] عبد الرحمن بن القاسم بن خالد بن جنادة العُتقي، أبو عبد الله المصري الفقيه صاحب مالك ثقة مات سنة ١٩١هـ رحمه الله تعالى. التقريب رقم (٤٠٠٦).

[٢٢٠] أبو العباس عبد الله بن هارون الرشيد سابع خلفاء بني العباس في العراق، ولد سنة ١٧٠هـ كان أحد أعظم الملوك لولا المحنة بخلق القرآن، سمع من أبيه وهُشيم وعباد بن العوام وغيرهم، وعنه ولده الفضل وابن أكثم وغيرهم، وكان مفرطاً في التشيع، لما كبر عني بالفلسفة فجرّه إلى القول بخلق القرآن، امتحن العلماء بذلك فآذاهم فأجاب من أجاب وامتنع من امتنع. توفي في بذندون سنة ٢١٨هـ. تاريخ الخلفاء ص٣٠٦، الأعلام ١٤٢/٤.

[٢٢١] هو الملك المقلب بأمير المؤمنين أبو المطرِّف عبد الرحمن بن مُحَمَّد بن عبد الرحمن الداخل بن هشام بن عبد الملك المرواني، ولي وعمره اثنتان وعشرون سنة فضبط الممالك وخافه الأعداء، وكان رحمه الله ينطوي على دين وحسن خلق ومزاح، افتتح سبعين حصناً قال الذهبي في نهاية ترجمته: وإذا كان الرأس عالي الهمة في الجهاد، احتملت له هنات =

ثانياً؛ حكم الاستعانة بالكفار على الدولة المسلمة أو الطائفة المسلمة – كأهل البغي :

أهل البغي؛ طائفة من المسلمين تخرج على الإمام الشرعي بتأويل سائغ ولا يكونون كفاراً بمجرد خروجهم لأنهم ما خرجوا إلا بتأويل سائغ بل ولا يكونون فساقاً عند بعض العلماء .

قال الإمام تقي الدين ابن تيمية رحمه الله [٢٢٣] ما نصه: " وأما إذا كان الباغي مجتهداً ومتأولاً ولم يتبين له أنه باغ بل اعتقد أنه على الحق وإن كان مخطئاً في اعتقاده. لم تكن تسميته (باغياً) موجبة لأثمه، فضلاً عن أن توجب فسقه. والذين يقولون بقتال البغاة المتأولين يقولون: مع الأمر بقتالهم قتالنا لهم لدفع ضرر بغيهم لا عقوبة لهم بل للمنع من العدوان ويقولون إنهم باقون على العدالة لا يفسقون " اهـ.

ومما استدل به القائلون بعدم تفسيق أهل البغي قوله تعالى {وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون} [٢٢٤]. وجه الدلالة من الآيات أنه قال {إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم} ثم إن البغاة إذا خرجوا على الإمام والحالة هذه وجب عليه أن يدعوهم ويسألهم ما ينقمون منه فإن ذكروا مظلمة أزالها وإن ذكروا شبهة كشفها، فإن استمروا في الخروج بعد ذلك استعان بالله وقاتلهم، ولا يجوز له أن يستعين بالكفار على قتالهم كما لا يجوز الاستعانة بالكفار على قتال الدولة المسلمة التي حصل بينه وبين حاكمها نزاع أو خلاف لأن في الاستعانة بالكافرين تسليطاً لهم على المسلمين ولا يجوز لأحد أن يسلط كافراً على مسلم {ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً} [٢٢٥] .

وقد اتفق من يعتد بقوله من علماء الأمة وفقهائها على أنه لا يجوز للحاكم المسلم أن يستعين بالدولة الكافرة على المسلمين بأي حال من الأحوال وذلك للأمور التالية:

= وحسابه على الله، أما إذا أمات الجهاد، وظلم العباد، وللخزائن أباد، فإن ربك لبالمرصاد اهـ. توفي والينا هذا سنة ٣٥٠هـ وله اثنتان وسبعون سنة رحمه الله تعالى. سير أعلام النبلاء ٥٦٢/١٥.

[٢٢٢] الآداب الشرعية ٤٤٤/٢.

[٢٢٣] الفتاوى ٧٦/٣٥.

[٢٢٤] سورة الحجرات، آية ٩-١٠.

[٢٢٥] سورة النساء، آية ١٤١.

١) ما قدمناه من النصوص من الكتاب والسنة وأقوال العلماء من منع الاستعانة بالكفار على الكفار فإن كان هذا هو الراجح – أعني منع استعانة المسلمين بالكفار على الدولة الكافرة – فمن باب أولى منع الاستعانة بهم على الدولة المسلمة .

٢) الكفار أعداء للمسلمين عداوة عقيدة ودين، ومعلوم أن الكفار إذا مكنوا من قتال المسلمين انتقموا منهم واستأصلوا شأفتهم لما يضمرون لهم من البغضاء والعداء [٢٢٦].

قال تعالى: {إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداءاً ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون} [٢٢٧].

وقال سبحانه: {يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالاً ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر – إلى قوله – وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ} [٢٢٨]، وقال تعالى: {ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة} [٢٢٩].

٣) وبالنسبة لأهل البغي فالعلة في جواز قتالهم هي كفهم وردهم إلى الطاعة لا قتلهم وإبادتهم وبهذا يعلم أنه لا حاجة إلى الكفار فلم تجز الاستعانة بهم.

٤) أن الاستعانة بالكفار في تلك الحال موالاة لهم وركون إليهم وقد قال تعالى: {ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار} [٢٣٠].

٥) ثم إن في الاستعانة بهم تعزيزاً وتقوية لبعض المسلمين على بعض وإشعالاً للحروب بينهم ودافعاً لهم على التنازع على الرئاسة والملك وذلك مالا يقره الشرع بحال بل إنه يدعو المسلمين في تلك الحال إلى الإصلاح فيما إذا كانوا جميعاً طلاب حق أو ملك أو رئاسة فإذا كانت إحدى الطائفتين المتحاربتين هي المحقة فالمقصود من قتالها للأخرى دفع بغيها لا إبادتها وذلك يتحقق بدون الاستنصار بالكفار.

---

[٢٢٦] كما حصل مثل ذلك للشعب المسلم في العراق حينما تسلط عليهم الكفار من الأمريكان والانجليز بسبب استعانة بعض الحكام بهم على قتالهم فقد دمروا العراق وقواته واذاقوا شعبه الوبال فاصبح هذا الشعب المسلم يعاني من الأمراض ونقص الغذاء والدواء كل ذلك نتيجة تسلط هذه الدول الكافرة على هذا الشعب المسلم بسبب تلك الاستعانة وطلب النصرة منهم والتأييد.

[٢٢٧] سورة الممتحنة، آية ٢

[٢٢٨] سورة آل عمران، الآيات ١١٨-١١٩.

[٢٢٩] سورة النساء، آية ١٠٢.

[٢٣٠] سورة هود، آية ١١٣.

٦) والاستعانة بالكفار تمكين لهم في كسر شوكة المسلمين والقضاء عليها بل ربما إبادتهم أو طردهم من بلادهم والاستيلاء عليها وكفى بالتاريخ شاهداً على ما نقول فالمسلمون في الأندلس مثلاً وقعت بينهم الفتن العظيمة واستنصر بعضهم بالنصارى على إخوانهم المسلمين حتى هلكوا جميعاً وزال سلطان المسلمين هناك والأمر لله من قبل ومن بعد .

٧) والاستعانة بهم كذلك سلم لهم للتدخل في شؤون المسلمين الخاصة والاطلاع على عورات المسلمين ومكامن الضعف والقوة فيهم الأمر الذي قد يجعلهم سادات وحكام يحتكم إليهم المسلمون بل ربما آل الأمر بأولئك إلى حشد جيوشهم وسلاحهم في بلاد المسلمين باسم المحافظة على الأمن وفض النزاع ونصرة المستضعفين والمظلومين وذلك بمجرد توجيه أدنى إشارة إليهم للنجدة والنصرة من بعض من في قلوبهم مرض من المسلمين أهـ [٢٣١].

وقد ذهب بعض العلماء إلى أن من صور الاستعانة بالكفار على أهل البغي ما يكون كفراً [٢٣٢].

قال الإمام أبو مُحَمَّد علي بن حزم في المحلى: " وأما من حملته الحمية من أهل الثَّغر من المسلمين فاستعان بالمشركين الحربيين وأطلق أيديهم على قتل من خالفه من المسلمين أو على أخذ أموالهم أو سبيهم فإن كانت يده هي الغالبة وكان الكفار له كأتباع فهو هالك في غاية الفسوق ولا يكون بذلك كافراً لأنه لم يأت شيئاً وجب به عليه كفرٌ قرآن أو إجماع وإن كان حكم الكفار جارياً عليه فهو بذلك كافر على ما ذكرنا فإن كانا متساويين لا يجري حكم أحدهما على الآخر فما نراه بذلك كافراً والله أعلم " [٢٣٣]. وهذا الحكم أعني منع الاستعانة بالكفار شامل للكفار الحربيين وأهل الذمة والمرتدين قال الإمام أبو مُحَمَّد علي بن حزم أيضاً [٢٣٤]: " هل يستعان على أهل البغي بأهل الحرب أو بأهل الذمة أو بأهل بغي آخرين قال أبو مُحَمَّد رحمه الله: اختلف الناس في هذا فقالت طائفة لا يجوز أن يستعان عليهم بحربي ولا بذمي ولا بمن يستحل قتالهم مدبرين وهذا قول الشافعي ﷺ وقد ذكرنا في كتاب الجهاد قول رسول الله ﷺ: " إنا لا نستعين بمشرك " [٢٣٥] وهذا عموم مانع من أن يستعان بهم في ولاية أو قتال أو شيء من الأشياء إلا ما صح الإجماع على جواز الاستعانة بهم فيه كخدمة الهداية أو الاستئجار أو قضاء الحاجة وغير ذلك ممالا يخرجون فيه عن الصغار والمشرك يقع على الذمي والحربي " اهـ.

---

[٢٣١] انظر: الاستعانة، ص٢٩٩.

[٢٣٢] وذلك في حالة ما إذا كان حكم الكفار جارٍ على المستعين لهم وغالب عليه.

أما من قال من المنتسبين للعلم بجواز الاستعانة بالكفار على قتال أهل البغي عند الضرورة فليس له حجة ولا دليل من كتاب ولا سنة ولا أثر صحيح.
قال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ رحمه الله: " أما استنصار المسلم بالمشرك على الباغي فلم يقل بهذا إلا من شذ واعتمدها القياس ولم ينظر إلى مناط الحكم والجامع بين الأصل وفرعه ومن هجم على مثل هذه الأقوال الشاذة واعتمد في نقله وفتواه فقد تتبع الرخص ونبذ الأصل المقرر عند سلف الأمة وأئمتها المستفاد من حديث الحسن وحديث النعمان بن بشير " أهـ [٢٣٦].

الاستعانة بالكفار في غير مباشرة القتال

هذا النوع من الاستعانة بالكفار له حالات:
الحالة الأولى: الاستعانة بهم في الأعمال الكتابية والحسابية والإدارة ونحو ذلك، وهذا تقدم الكلام فيه وذكرنا موقف أمير المؤمنين عمر بن الخطاب من هذه المسألة وتشديده النكير على أبي موسى ﵁ حين استكتب نصرانياً وتقدم أيضاً عنه ﵁ أنه كتب لعماله في الآفاق: أما بعد فإنه من كان قبله كاتب من المشركين فلا يعاشره ولا يوادده ولا يجالسه ولا يعتضد برأيه فإن رسول الله ﷺ لم يأمر باستعمالهم ولا خليفته من بعده وعندما كتب إليه معاوية يستشيره في الاستعانة بالكفار في الكتابة والحساب نهاه وقال: عافانا الله وإياك فإن النصراني قد مات والسلام.
وكذلك تقدم موقف الخليفة عمر بن عبد العزيز في هذا حيث كتب لعماله في الآفاق قائلاً: أما بعد فإن عمر بن عبد العزيز يقرأ عليكم من كتاب الله {يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس} [٢٣٧]، فجعلهم نجساً حزب الشيطان إلى قوله: فلا أعلم أن أحداً من العمال أبقى في عمله رجلاً متصرفاً على غير دين الإسلام إلا نكّلت به فإن محوا عمالكم كمحو دينهم وأنزلوهم منزلتهم التي خصهم الله بها من الذل والصغار اهـ.

=[٢٣٣] المحلى ٢٠٠/١١، المسألة ٢١٩٨.
=[٢٣٤] المحلى ١١٢/١١، مسألة ٢١٥٨.
=[٢٣٥] سبق تخريجه ص٤٣٦.
[٢٣٦] مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ٦٨/٣.
[٢٣٧] سورة التوبة، آية ٢٨.

ثم إن الاستعانة بالكفار في هذا المجال يتيح لهم الفرصة في إيقاع الضرر بالمسلمين وخيانتهم والاطلاع على أسرارهم وإبلاغها لقومهم أعداء الإسلام والمسلمين ويمكنهم من معرفة مكامن القوة والضعف والاطلاع على طرق المسلمين ومسالكهم فيبلغون قومهم بذلك وهذا فيه أكبر الضرر على المسلمين.

ولهذا فإن مذهب جمهور علماء الأمة وفقهائها أعني عدم جواز الاستعانة بالكفار ذميين كانوا أم غيرهم في الوظائف الهامة كالكتابة والإدارة والحساب والوزارة التنفيذية وغير ذلك هو الراجح من أقوال العلماء في هذه المسألة للأمور التالية:

١) لوجود الأدلة الكثيرة وهي ظاهرة الدلالة.

٢) ولأنه لم يعهد أن أحداً من ولاة المسلمين في صدر الإسلام ولىّ ذمياً شيئاً من تلك الولايات.

٣) ولاة الوظائف العامة فيها ولاية وسلطة وصلاحيات كثيرة تخوِّل صاحبها العمل والحزم والحل والعقد والكافر لا سلطان له على المسلمين كما قال جل ثناؤه {ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً} [٢٣٨] .

٤) ثم إنها وظائف غير مناسبة للكافر لأنها تتطلب أمراً مهماً هو الإيمان بأهمية هذه الوظائف وأنها أمانة عظيمة ومسؤولية شرعية وهذا لا يوجد إلا في المسلم لأن الدولة كلها تقوم على العقيدة الإسلامية والفكر الإسلامي فهي دولة عقدية فكرية ذات أصول ثابتة وليست دولة دنيوية صرفه، ومن غير المعقول أن تسند الأعمال المهمة في هذه الدولة إلى من لا يؤمن بأصولها وأسسها.

٥) فإن هذه الوظائف لها أهمية بالغة لما تنطوي عليه من الأسرار التي لا يتسع لها قلب الكافر بل لا ينبغي أن يطلع عليها [٢٣٩].

٦) معلوم أن الكفار أعداء للمسلمين عداوة ظاهرة وأنهم يتمنون أن تكون لهم سلطة على المسلمين فينتقموا منهم بشتى أنواع الانتقام ويفرحون بكل ما يصيب المسلمين من ضرر وأذى منهم أو من غيرهم ويعتقدون أنه لا حرج عليهم في الاستيلاء على أموال المسلمين ومقدراتهم. قال تعالى: {ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا ما دمت عليه قائماً ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون} [٢٤٠].

---

[٢٣٨] سورة النساء، آية ١٤١.

[٢٣٩] الاستعانة ص٣٨٢.

[٢٤٠] سورة آل عمران، آية ٧٥.

قال في المذمة [٢٤١]: وقد أخبر الله سبحانه وتعالى عن أهل الكتاب أنهم يعتقدون أنهم ليس عليهم إثم ولا خطيئة في خيانة المسلمين وأخذ أموالهم فقال تعالى: {ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا ما دمت عليه قائماً ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون} (٢). وهذه صفة قبط مصر فإنهم الذين زعموا أنهم ليس عليهم في الأميين سبيل وأن لهم أخذ أموالهم وأنفسهم مجاناً في مقابلة ما أخذوا من أموال النصارى وأنفسهم في الزمان الغابر. اهـ.

أما استعانة المسلمين بالكفار في الخدمة كالدلالة على الطريق واستئجارهم في الخدمة العامة البعيدة عن الحرب والقتال فهذا لا بأس به لأنه لا يخرجهم عن الذلة والصغار.

قال الإمام أبو مُحَمَّد بن حزم بعد أن ذكر منع الاستعانة بالكفار حربيين كانوا أم ذميين قال: " وهذا عموم مانع من أن يستعان بهم في ولاية أو قتال أو شيء من الأشياء إلا ما صح الإجماع على جواز الاستعانة بهم فيه كخدمة الهداية أو الاستئجار أو قضاء الحاجة وغيره مما لا يخرجون فيه عن الصغار " [٢٤٢]. ونقل ابن عبد البر في التمهيد عن الإمام مالك قوله: " ولا أرى أن يستعان بالمشركين على قتال المشركين إلا أن يكونوا خدماً أو نواتيه [٢٤٣] " أهـ [٢٤٤].

أما استعانة الدولة المسلمة بأموال الدولة الكافرة فلا يخلوا إما أن يكون على وجه القرض أو الهبة، فإن كان على سبيل القرض فعمومات النصوص من الكتاب والسنة على تحريم الاستعانة بالكفار تدل على منع الاستقراض منهم لأن العلة التي من أجلها نهى الشارع عن الاستعانة بالكفار موجودة في الاستقراض منهم، ولأن الاستقراض من الكفار يترتب عليه أمور منها:

١) أن فيه ذل وصغار على الدولة لأنه من سؤال الند لنده.

٢) أن الدولة الكافرة لن تقرض الدولة المسلمة تعاطفاً معها أو رحمة بها أو إكراماً لها بل لما ترجوه من الحصول على الفوائد والأرباح فهي إما أن تأخذ فائدة معينة على القرض وهو صريح الربا، وأما أن تشترط على الدولة شروطاً تستفيد منها وتكون مرهقة للدولة المسلمة بل خزياً وعاراً عليها.

---

[٢٤١] المذمة في استعمال أهل الذمة، ص٤٨.

[٢٤٢] المحلى ١١٢/١٢

[٢٤٣] انظر ص ٤٤٢ من هذا الكتاب.

[٢٤٤] التمهيد ٣٥/١٢.

٣) أن الدولة الكافرة ولا سيما المحاربة ربما اتخذت من القروض أسلوباً لاستعمار المسلمين وأرضهم فإنها تفتح صدرها للدولة المسلمة للاقتراض منها كما تشاء فتتراكم الديون حتى تعجز الدولة المسلمة عن وفائها فيكون ذلك سلماً للاستعمار الحقيقي أو المعنوي وهذه علامة الانتكاس والإفلاس للدولة المسلمة وفي العصر الحديث أثبتت ذلك دول الكفر عملياً.

٤) أن في الاستقراض من الكفار ركوناً إليهم وموالاة لهم وخضوعاً لسلطانهم.

الحالة الثانية: الاستعانة بأموال الدولة الكافرة عن طريق الاستيهاب فهذا آكد منعاً وأغلظ تحريماً لما يترتب عليه من ذل وهوان وصغار وركون إلى الكفار وموالاتهم ولأن في الاستيهاب مسألة والمسألة نهى الشارع عنها بين المسلمين أنفسهم لا سيما إذا كان السؤال للكفار، وقد ورد ذم المسألة في نصوص كثيرة منها ما رواه البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: " ما يزال الرجل يسأل الناس حتى يأتي يوم القيامة وليس في وجهه مزعة لحم " [٢٤٥]، وقال تعالى {ولاتهنوا ولاتحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين} [٢٤٦]، وقال {ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين} [٢٤٧]، ولأن سؤال الكفار يكشف ضعف المسلمين وفقرهم وفاقتهم وحاجتهم إلى الدولة الكافرة ، الأمر الذي يفرحهم ويسرهم بل ويجرئهم على العدوان ونقض العهود ، كما قال تعالى {إن تمسسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً إن الله بما يعملون محيط} [٢٤٨].

حكم الاستعانة بالكفار في الأمور المعنوية:

لقد بينا فيما سبق أن الاستعانة بهم لا تجوز مطلقاً سواء أكانت الاستعانة بهم في الحرب والقتال أم في الإدارة والكتابة وسائر الأعمال وبرهنّا على ذلك بنصوص من كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وذكرنا أقوال علماء الأمة في ذلك وفي هذا الفصل نبين حكم الاستعانة بهم من حيث المعنى مثل وقوفهم إلى جانب قضايانا وتصويتهم معنا في المحافل الدولية لأن ذلك لا يعدو الأقوال

[٢٤٥] رواه البخاري في صحيحه في كتاب الزكاة رقم (١٤٧٤)، ومسلم في كتاب الزكاة رقم (١٠٤٠).

[٢٤٦] سورة آل عمران، آية ١٣٩.

[٢٤٧] سورة المنافقون، آية ٨.

[٢٤٨] سورة آل عمران، آية ١٢٠.

دون الفعال فهم وإن وقفوا مع المسلمين وأيدوا قضاياهم بالقول فلن يفعلوا شيئاً يكون فيه نصرة للمسلمين أو نفعٌ لهم لأنهم أعداء للإسلام والمسلمين ويفرحون بكل ما من شأنه أن يضر بقضايا المسلمين وكل عداوة قد يرجى زوالها إلا العداوة في الدين كما قال الشاعر:

كل العدوات قد ترجى مودتهاإلا عداوة من عاداك في الدين

والواقع شاهد على ما نقول فقد أبيد المسلمون في البوسنة والهرسك من قبل النصارى ودامت الحرب سنوات والأمم الكافرة تشجب وتستنكر في هيئة الأمم وفي غيرها من المحافل الدولية وتهدد لكن لم يحصل فعل وكذلك في إقليم كوسوفا فمنذ أكثر من سنة والصرب يبيدون المسلمين ويجلونهم من ديارهم ويحرقونها والغرب يشجب ويستنكر ويتوعد بضربات عسكرية ضد صربيا لكنه لم يفعل شيئاً.

قال الدكتور عبد الله بن إبراهيم الطريقي: " إن عصراً مثل عصرنا الذي قويت فيه شوكة الباطل ودالت له الدولة وضعفت فيه الأمة الإسلامية وتفرقت دويلاتها مزقاً وضاعت فيه حقوقها واغتصبت أراضيها وانتهكت حرماتها في كثير من بلدانها إن عصراً كهذا قد يدعو المسلمين إلى عملٍ ما يملكونه وما يستطيعونه لتوجيه أنظار العالم إلى قضاياهم الضائعة وحقوقهم المغتصبة وإقناعه بأهميتها ومن ثم طلب ضم الصوت لصالحهم بالتنديد بأعمال العدو المغتصب وضرورة إعادة الحقوق إلى أصحابها. ويمكن أن نضرب لذلك مثلاً بقضية المسلمين في " فلسطين " التي اغتصبها اليهود وأقاموا فيها دولتهم على مرأى ومسمع من العالم فهل مثل هذا العمل مشروع؟

إن الإجابة عن هذا السؤال تستدعي إثارة سؤالين هما:

الأول: هل من فائدة في استجداء الكفار واستعطافهم واسترحامهم؟

الثاني: ماواجب المسلمين حينما يحصل الاعتداء من الكفار على ديارهم ومقدساتهم؟

ونجيب عن السؤال الأول فنقول: لعل مما لا ينكر شرعاً أو واقعاً أن استجداء الكفار واستعطافهم ما هو إلا ذل وصغار للمسلمين ولا يزيدهم إلا وهناً ولا يزيد الكافرين إلا عزة واستكباراً وأنفه، وصدق الله جل ثناؤه إذ يقول:{الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعاً}[٢٤٩]، وإذ يقول:{إن تمسسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً إن الله بما يعملون محيط}[٢٥٠]،

---

[٢٤٩] سورة النساء، آية ١٣٩.

[٢٥٠] سورة آل عمران، آية ١٢٠.

ففي الآية الأولى ينكر الله على من يطلب العزة من الكفار ولا شك أن طلب ضم الصوت منهم يعتبر طلباً للعزة وفي الثانية يخبر الله تعالى عن الكفار أنهم يساءون حينما يصيب المسلمين خير ويفرحون إذا أصيبوا بشر فطلب التصويت منهم إذن لا جدوى فيه.

والجواب على السؤال الآخر: إن واجب المسلمين عند وقوع الاعتداء من الكفار أن يردوا الاعتداء بمثله ويدافعوا عن حقوقهم بلا خلاف وإن كان الأمر كذلك فإن استجداء الكفار بأن يصوتوا في صالح القضايا الإسلامية أمر عديم الفائدة ولا طائل تحته بل هو استجداء للمشركين وخضوع لهم ولعل واقع المسلمين المعاصر يصور لنا ذلك في أوضح الصور فالقضية الفلسطينية مثلاً ماذا استفادت من استجداء العرب لدول الكفر واستعطافهم لهم فكم من البيانات المشتركة والقرارات بين دول العالم الإسلامي وبين بعض دول الكفر التي صدرت تستنكر وتندد بشدة " ظاهرياً " بأعمال اليهود فإنها مهما قيل وادعى من حصول المكاسب من ورائها فهو هراء.

لهذا نقول إن طلب التصويت أمر غير مشروع لما عرفناه وواجب المسلمين تجاه حقوقهم المغتصبة والمنتهكة أن يوحدوا صفوفهم ويعيدوها بالجهاد ولا شيء غير ذلك " [٢٥١].

خاتمة:

إن المستعرض لهذا البحث على اختصاره يلاحظ أنه اشتمل على كثير من الأحكام المتعلقة بجزيرة العرب حيث تضمن بيان موقعها وحدودها وأحكام إقامة الكفار فيها فقد بينت ذلك كله بياناً واضحاً وسقت ما ورد في ذلك من النصوص الشرعية وذكرت ما تضمنته القواميس اللغوية، وذكرت المعول عليه من كلام العلماء في حكم إقامة اليهود والنصارى وغيرهم من الكفار في هذه الجزيرة كما تضمن البحث بيان حكم الاستعانة بالكفار في القتال وفي غيره من الأعمال الأخرى كالإدارة والكتابة والوزارة وغيرها وبينت ما شبَّه به المجيزون للاستعانة بالكفار من الأدلة وأوضحت أن ما ذكروه من الأدلة لاينهض للاستدلال إما لضعفه وإما لعدم وضوح دلالته وإما لاضطرابه متناً وسنداً وبهذا تم البحث راجياً من الله أن يجعله خالصاً لوجهه وأن ينفع به ونظراً إلى أنني بشر والبشر معرض للخطأ فارجو ممن قرأه وعثر على خطأ فيه أن ينبهني على ذلك فأكون شاكراً له.

هذا وقد فرغت من إملائه يوم الاثنين الموافق ١٥ شوال عام ١٤١٩هـ .

---

[٢٥١] الاستعانة ص ٣٠٥ – ٣٠٦.

بسم الله الرحمن الرحيم

حكم إقامة اليهود والنصارى في جزيرة العرب وتملكهم العقارات واستثمارها

وردنا سؤال من بعض أهالي القدس الشريف هذا نصه :

فضيلة الشيخ حمود بن عبدالله بن عقلاء الشعيبي حفظه الله تعالى .

ما حكم إقامة اليهود والنصارى والمشركين في جزيرة العرب، وما حكم تمليكهم العقارات والدور، ألا يخشى أن يصبح تملكهم للعقار في البلدان التي سبق وأن سكنوها احتلالا لها كما حصل ذلك في فلسطين .. أفتونا جزاكم الله خير ...

الجواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ... أما بعد .

فقد اتفق من يعتد بقوله من فقهاء الأمة وعلمائها على أنها لا تجوز إقامة اليهود والنصارى والمشركين في جزيرة العرب، لا إقامة دائمة ولا مؤقتة ما عدى أن بعض العلماء يرى جواز إقامتهم ثلاثة أيام للضرورة ولا يجوز لمسلم أن يأذن لهم في دخولها للإقامة، معتمدين على الأحاديث الصحيحة عن النبي عليه الصلاة والسلام والآثار الثابتة عن الصحابة رضي الله عنهم .

فمن تلك النصوص ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ أوصى قبل موته بثلاث : (أخرجوا المشركين من جزيرة العرب)(١) متفق عليه . وفي صحيح مسلم من طريق أبي الزبير أنه سمع جابر بن عبدالله يقول : أخبرني عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : (لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أدع فيها إلا مسلما)(٢) . ومنها ما رواه الإمام أحمد في مسنده من طريق محمد بن إسحاق قال حدثني صالح بن كيسان عن الزهري عن عبيد الله بن عبدالله بن عتبة عن عائشة قالت : (كان آخر ما عهد به رسول الله ﷺ أنه قال : لا يقين بجزيرة العرب دينان)(٣). وروى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : بينما نحن في المسجد إذ خرج علينا رسول الله ﷺ فقال : (انطلقوا إلى يهود، فخرجنا معه حتى جئنا بيت المدراس فقام النبي ﷺ فنادى : يا معشر يهود : أسلموا تسلموا، فقالوا قد بلغت يا أبا القاسم . فقال : ذلك أريد، ثم قالها الثانية، فقالوا : قد بلغت يا أبا القاسم، ثم قالها في الثالثة فقال :

---

(١) رواه البخاري (٣٠٥٣).

(٢) رواه مسلم (١٧٦٧).

اعلموا أن الأرض لله ورسوله وإني أريد أن أجليكم فمن وجد منكم بماله شيئا فليبعه وإلا فاعلموا أنما الأرض لله ورسوله)(٣) .

وهذه النصوص وغيرها مما لم أورده تدل دلالة قاطعة على أنه لا يجوز لليهود والنصارى وغيرهم من الكفار أن يبقوا في جزيرة العرب، وهي كما ترى في مكان من حيث الصحة والصراحة ووضوح المعنى والأحكام بحيث لا يمكن الطعن فيها بالتضعيف أو التأويل أو دعوى النسخ، وذلك أنها مخرجة في الصحيحين وبعضها في المسند وبعضها في السنن .

وقد اتفق العلماء على أن ما اتفق على إخراجه البخاري ومسلم رحمهما الله أنه يفيد العلم اليقيني، لأن الأمة تلقته بالقبول والتصديق فلا مجال للطعن فيما اتفق عليه البخاري ومسلم، أما عدم جواز تأويلها فذلك لأجل صراحة ألفاظها ووضوحها وكونها نصا في الموضوع لا يحتمل لفظها معنى غير المعنى الظاهر منها، وما كان كذلك فلا يصح تأويله عند علماء الأصول وغيرهم من العلماء، إنما الذي يجوز تأويله من النصوص هو الذي يكون لفظا محتملا لمعنيين فيرجح أحدهما لأجل قرينة تحف به . أما كونها محكمة وغير قابلة للنسخ فلأجل أن النبي عليه الصلاة والسلام أمر وأوصى بإخراجهم من جزيرة العرب في آخر حياته كما سبق عن عائشة ﵂ قالت : كان آخر ما عهد به رسول الله ﷺ أنه قال : (لا يبقين في جزيرة العرب دينان) . فإذا كان الأمر كذلك فدعوى النسخ غير واردة لمعرفة تأخر تأريخ تكلمه صلى الله عيه وسلم بذلك .

هذا ما يتعلق في بيان حكم إقامة اليهود والنصارى في جزيرة العرب من غير تملك للعقارات من دور ومزارع وضيعات، ومن أراد الاستزادة في هذه المسألة فليراجع كتابي (القول المختار في حكم الاستعانة بالكفار) ..

أما إذا سمح لهم امتلاك العقارات فسوف يترتب على ذلك مفاسد متعددة دينية واجتماعية واقتصادية، منها :

أولا :مصادمة النصوص المحرمة لإقامتهم في جزيرة العرب لأن تملكهم يكرس لإقامتهم دائما فيها .

ثانيا :إذا كانوا يقيمون في أملاكهم فسوف يتسلطون على المسلمين ويتعالون عليهم ويؤذونهم .

---

(٣) مسند أحمد (٢٦٣٥٢) قال الشيخ شعيب الأرناؤوط: صحيح لغيره ، وهذا إسناد حسن.

ثالثا : بعض أهل الكتاب من يهود ونصارى لهم مطامع تاريخية في بعض البلاد كخيبر وفدك وتيماء والمدينة المنورة ونجران، وفي بلدان في اليمن، فيخشى أن يترتب على تملكهم لشيء من هذه البلدان احتلالها كما فعلوا ذلك في فلسطين .
رابعا : تملكهم للعقار يدفع إلى التطبيع الخفي مع اليهود إذ من المعلوم أن بعض الشركات الكبرى العظيمة يهودية الجنسية .

خامسا : أنهم إذا أصبحوا ملاّك عقارات فسيطالبون بالترفيه السياحي والاجتماعي وهي ترفيهات محرمة من الشاليهات والمسارح ودور السينما؛ لأن هذا جزء من حياتهم الغربية ، وسيقومون باستثمار شركاتهم بطرق تجارية محرمة كالمعاملات الربوية، وتوسعها وظهور شركات التأمين المحرمة بأنواعها . كما أن هذه الشركات الأجنبية سوف تعمل وفق سياستها وقوانينها ومبادئها وليس وفق الشريعة، ومن ثم سوف تطالب بأن تكون مستثناة من أحكام الشريعة وأن يسعها الخروج عن شريعة محمد ﷺ .

سادسا : أن هؤلاء الكفار إذا سمح لهم بامتلاك العقارات واستثمار الشركات التجارية فسيترتب على ذلك انتشار الجريمة وتنوعها خصوصا الجريمة المنظمة، وانتشار التهريب وتجارة المخدرات والبغاء وغير ذلك .

هذا ونسأل الله أن ينصر دينه ويعلي كلمته إنه على كل شي قدير ، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

أملاه فضيلة الشيخ
أ. حمود بن عقلاء الشعيبي
١٤٢١/٤/١٠هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحاكم بغير ما أنزل الله

فتوى الشيخ حمود بن عقلاء الشعيبي في الحاكم الذي يحكم بغير ما أنزل الله .

فضيلة الشيخ حمود بن عقلاء الشعيبي .. حفظه الله تعالى

ما رأيكم حفظكم الله في مسألة الحاكم الذي يحكم بغير ما أنزل الله تعالى، ويعتذر له البعض بأنه لم يضع تلك القوانين المخالفة لشرع الله بنفسه وإنما وضعها غيره؟

الجواب:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين .. وبعد

فلا بد أولا من معرفة مسألتين مهمتين مرتبطتين بهذا الموضوع:

الأولى: مسألة التشريع

وهذه حق خاص مطلق لله وحده لا شريك له، لا يجوز إشراك غيره معه قال تعالى: ﴿ إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾(سورة يوسف آية:٤٠) وقال تعالى: ﴿ وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله ذلكم الله ربي عليه توكلت وإليه أنيب ﴾(سورة الشورى آية:١٠) ، وقال تعالى: ﴿ ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين ﴾(سورة الأعراف آية:٥٤) ، قال الطبري -رحمه الله-: (ألا له الخلق كله، والأمر الذي لا يُخالف ولا يُرد أمره، دون ما سواه من الأشياء كلها، ودون ما عبده المشركون من الآلهة والأوثان التي لا تضر ولا تنفع، ولا تخلق ولا تأمر). وقال البغوي -رحمه الله-: (له الخلق لأنه خلقهم، وله الأمر يأمر في خلقه بما شاء). وقال تعالى: ﴿ ولا يشرك في حكمه أحدًا ﴾(سورة الكهف آية:٢٦) ، قال شيخنا مُحَمَّد الأمين الشنقيطي -رحمه الله- في هذه الآية: (شامل لكل ما يقضيه جل وعلا، ويدخل في ذلك التشريع دخولا أوليًا). وقال تعالى: ﴿ إن الحكم إلا لله يقص الحق وهو خير الفاصلين ﴾(سورة الأنعام آية:٥٧) . وقال تعالى: ﴿ إن الحكم إلا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون ﴾ (سورة يوسف آية:٦٧) . وقال تعالى: ﴿ ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين ﴾(سورة الأنعام آية:٦٢) . وقال تعالى: ﴿ بل لله الأمر جميعا ﴾(سورة الرعد آية:٣١) . وقال تعالى: ﴿ والله يحكم لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب ﴾(سورة الرعد آية:٤١) .

وقال تعالى: ﴿ وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون ﴾ (سورة القصص آية:٦٨) .وقال تعالى: ﴿ وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون * وهو الله لا إله إلا هو له الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون ﴾(سورة القصص آية: ٧٠-٦٩) .
وقال تعالى: ﴿ ولا يصدنك عن آيات الله بعد إذ أنزلت إليك وادع إلى ربك ولا تكونن من المشركين * ولا تدع مع الله إلهاً آخر لا إله إلا هو كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون ﴾(سورة القصص آية:٨٨-٨٧) . وقال تعالى: ﴿ الله الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان وما يدريك لعل الساعة قريب ﴾(سورة الشورى آية:١٧) . وقال تعالى: ﴿ ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون * إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئًا وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض واللهُ ولي المتقين ﴾(سورة الجاثية آية: ١٩-١٨) .
وبهذا يتبين أن من شرع تشريعًا فيه مُخالفةٌ لما شرعه الله ورسوله فقد اعتدى على حق من حقوق الله تعالى التي اختص بها لنفسه، ويكفر بذلك الفعل حتى وإن لم يُحكم أو يُحَكم بما شرع من أنظمة وقوانين تضاد حكم الله تعالى.

الثانية: مسألة الحكم

قال تعالى: ﴿ أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكمًا لقوم يوقنون ﴾(سورة المائدة آية:٥٠) . وقال تعالى: ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ﴾(سورة المائدة آية:٤٤) . وقال تعالى: ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون ﴾(سورة المائدة آية:٤٧) . وقال تعالى: ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون ﴾(سورة المائدة آية:٤٥) .

وقال ابن تيمية – رحمه الله-: (إن الحاكم إذا كان دينًا لكنه حكم بغير علم كان من أهل النار، وإن كان عالما لكنه حكم بخلاف الحق الذي يعلمه كان من أهل النار، وإذا حكم بلا عدل ولا علم كان أولى أن يكون من أهل النار، وهذا إذا حكم في قضية معينة لشخص، وأما إذا كان حكمًا عامًا في دين المسلمين فجعل الحق باطلا والباطل حقًا، والسنة بدعة والبدعة سنةً، والمعروف منكرًا والمنكر معروفًا، ونهى عما أمر الله به ورسوله، وأمر بما نهى الله عنه ورسوله، فهذا لونٌ آخر يحكم فيه رب العالمين وإله المرسلين، مالك يوم الدين، الذي ﴿ له الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون ﴾(سورة القصص :٧٠).

﴿ هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدًا ﴾(سورة الفتح : ٢٨) . قال شيخنا مُحَمَّد بن إبراهيم –رحمه الله–: (السادس: ما يحكم به كثير من رؤساء العشائر والقبائل من البوادي ونحوهم، من حكايات عن آبائهم وأجدادهم وعاداتهم التي يسمونها [سلومهم] يتوارثون ذلك منهم، ويحكمون به، ويحضون على التحاكم إليها عند النزاع بقاءً على أحكام الجاهلية، وإعراضًا ورغبة عن حكم الله ورسوله، فلا حول ولا قوة إلا بالله).

وقال شيخنا مُحَمَّد الأمين الشنقيطي – رحمه الله– في تفسير قوله تعالى ﴿ ولا يشرك في حكمه أحدا ﴾ : (ويفهم من هذه الآيات كقوله تعالى: ﴿ ولا يشرك في حكمه أحدا ﴾ أن متبعي أحكام المشرعين في غير ما شرعه الله أنهم مشركون بالله، وهذا المفهوم مبينًا في آيات أخر كقوله فيمن اتبع تشريع الشيطان في إباحة الميتة بدعوى أنها ذبيحة الله: ﴿ ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليُجادلوكم وإن أطعتموهم إنكم لمشركون ﴾ فصرح بأنهم مشركون بطاعتهم، وهذا الإشراك في الطاعة واتباع التشريع المخالف لما شرعه الله تعالى، هو المراد بعبادة الشياطين في قوله تعالى: ﴿ ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين * وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم ﴾ ثم قال: (وبهذه النصوص السماوية التي ذكرنا يظهر غاية الظهور أن الذين يتبعون القوانين الوضعية التي شرعها الشيطان على ألسنة أوليائه مخالفة لما شرعه الله جل وعلا على ألسنة رسله صلى الله عليهم وسلم، أنه لا يشك في كفرهم وشركهم إلا من طمس الله بصيرته، وأعماه عن نور الوحي مثلهم) فالحاكم الذي يحكم بغير ما أنزل الله تعالى فهو كافر بالله تعالى خارجٌ عن شريعته، ولو لم يكن راض بها لما حكم بها فإن الواقع يكذبه فالكثير من الحكام لديه الصلاحيات في تأجيل الحكم، وتغيير الدستور، والحذف وغيرها . وإن تنازلنا وقلنا أنهم لم يضعوها ويشرعوها لشعوبهم فمن الذي ألزم الرعية بالعمل بها، ومعاقبة من خالفها، وما حالهم وحال التتار الذين نقل ابن تيمية وابن كثير –رحمهما الله– الإجماع على كفرهم ببعيد، فإن التتار لم يضعوا ولم يشرعوا [الياسق] بل الذي وضعه أحد حكامهم الأوائل ويسمى جنكيز خان، فصورة هؤلاء كحال أولئك.

وبذلك يتبين أن الحاكم بغير ما أنزل الله تعالى قد يقع في الكفر من جهة أو من جهتين، الأول من جهة التشريع، والثانية من جهة الحكم إن حكم.

أملاه فضيلة الشيخ أ. حمود بن عقلاء الشعيبي

١ / ١٢/ ١٤٢٠ هـ

فتوى في التحاكم إلى القوانين الوضعية

فضيلة شيخنا الشيخ حمود بن عبدالله بن عقلاء الشعيبي حفظه الله تعالى

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أما بعد .

فقد كثر في هذا العصر اعتماد الحكام في العالم الإسلامي والعربي وغيرهم على تحكيم القوانين الوضعية بدلا من تحكيم شرع الله فما هو الحكم على هؤلاء الحكام ؟

نرجوا أن يكون الجواب مدعما بالأدلة الشرعية من الكتاب والسنة وأقوال العلماء .

الجواب ..

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا مُحَمَّد على آله وصحبه أجمعين ، أما بعد ..

فإن الله سبحانه وتعالى عندما بعث نبيه مُحَمَّدا ﷺ بهذا الدين القويم الذي أخرج البشرية من الظلمات إلى النور ، وكان الناس إذ ذاك يهيمون في ظلمات الجهل والضلال ، غارقين في بحر الخرافات والتقاليد البالية ، التي ورثوها عن آبائهم وأسلافهم في جميع أمورهم ، في المعتقدات والعبادات والتقاضي والمحاكمات ، فكانت معتقداتهم وعباداتهم قائمة على الشرك بالله سبحانه وتعالى ، فيجعلون له شركاء وأندادا من شجر وحجر وملائكة وجن وبشر وغير ذلك ، يتقربون إليهم بشتى أنواع القرب التي لا يجوز صرفها لغير الله ، كالذبح والنذر وغير ذلك .

أما التقاضي والمحاكمات فهي لا تقل ضلالا وفسادا عن طريقتهم في العبادة ، إذ كانوا ينصبون الطواغيت والكهان وعرافين ، يتولون القضاء بين الناس في جميع ما ينشأ بينهم من خلاف وخصومة في الأموال والدماء والفروج وغير ذلك ، يقيمون في كل حي واحدا من هؤلاء الطواغيت ، وإذا صدر الحكم فهو نافذ لا يقبل النقض ولا التعقيب ، على الرغم من كونه جائرا ظالما ، فلما بعث الله مُحَمَّدا صلى لله عليه وسلم بهذه الشريعة المطهرة أبطل هذه العادات ، والتقاليد وقضى عليها ، وقصر العبادة على الله سبحانه وتعالى ، وقصر التقاضي والتحاكم على شرع الله ، قال تعالى (إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه)(سورة يوسف آية:٤٠) الآية ، وقوله (إن الحكم إلا لله) قصر الحكم على شرع الله ، و (ألا تعبدوا إلا إياه) : قصر العبادة لله سبحانه وتعالى على عبادته سبحانه وتعالى بطريقة هي أبلغ طرق القصر وهي النفي والاستثناء .

ثم إن المستقرئ لكتاب الله يجد في الآيات الكثيرة التي تنص على وجوب التحاكم إلى ما أنزله الله من الشرع المطهر على نبيه ﷺ:

١ - قال تعالى (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون)(سورة المائدة آية:٤٤) ، فهذه الآية الكريمة نص في كفر من عدل عن حكم الله ورسوله إلى غيره .

وقد حاول الجهلة من مرجئة العصر أن يصرفوا دلالة هذه الآية عن كفر الحاكم بغير ما أنزل الله فقالوا : الآية نزلت في اليهود ، فلا يشملنا حكمها .

وهذا يدل على مدى جهلهم بالقواعد الأصولية التي وضعها علماء التفسير والحديث وأصول الفقه ، وهي أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، فإذا نزل حكم على سبب معين فإنه لا يقتصر على سببه ، بل يتعداه ، فيشمل كل من يدخل تحت اللفظ ، و (مَنْ) في الآية صيغة عموم ، فلا يكون الحكم مقصورا على سببه إلا إذا اقترن به نص من الشرع يقصر الحكم على سببه ، كقوله ﷺ لما سأله أحد الصحابة ﵁ : يا رسول الله إنه كانت لي عناق أحب إليّ من شاة فضحيت بها فهل تجزئني ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : تجزئك ولا تجزئ أحدا بعدك .

وقالوا أيضا (أي المرجئة) قد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سئل عن تفسير هذه الآية (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) فقال ابن عباس : كفر دون كفر ، وفي رواية : ليس الكفر الذي يذهبون إليه .

والجواب عن هذا أن نقول : هشام بن حجير راوي هذا الأثر عن طاووس عن ابن عباس متكلم فيه من قبل أئمة الحديث كالإمام أحمد و يحي بن معين وغيرهما ، وقد خالفه في هذه الرواية عن طاووس من هو أوثق منه وهو عبدالله بن طاووس ، وقد روى عن أبيه أن ابن عباس لما سئل عن تفسير هذه الآية قال : هي به كفر .

٢ – قال تعالى (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما)(سورة النساء آية:٦٥) .

هذه الآية نص في انتفاء الإيمان عمن لم يحكّم شرع الله ، لأن الله أقسم فيها على انتفاء الإيمان عن المرء حتى توجد منه غايات ثلاث:

أ – التحاكم إلى شرع الله .

ب – إلا يجد في نفسه حرجا في ذلك ، بل يرضى به .

ج _ أن يسلم لحكم الله ويرض به .

وكما حاول المرجئة صرف دلالة الآية السابقة عن كفر الحاكم بغير ما أنزل الله ، فقد حاولوا أيضا صرف دلالة الآية عن انتفاء الإيمان ، فقالوا : إن النفي لكمال الإيمان ، لا لنفي حقيقته ، وما علم هؤلاء الجهلة أن الأصل في الكلام العربي الحقيقة ، ولا يصار إلى المجاز إلا إذا اقترن به قرينة توجب صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح ، فأي دليل وأي قرينة توجب صرف هذه الآية عن نفي حقيقة الإيمان إلى نفي كماله .

٣ – قال تعالى (ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا * وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا)(سورة النساء آية:٦١-٦٠) ، هذه الآية الكريمة نص في أن من يتحاكم إلى الطاغوت أو يحكمه فقد انتفى عنه الإيمان بدليل قوله تعالى (يزعمون أنهم آمنوا) ، إذ لو كانوا مؤمنين حقا لما عبر عن ادعائهم الإيمان بالزعم ، فلما عبر بالزعم دل على انتفاء حقيقة الإيمان بالله ، كما أن في قوله تعالى (وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا) دليل أيضا على انتفاء حقيقة الإيمان عنهم ، ويتضح كفر من تحاكم إلى الطاغوت أو حكّمه بمعرفة سبب نزول هذه الآية ، وقد ذكر المفسرون أن سبب نزول الآية أنها كانت بين رجل من اليهود وآخر من غير اليهود خصومة ، فقال اليهودي : نترافع إلى رسول الله ، وقال الآخر : بل نترافع إلى كعب بن الأشرف اليهودي ، فنزلت هذه الآية ، وقال الشعبي : كان بين رجل من المنافقين ورجل من اليهود خصومة ، فقال اليهودي : نترافع إلى مُحَّد ، عرف أنه لا يأخذ الرشوة ، وقال المنافق : نتحاكم إلى اليهود ، لعلمه أنهم يأخذون الرشوة ، فاتفقا أن يأتيا كاهنا في جهينة ، ويتحاكما إليه ، فنزلت (ألم تر إلى الذين يزعمون ..) الآية ، وهذا الأثر المروي عن الشعبي وإن كان فيه ضعف إلا أن له شواهد متعددة تعضده وتقوية ، ووجه الاستشهاد بسبب نزول هذه الآية على كفر وردة من ذكروا فيها : أن عمر بن الخطاب ﷺ قتل الرجل الذي لم يرض بحكم النبي ﷺ ، فلو لم يكن مرتدا لما قتله .

كما روي عن عروة بن الزبير أنه قال : اختصم إلى رسول الله ﷺ رجلان فقضى لأحدهما ، فقال الذي قضى عليه : ردنا إلى عمر ﷺ ، فقال الرسول ﷺ : نعم انطلقوا إلى عمر ، فانطلقا ، فلما آتيا عمر ، قال الذي قضى له : يا ابن الخطاب : إن رسول الله ﷺ قضى لي ، وإن هذا قال : ردنا إلى عمر فردنا إليك رسول الله ﷺ ، فقال عمر : أكذلك ؟ للذي قضى عليه ، فقال نعم ،

فقال عمر : مكانك حتى أخرج فأقضي بينكما ، فخرج مشتملا على سيفه فضرب الذي قال ردنا إلى عمر فقتله .

وهذا الاختلاف الحاصل في سياق القصة لا يقدح في ثبوتها لاحتمال التعدد ، كما أن في قوله تعالى : (وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا) دلالة على أن من صد عن حكم الله ورسوله وأعرض عنه فحكّم غيره أنه منافق ، والمنافق كافر .

وكما أن المحكم للقوانين الوضعية كافر كما تقدم ، فإن المشرع للقوانين والواضع لها كافر أيضا ، لأنه بتشريعه للناس هذه القوانين صار شريكا لله سبحانه وتعالى في التشريع قال تعالى (أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله) وقال تعالى (ولا يشرك في حكمه أحدا) وقال عز وجل (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله) ، ولهذا لما سمع عدي بن حاتم هذه الآية قال يا رسول الله : إنا لسنا نعبدهم ، فقال ﷺ : أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ويحلون ما حرم الله فتحلونه ، قال : بلى ، قال : فتلك عبادتهم (١).

فتبين من الآية الكريمة من حديث عدي بن حاتم أن التحليل والتحريم والتشريع من خصائصه سبحانه وتعالى ، فمن حلل أو حرم أو شرع ما يخالف شرع الله فهو شريك لله في خصائصه .

ومما تقدم من الآيات الكريمة وتعليقنا عليها يتبين أن من حكم بغير ما أنزل الله وأعرض عن شرع الله وحكمه أنه كافر بالله العظيم خارج من الإسلام ، وكذلك مثله من وضع للناس تشريعات وضعية ، لأنه لو لم يرض بها لما حكم بها ، فإن الواقع يكذبه ، فالكثير من الحكام لديه من الصلاحيات في تأجيل الحكم ، وتغيير الدستور والحذف وغيرها .

وإن تنزّلنا وقلنا إنهم لم يضعوها ويشرعوها لشعوبهم فمن الذي ألزم الرعية بالعمل بها ومعاقبة من خالفها ؟ وما حالهم وحال التتار الذي نقل ابن تيمية وابن كثير رحمهما الله الإجماع على كفرهم ببعيد ، فإن التتار لم يضعوا ولم يشرعوا (الياسق) ، بل الذي وضعه أحد حكامهم الأوائل ويسمى (جنكز خان) ، فصورة هؤلاء كحال أولئك .

وبذلك يتبين أن الحاكم بغير ما أنزل الله تعالى يقع في الكفر من جهة أو جهتين :

الأولى : من جهة التشريع إن شرع .

الثانية : من جهة الحكم إن حكم .

---

(١)سنن الترمذي (٣٠٩٥) وحكم الالباني حسن . أنظر السلسلة الصحيحة (٣٢٩٣).

وحيث قد فرغت من ذكر النصوص الدالة على كفر من يحكّم القوانين الوضعية فسأذكر الآن **أقوال العلماء والأئمة على كفر محكّمي القوانين** :

أولا : قال شيخ الإسلام تقي الدين بن تيمية كما في الفتاوى (٣ / ٢٦٧) :
والإنسان متى حلل الحرام المجمع عليه أو حرم الحلال المجمع عليه أو بدل الشرع المجمع عليه كان كافرا باتفاق الفقهاء .

وقال في الفتاوى (٣٥ / ٣٧٢) :
ومتى ترك العالم ما علمه من كتاب الله وسنة رسوله واتبع حكم الحاكم المخالف لحكم الله ورسوله كان مرتدا كافرا ، يستحق العقوبة في الدنيا والآخرة .

ثانيا : قال ابن كثير في البداية والنهاية (١٣ / ١١٩) :
من ترك الشرع المحكّم المنزّل على مُحَمَّد خاتم الأنبياء عليه الصلاة والسلام وتحاكم إلى غيره من الشرائع المنسوخة كفر ، فكيف بمن تحاكم إلى الياسق وقدمها عليه ، ومن فعل ذلك كفر بإجماع المسلمين .

ثالثا : قال شيخنا الشيخ مُحَمَّد الأمين الشنقيطي رحمه الله بعد أن ذكر النصوص الدالة على كفر محكّمي القوانين :
وبهذه النصوص السماوية التي ذكرنا يظهر غاية الظهور أن الذين يتبعون القوانين الوضعية التي شرعها الشيطان على ألسنة أوليائه مخالفة لما شرعه الله جل وعلا على ألسنة رسله صلى الله عليهم وسلم ، أنه لا يشك في كفرهم وشركهم إلا من طمس الله بصيرته وأعماه عن نور الوحي مثلهم .

رابعا : شيخنا الشيخ مُحَمَّد بن إبراهيم آل الشيخ في تعليقه على قوله تعالى (فلا وربك لا يؤمنون ..) الآية ، قال : وقد نفى الله سبحانه وتعالى الإيمان عن من لم يحكموا النبي ﷺ فيما شجر بينهم ، نفيا مؤكدا بتكرار أداة النفي بالقسم . هذا ما قاله رحمه الله في تعليقه على هذه الآية .

وحيث إنني لازمت حلقته رحمه الله سنوات عدة فقد سمعته أكثر من مرة يشدد في هذه المسألة ويصرح بكفر من حكم غير شرع الله ، كما أوضح ذلك في رسالة تحكيم القوانين .

خامسا : شيخنا الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله في رسالته (نقد القومية العربية ص ٣٩) قال عمن اتخذ أحكاما وضعية تخالف القرآن : وهذا هو الفساد العظيم والكفر المستبين والردة السافرة كما قال تعالى (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) وقال تعالى (أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون) .. إلى أن قال الشيخ رحمه الله : وكل دولة لا تحكم بشرع الله ولا تنصاع لحكم الله فهي دولة جاهلية كافرة ظالمة فاسقة بنص هذه الآيات المحكمات ، يجب على أهل الإسلام بغضها ومعاداتها في الله ، وتحرم عليهم مودتها وموالاتها حتى تؤمن بالله وحده وتحكم شريعته . اهـ

وما ذكرته من نصوص وأقوال للعلماء كاف في بيان أن تحكيم القوانين الوضعية كفر ، وأن المحكم لها كافر بالله العظيم ، ولو نقلت ما قاله علماء الأمة وأئمتها في هذا الباب لطال الكلام ، وبما ذكرته كفاية لإجابة السائل على سؤاله وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أملاه فضيلة الشيخ

أ. حمود بن عقلاء الشعيبي

١٠ / ٢ / ١٤٢٢ هـ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الرد على افتراءات العنبري

وبيان فساد أصل مذهبه في الإرجاء

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان إلا على الظالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، إله الأولين والآخرين ، وأشهد أن مُحَّداً عبده ورسوله ، الصادق الأمين ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين . أما بعد :

فقد اطلعت على مجموع مقالات خالد العنبري ، فاتضح لي من قراءتي لهذه المقالات وبعض كتبه أنه مرجئ محض من المرجئة الخلّص الذين ينتمون إلى مدرسة الجهم بن صفوان في الإرجاء .

تلك المدرسة التي من أصولها أن أحداً لا يكفر إلا بالجحود والاستحلال ، أما من عرف الله وأقر به فإنه لا يكفر ولا يخرج من الملة ، وهذه الضلالة انتشرت في هذا العصر ، وما كان هذا الانتشار إلا بسبب هذا وأمثاله من مرجئة العصر فضلوا وأضلوا .

ولقد اجترأ خالد العنبري على الكذب والافتراءات على علماء الأمة وأئمتها الذين يرون كفر من يحكّم القوانين الوضعية ، من هؤلاء الأئمة شيخنا الشيخ الإمام المجاهد مُحَّد بن إبراهيم آل الشيخ يرحمه الله ، فقد موّه العنبري وحرف وتصرف في كلام شيخنا وكذب عليه عدة مرات كما سوف يتضح بعد قليل ، وأراد أن يوهم الناس أن الشيخ يرى أن الحكم بالقوانين الوضعية فيه تفصيل وأنه لا يكفر إلاّ إذا جحد واعتقد واستحل فقط ، وإن حكم بالقوانين الوضعية من غير ذلك فهو غير كافر ، أما افتراؤه فهو كالتالي :

الافتراء الأول: ذكر العنبري في كتابه (الحكم بغير ما أنزل الله وأصول التكفير ص١٣١) عن رسالة الشيخ مُحَّد بن إبراهيم (رسالة تحكيم القوانين) قال : [إن في هذه الرسالة ما يدل دلالة واضحة على التفصيل] ، ويقصد بالتفصيل هو ما يذهب إليه العنبري أن الحكم بالقوانين الوضعية لا يكفر صاحبه إلا بالجحود والاستحلال والنص الذي نقله كالتالي : (فانظروا كيف سجل الله تعالى على الحاكمين بغير ما أنزل الله الكفر والظلم والفسوق ومن الممتنع أن يسمى الله سبحانه الحاكم بغير ما أنزل الله كافراً ولا يكون كافراً بل هو كافر مطلقاً إما كفر عملي وإما

اعتقادي وما جاء عن ابن عباس في تفسير هذه الآية من رواية طاووس وغيره يدل على أن الحاكم بغير ما أنزل الله كافر إما كفر اعتقادي ناقل عن الملة وإما كفر عملي لا ينقل عن الملة .) انتهى ما نقله بحروفه .

وترك ما نقله وكتبه الشيخ في القوانين الوضعية بعد هذا حيث قال الشيخ :

أما الأول وهو كفر الاعتقاد فهو أنواع :

أحدها : أن يجحد الحاكم بغير ما أنزل الله أحقية حكم الله ورسوله .

الثاني : ألا يجحد الحاكم بغير ما أنزل الله كون حكم الله ورسوله حقاً ، لكن اعتقد أن حكم غير الرسول ﷺ أحسن من حكمه وأتم وأشمل .

الثالث : أن لا يعتقد كونه أحسن من حكم الله ورسوله لكن اعتقد أنه مثله .

الرابع : أن لا يعتقد كون حكم الحاكم بغير ما أنزل الله مماثلاً لحكم الله ورسوله فضلاً عن كونه أحسن منه لكن اعتقد جواز الحكم بما يخالف حكم الله ورسوله .

الخامس : وهو أعظمها وأشملها وأظهرها معاندة للشرع ومكابرة لأحكامه ومشاقة لله ورسوله ومضاهاة بالمحاكم الشرعية إعداداً وإمداداً وإرصاداً وتأجيلاً وتفريعاً وتشكيلاً وتنويعاً وحكماً وإلزاماً ومراجع ومستندات ، فكما أن للمحاكم الشرعية مراجع ومستندات مرجعها كلها إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فلهذه المحاكم مراجع هي القانون الملفق من شرائع شتى وقوانين كثيرة كالقانون الفرنسي والقانون الأمريكي والقانون البريطاني وغيرها من القوانين ومن مذاهب بعض البدعيين المنتسبين إلى الشريعة وغير ذلك إلى أن قال : " فأي كفر فوق هذا الكفر وأي مناقضة للشهادة بأن مُحَّداً رسول الله بعد هذه المناقضة " انتهى .

فانظر إلى العنبري يريد بنقله السابق أن يوحي إليك أن الشيخ لا يكفر بالقوانين الوضعية مع أنه هنا قال فيها : وأي كفر فوق هذا الكفر أي الحكم بالقوانين الوضعية.

الافتراء الثاني: أن العنبري قال في مقالاته – المقال الأول – قال : [فقد ألفيت كلام الشيخ – أي مُحَّد بن إبراهيم – الآخر في فتاواه (٨٠/١) إذ يقول في كلام أوضح من أن يوضح مؤرخ في ١٣٨٥/١/٩هـ أي بعد طباعة رسالة تحكيم القوانين بخمس سنين] ، وسوف ننقل كلام الشيخ

مُحَّد بعد قليل لكن المقصود أنه هنا أراد أن يُقنع القارئ أن الشيخ تراجع عن فتواه في القوانين الوضعية ولذا ذكر التاريخ بعده بخمس سنوات فالمتأخر ناسخ ومبطل للقول الأول ، في حين أنه في نفس المقال قال :[وأنا لم أقل أن الشيخ تراجع] ، وبعده بأسطر يقول أن الشيخ تراجع ليوهم أنه فعلاً تراجع فيدعي عدم القول بالتراجع ثم يكذب على الشيخ مُحَّد بأنه تراجع بعد رسالته في تحكيم القوانين بخمس سنين .

الافتراء الثالث : أنه لما نقل التراجع الذي يزعمه في فتاوى الشيخ مُحَّد (٨٠/١) قال العنبري نص التراجع هو : (وكذلك تحقيق معنى مُحَّد رسول الله من تحكيم شريعته والتقيد بها ونبذ ما خالفها من القوانين والأوضاع وسائر الأشياء التي ما أنزل الله بها من سلطان والتي من حكم بها أو حاكم إليها معتقداً صحة ذلك وجوازه فهو كافر الكفر الناقل عن الملة وإن فعل ذلك بدون اعتقاد ذلك وجوازه فهو كافر الكفر العملي الذي لا ينقل عن الملة) . قال العنبري : (فهذا التفصيل المبين من الشيخ العلامة مُحَّد بن إبراهيم رحمه الله هو الذي بنيت عليه كتابي وواجهت به المكفرين للحاكم بإطلاق) اهـ .

فيجاب عن هذا الافتراء بأجوبة :

١ – كيف أن الشيخ يتراجع ولا يعلم ولا يشتهر تراجعه بين طلابه وبين الناس ؟

٢ – ولو كان هناك تراجع لما خفي على الشيخ مُحَّد بن عبد الرحمن القاسم جامع فتاوى الشيخ مُحَّد بن إبراهيم وكتبه على ذلك بل إنه ذكر رسالة تحكيم القوانين في أجزاء لاحقة من الفتاوى ، بل إن تلميذه الجامع للفتاوى نقل تقرير للشيخ مُحَّد في ٢٨٠/١٢ قال الشيخ مُحَّد : (والقوانين كفر ناقل عن الملة . اعتقاد أنها حاكمة وسائغة . وبعضهم يراها أعظم) ثم قال : (أما الذي جعل قوانين بترتيب وتخضيع فهو كفر وإن قالوا أخطأنا وحكم الشرع أعدل ففرق بين المقرر والمثبت والمرجع جعلوه هو المرجع فهذا كفر ناقل عن الملة) ونقل القاسم أيضاً ٢٨٤/١٢ تحت عنوان تحكيم القوانين من الكفر الأكبر ثم نقل نفس رسالة تحكيم القوانين فلو كان هناك تراجع لبيّنه أو حذف هذه الرسالة ولم يجعلها في أجزاء بعد الجزء المزعوم أن فيه تراجع .

٣ – كيف يكون الشيخ تراجع عن فتوى عامة ظهرت وانتشرت فيتراجع عنها في رسالة خاصة بعثها إلى جمعية خاصة كان الأولى أن يتراجع في رسالة عامة فإن النص الذي ادعى فيه العنبري أنه تراجع هو ضمن رسالة جوابية خاصة كتبها إلى جمعية العلماء المركزية في دلهي وقد أثنى على الجمعية وأنها تهدف للإصلاح .

٤ – ثم رسالة تحكيم القوانين طبعت عدة مرات فلو كان هناك تراجع لما أعيد طبعها .

٥ – أن الشيخ عبدالله بن جبرين حفظه الله وهو من طلاب الشيخ أنكر على من قال أن الشيخ مُحَمّد بن إبراهيم تراجع كما في تعقيبه على كلام العنبري وهو منقول في مقال العنبري الأول .

٦ – وكذا اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء في فتواها في تاريخ ١٤٢٠/١٠/٢٤هـ ضد كتاب العنبري قالت أن في كتاب العنبري الحكم بغير من أنزل الله فيه الكذب على أهل العلم وذلك في نسبته للعلامة الشيخ مُحَمّد ابن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله ما لم يقله .

نعود الآن إلى النص الذي ادعى فيه العنبري التراجع ونذكر مناسبته ونصه كاملاً وهي موجودة في فتاوى الشيخ مُحَمّد ٧٨/١ وهي رسالة جوابية أرسلها السكرتير العام لجمعية العلماء المركزية – دلهي – حيث قرر المجلس التنفيذي للجمعية أن يتصل بالهيئات الإسلامية ليستنير بآراء رجالها وما وضعوه من قوانين في سبيل الإصلاح الديني والاجتماعي الذي يتلاءم مع التعاليم والأخلاق الإسلامية تمهيداً لإصدار قوانين إصلاحية شاملة للنهوض بالمسلمين في الهند ، ثم سألوا الشيخ مُحَمّد عن أسئلة فقهية لكي يستنيروا برأيه فيها ، فأجاب عن المسائل الفقهية لكن جعل مقدمة قبلها فقال قبل الشروع في الجواب : أحب أن أقدم مقدمة مختصرة مهمة وهي أنه مما يسرنا ويسر كل مسلم غيور على دينه أن يتكون من الجمعيات العامة التي تهدف إلى إصلاح الأوضاع والتمسك بأصل الدين وتعاليمه الشريفة ومحاربة كل ما خالف الشريعة الإسلامية من البدع والخرافات والدجل وكذلك ما هو أهم من ذلك ما يدخله الملحدون والزنادقة والمستشرقون وغيرهم في أفكار بعض المسلمين في تشكيكهم في أصل دينهم وتضليلهم عن سنة نبيهم ﷺ وشريعته وتحكيم القوانين الوضعية المخالفة للشريعة الإسلامية وأهم من ذلك معرفة أصل التوحيد الذي بعث الله به رسوله مُحَمّد ﷺ وتحقيقه علماً وعملاً ومحاربة ما يخالفه من الشرك الأكبر الذي يخرج من الملة أو من أنواع الشرك الأصغر وهذا هو تحقيق معنى لا إله إلا الله وكذلك تحقيق معنى مُحَمّد رسول الله من تحكيم شريعته والتقيد بها ونبذ ما خالفها من القوانين والأوضاع وسائر الأشياء التي ما أنزل الله بها

من سلطان والتي من حكم بها أو حاكم إليها معتقداً صحة ذلك وجوازه فهو كافر الكفر الناقل عن الملة وإن فعل ذلك بدون اعتقاد ذلك وجوازه فهو كافر الكفر العملي الذي لا ينقله عن الملة) انتهى بحروفه .

فالشيخ مُحَمَّد تكلم مرتين عن القوانين في المرة الأولى قال القوانين وأضاف إليها الوضعية وجعلها مما يدخله الملحدون والزنادقة والمستشرقون على المسلمين فجعل القوانين الوضعية من عمل الملاحدة والزنادقة وحث الجمعية على محاربته حماية للمسلمين وجعل ذكر القوانين الوضعية هنا من باب تحقيق الألوهية ومن باب تحقيق معنى لا إله إلا الله .

أما المرة الثانية التي نقل فيها القوانين فهي في معنى تحقيق أن مُحَمَّداً رسول الله والملاحظة أنه لم يضف كلمة وضعية إنما أضاف معها أشياء أخرى مثل القوانين والأوضاع وسائر الأشياء التي ما أنزل الله بها من سلطان . فأراد بالقوانين والأوضاع هي البدع التي يضعها المبتدعة التي تناقض تحقيق متابعة الرسول ﷺ وجعل في هذه القوانين والأوضاع تفصيلاً لأنها من باب البدع فالقوانين ذكرها مرتين مرة في معنى تحقيق لا إله إلا الله ومره في تحقيق معنى مُحَمَّد رسول الله لذا فهما في تحقيقين فيختلف معناهما وإلا اقتضى التكرار ثم الأُولى أضاف إليها الوضعية والثانية مجردة . إنما أضاف إليها الأوضاع وسائر الأشياء التي ما أنزل الله بها من سلطان وهذه فيها تفصيل ، وعلى كل حال فهذا التماس وتفسير مبني على حسن الظن بالشيخ مُحَمَّد ومبني أيضاً على فتواه في القوانين الوضعية وكوننا نجعل كلامه يفسر بعضه بعضاً ويؤيد بعضه بعضاً أولى من ضرب كلامه بعضه ببعض وادعاء تراجع وتناقض واختلاف .

افتراؤه على شيخنا مُحَمَّد الأمين الشنقيطي رحمه الله:

نقل العنبري في كتابه الحكم بغير ما أنزل الله وأصول التكفير في صفحة ٧٠-٧١ وأراد أن يوهم أن الشيخ الشنقيطي لا يرى أن القوانين الوضعية كفر حيث نقل كلام شيخنا الشنقيطي ، فهو من العلماء الذين ادعى العنبري أنهم لا يكفّرون بالقوانين الوضعية إلا بالجحود ونقْله الذي نقله عن الشنقيطي :

(واعلم أن تحرير المقام في هذا البحث أن الكفر والظلم والفسق كل واحد منهما أطلق في الشرع مراداً به المعصية تارة والكفر المخرج من الملة أخرى { ومن لم يحكم بما أنزل الله } معارضة للرسل وإبطالاً لأحكام الله فظلمه وفسقه غير مخرج من الملة) اهـ . مع أنه هنا لم يتكلم عن القوانين الوضعية وترك العنبري كلام شيخنا الشنقيطي الواضح في القوانين الوضعية حيث قال في تفسيره في سوره الكهف عن آية { ولا يشرك في حكمه أحداً } فقال وبهذه النصوص السماوية التي

ذكرنا يظهر غاية الظهور أن الذين يتبعون القوانين الوضعية التي شرعها الشيطان على ألسنة أوليائه مخالفة لما شرعه الله جل وعلا على ألسنة رسله عليهم الصلاة والسلام أنه لا يشك في كفرهم وشركهم إلا من طمس الله بصيرته وأعماه عن نور الوحي مثلهم .

ثم قال الشنقيطي مباشرة :

(تنبيه : اعلم أنه يجب التفصيل بين النظام الوضعي الذي يقتضي تحكيمه الكفر بخالق السماوات والأرض وبين النظام الإداري الذي لا يقتضي ذلك .)

ثم قال : (أما النظام الوضعي المخالف لتشريع خالق السماوات والأرض فتحكيمه كفر بخالق السماوات والأرض ، – ثم ذكر بعض قوانينهم الوضعية في الميراث والزواج والحدود وإنها مخالفة للشرع – ثم قال : فتحكيم هذا النوع من النظام في أنفس المجتمع وأموالهم وأعراضهم وأنسابهم وعقولهم وأديانهم كفر بخالق السماوات والأرض) اهـ .

فلماذا يترك هذا الكلام الصريح في القوانين الوضعية إلى غيره ؟!

افتراؤه على الإمام ابن كثير رحمه الله:

حيث ينقل عنه نصوصاً يوهم بها أنه مع من لم يكفّر بالقوانين الوضعية حيث نقل عنه صفحة ٦٩ ضمن من ادعى أنهم لا يكفرون بالقوانين مع أن ابن كثير له كلام صريح في " ياسق " التتار وهو أنه عبارة عن قوانين وضعية وكفرهم بذلك بل نقل الإجماع عليه فقال رحمه الله عند تفسيره لآية { أفحكم الجاهلية يبغون } سورة المائدة ، قال : (ينكر تعالى على من خرج عن حكم الله المحكم المشتمل على كل خير الناهي عن كل شر وعدل إلى ما سواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات مما يضعونها بآرائهم وأهوائهم وكما يحكم به التتار من السياسات الملكية المأخوذة عن ملكهم جنكيز خان الذي وضع لهم الياسق وهو عبارة عن كتاب مجموع من أحكام قد اقتبسها من شرائع شتى من اليهودية والنصرانية والملة الإسلامية وغيرها وفيها كثير من الأحكام أخذها من مجرد نظره وهواه فصارت في بنيه شرعاً متبعاً يقدمونه على الحكم بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ فمن فعل ذلك منهم فهو كافر يجب قتله .)

وقال ابن كثير في البداية والنهاية ١١٨/١٣ ، ١١٩ : (فمن ترك الشرع المحكم المنزل على مُحَمَّد بن عبدالله ﷺ خاتم الأنبياء وتحاكم إلى غيره من الشرائع المنسوخة كفر فكيف بمن تحاكم إلى الياسق وقدمها عليه من فعل ذلك فقد كفر بإجماع المسلمين) اهـ .

الأمر الآخر أن العنبري ينقل كلام علماء لم يعاصروا نازلة تحكيم القوانين الوضعية إنما ماتوا قبلها فينقل كلامهم يوهم أنهم على مذهبه في أنه لا يكفر بالحكم بالقوانين إلا إذا جحد واستحل .

وهذه النازلة التي نزلت في المسلمين وهي الحكم بالقوانين الوضعية لم تقع إلا في عصر التتار وعصر ابن تيمية وابن كثير فلا ينقل من كلام هذين الإمامين ما يدل على كفر من تحاكم إلى الياسق بل إنه في كتابه المذكور صفحة ١٣٨ ذكر أن تكفير ابن كثير وابن تيمية للتتار لأن لهم نواقض أخرى غير الياسق مع أن كلام ابن كثير واضح أن الحكم علقه بالياسق ثم وقعت هذه النازلة وهي تحكيم القوانين الغربية مرة أخرى أيام حكم الاستعمار العسكري على العالم الإسلامي وأحدثوا المحاكم القانونية فتكلم العلماء المعاصرين لهذه النازلة كالشيخ أحمد شاكر حيث قال في تحقيقه لتفسير ابن كثير عن آية { أفحكم الجاهلية يبغون } ١٧٤/٤ فقال : (إن الأمر في هذه القوانين الوضعية واضح وضوح الشمس هي كفر بواح لا خفاء فيه ولا مداورة ولا عذر لأحد فيمن ينتسب للإسلام كائناً من كان في العمل بها) اهـ .

وكذا الشيخ محمود شاكر الذي حاول العنبري في كتابه ص١٣٠ أن يوهم أنه لا يكفر بالقوانين الوضعية إلا الجاحد .

قال الشيخ محمود شاكر وقد نقل كلامه أخوه أحمد شاكر في تفسير ابن كثير قال محمود شاكر : (وإذن فلم يكن سؤالهم كما احتج به مبتدعة زماننا من القضاء في الأموال والأعراض والدماء بقانون مخالف لشريعة أهل الإسلام ولا في إصدار قانون ملزم لأهل الإسلام بالاحتكام إلى حكم غير حكم الله في كتابه وعلى لسان نبيه ﷺ فهذا الفعل إعراض عن حكم الله ورغبة عن دينه وإيثار لأحكام أهل الكفر على حكم الله سبحانه وتعالى وهذا كفر لا يشك أحد من أهل القبلة على اختلافهم في تكفير القائل به والداعي إليه) اهـ .

ومثل شيخنا الشيخ مُحَمَّد بن إبراهيم حيث أفتى في القوانين الوضعية ومثل شيخنا مُحَمَّد الأمين الشنقيطي ، كل هؤلاء وغيرهم ممن عاصر القوانين الوضعية كان الأولى أن يأخذ كلامهم وفتاويهم في القوانين إلا أنه يأتي بكلامه الآخر في غير القوانين ليوهم أنهم على مذهبه واعتقاده أنه لا يكفر

من حكم بالقوانين إلا بالاستحلال والجحود ، فهي كبيرة من كبائر الذنوب . بل أن العنبري يتجرأ أكثر فينقل الإجماع على أنه لا يكفر من حكم بغير ما أنزل الله بالقوانين والتشريع العام إلا المستحل علماً بأن العنبري لا يفرق بين الحكم بغير ما أنزل الله هوى أو شهوة أو بقوانين وضعية كلاهما عنده واحد وإذا نقل الإجماع فإنما يقصد جميع ذلك ولا يفرق .

أما علماء الإسلام ففرقوا فإذا ذكروا الحكم بغير ما أنزل الله هنا فصلوا بين من يفعله هوى أو شهوة . أما إذا تكلموا عن القوانين الوضعية فلا يفصلون بين المستحل والجاحد أو من فعله هوى كما سبق في تقرير الشيخ مُحَمَّد بن إبراهيم فقال : (أما الذي جعل قوانين بترتيب وتخضيع فهو كفر وإن قالوا أخطأنا وحكم الشرع أعدل ففرق بين المقرر والمثبت والمرجع جعلوه هو المرجع فهذا كفر ناقل عن الملة .) ، وكذا فيما نقلنا عن ابن كثير كَفَّرَ بمجرد التحاكم فارجع إلى قوله ، ومثله شيخنا الشنقيطي وابنا شاكر وغيرهم كلهم لا يفصِّلون في القوانين الوضعية .

هذا ما تيسر في الرد عليه على عجالة وشغل ونسأل الله أن يهدي الجميع لما يحبه ويرضاه وأن يوفق العنبري وأمثاله من مرجئة العصر إلى الرجوع إلى مذهب سلف الأمة إنه على كل شيء قدير . وصلى الله على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أملاه

أ . حمود بن عقلاء الشعيبي

الأستاذ سابقا بكلية الشريعة و أصول الدين

بجامعة الإمام مُحَمَّد بن سعود الإسلامية

فرع القصيم

١٤٢١/٤/٢٠هـ

كلمة حق في سيد قطب

فضيلة الشيخ حمود بن عقلاء الشعيبي حفظه الله :

كثرت الأقوال في سيد قطب رحمه الله ، فهذا ينزهه من كل خطأ، وذاك يجعله في عداد الفاجرين بل الكافرين فما هو الحق في ذلك ؟

الجواب : الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده .

وبعد :

فإن المفكر الأديب سيد قطب رحمه الله له أعداء كثيرون، يختلفون في كيفية النقد وأهدافه والغايات منه، ويتفقون في مصالح مشتركة، وقبل أن أكشف بطلان مثالب الجراحين والمطاعن الموجهة إلى سيد رحمه الله ، أبين أولا لماذا يستهدف سيد قطب خاصة ؟ ومن المستفيد من إسقاطه ؟ إن سيدا رحمه الله يعد في عصره علما من أعلام أصحاب منهج مقارعة الظالمين والكفر بهم ، ومن أفذاذ الدعاة إلى تعبيد الناس لربهم والدعوة إلى توحيد التحاكم إلى الله ، فلم يقض إلا مضاجع أعداء الله ورسوله كجمال عبدالناصر وأمثاله .. وما فرح أحد بقتله كما فرح أولئك، ولقد ضاق أولئك الأذناب بهذا البطل ذرعا، فلما ظنوا أنهم قد قتلوه إذا بدمه يحيي منهجه ويشعل كلماته حماسا، فزاد قبوله بين المسلمين وزاد انتشار كتبه، لأنه دلل بصدقه وإقدامه على قوة منهجه، فسعوا إلى إعادة الطعن فيه رغبة منهم لقتل منهجه أيضا وأبى لهم ذلك.

فاستهداف سيد قطب رحمه الله لم يكن استهدافا مجردا لشخصه، فهو ليس الوحيد من العلماء الذي وجدت له العثرات، فعنده أخطاء لا ننكرها، ولكن الطعن فيه ليس لإسقاطه هو بذاته فقد قدم إلى ربه ونسأل الله له الشهادة، ولكن الذي لا زال يقلق أعداءه وأتباعهم هو منهجه الذي يخشون أن ينتشر بين أبناء المسلمين . وإني إذ أسمع الطعن في سيد قطب رحمه الله لا أستغرب ذلك لقوله الله تعالى: ﴿ وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا ﴾ فكل من معه نور من النبوة أيضا له أعداء من أهل الباطل بقدر ما معه من ميراث نبينا مُحَمَّد عليه الصلاة والسلام ، فما يضير سيدا طعن الطاعنين، بل هو رفعة له وزيادة في حسناته، ولكن الذي يثير الاستغراب هو فعل أولئك القوم الذين يدّعون اتباع الحق ومع ذلك ينقصون الميزان ولا يزنون بالقسطاس المستقيم والله يقول: ﴿ ويل للمطففين * الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون * وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ﴾(سورة المطففين آية :٣-١) ، فأولئك إذا أرادوا مدح أحد عليه من المآخذ ما يفوق سيدا بأضعاف قالوا كلمتهم المشهورة "تغمس أخطاؤه في بحر حسناته" وقالوا "إذا بلغ الماء قلتين لم يحمل الخبث" وغير ذلك، وإذا أرادوا ذم آخر كسيد رحمه الله الذي يعد مجددا في باب (إن الحكم

إلا لله) سلكوا معه طريق الخوارج وكفروه بالمعاصي والزلات . وسيد رحمه الله لا ندعي له العصمة من الخطأ، بل نقول إن له أخطاء ليس هذا مجال تفصيلها، ولكنها لا تخل بأصل دعوته ومنهجه، كما أن عند غيره من الأخطاء التي لم تقدح في منزلتهم وعلى سبيل المثال ابن حجر والنووي وابن الجوزي وابن حزم(١)، فهؤلاء لهم أخطاء في العقيدة إلا أن أخطاءهم لم تجعل أحدا من أبناء الأمة ولا أعلامها يمتنع من الاستفادة منهم أو يهضمهم حقهم وينكر فضائلهم ، فهم أئمة إلا فيما أخطئوا فيه، وهذا الحال مع سيد رحمه الله فأخطاؤه لم تقدح في أصل منهجه ودعوته لتوحيد الحاكمية وتعبيد الناس لربهم. والقاعدة التي يجب أن تقرر في مثل هذه الحالات هي ما يستفاد من قول الله تعالى ﴿ يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما ﴾ (سورة البقرة آية:٢١٩) فكل من حقق ما يجب تحقيقه من أصل الدين، ينظر بعد ذلك في سائر منهجه فإن كان خطؤه أكثر من صوابه وشره يغلب على نفعه فإنه يهمل قوله وتطوى كتبه ولا تروى ، وعلى ذلك فالقول الفصل في سيد رحمه الله أن أخطاءه مغمورة في جانب فضائله ودفاعه عن (لا إله إلا الله)، لا سيما أنه حقق أصول المعتقد الصحيح ، وإن كان عليه بعض المآخذ وعبارات أطلقها لا نوافقه عليها رحمه الله .

وختاما : لا يسعني إلا أن أذكر أنني أحسب سيدا والله حسيبه يشمله قوله عليه الصلاة والسلام (سيد الشهداء حمزة، ورجل قام عند سلطان جائر فأمره ونهاه فقتله)(٢) فنحسب أن سيدا رحمه الله قد حقق ذلك الشرط حيث قال كلمة حق عند سلطان جائر فقتله .. وأنقل كلمة له رحمه الله قبل إعدامه بقليل عندما أعجب أحد الضباط بفرح سيد قطب وسعادته عند سماعه نبأ الحكم عليه بالإعدام "الشهادة" وتعجب لأنه لم يحزن ويكتئب وينهار ويحبط فسأله قائلا : أنت تعتقد أنك ستكون شهيدا فما معنى شهيد عندك؟ أجاب رحمه الله قائلا : الشهيد هو الذي يقدم شهادة من روحه ودمه أن دين الله أغلى عنده من حياته، ولذلك يبذل روحه وحياته فداء لدين الله . وله رحمه الله من المواقف والأقوال التي لا يشك عارف بالحق أنها صادرة عن قلب قد مليء بحب الله وحب رسوله ﷺ، وحب التضحية لدينه، نسأل الله أن يرحمنا ويعفو عنا وإياه.

وصلى الله على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين .

قاله ؛ حمود بن عقلاء الشعيبي . ١٤٢١/٥/١٦هـ

---

(١) يقول الشيخ عبدالرحمن الجفن : بدأت مع شيخنا حمود بن عقلاء الشعيبي رحمه الله في قراءة كتاب الفِصل في الملل لابن حزم فأمر بعدم إكماله معتذراً بخلط مؤلفه في المعتقد ..

(٢) المستدرك للحاكم (٤٨٨٤) وحكم الألباني حسن . أنظر السلسة الصحيحة (٣٧٤).

تحذير الشيخ من تكفير مرتكبي المعاصي من المسلمين

فضيلة الشيخ حمود بن عقلاء الشعيبي متعنا الله بعلمه

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أما بعد .

بعض الشباب في بلادنا يعتقد كفر المتبرجات وغيرهن من المجاهرين بالمعاصي ، وحجته في ذلك أن المتبرجة أو غيرها من المجاهرين تخرج من بيتها سافرة مطمئنة النفس بمعصيتها حتى صارت عندها هذه المعصية كالعادة ، ويذهب هؤلاء الشباب إلى أن هذا الفعل استحلال عملي للذنب وكفر مخرج من الملة .

فما هو ضابط الاستحلال العملي ؟ وبماذا تنصح هؤلاء الشباب ، علما بأننا نصحناهم وقلنا لهم بأن الخوارج تكفر بالذنب وأنتم كفّرتم الناس باسم الاستحلال العملي دون وقوع الاستحلال وجزاكم الله خيرا .

الجواب :

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد .

فإن التبرج والسفور وانحلال الأخلاق من المعاصي التي حذر الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين من الوقوع فيها ، و قد بين لهم سبحانه أنها من عمل أهل الجاهلية كما في قوله تعالى (وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى)(سورة الأحزاب آية:٣٣) .

وأما استحلال المحرمات فقد اتفق أهل السنة والجماعة على أن من استحل أمرا معلوما بالضرورة تحريمه من الدين فقد كفر وارتد عن الإسلام .

وأما التكفير على فعل الكبيرة فإنه من منهج الخوارج الذين حذر علماء الأمة من السلوك في طريقهم أو انتهاج منهجهم ، وما ظهر مثل هذا التوجه في صفوف بعض الشباب إلا لكونهم يرون هذا الفساد قائما على أشده تدعمه القنوات الفضائية والصحف والمجلات الفاسدة والفتاوى المميعة للدين ، فلا حول ولا قوة إلا بالله .

وأما أولئك المتبرجات فما فعلنه ليس من الكفر في شيء حتى يثبت بالدليل أنهن استحللن ذلك الفعل ، أما مجرد فعلهن فلا يدل على أنه استحلال ، بل قد يمارسن هذا الفعل وهن يعتقدن أنه من المحرمات بل من الكبائر ، ولضعف إيمانهن ولعدم وجود الرادع ولسكوت العالِم تقية ومداهنة غيره خوفا كثر الجهل وعمت البلوى وظهرت مثل هذه الأفعال .

ونصيحتي لهؤلاء الشباب وفقهم الله أن يلتحموا بعلماء أهل السنة حتى يبينوا لهم السبيل الواقي من الوقوع في مثل هذه البدع المنكرة .

وعليهم أن يتجنبوا من يحمل فكرا منحرفا أو توجها يسيء للإسلام ، وعليهم أن يتمعنوا في كتب سلف الأمة وأئمة الدعوة فإن فيها بعد كتاب الله سبحانه وتعالى وسنة نبيه ﷺ سلامة المنهج وحسن التوجه .

نسأل الله بمنه وكرمه أن يعز الدين وأهله وأن يذل الكفر وأهله إنه وحده القادر وصلى الله على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

أملاه فضيلة الشيخ

أ. حمود بن عقلاء الشعيبي

١٠ / ٥ / ١٤٢٢ هـ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حكم الدعوة إلى وحدة الأديان

فضيلة الشيخ حمود بن عقلاء الشعيبي حفظه الله.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. وبعد

يتردد في بعض الأوساط والمحافل الدولة نظرية خلاصتها أن الإسلام يحترم الأديان السماوية الأخرى .. وأنه لا فرق بين هذه الأديان كما يُزعم وبين الإسلام .. وقد عقد لهذه النظرية المؤتمرات وجمع من أجلها المجامع .. وتسنم لها بعض من قياديي العلم الإسلامي .. فما الحكم في هذه القضية؟ بارك الله فيكم وسددكم وأعانكم للخير..

الجواب:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين .. أما بعد

فقد بدأنا في الآونة الأخيرة نسمع ترديدًا لشعارات منحرفة ومصطلحات غريبة بدأت تغزوا المسلمين .. مبطنة بباطن الكفر والردة .. ملفوفة بشعارات ماكرة باسم مؤتمرات وملتقيات حول الأديان، وباسم تقارب الأديان أو العالمية، وتصريحات سياسية باسم احترام الأديان كما يزعمون.

ويزعم أصحاب هذه الدعوة أن العالمية هي السبيل إلى جمع الناس على مذهب واحد وتزول معه خلافاتهم الدينية والعنصرية لإحلال السلام العالمي، وقد حرص أعداء هذا الدين على إيجاد ذرائع مبطنة واستحداث وسائل مقنعة للوصول إلى مآربهم، وبدءوا يجاهرون بضرورة التعايش بين الأديان، وضرورة احترام الأديان والاعتراف بها.

ويأتي النظام العالمي الجديد أو ما يسمى بالعولمة عاملاً رئيسيًا في إحياء تلك الدعوات الخبيثة، ولذا نلاحظ كثرة المؤتمرات والتصريحات السياسية لهذا الأمر، نسمعها من العلمانيين وبعض العصريين، ومن ملوك ورؤساء وسياسيين محسوبين على الإسلام، ولا يخفى أن الدعوة إلى وحدة الأديان دعوة قديمة وجدت عند ملاحدة الصوفية من أهل الحلول والاتحاد .. كابن سبعين وابن هود والتلمساني .. حيث يجوّزون التهوُّد والتنصُّر والإسلام، والتدين بهذه الأديان (الفتاوى ١٤/ ١٦٤). وتزعمها أيضًا التتار ووزراؤهم فقال عنهم ابن تيمية رحمة الله عليه: وكذلك الأكابر من وزرائهم وغيرهم يجعلون دين الإسلام كدين اليهود والنصارى، وأن هذه كلها طرق إلى الله بمنزلة المذاهب الأربعة عند المسلمين. (الفتاوى ٢٨/ ٥٢٣)

ثم جدد هذه الدعوى جمال الدين الأفغاني في القرن الماضي وساعده على ذلك تلميذه مُحَّد عبده، وفي العصر الحالي تبناها رجاء جارودي فيما سماه وثيقة أشبيلية، والآن يتبناها بعض العصريين والعقليين وبعض السياسيين برعاية أقطاب النظام العالمي الجديد أو العولمة.

قال ابن تيمية رحمة الله عليه (الفتاوى ٢٨/ ٥٢٤): ومعلوم بالاضطرار من دين المسلمين وباتفاق جميع المسلمين أن من سوغ اتباع دين غير دين الإسلام أو اتباع شريعة غير شريعة مُحَّد صلى الله عليه وسلم فهو كافر. ا.هـ

ونقل الشيخ مُحَّد بن عبد الوهاب رحمة الله عليه في النواقض العشرة أن من لم يكفر المشركين أو شك في كفرهم أو صحح مذهبهم كفر إجماعًا، وقال ابن حزم رحمة الله عليه في مراتب الإجماع ص ١١٩: واتقوا على تسمية اليهود والنصارى كفارًا.

وقال القاضي عياض رحمة الله عليه كما في الشفا: ولهذا نكفر من دان بغير ملة الإسلام من الملل أو وقف فيهم أو شك أو صحح مذهبهم وإن أظهر مع ذلك الإسلام .

وما ذكره العلماء من حكم تكفير من صحح دين اليهود والنصارى مبني على أنه يلزم من ذلك تكذيب القرآن لأن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه ﴾(سورة آل عمران آية:٨٥) ويقول: ﴿ إن الدين عند الله الإسلام ﴾(سورة آل عمران آية:١٩) .

كما يلزم منه تكذيب النبي عليه الصلاة والسلام، حيث صح عنه عليه الصلاة والسلام أنه أخبر عن نسخ الديانات الأخرى غير الإسلام، إذ صح عنه عليه الصلاة والسلام أنه رأى في يد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ ورقة من التوراة فغضب غضبًا شديدًا وقال: «أفي شك أنت يابن الخطاب»(١) وفي لفظ «أمتهوكون فيها يابن الخطاب؟ لقد جئتكم بها بيضاء نقية، والله لو أن أخي موسى حيًّا ما وسعه إلا اتباعي»(٢) وروى أبو هريرة ﷺ أنه قال: كان الناس من أصحاب رسول الله ﷺ يكتبون التوراة فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «أحمق الحمق وأضل الضلالة قوم رغبوا عما جاء به نبيهم إليهم ..»(٣) الحديث.

فتبين من هذه النصوص التي ذكرتها وما يماثلها مما لم أذكره نسخ وبطلان أي دين غير دين الإسلام، والعجب كل العجب أن أشخاصًا من قادة المسلمين يروجون لهذه النظرية الفاسدة، ويصرحون في المحافل العالمية الكافرة أنهم يدعون إلى تآخي الأديان السماوية الخالدة زعموا .

---

(١) رواه مسلم ٣٤ - (١٤٧٩).

(٢) رواه أحمد (١٥١٥٦) وحكم الألباني حديث حسن . أنظر إرواء الغليل (١٥٨٩).

(٣) أخرجه الإسماعيلي في " المعجم "(٣٨٤) وحكم الألباني ضعيف جدا . أنظر السلسة الضعيفة (٥٨٦٥) .

وهل يمكن لمسلم عاقل يتصور أن هناك دينًا خالدًا غير دين الإسلام؟ بعدما نسختها شريعة مُحَّد عليه الصلاة والسلام .. علمًا بأن الأديان السماوية السابقة كاليهودية والنصرانية دخلها التبديل والتحريف والزيادة والنقص والكتمان بسبب ما قام به أحبار السوء والضلالة قال تعالى:﴿ فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنًا قليلا .. ﴾(سورة البقرة الآية:٧٩)، وقوله تعالى: ﴿ قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورًا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرًا .. ﴾(سورة الأنعام الآية:٩١) .

ومع هذا التحريف والتبديل فقد نسختها شريعة مُحَّد عليه الصلاة والسلام وأبطلتها كما سبق.

نسأل الله سبحانه أن يعز دينه ويعلي كلمته وصلى الله على نبينا مُحَّد وعلى آله وصحبه أجمعين ..

أملاه

أ. حمود بن عقلاء الشعيبي

١٤٢١/٦/١٧ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

فتوى في طائفة النصيرية

فضيلة الشيخ حمود بن عقلاء الشعيبي حفظه الله من كل سوء

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :

من هم النصيرية وإلى من ينتسبون وفي أي تاريخ نشأت هذه الطائفة ، وفي أي بلد تتواجد ، وما هي ديانتهم ، وما رأي علماء الأمة فيهم ، وهل تجوز تهنئتهم بأفراحهم وتعزيتهم في أحزانهم بمصابهم ، وهل تجوز الصلاة على من مات منهم ...؟

أفتونا عن هذه الأسئلة مأجورين ... وجزاكم الله خيرا ..

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين ... وبعد

فإن الإجابة على هذه الأسئلة تحتمل مجلدا ولكن سنختصر في الجواب :

النصيرية طائفة من غلاة الشيعة ، نشأت في القرن الثالث الهجري ، ودخل فيها طوائف كفرية من غيرها : كالباطنية والإسماعيلية والبوذية وغيرهم من الفرق الكافرة والمنحدرة من أصل مجوسي . وهي تكثر في سوريا ، ولها وجود في البلدان المجاورة لسوريا . وهي تُنْسَبُ إلى رجل يدعى مُحَمَّد بن نصير النميري الذي ادعى النبوة وزعم أن أبا الحسن العسكري – الإمام الحادي عشر من الشيعة – كان ربا وأنه هو الذي أرسله نبيا .

أما ديانتهم فهي تقوم على معتقدات فاسدة وطقوس بالية ملفقة من اليهودية النصرانية والبوذية والإسلام .. ومن هذه المعتقدات الفاسدة لهذه الطائفة :

أولا: الغلو في الإمام على بن أبى طالب ﷺ والاعتقاد بأنه إله ورب ، وأنه خلق السماوات والأرض وجميع الكائنات ، ومن عباداتهم في الغلو بعلي ﷺ قولهم : لا إله إلا حيدرة الأنزع البطين ، ولا حجاب عليه إلا مُحَمَّد الصادق الأمين ، ولا طريق إليه إلا سلمان ذو القوة المتين .. وبهذا القول يتبين أنهم أكفر من اليهود والنصارى والمشركين .. لأنهم بعبارتهم هذه أسندوا الخلق والتدبير إلى الإمام علي بن أبى طالب ﷺ ، أما اليهود والنصارى والمشركون فإنهم مقرون بأن الله تعالى الخالق المدبر المتصرف بشؤون الخلق ..

ثانيا : القول بتناسخ الأرواح : وهو أن الإنسان إذا مات خرجت روحه وسكنت بدن حيوان آخر ، إما إنسان وإما حيوان على حسب سلوك الشخص الميت الذي خرجت منه ، إن كان فاضلا سكنت بدن حيوان فاضل ، وإن كان سيئا سكنت بدن حيوان حقير كالكلاب وغيرها ..

وحقيقة هذا المذهب أن الدنيا لا تخرب ولا تنتهي وأنه لا بعث ولا جنة ولا نار ، بل تستمر الأرواح بالتنقل من بدن إلى بدن إلى مالا نهاية ، وهذا المعتقد الفاسد أخذوه عن البوذية لأن من أصول مذهب البوذيين تناسخ الأرواح . ومن الأمور المتأصلة في مذهب النصيرية شدة عدائهم للإسلام والمسلمين وبغضهم لهم ، ومن شدة عدائهم للإسلام أنهم يلقبون الفاروق أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ بإبليس الأبالسة ويليه في الإبليسية أبو بكر ثم عثمان .. ويحرمون زيارة قبر النبي ﷺ لأن في جواره أبي بكر وعمر رضي الله عنهما !! وهذه الطائفة كانت محصورة في مكان في بلاد الشام لا يمكنون من الوظائف ولا من التعليم بناء على فتوى صادرة بذلك من شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله وما زالوا كذلك إلى أن احتلت فرنسا بلاد الشام فأخرجتهم ولقبتهم بالعلويين ومكنتهم من المناصب الهامة بالدولة .

أما رأي علماء الإسلام فيهم فهو الحكم عليهم بالخروج من الملة لما يقوم عليه مذهبهم من الشرك والقول بتناسخ الأرواح وإنكار البعث و الجنة والنار .

وقد سئل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمة الله عليه عن النصيرية فأجاب بما نصه:

(الحمد لله رب العالمين .. هؤلاء القوم المسمون بالنصيرية هم وسائر أصناف القرامطة الباطنية أكفر من اليهود والنصارى بل أكفر بكثير من المشركين ، ضررهم على أمة مُحَمَّد ﷺ أعظم من ضرر الكفار المحاربين فإن هؤلاء يتظاهرون عند جهال المسلمين بالتشيع وموالاة أهل البيت وهم في الحقيقة لا يؤمنون بالله ولا برسوله ولا بكتابه ولا بأمر ولا بنهي ولا ثواب ولا عقاب ولا بجنة ولا بنار ولا بأحد من المرسلين قبل مُحَمَّد ﷺ ولا بملة من الملل ولا بدين من الأديان السالفة ، بل يأخذون من كلام الله ورسوله المعروف عند علماء المسلمين ويتأولونه على أمور يفترونها ويدعون أنها علم الباطن من جنس ما ذكره السائل.... – ثم استمر رحمه الله في الجواب إلى أن قال – : ومن المعروف عندنا أن السواحل الشامية إنما استولى عليها النصارى من وجهتهم – أي وجهة النصيرية – وهم مع كل عدو للمسلمين ، ومن أعظم المصائب عندهم انتصار المسلمين على التتار !!) .. والفتوى طويلة نكتفي منها بما ذكر .

أما تهنئتهم بأفراحهم وتعزيتهم بمصابهم والصلاة على موتاهم فهذه أمور محرمة ولا تجوز ، لمخالفتها قاعدة الولاء والبراء التي هي أصل مهم من أصول التوحيد ..

هذا وصلى الله على نبينا مُحَمَّد وعلى اله وصحبه أجمعين ..

أملاه أ. حمود بن عقلاء الشعيبي ١٤٢١/٣/٢٥هـ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

فتوى في المدعو حسن فرحان المالكي

فضيلة الشيخ حمود بن عقلاء الشعيبي .. حفظه الله.

لقد كثر الحديث عن حسن بن فرحان المالكي وخاصة بعد إثارته لعدد من القضايا في وسائل الإعلام كالصحف والمجلات والقنوات الفضائية، وهذه القضايا عن عدالة الصحابة والدفاع عن الفرق الضالة واتهام كتب أهل السنة وأئمتهم بالنصب، وغيرها من القضايا التي نرجو من فضيلتكم بيانها وجزاكم الله خيرًا.

الجواب :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين .. وبعد

فقد كثر في عصرنا الحداثيون والعلمانيون والمعتزلة وغيرهم من أصحاب العقائد الفاسدة، الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون، وأخطرهم وأعظمهم أثرًا من جمع خليطًا من هذه العقائد الفاسدة والأفكار المنحرفة، لا سيما الطعن في الصحابة، والقدح في أهل السنة وفي كتبهم، والدفاع عن أهل الضلال، وعلى رأس هؤلاء حسن بن فرحان المالكي، الذي قد تضخمت انحرافاته، وتعاظم شره، وبيان ذلك بأمور:

أولا: طعنه في الصحابة وحصره الصحبة في المهاجرين والأنصار فقط وأنهم الذين هاجروا قبل الحديبية وبيعة الرضوان، وقوله بعدم عدالتهم في الجملة، وزعم أن هذا التعريف عليه جمهرة من المحدثين وأكثر الصحابة، وقوله أيضًا بأن الصحابة ليس كلهم عدول والأدلة التي ذكرها العلماء في إثبات عدالة الصحابة كلهم لا تفيد ذلك، وقال إن بيعة أبي بكر لو سبقها شورى واتفاق فإن معظم الناس سيختارون عليّا لفضله وقربه من النبي ﷺ وكونه من بني هاشم أفضل قبيلة في قريش، وسبب ميل الأنصار لعلي أكثر من ميلهم لأبي بكر وعمر لأن عليًّا كان أكثر فتكًا في مشركي قريش بعكس أبي بكر وعمر وعثمان إذ لم يثبت أنهم قتلوا من قريش أحدًا باستثناء رجل واحد قتله عمر يوم بدر، وقال إن بيعة أبي بكر أشبه ما تكون بالغلبة والقهر وجمهور الصحابة لا يرون بيعته بلا شورى، وأن نصف الأنصار وافق على بيعة أبي بكر على مضض، وقال إن البعض يرى أن اختلاف الصحابة في السقيفة على الخلافة لم يكن بأسباب بحثهم عن مصلحة الإسلام، بل هناك أسباب قبلية وتعصب لفئات وأشخاص وليس هناك دليل شرعي يمنع من هذا، وقال إن الأمر لم يستتب لأبي بكر ولا لعمر إلا بانشغال الناس بالفتوحات التي أنستهم الأحق في الخلافة، وقال عن معاوية إنه انتزى على الأمة بالسيف وجعل الخلافة ملكًا عضوضًا واستأثر ببيت مال

المسلمين وأحدث مفاسد، وأنه خرج على علي بهدف سياسي بحت وليس المطالبة بدم عثمان ولا غيره، وأنه من أبرز النواصب في الشام، وقد لعنه ابن عباس وكان يلعنه أيضًا كثير من المهاجرين السابقين والأنصار وذهب إلى جواز لعنه من العلماء المتأخرين مُحَمَّد بن عقيل في كتابه (النصائح الكافية)، وقال عن أبي سفيان شكك العلماء في إسلامه، وقال إن أبا هريرة يروي عن كعب الأحبار بعض الإسرائيليات فيرويها الناس عنه ظنًا منهم أنها أحاديث عن النبي ﷺ، وقال عن أبي هريرة رضي الله عنه أيضًا أنه يهم وينسى في التحديث، وكذلك قال عن عبد الله بن عمرو أنه ظفر بزاملتين يوم اليرموك فهو يحدث منهما فيظن الناس أنه يحدث عن الرسول ﷺ، وقال بأن عبد الله بن الزبير يقاتل من أجل الملك، وقال عبد الله بن عمر يهم وينسى في الحديث، وقال الذين أسلموا بعد الفتح ليسوا صحابة وهم أصحاب أطماع مادية، وقوله عمرو بن العاص وخالد بن الوليد والمغيرة بن شعبة ومن أسلم بعدهم ليسوا من الصحابة، هذا بعض ما قاله إلى غير ذلك من تعمده ذم الصحابة وإنكار فضلهم وإسقاط عدالتهم.

ثانيًا: عدم إثباته لبعض من الصفات التي وردت في السنة ويزعم أن فيها تشبيهًا وتجسيمًا، ويميل إلى قول الجهمية والمعتزلة في عدم التشبيه والتجسيم كما زعموا، ويقول بأن أهل السنة يثبتون بعض الصفات لله التي أخذوها من التلمود، ويتهم الحنابلة بأنهم متفقون مع العامة بالتجسيم والتشبيه، ولا يثبت تشبيه صوت الله إذا تكلم بجر السلسلة على صفوان كما عند البخاري ويقول المالكي تشبهي واضح لا يليق بالله تعالى ولا يثبت بسند صحيح، ويكذب رؤيا النبي ﷺ بأن الله وضع يده بين كتفيه حتى وجد بردها خزعبلات رغم أنه حديث حسن.

ثالثًا: تركيزه على أن عقيدة أهل السنة صنعها الصراع السياسي وأنها تشكلت حسب الصراع وليس بناء على الأدلة الشرعية أو اتباع الرسول ﷺ أو الصحابة، ثم رمى الأمة بأنها أحدثت في العقيدة أمورًا ما أنزل الله بها من سلطان وذلك بأسباب الصراعات السياسية كالقول بعدم خلق القرآن و تشبيه الله بخلقه بإثبات صفات له كصفات البشر.

رابعًا: لمزه أئمة أهل السنة، فخذ مثال ذلك،قال عن ابن تيمية أنه هو الذي أحيا عقيدة النصب بعد أن كادت أن تنتهي في بداية القرن الثامن، وقال ابن كثير ناصبي متأثر بأهل بلده، والذهبي كذلك، وقال عن ابن القيم أنه قليل العلم قليل الورع متعصب يكفر جمهور المسلمين والبربهاري صاحب إرهاب فكري على خصومه، وعبد الله ابن الإمام أحمد يروي الخزعبلات والموضوعات والإسرائيليات، وأهل السنة ولا يروون عن آل البيت كثيرًا بسبب ثوراتهم السياسية.

خامسًا: قدحه في أئمة الحنابلة وطعنه في كتبهم والتشكيك بآرائهم، والحامل له على ذلك قوة الحنابلة في العقيدة وحملهم راية التوحيد ومصاولة الباطل ومقارعة الفساد، زيادة على ذلك قيامهم على أهل البدع والتشريد بهم وكشف أباطيلهم وبيان ضلالهم، فالمالكي يدعي على الحنابلة بعدة دعاوى هي:

١- بأنهم أدخلوا في العقيدة ما ليس فيها.

٢- أن عندهم غلو في التكفير.

٣- عندهم إرهاب لخصومهم.

٤- يضعون الأحاديث ويغيرون في الأسانيد والمتون ويكذبون على أحمد بن حنبل لخدمة مذهبهم.

٥- شهدوا على كثير من المسلمين بالفاحشة وقتلوا بعض فقهاء الشافعية.

٦- لا يفهمون حجج الخصوم ويحكمون عليه بلازم أقوالهم.

٧- يعممون خطأ الفرد على أهل مذهبه جميعًا وعندهم ظلم وتكفير وافتراء على خصومهم.

٨- تضعيفهم لثقات المخالفين وتوثيقهم.

٩- عندهم غلو في شيوخهم.

١٠- متقدم الحنابلة في القرن الثالث والرابع فيهم انحراف عن علي ابن أبي طالب.

سادسًا: قدحه في كتب العقيدة عند أهل السنة وقوله إن فيها من الحق قليلا، وهي كتب الفساد والإفساد، وما هزم المسلمون إلا بأثر كتب العقائد؛ لأن فيها تكفيرا للمسلمين وغلوا في المشايخ، وفيها كذب وقسوة وشتم وظلم، وفيها تجسيم وتشبيه صريح، والتأويل الباطل للنصوص، وإرهاب للمتسائلين، وتفضيل الكفار على المسلمين وتفضيل الظلمة والفسقة على الصالحين، والمغالطة والانتصار بالأساطير والأحلام، وتجويز قتال الخصوم، وروايات للإسرائيليات، والتناقض والكذب على الخصوم وزرع الكراهية الشديدة مع عدم معرفة حق المسلم، واستشارة العامة والغوغاء، والتزهيد من العود للقرآن الكريم مع المبالغة في نشر أقوال العلماء الشاذة، والتركيز على الجزئيات وترك الأصول، وإطلاق دعاوى الإجماع ودعاوى الاتفاق كذبًا وزورًا، وسمة من سمات كتب العقائد التناقض أيضًا.

سابعًا: دفاعه عن أهل البدع والضلال، كالرافضة والقرامطة وغلاة المعتزلة والجهمية والمتفلسفة، وعدّهم من جمهور المسلمين، بل إنه يدافع عن أئمة الضلال مثل عمرو بن عبدي وواصل بن عطاء وابن المطهَّر والجهم بن صفوان والجعد بن درهم وغيلان الدمشقي وغيرهم ممن يسميهم العلماء -كما يزعم- وهم كأبي حنيفة وأحمد بن حنبل وابن تيمية ومُحَمَّد بن عبد الوهاب وقال

مانصه :كنت آسفا على سنوات أضعتها فى بغض ولعن الجهمية والقدرية ولم أنتبه لبراءتهما وظلمي لهما إلا بعد بحثي في الموضوع في فترة متأخرة وقد انخدع كثير ما علماء الأمة الإسلامية بهذا وتواطئوا عليه تواطؤًا عظيمًا، وقال عن المعتزلة: يكاد يتفق دارسو التاريخ على إثبات دورهم الكبير في صد شبه الملحدين والزنادقة، وهم فرقة لهم أخطاء لكنهم في الجملة لا يستغني عنهم ولا عن تراثهم وعلومهم وهم مسلمون بدين الإسلام باطنًا وظاهرًا وهذا يوجب لهم حق الإسلام كما لا يخفى على عاقل.

ويتضح لك من ذلك أنك لا تراه مع أهل البدع والضلال إلا مواليًا مناصرًا مدافعًا عنهم بالباطل وينفي ما نقله العلماء عنهم أنه حق بدعوى أنه اتهام من خصومهم، وإذا جاء الحديث عن أهل السنة وعلمائهم تنصل من نصرهم وحاول التشكيك في علومهم واجتهاداتهم، وذمهم بما هو شرف لهم.

ثامنًا: جراءته في الكذب على الأئمة فهو لا يخجل أبدًا بأن ينسب قولا من الأقوال الشاذة إلى أحد من الأئمة أو إلى الصحابة أيضًا، وكثيرًا ما يدعي اتفاق الصحابة على أمر لم يثبت أو ينفي اتفاقهم على أمر ثبت بأسانيد صحيحة كقوله مثلا عن الصحابة لم يجمعوا إلا على شيء معروف في نص شرعي غالبًا لكن أكثر دعوانا في إجماعهم افتراء عليهم كتفضيل أبي بكر، أوقوله عن أنس بن مالك وشعبة وسعيد بن المسيب ويحي بن معين وأبي زرعة وغيرهم أنهم لا يرون أن الصحابي كل من رأى النبي ﷺ بل الصحابي هو المهاجري أو الأنصاري الذي أسلم قبل الحديبية، ومستنده هو الكذب والافتراء ونصرة مذهبه وبدعته.

تاسعًا: جهله حتى بمعاني الحديث فلما سمع حديث تكليم الله لموسى وكان موسى عليه جبة من صوف ونعلين من جلد حمار، ظن أن الحنابلة يزعمون أن الله هو الذي كان يلبس جبة الصوف والنعلين فاستعظم الأمر وسب الحنابلة لافترائهم على الله.

عاشرًا: أسلوبه في كتاباته خبيث سيىء في ما يكتب عن أهل السنة وكتبهم وأئمتهم، وبالمقابل هين لين وديع مع الرافضة ورواتهم، وأسلوبه أيضًا يفتقد إلى الطرح العلمي الموثق ويعتمد على الكذب وبتر النصوص، والتعالم ونسبة المقولات التي سبقه بها الرافضة أو غيرهم إلى نفسه.

الحادي عشر: سعيه الحثيث والدائم على تشويه حقائق التاريخ والتشكيك بها، رغم أنه لم يأت إلى الآن بما يصلح أن يكون نقدًا علميًا موثقًا ومعتبرًا عند أهل التخصص سوى بعض كلامه على سيف بن عمر، إنما همه النيل من المؤرخين جميعًا، ووصفه بأن التاريخ وضع ليخدم السلاطين، ولا يوجد عندنا من التواريخ ما يصلح لأن نعتمد عليه كحقائق فكلها تمثل وصفًا للصراعات السياسية

والمذهبية فقط، والسلطة السياسية هي المسؤولة عن تشويه التاريخ زيادة إلى النزاعات المذهبية وضعف العقل وضعف التحليل، وأن الذي يقرأ كتب المتقدمين في التاريخ أو العلوم الشرعية بإحسان ظن مبالغ فيه فإنه سيكون ضحية للتشويهات والتحيزات التي فيها، واتهامه لجميع المؤرخين المعاصرين بالجهل وتشويه حقائق التاريخ وكتبهم أكثرها خلط وتحكيم للعقل وجمع للضعيف ولا يحسن أحد منهم على تحقيق إسناد واحد وهم أبعد الناس عن منهج أهل الحديث، وكثير منهم يستحلون الكذب والتحريف، وقد طمسوا الحقائق وبعضهم تلاعب بتاريخنا الإسلامي، إلى غير ذلك من التهم.

الثاني عشر: اتهامه الأمة بأنها لم تقاتل لأجل الدين بل كانت تقاتل لأجل الدنيا، كما قال أنا لا أعد الفتوحات الإسلامية إلا في عهد الخلفاء الراشدين، أما العهد الأموي فغالبًا يسميه استعمارًا أمويًا.

الثالث عشر: لديه تقية وغموض في طرحه فتارة يردد أقوال الرافضة فإذا رد عليه أحد انقلب ليثني على الصحابة، فهو مضطرب المنهج والنقل، ففي كل مقالة له يظهر لنا ما يدل على اضطرابه وتذبذبه.

الرابع عشر: تشكيكه للعامة بالحق، فهو كثيرًا ما يطرح للعامة بعض التساؤلات التي تحيرهم، كقوله بأن التاريخ يحتاج إلى تحقيق شامل وفيه من الدس كثير، وقوله صحيح البخاري فيه أخطاء كثيرة ويحتاج إلى تحقيق لأن البخاري عنده ضعف في أسلوبه لأنه كما يروي بالمعنى والرواية بالمعنى إشكالة كبرى، وقوله إن العقيدة أدخل فيها ما ليس من العقيدة في شيء، والسنة الصحيحة حولها جدال كبير، والأحاديث حتى الآن لم تخضع لنقد علمي منصف متجرد، وغير ذلك مما يشكك به الأمة ويسقط أصولها.

الخامس عشر: تعميم خطأ الفرد على الجميع، يفرح المالكي إذا وجد على أحد من العلماء خطأ في كتاب من كتبه، خاصة إذا كان من الحنابلة فيسارع إذا ظفر بمثل ذلك إلى اتهام أهل البلد جميعًا أو المذهب كله بذلك فيعمم خطأ الفرد ليشمل الجميع، ناهيك عن إسقاط الكتب بسبب خطأ واحد يجده فيها يعمل على تضخيمه ليؤدي غرضه، وهذه أسهل طريقة يسقط بها الآخرين.

جميع ما ذكرته من أقوال له موجودة في كتبه: (الصحابة بين الصحبة اللغوية والصحبة الشرعية) و(قراءة في كتب العقائد) ومحاضرات صوت هي (عدالة الصحابة) ومقابلة صوتية مع قناة الجزيرة في يوم ٢٢/ ٤/ ١٤٢١ هـ ومقالات متفرقة في جريدة الرياض طبعتها الجريدة بعنوان (نحو إنقاذ التاريخ الإسلامي).

السادس عشر: ختم هذا النكرة سلسلة ضلالاته وهذيانه الذي بدأه بالطعن فى أصحاب رسول الله ﷺ وتجريحهم وإخراج معظمهم من شرف صحبة رسول الله ﷺ ، وأنكر وجود بعضهم وادعى أنه خرافة لم يرد ذكره إلا عند واحد من المؤرخين ، ويعنى بذلك البطل الشجاع الذي لا تخفى مواقفه المشرفة فى المعارك على أحد حتى على العوام ، وهو البطل القعقاع بن عمرو .

ثم استمر فى طريقته القذرة يتناول بكتاباته أئمة الهدى والدين بالسب والتجريح ، أولئك الأئمة الأعلام الذين دافعوا عن عقيدة السلف ، وضحوا بكل غالٍ ونفيس لنصرة العقيدة والشريعة والذب عنها ، والوقوف فى وجه كل ضال وملحد ، كالإمام أحمد بن حنبل رحمه الله والإمام ابن تيمية وابن القيم وغيرهم من أئمة أهل السنة رحمهم الله .

ثم ختم ذاك النكرة سلسلة ضلالاته بنقد الإمام المجدد الذي استطاع بتوفيق الله ثم بما أعطاه الله من علم وحنكة وإخلاص لربه أن يغير حالة الجزيرة العربية وما حولها من البلدان من كونها تعيش فى جاهلية جهلاء تغلب عليها الوثنية من عبادة الأصنام والأوثان والقبور والأشجار إلى جعلها مركزاً ومقرًّا للتوحيد الخالص ، ألا وهو الإمام الشيخ مُحَمَّد بن عبد الوهاب رحمه الله ، محيي السنة وقامع البدعة ، حيث تناول كشف الشبهات الذي يعتبر من أنفس ما كتب رحمه الله فى توحيد الإلهية والرد على المشركين وكسر شبههم ، فتناول المالكي هذا الكتاب الجليل بالرد الذي سماه : نقض كشف الشبهات .

وسأذكر فيما يلي بعضًا من هذيان هذا الجاهل المجهول ، وأكتفي بذكرها تاركًا للقارئ تقييمها والاطلاع على عورها ، وقد سمى المالكي هذيانه هذا (نقض كشف الشبهات) وهذا العنوان كاف فى إظهار ما يكنه هذا الأرعن من حقد دفين ضد أهل السنة والجماعة ، وما سأذكره من نقاط تساوى عشر ما رمى به هذا الجاهل هذا الشيخ الإمام .

قال ص٣ : هكذا يرسم صورة جميلة (يعنى الشيخ مُحَمَّد بن عبد الوهاب) عن كفار قريش ليبرر له تكفير المسلمين ، وقد تكرر مثل هذا الكلام فى غير هذا الموضع ، وقال فى نفس الصفحة : إن الشيخ مُحَمَّد بن عبد الوهاب قاتل المسلمين .

وفى ص٧ قال : إن الشيخ يكفر علماء المسلمين ، وفى ص٨ يزعم أن فى كلام الشيخ ظلم ، وفى نفس الصفحة ينسب إلى الشيخ تكفير المسلمين ، والكتاب قائم على دعم هذه الفكرة فى كثير من صفحاته ، وفى ص١٠ قال فى تعليق له على كلام الشيخ ، قال : سبحانك هذا بهتان عظيم ، وفى نفس الصفحة قال معلقًا على كلام الشيخ : هذا ظلم أعظم من ظلم خصوم الشيخ له ، وفى ص١١ قال : هذا تكفير صريح للمخالفين له ممن يسمونهم خصوم الدعوة أو أعداء التوحيد

أو أعداء الإسلام ، وفى ص١٣ قال: إن الشيخ غفل عن مثل هذه الدقائق فوقع فى تكفير المسلمين ، ويقول فى نفس الصفحة : على هذا لن يدخل الجنة فى زمن الشيخ إلا أهل العيينة والدرعية .

وفى ص١٤ قال : إن الشيخ زرع خيرًا كثيرًا وشرًّا مستطيرًا ، وأنه بالغ حتى وصل إلى الغلو المذموم ، وقال فى نفس الصفحة : بل إن الخوارج أنفسهم فى الأزمان المتأخرة لا أظن أنهم كفروا العوام أو استحلوا دماءهم كما فعل أتباع الشيخ بفتوى منه فى العلماء والعوام ، وفى ص١٥ نسب التكفير المعاصر إلى فتاوى الشيخ وعلماء الدعوة ، وفى نفس الصفحة يرى أن الدرر السنية فيها تكفير للمسلمين ، وفى ص١٦ قال: إن هذه الفوضى التكفيرية من نتائج منهج الشيخ مُحَمَّد بن عبد الوهاب الذي توسع فى التكفير ، ويدعى فى ص١٧ أن الشيخ يفرح إذا علم بحوادث شركية فى الحجاز أو عسير أو سدير ليتخذها حجة فى تكفير وقتال تلك الجهة ، وفى ص١٩ وصف الشيخ مُحَمَّد بالجهل فى الأسماء والأحكام وموانع التكفير .

وقال فى ص٢٠ : تعقيبًا على كلام الشيخ : فأنتم تؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ، وألمح فى ص٢٦ إلى أن منهج الشيخ يلزمه الكفر ، وفى ص٢ يرى أن الغلو فى الصالحين ليس من الشرك الأكبر المخرج من الملة ، وفى ص١١ يدافع عن ابن فيروز وابن عفالق وأضرابهم ويستنكر تكفيرهم ، وفى ص٨ يخالف صريح القرآن إذ يقول : وليس صحيحًا ما ذكر من أن المشركين يعلمون أن الله هو الخالق الرازق ، وفى ص١٢: يقول فالخوارج قالوا بصرف الحكم كله لله (لا حكم إلا لله) وهى كلمة حقٍّ أُريد بها باطل مثلما أراد الوهابية من قولهم : (لا ذبح إلا لله ولا توسل إلا بالله ولا استغاثة إلا بالله ..) وفى ص٢٥ يرى أن عند الصحابة (الطلقاء) اعتقادات باطلة .

وما ذكرته قليل من كثير، فلو تتبعت كل ما قاله هذا الأرعن لطال الكتاب ، ولكن أكتفي بما قدمته فهو كافٍ لإدانته .

وبناءً على ما تقدم فإنه يتعين أن يتخذ فى حقه ما يلي :

أولاً: منعه من الكتابة .

ثانيًا : مصادرة ما كتبه من بحوث ومنع تداولها .

ثالثًا : إبعاده عن أي عمل له علاقة بالتعليم .

رابعًا : إحالته للقضاء الشرعي لتتم محاكمته لطعنه بالصحابة وعقيدتهم وقذفه أئمة الهدى بالضلال والإضلال والتشبيه والتجسيم والنصب ، وطعنه فى عقيدة الشيخ الإمام مُحَمَّد بن عبد الوهاب وافترائه عليه .

نسأل الله أن ينصر دينه ويعلي كلمته ، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين.

قاله/ فضيلة الشيخ حمود بن عقلاء الشعيبي

٢٦/ ٦/ ١٤٢١ هـ

مقالات الشيخ العلامة حمود بن عقلاء الشعيبي

رسالة نقد (الثمار الشهية)(١)

لاشك أن العقيدة الواسطية لها مكانة مرموقة بين العلماء المحققين ولها ميزتها الخاصة من حيث اختصار اللفظ ودقة المعنى وسهولة التعبير ،فقد جمعت من أدلة أصول الدين العقلية والنقلية الكثير واشتملت على أصول وقواعد قطعية قلما توجد في غيرها ،من ذلك فقد ظلت ردحًا من الزمن بدون شرح يجلو غوامضها ويكشف ماخفي من عباراتها إلى أن وفق لشرحها فضيلة الأستاذ الجليل الشيخ زيد بن فياض فجاء شرحه وافيًا بالمقصود حافلًا بالمسائل والبحوث الممتعة متحليًّا بحسن الترتيب للنقول ،إذ قد سلك في النقل طريقة لائقة ،فقد راعى أمانة في التأليف فنسب كل نقل إلى مصدره مشيراً إلى الكتاب والصفحة التي نقل منها، وهي طريقة لا شك مستحسنة ،كما أن لفضيلة الشيخ العالم العلامة عبد الرحمن بن ناصر سعدي حاشية على الواسطية لم تطبع حتى الآن. ولفضيلة أستاذنا الشيخ الجليل عبد العزيز بن رشيد شرحًا جميلًا له قيمته ومكانته العلمية .

وأخيرًا شرحها الأستاذ مُحَمَّد خليل هراس، وهو ولا شك في فضله وعلمه ، فقد عني بقراءة كتب السلف ولا سيما مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية ، فقد تأثر بها ، وكتب عن حياته كتابًا أسماه :(ابن تيمية السلفي) . ثم كتب شرحه على (الواسطية) الذي نحن بصدده ، وهو موضوع بحثنا ، ويمتاز بالاختصار وعدم التكلف ، غير أن لي عند قراءته بعض الملاحظات ، عرضت لي عند قراءته فأحببت أن ألفت نظر قارئ هذا الكتاب ؛ليتنبه لهذه الأخطاء:

فقال المؤلف في (ص ٣) عندما تكلم عن اشتقاق الاسم :(والمختار أنه مشتق من السمة ، بمعنى العلامة) فقوله : والمختار أنه مشتق من السمة ! غير صحيح ، فإن المختار :أنه مشتق من السمو ، أي : العلو .كما هو رأي البصريين ، ويدل عليه قول المبرد : الاسم : ما دل على مسمًى تحته.

أما الرأي الذي ذكره الأستاذ : أنه المختار ، فمردود من عدة أوجه :

١– أن النحاة أجمعوا على أن همزته همزة تعويض . والقاعدة المطردة: أن الهمزة لا تعوض في أول الكلمة . والقاعدة : أنه إذا حذفت الفاء أن يعوض عنها الهاء في الآخر .

---

(١) صحيفة القصيم – العدد (١٤) في ١٣٧٩/٩/٤هـ .

لم أجد للشيخ حمود رحمه سوى ثلاثة مقالات والشيخ رحمه الله يقول ان له مقالات كثير في جريدة القصيم ولكني لم أجدها ؟ .

٢- أنهم جمعوه على (أسماء) . ولو كان مشتقًّا من الوسم لجمع على (أوسام) .
٣- أنهم صغروه على (سمي) ولو كان اشتقاقه من الوسم لصغر على (وسيم).
٤- أنك تقول :أسميت الشيء . ولو كان من الوسم لقيل : وسمته .

ووجه ملاحظتي على كلام الأستاذ ؛ لا لأنه ذكر أحد الرأيين ، بل لأنه ذكر أنه المختار ، والمختار خلافه كما علمت .

وأيضًا قال في نفس الصفحة في تعريف الاسم : ((والاسم هو اللفظ الموضوع لمعنًى تعيينًا له ، أو تمييزًا)) . هذا ما عرف به الاسم ! غير أنه تعريف ناقص؛ لأن الحد يجب فيه أن يكون منعكسا مطردًا ، أي : مانعًا جامعًا ، وهذا التعريف الذي ذكره الشارح جامع غير مانع ، فإنه وان كان جامعًا لأفراد الاسم فهو غير مانع لغيره من الدخول ، فإن الفعل والحرف داخلان في هذا التعريف ؛ إذ كل منهما لفظ وضع لمعنًى ، تعيينًا له أو تمييزًا .

والحد الصحيح : أن يقال: الاسم: لفظ وضع لمعنًى في نفسه غير مقترن بزمن .

اعلم أيها القارئ الكريم أنني أحببت أن أتكلم على الكتاب من أول صفحة منه ؛ لذا بدأت بهاتين النظرتين ، أما الرد الجوهري الذي يمس العقيدة فسنمر عليه في النشرات القادمة إن شاء الله ... للحديث صلة .

حمود بن عقلاء

رسالة النقد حول (الثمار الشهية)(١)

قدمت لك أيها القارئ العزيز في العدد الماضي بعضًا من ملاحظاتي على كتاب (الثمار الشهية). ووعدت بأني سأوافي القراء ببقية الملاحظات بالتسلسل :

قال الشارح في صفحة (٩) في كلامه حول شهادة لا إله إلا الله : (ولا تعتبر الشهادة إلا إذا كانت مصحوبة بالإقرار والإذعان ، وواطأ عليها القلب اللسان) .

يتضح لك من كلامه أن الشهادة لا تعتبر بوجه من الوجوه إلا إذا تواطأ عليها القلب واللسان ! وهذا خطأ ؛ فإن الشهادة معتبرة قطعًا في بعض الأحوال ، كعصمة الدم والمال ، وصحة التزوج من المسلمين ، والتوارث معهم ، واستحقاق القسم من الغنيمة .

وبالجملة فالشهادة معتبرة في الأمور الظاهرة دون الباطنة وإن لم يواطئ عليها القلب اللسان ، ولهذا اعتبرت من المنافقين مع عدم مواطأة ما في قلوبهم لما تنطق به ألسنتهم .

ولعل من أوضح ما يستدل به في هذا المقام ، قوله ﷺ : (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها ، وحسابهم على الله)(٢) . فمدلول الحديث أن الرسول ﷺ اعتبر الشهادة عاصمة للدم والمال بمجرد النطق بها ، ووكل إقرار القلب ومواطأته اللسان إلى الله سبحانه ؛ إذ قال : (وحسابهم على الله) . أي : الله يحاسبهم على بواطنهم . وقال في صفحة (١٠) في معرض حديثه عن قول ابن تيمية (إقرارً به وتوحيدًا) : (أي : التوحيد الطلبي الإرادي) .

يفهم من حصر الشارح التوحيد في عبارة الشيخ ابن تيمية بالتوحيد الطلبي الإرادي : أن الشيخ رحمه الله لا يقر بتوحيد الأسماء والصفات والأفعال ! وليس الأمر كذلك ؛ فإن (توحيدًا) في عبارة الشيخ مصدر لفعل محذوف ، أي :وأوحد الله توحيدا . فيشمل أنواع التوحيد كلها . وواقع ابن تيمية وسيرته يشهدان بذلك ، فلقد قضى أيام حياته في تقرير التوحيد بأنواعه الثلاثة ، ولعل في كتابه رسالة (الواسطية) التي شرحها الأستاذ الهراس، أقوى دليل على ماذكرنا .

ومما تقدم يتبين للقارئ : أن عبارة ابن تيمية لا تقتصر على هذا النوع من التوحيد . وأنا وإن كنت لا أشك أن الأستاذ معي في هذا الرأي ، ولما كان في العبارة قصور ، نبهت عليه .

---

(١) صحيفة القصيم – العدد (١٥) – ١٣٧٩/٩/١١هـ.

(٢) أخرجه البخاري (٢٥ ، ١٣٩٩ ، ٢٩٤٦) ، ومسلم (٢٠، ٢٢) من حديث أبي هريرة وابن عمر ﷺ .

وهذا ، وقال في صفحة (١٣) في تعريفه للفرقة الناجية ؛ أهل السنة والجماعة : (والمراد بهم هنا سلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين) . كذا قال . وهو قاصر ؛ فإن أهل السنة والجماعة (٣) لا يحصرون بمن ذكر ، بل هم من كان على مثل ما عليه الرسول ﷺ وأصحابه إلى يوم القيامة ، كما عرفهم الرسول عندما سئل : من هم الفرقة الناجية ؟ فقال: (هم من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي)(٤)

حمود بن عقلاء

المدرس بكلية الشريعة بالرياض

***

---

(٣) في الأصل :((السنة الجماعية)) .

(٤) أخرجه الطبراني في الأوسط (٤٨٨٦ ، ٧٨٤٠) من حديث أنس وأخرجه الحاكم (١٢٩/١) ،والمروزي في السنة (٥٩) ، وابن بطة في الإبانة (٢٦٥) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما .

وانظر السلسلة الصحيحة (٢٠٣ ، ١٤٩٢) ، والضعيفة (١٠٣٥)

رسالة النقد حول (الثمار الشهية)(١)

سبق أن قدمنا لك بعض الأخطاء التي وردت في كتاب (الثمار الشهية) ، وبينا وجه الصواب فيها ، ونحن نتابع الكتابة في هذا الموضوع ، فنقول :

قال في صفحة (٥٣) : (على أنه لايلزم من هذا المجيء والإتيان شغل مكان وتفريغ مكان ، ولا الهبوط أو الانتقال)كذا قال ! ولكن ما ذكره مخالف لرأي السلف الصالح وأئمة الهدى من طريقين :

أولاً : أنه من النفي المفصل الذي يفضي بصاحبه إلى التعطيل المحض .

ثانيًا : أنه من الخوض في كيفية الصفات التي يستحيل على البشر معرفتها ، والطريقة الإجمالية (٢) السلف في النصوص الصفات : أنهم يؤمنون بمعانيها ويقرونها بما يوافق اللغة ، ويمسكون عن الخوض في كيفيتها وكنهها ، وإليك بعض الأمثلة على ذلك :

سئل مالك ، فقيل له : (الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ) [طه: الآية ٥] كيف استوى ؟ فقال : الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة ، وغضب وأمر بإخراج السائل ؛ لأنه عرف أن سؤاله عن الكيفية ، فأراد غلق باب الخوض في كيفية الصفات ، والاقتصار على ما ورد .

وقال في صفحة (٦٢) : (وأما القدرة فهي الصفة التي تتعلق بالممكنات) .

تخصيص قدرة الله بالممكنات من علم الكلام المذموم الذي هو أصل كل بلاء وضلال في أصول الدين ، وإلا فقدرة الله عامة شاملة لكل شيء ، وكما نص القرآن على ذلك ، حيث يقول : (إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) [البقرة : الآية ٢٠] أما ما يذكرونه من الفرضيات المستحيلة التي لا يتصور وقوعها ، فليست بشيء حتى يقال : هل تتعلق بها القدرة أو لا تتعلق بها .

وقال في صفحة (٦٧) في معرض كلامه على أفعال الله الاختيارية : (فإنها تتجدد في ذاته) .

كرر هذا القول في أكثر من موضع من كتابه ، وهو خطأ ؛ إذ لا يليق إطلاق هذا القول في حق الله ؛ لأنه يوهم أن يكون الله محلًا للحوادث ، فالواجب أن يقال : قامت الأفعال الاختيارية بالله ولا يجوز أن يقال : حدثت في ذات الله ، أو حلَّت أو تجددت في ذاته ؛ لما في هذه الألفاظ من الإجمال والإيهام .

---

(١) صحيفة القصيم – العدد (٢٣) في ١٤ /١١/ ١٣٧٩هـ .

(٢) في الأصل : (الإجماعية)

وقال في صفحة (٧٩) حول اختلاف الناس في كلام الله : (ومنهم من زعم أنه حروف وأصوات قديمة لازمة للذات ، وقال : إنها مقترنة في الأزل ، فهو سبحانه لا يتكلم بها شيئًا بعد شي .
وهم بعض الغلاة من الحنابلة) .
تخصيص بعض الحنابلة غير صحيح ؛ فإنه روي أيضًا عن طائفة من علماء الكلام ، وكما هو قول لبعض المحدثين ، وعلى كل فهو قول باطل ، يجب تنزيه الباري عنه .
وقال في صفحة (٨٢) : (وليس فقط عبارة أو حكاية عن كلام الله ، كما يقوله الأشعرية) .
نسبة هذا القول إلى الأشاعرة ، هكذا على الإطلاق ليست صحيحة ، فالأشاعرة ، وإن قالوا : بأنه عبارة عن كلام الله لا يقولون : إنه حكاية عنه . وإنما الذي يقول : القرآن حكاية عن كلام الله هم الكُلاَّبية . وقال في صفحة (٩٠) : (حكم السنة حكم القرآن في ثبوت العلم واليقين) .
ليس هذا القول على إطلاقه ، فإن السنة قسمان : آحاد وتواتر . ومعظم السنة من القسم الأول ، وكلامه إنما يصدق على القسم الثاني ، أما القسم الأول الذي هو قسم الآحاد ، وهو معظم السنة ، فلا يثبت له حكم القرآن ؛ إذ دلالته ظنية ، ودلالة القرآن قطعية . وقال في صفحة (١٠٦) : (عدولاً خيارًا).
جمع المؤلف عدل على عدول ، وهو وإن عبر به بعض الفقهاء ، فإنه لا يجوز لغة ؛ لأنه من النعت بالمصدر ، والنعت بالمصدر لا يجوز جمعه ، بل يجب إفراده وتذكيره ، قال ابن مالك في (الخلاصة) : ونعتوا بمصدر كثيرًا فالتزموا الإفراد والتذكيرا . وقال في صفحة (١٣٣) حول الكلام على مراتب القدر : (وثانيهما : الإيمان بالأمر الشرعي) . قوله : وثانيهما : الإيمان بالأمر الشرعي . غلط ، لا صلة له بدرجات القدر التي ذكرها ابن تيمية .والصواب أن ثانيهما : خلق الله للأشياء ، وإيجاده لها ، وإيضاح ذلك أن القدر على درجتين ، كل درجة تتضمن شيئين ؛ فالدرجة الأولى تشتمل على أمرين ؛ أولاً : علم الله القديم بجميع الأشياء .
ثانيًا : كتابته لها في اللوح المحفوظ .
والدرجة الثانية : تشتمل على شيئين أيضًا ، أولا : مشيئة الله الشاملة لجميع الأشياء. ثانيًا : خلقه لتلك الأشياء ، وإيجاده لها . وهذا القسم الأخير من الدرجة الثانية ، وهو موضع المؤلف ، حيث جعل بدله وجوب الإيمان بالأمر الشرعي .
وبهذه الفقرة تنتهي جولتنا حول ((الثمار الشهية)) ، وقد جاءت ملاحظاتنا مقصورة على بيان الأخطاء التي وردت في الكتاب .وأما ما وقع فيه من نقول غير منسوبة ، ومن اختصار مخل في بعض المواضع ، وغير ذلك فلم نتعرض له بشيء .

بسم الله الرحمن الرحيم

تسهيل الوصول إلى فهم علم الأصول

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا مُحَمَّد وعلى آله وأصحابه بإحسان إلى يوم الدين... وبعد:

فقد كان الناس في صدر الإسلام يعيشون في ظل التشريع، وما قبض رسول الله ﷺ حتى أرسى الله بالقرآن قواعد الدين؛ وفصلت السنة فروعه وأبانت معالمه وفقه الناس دينهم،ثم جاء الخلفاء الراشدون فاقتفى الناس آثارهم وترسموا خطاهم.

ولما اتسعت رقعة الإسلام عظمت الحاجة إلى وضع قواعد وأصول يترسمها العلماء في استنباط الأحكام، فكان أول من نهض لذلك هو الإمام الشافعي رحمه الله، هذا وقد عهدت الإدارة العامة للمعاهد والكليات إلى بعض أبنائها بوضع مذكرة في هذا الفن وفق المنهج المقرر للسنة الخامسة الثانوية في المعاهد العلمية، يتوخى فيها الإيجاز ودقة التعبير ووضوح العبارة ووفرة الأمثلة، فاستعنا بالله تعالى في كتابة هذه المذكرة، وقد سميناها: «تسهيل الوصول إلى فهم علم الأصول».

ونرجو الله تعالى أن تكون محققة للغرض وافية بالمطلوب.

المؤلفون

* * *

حمود بن عقلاء الشعيبي – المدرس بكلية الشريعة في الرياض

عطية مُحَمَّد سالم – المدرس بالجامعة الإسلامية في المدينة المنورة

عبد المحسن العباد – المدرس بالجامعة الإسلامية في المدينة المنورة

أصول الفقه:

اعلم أن أصول الفقه مركب من مضاف وهو كلمة «أصول»، ومضاف إليه وهو كلمة «الفقه» ويسمى مركبًا إضافيا، وقد أخذ هذا المركب الإضافي فوضع علمًا على العلم المعهود، فينبغي تعريفه باعتبار كونه مركبًا إضافيا وباعتبار كونه علمًا:

أولاً: تعريفه باعتبار كونه مركبًا إضافيا:

١.كلمة أصول:

الأصول جمع أصل، والأصل في اللغة ما انبنى عليه غيره، كالأساس أصل للسقف والجدار وكعروق الشجرة الثابتة في الأرض كما في قوله تعالى: ﴿ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴾ [إبراهيم:٢٤].

وفي الاصطلاح يطلق الأصل على عدة معان منها:

١. القاعدة العامة: كقولهم: الأمر يقتضي الوجوب، يوضح ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ ﴾ [الحشر:٧]، فهذا أمر عام يقتضي وجوب الأخذ بكل ما آتانا الرسول صلى الله عليه وسلم، من غير تعرض في هذه الآية بالذات إلى فرد من أفراد الأوامر التي وجهها إلينا رسول الله ﷺ.

٢. الدليل كقولك: أصل وجوب الصوم قوله تعالى: ﴿ يا أَيـهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيكُمُ الصِّيامُ ﴾ [البقرة:١٣٨] أي: دليله.

٢.كلمة الفقه:

الفقه لغة:

الفهم، ومنه قوله تعالى حكاية عن موسى:﴿ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي (٢٧) يفْقَهُوا قولي ﴾[طه:٢٧،٢٨] أي: يفهموه.

وفي الاصطلاح:

العلم بالأحكام الشرعية التي طريقها الاجتهاد من أدلتها التفصيلية.

فأصول الفقه إذًا قواعده التي يبنى عليها.

شرح تعريف الفقه:

١. المراد بالعلم ما يشمل عليه الظن كما في قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ ﴾ [الممتحنة:١٠] أي: ظننتموهن.

٢. المراد بالأحكام الشرعية: الوجوب والندب والحرمة والكراهة والإباحة فيخرج بقيد الشرعية: الأحكام العقلية كالواحد نصف الاثنين والحسية مثل كون الثلج باردًا والعادية كنزول المطر بعد الرعد والبرق.

٣. والمراد بالتي طريقها الاجتهاد: إخراج ما لا يصح فيه اجتهاد كمعرفة كون الصلاة والصيام واجبين، والزنا والسرقة محرمين، لمعرفة ذلك من الدين بالضرورة.

ثانيا: تعريفه باعتبار كونه لقبًا لهذا الفن:

هو علم يبحث عن أحوال أدلة الفقه الإجمالية وطرق الاستفادة منها وحال المستفيد.

* * *

شرح هذا التعريف :

١. المراد بطرق الاستفادة: معرفة الترجيح عند التعارض مثلاً.

٢. وبالإجمالية: ما عدا التفصيلية، كالأمر يقتضي الوجوب والنهي يقتضي التحريم، والمطلق يحمل على المقيد، والعام يخص بالمخصص، والقياس والإجماع حجة.

موضوعه:

وموضوع هذا الفن: الأدلة الموصلة إلى معرفة الفقه، وكيفية الاستدلال بها على الأحكام مع معرفة حال المستدل.

فائدته:

وفائدة هذا العلم هي: العلم بأحكام الله تعالى المتضمنة للفوز بسعادة الدارين.

استمداده:

ويستمد هذا العلم من ثلاثة أشياء:

١. علم أصول الدين ـ أي التوحيد: لتوقف الأدلة الشرعية على معرفة الباري جل وعلا، وصدق المبلغ عنه ﷺ، وهما مبينان فيه مقررة أدلتهما في مباحثه.

٢. علم اللغة العربية: لأن فهم الكتاب والسنة والاستدلال بهما متوقفان على معرفتها إذ هما عربيان.

٣. الأحكام الشرعية من حيث تصورها: لأن المقصود إثباتها أو نفيها وغير المتصور لها لا يتمكن من ذلك لأن الحكم على الشيء فرع عن تصوره.

حكمه:

وحكم تعلم أصول الفقه وتعليمه فرض كفاية.

الأحكام الشرعية:

تقدم لك أن الفقه هو العلم بالأحكام الشرعية، وإليك فيما يلي بيان هذه الأحكام بإيجاز:

تعريف الحكم:

الحكم لغة: المنع، واصطلاحًا: مقتضى خطاب الله المتعلق بأفعال المكلفين.

أقسام الحكم الشرعي:

والأحكام الشرعية على قسمين:

١. تكليفية.

٢. وضعية.

فالحكم التكليفي: هو مقتضى خطاب الله تعالى المتعلق بأفعال المكلفين، على جهة الاقتضاء أو التخيير.

والحكم الوضعي: هو ما وضعه الشارع من أسباب وشروط وموانع تعرف عند وجودها أحكام الشرع من إثبات أو نفي.

الفرق بين القسمين:

والفرق بين التكليفية والوضعية هو: أن التكليفية كلف المخاطب بمقتضاها فعلاً أو تركًا، وأما الوضعية فقد وضعت علامات للفعل أو الترك أو أوصافًا لهما.

أقسام الحكم التكليفي:

ينقسم الحكم التكليفي إلى خمسة أقسام:

لأنه إما أن يكون بطلب فعل أو بطلب ترك، وكلاهما إما جازم أو غير جازم، وإما أن يكون فيه تخيير بين الفعل والترك، وبيانها كالآتي:

١. فالخطاب بطلب الفعل الجازم: إيجاب، ومتعلقه: واجب.

٢. والخطاب بطلب الفعل غير الجازم: ندب، ومتعلقه: مندوب.

٣. والخطاب بطلب الترك الجازم: تحريم، ومتعلقه: محرم.

٤. والخطاب بطلب الترك غير الجازم: كراهة، ومتعلقه: مكروه.

٥. والخطاب بالتخيير بين الفعل والترك: إباحة، ومتعلقه: مباح.

تنبيه:

جرى الأصوليون على عد المباح من أقسام الحكم التكليفي وفي ذلك تسامح، إذ المباح لا تكليف فيه لاستواء طرفيه.

* * *

أولاً: الواجب:

الواجب في اللغة: اللازم والثابت، قال الله تعالى: ﴿ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا ﴾ [الحج:٣٦]، أي: سقطت واستقرت على الأرض وقال الشاعر:

أطاعت بنو بكر أميرًا نهاهموا **** **عن السلم حتى كان أول واجب**

وفي الاصطلاح: هو ما يثاب فاعله امتثالاً ويستحق تاركه العقاب.

تقسيمات الواجب:

أولاً:

ينقسم بحسب فاعله إلى فرض عين وفرض كفاية لأنه:

أ ـ إما أن يكون مطلوبًا من كل فرد بعينه كالصلوات الخمس فهو فرض عين.

ب ـ أو يكتفى فيه بفعل البعض كصلاة الجنازة فهو فرض كفاية.

وذلك لأن الشارع لا ينظر إلى الأخير من حيث الفاعل، بل من حيث وجود الفعل ممن كان هو.

ثانيا:

بحسب وقته المحدد له: إلى مضيق وموسع لأنه:

أ ـ إن كان الوقت المحدد لفعله بقدره فقط فمضيق.

كوقت الصيام في رمضان فإن الصوم يستغرق ما بين طلوع الفجر إلى غروب الشمس فلا يمكن صيام نفل معه، وكذلك آخر الوقت إذا لم يبق إلا ما تؤدى فيه الفريضة كقبيل طلوع الشمس بالنسبة إلى الصبح أو قبيل غروبها بالنسبة إلى العصر.

ب ـ وإن كان يسعه ويسع غيره من جنسه معه فموسع، كأوقات الصلوات الخمس فإن وقت كل صلاة يسعها ويسع غيرها معها من النوافل.

ثالثًا:

بحسب الفعل: على معين ومبهم لأنه:

أ ـ إن كان الفعل مطلوبًا بعينه لا يقوم غيره مقامه، كالصلاة والصوم والحج ونحوها فمعين.

ب . وإن كان الفعل مبهمًا في أشياء محصورة يجزىء فعل واحد منها كخصال الكفارة من عتق أو إطعام أو صوم، فمبهم إذ الواجب واحد لا بعينه.

* * *

ثانيا: المندوب:

المندوب لغة: اسم مفعول من الندب وهو الدعاء إلى الفعل كما قال الشاعر:

لا يسألون أخاهم حين يندبهم *** وفي النائبات على ما قال برهانا**

وفي الاصطلاح: ما يثاب فاعله ولا يعاقب تاركه ويطلبه الشارع طلبًا غير جازم.

وهو مرادف للسنة والمستحب والتطوع.

ومذهب الجمهور أن المندوب مأمور به، ومن أدلتهم قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى﴾ [النحل:٩٠]، وقوله: ﴿ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ [لقمان:١٧]، وقوله: ﴿ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ ﴾ [الأعراف:١٩٩]، ومن هذه الأشياء المأمور بها ما هو مندوب، ومنها: أن الأمر استدعاء وطلب والمندوب مستدعى ومطلوب، فيكون مأمورًا به.

* * *

ثالثًا: المحظور:

المحظور لغة: الممنوع.

واصطلاحًا: ما يثاب تاركه امتثالاً ويستحق فاعله العقاب، كالزنا، والسرقة وشرب الخمر، والدخان، وحلق اللحى ونحو ذلك، ويسمى محرمًا ومعصية وذنبًا وحجرًا.

* * *

رابعًا: المكروه

المكروه لغة: ضد المحبوب قال الله تعالى: ﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيكُمُ الإِيمَانَ وَزَينَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيانَ ﴾ [الحجرات:٧].

واصطلاحًا هو: ما يقتضي الثواب على تركه امتثالاً لا العقاب على فعله كتقديم الرجل اليسرى عند دخول المسجد، واليمنى عند الخروج منه.

* * *

خامسًا: المباح:

المباح لغة: كل ما لا مانع دونه، كما قيل:

ولقد أبحنا ما حمي ** ت ولا مبيح لما حمينا**

وفي الاصطلاح: ما كان الخطاب فيه بالتخيير بين الفعل والترك، فلم يثب على فعله ولم يعاقب على تركه، كالأكل والنوم والاغتسال للتبرد، ومحل ذلك ما لم تدخله النية فإن نوى بالمباح خيرًا كان له به أجرًا.

أقسام الحكم الوضعي:

أولاً: السبب:

السبب في اللغة: ما توصل به إلى غيره.

واصطلاحًا: ما يلزم من وجوده الوجود، ومن عدمه العدم لذاته كزوال الشمس فإنه سبب في وجوب صلاة الظهر، وكملك النصاب فإنه سبب في وجوب الزكاة وكالولاء والنسب في الميراث.

* * *

ثانيا: الشروط:

الشرط لغة: واحد الشروط مأخوذ من الشرط ـ بالتحريك ـ واحد الأشراط والمراد به العلامة.

وفي الاصطلاح: ما يلزم من عدمه العدم، ولا يلزم من وجوده وجود ولا عدم لذاته كالطهارة مثلاً فإنها شرط في صحة الصلاة، فيلزم من عدم وجود الطهارة عدم وجود الصلاة الشرعية، ولا يلزم من وجود الطهارة وجود الصلاة، إذ قد يكون الإنسان متطهرًا ويمتنع من فعل الصلاة.

* * *

ثالثًا: المانع

المانع في اللغة: الحاجز.

واصطلاحًا: ما يلزم من وجوده العدم، ولا يلزم من عدمه وجود، ولا عدم لذاته، كالقتل في الميراث، والحيض في الصلاة، فإن وجد القتل امتنع الميراث، وإن وجد الحيض امتنعت الصلاة وقد ينعدمان ولا يلزم ميراث ولا صلاة، فهو بعكس الشرط إذ الشرط يتوقف وجود المشروط على وجوده، والمانع ينفي وجوده. ولكي يتبين لك الفرق بين السبب والشرط والمانع، انظر في زكاة المال

مثلاً، تجد سبب وجوبها وجود النصاب، ويتوقف ذلك الوجوب على حولان الحول، فهو شرط فيه، وإن وجد دين منع وجوبها فهو مانع لذلك الوجوب على القول بأن الدين مانع.

* * *

رابعًا: الصحيح والفاسد:

الصحيح لغة: ضد السقيم.

واصطلاحًا: ما يتعلق به اعتداد في العبادات، ونفوذ في المعاملات كأن تقع الصلاة مثلاً مستوفاة شروطها، تامة أركانها، مع انتفاء الموانع ولو في اعتقاد الفاعل، وكذلك البيع يقع من جائز التصرف على مباح مقدور على تسليمه، مملوك في نفس الأمر، فلو باع ما يظن أنه ملك غيره فبان أنه ملكه صح البيع، إذ المعاملات مبناها على ما في نفس الأمر، والعبادات على ما في اعتقاد الفاعل.

والفاسد لغة: المختل.

واصطلاحًا: ما لا اعتداد به في العبادات كإيقاع الصلاة المفروضة قبل دخول وقتها، ولا نفوذ له في المعاملات كبيع ما لا يملك مثلاً. ويرادفه الباطل إلا عند أبي حنيفة فيغاير بينهما، إذ الفاسد عنده ما شرع بأصله ومنع بوصفه كبيع مد قمح بمد قمح ودرهم، فبيع مد بمد صحيح مشروع بأصله، فلو رفع الدرهم صح البيع نظرًا إلى أصل مشروعيته.

* * *

خامسًا: الرخصة والعزيمة:

العزيمة لغة: القصد المؤكد.

واصطلاحًا: الحكم الثابت بدليل شرعي، خال من معارض راجح كتحريم الزنا في المنهيات، ووجوب الصلاة في المأمورات.

والرخصة لغة: اللين والسهولة، يقال شيء رخص أي: لين.

واصطلاحًا: ما ثبت على خلاف دليل شرعي لمعارض راجح، كتيمم المريض لمرضه مع وجود الماء، وأكل الميتة عند الاضطرار. فالتيمم ثبت على خلاف دليل شرعي وهو قوله تعالى: {يا أَيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ} [المائدة:٦] لمعارض راجح وهو قوله تعالى:{وَإِن كُنتُم مَّرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ} [النساء:٣٤]، وكذلك أكل المضطر للميتة على خلاف دليل شرعي هو قوله تعالى: {حُرِّمَتْ عَلَيكُمُ الْمَيتَةُ} [المائدة:٣]، وقد أجيز لدليل راجح عليه وهو قوله تعالى:

{فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ} [المائدة:٣] فدفعه بأكل الميتة عن نفسه الجوع المفضي إلى الهلاك أرجح بلا شك من مطلق تضرره بخبثها.

أقسام الكلام:

من المعلوم أن الكتاب والسنة هما أصلا الدين وقوامه، وأنهما بلسان عربي مبين فيتوقف العلم بهما على العلم بالكلام العربي نفسه، والوقوف على أقسامه المتعددة.

ولكن قبل تقسيمه ينبغي تعريفه أولاً، إذ معرفة أقسام الشيء فرع عن معرفته.

أولاً: تعريف الكلام.

يطلق الكلام على مجموع أمرين: اللفظ والمعنى كالقرآن وسائر الكتب المنزلة والأحاديث القدسية فإنها كلام الله تعالى دالها ومدلولها.

هذا هو قول أهل الحق، وقد أطلقه جماعة من المبتدعة على المعنى المستقر في القلب وهو قول مردود بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وإن أطلق الكلام في بعض الأحيان على المعنى القائم بالنفس، فلا بد من تقييده بما يدل على ذلك كما في قوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ ﴾ [المجادلة:٨] فلولا تقييده بقوله: ﴿ فِي أَنفُسِهِمْ ﴾ لانصرف إلى القول باللسان، وقد يطلق على كل ما أفهم المراد كقول الشاعر:

إذا كلمتني بالعيون الفوات   **   رددت عليها بالدموع البوادر**

ويطلق عند النحاة على: اللفظ المركب تركيبًا مفيدًا فائدة يحسن السكوت عليها مثل: مُحَمَّد رسول الله.

أقل ما تحصل به الفائدة:

تحصل الفائدة بكل ما اشتمل على نسبة إسنادية، وأقل ما يكون ذلك في أحد التراكيب الآتية:

١. التركيب من اسمين كالمبتدأ والخبر مثل: الله أحد، الله الصمد.

٢. التركيب من فعل واسم كالفعل مع فاعله مثل: جاء الحق وزهق الباطل.

٣. التركيب من حرف واسم مثل: يا الله.

والصحيح أن التركيب الثالث راجع إلى التركيب الثاني لأن الحرف نائب عن فعل، وتحصل الفائدة بالكلمة الواحدة المتضمنة لمعنى كلام مفيد كحرف الجواب نحو: لا وبلى ونعم، وفعل الأمر نحو: استقم.

* * *

تقسيم الكلام إلى خبر وإنشاء:

ينقسم الكلام إلى خبر وإنشاء.

تعريف الخبر:

هو ما احتمل الصدق والكذب لذاته.

فقولنا: «ما احتمل الصدق والكذب» احتراز على الإنشاء فإنه لا يحتمل الصدق ولا الكذب.

وقولنا: «لذاته» ليشمل التعريف كلام الله تعالى مثل: ﴿ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ (١) حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴾ [التكاثر: ١، ٢]، والأمور البديهية مثل الواحد نصف الاثنين، والكل أكبر من الجزء.

تقسيم الخبر إلى صدق وكذب:

وينقسم الخبر إلى صدق وكذب، فإن طابق مضمونه الواقع نفيا مثل: «لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم»، أو إثباتًا مثل: «الناس سواسية كأسنان المشط»، فصدق، وإن خالفه نفيا مثل: «لا حاجة إلى تعلم الصناعات النافعة» أو إثباتًا مثل: «الفرس أسرع من الطائرة» فكذب.

تعريف الإنشاء:

هو ما لا يحتمل الصدق ولا الكذب لذاته ك«أقم الصلاة»، «لا تشرك بالله»، وهو نوعان: طلبي، وغير طلبي.

أقسام الإنشاء:

١. الإنشاء الطلبي:

وهو ما استدعى مطلوبًا غير حاصل وقت الطلب وهو أقسام منها:

الأمر: وهو طلب إيجاد الشيء بصيغة دالة عليه مثل: «أطع والديك».

النهي: وهو طلب الكف عن فعل بصيغة دالة عليه نحو: «لا تقصر في واجبك».

استفهام: وهو طلب الإفهام عن شيء نحو: «هل ذاكرت درسك؟».

التمني: وهو ما كان مدلوله طلب أمر لا مطمع فيه أو عسير المنال بصيغة دالة عليه.

مثال الأول: ليت شبابًا بيع فاشتريت.

ومثال الثاني: ليت المسلمين يتحدون.

الترجي: وهو ما كان المطلوب فيه ممكنًا، وكان محبوبًا بصيغة دالة عليه مثل: «لعل شباب المسلمين يتجهون إلى النهل من معين دينهم الحنيف».

العرض: وهو الطلب برفق مثل قولك لصديقك: «ألا تزور صديقك؟!».

التحضيض: وهو الطلب بحث مثل: ﴿ أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ [التوبة: ٣١].

٢. الإنشاء غير الطلبي:

كصيغ العقود نحو: بعت واشتريت وزوجت مرادًا بها إمضاء العقد، وكصيغ القسم نحو: «والله لأصدقن في الحديث»، وكالمدح نحو: «نعم الطالب المجد»، والذم نحو: «بئست الصفة الحسد».

* * *

تقسيم الكلام إلى حقيقة ومجاز:

اعلم أولاً أن الناس في تقسيم الكلام إلى حقيقة ومجاز ثلاثة آراء:

منع هذا التقسيم أصلاً وأنه لا مجاز لا في القرآن ولا في اللغة العربية:

ومن الذاهبين إلى ذلك أبو إسحاق الإسفراييني، وقد نصر هذا القول شيخ الإسلام ابن تيمية في كتاب الإيمان فقال:

«إن في تقسيم الكلام إلى حقيقة ومجاز اصطلاحًا حادثًا بعد انقضاء القرون الثلاثة، لم يتكلم به أحد من الأئمة المشهورين في العلم: كمالك، والثوري، والأوزاعي، وأبي حنيفة، والشافعي، بل ولا تكلم به أئمة اللغة والنحو مثل: الخليل، وسيبويه ،وأبي عمرو بن العلاء، ونحوهم...».

إلى أن قال: «وهذا الشافعي هو أول من جرد الكلام في أصول الفقه لم يقسم هذا التقسيم ولا تكلم بلفظ الحقيقة والمجاز».

منع وجود المجاز في القرآن دون اللغة:

ونسبه في كتاب الإيمان إلى أبي الحسن الجزري وابن حامد من الحنابلة ومُحَمَّد بن منداد من المالكية وإلى داود بن علي الظاهري وابنه أبي بكر.

وقوع المجاز في اللغة وفي القرآن:

وهو قول القاضي أبي يعلى وابن عقيل وأبي الخطاب وغيرهم من الحنابلة، ورجحه ابن قدامة في «روضة الناظر» ونسبه الزركشي في كتابه «البرهان في علوم القرآن» إلى الجمهور، وإليك كلامًا موجزًا يتعلق بتقسيم الكلام إلى حقيقة ومجاز عند من يرى ذلك التقسيم:

الحقيقة:

لغة : مأخوذة من الحق، بمعنى الثابت على أنه فاعل أو المثبت على أنه بمعنى مفعول.

اصطلاحًا: اللفظ المستعمل فيما وضع له ابتداء في اصطلاح التخاطب، كلفظ أسد، في الحيوان المفترس، وشمس في الكوكب المضيء، وكلمة في اصطلاح التخاطب تبين لنا أصل تقسيمهم الحقيقة إلى ثلاثة أقسام:

١. لغوية.

٢. عرفية.

٣. شرعية.

الحقيقة اللغوية:

هي اللفظ المستعمل فيما وضع له أولاً في اللغة كأسد في الحيوان المفترس.

الحقيقة العرفية:

وتكون عامة وخاصة.

أ ـ **فالعرفية العامة** : ما تعارف عليه عامة أهل اللغة بغلبة استعمال اللفظ في بعض مدلوله أو بتغليب المجاز على الحقيقة.

فالأول: أن يكون اللفظ قد وضع في أصل اللغة لمعنى عام، ثم خصصه العرف ببعض مسمياته كلفظ «دابة» فإن أصله لكل ما دب على وجه الأرض غير أن العرف خصصه بذوات الأربع.

والثاني: أن يكون اللفظ في أصل اللغة لمعنى، ثم يشتهر في عرف الاستعمال في المعنى المجازي بحيث لا يفهم من اللفظ عند إطلاقه غيره كلفظ «الغائط» فإنه في أصل الوضع المكان المطمئن من الأرض ثم نقل عنه إلى الفضلة الخارجة من الإنسان، وكلفظ «الرواية» فإنه في الأصل للبعير الذي يستقى عليه ثم نقل عنه إلى المزادة.

ب ـ **والعرفية الخاصة** : ما تعارف عليه بعض الطوائف من الألفاظ التي وضعوها لمعنى عندهم كتعارف أهل النحو على استعمال الرفع والنصب وأدوات الجر في معان اصطلحوا عليها، وكتعارف أهل البلاغة على المسند والمسند إليه ونحو ذلك.

الحقيقة الشرعية:

هي اللفظ المستعمل فيما وضع له أولاً في الشرع، كالصلاة للعبادة المخصوصة المفتتحة بالتكبير المختتمة بالتسليم، وكالإيمان للاعتقاد والقول والعمل.

المجاز:

وهو لغة: مكان الجواز أو الجواز على أنه مصدر ميمي.

وفي الاصطلاح قسمان: لغوي وعقلي.

أولاً: المجاز اللغوي

هو: اللفظ المستعمل في غير ما وضع له أولا لعلاقة مع قرينة.

مثال له: لفظة «أسد» في الرجل الشجاع، فإنها استعملت في غير ما وضعت له أولاً إذ الوضع الأول لها إنما هو في الحيوان المفترس واستعمالها في الرجل الشجاع بالوضع الثاني بسبب التجوز بها عن محلها الأول.

العلاقة والغرض منها: واشتراط العلاقة يخرج استعمال اللفظ في غير ما وضع له بطريق السهو أو الغلط كقولك : خذ هذا القلم وتشير إلى كتاب مثلاً، أو بطريق القصد ولكن لا مناسبة بين المعنيين كقولك : خذ هذا الكتاب أو اشتريت كتابًا تريد تفاحًا أو ثوبًا إذ لا مناسبة بين الكتاب والتفاح ولا بين الكتاب والثوب.

والغرض من العلاقة: انتقال الذهن من المعنى الأول إلى المعنى الثاني عن طريقها فهي كالجسر للذهن يعبر عليها كما في قولك: رأيت أسدًا يرمي، فإن جسر الانتقال من الحيوان المفترس إلى الرجل الشجاع إنما هي الشجاعة التي تربط بين المعنيين في قولك: حيوان مفترس ورجل شجاع.

أقسام العلاقة:

والعلاقة إما المشابهة: كمشابهة الرجل الشجاع للأسد في الشجاعة في المثال المتقدم لأنها معنى مشترك بينهما.

وأما غير المشابهة كقولهم: «بث الأمير عيونًا في المدينة» أي: جواسيس، وكل مجاز علاقته المشابهة يسمى «استعارة» لأنك شبهت ثم استعرت لفظ المشبه به وأطلقته على المشبه وكل مجاز علاقته غير المشابهة يسمى «مجازًا مرسلاً» لأنه أرسل عن قيد المشابهة.

والعلاقات بغير المشابهة متعددة لأنها تعم كل مناسبة أو ملابسة بين المعنيين تصحح نقل اللفظ من معناه الأول إلى الثاني كالكلية والجزئية فالأولى كأن تطلق الكل وتريد الجزء كما تقول: قبضت الشرطة على اللص، إذ القبض لم يحصل من جميع الشرطة وإنما حصل من بعضهم، والثانية كإطلاق العين وإرادة كل الإنسان في المثال المتقدم للجاسوس.

وكالسببية أو المسببية فالسببية أن تطلق السبب وتريد المسبب كأن تقول: «رعينا الغيث» والمسببية أن تطلق المسبب وتريد السبب كأن تقول: «أمطرت السماء ربيعًا».

وكالحالية بأن تطلق الحال وتريد المحل أو المحلية بأن تطلق المحل وتريد الحالّ فيه إلى غير ذلك.

والمجاز اللغوي يكون مفردًا ومركبًا:

فالمفرد: هو ما كان في اللفظ المفرد وتقدمت أمثلته.

والمركب: ما كان في الجمل فإن كانت العلاقة فيه المشابهة سمي استعارة تمثيلية، وإلا فمجاز مركب مرسل كتشبيه صورة بصورة، ونقل الدال على الصورة المشبه بها وإطلاقها على الصورة المشبهة كقولك لمتردد في أمر: «أراك تقدم رجلاً وتؤخر أخرى».

وقولك لمن جمع خصلتين ذميمتين كشرب الدخان وحلق اللحى مثلاً: «أحشفا وسوء كيلة».

ثانيا: المجاز العقلي:

ويكون المجاز عقليا إذا كانت الألفاظ مستعملة في حقائقها ولكن التجوز حصل في الإسناد كقولك: بنى الأمير قصرًا، فـ«بنى» و«الأمير» و«القصر» مستعملة في حقائقها، ولكن التجوز حصل بنسبة البناء إلى الأمير إذ الباني له حقيقة العمال.

الأمــر:

يطلق لفظ الأمر إطلاقين:

الأول: على طلب الفعل كقوله تعالى: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ ﴾ [طه:١٣٢]، وهذا الأمر يجمع على أوامر.

الثاني: على الفعل والحال والشأن كقوله تعالى: ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ ﴾ [آل عمران:١٥٩] وهذا الأمر يجمع على أمور والمراد هنا: الأول لما فيه من الطلب.

والأمر في الاصطلاح: استدعاء فعل بالقول الدال عليه على سبيل الاستعلاء وأكثر الأصوليين لا يشترط العلو ولا الاستعلاء في الأمر واستشهدوا بقول عمرو بن العاص لمعاوية:

أمرتك أمرًا جازمًا فعصيتني **** **وكان من التوفيق قتل ابن هاشم**

وكان خارجًا على معاوية فظفر به ثم عفا عنه، فخرج عليه مرة أخرى، ومعلوم أنه ليس هناك علو ولا استعلاء من عمرو على معاوية، وكذلك قوله تعالى حكاية عن فرعون لقومه ﴿ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾ [الأعراف:١١٠].

ويمكن أن يجاب على ذلك بأنه حين منحهم سلطة إبداء الرأي كان ذلك إعلاء لهم.

صيغ الأمر:

وللأمر صيغ تدل على طلب الفعل إذا تجردت من القرائن الصارفة عنه، وهي أربع:

١. فعل الأمر: مثل: ﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ ﴾ [الإسراء:٧٨]، ﴿ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُم ﴾ [نوح:١٠]، ﴿ يا أَيهَا النَّبِي جَاهِدِ الكُفَّارَ وَالمنَافِقِينَ ﴾ [التوبة:٧٣].

٢. المضارع المجزوم بلام الأمر: مثل قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيطَّوَّفُوا بِالْبَيتِ الْعَتِيقِ ﴾ [الحج:٢٩].

٣. اسم فعل الأمر: مثل قوله تعالى: ﴿ يا أَيهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيكُمْ أَنفُسَكُمْ ﴾ [المائدة:١٠٥].

٤. المصدر النائب عن فعل الأمر: مثل قوله تعالى: ﴿ فَضَرْبَ الرِّقَابِ ﴾ [محمد:٤].

صيغ تفيد ما تفيده صيغ الأمر:

تقدم ذكر صيغ الأمر الأصلية، وهناك صيغ أخرى تدل على الأمر بالشيء وطلب إيجاده ومن هذه الصيغ:

١. التصريح بلفظ الأمر: مثل: «أمركم، وأمرتكم، أنتم مأمورون».

٢ ـ وكذا التصريح بالإيجاب، والفرض والكتب.

٣ ـ ولفظة: حق على العباد وعلى المؤمنين.

٤ ـ وكذا ما فيه ترتيب الذم والعقاب على الترك أو إحباط العمل بالترك ونحو ذلك.

هذا هو رأي الجمهور واستدلوا بإجماع أهل اللغة على تسمية ذلك أمرًا، فإن السيد إذا قال لعبده: «أعطني كذا» عد أمرًا وعد العبد مطيعًا إن فعل وعاصيا إن ترك.

وذهب الأشاعرة ومن وافقهم إلى أن الأمر ليست له صيغة لفظية لأن الكلام عندهم المعنى القائم بالنفس دون اللفظ، وإنما جعل اللفظ ليعبر به عن المعنى النفسي ويدل عليه، وهذا الرأي باطل لمخالفة الكتاب والسنة.

أما الكتاب فقوله تعالى لزكريا: ﴿ آيتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَ لَيالٍ سَوِيا ﴾ [مريم:١٠] فإنه لم يسم المعنى الذي قام بنفس زكريا وأفهمه قومه بالإشارة إليهم: كلامًا.

وأما السنة فقوله ﷺ: «إن الله تجاوز لأمتي عما حدثت به أنفسها ما لم تتكلم به أو تعمل»(١)، ففرق بين المعنى القائم بالنفس والكلام، وأخبر برفع المؤاخذة في الأول دون الثاني.

الحكم الذي تقتضيه صيغة الأمر عند الإطلاق:

إذا وردت صيغة الأمر مجردة عن القرائن الدالة على المراد بها اقتضت الوجوب وهو قول الجمهور وعليه دلت الأدلة كقوله تعالى لإبليس: ﴿ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ﴾ [الأعراف:١٢]، وقوله: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لا يَرْكَعُونَ ﴾ [المرسلات:٤٨]، وقوله: ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور:٦٣]، وقوله: ﴿ أَفَعَصَيتَ أَمْرِي ﴾ [طه:٩٣]، وقوله: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يكُونَ لَهُمُ الْخِيرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ [الأحزاب:٣٦] إلى غير ذلك إذ لا خلاص للمأمور من الوعيد ولا نجاة له من العذاب ولا من عار العصيان إلا بالامتثال ويدل لذلك أيضًا أن الصحابة ﭫ كانوا يستدلون بالأمر على الوجوب، ولم يقع بينهم خلاف في ذلك فكان إجماعًا، وكذلك إطباق أهل اللغة على ذم العبد الذي لم يمتثل أمر سيده ووصفه بالعصيان، ولا يذم ويوصف بالعصيان إلا من كان تاركًا لواجب عليه.

(١) صحيح البخاري (٦٦٦٤) .

الأمر بالشيء أمر به وبما لا يتم إلا به:

إذا كان الواجب المطلق يتوقف وجوده على شيء، فإن الأمر يشمله أيضًا ضرورة توقف حصول الواجب عليه كالطهارة فإن الأمر بالصلاة يشملها وهذا معنى قولهم: «الأمر بالشيء أمر به وبما لا يتم إلا به» وليس معنى ذلك أن وجوبه جاء ضمنًا بدون دليل مستقل، بل له أدلة أخرى، غير أن الأمر الخاص بذلك الواجب يقتضي وجوب ما توقف الواجب عليه.

هذا في الواجب المطلق فإن وجوب الصلاة مثلاً غير مشروط بقيد فيكون الأمر بها مقتضيا الأمر بما لا يتم إلا به وهو الطهارة.

أما في الواجب المقيد فليس كذلك كالزكاة فإن وجوبها مقيد بملك النصاب فليس الأمر بها أمرًا بتحصيل النصاب ليتم وجوب إخراجها بامتلاكه، لأن ذلك إتمام للوجوب لا للواجب، ولذا يقولون: ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، وما لا يتم الوجوب إلا به فليس بواجب، والصلاة قد استقر وجوبها، أما الزكاة فلا تجب حتى يحصل النصاب.

استعمال صيغة الأمر في غير معناها الأصلي:

قد تخرج صيغة الأمر على معناها الأصلي إلى معان ترشد إليها القرائن، ومن ذلك ما يأتي:

١. للإباحة مثل قوله تعالى: ﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا ﴾ [البقرة:٦٠].

٢. وللتهديد: ﴿ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ ﴾ [فصلت:٤٠].

٣. وللامتنان: ﴿ مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ [البقرة:٢٥٤].

٤. وللإكرام: ﴿ ادْخُلُوهَا بِسَلامٍ آمِنِينَ ﴾ [الحجر:٤٦].

٥. وللتعجيز: ﴿ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ ﴾ [البقرة:٢٣].

٦. وللتسوية: ﴿ فَاصْبِرُوا أَوْ لا تَصْبِرُوا ﴾ [الطور:١٦].

٧. وللاحتقار: ﴿ أَلْقُوا مَا أَنتُم مُّلْقُونَ ﴾ [يونس:٨٠].

٨ . وللمشورة: ﴿ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى ﴾ [الصافات:١٠٢].

٩. وللاعتبار: ﴿ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ ﴾ [الأنعام:٩٩].

١٠. وللدعاء: ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي ﴾ [الأعراف:١٥١].

١١. وللالتماس: مثل قولك لزميلك: «ناولني القلم»، إلى غير ذلك من المعاني المتنوعة.

تكرار المأمور به أو عدم تكراره:

في هذا البحث ثلاث صور: لأن الأمر إما أن يقيد بما يفيد الوحدة أو بما يفيد التكرار أو يكون خاليا عن القيد.

فالأول: يحمل على ما قيد به، والقيد إما صفة أو شرط، فالقيد بصفة كقوله تعالى: ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيدِيهُمَا ﴾ [المائدة:٣٨]، فكلما حصلت السرقة وجب القطع، ما لم يكن تكرارها قبله، والمقيد كقوله ﷺ: «إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول...»(١) إلخ.

والثاني: يحمل على ما قيد به أيضًا كقوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيهِ سَبِيلاً ﴾[آل عمران:٧٩]، وقد سئل رسول الله ﷺ: أفي كل عام يا رسول الله؟(٢) فأجاب بما يدل على أنه في العمر مرة، فيحمل في الآية على الوحدة لهذا القيد.

الثالث: وهو الخالي عن القيد فالأكثرون على عدم إفادته التكرار لأنه لمطلق إيجاد الماهية والمرة الواحدة تكفي فيه فمثلاً لو قال الزوج لوكيله: «طلق زوجتي» لم يملك إلا تطليقة واحدة، ولو أمر السيد عبده بدخول الدار مثلاً برأت ذمته بمرة واحدة ولم يحسن لومه ولا توبيخه.

الأمر المطلق يقتضي فعل المأمور به على الفور:

إذا وردت صيغة الأمر خالية مما يدل على فور أو تراخ اقتضت فعل المأمور به فورًا في أول زمن الإمكان لقيام الأدلة على ذلك كقوله تعالى: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ [آل عمران:١٣٣]، وقوله: ﴿ سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ [الحديد:٢١]، وقوله: ﴿ فَاسْتَبِقُوا الْخَيرَاتِ ﴾ [البقرة:١٤٨]، وكمدحه المسارعين في قوله: ﴿ أُوْلَئِكَ يسَارِعُونَ فِي الْخَيرَاتِ ﴾ [المؤمنون:٦١]، ووجه دلالة هذه النصوص أن وضع الاستباق والمسابقة والمسارعة للفورية.

وكذم الله تعالى لإبليس على عدم المبادرة بالسجود بقوله تعالى: ﴿ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ﴾[الأعراف:١٢]، أي في قوله: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ ﴾ [البقرة:٣٤]، ولو لم يكن الأمر للفور لما استحق الذم ويدل لذلك من جهة اللغة: أن السيد لو أمر عبده فلم يمتثل فعاقبه فاعتذر العبد بأن الأمر على التراخي . لم يكن عذره مقبولاً عندهم .

وما استدل به القائلون بأنه على التراخي من تأخير النبي ﷺ الحج إلى سنة عشر . مدفوع بكون النبي ﷺ يحتمل أنه أخره لأغراض منها: كراهيته لمشاهدة ما كان المشركون يفعلونه في الحرم مما فيه

(١) صحيح مسلم ١١ - (٣٨٤)

(٢) مسند أحمد (٢٣٠٤) وحكم الألباني صحيح . أنظر إرواء الغليل (٩٨٠)

مخالفة للشريعة، فلما أذن مؤذنوه في السنة التاسعة ببراءة الله ورسوله ﷺ من المشركين ومنعهم من قربان الحرم وطهر الله مكة من أدران الشرك ـ حج عليه الصلاة والسلام.

من يدخل في خطاب التكليف ومن لا يدخل:

الناس على قسمين:

١. قسم لم يكتمل إدراكه: وذلك إما لعدم البلوغ كالصغير أو لفقدان العقل كالمجنون، أو لتغطيته كالسكران أو لذهوله كالساهي.

٢. قسم مكتمل الإدراك: وهو البالغ العاقل السالم من العوارض المتقدمة.

فالقسم الأول :لا يدخل في نطاق التكليف ولا يشمله الخطاب بدليل العقل والنقل.

أ ـ أما من جهة العقل فلأن الأمر يقتضي الامتثال ومن لم يدرك أمرًا لا يتأتى منه امتثاله.

ب ـ وأما من جهة النقل فلحديث: «رفع القلم عن ثلاث...»(١) الحديث.

ولا يعترض على هذا بتضمين ما أتلفه لأن ضمان حق الغير يستوي فيه العاقل وغير العاقل حتى لو أتلفته بهيمة لزم صاحبها ضمانه.

وأما القسم الثاني: فهو إما مسلمون أو غير مسلمين، والخطاب إما بأصل كالعقائد وإما بفرع كالصلاة والصيام ونحو ذلك.

أ ـ فالخطاب بأصل يشملهما اتفاقًا.

ب ـ والخطاب بفرع فيه خلاف والصحيح دخول الكفار فيه كالمسلمين، ومن أدلة ذلك قوله تعالى عن الكفار: ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ (٤٢) قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (٤٣) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ (٤٤) وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ (٤٥) وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴾ [المدثر:٤٢ـ٤٦]، فذكروا من أسباب تعذيبهم تركهم لما أمروا به من الفروع، كتركهم الصلاة والزكاة وارتكابهم لما نهوا عنه بخوضهم مع الخائضين ولم يقتصروا على ذكر السبب الأكبر وهو تكذيبهم بيوم الدين.

ومنها رجمه ﷺ اليهوديين، وكذلك قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ ﴾ [النحل:٨٨].

وكما أن المؤمن يثاب على إيمانه وعلى امتثاله الأوامر واجتناب النواهي فكذلك الكافر يعاقب على ترك التوحيد وعلى ارتكاب النواهي وعدم امتثال الأوامر.

---

(١) مسند أحمد (٢٤٦٩٤) وحكم الألباني صحيح . أنظر إرواء الغليل (٢٩٧)

النهـي:

تعريف النهي:

النهي لغة: المنع، ومنه سمي العقل «نهية» لأنه ينهى صاحبه ويمنعه من الوقوع فيما لا يليق.

النهي اصطلاحًا: طلب الكف عن فعل على سبيل الاستعلاء، بغير كف ونحوها.

مثاله قوله تعالى: ﴿ لا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيَنَكُم بِالْبَاطِلِ ﴾ [النساء:٢٩]، وقوله: ﴿ يا أَيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[الأنفال:٢٧].

صيغته: «كل مضارع مجزوم بلا»، ولا يدخل في ذلك: كف، أو خل، أو ذر، أو دع مما جاء لطلب الكف كما في قوله تعالى: ﴿ وَذَرُوا ظَاهِرَ الإِثْمِ وَبَاطِنَهُ ﴾ [الأنعام:١٢٠]، ﴿ وَدَعْ أَذَاهُمْ ﴾ [الأحزاب:٤٨]، ﴿ فَخَلُّوا سَبِيلَهُم ﴾ [التوبة: ٥] لأنها وإن كانت تفيد طلب الكف إلا أنها بصيغة الأمر.

مقتضى النهي:

التحريم حقيقة بالاتفاق لقوله ﷺ: «وما نهيتكم عنه فاجتنبوه»(١).

صيغ تفيد ما تفيده صيغة النهي:

ويلتحق بصيغة النهي في إفادة التحريم: التصريح بلفظ التحريم، والنهي والحظر والوعيد على الفعل، وذم الفاعل، وإيجاب الكفارة بالفعل، وكلمة ما كان لهم كذا ولم يكن لهم، وكذا ترتيب الحد على الفعل وكلمة «لا يحل» ووصف الفعل بأنه فساد أو أنه من تزيين الشيطان وعمله، وأنه تعالى لا يرضاه لعباده، ولا يزكي فاعله، ولا يكلمه ولا ينظر إليه ونحو ذلك.

ورود صيغة النهي بغير التحريم:

١. ترد للكراهية كالنهي عن الشرب من فم القربة.

٢. وترد للدعاء إن كان من أدنى لأعلى مثل: ﴿ رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ [البقرة:٢٨٦].

٣. وترد للإرشاد مثل قوله تعالى: ﴿ لا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْياءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾ [المائدة:١٠١].

وعلى العموم فإنها ترد لكثير مما يرد له الأمر غير أن الأمر لطلب الفعل والنهي لطلب الكف .

---

(١) صحيح مسلم ١٣٠ - (١٣٣٧)

أحوال النهي:

أحوال النهي أربع، وهي:

١. أن يكون النهي عن شيء واحد فقط وهو الكثير ـ كالنهي عن الزنا مثلاً.

٢. أن يكون النهي عن الجمع بين متعدد، وللمنهي أن يفعل أيها شاء على انفراده، كالجمع بين الأختين، والجمع بين المرأة وعمتها، وبينها وبين خالتها.

٣. أن يكون النهي عن التفريق بين شيئين أو أكثر دون الجمع كالتفريق بين رجليه ينعل إحداهما دون الأخرى، بل على المنهي أن ينعلهما معًا أو يحفيهما معًا.

٤. أن يكون المنهي عن متعدد اجتماعًا وافتراقًا مثل قوله تعالى: ﴿ وَلا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴾ [الإنسان:٢٤]، فلا تجوز طاعتهما مجتمعين ولا مفترقين.

ومن أمثلة ذلك، لا تأكل السمك وتشرب اللبن، على جزم الفعلين، فإن النهي منصب على الأكل والشرب اجتماعا وافتراقًا، فإذا نصب الثاني كان مثالاً للحالة الثانية، وإذا رفع كان مثالاً للحالة الأولى.

اقتضاء النهي فساد المنهي عنه:

المنهيات على قسمين:

١. قسم منهي عنه ولم يتوجه إليه طلب قط مثل قوله تعالى: ﴿ وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَى ﴾ [الإسراء:٣٢]، ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾ [النساء:٣٦].

وهذا هو المنهي عنه لذاته، أي: لقبحه في نفسه، فهذا محرم قطعًا وباطل لزومًا، وما ترتب عليه باطل كذلك، كالولد من الزنا لا يلحق بأبيه، وعمل المشرك لا يثاب عليه.

٢. وقسم منهي عنه من وجه، مع وجود أمر به من وجه آخر وهذا القسم على ثلاث صور:

أ ـ منهي عنه لصفته.

ب ـ منهي عنه لأمر لازم له.

جـ ـ منهي عنه لأمر خارج عنه.

الأمثلة على ما تقدم:

أولاً: المنهي عنه لصفته:

أ ـ في العبادات: نهي الحائض عن الصلاة، ونهي السكران عنها أيضًا.

ب ـ في المعاملات: النهي عن بيع الملاقيح وذلك لجهالة البيع.

ثانيا: المنهي عنه لأمر لازم له:

أ ـ في العبادات: النهي عن الصوم يوم العيد، لما يلزمه من الإعراض عن ضيافة الله في ذلك اليوم.

ب ـ في المعاملات: النهي عن بيع العبد المسلم لكافر إذا لم يعتق عليه لما فيه من ولاية الكافر على المسلم المبيع.

ثالثًا: المنهي عنه لأمر خارج عنه:

أ ـ في العبادات: النهي عن الوضوء بماء مغصوب أو الصلاة في أرض مغصوبة.

وبيان كون النهي لأمر خارج عنه، أن النهي لا لنفس الوضوء ولكن لأنه حق للغير لا يجوز استعماله بغير إذن فسواء فيه الإتلاف بوضوء أو بإراقة أو غير ذلك.

ويتضح لك الفرق بين المنهي عنه لذاته والمنهي عنه لأمر خارج عنه بالفرق بين الماء المتنجس والماء المغصوب.

ب ـ في المعاملات: النهي عن البيع بعد النداء لصلاة الجمعة.

وبيان كونه لأمر خارج عنه أن البيع قد استوفى شروطه ولكنه مظنة لفوات الصلاة كما أن فوات الصلاة قد يكون لعدة أسباب أخرى.

والجمهور على أن النهي في هذه الصورة لا يقتضي الفساد لأن نفس المنهي عنه وهو البيع سالم من مبطل والنهي لذلك الخارج، فالجهة منفكة أي جهة صحة البيع عن جهة توجه النهي إليه.

وعند أحمد أن النهي يقتضي الفساد لأن النهي يقتضي العقاب والصحة تقتضي الثواب فلا يثاب ويعاقب في وقت واحد بسبب عمل واحد.

الأدلة على اقتضاء النهي الفساد:

منها: قوله عليه السلام في الحديث الصحيح: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»(١) أي: مردود وما كان مردودًا على فاعله فكأنه لم يوجد، والرد إذا أضيف إلى العبادات اقتضى عدم الاعتداد بها وإذا أضيف إلى العقود اقتضى فسادها وعدم نفوذها.

ومنها: أمره ﷺ حين اشترى صاعًا من التمر الجيد بصاعين من الرديء برده وإعلامه بأن ذلك عين الربا. ومنها: أن الصحابة كانوا يستدلون على الفساد بالنهي كاستدلالهم على فساد عقود الربا بقوله ﷺ: «لا تبيعوا الذهب بالذهب إلا مثلاً بمثل»(٢)وعلى فساد نكاح المحرم بالنهي عنه.

---

(١) صحيح مسلم ١٨ – (١٧١٨).

(٢) صحيح البخاري (٢١٧٧).

الأمر والنهي بلفظ الخبر:

الأمر والنهي بلفظ الخبر كالأمر والنهي بلفظ الطلب في جميع الأحكام.

وإليك الأمثلة على النوعين:

أ. مثال الأمر بلفظ الخبر: قوله تعالى : ﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ ﴾ [البقرة:٢٢٨]، وقوله: ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ﴾ [البقرة:٢٣٣].

وقوله ﷺ: «من مات وعليه صيام صام عنه وليه»(١).

ب. **ومثال النهي بلفظ الخبر:** قوله تعالى: ﴿ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ﴾ [البقرة:١٩٧] وقوله ﷺ: «لا ضرر ولا ضرار»(٢)وقوله ﷺ في كتابه لعمرو بن حزم: «وأن لا يمس القرآن إلا طاهر»(٣)

العــام

تعريف العام:

هو في اللغة: الشامل.

والعموم شمول أمر لآخر مطلقًا.

وفي الاصطلاح: وهو اللفظ المستغرق لما يصلح له دفعة بوضع واحد من غير حصر.

فخرج بقولنا: «دفعة» نحو رجل، في سياق الإثبات فإنه وإن كان مستغرقًا لجميع ما يصلح له إلا أن هذا الاستغراق على سبيل البداية لا دفعة واحدة.

وبقولنا: «بوضع واحد» المشترك مثل «القرء والعين» فإنه بوضعين أو أكثر.

وبقولنا: «في غير حصر» أسماء الأعداد كعشرة ومائة، وهذا عند من لا يرى لفظ العدد من صيغ العموم.

صيغ العموم: وللعموم ألفاظ دالة عليه تسمى صيغ العموم ومنها ما يأتي:

١-كل: مثل قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾ [الأنبياء:٣٥]، وقوله: ﴿كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ ﴾ [البقرة:٢٨٥].

---

(١) صحيح البخاري (١٩٥٢)

(٢) سنن ابن ماجة (٢٣٤٠) وحكم الألباني صحيح

(٣) سنن الدارمي (٢٣١٢) وحكم الألباني صحيح . أنظر إرواء الغليل (١٢٢)

٢- جميع: مثل جاء القوم جميعهم.

٣- الجمع المعرف بالألف واللام لغير العهد: مثل: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ [المؤمنون:١]، وكذا المعرف بالإضافة مثل: ﴿ يوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ ﴾ [النساء:١١].

٤- المفرد المعرف بالألف واللام لغير العهد: مثل: ﴿ وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الإنسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ [العصر:١.٣]، وكذا المعرف بالإضافة: ﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا ﴾ [النحل:١٨].

٥- المثنى المعرف بأل: مثل قوله ﷺ: «إذا التقى المسلمان بسيفيهما...»(١) فإنه يعم كل مسلمين.

٦- ما: وهي لما لا يعقل مثالها ـ موصولة ـ: قوله تعالى: ﴿ مَا عِندَكُمْ ينفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ ﴾ [النحل:٩٦] ومثالها ـ شرطية ـ قوله تعالى: ﴿ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيرٍ يعْلَمْهُ اللَّهُ ﴾ [البقرة:١٩٧].

٧- من: وهي لمن يعقل، مثالها ـ موصولة ـ قوله تعالى: ﴿ وَلا تُؤْمِنُوا إلاَّ لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ ﴾ [آل عمران:٧٣]، ومثالها ـ شرطية ـ قوله تعالى: ﴿ فَمَن يعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيرًا يرَهُ ﴾ [الزلزلة:٧].

٨- متى: للزمان المبهم ـ شرطية ـ مثل: «متى زرتني أكرمك».

٩- أين: للمكان المبهم ـ شرطية ـ مثل: قوله تعالى: ﴿ أَينَمَا تَكُونُوا يدْرِككُّمُ الْمَوْتُ ﴾ [النساء:٧٨].

١٠- النكرة في سياق النفي وتكون نصًّا في العموم وظاهرة فيه.

نصية النكرة في العموم وظهورها فيه:

تكون النكرة في سياق النفي نصًّا صريحًا في العموم في الحالات الآتية:

١. إذا بنيت مع لا، نحو: لا إله إلا الله.

٢. إذا زيدت قبلها «مِن» وتزاد «مِن» قبلها في ثلاثة مواضع:

أ ـ قبل الفاعل مثل: ﴿ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يتَذَكَّرُونَ ﴾ [القصص:٤٦].

ب ـ قبل المفعول مثل: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ ﴾ [الأنبياء:٢٥].

جـ ـ قبل المبتدأ مثل: ﴿ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إلاَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾ [المائدة:٧٣].

---

(١) صحيح البخاري (٣١)

٣. النكرة اللازمة للنفي: مثل: ديار، كما في قوله تعالى عن نوح: ﴿ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيارًا ﴾ [نوح:٢٦].

وتكون ظاهرة لا نصًّا فيما عدا ذلك كالنكرة العاملة فيها «لا» عمل ليس، مثل قولك: «لا رجل في الدار».

دلالة اللفظ العام واستعمالاته:

الأصل في العام أن تكون دلالته كلية أي يكون الحكم فيه على كل فرد من أفراده المتدرجة تحته، وهذا إن لم يدخله تخصيص هو العام الباقي على عمومه وهو قليل ومن أمثاله:

١. قوله: ﴿ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ [هود:٦].

٢. وقوله: ﴿ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيءٍ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة:٢٨٢].

٣. وقوله: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ ﴾ [النساء:٢٣].

وقد يطلق ويكون المراد به فردًا من أفراده، وهذا هو العام المراد به الخصوص، كقوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ ﴾ [آل عمران:١٧٣] على أن المراد بالناس خصوص نعيم بن مسعود أو غيره، وقوله تعالى: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ﴾ [النساء:٥٤]، على أن المراد بالناس هنا رسول الله ﷺ وقد يطلق عامًّا ثم يدخله التخصيص، وهنا هو العام المخصوص.

كقوله تعالى: ﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ ﴾ [البقرة:٢٢٨] فلفظ المطلقات عام خصص بقوله تعالى: ﴿ وَأُوْلاتُ الأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ﴾ [الطلاق:٤]، فجعل أجلهن وضع الحمل لا ثلاثة قروء.

عموم حكم الخطاب الخاص به ﷺ:

الخطاب الخاص بالنبي ﷺ يتناول حكمه الأمة إلا إذا دل على اختصاصه به.

ومن أدلة ذلك قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا قَضَى زَيدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَي لا يكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيائِهِمْ إذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا ﴾ [الأحزاب:٣٧]، وقوله تعالى في الواهبة نفسها: ﴿ خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأحزاب:٥٠]، ولو كان حكم الخطاب به يختص به لم يصح التعليل في الآية الأولى ولم يحتج إلى التخصيص في الآية الثانية.

العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب:

إذا ورد لفظ العموم على سبب خاص لم يسقط عمومه سواء كان السبب سؤالاً أو غيره، كما روي أنه ﷺ مر على شاة ميتة لميمونة فقال: «أيما إهاب دبغ فقد طهر»(١) ويدل لذلك أن الصحابة كانوا يستدلون بالعموميات الواردة في أسباب خاصة من غير خلاف، وأصرح الأدلة في ذلك أن الأنصاري الذي قبّل الأجنبية ونزلت فيه:﴿ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ﴾[هود:١١٤] سأل رسول الله ﷺ عن حكم هذه الآية هل يختص به بقوله: ألي هذا وحدي؟ فأجابه النبي ﷺ بما يدل على التعميم حيث قال: «بل لأمتي كلهم»(٢). ويوضحه من جهة اللغة: أن الرجل لو قالت له زوجته: طلقني فطلق جميع نسائه وقع الطلاق عليهن ولم يختص بالطالبة وحدها.

الحكم على المفرد بحكم العام لا يسقط عمومه:

إذا ذكر عام محكوم عليه بحكم ثم حكم بذلك الحكم على بعض أفراده لم يسقط به حكم العام خلافًا لأبي ثور، وسواء ذكرتا معًا مثل: ﴿ تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ ﴾ [القدر:٤] أم لا مثل حديث: «أيما إهاب دبغ فقد طهر»(٣) مع حديث مسلم أنه ﷺ مر بشاة ميتة فقال: «هلا أخذتم إهابها فانتفعتم به» ومثل حديث: «من وجد متاعه عند رجل قد أفلس فهو أحق به من الغرماء»(٤)، ومثل قول جابر رضي الله عنه: قضى رسول الله ﷺ بالشفعة في كل شيء، مع حديث: «فإذا وقعت الحدود وصرفت الطرق فلا شفعة»(٥). وفائدة الحكم على بعض العام بحكم العام قيل إنها على احتمال إخراجه من العام.

ما ينزل منزلة العموم: اشتهر بين الأصوليين فيما ينزل منزلة العموم عبارة منسجمة تنسب إلى الشافعي رحمه الله ونصها: «ترك الاستفصال في حكاية الحال مع قيام الاحتمال ينزل منزلة العموم في المقال ويحسن به الاستدلال» ومن أمثلة هذه القاعدة قوله ﷺ لغيلان الثقفي وقد أسلم على عشرة نسوة:«أمسك منهن أربعًا وفارق سائرهن»(٦) ولم يسأله هل عقد عليهن معًا أو على الترتيب فدل على عدم الفرق بين الحالين.

---

(١) سنن ابن ماجة (٣٦٠٩) وحكم الألباني صحيح .

(٢) صحيح البخاري (٥٢٦) .

(٣) صحيح مسلم ١٠٣ - (٣٦٤) .

(٤) سنن ابن ماجة (٢٣٥٨) وحكم الألباني صحيح .

(٥) صحيح البخاري (٢٢١٣) .

(٦) موطأ مالك برواية مُحَمَّد بن الحسن الشيباني (٥٣٠) .

الخـاص:

تعريف الخاص:

الخاص مقابل للعام، فإذا كان العام يتناول أكثر من واحد بلا حصر فإن الخاص لا يتناول سوى واحد كزيد مثلاً أو يتناول أكثر منه ولكنه على سبيل الحصر، كاثنين أو خمسة أو مائة لأنه خاص بهذا العدد، ومنه النكرة في سياق الإثبات كقولك: رأيت رجلاً في البيت أو اعتنق عبدًا، فإنه وإن كان صالحًا لكل رجل، وصادقًا بأي عبد إلا أنه عمليا لا يصدق إلا بفرد واحد يختص به لأنه بمعنى: رأيت رجلاً واحدًا واعتنق عبدًا واحدًا.

التخصيص:

تعريف التخصيص:

لغة: الإفراد.

واصطلاحًا: قصر المقام على بعض أفراده لدليل يدل على ذلك.

أي جعل الحكم الثابت للعام مقصورًا على بعض أفراده بإخراج البعض الآخر عنه وقد يكون التخصيص قصر المتعدد على بعض أفراده أيضًا.

الأمثلة:

أ ـ قصر العام: كقوله تعالى: ﴿ يوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ ﴾ [النساء:١١]، فهذا عام في جميع أولاد المخاطبين وعام في كل ولد، فخص الأول بقوله ﷺ: «إنا معاشر الأنبياء لا نورث»(١) فأخرج أولاد الأنبياء من عموم أولاد المخاطبين.

وقال ﷺ: «لا يرث المسلم الكافر...»(٢) فخص عموم كل ولد بإخراج الولد الكافر.

ب ـ مثال قصر المتعدد: كقولك مثلاً: له علي عشرة دنانير إلا ثلاثة فإن فيه قصر الدين على سبعة فقط .

فتحصل في هذا أمران:

١. عام أو متعدد، أخرج منه البعض، فهو العام المخصوص المتقدم ذكره.

٢. دال على الإخراج، فهو المخصص ـ باسم الفاعل ـ كالحديثين المذكورين، والاستثناء في الأخير.

---

(١) مسند أحمد (٩٩٧٢) وحكم شعيب الأرنؤوط إسناده صحيح

(٢) صحيح البخاري (٦٧٦٤)

المخصصات:

المخصص العام على قسمين: متصل ومنفصل.

الأول: هو ما لا يستقل بنفسه بل يتعلق معناه باللفظ فهو مقارن له دائمًا.

الثاني: هو ما استقل بنفسه ولا ارتباط له في الذكر مع العام من لفظ أو غيره.

المخصصات المتصلة:

وهي خمسة أشياء:

١. الاستثناء.

٢. الشروط.

٣. الصفة.

٤. الغاية.

٥. بدل البعض.

التخصيص بالاستثناء:

تعريفه: هو إخراج البعض بأداة «إلاَّ» أو ما يقوم مقامها.

وهو قسمان: متصل ومنقطع.

١. فالمتصل: ما كان فيه المستثنى بعضًا من المستثنى منه كقوله تعالى في شأن نوح عليه السلام: ﴿ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلاَّ خَمْسِينَ عَامًا ﴾ [العنكبوت:١٤] وهذا القسم هو المقصود باتفاق.

٢. والمنقطع: ما لم يكن فيه المستثنى بعضًا من المستثنى منه نحو: له علي عشرة دنانير إلا كتابًا.

وفي التخصيص بهذا النوع خلاف وعلى القول به كما عند المالكية يحتاج إلى التأويل أي إلا قيمة الكتاب، فيكون المخرج من العشرة دنانير قيمة الكتاب فكأنه يعود عمليا إلى النوع الأول.

شروط صحة الاستثناء:

ولصحة التخصيص بالاستثناء شروط منها:

١. أن يكون ملفوظًا يسمع لا بمجرد النية، إلا في يمين ظلمًا عند المالكية.

٢. أن يكون متصلاً بما قبله لفظًا في العرف، فلا يضر فصله بتنفس أو عطاس خلافًا لابن عباس إذ أجاز فصله مطلقًا.

٣. أن لا يستغرق المستثنى منه كخمسة إلا خمسة لأنه يعد لغوًا أو أكثر من النصف عند الحنابلة كخمسة إلا ثلاثة لأن الاستثناء لإخراج القليل.

وحاصل الخلاف في الشرط الأخير كالآتي:

١. أن يكون المستثنى أقل مما بقي كخمسة إلا اثنين فهذا صحيح بالإجماع.

٢. أن يكون المستثنى مستغرقًا لجميع المستثنى منه كخمسة إلا خمسة وهذا باطل عند الأكثر خلافًا لابن طلحة الأندلسي.

٣. أن يكون المستثنى أكثر مما بقي كخمسة إلا أربعة وهو جائز عند الجمهور ممنوع عند الحنابلة.

ورود الاستثناء بعد جمل متعاطفة:

قال الله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٤) إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النور: ٤،٥].

فقد ورد الاستثناء في هذه الآية بعد ثلاث جمل:

١. جملة الأمر بالجلد.

٢. جملة النهي عن قبول الشهادة منهم.

٣. جملة الحكم عليهم بالفسق.

فهل يعود الاستثناء إلى الجميع أو إلى الجملة الأخيرة فقط، خلاف.

أ ـ فالجمهور على أنه يعود إلى الجميع لأنه الظاهر ما لم يدل دليل على خلاف ذلك فلا يصح رجوعه إلى جملة الجلد في هذه الآية مثلاً.

ب ـ وأبو حنيفة على أنه يعود إلى الجملة الأخيرة فقط لأنه المتيقن.

ومثله ورود الاستثناء بعد مفردات متعاطفة أيضًا نحو: تصدق على الفقراء والمساكين والغارمين إلا الفسقة منهم.

التخصيص بالشرط:

تعريفه:

المراد بالشرط هنا: الشرط اللغوي وهو المعروف بتعليق أمر بأمر، وأدواته كثيرة منها: «إن وإذا»

مثل: «إن نجح زيد فأعطه جائزة».

ووجه التخصيص بالشرط في المثال المتقدم: أنه يخرج من الكلام حالاً من أحوال زيد وهي عدم نجاحه ولولا الشرط لوجب إعطاؤه الجائزة على كل حال .

وقد جاء في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ فَلَيسَ عَلَيكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلاةِ ﴾ [النساء:١٠١] تعليق قصر الصلاة على حصول الشرط وهو الضرب في الأرض، ولولا الشرط لجاز القصر مطلقًا حضرًا وسفرًا، لكنه خص بحالة السفر، ويشترط للتخصيص بالشرط أن يتصل بالمشروط لفظًا كما في الاستثناء.

التخصيص بالصفة:

والمراد بالصفة: الصفة المعنوية، لا النعت المعروف في علم النحو، فتشمل الحال والظرف والتمييز وغيرها.

والغالب في الصفة أن تجيء مخصصة للموصوف قبلها وربما تقدمت عليه كما في إضافة الصفة إلى الموصوف.

ووجه التخصيص بالصفة: أنها تقصر الحكم على ما تصدق عليه وتخرج مفهومها عن نطاق الحكم إذا كان لها مفهوم معتبر.

أ ـ فمثلاً: اقرأ الكتب النافعة في البيت، فإن قولك لصديقك: اقرأ الكتب، عام في كل كتاب ولكن الوصف بالنفع قصر حكم القراءة على النافع منها وأخرج ما عدا ذلك.

ب ـ وكذلك: «اقرأ الكتب» عام في كل مكان ولكن قولك: «في البيت» قصر القراءة في مكان دون غيره.

جـ ـ وقولك: «إذا حضرت مبكرًا أدركت الدرس الأول» فحضرت عام في جميع الأحوال، ومبكرًا تخصيص له، ومن أمثلة التخصيص بالصفة قوله تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلاً أَن ينكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيمَانُكُم مِّن فَتَياتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ﴾ [النساء:٢٥]، فلفظة «فتياتكم» عامة خصصتها الصفة بالمؤمنات.

شرط التخصيص بالصفة: ويشترط لذلك أن تكون الصفة متصلة بالموصوف لفظًا كما في الشرط والاستثناء.

التخصيص بالغاية:

غاية الشيء: نهايته ولها أدوات دالة عليها هي: إلى وحتى، وهي التي يتقدمها عموم يشمل ما بعدها لأنها تخرج ما بعدها من عموم ما قبلها.

مثالها: قال تعالى:﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيوْمِ الآخِرِ وَلا يحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾[التوبة: ٢٩].

فإن ما قبل الغاية وهو الأمر بقتالهم عام يشمل كل أحوالهم، فلولا التخصيص بالغاية لكنا مأمورين بقتالهم سواء أعطوا الجزية أم لم يعطوها.

التخصيص ببدل البعض:

إذا قلت: «أكرم القوم العلماء منهم» فقد أبدلت عموم القوم وجعلت الإكرام خاصًّا بهم فهذا البدل مخصص عند البعض وهو الصحيح.

ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيهِ سَبِيلاً ﴾ [آل عمران:٩٧] فلفظ الناس عام يشمل المستطيع وغير المستطيع، فلما ذكر بعده بدل البعض خصصه بالمستطيع.

المخصصات المنفصلة:

تقدم تعريف المخصص المنفصل وهو أقسام نذكر بعضها فيما يلي:

أولاً: التخصيص بالنص عن الكتاب أو السنة وهو:

أ . إما آية تخصص عموم آية: مثل قوله تعالى: ﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ ﴾ [البقرة:٢٢٨] خصص منه أولات الأحمال بقوله تعالى: ﴿ وَأُوْلاتُ الأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ﴾ [الطلاق:٤] وخص منه أيضًا المطلقات قبل المسيس بقوله تعالى: ﴿ يا أَيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيهِنَّ مِن عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا ﴾ [الأحزاب:٤٩].

ب . وإما حديث يخصص عموم آية: مثل قوله تعالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيكُمُ الْمَيتَةُ ﴾ [المائدة:٣] خص منه السمك والجراد بقوله ﷺ: «أحلت لنا ميتتان ودمان أما الميتتان: فالجراد والحوت»(١) ومثل قوله تعالى: ﴿ وَيسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يطْهُرْنَ ﴾ [البقرة:٢٢٢] خص بما روي عن عائشة وأم سلمة أنه ﷺ كان يأمر بعض أزواجه أن تشد إزارها فيباشرها وهي حائض .

---

(١) سنن ابن ماجة (٣٣١٤) وحكم الألباني صحيح .

ج ـ وإما آية تخصص عموم حديث: مثل قوله ﷺ: «ما أبين من حي فهو ميت»(١) خص بقوله تعالى: ﴿ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ ﴾ [النحل:٨٠] ومثل قوله ﷺ: «إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار»(٢) خص بقوله تعالى: ﴿ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ ﴾ [الحجرات:٩].

د ـ وإما حديث يخصص عموم حديث: مثل قوله ﷺ: «فيما سقت السماء العشر»(٣) خص بقوله ﷺ: «ليس فيما دون خمسة أوسق صدقة»(٤).

ثانيا: الإجماع :

مثل قوله تعالى: ﴿ يوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ ﴾ [النساء:١١] خص منه الولد الرفيق بالإجماع ومنه تخصيص العمومات المانعة من الغرر بالإجماع على جواز المضاربة.

ثالثًا: القياس:

مثل قوله تعالى: ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ﴾ [النور:٢] فإن عموم الزانية خص بالنص وهو قوله تعالى في الإماء: ﴿ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ﴾ [النساء:٢٥] وأما عموم الزاني فهو مخصص بقياس العبد على الأمة لعدم الفارق.

رابعًا: الحس :

ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿ يُجْبَى إِلَيهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيءٍ ﴾ [القصص:٥٧] وقوله عن ملكة سبأ: ﴿ وَأُوتِيتْ مِن كُلِّ شَيءٍ ﴾ [النمل:٢٣] فإن المشاهد في مكة حرسها الله أنها لا تجبى إليها جميع الثمار على اختلافها وتنوعها، وكذلك بلقيس لم تؤت البعض من كل شيء.

خامسًا: العقل :

ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيءٍ ﴾[الزمر:٦٢] فإن العقل دل على أن ذات الرب

---

(١) المستدرك للحاكم (٧٥٩٨) وقال هذا حديث صحيح .

(٢) صحيح البخاري (٣١) .

(٣) سنن ابن ماجة (١٨١٧) وحكم الألباني صحيح .

(٤) صحيح البخاري (١٤٨٤) .

ﷻ مع صفاته غير مخلوقة، وإن كان لفظ الشيء يتناوله كما في قوله تعالى: ﴿ كُلُّ شَيءٍ هَالِكٌ إلاَّ وَجْهَهُ ﴾ [القصص:٨٨].

أقسام اللفظ من حيث الدلالة:

اللفظ من حيث هو دال على المعنى له حالات:

١. ألا يحتمل إلا معنى واحدًا كقوله تعالى: ﴿ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ﴾ [البقرة:١٩٦]، وقوله: ﴿ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيلَةً ﴾ [الأعراف:١٤٢] ومثل هذا يسمى «نصًّا» مأخوذ من منصة العروس ومعناه في اللغة الرفع.

٢. أن يحتمل أكثر من معنى على السواء كما في «قرء وعين» ويسمى «مجملاً».

٣. أن يحتمل أكثر من معنى ولكنه في أحدها أرجح منه في غيره فالراجح يسمى «ظاهرًا».

كقولك: «رأيت اليوم أسدًا» فهو محتمل للحيوان المفترس وللرجل الشجاع ولكنه في الأول أرجح.

٤. وإن حمل على المعنى المرجوح فهو المؤوَّل كحمل لفظ «أسد» على الرجل الشجاع في المثال السابق، ولا بد في حمله على المعنى المرجوح من قرينة وإلا كان باطلاً.

ووجه الحصر في هذه الأقسام: أن اللفظ إما أن يحتمل معنى واحدًا فقط، أو أكثر فالأول النص، والثاني إما أن يكون في أحد المعنيين أو المعاني، أظهر منه في غيره، أولاً بأن يكون على السواء فالأول الظاهر ومقابله المؤول، والثاني المجمل.

حكم هذه الأقسام:

١. لا يعدل عن النص إلا بنسخ.

٢. لا يعمل بالمجمل إلا بعد البيان.

٣. لا يترك الظاهر، وينتقل إلى المؤول إلا لقرينة قوية، تجعل الجانب المرجوح راجحًا.

مثاله: لفظ «الجار» في حديث: «الجار أحق بسقبه»(١) فإنه راجح في المجاور مرجوح في الشريك فحمله الحنابلة على الشريك مع أنه مرجوح لقرينة قوية وهي قوله ﷺ: «فإذا ضربت الحدود وصرفت الطرق فلا شفعة»(٢) فقالوا: لا ضرب لحدود ولا صرف لطرق إلا في الشركة، أما الجيران فكل على حدوده وطرقه، ولهذا قالوا: لا شفعة لجار.

---

(١) صحيح البخاري (٢٢٥٨).

(٢) صحيح البخاري (٢٢١٣).

المجمل والمبين:

أولاً: المجمل:

تعريفه لغة: هو ما جمع وجملة الشيء مجموعة كجملة الحساب.

واصطلاحًا: ما احتمل معنيين أو أكثر من غير ترجح لأحدهما أو أحدهما على غيره.

الأمثلة: من ذلك لفظ القرء فهو متردد بين معنيين على السواء: الطهر والحيض بدون ترجح لأحدهما على الآخر ولهذا التردد وقع الخلاف في المراد بالقرء في قوله تعالى: ﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ ﴾ [البقرة:٢٢٨] فحمله الشافعي ومالك على الطهر، وأبو حنيفة وأحمد حملاه على «الحيض».

أنواع الإجمال:

قد يكون الإجمال في مركب أو مفرد، والمفرد يكون اسمًا أو فعلاً أو حرفًا، وقد يكون لاختلاف في تقدير حرف محذوف.

الأمثلة:

١. الإجمال في المركب: كقوله تعالى:﴿ إلاَّ أَن يعْفُونَ أَوْ يعْفُوَ الَّذِي بِيدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ ﴾ [البقرة:٢٣٧]، لاحتمال أن يكون الزوج وأن يكون الولي، ولذا حمله أحمد والشافعي على الزوج، وحمله مالك على الولي.

٢. الإجمال في المفرد:

أ ـ الإجمال في الاسم: تقدم منه لفظ: «القرء» ومثله لفظ «العين» للجارحة والجارية والنقد.

ب ـ الإجمال في الفعل: كقوله تعالى: ﴿ وَاللَّيلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴾ [التكوير:١٧] لتردده بين أقبل وأدبر.

جـ ـ الإجمال في الحرف كقوله تعالى: ﴿ فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيدِيكُم مِّنْهُ ﴾ [المائدة:٦] لاحتمال «من» للتبعيض ولابتداء الغاية ولذا حمله أحمد والشافعي على الأول، وحمله مالك وأبو حنيفة على الثاني.

٣. الإجمال بسبب الخلاف في تقدير الحرف المحذوف: كقوله تعالى: ﴿ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ ﴾ [النساء:١٢٧]، لأن الحرف المقدر بعد ترغبون يحتمل أن يكون «في» أي ترغبون في نكاحهن لجمالهن، ويحتمل أن يكون «عن» أي ترغبون عن نكاحهن لفقرهن ودمامتهن.

العمل في المجمل:

ينظر أولاً هل هناك قرائن أو مرجحات لأحد المعاني أصلاً فإن وجدت عمل بها، وإلا ترك الاستدلال به ولذا قيل: إذا وجد الاحتمال بطل الاستدلال.

نصوص ليست مجملة:

١. التحريم المضاف إلى الأعيان كقوله تعالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ ﴾ [النساء:٢٣]، وقوله: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيكُمُ الْمَيتَةُ ﴾ [المائدة:٣] ليس بمجمل لظهوره عرفًا في النكاح في الأول، وفي الأكل في الثاني.

٢. قوله تعالى: ﴿ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ ﴾ [المائدة:٦] ليس بمجمل بل هو ظاهر في مسح جميع الرأس لأن الرأس اسم للكل لا للبعض.

٣. قوله ﷺ: «رفع عن أمتي الخطأ والنسيان»(١) ليس بمجمل، إذ المراد به رفع المؤاخذة، لأن ذات الخطأ والنسيان غير مرفوعة، وضمان المتلف خطأ أو نسيانًا غير مرفوع إجماعًا فلم يبق إلا رفع المؤاخذة.

٤. قوله ﷺ: «لا صلاة إلا بطهور»(٢) و «لا نكاح إلا بولي»(٣) و «لا صيام لمن لم يبيت الصيام من الليل»(٤)، ونحو ذلك ليس بمجمل لأن المراد نفي الصحة والاعتداد شرعًا.

٥. قوله ﷺ: «لا عمل إلا بنية»(٥) ليس بمجمل لأن العمل:

أ ـ إن كان عبادة فالمراد فيه الصحة والاعتداد شرعًا.

ب ـ وإن كان معاملة فهو يصح ويعتد به، دون النية إجماعًا، والنفي فيه ينصب على انتفاء الأجر، فمن رد الأمانة والمغصوب مثلاً لا يريد وجه الله فإن المطالبة تسقط عنه ويصح فعله ويعتد به ولكن لا أجر له، وكذلك جميع المتروك.

* * *

---

(١) سنن ابن ماجة (٢٠٤٥) وحكم الألباني صحيح

(٢) صحيح مسلم (٢٢٤)

(٣) سنن ابن ماجة (١٨٨٠) وحكم الألباني صحيح

(٤) سنن النسائي (٢٣٣٤) وحكم الألباني صحيح

(٥) أخرجه الديلمي في "مسند الفردوس" (٧٨٩٤) وحكم الألباني ضعيف . أنظر السلسة الضعيفة (٣٩٩١)

تنبيه: لا يعني الحكم بضعف على الحديث انه لايصحه معناه لأنه يوجد أحاديث أخرى بنفس المعنى لكن بلفظ أخرى

ثانيا: المبين:

أ ـ المبين «بالفتح» بمعنى البين الواضح وهو المقابل للمجمل لأنه المتضح معناه فلا يفتقر إلى بيان من خارج، ويسمى البيان أيضًا.

ب ـ والمبين ـ بالكسر ـ على زنة اسم الفاعل هو الموضح لإجمال المجمل.

وهو اصطلاحًا: الكاشف عن المراد من الخطاب، وعلى هذا أدرج أكثر الأصوليين فخصوا البيان بإيضاح ما فيه خفاء، ومنهم من يطلقه على كل إيضاح سواء تقدمه خفاء أم لا.

ما يقع به البيان:

يقع البيان بالقول تارة وبالفعل تارة وبهما معًا، وقد يكون بترك الفعل ليدل على عدم الوجوب.

البيان بالقول:

١.كتاب بكتاب قال تعالى: ﴿ إِلاَّ مَا يُتْلَى عَلَيكُمْ ﴾ [المائدة:١] فهذا مجمل بينه الله بقوله: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيكُمُ الْمَيتَةُ وَالدَّمُ ﴾ [المائدة:٣].

٢.كتاب بسنة قال تعالى: ﴿ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ﴾ [الأنعام:١٤١] فحقه مجمل بينه صلى الله عليه وسلم بقوله: «فيما سقت السماء العشر، وفيما سقي بالنضح نصف العشر»(١).

البيان بالفعل:

أ ـ يكون بصورة العمل كصلاته ﷺ فوق المنبر ليبين للناس ولذا قال لهم: «صلوا كما رأيتموني أصلي»(٢)، وكقطعه يد السارق من الكوع.

ب ـ ويكون بالكتابة ككتابته ﷺ أسنان الزكاة لعماله عليها.

جـ ـ ويكون بالإشارة كقوله ﷺ: «الشهر هكذا وهكذا وهكذا» وأشار بأصابع يديه وقبض الإبهام في الثالثة يعني تسعة وعشرين يومًا.

البيان بترك الفعل:

كتركه ﷺ التراويح في رمضان بعد أن فعلها وكتركه الوضوء مما مست النار، مما دل على عدم الوجوب فيهما .

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) صحيح البخاري (٦٠٠٨) .

(٣) صحيح البخاري (٥٣٠٢) .

مراتب البيان:

مراتبه متفاوتة فأعلاها ما كان بالخطاب ثم بالفعل، ثم بالإشارة، ثم بالكتابة ومعلوم أن الترك قصدًا فعل.

تأخير البيان عن وقت الحاجة إليه:

تأخير البيان على قسمين:

١. تأخير إلى أن يأتي وقت العمل: فهذا جائز وواقع فقد فرضت الصلاة ليلة الإسراء مجملة وتأخر بيانها إلى الغد حتى جاء جبريل وبينها، وقد علم رسول الله ﷺ أن المراد بقوله تعالى في خمس الغنيمة: ﴿ وَلِذِي الْقُرْبَى ﴾ [الأنفال:٤١] بنو هاشم وبنو المطلب دون إخوانهم من بني نوفل وعبد شمس مع أن الكل أولاد عبد مناف فأخر بيانه حتى سأله جبير بن مطعم النوفلي وعثمان بن عفان العبشمي رضي الله عنهما فقال: «أنا وبنو المطلب لم نفترق في جاهلية ولا في إسلام»(١)، وكذا آيات الصلاة والزكاة والحج بينتها السنة بالتراخي والتدريج، ويدل لذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (١٨) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴾ [القيامة:١٨،١٩]، وثم للتراخي إلى غير ذلك من الأدلة.

٢. تأخير عن وقت الحاجة: فهذا لا يجوز لأنه يلزمه تكليف المخاطب بما لا يطيق وهو غير جائز.

منزلة المبين من المبين:

لا يشترط في المبين ـ باسم الفاعل ـ أن يكون أقوى سندًا أو دلالة من المبين ـ باسم المفعول ـ بل يجوز بيان المتواتر بأخبار الآحاد، والمنطوق بالمفهوم.

الأمثلة:

أ ـ بيان الكتاب بالسنة: كقوله تعالى: ﴿ فَإِن طَلَّقَهَا فَلا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنكِحَ زَوْجًا غَيرَهُ ﴾ [البقرة:٢٣٠] فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجًا غيره، بين ﷺ نكاح الزوج الثاني بأنه الوطء بقوله لامرأة رفاعة القرظي:«حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك».

وقوله تعالى: ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾ [الأنفال: ٦٠] بينه ﷺ بقوله: «ألا إن القوة الرمي»(٣).

---

(١) صحيح البخاري (٤٢٢٩)

(٢) صحيح البخاري (٢٦٣٩)

(٣) صحيح مسلم ١٦٧ – (١٩١٧)

ويدل لبيان الكتاب بالسنة قوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيكَ الذِّكْرَ لِتُبَينَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيهِمْ ﴾ [النحل:٤٤].

ب ـ وبيان المنطوق بالمفهوم: كبيان منطوق قوله تعالى في سورة «النور»: ﴿ وَالزَّانِي ﴾ [النور:٢]، بمفهوم الموافقة في قوله تعالى: ﴿ فَعَلَيهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ﴾ [النساء:٢٥] فإن مفهوم موافقته أن العبد كالأمة في ذلك يجلد خمسين جلدة فبين هذا المفهوم أن المراد بالزاني في سورة «النور» خصوص الحر.

لا يشترط في البيان أن يعلمه كل إنسان:

ليس من شرط البيان أن يعلمه جميع المكلفين الموجودين في وقته بل يجوز أن يكون بعضهم جاهلاً به، فإنه يقال: بين له غير أنه لم يتبين.

مثال ذلك أن النبي ﷺ بين أن عموم قوله تعالى: ﴿ يوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ ﴾ [النساء:١١]، لا يتناول الأنبياء بقوله: «إنا معاشر الأنبياء لا نورث»(١) فلا يقدح في هذا البيان أن فاطمة رضي الله عنها لم تعلم به وجاءت إلى أبي بكر تطلب ميراثها منه ﷺ.

النسـخ:

تعريفه:

لغة: يطلق بمعنى الإزالة، ومنه نسخت الشمس الظل أي: أزالته وحلت محله ونسخت الريح الأثر أي: أزالته، ويطلق أيضًا على ما يشبه النقل تقول: نسخت الكتاب أي: نقلت شيئًا يشبه ما فيه، ووضعته في محل آخر.

والذي يوافق المعنى الاصطلاحي للنسخ من معنييه اللغويين هو الأول إذ النسخ في الاصطلاح: رفع الحكم الثابت بخطاب متقدم بخطاب آخر متراخ عنه.

شرح التعريف:

(الثابت) وصف للحكم، و(بخطاب متقدم) متعلق بالثابت، و(بخطاب) الثانية متعلق برفع، والضمير في عنه راجع للثابت بخطاب متقدم.

---

(١) مسند أحمد (٩٩٧٢) وحكم شعيب الأرنؤوط إسناده صحيح.

(رفع الحكم) جنس يعم النسخ وغيره مما يخرج بالقيود التالية لذلك، فيخرج منه بقيد (الثابت بخطاب متقدم) البراءة الأصلية فإيجاب الصلاة والزكاة والصوم والحج وغير ذلك رفع للبراءة الأصلية وليس بنسخ ويخرج منه بقيد (بخطاب آخر) رفع الحكم بالجنون والموت. ويخرج بقيد (متراخ عنه) ما كان متصلاً بالخطاب كالتخصيص فإن ذلك لا يسمى نسخًا.

وإليك مثلاً نزيد به التعريف وضوحًا وهو أن الواجب في أول الإسلام مصابرة الواحد من المسلمين للعشرة من الكفار في الحرب ثم نسخ ذلك بوجوب مصابرة الواحد من المسلمين للاثنين من الكفار فوجوب مصابرة الواحد للعشرة حكم ثبت بخطاب متقدم هو قوله تعالى: ﴿ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ ﴾ [الأنفال:٦٥] فرفع هذا الحكم بخطاب آخر متأخر عنه وهو قوله تعالى: ﴿ الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ ﴾ [الأنفال:٦٦].

جواز النسخ ووقوعه:

النسخ جائز عقلاً وواقع شرعًا ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا ﴾ [البقرة:١٠٦]، وقوله تعالى: ﴿ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾[الرعد:٣٩]، وقوله: ﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ ﴾ [النحل:١٠١].

وقوله ﷺ فيما صح عنه: «كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تذكر الآخرة»(١).

فدل ذلك على جوازه عقلاً وشرعًا إذ لو كان ممتنعًا لم يقع لكنه وقع للنصوص المذكورة وما في معناها.

نسخ الرسم والحكم:

ينقسم النسخ بهذا الاعتبار إلى ثلاثة أقسام:

١. نسخ رسم الآية مع بقاء حكمها: مثال ذلك آية الرجم وهي قوله: «الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالاً من الله والله عزيز حكيم»(٢)، كما ثبت التنويه بهذه الآية عن عمر رضي الله عنه في خطبته في «الصحيحين».

٢. نسخ حكم الآية دون رسمها: مثال ذلك نسخ حكم آية اعتداد المتوفى عنهنّ أزواجهن حولاً مع بقاء رسمها في المصحف وتلاوتها .

(١) مسند أحمد (٢٣٠٠٥) وحكم شعيب الأرنؤوط حديث صحيح

(٢) صحيح البخاري (٦٨٣٠) صحيح مسلم ١٥ – (١٦٩١)

٣. نسخ رسم الآية وحكمها معًا: مثال ذلك ما ثبت في «صحيح مسلم» من حديث عائشة ﵂: كان فيما أنزل من القرآن عشر رضعات معلومات يحرمن ثم نسخن بخمس معلومات فتوفي رسول الله ﷺ وهن فيما يقرأ من القرآن(١).

فآية التحريم بعشر الرضعات منسوخ رسمها وحكمها، وآية التحريم بخمس الرضعات منسوخ رسمها دون حكمها، فقد اجتمع في هذا الحديث مثالان:

أ ـ لمنسوخ التلاوة والحكم.

ب ـ لمنسوخ التلاوة دون الحكم كما ترى.

النسخ إلى غير بدل:

مذهب جمهور العلماء جواز النسخ إلى غير بدل عن الحكم المنسوخ.

ومن أدلتهم: نسخ وجوب تقديم الصدقة بين يدي نجوى رسول الله ﷺ إلى غير بدل كما في سورة «المجادلة».

النسخ إلى بدل:

والنسخ إلى بدل لا يخلو من واحد من ثلاثة أقسام:

أ ـ إما أن يكون الناسخ أخف من المنسوخ.

ب ـ أو مساويا له.

جـ ـ أو أثقل منه.

ولا خلاف في جواز القسمين الأولين، وأما الثالث فالقول بجوازه قول الجمهور.

والأمثلة كالآتي:

١. النسخ إلى بدل أخف: نسخ قوله تعالى: ﴿ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ ﴾ [الأنفال:٦٥]، بقوله: ﴿ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ ﴾ [الأنفال:٦٦]، فوجوب مصابرة الواحد للاثنين أخف من وجوب مصابرته للعشرة.

٢. النسخ إلى بدل مساو: نسخ استقبال بيت المقدس الثابت بالسنة بقوله تعالى: ﴿ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ [البقرة:١٤٤] فاستقبال الكعبة مساوٍ لاستقبال بيت المقدس بالنسبة لفعل المكلف.

---

(١) صحيح مسلم ٢٤ – (١٤٥٢)

٣. النسخ إلى بدل أثقل: نسخ التخيير بين صيام شهر رمضان والإطعام بتعيين صيامهن ونسخ أمر الصحابة بترك القتال والإعراض عن المشركين بإيجاب الجهاد.
فتعيين الصيام أثقل من التخيير بينه وبين الإطعام، ووجوب القتال أثقل من تركه.

نسخ الكتاب أو السنة بكتاب أو سنة:

النسخ بهذا الاعتبار أقسام:

١. نسخ الكتاب بالكتاب ولا خلاف في جواز هذا القسم.
ومن أمثلته آيتا العدة وآيتا المصابرة كما تقدم ذلك.
٢. نسخ السنة بالكتاب.
ومن أمثلته نسخ التوجه إلى بيت المقدس الثابت بالسنة بقوله تعالى: ﴿ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ [البقرة:١٤٤].
٣. نسخ الكتاب بالسنة ويشتمل هذا القسم على شيئين:
أحدهما: نسخ الكتاب بالآحاد من السنة، والقول بمنع جوازه مذهب الجمهور، لأن القطعي لا ينسخه الظني.
والثاني: نسخ الكتاب بمتواتر السنة، والقول بمنع جواز هذا النوع قول البعض مستدلاً بقوله تعالى: ﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا ﴾ [البقرة:١٠٦].
ووجه الدلالة أن السنة لا تكون مثل القرآن ولا خيرًا منه، والقول بالجواز مذهب الجمهور كما حكاه ابن الحاجب. ودليل هذا القول: أن الكل وحي من الله، وقد وقع نسخ الوصية للوالدين بقوله ﷺ: «لا وصية لوارث»(١)، فإن الإجماع قد انعقد على معنى هذا الحديث.
٤. نسخ السنة بالسنة: اتفاقًا في جواز نسخ آحادها ومتواترها بالمتواتر منها، ونسخ آحادها، واختلافًا في جواز نسخ المتواتر منها بالآحاد، ومن أمثلة نسخ السنة بالسنة قول النبي صلى الله عليه وسلم: «كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها»(٢).

نسخ المتواتر والآحاد بمتواتر وآحاد:

الصور الممكنة في ذلك تسع تقدمت في البحث الذي قبل هذا فنذكرها إجمالاً فيما يلي:
١. نسخ المتواتر من القرآن بالمتواتر منه.

---

(١) سنن ابن ماجة (٢٧١٤) وحكم الألباني صحيح .
(٢) سبق تخريجه.

٢. نسخ متواتر السنة بالمتواتر منها.

٣. نسخ الآحاد من السنة بالآحاد.

والناسخ في هذه الصور الثلاث مساو للمنسوخ.

٤. نسخ السنة الأحادية بالقرآن.

٥. نسخ الآحاد بالمتواتر من السنة.

٦. نسخ متواتر السنة بالقرآن.

والناسخ في هذه الصور الثلاث فوق المنسوخ.

٧. نسخ القرآن بمتواتر السنة.

٨. نسخ القرآن بالآحاد من السنة.

٩. نسخ متواتر السنة بالآحاد.

والناسخ في هذه الصور الثلاث دون المنسوخ.

الإجمـاع:

تعريفه:

هو في اللغة يطلق على شيئين:

١. الاتفاق، يقال: أجمع القوم على كذا إذا اتفقوا عليه، وهذا لا يتأتى إلا من الجماعة.

٢. العزم المصمم يقال: أجمع فلان رأيه على كذا، إذا صمم عزمه عليه وهذا يتأتى من الواحد ومن الجماعة.

وفي الاصطلاح هو: اتفاق جميع العلماء المجتهدين من أمة مُحَمَّد ﷺ بعد وفاته في عصر من العصور على أمر ديني.

شرح التعريف:

«الاتفاق» جنس يعم أشياء متعددة يخرج غير المراد منها بالقيود التالية لذلك فخرج بإضافته إلى جميع العلماء المجتهدين: المتعلم الذي لم يبلغ درجة الاجتهاد فضلاً عن العامي ومن في حكمه فلا عبرة بوفاقهم ولا بخلافهم وخرج به أيضًا حصول الإجماع من بعض المجتهدين دون البعض.

وخرج بقيد «من أمة مُحَمَّد ﷺ»: إجماع غيرها من الأمم، والمراد بالأمة: أمة الإجابة لا أمة الدعوة.

والمراد بالتقييد بما بعد وفاته ﷺ: بيان بدء الوقت الذي يوجد فيه الإجماع في أي عصر وجد بعد زمن النبوة سواء في ذلك عصر الصحابة ومن بعدهم.

وخرج بقيد «على أمر ديني»: اتفاق مجتهدي الأمة على أمر من الأمور العقلية أو العادية مثلاً.

أمثلة للإجماع:

تقدم في بحث الخاص وغيره أمثلة للإجماع، وإليك جملة من المسائل المجمع عليها نقلناها من كتاب «مراتب الإجماع» لابن حزم رحمه الله، اخترناها من أبواب متعددة:

١. اتفقوا على أن للمعتدة من طلاق رجعي السكنى والنفقة.

٢. اتفقوا على أن الوطء يفسد الاعتكاف.

٣. اتفقوا على أن فعل الكبائر والمجاهرة بالصغائر جرح ترد به الشهادة.

٤. اتفقوا على أنه لا يرث مع الأم جدة.

٥. اتفقوا على أن الوصية لوارث لا تجوز.

٦. اتفقوا على أنه لا قود على القاتل خطأ.

٧. اتفقوا على أن المطلقة طلاقًا رجعيا يرثها الزوج وترثه ما دامت في العدة.

٨ . اتفقوا على أن سفر المرأة فيما أبيح لها مع زوج أو ذي محرم مباح.

٩. اتفقوا على أن ذبح الأنعام في الحرم وللمحرم حلال.

١٠ــ اتفقوا على أنه ليس في القرآن أكثر من خمس عشرة سجدة.

١١. اتفقوا على أن الحائض تقضي ما أفطرت في حيضها.

١٢ــ اتفقوا على أنه لا يصوم أحد عن إنسان حي.

دليل حجية الإجماع:

ذهب الجمهور إلى أن الإجماع حجة يجب العمل به، وخالف في ذلك النظام والشيعة والخوارج.

وقد استدل الجمهور لحجيته بأدلة كثيرة منها:

١. قوله تعالى: ﴿ وَمَن يشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَنَ لَهُ الْهُدَى وَيتَّبِعْ غَيرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء:١١٥]، وذلك أن الله تعالى توعد من خالف سبيل المؤمنين بالعذاب فوجب اتباع سبيلهم، وما ذاك إلا لأنه حجة.

٢. قوله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق...»(١) الحديث.

---

(١) صحيح مسلم ١٧٠ - (١٩٢٠) .

فلو أجمع أهل عصر من العصور على باطل لتخلف مصداق الحديث في ذلك العصر لعدم وجود ظهير للحق فيه وذلك باطل فبطل أن يكون إجماعهم على خلاف الحق، إذًا فهو حجة يجب اتباعه.

عصر الإجماع:

تقدم في تعريف الإجماع أنه عام في أي عصر كان بعد وفاة الرسول ﷺ، لا فرق في ذلك بين عصور الصحابة وعصور من بعدهم، وهذا قول الجمهور خلافًا لمن خصه بعصر الصحابة، كداود الظاهري ومن وافقه مستدلين بأن قلة عدد الصحابة وحصرهم وضعف دواعي الهوى فيهم يتيسر معه إجماعهم والاطلاع عليه فيمكن الاحتجاج به بخلاف من بعدهم فإن كثرتهم واختلاف أهوائهم وضعفهم عن مقاومة الحكام يبعد عادة حصول الإجماع منهم والاطلاع عليه.

وقد رد الجمهور هذا الاستدلال بأن أرباب الشبه على كثرتهم واختلاف أهوائهم قد اتفقت كلمتهم على الباطل، واطلع على ذلك منهم كاليهود في إنكار نبوة مُحَمَّد ﷺ، فإجماع المسلمين على الحق أولى بأن يقع ويطلع عليه.

ومن أدلة الجمهور: أن الأدلة التي دلت على حجية الإجماع عامة لم تخصص عصرًا دون عصر، فكان الإجماع في أي عصر حجة.

هل انقراض عصر المجمعين شرط في انعقاد إجماعهم أو لا ؟

إذا حصل الإجماع من المجتهدين في زمن فهل ينعقد إجماعهم من وقت حصوله أو لا بد في انعقاده من انقراض عصرهم فيه قولان هما روايتان عن أحمد.

والصحيح الأول وهو قول الجمهور ويدل له أمور:

١. أن أدلة الإجماع من الكتاب والسنة لا توجب اعتبار انقراضه.

٢. أن التابعين قد احتجوا بإجماع الصحابة قبل انقراض عصرهم ولو كان ذلك شرطًا لم يحتجوا به قبل انقراضهم.

٣. أن اشتراط انقراض العصر يوجب أن لا يكون إجماع إلى يوم القيامة، لأنه لا يخلو العصر من توالد أفراد ونشأتهم وبلوغهم درجة الاجتهاد وقبل انقراضهم يتوالد غيرهم وهلم جرًّا، وما أدى إلى إبطال انعقاد الإجماع فهو باطل.

ثمرة الخلاف: ينبني على الخلاف في هذه المسألة شيئان:

١. على القول باشتراط انقراض العصر يسوغ لبعض المجمعين الرجوع عن رأيه ولا يعتبر مخالفًا للإجماع لأنه لم ينعقد.

وعلى القول بعدم الاشتراط لا يسوغ لأحد الرجوع عن رأيه الموافق للإجماع لأن الإجماع الحاصل إما أن يكون على حق أو باطل، والثاني منتفٍ للأدلة الدالة على ذلك فلزم الأول وهو كونه حقًّا ولا يجوز العدول عما هو حق.

٢. على القول بالاشتراط لا بد من موافقة من نشأ وبلغ درجة الاجتهاد وإلا لما تم؛ لأنه لم ينعقد إلا بانقراض العصر، وعلى القول بعدمه لا يجوز له مخالفة الإجماع؛ لأنه قد انعقد.

مستند الإجماع:

لا ينعقد الإجماع إلا عن مستند من كتاب أو سنة وقال قوم: يجوز انعقاده عن اجتهاد فقط ومنع ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في كتابه «معارج الوصول إلى أن أصول الدين وفروعه قد بينها الرسول» حيث قال فيه:

«ولا توجد مسألة يتفق الإجماع عليها إلا وفيها نص، وقد كان بعض الناس يذكر مسائل فيها إجماع بلا نص كالمضاربة، وليس كذلك بل المضاربة كانت مشهورة بينهم في الجاهلية لا سيما قريش فإن الأغلب عليهم التجارة، وكان أصحاب الأموال يدفعونها إلى العمال، ورسول الله صلى الله عليه وسلم قد سافر بمال غيره قبل النبوة كما سافر بمال خديجة، والعير التي كان فيها أبو سفيان كان أكثرها مضاربة مع أبي سفيان وغيره، فلما جاء الإسلام أقرها رسول الله ﷺ، فكان أصحابه يسافرون بمال غيرهم مضاربة، ولم ينه عن ذلك، والسنة قوله وفعله وتقريره صلى الله عليه وسلم، فلما أقرها كانت ثابتة بالسنة» انتهى.

أقسام الإجماع:

ينقسم الإجماع من حيث هو إلى قسمين:

١. إجماع قولي أو فعلي.

٢. وإجماع سكوتي.

فالأول: أن يصرح كل فرد بقوله في الحكم المجمع عليه أو يفعله فيدل فعله إياه على جوازه عنده. وهذا القسم من الإجماع لا خلاف في حجيته عند القائلين بثبوت الإجماع.

والثاني: أن يحصل القول أو الفعل من البعض وينتشر ذلك عنهم ويسكت الباقون عن القول به أو فعله، أو لا ينكروا على من حصل منه.

ومن أمثلته: العول حكم به عمر في خلافته بمشورة بعض الصحابة وسكت باقيهم.

وهذا القسم اختلف فيه فقال قوم: إنه إجماع لا يسوغ العدول عنه، وقال قوم: إنه ليس بإجماع ولا حجة، وقال آخرون: إنه حجة وليس بإجماع.

استدل القائلون بأنه إجماع بأن التابعين كانوا إذا نقل إليهم عن الصحابة مثل هذا لا يجوزون العدول عنهم، فهو إجماع منهم على أنه حجة.

واستدل من قال بأنه ليس بحجة فضلاً عن أن يكون إجماعًا بأن السكوت من المجتهد يحتمل أن يكون للموافقة ويحتمل أن يكون لعدم اجتهاده في المسألة أو اجتهد فيها ولكن لم يظهر له فيها شيء، أو سكت مهابة كما روى ابن عباس رضي الله عنهما في مسألة العول.

وبأن سكوت العلماء عند وقوع فعل منكر مثلاً لا يدل على أنه عندهم ليس بمنكر لما علم من أن مراتب الإنكار ثلاث: باليد أو اللسان أو بالقلب، وانتفاء الإنكار باليد واللسان لا يدل على انتفائه بالقلب، فهل يدل السكوت على تقرير الساكت لما وقع حتى يقال فقد أجمع عليه إجماعًا سكوتيا ولا يثبت ذلك عنه ويضاف إليه إلاّ إذا علم رضاه بالواقع ولا يعلم ذلك إلا علام الغيوب.

الأخبــار:

الأخبار بفتح الهمزة: جمع خبر وهو لغة مأخوذ من الخبار وهي الأرض الرخوة لأن الخبر يثير الفائدة كما أن الأرض الخبار تثير الغبار إذا حفرها الحافر ونحوه.

وهو نوع مخصوص من القول وقسم من أقسام الكلام، وقد يستعمل في غير القول كما قيل: تخبرك العينان ما القلب كاتم.

وتعريف الخبر من حيث هو: ما يحتمل الصدق والكذب لذاته، أي إن احتماله لهما من حيث كونه خبرًا وقد يقطع بصدق الخبر أو كذبه لأمر خارجي فالأول كخبر الله تعالى والثاني كالخبر عن المحالات كقول القائل: «الضدان يجتمعان» فلا يخرج بذلك عن كونه خبرًا.

والخبر يطلق عند المحدثين على ما أضيف إلى النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو وصف خُلقي أو خَلقي.

تقسيم الخبر باعتبار وصفه بالصدق والكذب:

ينقسم الخبر من حيث وصفه بالصدق والكذب إلى ثلاثة أقسام:

الأول: الخبر المقطوع بصدقه:

١ ـ الخبر الذي بلغ رواته حد التواتر.

٢. خبر الله وخبر رسوله ﷺ.

٣. الخبر المعلوم صدقه بالاستدلال كقول أهل الحق: «العالم حادث».

الثاني: الخبر المقطوع بكذبه وهو أنواع منها:

١. ما علم خلافه بالضرورة مثل قول القائل: «النار باردة».

٢. ما علم خلافه بالاستدلال مثل قول الفلاسفة: «العالم قديم».

٣. الخبر الذي لو كان صحيحًا لتوفرت الدواعي على نقله متواترًا، إما لكونه من أصول الشريعة، أو لكونه أمرًا غريبًا كسقوط الخطيب عن المنبر وقت الخطبة مثلاً.

٤. خبر مدعي الرسالة من غير معجزة.

الثالث: الخبر الذي لم يقطع بصدقه ولا بكذبه وهو ثلاثة أنواع:

١. ما ظن صدقه كخبر العدل.

٢. ما ظن كذبه كخبر الفاسق.

٣. ما شك فيه كخبر مجهول الحال فإنه يستوي فيه الاحتمالان لعدم المرجح.

* * *

تقسيم الخبر إلى متواتر وآحاد:

ينقسم الخبر باعتبار طريقه الموصلة له إلى المخبر به إلى قسمين: متواتر وآحاد.

المتواتر:

تعريفه: وهو في اللغة المتتابع.

وفي الاصطلاح: ما رواه جماعة كثيرون تحيل العادة تواطؤهم وتوافقهم على الكذب عن جماعة كذلك إلى أن ينتهي إلى محسوس.

شروطه:

ويشترط في المتواتر أربعة شروط:

١. أن يكون رواته كثيرين.

٢. أن تحيل العادة تواطؤهم وتوافقهم على الكذب.

٣. أن تستوي جميع طبقات السند بالشرطين السابقين إلى أن يتصل بالمخبر به.

٤. أن يكون علمهم بذلك حصل عن مشاهدة أو سماع.

أقسامه:

ينقسم المتواتر إلى قسمين:

١. لفظي: وهو ما اشترك رواته في لفظ معين مثل حديث: «من كذب علي متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار» وحديث: «المرء مع من أحب».

٢. معنوي: وهو ما اختلفت الرواة في ألفاظه مع توافقهم في معناه مثل أحاديث حوض الرسول ﷺ وأحاديث المسح على الخفين.

نوع العلم الذي يفيده المتواتر:

والمتواتر يفيد العلم اليقيني الذي يضطر الإنسان إليه بحيث لا يمكنه دفعه، وهذا هو الحق، فإنَّا نقطع بوجود البلاد الغائبة عنا، والأشخاص الماضية قبلنا ونجزم بذلك جزمًا خاليا من التردد جاريا مجرى جزمنا بالمشاهدات.

الآحاد:

تعريفه: هو ما فقد شرطًا فأكثر من شروط المتواتر السابقة.

الذي تفيده:

اختلف في أخبار الآحاد فذهب بعض العلماء إلى أنها لا تفيد القطع لا بنفسها ولا بالقرائن، وإنما تفيد الظن.

وقال آخرون: الأصل في خبر الواحد أن يفيد الظن وربما أفاد القطع بالقرائن مثل كونه مرويا في «الصحيحين» وهذا هو الراجح.

التعبد بأخبار الآحاد:

التعبد بأخبار الآحاد جائز عقلاً، وقد قام الدليل عليه سمعًا فمن ذلك:

١. إجماع الصحابة ﷺ على قبولها، فقد اشتهر عنهم الرجوع إليها في وقائع لا تنحصر كما في إرث الجدة السدس ودية الجنين، وتوريث المرأة من دية زوجها، وتحول أهل قباء إلى القبلة في صلاتهم، وأخذ الجزية من المجوس كأهل الكتاب، وعامة أفعال الرسول ﷺ في بيوته.

٢. قوله تعالى: ﴿ يا أَيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا ﴾ [الحجرات:٦]، وقوله: ﴿ فَلَوْلا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِينذِرُوا قَوْمَهُمْ إذَا رَجَعُوا إِلَيهِمْ لَعَلَّهُمْ يحْذَرُونَ ﴾ [التوبة:١٢٢].

٣. ما تواتر من بعثه ﷺ الآحاد إلى النواحي لتبليغ الأحكام مع العلم بتكليف المبعوث إليهم بذلك.

٤. انعقاد الإجماع في قبول قول المفتي فيما يخبر به عن ظنه وقبول قوله فيما يخبر به عن السماع الذي لا شك فيه أولى.

تقسيم الآحاد من حيث رواته قلة وكثرة:

تنقسم أخبار الآحاد من حيث كثرة الرواة وقلتهم إلى ثلاثة أقسام:

١. مشهور.   ٢. عزيز.   ٣. غريب.

١ – المشهور: ما قصر في عدد رواته عن درجة التواتر ولم ينزل في طبقة من طبقاته عن ثلاثة.

مثاله حديث: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده»(١).

٢. والعزيز: ما نزل سنده ولو في بعض الطبقات إلى اثنين فقط.

مثاله حديث: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين»(٢).

٣. والغريب: ما نزل سنده ولو في بعض الطبقات إلى واحد.

مثاله حديث عمر بن الخطاب ﷺ الذي يجعله كثير من المصنفين في الحديث فاتحة كتبهم وهو قوله ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى»(٣).

أقسام الآحاد من حيث القبول أو الرد:

من المعلوم أن المتواتر مقبول قطعًا.

---

(١) صحيح بخاري (١٠) .

(٢) صحيح مسلم ٧٠ – (٤٤) .

(٣) صحيح البخاري (١) .

أما خبر الواحد فيكون صحيحًا، ويكون حسنًا، وكلاهما مقبول، ويكون ضعيفًا وهو المردود وذلك بحسب قرائن الصحة والحسن أو أسباب الرد، ولكل ضوابط كالآتي:

١. الصحيح لذاته: هو ما اتصل سنده برواية العدل الضابط ضبطًا تامًّا من غير شذوذ ولا علة.
ولغيره: ما خفت فيه شروط الصحيح لذاته وجبر بكثرة الطرق.

٢. والحسن لذاته: ما خفت فيه شروط الصحيح لذاته ولم يجبر بكثرة الطرق.
ولغيره: هو الحديث المتوقف فيه إذا قامت قرينة ترجح جانب قبوله، كحديث مستور الحال إذا تعددت طرقه.

٣. والضعيف: هو الذي لم يتصف بشيء من صفات الصحيح ولا من صفات الحسن.

فإيجاب الرد: إما سقوط من السند أو طعن في الراوي وتفصيل ذلك في فن المصطلح.
حيث يفرقون بين كون الساقط واحدًا أو أكثر، وبين كونه في أول السند أو وسطه أو آخره.

أما الأصوليون فإنهم يقسمونه من حيث اتصال السند وانقطاعه إلى قسمين:

١. مسند.

٢. مرسل.

أولاً: المسند.

اسم مفعول من الإسناد وهو ضم جسم إلى آخر، ثم استعمل في المعاني يقال: أسند فلان الخبر إلى فلان إذا نسبه إليه.

وفي الاصطلاح: ما اتصل سنده إلى منتهاه، بأن يرويه عن شيخه بلفظ يظهر منه أنه أخذه عنه وكذلك شيخه عن شيخه متصلاً إلى الصحابي إلى رسول الله ﷺ.

ثانيا: المرسل.

اسم مفعول من الإرسال.

وفي الاصطلاح: هو رواية الراوي عمن لم يسمع منه، فهو على هذا لم يتصل سنده ظاهرًا لسقوط بعض رواته وسواء كان الساقط واحدًا أو أكثر من أي موضع في السند وهذا في اصطلاح الأصوليين خلافًا لأهل الحديث إذ يخصون اسم المرسل بما سقط منه الصحابي سواء كان وحده أو مع غيره من الصحابة والتابعين إذا كان المرسل له صحابيا أو تابعيا.

أقسام المرسل:

والمراسيل على ثلاثة أقسام:

١. مراسيل الصحابة.

٢. مراسيل التابعين.

٣. مراسيل غيرهم ممن بعدهم.

وإليك بيانها:

مرسل الصحابة:

أن يقول الصحابي فيما لم يسمعه من النبي ﷺ: قال رسول الله ﷺ كذا ونحو ذلك.

ويعرف عدم سماعه منه ذلك بأن يكون إسلامه متأخرًا وحديثه عن أمر متقدم، ولم يكن تحمل من رسول الله ﷺ قبل إسلامه أو بكونه من صغار الصحابة ويروي عنه ﷺ ما وقع قبل ولادته، فإذا قدر أن مثل هذا الصحابي لم يسمع الحديث من الرسول ﷺ مشافهة بل سمعه من واسطة فتلك الواسطة يغلب على الظن أنها صحابي آخر أكبر منه أو أسبق منه إسلامًا، كأحاديث أبي هريرة عما قبل السنة السابعة من الهجرة لتأخر إسلامه إلى تلك السنة، وكأحاديث ابن عباس وابن عمر ونحوهما عن أوائل الإسلام لتأخر مولدهما، فيكون هذا المرسل مقبولاً لأن الصحابة كلهم عدول فحكمه حكم المسند.

مرسل التابعي:

وإذا أرسل التابعي الحديث فأسنده إلى رسول الله ﷺ مباشرة فقد أسقط واسطة بينه وبين الرسول ﷺ، وهذه الواسطة يحتمل أن تكون صحابيا أو تابعيا أو أكثر من ذلك.

أما الصحابي فقد علمت عدالته وإن جهل بخلاف التابعي فلا سبيل إلى الحكم عليه لأنه مجهول والحكم على إنسان فرع معرفته.

يستثنى من ذلك عند الجمهور مراسيل ابن المسيب فإنها تتبعت كلها فوجدت مروية عن الصحابة فهي كالمسند لما علم أن الصحابة كلهم عدول.

مرسل غير الصحابي والتابعي:

هو أن يروي شخص في أثناء السند عمن لم يلقه فيسقط واسطة بينه وبين الذي روى عنه.

حكم المرسل:

أ ـ علمنا أن مراسيل الصحابة في حكم المسند فهي حجة ولا عبرة بشذوذ من شذ ويدل لذلك:

١. اتفاق الأمة على قبول رواية ابن عباس وأمثاله من أصاغر الصحابة مع إكثارهم من الرواية فبعض روايتهم عن النبي ﷺ مراسيل.

٢. وأيضًا فإن الصحابة قد علمت عدالتهم، فلا يروون إلا عن صحابي غالبًا وإن رووا عن غيره نادرًا فلا يروون إلا عمن علموا عدالته.

ب . وأما مراسيل التابعين فمن بعدهم فهي حجة عند مالك وأحمد في رواية وأبي حنيفة غير حجة عند الشافعي وأهل الحديث إلا مراسيل سعيد بن المسيب كما تقدم.

تصرف الراوي في نقله للخبر:

للراوي في كيفية نقله للخبر أحوال أربع:

١. أن يرويه باللفظ الذي سمع، وهذه الحالة هي الأصل في الرواية، وهي أفضل أحواله.

٢. أن يرويه بمعناه، وهذه الحالة لا تجوز إلا لعارف بمدلولات الألفاظ وبما يحيل المعاني.

٣. أن يحذف بعض لفظ الخبر، وهذا ممنوع إذا كان المحذوف له تعلق بالمذكور؛ لا إذا لم يكن له تعلق، وكثير من السلف سلك هذه الطريقة فاقتصر في الرواية على قدر الحاجة المستدل عليها، لا سيما في الأحاديث الطويلة.

٤. أن يزيد في الخبر على ما سمعه من النبي ﷺ، وهذا جائز إذا كان ما زاده يتضمن بيان سبب الحديث أو تفسير معناه، لكن بشرط أن يبين ما زاده حتى يفهم السامع أنه ليس من كلام النبي ﷺ.

الشروط المعتبرة في الراوي:

يشترط في الراوي أربعة شروط:

١. الإسلام: فالكافر لا تقبل روايته لأنه متهم في الدين إلا إذا تحمل في كفره وأدى بعد إسلامه كما في قصة أبي سفيان مع هرقل.

٢. التكليف وقت الأداء: فلا تقبل رواية الصبي، وما سمعه في الصغر بعد التمييز وأداه بعد البلوغ مقبول، لإجماع الصحابة ﷺ على قبول رواية أصاغر الصحابة كابن عباس وابن الزبير ومحمود بن الربيع والحسن والحسين ونحوهم.

٣. العدالة: فلا تقبل رواية الفاسق، وقيل: إلا المتأول إذا لم يكن داعية إلى بدعته.

٤. الضبط: وهو ضبط صدر وضبط كتاب، فإن من لا يحسن ضبط ما حفظه عند التحمل ليؤديه على وجهه لا يطمأن إلى روايته وإن لم يكن فاسقًا.

ولا يشترط في الراوي أن يكون ذكرًا، ولا حرًّا، ولا مبصرًا، ولا فقيهًا.

صيغ الأداء:

للصحابي في نقله الخبر عن الرسول ﷺ ألفاظ، ترتيبها بحسب القوة كالآتي:

١. أن يقول: سمعت رسول الله ﷺ، أو حدثني، أو شافهني، أو رأيته يفعل كذا ونحو ذلك، فهذا اللفظ لا يتطرق إليه احتمال الواسطة أصلاً، وهو حجة بلا خلاف.

٢. أن يقول: قال رسول الله ﷺ كذا، فهذا محتمل للواسطة والظاهر فيه الاتصال.

٣. أن يقول: أمر رسول الله ﷺ بكذا أو نهى عن كذا، وهذا فيه مع احتمال الواسطة احتمال أن يكون الصحابي قد ظن ما ليس بأمر أو نهي أمرًا ونهيا، والصحيح أنه كسابقه، وأن الصحابي لا يقول: «أمرَ» أو «نهى» إلا بعد سماعه ما هو أمر أو نهي حقيقة.

٤. أن يقول: أُمرنا بكذا أو نهينا عن كذا، وهذا فيه مع الاحتمالين السابقين عدم تعيين الآمر أو الناهي أهو النبي ﷺ أم غيره؟

والصحيح أنه لا يحمل إلا على أمر رسول الله ﷺ أو نهيه، وفي معناه: من السنة كذا.

٥. أن يقول: كنا نفعل كذا وكانوا يفعلون كذا، فهذا عند إضافته إلى زمن النبوة حجة لظهور إقرارهم عليه، وقال أبو الخطاب: إن قول الصحابي: «كانوا يفعلون كذا» نقل للإجماع.

مراتب ألفاظ الرواية من غير الصحابي:

ولألفاظ الرواية من غير الصحابي مراتب بعضها أقوى من بعض وهي:

المرتبة الأولى: قراءة الشيخ على التلميذ في معرض الإخبار ليروي عنه، وهذه المرتبة في الغاية في التحمل، وهي طريقة الرسول ﷺ، وللتلميذ في هذه المرتبة أن يقول: حدثني أو أخبرني وقال فلان وسمعته يقول ونحو ذلك.

المرتبة الثانية: قراءة التلميذ على الشيخ وهو يسمع فيقول: نعم أو يسكت فتجوز الرواية بذلك خلافًا لبعض الظاهرية، ويقول التلميذ في هذه المرتبة: أخبرني أو حدثني قراءة عليه، وهل يسوغ له ترك «قراءة عليه»؟ قولان هما روايتان عن أحمد رحمه الله.

المرتبة الثالثة: المناولة:

وهي أن يناول الشيخ تلميذه أصله أو فرعًا مقابلاً عليه، أو يحضر التلميذ ذلك الأصل أو فرعه المقابل عليه، ويقول الشيخ: هذا روايتي عن فلان فاروه عني .

ومذهب الجمهور: جواز الرواية بها ويقول التلميذ في هذه المرتبة: ناولني، أو أخبرني أو حدثني مناولة وأجاز بعضهم ترك كلمة «مناولة».

المرتبة الرابعة: الإجازة، وهي أن يقول الشيخ لتلميذه: أجزت لك رواية الكتاب الفلاني أو ما صح عندك من مسموعاتي.

ومذهب الجمهور جواز الرواية بها، ونقل عن أحمد أنه قال: لو بطلت لضاع العلم.

قال بعضهم: ومن فوائدها أنه ليس في قدرة كل طالب الرحلة في طلب العلم، ويقول التلميذ في هذه المرتبة: أجازني، أو يقول: أخبرني أو حدثني إجازة، وأجاز بعضهم ترك كلمة «إجازة».

أفعال الرسول ﷺ وتقريراته

أولاً: أفعاله عليه الصلاة والسلام:

تنقسم أفعال رسول الله ﷺ إلى أقسام:

١. ما كان يفعله بمقتضى الجبلة كالقيام والقعود والأكل والشرب، فحكمه الإباحة.

٢. ما كان مترددًا بين الجبلة والتشريع كوقوفه ﷺ راكبًا بعرفة ونزوله بالمحصب.

فهل يلحق بالجبلي فيكون مباحًا كما تقدم، أو بالتشريع فيتأسى به؟ فيه قولان.

٣. ما ثبتت خصوصيته به مثل جواز جمعه بين أكثر من أربع نسوة بالنكاح لقوله تعالى: ﴿ يا أَيهَا النَّبِي إنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ ﴾ [الأحزاب:٥٠]، وكن أكثر من أربع، ونكاح الواهبة نفسها لقوله تعالى: ﴿ خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأحزاب:٥٠] فهذا لا شركة لأحد معه فيه.

٤ . ما كان بيانًا لنص قرآن كقطعه ﷺ يد السارق من الكوع بيانًا لقوله تعالى: ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيدِيهُمَا ﴾ [المائدة:٣٨]، وكأعمال الحج والصلاة فهما بيان لقوله تعالى: ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ ﴾ [البقرة:٤٣]، وقوله:﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إلَيهِ سَبِيلاً ﴾ [آل عمران:٩٧]،ولذا قال ﷺ:«صلوا كما رأيتموني أصلي»(١)،وقال:«خذوا عني مناسككم» (٢). فهذا القسم حكمه للأمة حكم المبين ـ بالفتح ـ ففي الوجوب واجب، وفي غيره بحسبه.

٥. ما فعله ﷺ لا لجبلة ولا لبيان ولم تثبت خصوصيته، فهذا على قسمين:

أ ـ أن يعلم حكمه بالنسبة إلى الرسول ﷺ من وجوب أو ندب أو إباحة، فيكون حكمه للأمة

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) صحيح مسلم ٣١٠ – (١٢٩٧) .

كذلك كصلاته ﷺ في الكعبة، وقد علمنا أنها في حقه ﷺ جائزة، فهي للأمة على الجواز.

ب ـ أن لا يعلم حكمه بالنسبة إليه ﷺ وفي هذا القسم أربعة أقوال:

١. الوجوب: عملاً بالأحوط وهو قول أبي حنيفة وبعض الشافعية ورواية عن أحمد.

٢. الندب: لرجحان الفعل على الترك وهو قول بعض الشافعية ورواية عن أحمد أيضًا.

٣. الإباحة: لأنها المتيقن ولكن هذا فيما لا قربة فيه إذ القربة لا توصف بالإباحة.

٤. التوقف: لعدم معرفة المراد، وهو قول المعتزلة، وهذا أضعف الأقوال لأن التوقف ليس فيه تأس.

فتحصل لنا من هذه الأقوال الأربعة أن الصحيح الفعل تأسيا برسول الله ﷺ وجوبًا أو ندبًا.

ومثلوا لهذا الفعل بخلعه ﷺ نعله في الصلاة فخلع الصحابة كلهم نعالهم.

فلما انتهى ﷺ سألهم عن خلعهم نعالهم، قالوا: رأيناك فعلت ففعلنا، فقال لهم: «أتاني جبريل وأخبرني أن في نعلي أذى فخلعتهما»(١)، فإنه أقرهم على خلعهم تأسيا به ولم يعب عليهم مع أنهم لم يعلموا الحكم قبل إخباره إياهم.

ثانيا: تقريراته ﷺ:

وتلحق تقريراته ﷺ بأفعاله، فكل أمر أقر عليه ولم ينكر على فاعله فحكمه حكم فعله ﷺ قولاً كان ذلك الأمر أو فعلاً.

هذا إذا كان الإنسان المقر منقادًا لشرع، فإن كان كافرًا أو منافقًا فلا يدل تقريره له على الجواز كتقريره ﷺ الذي على الفطر في نهار رمضان، فمثال تقريره على القول تقريره ﷺ أبا بكر رضي الله عنه على قوله بإعطاء سلب القتيل لقاتله ومثال تقريره على الفعل: تقريره ﷺ خالد ابن الوليد على أكل الضب، وحسان على إنشاد الشعر في المسجد.

هذا فيما رآه ﷺ أو سمعه أو بلغه فأقره.

وكذلك استبشاره ﷺ، كاستبشاره ﷺ بقول مجزز الدلجي ـ وقد بدت أقدام زيد بن حارثة وابنه أسامة رضي الله عنهما من تحت الغطاء ـ أن هذه الأقدام بعضها من بعض، لأنه ﷺ لا يقر على باطل ولا يستبشر لباطل.

ولذا قال الشافعي وأحمد رحمهما الله بإثبات النسب عن طريق القافة.

---

(١) صحيح ابن خزيمة (٧٨٦) قال الأعظمي: إسناده حسن

القيـــاس:

تعريفه:

القياس في اللغة: التقدير والتسوية، تقول: قست الثوب بالذراع إذا قدرته به، وفلان يقاس بفلان، أي يسوى به.

وفي الاصطلاح هو: إلحاق فرع بأصل في حكم لجامع بينهما كإلحاق الأرز بالبر في تحريم الربا لجامع هو الكيل عند الحنابلة والاقتيات والادخار عند المالكية والطعم عند الشافعية.

إثبات القياس على منكريه:

التعبد بالقياس جائز عقلاً وواقع شرعًا عند الجمهور ومنهم الأئمة الأربعة رحمهم الله واستدلوا لإثباته بأدلة كثيرة منها:

١. قوله تعالى: ﴿ فَاعْتَبِرُوا يا أُوْلِي الأَبْصَارِ ﴾ [الحشر:٢] والاعتبار من العبور وهو الانتقال من شيء إلى آخر والقياس فيه انتقال بالحكم من الأصل إلى الفرع فيكون مأمورًا به.

٢. تصويب النبي ﷺ لمعاذ رضي الله عنه حين قال: إنه يجتهد حيث لا كتاب ولا سنة فإن الاجتهاد حيث لا نص يكون بالإلحاق بالمنصوص.

٣. قوله ﷺ للخثعمية حين سألته عن الحج عن الوالدين: «أرأيت لو كان على أبيك دين فقضيته أكان ينفعه؟» قالت: نعم، قال: «فدين الله أحق أن يقضى»(١) فهو تنبيه منه ﷺ على قياس دين الخلق.

٤. قوله ﷺ لعمر حين سأله عن القبلة للصائم: «أرأيت لو تمضمضت»(٢) فهو قياس للقبلة على المضمضة.

٥. قصة الرجل الذي ولدت امرأته غلامًا أسود، فمثل له النبي ﷺ بالإبل الحمر التي يكون الأورق من أولادها، ووجه الاستدلال من القصة: أن النبي ﷺ قاس ولد هذا الرجل المخالف للونه بولد الإبل المخالف لونه لألوانها، وذكر العلة الجامعة وهي نزع العرق.

---

(١) صحيح البخاري (٦٦٩٩) .

(٢) مسند أحمد (١٣٨) وحكم شعيب الأرنؤوط إسناده صحيح .

أركان القياس وتعريف كل ركن:

ظهر لنا من تعريف القياس أنه لا بد فيه من أربعة أركان هي:

١. أصل مقيس عليه: وهو المحل الذي ثبت حكمه وألحق به غيره كالخمر ثبت لها التحريم وألحق بها النبيذ.

٢. فرع ملحق بالأصل: وهو في اللغة ما تولد عن غيره والنهي عليه.

وفي اصطلاح الأصوليين: المحل المطلوب إلحاقه بغيره في الحكم، كالنبيذ طلب إلحاقه بالخمر في حكمها وهو التحريم.

٣. علة تجمع بين الأصل والفرع: وهي المعنى المشترك بين الأصل والفرع المقتضي إثبات الحكم كالإسكار المستدعي إلحاق النبيذ بالخمر في حكم التحريم.

٤. الحكم الثابت للأصل المقيس عليه: وهو الأمر المقصود إلحاق الفرع بالأصل فيه كالقصاص أثبت في القتل بالمثقل إلحاقًا له بالقتل بالمحدد.

شروط القياس:

وللقياس شروط يجب توفرها فيه لصحته منها:

أولاً: شروط الأصل:

١. يشترط في الأصل الذي هو المقيس عليه أن يكون الحكم فيه ثابتًا بنص أو إجماع أو اتفاق الخصمين.

٢. أن لا يكون معدولاً به عن قاعدة عامة مثل بيع العرايا وشهادة خزيمة فلا يصحان أصلاً يقاس عليه لأن الحكم في القياس مطرد والخارج عن القاعدة العامة ليس مطردًا خلافًا لمن يجيز القياس في الرخص فيجوز العرية في العنب والتين قياسًا على الرطب.

وما ذكر في هذين الشرطين بناءً على القول بأن الأصل هو نفس الحكم، لا محل لحكم.

ثانيا: شروط الفرع، ويشترط في الفرع شرطان:

١. وجود علة الأصل فيه لأنها مناط تعدية الحكم إليه.

٢. أن لا يكون منصوصًا على حكمه، فإن كان لم يحتج إلى قياسه على غيره.

ثالثًا: شروط حكم الأصل، ويشترط في حكم الأصل شرطان:

١. أن يكون الفرع مساويا له في الأصل كقياس الأرز على البر في تحريم الربا فإن كان الحكم في الفرع أزيد منه في الأصل أو أنقص لم يصح القياس، كأن يكون حكم الأصل الوجوب وحكم الفرع الندب أو العكس.

٢. أن يكون شرعيا، لا عقليا فلا يثبت ذلك بالقياس لأنه يطلب فيه اليقين والقياس يفيد الظن.

رابعًا: شروط العلة، ويشترط في العلة شرطان:

١. أن تكون العلة متعدية فإن كانت قاصرة على محلها امتنع القياس بها لعدم تعديها إلى الفرع.

مثال ذلك:

جعل شهادة خزيمة كشهادة رجلين لعلة سبقه إلى تصديق النبي ﷺ بنوع من التصديق لم يسبقه إليه غيره.

٢. أن تكون كالإسكار فكلما وجد الإسكار في شيء وجد التحريم فيه، وكالطعم والكيل فكلما وجد الكيل أو الطعم في شيء حرم الربا فيه، فإذا تخلفت فإن كان تخلفها لمانع فلا تبطل كما لو قيل: القتل العمد ، العدوان علة للقصاص وقد تخلفت في قتل الوالد لولده عدوانًا إذ إنه لا يقتل به فيقال: إنها تخلفت لمانع هو الأبوة فلا تبطل في غير الأب، فكلما وجد القتل العمد العدوان من غير الأب ونحوه وجب القصاص.

وإن كان تخلفها من غير مانع فلا يصح التعليل بها كما لو قيل: تجب الزكاة في المواشي قياسًا على الأموال بجامع دفع حاجة الفقير فيقال: إن التعليل بدفع حاجة الفقير قد تخلف عنها الحكم في الجواهر مثلاً.

تقسيم القياس:

تقسيم القياس إلى قطعي وظني.. أو جلي وخفي.

أولاً: القياس القطعي:

تعريفه: هو ما لا يحتاج معه إلى التعرض للعلة الجامعة بل يكتفى فيه بنفي الفارق المؤثر في الحكم كإلغاء الفارق بين البول في الماء الراكد والبول في إناء وصبه فيه، وهو أنواع منها:

١. ما كان المسكوت عنه أولى بالحكم من المنطوق مع القطع بنفي الفارق كإلحاق مثقال الحب بمثقال الذرة في المؤاخذة، وإلحاق ضرب الوالدين بالتأفيف في التحريم، وإلحاق ما دون القنطار وفوق الدينار بهما في التأدية من بعض أهل الكتاب إذا ائتمن عليه في الأول والمطل من بعضهم في الثاني.

٢. ما كان المسكوت عنه مساويا للمنطوق في الحكم مع القطع بنفي الفارق كإلحاق إغراق مال اليتيم وإحراقه بأكله في التحريم.

ثانيا: القياس الظني:

القياس الظني هو: ما احتيج فيه إلى البحث عن العلة الجامعة كإلحاق الأرز بالبر في تحريم الربا بجامع الكيل.

فتحصل من هذا أن للإلحاق طريقتين: إلحاق بنفي الفارق وإلحاق بالجامع.

تقسيم القياس باعتبار التصريح بالعلة وعدمه:

ينقسم القياس بهذا الاعتبار إلى ثلاثة أقسام:

١. قياس العلة: وهو ما جمع فيه بالوصف المناسب المشتمل على المصلحة الصالحة لترتيب الحكم عليها كقياس النبيذ على الخمر بجامع الإسكار.

٢. قياس الدلالة: وهو ما جمع فيه بين الأصل والفرع بما يدل على العلة ويرشد إليها كقياس النبيذ على الخمر بجامع الرائحة الكريهة والشدة الدالة على العلة وهي الإسكار.

٣. قياس في معنى الأصل: وهو ما اكتفي فيه بنفي الفارق المؤثر في الحكم، وهو مفهوم الموافقة، والقياس الجلي كقياس الأمة على العبد في تقويم حصة الشريك على شريكه المعتق نصيبه.

قياس الشبه:

إذا شابه الفرع أصلين مختلفين وحصل تردد بأيهما يلحق فهو قياس الشبه.

مثاله: إذا قتل العبد مثلاً فهل يلحق بالحر فتكون فيه الدية، أو بالمتاع فتكون فيه القيمة؟

فمن جهة أنه إنسان مكلف شابه الحر، وفي الحر الدية، ومن جهة أنه يباع ويوهب ويورث شابه المتاع وفي المتاع القيمة فقد جمع بين شبهين مختلفين، شبه الحر فيوجب الدية، وشبه المتاع فيوجب القيمة، ولهذا سمي قياس الشبه، ثم وجدناه ألصق بأحدهما في الحكم الشرعي حيث إنه يباع ويوهب ويورث بل وتضمن أجزاؤه بالقيمة فهذه كلها رجحت شبهه بالمال فلحق به في الضمان.

تقسيم العلة باعتبار مجاري الاجتهاد فيها:

تنقسم العلة بهذا الاعتبار إلى ثلاثة أقسام: تحقيق العلة، وتنقيحها، وتخريجها.

إلا أن عادة الأصوليين جرت بإضافة هذه المصادر الثلاثة إلى أحد ألقاب العلة وهو المناط، والمناط مشتق من النوط وهي تعليق الشيء بشيء آخر فلذا أطلق الفقهاء المناط على متعلق الحكم وهو العلة الجامعة بين الأصل والفرع.

الأول: تحقيق المناط:

وهو البحث عن وجود العلة في الفرع والاجتهاد في تحقيقها فيه بعد النص عليها أو الاتفاق عليها في ذاتها وهو قسمان:

١. أن تكون القاعدة الكلية منصوصا أو متفقًا عليها وإنما يبحث المجتهد عن تحقيقها في آحاد الصور وتطبيقها على الجزئيات، فالقاعدة مثل قوله تعالى: ﴿ فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ ﴾ [المائدة:٩٥].

والجزئي: الذي حققت فيه إيجاب بقرة على من هو صاد وهو محرم حمارًا وحشيا للمماثلة بينهما في نظر المجتهد، وهذا النوع متفق عليه وليس من القياس في شيء.

٢. البحث عن وجود العلة في الفرع بعد الاتفاق عليها في ذاتها كالعلم بأن السرقة هي مناط القطع فيحقق المجتهد وجودها في النبَّاش لأخذه الكفن من حرز مثله خفية.

الثاني: تنقيح المناط:

التنقيح في اللغة، التهذيب والتصفية؛ فتنقيح المناط تهذيب العلة وتصفيتها بإلغاء ما لا يصلح للتعديل واعتبار الصالح له.

مثال ذلك: قصة الأعرابي الذي جاء إلى النبي ﷺ يضرب صدره وينتف شعره وهو يقول: هلكت وأهلكت واقعت أهلي في نهار رمضان، فقال له النبي ﷺ: «أعتق رقبة...»(١)الحديث.فكونه أعرابيا، وكون الموطوءة زوجته، وكونه جاء يضرب صدره وينتف شعره مثلاً كلها أوصاف لا تصلح للتعليل فتلغى.

فلو وطئ حضري سريته في نهار رمضان وجاء بتؤدة وطمأنينة يسأل عما يجب عليه لأجيب بوجوب الكفارة.

الثالث: تخريج المناط:

وهو أن ينص الشارع على حكم دون علته فيستخرج المجتهد علته باجتهاده ونظره في محل الحكم.

مثال ذلك: البر نُص على حكمه وهو تحريم الربا دون العلة، فرأى المجتهد بعد البحث أنها الكيل مثلاً فقاس عليه الأرز ونحوه.

---

(١) صحيح البخاري (٥٠٨٧) .

مسالك العلة:

مسالك العلة هي طرقها الدالة عليها وهي كثيرة نذكر منها ثلاثة:

المسلك الأول: النص الصريح على العلة وهو ما يدل على التعليل بلفظ موضوع له في لغة العرب مثل:«من أجل»كما في قوله تعالى:﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ [المائدة :٣٢]، الآية ومثل:«إنما جعل الاستئذان من أجل البصر»، ومثل «الباء» كما في قوله تعالى:﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ ﴾[المائدة:١٣]، ومثل «اللام» كما في قوله تعالى:﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾[البقرة:١٤٣]،وقوله: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات:٥٦]، ومثل «كي» كما في قوله تعالى: ﴿ كَي لا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاءِ ﴾ [الحشر:٧].

المسلك الثاني: النص الموميء إلى العلة، ويسمى الإيماء والتنبيه، وضابطه أن يقترن الحكم بوصف على وجه لو لم يكن علة لكان الكلام معيبًا عند العقلاء وهو أقسام منها:

١. تعليق الحكم على العلة بالفاء: بأن تدخل الفاء على العلة ويكون الحكم متقدمًا كما في قوله ﷺ في المحرِم الذي وقصته ناقته: «وكفنوه في ثوبيه فإنه يبعث يوم القيامة ملبيا»(١).

أو تدخل الفاء على الحكم وتكون العلة متقدمة كما في قوله تعالى: ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا ﴾ [المائدة:٣٨]،﴿ وَيسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ ﴾ [البقرة:٢٢٢]، ويلتحق بهذا القسم ما رتبه الراوي بالفاء كقوله: «سها النبي ﷺ فسجد»(٢)، و«زنا ماعز فرجم»(٣).

٢. ترتيب الحكم على الوصف بصيغة الشرط والجزاء، مثل قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ﴾ [الطلاق:٢]، ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ [الطلاق:٣].

٣. أن يحكم الشارع بحكم عقب حادثة سئل عنها كقوله ﷺ للأعرابي: «أعتق رقبة»(٤) جوابًا لسؤاله عن مواقعة أهله في نهار رمضان وهو صائم، فإنه دليل على كون الوقاع علة لوجوب الكفارة.

---

(١) صحيح البخاري (١٢٦٥) .

(٢) مسند أحمد (٤٣٥٨) وحكم شعيب الأرنؤوط إسناده صحيح .

(٣) مسند أحمد (٧٨٤٩) وحكم شعيب الأرنؤوط صحيح .

(٤) سبق خريجه .

٤. أن يذكر مع الحكم شيئًا ولو يقدر التعليل به لما كان لذكره فائدة وهو قسمان:

١. أن يستنطق السائل عن الواقعة بأمر ظاهر الوجود ثم يذكر الحكم عقبه كقوله ﷺ لما سئل عن بيع الرطب بالتمر: «أينقص الرطب إذا يبس؟» قالوا: نعم قال:«فلا إذًا»(١) فلو لم يكن نقصان الرطب باليبس علة للمنع لكان الاستكشاف عنه لغوًا.

٢. أن يعدل في الجواب إلى نظير محل السؤال كما روي أنه ﷺ لما سألته الخثعمية عن الحج عن الوالدين: «أرأيت لو كان على أبيك دين فقضيتيه أكان ينفعه؟» قالت: نعم قال: «فدين الله أحق أن يقضى»(٢) فيفهم منه التعليل بكونه دينًا.

المسلك الثالث: الإجماع على العلة، فإنه متى وجد الاتفاق من مجتهدي الأمة على العلة صح التعليل بها، مثال ذلك: الصغر فقد أجمع على أنه علامة لثبوت الولاية على المال فيقاس عليه الولاية على النكاح.

ترتيب الأدلة:

وترجيح بعضها على بعض

ترتيب الأدلة:

الأدلة: جمع دليل والمراد به هنا: ما تثبت به الأحكام الشرعية من الكتاب والسنة والإجماع والقياس وقول الصحابي والاستصحاب.

والترتيب في اللغة: جعل واحد من شيئين أو أكثر في رتبته التي يستحقها، ومعلوم أن الأدلة الشرعية متفاوتة في القوة فيحتاج إلى معرفة الأقوى ليقدم على غيره عند التعارض.

ودرجات الأدلة الشرعية على الترتيب الآتي:

١. الإجماع: لأنه قطعي معصوم من الخطأ ولا يتطرق إليه نسخ، والمراد به الإجماع القطعي وهو النطق المنقول بالتواتر أوالمشاهد بخلاف غيره.

٢. النص القطعي: وهو نوعان:

أ ـ الكتاب.

---

(١) سنن ابن ماجة (٢٢٦٤) وحكم الألباني صحيح .

(٢) سبق تخريجه .

ب ـ السنة المتواترة، وهي في قوة الكتاب لأنها تفيد العلم القطعي.
٣. خبر الآحاد: ويقدم منها الصحيح لذاته، فالصحيح لغيره، فالحسن لذاته، فالحسن لغيره.
٤. القياس: وعند أحمد يقدم قول الصحابي على القياس في إحدى الروايتين عنه.
فإن لم يكن دليل من هذه الأدلة استُصحب الأصل ـ وهو براءة الذمة من التكاليف ـ فإذا تعارض أحد هذه الأدلة مع الآخر قدم الأقوى منها.

تنبيه:
لا يقع تعارض بين قطعيين إلا إذا كان أحدهما ناسخًا للآخر أو مخصصًا له؛ لأن كل قطعي يفيد العلم والعمل، فإذا تعارضا تناقضا والشريعة لا تتناقض.
ولا بين قطعي وظني، لأن الظني لا يقاوم القطعي بل يقدم القطعي عليه، ما لم يكن مخصصًا له فيكون من باب تخصيص العام كما تقدم؛ فلا يترك الظني لوجود القطعي حينئذ.
مثال ذلك قوله تعالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ ﴾ [المائدة:٣] فهذا نص قطعي الثبوت عام الدلالة في كل ميتة وكل دم مع حديث: «أحلت لنا ميتتان ودمان، أما الميتتان فالجراد والحوت، وأما الدمان فالكبد والطحال»(١).
وحديث ميتة البحر وهو قوله ﷺ في البحر: «هو الطهور ماؤه الحل ميتته»(٢).
فخصص عموم الكتاب وهو قطعي بخبر الآحاد وهو ظني، ولم يقدم القطعي على الظني.
فإذا عرف أنه لا يقع تعارض بين قطعيين ولا بين قطعي وظني لم يبق إلا الظنيان، فإذا تعارض ظنيان فلا يخلو أمرهما من إحدى حالتين:
الأولى: إمكان الجمع بينهما.
والثانية: عدم إمكانه.
ففي حالة إمكان الجمع: يجمع بينهما، سواء علم تاريخهما أو لم يعلم.
مثال ذلك حديث اغتسال الرسول ﷺ بفضل ميمونة وقوله لها بعد أن أخبرته أنها كانت جنبًا: «إن الماء لا يجنب»(٣) مع حديث نهيه ﷺ أن تغتسل المرأة بفضل الرجل والرجل بفضل المرأة، فجمع بينهما بحمل النهي على الكراهة والفعل على الإباحة ويؤيد هذا الجمع حديث بئر بضاعة

---
(١) سبق تخريجه.
(٢) سنن ابن ماجة (٣٨٦) وحكم الألباني صحيح.
(٣) سنن أبي داود (٦٨) وحكم الألباني صحيح.

أن: «الماء طهور لا ينجسه شيء إلا ما غلب على ريحه وطعمه ولونه»(١).

فإذا لم يمكن الجمع فله حالتان:

١. معرفة التاريخ: ويكون المتأخر ناسخًا للمتقدم.

مثاله حديث طلق بن علي ﵁ أنه قدم المدينة وكان مسجد رسول الله ﷺ من عريش، فسمع أعرابيا يسأل رسول الله ﷺ عن الرجل يمسك ذكره بعد أن يتوضأ، أعليه وضوء؟ فقال له رسول الله ﷺ: «وهل هو إلا بضعة منك؟»(٢).

مع حديث بسرة بنت صفوان وأبي هريرة رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «من مس ذكره فليتوضأ»(٣) فقد تعارض هذان الحديثان ولم يمكن الجمع. وقد علم تقدم حديث طلق وتأخر حديث بسرة وأبي هريرة؛ لأن حديث طلق حين كان مسجد رسول الله ﷺ من عريش أي في أول قدوم رسول الله ﷺ المدينة، مع أن إسلام أبي هريرة حصل في السنة السابعة من الهجرة فحكم بعض العلماء على الأول بالنسخ.

٢. فإن لم يعرف التاريخ: فالترجيح بطلب أمر خارج عنهما يرجح به أحدهما على الآخر.

ومثاله الأحاديث الدالة على التغليس بصلاة الصبح مع الأحاديث الدالة على الإسفار بها فإنه لم يمكن الجمع بينهما ولم يعلم التاريخ فرجح جانب التغليس لموافقته لعموم قوله تعالى: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ [آل عمران:١٣٣].

وكذلك حديث ابن عباس رضي الله عنهما في زواج الرسول ﷺ بميمونة وهو محرم مع حديث أبي رافع أنه تزوجها وهو حلال قال: وكنت السفير بينهما، فالقصة واحدة ولا تفاوت في الزمن بالنسبة إلى الحديثين فلا يمكن ادعاء النسخ في أحدهما ولا يمكن الجمع بين حلال ومُحرِم في وقت واحد فانتقل إلى الترجيح فرجح حديث أبي رافع على حديث ابن عباس لأمور منها:

١. كونه سفيرًا بين رسول الله ﷺ وميمونة فيكون أعلم بحقيقة الواقع من ابن عباس إذ هو المباشر للقصة.

٢. جاء عن ميمونة نفسها وهي صاحبة القصة أن الزواج كان ورسول الله ﷺ حلال غير مُحرِم.

---

(١) سنن الدارقطني (٤٩) .

(٢) صحيح ابن حبان (١١٢٠) وحكم الألباني صحيح .

(٣) سنن أبي داود (١٨١) وحكم الألباني صحيح .

الترجيـح:

تعريفه:

هو تقوية أحد الطرفين المتعارضين فيقوم بسببه على غيره.

طرق الترجيح:

والترجيح إما أن يكون عن طريق السند أو عن طريق المتن أو لأمر خارج عنهما.

أولاً: الترجيح عن طريق السند:

١. يقدم الأكثر رواة على الأقل والأعلى سندًا على الأنزل منه.

٢. تقدم رواية الأضبط الأحفظ على رواية الضابط الحافظ.

٣. يقدم المسند على المرسل.

٤. تقدم رواية صاحب القصة والمباشر لها على الأجنبي عنها.

ومن أمثلة ذلك: تقديم حديث ميمونة وأبي رافع على حديث ابن عباس كما تقدم قريبًا لأن ميمونة هي صاحبة القصة وأبو رافع هو السفير بين رسول الله ﷺ وميمونة.

وكذلك تقديم حديث عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما في صحة صوم من أدركه الفجر وهو جنب على حديث أبي هريرة بخلاف حديثهما، لأن عائشة وأم سلمة أدرى من أبي هريرة في ذلك لأن غسل الجنابة وما يشاكله من أمور البيت التي يشهد أنها وغيرها يغيب عنها.

ثانيا: الترجيح عن طريق المتن:

كأن يقدم النص على الظاهر، والظاهر على المؤول، والمؤول بقرينة صحيحة على ما ليست له قرينة أو له ولكنها باطلة.

ثالثًا: الترجيح لأمر خارج عنهما:

١. يقدم ما تشهد له نصوص أخرى على ما لم تشهد له، كأحاديث التغليس في الصبح كما تقدم.

٢. ويقدم الخبر الناقل عن حكم الأصل والموجب للعبادة مثلاً على النافي لها؛ لأن النافي جاء على مقتضى العقل والآخر متأخر فكان كالناسخ، مثل حديث بسرة وأبي هريرة في نقض الوضوء بمس الذكر فيقدم على حديث طلق بن علي لكونه جاء على مقتضى الأصل.

٣. تقدم رواية الإثبات على رواية النفي لأن المثبت معه زيادة خفيت على النافي.

٤. يقدم المقتضي للحظر على المبيح لكونه أحوط .

الاجتهاد والتقليد:

أولاً: الاجتهاد:

تعريفه:

الاجتهاد في اللغة: بذل المجهود واستفراغ الوسع في فعل من الأفعال ولا يستعمل إلا فيما فيه مشقة يقال: اجتهد في حمل الصخرة ولا يقال في حمل العصا أو النواة مثلاً، والجهد ـ بالفتح ـ المشقة والطاقة وـ بالضم ـ الطاقة فقط ومنه قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ لا يَجِدُونَ إلاَّ جُهْدَهُمْ ﴾ [التوبة:٧٩].

وفي الاصطلاح: بذل الوسع في النظر في الأدلة للحصول على القطع أو الظن بحكم شرعي.

حكمه والأصل فيه:

حكم الاجتهاد فرض كفاية، والأصل فيه قوله تعالى: ﴿ وَدَاوُدَ وَسُلَيمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ (٧٨) فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيمَانَ وَكُلاًّ آتَينَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ [الأنبياء:٧٨،٧٩].

وقوله ﷺ: «إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران»(١)، وقوله ﷺ لمعاذ: «الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي رسول الله»(٢) حين قال للنبي ﷺ: إنه يجتهد حيث لا كتاب ولا سنة.

باب الاجتهاد مفتوح دائمًا:

لا يجوز خلو الزمان من مجتهد قائم لله بحجته يبين للناس ما أنزل إليهم؛ خلافًا لمن قال بإغلاق باب الاجتهاد، ويدل للقول الحق قوله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة»(٣) فإنه ﷺ أخبر في هذا الحديث باستمرار وجود القائمين بالحق إلى انتهاء الدنيا.

شروط المجتهد:

١. أن يكون عالمًا بوجود الرب وما يجب له سبحانه من صفات الكمال وما يمتنع عليه من صفات النقص والعيب وأن يكون مصدقًا بالرسول ﷺ وما جاء به الشرع ليكون فيما يسنده من الأقوال والأحكام محققًا.

---

(١) المنتقى لابن الجارود (٩٩٦) وحكم الألباني صحيح. أنظر إرواء الغليل (٢٥٩٨) .

(٢) سنن أبي داود (٣٥٩٢) وحكم الألباني ضعيف .

(٣) صحيح مسلم ١٧٠ - (١٩٢٠) .

٢. أن يكون عالما بنصوص الكتاب والسنة التي لها تعلق بما يجتهد فيه من الأحكام وإن لم يكن حافظًا لها.

٣. أن يكون عالما بمسائل الإجماع والخلاف لئلا يعمل ويفتي بخلاف ما وقع الإجماع عليه.

٤. أن يكون عالما بالناسخ والمنسوخ لئلا يعمل ويفتي بالمنسوخ.

٥. أن يكون عارفًا بما يصلح للاحتجاج به من الأحاديث وما لا يصلح.

٦. أن يكون عالما بالقدر اللازم لفهم الكلام من اللغة والنحو.

٧. أن يكون على علم بأصول الفقه لأن هذا الفن هو الدعامة التي يعتمد عليها الاجتهاد.

أقسام المجتهدين ومنزلة كل قسم:

والمجتهدون على أقسام:

١. المجتهد المطلق: وهو الذي توفرت فيه شروط الاجتهاد المتقدمة فيتمسك بالدليل حيث كان، فهذا القسم من المجتهدين هم الذين يسوغ لهم الإفتاء، ويسوغ استفتاؤهم ويتأدى بهم فرض الاجتهاد وهم الذين قال فيهم علي رضي الله عنه: لن تخلو من قائم لله بحجته.

٢. مجتهد المذهب: وهو العالم المتبحر بمذهب من ائتم به المتمكن من تخريج ما لم ينص عليه إمامه على منصوص، فإذا نزلت به مثلاً نازلة ولم يعرف لإمامه فيها نصًّا أمكنه الاجتهاد فيها على مقتضى المذهب وتخريجها على أصوله.

٣. مجتهد الفتوى والترجيح: وهو أقل درجة من سابقه لأنه قصر اجتهاده على ما صح عن إمامه ولم يتمكن من تخريج غير المنصوص، وإذا كان لإمامه في مسألة قولان فأكثر اجتهد في ترجيح أحدهما، ففتاوى القسم الأول كما قال ابن القيم رحمه الله ـ من جنس توقيعات الملوك، وفتاوى القسم الثاني من جنس توقيعات نوابهم، وفتاوى القسم الثالث من جنس توقيعات نواب نوابهم.

المصيب واحد من المجتهدين:

الحق في قول واحد من المجتهدين المختلفين ومن عداه مخطئ لكن المخطئ في الفروع التي ليس فيها دليل قطعي ـ معذور غير آثم بل له أجر على اجتهاده، وهذا هو القول الحق خلافًا لمن قال: إن كل مجتهد مصيب.

وفصل النزاع في هذه المسألة ما ثبت في الحديث المتفق على صحته من أن الحاكم إذا اجتهد فأصاب فله أجران وإن اجتهد فأخطأ فله أجر، فإن الحديث صريح في أن الحق واحد وأن بعض المجتهدين يوافقه فيقال له: مصيب مأجور أجرين على اجتهاده وإصابته، وبعض المجتهدين يخالفه فيقال له: مخطئ مأجور مرة واحدة على اجتهاده، واستحقاقه الأجر لا يستلزم كونه مصيبًا فإن النبي ﷺ جعل المجتهدين قسمين: قسمًا مصيبًا وقسمًا مخطئًا، ولو كان كل منهم مصيبًا كما ذهب إليه من ذهب لم يكن لهذا التقسيم معنى.

تجزؤ الاجتهاد:

الاجتهاد يقبل التجزؤ والانقسام على الصحيح، فيكون الرجل مجتهدًا في نوع من العلم، مقلدًا في غيره كمن استفرغ وسعه في علم الفرائض وأدلتها واستنباطها من الكتاب والسنة، دون غيره من العلوم فيجوز له أن يفتي في النوع الذي اجتهد فيه؛ لأنه قد عرف الحق بدليله وقد بذل جهده في معرفة الصواب، فحكمه في ذلك حكم المجتهد المطلق في سائر الأنواع، ولا يجوز له الإفتاء، فيما لم يجتهد فيه فإن القاصر في فن كالعامي فيه.

اجتهاد النبي ﷺ:

الاجتهاد من النبي ﷺ جائز وواقع ومن أمثلة وقوعه: إذنه ﷺ للمتخلفين عن غزوة تبوك قبل أن يتبين صادقهم من كاذبهم، وأسره لأسارى بدر وأخذ الفداء منهم، وأمره بترك تأبير النخل، وقوله ﷺ: «لو استقبلت من أمري ما استدبرت لما سقت الهدي»(١)، وإرادته ﷺ النزول دون ماء بدر حتى قال له الحباب بن المنذر رضي الله عنه: «إن كان هذا بوحي فنعم، وإن كان الرأي والمكيدة فأنزل بالناس على الماء لتحول بينه وبين العدو» فقال ﷺ: «إنما هو رأي رأيته»، فرجع إلى قول الحباب رضي الله عنه.

الاجتهاد في زمن النبوة:

منع قوم الاجتهاد في عصر النبوة مطلقًا وأجازه قوم مطلقًا والراجح التفريق بين من كان غائبًا عنه ﷺ فيجوز له ومن كان حاضرًا فلا يجوز له إلا بإذنه.

---

(١) سنن أبي داود (١٧٨٤) وحكم الألباني صحيح

ومن أدلة ذلك: قصة معاذ ﷺ وتصويب النبي ﷺ له، وتفويضه ﷺ الحكم في بني قريظة إلى سعد بن معاذ ﷺ لما نزلوا على حكمه فحكم بقتل المقاتلة وسبي الذراري، فصوبه النبي ﷺ.

وتقريره ﷺ لعمرو بن العاص ﷺ لما صلى بأصحابه متيممًا ولم يغتسل من الجنابة لشدة البرد استنادًا إلى عموم قوله تعالى: ﴿ وَلا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ﴾ [النساء:٢٩].

ومن ذلك أكل الصحابة ﷺ وهم محرمون من حمار الوحش الذي صاده أبو قتادة ﷺ فإن أكلهم منه باجتهاد منهم. ومنه تحول أهل قباء في صلاتهم إلى الكعبة إلى غير ذلك من الأدلة.

* * *

ثانيا: التقليد

تعريفه:

التقليد في اللغة: وضع الشيء في العنق مع الإحاطة به، وذلك الشيء يسمى قلادة والجمع قلائد وقد يستعمل في تفويض الأمر إلى الشخص كأن الأمر محمول في عنقه كالقلادة.

وفي الاصطلاح: هو قبول قول من ليس قوله حجة من غير معرفة دليله.

فخرج بالقيد الأول: قبول قول النبي ﷺ والأخذ بالإجماع فإن ذلك حجة بنفسه.

وخرج بالقيد الثاني: قبول قول من ليس حجة إذا بين الدليل وأظهره فإن الأخذ بالدليل الذي أخبر به لا بقوله ويسمى ذلك اتباعًا لا تقليدًا.

من يسوغ له التقليد ومن لا يسوغ له:

لا يجوز التقليد لمجتهد أداه اجتهاده إلى الظن بحكم، أو لم يجتهد بالفعل لكنه متمكن من الاجتهاد ويجوز للعامي ولمن لم يبلغ درجة الاجتهاد في علم أو في باب من العلم لأن القاصر في فن كالعامي فيه.

المفتي والمستفتي:

المفتي: اسم فاعل من الإفتاء قيل في القاموس: إفتاء في الأمر بأنه له والفتيا والفتوى وتفتح ما أفتى به الفقيه. انتهى.

والمفتي يطلق على المخبر بالحق على غير جهة الإلزام به.

ويطلق عند الأصوليين على المجتهد وهو: الباذل وسعه في النظر في الأدلة ليحصل على العلم أو الظن بحكم شرعي.

والمستفتي:

اسم فاعل من الاستفتاء وهو لغة: طالب الفتوى.

وفي الاصطلاح هو: من طلب الحكم الشرعي من المجتهد، فيدخل فيه العامي والمتعلم الذي لم يبلغ درجة الاجتهاد.

من ورد الإفتاء مسندًا إليه في الكتاب والسنة:

ورد الإفتاء في الكتاب العزيز مسندًا إلى الرب كما في قوله تعالى: ﴿ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ ﴾ [النساء:١٢٧] وإلى القرآن كما في قوله: ﴿ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ ﴾ [النساء:١٢٧] أي يفتيكم. وورد في السنة المطهرة مسندًا إلى الناس كما في قوله ﷺ: «والإثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر وإن أفتاك الناس وأفتوك»(١).

من يستفتي المقلد:

المستفتي يستفتي من غلب على ظنه أنه أهل للفتوى، بما يراه من انتصابه للفتيا واحترام الناس له وأخذهم عنه، أو بخبر عدل عنه.

إذا تعدد المفتون فأيهم يستفتي المقلد؟

إذا كان في البلد مجتهدون فللمقلد استفتاء من شاء منهم، ولا يلزمه مراجعة الأعلم، وقيل: بل يلزمه سؤال الأفضل، واستدل للأول بأن المفضول من الصحابة والتابعين كان يفتي مع وجود الفاضل ومع اشتهار ذلك وتكرره ولم ينكر أحد فكان إجماعًا على جواز استفتائه مع القدرة على استفتاء الفاضل، واستدل للثاني بأن الأفضل أهدى إلى أسرار الشريعة من غيره.

آداب المفتي والمستفتي:

لكل من المفتي والمستفتي آداب فمن آداب المفتي:

أولاً: من آداب المفتي:

١. أن يكون ذا نية حسنة فإنما الأعمال بالنيات، ومن فقد النية الحسنة لم يكن عليه نور ولا على كلامه نور.

---

(١) مسند أحمد (١٨٠٠٦) وحكم شعيب الأرنؤوط إسناده ضعيف .

٢. أن يكون ذا حلم ووقار وسكينة فإن ذلك هو كسوة العلم وجماله، فإذا افتقدها المفتي كان علمه كالبدن العاري من اللباس.

٣. أن يستعف عما في أيدي الناس، فإنه إن أكل منهم شيئًا أكلوا من لحمه ودمه أضعافه.

٤. أن يكون على جانب كبير من معرفة الناس فإنه إذا عدم ذلك تصور له الظالم بصورة المظلوم وعكسه وراج عليه المكر والخداع والاحتيال فكان ما يفسده أكثر مما يصلحه.

٥. أن يتوجه إلى الله تعالى ويتضرع إليه ويكثر من الدعاء والاستغفار ليلهمه الصواب ويفتح له طريق السداد.

٦. أن يتحرز ما أمكنه التحرز من نسبة الحكم إلى الله تعالى وإلى رسول الله ﷺ إلا بنص يستند عليه في ذلك.

٧. أن يستشير في فتواه من يثق بعلمه ودينه فإن عمر ﵁ كان إذا نزلت به النازلة استشار من حضره من الصحابة وربما جمعهم فشاورهم.

٨ . أن يعمل بعلمه فإن العمل هو ثمرة العلم وبدون العمل يكون علم الإنسان حجة عليه.

ثانيا: من آداب المستفتي:

١. أن يتخلق بالأخلاق الفاضلة مطلقًا وبالأخص مع المفتي فلا يفعل معه ما جرت عادة العوام به، كإيماء بيده في وجهه ولا يقول له ما لا ينبغي كأن يقول: أفتاني غيرك بكذا، ولا يسأله في حالة ضجر أو هم أو غضب ونحو ذلك.

٢. أن لا يسأل عما لا يعني ولا يكثر من الأسئلة إلى حد يسأم فيه المفتي ويمل.

هذا آخر ما يسر الله ذكره في هذه المذكرة.

والحمد لله أولاً وآخرًا

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

بيان لفضيلة الشيخ حمود بن عقلاء الشعيبي عما حصل من لبس في شروط الإفتاء

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين .. أما بعد

فإن الله سبحانه وتعالى عندما بعث نبيه مُحَمَّدا ﷺ بهذا الدين القويم يبين فيه ما يحتاج إليه الخلق مما فيه صلاحهم في دنياهم وأخراهم بيانًا واضحًا لا لبس فيه ولا خفاء، ولم يَكِلِ فهم شرعه إلى آراء البشر وأهوائهم بل تولى تفاصيل شرعه بنفسه وأكمل دينه لعباده بحيث لا يقبل زيادة ولا نقصانًا، قال تعالى: ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا ﴾(سورة المائدة آية:٣) ، وقال عليه الصلاة والسلام: «تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك»(١). وقال أبو ذر رضي الله عنه: ما توفي رسول الله ﷺ وطائر يقلب جناحيه في الهواء إلا وذكر لنا منه علمًا(٢)، وقال عليه الصلاة والسلام:«من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»(٣)، فحفظ عنه صحابته رضي الله عنهم تعاليم هذا الدين وبلغوه إلى من بعدهم من العلماء الربانيين وأئمة السلف المخلصين.

وإن من الأمور المهمة التي جاء بها هذا الشرع الشريف مسألة المفتي والمستفتي، قال تعالى :﴿ فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ﴾(سورة الأنبياء آية:٧)، وإن الفتيا مقامها عظيم لذا عني أئمة السلف وعلمائهم من أصوليين وفقهاء بشأن الفتيا، حيث وضعوا لها القواعد وبينوا الشروط التي يلزم تحققها في المفتي والمستفتي، قال النووي رحمه الله تعالى في كتابه آداب الفتوى: قال العلماء: فإن المفتي موقع عن الله، وقاله ابن القيم رحمه الله في كتابه أعلام الموقعين.

والمفتي هو المبلغ عن الله تعالى والواسطة بين الله وخلقه في بيان الحلال والحرام لمن استفتاه، ومقامه عظيم، خصوصًا فيما يتعلق بالصدع بالحق وبيان الحلال والحرام في المسائل التي تحتاجها الإمة ويكثر فيها الالتباس والخفاء، أو تكثر فيها الأهواء والباطل، وسأذكر نماذج لبعض الكتب التي عني أصحابها في بحث هذه المسألة من ذلك:

---

(١) سنن ابن ماجة (٤٣) وحكم الألباني صحيح .

(٢) الطبراني في الكبير رقم (١٦٤٧) وحكم الألباني إسناد صحيح . أنظر السلسلة الصحيحة (١٨٠٣) .

(٣) رواه مسلم (١٧١٨) .

ما ذكره الجويني مثلاً في كتابيه البرهان في أصول الفقه وكتابه الورقات في أصول الفقه، وما ذكره الإمام المظفر السمعاني في كتابه قواطع وأدلة في الأصول، وابن القيم في أعلام الموقعين، والمسودة في أصول الفقه، والشوكاني في إرشاد الفحول، وكتاب القواعد الفقهية في أصول الفقه للحنفية، وكتاب الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي وابن حزم في كتابيه في أصول الفقه الإحكام في أصول الأحكام والنبذة الكافية والتمهيد لأبي الخطابي الحنبلي، والملهم في أصول الفقه للشيرازي، والإحكام في أصول الأحكام للآمدي، وروضة الناظر لابن قدامة.

وكل هؤلاء العلماء وغيرهم حينما يذكرون صفات المفتي في باب الاجتهاد يشترطون في المفتي الشروط الآتية:

١- الإسلام.

٢- التكليف.

٣- العدالة.

٤- الأمانة.

٥- العلم بالكتاب والسنة.

٦- الفقه.

٧- معرفة الناس.

وكذلك الكتب المتخصصة في مجال الفتوى: أمثال:

١- كتاب آداب الفتوى والمفتي للنووي.

٢- وكتاب صفة الفتوى والمفتي لابن حمدان الحنبلي.

٣- وكتاب أدب المفتي والمستفتي لابن الصلاح.

كلها مشتملة على الشروط التي ذكرت في الكتب السابقة، ولم يذكر واحد من هؤلاء العلماء اشتراط إذن ولي الأمر للمفتي أو اشتراط الجماعة في الفتوى.

وفي الجملة فإن هذه المسألة -أعني مسألة المفتي والمستفتي- قد فصلت تفصيلاً لا يحتاج إلى زيادة ووضعت لها القواعد والضوابط من قبل الأصوليين والفقهاء، وأي كتاب من كتب الفقه أو أصول الفقه إذا طالعت فيه باب الاجتهاد وحكم المجتهدين تبين لك بوضوح ما يشترط لصحة الفتيا، ولكن الباعث لي على كتابة هذه الأسطر ما أحدثه بعض القائمين على البرامج الدينية كبرنامج اسألوا أهل الذكر وبرنامج الدين والحياة في إذاعة هابطة mbc تعني البرامج الغنائية والإعلانات

التجارية المشتملة على الدعاية للربا والميسر في الغالب والمسلسلات الرديئة وغيرها مما يتنافى مع تعاليم الإسلام.

وإن كثيرين ممن تبوءوا أو بوئوا منبر هذه الإذاعة أحدثوا للفتيا شرطين لم يسبقهم إليها أحد من أهل العلم وحكموا بأن كل فتيا لا تشتمل على هذين الشرطين تعتبر غير نافذة وغير شرعية

الشرطان هما:

١- أن يكون المفتي مخولاً من ولي الأمر.

٢- ألا تكون الفتيا فردية، بل لا بد أن تصدر عن جماعة.

والمتأمل لكتاب الله وسنة نبيه ﷺ وأقوال العلماء لا يجد هذين الشرطين ولا أدري من أين جاءوا بهما، ولو اعتبرنا هذين الشرطين لبطلت فتاوى من سبق من علماء الأمة كفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله التي بلغت ستة وثلاثين مجلدًا لم تكن فيها فتوى واحدة خوله فيها ولي الأمر أو شاركه في إصدارها جمع، وكذلك في العصر الحديث الدرر السنية لعلماء أئمة الدعوة والتي تبلغ ستة عشر مجلدًا كلها فتاوى فردية صادرة من علماء نجد بدون تخويل من ولي الأمر.

ومن بين المحدثين لهذين الشرطين بعض المنتسبين للعلم عندما سئل عن فتاوى صادرة من أحد كبار العلماء في هذه البلاد أجاب بعدم صحة هذه الفتاوى ونفوذها، لأن صاحبها لم يخوله ولي الأمر بالإفتاء ولأنها أحادية غير جماعية، ولأن صاحبه لم يستشر أمثال هذا المنتسب للعلم.

وختامًا...

نريد من هذا وأمثاله أن يتحفونا بذكر نص من كتاب الله أو سنة نبيه ﷺ على أن الفتيا لا تكون نافذة وصحيحة إلا بإذن ولي الأمر وأن تكون جماعية غير أحادية.

ثم ينبغي أن يُعلم أن ولي الأمر ليس مشرعًا وإنما هو منفذ لشرع الله سبحانه وتعالى، نعم ولي الأمر يطاع في المعروف كما أمر به عليه الصلاة والسلام، أما إذا أمر بمعصية أو نهى عن طاعة واجبة فلا سمع له ولا طاعة.

هذا ونسأل الله أن يوفق هؤلاء المنتسبين للعلم إلى الإخلاص في القول والعمل إنه جواد كريم، وصلى الله على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أملاه فضيلة الشيخ

أ. حمود بن عقلاء الشعيبي

٣/ ١٠/ ١٤٢٢ هـ

الإمامة العظمى (١)

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أرسله رحمة للعالمين، وهاديا إلى سواء السبيل، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين بذلوا في سبيل إعلاء كلمة الله كل غال ورخيص، ونذروا أنفسهم لحماية دولة الإسلام التي أنشأها مُحَمَّد ﷺ فأصبحوا بذلك حكَّام العالم وقادة الدنيا ـ رضي الله عنهم ـ.

أما بعد:

فهذا بحث يشتمل على بيان جملة من مسائل الإمامة العظمى وصلاحيات الإمام ومسئولياته، كما يتضمن ـ أيضًا ـ بيان بعض القواعد الهامة والأسس التي يقوم عليها الحكم وتتطلبها سياسة الملك، وهذا البحث يتكون من عشرة فصول وخاتمة:

الفصل الأول

في الحالة السياسية في الجزيرة العربية قبل الإسلام

وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول: تقسيم سكان الجزيرة إلى بدو وحضر.

المبحث الثاني: الواقع السياسي للقبائل البدوية.

المبحث الثالث: الواقع السياسي لمجتمعات الحضر في مكة على وجه الخصوص.

المبحث الرابع: مناصب قريش في مكة قبل الإسلام.

المبحث الخامس: مكة المكرمة لم تعرف نظامًا سياسيا قبل الإسلام.

المبحث السادس: ممالك الجزيرة العربية قبل الإسلام.

الفصل الثاني

في نشأة الدولة الإسلامية

---

(١) لقد اعتمدت في تصحيح الكتاب على نسختين ، الأولى من مجلة كلية أصول الدين – جامعة الإمام– الرياض – العدد ٣ (ص ٢٦٥– ص٣٨٩) عام (١٤٠١ – ١٤٠٠ هـ) والثانيه من الموقع الرسمي للشيخ حمود بن عقلاء الشعيبي رحمه الله تعالى وأضفت كل الزيادات الموجودة في كلا النسختين دون الإشارة إليهما .

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: ظهور الكيان السياسي الإسلامي.

المبحث الثاني: ممارسة الدولة الإسلامية لوظائفها.

الفصل الثالث

في الإمامة والخلافة

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: تعريف الإمامة والخلافة لغة واصطلاحًا.

المبحث الثاني: في الفرق بينهما وبين الملك.

الفصل الرابع

في حكم نصب الإمام الأعظم

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: وجوب نصب الإمام.

المبحث الثاني: في خلاف المعتزلة مع الجمهور في حقيقة المقتضي لوجوب نصب الإمام.

الفصل الخامس

في عقد الإمامة

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: صفة العقد.

المبحث الثاني: طرق تولية الإمام وفيها ستة مطالب:

المطلب الأول: طريقة الاختيار.

المطلب الثاني: طريقة العهد.

المطلب الثالث: طريقة القهر والغلبة.

المطلب الرابع: ترجيح طريقة الاختيار.

المطلب الخامس: إمامة أبي بكر الصديق.

المطلب السادس: العهد إلى الأبناء.

المبحث الثالث: رأي الشيعة في الإمامة.

الفصل السادس

في أهل الحل والعقد

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الصفات المعتبرة في أهل الحل والعقد.

المبحث الثاني: الشروط المعتبرة في الإمام وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: الإسلام.

المطلب الثاني: الذكورية.

المطلب الثالث: العدالة.

المطلب الرابع: العلم.

المطلب الخامس: الكفاءة.

المطلب السادس: النسب القرشي.

المبحث الثالث: فقدان الشروط عند العقد وبعده.

الفصل السابع

في البيعة

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: صفة البيعة ومعناها.

المبحث الثاني: تعدد البيعة لأكثر من إمام وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: رأي الجمهور مع أدلته.

المطلب الثاني: رأي الماوردي.

المطلب الثالث: رأي ابن حزم.

المطلب الرابع: رأي أبي بكر الباقلاني.

المطلب الخامس: رأي أبي المعالي الجويني.

المطلب السادس: مناقشة آراء الكرامية في هذه المسألة.

الفصل الثامن

واجبات الإمام وحقوقه

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: واجبات الإمام،وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مسئولية الحاكم أمام الله.

المطلب الثاني: مسئولية الحاكم أمام الأمة.

المبحث الثاني: حقوق الإمام.

الفصل التاسع

توليات الإمام

وفيه سبعة مباحث:

المبحث الأول: في تعريف الوزارة.

المبحث الثاني: تقسيم الوزارة.

المبحث الثالث: وزارة التفويض.

المبحث الرابع: تقليد الوزارة.

المبحث الخامس: وزارة التنفيذ.

المبحث السادس: المقارنة بين وزارتي التفويض والتنفيذ.

المبحث السابع: وحدة الوزارة.

الفصل العاشر

القيم السياسية في نظام الدول الإسلامية

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: في الشورى وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الشورى.

المطلب الثاني: أدلة حجية الشورى في القرآن الكريم.

المطلب الثالث: الشورى في السنة النبوية.

المطلب الرابع: نطاق الشورى.

المطلب الخامس: مدى إلزام الشورى.

المبحث الثاني: في العدل وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تحريم الظلم.

المطلب الثاني: العدل بين النظرة الإسلامية والنظرة الغربية المعاصرة.

المطلب الثالث: الالتزام بالعدل غير قاصر على الحكام.

المبحث الثالث: الحرية، وفيها أربعة مطالب:

المطلب الأول: حرية الرأي والفكر.

المطلب الثاني: سيرة الرسل تؤكد حرية الرأي.

المطلب الثالث: القرآن والسنة يقرران حرية الرأي.

المطلب الرابع: العلماء المسلمون وحرية الرأي السياسي.

المبحث الرابع: في المساواة، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: المساواة في الإسلام.

المطلب الثاني: المساواة في الحقوق والمسئوليات.

المطلب الثالث: المساواة في المثول أمام القضاء.

خاتمة البحث

في عزل الإمام

حمود بن عبد الله العقلاء الشعيبي

الأستاذ المشارك

قسم العقيدة جامعة الإمام مُحَمَّد بن سعود الإسلامية

تحريرًا في ٢٤ ربيع الثاني ١٤٠١هـ

الموافق ٢٨ فبراير ١٩٨١م

الفصل الأول في الحالة السياسية فى الجزيرة العربية قبل الإسلام

المبحث الأول تقسيم سكان الجزيرة إلى بدو وحضر:

لما كان موضوع بحثنا: «الإمامة الشرعية وصلاحيات الإمام ـ أي: رئيس الدولة ـ» كان لابد من بيان الحالة السياسية لسكان الجزيرة العربية قبل الإسلام.

ومن المعروف أن سكان الجزيرة العربية كانوا ولا يزالون منقسمين إلى قسمين كبيرين:

البدو والحضر:

البدو سكان الصحراء والحضر سكان المدن، وعماد حياة البدو الرعي وما اتصل به، بينما يعمل الحضر في التجارة أو الزراعة أو أنواع الصناعة، ويرتبط هذا التقسيم على حد كبير بالطبيعة الجغرافية للبلاد التي سكنها العرب، وبما لهذه الطبيعة من أثر في الحياة الفردية والجماعية للسكان القاطنين فيها.

وقد كان البدو يعيشون صراعًا دائمًا بينهم وبين قسوة البيئة التي وجدوا فيها نتيجة اضطرارهم الدائم إلى التنقل سعيا وراء الأمطار وخصوبة الأرض طلبًا لعيشهم ومرعى أغنامهم، وقد كان من نتائج هذا الأسلوب في حياة البدو أن تتجمع أفرادهم في وحدات قامت على أساس صلة الدم والنسب، وسميت هذه الوحدات بأسماء مختلفة يدل كل منها في الغالب على حجم الوحدة التي يطلق عليها، وقد كان من أكثر هذه الأسماء شيوعًا: العشيرة، والرهط، والقوم، والقبيلة، والحي.

وقد كان هذا الارتباط بين المنحدرين من أصل واحد ارتباطًا عضويا غريزيا دفع إليه الأفراد كأثر من آثار غريزة المحافظة على النوع، ولذلك تميز هذا الارتباط بميزتين:

أولاهما: أن كل إنسان غير منتمٍ إلى هذا الأصل المشترك لأفراد العشيرة أو الرهط كان يعتبر عدوًّا لهم.

وثانيتهما: أن الجماعة رغم تماسكها الواضح لم تفقد الأفراد شعورهم بذواتهم وباستقلالهم الفردي.

وبعبارة أخرى: فإن مثل هذه المجتمعات ترتكز إلى دواعي الحاجة الغريزية أو الفطرة دون أن تعي ضرورات الحياة الاجتماعية ـ أي: دون أن يكون مبناها «الفكرة».

* * *

المبحث الثاني الواقع السياسي للقبائل البدوية:

في ظل هذا المجتمع المستند إلى غريزة البقاء، كان من الطبيعي ألاَّ يشكل انضواء الأفراد تحت لواء الجماعة مجتمعًا سياسيا، وأن تغيب تبعًا لذلك أية صورة للسلطة السياسية داخل هذه المجتمعات.

فالمجتمع السياسي يتميز أساسًا بوجود سلطة عُليا في الجماعة يخضع لها سائر الأفراد وما قد يوجد من تنظيمات خضوعًا كاملاً تفرضه بالقوة إذا اقتضت الظروف ذلك ولم يكن لمثل هذه السلطة وجود في تجمعات البدو أو وحداتهم التي ينتمون إليها، بل كان الأفراد جميعًا يتساوون في الحقوق والواجبات مساواة جعلت من رئيس القبيلة أو شيخها أو من سيد الحي مجرد شخص ذي سلطة معنوية هدفها الحفاظ على الوحدة بين أبناء قبيلته أو عشيرته.

وقد ذهب بعض الباحثين في تاريخ العرب قبل الإسلام إلى أن القبيلة العربية عرفت نوعًا من التنظيم السياسي تمثل في حق رئيس القبيلة في إعلان الحرب على الأعداء، وفي منح الجوار لمن يطلبه، وفي تقرير طرد المخالفين لنظام القبيلة أو الخارجين على تقاليدها.

بل لقد قيل: إن رئيس القبيلة كان بمثابة ملك يدير مملكة رعاياها هم الأفراد المنتمون إلى القبيلة والذين يعتقدون بانحدارهم من أصل أو نسب مشترك، والواقع أنه إذا كان هذا الرأي يستجيب إلى مسلمة من مسلمات العلوم السياسية المعاصرة مؤداها: أن جوهر السياسة كان في الإنسان ذاته بحيث يعتبر الإنسان كائنًا سياسيا بطبعه، فإنه ـ أي: هذا الرأي ـ يتعارض تعارضًا واضحًا مع مُسَلمةٍ أخرى من مسلمات العلوم السياسية مؤداها: أنه لكي يعتبر مجتمع ما مجتمعاً سياسيا فإنه لابد من توفر عناصر أساسية معينة أهمها عنصران:

١ ـ التقيد الإقليمي: أي ارتباط الجماعة بإقليم معين ارتباطًا مفضيا إلى ظهور مفهوم الوطن بما يتبعه من شعور الأفراد بواجب المحافظة على الوطن والدفاع عنه.

٢ ـ ظهور السلطة السياسية: التي تحتكم القوة الفعلية والشرعية (القانونية) في هذا المجتمع احتكارًا يمكنها من إقرار السلام والعمل على استمرار التقدم في المجتمع الذي تقوم فيه ..

وهذان العنصران لا يمكن الادعاء بتوافرهما في التجمعات البدوية في جزيرة العرب قبل الإسلام.

* * *

المبحث الثالث الواقع السياسي لمجتمعات الحضر في مكة على وجه الخصوص:

إذا كان هذا هو مجمل الحالة السياسية في المجتمعات البدوية في جزيرة العرب قبل الإسلام فكيف كانت الحالة السياسية في مجتمعات الحضر؟

الواقع أن حال الحضر ـ خاصة في الحجاز حيث ظهر الإسلام، وحيث انتشر ـ لم يكن أفضل من حال البدو من وجهة النظر السياسية، فرغم سكنى أهل الحجاز في مدن كبيرة نسبيا كمكة والطائف والمدينة ـ يثرب كما عرفت آنئذ ـ فإن العلاقات الفردية والاجتماعية كانت تحكمها في الغالب ذات القواعد التي تحكم العلاقات المماثلة لدى البدو، ولم تظهر في هذه المدن أو أي منها

سلطة سياسية بالمعنى المعروف لهذه الكلمة إلى أن ظهر الإسلام ونشأت دولته في المدينة، وقد لا يحتاج هذا القول إلى أكثر من تقريره فيما يتعلق بالطائف ويثرب.

أما فيما يتعلق بمكة فلعلنا بحاجة إلى التفصيل لإثبات صحة ما ذهبنا إليه. والسر في ذلك: هو أن مكة بحكم تجمع القبائل في قريش فيها، وجوار بعضها لبعض، وبحكم اتصالها بالعالم الخارجي عن طريق الرحلات التجارية التي كان ينظمها تجارها مرتين في كل عام، وكذلك بسبب وجود الكعبة فيها ووفود الحجيج إليها في كل عام، بحكم ذلك كله عرفت مكة نوعًا من التنظيم الذي عهد بمقتضاه لبعض قبائل قريش أو بطونها ببعض المناصب على النحو التالي:

* * *

المبحث الرابع مناصب قريش قبل الإسلام:

السدانة والحجابة:

السادن: خادم الكعبة وبيت الأصنام، وسدنة الكعبة: هم حجابها الذين يقومون على خدمتها ويتولون أمرها ويفتحون أبوابها ويغلقونها، وقد كانت السدانة والحجابة في مكة لبني عبد الدار بن قصي بن كلاب.

السقاية والعمارة:

والسقاية: هي تقديم الماء وبعض أنواع الشراب «وعلى الأخص: الزبيب المنبوذ بالماء» للحجيج، وقد كان أمر السقاية في الجاهلية وفي الإسلام إلى العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم.

والثابت في التاريخ أن قريشًا كانت تجمع بين سقاية الماء وسقاية الشراب للحجاج في الجاهلية، أما سقاية الماء: فلندرته وحاجة الناس إليه، وأما الشراب: فإكرامًا لضيوف البيت الحرام.

أما العمارة: فلها في اللغة معان عديدة، وقد ورد في معناها في حق البيت الحرام: أنها منع الناس أن يتكلموا في المسجد الحرام بهجر أو رفث، أو أن يرفعوا أصواتهم، وقد كانت العمارة مع السقاية للعباس بن عبد المطلب.

الرِّفادة:

الرفادة: مال كانت تخرجه قريش في كل عام، فتدفعه إلى قصي بن كلاب ليصنع به طعامًا للحجيج فيأكل منه من ليس له سعة ولا زاد معه، وكان يستمر طيلة أيام منى حتى إذا انقضت أيام الحج انقطع طعام الرفادة وقفل الناس إلى بلادهم وقد كان أول من صنع الرفادة: قصي بن كلاب حين قال لقومه: يا معشر قريش! إنكم جيران الله وأهل بيته وأهل الحرم وإن الحجاج

ضيوف الله وأهله وزوار بيته وهم أحق الناس بالكرامة، فاجعلوا لهم طعامًا وشرابًا حتى يصدروا عنكم.

وحين بُعث رسول الله ﷺ كانت الرفادة لبني عبد مناف.

هذه هي أهم المناصب التي ثبت في تاريخ العرب ـ قبل الإسلام ـ وجودها لدى أهل مكة، وواضح من استعراضها أنها جميعًا مناصب دينية تجلب لصاحبها ذيوع الصيت، وحسن السمعة، والفخر بين قبائل العرب التي كانت جميعًا تقدس البيت الحرام وتحج إليه.

حتى إن القبائل في قريش تنازعت على تقسيم هذه المناصب وتوزيعها بينها قبل الإسلام، وكاد الأمر أن يفضي إلى الحرب بين القبائل المتنازعة.

أما أن تُعتبر هذه المناصب دليلاً على وجود تنظيم سياسي أو تعتبر في ذاتها مناصب تضفي على صاحبها سلطة سياسية كما ذهب بعض الباحثين، فذلك ما يبدو بعيدًا عن الصواب.

وإن كل ما يمكن لنا قوله: أنه كان في مكة ـ دون غيرها من مواطن القبائل العربية ـ نوع من التقاليد التي يحترمها أهلها في الغالب ويحترمها سائر الناس، وأن هذه التقاليد كانت مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بوجود الكعبة في مكة وبحج الناس إليها في كل عام، ولا يمكن أن ترقى هذه التقاليد إلى تشكيل نظام سياسي في مكة في تلك الفترة من تاريخها ـ أو أن يعتبر من وُلوا هذه المناصب أو بعضها أصحاب السلطة السياسية في مكة.

* * *

المبحث الخامس مكة المكرمة لم تعرف نظامًا سياسيا قبل الإسلام:

إن الواقع الذي يؤيده استقراء الحوادث التاريخية التي بين أيدينا عن تلك الفترة من التاريخ هو أن الحالة السياسية في مكة لم تكن تختلف كثيرًا عنها في مواطن بقية القبائل العربية الأخرى، فلم يكن هناك نظام سياسي.

ولم تعرف تلك القبائل سلطة سياسية على أي صورة من صور السلطة السياسية،وقد حاول بعض الباحثين أن يثبت أن أهل مكة عرفوا نوعًا من التنظيم السياسي قبل الإسلام مستدلاً على ذلك بأن بعض أهله قد عقدوا حلفًا اسمه «حلف الفضول» تعاقدوا فيه على أن ينصفوا المظلومين من الظالمين وأن ينصروا المستضعفين على الباغين.

ونحن نرى أن عقد حلف الفضول في حد ذاته يعتبر دليلاً كافيا على غياب أي سلطة سياسية عن المجتمع المكي قبل الإسلام، إذ لو وجدت هذه السلطة لما كان مكان لعقد مثل هذا الحلف الذي

ضم خمسة فقط من قبائل قريش دون سائر القبائل، ولو وجدت سلطة سياسية لكان من أول مهامها الوقوف في وجه أبرهة الأشرم ولما هربت مكة إلى أعالي جبالها، وأخذ عبد المطلب يفاوض أبرهة في رد إبله.

ويدل كذلك على عدم وجود سلطة سياسية يخضع لها الجميع في مكة قصة تنازع القبائل عند إعادة بناء الكعبة حول إعادة وضع الحجر الأسود في مكانه من الكعبة، بل إن القصة تعتبر دليلاً على أن السلطة الدينية المتعلقة بالكعبة ذاتها لم تكن سلطة يقبلها أو يخضع لها الجميع وإلا لانفرد أصحاب الحجابة أو العمارة «مثلاً» بتقرير حل هذا النزاع، وإنما كانت القبيلة المسيطرة عليهم والتعصب للقبيلة هو الروح الموجِّه لتصرفاتهم ومواقفهم.

* * *

المبحث السادس ممالك الجزيرة العربية قبل الإسلام:

أما أطراف الجزيرة العربية وسواحلها، فقد عرفت فيها ممالك عاشت قرونًا طويلة، وحفظ التاريخ كثيرًا من حوادثها وتطورات الحكم فيها، وأوضح مثال لذلك مملكة سبأ التي قص القرآن طرفًا من قصتها في سورة النمل(٢) وفيها بين القرآن الكريم كيف تمت مراسلة بين نبي الله سليمان وملكة سبأ، انتهت بدخولها في دين سليمان وإسلامها لله رب العالمين.

بل تبين هذه الآيات كذلك أنه كان في هذه المملكة نظام الشورى تلتزم به الملكة، فيحكي القرآن عن قولها لأهل شوراها ﴿ مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ ﴾ [النمل: ٢٣].

وكذلك كان هناك دولة «حمير» بين سبأ والبحر الأحمر، ودولة «كنده» في حضرموت، ودولة «معين» التي امتد نفوذها إلى شمال الحجاز(٣).

وكذلك ظهرت في بادية الشام وهي جزء من الجزيرة العربية ممالك متعددة منها: مملكة تدمر، ثم مملكة الغساسنة، وقد تحالف ملوكها مع الدولة البيزنطية التي كانت تعاني من غارات البدو، على أن يكفي الغساسنة هذه الدولة شر الغارات العربية عليها، وقد عرف الغساسنة بين قبائل العرب باسم (روم العرب) أو «العرب المتنصرة» لدخولهم في دين حلفائهم البيزنطيين وهو «النصرانية» وكانت بينهم وبين المناذرة حروب ومناوشات، كما أنهم وقفوا مع الروم ضد المسلمين، وشاركوا في قتالهم، ومع فتح الشام انتهت دولتهم.

---

(٢) الآيات (٢٢ . ٤٤).

(٣) انظر: كتاب «تاريخ العرب قبل الإسلام» الدكتور أحمد الرحيم (ص:١١١).

غير أن هذه الأنظمة الملكية ـ وهي بلا شك أنظمة ذات طابع سياسي ـ لم يكن لها من أثر يذكر على عرب الحجاز حيث نشأ الإسلام، فكانت حياة العرب ـ حتى في مكة كما قدمنا ـ لا تعرف أي تنظيم سياسي بالمعنى المتعارف عليه للتنظيم السياسي إلى أن ظهر الإسلام وأنشأ الرسول صلى الله عليه وسلم دولته الأولى في المدينة، ولذلك تعد هذه الدولة بداية التاريخ الإسلامي، ويعتبر ما ظهر خلال وجودها من أفكار وآراء المصدر الأول الذي تفرعت عنه الأفكار والنظريات السياسية الإسلامية (٤) .

* * *

الفصل الثاني فى نشأة الدولة الإسلامية

المبحث الأول ظهور الكيان الإسلامي:

لم يتمكن النبي ﷺ في إيجاد تنظيم سياسي أو تكوين دولة في مكة المكرمة لانشغاله بالدعوة إلى الله وتقرير أصول العقيدة الصحيحة، ولعدم توفر العناصر الضرورية للدولة وهي: الأرض، والشعب، والسلطة.

غير أن هذه الفترة المكية كانت بمثابة التمهيد للفترة المدنية من العهد النبوي، فقد تكونت فيها نواة المجتمع الإسلامي من أولئك الأفراد الذين قبلوا الدين الجديد وآمنوا برسوله، وتقررت فيها قواعد الإسلام الأساسية وخاصة ما تعلق منها بالعقيدة ـ جماع الإسلام كله ـ فوضحت بذلك وجهة الإسلام وسبيله، وبعد أن توفرت مقومات الدولة وعناصرها الأساسية توجه الشعب بالهجرة وتجمع المسلمون من مهاجرين وأنصار، ووجدت الأرض التي تقوم عليها الدولة، ووجدت السلطة بهجرة النبي ﷺ إلى المدينة وبتجمُّع أصحابه ـ رضوان الله عليهم ـ حوله، فتكونت بذلك الدولة الإسلامية، وأصبح لها كيان دولي، وحينئذٍ مست الحاجة إلى التشريع العملي على أتم صورة، فاتجه الوحي إلى تنظيم الدولة داخليا وخارجيا، فشرَّع لهم الأحكام التي تتناول شئونهم كلها، سواءٌ منها ما يتعلق بحياة الفرد أو الجماعة أو بعلاقة الدولة بغيرها.

وكانت الفترة الثانية تفصيلاً لما أجمل من قواعد الإسلام في الفترة الأولى، ونزلت التشريعات التي احتاجت إليها الدولة الجديدة في الشئون العامة والخاصة على سواء، ونزل الوحي بعدد كبير من القواعد العامة التي تستنبط فيها التشريعات الجزئية التي لم ينص عليها مباشرة في القرآن أو السنة،

---

(٤) انظر: كتاب النظام السياسي للدولة الإسلامية للأستاذ مُحَّد سليم العوا (ص: ٢٩) الطبعة الثالثة.

وما كان ذلك كله إلا للنتيجة الطبيعية لنشوء الدولة الإسلامية الأولى، وتميز المسلمين كافة عن غيرهم ممن عاشوا في الجزيرة العربية خلال هذه الفترة، وهذا الاتصال بين الفترة المكية والفترة المدنية واضح؟ لكل من استقرأ مسيرة الدعوة الإسلامية وتطورها في عصر النبوة.

ظهور الكيان السياسي الإسلامي:

قد كان العصر النبوي مرَّ بقسميه مرحلة تأسيس وبناء لكيان الأمة الإسلامية ووضع الأسس العامة التي سوف تحكم مسيرة هذه الأمة على طول التاريخ.

وكان هذا هو الشأن في الناحية السياسية كما كان هو الشأن في كل النواحي الأخرى التي عَرَض لها الإسلام في تشريعاته وتنظيماته، وفي نصوص الوحي وإشاراته.

ولذلك فإن النصوص التي تتعلق بالنظام السياسي في هذه الفترة لا تتعرض للتفصيلات إلا بالقدر الذي تمليه الضرورات العملية للمجتمع المسلم في المدينة فحسب وتكتفي فيما عدا ذلك.

* * *

المبحث الثاني ممارسة الدولة الإسلامية لوظائفها:

وبعد أن استقر أمر الدولة الإسلامية في المدينة بهجرة النبي ﷺ وأصحابه إليها ومسارعته إلى بناء المسجد، والمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار ومعاهدته لليهود المقيمين في المدينة . أخذت الدولة تمارس وظائفها وتباشر مهامها التي شملت كل نواحي النشاط السياسي المعروفة آنذاك في مجالاتها المختلفة.

فأقامت العدالة عن طريق القضاء، ونظمت الدفاع وسياسة الحروب في الغزوات التي باشرها الرسول ﷺ بنفسه أو بواسطة قواد سراياه وبعوثه، وبثت التعليم بين رعاياها ومن انضم إلى الدين الجديد خارج المدينة، كما حدث في اليمن والبحرين وغيرهما، ونظمت موارد الدولة المالية بتنظيم الزكاة، وطرق جبايتها وفق ظروف العصر، وعقدت المعاهدات مع الجماعات التي كانت محاربة لها أو التي اختارت طريق السلم إزاء دعوتها، وأنفذت السفارات إلى العالم الخارجي، فوضعت بذلك أساسًا للعلاقات الدولية حتى تكون الدولة الإسلامية طرفًا فيها.

وعلى هذه الصورة ثبتت دعائم النظام السياسي في المدينة، ورسخت قدم الدولة الناشئة التي ضمت بعد عشر سنوات تقريبًا معظم أنحاء الجزيرة العربية، ودخل في عقيدتها وانضوى تحت حكومتها سكان هذه الجزيرة جميعًا . تقريبًا .، وقد مارست هذه الدولة الجديدة السلطات التي تمارسها أية دولة في العالم قديمة أو حديثة، وهي سلطات التشريع والقضاء والتنفيذ، ورغم أن هذه التعبيرات من بدع النظم الدستورية والقانونية في العصر الحديث، إلا أنه من المسلم به: أن الدولة

الإسلامية منذ قيامها قد عرفت هذه السلطات الثلاث، وأن ممارسة هذه السلطات قد نظمت وفصلت القواعد الضابطة لها في ضوء المبادئ الأصولية والفقهية التي شرحها فيما بعد الفقهاء المسلمون.

* * *

الفصل الثالث في الإمامة والخلافة

المبحث الأول تعريف الإمامة والخلافة لغة واصطلاحًا:

الإمامة في اللغة: مشتقة من: أمَّ القوم أو: أمَّ يؤم إذا صار لهم إمامًا يتبعونه ويقتدون به، ومنه قوله تعالى: ﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾[البقرة:١٢٤].

ويطلق على القيم على الشيء المصلح له، والطريق الواضح، والكتاب، ودليل القوم.

قال ابن منظور: «الإمام كل من ائتمَّ به قوم كانوا على الصراط المستقيم أو كانوا ضالين»(٥)

وقال الزبيدي في «تاج العروس»: «والإمام: الطريق الواسع، وبه فُسِّر قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾ [الحجر: ٧٩] أي: بطريق يؤَم ـ أي: يقصد: فيتميز ـ»(٦) .

الإمامة في الاصطلاح: فهي النظر في مصالح العباد بمقتضى شرع الله تعالى، طارحًا الهوى والمصالح الشخصية جانبًا، متحريا الحق أينما كان.

قال الماوردي: «الإمامة موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا به»(٧) .

وعرفها ابن خلدون بقوله: «هي حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخروية والدنيوية الراجعة إليها»، إذ أحوال الدنيا ترجع كلها عند الشارع إلى اعتبارها بمصالح الآخرة، فهي في الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا به»(٨) .

الخلافة في اللغة: مأخوذة من خلف الرجل يخلفه إذا قام بالأمر من بعده.

الخلافة في الاصطلاح: هو حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأُخروية والدنيوية الراجعة إليها، إذ أحوال الدنيا ترجع كلها عند الشارع إلى اعتبارها بمصالح الآخرة، فهي في الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا.

---

(٥) «لسان العرب» لابن منظور: جمال الدين مُحَّد بن مكرم (٤٢/٢١) مادة (أمم).

(٦) «تاج العروس من جواهر القاموس» لمحمد مرتضى الزبيدي (ج٨/ص٣٩١).

(٧) «الأحكام السلطانية» للماوردي (ص:٧١).

(٨) «المقدمة لابن خلدون» (ص:٢١٢).

والذي يظهر لي ـ والله أعلم ـ أنه لا فرق بين لفظي الإمامة والخلافة وإلى ذلك ذهب النووي ـ رحمه الله تعالى ـ حيث قال: «يجوز أن يقال للإمام: الخليفة والإمام وأمير المؤمنين»(٩)، وحكاه ابن خلدون في «مقدمته» حين قال: «وإذ قد بينا حقيقة هذا المنصب وأنه نيابة عن صاحب الشريعة في حفظ الدين وسياسة الدنيا به تسمى:خلافة وإمامة والقائم به: خليفة وإمام(١٠) وقد كان الخلفاء الأُول يلقبون بالخلفاء كما يلقبون بالأئمة.

* * *

المبحث الثاني في الفرق بينهما وبين الملك:

أما الملك فينقسم إلى: طبيعي وسياسي.

الملك الطبيعي: هو حمل الكافة على مقتضى الغرض والشهوة.

والملك السياسي: هو حمل الكافة على مقتضى النظر العقلي في جلب المصالح الدنيوية ودفع المضار(١١) .

والفرق بينهما وبين الملك ثابت في الأحاديث الصحيحة عن الرسول ﷺ منها ما رواه أحمد في مسنده عن حذيفة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكًا عاضًّا(١٢) فيكون ما شاء الله أن يكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكًا جبرية، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة» ثم سكت(١٣) .

وما رواه أهل السنن عن سعيد بن جمهان عن سفينة مولى رسول الله ﷺ قال: «ستكون الخلافة ثلاثون عامًا ثم يكون الملك»(١٤) .

---

(٩) «روضة الطالبين» للنووي (ج١٠/ص: ٩٤)،وانظر نحو هذا الكلام في «مغني المحتاج» للشربيني (٢٣١/٤).

(١٠) «المقدمة لابن خلدون» (ص:٢١٢).

(١١) انظر: «مقدمة ابن خلدون» (ص ١٥١).

(١٢) وفي رواية: عضوضًا.

(١٣) رواه أحمد حديث رقم (١٨٤٠٦) ، وحسنه الألباني في «السلسلة الصحيحة» حديث رقم (٥) (٨/١).

(١٤) رواه أحمد في «المسند» (٤/ص:٣٧٢)، وأبو داود في «كتاب السنة» (٧٩٣/٢١ ـ عون)، والترمذي في «كتاب الفتن» حديث رقم (٢٢٢٦)، والحديث صححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» برقم (٤٥٩) (١/ص٨٢٠).

وقد عرَّف مُحَمَّد سليم العوا الخلافة في كتابه «النظام السياسي للدولة الإسلامية» بأنها: «تنظيم لرئاسة الدولة» وقال: «إن لفظ الخلافة أو الإمامة أصبح علمًا على نظام الحكم في الدول الإسلامية، ولا يعني في مدلوله السياسي أو الدستوري أكثر من تنظيم رئاسة الدولة الإسلامية تنظيمًا يشمل اختيار الرئيس وتقرير حقوقه وواجباته على نحو يشير إلى محاولة اتباع المثل الأعلى الذي كان قائمًا في بداية نشوء الدولة الإسلامية حين كان الرسول ﷺ يتولى رئاستها، لكن هذا اللفظ «الخلافة» لا يدل على نظام حكم معين محدود التفاصيل، بل إنه ليس في الشريعة الإسلامية نظام حكم معين محدد التفاصيل، وإنما جاءت الشريعة الإسلامية في هذا المجال بالقواعد العامة فحسب.

ويتضمن المدلول الدستوري للخلافة باعتبارها تنظيمًا لرئاسة الدولة قيامًا على أمرين:

أولهما: أن ترشيح من يصلح لتولي الخلافة يتم بناءً على ما تنتهي إليه شورى المسلمين.

وثانيهما: أن تولية هذا المرشح يتم بناء على بيعة المسلمين له وعلى هذا النحو تمت تولية الخلفاء الراشدين جميعًا وإن اختلفت طريقة الشورى التي سبقت الترشيح للخلافة من حالة إلى أخرى.

فإذا تولى شخص ما أمر المسلمين أو أصبح يشغل منصب الخليفة فعليه أن يلتزم في حكمه أحكام الشريعة الإسلامية ويبذل جهده في تحقيق مصالح الناس على هدي مبادئها، وللمسلمين أن يبذلوا له النصح ويلتزموا بطاعته ولهم بل عليهم أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر»(١٥).

ويعَرِّف عبد الحي الكتاني الخلافة فيقول: «الخلافة هي: الرياسة العظمى والولاية العامة الجامعة القائمة بحراسة الدين والدنيا، والقائم بها يسمى الخليفة؛ لأنه خليفة عن رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم والإمام؛ لأن الإمامة والخطبة في عهد الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين ـ لازمة له لا يقوم بها غيره إلا بطريق النيابة عنه»(١٦).

* * *

---

(١٥) انظر: كتاب «النظام السياسي للدولة الإسلامية للعوا» (ص: ١١٨).

(١٦) «التراتيب الإدارية» (٢/١).

الفصل الرابع في حكم نصب الإمام الأعظم

المبحث الأول وجوب نصب الإمام:

إن المجتمع البشري ضروري لاستمرار الحياة وبقاء النوع الإنساني إلى أن يرث اللَّه الأرض ومن عليها؛ إذ الفرد وحده لا يقوى على تحصيل قوته من الطعام والشراب، ولا يمكنه القيام بما يحتاجه من حرف وصناعات، بل لابد أن يحتاج إلى غيره في تحصيل ما ذُكر مهما كان عليه من غنى وقدرة على الأشياء ولو كان ملكًا مطاعًا، فالإنسان دائمًا محتاج إلى غيره في تحصيل القوت.

ثم إن هذا الاجتماع إذا حصل للبشر، وتم عمران العالم بهم فلابد من وازع يدفع بعضهم عن بعض، لما في طباعهم الحيوانية في العدوان والظلم، وليست آلة السلاح التي جعلت دافعة لعدوان الحيوانات العجم عنهم كافية في دفع العدوان عنهم؛ لأنها موجودة لجميعهم، فلابد من شيء آخر يدفع عدوان بعضهم عن بعض، ولا يكون في غيرهم لقصور جميع الحيوانات عن مداركهم وإلهاماتهم، فيكون ذلك الوازع واحدًا منهم يكون له عليهم الغلبة والسلطان، واليد القاهرة حتى لا يصل أحد إلى غيره بعدوان وهذا هو معنى الملك، وقد تبين لك بهذا أنه خاصة للإنسان طبيعة ولابد لهم فعلها(١٧) .

وجوب نصب الإمام: لابد من إقامة خليفة على المسلمين يهتم بشئون الأمة، ويرعى مصالحها الدينية والدنيوية، ويقوم بالجهاد، وينظم الجيوش، ويدرأ عن الأمة خطر أعدائها، ويتولى تنفيذ الأحكام الشرعية، ويعتني بجباية أموال الدولة في مواردها، وينفقها في مصارفها، إلى غير ذلك من الأمور التي يتعين على الخليفة القيام بها، ولا تتم مصالح الأمة إلا بها.

وهذا محل إجماع بين المسلمين ـ أعني: وجوب نصب الإمام ـ لم يعرف فيه لأحدٍ خلاف سوى ما يروى عن الأصم(١٨) والفوطي(١٩) من المعتزلة وبعض الخوارج، وخلاف هؤلاء لا يقدح بصحة الإجماع؛ لأنه قول شاذ لم يبن على دليل صحيح ولا حجة ثابتة(٢٠).

---

(١٧) مقدمة ابن خلدون ٥٦/١

(١٨) الأصم: اسمه عبد الرحمن بن كيسان، أحد كبار أئمة المعتزلة، انظر «فرق وطبقات المعتزلة» (ص:٥٦).

(١٩) وهو هشام بن عمر الفوطي من أهل البعرة، إليه تنسب فرقة الهشامية من المعتزلة، انظر «الفرق بين الفِرق» (ص: ٩٥١).

(٢٠) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» (٤٦٢/١)، و«فتح الباري» (١١٨/١٣)، و«مراتب الإجماع» (ص:٤٢١)، و«مقدمة ابن خلدون» (ص:١٩١)، و«السياسة الشرعية» لابن تيمية (ص:١٦١).

وفي هذا يقول الإمام ابن حزم ـ رحمه الله تعالى ـ : «اتفق جميع أهل السنة، وجميع المرجئة، وجميع الشيعة، وجميع الخوارج على وجوب الإمامة، وأن الأمة واجب عليها الانقياد لإمام عادل، يقيم فيهم أحكام الله، ويسوسهم بأحكام الشريعة التي أتى بها رسول الله ﷺ حاشا النجدات من الخوارج فإنهم قالوا: لا يلزم الناس فرض الإمامة، وإنما عليهم أن يتعاطوا الحق بينهم»(٢١) .

وقال القرطبي ـ رحمه الله تعالى ـ : «ولا خلاف في وجوب ذلك بين الأمة ولا بين الأئمة، إلا ما روي عن الأصم، حيث كان عن الشريعة أصم، وكذلك كل من قال بقوله واتبعه على رأيه ومذهبه»(٢٢).

قال عبد الجبار الهمداني في المغني: فبينَّا أن خلاف الأصم ومن وافقه في عدم وجوب نصب الإمام لا يقدح في الإجماع.

قال: وبعد، فإنه قد ثبت بالشرع الذي لأجله يقام الإمام ما يقوم بمصلحة الدنيا أو الدين في اجتلاب النفع ودفع المضار في غير تخصيص يعتبر، بل لا أحد منهم إلا وله في ذلك حظ ما أو قوي، وقد علمنا أن ما هذا حاله يلزم التوصل إليه، لأنه توصل إلى دفع المضار المظنونة أو المعلومة.

وقد بينا من قبل أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يحملان على الوجوه التي ذكرناها وما يقوم به الإمام إن لم يزد حاله على حالها لم ينقص فيجب التوصل إليه، وقد اعتمدوا غيرهما على ما يثبت في إجماع الصحابة؛ لأنهم بعد وفاة النبي ﷺ فزعوا إلى إقامة إمام على وجه يقتضي أنه لابد منه، وما نقل من الأخبار وتواتر في ذلك يدل على ما قلناه في حالهم عند العقد لأبي بكر يوم السقيفة ثم بعده لعمر في قصة الشورى.

وقد علمنا أن التشدد في ذلك على الوجوه التي جرت منهم حالاً بعد حال لا يكون إلا في الأمر الواجب الذي لابد منه، ومما يبين صحة الإجماع في ذلك أن كل من خالف فيه لا يعد في الإجماع؛ لأنه إنما خالف في ذلك بعض الخوارج، وقد ثبت أنهم لا يعدون في الإجماع.

وأما «ضرار» فأبعد من أن يعد في الإجماع، وأما «الأصم» فقد سبقه الإجماع، وإن كان قد حكي عنه على أنه غير مخالف في ذلك، وأنه إنما قال: لو أنصف الناس بعضهم بعضًا وزال الظالم وما يوجب إقامة الحد لاستغنى الناس عن إمامهم.

---

(٢١) «الفصل في الملل والأهواء والنحل» (٤/ص:٧٨).

(٢٢) «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي (٤٦١/١).

الأدلة: يرى أهل السنة أن الإمامة واجبة على الأمة، مستدلين بأدلة من الكتاب والسنة وإجماع علماء الأمة، فمن أدلتهم على وجوبها في القرآن:

الدليل الأول: قول الله تعالى: ﴿ يا أَيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾ [النساء: ٥٩].

قال ابن كثير: «الظاهر ـ والله أعلم ـ أن الآية عامة في جميع أولي الأمر من الأمراء والعلماء»(٢٣).

وجه الدلالة: أن الله ـ تعالى ـ أمر بطاعة أولي الأمر، والأمر دليل على الوجوب، والله تعالى لا يأمر بطاعة من لا وجود له، فتعين على الأمة نصب إمام لهم.

الدليل الثاني: قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَينَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن ينصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِي عَزِيزٌ ﴾ [الحديد:٢٥].

وجه الدلالة: أن الله ـ تعالى ـ أمر رسله ـ عليهم السلام ـ ومن تبعهم أن يقيموا العدل بين الناس على ما جاء في كتاب الله تعالى، ولا يكون ذلك إلا بإمام ينظم مسيرتهم، وينظر في مصالحهم، ويقارن بين أمورهم. والآيات في ذلك كثيرة، والواقع أننا لو نظرنا إلى آيات الحدود والقصاص والأحكام المتعلقة بمصالح ومفاسد العباد ـ لرأينا أنه يتعين على الأمة إقامة إمام لهم.

ثانيا: الأدلة من السنة:

الدليل الأول: ما رواه مسلم في «صحيحه» عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية»(٢٤) .

وجه الدلالة: أن البيعة واجبة على المسلم ولا تكون البيعة إلا بإمام، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، لذا تعين نصب الإمام على الأمة.

الدليل الثاني: ما رواه أهل السنن عن العرباض بن سارية عن النبي ﷺ أنه قال: «...وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة»(٢٥) .

---

(٢٣) «تفسير القرآن العظيم» لابن كثير (٣٠٣/٢).

(٢٤) رواه مسلم في «كتاب الإمارة» باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء برقم ٥٨ – (١٨٥١) (١٤٧٨/٣).

(٢٥) رواه الترمذي في «كتاب العلم» برقم (٢٦٧٦)، وقال: حسن صحيح ورواه أبو داود في «كتاب السنة» باب (٩٥٣/٢١/٥ عون)، وابن ماجة حديث رقم (٤٢) وحكم الألباني صحيح

ثالثًا: من الإجماع:

الدليل الأول: إجماع الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ ، فقد همهم الأمر حتى قبل دفنه صلى الله عليه وسلم، فقد روى البخاري في «صحيحه» عن عائشة رضي الله عنها: «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات وأبو بكر بالسنح، فقام عمر يقول: والله ما مات رسول الله ﷺ، قالت: وقال عمر: والله ما كان يقع في نفسي إلا ذاك، وليبعثنه الله فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم، فجاء أبو بكر فكشف عن رسول الله ﷺ فقبَّله، فقال: بأبي أنت وأمي طبت حيا وميتًا، والذي نفسي بيده، لا يذيقنك الله الموتتين أبدًا، ثم خرج فقال: أيها الحالف على رسلك، فلما تكلم أبو بكر جلس عمر، فحمد الله أبو بكر وأثنى عليه، وقال: ألا من كان يعبد محمدًا ﷺ فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت وقال: ﴿ إِنَّكَ مَيتٌ وَإِنَّهُم مَّيتُونَ ﴾ [الزمر: ٣٠] وقال: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن ينقَلِبْ عَلَى عَقِبَيهِ فَلَن يضُرَّ اللّهَ شَيئًا وَسَيجْزِي اللّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٤]. قال: فنشج الناس يبكون، قال: واجتمعت الأنصار إلى سعد بن عبادة في سقيفة بني ساعدة، فقالوا: منا أمير ومنكم أمير، فذهب إليهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح، فذهب عمر يتكلم، فأسكته أبو بكر، وكان عمر يقول: «والله ما أردت بذلك إلا أني قد هيأت كلامًا قد أعجبني خشيت ألا يبلغه أبو بكر»، ثم تكلم أبو بكر، فتكلم أبلغ الناس، فقال في كلامه: نحن الأمراء وأنتم الوزراء، فقال حُباب بن المنذر: والله لا نفعل، منا أمير ومنكم أمير، فقال أبو بكر: لا ولكنا الأمراء وأنتم الوزراء هم أوسط العرب دارًا وأعربهم أنسابًا، فبايعوا عمر أو أبا عبيدة، فقال عمر: بل نبايعك أنت، فأنت سيدنا وخيرنا وأحبنا إلى رسول الله ﷺ، فأخذ عمر بيده فبايعه وبايعه الناس»(٢٦).

وجه الدلالة: أن الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ بمجرد وصول خبر وفاة النبي ﷺ، بادروا إلى تنصيب إمام لهم، وأجمعوا على وجوب ذلك ولم يخالف منهم أحد.

قال القرطبي ـ رحمه الله تعالى ـ: «أجمعت الصحابة بعد اختلاف وقع بين المهاجرين والأنصار في سقيفة بني ساعدة في التعيين...فلو كان فرض الإمامة غير واجب لا في قريش ولا في غيرهم لما ساغت هذه المناظرة والمحاورة عليها، ولقال قائل: إنها ليست واجبة لا في قريش ولا في غيرهم فما لتنازعكم وجه، ولا فائدة في أمر ليس بواجب(٢٧) .

---

(٢٦) رواه البخاري في «صحيحه» «كتاب مناقب الصحابة» حديث رقم (٣٦٦٧) ، (٣٦٦٨).

(٢٧) «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي (١/٧٩٢).

الدليل الثاني: ما قاله الهيثمي: «اعلم ـ أيضًا ـ أن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعوا على أن نصب الإمام بعد انقراض زمن النبوة واجب، بل جعلوه أهم الواجبات حيث اشتغلوا به عن دفن رسول الله ﷺ»(٢٨) .

* * *

المبحث الثاني في خلاف المعتزلة مع الجمهور في حقيقة المقتضي لوجوب نصب الإمام:

قلت: وجمهور المسلمين على أن وجوب نصب الإمام معلوم عن طريق السمع ـ أي: عن طريق النصوص الشرعية؛ لأن أصحاب رسول الله ﷺ عند وفاته بادروا إلى بيعة أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ وتسليم النظر إليه في أمورهم، وكذا في كل عصر من بعد ذلك، ولم تترك الناس فوضى في عصر من الأعصار واستقر ذلك إجماعًا(٢٩) .

ثم إنه قد ثبت عن النبي ﷺ الإرشاد إليها والإشارة إلى منصبها: كما في قوله: «الأئمة من قريش»(٣٠) وثبت كتابًا وسنة الأمر بالطاعة للأئمة كما في قوله تعالى: ﴿ يا أَيَها الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ [النساء: ٥٩].

وأرشد ﷺ إلى الاستنان بسنة الخلفاء الراشدين فقال:«عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين»(٣١) وهو حديث صحيح وكذلك قوله: «الخلافة بعدي ثلاثون عامًا»(٣٢) .

ووقعت منه الإشارة إلى من سيقوم بعده.

ثم إن الصحابة لما مات رسول الله ﷺ قدموا أمر الإمامة ومبايعة الإمام قبل كل شيء حتى أنهم اشتغلوا بذلك قبل تجهيزه ﷺ ثم لما مات أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ عهد إلى عمر، ثم عهد عمر إلى النفر المعروفين، ثم لما قتل عثمان ـ رضي الله عنه ـ بايعوا عليا، وبعد علي الحسن، ثم استمر المسلمون على هذه الطريقة حيث كان السلطان واحدًا، وأمر الأمة مجتمع. ثم لما اتسعت أقطار

---

(٢٨) «الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة» لابن حجر الهيتمي (ص٧).

(٢٩) «مقدمة ابن خلدون» (ص:١٥١)، وانظر: «تفسير القرطبي» (ص:٥٦٢/١).

(٣٠) رواه أبو داود الطيالسي (٢٢٤٧) عن ابن سعد عن أبيه عن أنس، ورواه أحمد (١٢٣٠٧) من طريق بكير بن وهب الجزري عن أنس والحديث صحيح.

(٣١) تقدم تخريجه صفحة (٢١).

(٣٢) رواه أحمد (٢٢١/٥)، وأبو داود (٤٦٤٧)، والترمذي (٢٢٢٦) من حديث سفينة وحكم الألباني صحيح.

الإسلام ووقع الاختلاف بين أهله واستولى على كل قطر من الأقطار سلطان، اتفق أهله على أنه إذا مات بادروا بنصب من يقوم مقامه.

وهذا معلوم لم يخالف فيه أحد، بل هو إجماع المسلمين أجمعين منذ قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى هذه الغاية لما هو مرتبط بالسلطان من مصالح الدين والدنيا، ولو لم يكن منها إلا جمعهم على جهاد عدوهم، وتأمين سبلهم، وإنصاف مظلومهم من ظالمهم، وأمرهم بما أمر الله تعالى به . ونهيهم عما نهاهم الله تعالى عنه، ونشر السنن، وإماتة البدع، وإقامة حدود الله تعالى، فمشروعية نصب السلطان هي من هذه الحيثية(٣٣). ومما يؤيد وجوب نصب الإمام عن طريق الشرع كونه يتولى أمورًا شرعية قد كان مجوزًا في العقل أن لا يرد التعبد بها فلم يكن العقل موجبًا لها وإنما يمنع كل واحد نفسه من العقلاء عن التظالم والتقاطع ويأخذ بمقتضى العدل في التناصف والتواصل فيتدبر بعقله لا بعقل غيره، ولكن جاء الشرع بتفويض الأمور إلى وليه في الدين وقال ﷺ: «سيليكم بعدي ولاة فيليكم البر ببره والفاجر بفجوره فاسمعوا لهم وأطيعوا في كل ما وافق الحق فإن أحسنوا فلكم ولهم وإن أساءوا فلكم وعليهم»(٣٤).

أما رأي أكثر المعتزلة: فهو على أن وجوب نصب الإمام عُلم من طريق العقل وذلك لما في طباع العقلاء من التسليم لزعيم يمنعهم من التظالم ويفصل بينهم في التنازع والتخاصم ولولا الولاة لكانوا فوضى مهملين وهمجًا مضاعين وقد قال الأفوه الأودي وهو شاعر جاهلي:

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم*ولا سراة إذا جهالهم سادوا** (٣٥)

قلت: ولا منافاة بين أن يكون وجوب إقامة الإمام عُلِمَ عن طريق العقل أو عن طريق الشرع لإمكان أن يعلم ذلك بالعقل والشرع معًا؛ لأن العقل الصريح لا يتعارض مع النقل الصحيح، ولا شك أن العقل هو الطريق لمعرفة الشرع، إذ بدون العقل لا تحصل المعرفة ولا التمييز بين الأشياء ولا يرد على القائلين بأن العقل هو مدرك علم وجوبها أن يكون العقل شرعًا لأنهم لا يريدون هذا المعنى وإنما يريدون أن المقتضيات العقلية أكسبت علمًا يقينيا بأن هذا الأمر واجب، وضرورة من ضروريات استمرار حياة البشر وبقائه.

---

(٣٣) من كتاب: «إكليل الكرام في تبيان مقاصد الأمامة» لصديق حسن خان ص٦٢. وهو مقتبس من كتاب السيل الجرار للشوكاني ص٩٣٦

(٣٤) سنن الدارقطني (١٧٥٩) وحكم الألباني أسناده ضعيف

(٣٥) انظر «الأحكام السلطانية» لأبي الحسن الماوردي (ص:٥).

* * *

الفصل الخامس في عقد الإمامة

المبحث الأول صفة العقد:

وإذ قد بينت وجوب نصب الإمام، وأن الأمة الإسلامية أجمعت عليه، فلا بد من معرفة كيفية عقد الإمامة، ومعرفة الصفات التي ينبغي توفرها في العاقدين.

اعلم أنه لا خلاف بين من لا يقول بالنص في كل إمام أنه لا يصير إمامًا بأن يصلح لذلك ويجتمع فيه الشرطان ويبين صحة ذلك أنه لو صار إمامًا لذلك لوجب أحد أمرين: إما المنع من المساواة بين الاثنين في ذلك، أو تجويز إمامين - وهذا فاسد - ولا يصح على رأى جمهور المسلمين كما يدل عليه حال الصحابة، حيث لم يقتصروا في إثبات الإمامة على صلاحه لذلك، بل جعلوه إمامًا بالعقد والبيعة على الوجه الذي جرت عادتهم به، يدل على ما ذكرناه، وقد ثبت بما سأذكره، أن الصحيح أنه يكون إمامًا باختيار الغير، وأن يلزم قبول العقد إذا كان كامل الشرائط، وبيان ذلك أنه لابد للعقد من صفة وللعاقدين من صفة(٣٦).

ولا يوجد نص من الكتاب والسنة يجبرنا على طريقة بعينها في تولية الإمام، بل أمامنا تاريخ الخلفاء الراشدين لنستعرض ونستنبط منه الطرق التي اتبعها سلف الأمة في هذا الباب، ولذا أرى أن هذه الطرق التي تم بها تولية هؤلاء الراشدين طرق شرعية لأمرين:

الأمر الأول: ما ورد عن النبي ﷺ من الحث على اتباع نهجهم والاقتداء بهديهم، لما رواه أهل السنن عن العرباض بن سارية عن النبي ﷺ أنه قال:«...وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة»(٣٧) .

الأمر الثاني: إجماع الصحابة - رضوان الله عليهم - على ذلك وقبولهم له، وإجماعهم - رضوان الله عليهم - حجة، ولم يورد لنا أهل التاريخ والسير ما يعارض ذلك، وإن ورد اعتراض ليتمسك به البعض إلا أنه يصرف إلى الاختلاف في الشخص المولى لا في الطريقة التي ولي بها.

* * *

---

(٣٦) «المغني» (٢٠/٢٥٠).

(٣٧) سنن أبي داود رقم (٤٦٠٧) وصححه الألباني.

المبحث الثاني طرق تولية الإمام

المطلب الأول طريقة الاختيـار:

لكيفية انعقاد الإمامة العظمى أكثر من طريقة، ولكن ثلاث منها هي المعول عليها، وسأذكرها مرتبة حسب أولويتها في نظري:

أولاً: طريقة الاختيار والانتخاب.

ثانيا: طريقة العهد والوصية من قبل الخليفة السابق لشخص آخر.

ثالثًا: أن يتغلب شخص على الأمة ويقهرها بسيفه.

فأما الطريقة الأولى وهي الاختيار للإمام يقوم بها أهل الحل والعقد، وهي الطريقة التي تمت بها تولية أبي بكر الصديق وعلي بن أبي طالب رضي اللَّه عنهما، فقد روى البخاري في «صحيحه» عن عمر بن الخطاب رضي اللَّه عنه قال: «..وأنه قد كان من خبرنا حين توفى اللَّه نبيه صلى الله عليه وسلم أن الأنصار خالفونا واجتمعوا بأسرهم في سقيفة بني ساعدة، وخالف عنا علي والزبير ومن معهما، واجتمع المهاجرون إلى أبي بكر، فقلت لأبي بكر: انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار، فانطلقنا نريدهم، فلما دنونا منهم لقينا منهم رجلان صالحان، فذكرا ما تمالأ عليه القوم، فقالا: أين تريدون يا معشر المهاجرين؟ فقلنا: نريد إخواننا هؤلاء من الأنصار، فقالا: لا عليكم ألا تقربوهم اقضوا أمركم، فقلت: واللَّه لنأتينهم، فانطلقنا حتى أتيناهم في سقيفة بني ساعدة، فإذا رجل مزمّل بين ظهرانيهم، فقلت: من هذا؟ فقالوا: هذا

سعد بن عبادة، فقلت: ما له؟ فقالوا: يوعك، فلما جلسنا قليلاً تشهد خطيبهم فأثنى على اللَّه بما هو أهله، ثم قال: أما بعد: فنحن أنصار اللَّه وكتيبة الإسلام، وأنتم رهط، وقد دفَّت دافَّة من قومكم ــفإذا هم يريدون أن يختزلونا من أصلنا، وأن يحضنونا من الأمر، فلما سكت أردت أن أتكلم وكنت أداري منه بعض الحسد فلما أردت أن أتكلم قال أبو بكر: على رسلك، فكرهت أن أغضبه فتكلم فكان هو أحلم مني وأوقر، واللَّه ما ترك كلمة أعجبتني في تزويري إلا قال في بديهته مثلها أو أفضل منها حتى سكت، فقال: ما ذكرتم فيكم من خير فأنتم له أهل، ولن يعرف هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش، هم أوسط العرب نسبًا ودارًا وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين فبايعوا أيهما شئتم، فأخذ بيدي ويد أبي عبيدة عامر بن الجراح وهو جالس بيننا، فلم أكره مما قال غيرها، كان واللَّه أن أقدم فتضرب عنقي لا يقربني من ذلك إثم أحب إلي من أن أتأمَّر على قوم فيهم أبو بكر، اللَّهم إلا أن تسول إلي نفسي عند الموت شيئًا لا أجده الآن، فقال قائل من الأنصار: أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب، منا أمير ومنكم أمير يا معشر قريش، فكثر اللغط،

وارتفعت الأصوات حتى فرقت من الاختلاف، فقلت: ابسط يدك يا أبا بكر، فبسط يده فبايعته وبايعه المهاجرون ثم بايعته الأنصار»(٣٨) .

فهؤلاء أهل الفضل والحل والعقد اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة، وبايعوا أبا بكر ـ رضي الله عنه ـ.

ثم تلتها بيعة عامة في المسجد لباقي الناس كما أورده البخاري في «صحيحه» عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

أما قصة تولية علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ فقد أوردها ابن كثير في «البداية والنهاية» فقال: «ذكر سيف بن عمر عن جماعة من شيوخه، قالوا: بقيت المدينة خمسة أيام بعد مقتل عثمان وأميرها الغافقي بن حرب يلتمسون من يجيبهم إلى القيام بالأمر، والمصريون يلحون على علي وهو يهرب منهم إلى الحيطان، ويطلب الكوفيون الزبير فلا يجدونه، والبصريون يطلبون طلحة فلا يجيبهم، فقالوا فيما بينهم: لا نولي أحدًا من هؤلاء الثلاثة، فمضوا إلى سعد بن أبي وقاص فقالوا: إنك من أهل الشورى فلم يقبل منهم، ثم راحوا إلى ابن عمر فلم يقبل منهم، فحاروا في أمرهم، ثم قالوا: إن نحن رجعنا إلى أمصارنا بقتل عثمان من غير إمرة اختلف الناس في أمرهم ولم نسلم، فرجعوا إلى علي بن أبي طالب فألحوا عليه، وأخذ الأشتر النخعي بيده فبايعه، وذلك يوم الخميس الرابع والعشرين من ذي الحجة، وذلك بعد مراجعة الناس لهم في ذلك، وكلهم يقول: لا يصلح لها إلا علي، فلما كان يوم الجمعة وصعد المنبر بايعه من لم يبايعه بالأمس(٣٩) .

وقد اختلف في كيفية هذه الطريقة على أقوال:

القول الأول: أن الإمامة لا تصح إلا بإجماع فضلاء الأمة في أقطار البلاد.

القول الثاني: أن الإمامة تصح بعقد أهل حضرة الإمام والموضع الذي فيه قرار الأئمة.

القول الثالث: وإليه ذهب أبو علي مُحَمَّد بن عبد الوهاب الجبائي إلى أن الإمامة لا تصح بأقل من عقد خمسة رجال.

وقد ناقش أبو مُحَمَّد علي بن حزم هذه الآراء فقال: «أما من قال: إن الإمامة لا تصح إلا بعقد فضلاء الأمة في أقطار البلاد فباطل؛ لأنه تكليف ما لا يطاق، وما ليس في الوسع، وما هو أعظم الحرج، والله تعالى لا يكلف نفسًا إلا وسعها، وقال تعالى:﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾[الحج:٧٨]، ولا حرج ولا تعجيز أكثر من تصرف إجماع فضلاء من في المولتان والمنصورة

(٣٨) رواه البخاري «كتاب الحدود» (٦٨٣٠)، باب رجم الحبلى، و«مسند أحمد» (١/٦٥) بتحقيق أحمد شاكر.

(٣٩) «البداية والنهاية» لابن كثير (٧/٢٢٧).

إلى بلاد مِهره إلى عدن إلى أقاصي المصامدة إلى طنجة إلى الأشبونة إلى جزائر البحر إلى سواحل الشام إلى أرمينية إلى جبل الفتح إلى أسمار وفرغانة وأسروشنة إلى أقاصي خراسان إلى الجورجان إلى كابل المولتان، فما بين ذلك من المدن والقرى، ولابد من ضياع أمور المسلمين قبل أن يجمع جزء من مائة جزءِ من فضلاء أهل هذه البلاد، فبطل هذا القول الفاسد مع أنه لو كان ممكنًا لما لزم؛ لأنه دعوى بلا برهان».

وأما قول الجبائي وهو: «أن الإمامة لا تنعقد إلا بخمسة»، فقد ناقشه ابن حزم أيضًا حيث قال: «أما قول الجبائي فإنه تعلق بفعل عمر ـ رضي الله عنه ـ في الشورى، إذ قلدها ستة رجال، وأمرهم أن يختاروا واحدًا منهم، فصار الاختيار منهم بخمسة فقط، وهذا ليس شيئًا لوجوه:

أولها: أن عمر لم يقل: إن تقليد الاختيار أقل من خمسة لا يجوز، بل قد جاء عنه أنه قال: إن مال ثلاثة منهم إلى واحد وثلاثة إلى واحد، فاتبعوا الثلاثة الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف، فقد أجاز عقد ثلاثة.

ووجه ثان وهو: أن فعل عمر رضي الله عنه لا يلزم الأمة حتى يوافق نص قرآن أو سنة، وعمر كسائر الصحابة رضي الله عنهم لا يجوز أن يخصه وجوب اتباعه دون غيره من الصحابة رضي الله عنهم.

والثالث: أن أولئك الخمسة رضي الله عنهم قد تبرءوا من الاختيار، وجعلوه إلى واحد منهم يختار لهم وللمسلمين من رآه أهلاً للإمامة، وهو عبد الرحمن بن عوف وما أنكر ذلك أحدٌ من الصحابة الحاضرين ولا الغائبين إذ بلغهم ذلك، فقد صحَّ إجماعهم على أن الإمامة تنعقد بعقد واحد.

فإن قال قائل: إنما جاز ذلك لأن خمسة من فضلاء المسلمين قلدوه قيل له: إن كان هذا عندك اعتراضًا فالتزم مثله سواء بسواء فمن قال لك: إنما صح عقد أولئك الخمسة لأن الإمام الميت قلَّدهم ذلك، ولولا ذلك لم يجز عقدهم، وبرهان ذلك أنه إنما عقد لهم الاختيار منهم لا من غيرهم، فلو اختاروا من غيرهم لما لزم الانقياد لهم، فلا يجوز عقد خمسة أو أكثر إلا إذا قلدهم الإمام ذلك، أو من قال لك: إنما صح عقد أولئك الخمسة لإجماع فضلاء أهل ذلك العصر على الرضا بمن اختاروه، ولو لم يجمعوا على الرضا به لما جاز عقدهم، وهذا مما لا مخلص منه أصلاً فبطل هذا القول بيقين(٤٠) .

---

(٤٠) منقول بتصرف من كتاب «الفصل في الملل والنحل» (٤/١٦٧).

قلت: وما ذكره أبو مُحَّد من أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كغيره من الصحابة بالأخذ بقوله غير صحيح، لما ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: «اقتدوا باللذين من بعدي:أبي بكر وعمر»(٤١)، ولما ثبت في السنن عنه ﷺ أنه قال: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها»(٤٢) .

وقد روي عن أبي هاشم المعتزلي أنه يرى انعقاد الإمامة بواحد، مستدلاً بظاهر قصة مبايعة عمر ـ رضي الله عنه ـ لأبي بكر الصديق حيث قام وقال: أُمدد يدك أبايعك، وبأن عبد الرحمن بن عوف ـ رضي الله عنه ـ هو الذي عقد الإمامة لعثمان ـ رضي الله عنه ـ كما أيد رأيه هذا بأن قال: من المحتمل أن يموت إمام المسلمين ويفاجئهم العدو أو ينفتح عليهم ثغر، فلو عمدوا إلى التشاور والتداول

والبحث عن أهل الفضل والصلاح والسير الحميدة ليعقدوا للإمام، لغلبهم العدو قبل أن يفرغوا من التداول والتشاور وتعيين الإمام، وهذا ليس بشيء؛ لأن مبايعة عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ لأبي بكر الصديق كانت بموافقة جُل الصحابة الحاضرين في السقيفة، أما مبايعة عبد الرحمن بن عوف لعثمان فكانت برضا أعضاء الشورى حيث وكلوا الأمر إليه وفوضوه في أن يختار الإمام الذي يرى فيه المقدرة على تحقيق مصالح المسلمين.

* * *

المطلب الثاني طريقة العهد والوصية أو الاستخلاف:

وهو أن يعهد الإمام لشخص آخر بالإمامة بعد موته بعد مشاورة أهل الحل والعقد في ذلك، كما عهد أبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ بالخلافة لعمر بن الخطاب من بعده، وكما عهد عمر ـ رضي الله عنه ـ بالخلافة للنفر الستة ليختاروا واحدًا منهم.

فقد ذكر ابن الجوزي في مناقب عمر بن الخطاب عن الحسن بن أبي الحسن رضي الله عنه قال: لما ثقل أبو بكر ـ رضوان الله تعالى عليه ـ واستبان له من نفسه، جمع الناس فقال: إنه قد نزل بي ما ترون، ولا أظني إلا لمأتي، وقد أطلق الله أيمانكم من بيعتي، وحل عنكم عقدتي، ورد عليكم أمركم، فأمِّروا عليكم من أحببتم فإنكم إن أمَّرتم عليكم في حياة مني كان أجدر ألاَّ تختلفوا بعدي، فقاموا في ذلك وحلوا عنه فلم تستقم لهم، فقالوا: أمِّر لنا يا خليفة رسول الله ـ ﷺ ـ، فقال: فلعلكم تختلفون؟

(٤١) المستدرك للحاكم (٤٤٥١) وصححه الذهبي

(٤٢) رواه الترمذي رقم (٢٦٧٦) وصححه الألباني

قالوا: لا، قال: فعليكم عهد الله على الرضا؟ قالوا: نعم، قال: فأمهلوني أنظر لله ولدينه ولعباده، فأرسل أبو بكر إلى عثمان بن عفان ـ ﷺ ـ، فقال: أشر علي برجل، والله إنك عندي لها لأهل موضع، فقال: عمر، فقال: اكتب فكتب حتى انتهى إلى الاسم فغشي عليه ثم أفاق، فقال: اكتب عمر»(٤٣) . وهذه الطريقة هي التي اختارها كثير من العلماء منهم: أبو مُحَمَّد علي بن حزم حيث قال: «إن عقد الإمامة يصح بوجوه:

أولها وأفضلها: أن يعهد الإمام الميت إلى إنسان يختاره إمامًا بعد موته،وسواء فعل ذلك في صحته أو في مرضه أو عند موته إذ لا نص ولا إجماع على المنع من أحد هذه الوجوه، كما فعل رسول الله ﷺ بأبي بكر، وكما فعل أبو بكر بعمر، وكما فعل سليمان بن عبد الملك بعمر بن عبد العزيز، وهذا هو الوجه الذي نختاره ونكره غيره، لما في هذا الوجه من اتصال الإمامة، وانتظام أمر الإسلام وأهله، ورفع ما يتخوف من الاختلاف والشغب مما يتوقع في غيره من بقاء الأمة فوضى، ومن انتشار الأمر، وارتفاع النفوس، وحدوث الأطماع»(٤٤) .

قلت: وقوله كما فعل رسول الله ﷺ بأبي بكر ـ يعني: أن رسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ عهد بالخلافة لأبي بكر الصديق من بعده، وهذا محل خلاف بين العلماء سأحققه فيما بعد .

هذا وإن صنيع ابن خلدون يدل على أنه يفضل عقد الإمامة بالعهد على غيرها من الطرق الأخرى قال في مقدمته: «اعلم أنا قدمنا الكلام في الإمامة ومشروعيتها، لما فيها من المصلحة، وأن حقيقتها النظر في مصالح الأمة لدينهم ودنياهم، فهو وليهم والأمين عليهم ينظر لهم ذلك في حياته ويتبع ذلك أن ينظر لهم بعد مماته ويقيم لهم من يتولى أمورهم، كما كان هو يتولاهم ويثقون بنظره لهم في ذلك، كما وثقوا به فيما قبل، وقد عرف ذلك من الشرع بإجماع الأمة على جوازه وانعقاده، إذ وقع بعهد أبي بكر ـ ﷺ ـ لعمر بمحضر من الصحابة وأجازوه وأوجبوا على أنفسهم به الطاعة لعمر ـ ﷺ، وكذلك عهد عمر في الشورى إلى الستة بقية العشرة وجعل لهم أن يختاروا للمسلمين ففوض بعضهم إلى بعض حتى أفضى ذلك إلى عبد الرحمن بن عوف فاجتهد ونظر في المسلمين فوجدهم متفقين على عثمان وعلي، فآثر عثمان بالبيعة على ذلك لموافقته إياه على لزوم الاقتداء بالشيخين في كل ما يعن دون اجتهاده، فانعقد أمر عثمان لذلك وأوجبوا طاعته والملأ من الصحابة حاضرون للأولى والثانية ولم ينكر أحد منهم، فدل على أنهم متفقون على صحة هذا العهد عارفون بمشروعيته.

---

(٤٣) «مناقب عمر بن الخطاب» لابن الجوزي (ص:٤٧)

(٤٤) «الفصل في الملل والنحل» (٩٦١/٤).

والإجماع حجة كما عُرف ولا يتهم الإمام في هذا الأمر، وإن عهد إلى أبيه أو ابنه لأنه مأمون على النظر لهم في حياته، فأولى أن لا يتحمل فيها تبعة بعد مماته خلافًا لمن قال باتهامه في الولد والوالد، أو لمن خصص التهمة بالولد دون الوالد فإنه بعيد عن الظِّنة في ذلك كله، لاسيما إذا كانت هناك داعية تدعو إليه من إيثار مصلحة أو وقوع مفسدة فتنتفي الظنَّة عند ذلك رأسًا كما وقع في عهد معاوية لابنه يزيد، وإن كان فعل معاوية مع وفاق الناس له حجة في الباب، والذي دعا معاوية لإيثار ابنه يزيد بالعهد دون من سواه إنما هو مراعاة المصلحة في اجتماع الناس واتفاق أهوائهم باتفاق أهل الحل والعقد عليه حينئذ من بني أمية، إذ بنو أمية يومئذٍ لا يرضون سواهم، وهم عصابة قريش وأهل الملة أجمع وأهل الغلبة منهم فآثره بذلك دون غيره ممن يظن أنه أولى بها وعدل عن الفاضل إلى المفضول حرصًا على الاتفاق واجتماع الأهواء الذي شأنه أهم عند الشارع.

وإن كان لا يظن بمعاوية غير هذا فعدالته وصحبته مانعة من سوى ذلك، وحضور أكابر الصحابة لذلك وسكوتهم عنه دليل على انتفاء الريب فيه فليسوا ممن يأخذهم في الحق هوادة، وليس معاوية ممن تأخذه العزة في قبول الحق، فإنهم كلهم أجل من ذلك وعدالتهم مانعة منه، وفرار عبد الله بن عمر من ذلك ـ أي: البيعة ليزيد ـ إنما هو محمول على تورعه من الدخول في شيء من الأمور مباحًا كان أو محظورًا، كما هو معروف عنه ولم يبق في المخالفة لهذا العهد الذي اتفق عليه الجمهور إلا ابن الزبير وندور المخالف معروف»(٤٥) .

أما تولية عثمان ـ رضي الله عنه ـ فقد روى البخاري في «صحيحه» عن عمرو بن ميمون حديثًا طويلاً ثم ذكر: ...فقالوا: أوص يا أمير المؤمنين! استخلف فقال: ما أجد أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض: فسمى عليا، وعثمان، والزبير، وطلحة، وسعدًا، وعبد الرحمن، وقال: يشهدكم عبد الله بن عمر وليس له من الأمر شيء، فإن أصابت الإمرة سعدًا فهو ذلك وإلا فليستعن به أيكم ما أُمِّر، فإني لم أعزله عن عجز ولا خيانة...إلى أن قال الراوي: فلما فرغ من دفنه اجتمع هؤلاء الرهط، فقال عبد الرحمن: اجعلوا أمركم إلى ثلاثة منكم، فقال الزبير: قد جعلت أمري إلى علي، فقال طلحة: قد جعلت أمري إلى عثمان، وقال سعد: قد جعلت أمري إلى عبد الرحمن بن عوف، فقال عبد الرحمن: أيكما تبرأ من هذا الأمر فنجعله إليه والله عليه والإسلام لينظرن أفضلكم في نفسه، فسكت الشيخان، فقال عبد الرحمن:

---

(٤٥) «مقدمة ابن خلدون» (ص٢٦٢).

أتجعلونه إلي والله علي أن لا آلو عن أفضلكم؟ قالا: نعم، فأخذ بيد أحدهما فقال: لك قرابة من رسول الله ﷺ والقدم في الإسلام ما قد علمت، فالله عليك لئن أمَّرتك لتعدلن ولئن أمَّرتُ عُثمان لتسمعن ولتطيعن.
ثم خلا بالآخر فقال مثل ذلك، فلما أخذ الميثاق قال: ارفع يدك أبايعك يا عثمان فبايعه، فبايعه علي وولج أهل الدار فبايعوه(٤٦) .

وقد أجمع الصحابة على جواز العهد، ولم يذكر عن أحد منهم خلاف ذلك. وروى الإجماع كثير من العلماء منهم: الماوردي في «الأحكام السلطانية» حيث قال: «وأما انعقاد الإمامة بعهد من قبله فهو مما انعقد الإجماع على جوازه، ووقع الاتفاق على صحته»(٤٧) .
قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم: «حاصله أن المسلمين أجمعوا على أن الخليفة إذا حضرته مقدمات الموت وقبل ذلك يجوز له الاستخلاف، ويجوز له تركه، فإن تركه فقد اقتدى بالنبي ﷺ في هذا، وإلا فقد اقتدى بأبي بكر ـ رضي الله تعالى عنه ـ، وأجمعوا على انعقاد الخلافة بالاستخلاف»(٤٨) .

* * *

المطلب الثالث طريقة القهر والغلبة:

هي أن يتغلب شخص ما على المسلمين ويقهرهم بسيفه ويفرض عليهم سلطانه، فيتم له الأمر وتسلم له الأمة، فإنه يكون بهذا التغلب إمامًا شرعيا، تجب الطاعة بموجبه، كما حصل لمعاوية بن أبي سفيان ـ رضي الله عنهما ـ حين ظهر على الأمة وقهرها، استولى على مقاليد أمورها، واستتب له الأمر بعد مقتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وتنازل الحسن بن علي عن الخلافة، فإذا استسلمت الأمة لهذا الإمام، ودانت له بالطاعة، فلا يجوز الخروج عليه ولا منازعته الأمر، بل يصبح إمامًا شرعيا واجب الطاعة.

---

(٤٦) رواه البخاري في «كتاب فضائل الصحابة»، باب قصة البيعة والاتفاق على عثمان رقم (٣٧٠٠) (٩٥/٧) مع «الفتح»، وانظر «مسند أحمد» (٢٩١/١) و «البداية والنهاية» (٥٤١/١٧) .

(٤٧) «الأحكام السلطانية» للإمام الماوردي (ص:٥٣).

(٤٨) «صحيح مسلم بشرح النووي» (٥٠٢/٥١).

قال الإمام النووي في «روضة الطالبين»: «أما الطريق الثالث: فهو القهر والاستيلاء، فإذا مات الإمام فتصدى للإمامة من جمع شرائطها من غير استخلاف ولا بيعة، وقهر الناس بشوكته وجنوده، انعقدت خلافته، لينتظم شمل المسلمين، فإن لم يكن جامعًا للشرائط، بأن كان فاسقًا أو جاهلاً فوجهان: أصحهما: انعقادها لما ذكرناه، وإن كان عاصيا بفعله(٤٩)، وهو أيضًا ما ذهب إليه الإمام أحمد(٥٠)، ومالك(٥١) والشافعي(٥٢) والقرطبي(٥٣) وشيخ الإسلام ابن تيمية(٥٤) ، وابن حجر(٥٥) ، والإمام مُحَمَّد بن عبد الوهاب(٥٦)، رحمهم الله تعالى».

ولكن هذه الطريقة ليست من الطرق الشرعية، ولا يجوز الإقدام عليها إلا لمصلحة الأمة، ويسمى في وقتنا هذا بالانقلاب العسكري.

* * *

المطلب الرابع ترجيح طريقة الاختيار:

وحيث قد ذكرت أن طريقة الاختيار أولى في نظري من طريقة العهد، وطريقة التغلب على السلطة بالقوة، فلابد من ذكر أمور أرجح بها هذه الطريقة:

الأمر الأول: أن اجتماع أهل الحل والعقد وأهل الفضل والصلاح وتشاورهم في اختيار الإمام من أروع صور الشورى بين المسلمين، وإن لم يكن هذا هو عين الشورى فماذا يكون؟ وأضيف إلى هذه الحقيقة أن يكون الاختيار أساسه الشورى كان هو رأي عمر نفسه، فقد روى عنه عبد الرزاق في «المصنف» أنه قال: «الإمارة شورى»، وروى عنه بسند قوله: «من دعا إلى إمارة نفسه أو غيره من غير شورى من المسلمين فلا يحل لكم إلا أن تقتلوه»(٥٧) وروى عنه ولده عبد الله بن عمر أنه قال لأهل الشورى قبل وفاته: «من تأمر منكم من غير شورى من المسلمين فاقتلوه»(٥٨).

---

(٤٩) «روضة الطالبين» (٦٤/١٠).

(٥٠) انظر: «الأحكام السلطانية» لأبي يعلى (ص:٣٢).

(٥١) انظر: «الاعتصام» للشاطبي (٢٨١/٢).

(٥٢) انظر: «مناقب الشافعي» للبيهقي (٩٤٤/١).

(٥٣) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» (٩٦٢/١).

(٥٤) انظر: «منهاج السنة النبوية» (٢٤١/١).

(٥٥) انظر: «فتح الباري» (٧/٧٣١).

(٥٦) انظر: «الدرر السنية» (٩٣٢/٧).

(٥٧) مصنف عبد الرزاق (٩٧٥٩)

(٥٨) مصنف عبد الرزاق (٩٧٧٦)

وإذا كانت الشورى هي طريقة اختيار الحاكم فإن ذلك يعني أن الأمة يجب أن يكون لها رأي فيمن يتولى شئون الحكم في الدولة الإسلامية، فمسئولية الاختيار راجعة إلى الأمة نفسها، وقد كان حكم عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ في ذلك واضحًا حين قرر أن من حاول أن يفرض نفسه أو غيره دون رضا المسلمين المبني على مشاورتهم ـ وجب أن يعاقب عقاب المفسدين في الأرض «فلا يحل لكم إلا أن تقتلوه».

وليس في أصول الإسلام ـ القرآن والسنة ـ ولا في المأثور عن الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ أن هناك وسيلة معينة لإجراء هذه الشورى، ولا نظامًا محددًا لتطبيقها؛ وذلك لأن هذا الأمر مما لا يجوز حمل الناس بشأنه على طريقة واحدة لا تتغير وإنما يجب أن تراعى فيه ظروف الزمان والمكان، وليس أدل على صحة هذا الفهم من أن أسلوب الشورى التي سبقت اختيار كل واحد من الخلفاء الأربعة الراشدين كان مختلفًا تأثرًا بالظروف التي سبقت وعاصرت اختيار كل خليفة، وقد تختلف أساليب الشورى وتتعدد صورها ويبقى مع ذلك الهدف واحدًا وواضحًا، وليس ثمة جدال في أن أسلوب الشورى اليوم لا يمكن أن يتفق مع أي من الأساليب التي اتبعت في اختيار الخلفاء الراشدين لكن ذلك ليس هو الأمر الأساس، إنما الأمر الأساس أن لا تفقد الأمة حقها في اختيار حاكمها وأن تمارس حقها في الشورى في ظل مختلف الظروف(٥٩) .

الأمر الثاني: أن الطريقة التي تم فيها عقد الإمامة لخليفة رسول الله ﷺ وأول رئيس للدولة الإسلامية بعد وفاة الرسول ﷺ كان بالاختيار أعني: عقد الإمامة لأبي بكر الصديق رضي الله عنه فقد اجتمع الصحابة رضوان الله عليهم بعد وفاة النبي ﷺ مباشرة وقبل أن ينظروا في أي شيء في سقيفة بني ساعدة للنظر في اختيار من يخلف النبي ﷺ في قيادة الأمة، وجرى التداول بينهم في هذا الشأن، فتعددت الاقتراحات، واختلفت الآراء فيمن يكون رئيسًا للدولة، فالأنصار يرون أنهم أحق بها لأنهم آووا النبي ﷺ ونصروه وأيدوه في دعوته وبذلوا في سبيل نصرته كل غال ونفيس، والمهاجرون يرون أنهم أحق بها؛ لأنهم قوم النبي ﷺ، وأول من اتبعه وهاجر معه وترك الأهل والوطن في سبيل نصرته ﷺ ولما كان الهدف من ذلك الاجتماع وتلك الاقتراحات هو التوصل إلى ما فيه صلاح الأمة ـ وانتظام شأنها ـ اتفق المجتمعون على ترشيح أبي بكر الصديق واختياره إمامًا وخليفة لرسول الله ﷺ، ولقد أجمع المسلمون عدا الرافضة على أن أبا بكر الصديق هو أولى الأمة بخلافة رسول الله ﷺ، إلا أنه جرى خلاف بينهم: هل كان عقد الإمامة له بالاختيار أو بعهد من

---

(٥٩) بتصرف من كتاب «النظام السياسي للدولة الإسلامية» للعوا (ص:٨٠).

النبي ﷺ؟ فالقول المختار في هذه المسألة: أن النبي ﷺ لم يعهد بالخلافة لأحد لا لأبي بكر، ولا لغيره، وإنما الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ نظروا فوجدوا خيرهم وأفضلهم وأحبهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر، فاتفقوا على اختياره من بينهم، وقلدوه أمورهم، فهذا الرأي هو الذي عليه اتفق المحققون من أهل التواريخ والسير.

ومن أقوى ما يستدل به على هذا الرأي أن عقد الإمامة كان بالاختيار وأن النبي ﷺ لم يعهد له بها ـ اختلاف الصحابة فيمن يخلف الرسول ﷺ؛ لأنه كان متقررًا لدى كل مسلم أن الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ لا يعارضون أمرًا له ﷺ، فلو كان قد عهد بالخلافة لأبي بكر لما وقع الخلاف المتقدم بينهم.

يوضح هذا أنه لما روي قوله ﷺ:«الأئمة من قريش»(٦٠) انصاع لهذا النص الجميع، وسلموا ولم يبق في نفس أحد شيء من عقد الإمامة لأبي بكر الصديق، وقد روى عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أنه قال: «لما أصيب عمر قيل له: استخلف يا أمير المؤمنين؟ قال: إن أستخلف فلقد استخلف من هو خير مني ـ يعني: أبا بكر ـ وإن لا أستخلف فلم يستخلف من هو خير مني ـ يعني: رسول الله ﷺ ـ»(٦١) .

وهذا نص صريح من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ على أن الرسول ﷺ لم يوص لأبي بكر بالخلافة، وقد روي عن عائشة رضي الله عنها أنها سئلت: «من كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مستخلفًا لو استخلف؟»(٦٢) ، وهذا يوضح أن الرسول عليه الصلاة والسلام لم يستخلف أي أحد ولم يعهد لأحد بالخلافة.

وأهل الرأي الثاني يذهبون إلى أن عقد الإمامة لأبي بكر كان بعهد ووصية من الرسول عليه الصلاة والسلام وهذا يتنافى مع ما قدمت من أدلة، وما يحتج به أهل هذا الرأي من أدلة يزعمون أنها تدعم قولهم وتؤيده فسأناقشها بعد عرضها وأبين أنها لا تدل على ما ذهبوا إليه.

* * *

---

(٦٠) أخرجه أحمد في «المسند» (٣٨١/٣)، وأخرجه أيضًا البخاري ومسلم بغير هذا اللفظ.

(٦١) أخرجه البخاري في كتاب «الأحكام» باب (١٥) (٢٠٦/١٣ فتح)، ومسلم في «كتاب الإمارة» (١١) (٢٠٤/١٢ شرح النووي)، وأحمد في «المسند» (٣٤/١)، والترمذي في كتاب «الفتن» (٤١) (٢٠٥/٤)، وأبو داود كتاب «الإمارة» (٧٥١/٨ عون).

(٦٢) أخرجه مسلم «فضائل الصحابة» (٢٣٨٥) وأيضًا أخرجه أحمد في «المسند» (٢٤٣٤٦)

المطلب الخامس إمامة أبي بكر الصديق:

اختلف أهل العلم في نصية الإمامة لأبي بكر الصديق من النبي ﷺ ومن أدلة من قال بنصية إمامته رضي الله عنه ما يلي:

الدليل الأول: ما رواه البخاري ومسلم في «صحيحيهما» عن جبير بن مطعم قال: أتت امرأة إلى النبي ﷺ فأمرها أن ترجع إليه، قالت: أرأيت إن جئت فلم أجدك؟ كأنها تريد الموت، قال: «إن لم تجديني فآتي أبا بكر»(٦٣).

الدليل الثاني: ما في «الصحيحين» عن عائشة رضي الله عنها وعن أبيها قالت: قال لي رسول الله ﷺ: «ادعي لي أباك وأخاك حتى أكتب كتابًا فإني أخاف أن يتمنى متمنٍ ويقول قائل: أنا أولى» ثم قال: «ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر»(٦٤) . وفي رواية: «فلا يطمع في هذا الأمر طامع».

وفي رواية قال: «ادعي لي عبد الرحمن بن أبي بكر لأكتب لأبي بكر كتابًا لا يختلف عليه» ثم قال: «معاذ الله أن يختلف المؤمنون في أبي بكر»(٦٥) .

الدليل الثالث: ما رواه حذيفة بن اليمان رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «اقتدوا باللَّذين من بعدي أبي بكر وعمر»(٦٦) .

الدليل الرابع: تقديم النبي ﷺ (له في إمامة الصلاة أيام مرضه)(٦٧) .

الدليل الخامس: قوله ﷺ: «لو كنت متخذًا من أهل الأرض خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً»(٦٨) .

---

(٦٣) رواه البخاري في «كتاب الأحكام» باب (١٥) (٢٠٦/١٣) مع «الفتح»، ورواه مسلم في «كتاب الفضائل» باب فضائل أبي بكر (١٨٥٦/٤) حديث رقم (٢٣٨٦).

(٦٤) البخاري «كتاب الأحكام»، باب: (١٥) (٢٠٥/١٣)، ومسلم «كتاب فضائل الصحابة»، باب: فضائل أبي بكر حديث رقم (٢٣٨٧) (١٨٥٧/٤).

(٦٥) أخرجه أحمد في «المسند» (٢٤١٩٩) ومسند أبي داود الطيالسي حديث رقم (١٦١١).

(٦٦) أخرجه الترمذي «كتاب المناقب» باب في مناقب أبي بكر وعمر حديث رقم (٣٦٦٢)،(٣٦٦٣)، وابن ماجه: في «المقدمة» باب في فضائل أصحاب رسول الله ﷺ حديث (٧٩)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» برقم (٣٥١١)، وفي «سلسلة الأحاديث الصحيحة» برقم (٣٣٢١).

(٦٧) أخرجه البخاري: «كتاب الأذان» باب أهل العلم والفضل أحق بالإمامة، حديث (٦٧٨)،(٦٧٩)،(٦٨٢)، ومسلم «كتاب الصلاة» باب استخلاف الإمام إذا عرض له عذر من مرض وسفر وغيرهما من يصلي بالناس، وحديث (٩٤ - ٩٦ - ١٠١).

(٦٨) أخرجه البخاري: «كتاب فضائل الصحابة» باب قول النبي ﷺ «لوكنت متخذًا خليلاً»، حديث (٣٦٥٦ - ٣٦٥٨)، ومسلم كتاب «فضائل الصحابة»، باب من فضائل أبي بكر (ج٣ - ٧).

الدليل السادس: ما في «الصحيحين» عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بينما أنا نائم رأيتني على قليب عليها دلو فنزعت منها ما شاء الله ثم أخذها ابن أبي قحافة فنزع منها ذنوبًا أو ذنوبين وفي نزعه ضعف والله يغفر له، ثم استحالت غربًا فأخذها ابن الخطاب فلم أر عبقريا من الناس يفري فريه حتى ضرب الناس بعطن»(٦٩) .

الدليل السابع: حديث أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: بعثني بنو المصطلق إلى رسول الله ﷺ أن سَلْه إلى من ندفع صدقاتنا بعدك؟ فأتيته فسألته فقال: «إلى أبي بكر»(٧٠) .

هذا أقوى ما استدل به القائلون بأن عقد الإمامة لأبي بكر كان بالنص.

ونحن إذا تأملنا هذه الأدلة ومحصناها متجردين من التعصب للرأي ـ وجدناها لا توصل إلى ما ذهبوا إليه، وغاية ما تدل عليه فضل أبي بكر وأولويته في الخلافة، وهذا محل اتفاق بين الجميع لم يقع فيه خلاف، إنما الخلاف الذي وقع: هل الرسول ﷺ عهد بالخلافة أو لم يعهد بها له؟

أما الدليل الأول وهو أن امرأة أتت إلى النبي ﷺ فأمرها أن ترجع إليه، قالت: أرأيت إن جئت فلم أجدك؟ ـ كأنها تريد الموت ـ قال: «إن لم تجديني فآتي أبا بكر»، فهو لا يدل على استخلاف الرسول ﷺ لأبي بكر، لأنه يحتمل أن المرأة أتت النبي ﷺ لتسأله عن مسألة علمية، أو تسأله عن حاجة دنيوية، وإذا كان الدليل محتملاً بطل الاستدلال به.

وأما استدلالهم بما في «الصحيحين» عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ وعن أبيها قالت: قال لي رسول الله ﷺ: «ادعي لي أباك وأخاك حتى أكتب كتابًا فإني أخاف أن يتمنى متمن ويقول قائل: أنا أولى»، ثم قال: «يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر»

وفي رواية: «فلا يطمع في هذا الأمر طامع» ، وفي رواية قال: «ادعي لي عبد الرحمن بن أبي بكر لأكتب لأبي بكر كتابًا لا يختلف عليه»، ثم قال: «مَعاذ الله أن يختلف المؤمنون في أبي بكر» .

فمعارض:

أولاً: باحتمال أن يكون أراد ﷺ أن يكتب لأبي بكر كتابًا يتعلق بشئون أهله من بعده أو بتوليته منصبًا دينيا كإمامة الصلاة أو غيرها.

وثانيا: وهو الأقوى أن الرسول ﷺ لم يكتب لأبي بكر كتابًا.

---

(٦٩) أخرجه البخاري «كتاب فضائل الصحابة» باب مناقب عمر حديث رقم (٢٨٦٣)، ومسلم حديث رقم (٧١).

(٧٠) رواه الحاكم (٧٧/٣) وصححه ووافقه الذهبي.

أما استدلالهم بحديث حذيفة بن اليمان عن النبي ﷺ أنه قال: «اقتدوا باللذين من بعدي: أبي بكر وعمر» فمُعارض بأنه لو دل على أن الرسول ﷺ نص على خلافة أبي بكر ـ للزمت الدلالة منه على أن الرسول ﷺ نص على خلافة عمر، وهذا لم يقل به أحد ممن يعتد بقوله.

أما استدلالهم بتقديمه عليه الصلاة والسلام لأبي بكر في الصلاة ـ فلا يلزم منه أن يكون خليفة له في الإمامة العظمى لأن إمامة الصلاة تختلف عن الإمامة العظمى وليس كل من يصلح للقيام بإمامة الصلاة يصلح لتولي الإمامة.

وأما قوله عليه الصلاة والسلام: «لو كنت متخذًا من أهل الأرض خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً»، وقوله عليه الصلاة والسلام أيضًا يقول:«بينما أنا نائم رأيتني على قليب عليها دلو فنزعت منها ما شاء الله ثم أخذها ابن أبي قحافة فنزع منها ذنوبًا أو ذنوبين وفي نزعه ضعف والله يغفر له، ثم استحالت غربًا فأخذها ابن الخطاب فلم أر عبقريا من الناس يفري فريه حتى ضرب الناس بعطن»(٧١) ـ فغاية ما فيهما الدلالة على فضل أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ وهذا محل اتفاق لا خلاف فيه؛ فاتضح بيقين أن خلافة أبي بكر الصديق كانت بالاختيار والاتفاق من الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ وأن الرسول ﷺ لم ينص على أحد بالخلافة لا لأبي بكر ولا علي ولا العباس ولا غيرهم.

قال ابن تيمية رحمه الله تعالى في هذه المسألة، حيث قال في «منهاج السنة»: «التحقيق أن النبي ﷺ دلَّ المسلمين على استخلاف أبي بكر وأرشدهم إليه بأمور متعددة من أقواله وأفعاله، وأخبر بخلافته إخبار راض بذلك حامد له» إلى أن قال: «فخلافة أبي بكر الصديق دلت النصوص الصحيحة على صحتها وثبوتها ورضا الله ورسول الله ﷺ له بها، وانعقدت بمبايعة المسلمين له واختيارهم إياه اختيارًا استندوا فيه إلى ما علموه من تفضيل الله ورسوله بها وأنها حق وأن الله أمر بها وقدرها، وأن المؤمنين يختارونها وكان هذا أبلغ من مجرد العهد بها، لأنه حينئذ يكون طريق ثبوتها العهد، وأما إذا كان المسلمون اختاروه من غير عهد ودلت النصوص على صوابهم فيما فعلوه ورضا الله ورسوله بذلك كان دليلاً على أن الصديق كان فيه من الفضائل التي بان بها عن غيره ما علم المسلمون به أنه أحقهم بالخلافة فإن ذلك لا يحتاج إلى عهد خاص»(٧٢)، ولو كانت الخلافة منصوصًا عليها لأبي بكر ـ رضي الله عنه ـ من النبي ﷺ لما أخذ أبو بكر بيدي عمر وأبي عبيدة بن

---

(٧١) صحيح البخاري (٣٦٦٤)

(٧٢) «منهاج السنة» لابن تيمية (١/١٣٩- ١٤٢).

الجراح في السقيفة وقوله: «قد اخترت لكم أحد هذين الرجلين فبايعوا أيهما شئتم» في القصة التي أوردها البخاري في كتاب الحدود، فلو أن هنالك عهدًا لما جاز لأبي بكر أن يحيد عنه.

* * *

المطلب السادس العهد إلى الأبناء:

أصبح من المألوف منذ قيام الدولة الأموية إلى يومنا هذا عهد الآباء إلى الأبناء أو الإخوة.

وقد اختلف أهل العلم في جواز ذلك إلى قولين:

القول الأول: الجواز في ذلك لأنه أمير الأمة، والأعلم بالأصلح لها، وأمره نافذ عليهم ووجب عليهم السمع والطاعة له.

قال ابن خلدون في «مقدمته»: «ولا يتهم الإمام في هذا الأمر، وإن عهد إلى أبيه أو ابنه؛ لأنه مأمون النظر لهم في حياته، فأولى أن لا يتحمل فيها تبعة ما بعد مماته، خلافًا لمن قال باتهامه في الولد والوالد، أو لمن خصص اتهامه بالولد دون الوالد، فإنه بعيد عن الظنة في ذلك كله، لاسيما إذا كانت هناك داعية تدعو إليه من إيثار مصلحة أو توقع مفسدة فتنتفي الظنة عند ذلك رأسًا، كما وقع في عهد معاوية لإيثار ابنه يزيد بالعهد دون سواه...إنما هو مراعاة المصلحة في اجتماع الناس»(٧٣) .

القول الثاني: عدم الجواز، وذلك لأن العهد كالشهادة فلا تقبل شهادة الرجل لأصوله ولا لفروعه.

الترجيح: والذي يترجح عندي هو الرأي الثاني، فإن الخلفاء الراشدين كانوا أبعد عن هذا الأمر، فأبو بكر لم يعهد لابنه من بعده بل عهد إلى عمر ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ، وعمر لم يعهد إلى ابنه بل جعلها شورى بين الستة وجعله من أهل الشورى، وشدد على أنه ليس له من الأمر شيء فلا يتولى الخلافة، وكذلك عثمان لم يعهد إلى أحد من أقاربه، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه حين سأله رجل: ألا تعهد يا أمير المؤمنين؟ قال: لا؛ ولكني أترككم كما ترككم رسول الله صلى الله عليه وسلم(٧٤) .

فوجب علينا الاقتداء بهؤلاء الأعلام والسير على نهجهم، وأخذ سنتهم رضي الله عنهم، ومن أجاز العهد للأبناء إنما اشترط رجحان وتيقن المصلحة وأمن الفتنة، وإلا فإن الإمامة لا تُورث وليست حكرًا على عائلة بعينها لا تخرج منها.

---

(٧٣) «المقدمة لابن خلدون» (ص٥١٢) بتصرف.

(٧٤) انظر: «مسند أحمد» بتحقيق العلامة أحمد شاكر (٢٤٢/٢)، وقال إسناده صحيح، وأخرجه أيضًا الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٣٦/٩) وقال فيه: رجاله رجال الصحيح غير عبد الله بن سبيع وهو ثقة.

قال ابن خلدون: «وأما أن يكون القصد بالعهد حفظ التراث على الأبناء فليس من المقاصد الدينية، إذ هو أمر من الله يخصُّ به من يشاء من عباده، وينبغي أن تحسن فيه النية ما أمكن خوفًا من العبث بالمناصب الدينية، والملك لله يؤتيه من يشاء»(٧٥) وشدد ابن حزم رحمه الله على هذا الأمر فقال: «لا خلاف بين أحد من أهل الإسلام في أنه لا يجوز التوارث فيها»(٧٦).

* * *

المبحث الثالث رأي الشيعة في الإمامة:

اعلم أن الشيعة لغة: هم الصحب والأتباع.

ويطلق في عرف الفقهاء والمتكلمين من الخلف والسلف على: أتباع علي بن أبي طالب وبنيه رضي الله عنهم.

ومذهبهم جميعًا المتفقون عليه أن الإمامة ليست من المصالح العامة التي تفوض إلى نظر الأمة، ويتعين القائم بها بتعيينهم بل هي ركن الدين وقاعدة الإسلام، ولا يجوز لنبي إغفالُهُ، ولا تفويضه إلى الأمة، بل يجب عليه تعيين الإمام لهم، ويكون معصومًا من الكبائر والصغائر، وأن عليا ـ رضي الله عنه ـ هو الذي عينه صلوات الله وسلامه عليه بنصوص ينقلونها ويؤولونها على مقتضى مذهبهم لا يعرفها جهابذة السنة ولا نقلة الشريعة، بل أكثرها موضوع أو مطعون في طريقه، أو بعيد عن تأويلاتهم الفاسدة.

وتنقسم هذه النصوص عندهم إلى جلي وخفي:

فالجلي مثل قوله: «من كنت مولاه فعلي مولاه»(٧٧) قالوا: ولم تطرد هذه الولاية إلا من علي، ولهذا قال له عمر: أصبحت مولى كل مؤمن ومؤمنة، ومنها قوله: «أقضاكم علي» ولا معنى للإمامة إلا القضاء بأحكام الله وهو المراد بأولي الأمر الواجبة طاعتهم بقوله: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: ٥٩] والمراد الحكم والقضاء، ولهذا كان حَكَمًا في قضية الإمامة يوم السقيفة دون غيره، ومنها قوله: «من يبايعني على روحه وهو وصي وولي هذا الأمر من بعدي؟» فلم يبايعه إلا علي.

---

(٧٥) «المقدمة لابن خلدون» (ص:١٦٢).

(٧٦) «الفصل في الملل والنحل» لابن حزم (١٦٧/٤).

(٧٧) أخرجه الترمذي: «كتاب المناقب» باب مناقب علي بن أبي طالب ﷺ، حديث (٣٧١٣)،وابن ماجه «المقدمة» باب في فضائل أصحاب رسول الله ﷺ، حديث (١٢١)، وذكره العلامة الألباني في «سلسلة الأحاديث برقم (١٧٥٠)، وفي «صحيح الجامع» برقم (٦٣٩٩).

ومن الخفي عندهم بعث النبي ﷺ عليا لقراءة سورة براءة في الموسم حين أنزلت؛ فإنه بعث بها أولاً أبا بكر ثم أوحي إليه: ليبلغه رجل منك أو من قومك، فبعث عليا ليكون القارئ المبلغ، قالوا: وهذا يدل على تقديم علي، وأيضًا فلم يعرف أنه قدم أحدًا على (علي).

وأما أبو بكر وعمر فقدم عليهما في غزوتين أسامة بن زيد مرَّةً وعمرو بن العاص مرة أخرى، وهذه كلها أدلة شاهدة بتعين علي للخلافة دون غيره، فمنها ما هو غير معروف، ومنها ما هو بعيد عن تأويلهم، ثم منهم من يرى أن هذه النصوص تدل على تعيين علي وتشخيصه، وكذلك تنتقل منه إلى من بعده وهؤلاء هم الإمامية، ويتبرءون من الشيخين حيث لم يقدما عليا ويبايعاه بمقتضى هذه النصوص.

ثم اختلفت أقوال هؤلاء الشيعة في مساق الخلافة بعد علي: فمنهم من ساقها في ولد فاطمة بالنص عليهم واحدًا بعد واحد ـ على ما يذكر بعد ـ وهؤلاء يسمون: الإمامية نسبة إلى مقالتهم باشتراط معرفة الإمام وتعيينه في الإيمان، وهي أصل عندهم، ومنهم من ساقها في ولد فاطمة لكن بالاختيار من الشيوخ، ويشترط أن يكون الإمام منهم عالمًا زاهدًا جوادًا شجاعًا داعيا إلى إمامته، وهؤلاء هم الزيدية نسبة إلى صاحب المذهب، وهو زيد بن علي بن الحسين السبط، وقد كان يناظر أخاه محمدًا الباقر على اشتراط الخروج على الإمام، فيلزمه الباقر أن لا يكون أبوهما زين العابدين إمامًا لأنه لم يخرج ولا تعرض للخروج، وكان مع ذلك ينعي عليه مذاهب المعتزلة، وأخذه إياها عن واصل ابن عطاء، ولما ناظر الإمامية زيدًا في إمامة الشيخين، ورأوه يقول بإمامتهما ولا يتبرأ منهما ـ رفضوه ولم يجعلوه من الأئمة، وبذلك سموا رافضة.

ومنهم من ساقها بعد علي وابنيه السبطين على اختلافهم في ذلك إلى أخيهما مُحَّد ابن الحنفية، ثم إلى ولده، وهم الكيسانية نسبة إلى كيسان مولاه، وبين هذه الطوائف اختلافات كثيرة تركناها اختصارًا(٧٨) .

* * *

(٧٨) انظر: «مقدمة ابن خلدون» (ص:١٥٥).

الفصل السادس في أهل الحل والعقد

المبحث الأول الصفات المعتبرة في أهل الحل والعقد:

اعلم أنه لابد أن تتحقق صفات فيمن يتولون عقد الإمامة، وهم أهل الاختيار أي: الذين يلزمهم تولي أمر نصب الإمام بعد أن يجتهدوا في التشاور والنظر فيمن يرضون به إمامًا للأمة وهذه الصفات منها:

١ ـ العدالة الجامعة لشروطها.

٢ ـ العلم الذي يتوصل به إلى معرفة من يستحق الإمامة على الشروط المعتبرة منهم.

٣ ـ الرأي والحكمة المؤديان إلى اختيار من هو للإمامة أصلح، وبتدبير المصالح أقوم وأعرف، وليس لمن كان في بلد الإمام على غيره من أهل البلاد فضل مزية تقدمه على غيره، وإنما صار من يحضر ببلد الإمام متوليا لعقد الإمامة عرفًا لا شرعًا، لسبق علمهم بموته، ولأن من يصلح للخلافة في الأغلب موجودون في بلده(٧٩) .

وقد اشترط جمهور العلماء هذه الصفات في العاقدين لأن من لا يعرف جملة الدين لا يعرف من يصلح للإمامة، فلابد أن يكون عارفًا بذلك، ومتى لم يعرف من يصلح للإمامة لم يكن له طريق إلى اختيار الإمام، فلابد من أن يعرف ذلك، ولابد من أن يكون من أهل الرأي؛ لأنه يحتاج في ذلك إلى تقديم واحدٍ على آخر لأحوال ترجع إلى الدين، وإلى الشجاعة وغيرها، ومتى لم يلزم أهل الرأي لم يصح ذلك فيه.

ولابد من أن يكون من أهل السير والصلاح، ليوثق باختياره، ولأن أمر الإمامة أعظم من غيرها من الولايات، فإذا قدح الفسق في جميعها وقدح في الشهادة والقضاء فبأن يقدح في اختيار الإمام أولى.

ولا يجب أن يكون من صفتهم أن يكونوا أفضل من في الزمان، لأنه قد ثبت أن فيمن عقد لأبي بكر من لم يقاربه الفضل فلابد أن يعتبر في العاقدين ما ذكر(٨٠) .

* * *

---

(٧٩) «الأحكام السلطانية» للماوردي (ص٦).

(٨٠) «المغني» لعبد الجبار الهمداني (ص:٢٦٧).

المبحث الثاني الشروط المعتبرة في الإمام الأعظم:

وحيث قد انتهيت من الكلام على بيان حكم نصب الإمام، وكيفية عقد الإمامة، والشروط المعتبرة في العاقدين، فلابد من بيان شروط الإمام، ولقد اختلفت عبارات العلماء في بيان الشروط المعتبرة في الإمام على أقوال منهم من يحصرها في أربعة، ومنهم من يزيد على ذلك، ومنهم من ينقص، ومنهم من يقسمها إلى شروط واجبة وشروط مستحبة، وسأبينها وأذكر المتفق عليه منها والمختلف فيه.

فمن الشروط المتفق عليها:

أولاً: الإسلام:

لأن غير المسلم لا ينبغي أن يكون له ولاية على المسلمين، لقوله تعالى: ﴿ وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً ﴾ [النساء: ١٤١]، ولا سبيل أعظم من الولاية العظمى، ولأن ديننا قد أوجب على اليهود والنصارى أن يؤخذوا بالجزية والصغار حتى يسلموا، أما من كان من غير أهل الكتاب من الكفار فحكمه القتل؛ إلا أن يسلم، فلا يتصور تنصيب أحد

من هؤلاء مع ما ذُكر فيه من الصفات ـ إمامًا للمسلمين،؛ ولأنه لا خلاف أن إمامة الكافر لا تصح، ولأنه ـ أي: الإمام ـ أعلى درجة من الحاكم والأمير، فإذا لم يصح منهما إلا أن يكونا مسلمين فبأن لا يصح ذلك في الإمام أولى.

ثانيا: الذكورية:

وهذا محل إجماع من علماء الأمة(٨١) ولم يعرف عن أحد أنه جوز إمامة المرأة، لقوله صلى الله عليه وسلم: «لن يفلح قوم ولَّوا أمرهم امرأة»(٨٢)، ولأن المرأة غالبًا لا تتمتع بالصفات التي يتمتع بها الرجل من الشجاعة وبعد النظر؛ ولأن المرأة سريعة العاطفة، ولأن الشارع جعل للرجل الولاية على المرأة في النكاح؛ ولأن الرجال قوامون على النساء، كما قال تعالى: ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِم ﴾[النساء:٣٤].

ثالثًا: العدالة:

لأنه قد ثبت أن العدالة مطلوبة في الشاهد والحاكم، ولا خلاف أن الإمامة أعلى منزلة منهما فيما يتعلق بأمر الدين لأن إليه ما إليهما وزيادة، فإذا كان الفسق يمنع من كونه شاهدًا وحاكمًا فبأن يمنع من كونه إمامًا أولى.

---

(٨١) انظر: «مراتب الإجماع» لابن حزم (ص١٢٥)، وكذلك تفسير الشنقيطي المسمى «أضواء البيان» (١/٥٥).

(٨٢) أخرجه البخاري، «كتاب المغازي» (١٢٦/٨) (٤٤٢٥)، من حديث أبي بكرة.

ولا يرد على هذا أن يقال: الفاسق تصح إمامته في الصلاة، وإن كان فاسقًا فكذلك الإمام الأعظم فتجوز إمامته وإن كان فاسقًا؛ لأن إمامته في الصلاة لا يتعلق بها حقوق للغير كما تتعلق بالإمامة العظمى، وحيث وجد الفرق فلا يصح قياس الإمامة العظمى على إمامة الصلاة؛ ولأن من واجبات الإمام الأعظم أن يقوم بالحقوق: كالحدود والأحكام والإنصاف وأخذ الأموال من وجوهها وصرفها في حقها، والفاسق لا يؤتمن على ذلك، وكذلك القول في الأمر بالمعروف، إذ الفسق لا يمنع عنه؛ لأنه لا يتصل بالحقوق مضار الإمام كالحاكم في وجوب كونه عدلاً(٨٣) .

رابعًا: العلم:

اعلم أنه لا يشترط في الإمام الأعظم أن يكون عالما بجميع العلوم، وشتى الفنون، ومختلف اللغات؛ لأن هذا أمر يعسر العثور على من يتصف به، وإنما العلم المشترط في الإمام أن يكون عالما، أو في حكم العالم بما يتصل بالأحكام والشرائع.

يبين ذلك أن الحاكم يقوم بالأمور التي يقوم هو بها، فإذا لم يعتبر في الحاكم إلا ما ذكرناه فكذلك القول في الإمام.

وبعد فلا يخلو إذا قال المخالف: يجب أن يعلم أكثر مما ذكر أن يوجب في كونه عالما أن يستقل بنفسه وأن لا يحتاج إلى غيره في شيء من الأحكام، أو يجوز ذلك منه، فإن منعه لزمه أن يعلم كل ما يتصل بالأحكام من الفهم والإرث وما يتصل بالصناعات، وبطلان ذلك واضح يبينه جواز رجوعه إلى غيره، فيجب أن يكون عالما بطريقة الاجتهاد، وفيما يعرض من الأحكام إذا كان طريقها الاجتهاد، فإن لم يتوفر له ذلك عن طريق الاجتهاد شاور فيه العلماء وأخذ بأصح الأقاويل، وما ليس طريقه الاجتهاد يجب أن يكون عالما به، أو بالطريق الموصل إليه؛ لأنه عند ذلك فيما فوض إليه فإنما المعتبر أن يكون متمكنًا من ذلك.

فإن قيل: إن لم يكن من أهل الاجتهاد فيجب أن يجوز كونه إمامًا أن يرجع إلى قول العلماء.

قيل له: قد ثبت أن ذلك يمتنع في الحكام فإن الإمام يجب أن يكون أعلى رتبة فلا يصح ذلك؛ ولأن إلزام الحكم فتوى من الفتيا، فإن لم يحل أن يفتي إلا وهو من أهل الاجتهاد فبأن لا يحل أن يحكم إلا وهو كذلك أولى(٨٤).

---

(٨٣) «المغني» لعبد الجبار الهمداني مجلد (٢٠/٢٠٢).

(٨٤) انتهى بنصه من كتاب المغني لعبد الجبار الهمداني مجلد (٢٠/٢٠٨).

خامسًا: الكفاية:

وهو أن يكون جريئًا على إقامة الحدود واقتحام الحروب بصيرًا بها، كفيلاً بحمل الناس عليها، عارفًا بالعصبية وأحوال الدهاء، قويا على معاناة السياسة؛ ليصح له بذلك ما جعل إليه من حماية الدين، وجهاد العدو، وإقامة الأحكام، وتدبير المصالح(٨٥) .

وهذه الشروط الخمسة التي ذُكرت متفق على أنه لابد من توفرها في الإمام الأعظم عند اختياره وعقد الإمامة له.

سادسًا: النسب القرشي:

هناك من الشروط ما هو محل خلاف بين العلماء وهو اشتراط أن يكون الإمام من قريش، فقد ذهب أكثر العلماء إلى اشتراط القرشية فيه لقوله ﷺ: «الأئمة من قريش» كما سيأتي.

اعلم أن المراد بالقرشي من كان من نسل فهر بكسر الفاء وسكون الهاء ابن مالك بن النضر واسمه قيس بن كنانة بن خزيمة بن مدركة واسمه عمر بن إلياس واسمه حبيب بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

ففهر جماع قريش في قول الكلبي وغيره من العلماء في أنساب العرب، وسموا قريشًا؛ لأنهم كانوا يقرشون عن خَلة الناس ـ بفتح الخاء المعجمة، أي حاجتهم وفقرهم ـ ومعناه: ينقبون عنها، ليغنوهم ويسدوا خلتهم، وكأن ذلك من قولهم: تقارشت الرماح إذا تداخلت في الحرب؛ لأن المستعلم المستجد يداخل أحوال الذي يطلب علم حاله ليحصل له مقصوده، وقيل: إنه مأخوذ من التقريش وهو التعييش؛ لأنهم كانوا يعيشون الحاج، فيطعمون الجائع ويكسون العاري ويحملون المنقطع، قال الجوهري: القرش الكسب والجمع، وقد قرش يقرش بالكسر قال الفراء وبه سميت قريش وقيل سموا بدابة عظيمة تأكل الدواب في البحر وقيل غير ذلك.

وإنما اشترط كونه من قريش لقول الرسول ﷺ:«الأئمة من قريش» رواه الإمام أحمد(٨٦) وأبو يعلى(٨٧) في «مسنديهما»، والطبراني من حديث أبي برزة رضي الله عنه، وروى الترمذي نحوه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا ولفظه: «الملك في قريش»(٨٨) وسنده صحيح، وروى

---

(٨٥) «مقدمة ابن خلدون» (ص٢٥١).

(٨٦) رواه أحمد في «المسند» (٩٢١/٣) (١٢٣٠٧) وحكم الألباني صحيح . أنظر إرواء الغليل (٥٢٠) .

(٨٧) رواه أبو يعلى في «مجمع الزوائد» (٢٩١/٥)،ورواه أبو داود الطيالسي (٣٦١/٢).

(٨٨) سنن الترمذي (٣٩٣٦) وحكم الألباني صحيح .

الإمام أحمد أنه ﷺ قال: «الخلافة في قريش»(٨٩)، ورواه الطبراني أيضًا، وروى البزار من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الأمراء من قريش، أبرارها أمراء أبرارها، وفجارها أمراء فجارها»(٩٠)، وفي الحديث:«قدموا قريشًا ولا تَقَدَّموها»(٩١)، وقول الصديق والمهاجرين للأنصار: إن العرب لا تدين إلا لهذا الحي من قريش، ورووا لهم تلك الأخبار(٩٢) . ولإجماع الصحابة يوم السقيفة على ذلك، واحتجت قريش على الأنصار لما هموا يومئذٍ ببيعة سعد بن عبادة، وقالوا: منا أمير ومنكم أمير، وبأن النبي ﷺ أوصانا أن نحسن إلى محسنكم ، ونتجاوز عن مسيئكم، ولو كانت الإمارة فيكم لم تكن الوصية بكم، فحجوا الأنصار ورجعوا عن قولهم: منا أمير ومنكم أمير، وعدلوا عما كانوا هموا به من بيعة سعد لذلك.
وثبت ـ أيضًا ـ في «الصحيح»: «لا يزال هذا الأمر في هذا الحي من قريش»(٩٣)، وأمثال هذه الأدلة كثيرة إلا أنه لما ضعف أمر قريش وتلاشت عصبيتهم بما نالهم من الترف والنعيم وبما أنفقتهم الدولة في سائر أقطار الأرض عجزوا بذلك عن حمل الخلافة وتغلبت عليهم الأعاجم وصار الحل والعقد لهم، فاشتبه ذلك على كثير من المحققين حتى ذهبوا إلى نفي اشتراط القرشية.
الحكمة في اشتراط القرشية: ولنتكلم الآن في حكمة النسب ليتحقق به الصواب في هذه المذاهب، فنقول: إن الأحكام الشرعية كلها لابد لها من مقاصد وحكم تشتمل عليها، وتشرع لأجلها، ونحن إذا بحثنا عن الحكمة في اشتراط النسب القرشي ومقصد الشارع منه، لم يقتصر فيه على التبرك بوصله النبي ﷺ كما هو في المشهور؛ لأننا إذا سبرنا وقسمنا لم نجدها إلا اعتبارًا لعصبية تكون بها الحماية والمطالبة، ويرتفع الخلاف والفرقة بوجودها لصاحب المنصب، فتسكن إليه الملة وأهلها، وينتظم حبل الألفة فيها، وذلك أن قريشًا كانوا عصبة مضر، وأصلهم، وأهل الغلب منهم، وكان لهم على سائر مضر العزة بالكثرة والعصبية والشرف، فكان سائر العرب يعترف لهم بذلك، ويستكينون لغلبهم، فلو جُعل الأمر في سواهم لتوقع افتراق الكلمة بمخالفتهم، وعدم انقيادهم، ولا يقدر غيرهم من قبائل مضر أن يردهم عن الخلاف، ولا يحملهم على الكره، فتفترق الجماعة وتختلف الكلمة.

(٨٩) مسند أحمد (١٧٦٥٤) وحكم الألباني إسناده جيد. أنظر السلسة الصحيحة (١٨٥١)
(٩٠) مسند البزار (٧٥٩)
(٩١) صح مرسلاً عن الزهري ورواه الشافعي (ج٢/ص٥٠٩) وله أسانيد مرفوعة لا يصح منها شيء.
(٩٢) «لوامع الأنوار البهية» (٤٢٤/٢).
(٩٣) صحيح البخاري (٣٥٠١) بلفظ (لاَ يَزَالُ هَذَا الأَمْرُ فِي قُرَيْشٍ مَا بَقِيَ مِنْهُمُ اثْنَانِ)

والشارع يحذر من ذلك حريص على اتفاقهم، ورفع التنازع والشتات بينهم؛ لتحصل اللحمة والعصبية وتحسن الحماية، بخلاف ما إذا كان الأمر في قريش؛ لأنهم قادرون على سوق الناس بعصا الغلب إلى ما يراد منهم، فلا يخشى من أحد خلافٌ عليهم ولا فرقة، لأنهم كفيلون حينئذٍ بدفعها، ومنع الناس منها، فاشتُرِط نسبُهمُ القرشي في هذا المنصب، وهم أهل العصبية القوية ليكون أبلغ في انتظام الملة واتفاق الكلمة، وإذا انتظمت كلمتهم انتظمت بانتظامها كلمة مضر أجمع، فأذعن لهم سائر العرب، وانقادت الأمم سواهم إلى أحكام الملة، ووطئت جنودهم قاصية البلاد كما وقع في أيام الفتوحات، واستمر بعدها في الدولتين إلى أن اضمحل أمر الخلافة، وتلاشت عصبية العرب، ويعلم ما كان لقريش من الكثرة والتغلب على بطون مضر، من مارس أخبار العرب وسيرهم، وتفطن لذلك في أحوالهم.

وقد ذكر ذلك ابن إسحاق في كتاب «السير» وغيره، فإذا ثبت أن اشتراط القرشية إنما هو لدفع التنازع بما كان لهم من العصبية والغلب، وعلمنا أن الشارع لا يخص الأحكام بجيل ولا عصر ولا أمة، علمنا أن ذلك إنما هو من الكفاية فرددناه إليها، وطردنا العلة المشتملة على المقصود من القرشية وهي وجود العصبية، فاشترطنا في القائم بأمور المسلمين أن يكون من قوم أولي عصبية قوية غالبة على من معها لعصرها، ليستتبعوا من سواهم، وتجتمع الكلمة على حسن الحماية، ولا يعلم ذلك في الأقطار والآفاق كما كان في القرشية، إذ الدعوة الإسلامية التي كانت لهم كانت عامة، وعصبية العرب كانت وافية بها فغلبوا سائر الأمم، وإنما يخص لهذا العهد كل قطر بمن تكون له فيه العصبية الغالبة.

وإذا نظرنا سر الله في الخلافة لم نعد هذا؛ لأنه سبحانه إنما جعل الخليفة نائبًا عنه في القيام بأمور عباده ليحملهم على مصالحهم ويردهم عن مضارهم، وهو مخاطب بذلك، ولا يخاطب بالأمر إلا من له قدرة عليه(٩٤).

قلت: وما تقدم من اشتراط القرشية في الإمام الأعظم هو مذهب جمهور العلماء، وقد ذهب أبو بكر الباقلاني والخوارج إلى جواز عقد الإمامة لغير القرشي(٩٥) مستدلين بظواهر أخبار وعمومات لا تدل على ما ذهبوا إليه.

---

(٩٤) ابن خلدون (ص١٥٤) مع شيء من التصرف.

(٩٥) انظر: «مقدمة ابن خلدون» (ص:٢٩١).

مما استدلوا به قوله ﷺ: «اسمعوا وأطيعوا وإن ولي عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة»(٩٦)، وهذا لا تقوم به حجة في ذلك؛ فإنه خرج مخرج التمثيل والفرض للمبالغة في إيجاب السمع والطاعة ، ومثل هذا المعنى يرد عن النبي ﷺ كثيرًا كقوله عليه الصلاة والسلام: «من بنى لله مسجدًا ولو كمفحص قطاة بنى الله له بيتًا في الجنة»(٩٧)،

وكقوله ﷺ في الحث على التصدق والإهداء:«تصدقي ولو بظلف محرق»(٩٨)، ومعلوم لدى كل عاقل أن مفحص القطاة لا يصلح ولا يمكن أن يكون مسجدًا لصغره، وأن الظلف المحرق لا يستفاد منه ولا ينتفع به، وإنما خرج الأمر في هذين الحديثين مخرج التمثيل والمبالغة في الترغيب في بناء المساجد والتصدق والإنفاق.

ومما استدل به القائلون بعدم اشتراط القرشية قول عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ : «لو كان سالم مولى حذيفة حيا لوليته» أو «لما دخلتني فيه الظنة»، وهو أيضًا لا يفيد ذلك لما علمت أن مذهب الصحابي ليس بحجة، إذا خالف نصًّا ولأن مولى القوم منهم وعصبية الولاء حاصلة لسالم في قريش وهي الفائدة في اشتراط النسب، ولما استعظم عمر أمر الخلافة ورأى شروطها كأنها مفقودة عدل إلى سالم لتوفر شروط الخلافة عنده حتى من النسب المفيد للعصبية ولم يبق إلا صراحة النسب فرآه غير محتاج إليه، إذ الفائدة في النسبة إنما هي العصبية وهي حاصلة من الولاء، فكان ذلك حرصًا من عمر ـ رضي الله عنه ـ على النظر للمسلمين وتقليد أمرهم لمن لا تلحقه فيه لائمة، وأيضًا ليس في هذا الخبر بيان الوجه الذي كان لا يتخالجه الشك فيه، ويحتمل أن يريد أن يدخله في المشورة أو رأي دون الشورى فلا يصح أن يقدح به مع احتماله فيما صح عن النبي ﷺ من الأخبار، بل ولو ثبت عنه الرضا الصريح في ذلك لا يجوز أن يعترض به لمخالفته للأخبار الصحيحة(٩٩) .

---

(٩٦) البخاري «كتاب الأحكام» باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية حديث رقم (٢٤١٧).

(٩٧) أخرجه البزار، وابن حبان في «صحيحه»، والطبراني، وصححه الشيخ الألباني، انظر: «صحيح الترغيب» (ح٢٦٩) (٢٢٧/١).

(٩٨) أخرجه الترمذي: «كتاب الزكاة» باب ما جاء في حق السائل (ح٦٦٠) (٨٦٢/٣ ـ عون» وقال: حديث حسن صحيح، وأبو داود «كتاب الزكاة» باب حق السائل (ح٨٦٦١) (٣٠٧/٢) وصححه الألباني في «الترغيب» برقم (٤٨٨)، وفي «صحيح أبو داود» برقم (١٤٦٧).

(٩٩) «المغني» لعبد الجبار الهمداني (٢٣٦/٢٠) بتصرف.

وأبو بكر الباقلاني لما أدرك ما عليه عصبية قريش من التلاشي والاضمحلال واستبدال ملوك العجم على الخلفاء أسقط اشتراط القرشية، وإن كان موافقًا لرأي الخوارج لما رأى عليه حال الخلفاء لعهده وبقي الجمهور على القول باشتراطها وصحة الإمامة للقرشي.

ويرد عليه سقوط شرط الكفاية التي يقوى بها على أمره لأنه إذا ذهبت الشوكة بذهاب العصبية فقد ذهبت الكفاية، وإذا وقع الإخلال بشرط الكفاية تطرق ذلك أيضًا إلى العلم والدين وسقط اعتبار شروط هذا المنصب وهو خلاف الإجماع.

هل يجوز العدول عن قريش في عقد الإمامة ؟

ما قدمته من الكلام في اشتراط النسب عند عقد الإمامة خاص فيما إذا كان يوجد من قريش من يصلح لها، أما إذا لم يوجد قرشي فهل يجوز العدول عن قريش إلى غيرهم، فتعقد الإمامة لغير القرشي؟

هذا ما سأذكره في هذه المسألة:

اعلم أن العلماء اختلفوا في هذه المسألة، فمنهم من ذهب إلى أنه لا يخلو زمان من وجود من يصلح للإمامة من قريش، فعلى هذا الرأي لابد أن يكون الإمام قرشيا لا محال، ولا يجوز عقدها لغيره على كل حال.

ومنهم من يرى أنه من الجائز أن يخلو زمان ما من القرشيين، فلابد من العدول عنهم إلى غيرهم لضرورة إقامة إمام، فيختار أهل الحل والعقد من الأمة من يرونه صالحًا للقيام بشئون المسلمين، ومن هؤلاء قاضي القضاة عبد الجبار الهمداني حيث نقل عن شيخه أبي علي الجبائي مثل هذا المذهب بأسلوب يدل على أنه يرتضيه ويرجحه حيث قال: المحفوظ عن شيخنا أبي علي بعض كتاب الإمامة وكتاب الأمر بالمعروف تجويز أن لا يوجد من قريش من يصلح لذلك الشأن قال: لأن كونه من قريش لم يجب من حيث لا يعلم لها غيرهم، أم لأنهم أصلح للإمامة والناس لهم أشد انقيادًا، فيخالف هذا الشرط العقل والعدالة؛ لأن هذه الشروط لابد منها في الإمامة،وفقد الواحد منها يؤثر في كونه إمامًا أولاً وأخيرًا، فذلك الشرط إنما هو لتقديمهم، فإذا عُدم فيهم من يصلح لذلك، وقد ثبت بالكتاب وجوب نصب الإمام من يقيم الحدود ويقوم بالأحكام فلابد عند ذلك من نصب من يصلح لذلك.

وكذلك القول إذا كان من قريش من يصلح لذلك لكونه علة وأنه يقعده عن الإمامة لأن هذا الوجه كالأول في هذا الباب وإذا وجب طلب الأفضل ومع ذلك يجوز العدول إلى المفضول إذا

كان أقوم بالأمور، فما الذي يمنع من العدول عن القرشي إذا لم يصلح لبعض الوجوه لغيره، وليس لأحد أن يقول: إن قوله عليه الصلاة والسلام: «الأئمة من قريش» يمنع من ذلك، وذلك لأن المراد به ضرب من التكليف؛ لأنه لا يجوز أن يريد عليه الصلاة والسلام أنهم منهم من غير اختيار وعقد، وإنما يعني ذلك على طريقة الاختيار ووجوب البيعة لهم، وذلك يتضمن وجودهم إذ لا يجوز أن يلتزم بيعة من لا يوجد على الأوقات التي يجوز أن يبايع له والخبر لا يمنع منه.

فإن قيل: هلاَّ قلتم إن الخبر يتضمن صحة وجود من يصلح ومن يلزم العقد له منهم أبدًا ليصح التكليف، قيل له: إذا كان التكليف معلقًا بشرط فما الذي يمنع من أن لا يوجد فيهم، فلا يلزم ذلك التكليف عن ذلك يرجع إلى الدلالة فإذا وجب بالآيات التي أوجب الله تعالى فيها القيام بالحدود وتنصيب الإمام فأوجب أن يتضمن من غيرهم إذا كانت الحال هذه.

فإن قيل: هلاَّ قلتم: إنه متى لم يوجد منهم من يصلح لذلك سقط التكليف في نصب الأئمة كما لو وجد كل من يصلح لهذا الشأن مختل العدالة ليس فيها هذا التكليف.

قيل له: إذا كان ما لأجله يجب نصب الإمام من إقامة الحدود والقيام بالأحكام وغير ذلك لا يختص حال وجوده يصلح لذلك منهم في حال عدمه، فيجب أن يكون التكليف قائمًا، فأما ما سألت عنه فلو صح لكان التكليف ساقطًا؛ لأنه يجري مجرى التكليف بما لا يطاق من حيث لا يوجد من يصلح لذلك، ويبين صحة ما ذكرناه: أن الإمام يجوز أن يعتمد فيما إليه على الصالحين من غير قريش، وذلك يبين التفرقة بين الأمرين، وجملة القول في ذلك: أن كل شرط في الإمام لو فقد أنهم أهل القيام بهذه الأمور ولا يجوز لو تعذر عليه أهل الصلاح أن يعتمد على الفساق، وذلك يبين التفرقة بين الأمرين.

وجملة القول في ذلك: أن كل شرط في الإمام لو فقد صلح أن يكون أميرًا يقوم بما إلى الإمام فيجب أن يمنع من عقد الإمامة له على كل وجه، ولذلك نقول: إن الفسق والجهل بقدر من أصول الدين والفقه والعبودية واختلاف الأحوال في العقل والرأي كما يمنع من كونه إمامًا يمنع من الإمارة والقضاء، فلهذه الجملة يجب نصب الإمام في غير قريش إذا لم يوجد بينهم، ويجوز نصب المفضول إذا كان أقوم بالإمامة من الفاضل(١٠٠) .

(١٠٠) انتهى بنصه من كتاب «المغني» لعبد الجبار الهمداني (٢٠/٢٣٩).

فقدان الشروط عند العقد وبعده:

لا خلاف في أن هذه الشروط المتقدمة تمنع من عقد الإمامة ابتداء.أما إذا اختلت أو بعضها بعد عقد الإمامة فمنها ما فقده مبطل لعقد الإمامة إجماعًا وموجب لخلع الإمام كالردة، ومنها ما لا يوجب خلع الإمام ولا الخروج عليه، كالفسق، وقد ثبت عن النبي ﷺ في أحاديث كثيرة ما يدل على أن الفسق إذا طرأ على الإمام الأعظم لا يبيح للأمة الخروج عليه، ولا خلعه ما دام معترفًا بالواجبات الشرعية منفذًا للأحكام، لم يأمر بمعصية، ومن ذلك ما ثبت في «الصحيحين» عنه ﷺ أنه قال: «على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره إلا أن يؤمر بمعصية، فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة»(١٠١) متفق عليه من حديث ابن عمر. ومن ذلك ما رواه ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ عن النبي ﷺ أنه قال: «من رأى من أميره شيئًا يكرهه فليصبر، فإن من فارق الجماعة شبرًا فمات فميتته جاهلية»(١٠٢) وفي رواية:«فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه»(١٠٣) وعن عوف بن مالك ـ رضي الله عنه ـ عن رسول الله ﷺ قال: «خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، وتصلون عليهم ويصلون عليكم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم، ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم» فقلنا يا رسول الله أفلا ننابذهم بالسيف عند ذلك؟ قال: «لا، ما أقاموا فيكم الصلاة، لا، ما أقاموا فيكم الصلاة، ألا من ولي عليه والٍ فرآه يأتي شيئًا من معصية فليكره ما يأتي من معصية الله، ولا ينزعن يدًا من طاعته»(١٠٤). ويشير إلى هذا المعنى قوله تعالى: ﴿ يا أَيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾ [النساء:٥٩] فتأمل كيف قال: ﴿ أَطِيعُوا اللّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ ولم يقل: وأطيعوا أولي الأمر منكم؟ لأن أولي الأمر لا ينفردون بالطاعة، بل يطاعون فيما هو طاعة الله ورسوله، وأعاد الفعل مع الرسول؛ لأن من يطع الرسول فقد أطاع الله؛ فإن الرسول لا يأمر بغير طاعة الله، بل هو معصوم في ذلك، وأما ولي الأمر فقد يأمر بغير طاعة الله، فلا يطاع إلا فيما هو طاعة لله ورسوله (١٠٥) .

---

(١٠١) البخاري: «كتاب الأحكام» باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية (ح٤٤١٧)، ومسلم: «كتاب الإمارة» باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، وتحريمها في المعصية (ح٨٣).

(١٠٢) أخرجه البخاري: «كتاب الفتن» باب قول النبي ﷺ «سترون بعدي أمورًا تنكرونها» حديث رقم (٤٥٠٧)

(١٠٣) أخرجه أحمد في«المسند» (١٣٠/٤)، من رواية الحارث الأشعري حديث رقم (١٧١٧٠)، والحديث صححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٧٢٠)، وكذلك في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٥٥).

(١٠٤) مسلم «كتاب الإمارة» باب خيار الأئمة وشرارهم حديث رقم (٦٥ ـ ٦٦).

(١٠٥) انظر «شرح العقيدة الطحاوية» (ص:٣٢٩)، (٣٨٠، ٣٨١) بتحقيق الألباني.

قال أبو يعلى في «الأحكام السلطانية» بعد ذكره للشروط المعتبرة في الإمام، قال: إذا وجدت هذه الصفات حالة العقد ثم عدمت بعد العقد نظرت: فإن كان جرحًا في عدالته وهو الفسق، فإنه لا يمنع من استدامة الإمامة سواء كان متعلقًا بأفعال الجوارح: وهو ارتكاب المحظورات، وإقدامه على المنكرات اتباعًا لشهوته، أو كان متعلقًا بالاعتقاد: وهو المتأول بشبهة تعرض يذهب فيها إلى خلاف الحق، وهذا ظاهر كلامه في رواية المروزي في الأمير يشرب المسكر ويضل تراجع معه، وقد كان يدعو المعتصم بأمير المؤمنين، وقد دعاه إلى القول بخلق القرآن، وقال حنبل في ولاية الواثق: اجتمع فقهاء بغداد إلى أبي عبد الله، وقالوا: هذا أمر قد تفاقم وفشى . يعنون: إظهار الخلق للقرآن . نشاور له في أنا لسنا نرضى بإمرته ولا سلطانه، فقال: عليكم بالنُّكرة وقلوبكم ، ولا تخلعوا يدًا من طاعة، ولا تشقوا عصا المسلمين، وقال في رواية المروزي وذكر الحسن بن صالح فقال: كان يرى السيف ولا نرضى بمذهبه، وإن كان الحادث على بدنه، فننظر: فإن كان زوال العقل نظرت فيه فإن كان عارضًا مرجوًّا زواله كالإغماء فهذا لا يمنع من عقدها ولا استدامتها؛ لأنه مرض قليل اللبث؛ ولأن النبي ﷺ أغمي عليه في مرضه، وإذا كان لازمًا لا يرجى زواله كالجنون والخبل، فننظر: فإن كان مطبقًا لا يتخلله إفاقة فهذا يمنع الابتداء والاستدامة، وإذا طرأ عليها أبطلها، لأنه يمنع المقصود الذي هو إقامة الحدود واستيفاء الحقوق، وحماية المسلمين، وإذا كان يتخلله إفاقة يعود فيها إلى حال السلامة نظرت: فإن كان أكثر زمانه الخبل فهو كما لو كان مطبقًا، وإن كان أكثر زمانه الإفاقة، فقد قيل: يمنع حق فيه، وقد قيل: لا يمنع من استدامتها، وإن منع من عقدها؛ لأنه يراعى في ابتداء عقدها سلامة كاملة، وفي الخروج منها نقص كامل(١٠٦) .

* * *

الفصل السابع البيعـة

وحيث بينَّا وجوب نصب الإمام، وأن ذلك أمر لازم للأمة، كان من الضروري بيان البيعة، وكما تقدَّم من أن عقد الإمامة يتم إما باختيار أهل الحل والعقد، وإما بعهد ووصية من الإمام السابق، وإما بالتغلب والقهر على الأمة، فإذا كانت الطريقة لتولية الإمام هي اختيار أهل الحل والعقد وجب عليهم أن يتصفوا بأحوال أهل الإمامة الموجودة فيهم شروطها فيقدموا للبيعة منهم أكثر فضلاً، وأكملهم شروطًا، فإذا تعين لهم بين الجماعة من زادهم الاجتهاد إلى اختياره، وعرضوها عليه، فإن أجابهم إليها بايعوه عليها وانعقدت له الإمامة ببيعتهم، ولزم كافة الأمة الدخول في بيعته

---

(١٠٦) «الأحكام السلطانية» لأبي يعلى (ص: ٢٠).

والانقياد لطاعته، وإن امتنع من الإمامة ولم يجب إليها لم يجبر عليها، وعدل إلى من سواه من مُسْتحقيها فبويع عليها؛ فإن امتنع الجميع من الدخول فيها فهل يأثمون بذلك؟ وهل يتعين عليهم؟ قال في رواية المروزي: لا بد للمسلمين من حاكم؛ أتذهب حقوق الناس؟

وقال في رواية مُحَمَّد بن موسى في الشاهد يأبى أن يشهد أيأثم؟ قال: إذا كان يضر بأهل القرية ومثله يحتاج إليه فلا يفعل، وظاهر كلامه أنه جعل القضاء والشهادة من فروض الكفايات مع ما قد جاء عن النبي ﷺ في ذم القضاء فأولى أن تكون الإمامة الكبرى كذلك، إذ ليس طلبها ولا الدخول فيها مكروهًا وقد تنازعها أهل الشورى فما رد عنها طالب ولا منع منها راغب؛ ولأن بالناس حاجة إلى ذلك لحماية البيضة والذب عن الحوزة وإقامة الحدود واستيفاء الحقوق فجرى مجرى حاجتهم إلى غسل الموتى وحملهم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فإن تكافأ في شروط الإمامة اثنان قُدِّم أسنُّهُما، وإن لم يكن ذلك شرطًا، فإن بويع أصغرهما جاز، فإن كان أحدهما أعلم والآخر أشجع نظرت: فإن كانت الحاجة إلى فضل الشجاعة أدعى لانتشار الثغور وظهور البغاة كان الأشجع أحق، وإن كانت الحاجة إلى فضل العلم لسكون الدهماء وظهور أهل البدع كان الأعلم أحق.

فإن وقع الاختيار على واحد من اثنين فتنازعاها لم يكن ذلك قَدحًا يمنعهما منها لما بينَّا أن طلبها غير مكروه لأنه قد تنازعها أهل الشورى، وبماذا نقطع تنازعهما كتكافؤ أحوالهما؟ فقياس قول أحمد رحمه الله أن يقرع بينهما فيبايع من قرع منهما؛ لأنه قال في رواية ابنه عبد الله: في مسجد فيه رجلان تداعيا الأذان فيه يقرع بينهما، واحتج بقول سعد، ولفظ الحديث:

ما رواه أبو حفص العكبري بإسناده عن ابن شبرمة أن الناس تشاحوا في الأذان يوم القادسية فأقرع بينهم سعد. وبإسناده عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن الرسول ﷺ قال: «لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا» رواه البخاري ومسلم(١٠٧).

المبحث الأول صفة البيعة وبيان معناها:

وصفة البيعة أن يقال: «بايعناك على بيعة رضا، على إقامة العدل والإنصاف والقيام بفروض الإمامة»، ولا يحتاج مع ذلك إلى قبضة اليد(١٠٨).

---

(١٠٧) رواه البخاري برقم (٤٢٦) باب فضل التهجير إلى الظهر، ومسلم برقم (٧٣٤) كلاهما من طريق مالك عن سمي مولى أبي بكر عن أبي صالح السمَّان عن أبي هريرة مرفوعًا.

(١٠٨) «الأحكام السلطانية» لأبي يعلى (ص:٢٤).

ومعنى البيعة: هي العهد على الطاعة، كأن المبايع يعاهد أميره على أنه يسلم له النظر في أمر نفسه وأمور المسلمين، لا ينازعه في شيء من ذلك، ويطيعه فيما يكلف به من الأمر على المنشط والمكره وكانوا إذا بايعوا الأمير وعقدوا عهده جعلوا أيديهم في يده تأكيدًا للعهد فأشبه ذلك فعل البائع والمشتري فسمي بيعة: مصدر باع(١٠٩) وصارت البيعة مصافحة بالأيدي.

هذا مدلولها في عرف اللغة ومعهود الشرع وهو المراد في الحديث في بيعة النبي ﷺ ليلة العقبة وعند الشجرة وحيثما ورد هذا اللفظ ومنه بيعة الخلفاء، ومنه أيمان البيعة كأن الخلفاء يستخلفون على العهد، ويستوعبون الأيمان كلها لذلك، فسمي هذا الاستيعاب أيمان البيعة، وكان الإكراه فيها أكثر وأغلب، ولهذا لما أفتى مالك رضي الله عنه بسقوط يمين الإكراه أنكرها الولاة عليه، ورأوها قادحة في أيمان البيعة، ووقع ما وقع من محنة الإمام مالك. رضي الله عنه ..

وأما البيعة المشهورة لهذا العهد فهي تحية الملوك الكسروية من تقبيل الأرض أو اليد أو الرجل أو الذيل، أطلق عليها اسم البيعة التي هي العهد على الطاعة مجازًا لما كان هذا الخضوع في التحية، والتزام الآداب من لوازم الطاعة وتوابعها، وغلب فيه حتى صارت حقيقة عرفية واستغني بها عن مصافحة أيدي الناس التي هي الحقيقة في الأصل، لما في المصافحة لكل أحد من التنزل والابتذال المنافيين للرئاسة، وصون المنصب الملوكي؛ إلا في الأقل ممن يقصد التواضع من الملوك، فيأخذ به نفسه مع خواصه ومشاهير أهل الدين من رعيته فإنهم معنى البيعة في العرف، فإنه أكيد على الإنسان معرفته لما يلزمه من حق سلطانه وإمامه، ولا تكون أفعاله عبثًا ومجانًا(١١٠).

* * *

المبحث الثاني حكم تعدد البيعة لأكثر من إمام:

اعلم أن الغرض من عقد الإمامة هو تحقيق مصالح الأمة، وإقامة حكم عادل بين أفرادها، وإذا تعددت البيعة لأكثر من إمام لم يتحقق هذا الغرض بسبب ما يحدث بين الإمامين أو أكثر من نزاع وفرقة، ولأن الأمة تكون ملزمة بطاعة شخصين في الوقت الذي قد تتعارض فيه أوامر الإمامين، ولهذا وقع الخلاف بين العلماء في هذه المسألة وصار فيها أكثر من رأي.

* * *

---

(١٠٩) إطلاق المصدر باع فيه تساهل لأنه اسم مصدر وليس مصدرًا.

(١١٠) «مقدمة ابن خلدون» (ص: ١٦٥).

المطلب الأول رأي الجمهور:

ذهب جمهور العلماء أنه لا يصح أن يعقد لأكثر من إمام سواء كان في بلد واحد أو في بلدين مختلفين، وأنه لو بويع لأكثر من واحد وجبت طاعة الأول ولزم فسخ البيعة بالنسبة للآخر.

أدلة الجمهور:

وقد استدل الجمهور بآيات من القرآن الكريم، وأحاديث عن النبي ﷺ، وبإجماع الصدر الأول من هذه الأمة، ومن نصوص القرآن قوله تعالى:﴿ إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٩٢]، ومن الأحاديث ما رواه مسلم عن النبي ﷺ قال: «من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم، أو أن يفرق جماعتكم فاقتلوه»(١١١) .

وقوله ﷺ: «ستكون هنات وهنات، فمن أراد أن يفرق هذه الأمة وهي جمع فاضربوه بالسيف كائنًا من كان»(١١٢) . وقوله ﷺ: «إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما»(١١٣) .

وقوله ﷺ: «من بايع إمامًا فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليعطه ما استطاع فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر»(١١٤) . فهذه الآيات الكريمة، والأحاديث النبوية الشريفة، نص في محل النزاع لا يحل لمن يؤمن بالله واليوم الآخر أن يخالف ما دلت عليه من وجوب كون الإمام الأعظم واحدًا.

وأما الإجماع: فإن الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ قد اتفقوا على أنه لا يجوز أن يتولى رئاسة الدولة الإسلامية إلا إمام واحد بدليل أن المهاجرين لم يوافقوا الأنصار عندما طالبوا أن يكون منهم أمير ومن المهاجرين أمير، ثم رضي الأنصار بعد ذلك بما رآه المهاجرون، فصار ذلك إجماعًا على وحدة الإمام وعدم جواز تعددها(١١٥)(١١٦) .

ولمزيد من الإيضاح سأذكر بعضا من آراء العلماء في هذه المسألة .

* * *

---

(١١١) «صحيح مسلم شرح النووي» (٢٤٢/١٢) (ح٢٥٨١) من حديث عرفجة بن شريح.

(١١٢) «صحيح مسلم شرح النووي» (ج٣٤١/١٢).

(١١٣) أخرجه مسلم «كتاب الإمارة» باب إذا بويع الخليفتين (١٤٨٠/٣) ح (١٨٥٣)

(١١٤) أخرجه مسلم «كتاب الإمارة» باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء (١٤٧٣/٣) ح(١٨٤٤).

(١١٥) «الأسس التي تقوم عليها الحكومة الإسلامية» لمعاود عايد عيد العوفي (ص٩٤).

(١١٦) ومن نقل الإجماع على ذلك الإمام النووي في شرح «صحيح مسلم» (٢٣٢/١٢)، والقرطبي في كتابه «الجامع لأحكام القرآن» (٢٧٣/١)،وابن حزم في مراتب الإجماع (ص١٤٤)،والقاضي عبد الجبار في كتاب «المغني» (٢٤٣/٢٠).

المطلب الثاني رأي الماوردي:

قال في «الأحكام السلطانية ص ٩»: وإذا عقدت الإمامة لإمامين في بلدين لم تنعقد إمامتهما؛ لأنه لا يجوز أن يكون للأمة إمامان في وقت واحد، وإن شذ قوم فجوزوه.

واختلف الفقهاء في الإمام منهما، فقالت طائفة: هو الذي عقدت له الإمامة في البلد الذي مات فيه من تقدمه لأنهم بعقدها أحض وبالقيام بها أحق، وعلى كافة الأمة في الأمصار كلها أن يفوضوا عقدها إليهم، ويسلموها لمن بايعوه لئلا ينتشر الأمر باختلاف الآراء وتباين الأهواء.

وقال آخرون: بل على كل واحد منهما أن يدفع الإمامة عن نفسه ويسلمها إلى صاحبه طلبًا للسلامة وحسمًا للفتنة ليختار أهل العقد أحدهما أو غيرهما.

وقال آخرون: بل يقرع بينهما دفعًا للتنازع، وقطعًا للتخاصم، فأيهما قرع كان بالإمامة أحق.

والصحيح في ذلك وما عليه الفقهاء المحققون:

أن الإمامة لأسبقهما بيعة وعقدًا، كالوليين في نكاح المرأة إذا زوَّجاها باثنين كان النكاح لأسبقهما عقدًا.

فإذا تعين السابق منهما استقرت له الإمامة، وعلى المسبوق تسليم الأمر إليه والدخول في بيعته وإن عقدت الإمامة لهما في حال واحد لم يسبق بها أحدهما . فسد العقدان، واستؤنف العقد لأحدهما أو لغيرهما وإن تقدمت بيعة أحدهما وأشكل المتقدم منهما وقف أمرها على الكشف، فإن تنازعاها وادَّعى كل واحد منهما أنه الأسبق لم تسمع دعواه ولم يحلف عليها؛ لأنه لا يختص بالحق فيها، وإنما هو حق المسلمين جميعًا فلا حكم ليمينه فيه ولا لنكوله عنه، وهكذا لو قطع التنازع فيها وسلمها أحدهما إلى الآخر لم تستقر إمامته إلا ببينة تشهد بتقدمه، ولو أقر له بالتقدم خرج منها المقر ولم تستقر للآخر؛ لأنه مقر في حق المسلمين، فإن شهد له المقر بتقدمه فيها مع شاهد آخر سمعت شهادته إن ذكر اشتباه الأمر عليه عند التنازع، ولم يسمع منه إن لم يذكر الاشتباه لما في القولين من التكاذب، وإذا دام الاشتباه بينهما بعد الكشف، ولم تقم بينة لأحدهما بالتقدم لم يقرع بينهما لأمرين:

أحدهما: أن الإمامة عقد والقرعة لا مدخل لها في العقود.

والثاني: أن الإمامة لا يجوز الاشتراك فيها، والقرعة لا مدخل لها فيما لا يصح الاشتراك فيه كالمناكح، وتدخل فيما يصح فيه الاشتراك كالأموال، ويكون دوام هذا الاشتباه مبطلاً لعقدي الإمامة فيهما، ويستأنف أهل الاختيار عندها لأحدهما، فلو أرادوا العدول بها عنهما إلى غيرهما،

فقد قيل بجوازه لخروجهما عنها، وقيل: لا يجوز لأن البيعة لهما قد صرفت الإمامة عمن عداهما، ولأن الاشتباه لا يمنع ثبوتها في أحدهما.«انتهى»(١١٧).

* * *

المطلب الثالث رأي ابن حـزم:

وقال أبو مُحَمَّد علي بن حزم في «الفصل»: فلا تصح إقامة الدين إلا بالإسناد إلى واحد، أو إلى أكثر من واحد، فلابد من أحد هذين الوجهين، فإن الاثنين فصاعدًا بينهما أو بينهم ما ذكرنا فلا يتم أمر ألبتة، فلم يبق وجه تتم به الأمور إلا الإسناد إلى واحد فاضل، عالم ، حسن السياسة، قوي على الإنفاذ، إلا أنه وإن كان بخلاف ما ذكرنا فالظلم والإهمال معه أقل منه مع الاثنين فصاعدًا، وإذ ذلك كذلك ففرض لازم لكل الناس أن يكفوا عن الظلم ما أمكنهم، إن قدروا على كف كله لزمهم ذلك، وإلا فكف ما قدروا على كفه منه ولو قضية واحدة لا يجوز غير ذلك.

ثم اتفق من ذكرنا ممن يرى فرض الإمامة على أنه لا يجوز كون إمامين في وقت واحد في العالم، ولا يجوز إلا إمامة واحدة ـ إلا مُحَمَّد بن كرام السجستاني وأبا الصباح السمرقندي وأصحابهما، فإنهم أجازوا كون إمامين في وقت وأكثر في وقت واحد.

واحتج هؤلاء بقول الأنصار، أو من قال منهم يوم السقيفة للمهاجرين: منا أمير ومنكم أمير.

واحتجوا أيضًا بأمر علي والحسن مع معاوية رضي الله عنهم.

قال أبو مُحَمَّد: وكل هذا لا حجة لهم فيه؛ لأن قول الأنصار ـ رضي الله عنهم ـ ما ذكرنا لم يكن صوابًا بل كان خطأً، إذ أداهم إليه الاجتهاد، وخالفهم فيه المهاجرون، ولابد إذا اختلف القائلان على قولين متنافيين من أن يكون أحدهما حقًّا، والآخر «خطأً»، وإذ ذلك كذلك فواجب رد ما تنازعوا فيه إلى ما افترض الله ـ عز وجل ـ الرد إليه عند التنازع، إذ يقول تعالى:﴿ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ﴾[النساء:٥٩]. فنظرنا في ذلك فوجدنا رسول الله ﷺ قال: «إذا بويع لإمامين فاقتلوا الآخر منهما».

وقال تعالى: ﴿ وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا ﴾ [آل عمران:١٠٥].

وقال تعالى: ﴿ وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ [الأنفال:٤٦] فحرم الله ـ عز وجل ـ التفرق، والتنازع، وإذا كان إمامان فقد حصل التفرق المحرم، فوجد التنازع، ووقعت المعصية لله تعالى، وقلنا ما لا يحل لنا.

---

(١١٧) الأحكام السلطانية (ص:٩).

وأما من طريق النظر والمصلحة: فلو جاز أن يكون في العالم إمامان لجاز أن يكون فيه ثلاثة وأربعة وأكثر؛ فإن منع من ذلك مانع كان متحكمًا بلا برهان، ومدعيا بلا دليل، وهذا الباطل الذي لا يعجز عنه أحد . وإن جاز ذلك زاد الأمر حتى يكون في كل عمل إمام أو في كل مدينة إمام أو في كل قرية إمام، ويكون كل واحد إمامًا وخليفة في منزله، وهذا هو الفساد المحض، وهلاك الدين والدنيا، فصح أن قول الأنصار ـ رضي الله عنهم ـ وهلة خطأ وقد رجعوا عنه إلى الحق، وعصمهم الله تعالى من التمادي عليه(١١٨) .اهـ.

* * *

المطلب الرابع رأي أبي بكر الباقلاني:

وقال الباقلاني: فإن قالوا: فما تقولون: إذا عقدت جماعات من أهل الحل والعقد لعدة أئمة في بلدان متفرقة وكانوا كلهم يصلحون للإمامة، وكان العقد لسائرهم واقعًا على عدم إمام وذي عهد من إمام، وما الحكم فيهم عندكم، ومن أولى بالإمامة منهم؟

قيل لهم: إذا اتفق مثل هذا تصفحت العقود ونظر بها السابق فأقرت الإمامة فيمن بدئ بالعقد له، وقيل للباقين: انزلوا عن الأمر، فإن فعلوا وإلا قوتلوا على ذلك وكانوا عصاة في المقام عليها، وإذا لم يعلم أيهما تقدم على الآخر وادَّعى كل واحد منهم أن العقد سبق له ـ أبطلت سائر العقود واستؤنف العقد لواحد منهم أو من غيرهم، وإن أبوا ذلك قاتلهم الناس عليه، فإن تمكنوا وإلا فهم في غلبة وفتنة وعذر في ترك إمامة الإمام، وإن تمكن من العقد لغيرهم فعل ذلك وكان المعقود له حربًا لسائر هؤلاء حتى يذعنوا ويرجعوا إلى الطاعة والسداد ـ وإن تُؤملت العقود ووجدت كلها وقعت في وقت واحد أبطل ـ أيضًا ـ جميعًا واستؤنف العقد لرجل منهم أو من غيرهم. (انتهى)

هذا نموذج من آراء بعض الأئمة في هذا الشأن يدل على أن هذا الرأي هو الحق وأن ما عداه من الآراء لا يقوم على أساس ولا يستند إلى حجة صحيحة.

ثانيا: وقد ذهب بعض العلماء إلى التفريق بين أن يكون عقد الإمامة لأكثر من واحد في بلد أو أكثر، فقالوا: إن عُقد لإمامين فأكثر في بلد واحد أو في بلدين متقاربين فالعقد غير صحيح إن لم يعرف الأول منهما، فإن عرف صحت البيعة في حق الأول وبطلت فيمن عداه، وإن كان عقدها لأكثر من اثنين في بلدين متباعدين تفصل بينهما بحار واسعة ، صح عقدها لكل إمام في كل بلد منها.

---

(١١٨) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٨٧/٤).

وممن ذهب إلى هذا المذهب عبد القاهر البغدادي حيث قال في كتاب أصول الدين: (اختلف الموجبون للإمامة في عدد الأئمة في كل وقت، فقال أصحابنا: لا يجوز أن يكون في الوقت الواحد إمامان واجبا الطاعة، وإنما تنعقد إمامة واحد في الوقت ويكون الباقون تحت رايته.

وإن خرجوا عليه من غير سبب يوجب عزله فهم بغاة إلا أن يكون بين البلدين بحر مانع من وصول نصرة أهل كل واحد منهما إلى الآخرين، فيجوز حينئذ لأهل كل واحد منهما عقد الإمامة لواحد من أهل ناحيته).اهـ.

* * *

المطلب الخامس رأي الجويني:

وقال إمام الحرمين في كتابه «الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد»: «ذهب أصحابنا إلى منع عقد الإمامة لشخصين في طرفي العالم، والذي عندي فيه أن عقد الإمامة لشخصين في صقع واحد متضايق الخطط والمخالف غير جائز، وقد حصل الاجتماع عليه وأما إذا بعد المدى وتخلل بين الإمامين شسوع النوى فللاحتمال في ذلك مجال وهو خارج عن القواطع»(١١٩) .

ثالثًا: وذهب الكرامية وأبو الصالح السمرقندي وأتباعه إلى جواز عقد الإمامة لأكثر من واحد مستدلين على جواز ذلك بما يلي:

١ ـ قول الأنصار يوم السقيفة: «منا أمير ومنكم أمير».

٢ ـ ما وقع بين علي والحسن ومعاوية ـ رضي الله عنهم ـ وما وقع بين عبد الملك بن مروان وابن الزبير.

٣ ـ أن الغرض من نصب الإمام تحقيق مصالح الأمة وهذا إنما يتم بتعدد الأئمة في الأقطار المختلفة؛ لأنه إذا كان في كل قطر إمام كان كل واحد أقدر على القيام بأعباء المنصب ومتابعة من يوليهم من الولاة والقضاة وسائر العمال، وذلك من قلة المصالح الناشئة من صغر مساحة كل قطر.

٤ ـ أنه لما جاز أن يوجد أكثر من نبي في عصر واحد ولم يؤد ذلك إلى بطلان النبوة جاز ذلك في البيعة من باب أولى، لأنها فرع من النبوة، هذا جملة ما استدل به القائلون بجواز تعدد البيعة لأكثر من واحد.

* * *

(١١٩) نظام الحكم في الشريعة والتاريخ» لظافر القاسمي (ص٦٢٣).

المطلب السادس مناقشة أدلة الكرامية:

ونحن إذا ناقشنا هذه الأدلة وجدنا أنها لا توصل إلى ما ذهبوا إليه.

فاستدلالهم بما وقع لعلي مع خصومه، ولما وقع لعبد الملك وابن الزبير، فإن معاوية ـ رضي الله عنه ـ لم يدَّع الإمامة لنفسه، وإنما ادَّعى المطالبة بدم عثمان رضي الله عنه وولايته على الشام بتولية من قبله من الأئمة، وأما الحسن فإنه رأى المصلحة في توحيد الإمامة، ولذلك تنازل عن الخلافة لمعاوية ليجتمع شمل المسلمين، وقد حصل ما أراده رضي الله عنه(١٢٠) .

وأيضًا فإن أمر علي، والحسن ومعاوية، قد صح عن النبي ﷺ أنه أنذر بخارجة تخرج من طائفتين من أمة يقتلها أولى الطائفتين بالحق، فكان قاتل تلك الطائفة علي ـ رضي الله عنه ـ فهو صاحب الحق بلا شك، وكذلك أنذر عليه السلام بأن عمارًا تقتله الفئة الباغية، فصح أن عليا هو صاحب الحق، وكان علي السابق إلى الإمامة فصح بعد أنه صاحبها، وأن من نازعه فيها فهو مخطئ، فمعاوية ـ رضي الله عنه ـ مخطئ مأجور مرة لأنه مجتهد، ولا حجة في خطأ المخطئ فبطل قول هذه الطائفة.

وهكذا يقال في شأن عبد الملك بن مروان وابن الزبير.

وأما قول الأنصار ـ رضي الله عنهم ـ: «منا أمير ومنكم أمير» فيخرج على أنهم إنما أرادوا أن يلي والٍ منهم، فإذا مات ولي من المهاجرين آخر...وهكذا أبدًا على أن يكون إمامان في وقت وهذا هو الأظهر من كلامهم(١٢١) .

أو يقال: إن قول الحباب بن المنذر ـ رضي الله عنه ـ يوم السقيفة: «منا أمير ومنكم أمير» لا حجة لهم فيه؛ لأن قول الأنصار أداهم إليه الاجتهاد ولم يكن صوابًا بل كان خطأ وقد خالفهم فيه المهاجرون؛ لأنهم رأوا أنه لا مصلحة للأمة ولا للدين في تعدد الأئمة.

وكذلك الأنصار ـ رضي الله عنهم ـ رجعوا إلى الحق والصواب حينما تبين لهم وهم مجتهدون فيما قالوا فمن أصاب فله أجران ومن أخطأ فله أجر.

وأما قولهم: إن تعدد الأئمة يجعلهم أقدر على القيام بأعبائهم ـ فقد رده الجمهور بأن منصب الإمامة كما جعل لتحقيق مصالح الأمة الدينية جعل أيضًا لتحقيق مصالحها الدنيوية وتعدد الأئمة يخل بتحقيق مصالح الأمة الدينية والدنيوية كما سبق بيانه في أدلة الجمهور.

---

(١٢٠) «الأسس التي تقوم عليها الحكومة الإسلامية» لمعاود عايد عيد العوفي (ص٩٦).

(١٢١) «الفصل في الملل والأهواء والنحل» (٤/٨٨).

وأما قياس الإمامة على النبوة فهو قياس مع الفارق؛ لأن الأنبياء معصومون من عداوة بعضهم بعضًا، أما الأئمة فهم غير معصومين ولذلك يقع بينهم الاختلاف والعداوة مع التحاسد والبغي(١٢٢) .

* * *

الفصل الثامن واجبات الإمام وحقوقه

المبحث الأول واجبات الإمام:

إن على كل فرد من أفراد الأمة واجبات، وله حقوق وفق ما تقتضيه أحكام الشريعة، سواء أكان فردًا عاديا أم مسئولاً عن رئاسة الدولة أو جانب من جوانبها، غير أن تلك الواجبات تختلف باختلاف متعلقاتها، فواجبات رئيس الدولة تختلف عن واجبات الفرد العادي؛ لأنه مسئول أمام الله وأمام الأمة عن تلك الواجبات.

* * *

المطلب الأول مسئولية الحاكم أمام الله:

فالحاصل أن الإسلام لا يعرف للخليفة مركزًا خاصًّا يحميه من النصح والتوجيه، ويعفيه من بعض ما يكون على أبناء الأمة من واجبات فهو ليس إلا رجلاً اختارته الأمة ليكون ممثلاً لها، ويتولى الإشراف على أمورها وتدبير شئونها، وألزمته أن لا يخرج على أحكام الشريعة الإسلامية، فكان من الطبيعي تحقيقًا للعدالة والمساواة واستجابة للمنطق أن يسأل الحاكم عن كل مخالفة للشريعة الإسلامية، سواء تعمد هذا العمل أو وقع منه نتيجة إهماله ما دام كل
فرد في الأمة الإسلامية يسأل عن أعماله وأقواله المخالفة للشريعة الإسلامية، فالحاكم مسئول عن أفعاله وتصرفاته أمام الله في الآخرة، مثله في ذلك مثل أي فرد عادي في الأمة.
ونجد أن مبدأ المسئولية في الآخرة ظاهرًا وواضحًا في نصوص القرآن الكريم وهو قول الله تعالى:﴿ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴾[الطور:٢١] وقوله تعالى: ﴿ يوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَينَهَا وَبَينَهُ أَمَدًا بَعِيدًا ﴾ [آل عمران:٣٠]، وقوله تعالى: ﴿ لِيجْزِي اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾[إبراهيم:٥١]، وغير ذلك من الآيات التي تبين أن كل إنسان مسئول عن أقواله وأفعاله أيا كان مركزه.

---

(١٢٢) «الأسس التي تقوم عليها الحكومة الإسلامية» لمعاود عايد عيد العوفي (ص٩٥).

وعلى قدر اتساع سلطة الإنسان وامتداد قدرته تكون مسئوليته وكذلك على قدر ضعفه وعجزه يكون إعفاؤه من الواجب، ولذلك نرى أن مسئولية كل فرد محدودة دائمًا بحدود سلطته وإمكانياته فهي بالنسبة لمن يلي من أمور المسلمين شيئًا تتسع على قدر اتساع سلطة الإنسان وامتداد قدرته؛ ولذا فمسئولية الحاكم أكبر من مسئولية المحكوم؛ لأن التكليف المنوط به أضخم، ومطالبته بالعمل على ما يحقق للناس مصالحهم، من حيث الخطط والمشروعات، وتوفير وسائل الحياة الكريمة لكل فرد من أفراد المجتمع الذي يتولى رعاية مصالحه الدينية والدنيوية وفق شريعة الإسلام، وكما بينت الآيات الكريمة مسئولية الحاكم عن أقواله وأفعاله أمام الله في الآخرة. نبه الرسول صلى الله عليه وسلم إلى عظم مسئولية ولاة الأمر فقال: «ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة»(١٢٣)، وقوله: «أحب الناس إلى الله يوم القيامة وأدناهم منه مجلسًا: إمام عادل وأبغض الناس إلى الله وأبعدهم منه مجلسًا: إمام جائر»(١٢٤)، وغير ذلك من الأحاديث التي تبين أن الإمام أو الحاكم مسئول أمام الله مسئولية يلقى نتائجها يوم الحساب والجزاء، فإن نصح للأمة وعدل فيها وأدَّى ما عليه نحوها من واجبات أوجبها الله عليه: فأنصف مظلومها، وحمى ضعيفها ورعى سائر شئونها ودافع عن حوزتها. جازاه الله أحسن الجزاء، وكان له بذلك أعلى الدرجات مما لا يكون لأعظم العباد المعتكفين على عبادة الله.

وإن ظلم وغش وأساء كان له من الجزاء ما ينال مثله المجرمون والقتلة والفاسقون وسائر الخارجين على حدود الله، فالحاكم عندما يخاطب بأمر من أوامر الله أو رسوله ﷺ، فإنه يجب عليه أن يقوم بتنفيذ هذا الأمر، والخضوع له، ووضع كل القواعد اللازمة لإنفاذه، لأن ذلك مما يقتضيه الأمر أو النهي، ومما هو مسئول عنه أمام الله.

وإذا أراد الحاكم أن يأتي بالمسئولية على وجهها الصحيح فعليه أن يلتزم الأمور التالية:

أولاً: التزام التقوى، والورع، والخوف من الله، وحب الآخرة، وعدم اتباع الهوى، وعليه بالعفة، والعبادة، والعدالة، والمساواة، وغيرها من الصفات المحمودة لا لأنه يحكمهم، بل لأنه أقوى منهم، فكلما كان الحاكم قادرًا على أن يسوق الناس بعصاه أو يقربهم بماله وجاهه فهم من الطائعين السامعين.

---

(١٢٣) صحيح مسلم ٢٢٧ - (١٤٢)

(١٢٤) «جامع الأصول من أحاديث الرسول» لابن الأثير (٤٧٢/٤).

وإذا ضعف الحاكم واستطاع أحد منافسيه أن يتغلب عليه فإنه يستطيع تبعًا لذلك أن يتحكم في رقاب الرعية، وكأن الرعية تُعتبر خدمًا وعبيدًا لصاحب السلطة سواء أورث سلطانه أم اكتسبه. ولما كان الحاكم يستمد سلطانه من قوته لم تكن سلطة أي حاكم تساوي سلطة الآخر، ولم تكن هناك حدود مرسومة للحكام لا يتعدونها، بل كان للحاكم أن يأتي ما يشاء ويدع ما يشاء دون حسيب أو رقيب.

فرأينا . مثلاً . في الجاهلية من الحكام من بلغ الاستبداد به إلى حد أن كل من يحل بأرضه يصير عبدًا له، يأتمر بأمره، وينتهي إذا نهاه، فبلغ من جبروت كليب وائل أنه كان لا يسمح لأحد أن يتكلم في مجلسه، وبلغ الاستعباد أن يقهر عوف كل من حل بواديه حتى صار ذلك مثلاً لدى العرب (لا أحد بوادي عوف) ولكن رحمة من الله بعباده أن جاءت الشريعة الإسلامية فاستبدلت بهذه الأوضاع البالية أوضاعاً جديدة تتفق مع الكرامة الإنسانية والحاجات الاجتماعية فجعلت أساس العلاقة بين الحكام والمحكومين تحقيق مصلحة الجماعة لا قوة الحاكم أو ضعف المحكومين، وتركت للجماعة حق اختيار الحاكم الذي يرعى مصلحتها ويحفظها، وجعلت لسلطة الحاكم حدود ليس له أن يتعداها، فإن خرج عليها كان عمله باطلاً.

ثانيا: عدم الاستعلاء على الناس بالحكم، فينبغي على الحاكم أن يقدم الرحمة والحلم والعفو على الغلظة والشدة في تصرفاته وأعماله، وأن يترك الترف وإظهار الأبهة في ملبسه ومسكنه وغير ذلك، وأن يجعل ولايته للتقرب إلى الله تعالى بالتواضع، وعليه الاهتمام بأمور المسلمين والعمل على اكتساب رضاهم ومحبتهم بطريق يوافق الشرع ولا يخالفه.

* * *

المطلب الثاني مسئولية الحاكم أمام الأمة:

ما دام الإمام أو حاكم الدولة الإسلامية قائمًا بأمر الله حاكمًا بالعدل منفذًا لأحكام الشرع، ملتزمًا بها، في أعماله، وتصرفاته، راعيا لأمانته وعهده وهو مستوفيا للشرائط التي اشترطت فيه حينما تولى الولاية . فهو إذن حاكم عادل، ومسئولية الإمام في الإسلام مزدوجة، فهو مسئول أمام الأمة، وهو مسئول أيضًا أمام الله، أما مسئولية الإمام أمام الأمة فلأنه تولَّى ولاية عليها بالعقد الذي عقدته له فهي التي منحته حق الحكم وأمدته بالسلطة، وما هو إلا وكيل عنها اختارته لإدارة شئونها ثم بايعته على الطاعة مقابل تعهده بإقامة العدل وتنفيذ الشريعة والسير عليها واتخاذها خطة له، فلها الحق أن تسأله عن عمله لأن الجهة التي لها حق إنشاء العقد؛ لها حق فسخه إذا أوجدت

الأسباب لذلك؛ ولكل واحد من أفراد الأمة حق النصح له، فالأمة رقيبة عليه باستمرار بما هي ملزمة به من وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال الله تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران:١٠٤]، وقوله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمران:١١٠]. وكذلك بما لها من حق الشورى، وما هي مأمورة به من بذل النصح فضلاً عما لها من الحق بوصفها الطرف الأول في العقد، فإذا حاد عن الطريق السوي ولم يرع الأمانة، وإذا جار وظلم أو بدل السيرة أو عطل الحدود أو خالف الشرع من أي وجه من الوجوه. فإن الأمة قوامة عليه، ولها إما حق تقويمه، أو حق عزله؛ لأن الحاكم مسئول عن أقواله وأفعاله كسائر الناس كما هو مسئول أمام الله يوم القيامة، ولكن مسئوليته في الدنيا تكون أمام الأمة التي وكلته وأنابته عنها في إدارة شئونها والتكفل بصيانة حقوقها.

ونجد مبدأ مسئولية الحاكم في الدنيا ظاهرًا وواضحًا في نصوص القرآن الكريم والسنة وسيرة الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم.

ففي القرآن الكريم قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴾ [النساء:٥٨]. وقد ذكر العلماء في تفسير هذه الآية أن الخطاب فيها موجه إلى ولاة الأمر بأداء الأمانات إلى أهلها، وأن يحكموا بالعدل بين الناس، وأن يقوموا برعاية الرعية وحملهم على موجب الدين والشريعة ورد المظالم، وأن الله أمرهم بالرجوع إلى الكتاب والسنة فيما أشكل عليهم، وإذا حاد ولاة الأمر عن العمل بأحكام الشرع فإنه لا طاعة لهم.

وفي السنة قول الرسول ﷺ: «كلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته فالإمام راع ومسئول عن رعيته»(١٢٥). فنصوص القرآن والسنة تقرر أن مسئولية الحاكم أوسع نطاقًا ومدى من مسئولية الأفراد جميعًا؛ فهو يتحمل على عاتقه القيام بشئون الدولة وتدبير أمورها، وتشمل مسئولية كافة كل ما هو أساسي وحيوي بالنسبة لكل مسلم، والحاكم مسئول عن كافة تصرفاته أمام الأمة، وذلك لأنه يستمد سلطانه منها، ويعتمد في بقائه على هذا السلطان على ثقتها به ونظره في مصالحها، فهو لا يعدو أن يكون نائبًا عنها في مباشرة شئونها، ومقتضى هذا أن يكون مسئولاً عن كافة تصرفاته أمامها، وقد فهم الخلفاء الراشدون ـ رضي الله عنهم ـ هذه المسئولية وعرفوا نطاق تطبيقها ومداها.

---

(١٢٥) «شرح صحيح الإمام البخاري» (١٠٤/٨).

فيقول أبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ في أول خطبة بعد توليه الخلافة مبينًا مبدأ مسئوليته وحدود هذه المسئولية: «أيها الناس إني قد وليت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني»(١٢٦)، وكل من جاء بعده من الخلفاء الراشدين سلك طريقة أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ ونهج نهجه في مدى الإحساس بالمسئولية الملقاة على عاتقه، فأدَّى ما عليه نحوها على خير وجه وبأمثل طريقة سليمة عرفها تاريخنا الإسلامي.

والذي يشهد للخلفاء الراشدين ـ رضي الله عنهم ـ أنهم خير من جاء بعد الرسول ﷺ، وأدى ما عليه من واجب المسئولية التي لابد من السؤال عنها أمام الله وأمام الأمة، والحاكم في أدائه واجباته مسئول عن أخطائه وإهماله وتقصيره وسوء استعماله للسلطة الممنوحة له فضلاً عما يتعمده من خروج على حدود السلطة وما يرتكبه من جور أو تعسف أو ظلم، وهو في هذا كله خاضع للنصوص العامة؛ لأن الإسلام لا يفرق بين فرد وفرد، ولا بين حاكم ومحكوم، بل الكل سواء، يسري على هذا ما يسري على ذاك دون تمييز بينهما، لا يعفيه الإسلام من أخطائه، ولا يخفف من مسئوليته، ولا يميزه عن أي شخص آخر، لذلك كان الخلفاء والأئمة أشخاصًا لا قداسة لهم ولا يتميزون عن غيرهم، وإذا ارتكب أحدهم جريمة عوقب عليها كما يعاقب أي شخص آخر يرتكبها في الشريعة الإسلامية.

بعد أن بينت واجبات الحاكم وحقوقه وحددت سلطته ـ جعلته مسئولاً عن كل عمل يتجاوز به سلطته سواء تعمد هذا العمل أم وقع العمل نتيجة إهماله ولم تكن الشريعة الإسلامية في تقرير مسئولية الحكام عن تصرفاتهم أمام الأمة إلا متمشية مع منطق الأشياء، فقد بينت للحاكم حقوقه وواجباته وألزمته بأن لا يخرج عن أحكام الشريعة الإسلامية.

أما الحاكم الذي لا يقوم بالتزاماته أو أن يخرج عن حدود الشريعة ـ فليس له أن ينتظر من الأمة السمع والطاعة، وعليه أن يتنحى عن مركزه لمن هو أقدر منه على الحكم في حدود ما أنزل الله، فإن لم يتنح مختارًا نحاه أهل الحل والعقد مكرهًا، واختاروا غيره ليتولى تصريف شئون الأمة، وهذا الذي يقتضيه المنطق هو نفس حكم الشريعة الإسلامية الصريح جاء به القرآن الكريم، وأمر به الرسول ﷺ وعمل به الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم(١٢٧).

---

(١٢٦) انظر: «سيرة ابن هشام» (١٦٦/٤) وأيضًا «البداية» للحافظ ابن كثير (١٠٣/٦) وقال: إسناده صحيح.

(١٢٧) انظر: «الأسس التي تقوم عليها الحكومة الإسلامية» لمعاود عايد عيد العوفي (ص٤٣٣).

وقد أوجز أبو يعلى واجبات الإمام تجاه الأمة وحصرها في عشرة أشياء حيث قال في «الأحكام السلطانية»: «ويلزم الإمام من أمور الأمة عشرة أشياء:

١ ـ حفظ الدين على الأصول التي أجمع عليها سلف الأمة، فإن زاغ ذو شبهة عنه بين له الحجة وأوضح له الصواب وأخذه بما يلزمه من الحقوق والحدود ليكون الدين محروسًا من الخلل والأمة ممنوعة من الزلل.

٢ ـ تنفيذ الأحكام بين المتشاجرين، وقطع الخصام بين المتنازعين حتى تعم النصفة فلا يتعدى ظالم، ولا يضعف مظلوم.

٣ ـ حماية البيضة، والذب عن الحوذة ليتصرف الناس في المعايش، وينتشروا في الأسفار آمنين.

٤ ـ إقامة الحدود لتصان محارم الله ـ تعالى ـ عن الانتهاك، وتحفظ حقوق عباده عن إتلاف واستهلاك.

٥ ـ تحصين الثغور بالعدة المانعة، والقوة الدافعة، حتى لا تظفر الأعداء بِغرَّة ينتهكون بها محرمًا أو يسفكون فيها دمًا لمسلم أو معاهد.

٦ ـ جهاد من عاند الإسلام بعد الدعوة حتى يسلم أو يدخل في الذمة.

٧ ـ جباية الفيء والصدقات على ما أوجبه الشرع نصًّا واجتهادًا من غير خوف ولا عسف.

٨ ـ تقدير العطايا وما يستحق في بيت المال من غير سرف ولا تقتير ودفعه في وقت لا تقديم فيه ولا تأخير.

٩ ـ استكفاء الأمناء، وتقليد النصحاء فيما يفوض إليهم من الأعمال ويكله إليهم من الأموال لتكون الأعمال بالكفاءة مضبوطة والأموال بالأمناء محفوظة.

١٠ـ أن يباشر بنفسه مشارفة الأمور، وتصفح الأحوال لينهض ويهتم بسياسة الأمة وحراسة الملة، ولا يعول على التفويض تشاغلاً بلذة أو عبادة، فقد يخون الأمين، ويغش الناصح، وقد قال الله تعالى: ﴿ يا دَاوُودُ إنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُم بَينَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [ص:٢٦]. فلم يقتصر سبحانه على التفويض دون المباشرة، ولا عذره في الاتباع حتى وصفه بالضلال، وهذا وإن كان مستحقًّا عليه بحكم الدين ومنصب الخلافة فهو من حقوق السياسة لكل مسترعٍ، قال النبي ﷺ: «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته»(١٢٨) (١٢٩) .

---

(١٢٨) أخرجه البخاري «كتاب الجمعة»: باب الجمعة في القرى والمدن (ح٨٩٣) (٣٨٠/٢)، ومسلم «كتاب الإمارة» باب فضيلة الإمام العادل ح (١٨٢٩).

(١٢٩) «الأحكام السلطانية» (ص٢٧).

* * *

المبحث الثاني حقوق الإمام:

فإذا أدى الإمام ما عليه من واجبات نحو الأمة وجبت له عليهم حقوق.

وقد حصرها الماوردي في: النصرة، والطاعة، وهذا لا خلاف فيه بين العلماء؛ لكثرة النصوص الواردة في الحث على طاعة ولاة الأمور وعدم منازعتهم الأمر ما لم يأمر بمعصية وكذلك من حقوق الإمام بذل النصح والمشورة، لقوله ﷺ: «الدين النصيحة»، قيل: لمن يا رسول الله؟ قال: «لله ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم»(١٣٠) .

* * *

الفصل التاسع توليات الإمـام

مقدمة:

مما لا شك فيه أن الإمام وهو شخص واحد يتعذر عليه القيام بمهماته كاملة لا سيما مع اتساع الدولة وتعدد أقطارها، الأمر الذي يجعله مضطرًّا إلى المعاونة في تنفيذ شئون الدولة، من تسيير الجيوش، وجباية الأموال، والفصل بين المتخاصمين، وإمامة الجمع والجماعات، والأعياد، وغير ذلك من الأمور التي هي في الأصل منوطة بالإمام الأعظم، لهذا جاز أن يقيم الإمام ولاة عنه في تولي هذه الشئون وغيرها مما تستدعي إلى الإنابة فيه، ومن ذلك الوزارة.

* * *

المبحث الأول في تعريف الوزارة:

تعريفها لغة: الوزارة مشتقة من «الأزر» أو «الوزر»،وأكثر ما تطلق في اللغة على الوزر، ولذا لا نجد كلمة وزير في المعاجم في مادة أزر، وإنما نجدها في مادة «وزر»، واختلف في اشتقاقها، وقد أورد ابن منظور أوجه الاختلاف:

١ ـ فذهب قوم إلى أنها الوزر، والوزر: الجبل الذي يعتصم به لينجي من الهلاك، وكذلك وزير الخليفة معناه: الذي يعتمد على رأيه في أموره ويلتجئ إليه.

٢ ـ وقيل: قيل لوزير السلطان: وزير لأنه يزِرُ عن السلطان أثقالاً مما أُسند إليه من تدبير المملكة أي يحمل ذلك.

---

(١٣٠) رواه مسلم في «صحيحه» (٧٥،٧٤/١).

وإلى ذلك ذهب الجوهري فقال: الوزير الموازر كالأكيل المواكل لأنه يحمل عنه وزره ـ أي: ثقله
٣ ـ ووازره على الأمر: أعانه وقواه، والأصل آزره.
قال ابن سيده: ومن هاهنا ذهب بعضهم إلى أن الواو في وزير بدل من الهمزة.
وفي اللسان: الوزير حبأُ الملك الذي يحمل ثقله ويعينه برأيه، والحبأ: جليس الملك وخاصته، وحالته: الوَزراة والوِزارة، والكسر أعلى(١٣١) .
وقال الزمخشري في «أساس البلاغة»: وهو وزير الملك الذي يوازره أعباء الملك ـ أي: يحامله ـ وليس من المؤازرة: المعاونة؛ لأن واوها عن همزة، وفعيل منها أزير، ووزر فلان للأمير يزر له وزارة واستوزر استيزارًا.
وعن النظر: سمعت رجلاً فصيحًا من جذام يقول: نحن أوزاره أجمعون ـ أي: وزراؤه وأنصاره نحن أشراف وأيتام(١٣٢) .
وفي «دائرة المعارف الإسلامية» كلمة الوزير كمفهومها من أصل فارس ومعناه:الحاكم والمقرر، وقد أخذ العرب هذا اللقب عن ملوك ساسان، ثم عاد الفرس واستعملوه في لهجتهم الحديثة وهم يظنونه عربيا، ورجح أحمد أمين أن أصل الكلمة عربي على ما ذهب إليه بعض المستشرقين من أصل الكلمة فهو مأخوذ من فيتر [CHIRA –VI] ومعناه الأمر أو التقرير.
والراجح أن كلمة وزير عربية فصيحة لأنها عرفت قبل الإسلام، ذلك بأن من المسلم به عند علماء اللغة العربية أن القرآن الكريم يمثل من الناحية اللغوية نهاية العصر الجاهلي، وقد وردت الكلمة فيه مرتين على ما سأبينه.
وفي الطبري: أن عبد الله بن الزبير آوى إلى داره رجلا من الأفراد يدعى وزيرًا ويغلب على الظن أن الرجل الذي آواه ابن الزبير إلى داره كان قد تجاوز الثلاثين لأن ابن الزبير كلفه بمهمة يؤديها إلى أم المؤمنين عائشة، أي أنه من ذوي الحنكة والخبرة، فإذا كان العرب في الجاهلية تسمي أبناءها وزيرًا فذلك دليل شيوع الكلمة واستعمالها قبل الإسلام.
ومما يرجح القول بأن كلمة وزير مشتقة من الأزر، بمعنى: المعاونة ـ قوله تعالى في سورة طه حكاية عن موسى عليه السلام: ﴿ وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي (٢٩) هَارُونَ أَخِي (٣٠) اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي (٣١) وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴾ [طه:٢٩_٣١]؛ لأن القرآن أعظم وأعلى مرجع للاحتجاج به عند جميع علماء اللغة، ذلك المصدر اليقين الثابت الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه،

---

(١٣١) انظر: «لسان العرب» لابن منظور (٢٨٣،٢٨٢/٩) مادة (وزر).
(١٣٢) «أساس البلاغة» (ص٣٧٦).

وهو النص الذي بلغ الذروة في البلاغة، كما أن ما جاء فيه حجة على الناس كافة.
فالآية نص في أن الوزير مشتق من الأزر؛ لأن موسى ـ عليه السلام ـ طلب من الله أن يجعل أخاه وزيرًا له أي: معينًا بدليل قوله: ﴿ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي (٣١) وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴾ ، وفي الآية الكريمة دليل على جواز اتخاذ الوزير؛ لأنه إذا جاز في النبوة فمن باب أولى أن يجوز فيما دونها.

* * *

المبحث الثاني تقسيم الوزارة:

اعلم أن تقسيم الوزارة إلى: وزارة تفويض، ووزارة تنفيذ، أنه تقسيم اصطلاحي نظري بمعنى أنه لم يكن معروفًا لدى الخلفاء والأئمة في العصور الماضية، أن يقولوا: أنت يا فلان وزير تفويض، وأنت وزير تنفيذ، ولكن الذين اصطلحوا على تقسيم الوزارة على هذا المعنى نظروا في وقائع التاريخ، وتتبعوا أحوال الملوك والخلفاء مع وزرائهم، فوجدوا أن من الوزراء من يكون له صلاحيات تقرب من صلاحيات الإمام فسموا هذا وزير تفويض كحال وزراء هارون الرشيد، ووجدوا شكلاً آخر للوزارة يكون مقصورًا على التنفيذ فقط سموه وزير تنفيذ.

* * *

المبحث الثالث وزارة التفويض:

هي أن يستوزر الإمام من يفوض إليه تدبير الأمور برأيه وإمضاءها على اجتهاده.
ويعتبر في تقليد هذه الوزارة شروط الإمامة، وهو أن يكون من أهل الكفاية فيما وكل إليه من أمر الحرب والخراج، خبيرًا بهما، فإنه مباشر لهما تارة بنفسه وتارة يستنيب فيهما أخرى، ولا يصل إلى استنابة الكفاية إلا أن يكون منهم، كما لا يقدر على المباشرة إذا قصر عنهم.
وروى الماوردي كتابًا قيل: إن المأمون كتبه واعتبر ما جاء فيه الشروط الجامعة لوزير التفويض قال: حكي أن المأمون كتب في اختيار وزير: إني التمست لأموري رجلاً جامعًا لخصال الخير، ذا عفة في خلائقه واستقامة في طرائقه، قد هذبته الآداب، وأحكمته التجارب، إن اؤتمن على الأسرار قام بها، وإن قلد مهمات الأمور نهض فيها، يسكته الحلم، وينطقه العلم، وتكفيه اللحظة، وتغنيه اللمحة، له صولة الأمراء، وأناة الحكماء، وتواضع العلماء، وفهم الفقهاء، إن أحسن إليه شكر، وإن ابتلي بالإساءة صبر، لا يبيع نصيب يومه بحرمان غده، يسترق قلوب الرجال بخلابة لسانه وحسن بيانه.
وعلى الرغم من هذا التفويض المطلق لوزير التفويض فإن العلماء قد افترضوا وجوب رجوعه إلى الخليفة في الأمور التي يبرمها نيابة عنه كما افترضوا قيام الخليفة بمراجعة أعمال الوزير.

قال الماوردي: النظر في وزارة التفويض ـ وإن كان على العموم ـ معتبر بشرطين يقع الفرق بهما بين الإمامة والوزارة:

أحدهما: يختص بالوزير وهو مطالعة الإمام لما أمضاه من تدبير، وأنفذه من ولاية وتقليد، لئلا يصير بالاستبداد كالإمام.

والثاني: مختص بالإمام وهو أن يتصفح أفعال الوزير وتدبيره الأمور ليقر منها ما وافق الصواب، ويستدرك ما خالفه؛ لأن تدبير الأمر إليه موكول وعلى اجتهاده محمول.

ولكن هذا الافتراض الذي يدعو إليه العقل كما تدعو إليه السياسة والتدبير وحسن العلاقات بين الإمام والوزير ـ لم يكن مرعيا دومًا، وربما استبد الوزير فعلاً بكل شئون الدولة، وربما حجر على الخليفة أو حبسه في قلعة أو قصر.

قال السيوطي: انحدر المعتمد على الله إلى سامراء فتلقاه هناك ابن مخلد بجانب الموفق (أخ المعتمد) فأنزله في دار أحمد بن الخطيب، ومنعه من نزول دار الخلافة، ووكل به خمسمائة رجل يمنعون من الدخول إليه، وأقام هناك في خدمة المعتمد، ولكن ليس للمعتمد حل ولا ربط وقال المعتمد في ذلك:

اليس من العجائب ان مثلي * يري ما قل ممتنعا عليه**

وتؤخذ باسمه الدنيا جميعا * وما من ذاك شيء في يديه**

اليه تحمل الأموال طُرا * ويمنع بعض ما يجبى اليه**

وهو أول خليفة قهر وحجر عليه ووكل به، وأمثال ذلك في التاريخ كثير، وقد تكون صلاحيات وزير التفويض لا حد لها مثل ما كان لوزراء هارون الرشيد البرامكة، وقصة جعفر البرمكي التي رواها الجهشياري برواية إبراهيم بن المهدي ـ خير مثال على مدى ما يتمتع به بعض وزراء التفويض من صلاحيات مطلقة:

قال: خلا جعفر بن يحيى في منزله يومًا وحضر ندماؤه وكنت فيهم وتقدم الحاجب بحفظ الباب إلا من عبد الملك بن نجدان كاتبه فوقع في أذن الحاجب عبد الملك ومضى صدر من النهار، وبلغ عبد الملك بن صالح مقام جعفر في منزله فركب إليه فوجه الحاجب إلى جعفر: قد حضر عبد الملك، فقال: يؤذن له، وهو يظنه ابن نجدان، فدخل عبد الملك بن صالح، فلما رآه جعفر اسود وجهه، ورآنا على حالنا، وكان عبد الملك لا يشرب النبيذ، وكان ذلك سبب وجد الرشيد عليه؛ لأنه كان يلتمس ندامته فيأبى عليه، فوقف عبد الملك على ما رأى من جعفر، وأقبل حتى وقف

على باب المجلس الذي نحن فيه، فسلم ودعا بطعام فأكل، فلما أراد الانصراف قال له جعفر: سل حاجتك، فما يحتط مقدرتي بمكافأة ما كان منك.

فقال: إن في قلب أمير المؤمنين هنه فتسأل الرضا عني.

قال: قد رضي عنك أمير المؤمنين.

قال: وعلي أربعة آلاف درهم تقضى عني.

قال: إنها لعندي حاضرة، ولكن اجعلها من مال أمير المؤمنين، فإنها أنبل لك وأحب إليك.

قال: وإبراهيم ابني أحب أن أشد ظهره بصهر من أولاد الخلافة.

قال: قد زوجه أمير المؤمنين الغالية.

قال: وأحب أن يخفق لواء على رأسه.

قال: قد ولاه مصر.

وانصرف عبد الملك ونحن نتعجب من إقدام جعفر على قضاء الحوائج من غير استئذان وقلنا: لعله أن يجاب إلى ما سأل من الحوائج، فكيف بالتزويج هل يطلق لجعفر أن يغره؟!

فلما كان من الغد وقفنا على باب الرشيد، ودخل جعفر فلم يلبث أن دعي بأبي يوسف القاضي، ومُحَّد بن الحسن، وإبراهيم بن عبد الملك، وخرج إبراهيم وقد خلع عليه، وزُوِّج وحملت البدر إلى منزل عبد الملك، وخرج جعفر، فأشار إلينا باتباعه إلى منزله، فلما صرنا إليه قال: تعلقت قلوبكم من أول الحديث من أمر عبد الملك فأحببتم علم آخره: إني لما دخلت على أمير المؤمنين، فقمت بين يديه ـ ابتدأت القصة كيف كانت من أولها إلى آخرها، فجعل يقول: أحسن والله حتى إذا أتممت خبره قال: ما صنعت به؟ فأخبرته بما سأل فجعل يقول في ذلك: أحسنت... أحسنت... فهل رأيت أكثر من التمادي وأبعد من هذا التطاول إلا أن مرد ذلك إلى ما كان يتمتع به جعفر من ثقة لدى الرشيد ولما آنس عنه من تسليط على مثل هذه الأمور.

ولكن على الرغم من هذا التفويض المطلق، فإن العلماء قد نصبوا أمورًا ثلاثة لا يصح لوزير التفويض أن يقوم بها:(١٣٣).

قال الماوردي: «ويجوز لهذا الوزير أي: وزير التفويض ـ أن يحكم بنفسه، وأن يقلد الحكام، كما يجوز ذلك للإمام؛ لأن شروط الحكم فيه معتبرة، ويجوز أن ينظر في المظالم ويستنيب فيها لأن شروط المظالم فيه معتبرة، ويجوز أن يتولى الجهاد بنفسه، وأن يقلد من يتولاه؛ لأن شروط الحرب فيه

---

(١٣٣) نظام الحكم والشريعة والتاريخ- ظافر القاسمي ص٤٣٨

معتبرة، ويجوز أن يباشر تنفيذ الأمور التي دبرها، وأن يستنيب في تنفيذها لأن شروط الرأي والتدبير فيه معتبرة، وكل ما صح من الإمام صح من الوزير إلا ثلاثة أشياء:

أحدها: ولاية العهد؛ فإن للإمام أن يعهد إلى من يرى، وليس ذلك إلى الوزير.

الثاني: أن للإمام أن يستعفي الأمة من الإمامة، وليس ذلك للوزير.

الثالث: أن للإمام أن يعزل من قلده الوزير، وليس للوزير أن يعزل من قلده الإمام.

وما سوى هذه الثلاثة فحكم التفويض إليه يقتضي جواز فعله وصحة نفوذه منه (١٣٤) .

قال الماوردي: فإن عارضه الإمام في رد ما أمضاه، فإن كان في حكم نفذ على وجهه، أو في مال وضع في حقه ـ لم يجز نقض ما نفذ باجتهاده من حكم ولا استرجاع ما فرق برأيه في مال، فإن كان في تقليد وال، أو تجهيز جيش وتدبير حرب جاز للإمام معارضته بعزل المولى، والعدول بالجيش إلى حيث يرى، وتدبير الحرب بما هو أولى، لأن للإمام أن يستدرك ذلك من أفعال نفسه، فكان أولى أن يستدركه من أفعال وزيره(١٣٥) .

* * *

المبحث الرابع تقليد الوزارة:

التقليد بلغة اليوم هو التعيين أو التسمية، وفي كتب اللغة مشتق من القلادة، وأنه مستعمل مجازًا في احتمال الأمر وتوليه، ويخيل إلي أن وجه المجاز هو أن العرب تقول: طوقت عنقي بمنتك، والتطويق بمعنى التقليد؛ لأن الطوق والقلادة بمعنى واحد، وقد أطلقوا هذه التسمية (التقليد) حينما يعهد الخليفة إلى شخص بالوزارة، وكأنهم يعنون أنه قد منَّ عليه، ولست أرى لهذا المجاز وجهًا آخر.

غير أن هذا المعنى الواقعي العملي الذي يتم على الحقيقة الفعلية، وإن كان الفقهاء قد استعملوه إلا أنهم رأوا أن تقليد الوزارة أو أية ولاية كانت ـ ليست إلا عقدًا ثنائي الطرف ككل العقود.

قال الفراء في «الأحكام السلطانية» (ص١٣): ويفتقر تقليده ـ أي: الوزير ـ إلى لفظ الخليفة؛ لأنها ولاية تفتقر إلى عقد، والعقود لا تصح إلا بالقول، فإن وقع له بالنظر أو أذن له فيه (أي: كتابة) فالقياس أنه يصح التقليد هذا عند الفراء.

أما الماوردي فقد اعتبر أنه لم يتم التقليد حكمًا وإن أمضاه الولاة عرفًا فأنزل العرف منزلة الحكم الشرعي وقد فصل الفقهاء الصيغ التي ينبغي أن تتم بالقول أو الكتابة حتى يكون التقليد صحيحًا

---

(١٣٤) «الأحكام السلطانية» للماوردي (ص:٢٢ ـ ٥٢) الباب الثاني: في تقليد الوزارة.

(١٣٥) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص٢١٣ .

وذهبوا في ذلك إلى افتراضات لا غنى فيها ولا طائل تحتها لأنها لا تمت إلى الواقع العملي بأي صلة غير أن الماوردي قد أشار في هذا الموضوع إلى ناحية سياسية دقيقة تعلل الإيجاز في عقود الخلفاء والملوك قال: وليس يراعى فيما يباشره الخلفاء وملوك الأمم من العقود العامة ما يراعى في الخاصة **ومن الشروط المؤكدة لأمرين:**

أحدهما: أن من عادتهم الاكتفاء بيسير القول عن كثيره، فصار ذلك فيهم عرفًا مخصوصًا، وربما استثقلوا الكلام، فاقتصروا على الإشارة غير أنه ليس يتعلق بها في الشرع حكم لناطق سليم، فكذلك خرجت بالشرع من عرفهم.

والثاني: أنهم لقلة ما يباشرونه من العقود تجعل شواهد الحال في تأهبهم لها موجبًا لحمل لفظهم المجمل على الغرض المقصود دون الاحتمال المجرد.

ولكن هذا الإيجاز الذي رأى الماوردي أنه من مستلزمات الخلافة والملك لم يكن مرعيا إلا في العقود الشفهية أما العقود الكتابية وتسمى العهود أيضًا فقد ابتدأت قصيرة وانتهت طويلة مرتبة بالمحسنات اللفظية.

* * *

المبحث الخامس وزارة التنفيذ:

أما وزارة التنفيذ فإن هذه التسمية نظرية علمية ـ أيضًا ـ لا نجدها إلا في كتب الأحكام السلطانية، ولا نجدها في كتب التراجم أو في كتب التاريخ، أو في الكتب، أما في كتب التاريخ التي بحثت عن تاريخ الوزراء، ولو تدبرنا التعريف الذي أورده العلماء لوزير التنفيذ لوجدنا أن عمله دائم حينًا ومؤقت حينًا آخر، وهو من ناحية أشبه بصاحب البريد أو بصاحب الخبر، ومن ناحية أخرى يتمتع باختصاصات عملية ولا يقتصر عمله على الأخبار المحضة، ولا ريب عندي في أن مثل هذا العمل قد كان، وأنه وجد له أمثلة في تاريخ الحكم، غير أني لم أجد له مثالاً واضحًا خلال قراءاتي، وإليك ما قاله الفراء(١٣٦) والماوردي(١٣٧) في تعريف وزير التنفيذ واختصاصه: «وأما وزارة التنفيذ فحكمها أضعف وشروطها أقل؛ لأن النظر فيها مقصور على رأي الإمام وتدبيره، وهذا الوزير وسيط بينه وبين الرعايا والولاة يؤدي عنه ما أمر، وينفذ عنه ما ذكر، ويمضي ما حكم، ويخبر بتقليد الولاة، وتجهيز الجيوش، ويعرض عليه ما ورد من مهم وتجدد من حدث ملم، ليعمل فيه ما يؤمر به، فهو معين في تنفيذ الأمور، وليس بوال عليها ولا متقلدًا لها، فإن شورك في الرأي

---

(١٣٦) (ص: ٥١).

(١٣٧) (ص: ٥٢).

كان باسم الوزارة أخص، وإن لم يشارك فيه كان باسم الواسطة والسفارة أشبه».
هذا ما ذكر العلماء وهو كما ترى قد يكون في قاعدة الخلافة وقد يكون خارجها.
أما الطريقة التي يعين فيها وزير التنفيذ فإليك ما قاله الماوردي(١٣٨) : «وليس تفتقر هذه الوزارة إلى تقليد وإنما يراعى فيها مجرد الإذن».
أما الصفات التي يجب أن تتوفر فيها فقالوا عنها: «ولا تعتبر في المؤهل لها الحرية ولا العلم؛ لأنه ليس له أن ينفرد بولاية، ولا تقليد فتعتبر فيه الحرية، ولا يجوز له أن يحكم فيعتبر فيه العلم وإنما هو مقصور النظر على أمرين:
أحدهما: أن يؤدي إلى الخليفة.
والثاني: أن يؤدي عنه.
فيراعى فيه سبعة أوصاف:
أحدها: الأمانة حتى لا يخون فيما قد اؤتمن عليه، ولا يغش فيما قد استنصح فيه.
والثاني: صدق اللهجة حتى يوثق بخبره فيما يؤديه، ويعمل على قوله فيما ينهيه.
والثالث: قلة الطمع حتى لا يرتشي فيما يلي، ولا ينخدع فيتساهل.
والرابع: أن يسلم فيما بينه وبين الناس من عداوة وشحناء، فإن العداوة تصد عن التناصف وتمنع من التعاطف.
والخامس: أن يكون ذكورًا لما يؤديه إلى الخليفة وعنه لأنه شاهد وعليه.
والسادس: الذكاء والفطنة حتى لا تدلس عليه الأمور فتشتبه، ولا تموه عليه فتلتبس، فلا يصح مع اشتباهها عزم ولا يصلح مع التباسها حزم.
والسابع: أن لا يكون من أهل الأهواء فيخرجه الهوى من الحق إلى الباطل، ويتدلس عليه المحق من المبطل، فإن الهوى خادع الألباب وصارف له عن الصواب.
وظاهر النصوص يفيد أن لفظ «وزير التنفيذ» لم يكن يطلق إلا لمن كانت له مشاركة في الرأي كما يفيد ظاهرها أن لو لم تكن هذه المشاركة سمي: وسيطًا أو سفيرًا، ويتأكد ذلك من قولهم: «فإن كان هذا الوزير مشاركًا في الرأي احتاج إلى وصف ثامن وهو: الحنكة والتجربة التي تؤديه إلى صحة الرأي وصواب التدبير، فإن في التجارب خبرة بعواقب الأمور».
وإن لم يشارك في الرأي لم يحتج إلى هذا الوصف، وإن كان ينتهي إليه مع كثرة الممارسة.

---

(١٣٨) ص٢٦.

ومنعوا تولي المرأة وزارة التنفيذ وأجازوها لأهل الذمة فقالوا: «ولا يجوز أن تكون بذلك امرأة، وإن كان خبرها مقبولاً، لما تضمنه معنى الولايات المصروفة عن النساء، لقول النبي ﷺ: «لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة»(١٣٩) ولأن فيها من طلب الرأي وثبات العزم ما تضعف عنه النساء، ومن الظهور في مباشرة الأمور ما هو عليهن محظور.

ويجوز أن يكون هذا الوزير من أهل الذمة وإن لم يجز أن يكون وزير التفويض منهم.

* * *

المبحث السادس المقارنة بين وزارتي التفويض والتنفيذ:

ويكون الفرق بين هاتين الوزارتين بحسب الفرق بينهما في النظرين، وذلك من أربعة أوجه:

أحدها: أنه يجوز لوزير التفويض مباشرة الحكم والنظر في المظالم، وليس ذلك لوزير التنفيذ.

والثاني: أنه يجوز لوزير التفويض أن يستبد بتقليد الولاة، وليس ذلك لوزير التنفيذ.

والثالث: أنه يجوز لوزير التفويض أن ينفرد بتسيير الجيوش، وتدبير الحروب، وليس ذلك لوزير التنفيذ.

والرابع: أنه يجوز لوزير التفويض أن يتصرف في أموال بيت المال بقبض ما يستحق له وبدفع ما يجب فيه، وليس ذلك لوزير التنفيذ(١٤٠) .

قالوا: ويفترقان أيضًا في أربعة شروط:

الحرية، والإسلام، والعلم بالأحكام الشرعية، والمعرفة بأمري الحرب والخراج، فهي معتبرة في وزارة التفويض وغير معتبرة في وزارة التنفيذ.

* * *

المبحث السابع وحدة الوزارة:

مرت بنا نظريات العلماء في وحدة الخلافة وتعددها، وحيث كان وزير التفويض نائبًا عن الخليفة لذلك بحث العلماء وحدة الوزارة وتعددها، فاتفقوا على أنه:

يجوز للخليفة أن يقلد وزيري تنفيذ على اجتماع وانفراد، ولا يجوز أن يقلد وزيري تفويض على الاجتماع لعموم ولايتهما؛ كما لا يجوز تقليد إمامين لأنهما ربما تعارضا في العقد والحل، والتقليد والعزل وقد قال الله تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ [الأنبياء: ٢٢].

---

(١٣٩) صحيح البخاري (٤٤٢٥) .

(١٤٠) الاحكام السلطانية الماوردي ص٢٧ والفراء ص ١٦ .

فإن قلد وزيري تفويض لم يخل حال تقليده لهما من ثلاثة أقسام:

أحدها: أن يفوض إلى كل واحد منهما عموم النظر، فلا يصح لما قدمناه من دليل وتعليل، وينظر في تقليدهما، فإن كان في وقت واحد بطل تقليدهما معًا، وإن سبق أحدهما الآخر صح تقليد السابق وبطل تقليد المسبوق، والفرق بين فساد التقليد والعزل: أن فساد التقليد يمنع

من نفوذ ما تقدم من نظره، والعزل لا يمنع من نفوذ ما تقدم من نظره.

القسم الثاني: أن يشرك بينهما في النظر على اجتماعهما فيه، ولا يجعل إلى واحد منهما أن ينفرد به، فهذا يصح وتكون الوزارة بينهما لا في واحد منهما، ولهما تنفيذ ما اتفق رأيهما عليه، وليس لهما تنفيذ ما اختلفا فيه ويكون موقوفًا على رأي الخليفة وخارجًا عن نظر هذين الوزيرين.

القسم الثالث: أن لا يشرك بينهما في النظر، ويفرد كل واحد منهما بما ليس فيه للآخر نظر، وهذا يكون على أحد وجهين:

إما أن يخص كل واحد منهما بعمل يكون فيه عام النظر خاص العمل، مثل أن يسند إلى أحدهما وزارة بلاد المشرق وإلى الآخر وزارة بلاد المغرب.

وإما أن يخص كل واحد منهما بنظر يكون فيه عام العمل خاص النظر، مثل أن يستوزر أحدهما على الحرب والآخر على الخراج، فيصح التقليد على كلا الوجهين، غير أنهما لا يكونان وزيري تفويض، ويكونان واليين على عملين مختلفين.

* * *

الفصل العاشر القيم السياسية في نظام الدولة الإسلامية

لا يمكن لحكم الحاكم أن يكون مثاليا ما لم يقم على مبادئ سياسية معينة تعتبر دعائم وأسس يقوم عليها حكمه، وتعتبر هذه المبادئ السياسية التي سأوضحها فيما بعد ذات أثر كبير في صياغة التصور الإسلامي للدولة ووظيفتها وخصائص نظام الحكم فيها.

وانطلاقًا من هذه المبادئ أو القيم السياسية، وتأسيسًا عليها . تبنى التفاصيل والجزئيات التي قد لا يمكن حصرها في نظام هذه الدولة وفي اختصاصات السلطات فيها وفي قيود مباشرة هذه السلطات، وإلى هذه القيم يحتكم الحكام والمحكومون عند الاختلاف بينهم، وعلى هدي توجيهاتها يؤدي الجميع في الدولة الإسلامية واجباتهم، وينالون حقوقهم، ومن أهم هذه المبادئ السياسية:

أولاً: الشورى.

ثانيا: العدل.

ثالثًا: الحرية.

رابعًا: المساواة.

* * *

المبحث الأول الشورى في الإسلام

المطلب الأول تعريف الشورى:

تعريفها: مأخوذة من شار العسل يشوره شورًا وشيارًا وشيارة ومشارًا ومشارة: استخرجه من موضعه واجتباه.

قال الشاعر:

لا يهاب الشوك قطاف الجنا * وابار النحل مشتار الضرب**

(الضرب = العسل)

قال أبو عبيد: شرت العسل واشترته: اجتنيته وأخذته من موضعه، وشار الإبل شورًا وشورها وأشارها: كل ذلك راضها أو ركبها عند العرض على مشتريها.

وكذلك يقال: شرت الدابة أشورها شورًا إذا قلبتها، والتشوير: أن تشور الدابة تنظر كيف مشوارها . أي: كيف سيرتها .

ويقال: للمكان الذي تشور فيه الدواب وتعرض: المشوار، ويقال: إياك والخطب فإنها مشوار كثير العثار.

واستشاره: طلب منه المشورة، ومثل الشورى المشورة والمشاورة وتقول: شاورته في الأمر واستشرته بمعنى واحد.

قال الفراء: الشورى أصلها مشورة، ثم نقلت إلى شورى لخفتها(١٤١) .

وقال الرازي في تفسيره: «يقال: شاورهم مشاورة ومشوارًا ومشورة»(انتهى).

والملاحظ أن هذه المعاني كلها تدور حول الاستخراج والاستظهار، وبهذا يتبين أن الشورى مصدر يعني: التشاور، يقال: تشاور القوم إذا اجتمعوا على الأمر ليستشير كل واحد منهم صاحبه ويستخرج ما عنده من رأي، هذا معنى الشورى في اللغة.

---

(١٤١)(لسان العرب لابن منظور ج ٦ ص ١٠٣ – ص١٠٤) والقاموس المحيط ج ٢ ص ٦٥

أما الشورى في الاصطلاح: فقد وردت عدة تعريفات للشورى في الاصطلاح منها:
ما قاله الراغب: هي استخراج الرأي بمراجعة البعض إلى البعض من قوله: شرت العسل إذا أخذته من موضعه واستخرجته منه(١٤٢) .

وقال ابن العربي: هي الاجتماع على الأمر ليستشير كل واحد منهم صاحبه ويستخرج ما عنده.
ويرد على هذا التعريف أنه لا يستقيم في علم المنطق: لأنه في المنطق كلمة «ليستشير» واردة في تعريف الشورى مع أن المقصود من التعريف تفهم المعرف بالمعرف، فإذا كان كل واحد منهم يتوقف فهمه على الآخر فهذا يعني توقف الشيء على نفسه، وهو الدور، والدور لا يقبل في الحدود عند علماء المنطق(١٤٣) .

وقال الطبري في «تفسيره»: هي المفاوضة في الكلام ليظهر الحق(١٤٤).
وهذه التعاريف المتقدمة كلها تعطي معنى واحدًا: هو استخراج الصواب بعد التعرف على آراء الآخرين وإحالة النظر بها.

ومن العلماء المحدثين من عرف الشورى في الاصطلاح بأنها: «استطلاع الرأي من ذوي الخبرة فيه للتوصل إلى أقرب الأمور للحق»(١٤٥).

* * *

المطلب الثاني أدلة حجية الشورى في القرآن الكريم:

يستدل على حجية الشورى بالقرآن والسنة.

أما القرآن الكريم فقد وردت فيه آيتان كريمتان ذكرت فيهما الشورى كأمر واجب في إحداهما، وكوصف يمدح فاعلوه المتصفون به في الثانية.

ففي الآية الأولى: يخاطب القرآن الكريم رسول الله ﷺ يقول له: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ ﴾ [آل عمران:١٥٩].

وقد نزلت هذه الآية عقب غزوة أُحُد التي خرج إليها الرسول ﷺ نزولاً على رأي أصحابه، وكان رأيه أن يبقوا في المدينة ويدافعوا عنها من داخلها، وبينت الأحداث التي مرت بالمسلمين في أثناء

---

(١٤٢) (الشورى في ظل النظام الحكم الإسلامي ص ١٣)

(١٤٣) (الشورى بين النظرية والتطبيق ص ١٤)

(١٤٤) (ج ٩ ص ٣٣)

(١٤٥) (الأسس التي تقوم عليها الحكومة الاسلامية ص ٣٤٥ . (لمعاود عايد عيد العوفي رسالة ماجستير)

هذه الغزوة أن رأي الرسول ﷺ كان هو الأصوب والأصح، ومع ذلك أمر الله نبيه بعد هذه الأحداث بأن يستغفر لأصحابه وبأن يشاورهم في كل ما يحتاج إلى مشاورة، والنص بهذه الصورة وفي هذه الظروف نص قاطع لا يدع مجالاً للشك في أن الشورى مبدأ أساسي من مبادئ النظام السياسي الإسلامي، وقيمة عليا يجب على الأمة المسلمة أن تتمسك بها دائمًا وتحت جميع الظروف.

أما الآية الثانية: فهي قول الله ـ تعالى ـ في سورة الشورى: ﴿ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ ينفِقُونَ ﴾ [الشورى: ٣٨] ، وهذه الآية مكية نزلت في مكة، ومن ثم فإن وصف المؤمنين بأن أمرهم شورى يفيد أن الشورى من خصائص الإسلام التي يجب أن يتحلى بها المؤمنون سواء أكانوا يشكلون جماعة لم تقم لهم دولة بعد ـ وذلك كان هو حال المسلمين في مكة ـ أم كانوا يشكلون دولة قائمة بالفعل كما كان حال المسلمين في المدينة.

وبالإضافة إلى هاتين الآيتين يرى الأستاذ الشيخ/ محمد عبده أن في قوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يدْعُونَ إِلَى الْخَيرِ وَيأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَينْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران:١٠٤] دليلاً أقوى على وجود الشورى من الدليل المستمد من الآيتين السابق ذكرهما، وهو يقدر ذلك ببيان أن آية سورة الشورى تبين أن التشاور في الأمور وصف ممدوح عند الله وأن آية «آل عمران» الأخرى: ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ ﴾ توجب على الحاكم المشاورة.

ثم يستدرك قائلاً: ولكن إذا لم يكن هناك ضامن يضمن امتثاله ـ أي الحاكم ـ للأمر فماذا يكون إذا هو تركه؟ وأما هذه الآية فإنها تفرض أن يكون في الناس جماعة متحدون وأقوياء يتولون الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو عام في الحكام والمحكومين ولا معروف أعرف من العدل ولا منكر أنكر من الظلم.

* * *

المطلب الثالث الشورى في السنة النبوية:

أما السنة النبوية فإنها زاخرة بالأمثلة العملية لاستشارة الرسول ﷺ لأصحابه، حتى قال أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ: ما رأيت أحدًا أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله ﷺ.

ومن ذلك: استشارة الرسول ﷺ لأصحابه في الخروج يوم بدر، وفي المنزل الذي ينزله عندها، وفي الخروج أو البقاء في المدينة يوم أحد، وفي مصالحة بعض الأحزاب يوم الخندق على ثلث ثمار المدينة، وغير ذلك كثير(١٤٦) .

ومن هذه السنة العملية لرسول الله ﷺ تستفاد قاعدة عامة محتواها أن الحاكم أو الإمام يستشير الأمة أو أولي الرأي فيها فيما يحتاج الوصول إلى قرار بشأن تبادل الآراء، وذلك في شأن الرسول ﷺ قاصر على الأمور التي لم يكن فيها نص بفعل أمر معين أو تركه، فإن ما كان محلاً لوحي فلا مجال للمشاورة وقد تمتد حتى تغطي تلك المسائل المنصوص على أحكامها إذا كانت المناقشة خلال الشورى ترمي إلى الوصول إلى اتفاق على فهم ملائم لظروف الوقائع أو الزمان أو المكان لتطبيق النصوص بالإضافة إلى شمول الشورى بطبيعة الحال لتلك الأمور التي لم يرد فيها نص معين. أي: الأمور التي تركت للاجتهاد ..

والرأي الراجح بين الفقهاء: هو أنه يجب على الحاكم مشاورة الأمة في الأمور العامة بحيث إذا تركها الحاكم كان للأمة أن تطالبه بها وأن تبدي رأيها ولو لم يطلب منها. فيما قد يكون لها فيه رأي.

وهذا الوجوب مستفاد من الآيتين الكريمتين اللتين قدمنا ذكرهما في أدلة حجية الشورى.

ففي الآية الأولى: جاء الأمر إلى الرسول ﷺ بأن يشاور أصحابه: ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ ﴾

وإذا كانت المشاورة واجبة على رسول الله ﷺ وهو يحكم دولة الإسلام الأولى فإنها تجب كذلك من باب أولى على كل حاكم دولة إسلامية بعده، ويبدو ذلك واضحًا إذا تذكرنا أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان في واقع الأمر مستغنيا عن المشاورة، إذ يأتيه الوحي بحل ما قد يبدو مشكلاً من الأمور، بينما لا سبيل أمام من بعده من الحكام إلا أن يستفيدوا من خبرات وآراء أولي الرأي في الأمة.

وأما الآية الثانية: فقد جعلت الشورى وصفًا لازمًا للمؤمنين يحفها من يمينها في النص القرآني وصف المؤمنين بالاستجابة لله، وإقامة الصلاة، ومن يسارها وصفهم بالإنفاق مما رزقهم الله. تعالى. وذلك كله من فرائض الإسلام وواسطة عقد هذه الآية الكريمة هي الشورى التي مدح بها المؤمنون، وكأن وصف الإيمان الكامل لا يتحقق بغيرها .

---

(١٤٦) سنن الترمذي (١٧١٤) وحكم الألباني ضعيف

ومع أن القول بالوجوب في شأن الشورى هو الأرجح عند فقهاء المسلمين فقد ذهب البعض إلى أن الأمر الوارد بالشورى إنما هو للندب لا للوجوب، وأن المقصود بهذا الندب هو تطييب قلوب الصحابة.

والواقع أن هذا لا يعدو أن يكون فهمًا في معنى الآية الكريمة وسبب نزولها، وليس ثمة ما يمنع من القول بأن تطييب القلوب هو أحد أسباب الأمر بالشورى ولكنه ليس هو السبب الوحيد، وليس أدل على ذلك من فعل الرسول ﷺ نفسه في كثرة مشاورته لأصحابه، وقد فطن الفقهاء المسلمون إلى هذه المعاني كلها، فقد روي أن الشورى من عزائم الأحكام التي لابد من نفاذها والعزائم من الواجبات التي لا يجوز تركها، ورتبوا على ذلك أن من ترك الشورى من الحكام فعزله واجب دون خلاف(١٤٧) .

* * *

المطلب الرابع نطاق الشورى:

أما نطاق الشورى، أي: المسائل التي يمكن أن تكون محلاً لها ـ فذلك ما لا نجد له في النصوص المقررة لوجوب الشورى تحديدًا قاطعًا، فقد ورد الأمر بالشورى في القرآن الكريم واصفًا إياها بأنها الشورى في الأمر، وفي هذه الكلمة من العموم والإطلاق ما يجعلها تشمل كل شئون الجماعة المسلمة في كل نواحي حياتها، فإذا تمشينا مع هذا الإطلاق والعموم في كلمة (الأمر) فإننا نستطيع القول بأن جميع الشئون العامة للأمة المسلمة يمكن أو يجب أن تكون محلاً للشورى، غير أن مثل الإطلاق في الواقع لا يمكن أن يكون مرادًا من النصوص التي تأمر بالشورى، ذلك أنه يوجد قيدان يجب التقيد بهما في هذا الخصوص.

القيد الأول: أن الشورى لا تكون في أي مسألة ورد فيها نص في القرآن الكريم أو السنة التي تعد تشريعًا عامًّا، فهذه الأمور خارجة بالضرورة عن نطاق الشورى بعد ورود النص.

أن تكون محلاً لها اللهم إلا إذا كان موضوع الشورى هو تفسير النص أو تنفيذه، ولا يكون ذلك بداهة إلا فيما بعد عصر الرسالة من عصور، إذ يختص الرسول ﷺ بذلك التفسير والتنفيذ خلال حياته ﷺ.

القيد الثاني: هو أنه حين تعرض مسألة ما على الشورى فإنه لا يجوز أن ينتهي رأي المشيرين أو المستشارين إلى نتيجة تخالف نصًّا من النصوص التشريعية الواردة في القرآن الكريم أو السنة النبوية،

---

(١٤٧)(تفسير القرطبي ج ٤ ص ٢٤٩ – ص٢٥١)

(تفسير الرازي ج ٣ ص ١٢٠ – ص ١٢٢)

إذ مثل هذه المخالفة تمنع الأخذ بالرأي الذي ينتهي إليه الشورى وتجعلها من ثم لا قيمة لها(١٤٨).

أما خارج دائرة هذين القيدين اللذين يمكن اعتبارهما شقين لقيد واحد: هو التزام النصوص في الموضوعات التي تعرض للشورى وفي النتيجة التي تنتهي إليها؛ فإن كل أمر مما لم يرد فيه نص يمكن أن يكون محلاً للشورى ما دام يتعلق بمسألة تعد من الشئون العامة للأمة.

* * *

المطلب الخامس مدى إلزام الشورى:

وإذا كانت الشورى مقررة بنصوص القرآن والسنة، وكان اتباع هذه النصوص واجبًا على الحكام، وكان نطاق الشورى يشمل ما أشرنا إليه في الفقرات السابقة من مسائل، فإنه يبقى علينا أن نبحث مدى إلزام الرأي الذي تنتهي إليه الشورى، أو ما يعرف بمسألة: هل الشورى ملزمة أو معلمة؟

وفي هذا الخصوص نجد أننا أمام رأيين متعارضين:

أحدهما يقول أصحابه: إن الشورى ملزمة للحاكم بحيث إذا استقر رأي أهلها أو غالبيتهم على شيء وجب عليه اتباعه.

أما الرأي الثاني: فيرى أصحابه أنه لا يجب على الحاكم أن يفعل ما انتهت إليه أكثرية المشيرين، وإنما يكفي أن يشاورهم ثم يمضي بعد ذلك فينفذ ما يراه راجحًا عنده، خالف ذلك رأي أهل الشورى أو وافقه.

ويستدل أصحاب هذا الرأي الأخير بتفسير بعض المفسرين لقول الله تعالى: ﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾ [آل عمران:١٥٩]، إذ يذهب هؤلاء إلى أن معنى هذا النص أن للرسول أن يأخذ بما انتهت إليه الشورى أو يدعه.

كما يستدلون ببعض مواقف للرسول ﷺ ولصاحبيه أبي بكر وعمر . يرون فيها أن الشورى لم تكن ملزمة فيما انتهت إليه ومن أهم هذه المواقف:

موقف الرسول ﷺ في قضية «صلح الحديبية» حيث أمضاه ﷺ رغم معارضة بعض أصحابه في ذلك وموقف أبي بكر في إنفاذ جيش أسامة رغم عدم موافقة بقية الصحابة على ذلك، وموقفه من حروب الردة التي خالفه فيها أصحابه، وكذلك موقف عمر في تقسيم أرض العراق.

---

(١٤٨)(الإسلام واوضاعنا السياسية – عبد القادر عودة ص ١٥٨)

(النظام السياسي في الإسلام – عبدالكريم عثمان ص ٣٥)

ويذهب أصحاب الرأي الأول من القائلين بأن الشورى ملزمة: أن الآية المشار إليها إنما تدل على لزوم نتيجة الشورى، إذ لا يكون العزم إلا بعد الشورى، ولذلك قال في تفسيرها القرطبي نقلاً عن قتادة: «إن العزم هو الأمر المروي المنقح وليس ركوب الرأي دون روية عزمًا»(١٤٩)

ولا ينقض ذلك ما يقال من أن معنى: ﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾ أن لا يتوكل على مشاورتهم، ذلك أن التوكل هو طلب التأييد والتسديد، وذلك لا يكون إلا من الله ـ سبحانه وتعالى ـ الذي بيده مقاليد كل شيء، أما دور المشاورة فمحصور في بيان أقرب الآراء إلى الصواب وأولاها بالاتباع.

ويمكننا تأييد هذا الرأي ـ أيضًا ـ بما ذكره الطبري في تفسيره من أن العزم والتوكل على الله إنما يكون في الأمر الذي يصدر فيه الرسول ﷺ عن وحي الله تعالى إليه، وأمره إياه بفعل شيء معين، فعند ذلك لا يجوز للرسول ﷺ أن ينظر إلى رأي أهل مشورته وعليهم أن ينفذوا ما أمر به ـ وافق رأيهم، أو لم يوافقه.

وفي ذلك يقول الطبري: «فإذا صح عزمك بتثبيتنا إياك، وتسديدنا لك فيما نابك وحزبك من أمر دينك ودنياك، فامض لما أمرناك به، على ما أمرناك به وافق ذلك آراء أصحابك وما أشاروا به عليك أو خالفها»(١٥٠) .

وواضح من هذا النص أنه ينبغي العزم على كل ما جاء به الوحي دون نظر فيه إلى الشورى ونتيجتها، أما ما لم يكن فيه وحي فلا دلالة لهذا النص عليه، ويبقى على الأصل من التزام الشورى فيه.

الصحيح هو التزام الحاكم بتنفيذ ما تنتهي إليه الشورى:

وإذا تبين هذا فإنه يصبح بينًا أن الحاكم وقد وجبت عليه الشورى يجب عليه أن يلتزم نتيجتها التي ينتهي إليها رأي أكثر المشيرين، وإنه لا دليل يصح الاستناد إليه في تأييد من ذهب إلى أن الشورى معلمة وليست ملزمة، وإنما الذي تدل عليه الأدلة جميعًا من فعل الرسول ﷺ وصاحبيه أن الشورى متى انتهت إلى رأي وجب على الإمام أو الحاكم تنفيذه.

ونحن إذا تأملنا أدلة القائلين بأن الشورى معلمة لا ملزمة ـ وجدناها لا تدل على ذلك؛ لأن التفسير الذي ذهبوا إليه لبعض الوقائع التي استدلوا بها على أن الشورى غير ملزمة ـ تفسير غير صحيح إيضاح ذلك كما يلي:

---

(١٤٩) (تفسير القرطبي ج ٤ ص ٢٥٢)

(١٥٠) (تفسير الطبري ج ٤ ص ٧١)

أولاً: صلح الحديبية:

لقد استدل هؤلاء على عدم إلزام الشورى بما وقع في صلح الحديبية، حيث لم يأخذ النبي صلى الله عليه وسلم برأي أصحابه، بل كتب الصلح ونفذه على الرغم من معارضة أصحابه له.

والجواب: أن صلح الحديبية لم يكن في أي مرحلة من المراحل محلاً للشورى، وإنما صدر فيه الرسول ﷺ عن الوحي من أدلة أخرى، وكل ما حدث أن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ قد سأل الرسول ﷺ لم يقبل المسلمون الصلح؟ فكان جواب الرسول ﷺ له: «أنا عبد الله ورسوله، لن أخالف أمره، ولن يضيعني»(١٥١) وهذا واضح أن الرسول ﷺ مضى في صلح الحديبية بوحي من الله.

ثانيا: بعث جيش أسامة:

وقد استدلوا ـ أيضًا ـ بتنفيذ أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ لجيش أسامة على الرغم من معارضة الصحابة له.

والجواب:على هذا أن يقال: إن أبا بكر إنما كان ينفذ في ذلك وصية رسول الله ﷺ وقد كان عليه الصلاة والسلام هو الذي جهز جيش أسامة وأشرف على ذلك بنفسه ثم منعه من الخروج مرض رسول الله ﷺ وما فعله أبو بكر في هذا الشأن إنما هو تنفيذ أمر رسول الله ﷺ الذي خرَّج الجيش قبل موته من المدينة فعلاً، ثم رأى قائده أن يقيم حين اشتد مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم على مقربة منها ليروا ما يكون من أمر مرضه عليه الصلاة والسلام، ومن هذا يتضح أن أبا بكر الصديق بتنفيذه بعث جيش أسامة إنما هو تنفيذ لأمر رسول الله ﷺ وهو نص لا مجال فيه للشورى.

ثالثًا: حروب الردة:

أما استدلالهم بفعل أبي بكر في حروب الردة؛ فإنه لا يدل ـ أيضًا ـ على ما ذهبوا إليه؛ لأن المعروف أن أبا بكر ـ رضي الله عنه ـ قد رأى قبل غيره من الصحابة وجوب قتال من ارتد من العرب بعد وفاة الرسول ﷺ وبعد منع الزكاة منهم، غير أن هذا الرأي لم يعد في النهاية رأي أبي بكر وحده وإنما وافقه عليه المعارضون لذلك من الصحابة وعلى رأسهم عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ، فقد روى البخاري ومسلم عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ قوله في هذا الشأن: «فوالله ما هو إلا أن رأيت الله ـ عز وجل ـ شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق»(١٥٢).

(١٥١) مسند أحمد (١٨٩١٠) وحكم شعيب الأرنؤوط إسناده حسن

(١٥٢) صحيح البخاري (٧٢٨٤)

رابعًا: تقسيم عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ لأراضي العراق:

وأما موقف عمر بن الخطاب من تقسيم أرض العراق بعد فتحها، فإنه ـ أيضًا ـ دليل على أخذه بما تنتهي إليه الشورى، وليس دليلاً على إهداره إياها، ذلك أن المروي بأسانيد صحيحة أن عمر قد استشار في ذلك أصحاب رسول الله ﷺ فأشار عليه عامتهم بقسمتها كما قسمت خيبر حين فتحها الرسول ﷺ، وأشار عليه علي بن أبي طالب، ومعاذ بن جبل بعدم قسمتها حتى تبقى موردًا للمسلمين في أجيالهم المتعاقبة، فاقتنع عمر برأيهما، وبدأ يشاور في المسألة المسلمين حتى أقنعهم برأيه، واستجابوا له فلم يقسم أرض العراق.

وما أشبه موقف عمر في هذه القضية بموقف أبي بكر في قضية حرب المرتدين! فكل منهما رأى رأيا لم يوافقه عليه أغلبية الصحابة، وكل منهما لم يزل بأصحابه حتى أقنعهم برأيه وصوابه وكلاهما قد التزم بعد الشورى بما انتهت إليه، ولم يخالفها إلى رأيه الشخصي(١٥٣) .

* * *

المبحث الثاني العـدل:

العدل أساس الملك، وهو إحدى المقومات الأساسية لنظام الحكم، وهو قاعدة الإسلام الكبرى في التشريع، إذ لا يوجد في نظام الحكومات الأخرى من أصول العدل والمساواة بين أجناس الأمة قديمًا وحديثًا مثلما هو موجود في نظام الدولة الإسلامية، وليس أدل على ذلك من آيات القرآن الكريم الكثيرة التي تحض على العدل وتأمر به أمرًا مجملاً شاملاً للشئون كلها في العديد من الآيات، وأمرًا مفصلاً خاصًّا ببعض الأمور التي يتوقع فيها الحيف والظلم في بعض الآيات الأخرى.

فمن آيات القرآن التي جاء فيها الأمر بالعدل على وجه العموم والإطلاق، قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ ﴾ [النحل:٩٠] ،وقوله:﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ [النساء:٥٨].

وقد يبدو للبعض أن هذه الآية الكريمة يقتصر نطاقها على التطبيق في مجال القضاء والحكم في المنازعات بناء عليها وفق قواعد العدالة، غير أن هذا الفهم لا يتفق مع ما ذهب إليه جماهير

(١٥٣) (في النظام السياسي للدولة الإسلامية محمد سليم العوا :ص ١٩١)

المفسرين لكتاب الله؛ إذ يقررون أن المراد من الحكم في هذه الآية هو ما كان عن ولاية عامة أو خاصة(١٥٤) . وكما فرض القرآن العدل فيما بين المؤمنين بعضهم بعضًا فرضه ـ أيضًا ـ فيما بينهم وبين أعدائهم :﴿ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ﴾[المائدة: ٨]، وقد يحمل الحب ـ كما يحمل الكره ـ بعض القلوب على الحيف والجور تحقيقًا لما يظنونه مصلحة من يحبون؛ ولذلك يحذر القرآن من مثل هذا الحيف فيخاطب المؤمنين: ﴿ يا أَيهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَينِ وَالأَقْرَبِينَ ﴾[النساء:١٣٥]، والقسط: هو العدل. وليس المفروض بنصوص القرآن الكريم هو العدل في الحكم والفصل فحسب، بل كذلك يفرض القرآن العدل حتى في القول: ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[الأنعام:١٥٢]. وقد نص القرآن الكريم على وجوب فرض العدل على الناس ولو بالقوة، فقال تعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَينَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيعْلَمَ اللَّهُ مَن ينصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِي عَزِيزٌ ﴾[الحديد:٢٥]، وفي فهم هذه الآية الكريمة قال ابن تيمية رحمه الله: فالمقصود من إرسال الرسل، وإنزال الكتب، أن يقوم الناس بالقسط في حقوق الله وحقوق خلقه، فمن عدل عن الكتاب قوم بالحديد(١٥٥) .

* * *

المطلب الأول تحريم الظلم:

وكما أمر القرآن الكريم بالعدل وحض عليه ورغب فيه، نهى عن الظلم وحذر منه، وبين عاقبة الظالمين فقال سبحانه وتعالى:﴿ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يظْلِمُونَ النَّاسَ وَيبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيرِ الْحَقِّ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[الشورى:٤٢]، وجعل من وظائف الرسول ﷺ، وأسباب نزول القرآن، التحذير من الظلم فقال:﴿ لِّينذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ ﴾[الأحقاف:١٢].

ولم يبح القرآن للمسلم أن يجهر بالسوء من القول إلا في حالة ظلمه: ﴿ لا يحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَن ظُلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴾[النساء:١٤٨]، بل لقد جعل القتال مباحًا في حالة الظلم: ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾[الحج:٣٩].

---

(١٥٤) (نقل إجماع المفسرين على هذا المعنى الشيخ محمد نجيب المطيعي مفتي الديار المصرية سابقاً في كتابه حقيقة الإسلام وأصول الحكم ص ٣٧ – ص ٣٨)

(١٥٥) (السياسة الشرعية ص ٢٦ وانظر في هذا المعنى المرحوم الشيخ محمود شلتوت (الإسلام عقيدة وشريعة ص ٤٦٦)

ويبين القرآن الكريم عاقبة الظلم والظالمين في آيات عديدة، منها قوله تعالى: ﴿ وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴾[الكهف:٥٩]، وقوله تعالى: ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَي مُنقَلَبٍ ينقَلِبُونَ ﴾ [الشعراء:٢٢٧]، وقد عني الرسول ﷺ في أحاديث كثيرة بالأمر بالعدل والنهي عن الظلم، وبين عاقبة العدل في حق الحكام، فجعل أول السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله (الإمام العادل)(١٥٦) وحذَّر ﷺ من الظلم في أي شأن فقد قال: «اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة»(١٥٧).

ومن مجموع هذه الآيات والأحاديث استخرج الفقهاء قواعد إيجاب العدل وتحريم الظلم، حتى قال ابن تيمية: «إن الظالم يستحق العقوبة والتضرير، وهو أصل متفق عليه، وقد نص على ذلك الفقهاء ولا أعلم فيه خلافًا»(١٥٨) .

وقرر تلميذه ابن القيم: «أن العدل هو المقصود من إنزال الكتب، وإرسال الرسل، وأن السياسة العادلة جزء من الدين، فإذا ظهرت أمارات العدل وأسفر وجهه بأي طريق كان فثم شرع الله ودينه»(١٥٩) .

* * *

المطلب الثاني العدل بين النظرة الإسلامية والنظرة الغربية المعاصرة:

ومما تقدم بيانه يتضح أن نطاق العدالة في الشريعة الإسلامية، ومن ثم في الفقه الإسلامي ـ يتسع ليشمل كافة المجالات الإنسانية، وبذلك تتفوق النظرة الإسلامية إلى هذا الأساس الهام، أو هذه القيمة الاجتماعية على غيرها من النظرات القديمة أو المعاصرة.

فإذا نحن نظرنا ـ مثلاً ـ إلى الفقه الدستوري الوضعي الحديث والمعاصر ـ فإننا لا نكاد نجد فيه ذكرًا للعدالة! اللهم إلا في مجال القضاء، حيث يعبر في اللغة الإنجليزية ـ مثلاً ـ عن القضاء والعدل بكلمة واحدة (justice) ولكننا إذا تركنا ميدان الأنظمة السياسية والدستورية فلا نجد ذكرًا للعدالة ولا إشارة إليها، ولا يذكرها رجال الفقه الدستوري ولا الباحثون في الأنظمة السياسية بين خصائص النظام الديموقراطي أو غيره من الأنظمة، ولا يعنى الباحثون الغربيون بدراستها إلا بين الموجهات العامة لسياسة الحكم.

---

(١٥٦) (صحيح البخاري ج ٢ ص ١٣٨) (مسلم ج ٧ ص ١٢١)

(١٥٧) (مشكاة المصابيح بتحقيق مُحَمَّد ناصر الدين الألباني ج ١ ص ٥٨٦)

(١٥٨) (السياسة الشرعية ص ٤٢ – ص ٤٤)

(١٥٩) (الطرق الحكمية ص ١٤)

على أن الآيات والأحاديث التي قدمناها عن إيجاب العدل وتحريم الظلم يجب أن يشار معها إلى بعض الحالات التي نص في خصوصها على إيجاب العدل بيانًا لمدى عناية تشريع الإسلام بهذا الأصل من أصول الحياة الاجتماعية وحرصه على توكيده في الحالات المختلفة.

ونكتفي هنا بمثالين من هذه الحالات:

أحدهما: هو العدل في شئون الأسرة.

والثاني: هو العدل في كتابة الوثائق التي تحفظ الحقوق بين الناس وفي الشهادة عليها.

أما في الشئون الأسرية: فقد جعل القرآن الكريم من العدل شرطًا في الالتزام على تعدد الزوجات فقال تعالى: ﴿ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً ﴾ [النساء: ٣]، وقد جعل الله مجرد الخوف من الجور مانعًا من إباحة أمر مشروع في الأصل وهو تعدد الزوجات.

وقد استخرج الفقهاء من هذه الآية ومثيلات لها في مواضع أخرى قاعدة فحواها: أن المباحات جميعًا مشروطة بألا يكون فى إتيانها حظر أو إيذاء للغير، وأنه متى خيف ذلك أصبح من باب أولى المباح ممنوعًا منعًا لهذا الضرر أو الإيذاء.

وأما في شأن الوثائق التي تثبت بها الديون وتحفظ بها الحقوق بين الناس. فقد أنزلت فيها أطول آية في القرآن الكريم وهي قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿ يا أَيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَاينتُم بِدَينٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيكْتُب بَّينَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ ﴾ ، إلى قوله تعالى: ﴿ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ اللهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَلاَّ تَرْتَابُوا ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، وأمر عقب هذه الآية بعدم كتمان الشهادة وذلك يكون بأدائها على وجهها دون تحريف فيها ولا نقصان منها: ﴿ وَلا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَن يكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ ﴾ [البقرة:٢٨٣].

* * *

المطلب الثالث الالتزام بالعدل غير قاصر على الحكام:

ولعله يتأكد لهذا ما سبق أن قدمناه من شمول العدل في الشريعة الإسلامية وعلاقات الحياة جميعًا وسيطرته عليها سواءً أكانت هذه العلاقات بين الحكام والمحكومين، أم بين خصوم يقفون معًا بين يدي القاضي، أم كانت علاقة خاصة بين الأفراد لم تتصل ولا يقدر لها أن تتصل بسمع القضاة، أم كانت علاقة أسرية بين المسلم وزوجه أو زوجاته، أو بينه وبين أولاده وأن مبدأ تبلغ شريعة الإسلام هذا المبلغ في تقريره وتأكيده ويتسع مداه فيها هذه السعة. لجدير بأن يلتزمه المؤمنون في

شئونهم كلها ـ الخاص منها والعام ـ وأن يبرأ منكره منهم أو مخالفه بإثم القلب إن لم يبوء معه بإثم الفعل.

* * *

المبحث الثالث الحريـة:

هي الغاية السامية التي تتطلع إليها الأنظمة الحاكمة، والنظريات السياسية، والقوانين الموضوعة لتنظيم العلاقات الاجتماعية، على الرغم من ذلك فإن الحرية كانت ولا تزال بعيدة عن أن يحدد لها معنى معين يقبله الجميع.

ويقسم الباحثون ـ في الفقه الدستوري الحديث ـ عن الحرية إلى شعب عديدة، فهناك حرية الرأي، وحرية العقيدة، وحرية التعليم، وحرية الملكية، والحرية الشخصية(١٦٠) .

ومن الأسس التي قام ويقوم عليها نظام الحكم في الإسلام: كفالة الحريات، وهي من القواعد الراسخة التي يقوم عليها الحكم في الأمور الدينية، إذ إن الإسلام يفرض على الحاكم في سياسته للأمة وتدبير شئونها على وفق ما جاء به الشرع من أوامر ونواه.

ومما أمر به الإسلام، كفالة الحريات لكل فرد من أفراد الأمة حتى أصبحت الحرية سمة من سمات الحكم في الإسلام وميزة واقعية يمتاز بها عن سائر نظم الحكم المعروفة قديمًا وحديثًا.

وإذا كانت الدساتير الخاصة بتنظيم الحكم في الدولة الحديثة تقرر مبدأ الحرية لكل فرد في الدولة، فالحرية في الإسلام لفظ جميل محبب إلى الناس يبذلون من أجل تحقيق معناه والحصول على فوائده ـ النفس والنفيس والغالي والرخيص، وكم انفجرت الحروب وأريقت الدماء من أجل الحرية، وفي سبيلها!

فالحرية كلمة مأخوذة من وصف الحر، فالحر والحرية تتلاقيان في الوجود وتستمد اشتقاقها منه، ويتحلى هو بها، ومن هو الحر؟ نجد المعاني تتزاحم وأحيانًا تتضارب عند بعض الناس حتى نجد من الناس من يصف الذين ينطلقون غير مقدرين بأنهم أحرار، وليس هؤلاء من الحرية في شيء، فإن الحر حقًّا هو الشخص الذي تتجلى فيه المعاني الإنسانية العالية الذي يعلو بها عن سفاسف الأمور، ويتجه إلى معانيها، ويضبط نفسه فلا تنطلق أهواؤه، ولا يكون عبدًا لشهوة معينة بل يكون سيد نفسه، فالحر يبتدئ بالسيادة على نفسه، وإذا ساد نفسه وانضبطت أهواؤه وأحاسيسه أصبح لا يزل ولا يهون، وبذلك يكون حرًّا بلا ريب، وإذا كان الحر هو الذي يضبط نفسه ولا يزل

---

(١٦٠) (النظام السياسي للدولة الإسلامية سليم العوا ص ٢٠٧)

ولا يأنف من أن يهضم حقه فهو لا يعتدي، فالحر لا يمكن أن يكون معتديا؛ لأنه يسيطر على أهوائه، ولأنه يعطي لغيره ما يعطيه لنفسه، ولأنه يحس بالمعاني الإنسانية التي يجب أن يلتزمها بالنسبة لغيره، فالحرية طابع أصيل يتضح في المجتمع المسلم، وهي أمل سام يحققه الإسلام للفرد والمجتمع ويضمن له الحياة، ولا يضحي به في سبيل غاية من الغايات.

ولعمري!! هل للحياة من قيمة من غير الحرية؟ وهل لمجتمع فقد حريته من صلاحية للبقاء؟

فالحرية ضرورة لكل فرد في الدولة الإسلامية، وهي الأمل الذي استعذب العذاب في سبيلها المصلحون والأحرار، وهي أحد الأصول التي تحلت بها الدساتير لكل دولة لتوقف سيادة الأفراد وسيادة الأمة عليها، وبقدر ما تصون الحكومات هذا الحق من اللعب به بقدر ما يكون لها من منزلة في نفوس الشعب(١٦١) .

* * *

المطلب الأول حرية الرأي والفكر:

ونظرًا إلى إيثار الاختصار فسوف أكتفي بذكر حرية الرأي دون غيرها من أنواع الحرية: وما من شك أن الإسلام يذهب في اعتباره لهذه الحرية واحتفائه بها إلى مدى ندر أن تصل إليه المذاهب السياسية أو النظم الدستورية الوضعية، ومرد ذلك فيما أرى إلى اعتبار الإسلام أن فطرة الله التي فطر الناس عليها تتضمن حقهم في الاختيار، في اختيار الرأي واختيار الفعل ـ أو الموقف الذي يترتب على هذا الرأي.

وليس أوضح في الدلالة على هذا المعنى مما يقرره القرآن الكريم في قصة آدم وزوجه، فقد بين القرآن كيف نهاهما الله عن الأكل من إحدى شجرات الجنة، ثم كيف خالفا هذا النهي:﴿ فَأَكَلا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴾[طه: ١٢١]، وترتب على هذه المعصية خروجهما من الجنة، مع قول الله تعالى لهما: ﴿ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾[طه:١٢٣،١٢٤].

فتعبر هذه الآيات عن فعل آدم وزوجه بالأكل والمعصية، ثم التعبير باتباع الهدى أو الإعراض عنه، هذه التعبيرات مجتمعة تبين بوضوح دلالة هذه الحادثة الأولى في تاريخ البشرية على أن الحق في الاختيار قدرة فُطر الإنسان عليها ومارسها منذ كان.

---

(١٦١) (عناصر القوة في الإسلام للشيخ سيد سابق ص ١٣٧)

وقد مضى الإنسان يمارس حقه في الاختيار منذ أن وجد على الأرض حتى قال القرآن الكريم :﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيهِ الْعَذَابُ ﴾ [الحج:١٨]، فمخلوقات الله ـ جميعًا ـ تسجد له إلا بني الإنسان، فإن منهم الساجدين ومنهم الكافرين، أو منهم المطيع ومنهم العاصي، وهذا اختيار محض.

وإذا كان ما قدمنا صحيحًا وهو عندي صحيح لا ريب فيه، فإنه يكون صحيحًا، ومن وجهة نظر إسلامية ذلك التصور الذي يقول: من حق الإنسان أن يمارس دائمًا حريته أو حقه في الاختيار، وإن الحرية في هذا التصور قدرة لدى الإنسان أو فطرة فطر عليها ليس لأحد كائنًا من كان أن يمنعه إياها أو يحرمه من ممارستها.

الحرية من الفطرة:

أما وقد تمهد هذا فإننا ننتقل إلى بيان مدى كفالة تشريع الإسلام لحرية الرأي ـ ونحن نقول: (تشريع الإسلام)، ولا نقول: تاريخه، لتخرج من حدود هذا البحث تلك الحقب التي عاشها المسلمون في ظل حكومات لا تلتزم حدود هذا التشريع أو تلتزم بعض حدوده دون بعض ذلك .

إننا نعتقد أن الإسلام إنما يحكم على تصرفات الناس وأفعالهم، ويحكم فيها ويقاس به صلاح واقعهم أو فساده، بينما لا يجوز أن يحكم على الإسلام من خلال تصرفات الناس أو واقع حياتهم طالما كانت هذه التصرفات أو هذا الواقع مخالفاً لأحكام شريعة الإسلام، ويطرد هذا الحكم حتى ولو كان من خالف واقع حياتهم شريعة الإسلام ينتسبون إليه أو يتذرعون به، إذ المعتبر في هذه الحقيقة دون المظهر والمسميات لا الأسماء، وإن كان من الواجب أن نسجل هنا أن تاريخ الإسلام على امتداده الطويل قد شهد نماذج رائعة في ممارسة الحرية، حتى في وجه أعتى موجات الظلم والاضطهاد ولا نستثني من ذلك أي عصر من عصور هذا التاريخ في القديم أو الحديث.

وعلى أساس من تصورنا لحقيقة الحرية وكونها فطرة في الإنسان ننظر إلى آيات القرآن فنجدها تجعل التفكير في مصاف الفرائض الواجبة على الإنسان ليهتدي بعقله إلى خالقه من خلال تأمله في مخلوقاته: ﴿ وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (١٦٣)إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ الَّلَيلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا ينفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّياحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَينَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآياتٍ لِّقَوْمٍ يعْقِلُونَ ﴾ [البقرة: ١٦٣،١٦٤].

فالقرآن لا يقيم غير برهان العقل برهانًا على اختصاص الله وحده بالألوهية لا يدين العاقلون لأحد بها سواه، وتوجيهات القرآن الكريم في هذا الباب للناس عامة لا يمكن أن يحصيها مثل هذا البحث المحدود المجال وهي كلها ناطقة بأن على الناس أن يستخدموا عقولهم فيما خلقت له، وإلا بلغوا ملكات الفهم التي أودعها الله نفوسهم فيضل بذلك عن سبيل الله.

* * *

المطلب الثاني سيرة الرسل تؤكد حرية الرأي:

وحياة رسل الله جميعًا كما يحكيها القرآن كانت كلها بالحجة، وجدالاً بالبرهان الذي يقبله العقل ويخضع له الفكر قبل أن يسلم به القلب وتستجيب له عاطفة الإيمان، فها هو نوح بعد أن لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا يقول له قومه: ﴿ يا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا ﴾ [هود:٣٢]، وها هو هود يقول لقومه: ﴿ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم ﴾ [الأعراف:٧١].

وليس أدل من هذه المجادلات التي يحكيها القرآن بين رسل الله وأقوامهم ـ على مدى إقرار الإسلام ـ دين الله منذ كان الإنسان ـ بحق الناس في حرية التفكير وحرية الرأي، فمن البين أن الجدال يقتضي الأخذ والرد، أي: يقتضي إلقاء الأنبياء بحججهم إلى الناس وسماع ردود الناس على هذه الحجج، وليس أبعد مدى من تلك الحرية.

* * *

المطلب الثالث القرآن والسنة يقرران حرية الرأي:

ولقد بين القرآن لرسول الله ﷺ كيف تكون دعوته إلى ربه: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل:١٢٥]، بل إن القرآن ليبين لرسول الله ﷺ أنه لا سبيل إلى الحجر على حرية الناس في التفكير أو الاعتقاد، وأن الأمر في ذلك إليهم، يختار كل منهم لنفسه: ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس: ٩٩].

بل إن القرآن ليقرر في ذلك تقرير الحقيقة الواقعية: ﴿ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف:١٠٣]، وسبيل التعامل مع هؤلاء الذين لا يؤمنون ـ هو ما أمر القرآن به الرسول ﷺ: ﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [البقرة: ١١١].

وليس أعظم كفالة لحرية الرأي حتى للمخالفين فيه من هذا السبيل ومن الدلائل الصادقة على تقرير القرآن لهذه الحقيقة في حرية الإنسان، وأنها فطرته التي خلق عليها: أنه أباح للمسلمين، بل

أوجب عليهم حين تضيق الأرض بهم وبدينهم أن يهاجروا منها إلى غيرها توسلاً لحماية حريتهم في العقيدة والبيان.

وهذه الهجرة الواجبة لا يشترط فيها أن تكون أرض يحكم فيها الإسلام ويكفي أن يكون بإمكان المسلمين في مهجرهم أن يعبدوا ربهم ويقيموا شعائر دينهم، وذلك كان حال المسلمين في هجرتهم إلى الحبشة التي كان أهلها وملكها من النصارى، وهذه الهجرة التي لا تنقطع إلى يوم القيامة إذا كانت هذه أحكام القرآن الكريم ـ مصدر تشريع الإسلام الأول في شأن مسألة العقيدة والإيمان وهي أعظم مسائل الدين على الإطلاق، فهل يجوز بعد ذلك أن يقال: إن تعاليم هذا الدين تحجر على الناس آراءهم في النواحي الأخرى لحياتهم الاجتماعية أو السياسية؟ لا شك أن ذلك مما تأباه نصوص القرآن وروحه، وفهم المسلمين وعملهم في مختلف العصور، ولن يستطيع أحد أن يأتي على مثل هذا القول بدليل من تشريع الإسلام أو تاريخ رسوله أو تاريخ الخلفاء الراشدين ممن حكموا به، ويكفينا تدليلاً على ذلك أن نذكر حديث رسول الله ﷺ الذي يقول فيه لأصحابه: «لا يكن أحدكم إمَّعة! يقول: أنا مع الناس إن أحسن الناس أحسنت وإن أساءوا أسأت»(١٦٢) .

وقد كان ذلك كذلك هو فهم أصحاب رسول الله ﷺ، فهذا علي رضي الله عنه يفوت على نفسه الخلافة تمسكًا بحقه في حرية الرأي إذ بايعه عبد الرحمن بن عوف عقب مداولات الستة الذين عينهم عمر للشورى على الكتاب والسنة وفعل الشيخين (أبي بكر وعمر)، فأبى ذلك متمسكًا بأن يجتهد رأيه بعد التزام الكتاب والسنة، وقد حدث ذلك في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم أمام جمهور المسلمين يومئذ وقد تمسك كذلك بحرية الناس في اختيار حكمهم حين قيل له وهو على فراش الموت: فولِّ بعدك الحسين (أي ابنه) فقال: لا آمركم ولا أنهاكم أنتم أبصر.

وهذه الحرية التي يقرها الإسلام للعقل البشري أو حرية الرأي التي تكفلها آيات القرآن الكريم التي قدمنا ذكر بعضها ـ يحدها واحد هو التزام حدود الشريعة الإسلامية، فلا يجوز أن يكون الرأي الذي يبديه المسلم إعمالاً لهذه الحرية؛ طعنًا في الدين أو خروجًا عليه فذلك مخالف للنظام العام في الدولة الإسلامية يحجر لذلك على صاحبه وقد يجوز إذا توافرت شروط معينة أن يعاقب عليه.

* * *

(١٦٢) (صحيح الترمذي ج ٨ مع شرح ابن عربي ص ١٧٠) حديث رقم (٢٠٠٧) وحكم الألباني ضعيف .

المطلب الرابع العلماء المسلمون وحرية الرأي السياسي:

ومما ينبغي أن يعلم: أن إنكار مزج الإسلام بين السياسة والدين، أو بين قواعده المتعلقة بنظام الحكم وتنظيم المجتمع وقواعده المتعلقة بالعقيدة والعبادات ـ ينافي حقائق التاريخ ويخالف فهم علماء الإسلام في مختلف عصوره، ويناقض سلوكهم، ولعله مما يزيد هذا المعنى وضوحًا أن نذكر هنا بعض مواقف العلماء المسلمين في الجهر بآرائهم السياسية في مواجهة الحاكمين غير مبالين بما وراء ذلك من عواقب، ولم يكن العلماء المسلمين في ذلك إلا متبعين لسنة رسول الله ﷺ مهتدين بمثل قوله عليه الصلاة والسلام لأصحابه: «الدين النصيحة»، قلنا: لمن؟ قال: «لله ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم»(١٦٣) .

وقوله ﷺ: «إن من أعظم الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر»(١٦٤) .

وقد توالت عصور الإسلام وعلماؤه العاملون، لا ينصرون باطلاً، ولا يهابون ذا سلطان، بل يجهرون بآرائهم في شئون السياسة والحكم، ذاكرين قول جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنه ـ : «أمرنا ﷺ أن نضرب بهذا ـ يعني السيف ـ من عدل عن هذا ـ يعني المصحف ـ»(١٦٥).

ولا يعني ذلك أن علماء الإسلام فهموا من الشريعة أن يخرجوا محاربين كل حاكم يميل عن أحكام شريعة الله ولو كان متأولاً أو أخذ بقولٍ ظاهره الضعف لمصلحة يراها، وإنما كانوا في هذه الحالات يكتفون بالقول والنص والإرشاد والبيان.

وادخروا الأخرى للحالات التي لا يجدي في علاجها سواها عاملين بحديث رسول الله ﷺ في النهي عن الخروج على الحاكم المسلم: «إلا أن تروا كفرًا بواحًا عندكم من الله فيه برهان»(١٦٦) . وفيما دون ذلك اكتفوا كما قلنا بالجهر بالحق والأمر بالمعروف بلا خوف من حاكم أو غيره، إذ كانت قلوبهم خالصة العبودية لله، متحررة من سلطان كل ذي سلطان سواه، حتى قال قائلهم: الحرية حرية القلب، والعبودية عبودية القلب(١٦٧) .

أي: إن من كان موصول القلب بالله ـ تعالى ـ، كامل الطاعة له، مستعينًا من قدرته وقهره ونفاذ إرادته وأمره ـ هو الحر حقًّا، أما غير هؤلاء ممن تعلقت قلوبهم بالدنيا وأصحابها، وطمعوا فيما عند

---

(١٦٣) (رواه البخاري ومسلم واللفظ لمسلم ج ٢ ص ٣٦ شرح النووي)

(١٦٤) (رواه الترمذي في سننه عن أبي سعيد الخدري حديث رقم (٢٢٦٥) وحكم الألباني صحيح

(١٦٥) (السياسة الشرعية لا بن تيمية ص ٣)

(١٦٦) (رواه مسلم في كتاب الإمارة ج ١٢ ص ٢٣٨)

(١٦٧) (ابن تيمية في رسالة العبودية ص ٤٧)

الناس ونسوا ما عند الله ـ فهم غير أحرار ولو كانوا بين الناس من ذوي المكانة والجاه، أو كانوا عند ذوي السلطان من المقربين المكرمين، بمثل هذا الفهم عاش علماء الإسلام حياتهم يعلمون الناس دينهم، ويبينون لهم أحكام شريعتهم، ويقولون رأيهم في سلوك حكامهم المعبر عما فهموه من أصول الإسلام وقواعده وما استنبطوه من شريعته التي أمرهم مبلغها عن الله عز وجل لا يخافون في الحق لومة لائم.

ويروي التاريخ من مواقفهم في ذلك ما لا يحيط به الحصر، فمن ذلك:

ما يرويه مؤرخ الإسلام الحافظ الذهبي من أن عبد الملك بن مروان ـ الخليفة الأموي ـ بعث إلى عامله بالمدينة ليأخذ العهد على الناس بأن يبايعوا من بعده بالخلافة ولديه الوليد وسليمان فامتنع عن ذلك سعيد بن المسيب رضي الله عنه، وخوطب كثيرًا ليعدل عن اقتناعه فلم يقبل وصمم عليه حتى ضرب في ذلك ستين سوطًا وما بايع(١٦٨).

ودعي سعيد بن المسيب إلى ثلاثين ألفًا ليأخذها من الوالي فقال لا وجه لي فيها ولا في بني مروان حتى ألقى الله فيحكم بيني وبينهم(١٦٩) .

وكان عمر بن هبيرة واليا ليزيد بن عبد الملك الخليفة الأموي فدعا الحسن البصري وابن سيرين والشعبي يومًا، وقال لهم: إن أمير المؤمنين كتب إلي في أمر إن فعلته خفت على ديني، وإن لم أفعله خفت على نفسي.

فقال الشعبي وابن سيرين قولاً لينًا رفقا فيه، وقال له الحسن البصري: يا ابن هبيرة! خف الله في يزيد ولا تخف يزيد في الله، يا ابن هبيرة! إن الله يمنعك من يزيد ويزيد لا يمنعك من الله. يا ابن هبيرة! إنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، فما وافق كتاب الله من كتاب يزيد فأنفذه، وما خالفه فلا تنفذه، فإن الله أولى بك من يزيد وكتاب الله أولى بك من كتابه.

فقال ابن هبيرة: هذا الشيخ صدقن ورب الكعبة(١٧٠) .

وقد عقد حجة الإسلام الإمام الغزالي في موسوعة إحياء علوم الدين فصلاً مطولاً ذكر فيه ما يحل ويحرم من مخالفة الحكام وغشيان مجالسهم، وأورد جملاً من سلوك العلماء حيالهم.

فروى أن هشام بن عبد الملك حج، فقال: ائتوني برجل من الصحابة.

فقيل: قد تفانوا.

---

(١٦٨) (الحافظ الذهبي في مختصر تاريخه المسمى البعد ج ١ في احداث ٨٥ هـ)

(١٦٩) (وفيات الأعيان لأبن خلكان ج ٢ ص ١١٧)

(١٧٠) (عيون الأخبار لابن قتيبة ج ٢ ص ١١٧)

فقال: من التابعين.

فأتي بطاوس اليماني، فدخل عليه، فخلع عليه نعليه بحاشية بساطه، وقال: السلام عليك يا هشام، وجلس بإزائه، فقال: كيف أنت يا هشام؟

فغضب هشام غضبًا شديدًا، حتى هم بقتله، فقيل له: إنك في حرم الله ورسوله ولا يحل ذلك، فقال له هشام: ما حملك على ما صنعت؟

قال طاوس: وما الذي صنعت؟

فذكر له هشام ما أغضبه، حتى قال: لم تسلم علي بأمير المؤمنين؟

فأجابه طاوس: ليس كل الناس راضين بإمرتك فكرهت أن أكذب (١٧١).

وهذا جعفر المنصور ـ ثاني خلفاء بني العباس ـ يدعو سفيان الثوري، فيقول له: عظني أبا عبد الله.

فيجيبه سفيان: وما عملت يا أمير المؤمنين فيما علمت حتى أعظك فيما جهلت؟

فيقول المنصور: ما يمنعك أن تأتينا، فيقول سفيان: قال الله تعالى: ﴿ وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ ﴾ [هود:١١٣](١٧٢) ، فهو يقول رأيه فيه بجرأة لا يعرفها إلا من وصل بالله قلبه، ويعلن له أنه من الذين ظلموا، ومن الذين لا يعملون بما علموا، ولذلك يأبى أن يأتي إليه أو يخاطبه حتى يقول المنصور فيه: ألقينا الحب إلى العلماء فالتقطوا إلا ما كان من سفيان فإنه أعيانا مرارًا.

(١٧٣) وشرط أهل البصرة للمنصور ـ أيضًا ـ أن لا يخرجوا عليه، فإن هم فعلوا حلت له دماؤهم، ثم نقضوا شرطهم وخرجوا عليه، فأراد أن ينفذ ما شرطوا له! فسأل أبا حنيفة النعمان في ذلك فقال له: إنهم شرطوا ما لا يملكونه وشرطت عليهم ما ليس لك، فإن أخذتهم أخذت بما لا يحل(١٧٤) . ولقي هارون الرشيد الفضيل بن عياض ـ وكان من العباد الزاهدين ـ فسلم عليه، وقال له: يا لها من كف ما ألينها إن نجت غدًا من عذاب الله عز وجل، ووعظه وعظًا شديدًا فكان من قوله له: إياك أن تصبح أو تمسي وفي قلبك غش لأحد من رعيتك، فإن رسول الله ﷺ قال: «من أصبح لهم غاشًّا لم يرح رائحة الجنة»(١٧٥) .

---

(١٧١) (ج ٢ ص ١٢٩)

(١٧٢) (العقد الفريد ج ١ ص ٦٧)

(١٧٣) (الشيعة والحاكمون لمحمد جواد مغنيه ص ١٤٢)

(١٧٤) (المدخل لمحمد مصطفى شلبي ص ١٧٤)

(١٧٥) (رجال الفكر والدعوة في الإسلام لأبي حسن الندوي ص ٧٠)

وحين سأل هارون الرشيد أبا يوسف تلميذ أبي حنيفة وصاحبه أن يكتب له كتابًا يبين له فيه بعض قواعد الإسلام المتعلق بجباية الأموال وتولية الولاة والقضاة وجهاد المشركين وحرب البغاة والمرتدين، اغتنم الفرصة السانحة ليجعل مقدمة كتابه حديثًا حامدًا في واجبات الحاكم وما يحل له في مباشرته أمور رعيته، وهو بيان بليغ ناطق بمدى إيمان هؤلاء العلماء الأفذاذ بحقهم في إبداء الرأي وواجبهم في التبليغ والبيان، والنصح للحكام، فكان مما جاء في مقدمة كتابه: فلا تلق الله غدًا وأنت سالك سبيل المعتدين، فإن ديان يوم الدين إنما يدين العباد بأعمالهم ولا يدينهم بمنازلهم، وقد حذَّرك الله فاحذر، فإنك لم تخلق عبثًا وتترك سدى، وإن الله سائلك عما أنت فيه وعما عملت به فانظر ما الجواب، واعلم أنه لن تزول قدما عبد حتى يسأل عن أربع: عن عمله ما عمل فيه، وعن عمره فيم أفناه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن جسده فيم أبلاه، فاعدد يا أمير المؤمنين للمسألة جوابها، فإن ما عملت فثبت فهو عليك يقرأ، فاذكر كشف قناعك فيما بينك وبين الله في مجمع الأشهاد، وإني أوصيك يا أمير المؤمنين بحفظ ما استحفظك الله وألاَّ تنظر في ذلك إلا إليه وله، فإنك إن لم تفعل تتوعر عليك سهولة الهدى، وتعني في عينيك وتتعفى رسومه ويضيق عليك رحبه وتنكر فيه ما تعرف وتعرف منه ما تنكر(١٧٦) .

ولم يكن هارون الرشيد حاكمًا صغير الشأن محدود السلطان، بل إنه هو الذي مرت به سحابة، فقال بعض أصحابه: أمطرينا فرد هارون الرشيد قائلاً: أمطري حيث شئت فسوف يأتيني خراجك وأبو يوسف يدرك بما علم من دين الله وسنة رسوله وسيرة أصحابه واجبه نحو الحاكم، فيوجه له هذا الكلام ناصحًا ومذكرًا في عبارة بينة بلا غموض مستقيمة بلا عوج.

ولله در عمر بن الخطاب إذ يقول عن نصح الرعية حاكمهم وصراحتهم معه: لا خير فيهم إن لم يقولوها، ولا خير فينا إن لم نقبل(١٧٧) .

وهذا الإمام الجليل الأوزاعي يمحض النصح لأمير المؤمنين أبي جعفر المنصور ولا يخشى سطوته وسلطانه، فيقول: بعث إلي أمير المؤمنين وأنا بالساحل فأتيته، فلما وصلت إليه وسلَّمت عليه بالخلافة، ردَّ علي واستجلسني، ثم قال لي: ما الذي أبطأ بك عنَّا يا أوزاعي؟

قال: قلت: وما الذي تريد يا أمير المؤمنين؟

قال: أريد الأخذ عنكم والاقتباس منكم.

قال: فقلت: فانظر يا أمير المؤمنين أن لا تجهل شيئًا مما أقول لك.

---

(١٧٦) (مقدمة كتاب الخراج لأبي يوسف بن يعقوب بن إبراهيم ص ٥ – ٤)

(١٧٧) (كتاب الخراج ص ١٢ لأبي يوسف)

قال: كيف أجهله وأنا أسألك عنه وفيه وجهت إليك وأقدمتك له.

قال: قلت: أخاف أن تسمعه، ثم لا تعمل به.

قال: فصاح في الربيع وأهوى بيده إلى السيف، فانتهره المنصور، وقال: هذا مجلس مثوبةٍ لا مجلس عقوبة، فطابت نفسي، وانبسطت في الكلام.

فقلت: يا أمير المؤمنين، حدثني مكحول عن عطية عن بشر قال: قال رسول الله ﷺ: «أيما عبد جاءته موعظة من الله في دينه، فإنها نعمة من الله سبقت إليه، فإن قبلها بشكر وإلا كانت حجة من الله عليه، ازداد بها إثمًا ويزداد الله بها سخطًا عليه».

يا أمير المؤمنين، حدثني مكحول عن عطية قال: قال رسول الله ﷺ: «أيما والٍ مات غاشًّا لرعيته حرَّم الله عليه الجنة».

يا أمير المؤمنين، من كره الحق فقد كره الله، إن الله هو الحق المبين، إن الذي لين قلوب أمتكم لكم حين ولاكم أمورهم لقرابتكم من رسول الله ﷺ وقد كان بهم رءوفًا رحيمًا مواسيا لهم بنفسه في ذات يده، محمودًا عند الله وعند الناس، فحقيق بك أن تقوم له فيهم بالحق، وأن تكون بالقسط له فيهم قائمًا ولعوراتهم ساترًا، لا تغلق عليك دونهم الحجاب، تبتهج بالنصيحة عندهم وتبتئس بما أصابهم من سوء.

يا أمير المؤمنين، قد كنت في شغل شاغل من خاصَّة نفسك من عامَّة الناس الذين أصبحت تملكهم أحمرهم وأسودهم، مسلمهم وكافرهم، وكلٌّ له عليك نصيب من العدل، فكيف بك إذا انبعث منهم فئام وليس منهم أحد إلا وهو يشكو بلية أدخلتها عليه، أو ظلامة سقتها إليه.

يا أمير المؤمنين، حدثني مكحول عن عروة بن رويم، قال: كان بيد رسول الله ﷺ جريدة يستاك بها ويروِّع بها المنافقين، فأتاه جبريل عليه السلام فقال له: يا محمد! ما هذه الجريدة التي كسرت بها قلوب أمتك وملأت قلوبهم رعبًا؟ فكيف من شق أستارهم وسفك دماءهم، وخرب ديارهم، وأجلاهم عن بلادهم، وغيبهم الخوف منه؟

يا أمير المؤمنين! حدثني مكحول، عن زيادة عن حارثة، عن حبيب بن مسلمة، أن رسول الله ﷺ دعا إلى القصاص من نفسه في خدش خدشه أعرابيا لم يتعمده فأتاه جبريل عليه السلام فقال: يا محمد! إن الله لم يبعثك جبارًا ولا متكبرًا فدعا النبي ﷺ الأعرابي فقال: اقتص مني، فقال الأعرابي: قد أحللتك بأبي أنت وأمي وما كنت لأفعل ذلك أبدًا ولو أتيت على نفسي، فدعا له بخير.

يا أمير المؤمنين، رضِّ نفسك لنفسك، وخذ لها الأمان من ربك، وارغب في جنة عرضها السموات والأرض، التي يقول فيها رسول الله ﷺ: «لقيد قوس أحدكم في الجنة خير له من الدنيا وما فيها».

يا أمير المؤمنين، إن الملك لو بقي لمن قبلك لم يصل إليك، وكذا لا يبقى لك كما لم يبق لغيرك.

يا أمير المؤمنين، أتدري ما جاء في تأويل هذه الآية عن جدك: ﴿ مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لا يغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إلاَّ أَحْصَاهَا ﴾ [الكهف:٤٩]، قال: الصغيرة: التبسم، والكبيرة: الضحك فكيف بما عملته الأيدي، وحصدته الألسن؟!

يا أمير المؤمنين! بلغني أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لو ماتت سخلة على شاطئ الفرات ضُيعت لخشيت أن أسأل عنها، فكيف بمن حُرِمَ عدلك، وهو على بساطك؟

يا أمير المؤمنين، أتدري ما جاء في تأويل هذه الآية عن جدك: ﴿ يا دَاوُودُ إنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [ص:٢٦]قال الله تعالى في الزبور(يا داود! إذا قعد الخصمان فكان لك في أحدهما هوى، فلا تتمنين في نفسك أن يكون الحق له، فيفلح على صاحبه فأمحو عنك نبوتي، ثم لا تكون خليفتي، ولا كرامة، يا داود! إنما جعلت رُسلي إلى عبادي رُعاةً كرعاة الإبل، لعلمهم بالرعاية، ورفقهم بالسياسة، ليجبروا الكسير ويدلّوا الهزيل على الكلأ والماء) .

يا أمير المؤمنين، إنك قد بليت بأمر لو عرض على السموات والأرض والجبال لأبين أن يحملنه وأشفقن منه.

يا أمير المؤمنين، حدثني يزيد بن جابر، عن عبد الرحمن بن عمرة الأنصاري، أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه استعمل رجلاً من الأنصار على الصدقة، فرآه بعد أيامٍ مقيمًا فقال له: ما منعك من الخروج إلى عملك؟! أما علمت أن لك مثل أجر المجاهد في سبيل الله؟!

قال: لا، ثم قال: وكيف ذلك؟! قال: إنه بلغني أن رسول الله ﷺ قال: «ما من والٍ يلي شيئًا من أمور الناس إلاَّ أُتي به يوم القيامة مغلولة يده إلى عنقه، لا يفكها إلا عدله فيوقف على جسر من النار ينتفض به ذلك الجسر انتفاضة تزيل كل عضو منه عن موضعه، ثم يعاد فيحاسب؛ فإن كان مُحسنًا نجا بإحسانه، وإن كان مسيئًا انخرف به ذلك الجسر، فيهوي به في النار سبعين خريفًا»، فقال عمر ـ رضي الله عنه ـ: ممن سمعت؟ قال: من أبي ذر وسلمان، فأرسل إليهما عمر، فسألهما فقالا: نعم، سمعت من رسول الله ﷺ. فقال عمر: واعمراه! من يتولاها بما فيها؟ فقال أبو الدرداء ـ رضي الله عنه ـ: من سلت لله أنفه، وألصق خده بالأرض، قال: فأخذ المنديل فوضعه على وجهه ثم بكى وانتحب حتى أبكاني.

ثم قلت: يا أمير المؤمنين، قد سأل العباس النبي ﷺ إمارة مكة أو الطائف أو اليمن، فقال له النبي ﷺ: «يا عباس يا عمَّ النبي صلوات الله وسلامه عليه نفس تحييها خير من إمارة لا تحصيها» نصيحة منه لعمه وشفقة عليه.

وأخبره أنه لا يغني عنه من الله شيئًا إذ أوحى الله إليه: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ ﴾[الشعراء: ٢١٤] فقال: «يا عباس، ويا صفية، ويا فاطمة بنت مُحَّد، إني لست أغني عنكم من الله شيئًا، إن لي عملي ولكم عملكم»، وقد قال عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ: لا يقسم أمر الناس إلا حصيف العقل أريب العقد لا يطلع منه على عورة ولا يخاف منه على حُرَّةٍ ولا تأخذه في الله لومة لائم وقال: الأمراء أربعة: فأمير قوي ظلف نفسه وعماله، فذلك كالمجاهد في سبيل الله يدُ الله باسطة عليه بالرحمة.

وأمير فيه ضعف ظلف نفسه وأرتع عماله لضعفه، فهو على شفا هلاك إلا أن يرحمه الله.

وأمير ظلف عماله وأرتع نفسه فذلك الحطمة الذي قال فيه رسول الله ﷺ: «شر الرعاء الحطمة» فهو الهالك وحده. وأمير أرتع نفسه وعُمَّاله فهلكوا جميعًا.

وقد بلغني يا أمير المؤمنين أن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ قال: اللهم إن كنت تعلم أني أبالي إذا قعد الخصمان بين يدي على من مال الحق من قريب أو بعيد، فلا تمهلني طرفة عين.

يا أمير المؤمنين! إن أشد الشدة القيام لله بحقه، وإن أكرم الكرم عند الله التقوى، وإنه من طلب العز بطاعة الله رفعه الله وأعزه. ومن طلبه بمعصية الله أذله الله ووضعه فهذه نصيحتي إليك والسلام عليك (١٧٨).

وهذا موقف العز بن عبد السلام مع الملك الصالح:

ولما استولى الملك الصالح على دمشق استعان بالإفرنج واصطلح معهم على أن يسعفوه ضد أخيه ـ ملك مصر ـ ويعطيهم مقابل معونتهم صيدا وقلعة الشقيف وغيرها من حصون المسلمين، ودخل الصليبيون دمشق، لشراء السلاح، فاستفظع الشيخ العز بن عبد السلام ذلك، وغم غمًّا شديدًا، فأفتى بتحريم بيع السلاح للإفرنج وترك الدعاء للسلطان في خطبة الجمعة.

وندد بخيانة السلطان للمسلمين، وكان مما دعا به في خُطبِه: «اللهم أبرم لهذه الأمة أمر رشد تعز فيه وليك، وتذل به عدوك، ويعمل فيه بطاعتك، وينهى فيه عن معصيتك»، والناس يؤمنون على دعائه، فبمثل لمح البرق، بلغ الجواسيس الملك ما فعله قاضي القضاة.

---

(١٧٨) شعب الأيمان للبيهقي (٧٠٢٤).

وما أكثر المبلغين والمتوددين والنمامين في كل زمان ومكان فغضب السلطان، وعزل الشيخ عن القضاء فرحل الشيخ عن دمشق إلى مصر، وبينما هو في الطريق أرسل السلطان في أثره، فأدركته رسل الملك الصالح، وطلبوا منه الرجوع، وقالوا له: إن السلطان عفا عنك وسيردك إلى منصبك على أن تنكسر له وتعتذر وتقبل يده.

فقال لهم الشيخ: أنا ما أرضى أن يقبل يدي فضلاً أن أقبل يده! يا قوم، أنتم في وادٍ، وأنا في وادٍ، ثم مضى في طريقه حتى وصل مصر(١٧٩) .اهـ.

ولم يكن ذلك مسلك العلماء المسلمين في العصور الأولى للإسلام فحسب حين كان العهد قريبًا بزمان النبوة والاستشراق، قويا إلى سيرة الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ بل ظلت تلك سيرة العلماء في كل عصور الإسلام على امتدادها الطويل، فالتاريخ يحكي لنا عن النووي، والعز بن عبد السلام وابن تيمية، وكثيرين غيرهم من المتأخرين ـ مثل هذه المواقف التي قدمناها، وأشد مع غلبة الظلم في عصور هؤلاء وتفشي الجور والبعد عن الحق، وقد كانوا يلاقون في سبيل الحق الذي يصدعون به: التعذيب، والسجن، والقتل أحيانًا وهم ثابتون على الحق لا يداهنون ولا يشترون رضا المخلوقين بسخط الخالق، ولعل ذلك كله ليس إلا مصداق قول رسول الله ﷺ:«لا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون»(١٨٠).

وبعد هذا فإن مما قدمنا من قول القائلين الذين يقولون: لا علاقة بين الإسلام والسياسة، ولم كانت هذه المواقف من علماء الإسلام إذن؟ أكانت طلبًا للدنيا وسعيا وراء الجاه؟! كلا فالذي لا مراء فيه أن الدنيا التي كانت تسعى إليهم ويفرون منها، والمناصب تعرض عليهم فيرفضونها ومن كان غنيا فيهم كان غناه من عمله أو تجارته، ومات أكثرهم فقراء من المال وإن عاشوا أغنياء النفوس أعزاء القلوب.

فلم تكن مواقفهم تلك إلا صادرة من علمهم أن هذه الشريعة التي أخلصوا لها وحدة واحدة وأنه لا يجزئ عن العالم فيها علمه ما لم يكن مقرونًا بالعمل، وأن خير العمل ما كان نصحًا للأمة وأمرًا بالمعروف وصدعًا بالحق، فأين من ذلك كله علماؤنا اليوم؟! وبقدر ما تعتبر هذه المواقف تطبيقًا صحيحًا لتعاليم الإسلام، وتاريخًا مجيدًا لعلمائه، فإنها تعتبر شهادة عدل وخير للحكام المسلمين الذين لم تغرهم الدنيا بجاهها ولا الحكم بسلطانه كي يقهروا الرأي الحر والنصيحة المخلصة، وإن التاريخ لينبي بصدق أن الحاكم العادل هو الذي تزدهر الحرية في عهده حتى أنه لا يخطئ من

---

(١٧٩) (انتهى موارد الظمأن لدروس الزمان للشيخ عبد العزيز بن سلمان الجزء الأول ٤٨٤ – ٤٨٩)

(١٨٠) (صحيح مسلم ١٧٣ – ١٩٢٠)

يقول: إن عدل الحاكم وحرية الرعية يتلازمان دائمًا، وإن ظلم الحاكم وجوره يقترنان أبدًا باختفاء الرأي الحر والكلمة الصادقة في المجتمع الذي يسوده الظلم والقهر.

* * *

المبحث الرابع المسـاواة:

المساواة: هى أن يكون الأفراد المكونون لمجتمع ما متساويين في الحقوق والحريات والتكاليف والواجبات العامة، وألا يكون هناك تمييز في التمتع فيما بينهم بسبب الجنس أو الأصل أو اللغة أو العقيدة، غير أن هذه المساواة هي مساواة قانونية وليست مساواة فعلية.

مساواة قانونية بحيث يخضع الأفراد الذين تتماثل ظروفهم لذات القواعد التي تحدد الحريات والحقوق العامة، وليست مساواة فعلية بحيث تطبق القواعد ذاتها على جميع الأفراد مهما تباينت الظروف التي يخضع لها كل منهم أو دون نظر إلى مدى اختلاف هذه الظروف.

إذ كما تُخلّ التفرقة بين المتماثلين بمبدأ المساواة فإن التسوية بين غير المتماثلين تتضمن إخلالاً أكبر وأخطر بهذا المبدأ ولذلك يسمى هذا بمبدأ المساواة أمام القانون وقد ترتب على الأخذ بمبدأ المساواة أمام القانون زوال امتيازات النبلاء والأشراف في فرنسا عقب الثورة الفرنسية، وكذلك ترتب على تقرير هذا المبدأ القضاء على تبعية الإنسان للأرض وخضوعه لأصحابها من الإقطاعيين كما كان الحال في العصور الوسطى.

ويعتبر مبدأ المساواة أمام القانون حجر الزاوية في تنظيم وتقرير الحريات العامة التي لا يقوم تقديرها ويستمر إلا باحترام مبدأ المساواة أمام القانون، فإذا أهمل هذا المبدأ انهار تنظيم الحريات العامة وأصبح غير ذي قيمة في الواقع العملي، ويعالج فقهاء القانون الدستوري الوضعي والباحثون في النظم السياسية عدة مظاهر لتطبيق هذا المبدأ يجعلون لها أهمية خاصة من بينها: المساواة أمام القضاء والمساواة في تولي الوظائف العامة والمساواة أمام المصالح العامة، وغيرها إلا أنهم مع ذلك يتفقون على أن المساواة أمام القانون تتضمن في جوهرها كل مظاهر المساواة الأخرى التي تمثل بدورها مضمون هذا المبدأ في صورته الكاملة.

ومن ثم فإنه يكفي لتقرير المبدأ ذاته لتقرير هذه المظاهر كلها أي لتقرير مضمونه، ومع وجود هذا الاتفاق على تقرير مبدأ المساواة أمام القانون فإن الباحثين يختلفون حول الأصل الذي يمكن إرجاع هذا المبدأ إليه، فيرى بعضهم ذلك الأصل في فكرة العقد الاجتماعي الذي يفسرون به أصل نشأة الدولة. بينما يرى آخرون أن نظرية القانون الطبيعي الذي يعتبرونه أسمى وأولى بالاحترام من القانون الوضعي هي التي يمكن أن يرد إليها هذا المبدأ.

المطلب الأول المساواة في الإسلام:

فإذا انتقلنا إلى الشريعة الإسلامية فإننا نجد فيها لمبدأ المساواة مكانًا مرموقًا بين قيمها الأساسية التي تقررها مصادر هذه الشريعة، والتي طبقها رسول الله ـ ﷺ ـ وأصحابه، وقد كان تقرير هذا المبدأ في القرآن الكريم وفي سنة الرسول عليه الصلاة والسلام عند ظهور الإسلام وانتشاره سبقًا لشريعته في زمانها ومكانها يشكل في واقع العرب انقلابًا أساسيا في مفاهيمهم عن أسس التفاضل بين الناس أسباب الفخر التي تحوزها بعض القبائل أو البيوت دون البعض، فقد كان التمييز بين القبائل سائدًا حتى في شعائر العبادة في الجاهلية، ففي الحج ـ مثلاً ـ كانت قريش دون سائر العرب تتخذ لنفسها مناسك خاصة لا يشاركها فيها باقي الحجيج فلما حج رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ظن الناس أنه سوف يتبع عادة قريش في ذلك ولكنه لم يفعل وحج كما تحج سائر العرب اتباعًا لقول الله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيثُ أَفَاضَ النَّاسُ ﴾ [البقرة:١٩٩]، وقد كان هذا التمييز بين القبائل والأفراد هو السائد ـ أيضًا في أحد مجالات القانون الجنائي وهو مجال الدية المقررة جزاءً على جريمة القتل، فقد كانت الدية تختلف باختلاف شخص المقتول ومدى قوة قبيلته أو ضعفها، وباختلاف مركزه في القبيلة ذاتها، فكانت دية الأمراء «أي: الأشراف أو السادة» أضعاف دية الشخص العادي، وبينما كان العرب تسيطر على حياتهم هذه المفاهيم نزل القرآن الكريم يقرر: ﴿ يا أَيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات:١٣]. ووقف في المسلمين رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: «إن الله قد أذهب عنكم عصبية الجاهلية وفخرها بالآباء مؤمن تقي أو فاجر شقي أنتم بنو آدم، وآدم من تراب»، وخطب رسول الله ـ ﷺ ـ في حجة الوداع فكان مما قاله للمسلمين ـ بل الناس جميعًا ـ: ؟» يا أيها الناس ألا إن ربكم ـ عز وجل ـ واحد ألا وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على أعجمي « ولا فضل لأحمر على أسود، إلا بالتقوى، ألا قد بلغت: قالو نعم، قال: «ليبلغ الشاهد الغائب»(١٨١)(١٨٢) .

* * *

(١٨١) (النظام السياسي للدولة الإسلامية لمحمد سليم العوا ص ٢٢٥ – ص ٢٢٨)

(١٨٢) مسند أحمد (٢٣٤٨٩) وحكم الأرنؤوط إسناده صحيح .

المطلب الثاني المساواة في الحقوق والمسئوليات:

كما عرفنا مما تقدم أن الإسلام دين العدالة والحرية،فهو دين المساواة أيضًا فالناس في نظر الإسلام سواء في الحقوق والواجبات لا فرق في ذلك بين جنس وآخر،ولا قومية وقومية أخرى، فكل فرد في المجتمع يجب أن يتمتع بحقه المشروع كفرد في ذلك المجتمع مع قطع النظر عن قومية أو جنسية أو لون، لا فرق في ذلك بين حاكم ومحكوم، ولا شريف ووضيع، ولا غني وفقير، الناس سواسية كأسنان المشط لا فرق بينهم إلا بالتقوى، كما قال تعالى: ﴿ يا أَيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾[الحجرات:١٣]، فالفوارق الموجودة الحاصلة بين الناس إنما هي للتعارف فقط أما التمييز في الفضل والكره فهذا مرجعه التقوى فقط، ولذا يجب أن يساوى بين الناس في إتاحة الفرص للعلم والتوظيف وغيره من الولايات التي تسند لمن يقوم بها من الأشخاص.

المساواة في تولي الوظائف والتعيين في المناصب والأعمال:

لقد جاء الإسلام في تولي الوظائف ولم يميز فئة عن أخرى أو طائفة عن غيرها ولم يحاب أحدًا ولم يؤثر عربيا على غير عربي، فالأفراد يتساوون في تقلد الوظائف العامة طبقًا لكفاءتهم وعلمهم وقدراتهم، وليس معنى المساواة أن يستوي العالم والجاهل والحاذق والخامل، بل إن تحقيق المساواة يكون إذا تساوت الشروط ووجدت الكفاءة والمقدرة.

إن المساواة في التولية للوظائف العامة والتعيين في المناصب والأعمال أن تسند إلى أهلها من ذوي الكفاءة والأمانة وقد مضت سنة رسول الله ﷺ أنه كان يولي الأنفع للمسلمين على من هو أفضل منه، فولى النبي ﷺ خالد بن الوليد على حروبه لنكايته بالعدو وقدَّمه على بعض السابقين من المهاجرين والأنصار، كما ولى أسامة بن زيد قيادة الجيش؛ لأنه كان يراه أقدر الناس عليها، ومعنى ذلك: أن تعيين الولاة في الولايات العامة وسائر أعمال الدولة ومناصبها أمانة في عنق رئيس الدولة أو صاحب السلطة، فلا تعطى إلا لمستحقها؛ وعلى ذلك لا يجوز أن يكون تقليد الوظائف على أساس من الجنس أو اللون أو تفضيل فئة من المواطنين على فئة أخرى، بل يكون أساسها: الكفاءة واللياقة، والمقدرة ولذلك يقرر فقهاء الإسلام أن على ولي الأمر أن يعين لأعمال المسلمين أقدرهم وأصلحهم للعمل، امتثالاً لأمر الله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْل ﴾ [النساء:٥٨]، فقد ورد في أحد تفاسيرها أن المراد بهم الولاة ،وأن من قلد رجلاً عملاً من الأعمال لرشوة أو منفعة أو صداقة أو لاتفاقه معه في بلد

أو مذهب أو طريقة أو جنس أو يبعده عن أهليته للوظيفة لعداوة بينهما أو لحقد في نفسه يعد خائنًا لله ورسوله ﷺ.

فقد روى الحاكم عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أن النبي ـ ﷺ ـ قال: «من استعمل رجلاً من عصابة، وفيهم من هو أرضى منه فقد خان الله ورسوله والمؤمنين»(١٨٣) وروى أبو يعلى عن حذيفة أن النبي ـ ﷺ ـ قال: «أيما رجل استعمل رجلاً على عشرة أنفس، وعلم أن في العشرة أفضل منه فقد غش الله وغش رسوله وغش جماعة المؤمنين» (١٨٤) .

فعلى هذا ينبغي أن يتساوى الأفراد المتماثلون في توفر شروط الوظيفة ومؤهلاتهم التي يتطلبها النظام في فرص الالتحاق بالوظائف، فلا يتفاضلون بسبب غير الصلاحية للوظيفة، وينبغي عدم تمييز المصالح العامة بين الأفراد سواء من حيث تقديم الخدمات أو من حيث ما تقتضيه عليها من مقابل أو أجر، فيجب المساواة بين الناس في الخدمات والمرافق العامة دون تمييز، ولعمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ قول مأثور حيث قال: «ويحك يا ابن الخطاب لو عثرت دابة على شاطئ الفرات لسألك الله عنها لِمَ لَمْ تمهد لها الطريق؟».

وقد بلغت المساواة شأوًا بعيدًا في شتى عصور الإسلام في ميدان تولي الوظائف والتعيين في المناصب والأعمال وقد كان حكَّام الصدر الأول يختارون الولاة من أهل التقوى والورع والقدوة فعلي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ يقول لأحد ولاته: «أنصف الله وأنصف الناس من نفسك ومن لك فيه هوى من رعيتك» ويقول: «اختر للحكم بين الناس أفضل رعيتك في نفسك مما لا تضيق به الأمور، ولا تمحكه الخصوم، ولا يتمادى في الذلة ولن تنتصر أمة لا يؤخذ للضعيف فيها حقه من القوي».

* * *

المطلب الثالث المساواة في المثول أمام القضاء:

إن النظام الإسلامي هو النظام الوحيد الذي لا يستثني أحدًا مهما كان شأنه من المثول أمام القضاء الإسلامي، ويعني هذا المبدأ: أن يتساوى جميع الأفراد في المثول أمام القضاء، وأن لا يكون التمييز بينهم في إجراءات التقاضي، وألا يوصد باب القضاء أمام البعض ويفتح لآخرين، وألاَّ تخص محاكم لفئات أو طبقات معينة، وألاَّ يفرق بين الأفراد في توقيع العقوبات عليهم متى تماثلت الجرائم والظروف أو في طريقة توقيع هذه العقوبات .

---

(١٨٣) المستدرك للحاكم (٧٠٢٣) وحكم الألباني ضعيف. أنظر ضعيف الترغيب والترهيب ١٣٣٩ – (١)

(١٨٤) جامع المسانيد والسنن رقم (٢٢٤٧) وحكم الألباني ضعيف. أنظر السلسة الضعيفة (٧١٤٦) .

وبمقتضى هذا المبدأ يلقى الأفراد معاملة واحدة لدى المحاكم القضائية، ويحاكمون جميعًا لدى محاكم واحدة مهما تفاوتت مكانتهم الاجتماعية أو علت درجاتهم لسبب من الأسباب التي يتفاخر بها الناس عادة، وهذا بخلاف القوانين الوضعية التي تحظر محاكمة رئيس الدولة أو الوزراء أو تنشئ محاكم وهيئات خاصة لمحاكمتهم، ولا يقتصر أثر المساواة أمام القضاء على الأفراد وإنما يتعداه إلى الحكام الذين لم يجعل لهم في الإسلام أي ميزة خاصة بهم، وعليهم أن يقفوا أمام الهيئات التي يقف أمامها الأشخاص العاديون فالقضاء في الشريعة الإسلامية واحد للناس جميعًا،ولا تفرق هذه الشريعة كما لم يعرف تطبيقها على امتداد القرون نظام المحاكم الخاصة في تشكيلها أو الخاصة في إجراءاتها كما تعرفه القوانين الوضعية، وكذلك كان الخلفاء الراشدون ورعاياهم من المسلمين أو غيرهم يمثلون أمام القاضي الذي يمثل أمامه عامة الناس ويتبع في إجراءات التقاضي ما ينطبق على هؤلاء، كما ينطبق على غيرهم،وليس من شك أن هذا يعد أحد نتائج الأخذ بمبدأ المساواة الذي قررته نصوص القرآن الكريم وأحاديث الرسول ـ ﷺ ـ وسيرة الخلفاء الراشدين ـ رضي الله عنهم ـ .

وهكذا تقتضي هذه المساواة في القضاء أن يعتبر صاحب الحق قويا وكبيرًا حتى يأخذ حقه، وأن يعتبر القوي ضعيفًا حتى يؤخذ الحق منه، كما أقرت ذلك عبارة أول الخلفاء الراشدين أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ وسيرته وسيرة غيره من الخلفاء وأئمة السلف الصالح من بعدهم، فهذا أبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ يقول: «الضعيف فيكم عندي قوي حتى آخذ له حقه، والقوي فيكم عندي ضعيف حتى آخذ الحق منه إن شاء الله».

ولقد قضت قاعدة الإسلام في المساواة أمام القضاء على كل أنواع التفرقة بين الناس مبدئيا وخصوصًا على التفرقة بسبب الدين أو النسب أو الطبقية أو الجنسية أو بسبب العداوة، وبالإضافة إلى المساواة بين الأفراد والحكام فإن الإسلام أقر المساواة المطلقة أمام القضاء بين المسلمين وغيرهم من المسالمين المأذون لهم بالإقامة في دار الإسلام سواء بعقد الذمة أو العهد أو بعقد الأمان، إذ إنهم يتمتعون بالمساواة القضائية مبدئيا وذلك فيما يجري فيه التقاضي وفق شريعة الإسلام.

ولقد أمر الإسلام أن يسوى بين الخصمين مهما عظم أحدهما وصغر الآخر ومهما كان أحدهما صغيرًا والآخر أميرًا، حتى إنه ليس للقاضي أن يجعل أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله؛ لأن في ذلك امتيازًا لصاحب اليمين.

ولقد كان الرسول ـ ﷺ ـ يتولَّى الفصل في الخصومات، وكان ـ ﷺ ـ يتخذ من بيته أو مسجد المسلمين مكانًا للفصل في الخصومات، وكان ـ ﷺ ـ مثالاً يحتذى به في ميدان العدل والمساواة في

القضاء ، وقد سار على نهجه وطريقته من جاء بعده من الخلفاء الراشدين الذين كانوا مثالاً يقتدى بهم في ميدان المساواة في القضاء، ،فلا تفرقة عندهم بين المتقاضين بسبب الأصل أو الجنس أو الطبقة أو اللون أو الثروة، فالجميع أمام القضاء سواء.

وقد اتفق فقهاء المسلمين على أنه ينبغي للقاضي أن يسوي بين الخصمين في الدخول عليه، والجلوس بين يديه والإقبال عليهما والاستماع لهما والحكم عليهما فجميع المواطنين في الدولة الإسلامية أمام القضاء سواء من جهة: المرافعة، وقواعد الإثبات، وتطبيق النصوص، وتنفيذ الأحكام، ووجوب تحري العدالة بين الخصمين، لا فرق بين فرد وفرد، بل حتى الأعداء يظفرون بعدالة القضاء والمساواة أمامه.

وهكذا طبق المسلمون مبدأ المساواة أمام القضاء تطبيقًا لا نرى له مثيلاً في أي نظام آخر، ولعل هذا التطبيق يبدو جليا في دستور القضاء الذي وضعه عمر بن الخطاب ـ ﵁ ـ في رسالة أوصى بها أبا موسى الأشعري ـ ﵁ ـ حين ولاه القضاء قال فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين إلى عبد الله بن قيس ـ يعني: أبا موسى الأشعري ـ سلام عليك أما بعد..

فإن القضاء فريضة محكمة،وسنة متبعة، فافهم أنه أولى إليك فإنه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له آس بين الناس في وجهك وعدلك ومجلسك حتى لا يطمع شريف في حيفك ولا ييأس ضعيف من عدلك، البينة على من ادعى واليمين على من أنكر، والصلح جائز بين المسلمين إلا صلحًا أحل حرامًا أو حرم حلالاً.

وقد جرى العمل في الإسلام على مقاضاة الخلفاء والولاة ـ تمامًا ـ كما يحاكم سائر الناس أمام القاضي، فليس هناك جهات أو درجات متعددة للقضاء، ومن ذلك أن الخليفة علي بن أبي طالب ـ ﵁ ـ وهو حاكم المسلمين وخليفتهم يفتقد درعه فيجدها لدى يهودي يعرضها في السوق فلا يأخذها منه قهرًا وإنما يقول له: بيني وبينك قاضي المسلمين فجاء به إلى شريح القاضي فتحاكما إليه وقال علي إنها درعي ولم أبع ولم أهب، فسأل اليهودي: ما تقول فيما يقول أمير المؤمنين؟ قال اليهودي: ما الدرع إلا درعي وما أمير المؤمنين عندي بكاذب، فالتفت شريح إلى علي بن أبي طالب ـ ﵁ ـ يسأله: يا أمير المؤمنين هل من بينة، فضحك علي وقال: أصاب شريح ما لي ببينة، فقضى شريح لليهودي بالدرع، فأخذها ومشى إلا أنه لم يخط خطوات حتى عاد يقول أما أنا فأشهد أن هذه أحكام أنبياء، أمير المؤمنين يدنيني إلى قاضيه فيقضي عليه، أشهد أن لا إله

إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله، الدرع درعك يا أمير المؤمنين اتبعت الجيش وأنت منطلق من صفين فخرجت من بعيرك الأورق فقال علي: أما إذ أسلمت فهي لك.
وأخذ عمر بن الخطاب . ﷺ . فرسًا من رجل على سوم فحمل عليه فعطب، فخاصم الرجل عمر بن الخطاب . ﷺ فقال له: اجعل بيني وبينك رجلاً، فقال الرجل: إني أرضى بشريح القاضي، فقال شريح لعمر: أخذته صحيحًا فأنت له ضامن حتى ترده صحيحًا مسلمًا، فأدَّى عمر ثمنه للرجل وعين شريحا قاضيا .

تحاكم أمير المؤمنين في نزاعه مع أحد من عامة المسلمين أبى أن يتميز بمحكمة خاصة تنعقد في بيته فيقول عمر لزيد القاضي في بيته يؤتي الحكم ردا على قول زيد هلا بعثت إلي فأتيك يا أمير المؤمنين (١٨٥) .

* * *

(١٨٥) (انتهى بشيء من التصرف من كتاب الأسس التي تقوم عليها الحكومة الإسلامية – معاود عايد عيد العوفي من ص ٢١٦ – ص ٢٢١)

خاتمة البحث في عزل الإمـام:

لقد تقرر في الفصول السابقة من هذا البحث أنه لابد للأمة من إمام يكون رئيسًا أعلى للدولة يتولى حماية مصالح الأمة والدفاع عنها ويكون مسئولاً أمام الله وأمام رعيته.

وإقامة الإمام من الأمور الواجبة شرعًا كما تقدم لأننا إذا عرفنا أن تولية الخليفة قد تمت تحقيقًا لإقامة الدين وتدبير مصالح العباد وسياستهم فإن عدم قيام الخليفة بذلك يكون من شأنه اختلال أحوال المسلمين وانتكاس الدين ويعتبر سببًا موجبًا لعزله وهذه هي القاعدة التي أخذ بها الفقهاء وعلماء الكلام.

إلا أنه فيما يبدو لي أن الفقه الإسلامي وعلم الكلام يأخذان في تحديد عدم قيام الخليفة بأحكام الدين وتدبير مصالح الناس بمعايير موضوعة تتفق مع فكرته في تلافي الفتنة وهي:

المعيار الأول:

هو انعدام الصفات التي من أجلها اختير للخلافة، وأكثر الفقهاء هنا يشترط انعدام الصفات وليس مجرد نقصها لأن القاعدة عندهم أن الخروج على الخلافة أو عزل الخليفة منوط باكتمال النقص وليس بمجرد النقص وهذا بخلاف قاعدتهم في ابتداء تولية الخليفة حيث يكون تولية الخليفة منوطًا بكمال سلامته، إلا أنهم يفرقون بين نوعين من الصفات:

الأول: ما يتعلق بعدم قدرة الخليفة على القيام بواجباته الشرعية كجنون الخليفة أو بطلان أعضائه أو حواسه، أو خرفه، أو كبره، فالفقهاء بالنسبة لهذه الصفات يكادون أن يتفقوا على أنها تعد أسبابًا لعزل الخليفة؛ لأنه في هذه الأحوال يتعذر عليه القيام بما يختص به الخليفة كما أن لها تأثيرًا بالغًا على علمه وجودة رأيه في تدبير شئون الأمة بلغ حدًّا يصل إلى انعدامها.

الثاني: ما يتعلق باستقامته كالجرح في عدالته وفسقه وهذه الصفات اختلف الفقهاء حول جعلها أسبابًا للعزل.

فذهب الماوردي (ص١٥ ـ ١٦) من الشافعية إلى أن الفسق إذا كان متعلقًا بأفعال الجوارح بارتكابه المحظورات وإقدامه على المنكرات تحكيمًا للشهوة وانقيادًا للهوى يخرج الخليفة من ولايته، أما إذا كان متعلقًا بالاعتقاد فيروى الاختلاف حول العزل بسببه، وإن كان يبدو أن الإمام الماوردي يرى العزل بسبب ذلك.

ويذهب الحنفية أيضًا إلى جواز العزل في حالة الجور والفسق، فيقول صاحب «المسايرة»: «إنه إذا قلد إنسان الإمامة حال كونه عدلاً ثم جار في الحكم وفسق لا يعزل ولكن يستحق العزل إن لم

يستلزم عزله فتنة، ويجب أن يدعى له بالصلاح ولا يجب الخروج عليه، كذا نقل الحنفية عن أبي حنيفة وكلمتهم قاطبة متفقة في توجيهه» «المسامرة بشرح المسايرة ص ٣٢٣».

والراجح من مذهب الإمام أحمد ومالك أنه لا يجوز عزل الإمام بمجرد الفسق، ويرى الإمام أبو يعلى في «الأحكام السلطانية» (ص٤) أن الفسق لا يمنع من استدامة الإمامة سواء كان متعلقًا بأفعال الجوارح وهو ارتكاب المحظورات وإقدامه على المنكرات اتباعًا لشهوته أو كان متعلقًا بالاعتقاد وهو المتأول بشبهة يذهب فيها خلاف الحق.

كما يذهب الزرقاني في «شرح الموطأ» (ج ٢/ص٢٦٢) إلى أن الصبر على طاعة الجائر أولى من الخروج عليه لما فيه من استبدال الخوف بالأمن وإهراق الدماء وشن الغارات والفساد وذلك أعظم من الصبر على جوره والأصول تشهد والنقل أن أقوى المكروهين أولاهما بالترك.

وهذا الرأي الأخير هو رأي جمهور أهل السنة قال الإمام النووي في «شرح صحيح مسلم» (٢٢٩/١٢): وقال جمهور أهل السنة من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين؛ بأنه لا ينعزل الإمام بالفسق والظلم وتعطيل الحقوق ولا يخلع ولا يجوز الخروج عليه بذلك بل يجب وعظه وتخويفه وهو الراجح من حيث الدليل ولأن الفسق وقد تعلق بشخص الخليفة لا يكون له التأثير البالغ على انعدام ثورته في القيام بواجباته الشرعية ومن ثم لا يصل إلى حد الإخلال الموجب لحل العقد.

المعيار الثاني:

ظهور رغبة الخليفة في عدم القيام بواجباته الشرعية بشكل واضح بحيث لا يكون ثمة شك في كفره، فإنه في هذه الحالة يخرج من الخلافة ولا تجب له طاعة ولا نصرة.

ويدخل ضمن هذه الصورة استبعاد ولي الأمر ما لخليفة الإسلام من توجيه الحياة العامة والخاصة للجماعة وكل صورة تشابهها ويمكن أن ينتهي فيها المسلم العادي إلى الحكم بكفر الخليفة لأن الرسول أمر المسلمين بطاعة ولاة الأمور ما لم يروا منهم كفرًا بواحًا لقوله ﷺ في حديث عبادة بن الصامت المروي في «الصحيحين»: «وأن لا تنازعوا الأمر أهله»، قال: «إلا أن تروا كفرًا بواحًا عندكم من الله فيه برهان» (١٨٦) .

ولا تثار هنا فكرة الفتنة إذ لا فتنة أكبر من ظهور كفر الخليفة أو ولي الأمر أو استبعاد الإسلام من حياة الجماعة «الخليفة توليته وعزله» (ص٢٧٠- ٢٧٣) صلاح دبوس.

---

(١٨٦) صحيح البخاري (٧٠٥٥) - صحيح مسلم (١٨٤٠)

وهذا أمر مجمع عليه بين المسلمين ـ أعني وجوب عزل الإمام بالكفر مهما كان الأمر الذي أوجب كفره أي عمليًّا كان أو اعتقاديًّا ـ.

ومما يوجب الحكم بكفر الإمام الحكم بغير ما أنزل الله كما قال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾[المائدة:٤٤]، فإذا رضي الإمام بأن تحكم الأمة بقانون وضعي سواء سمي قانونًا أو دستورًا أو نظامًا وجعل ذلك القانون بديلاً لحكم الله ورسوله فهو كافر يجب خلعه والخروج عليه ولا تبقى له طاعة ولا بيعة في عنق أحد من رعيته بعد كفره.

نسأل الله أن يوفق أئمة المسلمين لتحكيم كتابه وسنة نبيه ﷺ لأن صلاح الأمة متوقف على ذلك.

تم البحث بحمد الله، وصلى الله وسلم على نبينا مُحَمَّد وآله وصحبه.

(انتهى)

الأستاذ المشارك

حمود بن عبد الله بن عقلاء الشعيبي

تحريرًا في ٢٤ ربيع الثاني ١٤٠١هـ

الموافق ٢٨ فبراير ١٩٨١م

* * *

مراجع البحث

١ – القرآن الكريم

٢ – صحيح البخاري

٣ – صحيح مسلم

٤ – سنن الترمذي

٥ – سنن النسائي

٦ – سنن أبي داود

٧ – مسند الإمام أحمد

٨ – مسند الإمام الشافعي

٩ – موطأ الإمام مالك

١٠ – جامع الأصول من أحاديث الرسول لابن الأثير

١١ – تفسير ابن جرير الطبري

١٢ – تفسير الرازي

١٣ – فتح القدير للشوكاني

١٤ – أحكام القرآن للقرطبي

١٥ – مشكاة المصابيح

١٦ – شرح الموطأ للزرقاني

١٧ – الأحكام السلطانية للماوردي

١٨ – الأحكام السلطانية للفراء

١٩ – النظام السياسي للدولة الإسلامية لمحمد سليم العوا

٢٠ – مقدمة ابن خلدون

٢١ – المغني لعبد الجبار الهمذاني

٢٢ – شرح الطحاوية لعلي ابن أبي العز

٢٣ – لوامع الأنوار البهية للأمام السفاريني

٢٤ – الطرق الحكمية لشمس الدين ابن القيم

٢٥ – السياسة الشرعية لشيخ الإسلام ابن تيمية

٢٦ – الفصل في الملل والأهواء والنحل لأبي مُحَمَّد علي ابن حزم
٢٧ – الخليفة توليته وعزله (صلاح دبوس)
٢٨ – أكليل الكرامة صديق خان
٢٩ – التراتيب الإدارية عبد الحي الكتاني
٣٠ – الأسس التي تقوم عليها الحكومة الإسلامية معاود عيد العوفي
٣١ – تاريخ الخلفاء للسيوطي
٣٢ – الارشاد الى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد لأمام الحرمين أبي المعالي الجويني
٣٣ – لسان العرب لابن منظور
٣٤ – القاموس المحيط للفيروز ابادي
٣٥ – موسوعة احياء علوم الدين للإمام الغزالي
٣٦ – العقد الفريد لابن عبد ربه
٣٧ – الشيعة والحاكمون لمحمد عواد مغنية
٣٨ – المدخل لمحمد مصطفى شلبي
٣٩ – رجال الفكر والدعوة في الإسلام لأبي حسن الندوي
٤٠ –كتاب الخراج لأبي يوسف بن يعقوب
٤١ – موارد الظمأن لدروس الزمان للشيخ مُحَمَّد ابن سلمان
٤٢ – المسامرة بشرح المسايرة
٤٣ – عناصر القوة في الإسلام الشيخ سيد سابق
٤٤ – الإسلام وأوضاعنا السياسية عبد القادر عودة
٤٥ – النظام السياسي في الإسلام عبد الكريم عثمان
٤٦ – حقيقة الإسلام وأصول الحكم للشيخ مُحَمَّد نجيب المطيعي
٤٧ – عقيدة وشريعة للشيخ محمود شلتوت
٤٨ – نظام الحكم والشريعة والتاريخ ظافر القاسمي

سؤال عن شرعية حكومة الطالبان

بسم الله الرحمن الرحيم

فضيلة الشيخ حمود بن عقلاء الشعيبي حفظه الله؛

يشكك بعض الناس في شرعية حكومة طالبان في أفغانستان.. فما حقيقة هذه الحكومة؟ نريد جوابا مؤيدا بالأدلة والله يحفظكم.

الجواب:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

إن تقييم الدول والحكم عليها بالشرعية وعدمها يتوقف على أمور:

أولا: تحكيمها لكتاب الله وسنة نبيه محمد ﷺ في جميع المرافق في القضاء وفي غيره من مجالات الحياة.

ثانيا: كما أن من أهم مقومات الدولة الأرض ومعلوم أن حكومة طالبان تسيطر على ٩٥٪ من أراضي الأفغان.

ثالثا: أن تكون علاقاتها وارتباطاتها بالدول الأخرى قائمة على تعاليم الدين الحنيف.

ودولة طالبان في أفغانستان متحققة فيها هذه الأمور، فهي الدولة الوحيدة في العالم التي لا يوجد فيها محاكم قانونية وإنما حكمها قائم على شرع الله ورسوله في المحاكم القضائية وفي الوزارات وفي الدوائر وفي المؤسسات.

أما ما عداها من الدول الإسلامية فمنها من تحكم بالقوانين الوضعية الصرفة ومنها من تدعي تطبيق حكم الله ورسوله مع ما يوجد فيها من محاكم قانونية صرفة، وحتى المحاكم الشرعية في مثل هذه الدول يكون معظم أحكامها قائما على التنظيمات والتعليمات التي من وضع البشر، فلا فرق بينها وبين القوانين الوضعية إلا بالاسم .

ومن الأدلة على أن حكومة طالبان حكومة شرعية؛ كون الدول الكافرة عدوة الإسلام والمسلمين تعاديها وتفرض عليها الحصار الاقتصادي وتقاطعها وتضّيق عليها الخناق بسبب انتمائها الديني الإسلامي ليس إلا.

وقد تقوم بمهاجمتها عسكريا كما قامت أمريكا بهجوم صاروخي عليها، في الوقت الذي تتلقى فيه المعارضة الدعم المطلق بالمال والسلاح والخبرات من قِبل الدول الكافرة وهذا يدل دلالة واضحة

على شرعية حكومة طالبان وأن الحق معها في نزاعها مع المعارضة ولا يقدح في شرعية حكومة طالبان كون الدول الكافرة لم تعترف بها كدولة وحكومة.

وحيث قد عُلم أن حكومة طالبان حكومة شرعية قد توفرت لها مقومات الدولة كما سبق غير أنها تحتاج إلى الدعم المالي لقلة مواردها المالية فنهيب بإخواننا المسلمين أن يقوموا بدعمها ماديا وتأييدها إعلاميا لأن أعداء الإسلام وعملائهم لبّسوا على كثير من الناس وضللوهم فالتبس عليهم الأمر فيما يتعلق بحقيقة هذه الدولة المسلمة، وهي ما دامت في حرب مع معارضيها فإن الجهاد معها مشروع لأن الجهاد معها ضد معارضيها الذين تدعمهم قوى الكفر كأمريكا وبريطانيا وروسيا والذين ينادون بأن تكون الدولة في أفغانستان قائمة على نظام الحكم في الغرب.

فإذا كان الأمر كذلك فإنه يجب دعم دولة طالبان والجهاد معها من باب نصرة الإسلام والتعاون على البر والتقوى، قال تعالى ﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ﴾(سورة المائدة آية:٢) ، وقال ﷺ:(مثل المؤمنين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)(١) ، وقال ﷺ: (المسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضا)، وشبك بين أصابعه(٢).

ومن أعظم ما امتازت به حكومة طالبان المسلمة:

(١) اهتمامها بمناصرة المجاهدين والذّب عنهم وهذا مشهود لهذه الدولة.

(٢) أنه لا يوجد فيها إعلام محرم مخالف للشريعة.

(٣) أنها جادة وصادقة في إقامة الشعائر الإسلامية من إقامة الحدود وتتبع المنكرات الظاهرة والمعاقبة عليها وأسلمة التعليم والإعلام.

(٤) أنها الدولة الوحيدة التي تسير في قضايا المرأة على مقتضى الشريعة، لا على وفق نهج العلمانيين الذين يدفعون المرأة إلى التبرج والسفور ومخالطة الرجال وقيادة السيارة ونحو ذلك.

(٥) أنها الدولة الوحيدة التي بها وزارة مستقلة باسم وزارة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وفي الختام:

كما إننا ندعوا لحكومة طالبان بالتوفيق والهداية فإننا نهيب بهم على الثبات على هذه الميزات الإسلامية العظيمة وعلى التمسك بالكتاب والسنة ونهج السلف الصالح.. وألا يكترثوا بضغوط

---

(١) صحيح مسلم ٦٦ - (٢٥٨٦)

(٢) صحيح البخاري (٤٨١)

الدول الكافرة وغيرها. قال تعالى ﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ﴾ (سورة الطلاق آية: ٣-٢)، وقال تعالى ﴿ ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرى ﴾(سورة الطلاق آية:٤) وقال تعالى ﴿ والعاقبة للمتقين ﴾(سورة الأعراف آية:١٢٨) .

ولهم أسوة بالرسول ﷺ والمسلمين معه حيث حاصرهم الكفار في الشِّعب في محاولة لصدهم عن هذا الدين وكانت العاقبة للمتقين.

كما نهيب بالدول الإسلامية حذو طريقة طالبان في تحكيم الشريعة بجميع مناحي الحياة في القضاء والإعلام والاقتصاد والسياسة الداخلية والخارجية وقضايا المرأة والتعليم وألاّ يقلدوا الغرب في انحرافاته وضلالاته.

وبالله التوفيق.

وصلى الله وسلم على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أملاه

فضيلة الشيخ؛ أ. حمود بن عقلاء الشعيبي

٢ /٩/١٤٢١هـ

مذكرة النصيحة

المقدمة للملك فهد عام ١٤١٣ هـ (١)

بسم الله الرحمن الرحيم

سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز وفقه الله.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أما بعد: فنحمد إليكم الله تعالى القائل: ﴿والعصر إن الإنسان* لفي خسر* إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾(سورة العصر:١-٣) والقائل: ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾(سورة آل عمران:١١٠) والقائل:﴿ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين﴾(سورة فصلت :٣٣)، والذي أوجب على عباده العلماء بيان الحق للناس وعدم كتمانه والدعوة إليه في قوله تعالى:﴿وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه﴾(سورة آل عمران :١٨٧) ونصلي ونسلم على عبده ورسوله مُحَمَّد القائل: الدين النصيحة، قالوا: لمن؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم"(٢).

امتثالاً لأمر الله تعالى بالتعاون على البر والتقوى والتواصي بالحق ، واستجابة لما سبق أن وجهتم به أبناءكم وإخوانكم طلبة العلم من الحث على النصح والتواصي بالحق والكتابة فيه، وبناء على ما علمه أبناء هذا البلد الكريم من توجيهات خادم الحرمين الشريفين . وفقه الله للخير . في الكلمة التي وجهها للأمة بمناسبة صدور الأنظمة الثلاثة، وقد ذكر فيها: " أن عماد النظام الأساسي مصدره الشريعة الإسلامية، وأن العلاقة بين المواطنين وبين ولاة أمرهم في هذه البلاد قائمة على أسس راسخة من تقاليد عريقة من الحب والتراحم والعدل.. فلا فرق بين حاكم ومحكوم فالكل سواسية أمام شرع الله، الكل سواسية في حب هذا الوطن والحرص على وحدته وسلامته وعزته وتقدمه.. والعلاقة بين الحاكم والمحكوم محكومة أولاً وأخيراً بشرع الله كما جاءت في كتابه الكريم وسنة نبيه ﷺ.."، واستناداً إلى ما احتواه النظام من مواد تنص على " أن الحكم في المملكة يستمد سلطته

---

(١) وجدت نسخه للمذكرة منشورة في الإنترنت في مجلة الوعي العدد ٦٩ و العددان ٧٠-٧١ ، وكذلك وجدت نسخة منشورة على الإنترنت في منتدى"سوالف للجميع" وهي كاملة ولكن ينقصها أسماء الموقعين ، ونسخة أخرى منشورة على الإنترنت لا أعرف ما مصدرها ولكنها كاملة ، أنظر .

(٢) صحيح مسلم ٩٥ - (٥٥).

من كتاب الله وسنة رسوله، وهما الحكمان على هذا النظام وجميع أنظمة الدولة"..". وأن الحكم يقوم على أساس العدل والشورى والمساواة وفق الشريعة الإسلامية..."و" إن مجلس الملك وولي عهده مفتوحان لكل مواطن لأنه من حق كل فرد مخاطبة السلطات العامة فيما يعرض لهم من الشئون"، وانطلاقاً من مسئولية النصح لولاة الأمور نتقدم بهذه النصيحة لولاة الأمر، وهي تتضمن عرضاً لبعض القضايا الملحة في بلادنا في هذه المرحلة مع مقترحات لمعالجة تلك القضايا وإصلاحها بمشيئة الله على نحو يكفل ما سعى إليه الجميع من حكام هذه البلاد وعلمائها من خير ورشد للبلاد وأهلها.

سماحة الشيخ:

إن هذه النصيحة جهد عدد من أبناءكم من طلبة العلم والدعاة وأساتذة الجامعات، وقد وقع عليها ما يزيد على المائة من أبنائكم من العلماء والدعاة وأساتذة الجامعات، وقرأها وصحح ما فيها عدد من كبار المشائخ وطلبة العلم، كما قرأها وزكاها عدد من العلماء المشهود لهم بالخير والصلاح، وقد أرفقنا بها تزكيات من كل من: فضيلة الشيخ عبد الله الجبرين، وفضيلة الشيخ سفر الحوالي، وفضيلة الشيخ سلمان العودة، وفضيلة الشيخ عبد الله الجلالي ، وفقهم الله جميعاً لكل خير.

يهدف أبناؤكم من تقديم هذه النصيحة التعاون على البر والتقوى والقيام بالشورى وواجب النصيحة، ويتوسمون منكم النظر فيها وتسديد نقصها وإصلاح ما قد يكون فيها من قصور أو خطأ لأن هذه النصيحة جهد معرض للقصور والزلل، وما كان فيها من صواب فمن الله، وما كان فيها من خطأ فنحن عنه راجعون، ثم نرجو من سماحتكم بعد ذلك تزكيتها ورفعها إلى خادم الحرمين الشريفين.

نسأل الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يجعل هذا العمل نصرة لدينه وإعلاء لكلمة الحق ، وأن ينفع به ولاة الأمر بهذه البلاد وأهلها، وأن يحقق به الصلاح والخير إنه سميع مجيب، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين

خادم الحرمين الشريفين وفقه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:-

فلقد استمعنا وسائر أبناء هذا البلد الكريم إلى الكلمة الشاملة التي وجهتموها بمناسبة صدور الأنظمة الثلاثة والتي ذكرتم فيها : "أن عماد النظام الأساسي مصدره الشريعة الإسلامية... وأن العلاقة بين المواطنين وبين ولاة أمرهم في هذه البلاد قائمة على أسس راسخة من تقاليد عريقة من الحب والتراحم والعدل... فلا فرق بين حاكم ومحكوم فالكل سواسية أمام شرع الله، الكل سواسية في حب هذا الوطن والحرص على وحدته وسلامته وعزته وتقدمه... والعلاقة بين الحاكم والمحكوم محكومة أولاً وأخيراً بشرع الله كما جاءت في كتابه الكريم وسنة نبيه ﷺ".

كما اطلعنا جميعاً على ما احتواه النظام من مواد بالغة الأهمية والتي تنص على " أن الحكم في المملكة يستمد سلطته من كتاب الله وسنة رسوله وهما الحاكمان على هذا النظام وجميع أنظمة الدولة"..."وأن الحكم يقوم على أساس العدل والشورى والمساواة وفق الشريعة الإسلامية..."و"إن مجلس الملك وولي عهده مفتوحان لكل مواطن لأنه من حق كل فرد مخاطبة السلطات العامة فيما يعرض لهم من الشئون".

خادم الحرمين الشريفين :

امتثالاً لأوامر الله بالتعاون على البر والتقوى والتواصي بالحق، واستجابة لما جاء في توجيهاتكم لأبناء أمتكم وما أمرتم به من أنظمة، وانطلاقاً من مسئولية النصح لولاة الأمور، نتقدم إليكم بهذه النصيحة التي تتضمن عرضاً لبعض القضايا الملحة لواقع بلادنا في هذه المرحلة كما يضمن بها اقتراحات تهدف إلى تحقيق معالجة هذه القضايا وإصلاحاً بما يكفل تحقيق ما يسعى إليه الجميع حاكماً ومحكوماً من خير ورشد لهذه البلاد وأهلها.

وفقكم الله لما يحبه و يرضاه ، إنه ولي ذلك والقدير عليه.

مقدمة النصيحة:

الحمد لله رب العالمين القائل في كتابه الكريم:﴿والعصر إن الإنسان* لفي خسر* إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾(سورة العصر:١-٣)، والقائل ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾(سورة آل عمران:١١٠)، والصلاة والسلام على رسول الله القائل :" الدين النصيحة، قلنا: لمن؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم"(١)، وعلى آله وصحبه أئمة الهدى والدين وعلى التابعين بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد:

فإن المسلم – وهو يشاهد التبدل والتغير في أحوال الأمم والشعوب في ظل العقائد المنحرفة التي تؤمن بها ومناهج الحياة الوضعية التي تقاد بوساطتها، وما يتبع ذلك من مآس وآلام وظلم وإفساد في الأرض واستعباد الناس بعضهم بعضاً- يدرك يقيناً حاجة البشرية جمعاء إلى دين الإسلام الذي أمله الله تعالى لعباده وأرسل به رسوله عليه الصلاة والسلام رحمة للعالمين لإخراج الناس من الظلمات إلى النور، ولما كان المسلمون في هذه البلاد هم أهل بيت الله تعالى وأهل مسجد نبيه ﷺ وشرف الله تعالى بلادهم بأن جعل فيها مهبط وحيه ومبعث رسوله عليه الصلاة والسلام وجعل لغتهم هي لغة كتابه الكريم المحفوظ، فإن هذا الشرف العظيم يرتب عليهم أمانة كبرى ومسئولية عظمى أمام ربهم تعالى من قيام بواجب الدعوة إلى دين الله ، وتحكيم شرعه عز وجل، والوفاء بميثاقه تعالى من النصح بالحق والتواصي به، وهداية الناس لهذا الدين والعمل على إصلاح أحوالهم به، ونصرة إخوانهم من المسلمين وعونهم، وأن يكون المسلمين في هذه البلاد قبل غيرها كما أراد تعالى لهم خير أمة أخرجت للناس وكما اختار لهم أن يكونوا شهداء على الناس.

كما أن ما من الله به على أهل هذه البلاد، لما استجابوا لأمر ربهم بالإيمان بعقيدة التوحيد وتحقيق الشرع، من نعمة الوحدة والتآلف بينهم والتمكين لهم في الأرض، والأمن وجلب الثمرات والخيرات من كل حدب وصوب –بعد أن كانوا متفرقين، خائفين وفي ضنك من العيش – يحتم عليهم قادة وشعوباً القيام بواجب الشكر لله عز وجل لحفظ هذه النعم وذلك بإقامة أركان الدين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما قال عز وجل "الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور". وإن تخاذل المسلمين حكاماً أو محكومين في هذه البلاد عن القيام بهذه الواجبات العظيمة وإعراضهم عن الالتزام بشرعه سيؤدي بلا شك

---

(١) صحيح مسلم ٩٥ - (٥٥)

إلى أن يكون مآلهم -عياذاً بالله- إلى ما حذر الله تعالى عباده منه من حصول نقمته وتحول عافيته وتبدل الأمن خوفاً، ورغد العيش كرباً كما قال عز وجل : ﴿وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون﴾(سورة النحل :١١٢)،بل قد يؤدي إلى ما أنذر الله عز وجل به المقصرين في جناب حقه من استبدالهم بمن يقوم بحق الله تعالى خير قيام كما قال عز وجل: ﴿ وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم﴾(سورة محمَّد:٣٨)، وإن في تبدل واقع الشعوب في هذا العصر من حال إلى حال وزوال الدول العظيمة ووقوع الحرب بين أبناء الشعب الواحد بأقصر زمن لما أعرضوا عن ذكر ربهم لعبرة لأولي الألباب.

ومن هذه المنطلقات والأصول الشرعية الجلية، وإدراكاً للواجب الشرعي على المسلمين جميعاً من ضرورة المراجعة لما هم عليه من أحوال وإصلاح ما فسد منها وتغيير ما خالف الشرع، والنصيحة لأئمة المسلمين وعامتهم في ذلك والقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى دين الله، ووفاء بميثاق الله تعالى على كل مسلم بإبلاغ العلم الشرعي وعدم كتمانه، جرى إعداد هذه النصيحة تبصرة ونصحاً.ولقد اشتملت هذه النصيحة على مختارات من القضايا الكبرى التي إذا عولجت علاجاً صحيحاً شرعياً من ولاة الأمر تيسر بعد ذلك -بإذن الله- معالجة سائر المسائل التي دونها في الأهمية والخطورة، وتضمنت عرضاً ونصائح لسبل الإصلاح لهذه القضايا ذات العلاقة بما يأتي:

دور العلماء والدعاة - الأنظمة واللوائح - القضاء والمحاكم - حقوق العباد -الوضع الإداري - المال والاقتصاد — المرافق الاجتماعية — الجيش — الأعلام - العلاقات الخارجية

ولقد كان منطلقنا فيما كتب من نصيحة تتعلق بهذه القضايا الاحتكام إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وأن يكون الكتاب والسنة المرجع لكل أمر فيها، حيث أن كل نصيحة وإرشاد يتعلق بهذه القضية وكل اختلاف أو تنازع بين الناس بشأن هذه القضايا أو غيرها يجب أن يرد إلى كتاب الله تعالى وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام كما قال الله تعالى: ﴿ فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً﴾(سورة النساء:٥٩)، وقال عز وجل : ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً﴾(سورة النساء:٦٥)، والواجب على المسلم -حاكماً أو محكوماً- إذا تبين له حكم الله ورسوله الاتباع والانقياد له، فلا يجوز له أن يتجاوزه،قال عز وجل: ﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم﴾(سورة الأحزاب:٣٦)

وقال: ﴿ إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون﴾(سورة النور:٥١). لهذا فقد جعلنا لكل موضوع في هذه النصيحة مقدمة تأصيلية شرعية يُستهدى بها، ثم قمنا برصد واقعه وتحقيق المناط وتشخيص الحال قدر الوسع ثم بيان النصائح -بناء على ذلك- للتوصل إلى سبل الإصلاح المنشود.

وإننا إذ نؤكد على الحرص على الاحتكام إلى كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ منا جميعاً في كافة القضايا المعروضة بهذه النصيحة، نبين كذلك أنه ما كان في هذه النصيحة من بعض أمور ربما تكون موضع اجتهاد فإننا إنما أوردناها حرصاً على مصلحة شرعية نراها راجحة ولغلبة الظن بصحة وقوة أدلتها الشرعية، ونأمل أن يكون في الأخذ بها تحقيق لهذه المصلحة، ولذا فإنه ما كان في هذه الأمور الاجتهادية من صواب فهو من الله تعالى وتوفيقه، وما كان من خطأ وزلل، فمن الشيطان ونحن عنه راجعون.

وختاماً ندعو الله تعالى أن تجد هذه النصيحة الإصلاحية صدى طيباً وقبولاً من ولاة أمر المسلمين، ومن كل الغيورين على دين الله المخلصين، الراغبين بصدق في إصلاح أحوال أمتهم وبلادهم، الذين يسعون لأن يكون شرع الله تعالى مهيمناً وأن تكون هذه الأمة كما وصفها الله عز وجل خير أمة أخرجت للناس، كما نسأل الله تعالى العظيم بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يعز دينه، ويعلي كلمته، وينصر أوليائه، ويذل أعداءه، وأن يجمع شمل المسلمين على الحق، وأن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم، وأن يرينا وإخواننا من المسلمين والمسلمات الحق حقاً ويرزقنا اتباعه، والباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه، وأن يجنبنا جميعاً الفتن ما ظهر منها وما بطن، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله على سيدنا مُحَمَّد وآله وصحبه وسلم.

دور العلماء والدعاة:

مقدمة :

لقد أوجب الله على آحاد الأمة وجماعاتها وعلى الدولة المسلمة القيام بالدعوة إلى الإسلام وإبلاغه إلى الناس البلاغ المبين، وذلك بعرض الإسلام عقيدة وشريعة وسلوكاً على أمم الأرض عرضاً واضحاً وصادقاً بالقول والعمل، قال الله تعالى ﴿ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين﴾(سورة فصلت:٣٣)،وقال تعالى﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة﴾(سورة النحل:١٢٥)، وقال عزوجل ﴿هذا بلاغ للناس ولينذروا به﴾(سورة إبراهيم:٥٢)، وقال عزوجل ﴿ فلذلك فادع واستقم كما أمرت﴾(سورة الشورى:١٥) وقال عزوجل ﴿ قل هذه

سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني﴾(سورة يوسف:١٠٨)، وقال ﷺ" نضّر الله امرأ سمع منا شيئاً فبلغه كما سمعه، فرب مبلغ أوعى من سامع"(١).

وجعل الله عزوجل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الخير من أعظم الواجبات الشرعية على الدولة والأفراد والجماعات، قال تعالى﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾(سورة آل عمران:١٠٤)، وقال تعالى ﴿ الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر﴾(سورة الحج : ٤١)، وقال ﷺ" من رأي منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان"(٢) وروى عنه ﷺ أنه قال" والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه، ثم تدعونه فلا يستجيب لكم"(٣) وقال ﷺ " الدين النصيحة. قلنا: لمن؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم"(٤).

ولما كان حمل الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يتطلب نشر العلم الشرعي والفقه بالدين، حث الشارع على طلب العلم الشرعي بالأدلة المستفيضة وأوجب قيام من يكفي من أفراد الأمة بذلك قال تعالى﴿ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ﴾(سورة المجادلة:١١) وقال عزوجل ﴿ فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم﴾(سورة التوبة:١٢٢)كما أمر تعالى بأن يرد كل أمر معضل إلى العلماء بشرعه وأمره فقال عزوجل ﴿ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم﴾(سورة النساء: ٨٣) وقال﴿ فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ﴾(سورة النحل:٤٣) إلى غير ذلك من الآيات، وقد شرع صلى اله عليه وسلم بسنته العملية من هجرة وجهاد وتطبيق أحكام الشرع قيام الحاكم وولاة الأمر بهذه الواجبات العظيمة من إبلا غ ودعوة وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر ونشر للعلم، كما سار على ذلك المنهج خلفاؤه الراشدون وصحابته ﷺ جميعاً من بعده.

ولقد نص النظام الأساسي –في فقرته الثالثة والعشرين– على واجب الدولة في حمل الدعوة بأن قرر أن " الدولة تحمي عقيدة الإسلام وتطبق شريعته وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتقوم بواجب الدعوة إلى الله".

---

(١) سنن الترمذي (٢٦٥٧) وحكم الألباني صحيح .

(٢) صحيح مسلم ٧٨ – (٤٩) .

(٣) سنن الترمذي (٢١٦٩) وحكم الألباني حسن .

(٤) صحيح مسلم ٩٥ – (٥٥) .

وإن ما سبق ذكره يستلزم أن يكون للعلماء والدعاة في الدولة المسلمة مكانة لا تعدلها مكانة،وأن يكونوا في مقدمة أهل الحل والعقد والأمر والنهي، وإليهم ترجع الأمة -حكاماً ومحكومين- لبيان الحكم الشرعي لسائر أمور دينهم ودنياهم. كما أن ذلك يقتضي أن يكون ما يقوم به الدعاة والعلماء من نشر للعلم الشرعي وإرشاد للخلق ودعوة للحق، واجباً يتحتم التسهيل له، وتوفير كل مساندة له، وتقديمه على سائر نشاطات الدولة، حيث أن الدعوة إلى الإسلام هي العمل الأصلي للدولة.

واقع دور الدعاة والعلماء حالياً :

إن المتأمل للواقع يجد أحوالاً يلزم تغييرها حتى يمكن للدعاة والعلماء القيام بدورهم المنوط بهم على الوجه المطلوب شرعاً، ونعرض هذه الأحوال للبيان والنصح ولكي يسهل إصلاحها فيما يأتي:

(١) ضعف دور العلماء في الحياة العامة، وهامشية هذا الدور في قطاعات بالغة الأهمية في حياة الأمة مثل الأنظمة، والإعلام، ونشاطات المرافق الثقافية والاقتصادية والعلمية والتربوية، حيث لا يُطلب الرأي الشرعي للعلماء في كثير من الأعمال التي تقوم بها قطاعات الدولة وأجهزتها، وقلّ أن يُستشاروا في قرارات داخلية أو خارجية مهمة تتطلب معرفة بأحكام الشريعة وقواعد الإسلام التفصيلية حتى تكون موافقة للحكم الشرعي، وربما لا يُستجاب لفتاويهم إذا تعارضت مع توجهات قائمة لتلك القطاعات والأجهزة بل ربما لا يُسمح بنشرها، وكل ذلك ينبئ وقد يؤدي إلى فصل الدين عن واقع حياة الناس وعزله عن التأثير في أمر معاشهم وما يترتب على ذلك من أثر خطير يهدم الأصل الذي قامت له من الدعوة للإسلام وتطبيق أحكامه.

(٢) ربط العلماء بمؤسسات ودوائر حكومية، مما أدى إلى الحد من استقلاليتهم، وتقييدهم في فتاويهم وتعليمهم، وإبعادهم عن واقع الحياة اليومي واعتبارهم جهة تابعة لا متبوعة.

(٣) الحساسية المفرطة من قبل بعض الجهات الرسمية تجاه النصح والتوجيه والنقد الهادف البناء المقدّم من العلماء والدعاة وأهل الرأي الشرعي للمسئولين في الدولة وأجهزتها المختلفة، مما أدى إلى التضييق على الدعوة وظهور أساليب لم تكن معروفة في سلف هذه الدولة من فصل الدعاة أو عزلهم أو منعهم من القيام بواجبهم في كثير من الأحيان.

(٤) قصر ما يذاع أو يكتب أو يبث من العلماء والدعاة في وسائل الإعلام على المواعظ العامة والقضايا الجزئية، وإحكام الرقابة على كل ما يذاع أو ينشر بهذا الصدد حتى لا يتصادم والواقع الفاسد في المجتمع.

(٥) سعي الجهات المسؤولة إلى حصر رسالة المسجد ومواضيع خطب الجمع على الوعظ العام، ومنعها من التعرض للقضايا العامة في واقع المسلمين وبيان الحكم الشرعي، وكذلك تحجيم الندوات والمحاضرات العامة التي تعالج قضايا الساعة ومراقبة كل ما يقال أو ينشر في هذا المجال.
(٦) ضعف الدور الدعوي ونشر العلم الشرعي في كثير من مرافق الدولة كأجهزة الإعلام، والسفارات، والمؤسسات التعليمية والجامعات، التي يُفترض أن تجعل بناء الشخصية المسلمة ونشر العلم الشرعي أهم أعمالها.

سبيل الإصلاح :

وبعد عرض هذه الأحوال القائمة فإننا سعياً لإصلاحها ننصح بما يأتي:

أولاً : لتعزيز دور العلماء والدعاة وتمكينهم من القيام بواجبهم الشرعي نقترح:

(١) رفع كل القيود والتعليمات التي تقيد نشاط الدعاة والعلماء، والسماح لهم بالتأليف والنشر والإفتاء والخطابة والمحاضرة وتسجيل الأشرطة وعقد الندوات والحلقات العلمية، دون حاجة إلى ترخيص أو إذن رسمي من وزارة الإعلام أو الأوقاف أو غيرهما، وأن يجعل القضاء الشرعي هو الجهة الوحيدة التي يناط بها النظر في أي مخالفة تنسب إلي الدعاة أو العلماء أو غيرهم وهو الجهة الوحيدة التي تقرر فيما إذا كانت المخالفة تستوجب العقوبة، وأن يقتصر دور الجهات الرسمية في رفع الدعاوى أمام القضاء في ذلك.

(٢) فسح المجال لإنشاء هيئات وجمعيات مستقلة للعلماء والدعاة وتشجيع ذلك، ووضع لائحة إجرائية تسهل ذلك في الرئاسة العامة للبحوث والإفتاء، وأن يكون الإشراف عليها وتوجيهها وقيادتها من علماء الأمة المشهود لهم بالعلم والصلاح، وتخول هذه الهيئات صلاحية تبني النشاطات الدعوية في البلاد ونشر العلم في المرافق المختلفة، وأن تعمل الدولة على إفساح المجال لها لتقديم كل ما تستطيعه من خير لهذه الأمة.

(٣) تعزيز دور هيئة كبار العلماء باختيار العلماء ذوي الفضل والمشهورين بالقدرة والاجتهاد الذين صار لهم القبول من أفراد الأمة، وذلك بناء على ترشيح جهات شرعية، كقضاة المحاكم، وأعضاء لجنة الافتاء والإرشاد ومجلس القضاء الأعلى وأساتذة الكليات الشرعية، وأن تكون المفاضلة بينهم على أساس العلم والدين والورع والقوة في ذات الله وتجربتهم الشرعية، وأن تكون عضويتهم بهذه الهيئة غير قابلة للعزل إلا بسبب شرعي وبموجب حكم شرعي أخذاً بما رجح في الفقه الإسلامي

من عدم عزل القضاة ومن في حكمهم إلا لعذر شرعي، لأنهم بالولاية يصيرون ناظرين للمسلمين على سبيل المصلحة لا عن الإمام (الاحكام السلطانية لأبي يعلى الفراء الحنبلي).

(٤) لتحقيق دور العلماء في إرساء قواعد الشرع وأحكامه يجب أن تعرض جميع الأنظمة والمعاهدات قبل إقرارها على هيئة كبار العلماء للتأكد من مطابقتها لقواعد الشريعة الإسلامية.

(٥) تعزيز دور الأوقاف الإسلامية واستقلاليتها للقيام بواجبها الشرعي من توفير النفقات في أوجه الخير والأعمال الصالحة من دعوة أو نشر للعلم الشرعي، وذلك بأن يُفصل ما يُستحصل من غلات الأوقاف المخصصة لنشر العلم الشرعي أو الدعوة أوالإنفاق على المرافق الدعوية كالمساجد عن ميزانية الدولة، وأن ترتبط بجمعية خيرية للأوقاف مستقلة يُديرها مجلس شرعي من القضاة أو العلماء يتولى المتابعة والإشراف على قيام النظّار الشرعيين للوقف أو القاضي الشرعي بجمع النفقات لهذه الأوقاف وحفظ ميزانيتها، والانفاق منها في و جوه الخير بحسب شروط الواقفين.

(٦) إصدار التعليمات لكل قطاعات الدولة ووسائل الإعلام والتعليم والنشر بتمكين العلماء والدعاة من أداء واجبهم الشرعي، والأخذ بنصائحهم، كما يجب أن يشجع الدعاة لبيان الحق والدعوة إليه في كل المجالات وفي التجمعات العامة وفي المناسبات التي تمر بالأمة وفي الصحف والمجلات.

(٧) فتح المجال أمام الدعاة والعلماء خارج البلاد –ممن عرف بسلامة المعتقد وصدق الاتجاه وصواب المنهج– لإلقاء المحاضرات وإقامة الندوات والمؤتمرات والحلقات العلمية والمنتديات، وتسهيل إجراءات قدومهم بما يحقق التفاعل والتعاون بين علماء البلاد وإخوانهم من العالم الإسلامي.

ثانياً : لتحقيق قيام الدولة بالواجب الشرعي في الدعوة في الداخل والخارج وتعزيزه ننصح بما يأتي:

(١) أن تُعد السفارات والقنصليات بالخارج دوراً للدعوة إلى الإسلام وإبلاغه للأمم ورعايا الدول الأخرى ورعاية شؤون المسلمين، وهذا يوجب تدعيم السفارات بالدعاة المؤهلين والعلماء المتفرغين وحسن اختيار السفراء والقناصل للقيام بواجب تبليغ الإسلام والدعوة إليه.

(٢) إنشاء محطات إذاعية وتلفزيونية خاصة للدعوة إلى الإسلام وتعليم أحكامه باللغات العالمية، وتخصيص أوقات مناسبة من البث الحالي للإذاعة والتلفزيون الرسميين لذلك، على أن تجعل الإشراف على برامج الدعوة وإبلا غ الإسلام وتعليمه للهيئات الدعوية والشرعية والمتخصصين في ذلك، وأن يعمل على زيادة البث زمانياً ومكانياً والاستفادة من التقنية الحديثة في ذلك لكي تبلغ الدعوة جميع أقطار المعمورة.

(٣) الاهتمام بتعليم أبناء الأقليات الإسلامية وتمكينهم من القيام بدور قيادي لنشر الإسلام والدعوة إليه في بلادهم عن طريق زيادة المنح الدراسية لهم في كل جوانب المعرفة، وفي العلوم الشرعية خاصة، وكذلك عن طريق فتح المعاهد والمدارس والكليات الشرعية في بلاد المسلمين المختلفة وتخصيص موارد ثابتة دائمة للإنفاق عليها.

(٤) لضمان قيام مرافق الدولة المختلفة بأعمالها على هدي الشرع وإرشاد منسوبيها فيما يتعلق بعملهم من أحكام شرعية، يجب أن يجعل في كل جهاز حكومي في الداخل أو الخارج إدارة متخصصة في الشؤون الشرعية تتولى تقديم المشورة الشرعية والتأكد من مطابقة قرارات هذه الأجهزة والمرافق لأحكام الشرع والقيام بالنصح والتوجيه لمنسوبيها في ذلك، وأن ترتبط هذه الأجهزة بجهات شرعية كالرئاسة العامة للبحوث والإفتاء والإرشاد أو هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أو وزارة العدل.

(٥) أن تُدعم مؤسسات الدعوة وهيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مالياً ومعنوياً ووظيفياً بأن يُعاد النظر في أنظمة وكوادر هذه الهيئات، وأ ن يُكثف توظيف حملة الشهادات الشرعية فيها واستقطاب الكفاءات الدعوية والقضائية المتميزة لها، وأن تُخوّل لها الصلاحيات المناسبة وتُوفر لها الإمكانات والتجهيزات اللازمة من وسائل نقل أو تقنية حديثة لتمكينها من القيام بدورها لبيان الحق والدعوة إليه.

(٦) أن يُهتم بالمناطق النائية والقرى والأرياف بدعوة أهلها وتعليمهم أمور دينهم وإرشادهم وأن يُبعث إليهم بالوفود واللجان وأن تُخصص لذلك ميزانية خاصة في الهيئات الدعوية والمرافق التعليمية حتى يتحقق البلاغ وينشر العلم في كل المناطق.

(٧) إنشاء صحف ودوريات علمية متخصصة في شؤون الدعوة والعلوم الشرعية، ودعم الموجود منها مالياً وإدارياً، والحرص على استقلالها.

الأنظمة واللوائح:

مقدمة :

إنه مما علم من دين الإسلام بالضرورة وجوب الاحتكام إلى شرع الله وتحكيمه في جميع شؤون الفرد والأسرة والدولة وفي علاقة الأمة بالدولة، وفي علاقة الدولة والأمة بغيرهما من الدول والأمم، كذلك من المعلوم وجوب أن يكون شرع الله وحده هو المهيمن على ما سواه وأن تتحقق سيادة الشرع التامة على أعمال الدولة وأنظمتها وتصرفاتها ولوائحها ومعاهداتها وكافة جوانب الحياة فيها.

ولعل مما يبشر بالخير أن يصرّح العديد من ولاة الأمر في مناسبات شتى بأنه استناداً إلى ذلك سيجري مراجعة أنظمة ولوائح البلاد وتنقيتها وإلغاء كافة ما يخالف الشرع منها، وأن ينص النظام الأساسي على أن الشريعة الإسلامية هي الحاكمة على كل أنظمة الدولة، ولذا رأينا قياماً بواجب النصح أن نبيّن قضايا كلية تتعلق بواقع الأنظمة وسبل إصلاحها وكيفية إسنادها إلى الشرع، مع الإشارة إلى بعض الشواهد والأمثلة على بعض المخالفات الموجودة حالياً في العديد من الأنظمة القائمة بهدف العمل على تعديلها أو إلغائها واستبدال الأنظمة الشرعية بها.

أولاً : أنواع الأنظمة :

إن النظر في الأنظمة واللوائح والأوامر يظهر جلياً أنها تحتوي على نوعين من الأحكام أو المواد.

النوع الأول منها: المواد أو الأحكام التشريعية وهي المواد التي تنص على أحكام تكليفية سواء بالإلزام (الوجوب) أو المنع (التحريم) أو الإذن والتجويز (الإباحة)، أو بنص على بيان أسباب هذه الأحكام التكليفية وشروطها واستثناءاتها وموانعها وصحتها وفسادها أو بطلانها. فهذا النوع من مواد الأنظمة يتعلق بأفعال المكلفين الأصلية والحكم عليها. وقد أطلق علماء الأصول في الشريعة على هذا النوع اسم خطاب التكليف وخطاب الوضع. ولكن الملاحظ أنه لا يوجد في الأنظمة القائمة حكم بالاستحباب أو الكراهية حيث أنها متعلقة بالثواب والعقاب الأخروي وهو ما لا تجعله الأنظمة موضع نظر عند سَن أحكامها.

النوع الثاني: المواد أو الأحكام الإجرائية وهذه هي المواد التي تنص على أحكام تتعلق بوسائل مادية وأساليب تنفذ بها الأحكام التشريعية مما لم يرد نص شرعي عليها بعينها، وليست مقصودة لذاتها بل هي وسائل لغيرها. وهو ما أطلق عليه علماء أصول الشريعة أحياناً اسم المصلحة المرسلة.

فعلى سبيل المثال: إن جباية الزكاة من أموال مخصوصة، وتحديد من تجب عليه، وتوزيعها على أصناف مخصوصة من الناس كل ذلك يعد أحكاماً تشريعية حيث أن الحكم بوجوب جباية الزكاة من قبل الدولة، وعدم جواز دفعها لغير أهلها، وشروط وجوب الزكاة من حول ونصاب، وما يمنع من دين ونحو ذلك، كل هذا يعد أحكاماً تشريعية لأفعال المكلفين بالتكليف أو الوضع.

أما الوسائل المستخدمة لتنفيذ هذا الحكم التشريعي من وسائل النقل والسجلات الخطية أو المغناطيسية، وكيفية اتصال الجباة بالناس إما بالذهاب إليهم أو دعوة الناس إلى تسديد زكاتهم بدائرة الزكاة بالكتابة إليهم بالبريد المسجل، والفترة التي يجري بها ذلك من أول الحول أو وسطه أو آخره كل هذه الأمور تُعد أحكاماً إجرائية تتعلق بأسلوب ووسيلة تنفيذ هذا الحكم التشريعي.

ومثال آخر: إن اشتراك الناس في الطرق والمنافع العامة وإباحة حق الانتفاع لهم بالسير فيها، ومنع اختصاص أحد دون أحد في ذلك، يُعد أحكاماً تشريعية. أما كيفية تنفيذ هذه الأحكام بوسائل وأساليب متنوعة كالأرصفة، وعلامات المرور ولوحاته، والخطوات الإجرائية اللازمة للتثبت من أهلية قادة المركبات عليها كل ذلك يُعد أحكاماً إجرائية.

ومثال ثالث: ينص نظام الشركات في مادة (٢) على أن أحكام النظام تسري على الشركات المحددة به التي تشمل شركة التضامن، وشركة التوصية البسيطة والمحاصة، والمساهمة..إلخ، ثم ينص النظام على بطلان كل شركة لا تتخذ الأشكال المذكورة مع عدم المساس بالشركات المعروفة في الفقه الإسلامي، فهذه المادة تعد حكماً تشريعياً لأنها حكمت على فعل المكلفين في شراكة بالصحة إذا وافق الهيئة أو الشكل الذي حددته لأنواع الشركات، وحكمت بالبطلان على ما يخالف ذلك كما ألزمت بأنواع معينه من أفعال المكلف إذا أراد عقد شركة وهي أشكال الشركة المحددة بالنظام.

وفي مادة (١٢) نص النظام على أن جميع العقود والمخالصات والإعلانات وغيرها من أوراق الشركة يجب أن تحمل اسمها وبيان نوعها ومركزها الرئيسي. ونص النظام في مادة (١٢٣) على أن مجلس الشركة المساهمة يُعِد في نهاية كل سنة مالية جرداً لأصول الشركة ويُعِد ميزانية الشركة وحساب الأرباح والخسائر، وحددت مادة (١٢٤) طرق تبويب الميزانية وحساب الأرباح والخسائر، فهذه المواد (رقم ١٢،١٢٣،١٢٤) التي تتضمن تعريف وسائل مادية وإجراءات تنفذ بها الشركة أعمالها تُعد أحكاماً إجرائية ..وهكذا.

ومن ذلك يتضح أن كل نظام يحوي في مواده النوعين من الأحكام السابق ذكرهما وهما الأحكام التشريعية والأحكام الإجرائية. ولذا يجب إدراك هذا عند الحكم شرعاً على الأنظمة، حيث أن الحكم على أي نظام إنما يكون بعد المعرفة لنوع أحكامه وبحسب مصادرها، فالأحكام التشريعية -سواء كانت خطاب بالتكليف أو الوضع- فالحكم فيها لله تعالى وحده، أما الأحكام الإجرائية فلولي الأمر وضعها والتدخل في تنظيمها بما يحقق المقاصد الشرعية. وهذا ما سيجري تفصيله لاحقاً في التالي.

ثانياً : الأحكام التشريعية يجب استنباطها من أدلة الشرع، ويحرم أخذها من غيره :

إن سيادة الشرع الإسلامي تقتضي أن تكون جميع الأحكام التشريعية مستنبطة باجتهاد صحيح من أدلة الشرع وهي الكتاب والسنة والإجماع وما دلت عليه من قواعد شرعية وطرق استنباط الأحكام بالقياس وغيره كما هو مفصل في كتب الأصول، فقد أوجب تعالى الرجوع إلى كتابه

وسنة رسوله في كل أمر وجعل ذلك شرط الإيمان، قال تعالى﴿ ألا له الخلق والأمر﴾(سورة الأعراف:٥٤) وقال عزوجل ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم﴾(سورة النساء:٦٥) وقال ﴿وأن احكم بينهم بما أنزل الله﴾(سورة المائدة:٤٩) وقال ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾(سورة المائدة:٤٤) وقال ﴿ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم﴾ (سورة النساء: ٨٣) وقال ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم﴾(سورة الأحزاب:٣٦) إلى غير ذلك من الآيات. وقال عليه الصلاة والسلام" من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد"(١) وجعل تعالى الرجوع والتحكيم لغير شرعه ضلالاً مبيناً وسمّى كل شرع غير شرعه طاغوتاً قال تعالى ﴿ ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً﴾(سورة النساء:٦٠).

وأجمعت الأمة على وجوب تحكيم شرع الله والانقياد له وأنه لا يسع أحداً الخروج عليه ولهذا قاتل سلف الأمة من الصحابة ﷺ من ارتد عنه بمنع الزكاة.

إن الحكم التشريعي يجب أن يقتصر مصدره وأدلته على أدلة الإسلام، وقبول أي مصدر غير الإسلام للأحكام التشريعية يعد تحاكماً إلى الطاغوت كما نص عليه القرآن. ويحرم فعله سواء وافق الطاغوت الشرع أم خالفه لأن الواجب على المسلم الكفر بالطاغوت على كل حال ، ولذا فإن الرجوع إلى أي قانون تشريعي كالقانون الجنائى الفرنسي لأحكام العقوبات، أو القانون المدني المصري لأحكام الشركات مثلاً والحكم بها بين الناس لا يجوز مطلقاً سواء وافقت الشرع أم خالفته لأن الرجوع إليها تحكيم للطاغوت وإيمان به ويحصل به الضلال البعيد، والكفر والفسق أو الظلم عياذاً بالله لمن فعل ذلك.

ثالثاً : الأحكام الإجرائية يجب ألا تخالف الشرع وتؤخذ بحسب تحقيقها للمقاصد المشروعة:

دل الكتاب على أن الانتفاع بالوسائل المادية في الكون مباح لتسخيرها من الله تعالى لخلقه وامتنانه عليهم بها قال تعالى "هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً"، وقال تعالى "ألم تروا أن الله سخر لكم مافي السموات وما في الأرض". كما دلت السنة وفعل الخلفاء الراشدين على أن الأحكام الإجرائية والأحكام الدنيوية المحضة جائزة على وجه العموم إذا لم يرد دليل خاص بتحريم فرد منها وإذا لم يترتب على فعلها فوات مصالح أكبر أو حصول مفاسد أعظم، وذلك نحو ما ثبت في

(١) صحيح مسلم ١٧ - (١٧١٨) .

حديث تأبير النخل في قوله عليه الصلاة والسلام " أنتم أعلم بأمر دنياكم"(١) ونحو حفر الخندق اقتباساً من عمل الفرس كسياسة دفاعية، واستخدام المنجنيق، ووضع عمر ﷺ الديوان اقتباساً من غير المسلمين لتنظيم أمور العطاء إجرائياً..إلى غير ذلك من أمثلة، ولهذا متى ثبت كون الحكم إجرائياً فإن أي وسيلة وأسلوب ينفذ به الحكم التشريعي المستنبط من أدلة الشرع يجوز اقتباسها بحسب تحقيقها للمقاصد الشرعية على أحسن وجه، مع الحرص على تبسيط هذه الإجراءات وتيسيرها والرفق بالناس إذا تعلقت بالدولة، وهذه الوسائل والإجراءات هي ما أطلق عليه علماء أصول الشريعة أحياناً اسم " المصلحة المرسلة" باعتبار أنه لم يرد دليل خاص لها وإنما تندرج تحت الحكم التشريعي العام الذي تعد وسيلة وأسلوباً لتنفيذه.

رابعاً : تنفيذ المباح أو الإلزام به:

شاع بين الناس أنه لا يجوز للدولة مطقاً المنع والإلزام بأمر مباح بحجة المصلحة العامة استناداً إلى كون الشرع قد خير المكلف في المتاح بين الفعل والترك. ولقد نجم عن هذا الظن الفاسد تحريم ما أحل الله ورسوله وإيجاب ما لم يوجب تعالى وإلزام الرعية بذلك وعقابهم على مخالفته دون قيد شرعي منضبط أو إذن من الشارع بذلك. ولقد أنكر تعالى على من حرم ما أحل عزوجل أعظم الإنكار وسمّى من فعل ذلك على وجه التشريع مشركاً قال تعالى﴿سيقول الذين أشركوا لوشاء الله ماأشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء﴾(سورة الأنعام:١٤٨) وقال عزوجل ﴿ قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراماً وحلالاً،قل آلله أذن لكم أم على الله تفترون﴾(سورة يونس: ٥٩)، وقال تعالى ﴿قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفهًا بغير علم وحرموا ما رزقهم الله﴾(سورة الأنعام:١٤٠) إلى غير ذلك من آيات، وقد نهت الشريعة أن يلزم الإنسان نفسه بأن يمتنع عن فعل مباح، قال تعالى﴿ يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضات أزواجك﴾(سورة التحريم:١)،حتى لو كان ذلك الامتناع بقصد التعبد، نحو إنكار الرسول ﷺ على من ألزموا أنفسهم بترك أكل اللحم أو نكاح النساء، وعلى من نذر ألاّ يجلس ولا يستظل، فإذا كان هذا في حق المكلف الفرد الذي قصده مصلحة دنيوية أو التعبد بترك المباح، فكيف يحل للدولة أن تحرم بعض المباح عموماً أو أن تعلق فعله على إذنها وترخيصها على وجه الإطلاق. وإنما دلت الأدلة الشرعية التفصيلية أنه لا يجوز للدولة التدخل بالإلزام أو المنع من فرد من أفراد المباح مؤقتاً في أحوال مخصوصة مقيدة بقواعد شرعية منضبطة نعرضها في ما يلي لكي يزول الالتباس في هذا

(١) صحيح مسلم ١٤١ - (٢٣٦٣) .

الباب:

الحالة الأولى : أن يكون المباح مؤدياً إلى ضرر أو إلى حرام فللدولة أو الإمام التدخل في هذه الحالة لمنع حصول الضرر والمحرم، وذلك نحو منع من كان مريضاً بالإيدز أو الجذام المعدي –عياذاً بالله– من الزواج لمنع نقل العدوى، ونحو منع من كف أو ضعف بصره من قيادة المركبات في الطرق للضر الحاصل. وهذه القاعدة ثابتة بأحاديث منع الضرر والإضرار وقاعدة منع مايوصل إلى حرام نحو المنع من سب آلهة المشركين إذا ظن أنهم يسبون الله عدواً بغير علم، ونحو منع الرسول عليه الصلاة والسلام في أول الأمر المسلمين من ادخار لحوم الأضاحي فوق ثلاث لضرر المجاعة، ونحو فعل عثمان ﷺ بالإلزام بالمصحف الإمام بلهجة قريش عند خشية المحرم من فرقة المسلمين وفتنتهم في الأمصار إذا لم يفعل ذلك، ونحو منع عمر ﷺ بعض الصحابة من الخروج من المدينة للضرر الحاصل بذهاب أهل الفقه والاجتهاد الذين يرجع إليهم في النوازل ومعضلات الأمور من قاعدة الإسلام. وموضوع الضرر أو المحرم هذا أمر يمكن أدراكه والتحقق من واقعه وليس أمراً مبهماً كالمصلحة العامة، ولهذا إذا تدخلت الدولة لمنع أمر مباح أصلاً بحجة الضرر أو حصول المحرم، فإن عليها إثبات الدليل على وجود الضرر أو الحرام حتى يكون عملها وفق الشرع في ذلك.

الحالة الثانية : أن يكون أمر المباح متعلقاً بشؤون الدولة الخاصة بها كشؤون جيشها وموظفيها ونحوه فلها حينئذ الإلزام والمنع لمن يتعلق به ذلك من موظفيها وجنودها لتحقيق مقصد شرعي وذلك كإلزام موظفي الدولة بدوام مخصوص أو إلزام جنودها بلبس معين ونحوه. ومن هذا الباب كان عمر ﷺ يقاسم عماله أموالهم ويشترط عليهم في ذلك، ومنع عماله من وضع أبواب أو حجب مغلقة دون رعيتهم، ومنع بعض قادة ة جيوشه وولاته من نكاح الكتابيات لئلا يُقتدي بهم في ذلك.

الحالة الثالثة : تنظيم المرافق والأموال العامة، حيث ثبت بالسنة أن ما كان من مرافق المسلمين يشتركون فيه نحو الماء والكلأ والنار والطرق العامة، وما كان من الأموال العامة كالفيء فإن تنظيمه متروك للدولة لتحقيق المقصد الشرعي بعدم اختصاص أحد به دون أحد، ولها عندئذ الإلزام أو المنع من بعض أفراد المباح على هذا الوجه الشرعي. حيث أن النبي عليه الصلاة والسلام حمى النقيع، واسترجع إقطاع أبيض بن حمال لمنجم الملح لحاجة الناس إليه، ووزع أبوبكر ﷺ أموال الفيء بالتساوي بين الناس، بينما وزعها عمر ﷺ بحسب الأسبقية في الإسلام، وأمر الرسول عليه الصلاة والسلام بجعل الطريق سبعة أذرع لتنظيم السير فيه، وقضى بحكمه في السيل بأن يُرسِل الأعلى على الأسفل، وحمى عمر ﷺ الشرف والربذة.. إلى غير ذلك من أمثلة تدل على أن

للإمام أو الدولة التدخل لتنظيم المرافق والأموال العامة التي يشترك فيها المسلمون لتحقيق مقصد شرعي.

الحالة الرابعة : تنفيذ فروض الكفاية المنوطة بالدولة، حيث جعل الشرع تنفيذ بعض فروع الكفاية منوطاً بالدولة كجمع الزكاة والجهاد ونحو ذلك. فللدولة حينئذ وضع تنظيم إجرائي لتنفيذ هذه الفروض المناطة بها، ومن ذلك أن عثمان ﷺ كان يحدد شهراً معيناً لجمع الزكاة كما ورد في الموطأ.

ومن هذا العرض للشواهد الشرعية التي تبين الأحوال المخصوصة التي أذن الشارع للدولة بالتدخل فيها بالمنع أو بالإلزام من بعض أفراد المباح بهدف تحقيق مقصود شرعي يظهر جلياً أن الأصل في غير هذه الأحوال أن ليس للدولة تحريم المباح والمنع منه، أو إيجابه، أوقصر فعله على من حصل على ترخيص منها، لأن الإباحة حكم من خالق العباد وربهم تعالى، ومتى ثبت بالدليل الشرعي إباحة الفعل فليس لمخلوق المنع أو الإلزام به على وجه الإطلاق، كمايدل على ذلك حديث عدي بن حاتم في تفسير قوله تعالى ﴿ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله..﴾(سورة التوبة الآية: ٣١).

واقع الأنظمة من خلال بعض الأمثلة والشواهد:

بتطبيق القضايا الكلية السابقة على الأنظمة حالياً يظهر مايلي :

(١) إن كثيراً من الأنظمة تتضمن أحكاماً تشريعية مستمدة من مصادر قانونية عربية أو غربية في بلاد أخرى لا تحكّم الشرع فنظام الأوراق التجارية مستمد عن معاهدة جنيف للأوراق التجارية، ونظام الشركات نصت مذكرته التفسيرية على أنه مستمد من "الصالح من أحكام أنظمة الدول الأخرى"، ونظام العمل والعمال مستمد من الاتفاقيات والأنظمة الدولية العمالية، ونظام مكافحة التزوير يتشابه في كثير من مواده وتعابيره مع القوانين الأوروبية وعلى الأخص الألمانية والفرنسية... وهكذا. وهذه المصادر لا يجوز الرجوع إليها، لأخذ الأحكام التشريعية منها لأن ما نقل واستمد منها من أحكام تشريعية لم يُستنبط من أدلة الشرع ويُعد تحكيماً لغير الشرع.

(٢) نصت معظم الأنظمة القائمة على تشكيل لجان وهيئات لها صلاحيات القضاء وملزمة وفق أحكام ومواد النظام، حيث يوجد ذلك على سبيل المثال في نظام العمل والعمال، ونظام الأوراق التجارية، ونظام المحكمة التجارية، ونظام الشركات، ونظام مكافحة الغش التجاري، ونظام العقوبات العسكري، ونظام محاكمة الوزراء، ونظام مكافحة الرشوة ،إلى غير ذلك من أنظمة، كما

جعلت بعض الأنظمة أعضاء هذه اللجان من القانونيين، كما في نظام التعدين والذي نص على أن أحكامه مخصص لها هيئة من القانونيين العالميين، وكل هذا مخالف للشرع نظراً لأنه جعل القضاء وفق أحكام النظام وأدى إلى عزل القضاء الشرعي عن النظر في هذه الجوانب من حياة الناس، هذا فضلاً عن التضارب بين أحكام القضاء وتلك الأنظمة.

(٣) اعتبرت بعض الأنظمة الشريعة الإسلامية مصدراً احتياطياً للتشريع والقضاء ومثال ذلك المادة التاسعة من نظام هيئة تسوية المنازعات لدول مجلس الخليج العربي، والمادة (١٨٥) من نظام العمل والعمال.

(٤) أجازت بعض الأنظمة أموراً محرمة لمن يتعلق بهم ذلك، نحو إباحة إصدار سندات قرض للشركات المساهمة، وإباحة عقود التسهيلات الائتمانية وحسابات الفوائد بالبنوك، وهي جميعاً في حقيقة أمرها وثائق ربوية. ونحو التمييز بين المسلمين في مواد بعض الأنظمة باعتبار الموطن الإقليمي مخالفة بذلك أحكام دار الإسلام. ونحو إسقاط الحقوق وعدم سماع الدعاوى بالتقادم كما في نظام العمل والعمال ونظام الإوراق التجارية بعد مضي مدد معينة. ونحو الإذن بالتجسس وتفتيش البيوت المحرم شرعاً في اللائحة التنظيمية للتحقيق والادعاء للمتهمين وغير المتهمين بهدف إثبات الجرم، مع أن الأصل براءة الذمة وأنه لا يجوز التجسس أو انتهاك حرمة البيوت بالآيات القرآنية القطعية، ولم يُستثن في ذلك إلا استنقاذ حرمة محقق هلاكها ويفوت استدراكها كقتل نفس أو انتهاك عرض كما فصّل الفقهاء.

(٥) قيدت بعض الأنظمة بعضاً مما أباح الله تعالى ورسوله بإذن الدولة أو ألزمت ما لم يلزم به شرع الله، على غير الأحوال المأذون بها شرعاً، وذلك نحو الإلزام بأنواع شركات معينة وإبطال الشركات التي لا تتفق مع أشكال الشركات المحددة بالنظام، ونحو نظام التستر الذي يحرّم كل أعمال الشراكة والعقود المجمع على إباحتها شرعاً بين المواطنين وغيرهم من المسلمين إذا تمت بخلاف تعليمات الدولة ويعاقب على ذلك، وكان له الأثر السيء على الاقتصاد المحلي حيث أدى إلى تسرب مدخرات غير المواطنين إلى الخارج وعدم الاستفادة منها محلياً، ونحو نظام استثمار المال الأجنبي الذي يمنع المسلمين من الشراكة والتجارة المباحة مع بعضهم البعض إلا بترخيص الدولة وإذنها. ونحو إلزام رب العمل بما لم يلزم به الشرع ولم يتفق عليه المتعاقدان في نظام العمل والعمال كالإلزام بعلاج العامل ونفقته ومعاشه التقاعدي وتأمينه اجتماعياً (فتاوى الشيخ مُحَمَّد بن إبراهيم رحمه الله). ونحو منع البنوك من مزاولة الأعمال التجارية والزراعية والصناعية والعقارية المباحة مما يؤدي إلى قصر عملها على التعامل الربوي.. إلى غير ذلك من أمثلة.

(٦) أقرت بعض الأنظمة الاحتكارات والامتيازات غير المشروعة نحو قصر استغلال مرافق الطرق الطويلة على شركة بعينها أو المنع من الطيران التجاري لغير الخطوط السعودية، ونحو منع غير البنوك من وجوه أخذ المال من أهله على غير الوجه المأذون به شرعاً.

(٧) فرضت بعض الأنظمة رسوماً ومكوساً دون استدلال شرعي يجيز ذلك، وأمثلة هذه كثيرة نحو رسوم الجمارك على المسلمين، ونحو رسوم المرور والبلديات ورسوم الجوازات والرخص وغير ذلك من وجوه أخذ المال من أهله على غير الوجه المأذون به شرعاً.

(٨) قررت بعض من الأنظمة عقوبات على من يخالف أحكامها، وقد غلب على هذه العقوبات ما تقرر بالقوانين الوضعية التي استمدت منها إذ قصرت العقوبات في أغلب الأحوال على السجن أو الغرامة المالية. ولم تأخذ هذه الأنظمة عقوبات التعزير الأخرى التي جاء بها الشرع، ولقد ترتب على هذا فساد كبير، فعقوبة السجن أدت إلى ازدحام السجون وزيادة الكلفة على الدولة في أمر المساجين، وضياع من يعولهم السجين بحبسه عن الكسب، وتعليم السوء من بعض المساجين لبعض، كما أن عقوبة الغرامة المالية يحصل بها إجحاف للفقير ولا يرتدع بها الغني وقد تؤدي إلى أكل المال بالباطل.

سبيل الإصلاح :

بتأصيل ما ذكر يظهر أن الواجب الشرعي مراجعة الأنظمة القائمة مراجعة شاملة لتنقيحها وإلغاء كل مخالفة للشرع بها وكذلك العمل على وضع أنظمة شرعية بديلة لما يتعسر تنقيحه منها. وننصح بهذا الصدد بما يلي:

١٠) مراجعة الأنظمة القائمة بالنظر في كل مادة منها على حدة، وإبطال كل مادة تشريعية منها لا يشهد لها دليل شرعي باستنباط واجتهاد صحيح.

(٢) مراجعة الأنظمة لإلغاء كل إلزام بمباح أو منع منه في غير الأحوال المخصوصة التي بيّنها الشارع، وللتحقق من ذلك يتحتم أن يعرض كل إلزام بمباح أو منعه – مما يظن أنه من الأحوال التي يجوز لولي الأمر التدخل فيها –على ذوي الفقه الشرعي لإصدار حكم خاص بجواز ذلك أو عدمه.

(٣) إلغاء كل اللجان ذات الصلاحيات القضائي في الأنظمة، وإحالة جميع القضايا واختصاصات هذه اللجان إلى المحاكم الشرعية.

(٤) إنشاء محكمة شرعية عليا للنظر في الدعاوى التي تُرفع بشأن مخالفة الأنظمة واللوائح للشرع لتحقيق جعل الشريعة حاكمة على جميع الأنظمة، ولإبطال وإلغاء ما ثبت مخالفته للشرع منها، ويمكن للبدء في ذلك أن يُخوّل مجلس القضاء الأعلى هذه الصلاحيات.

(٥) تغيير العقوبات المنصوص عليها بالأنظمة بعقوبات التعزير الشرعية وترك ذلك لقضاة الشرع الذين هم حرس على حسن تطبيقه ومنع الخروج عنه.

(٦) تحويل الأقسام الأكاديمية والتعليمية للأنظمة في الجامعات ومعهد الإدارة إلى أقسام تُعنى بالدراسة المتخصصة للفقه الشرعي وأصول استنباط أحكامه ودراسة فقه الشريعة المقارن، واستقطاب الطلبة الموهوبين لتخريج فقهاء متميزين منها، وللاستفادة من الثروة التشريعية الفقهية العظيمة لدى المسلمين في وضع الأنظمة. وأن تقتصر دراسة القوانين الغربية على الدراسات العليا للمتضلعين بالفقه الشرعي بأن تدرس كما تدرس عقائد الكفر لدحضها وبهدف نقضها وبيان فسادها وما يخالف الشرع منها.

كما ننصح عند إصدار أنظمة جديدة بما يلي:

(٧) أن يوضع لكل نظام أو لائحة مذكرة فقهية شرعية تبين الأدلة الشرعية التي استنبطت منها مواد النظام إن كانت أحكاماً تشريعية، أو تبين كون المواد أحكاماً إجرائية لا تخالف الشرع تندرج تحت حكم تشريعي مشروع وتعد وسائل لتنفيذه ويتحقق بها المقصود المطلوب.

(٨) عدم الرجوع عند وضع أحكام الأنظمة التشريعية إلى أنظمة الدول الأخرى للاقتباس منها لكونها أنظمة لا تحكم الشرع أصلاً ولأنها في مجملها مشاقّة لأحكام الله ورسوله.

(٩) يجب أن تكون اللجان التي يعهد إليها اقتراح الأنظمة التشريعية ـ عند الضرورة إلى ذلك ـ لجاناً شرعية تقتصر عضويتها على من استكملوا أهلية الفقه والاجتهاد لاستنباط الأحكام سواء كانوا من أهل البلاد أو من غيرهم من علماء الشرع في بلاد المسلمين. فإن تعذر ذلك فلا بد أن تقتصر عضوية اللجان على ذوي القدرة على الفتوى والرجوع إلى كتب الفقه المعتبرة واستخراج الأحكام منها. ويمكن لهذه اللجان أن تستعين بأهل الخبرة من فنيين وإداريين وغيرهم لبيان الواقع وتفصيله ـ عند الحاجة ـ ولكن دون أن يُجعل لهؤلاء الخبراء غير الشرعيين دوراً في وضع الأحكام التشريعية وبيانها.

القضاء والمحاكم:

مقدمة :

عظمت الشريعة الإسلامية شأن القضاء الشرعي، حيث جعلت الشرع والقضاء صنوان، فالدين الإسلامي كما جعل الشرع هو الحاكم على أفعال البشر وهو مصدر أنظمة الحياة، جعل القضاء جهة الإلزام بأحكام التشريع في إزالة التنازع، ورفع المظالم، ومنع التجاوزات، ولذا لا يمكن إقامة أحكام الشرع في واقع الحياة إلا بوجود القضاء الشرعي المهيمن والفاصل لكل نزاع بين الأفراد والأمة والدولة، قال تعالى ﴿ فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً﴾(سورة النساء:٥٩). وإنفاذ مقتضى هذه الآية يوجب الرد إلى الله والرسول، ويحتم وجود القضاء الشرعي المبين للحكم الشرعي الملزم به بما يقطع النزاع، وقد جعل تعالى الخضوع والامتثال والقبول لحكم الله تعالى ورسوله حال المؤمنين فقال تعالى ﴿إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا﴾(سورة النور:٥١). ونفى تعالى الإيمان عن المعرض عن حكمه وشرعه لفصل النزاع فقال عزوجل ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم﴾(سورة النساء:٦٥). ووصف تعالى المنافقين بالإعراض عن الانقياد لحكمه قال تعالى ﴿وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون* وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين* أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا* أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله بل أولئك هم الظالمون﴾(سورة النور:٤٨-٥٠). ولذا فإن العناية بالقضاء في الدولة، وحصر الحكم في القضاء بشرع الله من أعظم واجبات الدولة المسلمة، وينبغي اعتباره لذلك من أهم مرافق الدولة، لأن عدل الشرع وحكمه يبسط من خلاله، وتحفظ حقوق العباد، ويسود الأمن، وقد أكد النظام الأساسي هذه الأهمية للقضاء حيث جعل "القضاء سلطة مستقلة، ولا سلطان على القضاة في قضائهم إلا الشريعة الإسلامية".

وقبل بيان واقع القضاء والمحاكم في هذه البلاد، نريد أن نذكر مسلّمات مقررة شرعاً تتعلق بالقضاء ، لكي تكون أساساً لكثير من القضايا المتعلقة بالقضاء وسبل الإصلاح المقترحة في ذلك :

أولاً: إن ثمة فرقاً جوهرياً بين أمرين: أولهما توزيع عمل القضاء الشرعي بين مجالس قضائية متخصصة، وهو ما يسمى في كتب الفقه الشرعي "التولية على خصوص العمل" والأمر الثاني توزيع العمل القضائي بين المحاكم الشرعية واللجان النظامية التي تحكم وفقاً للأنظمة والمبادئ المقننة لها. فأما الأمر الأول فجائز قطعاً لأن جميع القضايا في المجالس القضائية الشرعية يفصل فيها بشرع الله، وإنما أجاز الشارع تخصيص القاضي الشرعي بحسب نوع القضية، أي تخصيص نوعي للقضاة.

وأما الأمر الثاني الذي هو توزيع قضايا النزاع ـ سواء بين الناس أو بين الناس والدولة ـ بين المحاكم الشرعية وبين اللجان النظامية والقانونية فإن مقتضاه عزل الشرع المطهر عن الفصل في القضايا التي تختص بها تلك اللجان النظامية.

ولقد اختلط هذان الأمران على الكثير حيث ساد لدى الكثير مفهوم مؤداه أن اختصاص القاضي الشرعي عند توليته بقضايا معينة يسوغ ويبيح إيجاد جهات أخرى لا تقضي وفق النظر الشرعي كاللجان والهيئات النظامية أو القانونية وهذا المفهوم يخالف الكتاب والسنة والإجماع، حيث أن الأدلة الشرعية فصلت في أن الكتاب والسنة حاكمان على كل شيء، وأن ولاية القضاء الشرعي عامة في جميع الأمور، وأنه لا يجوز إخراج أي نزاع عن الرد إليهما، قال تعالى ﴿إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله﴾(سورة النساء:١٠٥)، وقال ﴿ فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول﴾(سورة النساء:٥٩). فالعموم بهذه الآية لجمع النزاعات جنساً ومقداراً يقطع ويدل على أنه لا أمر مطلقاً يخرج عن النظر الشرعي هذا، فضلاً عن أن عزل الشرع عن بعض القضايا مخالفة عظيمة لقواعد الإسلام الذي حرم التحاكم إلى غير شرعه، وجعل الرجوع إلى الشرع هو مقتضى الإيمان بالله ورسوله، ومقتضى تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله وأن مُحَّمداً رسول الله.

أما مفهوم تخصيص القاضي الشرعي بأنواع القضايا فهذا أمر مبسوط في كتب الفقه الإسلامي وغايته ومقصوده حسن اختيار القاضي الشرعي بما يناسب القضية، حيث أن أنواع أحكام القضايا التي ينظر فيها القاضي الشرعي تعدد إلى قضاء للزجر عن الحدود والجنايات، أوالحسبة في منع المخالفات والجرائم المضرة بحق الجماعة، أو لإزالة النزاع في العقود والمعاملات، أو لرفع المظالم عموماً سواء الواقعة من ذوي السطوة والهيبة كالدولة والحكام أومن غيرهم، وكل نوع من هذه القضايا يتطلب صفات معينة في القاضي الشرعي إضافة إلى الشروط الضرورية من إسلام وفقه وعدالة، فقضاء المظالم مثلاً يتطلب أن يكون القاضي متصفاً بالهيبة والقوة لأنه يجري الأحكام على ذوي الشوكة الذين يجرؤون على الظلم والتعدي، وأن يكون مجتهداً لإنه يفصل في القضايا المعضلة، وقضاء الحسبة يتطلب أن يكون القاضي متصفاً بالفطنة والقدرة على البحث والتقصي لأن عمله هو إزالة المخالفات العامة في المجتمع...وهكذا.

ولهذا يجب أن يدرك الفرق العظيم بين عزل الشرع عن بعض القضايا، وبين تخصيص القاضي الشرعي في أنواع من القضايا، حيث أن تخصيص القاضي الشرعي إنما يقصد به حسن اختيار

القاضي، ولكن لا يجوز أن يجعل ذلك ذريعة لعزل القضاء الشرعي عن أي قضية لما في ذلك من زلزلة لقواعد الإسلام ومخالفة عظيمة لها.

ثانياً: إن كون القضاء شرعياً في كافة القضايا والنزاعات لا ينافي الاستعانة بالموثوقين من أهل الخبرة في معرفة الواقع، إذ أن القضاء الشرعي يقتضي أمرين: الأول منهما هو معرفة الواقع الذي يطلق عليه علماء الأصول تحقيق المناط، ومعرفة الواقع هذا يتطلب رأي أهل الخبرة بحسب القضية، فإن كان هندسياً يرجع فيه إلى أهل الهندسة، وإن كان طبياً روجع فيه أهل الطب..وهكذا. والأمر الثاني هو بيان حكم الشرع في هذا الواقع، وهذا البيان لا يجوز أن يصدر إلا عن فقيه بأحكام الشرع، ذي معرفة بأدلته الشرعية، متأمل للحكم بالشرع، وإلا كان حكماً مستنداً إلى جهل، ولهذا لا يجوز أن يعارض وجوب جعل القضاء شرعياً الحاجة إلى معرفة الواقع من أهل الخبرة، حيث أن دور أهل الخبرة محدد ببيان واقع الحال وليس له تجاوز ذلك إلى الحكم على أفعال العباد بالإلزام أو المنع أو الإبطال أو غير ذلك حيث أن هذا قصْرعلى الشرع وحده.

ثالثاً: إن تولي عمل القضاء أمر في غاية الخطورة لأثره البالغ على حياة الناس وإنفاذ أحكام الإسلام، ولذا وضعت الشريعة ضوابط وشروطاً لازمة في كل من يتولى هذا المنصب حيث شرطت في القاضي ـ الإسلام والبلوغ والعقل ـ بالإضافة إلى توفر الفقه والعلم الشرعي وإدراك تنزيل الأحكام على الوقائع، لأن عمل القاضي هو الإخبار عن حكم الله على وجه الإلزام، وغير الفقيه سيقضي عن جهل ويكون حكمه لذلك حكماً بغير ما أنزل الله تعالى. كما أن العدالة شرط أساسي في القاضي حيث اشترطت الشريعة ذلك في الشاهد فلزومها في القاضي المؤتمن على إجراء الأحكام التي تحفظ بها الحقوق ويفصل بها النزاع أولى وأعظم. ولهذا فإن تولي أي عمل ذي اختصاص قضائي سواء للحسبة أو لفصل النزاع في المعاملات والعقود، أو للزجر عن الجرائم في الحدود والتعزيرات، أو لرد المظالم يحرم شرعاً أن يتولى القيام به من لا يكون فقيهاً بالشرع عالماً بأحكامه عدلاً تتوافر فيه شروط القاضي الشرعي.

واقع القضاء والمحاكم :

وبعد عرض هذه المسلّمات المقررة بالشرع نبين مشاهدات عن الواقع القضائي على ضوء ماذكر في القضاء والمحاكم، ويتلخص أهمها في ما يأتي:

(١) وجود ازدواجية في القضاء باختلاف الجهات المنوط بها صلاحية الحكم أو فصل النزاع أوالتعزير،حيث يوجد في أجهزة الدولة ـ بالإضافة إلى المحاكم الشرعية ـ مايزيد على ثلاثين لجنة ذات

اختصاص قضائي تستند في أحكامها إلى الأنظمة التي تشكلت بموجبها تلك اللجان، وقد نجم عن ذلك مخالفات شرعية خطيرة نذكر منها:

أ ـ عزل القضاء الشرعي عن النظر في كثير من القضايا المالية وفصل النزاع في المعاملات، وقضايا التعزير والمخالفات،وكثيراً من القضايا الكلية والعامة كنزاعات الوزارات والمؤسسات العامة فيما بينها، والنزاعات مع البنوك، والنزاعات الدولية وقضايا الطيران والملاحة.

ب ـ إلزام الناس بالإعراض عن التحاكم إلى القضاء الشرعي المتمثل بالمحاكم الشرعية واللجوء إلى اللجان النظامية ودفعهم لطلب ما لا يحل لهم شرعاً أوالامتناع عما يجب عليهم شرعاً أداؤه. والأمثلة على ذلك كثيرة في القضايا العمالية والقضايا المصرفية والتجارية.

ج ـ تناقض الأحكام الصادرة في القضية الواحدة بسبب اختلاف جهة القضاء فيها، وضياع حقوق الناس وإطالة أمد النزاع في كثير من القضايا للالتباس الحاصل في تحديد جهة الاختصاص بين المحاكم الشرعية واللجان.

د ـ امتناع بعض اللجان المنوط بها صلاحيات قضائية في كثير من الأحيان أو مسئولي المراجع التي ترتبط بها هذه اللجان عن قبول دعاوى تعد من اختصاصها ورفضها دون حكم قضائي.

هـ ـ ظهور الحاجة إلى تعلم القوانين الوضعية والتفقه فيها بدلاً من الفقه الشرعي، وإقرار تعلم هذه القوانين الوضعية رسمياً في معهد الإدارة وأقسام الأنظمة بالجامعات، بل أصبح المختصون بالقوانين الوضعية يتمتعون بالمزايا الوظيفية التي تُمنح لأهل الاختصاصات النادرة، كما أصبحت المكاتب القانونية ظاهرة لا يُستغنى عنها.

ز ـ ظهور أحكام قضائية مخالفة للشرع صراحة، نحو كثير من أحكام لجنة الأوراق المصرفية وبعض أحكام لجنة الأوراق التجارية ولجان التعزير على سبيل المثال.

ح ـ إنشاء لجان قضائية في بعض الجهات للتظلمات التي تقدم ضد الجهات نفسها نحو لجان التظلم من تعويضات شركات الكهرباء في هذه الشركات، ووجود لجان يكون القاضي هو المدعي العام في نفس الوقت أو يرتبطان بمرجع واحد، مما ترتب عليه تحكيم الخصم وأن يكون ممثل المتظلم منه أو أجيره هو القاضي المختص بفصل النزاع.

(٢) إلزام القضاء الشرعي بأنظمة وتعليمات تضعف من استقلال القضاء وسريان أحكامه على الجميع وتخالف بذلك مبدأ سيادة الشرع على الجميع. ومن أمثلة ذلك:

أ ـ القيود التي تصدر من جهات تنفيذية كالإمارات والداخلية والبلديات بعدم نظر المحكمة الشرعية في أنواع من القضايا أو اشتراط الإذن المسبق أو الإحالة إلى القضاء من تلك الجهات قبل

النظر فيها. والأمثلة في ذلك عديدة ،نحو إلزام القضاء الشرعي بعدم قبول قضايا الديات في مواجهة بيت المال إذا كان المتسبب أجنبياً، ونحو عدم توثيق العقارات التي لم تُخطط لمن كانت بحوزتهم بناء على طلب وزارة الشؤون البلدية والقروية، أو منع النظر في إثبات الإعسار التجاري، أو منع النظر في إثبات إعسار الأفراد إلا بعد طلب الإمارات ذلك.. إلى غير هذا من أمثلة.

ب ـ ادعاء بعض جهات الدولة عدم اختصاص القضاء الشرعي في قضية ما، من أجل منع القضاء الشرعي من النظر في تلك القضية أو لإلغاء الحكم الصادر فيها، أو تبرير عدم إحالتها إليه. وامتناع بعضها عن المثول أمام المحاكم الشرعية ومطالبتها بإلغاء الأحكام الصادرة عنها بعد صدوره، وهذا كثيراً ما يقع في أحكام التعزير حيث تُرَدُّ أحكام القضاء الشرعي على أفراد متهمين بالرشوة والتزوير بحجة عدم الاختصاص.

ج ـ إلزام وزارة العدل والمحاكم الشرعية بكثير من التعاميم الصادرة عن وزارة الداخلية مما أفقد القضاء استقلاليته وحاكميته في القضايا التي تتعلق بتلك التعاميم نحو التعميم الصادر بمنع المحاكم الشرعية من إثبات إعسار المطالب بدين تجاري إنفاذاً لنظام المحكمة التجارية، ونحو قرار وزارة الداخلية عام ١٤٠٦هـ بعدم إحالة القضايا التجارية والعمالية إلى المحاكم الشرعية.

د ـ منع المحاكم الشرعية من نظر الدعاوى المقامة على جهات حكومية إلا بعد الإذن بذلك، ومنع النظر في قضايا ترفع لدى المحاكم أو ديوان المظالم بحجة أنها من قضايا السيادة كالدعاوى التي تقدم ضد أجهزة الجوازات أو المباحث أو غيرها.

(٣) افتقار المحاكم الشرعية في كثير من المناطق للإمكانات التي ترفع من مستوى أدائها وكفاءتها مقارنة بغيرها من القطاعات. والأمثلة على ذلك عديدة منها: عدم توفر المباني اللائقة بهذا المرفق العظيم، فمعظم مباني المحاكم الحالية سيئة التصميم والإنشاء والتأثيث. والنقص الشديد في تدريب وعدد الموظفين والكتّاب والسكرتارية المساعدة لأعمال القضاء، وعدم توفر مراكز لتدريب موظفي المحاكم أو الأجهزة الحديثة التي ترفع من كفاءة إدارات المحاكم كأجهزة الحاسب الآلي وأجهزة التخزين والاتصالات الحديثة.

(٤) التأخير الملحوظ في إنفاذ الأحكام القضائية التي اكتسبت صفة القطعية الصادرة من ديوان المظالم ضد بعض أجهزة الدولة أو وزاراتها، وكذلك الصادرة بإعادة الحقوق لأهلها إذا ما تعلقت هذه الأحكام بأجهزة الدولة أو بعض كبار المتنفذين فيها.

سبيل الإصلاح :

وإصلاحاً لهذه الأحوال، ننصح بما يأتي:

أولاً : للانقياد لما أوجب تعالى ولمنع الازدواجية وتوحيد جهة التقاضي وإزالة المخالفات الشرعية الناجمة عن ذلك والمبينة فيما سبق ننصح بالتالي:

(١) إلغاء جميع اللجان ذات الاختصاص القضائي في أجهزة الدولة وإحالة صلاحياتها إلى المحاكم الشرعية لبسط هيمنة الشرع على كل الأقضية بالدولة.

(٢) الإنفاذ الفوري لما جاء بالنظام الأساسي بجعل المحاكم الشرعية مختصة بكل أنواع النزاع والجرائم . سواء كانت النزاعات عمالية، أو تجارية أو مصرفية أو غير ذلك. وسواء كانت أنواع الجرائم من الحدود والجنايات أو من الجرائم السياسية أومن جرائم التعزير كالرشوة والتزوير، أو من المخالفات كالمرور أو مخالفات الموظفين.

(٣) قصر اختصاص ديوان المظالم بحسب الفقه الشرعي على القضايا التي ترفع ضد الدولة أو الموظفين فيها الناجمة عن صلاحياتهم وولايتهم بالدولة، وإحالة كافة اختصاصاته الجزائية والتأديبية إلى المحاكم الشرعية، وتعديل نظامه بحيث يوافق ما جاء في النظام الأساسي بألا يكون على قضاته سلطان إلا للشريعة الإسلامية، وتعديل صلاحيات واختصاصات الديوان بما يجعله متفقاً مع قضاء المظالم المعروف في الفقه وإلغاء كل أثر للقوانين من نظامه ودوائره.

ثانياً: لتحقيق وضمان استقلال القضاء وضمان سرعة إنفاذ أحكامه وحماية الحقوق نقدم الاقتراحات التالية:

(١) رفع جميع القيود التي تحول دون تقديم كل أنواع القضايا والدعاوى إلى المحاكم الشرعية مباشرة دون وساطة أو اشتراط إحالة أي جهة كانت، سواء كان المدعي عليه الدولة أو غيرها، وسواء كانت الدعوى خاصة أو دعوى حسبة، وسواء كان موضوع النزاع معروضاً على أجهزة حكومية أو عدم ذلك.

(٢) مراجعة الأنظمة والتعليمات المبلغة للقضاة حالياً من قبل لجنة تشكل من هيئة كبار العلماء أو مجلس القضاء الأعلى بهدف إلغاء جميع التعليمات التي تخالف الشرع، أو تحد من صلاحية القضاء الشرعي في النظر في بعض القضايا.

(٣) مراجعة نظام القضاء، والنظام الإداري للقضاء وإعادة صياغته بما يتفق مع ما جاء في النظام الأساسي من استقلالية القضاة وعدم وجود سلطان عليهم إلا الشريعة، وبما يحقق سرعة إنجاز القضايا ومعاملات الناس.

(٤) حصر إصدار التعليمات الموجهة للقضاة بمجلس القضاء الأعلى فقط وتوجيه أجهزة الدولة من إمارات ووزارات بالتزام ذلك.

(٥) تعزيز صلاحيات مجلس القضاء الأعلى بما يمكن من حفظ استقلال القضاء وحمايته من كل ما يخالف الشرع أو فرض غير سلطة الشريعة الإسلامية عليه، وبما يضمن تنفيذ الأحكام القضائية وسريانها على الكافة، وذلك بما يلي:

أ ـ أن يعرض على مجلس القضاء الأعلى الأنظمة واللوائح التي تتعلق بمرفق القضاء قبل إقرارها وأن يراعى فيها توصية المجلس، أو أن يخول المجلس صلاحية إصدار الأنظمة ذات العلاقة بأعمال القضاء.

ب ـ أن يكون الترشيح لعضوية المجلس من قبل المجلس نفسه أو هيئة كبار العلماء وأن يقتصر ذلك على القضاة الذين حازوا على درجة عالية من الفقه والاجتهاد الشرعي والقوة، وألا يُعفى من جرى تعيينه إلا لسبب شرعي.

ج ـ أن يخول المجلس صلاحية مخاطبة جهات الدولة بشأن إنفاذ الأحكام القضائية القطعية ومساءلة من يتسبب في عدم إنفاذها وإحالته إلى القضاء للنظر في زجره، وإبداء الملاحظات عن التصرفات التي قد تؤدي إلى عرقلة أعمال القضاء أو التعدي على استقلال القضاء والمتابعة في ذلك، والكتابة عن كل تقصير في ذلك، ولتحقيق ما ذكر يمكن تكوين جهاز خاص يرتبط بمجلس القضاء الأعلى يتولى أعمال المتابعة لتنفيذ الأحكام القضائية وقبول التظلمات من عدم إنفاذ الأحكام القضائية القطعية، ويرفع تقاريره وتوصياته دورياً إلى المجلس لكي يقوم المجلس باتخاذ الإجراء المناسب.

د ـ تشكيل مجلس علمي قضائي يرتبط بمجلس القضاء الأعلى يتولى دراسة الأنظمة القضائية ودراسة القضايا والنوازل المعاصرة التي تحتاج إلى نظر واجتهاد وإعداد بحوث شرعية تفصيلية لها يستعين بها القضاة في أحكامهم، ويستفاد في ذلك من بحوث هيئة كبار العلماء واللجنة الدائمة للإفتاء والمجامع الفقهية.

ثالثاً : لضمان قيام القضاة بواجبهم نحو تحقيق العدل والتجرد، ورفع مستوى أداء أعمالهم، ننصح بما يأتي:

(١) تعديل نظام القضاء بأن ينص على عدم عزل إي قاض إلا لسبب شرعي موجب، ويكون قرار العزل من جهة قضائية وإجماع القضاة الذين يناط بهم صلاحية الإعفاء أو العزل. ويكون القرار مسبباً ومبيناً للأدلة الشرعية الموجبة للعزل وذلك أخذا بما رجح في الفقه الإسلامي من عدم

عزل القضاة إلا لعذر شرعي، لأنهم بالولاية يصيرون ناظرين للمسلمين على سبيل المصلحة لا عن الإمام (الأحكام السلطانية لأبي يعلى الفراء الحنبلي).

(٢) إيجاد دورات شرعية للقضاة دورية يقدمها علماء شرعيون ذوو أصالة واجتهاد شرعي وأهل تجربة وأهلية من القضاة. وتتولى وزارة العدل ـ بالتعاون مع الكليات الشرعية ـ الإشراف عليها وتعرض فيها أحكام الفقه ذات العلاقة وآداب القضاء وتبين فيها قواعد الأحكام وأصول تنزيلها وأدلة الأحكام الشرعية لدي المذاهب الفقهية الإسلامية المختلفة ومقارنة أدلتها وذلك بهدف رفع المستوى الفقهي للقضاة.

(٣) لضمان حسن اختيار القاضي بما يناسب القضية. يمكن أن يشكل ضمن المحاكم الشرعية مجالس قضائية تختص بأنواع القضايا: جنائية، أو تجارية، أو إدارية، أو قضايا الحسبة كالمرور ومخالفات الغش التجاري أو غير ذلك. ويكون قضاة هذه المجالس من القضاة الشرعيين بالمحاكم الشرعية الذين تتوافر فيهم القدرات والاطلاع بما يناسب أنواع هذه القضايا.

(٤) لضمان حسن معرفة القضاة بالواقع، يتم تدعيم المحاكم الشرعية بعدد من المستشارين ذوي الاختصاص بالمعارف الفنية والعلمية والهندسية والإدارية لتقديم الخبرة بشأن تحقيق المناط وبيان الواقع، وأن يخصص ضمن ميزانية كل محكمة مبالغ للاستعانة بذوي الخبرة لتقديم الاستشارات العلمية والفنية والإدارية والطبية أو غير ذلك إلى القضاة إذا ما اقتضت الحاجة ذلك.

(٥) عقد اجتماعات دورية للقضاة بكل منطقة تعرض فيها القضايا المشكلة التي واجهتهم ويتم من خلالها تبادل الرأي الشرعي بشأنها لزيادة الاطلاع والإحاطة وتمحيص الاجتهاد.

(٦) جمع الأحكام القضائية الصادرة من محاكم المملكة ومحاكم التمييز في القضايا المختلفة كل عام وطباعتها في كتب ـ بعد استبعاد أسماء الأعيان منها ـ وتكون معروضة للقضاة وطلبة العلم لاطلاعهم واستفادتهم.

(٧) تزويد كل قاض بأمهات الكتب الفقهية الإسلامية وكتب الأحاديث والتفسير عند تعيينه، وتخصيص ميزانية لذلك ضمن ميزانية المحاكم لتوفير ما يستجد من كتب وبحوث في ذلك لتسهيل اطلاع القضاة عند الحاجة إليها، وإنشاء مجلة خاصة بالقضاء في وزارة العدل تقدم ما يحقق تطوير إمكانات القضاة.

(٨) تدعيم المحاكم الشرعية بالعدد الكافي من القضاة والموظفين والحرص على حسن اختيار المسؤولين في الجهات التي ترتبط بها المحاكم ووزارة العدل، وتدعيم المحاكم بما تحتاجه من مبان لائقة وتجهيزات وأجهزة ومستلزمات حديثة تسهل إجراء الأعمال.

رابعاً : لبسط هيمنة الشرع على الكافة وضمان حقوق العباد وفق النظر الشرعي تظهر الحاجة إلى إنفاذ ما يلي:

(١) إنشاء محكمة شرعية عليا يكون قضاتها من علماء الشرع المتميزين بالفقه والقوة والاجتهاد، تكون بمثابة محكمة شرعية نهائية يرجع إليها في القضايا الكلية وكل ما يضمن هيمنة الشرع وسيادته على الأمة والدولة، بحيث يكون من صلاحياتها: النظر في دعاوي المخالفات الشرعية في الأنظمة واللوائح والتعليمات والتجاوزات والتعديات المخالفة للشرع في أعمال أجهزة الدولة، وتفسير وتعديل مواد النظام الأساسي ونصوص الأنظمة، والنظر في أمور الضرائب والرسوم وفق أحكام الشرع ونحو ذلك. ويكون التقدم بالدعوى وحق إقامتها لكل مسلم بالدولة سواء كانت دعوى حسبة أو دعوى خاصة.

(٢) أيضاً لأهمية قضاء الحسبة في منع وإزالة ما يضر بحق الجماعة، يجب أن تخصص مجالس قضائية ضمن المحاكم الشرعية للنظر في قضايا الحسبة كالمرور ومخالفات الغش التجاري، ومخالفات ترك الواجبات الشرعية كالتقصير في أداء الصلاة أو كشف العورات المحرمة أو غير ذلك، ويجعل له عدد كاف من القضاة الشرعيين المتميزين بالفقه الشرعي، وبالمعرفة والإحاطة بالواقع، وأن يرتبط بهم نواب هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الناحية التنفيذية ـ لا الإدارية ـ بحيث ترفع القضايا مباشرة من الهيئة إلى قضاة المحكمة الشرعية المختصين بقضايا الحسبة للحكم فيها، ويتولى هؤلاء القضاة توجيه أعضاء الحسبة بحسب الآداب الشرعية في الاحتساب. كما يجب أن يرتبط بقضاة الحسبة مركز خاص للشرطة لتنفيذ أوامر قاضي الحسبة وأحكامه في المخالفات التي يتم الحكم فيها فورياً في مكان حصول المخالفة.

(٣) لضمان تمكين القضاء الشرعي من حراسة وحفظ حقوق العباد ومنع التجاوزات على حقوق الإنسان الشرعية، يجب أن تبسط هيمنة القضاء الشرعي على رجال الشرطة والأمن وأعضاء الهيئات ومن في حكمهم، وذلك بأن تقصر إصدار أحكام السجن أو التوقيف على ذمة التحقيق أو دخول المنازل أو القيام بعمل يترتب عليه إهدار حق من حقوق الانسان المقررة شرعاً من قبل أجهزة الضبط الجنائي أو رجال الهيئة أو غيرهم من المنفذين ـ يقصر كل هذا على صدور حكم بها من قاض شرعي بذلك، وأن يمنع كل ذلك إلا بحكم القضاء الشرعي. كما يجب لضمان هذه الحقوق أن يخصص قضاة للعمل خارج وقت الدوام وفي الإجازات كي يرجع إليهم لإصدار الأحكام العاجلة عند الاقتضاء.

حقوق العباد:

مقدمة:

لقد أكدت الشريعة الإسلامية على كرامة الإنسان وعلى حفظ حقوقه الشرعية في مبادئها العامة وتوجيهاتها الأخلاقية، كما جاءت كذلك بأرقى النظم والأحكام التفصيلية العملية لضمان هذه الحقوق وإقامتها في المجتمعات الإنسانية ومنع كل تعد عليها. ونعرض فيما يلي أصولاً وقواعد مقررة في الشرع تتعلق بحقوق العباد للاستهداء بها في إصلاح الأحوال وبيان الحق وتطبيق الشرع في ذلك.

الأصل الأول: مصدر حقوق العباد هو الشرع وحده .

لقد كفلت الشريعة الإسلامية حقوق العباد بأن قصرت الحكم بالإباحة والتحريم والتشريع لأفعال البشر على حكم الله تعالى لا غير. ولم تجعل لأحد الحق في أن يحل أو يحرم أو يمنع حقوقاً أو يسلبها إلا بإذن الله تعالى وفي حدود شرعه وبالاجتهاد والاستنباط الصحيح من أدلة شريعته، قال عزوجل ﴿ إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم﴾(سورة يوسف:٤٠)، وقال تعالى ﴿ قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراماً وحلالاً قل آلله أذن لكم أم على الله تفترون﴾(سورة يونس:٥٩)، وقال ﴿ أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله﴾(سورة الشورى:٢١).

وبتقرير أن الشرع وحده مصدر الحقوق، ضمان لحقوق العباد، ومنع من أن يكون منح الحقوق أو سلبها تبعاً للمصالح الآنية ورغبات النفوس وأهوائها، وبجعل الحقوق منوطة بالتحديد الشرعي منع لتسلط فئة على أخرى أو طبقة اجتماعية على غيرها أو الحكام على المحكومين، كما أن ذلك يجعل الاحتكام ـ عند تضارب المصالح والرغبات ـ مقتصراً على هذا المرجع الثابت وهو الشرع الإسلامي الذي لا يتبدل ولا يتغير باختلاف العصور والأحوال، والذي لا يختص بالرجوع إليه أحد من المسلمين دون أحد.

وبتقرير هذا الأصل يتبين كمال دين الإسلام الذي حدد للعباد مصدراً نهائياً لحقوقهم ذا سيادة عليا عليهم جميعاً هو شريعة الله تعالى وأحكامه وجعل استمداد الأحكام الحقوقية مبنياً على ما جاء بالأدلة الشرعية. وهذا بخلاف ما وقع فيه التشريع الوضعي من ربط مصدر الحقوق بجمعية تأسيسية لوضع الدستور أو هيئة تشريعية لوضع القوانين ابتداء، مما يجعل الدستور والقانون من وضع السلطة الحاكمة، وتكون النتيجة الحتمية لذلك هو تقييد الحقوق وفقاً لما تراه السلطة المهيمنة. وهذا الحال يؤدي في كثير من الأحيان إلى انتهاك كرامة الأفراد باسم القانون وسلبهم

حقوقهم بالقواعد الاستثنائية وقواعد الطوارئ والقوانين العرفية ثم فقدان حقوقهم الإنسانية في نهاية المطاف.

ويترتب على هذا الأصل كذلك أمر في غاية الأهمية هو أن الدولة الشرعية التي ترفع لواء العقيدة الإسلامية وتطبق شريعة الإسلام يلزمها الرجوع إلى شرع الله وحده لإقرار حقوق الناس فلا يسعها أن تقرر حقوقاً للمواطنين أو للوافدين بها استمداداً مما يخالف الشرع.

الأصل الثاني: كل ما أمر أو أذن به الشرع يُعد حقاً ثابتاً للمكلف.

إن جعل الشريعة وحدها مصدر حقوق العباد يجعل للمكلف الحق في القيام بكل فعل مباح أو مندوب أو واجب بالشرع، فإذا قرر الشرع مثلاً وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أو إبداء الرأي والنصيحة في حدود الشرع، أو إذا أباح أو ندب الشرع للفرد ممارسة فعل أو قول أو تصرف من بيع أو شراء، فإن هذا الإقرار من الشرع يجعل كل هذه الأفعال مشروعة أبداً، فلا يجوز لأحد كائناً من كان أن يمنع ذلك إلا بمقتضى شرعي. قال عزوجل "تلك حدود الله فلا تقربوها"، وقال "وتلك حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه".. إلى غير ذلك من آيات تلزم بالوقوف عند حدود الله التي شرعها لعباده.

الأصل الثالث: كل انتهاك للحقوق المشروعة محرم شرعاً:

أكدت الشريعة الإسلامية أيضاً علي صيانة حقوق العباد حيث حرم الشرع انتهاك حقوق الإنسان المشروعة وكفل حرمة دمه وماله وعرضه ومنع كل اعتداء على ذلك. كما جاءت كذلك بالتشريعات الأخلاقية الراقية التي تضمن إقامة هذه الحقوق بتحريم الظلم والحسد والغيبة وغمط الناس والحث على المكارم الأخلاق، قال تعالى ﴿والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً﴾(سورة الأحزاب:٥٨) ويقول عليه الصلاة والسلام "كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه"(١) وقال عليه الصلاة والسلام "إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام"(٢).

وحرم الشرع التجسس على المسلمين مطلقاً، قال تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا﴾(سورة الحجرات:١٢). وأكدت السنة المطهرة على منع تجسس الدولة على الرعية، وقال عليه الصلاة والسلام "إن الأمير إذا ابتغى الريبة في الناس

---

(١) صحيح مسلم ٣٢ – (٢٥٦٤) .

(٢) مسند أحمد (١٨٩٦٦) وحكم شعيب الأرنؤوط صحيح لغيره .

أفسدهم"(١)، وقال عليه الصلاة والسلام " من استمع إلى حديث قوم وهم له كارهون صُب في أذنيه الآنك" وقال " من تتبع عورات المسلمين يتبع الله عورته" وفي رواية قال "ومن يتبع الله عورته يفضحه في جوف بيته"(٢).

ولقد أكدت الشريعة على ضمان خصوصيات الفرد بأن جعلت للبيوت حرمة ومنعت الاطلاع عليها أو دخولها بغير إذن أهلها، قال تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون﴾(سورة النور:٢٧). ويقول عليه الصلاة والسلام "لو أن امرأ اطلع عليك بغير إذن فحذفته بحصاة ففقأت عينه لم يكن عليك جناح"(٣). ولهذا لا يختلف الفقهاء على حرمة التجسس وحرمة دخول البيوت بغير إذن أهلها ولم يستثنوا في ذلك إلا حالة واحدة فُصلت في كتب الفقه وآداب الحسبة وهي منع وقوع جرم يؤدي إلى هلاك حرمة يفوت استدراكها واستنقاذها كانتهاك عرض أو قتل نفس أو إتلاف مال، وذلك لتعارض حرمة الفرد والبيت مع حرمة النفس والعرض والمال. أما ما عدا ذلك فالأصل حرمة بيوت المسلمين وخصوصياتهم ووجوب إنفاذ النصوص القطعية التي جاءت بتحريم التجسس على الناس ومنع دخول البيوت إلا بإذن أهلها أو بإذن الشارع في ذلك.

حرمت الشريعة أيضاً التعذيب مطلقاً في غير العقوبات الشرعية، قال عليه الصلاة والسلام "إن الله يعذب الذين يعذبون الناس في الدنيا"(٤)، وحفظ الإسلام كذلك حقوق المسلم بأن أسقط كل ما ينجم عن الإكراه للمسلم صوناً له من ضياع حقه عن طريق الاعتداء والإكراه له، قال عليه الصلاة والسلام "إن الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه"(٥). ومنعت الشريعة كذلك من إنزال العقاب على جرم إلا بعد ثبوته بالبينة الشرعية ووفق الدليل الشرعي. وبينت السنة أن حبس المتهم على سبيل الاحتياط للتحقق في أمره قبل إحالته إلى القضاء لا يكون إلا لمدة يسيرة لما روى الترمذي وحسنه وروى البيهقي عن بهز بن حكيم أن النبي ﷺ "حبس رجلاً ساعة من نهار ثم خلى سبيله"(٦). كما حرصت الشريعة على قاعدة براءة الذمة حتى تثبت إدانة

---

(١) سنن الترمذي (٤٨٨٩) وحكم الألباني صحيح لغيره .

(٢) سنن ابي داود (٤٨٨٠) وحكم الألباني حسن صحيح .

(٣) صحيح البخاري (٦٩٠٢) .

(٤) صحيح مسلم ١١٨ - (٢٦١٣) .

(٥) سنن ابن ماجة (٢٠٤٥) وحكم الألباني صحيح .

(٦) سنن الترمذي (١٤١٧) السنن الكبرى للبيهقي (١١٢٩١) وحكم الألباني حسن .

المرء شرعاً، بأن جعلت الأصل براءة الذمة، وأكدت على درء الحدود بالشبهات وعلى أن خطأ الإمام في العفو خير من خطئه في العقوبة.

فكل هذه الأحكام العملية تصون حقوق العباد وتحرم كل انتهاك وسلب لها من غير وجه شرعي.

الأصل الرابع: الدولة الشرعية مسؤولة في الجملة عن إيصال الحقوق إلى أهلها ورعايتها.

أوجبت الأدلة الشرعية كذلك تأمين حقوق الإنسان بأن جعلت الدولة مسؤولة تجاه رعاية شؤون كافة رعيتها وحمايتهم وإيصال الحقوق إليهم والعدل بينهم وحرمت عليها كل حيف أو جور بين أفراد رعيتها بسبب الطائفة أو الجنس أو اللون أو القبيلة أو غير ذلك. فالإسلام لم ينصب الدولة لحفظ الحريات للأغنياء وذوي الثروات من المرابين والمحتكرين كما في الأنظمة الرأسمالية أو للحكم نيابة عن طبقة أو فئة كالأنظمة الماركسية المستبدة، إنما نصبها لإقامة أحكام الشريعة الإسلامية، ويقتضي ذلك مسؤولية الدولة المباشرة عن رعاية شؤون أفراد الرعية وإيصال حقوقهم إليهم والعدل ومنع التظالم والجور بينهم في ذلك. قال تعالى ﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل﴾(سورة النساء: ٥٨)، ويقول ﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي﴾(سورة النحل:٩٠)، وثبت كل ذلك أيضاً بالسنة العملية والقولية حيث يقول الرسول ﷺ " كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته فالإمام راع وهو مسؤول عن رعيته"(١)، وقال " ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة"(٢). وأكد الشرع على تحريم الجور والحيف بين المسلمين، قال عليه الصلاة والسلام " من ولي من أمر المسلمين شيئاً فولى رجلاً وهو يجد من هو أصلح للمسلمين منه فقد خان الله ورسوله"(٣)، وقال " إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد"(٤). وكل هذه الأحكام الشرعية تدل قطعاً على مسؤولية الدولة تجاه رعيتها وواجبها في إيصال الحقوق لأهلها والعدل بينهم في ذلك.

وبناء على هذا العرض للأصول والقواعد الشرعية المتعلقة بحقوق العباد يظهر جلياً أن الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة تؤكد على كرامة الفرد وتضمن حقوقه بالعيش الكريم وتصون هذه الحقوق على أكمل مثال وأحسن وجه، والمتأمل الناظر في التاريخ يجد أن تسلط أي دولة على

---

(١) صحيح البخاري (٨٩٣)

(٢) صحيح مسلم ٢٢٧ - (١٤٢)

(٣) السنن الكبرى للبيهقي (٢٠٣٦٤)

(٤) صحيح البخلري (٣٤٧٥)

رعاياها بالإيذاء أو التعذيب أو الغش أو التجسس وانتهاك حقوقهم والتقصير في إيصالها إليهم يؤدي إلى تمزيق المجتمع ومنع الاتقياء وأهل الصلاح من العمل على حفظه وصيانته مما قد يؤدي بالنهاية إلى انهيار الدولة أو خضوعها لأعدائها أو زوال آثارها بالكلية. ولهذا يذكر علماء الاجتماع كابن خلدون رحمه الله هذا الأمر العظيم قائلاً " إن الحاكم إذا كان قاهراً باطشاً بالعقوبات منقباً عن عورات الناس وتعديد ذنوبهم شملهم الخوف والذل ولاذوا منه بالكذب والمكر والخديعة فتخلقوا بها وفسدت بصائرهم وأخلاقهم، وربما خذلوه في مواطن الحروب والمدافعات ففسدت الحماية بفساد النيات فتفسد الدولة ويخرب السياج".

الوضع الإداري:

مقدمة:

لقد أوجب الله تعالى على من يتولى أمر المسلمين أن يجعل من أولى مهماته حسن تصريف أحوال الناس وحسن إدارة شؤونهم وإيصال الحقوق إليهم، وحيث أن الدولة في هذا العصر لا يستقيم أمرها ولا يمكن أداء حقوق الأفراد وواجباتهم لبعضهم البعض إلا وفق تنظيم إداري ييسر الأساليب التي يتوصل بها إلى تلك الحقوق والواجبات، فإن العناية بالتنظيم الإداري والأجهزة الإدارية أمر حيوي لتحقيق نهضة المجتمع وتيسير سبل العيش لأفراده، ولذا نعرض فيما يأتي بعض الأصول التي شهدت لها الشريعة المطهرة في ما يتعلق بالتنظيم الإداري كي تكون مرجعاً يستهدى به في الإصلاح بهذا الخصوص:

الأصل الأول: الأمانة والعلم هي معيار أحقية تلك الوظيفة:

دلت آيات القرآن العظيم والأحاديث الشريفة على أن مقياس الجدارة في تولي الوظائف هو القوة والأمانة قال تعالى ﴿إن خير من استأجرت القوي الأمين﴾(سورة القصص:٢٦)، وقال﴿ قال اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم﴾(سورة يوسف:٥٥). وكان عليه الصلاة والسلام يعين لتولي المهام من يعهد فيه القدرة والكفاءة حيث ولّى أسامة بن زيد على جيش الشام مع صغر سنه، وولّى معاذاً على اليمن وجعل له الصلاة والصدقة، وأرسل علياً ﷺ إلى اليمن، وكان يفاضل بين أصحابه ﷺ في القيام بالمهام بحسب قدراتهم فكان يقول فيما رواه الترمذي وغيره "أقضاهم علي، وأفرضهم زيد بن ثابت وأقرؤهم أُبي وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل"(١).

---

(١) سنن ابن ماجة (١٥٤) وحكم الألباني صحيح

ووّلى خالد بن الوليد ﷺ قيادة جيش المسلمين وجعله قائداً على من هو أسبق منه إسلاماً. ولم يعين أبا ذر ﷺ مع سبقه في الإسلام على الإمارة وبيّن له أن السبب هو ضعفه عن ذلك. فهذه الأدلة تبين أن الأمانة والقوة والعلم بمهام العمل هي معيار تولية المنصب. فضلاً عن أن الإسلام حرم تولية المنصب لمن لا يستحقه محاباة له ففي الحديث "من ولي من أمر المسلمين شيئاً فولّى رجلاً وهو يجد من هو أصلح للمسلمين فقد خان الله ورسوله" رواه الحاكم وصححه(١).

الأصل الثاني: سياسة الإدارة تقوم على تسيير الإجراءات وسرعة الإنجاز والإتقان:

إن واقع الإدارة يبين أن هدفها تحقيق مصالح الناس ولذا يجب أن تتميز السياسة الإدارية بما يؤدي إلى تحقيق ذلك بأيسر سبيل وأقصر وقت، وقد أكد عليه الصلاة والسلام على الإحسان في كل شيء فقال "إن الله كتب الإحسان على كل شيء"(٢) ولذا فإن الإحسان في أداء العمل مطلوب شرعاً. وهذا يقتضي تيسير الإجراءات على الناس. وكذلك أمر الرسول عليه الصلاة والسلام بإتقان العمل بقوله "إن الله يحب من أحدكم إذا عمل عملاً أن يتقنه"(٣). ولذا فإن سياسة الإدارة في الدولة الشرعية يجب أن تقوم على تيسير الإجراءات وسرعة الإنجاز وإتقان في العمل.

الأصل الثالث: وجوب محاسبة ومراقبة أداء الموظفين لأعمالهم:

ثبت بالسنة وإجماع الصحابة أهمية قيام من يتولى الأمر بتفقد أحوال عماله وولاته ومن يعينهم للمهام، فقد قام عليه الصلاة والسلام بالإنكار على عامله ابن اللتبية لقبوله الهدية أثناء عمله حيث قال "ما بال العامل نبعثه فيأتي فيقول هذا لكم وهذا أهدي إليّ فهلا جلس في بيت أبيه أوأمه فينظر أيُهدى إليه أم لا. والذي نفسي بيده لا يأتي بشيء إلا جاء به يوم القيامة.."(٤) وكان عمر ﷺ شديد المراقبة للولاة وقد عين مُحَّد بن مسلمة للكشف عن أحوال ولاته، وكان يجمع الولاة في موسم الحج لينظر فيما عملوه ويصغي إلى شكاوي الرعية منهم، وبلغ من شدة مساءلته لهم ﷺ أنه كان يعزل كل من يتذمر منه رعيته حتى لو كان من خيار الصحابة ﷺ ويقول " هان شيء أصلح به قوماً أن أبدلهم رجلاً مكان رجل". ولهذا يجب على ولي الأمر تفقد أحوال ولاته وعملهم ومحاسبتهم على كل تصرف يسخط المسلمين منهم.

---

(١) المستدرك للحاكم (٧٠٢٣) وحكم الألباني ضعيف. أنظر السلسة الضعيفة (٤٥٤٥)

(٢) صحيح مسلم ٥٧ – (١٩٥٥)

(٣) مسند أبي يعلى الموصلي (٤٣٨٤) وحكم الألباني حسن . أنظر السلسة الصحيحة (١١١٣)

(٤) صحيح البخاري (٦٦٣٦)

الواقع الإداري:

عند إمعان النظر في واقع الأوضاع الإدارية في هذه البلاد نلاحظ الأمور التالية:

(١) أن التنظيم الإداري في كثير من جوانبه لم يتطور بما تتطلبه حاجات الناس، فالنظام المالي ونظام الميزانية ونظام التقاعد مثلاً لم تطرأ عليها ـ منذ أن وضعت ـ تعديلات جوهرية تتناسب مع متطلبات التطور والنمو الذي حدث في كثير من المرافق والخدمات. وقد تسبب ذلك في تعطيل كثير من المصالح والحاجات، وهي في أساسها قد اقتبست من بلاد أخرى تختلف ظروفها وإمكاناتها عما تطورت إليه الظروف والأحوال في هذه البلاد.

(٢) أن أكثر النظم الإدارية مركزية وفردية والمرجع في أكثر القرارات يكون لقرار رئيس المؤسسة أو المصلحة الحكومية الفردي، بل وفي كثير من الأمور البسيطة والخاصة بأفراد يتطلب القرار فيها رفعها إلى مقام ولي الأمر (مثل الإذن بالمشاركة في المؤتمرات العلمية الدولية. أو إرسال الدعاة إلى الخارج، أو عقد الندوات واللقاءات العلمية..الخ) ولا يخفى ما في ذلك من شغل لولي الأمر والمسئولين عما هو أهم من مصالح المسلمين.

(٣) لا تطبق معايير لتغيير كبار الموظفين في الدولة حسب القدرة والكفاءة ومراجعة إنجازاتهم وأدائهم واستبدالهم عند الحاجة والضرورة. فمن الملاحظ أن في الدولة وزراء ومسؤولين كباراً يشغلون مناصبهم منذ عشرات السنين، ومنهم من أصابه الكبر والمرض، مع أن في البلاد كثيراً من ذوي الخبرة والكفاءة، ولديهم من العلم والخبرة والتجربة والأهلية ما يمكنهم من القيام بهذه الأعمال على الوجه المطلوب.

(٤) إطلاق ألقاب التفخيم على كبار المسؤولين والموظفين وأصحاب الجاه والتداول الرسمي لها في المعاملات مما لا يوجد له أساس شرعي. بل إن كثيراً من هذه الألقاب يحوي مبالغة قد تؤدي إلى المدح المذموم شرعاً.

(٥) يلاحظ التوجه الإقليمي والفئوي في بعض الجهات والمصالح الحكومية، فعندما يكون رئيس الجهة من منطقة أو مدينة أو إقليم معين، فإنه يحرص على أن يكون معظم مساعديه والموظفين المهمين لديه من المنطقة أو الإقليم أو المدينة أو القرية التي ينتمي إليها. وفي هذا تكريس للإقليمية والعنصرية وإضاعة لمبدأ السواسية بين الناس الذي هو حق من الحقوق الأساسية التي كفلها الإسلام لهم، مع ما في ذلك من مفسدة وخطر على مستقبل الأمة ووحدتها.

(٦) استفاضة الأخبار والمعلومات عن حالات للرشوة والفساد المالي والعمولات بين عدد من كبار المسؤولين لم يتم اتخاذ الإجراءات التي يوجبها الشرع في حق هؤلاء المتهمين. بينما تنشر الصحف

يومياً أسماء وصور الذين يصدر ديوان المظالم أحكاماً بحقهم بسبب ارتكابهم لأعمال الرشوة والتزوير من عامة وضعفاء الناس وخاصة من الوافدين. ورسول الله ﷺ يحذرنا "إنما أهلك من كان قبلكم أنهم إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد"(١). ومن المفارقات أنه في البلاد الكافرة إذا تبين أن أحداً من كبار المسؤولين ارتكب مخالفة ولو بسيطة فإنه يعرض للتساؤلات والمحاكمات والعقاب والإقالة، لأن الأمر في شأنه يعتبر أكبر منه لدى الموظف العادي. بل إن الجهات التي أنشئت بهدف مراقبة ومكافحة هذه الأمور قد تكف يدها عندما يتعلق الأمر بمسؤول كبير، وتُعطي لها الحرية عندما يكون موضع التهمة موظف صغير.

٧) انتشار حالات للمحسوبية والواسطة، فإنه يكاد يكون من المسلَّم به بين أغلب الناس أن تسهيل إنجاز المعاملات وسرعة نيل الحقوق يحتاج واسطة من صديق أو قريب يسهل ذلك، أما من ليس له واسطة فإن مصالحهم قد تتعطل في أحيان كثيرة.

٨) التسيب الإداري بشكل ملحوظ في أداء الأعمال وإنجاز حاجات الناس، ولعل أهم أسباب ذلك غياب النموذج والقدوة في رؤسائهم وفقدان المراقبة والمتابعة لهم فإن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن.

٩) تكدس الموظفين في بعض المناطق وبعض الإدارات ونقص عددهم في أماكن أخرى مع الحاجة الماسة لهم فيها مما يؤثر سلباً على إنجاز معاملات الناس وقضاء حاجاتهم.

سبيل الإصلاح:

إن مثل هذه الظواهر تمثل عوامل وهن وتعطيل لمصالح الناس وإعاقة لنمو البلاد وتقدمها وأمنها، وإن سبل إصلاح مثل هذه الأمور متيسر وممكن بعون الله إذا صدقت النية وصحت العزيمة، ومن أجل ذلك ننصح بما يلي:

١) مراجعة جميع الأنظمة المالية والإدارية الحالية من قبل أشخاص يوثق بعلمهم وإخلاصهم وخبرتهم، وتطويرها بما تتطلبه احتياجات النمو والتطور السريع، وتيسيرها ليكون الهدف الأساسي منها هو تيسير شؤون الناس وضمان حقوقهم وواجباتهم، وأن تبنى هذه الأنظمة على الأساس الشرعي، وأن تهدف السياسة الإدارية إلى تيسير الإجراءات والسرعة في الإنجاز والإتقان في الأداء.

---

(١) صحيح البخاري (٣٤٧٥) .

(٢) أن تكون الإدارة لا مركزية نظاماً، بأن توزع الصلاحيات لكل مسؤول من أصغر موظف إلى الأكبر في تدرج المسؤولية، بحيث يؤدي كل منهم واجبه ويمارس صلاحياته وفق النظام، كما يحرص على اختصار خطوات اتخاذ القرارات وإجراءاتها حسب أهمية القرار وعموميته ومساسه بمصالح الناس.

(٣) اختبار الكفاءات والقادرين من أبناء الأمة، خاصة في المناصب الكبيرة لا سيما أن انتشار التعليم في كافة أنحاء المملكة يسر إمكانية الحصول على المؤهلين منهم فيها، ولتحقيق ذلك يمكن أن يترك الترشيح للمناصب ذات العلاقة المباشرة بجمهور الناس وقضايا المنطقة ومشاكلها لمشورة أهل الحل والعقد بالمنطقة، وذلك نحو مناصب وكلاء الإمارات، ورؤساء البلديات ومديري الجامعات ووكلائهم ونحوهم.

(٤) وضع سياسة رقابية لمصادر الإثراء لكبار الموظفين أثناء فترة عملهم ومعاقبة من يثبت استغلاله لسلطة الوظيفة وحصوله على دخل غير شرعي، سواء بالرشوة أ و استغلال النفوذ أو الاختلاس أو المحاباة والمحسوبية بعد محاكمته محاكمة شرعية، وذلك بصرف النظر عن وظيفته ومكانته ، إذ أن العقاب ينبغي أن يكون أشد كلما كبرت الوظيفة والمسؤولية المترتبة عليها لأن المفسدة في ذلك أعظم.

(٥) وضع لوائح إجرائية لتغيير كبار المسؤولين والموظفين واستبدالهم بغيرهم دورياً، وكذلك استبدالهم إذا ظهرعليهم الوهن وضعف الأداء، وتشجيع التبادل في المناصب والوظائف لتجديد النشاط وتبادل الخبرات وإعطاء الفرصة لظهور كفاءات جديدة من وقت لآخر تسهم في مسيرة النمو والعطاء.

(٦) إزالة المظاهر الجاهلية في التعصب الإقليمي والفئوي في وظائف الدولة إذ أن الوظيفة العامة ليست ملكاً للموظف الكبير يحابي بها أقرباءه وبني قريته ومدينته ومنطقته وإنما هي أمانة في عنقه يعين عليها من تتوافر فيه الكفاءة والأمانة والخبرة، وينبغي لتحقيق ذلك تشكيل هيئة قضائية شرعية مستقلة بديوان المظالم يمكن تقديم دعاوى التظلم إليها مباشرة من كل فرد جرى التمييز ضده أو منع من نيل حقه المشروع بسبب الفئة أو الإقليم أو العصبية.

(٧) حذف ألقاب التفخيم التي ما أنزل الله بها من سلطان وليس لها أساس شرعي والاكتفاء بالمخاطبة بأحب لقب وأحسنه وهو أخوة الإسلام أو المسمّى الوظيفي للفرد.

المرافق الاجتماعية:

مقدمة:

لقد جاء الدين الإسلامي بالرحمة والعدل وقصد إلى تكريم الإنسان، وهدف إلى محاربة الفقر وألا يكون المال دُولة بين الأغنياء، كما هدف إلى تحقيق الحاجات الأساسية للعيش بمستوى لائق لجميع أهل الإسلام، ونبين فيما يأتي قضايا شرعية في هذا الباب:

أولاً: وجوب قيام الدولة الإسلامية والمسلمين فيها بكفاية الحاجات الأساسية للرعية:

لضمان كفاية أفراد الأمة في حاجاتهم الأساسية أمر الدين بالعمل وحض عليه وأعلى مكانته، كما شرع لمن يحتاجون إلى الرعاية من الكبار والصغار والنساء وغيرهم نظاماً متكاملاً للنفقة عليهم من الموسرين من أقاربهم نسباً ومن عصابتهم وأزواجهم، وأوجب على سائر أفراد الأمة الالتفات إلى أهل الحاجات وتفقدهم ورفع حاجاتهم، قال تعالى﴿والذين في أموالهم حق معلوم* للسائل والمحروم ﴾(سورة المعارج:٢٤-٢٥) وقال ﷺ "وأيما أهل عرصة أصبح فيهم امرؤ جائع فقد برئت منهم ذمة الله تعالى" (١) رواه الإمام أحمد في المسند وصححه أحمد شاكر.

بالإضافة إلى ذلك، أوجب الشرع على الدولة المسلمة السعي لتحقيق حاجات الناس الأساسية، فترعى الفقراء والمساكين وأهل الحاجات من موارد بيت المال العامة، ومن مورد خاص لذلك هو الزكاة التي تجمعها من المسلمين قال الله تعالى ﴿ إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم﴾ (سورة التوبة:٦٠)، ولقد شرع الإسلام أن يعطى الفقير والمسكين ما يخرجهما من الحاجة إلى الغنى، قال عمر بن الخطاب ﷺ "إذا أعطيتم فأغنوا"(٢)(الأموال لأبي عبيد). وكان عمر يحلف على أيمان ثلاثة "والله ما أحد أحق بهذا المال من أحد، وما أنا أحق به من أحد، ووالله لئن بقيت لأوتين الراعي بجبل صنعاء حظه من هذا المال وهو يرعى مكانه"(٣) (رواه أحمد في المسند). والحاجات الأساسية هي المأكل واللباس والسكن، قال ﷺ "من توفي من المؤمنين فترك ديناً أوكلاً أو ضياعاً فعليّ وإليّ"(٤) متفق عليه. والكل والضياع: العيال، وقال ابن حجر "من مات ولم يترك شيئاً فإن نفقتهم في بيت مال المسلمين" كما أنه من الحاجات الأساسية الزواج للمحتاجين إليه،

---

(١) مسند أحمد (٤٨٨٠) وحكم أحمد شاكر إسناده صحيح .

(٢) مصنف عبدالرزاق (٧٢٨٦) وحكم الألباني ضعيف. أنظر تخريج مشكلة الفقر (٨٣) .

(٣) مسند أحمد (٢٩٢) وحكم شعيب الأرنؤوط إسناده ضعيف .

(٤) سنن ابن ماجة (٢٤١٦) وحكم الألباني صحيح .

ولذا فقد قال بعض أهل العلم "إن من تمام الكفاية ما يأخذه الفقير ليتزوج إذا لم تكن له زوجة واحتاج للنكاح".

وفي بيان بعض أهل الحاجات قال رسول الله ﷺ "إن المسألة لا تحل إلا لأحد ثلاثة: رجل تحمل حمالة، فحلت له المسألة حتى يصيبها ثم يمسك، ورجل أصابته جائحة اجتاحت ماله فحلت له المسألة حتى يصيب قواماً من عيش . أو قال سداداً من عيش، ورجل أصابته فاقة حتى يقول ثلاثة من ذوي الحجا من قومه لقد أصابت فلاناً فاقة فحلت له المسألة حتى يصيب قواماً من عيش أو سداداً من عيش . فما سواها من المسألة سحت، يأكلها صاحبها سحتاً"(١) (رواه مسلم وأبو داود والنسائي)، وروى أبوعبيد في كتاب الأموال في باب الفرض للذرية من الفئ وإجراء الأرزاق عليهم عن ابن عمر قال كان عمر لا يفرض للمولود حتى يفطم. قال ثم أمر منادياً ينادي "لاتعجلوا أولادكم الفطام، فإنا نفرض لكل مولود في الإسلام .قال: وكتبنا بذلك في الآفاق، بالفرض لكل مولود في الإسلام"(٢)، ولذا يجب على الدولة شرعاً القيام بكفاية أصحاب الحاجات العاجزين عن الكسب والذين ليس لهم من يسد حاجتهم من أهل نفقتهم.

ثانياً: وجوب مراعاة المصالح الشرعية وتحري العدل في توزيع المال العام:

لقد تقدم عند الحديث عن المال والاقتصاد أن المال العام أمانة لايجوز صرفها إلا في الأوجه الشرعية، ومن ذلك أنه يجب العدل بين المسلمين في العطاء من بيت المال وعدم محاباة أحد لجنسه أو قبيلته أو أسرته لأن ذلك من الظلم ومن صرف المال في غير حقه مما يؤدي إلى وجود الضغائن في قلوب المعدمين المحرومين حينما يرون فئة تختص بالعطاء وتثري بلا جهد ولا مشقة، وإن كانت هناك أولوية في العطاء فهي لأصحاب الحاجات قبل غيرهم كما تجلى ذلك من خلال آيات سورة الحشر في قوله تعالى ﴿ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم﴾(سورة الحشر:٧). بل لقد خص تعالى الفقراء والمساكين بحق من خمس الغنائم والفئ كما قال تعالى في سورة الأنفال ﴿واعلموا أنما غنمتم من شئ فأن لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ﴾(سورة الأنفال:٤١).

ثالثاً: وجوب عناية الدولة الإسلامية بالمرافق العامة للمسلمين:

---

(١) صحيح مسلم ١٠٩ – (١٠٤٤) .

(٢) الأموال للقاسم بن سلام (٥٨٣) .

ومن الحاجات الأساسية التي يجب على الدولة الإسلامية رعايتها التعليم الأساسي الذي يخرج الناس من عماية الجهل إلى نور العلم ويعلمهم أساسيات دينهم فلقد تظافرت الأدلة من القرآن والسنة على وجوب طلب العلم واستفاضت الأخبار في السيرة النبوية بإرسال القرّاء والفقهاء لتعليم الناس الدين بل لقد جعل النبي ﷺ تعليم القراءة والكتابة عوضاً عن فداء أسارى بدر.

ومن المرافق التي لابد أن ترعاها الدولة وتأخذ الأولوية في زيادة الإنفاق المرافق الصحية وتوفير الأمن، وذلك لما يحصل من ضرر عظيم على الأمة عند اختلالها، وتسهيل سبل المواصلات وقولة عمر رضي الله عنه "لوعثرت بغلة في سواد العراق لخشيت أن أسأل عنها يوم القيامة" من الشواهد العظيمة على ذلك.

واقع المرافق الاجتماعية:

إن المتأمل لأحوال الناس في مجتمعاتنا يدرك ما يأتي:

(١) عدم الإنفاق على أصناف كثيرة من أهل الحاجة ممن يجب سد حاجتهم من بيت مال المسلمين، ومن أمثلة ذلك:

أ ـ أسر كثيرة في المدن الكبرى والقرى لا تجد ما يسد حاجتها من المطعم والملبس والمسكن حتى بلغت حالتهم حداً قريباً من حال رعايا بلاد العالم الفقيرة، إذ تجمع لهم الملابس من المساجد ومن المحسنين.

ب ـ هناك مناطق في المملكة تعيش دون حد الفقر، فمساكن أهلها ملاجئ من القش والصفيح، ولا تسأل عن معاشهم وتعليمهم وصحتهم.

ج ـ هناك سجناء يمكثون في السجون شهوراً طويلة بسبب ديون لا تزيد في معظم الحالات عن بضعة آلاف من الريالات.. أما حال نسائهم وذراريهم من بعدهم فلا يعلم بها إلا الله.

د ـ وجود أهل عاهات وعاجزون عن العمل ولهم ذرار، ومرتباتهم ـ إن وجدت ـ تعجز عن توفير ضروريات أسرهم. مما أدى إلى انحراف بعض أفراد أسرهم، ولقد أثبتت الدراسات الاجتماعية ذلك حيث أن أكبر أسباب انحراف الأحداث وتعاطي المخدرات هو عجز الأسرة عن الوفاء بحاجات الصغار الضرورية.

هـ ـ هناك شباب يعجزون عن الزواج بسبب قلة ذات اليد، وهذا مما يعرضهم للفتن أو يدفعهم إلى طرق أبواب المحسنين.

و ـ شح ما تقدمه دوائر الضمان الاجتماعي، فلا يكفي ذلك للوفاء بضرورات الحياة، بالإضافة إلى أنه ليس كل مستحق يمكنه الحصول عليه.

(٢) قلة العناية في احتياجات المرافق العامة الحيوية للمجتمع كالتعليم والصحة والطرق والمساجد في البناء والتأثيث والكوادر، فأكثر المساجد ـ مثلاً ـ شيدها الأهالي ويقومون على رعايتها، وتفتقر كثير من القرى والهجر إلى المساجد ذات المستوى المعماري اللائق، فلا دورات مياه فيها ولا مساكن للأئمة والمؤذنين.

(٣) هناك مظاهر تدل على خلل في بناء الحياة الاجتماعية تتمثل فيما يأتي:

أ ـ بناء المباني الضخمة الفارهة من بيت مال المسلمين لخدمة أفراد معدودين.

ب ـ صرف المخصصات المالية لبعض الأسر والعوائل، ودفع نفقاتها وتعويضات استهلاكها للخدمات من بيت المال بلا مسوغ شرعي.

ج ـ إقطاع الأراضي الشاسعة لفئات من أولي الجاه والسلطان للمتاجرة بها وبيعها على المحتاجين بأسعار مرتفعة لإقامة مساكن عليها.

هذا، وإنه لمن المستقر عند كثير من الأمم ـ مسلمهم وكافرهم ـ العناية بالنواحي الاجتماعية وأن ذلك سبب في أمن ورخاء البلاد والعباد، وعلى سبيل المثال هذه بريطانيا تصرف مساعدات لكل الأطفال مهما كانت جنسياتهم أو مستوى دخل أسرهم، كما تقوم أيضاً بكفالة المتعطلين عن العمل وإن كانوا أصحاء حتى يجدوا عملاً. ولذا ينبغي أعطاء هذه الجوانب أهمية بالغة وإصلاح كل خلل فيها.

سبيل الإصلاح:

لعلاج تلك الأوضاع التي أشرنا إلى شئ منها ننصح بما يلي:

(١) تعديل أنظمة الضمان الاجتماعي ووضع قواعد جديدة تكفل قيام الدولة بمسؤوليتها على أكمل وجه تجاه كل فرد من مواطنيها والمقيمين فيها بحيث تضمن قيام أهل النفقة شرعاً بواجبهم، وأن تتكفل بحاجات الأفراد الأساسية من مأكل ومشرب ومطعم ومسكن سواء أكان في المدينة أو القرية أو البادية إذا عجز هو وأهل نفقته عن ذلك.

(٢) إعادة النظر في مخصصات المحتاجين، بحيث تزاد إلى مستوى يخرج بالمحتاج من حد المسكنة.

(٣) تيسير سبل العمل وتوفير وظائف للقادرين على الكسب وتسهيل الحصول على الوظائف للخريجين عن طريق:

أ ـ زيادة الانفاق الحكومي والسعي إلى استقطاب رؤوس الأموال من الخارج في المشاريع الصناعية والزراعية وغيرها التي ينجم عنها توفير وظائف للخريجين في البلاد.

ب ـ السعي في وضع خطط تعليمية جديدة تركز على تكوين خريجين للوظائف الفنية والمهنية والتخصصية التي تحتاجها البلاد وزيادة الإنفاق على هذه القطاعات.

ج ـ إعادة تأهيل الخريجين الذين لا تتوفر لهم وظائف في تخصصاتهم الحالية.

د ـ تشجيع تسهيل إجراءات قيام الشركات المتوسطة والصغيرة الحجم بين أفراد الرعية ومع غيرهم الذين يتوفر لديهم فائض مالي لزيادة النمو الانتاجي وتوفير فرص عمل إضافية في القطاع الخاص.

هـ ـ الاستفادة من القطاعات العسكرية في توفير فرص عمل وتزويد الخريجين بالمهارات والخبرات اللازمة للوظائف التقنية والفنية بما يرفع مستوى تأهيلهم.

و ـ الاستفادة من تجارب الغير في محاربة البطالة وتوفير فرص العمل بما يتفق مع أحكام الشرع.

(٤) وضع إجراءات ميسرة تمكن كل ذي حاجة (كالفقراء والمساكين والمنقطعين وأصحاب الجوائح والحمالات والديات والمعسرين) من إثبات حاجتهم شرعاً ثم الحصول على ما يخصص لهم.

(٥) وضع مخصص مالي شهري أو دوري لكل طفل حتى يبلغ لإعانة أهله على نفقته.

(٦) تيسير السلف والمعونات للراغبين في الزواج من المحتاجين بمبالغ مناسبة.

(٧) زيادة الانفاق على المرافق الأساسية كالتعليم والصحة والطرق والسكن والمساجد كي تساير الزيادة في النمو السكاني والحرص على أن لا تتعرض المخصصات المالية لهذه المرافق للتخفيض بأي حال من الأحوال.

(٨) إيقاف مظاهر الخلل الاجتماعي نحو:

أ ـ تشييد المباني الفارهة من بيت مال المسلمين.

ب ـ المنح والإقطاعات العقارية إلا للمحتاجين من ذوي الدخل المحدود أو من لا يتوفر لهم سكن.

ج ـ المخصصات المالية للأسر الغنية، وصرف المبالغ من بيت مال المسلمين للاستهلاك الشخصي لغير المحتاجين إلى ذلك.

المال والاقتصاد:

مقدمة:

إن المال أمانة بيد الأمة، فأصل ملكه لله تعالى وليس للعباد فيه إلا التصرف على النحو الذي يرضي الله، فقد قال الله تعالى ﴿وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه﴾(سورة الحديد:٧). وتقريراً

لأهمية المال سمّاه الله قياماً وهو ما يقيم الإنسان وذلك في قوله تعالى ﴿ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياماً﴾(سورة النساء:٥)، وذكر بعض أهل العلم أن من السفه الجهل بالأحكام المتعلقة بالمال. والدولة نائب أمين ووكيل عن الأمة في المال العام، وقد قال ﷺ فيما رواه البخاري "إني والله لا أعطي أحداً ولا أمنع أحداً، وإنما أنا قاسم أضع حيث أمرت"(١) وقال رجل لعمر بن الخطاب يا أمير المؤمنين لو وسعت على نفسك في النفقة من مال الله تعالى، قال له عمر " أتدري ما مثلي ومثل هؤلاء؟ كمثل قوم كانوا في سفر فجمعوا منهم مالاً وسلموه إلى واحد ينفقه عليهم، فهل يحل لذلك الرجل أن يستأثر عنهم من أموالهم؟" (السياسة الشرعية).

وصيانة للمال حرم الشارع الإسراف والتبذير، قال تعالى ﴿ ولا تبذر تبذيراً، إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين، وكان الشيطان لربه كفوراً﴾(سورة الإسراء:٢٧)، والتبذير هو الإسراف في الإنفاق في غير حق. كما أن الكتاب والسنة بيّنا الأحكام المتعلقة بالمال العام كيلا يستغل في الوصول إلى الكسب المحرم وظلم الناس، ولئلا يعبث بالمال العام. ومن ذلك تحريم الله الغلول قال تعالى " ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة﴾، وقال الرسول عليه الصلاة والسلام "هدايا العمال غلول"(٢) والعمال هم ولاة الأمور من الحكام والسلاطين والمسؤولين والموظفين. وقال ﷺ " ما بال الرجل نستعمله على العمل مما ولانا الله فيقول هذا لكم وهذا أهدي إلي، فهلا جلس في بيت أبيه أو بيت أمه فينظر أيُهدى إليه أم لا؟ والذي نفسي بيده لا يأخذ منه شيئاً إلا جاء به يوم القيامة يحمله على رقبته.."(٣) رواه البخاري. وقال الرسول عليه الصلاة والسلام محذراً " إن رجالاً يتخوضون في مال الله بغير حق فلهم النار"(٤) رواه البخاري، فقوله "يتخوضون في مال الله" أي يتصرفون فيه بالباطل. وقال عليه الصلاة والسلام " من استعملناه على عمل فرزقناه رزقاً فما أخذ بعد ذلك فهو غلول"(٥)حديث صحيح، وقال "من كان لنا عاملاً فلم يكن له زوجة فليكتسب زوجة، فإن لم يكن له خادم فليكتسب خادماً، فإن لم يكن له مسكن فليكتسب مسكناً، ومن اتخذ غير ذلك فهو غال أو سارق"(٦) حديث صحيح.

---

(١) صحيح البخاري (٣١١٧) .

(٢) مسند أحمد (٢٣٦٠١) وحكم الألباني صحيح. أنظر إرواء الغليل (٢٦٢٢) .

(٣) صحيح البخاري (٦٦٣٦) .

(٤) صحيح البخاري (٣١١٨) .

(٥) سنن أبي داود (٢٩٤٣) وحكم الألباني صحيح .

(٦) سنن أبي داود (٢٩٤٥) وحكم الألباني صحيح .

ومن الواجب على الدولة المسلمة أن تصون مواردها لتنال الأجيال القادمة منها حظها، وهذا عمر ﷺ يقول "لولا آخر الناس ما فتحت قرية إلا قسمتها كما قسم رسول الله ﷺ خيبر"(١) رواه البخاري، وحينما طلب منه أن يقسم سواد العراق أبى وقال " فما لمن جاء بعدكم من المسلمين؟" رواه أبو عبيد في كتاب الأموال(٢).

وحيث أن مقصود الولاية سياسة الدنيا بالدين صار من الواجب الشرعي على من تولى أمور المسلمين تحقيق ما أمر به الله تعالى في كتابه وسنة رسوله من الأحكام، ومن ذلك ما يتعلق بالأموال اكتساباً وصرفاً، ومنع كل ما حرم الله من المعاملات المالية، ومن أعظم ذلك الربا الذي قال الله فيه ﴿يمحق الله الربا ويربي الصدقات، والله لا يحب كل كفار أثيم﴾(سورة البقرة:٢٧٦)، وقال ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين* فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله﴾(سورة البقرة:٢٧٨).

ولا ريب أن الاقتصاد ركيزة أساسية من ركائز التنمية، ودعامة من دعائم المجتمع والدولة، وقد أولى الإسلام هذه الحقيقة أهمية قصوى فحدد نظام بيت المال لضبط أموال الدولة، وحدد الحلال والحرام في المعاملات.

واقع المال والاقتصاد:

إن المتأمل للواقع الاقتصادي والمالي لهذه البلاد يلاحظ ما يأتي:

(١) كثرة وقوع المخالفات الشرعية في موارد بيت المال، ومن أمثلة ذلك ما يأتي:

أ ـ شراء السندات الربويه من البنوك العالمية والخزينة الأمريكية، ويمثل ذلك معظم استثمارات المملكة من الاحتياطي.

ب ـ بيع السندات الربوية على البنوك المحلية وغيرها.

ج ـ الاقتراض بالربا الصريح من البنوك العالمية.

د ـ فرض الرسوم والجمارك، وكثير منها من المكوس المحرمة شرعاً.

هـ ـ إضافة الزكاة إلى دخل الدولة العام، وعدم فصلها من أموال الدولة مما يؤدي إلى عدم صرفها في الأصناف المنصوص عليها شرعاً.

---

(١) صحيح البخاري (٢٣٣٤)

(٢) أخرجه أبو عبيد في «الأموال» (ص ٥٩ رقم ١٤٦)

(٢) المخالفات الشرعية في الصرف من بيت المال، ومن ذلك ما يأتي:

أ ـ صرف الأموال العامة بآلاف الملايين على الدول والأحزاب أو النظم التي تحكم بغير ما أنزل الله على شكل هبات أو قروض لا يصل منها شيء يذكر للمسلمين المستحقين في تلك البلاد، ولا مصلحة ظاهرة في دعمها أصلاً، والشواهد في ذلك عديدة مما تناقلته وسائل الإعلام المحلية والعالمية.

ب ـ الصرف المبالغ فيه على المجالات التي تعد غير ذات أولوية كإنشاء الملاعب الرياضية الفارهة، والمعارض الدولية.

(٣) نقص ميزانية بعض المؤسسات والوزارات عن القدر الكافي لتسديد متطلباتها للصرف على الخدمات الضرورية مثل:

أ ـ التعليم: حيث لا تزال توجد مناطق بلا مدارس، ومدارس بلا مرافق ولا أثاث، ومدارس في مبان مستأجرة غير لائقة، فضلاً عن النقص في الوسائل التعليمية، وقلة الدورات والبرامج التي تعنى بتطوير مهارات المدرسين والمديرين في التعليم العام وترفع كفاءاتهم والنقص في المدارس الخاصة بتحفيظ القرآن الكريم. أما الجامعات فتعاني من تدني المستوى العام وبالأخص دعم البحث العلمي وتوفير المراجع الحديثة.

ب ـ الصحة: حيث تواجه المستشفيات والمراكز الصحية الآن صعوبة في توفير الكوادر الفنية والأجهزة والأدوات، وتعاني بعض المناطق من عدم وجود خدمات صحية كافية.

ج ـ الطرق: حيث لا تزال بعض المناطق النائية تفتقر إلى طرق مناسبة، والطرق بين المدن الكبرى بعضها لا يزال غير مزدوج مما أهلك أنفساً كثيرة، إضافة إلى انعدام الخدمات أو تدني مستواها في كثير من الطرق على الرغم من مسيس الحاجة إلى هذا النوع من المواصلات، ولا يوجد أيضاً اهتمام بخطوط السكة الحديدية، إذ لا يزال الخط القديم بين الرياض والدمام هو الخط الوحيد على الرغم من سعة المملكة وشديد حاجتها إلى ذلك.

د ـ نقص مخصصات الضمان الاجتماعي فما يصرف منه الآن للأسر المحتاجة ضئيل جداً لا يكاد يكفي قوتهم الضروري.

(٤) استنزاف الموارد العامة الحيوية للأجيال كالمياه الجوفية باستخراجها بمعدل خطير ودون تحقيق مصالح راجحة تبرر ذلك. واستنزاف الثروات الاستراتيجية لهذا البلد كالنفط بزيادة ضخه وتصديره مع تدني سعره وتخزينه خارج البلاد.

(٥) غياب الرقابة الشرعية المستقلة على تحصيل أموال الدولة وصرفها.

(٦) ضياع جزء كبير من أموال الدولة بسبب الاختلاسات والعمولات الكبيرة.

(٧) دعم وتشجيع التعامل المالي المحرم بأشكال متعددة منها:

أ . تشجيع إنشاء المؤسسات الربوية المؤذنة بحرب الله ورسوله، والسماح بانتشارها حتى غزت القرى فضلاً عن المدن.

ب . اعتبار البنوك الربوية مؤسسات نظامية، وحمايتها بلوائح وأنظمة.

ج . الاعتراف بالعقود الربوية الباطلة شرعاً، والإلزام بها عن طريق لجان خاصة لها صلاحيات الحكم والقضاء مثل "لجنة فض المنازعات المصرفية" في مؤسسة النقد.

د . ضمان استمرار المؤسسات الربوية عن طريق مؤسسة النقد، ودعم المصارف الربوية التي أوشكت على الإفلاس بتحويل رؤوس أموال ورواتب إليها.

هـ . تشجيع المواطنين على التعامل مع البنوك الربوية عن طريق صرف المرتبات والقروض من خلالها، وإتاحة تداول أسهمها.

و . منع نشر فتاوى العلماء وأقوالهم في حكم البنوك في وسائل الإعلام بينما تتمتع البنوك الربوية بحرية النشر فيها.

ز . منع قيام المصارف الإسلامية التي تقدم بديلاً شرعياً مما أوقع الأمة في الحرج والمشقة.

ح . السماح بقيام شركات على أساس باطل أو تقوم بأعمال تعاقدية محرمة كشركات التأمين وصناديق السندات الربوية.

(٨) احتكار بعض أصحاب النفوذ أنواعاً من التعامل التجاري والمهن والمقاولات، ووضع أنظمة ولوائح وأوامر تعزز ذلك. يضاف إلى ذلك محاباتهم وحرمان التجار الآخرين من المنافسة المتكافئة.

ومن أمثلة ذلك:

أ . حصول البعض على النصيب الأكبر من مناقصات الدولة.

ب . الهيمنة على وكالات الشركات الأجنبية.

ج . الامتيازات التي تعطى لبعض الشركات والمؤسسات.

د . قصر بعض النشاطات التجارية على تراخيص يصعب الحصول عليها لغير أهل النفوذ كاستيراد الماشية وأجهزة الاتصال ومكاتب الخدمات العامة.

سبيل الإصلاح:

إننا ـ قياماً بالواجب الشرعي ـ ننصح بما يأتي:

(١) إيقاف جميع المساعدات والقروض والهبات الخارجية عن الدول والأنظمة والأحزاب الكافرة التي لا تحكم شرع الله وتحارب الدعاة إليه أو تضطهد الأقليات المسلمة بها، وتركيز المساعدات على إغاثة المسلمين وإعانتهم وفق هدف نصرتهم وتقويتهم، ووفقاً لأحقيتهم في المساعدة مما أفاء الله على هذه البلاد من ثروات.

(٢) إيقاف جميع أشكال الصرف علي المجالات التي تعد شكلاً من أشكال الإسرف والتبذير أو لا تعد من ذوات الأولوية كملاعب الرياضة والمعارض الفارهة ونحوها.

(٣) التوقف الفوري عن الاقتراض الربوي لأن في ذلك إثقالاً لكواهل الأجيال القادمة، والتساهل في هذا الباب قد يصيب هذه البلاد بما أصاب بعض البلدان من أزمات اقتصادية طاحنة وانتهاك لسيادتها، وربما لن تكفي موارد الدولة من النفط وغيره لسداد تلك الديون مع فوائدها المركبة.

(٤) إيقاف استثمار الدولة عن طريق الربا واستبداله بالاستثمار عن طريق وسائل الاستثمار المشروعة، خاصة في بلاد المسلمين أو في الداخل.

(٥) المحافظة على الثروة النفطية والمائية وغيرها من الثروات الاستراتيجية وتحديد الانتاج وفق سياسة تحقق مقاصد شرعية للأمة وأجيالها، والسعي إلى رفع سعر النفط بما تسمح به أوضاع السوق العالمية.

(٦) إعطاء الخدمات الضرورية كالصحة والتعليم والضمان الاجتماعي والطرق ما تستحقه من أولوية وزيادة الإنفاق عليها بما يضمن الارتقاء بها.

(٧) إخضاع جميع أوجه التحصيل والصرف للمال العام وغيرها من الثروات للرقابة الدقيقة، ويمكن أن يتأتى ذلك بتوسعة صلاحيات ديوان المراقبة العامة ومنحه استقلالية تشبه استقلالية القضاء، وربطه بمجلس الشورى.

(٨) إيجاد برنامج عملي للقضاء على ظاهرة الربا بالترتيب الآتي:

أ ـ الإذن بإنشاء المصارف الإسلامية وتأمينها ودعمها.

ب ـ تبيين حرمة الربا والتحذير منه، ومنع البنوك الربوية من استعمال وسائل الإعلام لنشر الإعلانات الربوية وإيقاف أي شكل من أشكال الدعم للبنوك الربوية.

ج ـ عدم الترخيص لأي بنك ربوي جديد وتصفية المعاملات الربوية القائمة ووضع موعد نهائي للبنوك لتعديل أوضاعها أو تصفيتها.

(٩) منع جميع أشكال الاحتكار، وإلغاء جميع الامتيازات التي ليس لها وجه شرعي، وضمان التكافؤ في التنافس بين الناس، وقصر تقييد التراخيص في الأحوال الجائزة شرعاً على معايير موضوعية منضبطة يتكافأ أمامها كل الناس، والرقابة على ذلك منعاً لحصول المحاباة.

(١٠) المحافظة على بقاء أموال المسلمين من الرعية والوافدين داخل البلاد، وتسهيل جلبها من الخارج بفتح سبل التعاون والتملك وتشجيع إقامة المشاريع والشركات المختلفة عقارية وصناعية وزراعية وخدمات والمباحة شرعاً بينهم داخل البلاد، وإزالة التمييز بينهم والقيود على ذلك في كافة الأنظمة واللوائح.

(١١) منع إضاعة أموال الأمة وإيجاد الضوابط اللازمة لمنع الاختلاسات والهبات والعمولات، وإحالة المتهمين إلى القضاء الشرعي.

(١٢) وضع سياسة رقابية لمراجعة مصادر الاثراء لمن يتولى الوظائف العليا بالدولة خلال فترة عملهم، والاقتداء بسنة عمر ﷺ في محاسبة الولاة مالياً.

(١٣) فصل أموال الزكاة عن بقية أموال الدولة، وقصر صرفها على مصارفها المحددة شرعاً.

الجيش:

مقدمة:

لا شك أن الإسلام يوجب على الدولة أن تكون قوية مهيبة الجانب عزيزة بعزة الله لها حامية ثغورها وأمنها بنفسها دون الاعتماد على أحد، قال الله تعالى ﴿وأعدوا لهم ماستطعتم من قوة﴾(سورة الأنفال:٦٠) وقال ﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين﴾(سورة المنافقون:٨) فضلاً عن أن الشرع يوجب على الدولة القيام بواجب الجهاد وجعله ذروة سنام الإسلام. وهذا يتطلب أن يكون الجيش قادراً على تحقيق ذلك.

واقع الجيش:

لقد جاءت أزمة الخليج لتكشف أن هناك عدداً من الملاحظات تتعلق بواقع الجيش والقوات المسلحة نبين أهمها فيما يلي:

أولاً: عدم تناسب ضخامة ميزانية القطاعات العسكرية مع عدد أفراد القوات المسلحة وإمكاناتها فميزانية القطاعات العسكرية لا تكاد تضاهيها ميزانية عسكرية أخرى في المنطقة بل ربما فاقت

ميزانية عدد من الدول المتقدمة في العالم في الوقت الذي لا تتوافر أعداد الأفراد أو التجهيزات التي تتوافر لتلك الدول من الناحية الكمية.

ثانياً: إن عدد أفراد القوات المسلحة قليل جداً إذا ما قورن بسعة المملكة العربية السعودية وطول امتداد حدودها، الأمر الذي لا يمكّن جيشنا بعدده القليل من القيام بحماية الحدود الطويلة والدفاع عن المرافق الحيوية المستهدفة فضلاً عن القيام بواجب الجهاد الشرعي.

ثالثاً: جرى بعد أزمة الخليج توقيع معاهدات أمن وحماية مع دول لا يوثق بها، كما قامت الحاجة إلى إبقاء كثير من عتاد دول أجنبية وقواتها في أرض المملكة مما قد يؤثر على سيادتها.

رابعاً: ظهر جلياً للطامعين والحاقدين الذين يعملون الآن على تقوية جيوشهم وتكثير عددها بكل ما يستطيعون ضعف قدرات المملكة العسكرية وعدم قدرتها على حماية أمنها بنفسها مما يغري الأعداء والطامعين بالعدوان متى أتيحت لهم الفرصة لذلك.

خامساً: عدم وجود تغيير ملموس في واقع التسليح والتجنيد على الرغم من الأحداث العظيمة التي عصفت بالبلاد والأمة مع زيادة الإنفاق على أمور ليست بذات أولوية ملحة أو ليست بخطورة إعداد جيش ذي قوة وشوكة يضمن حماية أمن الأمة ومرافقها.

سادساً: منذ الانتهاء من توحيد البلاد وتوطيد أمنها الداخلي لم يظهر للجيش أي دور جهادي لنشر دعوة التوحيد ونصرة المظلومين من المسلمين عدا فترة قصيرة رابطت فيها قواتنا في الأردن أمام العدو اليهودي، مع أن القيام بهذا من أعظم الواجبات التي تناط بالجيش الإسلامي.

سابعاً: غياب التربية الجهادية في الأمة بحيث تكون الأمة بأجمعها جيشاً جهادياً وقت الحاجة.

ثامناً: جرى التركيز في تطوير القوات المسلحة على استيراد التقنية المتقدمة والاهتمام بالنوعية دون التوسع في تطوير القوات المسلحة من حيث الكمية وإيجاد صناعة عسكرية متقدمة محلياً في كافة احتياجات القوات المسلحة من طائرات مقاتلة وصواريخ ودبابات ومنوعات وما تحتاجه هذه التجهيزات من قطع للغيار أو بدائل.

تاسعاً: عدم تخصيص موارد كافية من ميزانية القطاعات العسكرية لإجراء البحوث العلمية والتطبيقية اللازمة لاستيعاب التقنية العسكرية الحديثة أو تطويرها بما يلائم احتياجات البلاد وعدم الاستفادة الكافية من خبرات العلماء والمختصين في تحقيق ذلك.

عاشراً: ضعف استيعاب الكليات العسكرية للأعداد المتقدمة للالتحاق بها.

حادي عشر: إحالة عدد من منسوبي القوات المسلحة إلى التقاعد في سن مبكرة أو في مرحلة بلوغ الأشدّ في التجربة والخبرة رغم الحاجة الشديدة إلى خبرتهم العسكرية وإنفاق الدولة الكثير على تدريبهم وإعدادهم وصعوبة توفير البديل عنهم.

سبيل الإصلاح:

وبعد أن سقنا هذه الملاحظات لزاماً علينا أن ننصح بما يأتي:

أولاً: امتثالاً لقول الله تعالى "وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة"، الذي هو عام في كل ما يتقوى به على حرب العدو مما هو آلة للغزو والجهاد، وأداء للمسؤولية التي ناطها الله تعالى بالراعي تجاه الرعية من حفظ الأمن وسد الثغور والسهر على مصالحها وحفظ أموالها وأعراضها، فإنه يجب أن ينشأ جيش قوي يليق بهذه البلاد المقدسة من حيث عدده وعدته حتى يتناسب مع سعة هذه المملكة وطول حدودها وعدد سكانها، ومع الواجبات الشرعية المنوطة بالقوات المسلحة لهذه البلاد بحيث لا يقل عدده عن نصف مليون جندي على أقل تقدير.

ثانياً: أن نفرض التدريب العسكري فرضاً على كل قادر على حمل السلاح، كما هو الشأن في دول كثيرة كإسرائيل العدو الأصلي المجاور أزالها الله من بلاد الإسلام، وأن يسارع في وضع خطط وتفاصيل الإعداد لذلك أهل الخبرة والمشورة والاختصاص.

ثالثاً: أن يُعتنى بالجيش الاحتياطي المكون من كل قادر على حمل السلاح ، شأننا في ذلك شأن دول كثيرة، وذلك بأن يطلب من جميع أفراده حضور دورات عسكرية سنوية لزيادة تأهيلهم عسكرياً والتدريب على ما يستحدث من أسلحة وخطط.

رابعاً: تنويع مصادر السلاح وعدم الاعتماد على دولة معينة في شراء الأسلحة منها.. تعطينا متى تشاء وتمنعنا متى تشاء وتستغلنا وقت المحن وتساومنا عند الشدائد، وتجارب غيرنا معروفة في ذلك.

خامساً: بناء صناعة عسكرية متقدمة لتدعيم الجيش بأحدث الأسلحة وأكثرها تطوراً وتقنية وأن يحرص على تطبيق المواصفات العالية المطلوبة في هذ ا التصنيع.

سادساً: الاستفادة من خبرة علماء هذه البلاد واستقطاب الكفاءات والعلماء من سائر البلاد الإسلامية الأخرى في بناء الصناعات العسكرية المتقدمة ونقل التقنية الحديثة وتوظيفها في بناء القوات المسلحة.

سابعاً: أن تعهد إلى أهل الكفاءة والأمانة والشجاعة إدارة هذا المرفق الحيوي الهام والتخطيط له، فحماية الثغور وتحقيق أمن البلاد والعباد يجب ألا يجامل فيه.

ثامناً: إذكاء روح الجهاد والإيثار وحب التضحية في أبناء هذه الأمة وذلك عن طريق مناهجها التعليمية والإعلامية ومن خلال دورات تُعد لهذه التربية بين الحين والآخر.

تاسعاً: المحاسبة الدقيقة وفق ضوابط الشرع عن كل تقصير في هذا المرفق الحيوي الهام ووضع تنظيم يضمن مراقبة الصرف وحسن الإنفاق على قطاعاته المختلفة.

عاشراً: إلغاء كافة الارتباطات والمعاهدات العسكرية التي تتعارض مع عقيدة الولاء والبراء، والأحكام الشرعية والتي تُخِلُّ بسيادة الدولة واستقلالها في إدارة شئون القوات المسلحة وتسليحها.

حادي عشر: عدم الاعتماد على أية قوة عسكرية خارجية مهما كانت في الدفاع عن البلاد وحماية أمنها، أن تقتصر الاستعانة عند الحاجة لذلك على قوات وجيوش إسلامية.

الإعلام:

مقدمة:

لما كان إبلاغ رسالة الإسلام إلى الناس كافة ودعوتهم إليه من أعظم الواجبات في الدولة الإسلامية التي تقوم على أساس عقيدة الإسلام فإنه من الضروري أن يكون للإعلام دور حيوي في المجتمع الإسلامي، وأن يُعتنى به العناية البالغة لتحقيق أهداف رسالة الإسلام من تعبيد الناس لربهم واتباعهم للدين الذي ارتضاه عز وجل لهم. ولهذا دلّت آيات الكتاب والسنة على أحكام شرعية عديدة تبين مقاصد الإعلام المشروعة وتحدد الوسائل العلمية لتحقيق تلك المقاصد كما بينت ما يحرم من مقاصد إعلامية ووسائل. ونعرض ذلك فيما يأتي كي نستهدي به عند تقويم واقع الإعلام في هذه البلاد وما يتوخى من إصلاح وتطوير له على هدي الشرع الحنيف.

مقاصد الإعلام الإسلامي:

إن المطلع على الأدلة الشرعية من الكتاب وسنة النبي ﷺ يجد جلياً أن من أعظم مقاصد الإعلام في الشرع:

أ) إبلاغ دين الإسلام إبلاغاً مبيناً تقوم به الحجة ويرتفع به ظلمة الجهل كما قال تعالى ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته﴾(سورة المائدة:٦٧)، وقال تعالى ﴿وما على الرسول إلا البلاغ المبين﴾(سورة النور:٥٤)، وقال عز وجل ﴿الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه﴾(سورة الأحزاب:٣٩) إلى غير ذلك من الآيات. وأخرج الإمام أحمد عن ابن عباس قال "لما أنزل الله "وأنذر عشيرتك الأقربين" أتى النبي ﷺ الصفا فصعد ثم نادى فاجتمع إليه

الناس، من رجل يجئ إليه ومن رجل يبعث رسوله فقال رسول الله ﷺ "إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد"(١)، وكان رسول الله ﷺ يوافي الموسم يتبع الحجاج في منازلهم بعكاظ ومجنة وذي مجاز يدعوهم". وأخرج ابن اسحاق أن رسول الله ﷺ كان يقف على منازل القبائل من العرب فيقول "يا بني فلان إني رسول الله إليكم آمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً"(٢). كما ثبت عنه ﷺ إرساله الرسل للملوك والوفود من القراء خارج المدينة فهذه الأدلة تبين أن من أعظم مقاصد الإعلام الشرعية إبلا غ الرسالة ودعوة الناس إلى دين الحق وتعليمهم أمور دينهم.

ب) بناء الشخصية الإسلامية وتزكيتها حيث تجلى ذلك في خطبه ﷺ في الأعياد والجمع والحج التي اشتملت على الحث على القيام بالواجبات الشرعية والتذكير بها والبشارة للمطيع والإنذار للمخالف للشرع، ومن أعظم ما نقل في ذلك خطبته ﷺ في حجة الوداع وما اشتملت عليه من التعاليم الشاملة والعظيمة.

ج) إصلاح الرأي العام وتوجيهه كما ثبت في قصة كسوف الشمس، روى النسائي قال "كسفت الشمس على عهد رسول الله ﷺ فخرج يجري حتى أتى المسجد فلم يزل يصلي حتى انجلت، قال إن الناس يزعمون أن الشمس والقمر لا ينكسفان إلا لموت عظيم من العظماء وليس كذلك، إن الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد أو حياته ولكنهما آيتان من آيات الله عز وجل"(٣) وفي رواية أن الشمس خسفت على عهد رسول الله عليه الصلاة والسلام فبعث منادياً "الصلاة جامعة " فاجتمعوا...الحديث"(٤) ، وقد كان هذا ديدنه ﷺ أن يجمع الناس ويخطب فيهم مبيناً وموجهاً لهم كلما دهمهم خطب أو عرضت لهم معضلة والدليل ما ثبت عنه في غزوة بدر وأحد والخندق وبعد غزوة حنين.

د) كشف الحقائق وفضح دعاوى أعداء الإسلام وبيان سبيل المجرمين لتحذير الناس من سلوك طريقهم أو اتباعهم نحو الآيات الكثيرة التي نزلت في شأن أبي لهب والوليد بن المغيرة وغيرهما من أعداء الدعوة وفي الرد على شبهات المنافقين واليهود، ونحو أمر الرسول عليه الصلاة والسلام لحسان بن ثابت ﵁ بهجو كفار قريش لمحاربتهم الدعوة، والذود عن الإسلام.

---

(١) مسند أحمد (٢٥٤٤) وحكم شعيب الأرنؤوط إسناده صحيح

(٢) مسند أحمد (١٦٠٢٥) وحكم شعيب الأرنؤوط إسناده ضعيف ، وحكم علوي السقاف حسن . أنظر تخريج أحاديث وآثار كتاب في ظلال القرآن (١٠١٠) .

(٣) سنن النسائي (١٤٨٥) وحكم الألباني ضعيف

(٤) سنن النسائي (١٤٩٧) وحكم الألباني صحيح

هـ) نصرة قضايا المسلمين والتعريف بها والحث على التكاتف والتناصر بين المسلمين، فقد روى مسلم عن جرير بن عبد الله قال "كنا في صدر النهار عند رسول الله ﷺ فجاءه قوم عراة مجتابي النمار أو العباء متقلدي السيوف عامتهم من مضر بل كلهم من مضر فتمعّر رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رأى ما بهم من الفاقة فدخل ثم خرج فأمر فأذن وأقام فصلى ثم خطب فقال" يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة...إلى آخر الآية إن الله كان عليكم رقيباً" والآية الأخرى التي في آخر الحشر "يا أيها الذي آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد"، تصدق رجل من ديناره، من درهمه، من ثوبه، من صاع بره، من صاع تمره، حتى قال ولو بشق تمرة"(١). فهذا الحديث يبين إعلام النبي ﷺ أصحابه بالخير الذي يحث على التعاون وسد خلة الفقر فيهم والتكاتف والتناصر على البر والتقوى.

وأخيراً لا ينافي مقاصد الإعلام الشرعية الترويح المباح بما يتفق مع القيم الإسلامية والأحكام الشرعية حيث كان عليه الصلاة والسلام يقر اجتماع الصحابة وتناشدهم الشعر في الأماكن العامة، وأذن لعائشة بالاطلاع على الحبشة عند إنشادهم ولعبهم، قالت عائشة رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يسترني وأنا أنظر إلى الحبشة وهم يلعبون في المسجد"(٢). وكذلك ما جاء في الأحاديث الشريفة من قصص وأخبار تدل على إباحة الترويح المباح كمقصد إعلامي.

المقاصد الممنوعة شرعاً :

لا يستريب أحد من المسلمين أن كل ما يخالف الشرع لا يجوز اعتباره أو عمله فضلاً عن أن يكون مقصوداً لذاته ولذا بينت الشريعة الإسلامية الكاملة ما لا يجوز أن يقصد من مقاصد إعلامية فمن ذلك:

أ) كل دعوة إلى المحرم أو الرذيلة أو الإفساد في الأرض أو المعاصي أو الطعن في دين الإسلام وأهله، قال تعالى﴿إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم﴾(سورة النور: ١٩)، وقال ﴿وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً ولو شاء ربك مافعلوه فذرهم وما يفترون﴾(سورة الأنعام:١١٢). وكذلك ما ثبت من الوعيد الشديد في حق الدعاة للفتن الذين يقودون الناس إلى جهنم.

---

(١) صحيح مسلم ٦٩ - (١٠١٧)

(٢) صحيح البخاري (٥٢٣٦)

ب) كل ما ينجم عنه الفرقة وإضعاف وحدة الصف والإرجاف قال تعالى ﴿وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم﴾(سورةالنساء:٨٣).

ج) نقل الخبر الذي يضر بالمسلمين إلى أعداء المسلمين كما جاء في سبب نزول آيات سورة الممتحنة.

د) كل ما يؤدي إلى الإساءة إلى المسلم في عرضه بغير حق نحو ما نزل من آيات بالوعيد الشديد لمن افترى حديث الإفك قال تعالى ﴿إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم لكل أمرئ منهم ما اكتسب من الإثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم﴾(سورة النور:١١).

هـ)الدعوة إلى العصبية أو الجاهلية أو الدعوات الباطلة قال عليه الصلاة والسلام "ليس منا من دعا بدعاء الجاهلية"(١).

و) المدح المذموم وهو ما يدعو إلى فتنة الممدوح وما يكون مشتملاً على ما لا يتصف به الممدوح وما ليس من كسبه حيث جاء في الحديث "إذا رأيتم المداحين فاحثوا في وجوههم التراب"(٢) لعظيم الفتنة بأقوالهم.

الوسائل العلمية للإعلام الإسلامي:

إن الشريعة مثلما بينت المقاصد المشروعة والممنوعة فلقد بينت كذلك أحكاماً تتعلق بالعديد من الوسائل التي تتحقق من خلالها المقاصد الشرعية والوسائل التي تمنع ظهور المقاصد المخالفة للشرع. فمن الوسائل التي شرعها الإسلام لتحقيق مقاصده المطلوبة مشروعية الخطبة في صلاة الجمعة وفي العيدين ويوم عرفة وغيرها من مناسبات الاجتماع المشروعة مثل صلاة الاستسقاء والكسوف، فما من فرصة لاجتماع الناس إلا ويشرع فيها التذكير والتوجيه. ومن الوسائل المشروعة الأذان الذي هو بمثابة إعلام بدخول وقت الصلاة وإعلام بالدعوة إليها. فضلاً عن العديد من الوسائل الإعلامية التي أباحها الشرع نحو الشعر والخطابة وكتابة الرسائل وبعث المنادين الذين يتلون على الملأ الأحكام والقضايا العامة. ومن البديهي أن الوسائل الإعلامية المباحة لا تقتصر على ما ذكر من وسائل بل إن من مقتضيات الرسالة أن يستخدم المسلمون أحدث وأرقى وأجود ما توصلت إليه

(١) صحيح البخاري (١٢٩٤)

(٢) ٦٩ - (٣٠٠٢)

التقنية الحديثة في ذلك من وسائل الاتصال المقروءة والمسموعة والمرئية الواسعة الانتشار وفقاً للقاعدة الشرعية "ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب" وقاعدة "للوسائل حكم المقاصد".

أما من حيث الوسائل التي تمنع بها المقاصد الإعلامية المخالفة للشرع فعديدة جداً منها ما ثبت من وجوب قيام الإنسان بالرقابة الذاتية على ما يتلفظه ويعلنه، قال تعالى ﴿ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد﴾(سورة ق:١٨)، وفي الحديث المتفق عليه "إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزل بها إلى النار أبعد مما بين المشرق والمغرب"(١). ومن الوسائل وجوب التثبت في خبر الفاسق قال تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا﴾(سورة الحجرات:٦)، ومنها وجوب الرد إلى الله والرسول وأولي العلم والاختصاص قال تعالى ﴿وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به، ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم﴾(سورة النساء :٨٣).

كما أن الشريعة عنيت بزجر كل من يقوم بالإعلام المخالف لمقاصد الشرع زجراً بالغاً حيث شرعت حداً للقذف في العرض، وأهدر الرسول عليه الصلاة والسلام دم من كان من المشركين ينشد في هجوه محارباً لدعوته، كما عاقب عمر ﷺ الحطيئة عند هجائه للزبرقان.

ومما سبق من تأصيل شرعي يظهر جلياً أنه يجب على المجتمع الإسلامي أن تكون كل صور الخطاب الإعلامي من حديث أو خبر أو قصة أو أقصوصة أو برنامج إعلامي مستمدة من الإسلام تصوراتها وقيمها ومثلها وموازينها، أو أن تسعى لتحقيق مقاصد الإعلام الشرعية بأن تعمل على دعوة الناس إلى دين ربهم وإبلاغه إليهم وتكوين الشخصية الإسلامية في أفرادهم وإصلاح الرأي العام في مجتمعهم وكشف الحقائق وفضح سبيل المجرمين وتوجهاتهم وبيان تهافت سياساتهم وأقوالهم، بالإضافة إلى تحقيق المقصد المباح من ترويح أو تسلية للنفوس. كما يجب أن تكون كل تلك الصور الإعلامية مجانبة كل مقصد محرم للإعلام من نشر الرذيلة والفحش أو إيذاء المؤمنين أو بث الفرقة وتمزيق الوحدة، وأن يسعى في الإعلام المطلوب لدولة الإسلام من الاستفادة من الوسائل التي شرعها الإسلام لإعلام الناس من خطب ولقاءات في العبادات والمساجد والحج، وأن يستفاد بأقصى ما يمكن مما يستجد من وسائل وأساليب مادية حديثة لتحقيق المقاصد الشرعية للإعلام.

---

(١) صحيح مسلم ٥٠ - (٢٩٨٨) .

الواقع الإعلامي:

بعد هذا التأصيل الشرعي نستعرض فيما يأتي واقع الحال لإعلامنا:

(١) المبالغة في المدح المذموم شرعاً مما يرسخ النفاق والكذب في المجتمع، وتقديس الأشخاص والذوات، مخالفاً بذلك ما ثبت شرعاً من قصر التقديس والتعظيم على الله تعالى وحده.

(٢) إعطاء تصور زائف وغير صحيح في فهم حقيقة الدين وأحكامه الشاملة، بحصر الخطاب الإعلامي ـ فيما يتعلق بالدين ـ في جوانب العبادات والسلوكيات الفردية دون الأحكام التي تعالج قضايا الأمة والمجتمع، ودون ربط كل أعمال الحياة بالتصور الإسلامي والعقيدة الإسلامية وكليات الدين.

(٣) تحجيم وظيفة المنابر الشرعية كخطب الجمع والأعياد، ووسائل الإعلام والمحاضرات والندوات العامة، وذلك بالسعي لمنع الخطباء ذوي الوعي الشرعي والعلم بالواقع، وأصحاب النصيحة والرأي الشجاع من تسنم هذه المنابر، ومحاولة حصر هذه المنابر على من لا يحسن القيام بحق الكلمة وواجب البلاغ المبين.

(٤) يظهر للمتابع لوسائل الإعلام أن المحور الذي تدور عليه البرامج الإعلامية المقدمة هو تغطية زمن البث بالحشو ببرامج تغيب فيها الأهداف الصحيحة، وتعجز عن تحقيق المقاصد الإعلامية الشرعية، كإصلاح الرأي العام أو بناء الشخصية الإسلامية في الناس، أو كشف الحقائق للأمة وتوعيتها.

(٥) تعطيل القدرات الإبداعية بسلسلة من القيود والتعليمات الثقيلة على الوسائل الإعلامية التي تحجر على إبداء الرأي المشروع، أو الصدع بكلمة الحق وتبليغ رسالة الإسلام في القضايا الكبرى للأمة إذا خالفت توجهات أصحاب القرار في هذه المؤسسات.

(٦) الإقلال من البرامج الدينية في وسائل الإعلام، حيث لا تعطى هذه البرامج إلا نسبة قليلة من زمن البث.

(٧) احتكار كافة وسائل البث الإعلامي من صحافة وإذاعة وتلفزة لأجهزة ومؤسسات عامة أو شبه عامة، ومنع أفراد المجتمع من حقهم الشرعي في إصدار وامتلاك وسائل البث الإعلامي المختلفة لنشر العلم الشرعي والنافع والدعوة والإبلاغ.

(٨) حجب الخبر الصادق في وسائل الإعلام الرسمية، وتبديل الحقائق أو عرضها بطريقة منتقاة مبتورة مما أفقد الثقة بكل الوسائل الإعلامية، حتى شاع بين الناس أنه لتكذيب خبر ما يكفي

وصفه بأنه "رسمي". كما أدى إلى اتجاه الناس لوسائل الإعلام المعادية في الدول الكافرة للحصول على الأخبار والحقائق التي يرغبون في معرفتها والاطلاع عليها ومنحها ثقتهم.

(٩) التركيز المستمر في البرامج الإعلامية، على استمراء القيم والأخلاقيات والعادات الغربية الباطلة المخالفة للشرع، وتقديمها باعتبارها نموذجاً يحتذى والإشادة برموز وقيادات ونجوم هذه المجتمعات، واعتبارهم قدوات ومثلاً عليا، مما يؤدي ـ عياذاً بالله ـ إلى كسر الحاجز الاعتقادي والسلوكي بين هذه الأمة وبين الكفر والنفاق والشرك وأهله.

(١٠) إبراز الشرائح الاجتماعية ذات الدور الهامشي في الحياة، حيث يحتل الرياضيون والفنانون، والمغنون وأشباههم الذين جعلوا اللهو همّاً مركزياً لهم.. مساحات واسعة في وسائل الإعلام المحلي، ويتناول الحديث عنهم كافة أعمالهم ونشاطاتهم بما في ذلك أدق التفاصيل عن حياتهم اليومية، ونشاطاتهم الاجتماعية، حتى تمكن هؤلاء من أذهان الشباب، وصار حلم الشاب في المستقبل أن يكون رياضياً أو فناناً، بينما تغيب عن هذه الوسائل شرائح أكثر أهمية وأعظم دوراً كالعلماء والمفكرين والدعاة والمصلحين وذوي الكفاءات والانجازات.

(١١) إعطاء البرامج الترفيهية، وموضوعات اللهو والعبث الغالبية من أوقات البث، مع كثرة البرامج التي تفسد السلوك والعقائد والأخلاقيات، أو تعد في أحسن الأحوال تافهة مضيعة للوقت والمال والجهد وتصنع الاهتمامات الهامشية والزائفة وتصد عن معالي الأمور.

(١٢) التضييق الشديد على المؤسسات الإعلامية والتسجيلات الإسلامية بمنع إصدار التصاريح أو تحويلها، والرقابة المشددة عليها.. في الوقت الذي يسمح فيه لكثير من مجلات التبرج والسفور بدخول البلاد ويسهل فتح وانتشار محلات التسجيل والفيديو الهابطة والمنافية للقيم الإسلامية والتي تحبذ الفحش والرذيلة وتدعو إلى نزع الحياء عن المرأة والأسرة المسلمة.

(١٣) الإكثار من برامج الأطفال التي تعتمد على التصديق بالمستحيل والسحر والأساطير والتمرد، الأمر الذي من شأنه أن يزرع قيماً خطيرة في نفوس الأطفال في سن مبكرة مما يكون له أكبر الأثر في تنشئتهم.

(١٤) قلة البرامج الهادفة للأسرة والمرأة المسلمة.

(١٥) تركيز وسائل الإعلام والصحافة على مجاراة وسائل الإعلام الغربية في الطعن والقدح في الدعاة المسلمين والحركات والمؤسسات الإسلامية والتشكيك فيها ورميها بالأصولية والتطرف للتنفير منها والإساءة إليها حتى وصل الحال بهذه الأجهزة ـ والعياذ بالله ـ إلى الفرح بانتصار العلمانيين على هذه الحركات والشماتة بالمصائب والمآسي التي تصيب المسلمين.

(١٦) قصور وسائل الإعلام المحلية عن مخاطبة المسلمين في العالم وإيصال الصوت الإسلامي لكل مكان وخصوصاً المناطق الشديدة الاحتياج كالأقليات الإسلامية والجمهوريات الإسلامية حديثة الاستقلال.

(١٧) الاعتماد الكلي في المادة الإعلامية المقدمة على إصدارات أعداء الأمة ووكالات أنبائهم وتحليلاتهم وغياب الرقابة والمراجعة والتدقيق لهذه البرامج وعدم بذل الجهد لإيجاد البديل.

(١٨) انتشار أجهزة البث المباشر التي تعرّض قيم هذه البلاد وأهلها للمسخ والانحراف الفكري والاجتماعي، وغياب المراقبة الجادة الرسمية لها.

العلاقات الخارجية:

مقدمة:

منذ أن أقام النبي ﷺ الدولة الإسلامية الأولى تبينت القواعد الراسخة التي تسير عليها الدولة الشرعية في علاقاتها الخارجية، وقد سار على نهج هذه القواعد والأسس خلفاؤه الراشدون من بعده ﵃. ولهذا فإن الدولة التي تقوم على عقيدة الإسلام ملزمة ـ بحكم مسؤوليتها عن إقامة شرع الله ـ بالسير على هذه القواعد والالتزام بها في كل علاقاتها. ونبين فيما يأتي هذه الأسس والقواعد الكبرى التي شرعها الإسلام لتنظيم علاقات الدولة المسلمة بغيرها لكي تكون بياناً يرجع إليه في معالجة وإصلاح واقع الحال.

الأساس الأول: نشر دعوة الإسلام في العالم:

جاءت الأدلة الشرعية من كتاب وسنة تبين أن الواجب على الدولة الشرعية أن تكون علاقاتها هادفة ابتداءً إلى نشر دين الإسلام ودعوة الأمم والناس إليه قال تعالى ﴿ادع إلي سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة﴾(سورة النحل:١٢٥)وقال ﴿ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله﴾(سورة فصلت:٣٣) ، وقال﴿وما على الرسول إلا البلاغ المبين﴾(سورة النور:٥٤). وقد قام رسول الله ﷺ بذلك خير قيام حيث دعا قومه قريشاً ثم سائر العرب ودعا ملوك العرب والعجم والروم إلى هذا الدين حتى دخل الناس في دين الله أفواجاً وسار صحابته ﵃ على ذلك بعده والتابعون بإحسان. ولذا فإن الأساس الأول لعلاقات الدولة الإسلامية بغيرها هو السعي لنشر الدعوة الإسلامية وهداية الناس إلى دين الله، وهذا في الحقيقة هو العمل الأساسي للدولة الشرعية.

الأساس الثاني: توحيد المسلمين وجمع كلمتهم:

لقد بينت الآيات العديدة من كتاب الله تعالى وأحاديث رسوله ﷺ وحدة الأمة وأن المسلمين أمة من دون الناس قال تعالى ﴿وأن هذه أمتكم أمة واحدة﴾(سورة المؤمنون:٥٢) وقال تعالى ﴿والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم﴾(سورة الأنفال:٧٥) وقال عليه الصلاة والسلام "مثل المسلمين في توادّهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد.. الحديث"(١)، وعن سليمان بن بريدة عن أبيه قال "كان رسول الله ﷺ يقول لأمرائه "وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال أو خلال فأيتهن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، ادعهم إلى الإسلام فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين"(٢)...فهذه الآيات والأحاديث تدل على وجوب وحدة المسلمين والسعي إلى جمع كلمتهم، وأن ذلك من أسس تنظيم علاقات الدولة الشرعية بغيرها.

الأساس الثالث: نصرة قضايا المسلمين:

جاءت الآيات والأحاديث تبين أن الدولة الشرعية مسؤولة عن نصرة المسلمين المظلومين والذود عنهم والدفاع عن حقوقهم قال الله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ ﴾(سورة الأنفال الآية:٧٢)" وقال ﷺ "انصر أخاك ظالماً أومظوماً"(٣) وقال " المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يسلمه"(٤). فهذه الأدلة تبين وجوب نصرة المسلمين بعضهم بعضاً. ولهذا فإنه من المتعين على الدولة الشرعية أن تكون قائمة بهذا الواجب العظيم ومسؤولة أمام الأمة عن إقامته وتحقيقه.

وبناء على هذا التأصيل فإن تنظيم علاقات المسلمين في دولتهم مع غيرهم من الدول والشعوب يجب أن يُبنى على هذه القواعد وأن يُستهدى بها في رسم كافة العلاقات.

---

(١) مسند أحمد (١٨٤٤٨) وحكم شعيب الأرنؤوط صحيح .

(٢) صحيح مسلم ٣ – (١٧٣١) .

(٣) صحيح البخاري (٢٤٤٣) .

(٤) صحيح البخاري (٢٤٤٢) .

واقع العلاقات الخارجية:

إن المتأمل في علاقاتنا الخارجية يلاحظ ما يأتي:

(١) تتسم علاقات المملكة مع بعض التوجهات الإسلامية ـ دولاً وحركات وأفراداً ـ أحياناً بالفتور والتجاهل والخذلان والتشويه الإعلامي أحياناً. كما كان الموقف من الجبهة الإسلامية للإنقاذ في الجزائر. كما يلاحظ أن هناك تقصيراً في دعم حركات الدعوة الملتزمة بمنهج أهل السنة، وخاصة في بلاد أفريقيا وآسيا التي تتعرض لنشاط مكثف من الحركات البدعية المدعومة والنشاط التنصيري العالمي.

(٢) تقديم الدعم المادي والمعنوي للدول التي تحارب الدعاة وتمنع نشر الدعوة إلى الله على بصيرة مثل سوريا والسلطة الجديدة في الجزائر، أو لجهات أخرى لا تربطها مصالح ظاهرة بالمملكة.

(٣) الحرص على ألا تتعارض سياسة المملكة مع مصالح الأنظمة الغربية التي تقود العداء للإسلام، ويتضح ذلك في مجاراة الولايات المتحدة الأمريكية في غالب المواقف والعلاقات والقرارات مثل الاندفاع نحو عملية السلام مع اليهود.

(٤) عدم ثبات سياسة المملكة تجاه بعض الدول الإسلامية وغيرها حتى إنها لتظهر كأنها رد فعل مباشر وآني للحوادث المباشرة والآنية، دون الالتزام بالثوابت أو بعد النظر، مثل العلاقات مع إيران والسودان مما ينم عن عدم بناء العلاقات على الثوابت الشرعية والتخطيط الاستراتيجي.

(٥) سفاراتنا في الخارج يكاد ينعدم نشاطها الإسلامي، كما أن بعضها تقوم بممارسات تنبئ عن أن المسؤولين فيها لا يمثلون المملكة وتوجهاتها الإسلامية، بل ربما أعطت صورة غير حقيقية عن بلد الحرمين وتصوراً مشوهاً عن مجتمعنا المتمسك بتعاليم الإسلام السمحة.

(٦) انتشار ظاهرة توظيف النساء السافرات وغير المسلمات في سفاراتنا مما يزري بواقع سفاراتنا التي تمثل بلاد الحرمين الشريفين وقبلة الإسلام وقد يؤدي إلى تسرب أسرارها.

(٧) عدم قيام هذه السفارات بما يفترض عليها من واجب الدعوة وإبلاغ رسالة الله إلى المجتمعات التي يعيشون بين ظهرانيهم خصوصاً وأن أغلبها في بلاد كافرة.

٨) صرف الأموال الطائلة على شراء ذمم أشخاص، أو إسكات بعض رجال الصحافة والإعلام والسياسيين والأحزاب مما أطمعهم فينا ابتزازاً ومساومة.

سبيل الإصلاح:

وبعد أن عرضنا واقع الحال لعلاقاتنا الخارجية فإننا ننصح بما يأتي:

(١) تبني سياسة الوحدة الإسلامية ودعم قضايا المسلمين في جميع المحافل الدولية في أنحاء العالم، ونقل صورة صحيحة ودقيقة عنها للأمة، ومن ثم مناصرتهم والدفاع عنهم ومواصلة الجهد لحل مشكلاتهم.

(٢) توثيق العلاقات مع التوجهات الإسلامية من دول وحركات وأفراد، والعمل بجد لما يؤدي لتحقيق الوحدة بين المسلمين على الكتاب والسنة ونصرة الإسلام والمسلمين.

(٣) قطع العلاقات الدبلوماسية والاقتصادية مع كل دولة تحارب الدعاة إلى الله فيها أو تضطهد الأقليات الإسلامية بها وأن تكون العلاقات مبنية على حسن تعامل تلك الدول مع الدعاة والأقليات الإسلامية.

(٤) التعامل بحكمة مع الدول والتكتلات والتوجهات المعادية للإسلام وعلى رأسها الأنظمة الغربية، وتجنب أي نوع من الأحلاف أو أشكال التعاون التي تخدم الأهداف الاستعمارية وتؤثر على القرار السياسي لهذا البلد.

(٥) إعادة النظر في وزارة الخارجية وأوضاع السفارات والسلك الدبلوماسي بحيث لا يعين إلا المؤتمنون في هذا المنصب الخطير لكي تؤدي السفارات رسالتها الإسلامية المنوطة بها.

(٦) العمل على إزالة جميع المظاهر التي تخالف تعاليم الإسلام وقيمه الصحيحة من سفاراتنا.

(٧) استقطاب الطاقات الإسلامية من جميع أنحاء العالم وتوظيفها في خدمة الإسلام وتوفير العيش الكريم لهم. وكذلك إيواء المضطهدين من الدعاة والمصلحين وتوفير الحماية لهم.

(٨) زيادة المنح للدراسة في جامعات المملكة ومعاهد اللغة العربية للطلاب المسلمين من كافة الجنسيات والأقطار وإعدادهم للقيام بواجب الدعوة.

(٩) عرض الإسلام في المحافل الدولية والدعوة إليه على أنه دين شامل يحمل الحلول الناجعة لأزمات البشرية ويقودها إلى ما فيه سعادتها في دنياها وآخرتها.

وختاماً(١)

نسأل الله أن يبرم لهذه الأمة أمر رشد يعز فيه أهل طاعته ويذل فيه أهل معصيته.. ويؤمر فيه بالمعروف وينهى فيه عن المنكر وتقال فيه كلمة الحق لا يخشى قائلها في الله لومة لائم.. ونسأله أن يوفق ولاة الأمر للعمل بكتابه واتباع شرعه، كما نسأله أن يقر أعيننا بنصرة الإسلام وصلاح أحوال المسلمين في كل مكان وأن يعيد لهذه الأمة العظيمة سابق عزها ومجدها.. إنه ولي ذلك والقادر عليه وصلى الله على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلم.

---

(١) قدمت مذكرة النصيحة للملك فهد في يونيو/حزيران ١٩٩٢،بعد فترة قصيرة من صدور الأنظمة الثلاثة (النظام الأساسي، نظامي مجلس الشورى ومجلس المناطق) التي أعلن عنها الملك فهد في آذار (مارس) ١٩٩٢م

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مذكرة النصيحة

أسماء الموقعين(١):

من كبار المشايخ ومشاهير الدعاة:

١- فضيلة الشيخ حمود بن عبد الله العقلاء / علامة مدينة بريدة وأستاذ لثلاثة من أعضاء هيئة كبار العلماء

٢- فضيلة الشيخ عبدالله بن سليمان المسعري / رئيس ديوان المظالم سابقا وقرين الشيخ ابن باز والشيخ ابن حميد

٣- فضيلة الشيخ الدكتور عبدالله الجبرين / عضو إفتاء في الرئاسة العامة للإفتاء والدعوة والإرشاد وقد زكى المذكرة .

٤- أ. د عبدالله الزايد / رئيس الجامعة الاسلامية بالمدينة سابقا

٥- فضيلة الشيخ سلمان بن فهد العودة / غني عن التعريف وقد زكى المذكرة

٦- فضيلة الشيخ سفر بن عبد الرحمن الحوالي / غني عن التعريف وقد زكى المذكرة

٧- فضيلة الشيخ عبدالله بن حمد الجلالي / غني عن التعريف وقد زكى المذكرة

٨- فضيلة الشيخ عبدالله بن حمود التويجري / رئيس قسم السنة في جامعة الامام (الرياض)

٩- فضيلة الدكتور سعيد آل زعير / أستاذ الإعلام جامعة الامام (الرياض)

١٠- فضيلة الشيخ عبد الوهاب بن ناصر الطريري / محاضر بقسم السنة وخطيب جامع الملك عبدالعزيز بالرياض

١١- فضيلة الشيخ عائض بن عبدالله القرني / غني عن التعريف

١٢- فضيلة الشيخ عوض بن مُحَمَّد القرني / محاضر بفرع جامعة الامام بأبها وداعيه معروف

١٣- فضيلة الشيخ سعيد بن ناصر الغامدي / محاضر بفرع جامعة الامام بأبها وداعيه معروف

١٤- فضيلة الدكتور حمد بن إبراهيم الصليفيح / غني عن العريف

من مشاهير الخطباء والدعاة:

١٥- الشيخ عادل بن سالم الكلباني / إمام وخطيب(سابق) وداعية معروف

١٦- الشيخ مُحَمَّد بن سليمان المحيسني / إمام وخطيب وداعية معروف (القصيم)

١٧- الشيخ عبدالله بن إبراهيم الريس / إمام وخطيب (الرياض)

١٨- الشيخ سعد بن عبدالله السعدان / إمام وخطيب (الرياض)

١٩- الشيخ مازن بن عبدالكريم الفريح / إمام وخطيب (الرياض)

٢٠- الشيخ صالح بن سليمان الهبدان / إمام وخطيب (الرياض)

---

(١) بعض أسماء الموقعين غير متأكد منها وبعضها يحتمل انني أخطأت في كتابتها لأن صورة الأسماء غير واضحه .

٢١- الشيخ صالح بن سليمان السديري / إمام وخطيب (القصيم)

٢٢ - الشيخ سعد بن ناصر الغنام / إمام وخطيب (الرياض)

٢٣- الشيخ عبد الواحد بن عبدالله المهيدب / داعية معروف (الرياض)

٢٤- الشيخ مُحَمَّد بن علي السعوي / إمام وخطيب الجامع الكبير (بريدة)

٢٥- الشيخ عبدالعزيز بن مُحَمَّد الوهيبي / إمام وخطيب (الرياض)

٢٦- الشيخ حمود بن غزاي الحربي / مدير عام الهيئات (الرس)

٢٧- الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله الجهني / داعية معروف (الخرج)

٢٨- الشيخ صالح الفهد الرشودي / عضو الهيئه وداعية معروف (الرياض والقصيم)

٢٩- الشيخ مُحَمَّد بن عبدالعزيز الماجد / إمام وخطيب (سابق) وعضو الهيئات (الرياض)

من الأعيان ورجال الأعمال ومدراء المدارس:

٣٠- المحامي سليمان بن إبراهيم الرشودي

٣١- المحامي عبدالعزيز القاسم

٣٢- الأستاذ عبدالله بن سليمان الخربوش

٣٣- الأستاذ عبدالرحمن بن ناصر العضيب

٣٤- الأستاذ مُحَمَّد بن عبدالله الفالح

٣٥- الأستاذ ناصر بن جارالله الجميل

٣٦- الأستاذ عبدالعزيز بن مُحَمَّد المبرز

٣٧- الأستاذ عبدالله بن مُحَمَّد المبرز

٣٨- الأستاذ عبدالرحمن بن مُحَمَّد المبرز

٣٩- الأستاذ أحمد بن صالح الصمعاني

٤٠- الأستاذ عبدالرحمن بن علي العبدالله

٤١- الأستاذ صعب بن حميد الجلعود

٤٢- الأستاذ فهد بن سليمان بن مُحَمَّد القاضي

٤٣- الأستاذ حمد بن صالح الجاسر

٤٤- الأستاذ إبراهيم بن مُحَمَّد السبرقي

٤٥- الأستاذ مُحَمَّد بن زامل اللعبون

٤٦- الأستاذ عصام بن عبدالله السناني

٤٧- الأستاذ علي بن خضير الخضير

٤٨- الأستاذ عبدالله بن مُحَمَّد السويلمي

٤٩- الأستاذ مُحَمَّد بن عبدالرحمن الدبيخي

٥٠- الأستاذ عبدالرحمن بن صالح الغفيلي

٥١- الأستاذ أحمد بن عبدالله البراهيم

٥٢- الأستاذ علي بن مُحَمَّد العبود

٥٣- الأستاذ مُحَمَّد بن ناصر الحنيحن

٥٤- الأستاذ عبدالعزيز بن سعد الزير

٥٥- الأستاذ عبدالله بن سليمان العميريني

٥٦- الأستاذ مُحَمَّد بن إبراهيم السدحان

من أساتذة الجامعات:

٥٧- د . صالح بن مُحَمَّد الونيان (جامعة الإمام)(القصيم)

٥٨- د . يحيى بن عبدالعزيز اليحيى (جامعة الإمام) (القصيم)

٥٩- د . صالح بن مُحَمَّد بن سليمان السلطان (جامعة الإمام)(القصيم)

٦٠- د . مُحَمَّد بن صالح المديفر (جامعة الإمام)(القصيم)

٦١- د . عبدالله بن سليمان الجاسر (جامعة الإمام)(القصيم)

٦٢- د . محماس بن عبدالله بن مُحَمَّد الجلعود (جامعة الأمام)(الرياض)

٦٣- د . خالد بن عبدالرحمن العجمي (جامعة الأمام)(الرياض)

٦٤- د . عبدالرحمن بن صالح العشماوي (جامعة الأمام)(الرياض)

٦٥- د . عبدالله بن وكيل الشيخ (جامعة الأمام)(الرياض)

٦٦- د . إبراهيم الهويمل (جامعة الأمام)(الرياض)

٦٧- د . إبراهيم بن عبدالعزيز الغصن (جامعة الأمام)(الرياض)

٦٨- د . بشر بن فهد البشر (جامعة الأمام)(الرياض)

٦٩- أ . حسن بن صالح الحميد (جامعة الأمام)(الرياض)

٧٠- د . عبدالرحمن بن علي السحيباني (جامعة الأمام)(الرياض)

٧١- أ . مُحَمَّد بن عبدالله المقدي (جامعة الأمام)(الرياض)

٧٢- أ . سعد بن صالح الطويل (جامعة الأمام)(الرياض)

٧٣- أ . د ناصر بن سعد الرشيد (جامعة الملك سعود)(لغة عربية)

٧٤- أ . د عبدالله النافع آل شارع (جامعة الملك سعود)(علم النفس)

٧٥- أ . د سعد بن مُحَمَّد بن حذيفة الغامدي (جامعة الملك سعود)(التاريخ)

٧٦- أ . د مُحَمَّد بن عبدالله بن سليمان المسعري (جامعة الملك سعود)(علم الفيزياء النظرية)

٧٧- أ . د عبدالعزيز السليمان (جامعة الملك سعود)(هندسة كهربائية)

٧٨- د . عبدالرحمن بن سليمان الطريري (جامعة الملك سعود)(عام النفس)

٧٩- د . دخيل بن عبدالله بن صالح آل الدخيل الله (جامعة الملك سعود)(علم النفس)

٨٠- د . صالح بن مبارك بن مُحَمَّد الدباسي (جامعة الملك سعود)(وسائل وتكنولوجيا التعليم)

٨١- د . حمدان بن مُحَمَّد الحمدان (جامعة الملك سعود)(دراسات إسلامية)

٨٢- د . مُحَمَّد بن عبدالله الشمراني (جامعة الملك سعود)(دراسات إسلامية)

٨٣- د . إبراهيم بن مُحَمَّد بن إبراهيم العبود (جامعة الملك سعود)(دراسات إسلامية)

٨٤- د . صالح بن سليمان بن عبدالرحمن الوهيبي (جامعة الملك سعود)(اللغة العربية)

٨٥- د . صالح بن سليمان العمير (جامعة الملك سعود)(اللغة العربية)

٨٦- د . حسين مشهور الحازمي (جامعة الملك سعود)(الفيزياء التجريبة)

٨٧- د . فهد بن عبدالله السدحان (جامعة الملك سعود)(الفيزياء النظرية)

٨٨- د . حامد بن عبد الرزاق السويدان (جامعة الملك سعود)(الفيزياء الطبية)

٨٩- د . خالد بن عبدالعزيز الحميضي (جامعة الملك سعود)(الكيمياء الفيزياء)

٩٠- د . عبدالله بن مُحَمَّد بن عبدالله المعيوف (جامعة الملك سعود)(علم الكيمياء)

٩١- د . عبدالوهاب رجب هاشم بن صادق (جامعة الملك سعود)(علم الأحياء الدقيقة)

٩٢- د . سعد بن راشد بن مُحَمَّد الفقيه (جامعة الملك سعود)(علم الجراحه)

٩٣- د . صالح بن عبدالعزيز بن راشد العمرو (جامعة الملك سعود)(طب العيون)

٩٤- د . إبراهيم بن مُحَمَّد بن عبدالله الشهوان (جامعة الملك سعود)(علم النبات)

٩٥- د . محسن بن حسين بن عبدالله العواجي (جامعة الملك سعود)(علم التربة)

٩٦- د . يوسف بن ناصر الدريهم (جامعة الملك سعود)(علم الحشرات)

٩٧- د . مُحَمَّد بن جابر اليماني (جامعة الملك سعود)(علم الصيدله)

٩٨- د . عبدالله بن مُحَمَّد الرحيلي (جامعة الملك سعود)(الهندسة المدنية)

٩٩- د . صالح بن عبدالله الحسون (جامعة الملك سعود)(الهندسة المدنية)

١٠٠- د . عبدالرحمن بن إبرهيم العولة (جامعة الملك سعود)(الهندسة الكهربائية)

١٠١- د . عبدالحميد بن يوسف المزروع (جامعة الملك سعود)(الهندسة الكهربائية)

١٠٢- د . سعد بن عبد الرحمن القاضي (جامعة الملك سعود)(الهندسة المدنية)

١٠٣- د . سامي بن صالح الوكيل (جامعة الملك سعود)(حاسب الألي)

١٠٤- د . سعد عطية الغامدي (جامعة الملك سعود)(علم الأدارة)

١٠٥- د . مُحَمَّد بن أحمد بن علي مفتي (جامعة الملك سعود)(العلوم السياسية)

١٠٦- د . سليمان بن صالح الرشودي (مدينة الملك عبدالعزيز)(الطاقة النووية)

١٠٧- د . عبدالله العريني (مدينة الملك عبدالعزيز)(المعهد الإلكترونيات)

١٠٨- أ . سعود خلف الديحان (مدينة الملك عبدالعزيز)(الطاقة النووية)

١٠٩- أ. د عبدالعزيز بن مُحَمَّد الوهيبي (جامعة الملك سعود)(علم الفيزياء)

١١٠- أ . نايف بن مُحَمَّد أبا الخيل (جامعة الملك سعود)(دراسات إسلامية)

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

البيان الثلاثي في الرد على الهيئة وبيانها بشأن مذكرة النصيحة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أصحاب السماحة والفضيلة أعضاء هيئة كبار العلماء، وفقهم الله، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد:

لقد اطلعنا مع شديد الأسف على البيان الذي أصدرته هيئة كبار العلماء بتاريخ ١٩/ ٣/ ١٤١٣هـ، حول (مذكرة النصيحة) ، ولقد رزئنا بصيغة هذا البيان، الذي صدر باسم أكبر هيئة علمية شرعية في هذه البلاد، التي تضم عددًا من الفقهاء وحملة العلم الشرعي، حيث ظهرت صياغة هذا البيان بصورة تشبه البيانات الإعلامية والأمنية، التي تفتقد النظرة الشرعية السديدة، وتتحرى الحق والبعد عن الظلم والتشهير واتهام النوايا، وتدقق في اختيار الألفاظ والمصطلحات الشرعية المنضبطة. ولنا على هذا البيان ملاحظات:

أولاً:

لقد صدر البيان في وقت تعاني منه أمة الإسلام أشد المعاناة من تسلط الأعداء في البوسنة والهرسك والصومال وكشمير والجزائر ومصر وتونس وغيره، دون أن يصدر عن الهيئة أي موقف معلن، يناصر قضاياهم، ويدافع عن حقوقهم. كما أن المنطقة تعاني من تسلط الكفار والنصارى عليها، وعبثهم بمقدساتها، وقيامهم بحياكة المؤامرات ضدها، حتى لو كره الحاكمون في المنطقة هذا الوجود، أو تجاوز صلاحياتهم، وتعدى على سيادتهم، ومع ذلك لم يصدر عن الهيئة أي موقف معلن في هذا، كما أن من المعلوم لدى الجميع أن العلمانيين والطائفيين والمبتدعة وأصناف المنحرفين، تتوالى خطاباتهم ومطالباتهم لأولي الأمر، وقد نشر بعضها في الخارج، ومع ذلك لم نسمع أنها أحيلت إليكم، ولا أنكم أصدرتم حولها أي بيان. فما هو سبب التغاضي عن أمثال هذه الكتابات؟ ولماذا التركيز على خطابات النصيحة، التي يكتبها العلماء والدعاة الغيورون على وحدة الأمة، والاعتصام بحبل الله المتين؟

ثانيًا:

اشتمل البيان على عدد من الاتهامات التي لم تبن على أساس صحيح، حيث نصَّ على: (وقد عمل معدوا هذه المذكرة بهذه الطريقة على ترويج أسباب الفرقة وزرع الضغائن واختلاق المقالب أو تجسيمها .. مما جعلها من أجل مكاسب الأعداء الحاقدين ..)، وهذه تهمة خطيرة تقدح في

الفاعل، وتسيء إلى سمعته بين الناس، ونحن لا نملك إلا أن نبدي عجبنا: كيف تصبح نصيحة الولاة، التي هي الدين، كما قال ﷺ في الحديث المشهور: «الدين النصيحة»(١)، سببًا للفرقة وزرع الضغائن، حتى تكون من أجل مكاسب الأعداء؟ .. والواقع أن الفرقة والضغائن لا تكون إلا بغياب النصيحة، أو الوقوف في وجهها، والتشكيك في النصيحة وفي نوايا مسدديها، وترك المنكرات تشيع وتنتشر.

وهذا ما يؤيده حديث رسول الله ﷺ: «... إن الله رضي لكم ثلاثًا: أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا،وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم»(٢)، حيث قرن بين النصيحة والوحدة وعدم الفرقة، وجعل النصيحة لازمة من لوازم عدم الفرقة والاعتصام بحبل الله، وذلك من أجل مكاسب الأمة ووحدتها.

ثالثًا:

حذر البيان من الجور والبغي و غمط الحق، ونحسب أن البيان قد وقع فيما حذر منه، حيث غمط حق الموقعين، ،أثار كثيرًا من اللبس حولهم، حتى إن بعض الفضلاء قد تورط في النيل من أعراض الموقعين، وأخرجهم من الإسلام، جهلاً بأشخاص الموقعين، واعتمادًا على بيان الهيئة، الذي وصف الموقعين بأنهم (عدد من المدرسين والمنتسبين للعلم)، رغم أن فيهم علماء أجلاء، تصدر الأمة عن فتواهم في الحلال والحرام، وتجمع على جلالتهم وفضلهم، وتثق بعلمهم ودينهم، وبعض أقران لكبار العلماء، والبعض الآخر مشائخ وأساتذة لعدد من أعضاء الهيئة، كما أن عددًا كبيرًا من الموقعين من أساتذة الجامعات والمفكرين والدعاة وذووي الرأي في الأمة.

رابعًا:

نص البيان على أن النصيحة: (.. تشتمل على عشرة بنود، وقد ادعى معدو المذكرة أن واقع البلاد على ما وصفوه في مذكرتهم، واقترحوا ما سموه سبيل الإصلاح لها ..)، ولم يذكر البيان اشتمالها على تأصيل شرعي من نصوص الكتاب والسنة، يبني منهاج الإسلام، ونحن نتساءل: لمَ أغفل البيان هذا الجانب الذي يُعتبر أهم جوانب المذكرة؟ الأمر الذي أدى ببعض الناس إلى الشك في كونها منشورًا يقف خلفه بعض الجهات المنحرفة والمشبوهة، ويشكك في دينهم وعقيدتهم.

خامسًا:

اتهم البيان نوايا ومقاصد الناصحين، وجعلهم بين رجلين: إما سيئ القصد أو جاهل مغرر به، ولم

---

(١) صحيح مسلم ٩٥ – (٥٥) .

(٢) مسند أحمد (٨٧٩٩) وحكم شعيب الأرنؤوط إسناده صحيح .

يترك احتمالاً ثالثًا لناصح مخلص غيور بصير بالحال .. وإن من أبسط مبادئ القضاء، أن لا يحكم على السرائر ونوايا القلوب، التي لا يطلع عليها إلا الله وحده عز وجل. أما دعوى الجهل بالواقع، فنحن نتساءل هنا عن واقع الجيش –الذي هو من أهم بنود المذكرة– حيث وصفته المذكرة بضعف الإمكانات وقلة العدد، الذي تبني في أزمة الخليج، فهل يرى العلماء خلاف ذلك؟ وهم الذين أفتوا بجواز الاستعانة بالقوات الكافرة، التي بلغ عدد الأمريكان وحدهم ٥٤٠ ألف جندي، فإن كان واقع الجيش كما ذكرته المذكرة، فكيف يتهم الموقعون بالجهل بالواقع والتغرير بهم؟ وإن كان غير ذلك، فكيف تصدر عنكم الفتوى بجواز الاستعانة بهذه القوى؟

سادسًا:

أدان البيان نشرة المذكرة، بصيغة تشعر بأن الموقعين هم الذين يقفون وراء النشر، وهم مسئولون عنه، والواقع أن الموقعين ليسوا مسئولين عن هذا النشر، وأن أبسط مبادئ القضاء والتحقق من الفاعل الحقيقي، وإصدار الأحكام بناء على وقائع صحيحة، وبيانات مقبولة، ونحن نعتقد أن خلف هذا النشر جهات مشبوهة، لا تريد الخير لهذا البلد، ويسوؤها التمكين لهذا الدين ودعاته وأحكامه في هذا البلد، وأن يقر فيها مبدأ التناصح بين الراعي والرعية، ولذلك اختار هؤلاء واحدة من الصحف الساقطة، التي يترفع الناصحون المخلصون عن التعامل معها، ومما يدل على سقوطها وسقوط الجهة التي سربت المذكرة إليها، زعمها بأن الشيخ عبد العزيز بن باز قد زكى المذكرة ورفعها لولي الأمر، وكذلك اختيارها لعناوين مثيرة لم ترد في المذكرة، وإسقاطها لأهم جزء في المذكرة، وهو جانب التأصيل الشرعي.

سابعًا:

وقع البيان في ما لا يتوقع أن يصدر من هيئة علمية في مقام هيئة كبار العلماء، حيث ذكر ما نصه: (والمجلس إذ يستنكر هذا العمل، المتمثل بإعداد هذه المذكرة المسماة (مذكرة النصيحة)، ونشرها يؤكد أن هذا العمل عمل مخالف لمنهج النصيحة الشرعية..)، وإن من المستغرب أن يصدر من هيئة كبار العلماء ما يفهم منه أنها تدين مبدأ النصيحة، الذي دلّت عليه النصوص القطعية من الكتاب والسنة.

ثامنًا:

اتهم البيان الموقعين بوجود ارتباطات فكرية منحرفة، والتزام بمبادئ جماعات وأحزاب أجنبية، ونحن لا يمكننا إلا أن نعلن احتجاجنا الشديد على هذا الوصف الظالم، ونحن نطالب بحقنا الشرعي في إثبات هذه التهمة الخطيرة ونحتفظ بحقنا الشرعي في التقاضي إذا لزم الأمر.

تاسعًا:

دان البيان نشر المذكرة -الذي لا يد للموقعين فيه- وغفل أن نشر هذا البيان في جميع وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية، باللغتين العربية والإنجليزية، قد روّج لهذه المذكرة، وحدا بعامة الناس للبحث عنها والتنبيه في الاطلاع عليها، وهذا مما يدل على ما ورد في المذكرة من تخبط السياسة الإعلامية.

وختامًا ..وبعد أن بينا ملاحظاتنا الشرعية، فإننا لا نزال نثق في أن علماءنا من هم من أهل الورع والتقوى، والرجوع إلى الحق متى ما ظهر والحرص على رفع الظلم والتهم، ورد الاعتبار إلى المخلصين الناصحين، الذين قال سبحانه وتعالى في حقهم: ﴿ ما على المحسنين من سبيل ﴾(سورة التوبة آية:٩١) ، ولهم في صحابة رسول الله ﷺ أسوة حسنة، حيث أمر الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قاضيه أبا موسى الأشعري رضي الله عنه، في رسالته المشهورة، بأن لا يمنعه قضاء قضاه بالأمس ثم رأى اليوم خيرًا منه أن يرجع عن قضائه.

والأمة جميعًا تترقى من علمائها وقفة صدق ونصيحة لله ولرسوله، وهم إن شاء الله عند ظن الأمة بهم. والله المستعان، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وصلى الله على سيدنا مُحَمَّد، وعلى آله وصحبه وسلم.

حمود بن عبدالله بن عقلاء الشعيبي / أستاذ الفقه في كلية الشريعة بالقصيم .

عبدالله بن عبد الرحمن الجبرين / عضو الإفتاء .

عبدالله بن سليمان المسعري / رئيس ديوان المظالم سابقًا في رئاسة البحوث العلمية .

حكم ما جرى في أمريكا من أحداث

حضرة صاحب الفضيلة الشيخ حمود بن عقلاء الشعيبي حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :

لقد كثر الخوض والكلام في ما وقع من تفجيرات في أمريكا فمن مؤيد ومبارك ومن مستنكر ومندد فما هو الصواب في الاتجاهين حسب رأيكم ؟ كما نأمل بسط المسألة لكثرة الاشتباه عند الناس؟

الجواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على النبي الأمين وعلى آله وصحابته أجمعين ومن سار على نهجهم إلى يوم الدين أما بعد :

قبل الإجابة على السؤال لابد أن نعرف أن أي قرار يصدر من الدولة الأمريكية الكافرة خاصة القرارات الحربية والمصيرية لا تقوم إلا عن طريق استطلاع الرأي العام أو عن طريق التصويت من قبل النواب في مجالسهم الكفرية والتي تمثل تلك المجالس بالدرجة الأولى رأي الشعب عن طريق وكلائهم البرلمانيين ، وعلى ذلك فإن أي أمريكي صوت على القتال فهو محارب ، وعلى أقل تقدير فهو معين ومساعد كما يأتي تبيين ذلك إن شاء الله .

وليعلم أن الذي يحكم العلاقات بين المسلمين والكفار كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وليست السياسة ولا المصالح الشخصية ، و هذه المسألة قد أوضحها الكتاب العزيز وبينها أوضح بيان لأهميتها وعظم خطرها ، فإذا رجعنا إلى الكتاب العزيز أدركنا بيقين أنه لم يدع شكا ولا لبسا لأحد في هذه المسألة .

والآيات الكثيرة التي تبحث في هذه المسألة تركز على أمرين هما الولاء والبراء مما يدل على أن الولاء والبراء ركن من أركان الشريعة وقد أجمع علماء الأمة قديما وحديثا على ذلك قال تعالى في التحذير من موالاة الكفار وتوليهم والركون إليهم :

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم ﴾(سورة المائدة آية:٥١) وقال تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة ... ﴾(سورة الممتحنة آية:١) الآيات .

وقال تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر ... ﴾(سورة آل عمران آية:١١٨) الآيات ،

وقال سبحانه وتعالى في وجوب التبرئ من الكفار ﴿ قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده ﴾(سورة الممتحنة آية:٤) وقال تعالى ﴿ لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم ﴾(سورة الحشر آية:٢٢) الآية وقال سبحانه وتعالى﴿ وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني برآء مما تعبدون * إلا الذي فطرني فإنه سيهدين ﴾(سورة الزخرف آية:٢٧-٢٦) .

وقال سبحانه وتعالى ﴿ قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين ﴾(سورة التوبة آية:٢٤) .

هذه الآيات وعشرات الآيات الأخرى كلها نص صريح في وجوب معاداة الكفار وبغضهم والتبرئ منهم ولا أظن أحدا له أدنى إلمام بالعلم يجهل ذلك .

وإذا تقرر هذا فاعلم أن أمريكا دولة كافرة معادية للإسلام والمسلمين ، وقد بلغت الغاية والاستكبار وشن الهجمات على كثير من الشعوب الإسلامية كما فعلت ذلك في السودان والعراق والأفغان وفلسطين وليبيا وغيرها ، حيث تعاونت أمريكا مع قوى الكفر كبريطانيا وروسيا وغيرها في مهاجمتها ومحاولة القضاء عليها .

كما قامت أمريكا بتشريد الفلسطينيين من ديارهم وتركيز إخوان القردة والخنازير في فلسطين ، والوقوف إلى جانب دولة اليهود الفاجرة بكل ما لديها من دعم وتأييد بالمال والسلاح والخبرات فكيف تقوم أمريكا بهذه الأفعال ولا تعتبر عدوة للشعوب الإسلامية ومحاربة لها ؟

لكنها لما بغت وطغت وتكبرت ورأت دولة الاتحاد السوفيتي تحطمت وانهارت على أيدي المسلمين في الأفغان ظنت أنها أصبحت هي القوة المطلقة التي لا قوة فوقها ، ونسيت أن الله سبحانه وتعالى أقوى منها وهو قادر على إذلالها وتحطيمها .

وإن مما يؤسف له أن كثيرا من إخواننا العلماء غلبوا جانب الرحمة والعطف ونسوا أو تناسوا ما تقوم به هذه الدولة الكافرة من تقتيل وتدمير وفساد في كثير من الأقطار الإسلامية فلم تأخذها في ذلك رحمة ولا شفقة .

وإنني أرى لزاما علي أن أجيب عن شبه يعتمد عليها بعض إخواننا من العلماء ويبررون بها مواقفهم.

الشبهة الأولى :

منها ما سمعته من بعضهم أن بيننا وبين أمريكا عهود ومواثيق فيجب علينا الوفاء بها و جوابي عن هذه الشبهة من وجهين :

الوجه الأول : أن المتكلم جازف باتهام المسلمين بالأحداث ولم يثبت شرعا حتى الآن أن المسلمين وراء الأحداث ، أو أنهم شاركوا فيها حتى يقال إنهم نقضوا العهد ، فإذا لم يثبت أننا قمنا بالتفجير ولم نشارك فيه فكيف نكون قد نقضنا العهود ، وإعلاننا لمعاداة هؤلاء الكفار وبغضهم والتبرئ منهم لا علاقة له بنقض العهود والمواثيق ، وإنما هو أمر أوجبه الله علينا بنص كتابه العزيز .

الوجه الثاني : وإذا سلمنا أن بين المسلمين وبين دولة أمريكا عهودا ومواثيق فلماذا لم تف أمريكا بهذه المواثيق والعهود ، وتوقف اعتداءاتها وأذاها الكثير على الشعوب المسلمة ، لأن المعروف أن العهود والمواثيق تلزم المتعاهدين بالوفاء بالعهد وإذا لم يفوا انتقض عهدهم ، يقول الله تبارك وتعالى ﴿ وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون ﴾(سورة التوبة آية:١٢) .

الشبهة الثانية :

يقولون إن في القتلى أبرياء لا ذنب لهم ، والجواب عن هذه الشبهة من عدة أوجه :

الوجه الأول : روى الصعب بن جثامة ﷺ عن النبي ﷺ أنه سئل عن أهل الديار من المشركين يبيّتون فيصاب من نسائهم وذرياتهم ، قال :(هم منهم)(١).

فإن هذا الحديث يدل على أن النساء والصبيان ومن لا يجوز قتله منفردا يجوز قتلهم إذا كانوا مختلطين بغيرهم ولم يمكن التمييز ، لأنهم سألوا الرسول ﷺ عن البيات وهو الهجوم ليلا ، و البيات لا يمكن فيه التمييز ، فأذن بذلك لأنه يجوز تبعا ما لا يجوز استقلالا .

الوجه الثاني : أن القادة المسلمين كانوا يستعملون في حروبهم مع الكفار ضربهم بالمنجنيق ومعلوم أن المنجنيق إذا ضرب لا يفرق بين مقاتل وغيره ، وقد يصيب من يسميهم هؤلاء بالأبرياء ، ومع ذلك جرت سنة المسلمين في الحروب عليه ، قال ابن قدامة رحمه الله : ويجوز نصب المنجنيق لأن

---

(١) صحيح البخاري حديث رقم (٣٠١٣) ومسلم رقم (١٧٤٥) .

النبي ﷺ نصب المنجنيق على أهل الطائف ، وعمرو بن العاص نصب المنجنيق على أهل الإسكندرية . [المغني والشرح ١٠ / ٥٠٣] . و قال ابن قاسم رحمه الله في الحاشية : ويجوز رمي الكفار بالمنجنيق ولو قتل بلا قصد صبيانا و نساء وشيوخا ورهبانا لجواز النكاية بالإجماع ، قال ابن رشد رحمه الله : النكاية جائزة بطريق الإجماع بجميع أنواع المشركين [الحاشية على الروض ٤ / ٢٧٠]

الوجه الثالث : أن فقهاء المسلمين أجازوا قتل [الترس] من المسلمين إذا كانوا أسرى في يد الكفار وجعل الكفار هؤلاء المسلمين ترسا يقيهم نبال المسلمين مع أنه لا ذنب لهؤلاء المسلمين المتترس بهم وعلى اصطلاحهم فإن هؤلاء أبرياء لا يجوز قتلهم وقد قال ابن تيمية رحمه الله : وقد اتفق العلماء على أن جيش الكفار إذا تترسوا بمن عندهم من أسرى المسلمين وخيف على المسلمين الضرر إذا لم يقاتلوا فإنهم يقاتلون وإن أفضى ذلك إلى قتل المسلمين الذين تترسوا بهم . [الفتاوى ٢٨ / ٥٤٦ - ٥٣٧ ، ج ٢٠ / ٥٢] ، وقال ابن قاسم رحمه الله في الحاشية : قال في الإنصاف : وإن تترسوا بمسلم لم يجز رميهم إلا أن نخاف على المسلمين فيرميهم ويقصد الكفار ، وهذا بلا نزاع[الحاشية على الروض ٤ / ٢٧١]

وهنا سؤال نوجهه للإخوة الذين يطلقون كلمة [الإرهاب] على ما حصل في أمريكا أريد منهم الجواب ، **والسؤال هو** :

عندما أغارت أمريكا بطائراتها وصواريخها على مصنع الأدوية في السودان فدمرته على من في داخله من موظفين وعمال فماتوا فماذا يسمى هذا ؟ فهل ما فعلته أمريكا في مصنع السودان لا يعتبر إرهابا ؟ وما فعله هؤلاء الرجال في مباني أمريكا يعتبر إرهابا ؟ لماذا شجبوا ونددوا لما حصل في أمريكا ولم نسمع أحدا ندد أو شجب تدمير أمريكا لمصنع السودان على من فيه ؟

إنني لا أرى فرقا بين العمليتين إلا أن الأموال التي أقيم بها المصنع وموّل بها أموال مسلمين ، والعمال والموظفون الذين هدم عليهم المصنع وماتوا فيه مسلمون ، والأموال التي أنفقت على المباني التي دمرها هؤلاء المختطفون أموال كفار ، والناس الذين هلكوا في هذا التفجير كفار ، فهل هذا الفرق هو الذي جعل بعض إخواننا يسمون ما حصل في أمريكا إرهابا !! ولا يشجبون ما حصل في السودان !! ومع ذلك لا يسمونه إرهابا !! وأيضا ما حصل للشعب الليبي من تجويع ؟ وما حصل للشعب العراقي من تجويع وضرب شبه يومي ؟ وما حصل لدولة أفغانستان المسلمة من حصار وضرب ؟ فماذا يسمى كل ذلك ؟ هل هو إرهاب أم لا ؟

ثم نقول لهؤلاء :

ماذا تقصدون بالأبرياء ؟

وهؤلاء لا يخلو جوابهم عن ثلاث حالات :

الحالة الأولى :

أن يكونوا من الذين لم يقاتلوا مع دولهم ولم يعينوهم لا بالبدن ولا بالمال ولا بالرأي والمشورة ولا غير ذلك ، فهذا الصنف لا يجوز قتله بشرط أن يكون متميزا عن غيره ، غير مختلط به ، أما إذا اختلط بغيره ولم يمكن تميزه فيجوز قتله تبعا وإلحاقا مثل كبار السن والنساء والصبيان والمرضى والعاجزين والرهبان المنقطعين ، قال ابن قدامة : ويجوز قتل النساء والصبيان في البيات (الهجوم ليلا) وفي المطمورة إذا لم يتعمد قتلهم منفردين ، ويجوز قتل بهائمهم يتوصل به إلى قتلهم وهزيمتهم ، وليس في هذا خلاف . [المغني والشرح ١٠ / ٥٠٣]. وقال (ويجوز تبييت العدو ، قال أحمد بن حنبل لا بأس بالبيات ، وهل غزو الروم إلا البيات ، قال ولا نعلم أحدا كره البيات)[المغني والشرح ١٠ / ٥٠٣] .

الحالة الثانية :

أو هم من الذين لم يباشروا القتال مع دولهم المحاربة لكنهم معينون لها بالمال أو الرأي ، فهؤلاء لا يسمون أبرياء بل محاربين ومن أهل الردء (أي المعين والمساعد) . قال ابن عبدالبر رحمه الله في الاستذكار : لم يختلف العلماء فيمن قاتل من النساء والشيوخ أنه مباح قتله ، ومن قدر على القتال من الصبيان وقاتل قتل . الاستذكار [١٤ / ٧٤]. ونقل الإجماع أيضا ابن قدامة رحمه الله في إباحة قتل النساء والصبيان وكبار السن إذا أعانوا أقوامهم ، وقال ابن عبدالبر رحمه الله : وأجمعوا على أن رسول الله ﷺ قتل دريد بن الصمة يوم حنين لأنه كان ذا رأي ومكيدة في الحرب ، فمن كان هكذا من الشيوخ قتل عند الجميع . التمهيد [١٦ / ١٤٢] . ونقل النووي رحمه الله في شرح مسلم في كتاب الجهاد الإجماع على أن شيوخ الكفار إن كان فيهم رأي قتلوا . ونقل ابن قاسم رحمه الله في الحاشية ، قال : وأجمعوا على أن حكم الردء حكم المباشر في الجهاد ، ونقل عن ابن تيمية رحمه الله هذا الإجماع ، ونقل عن ابن تيمية أيضا أن أعوان الطائفة الممتنعة وأنصارها منها فيما لهم وعليهم .

الحالة الثالثة :

أن يكونوا من المسلمين ، فهؤلاء لا يجوز قتلهم ما داموا مستقلين ، أما إذا اختلطوا بغيرهم ولم يمكن إلا قتلهم مع غيرهم جاز ، ويدل عليه مسألة التترس وسبق الكلام عنها .

وما يدندن حوله البعض عن الاعتذار للأبرياء دون معرفة من هم هؤلاء الأبرياء فإنما ذلك من آثار التأثر بالمصطلحات الغربية ووسائل الإعلام ، حتى أصبح من لم يُظن فيهم ذلك يرددون مصطلحات وعبارات غيرنا المخالفة للألفاظ الشرعية .

علما بأنه يجوز لنا أن نفعل بالكفار بمثل ما فعلوا بنا ، وهذا فيه رد وتبيين لمن ردد كلمة الأبرياء ، فإن الله سبحانه وتعالى أباح لنا ذلك ، ومن النصوص التي تدل على ذلك قوله تعالى ﴿ وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ﴾(سورة النحل آية:١٢٦) وقال تعالى ﴿ والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون * وجزاء سيئة سيئة مثلها ﴾(سورة الشورى آية:٤٠-٣٩) .

ومن كلام أهل العلم في جواز الانتقام بالمثل :

قال ابن تيمية : إن المثلة حق لهم ، فلهم فعلها للاستيفاء وأخذ الثأر ، ولهم تركها ، والصبر أفضل ، وهذا حيث لا يكون في التمثيل بهم زيادة في الجهاد ، ولا يكون نكالا لهم عن نظيرها ، فأما إذا كان في التمثيل الشائع دعاء لهم إلى الإيمان أو زجر لهم عن العدوان ، فإنه هنا من باب إقامة الحدود والجهاد المشروع ، نقله ابن مفلح عنه في الفروع [٦ / ٢١٨].

ويلزم لمن قال بمسألة قتل الأبرياء من دون تقييد ولا تخصيص أن يتهم الرسول ﷺ والصحابة ومن بعدهم بأنهم من قتلة الأبرياء على اصطلاح هؤلاء القائلين ، لأن الرسول نصب المنجنيق في قتال الطائف ، ومن طبيعة المنجنيق عدم التمييز ، وقتل النبي عليه الصلاة والسلام كل من أنبت من يهود بني قريظة ولم يفرق بينهم ، قال ابن حزم في المحلى تعليقا على حديث : عرضت يوم قريظة على رسول الله ﷺ فكان من أنبت قتل ، قال ابن حزم : وهذا عموم من النبي ﷺ ، لم يستبق منهم عسيفا ولا تاجرا ولا فلاحا ولا شيخا كبيرا وهذا إجماع صحيح منه . المحلى [٧ / ٢٩٩] . قال ابن القيم رحمه الله في زاد المعاد : وكان هديه ﷺ إذا صالح أو عاهد قوما فنقضوا أو نقض بعضهم وأقره الباقون ورضوا به غزا الجميع ، وجعلهم كلهم ناقضين كما فعل في بني قريظة وبني النضير وبني قينقاع ، وكما فعل في أهل مكة ، فهذه سنته في الناقضين الناكثين . وقال أيضا : وقد أفتى ابن تيمية بغزو نصارى المشرق لما أعانوا عدو المسلمين على قتالهم فأمدوهم بالمال

والسلاح ، وإن كانوا لم يغزونا ولم يحاربونا ورآهم بذلك ناقضين للعهد ، كما نقضت قريش عهد النبي ﷺ بإعانتهم بني بكر بن وائل على حرب حلفائه .

وفي الختام :

فنحن نعرف أن الغرب الكافر خصوصا أمريكا سوف تستغل الأحداث وتوظفها لصالحها لظلم المسلمين مجددا في أفغانستان وفلسطين و الشيشان وغيرها مهما كان الفاعل ، وسوف تقدم على تكملة تصفية الجهاد وأهله ولن تستطيع ذلك وسوف تحاربهم بدعوى محاربة الإرهاب ، وسوف تقدم على محاربة إخواننا المسلمين في دولة طالبان الأفغانية المسلمة ، هذه الدولة التي حمت وآوت المجاهدين ونصرتهم في الوقت الذي تخلى عنهم غيرهم ، وأيضا لم ترضخ للغرب الكافر .
لذا يجب نصرة هذه الدولة المجاهدة كلٌ بما يستطيع ، قال تعالى ﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ﴾(سورة التوبة آية: ٧١) وقال تعالى ﴿ وتعاونوا على البر و التقوى ﴾(سورة المائدة آية: ٢) ويجب إعانتهم بالمال والبدن والرأي والمشورة والإعلام والذب عن أعراضهم وسمعتهم والدعاء لهم بالنصر والتأييد والتثبيت .

وكما قلنا إنه يجب على الشعوب المسلمة نصرة دولة طالبان فكذلك يجب على الدول الإسلامية خصوصا الدول المجاورة لها والقريبة منها مساعدة دولة طالبان وإعانتها ضد الغرب الكافر .
وليعلم أولئك أن خذلان هذه الدولة المسلمة المحارَبَة لأجل دينها ونصرتها للمجاهدين ونصرة الكفار عليها نوع من الموالاة والتولي والمظاهرة على المسلمين ، ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم ﴾(سورة المائدة آية: ٥١) وقال تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة ..﴾(سورة الممتحنة الآية: ١) ، وقال: ﴿ قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده ﴾(سورة الممتحنة آية: ٤) وقال تعالى: ﴿ لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم ...﴾(سورة المجادلة الآية :٢٢)وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون * إلا الذي فطرني فإنه سيهدين ﴾(سورة الزخرف آية:٢٧-٢٦) ، ولن ينسى التاريخ والشعوب لهذه الدول هذا الخذلان ، وسوف يبقى عارا عليهم وعلى شعوبهم يعيّرون به مدى التاريخ .

ولتحذر تلك الدول المجاورة إذا خذلوا إخوانهم فلم يساعدوهم ومكنوا أعداءهم منهم من عقوبات الله القدرية وأيامه المؤلمة ونكاله العظيم ، قال ﷺ : "المسلم أخو المسلم لا يسلمه ولا يخذله ."(١) الحديث ، وقال عليه الصلاة والسلام كما في الحديث القدسي : "من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب"(٢) ، و قال ﷺ : "من أذل عنده مؤمن فلم ينصره وهو قادر على أن ينصره أذله الله عز وجل على رؤوس الخلائق يوم القيامة" ، رواه أحمد(٣) .

ونحب أن ننبه دولة باكستان بأن سماحها واستسلامها للأمريكان أعداء الإسلام والمسلمين وتمكينهم من أجوائهم وأراضيهم ليس من الحكمة ولا الحنكة ولا السياسة في شيء ، لأنه يؤدي إلى إتاحة الفرصة للأمريكان للاطلاع على أسرار دولتهم وإلى اكتشاف مواقع المفاعل الذري بدقة الذي أرعب الغرب ، وربما يؤدي ذلك من الأمريكان إلى تمكين اليهود لضرب المفاعل النووي الباكستاني كما فعلوا بالمفاعل النووي العراقي من قبل ، وكيف تأمن دولة باكستان أعداءها بالأمس الذين هددوها وتوعدوها ، وإنني أظن أن عقلاء دولة باكستان فضلا عن متدينيها لن يقبلوا بذلك ولن يلقوا بأيديهم سهلة ميسرة لأعداء الأمس .

نسأل الله أن ينصر دينه و يعلي كلمته ويعز الإسلام والمسلمين والمجاهدين وأن يخذل أمريكا وأتباعها ومن أعانها ، إنه ولي ذلك والقادر عليه وصلى الله على نبينا مُحَّد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أملاه فضيلة الشيخ

أ . حمود بن عقلاء الشعيبي

٢٨ / ٦ / ١٤٢٢ هـ

---

(١) صحيح البخاري (٢٤٤٢) .

(٢) صحيح البخاري (٦٥٠٢) .

(٣) رواه أحمد في مسنده (١٥٩٨٥) وحكم شعيب الأرنؤوط إسناده ضعيف .

بسم الله الرحمن الرحيم

خطاب من المشايخ الفضلاء: حمود بن عقلاء الشعيبي وعلي الخضير وسليمان العلوان إلى أمير المؤمنين الملا/ مُحَمَّد عمر والمجاهدين معه– نصرهم الله –

أمير المؤمنين المجاهد الملا/ مُحَمَّد عمر– حفظه الله ورعاه وسدد على الحق خطاه–

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

نسأل الله تعالى أن تصلكم رسالتنا هذه وأنتم في أتم الصحة والعافية.

أمير المؤمنين... نحن معشر العلماء نتشرف أن يُنسَب إلى أمتنا أمثالكم، فلقد أثبتُّم حقًا عزة المؤمن،لم تكتفوا بالقول بأنكم أنتم الأعلون حتى أكدتم هذا المعنى العظيم بأفعالكم المشرفة، فالعلو في الأرض ليس العلو المادي فحسب، بل أهمها وأعظمها هو علو الدين والمبدأ، كما قال تعالى :﴿ ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين ﴾(سورة آل عمران آية:١٣٩) ، فهذه الآية نزلت على رسول الله ﷺ وأصحابه ﷺ يوم أن هُزموا في أُحُد، فالعلو الحقيقي هو علو المبدأ والدين، قال ابن عباس رضي الله عنهما: الإسلام يعلو ولا يُعلى عليه(١)، علقه البخاري في صحيحه، ورواه الطحاوي بسند صحيح. فالإسلام وأهل الإسلام في عُلُو حتى ولو هزموا في المعركة، والله تعالى يقول: ﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ﴾(سورة المنافقون آية :٨) ، فالعزة ملازمة لله ولرسوله ولكل مؤمن متمسك بدينه حقًا، فهو عزيز بعزة الله وبإيمانه، فمن تمسك بالمبدأ الحق فهو عزيز بنص الكتاب والسنة.

أمير المؤمنين... إن جهل كثير من المسلمين بحقكم لا يُنقِص من قدركم شيئًا، فلقد أصبحتم علمًا من أعلام هذه الأمة، وسوف نكتب نحن تاريخ المرحلة بأيدينا، ونثبت للأجيال القادمة أنكم أنتم سادة الدنيا، ولو قُتِلتُم دون ذلك فسوف تُسطَّر سيرتكم بماء الذهب، وسنشهد جميعًا لكم أمام الله تعالى بأنكم أنصح وأصدق العباد للأمة، ونحسبكم كذلك ولا نزكي على الله أحدًا، وسنشهد أنكم أنتم وحدكم الذين رفعتم رؤوسكم في زمنٍ طأطأ الكثير من المسلمين فيه رؤوسهم لدولة الكفر والصليب أمريكا، فلم يتشرف المسلمون برجلٍ قال: لا ثم لا لما تطلبه أمريكا في هذا العصر إلا بكم، فيا سعادة المسلمين بأمثالكم.

أمير المؤمنين... لقد تجلت في أفعالكم معاني العدل والمساواة والعزة والكرامة والنصرة والحماية، والولاء والبراء. لقد أعطيتم للأمة درسًا عمليًا في هذه المعاني عندما كللتم قدومكم المبارك

---

(١) أنظر إرواء الغليل (١٢٦٨) .

لأفغانستان، وحفظتم للأمة ثمرة الجهاد ضد السوفييت والتي كادت أن تضيع بأيدي العلمانيين والشيوعيين والرافضة، فبعد أن كاد أملنا ينقطع بثمرة الجهاد، أحييتم أمل الأمة بأفغانستان، وأصبحَتْ اليوم هي محط أنظار المسلمين جميعًا، والكل يرقب العزة والنصر من أرضكم. فلقد توليتم أمر أفغانستان وطبقتم الشريعة، فقلنا: الحمد لله؛ لقد نصر الله الجهاد بكم يومَ أن أقمتم على أنقاض بلد مدمر وممزق ومتناحر دولةً إسلامية قولاً وعملاً، فساد العدل والدين الحق، وحاربتم الشرك والأضرحة، وقسمتم بالسوية وعدلتم في القضية، حتى لو قال قائل إن الذئب في إمارتكم يرعى مع الغنم لما كان ذلك مستبعدًا. ثم تحديتم العالَم أجمع وهدمتم الأصنام عملاً بشريعة محمد ﷺ التي بُعث من أجلها، فقلنا: لقد رزق الله الأمة من يجدد فيها ميراث إبراهيم عليه السلام هادم الأصنام ومتحدي الوثنية، وفرحنا بفعلكم حينما جددتم معاني التوحيد التي كانت غائبة عن الأمة منذ قرون، فالأصنام بأشكالها وأنواعها وأحجامها تملأ بلاد المسلمين، ولكن أمير المؤمنين لم يرض أن يعيش في أرض تجاوره فيها آلهة تُعبَد من دون الله تعالى، حتى هدمتم تلك المعبودات وأذللتم من عبدها، فكانت قلوبنا تطير من الفرح بتجديد التوحيد في هذا الباب. ثم ألزمتم أهل الذمة الصَّغار والذِّلة عملاً بكتاب الله سبحانه وتعالى وبسنة رسول ﷺ كما كانوا في صدر الإسلام أذلاء يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون، فقلنا: يا عمر عصره في أفغانستان يلزم الكفار الذل والصغار في أرضه.

وجاء المحك الحقيقي الذي أثبت معدنكم الخالص الأصيل عندما تكالبت دول العالم للنيل من المهاجرين إلى أرضكم من غير ذنب اقترفوه إلا أن يقولوا ربنا الله، فتنادى الشرق والغرب من كل ملل الكفر للنيل من عزتكم وعلوكم، فصمدتم صمود الجبال، لم تُخِفْكم تلك الحشود، ولم ترعبكم أسلحة الدمار الشامل، فصبرتم وقررتم المضِيّ في العزة يوم أن تخاذل الجميع وتبدلت العقائد وظهرت نواقض الإسلام في كثير ممن ينتسبون إليه، إلا أنكم بقيتم أعلامًا بشموخ الجبال، يعتز كل مسلم بأن في أمته أمثالكم، تكالبت عليكم الدول وجاءتكم الأحلاف من كل حدب وصوب بعدتها وعتادها بشكل لم يشهد التاريخ أبدًا حلفًا مثله ضد طائفة مؤمنة صادقة قليلة، فضحيتم بالملك وبالأنفس والأموال فكان بفضل الله تعالى إيمانكم وصدقكم- نحسبكم كذلك ولا نزكي على الله أحدًا- كان إيمانكم وتوكلكم على الله القوي العزيز أعظم من ذلك الحلف وما جمع.

أمير المؤمنين... إن الحرب اليوم لم تضع أوزارها، ولكننا نهنئكم بالنصر الحسي مقدمًا بإذن الله تعالى فقد ظهرت بوادره، ونهنئكم بالنصر الحقيقي الذي حققتموه، فلقد انتصر مبدأكم وقولكم على مبادئ أعدائكم، إن أعداءكم يكذبون في كل محفل بأنهم أهل العدل وحقوق الإنسان وأهل

الحرية والمساواة، وفي هذه المعركة سقطت تلك الأقنعة عن وجوههم ليظهر للخاص والعام حقيقة الوجه الصليبي اليهودي الحاقد، فظهر حقًا من الذي يقتل الأبرياء، وعرفنا من الذي لا يراعي لأي كائن حي أي حقوق، وشاهدنا كيف تكون الحرية وسيادة القانون الذي شرعوه لأنفسهم، وعرفنا ما معنى تعايش الحضارات ووحدة الأديان التي يدعون إليها، وإنهم يريدون حضارة الغاب الأمريكية ، ويريدون وحدة معتقدهم الصليبي فقط، فهنيئًا لكم هذا النصر. لقد ميزتم العالَم إلى خندقين، وجليتم الحقائق لكل مغفل يوم أن أسقطتم بصمودكم وإيمانكم وتوكلكم على الله كل معاني الزيف والخداع الصليبي.

أمير المؤمنين... وكما فضح صمودكم كذب الكفار في دعواهم، قد وضّح للمسلمين أيضًا معانٍ كانت غائبة أو كادت تندرس.

صمودكم علمنا ما هو ميزان القوة لدى المسلمين، صمودكم جدد الولاء والبراء، صمودكم جدد مفهوم الجهاد ومفهوم النصر والهزيمة، صمودكم علمنا معنى التضحية والبذل لله تعالى. لقد بلغنا أنكم أُغريتم بمُلك عظيم مقابل التنازل عن حماية المؤمنين، وأجلب عليكم المنافقون بالترغيب تارة وبالترهيب أخرى لتبدوا شيئًا من التنازل عن مبادئكم، وتأكدنا حقًا لو أنكم أردتم الدنيا من الآخرة لأمكنكم بالتنازل عن بعض مبادئكم، وحينها تكونون أغنى أهل الأرض، ولكن القلوب التي خالطها الإيمان تأبى ذلك أشد الإباء، ويوم أن افتخرت العرب بسموأل بن عاديا اليهودي الذي حفظ الأمانة وأصابه البلاء وقُتِل ابنه أمام عينيه على أيدي الحارث بن جبلة الغساني ملك الشام الذي جاء يطلب المال منه فأبى أن يدفع المال إلا لأولياء امرئ القيس الذي أودع الأمانة عنده، فأصبح صموده مثلاً للعرب، فلأن نفتخر نحن بصمودكم الذي فاق صمود السموأل بآلاف المرات من باب أولى، وحق لكل مسلم اليوم إذا أراد أن يضرب المثل بالصمود أن يذكر صمودكم. وما وصف الأعشى لحال السموأل إلا وصف لبعض حالكم عندما مدحه بقوله:

كن كالسموأل إذ سار الهُمام له ______________ في جحفلٍ كسواد الليل جرار

جارُ ابن حَيّا لمن نالته ذمته ______________ أوفى وأمنع من جار ابن عمار

بالأبلق الفرد من تيماء منزله ______________ حصن حصين وجارٌ غيرُ غدار

إذ سامه خُطتي خسفٍ فقال له ______________ مهما تقُلهُ فإني سامعٌ حار

فقال ثُكلٌ وغَدر أنت بينهما ______________ فاختر وما فيهما حظٌّ لمختار

فَشَكَّ غير قليلٍ ثم قال له ______________ اِذبح هَدِيَّكَ إني مانعٌ جاري

أمير المؤمنين... إن إعجابنا بأفعالكم ومناصرتنا لها لا ينقطع ولن ينقطع أبدًا بإذن الله تعالى مالم تبدلوا وتهنوا أو تتراجعوا، نسأل الله لنا ولكم الثبات حتى الممات. وإننا نطمئنكم بأننا وشريحة عظيمة من العلماء والدعاة وطلبة العلم معكم ونؤيدكم، ونقول لكم: لا يسوءكم ولا يفت من قوتكم وإصراركم قول بعض المتخاذلين والمرجفين الذين ذموا صمودكم ولاموا أفعالكم، وزعموا أنكم قتلتم أنفسكم وشعبكم ومزقتم دولتكم بفعلكم، إن فعلكم هذا هو عين الصواب، وهو ما دلت عليه الأدلة الشرعية وأمر الله تعالى به ورسوله ﷺ، وكل ما أصابكم أو أصاب شعبكم هو بقدَرٍ من الله تعالى، وهو الذي أمركم بالتوكل عليه واتباع أمره وموالاة المؤمنين والبراءة من الكافرين وجهادهم بكل السبل، ووعدكم بعد ذلك بالنصر والتمكين، وإن حصلت لكم الأخرى فهو الفوز الكبير الذي وصف الله به أصحاب الأخدود بقوله: ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجري من تحتها الأنهار ذلك الفوز الكبير ﴾(سورة البروج آية:١١) ، وبأي شيء نال أصحاب الأخدود وسام الفوز الكبير؟ لقد نالوه بتوكلهم على الله وصمودهم على دينهم وعدم تراجعهم عن مبدئهم، فنالوا هذا الوسام الذي لم يعطِ القرآن لأحَدٍ غيرهم، رغم أنهم قُتِلوا عن آخرهم.

أمير المؤمنين... إننا نناشدكم ونناشد قادة الإمارة الإسلامية من أمثال نائبكم الملا/ مُحَمَّد حسن، وأمثال المولوي/ جلال الدين حقاني، والمولوي/ عبد الحنّان، والملا/ برادر، والملا/ داد الله، والملا/ ريس عبد الله، والملا/ خسكار، وقادة لواء الدبابات، وغيرهم كثير من قيادات الإمارة الإسلامية، كما نناشد المجاهدين الأنصار وقادتهم، أن تواصلوا جهادكم وصمودكم، فقد قرت بكم عيون الموحدين، ورضيت بكم عساكر الرحمن، فنحن وراءكم نناصركم بكل ما نستطيع ونحرض المؤمنين على القتال في صفوفكم، فلا تبدلوا ولا تخافوا ولا تلينوا ﴿ وأنتم الأعلون﴾(سورة مُحَمَّد آية:٣٥) ، واثبتوا على مبادئكم وأفعالكم المشرفة، ارفعوا رأس الأمة بجهادكم، وبإذن الله تعالى فإن فرحتنا ستكون قريبة بعودة الإمارة الإسلامية غالبة مُمَكَّنة منتصرة بأمر من الله الذي أمركم بالعمل وتكفَّل بالنصر.

وختامًا فإننا نوصي جميع المسلمين في كل مكان بمناصرة الإمارة الإسلامية في جهادها هذا ضد مِلل الكفر جميعًا، كما نوصي الأفغان خاصة بأن يبذلوا أنفسهم لله تعالى ويناصروا الإمارة الإسلامية ويقفوا تحت لواء أمير المؤمنين، ونوصي المجاهدين وعلى رأسهم أمير المؤمنين بأن يحققوا شروط النصر والتمكين التي ذكرها الله تعالى في كتابه وذكرها رسوله ﷺ في سنته.

وإليكم بعضًا مما ورد في كتاب الله من شروط التمكين، كقوله تعالى: ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنًا يعبدونني لا يشركون بي شيئًا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون ﴾(سورة النور آية:٥) ، فالإيمان والعمل الصالح والبراءة من الشرك من شروط النصر والتمكين، وقوله تعالى: ﴿ وقال موسى يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين ﴾ (سورة يونس آية:٨٨) ، فالتوكل على الله حق التوكل من شروط النصر والتمكين، وقوله تعالى :﴿ ولقد كتبنا في الزبور مِن بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون ﴾(سورة الأنبياء آية : ١٠٥) ، فالصلاح في الظاهر والباطن وتحقيق معنى العبودية من شروط النصر والتمكين، وقوله تعالى: ﴿ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون* نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون ﴾(سورة فصلت آية:٣١-٣٠) ، فالإقرار بربوبية الله وإلهيته مع الاستقامة على شريعته من شروط النصر والتمكين، والآيات التي ذكر الله فيها شروط النصر والتمكين أكثر من ذلك بكثير.

ومن الوصايا الجامعة للنبي ﷺ وقد جاء فيها شروط النصر والتمكين ما رواه الترمذي وأحمد واللفظ له عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنت رديف النبي ﷺ فقال:«يا غلام أو يا غليم! ألا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن؟»، فقلت: بلى؟، فقال: «احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده أمامك، تعرف إليه في الرخاء يعرفك في الشدة، وإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، قد جَفَّ القلم بما هو كائن، فلو أن الخلق كلهم جميعًا أرادوا أن ينفعوك بشيء لم يكتبه الله لك لم يقدروا عليه، وإن أرادوا أن يضروك بشيء لم يكتبه الله عليك لم يقدروا عليه، واعلم أن في الصبر على ما تكره خيرًا كثيرًا، وأن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرًا »(١)، وفي لفظ الترمذي: «احفظ الله تجده أمامك»(٢).

واعلموا أنكم إذا بذلتم وسعكم لتحقيق شروط النصر والتمكين فإن الله ناصركم ومخزٍ عدوكم، وعدًا منه لا يتخلف أبدًا، قال تعالى:﴿ إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد ﴾(سورة غافر آية:٥١) ،وقال:﴿ إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا إلى جهنم يحشرون ﴾(الأنفال آية:٣٦) ،

---

(١) مسند أحمد (٢٨٠٣) وحكم شعيب الأرنؤوط صحيح .

(٢) سنن الترمذي (٢٥١٦) وحكم الألباني صحيح .

وقال واصفًا حال المسلمين يوم بدر:﴿ قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأي العين والله يؤيد بنصره من يشاء إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار ﴾(سورة آل عمران آية:١٣) .

وقد بشر النبي ﷺ بالنصر وانتصار الدين وغلبته، فقال ﷺ: «ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين، بِعِزِ عزيز أو بِذُلِّ ذليل، عِزًا يُعز الله به الإسلام، وذُلاً يُذل الله به الكفر»(١)، رواه أحمد من حديث تميم الداري بسند صحيح.

وقد أحسن الشاعر حيث قال:

ومن رام نيْل العِز فليصطبر على ــــــــــــــ لقاء المنايا واقتحام المضايق

فإن تكن الأيام رنّقْن مشربي ــــــــــــــ وثلَّمْن حدّى بالخطوب الطوارق

فما غيرتني محنةٌ عن خليقتي ــــــــــــــ ولا حولتني خُدعةٌ عن طرائقي

ولكنني باقٍ على ما يسرُّني ــــــــــــــ ويُغضِب أعدائي ويرضي أصادقي

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

ولا عدوان إلا على الظالمين.

إخوانكم

حمود بن عقلاء الشعيبي

علي بن خضير الخضير

سليمان بن ناصر العلوان

١٦/١٠/١٤٢٢هـ

---

(١) مسند أحمد (١٦٩٥٧) وحكم شعيب الأرنؤوط إسناده صحيح .

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

خطاب من المشايخ الفضلاء: حمود بن عقلاء الشعيبي وعلي الخضير وسليمان العلوان إلى كافة علماء باكستان- حفظهم الله-

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين.. وبعد

إلى كافة علماء باكستان ودعاتها وعلى رأسهم:

فضيلة الشيخ/ نظام الدين الشامزي

وفضيلة الشيخ/ سميع الحق

وفضيلة الشيخ/ فضل الرحمن

وفضيلة الشيخ/ فضل الرحمن خليل

وفضيلة الشيخ/ قاضي حسين أحمد

وفضيلة الشيخ/ حافظ رشيد

وفضيلة الشيخ/ سيف الله أختر

وفضيلة الشيخ/ مسعود أزهر- فك الله أسره-

إلى هؤلاء وغيرهم من العلماء والدعاة- حفظهم الله ورعاهم-.. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

إنا نبعث إليكم بهذا الخطاب تأديةً منا لواجب الأخوة الإسلامية ولواجب موالاة المؤمنين ونصرتهم لا سيما العلماء منهم، ونذكركم فيها بالواجب الذي أُلقي على أكتاف العلماء، وبالعهد والميثاق الذي أخذه الله على العلماء.

أصحاب الفضيلة... لقد كنا نتابع بكل مشاعرنا وجوارحنا ما يدور على أرضكم من أحداث بسبب مناصرتكم المشرِّفة للإمارة الإسلامية في أفغانستان، ولقد سرَّنا تكاتُف الشعب الباكستاني معكم وتنفيذه لفتاواكم رغم التهديدات والضغوط التي تُفرَض عليكم وعليه، ولقد سعدنا أيضًا بفتاواكم التي تسر الأصدقاء وتغيظ الأعداء، فليست مهمة العالِم أن يتحدث إلى الناس ويفتيهم في الرخاء فقط، ولكن العالِم الذي يتقدم الناس في السراء والضراء. ولقد سمعنا باعتقال بعضكم، ولا زلنا ندعو بأن يفرج الله عنكم ما أنتم فيه من الإقامة الجبرية والتضييق في الحال والمقام. وإننا رغم الحدود الوهمية والإقليمية التي تحُول بيننا وبينكم لا زلنا قريبين منكم ونناصركم ونؤازركم وندعو لكم ونعيش معكم ساعةً بساعة ولحظةً بلحظة . وهذه الأحداث التي تمر بالأمة الإسلامية وخاصة في أفغانستان وإمارتها الإسلامية، تُعَدُّ هي المحك الحقيقي الذي ظهر بسبب ما تُكِنُّه الصدور وما

تعتقده القلوب، وظهر مَن هو العالِم من المتعالم، فالعالم هو الذي يبرهن بعمله صِدْق ما يدعو إليه، والمتعالم الذي يتأخر في موطن الإقدام ويقدم الدنيا على الآخرة. وإن موقفكم منذ بداية الأحداث وقبلها كان مشرفًا، لا سيما من خلال مجلسكم بجبهة الدفاع عن أفغانستان بقيادة فضيلة الشيخ/ سميع الحق حفظه الله وفرَّج همَّه. فمناصرتكم للإمارة الإسلامية لم يكن مختصًا بكم وحدكم، بل هو الواجب على علماء المسلمين جميعًا، إلا أنكم حزتم قصب السبق وتقدمتم على غيركم من العلماء عندما كانت فتاواكم وأشرطتكم هي طليعة الأصوات المناصرة للإمارة الإسلامية قبل الحرب بسنوات وبعد الحرب ولا زالت، فجزاكم الله عن الأمة كل خير.

أصحاب الفضيلة... إن من نافلة القول هنا أن نذكركم- ومثلكم غير خافٍ عليه- أن الحرب الصليبية التي تُشَن على الإسلام والمسلمين في أفغانستان لم تضع أوزارها بعد، بل إننا لو قلنا أنها لم تبدأ بعد لما كنا مخطئين، فالحرب الصليبية أهدافها أعظم من الأهداف العسكرية، وأشمل من السيطرة على كابُل أو على أفغانستان. إن قادة الحرب الصليبية قرروا أن يزيلوا الإسلام الصحيح من على أرض المسلمين ليستبدلوه بالإسلام الأمريكي-إن صح التعبير-؛ إسلام على النموذج الأمريكي: لا ولاء فيه ولا براء، ولا يُدعَى فيه لا لجهاد ولا لنصرة. قرر الصليبيون وعملوا على ألا يعرف المسلمون من القرآن إلا رسمه ولا من الإسلام إلا اسمه، وقبل أن يتضح خبثهم وشرهم على المسلمين في الواقع، أخبرنا الله بخبثهم وأهدافهم في كتابه فقال:﴿ ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ﴾(سورة البقرة آية:١٢٠) ، وقال:﴿ ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا ﴾(سورة البقرة آية:٢١٧) ، وقال:﴿ ودَّ كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارًا حسدًا من عند أنفسهم ﴾(سورة البقرة آية:١٠٩) ، وقال: ﴿ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواءً ﴾(سورة النساء آية:٨٩) ، والآيات التي نَصَّ الله فيها على أهداف اليهود والصليبيين كثيرة في القرآن. ولا عجب إذًا أن يعملوا بما أخبر الله عنه، ولكن العجب كل العجب أن يتخاذل كثير من المسلمين وبعض العلماء عن نصرة الدين، وأن يخفى عليهم حجم القضية والمؤامرة، علمًا أن هذا الدين منصور بأمر الله تعالى، ولكن مَن نصر الدين هو في الحقيقة ينصر نفسه ويخلصها من عذاب الله سبحانه وتعالى، والله يقول:﴿ ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه إن الله لغني عن العالمين ﴾(سورة العنكبوت آية:٦) .

أصحاب الفضيلة...لا شك عندنا أنكم تدركون حجم المؤامرة وتعون الحدث أكثر من غيركم من العلماء، لأن ميدان المعركة قريب منكم، وتعيشون الأحداث عن قرب وتتابعون مجرياتها لحظةً بلحظة، ولا مجال لسرد أبعاد المؤامرة عليكم، ولكننا نريد أن نذكركم ونذكر أنفسنا والمسلمين أولاً

والشعب الباكستاني خاصة، بأن ديننا يحتاج إلى تضحية، وأن ما يصيبنا ليس إلا رِفعة في درجاتنا بإذن الله تعالى. ونذكر الجميع أيضًا بأن فقدان الإمارة الإسلامية للمدن لا يعني بحال هزيمتها أبدًا، فقد انتصرت منذ الساعة الأولى لبدء القصف الجوي، انتصرت بمبادئها وعقيدتها، ولو قُدِّر أن زالت الإمارة الإسلامية أو قُتِل قادتها جميعًا فلا يعني ذلك هزيمتها أيضًا، فكل من قُتل في سبيل الله فقد انتصر، والإسلام ليس معلقًا بهذه الأرض أو تلك، وليس معلقًا أيضًا بأمير المؤمنين أو المجاهدين معه، فإن قُتلوا أو ماتوا فهنيئًا لهم الشهادة في سبيل الله تعالى، ولكن الإسلام سيبقى ما بقي الليل والنهار، والعاقبة للمتقين، وما علينا إلا أن نتوكل على الله سبحانه وتعالى ونعمل ونجاهد في الله حق جهاده، ومنه النصر والتمكين، ولا يسعنا بحال من الأحوال أن نكلّ أو نملّ أو نَهِنَ أو نفتُر، فالدين سينتصر ولكنه يحتاج إلى رجال كرجال الرعيل الأول لينتصر على أيديهم.

فكونوا قادة الأمة وقادة الانتصار القادم بإذن الله تعالى، واعلموا أن سكوتكم لا يزيد المسلمين إلا ضعفًا، ولا يزيد العدو إلا تسلطًا وبغيًا، فها هي دفة الحرب تُوجَّه إلى أرضكم، وها هي حامية الوثنية تقرع طبول الحرب بأمر اليهود والصليبيين لضربكم، وليس الهدف من حربهم سياسيًا أو عسكريًا، بل إن الهدف المنشود لهم هو دينكم وقمع الجهاد الصادر من أرضكم. والصليبيون ومِن ورائهم اليهود والوثنيون لن يرضوا بسجن العلماء، ولا بإغلاق مدارس تحفيظ القرآن، ولا بتغيير المناهج، ولا بإفساد أبناء المسلمين وتغريبهم، فهذا كله لا يشفي غيظ قلوبهم حتى يسفكوا دماء أبناء المسلمين كما فعلوا في كشمير وفي الشيشان وفي الفلبين وفي إندونيسيا وفي العراق وفلسطين، ويفعلون الآن في أفغانستان وغيرها من بلاد الإسلام، قَتْل المسلمين وتشريدهم وتمزيق أجساد أطفالهم هو الذي يطفئ نار صدور اليهود والصليبيين والوثنيين ومَن دونهم. لذا علينا أن نبذل الغالي والرخيص في التصدي بكل السبل والوسائل لرد شرورهم وكيدهم على المسلمين في كل مكان، قال تعالى: ﴿فقاتل في سبيل الله لا تُكلَّف إلا نفسك وحرِّض المؤمنين عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا والله أشد بأسًا وأشد تنكيلا ﴾(سورة النساء آية:٨٤) ، فكونوا قادة الأمة بكلمة الحق، وواصلوا العمل، فإن النصر قريب بإذن الله تعالى، ولكن يحتاج إلى رجالٍ يتحملون تبعات هذا النصر ويكونون أهلاً للتمكين في الأرض.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. ولا عدوان إلا على الظالمين.

إخوانكم:

حمود بن عقلاء الشعيبي / علي بن خضير الخضير / سليمان بن ناصر العلوان

١٧ /١٠/١٤٢٢هـ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بيان من فضيلة الشيخ العلامة/ حمود بن عقلاء الشعيبي

إلى القائدين رباني وسياف ومن معهما

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين:

القائدان رباني وسياف ومن معكما، أكتب لكما هذا الخطاب الذي أرجو الله سبحانه وتعالى أن يؤلف به بين قلوب المسلمين، وأن يجعله سببًا لهدايتكما ومن معكما.

أيها القائدان: إننا لم ننس لكما ولا لمن معكم جهادَكم ضد الاتحاد السوفييتي وفلول الشيوعيين في أفغانستان، وكُنا من قَبْلُ نفتخر أنْ جعل الله في أمتنا أمثال هؤلاء الرجال الذي باعوا كل شيء من أجل العقيدة والدين.

ولكن الذي أحزننا وحز في نفوسنا انقلاب أولئك الرجال على المبادئ وعلى القيم بل وعلى العقيدة والدين، نعم! لقد تألمنا كثيرًا يوم أن أصبحتما ومن معكما رأس الحربة التي تُطعَن بها الإمارة الإسلامية التي شهد القاصي والداني على تطبيقهم للشريعة وحكمهم بكتاب الله وسنة رسوله.

لقد كنا نتذكر قولك يا سياف عندما كنت تقول: (أقيموا دولة الإسلام وأنا مستعد أن أكون فيها إسكافيًا). إن قلوبنا لتتقطع عندما نذكر وعدك من على المنبر وأنت تصرخ قائلاً: (إلى شعبنا في فلسطين: نقسم بالله العظيم أننا سنحرر أرضكم أو نموت دون ذلك).

ولقد استعدنا من الذاكرة أيضًا أقوالك يا رباني التي كانت أكثرَ حرارةً من أقوال سياف، ولم ننس وعودك للأقصى بالتحرير، ولم ننس وعودك للأفغان- قبلَهم- بالحكومة الإسلامية.

إن كل تلك الوعود ذهبت أدراج الرياح، إن كل تلك المبادئ رأيناها تحت الأقدام من أجل عرضٍ من الدنيا قليل، يومَ أن لاح لكما ولمن معكما القرار في قصر الرئاسة رأينا كيف صنعتما بالمبادئ.

ألم تكونوا تقاتلون الشيوعيين؟ إذن لماذا وضعتم أيديكم في أيديهم؟ ألم تكونوا تقاتلون الرافضة؟ إذن لماذا تحالفتم معهم؟ لقد تحالفتم مع دستم وقربتموه وأصبح أحد أركان دولتكم، وتحالفتم مع حزب الوحدة الرافضي الذي أسسه (سلطان علي كشتمند) رئيس وزراء الحكومة الشيوعية التي جاهدتم ضدها، وتحالفتم مع الجنرال عبد المالك أحد أركان الجيش الشيوعي الذي جاهدتم ضده، وهو الذي قتل مئات الآلاف من المسلمين، ولقد ضم جيشكم بقايا الحزب الشيوعي الأفغاني السابق.

لا أريد أن أطيل عليكم بتعدد تحالفاتكم المشوِّهة للجهاد وللمجاهدين، ولكن يكفي أنكم شكلتم حكومةً تضم كل هؤلاء، وأعلن وزير دفاعكم الهالك مسعود أن حكومتكم تتبنى الديمقراطية الكفرية التي لا تعترف لا بكتابٍ ولا بسُنَّة.

إن فواجعكم على الأمة الإسلامية يرقق بعضها بعضًا، فقد طالعتنا وسائل الإعلام قاطبةً بتصريحاتكم المصوَّرة والصوتية، والتي تتعهدون فيها بمساعدة التحالف الصليبي ضد الإمارة الإسلامية، وسمعنا التقارير التي تثبت وقوفكم- وبكل قوة- مع التحالف الصليبي ضد الإمارة الإسلامية وضد الشعب الأفغاني الذي يُباد بمشورتكم وبصواريخكم وطائرات التحالف الصليبي، وسمعنا عن تحالفكم مع اليهودي رحمانوف رئيس أوزبكستان.

اعلموا أن أمريكا وروسيا ومن معهما هم أعداء لكم كما هم أعداء لطالبان، ولو انتصروا- لا قدر الله- فسوف يرجعون إليكم ويغزونكم، وما حالكم آن ذاك إلا كحال القائل:

"أُكِلتُ يومَ أُكل الثور الأسود"

واعلموا أن هذا البيان هو محض النصيحة الخالصة لكم، فتوبوا إلى الله وعودوا إلى رشدكم، واتحدوا مع الطالبان، واتركوا تلك التحالفات الصليبية الشيوعية اليهودية.

أسأل الله جلَّت قدرته أن ينصر الإسلام في أفغانستان وغيرها، وأن يهلك الأمريكان ومن أعانهم، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أملاه فضيلة الشيخ العلامة

أ./ حمود بن عقلاء الشعيبي

١٤٢٢/٨/٨هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

أخي القائد حكمتيار..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

لقد سعدنا بسماع أخبارك وعزمك على الدخول مع الإمارة الإسلامية للقتال والوقوف ضد الغزو الصليبي لأفغانستان والدفاع عن الإسلام والمسلمين.

ومما سمعنا أيضًا أنك وضعت شروطًا لدخولك مع الإمارة الإسلامية للقتال ضد عدوها وعدو الإسلام والمسلمين، ولا يهمنا تفاصيل تلك الشروط بينكما، ولكن أحببنا أن ننبهك إلى أمورٍ مهمة نرى أنها كفيلة- بإذن الله- لتصحيح موقفكم من الإمارة الإسلامية.

الأمر الأول: اعلم- حفظك الله- أنه قد بان لنا بعد طول بحث أن الإمارة الإسلامية بقيادة أمير المؤمنين الملا مُحَمَّد عمر- حفظه الله- تُعَدُّ هي الوريث الشرعي للجهاد الأفغاني، وهي التي أنقذت ثمرة الجهاد من الشيوعيين وأتباعهم في أفغانستان.

الأمر الثاني: اعلم أن أمير المؤمنين الملا مُحَمَّد عمر- حفظه الله- يُعد إمامًا مُبايَعًا من قِبَل أهل الحل والعقد في أفغانستان، وهو أيضًا إمام بِتَغَلُّبِه بالشوكة وحكمِهِ بمقتضى الشريعة الإسلامية عندما انعدم الإمام، لذا فإن بيعته تلزم كل من دخل في مناطقه ومناطق سلطته وتحت شوكته، وتحت وعيد النبي حيث قال: « من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية »(١).

الأمر الثالث: إن الإمارة الإسلامية إمارة شرعية تحكم بكتاب الله وسنة رسوله ، ورغم وجود بعض التجاوزات لديها ووجود بعض البدع في مناطق حكمها إلا أن تلك التجاوزات والبدع لا تُسقِط شرعيتها أبدًا.

الأمر الرابع: إن أفغانستان لم تنعم بأمن ولا أمان ولا عدل منذ عقود كما نعمت به تحت حكم الإمارة الإسلامية، نسأل الله النصر والثبات.

لذا- وبناءً على الأمور المتقدمة- فإننا لا نرى أي مبرر لمن وضع شروطًا لدخوله تحت راية هذه الإمارة، كما أننا نهيب بك أيها القائد أن تضع يدك بيد أمير المؤمنين وتبايعه وتقاتل تحت رايته للدفاع عن الإمارة الإسلامية التي تطبق شرع الله في جميع المجالات، وإننا نطلب منك أن تُتَوِّج تاريخ جهادك القديم ضد الروس بجهاد مُشَرِّف ضد الأمريكان تحت قيادة أمير المؤمنين، ونناشدك أن تتنازل عن كل شروطك للدخول مع الإمارة الإسلامية للقتال معها، إن كنت تريد الله والدار

---

(١) صحيح مسلم ٥٨- (١٨٥١) .

الآخرة، وهذا وحده أعظم شرف يناله المسلم اليوم: أن يقاتل جميع كفار الدنيا تحت راية دولة إسلامية هي الحصن الحصين للإسلام اليوم، فَدَعْ عنك الماضي وانظر إلى رضا الله، ولأن يُكتَب لك الجهاد تحت راية الإمارة الإسلامية ضد كفار الدنيا خير لك من أن تعتزل ويفوتك الفضل العظيم.

واعلم أخي القائد أن الجهاد اليوم في أرض أفغانستان فرْض عيْنٍ على الأفغان ومن جاورهم خاصة لمداهمة العدو الصائل بلادهم، إلا أن بيعة أمير المؤمنين قبل القتال تُعد أمرًا أهم من القتال وحده، وأنا أوصيك بوصية رسول الله كما جاء عن الترمذي وأحمد وغيرهما حيث قال:«وأنا آمركم بخمسٍ الله أمرني بهن: السمع والطاعة والجهاد والهجرة والجماعة؛ فإنه من فارق الجماعة قيد شِبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه إلا أن يرجع، ومن ادعى دعوى الجاهلية فإنه من جثا جهنم» الحديث(١). وحتى يكون جهادك مثمرًا فالتزم وصية رسول الله ﷺ وبايع والتزم الجماعة ثم جاهد، والله يقول :﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ ﴾(سورة الحج آية:٤٠) ، ويقول: ﴿ إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ ﴾(سورة محمَّد آية:٧) ، وأعظم نصر لله ولدينه هو اتباع أوامره وامتثال وصايا رسوله ﷺ، ولم تفقد ثمرة الجهاد ضد الروس على الأحزاب إلا أنهم كانوا يقاتلون بلا أمير ولا جماعة.

فننصحك ببيعة أمير المؤمنين والقتال تحت راية الإمارة الإسلامية، وكن قائدًا من قادة الدولة الإسلامية التي ستنتصر- بإذن الله- على مِلل الكفر جميعًا، وهذا أعظم شرف تتشرف به يوم القيامة: أنك أحد جنود دولة الإسلام في هذا العصر.

وكما كتبنا لك فتوى نشد فيها من أزرك في السابق أيام قتالك ضد بقايا الشيوعيين(٢)، فإننا نكتب لك اليوم هذه النصيحة ندعوك بها إلى الانضمام إلى الإمارة الإسلامية والقتال تحت رايتها، وكما كنت تحتج على من خالفك بما كتبناه لك سابقًا، فإن غيرك سيحاجك اليوم بما كتبناه لك الآن.

نسأل الله أن يؤلف بين قلوبكم، وأن يجعلنا وإياكم جنودًا مطيعين لخدمة الإسلام والمسلمين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين.

أملاه فضيلة الشيخ العلامة حمود بن عقلاء الشعيبي ١٤٢٢/٨/١١هـ

---

(١) سنن الترمذي (٢٨٦٣) وحكم الألباني صحيح .

(٢) فتوى الشيخ حمود بن عقلاء الشعيبي رحمه لحكمتيار في قتال بقايا الشيوعيين، أملاها الشيخ على الأستاذ عصام المعمر وتحتوي على توقيعات مجموعة من المشايخ ومعها بالفتوى تعليق الشيخ أبن جبرين رحمه الله والشيخ يحيى اليحيى والشيخ سليمان الثنيان والشيخ عبدالله الجلالي نشرت في جريدة شهادات التابعة للحزب الإسلامي عام ١٩٩٤م .

حكم الجهاد واستئذان الوالدين

صاحب الفضيلة الشيخ حمود بن عبد الله بن عقلاء الشعيبي

ترددت في الآونة الأخيرة عبارات تقلل من شأن الجهاد وتثبط عزائم الشباب عن هذا العمل الجليل ، ومما يزيد في الأسف أن هذه العبارات تصدر من علماء محسوبين على الصحوة الإسلامية ،

ونريد أن تبينوا لنا حكم الجهاد على ضوء الكتاب والسنة ؟

كما نرجو أن تبينوا لنا حكم استئذان الوالدين في الخروج إلى الجهاد والتدريب والإعداد ؟

نريد من فضيلتكم فتوى تفصيلية في هذا المجال ؟

الجواب:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد :

فإن من له أدنى إلمام ومعرفة بتاريخ الدول والحكومات لا يبقى لديه شك مطلقاً في أن الجهاد بأنواعه من أعظم الوسائل بل هو أعظم الوسائل مع الإيمان بالله والتوكل عليه لحماية الأمة المسلمة ومقدساتها من تطاول الأعداء عليها وطمعهم في خيراتها .

فإن العدو إذا عرف مدى استعداد المسلمين وعرف ما هم عليه من القوة القتالية والتدريب والتأهيل فإنه يحسب لمهاجمة بلاد المسلمين ألف حساب.

والعدو الكافر يدرك ما للجهاد من آثار في تغيير ميزان المعارك التي تجري بين المسلمين وأعدائهم ، ولهذا نجد الكفار باختلاف مناهجهم واتجاهاتهم يخشون الجهاد وينفرون عنه هم وعملاؤهم بكل ما يستطيعون من وسائل لأنهم يعلمون جيداً أنهم لا يستطيعون السيطرة على الأمة إذا كانت تملك وسائل الجهاد .

ولهذا نرى الدول الكافرة ومن يدور بفلكها من الحكومات العميلة يشنون حرباً شعواء على الشباب الذين يريدون الانضمام إلى إخوانهم المقاتلين في الجبهات والثغور وإذا ظفروا بأحد منهم اعتقلوه وأودعوه في غياهب السجون مدداً طويلة يلاقي فيها شتى أنواع التعذيب والإهانة .

ويلقبون المجاهدين بألقاب شائنة كالإرهابيين والمتطرفين والمتشددين ونحو ذلك ، إرهابيون ومتطرفون لأنهم يضحون بأنفسهم في قتال الصهاينة والروس والبوذيين وغيرهم وما من شك أننا وإخواننا المجاهدين إرهابيون بهذا المعنى أي : نرهب أعداء الله تنفيذاً لأمره سبحانه وتعالى حيث قال ﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ﴾(سورة الأنفال الآية:٦٠) .

وهنا سؤال يفرض نفسه وهو أنه قبل سنوات إذا أراد الشباب الذهاب للجهاد في الأفغان يلقون التشجيع والتخفيض في التذاكر وربما المساعدات المالية من بعض الدول العربية ، هذا كان في الفترة التي كان الأفغان فيها يحاربون الإتحاد السوفيتي أما الآن فالذي يريد الذهاب إلى الأفغان من الشباب للجهاد يلقون من نفس الدول العربية التي كانت تشجع على الجهاد في تلك الفترة المطاردة والاعتقال والتلقيب بالإرهابيين والمتطرفين والمتشددين فلماذا يكون هذا ؟

والجواب أن التشجيع على الجهاد في الفترة السابقة له ما يبرره عند تلك الدول المشجعة ، لأن القتال كان بين الأفغان والإتحاد السوفيتي الذي تعتبره دول الكفر كأمريكا وبريطانيا أعدى عدو لها ، أما قتال الأفغان الآن فهو ضد أمريكا وبريطانيا وأوربا كلها ، لأن هذه الدول تقف مع المعارضة في الأفغان وتدعمها بشتى أنواع الدعم من طائرات ودبابات ورجال وخبرات . إذن فالذي يذهب إلى الجهاد في الأفغان يحارب أمريكا وزميلاتها في الكفر .

وبعد هذه المقدمة القصيرة نبدأ ببيان حكم الجهاد في الشريعة الإسلامية .

فنقول :

أولا : الجهاد أنواع:

أ ـ جهاد بالنفس .

ب ـ وجهاد بالمال .

ج ـ وجهاد بالقلم واللسان .

وكذلك الأعداء الذين يجب جهادهم أنواع :

أ ـ منهم الكفرة المصرحون بكفرهم كاليهود والنصارى والملحدين وغيرهم .

ب ـ ومنهم أعداء ليسوا من هؤلاء بل هم من نوع آخر وهم المنافقون ونحوهم ممن لديهم أفكار نتنة ومبادئ هدامة ولكنهم لا يجرءون على إعلانها والتصريح بها كما يعلن الكفار كفرهم ويصرحون به.

وإذا أردت أن تعرف فضل الجهاد وأهميته فقارن بين حالة المسلمين قبل أن يشرع لهم الجهاد وحالتهم بعد أن فرض عليهم الجهاد فإنهم كانوا قبل مشروعية الجهاد مستضعفين في مكة ، وكفار قريش يؤذونهم بشتى أنواع الأذى ولا يقدرون على الدفاع عن أنفسهم ؛ الأمر الذي جعل من يريد الدخول في الإسلام يُخفى أمره ويتستر على إسلامه خوفا من أذى قريش إلا عمر بن الخطاب ﷺ فإنه عند ما أراد أن يُعلن إسلامه شهر سيفه وأعلن إسلامه ولم يبال بأحد ، أما غيره فإنه لا يجرؤ

على إعلان إسلامه خوفا من أذى قريش كما سبق .
وعندما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة وأسس الدولة الإسلامية وشُرع له الجهاد وبدأ ببعث السرايا والبعوث بدأ الناس يُهاجرون إلى المدينة ويعلنون إسلامهم ودخل كثيرون من قبائل العرب في الإسلام وقد صور الشاعر هذا المعنى بقوله :

دعا المصطفى دهرا بمكة لم يجب ـــــــــــــــــــ وقد لان منه جانب وخاطبوا
فلما دعا والسيف صلت بكفه ـــــــــــــــــــ له أسلموا واستسلموا وأنابوا

وبالجهاد قامت دولة الإسلام واتسعت حتى عم الإسلام جزيرة العرب وحتى استولى المسلمون بالجهاد على ممالك كسرى وقيصر ، وأصبحوا سادة الدنيا وقادتها .
ولأهمية الجهاد في حماية المسلمين ومقدساتهم أكثر سبحانه وتعالى من ذكره في القرآن الكريم حيث ورد فيه من آيات الجهاد ما يزيد على مائتي آية ما بين آيات تدل على فرض الجهاد ووجوبه على المسلمين ، وآيات ترغب فيه وتبين فضله وما أعده الله للمجاهدين من الثواب في الآخرة .

وكذلك النبي ﷺ حث على الجهاد ورغب فيه وحذر من القعود عنه وسأذكر طرفاً من الآيات في الجهاد والحث عليه :

١ . قال تعالى ﴿ كتب عليكم القتال وهو كره لكم ﴾(سورة البقرة آية:٢١٦) أي فرض عليكم كفرض الصيام في قوله تعالى ﴿ كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم ﴾(سورة البقرة آية:١٨٣) .
٢ . وقال تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا مالكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل إلا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا ﴾ .
٣ . إلى قوله سبحانه وتعالى ﴿ انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ﴾(سورة التوبة آية:٤١-٣٨) .
٤ . وقال سبحانه وتعالى ﴿ فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق﴾(سورة مُحَّد آية:٤) .
٥ . وقال سبحانه وتعالى ﴿ يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير ﴾(سورة التوبة آية:٧٣) .

والآيات الدالة على فرضية الجهاد على هذه الأمة ووجوبه كثيرة .

أما الآيات التي تدل على فضل الجهاد وتبين ثواب المجاهدين فكثيرة :

١ . منها قوله تعالى ﴿ إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص ﴾(سورة الصف آية:٤) إذا فالقتال في سبيل الله مقتضي لحب الله وأي مطلب أسنى وأشرف من حب الله لعباده .

٢ . وقال تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم * تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ﴾(سورة الصف آية:١١-١٠) إلى آخر الآيات .

٣ . وقال سبحانه وتعالى ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون ﴾ إلى قوله ﴿ يستبشرون بنعمة من الله وفضل ﴾(سورة آل عمران آية:١٧١-١٦٩) .

٤ . وقال تعالى ﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيَقتلون ويُقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم ﴾(سورة التوبة آية:١١١) .

ومن الآيات التي تحذر من ترك الجهاد والقعود عنه :

١ . قوله تعالى ﴿ فإذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون إليك نظر المغشي عليه من الموت ﴾(سورة محمد الآية:٢٠).

٢ . وقال تعالى ﴿ وإذا أنزلت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولوا الطول منهم وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين ﴾(سورة التوبة آية:٨٦) .

أما الأحاديث في ذلك فمنها :

١. قوله ﷺ(جاهدوا المشركين بأنفسكم وأموالكم وألسنتكم)(١)وهذا أمر منه ﷺ بالجهاد ، والأمر يقتضي الوجوب ما لم يصرفه صارف إلى الندب أو الإباحة ولا صارف هنا يصرف أمره عليه الصلاة والسلام في الجهاد من الوجوب إلى غيره .

---

(١) سنن أبي داود (٢٥٠٤) وحكم الألباني صحيح .

٢ ـ وقال ﷺ (إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلا لا يرفعه عنكم حتى تراجعوا دينكم)(١)فقوله عليه الصلاة والسلام (حتى تراجعوا دينكم) يفهم منه أنهم بارتكابهم هذه الخصال وترك الجهاد قد خرجوا من دينهم .

٣ ـ وقال ﷺ (من مات ولم يغز أو يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق)(٢)

وحكم الجهاد في وقتنا الحاضر أنه فرض عين على كل قادر عليه وقد أجمع علماء الأمة قديما وحديثا على أن الجهاد يكون فرض عين في ثلاث حالات :

الأولى : إذا حصر العدو بلدا من بلاد المسلمين أو احتلها .

والحالة الثانية : إذا حضر الصف في معركة بين المسلين والكفار .

والحالة الثالثة : إذا استنفره الإمام الشرعي .

ونحن إذا نظرنا إلى ما يجري في فلسطين وفي الشيشان وجدنا أن العدو قد احتل هذه البلدان وآذى أهلها بشتى أنواع الأذى من القتل والتدمير والسلب والنهب وانتهاك الأعراض .

إذا فيجب على الأمة الإسلامية حكاما ومحكومين كل فيما يخصه أن يهبوا لنصرة إخوانهم المضطهدين في هذه البلدان وغيرها ، وليعلنوا الجهاد ويشنوها حربا شعواء على أعداء الله في فلسطين وفي الشيشان وغيرها .

وكما تقدم أن الجهاد في سبيل الله أنواع فتارة يكون بالمال وتارة يكون باللسان وتارة يكون بالقلم وأعلى هذه الدرجات وأفضلها الجهاد بالنفس لأنه أشق على المقاتلين ، وأكثر تضحية ولأنه قد تترتب عليه الشهادة ومعلوم ما أعد الله للشهداء من الأجر والثواب ، ولأنه أشد نكاية بالعدو مما سواه من أنواع الجهاد ، ولأن ما سواه من أنواع الجهاد مكمل له والجهاد بالنفس هو الذي يرهب العدو ويحطم معنوياته وهو الذي يتحقق به النصر غالبا وتتم به حماية حوزة المسلمين والذب عن حرماتهم وقديما قيل :

السيف أصدق إنباء من الكتب______________ في حده الحد بين الجد واللعب

---

(١) سنن أبي داود (٣٤٦٢) وحكم الألباني صحيح .

(٢) صحيح مسلم ١٥٨ - (١٩١٠) .

أما الجهاد بالمال فله أهمية كبيرة إذ لا يستغني عنه المقاتلون لتأمين السلاح والذخيرة وتأمين نفقة الجند ومعالجة الجرحى وكل ما تحتاجه المعركة فهو مكمل للجهاد بالنفس .

ومن أنواع الجهاد ، الجهاد باللسان والقلم وهذا يشمل كل قول يكون من شأنه تقوية معنويات الجند ، وتحطيم معنويات العدو كالشعر والخطابة وإشاعة انتصارات المسلين وهزائم أعدائهم ، ومن ذلك رفع الأصوات بالتكبير والذكر عند الحملة على العدو وتحميس الجيوش وتشجيعهم ووعدهم بالانتصارات وهزيمة أعدائهم ، وكذلك الدعاء لهم بالنصر والتأييد .

ومن أقوى الوسائل في العصر الحاضر لهذا النوع من الجهاد الإعلام فإن كل من له أدنى إلمام بالإعلام يدرك أن له آثارا بعيدة في تغيير الموازين بالنسبة للمعارك التي تجري بين المسلين وأعدائهم لما يشتمل عليه الإعلام من نشر لانتصارات المسلمين على أعدائهم وتأييد لهم وإظهار بطولاتهم والثناء عليهم لأن هذه الأمور من شأنها أن تشد أزر المجاهدين وتحملهم على أن يتفانوا في طلب النصر وهزيمة الأعداء ، ولذا كان الرسول ﷺ يهتم بهذا النوع من الجهاد . أي الجهاد باللسان . فيأمر شعراء المسلمين كحسان وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك بأن يهجوا خصومه من الكفار كما جاء عند مسلم من حديث عائشة أنه ﷺ قال : (ثم اهجوا قريشا فإنه أشد عليها من رشق بالنبل) وقال ﷺ لحسان (اهجهم وروح القدس معك) وقال لحسان (إن روح القدس لا يزال يؤيدك ما نافحت عن رسول الله ﷺ)(١) .

هذا إذا كان الإعلام صادقا والقائمون عليه مخلصون لدينهم وأمتهم أما إذا كان الإعلام على ما هو عليه الآن يهتموا بشؤون تافهة بعيدة عن الجهاد وأحوال المجاهدين .

وإنك إذا تأملت أي وسيلة من وسائل الإعلام في هذا العصر سواء المرئية منها والمسموعة والمقروءة لا تجد فيها عرضا لقضايا المسلمين المضطهدين من قبل أعداء الله وأعدائهم سواء في ذلك قضية الفلسطينيين التي مازالوا منذ أكثر من خمسين عاما وهم يعانون من غطرسة الصهاينة واعتداءاتهم على هذا الشعب الأعزل بالتقتيل والاعتقالات وانتهاك الحرمات .

وكذلك غطرسة الروس الملاحدة في الشيشان منذ أكثر من عشر سنوات وممارسة الجرائم في حق هذا الشعب المسلم من تقتيل وتدمير وانتهاك للحرمات و إذا تتبعت وسائل الإعلام في العالم العربي والإسلامي وجدت أنها في شغل شاغل عن هذه القضايا وأمثالها ووجدت جل اهتمام القائمين على الإعلام في هذه البلدان بعرض الأمور التي لا تمت إلى قضايا الإسلام والمسلمين

---

(١) صحيح مسلم ١٥٧ - (٢٤٩٠)

بحال وإنما هي عبارة عن عرض للحفلات الغنائية والمباريات الرياضية وكذلك عرض للصور الخليعة والمسلسلات الهابطة وكذلك كيل المدح والإطراء للحكام والقادة ونسبة البطولات والتبرعات بالأموال التي لا وجود لها في الحقيقة إلا على الورق وألسنة المذيعين وكذلك أخبار الحل والترحال والمقابلات واللقاءات للقادة .

ومن أنواع الجهاد التي يجب على المسلمين القيام بها مقاطعة الدول المعتدية الداعمة لها فيجب على المسلمين حكاما ومحكومين مقاطعة دولة الصهاينة مقاطعة كاملة سياسيا واقتصاديا وتجاريا.
ومن الضروري جدا في هذا المجال إعادة المقاطعة العربية التي كانت قائمة قبل خدعة السلام والتي كانت تخسر دولة اليهود في مقتضاها ثلاثة مليارات دولار وتخسر الشركات الداعمة لليهود من شركات يهودية وغيرها عشرات المليارات ومن المؤسف أن إعادة المقاطعة العربية لليهود طرحت في مؤتمر القمة في عمان ولم يوافق عليها إلا دولة واحدة هي صاحبة الاقتراح أما بقية الدول فقد عارضت هذا الاقتراح خشية من سخط أمريكا . وإذا كنا نعلم يقينا أن اليهود ما كانت لتثبت أقدامهم في فلسطين لولا دعم أمريكا لها بالمال والسلاح والوقوف إلى صفها في المحافل الدولية ، إذا كنا نعلم هذا يقينا كان من المتحتم علينا نحن المسلمين والعرب أن نقاطع هذه الدولة الكافرة المعتدية . أي أمريكا . مقاطعة كاملة بحيث لا نستورد منها شيئا البتة لامصنوعات ولا مأكولات ولا مشروبات ونمنع تصدير منتجاتنا إليها مطلقا لا البترول ولا غيره مما هو متوفر في بلادنا .
كما نرى أنه أصبح اليوم حتما على القادة أن يوجهوا رسالة جادة إلى هذه الدولة الكافرة أمريكا تتضمن تهديد مصالحها الكثيرة الموجودة في الدول العربية والإسلامية فإنها لا ترعوي ولا ترجع إلى صوابها إلا إذا شعرت بخطر يهدد مصالحها لأن مصالحها أهم عندها من دولة الصهاينة .
ونحن لا نريد من أمريكا أن تنحاز إلى قضايانا لأنها عدو ، والعدو لا يتوقع منه أن ينحاز لعدو كما قيل:

كل العداوات قد ترجى مودتها ـــــــــــــــــــ إلا عداوة من عاداك في الدين

وإنما نريد منها أن تقف على الحياد وتتخلى عن دعمها المطلق ليهود فلسطين وقد سبق أن أشرت في النداء الذي وجهته لقادة العرب والمسلمين كنصيحة أن الشعوب العربية والإسلامية قد سئمت من الأساليب التي تتخذ لمقاومة اليهود من الشجب والاستنكار والتنديد لما تقوم به عصابات يهود من تقتيل وتدمير وتخريب والآن لا أخفي أن الشعوب يلحون على بعض العلماء لإصدار فتاوى تتضمن الإذن لهم بالتصرف بأنفسهم ولكن العلماء مازالوا يأملون في أن يقوم القادة

بواجبهم ويقودوا شعوبهم بجد وعزيمة للقضاء على ممارسات الدول الكافرة على الشعوب المسلمة وأن ينفضوا عن رؤوسهم غبار الكسل والتخاذل وأن يقطعوا جميع صلاتهم بالدول المعتدية ليسجل لهم ذلك التاريخ بأحرف من نور.

فإن المجد والعزة والنصر لا يحصل إلا بهذا أما الركون إلى الدنيا ونعيمها ولذاتها وجعل ذلك هو المطلوب فهذا لا عزة فيه ولا مجد ولا نصر بل فيه الذل والهوان.

أما الشق الثاني من السؤال : وهو ما يتعلق باستئذان الوالدين أو أحدهما في الخروج للإعداد أو الجهاد ؟

فالجواب :

أما الخروج للإعداد فلا يلزم فيه إذن الوالدين ولا أحدهما ولا الغريم لأن الله سبحانه وتعالى أمرنا به وأوجبه علينا فقال ﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم ﴾(سورة الأنفال الآية:٦٠) وهذا أمر منه سبحانه وتعالى لعباده بالإعداد للعدو والتدرب على فنون القتال والأمر يقتضي الوجوب ما لم يصرفه صارف إلى الندب أو الإباحة .

أما الخروج للجهاد فهذا يختلف حكمه مع اختلاف فرضية الجهاد:

فإذا كان الجهاد فرض عين وجب النفير على كل قادر عليه ولا يستطيع الوالدان أو أحدهما منع الولد من الخروج بل ولا يحل لهما ذلك .أما إذا كان الجهاد فرض كفاية يقوم به من الأمة من يكفي لدحر العدو فهذا هو الذي يُستأذن فيه الوالدان والغريم وهذا هو الذي يُحمل عليه قوله ﷺ للذي استأذنه في الخروج للجهاد (أحي والداك ؟ قال نعم قال ارجع ففيهما فجاهد)(١).

هذا ونرجو الله أن يقيض لهذه الأمة المسلمة قادة يطبقون نصوص الشريعة في قيادتهم لأممهم لما فيه خيرهم في دنياهم وأخراهم في حالة الحرب والسلم إنه على كل شيء قدير .

وصلى الله على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أملاه فضيلة الشيخ

أ . حمود بن عقلاء الشعيبي

١٤٢٢/٦/١٣هـ

---

(١) صحيح البخاري (٣٠٠٤) .

بسم الله الرحمن الرحيم

حكم استئذان الوالدين في الخروج للجهاد

فضيلة الشيخ حمود بن عقلاء الشعيبي .. سلمه الله

كثر السؤال عن حكم استئذان الوالدين في الخروج للجهاد فما هو الحق في ذلك؟

وجزاكم الله خيرًا ..

الجواب:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا مُحَّد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

فحكم استئذان الوالدين في الجهاد يختلف باختلاف حالات وجوب الجهاد، فإن الجهاد إذا كان فرض كفاية، بحيث تكون قوة المسلمين مقاومة للعدو، قادرة على دفعه .. فهذه المسألة هي التي يُستأذن الوالدان فيها، وهذه التي ينطبق عليها قول النبي عليه الصلاة والسلام (ففيهما فجاهد)(١) . وأما إذا كان الجهاد فرض عين فاستئذان الوالدين فيه له حالات:

الحالة الأولى: إذا كان الوالدان أو أحدهما عاجزًا عن خدمة نفسه وليس له ولد يقوم على خدمته، فهذه الحالة لا بد فيها من إذن الوالدين.

الحالة الثانية: إذا كان الوالد أو الوالدة أو كلاهما يقدر على خدمة نفسه وقضاء حوائجه بنفسه والعدو محاصر للمسلمين في أي بلد من بلدان العالم الإسلامي، ففى هذه الحالة لا يُستأذن الوالدان، لأن المصلحة المترتبة على خروجه للجهاد أكبر من المصلحة المترتبة على خدمة والديه وهما قادران، لأن بلاد العالم الإسلامي واحدة، سواء في الشيشان أو داغستان أو كشمير أو الصومال ..

يقول شيخ الإسلام ابن تيميه -رحمه الله تعالى- في الاختيارات الفقهية (ص ٣١١): وإذا دخل العدو بلاد الإسلام فلا ريب أنه يجب دفعه على الأقرب فالأقرب، إذ بلاد الإسلام كلها بمنزلة البلدة الواحدة، وأنه يجب النفير إليه بلا إذن والد ولا غريم.

نسأل الله سبحانه أن يعز دينه ويعلي كلمته.

وصلى الله على نبينا مُحَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

حمود بن عقلاء الشعيبي

١٢/ ٨/ ١٤٢٠ هـ

---

(١) صحيح البخاري (٣٠٠٤) .

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بيان لفضيلة الشيخ حمود بن عقلاء الشعيبي في دعم الإمارة الإسلامية في أفغانستان وتعجيل الزكاة لها

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا مُحَّد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد:
فأوجه هذه الكلمات إلى محبي الخير في هذا الشهر الكريم:

أيها الإخوة المسلمون إن إخوانكم المجاهدين في الإمارة الإسلامية في افغانستان يقاومون دول الكفر مجتمع بقيادة أمريكا وبريطانيا وتعلمون ضعف حالتهم المادية وقلة مواردهم وتعلمون أن نصرتهم واجبة على كل مسلم حسب قدرته ولا أقل من نصرتهم ودعمهم بالمال الذي هو في أمس الحاجة إليه إذا لم يمكن دعمهم بالنفس، وقد كانوا قبل نشوب الحرب مضيّق عليه بالحصار الاقتصادي فما بالكم اليوم وقد انضم إلى هذا الحصار الاقتصادي حالة الحرب بتقتيله وتشريده وهتكه للأعراض، وفي مقابل هذا الحصار والحرب على الشعب المسلم تنعم المنظمات التنصيرية بدعم لا مثيل له لنشر دعواتهم الكفرية ودعواتهم المشوهة للإسلام والجهاد.

ودیننا القويم يدعوا إلى التعاون بين المسلمين والتكاتف كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ﴾(سورة المائدة آية:٢) وقال عليه الصلاة والسلام:(مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر جسد بالسهر والحمى)(١) ،وقال عليه الصلاة والسلام: من نفس عن مسلم كربة من كرب الدنيا نفس الله عن كربة من كرب يوم القيامة والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه (٢).

إن كل ما تبذله أخي المسلم من مال سواء في ذلك الزكاة الواجبة أو الصدق التطوعية نحتسب على الله أن يجعله في موازين أعمالك، علمًا أنه يجوز تعجيل الزكاة التي لم تحل إلى هذا الوقت، كما نوصي الأخوة المتبرعين بالتحري بتسليم الأموال للجهات الموثوقة.

نسأل الله أن ينصر الإسلام والمسلمين وأن يذل الكفار والمنافقين، وصلى الله على نبينا مُحَّد وعلى آله وصحبه أجمعين ..

أملاه أ . حمود بن عقلاء الشعيبي

١٥/ ٩/ ١٤٢٢ هـ

---

(١) صحيح مسلم (٢٥٨٦) .

(٢) سنن أبي داود (٤٩٤٦) وحكم الألباني صحيح .

معنى الإرهاب وحقيقته

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا مُحَّد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد :

فقد كثر الكلام في تحديد الإرهاب واضطربت الآراء والمصطلحات على إيضاح مفهوم الإرهاب ، وعلى الرغم من كثرة التعريفات والحدود التي وضعت لمعنى الإرهاب فلم نقف على حد جامع مانع لحقيقة الإرهاب ، وكل تعريف لحقيقة ما لا يكون مطردا منعكسا – أي جامع مانع – فإنه لا يعتبر تعريفا صحيحا ومع أن كثيرين من الباحثين في هذا الموضوع قد ذكروا من التعاريف للإرهاب ما يزيد على مائة تعريف إلا أنها تخلوا كلها من أن تحدد مفهوم الإرهاب تحديدا دقيقا يستطيع القارئ أن يفرق به بين الإرهاب وغيره، ولكي تعرف أن كل ما ذكر من تعاريف للإرهاب لم تكن كافية لتحديد مفهومه تحديدا لا يختلف فيه أحد ، وسأذكر لك نماذج مما قيل في تعريف الإرهاب:

١- الإرهاب هو الأعمال التي من طبيعتها أن تثير لدى شخص ما الإحساس بالخوف من خطر ما بأي صورة .

٢- الإرهاب يكمن في تخويف الناس بمساعدة أعمال العنف .

٣- الإرهاب هو الاستعمال العمدي والمنتظم لوسائل من طبيعتها إثارة الرعب بقصد تحقيق أهداف معينة .

٤- الإرهاب عمل بربري شنيع .

٥- هو عمل يخالف الأخلاق الاجتماعية ويشكل اغتصابا لكرامة الإنسان .

وإنك أيها القارئ إذا قمت بتحليل هذه التعريفات المذكورة لتتمكن من تحليلها بغرض تحديد درجة دقتها وقياس مدى إمكانية الاعتماد عليها في عملية وصف وضبط وتحديد ما يمكن تسميته بالعمل الإرهابي أدركت أن كلاً منها لا يكفي لبيان مفهوم الإرهاب بياناً جلياً واضحاً تتوفر فيه شرط التعريف والحد لأن كلاً منها إما جامع غير مانع وإما مانع غير جامع وإما ليس جامعا ولا مانعا وهذا الاختلاف في تعريف الإرهاب راجع لاختلاف أذواق الدول ومصالحها وأيديولوجياتها فكل دولة تفسر الإرهاب بما يلائم سياستها ومصالحها سواء وافق المعنى الصحيح للإرهاب أو خالفه لأجل هذا تجد عملاً يقوم به جماعة من الناس أو الأفراد يطلق عليه أنه عمل إرهابي وتجد عملاً مثله أو أفظع منه يقوم به جماعة آخرون لا يعتبر إرهابا وسأذكر مثالاً واحدا على ذلك :

موضوع فلسطين : منذ أكثر من (٥٠ سنة) والصهاينة الحاقدون يسومون إخواننا الفلسطينيين سوء العذاب من قتل وتشريد وتدمير وهدم للبيوت على أهلها ويعتبر هذا العمل في نظر أبناء القردة والخنازير وأسيادهم الصليبيين في أمريكا وأوربا دفاعا عن النفس وما يقاوم به هؤلاء المضطهدون بالحجارة ونحوها يعتبرإرهابا وعنفا .

إذا تقرر هذا فاعلم أن التعريف الصحيح للإرهاب على ضربين :

١- تعريفه من حيث اللغة العربية .

٢- تعريفه من حيث الشرع .

أما من حيث اللغة فالإرهاب مصدر أرهب يرهب إرهاباً من باب أكرم وفعله المجرد (رَهِب) ، والإرهاب والخوف والخشية والرعب والوجل كلمات متقاربة تدل على الخوف إلا أن بعضها أبلغ من بعض في الخوف وإذا تتبعنا هذه المادة في القرآن الكريم مادة رَهِبَ أو أرهب وجدناها تدل على الخوف الشديد قال تعالى (وإياي فارهبون)(سورة البقرة آية:٤٠) أي خافوني ، وقال تعالى (ويدعوننا رغبا ورهبا)(سورة الأنبياء آية:٩٠) أي طمعا وخوفا ، وقال تعالى (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم)(سورة الأنفال آية:٦٠) أي تخيفونهم .

قال ابن جرير : يقال منه أرهبت العدو ورهبته فأنا أرهبه وأرهِبه إرهابا وترهيبا وهو الرهب والرهب ومنه قول طفيل الغنوي :

ويل أم حي دفعتم في نحورهم ... بني كلاب غداة الرعب والرَّهَب

أي الخوف .

وقال ابن جرير : حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة (واضمم إليك جناحك من الرهب) أي من الرُعب (١) وهذا التفسير للرَّهب بالرعب يدل على أن الرعب مرادف للرّهب وأن معناهما الخوف الشديد يؤيد هذا قوله ﷺ :(نصرت بالرعب مسيرة شهر)(٢) أي بالخوف . هذا نموذج مختصر لبيان معنى الإرهاب في لغة العرب .

---

(١) تفسير الطبري ص٣٨٩/ ج٢٠.

(٢) صحيح البخاري (٣٣٥) .

أما مفهوم الإرهاب في الشرع : فهو قسمان :

اولا : قسم مذموم ويحرم فعله وممارسته وهو من كبائر الذنوب ويستحق مرتكبه العقوبة والذم وهو يكون على مستوى الدول والجماعات والأفراد وحقيقته الاعتداء على الآمنين بالسطو من قبل دول مجرمة أو عصابات أو أفراد بسلب الأموال والممتلكات والاعتداء على الحرمات وإخافة الطرق خارج المدن والتسلط على الشعوب من قبل الحكام الظلمة من كبت الحريات وتكميم الأفواه ونحو ذلك .

ثانيا : إرهاب مشروع شرعه الله لنا وأمرنا به وهو إعداد القوة والتأهب لمقاومة أعداء الله ورسوله قال تعالى (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم)(سورة الأنفال آية:٦٠) فهذه الآية الكريمة نص في أنه يجب على المسلمين أن يبذلوا قصارى جهدهم في التسليح وإعداد القوة وتدريب الجيوش حتى يَرهبهم العدو ويحسب لهم ألف حساب وهذا أعني وجوب الإعداد للمعارك مع العدو أمر مجمع عليه بين علماء المسلمين سواء كان الجهاد جهاد دفع أو جهاد طلب لكن ينبغي أن يُعلم أن مجرد القوة المادية من سلاح وعدة وتدريب لا يكفي لتحقيق النصر على الأعداء إلا إذا انظم إليه القوة المعنوية وهي قوة الإيمان بالله والاعتماد عليه والإكثار من الطاعات والبعد عن كل ما يسخط الله من الذنوب والمعاصي فالمستقرئ للتاريخ يدرك صدق هذه النظرية قال تعالى (كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين)(سورة البقرة آية:٢٤٩) وقال تعالى (لقد نصركم الله في موطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغني عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين)(سورة التوبة آية:٢٥) ولما كتب قائد الجيش في غزوة اليرموك لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ وقال في كتابه : إنا أقبلنا على قوم مثل الرمال فأَمِدَّنا بقوة وأمدنا برجال فكتب له عمر ﷺ : (بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ من عبد الله عمر بن الخطاب إلى قائد الجيش فلان بن فلان أما بعد : فاعلم أنكم لا تقاتلون عدوكم بقوتكم ولا بكثرتكم وإنما تقاتلونهم بأعمالكم الصالحة فإن أصلحتموها نجحتم وإن أفسدتموها خسرتم فاحترسوا من ذنوبكم كما تحترسون من عدوكم) .

والأمثلة التي تدعم هذه النظرية كثيرة في التاريخ منها معركة اليرموك اذ كان العدو متفوقا على المسلمين من حيث العدد والعدة ، حيث بلغ على حسب احدى الروايات مائة وعشرين ألف مقاتل من الروم مسلح بأسلحة حديثة كالمنجنيقات وقاذفات اللهب وغيرها ، وعدد المسلمين

بضعة آلاف وعدتهم بدائية كالسيوف والرماح ، ومع هذا انتصر المسلمون على اعدائهم لتحقق القوة المعنوية وهي الإيمان بالله والتوكل عليه .

هذا هو المفهوم الحقيقي للإرهاب لكن أعداء الله وأعداء رسله ودينه من الصليبية الحاقدة والصهيونية المجرمة لمفهوم الإرهاب عندهم معنى آخر فمفهوم الإرهاب عند هؤلاء الكفرة هو : الإسلام والجهاد والإرهابيون هم المسلمون المجاهدون ، لأجل هذا اجتمع كفار الأرض قاطبة على حرب الإمارة الإسلامية في الأفغان بحجة محاربة الإرهاب ، على الرغم من أنه لا يوجد دليل بل ولا قرينة تربط العمليات التي جرت في أمريكا بهذه الإمارة الإسلامية ولا بأسامة بن لادن، والصليبيون والصهاينة يعلمون علم اليقين بأن العمليات التي جرت في نيويورك وواشنطن قامت بها عصابات صهيونية أو مسيحية متطرفة لكنهم رأوا النهضة الإسلامية في أفغانستان وأرهبهم تطبيق أحكام الشريعة في تلك الإمارة فخافوا أن يتسع المد الإسلامي في الدول المجاورة للأفغان فقاموا بهذه الحملة الإرهابية التي استعملوا فيها أنواع السلاح المحرم دوليا كالقنابل العنقودية والقنابل الانشطارية وغيرها التي قتلوا بها الآلاف من المدنيين من رجال ونساء وأطفال ، وإن كل من يعرف شدة عداوة الكفار للإسلام والمسلمين لا يستغرب ذلك لأن الله سبحانه وتعالى يقول (ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا)(سورة البقرة آية:٢١٧) وإنما الذي يستغرب وقوف كثيرين من حكام العرب والمسلمين وبعض علماء المسلمين مع هؤلاء الكفرة وتأييدهم في حربهم للمسلمين في الأفغان من غير أن يقفوا على دليل يربط بين العمليات التي جرت في أمريكا وبين حكومة الطالبان ومن غير أن يفهموا معنى الإرهاب الذي تعنيه أمريكا وزميلاتها في الكفر .

إن كل من يقرأ ما كتبتُه في هذا الموضوع يظن أن الهدف الوحيد للصليبيين في شن غاراتهم على الأفغان القضاء على الإسلام والجهاد فقط .. والواقع أن هذا هو الهدف الرئيسي لهم لكن هناك أهداف أخرى يهدفون إليها من وراء هذه الحملة منها طمعهم في السيطرة على المنشآت النووية في هذه المنطقة كالمفاعلات النووية في باكستان ، لأن امتلاك المسلمين للسلاح النووي يعد خطرا عليهم ويهدد مصالح الصليبية والصهيونية ، وليس ببعيد عنا تدمير الصهيونية للمنشآت النووية في العراق وكذلك محاولتهم في الوقت الحاضر مع أمريكا بتدبير المؤامرة لضرب المفاعلات النووية الباكستانية .

ومن أهدافهم أيضا بسط النفوذ على حقول البترول في آسيا الوسطى وغير ذلك من أهدافهم القذرة التي يريدون بواسطتها بسط نفوذهم على العالم ، وإلا فالعالم مليء من العصابات الإرهابية المنظمة في أمريكا الجنوبية كالعصابات المنظمة في البيرو والارجنتين وكلمبو وفي أمريكا الشمالية

وفي أوربا في اسبانيا وإيطاليا وفي روسيا وفي غيرها ، فلماذا لم يشنوا غاراتهم وحربهم على هذه البلاد التي توجد فيها هذه العصابات الإرهابية المجرمة المنظمة .أما من ناحية الإرهاب الدولي فالصهيونية في فلسطين وأمريكا في افغانستان الصرب قبل ذلك في البوسنة والهرسك وكوسوفا .
هذا ونسأل الله أن يوفق جميع المسلمين للعمل بما في كتابه وسنة نبيه ﷺ وأن يجنبهم العمل بما يخالف تعاليم الشريعة المطهرة وصلى الله على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أملاه فضيلة الشيخ
أ . حمود بن عقلاء الشعيبي
٥/ ٩ / ١٤٢٢ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

حكم الجهاد في الشيشان وواجب المسلمين تجاههم

فضيلة الشيخ حمود بن عقلاء الشعيبي حفظه الله من كل سوء

ما حكم القتال مع إخواننا في الشيشان، وما واجب المسلمين تجاههم؟

الجواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبيه الأمين أما بعد :

فقبل الجواب عن السؤال لا بد من ذكر لمحة قصيرة تبين مكانة الجهاد في الإسلام وفضله فأقول : الجهاد ركن من أركان الإسلام وأصل من أصوله، لا يستقيم الدين ولا يأمن المسلمون من كيد أعدائهم إلا بإقامته ، وما استولى المسلمون على مشارق الأرض ومغاربها في عصر مضى إلا بالجهاد ، علما أن الجهاد من أحب الأعمال إلى الله سبحانه وتعالى وإلى رسوله ﷺ ، يقول الله عز وجل (إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص)(سورة الصف آية:٤) والجهاد كما أنه سبب لمحبة الله فهو سبب لغفران الذنوب ودخول الجنة ، قال عز وجل (يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم * تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون * يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم)(سورة الصف آية:١٢-١٠) ، فأي عمل أفضل من عمل يكون سببا لحب الله تعالى ورسوله وغفران الذنوب ودخول الجنة، ولو لم يرد في فضل الجهاد والترغيب فيه إلا قول الرسول عليه الصلاة والسلام (لغدوة أو روحة في سبيل الله خير مما تطلع عليه الشمس وتغرب)(١) لكفى .

وما ترك قوم الجهاد إلا أصيبوا بالذل والهوان حتى يراجعوا دينهم ويقيموا الجهاد ، قال عليه الصلاة والسلام (إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلا لاينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم)(٢).

---

(١)صحيح البخاري (٢٧٩٣).

(٢) سنن أبي داود رقم (٣٤٦٢) وحكم الألباني صحيح .

أما الجواب عن السؤال ، فالسؤال ذو شقين :

عن حكم الجهاد مع إخواننا في الشيشان ، فأقول : القتال مع إخواننا في الشيشان واجب وجوبا عينيا على كل قادر عليه حتى يوجد من يكفي لمقاومة الأعداء ، فإذا تحقق ذلك أصبح الجهاد معهم فرض كفاية.

عن واجب المسلمين تجاههم : فالإسلام يوجب على أهله الاهتمام بإخوانهم والحرص على دفع الشر عنهم وموالاتهم ونصرتهم، قال سبحانه وتعالى(وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر) (سورة الأنفال آية:٧٢) وقال عليه الصلاة والسلام (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)(١) وقال عليه الصلاة والسلام (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا)(٢) ثم شبك بين أصابعه .

فإذا عرفت هذه النصوص التي قدمناها من حثه سبحانه وتعالى على الجهاد وترغيب الرسول صلى الله عليه وسلم فيه وكان ما يلاقيه إخواننا في تلك البلاد من قتل وتشريد وهتك للأعراض ونكبات وإذلال لهم غير خاف عليك، أدركت أن واجب المسلمين حكاما وحكومات وشعوبا هو شد أزر أولئك المجاهدين ونصرتهم وإعانتهم ورفع الضر عنهم بكل ما أوتوا من قوة، وإذا تخلى المسلمون عن نصرة إخوانهم المجاهدين فسيضطر المجاهدون إلى طلب العون من أعدائهم كالهيئات الدولية الكافرة والبعثات التنصيرية الحاقدة كالصليب الأحمر وغيره.

والنصرة والإغاثة تكون بالنفس وبالمال وباللسان :

فهو بمباشرة القتال للقادر عليه كما أسلفنا والانضمام إلى صفوف المجاهدين .

فهو لا تقل أهميته على الجهاد بالنفس بل هو متوقف عليه، فإن توفر المال لدى المجاهدين يمكنهم من تأمين احتياجاتهم مما تتطلبه حالة الحرب من عدة وسلاح وذخيرة وغير ذلك ، كما أن المجاهدين في حاجة ماسة إلى المال في مجالات أخرى كعلاج الجرحى وتأمين الطعام والشراب والكساء والغطاء وغير ذلك من متطلبات الحياة التي تفرضها عليهم حالة الحرب لاسيما في تلك البلدان الشديدة البرودة.

ولأهمية الجهاد بالمال حث الله سبحانه وتعالى عليه في كتابه العزيز وقدمه بالذكر على الجهاد بالنفس كقوله تعالى (تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم)(سورة الصف آية:١١)

---

(١) صحيح مسلم (٢٥٨٦) .

(٢) صحيح مسلم (٢٥٨٥) .

وقال أيضا (إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض)(سورة الأنفال آية:٧٢) وقال أيضا (انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم)(سورة التوبة:٤١)

وقال عليه الصلاة والسلام (جاهدوا المشركين بأموالكم وأيديكم وألسنتكم)(١) إلى آخر النصوص الدالة على تقديم الجهاد بالمال على النفس.

فيشمل أمورا كثيرة منها ما يتعلق بالخطابة والإعلام مما يتضمن شرح أحوال المجاهدين وإيضاح ما يحصل لهم من انتصارات على العدو وبيان شراسته وفظاعة ما يلاقيه إخواننا من هجمات حاقدة تستهدف القضاء عليهم وحرق بلادهم وتشريد شعبهم وتوضيح ما تتناقله أيضا وسائل الإعلام الكافرة من أخبار مزيفة لا تمت إلى الحقيقة بصلة.

ومن مجالات الجهاد باللسان أيضا الدعاء للمجاهدين بالنصر والتأييد وإعلاء كلمة الله التي يقاتلون من أجلها، وكذلك على أعدائهم بالهزيمة والخذلان والتدمير.

وإن مما يؤسف له أن بعض الجهات الإسلامية تحاول منع من يريد الذهاب إلى تلك الجبهات الساخنة من شباب الأمة المتعطش للجهاد ونصرة إخوانهم المجاهدين، فتضع العراقيل في طريق وصولهم، وربما يقبض على من يحاول الوصول إلى هناك ويودع في السجون لا لشئ إلا لأنه يريد أن يقاتل في سبيل الله فحسبنا الله ونعم الوكيل ، نسأل الله تعالى أن ينصر دينه ويعلي كلمته إنه على كل شئ قدير وصلى الله على مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلم .

أملاه فضيلة الشيخ

أ. حمود بن عقلاء الشعيبي

بريده ١٤٢٠/٨/٢هـ

---

(١) سنن النسائي (٣٠٩٦) وحكم الألباني صحيح .

الموقف الشرعي تجاه الجهاد في الفلبين

فضيلة الشيخ حمود بن عقلاء الشعيبي

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد ؛

في كل بلاد المسلمين مأساة ومعاناة ، وهناك معارك ضارية في الفلبين بكل قواها البحرية والجوية والبرية بين دولة الفلبين النصرانية وجبهة تحرير مورو الإسلامية التي يقودها العالم الرباني الشيخ سلامات هاشم منذ أكثر من عشرين سنة وهو بين كر وفر ، وإن هذه الحكومة الفلبينية الصليبية هدفها القضاء على تواجد المسلمين في منطقة مورو ، وقد قامت الحكومة النصرانية بترحيل المسلمين إلى الشمال لتذويب هوية المسلم وترحيل النصارى إلى الجنوب حيث يوجد المسلمون ، وإذا كان دور المسلمين متجها لنصرة إخوانهم وبذل أموالهم لنصرة الدين وعون المجاهدين ...

فما هو موقف المسلم تجاه القضية الجهادية الفلبينية ؟

الجواب:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلم أما بعد؛

أما موقف المسلم تجاه القضية الجهادية الفلبينية فيجب أن يكون موقفا يرضي الله ورسوله ، ومن أعظم تلك المواقف هي النصرة والتأييد والإعانة بالنفس والمال واللسان بما يستطيعه المسلم ، حيث الإسلام يوجب على أهله الاهتمام بإخوانهم المسلمين والحرص على دفع الشر عنهم وموالاتهم ونصرتهم . قال تعالى: ﴿ وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر ﴾(سورة الأنفال آية:٧٢) ، وقال تعالى : ﴿ انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ﴾(سورة التوبة آية:٤١) ، وقال عليه الصلاة والسلام : (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)(١)، وقال عليه الصلاة والسلام (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ، ثم شبك بين أصابعه)(٢) ..

فإذا عرفت هذه النصوص التي قدمناها من حثه سبحانه وتعالى على الجهاد وترغيب الرسول صلى الله عليه وسلم فيه ، وكان ما يلاقيه إخواننا في تلك البلاد من قتل وتشريد وهتك للأعراض وتهجير ومحو للهوية وللوجود الإسلامي أدركت أن واجب المسلمين حكاما وحكومات وشعوبا وجماعات وهيئات وتجارا هو شد أزر أولئك المجاهدين ونصرتهم وإعانتهم ورفع الضر عنهم بما يستطيعون ..

---

(١) صحيح مسلم (٢٥٨٦) .

(٢) صحيح البخاري (٦٠٢٦) .

وأيضا من المواقف المطلوبة النصرة والإغاثة بالنفس والمال وباللسان ؛ فبالنفس قوله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم * تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ﴾سورة الصف آية:(١١-١٠) ، أما المال واللسان فقوله عليه الصلاة والسلام : (جاهدوا المشركين بأموالكم وأيديكم وألسنتكم)(١)الحديث..

ومن مجالات الجهاد باللسان ما يتعلق بالخطابة والإعلام مما يتضمن شرح أحوال المجاهدين وإيضاح ما يحصل لهم من انتصارات على العدو ، ونشر قضيتهم المنسية في المنتديات والمجالس والمساجد وفي كل مكان .. وهذا هو الواجب على الإعلام : أن يهتم بقضية المجاهدين في الفلبين وغيرها وإيضاح حقيقتهم بدلا من شغل الوقت بالحفلات الغنائية والرياضية وكيل المدح للآخرين من حكام وغيرهم ، وبيان شراسة وفظاعة ما يلاقيه إخواننا من هجمات حاقدة تستهدف القضاء عليهم وحرق بلادهم وتهجيرهم .

ومن المجالات أيضا الدعاء والقنوت لهم بالنصر والتأييد وإعلاء كلمة الله التي يقاتلون من أجلها ، وكذلك الدعاء على أعدائهم بالهزيمة والخذلان والتدمير ..

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

أملاه : أ. حمود بن عقلاء الشعيبي

١٤٢١/٨/٢هـ

---

(١) سنن النسائي (٣٠٩٦) وحكم الألباني صحيح .

حكم العمليات الاستشهادية

فضيلة الشيخ حمود بن عقلاء الشعيبي حفظه الله من كل سوء

يقوم المجاهدون في فلسطين والشيشان وغيرهما من بلاد المسلمين بجهاد أعدائهم والإثخان بهم بطريقة تسمى العمليات الاستشهادية .

وهذه العمليات هي ما يفعله المجاهدون من إحاطة أحدهم بحزام من المتفجرات، أو ما يضع في جيبه أو أدواته أو سيارته بعض القنابل المتفجرة ثم يقتحم تجمعات العدو ومساكنهم ونحوها ، أو يظهر الاستسلام لهم ثم يقوم بتفجير نفسه بقصد الشهادة ومحاربة العدو والنكاية به .

فما حكم مثل هذه العمليات ؟ وهل يعد هذا الفعل من الانتحار ؟ وما الفرق بين الانتحار والعمليات الاستشهادية ؟ جزاكم الله خيرا وغفر لكم ..

الجواب:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد:

قبل الإجابة على هذا السؤال لابد أن تعلم أن مثل هذه العمليات المذكورة من النوازل المعاصرة التي لم تكن معروفة في السابق بنفس طريقتها اليوم ، ولكل عصر نوازله التي تحدث فيه ، فيجتهد العلماء على تنزيلها على النصوص والعمومات والحوادث والوقائع المشابهة لها والتي أفتى في مثلها السلف ، قال تعالى : ﴿ ما فرطنا في الكتاب من شيء ﴾(سورة الأنعام آية:٣٨) وقال عليه الصلاة والسلام عن القرآن : (فيه فصل ما بينكم) .

وإن العمليات الاستشهادية المذكورة عمل مشروع وهو من الجهاد في سبيل الله إذا خلصت نية صاحبه وهو من أنجح الوسائل الجهادية ومن الوسائل الفعّالة ضد أعداء هذا الدين لما لها من النكاية وإيقاع الإصابات بهم من قتل أو جرح ولما فيها من بث الرعب والقلق والهلع فيهم ، ولما فيها من تجرئة المسلمين عليهم وتقوية قلوبهم وكسر قلوب الأعداء والإثخان فيهم ولما فيها من التنكيل والإغاظة والتوهين لأعداء المسلمين وغير ذلك من المصالح الجهادية .

ويدل على مشروعيتها أدلة من القرآن والسنة والإجماع ومن الوقائع والحوادث التي تنزّل عليها وردت وأفتى فيها السلف كما سوف نذكره إن شاء الله .

أولا : الأدلة من القرآن

١- منها قوله تعالى : ﴿ ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله والله رءوف بالعباد ﴾ (سورة البقرة آية:٢٠٧) ، فإن الصحابة ﷺ أنزلوها على من حمل على العدو الكثير لوحده وغرر بنفسه في ذلك ، كما قال عمر بن الخطاب وأبو أيوب الأنصاري وأبو هريرة ﷺ كما رواه أبو داود والترمذي وصححه ابن حبان والحاكم ، (تفسير القرطبي ٢ / ٣٦١) .

٢ - قوله تعالى : ﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويُقتلون .. ﴾(سورة التوبة الآية:١١١) ، قال ابن كثير رحمه الله : حمله الأكثرون على أنها نزلت في كل مجاهد في سبيل الله .

٣ - قوله تعالى :﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ﴾(سورة الأنفال آية:٦٠) ، والعمليات الاستشهادية من القوة التي ترهبهم .

٤ - قال تعالى في الناقضين للعهود : ﴿ فإما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون ﴾(سورة الأنفال آية:٥٧) .

ثانيا : الأدلة من السنة

١- حديث الغلام وقصته معروفة وهي في الصحيح ، حيث دلهم على طريقة قتله فقتلوه شهيدا في سبيل الله ، وهذا نوع من الجهاد ، وحصل نفع عظيم ومصلحة للمسلمين حيث دخلت تلك البلاد في دين الله ، إذ قالوا : آمنا برب الغلام ، ووجه الدلالة من القصة أن هذا الغلام المجاهد غرر بنفسه وتسبب في ذهابها من أجل مصلحة المسلمين ، فقد علّمهم كيف يقتلونه ، بل لم يستطيعوا قتله إلا بطريقة هو دلهم عليها فكان متسبباً في قتل نفسه ، لكن اغتفر ذلك في باب الجهاد ، ومثله المجاهد في العمليات الاستشهادية ، فقد تسبب في ذهاب نفسه لمصلحة الجهاد ، وهذا له أصل في شرعنا ، إذ لو قام رجل واحتسب وأمر ونهى واهتدى الناس بأمره ونهيه حتى قتل في ذلك لكان مجاهدا شهيدا ، وهو مثل قوله عليه الصلاة والسلام :" أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر "(١) .

٢ - فعل البراء بن مالك في معركة اليمامة ، فإنه أُحتمل في تُرس على الرماح وألقوة على العدو فقاتل حتى فتح الباب ، ولم ينكر عليه أحد من الصحابة ، وقصته مذكورة في سنن البيهقي في كتاب السير باب التبرع بالتعرض للقتل (٩ / ٤٤) وفي تفسير القرطبي (٢ / ٣٦٤) أسد

---

(١) شعب الإيمان للبيهقي (٧١٧٤) وحكم الألباني صحيح . أنظر السلسلة الصحيحة (٤٩١) .

الغابة (١ / ٢٠٦) تاريخ الطبري .

٣ – حمل سلمة بن الأكوع والأخرم الأسدي وأبي قتادة لوحدهم على عيينة بن حصن ومن معه ، وقد أثنى الرسول ﷺ فقال : " خير رجّالتنا سلمة "(١) متفق عليه.، قال ابن النحاس : وفي الحديث الصحيح الثابت أدل دليل على جواز حمل الواحد على الجمع الكثير من العدو وحده وإن غلب على ظنه أنه يقتل إذا كان مخلصا في طلب الشهادة كما فعل سلمة بن الأخرم الأسدي ، ولم يعب النبي عليه الصلاة والسلام ولم ينه الصحابة عن مثل فعله ، بل في الحديث دليل على استحباب هذا الفعل وفضله فإن النبي عليه الصلاة والسلام مدح أبا قتادة وسلمة على فعلهما كما تقدم ، مع أن كلاً منهما قد حمل على العدو وحده ولم يتأنّ إلى أن يلحق به المسلمون اهـ مصارع الأشواق (١ / ٥٤٠) .

٤ – ما فعله هشام بن عامر الأنصاري لما حمل بنفسه بين الصفين على العدو الكثير فأنكر عليه بعض الناس وقالوا : ألقى بنفسه إلى التهلكة ، فرد عليهم عمر بن الخطاب وأبو هريرة رضي الله عنهما وتليا قوله تعالى: ﴿ ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله ..﴾(سورة البقرة الآية :٢٠٧) ، مصنف ابن أبي شيبة (٥ / ٣٠٣ ، ٣٢٢) سنن البيهقي (٩ / ٤٦) .

٥ – حمل أبي حدرد الأسلمي وصاحبيه على عسكر عظيم ليس معهم رابع فنصرهم الله على المشركين ذكرها ابن هشام في سيرته وابن النحاس في المصارع (١ /٥٤٥).

٦ – فعل عبدالله بن حنظلة الغسيل حيث قاتل حاسراً في إحدى المعارك وقد طرح الدرع عنه حتى قتلوه ، ذكره ابن النحاس في المصارع (١ / ٥٥٥) .

٧ – نقل البيهقي في السنن (٩ / ٤٤) في الرجل الذي سمع من أبي موسى يذكر الحديث المرفوع : " الجنة تحت ظلال السيوف" . فقام الرجل وكسر جفن سيفه وشد على العدو ثم قاتل حتى قتل .

٨ – قصة أنس بن النضر في وقعة أحد قال : واهاً لريح الجنة ، ثم انغمس في المشركين حتى قتل . متفق عليه

ثالثا: الإجماع

نقل ابن النحاس في مصارع الأشواق (١ / ٥٨٨) عن المهلب قوله : قد أجمعوا على جواز تقحم المهالك في الجهاد ، ونقل عن الغزالي في الإحياء قوله : ولا خلاف في أن المسلم الواحد له

---

(١) صحيح ابن حبان (٧١٧٣) وحكم الألباني حسن صحيح .

أن يهجم على صف الكفار ويقاتل وإن علم أنه يقتل .

ونقل النووي في شرح مسلم الاتفاق على التغرير بالنفس في الجهاد ، ذكره في غزوة ذي قرد (١٢ / ١٨٧) .

هذه الحوادث السبع السابقة مع ما نُقل من الإجماع هي المسألة التي يسميها الفقهاء في كتبهم مسألة حمل الواحد على العدو الكثير ، وأحيانا تسمى مسألة الانغماس في الصف ، أو مسألة التغرير بالنفس في الجهاد .

قال النووي في شرح مسلم باب ثبوت الجنة للشهيد (١٣ / ٤٦) قال : فيه جواز الانغمار في الكفار والتعرض للشهادة وهو جائز بلا كراهة عند جماهير العلماء . اهـ .

ونقل القرطبي في تفسيره جوازه عن بعض علماء المالكية (أي الحمل على العدو) حتى قال بعضهم : إن حمل على المائة أو جملة العسكر ونحوه وعلم وغلب على ظنه أنه يقتل ولكن سينكي نكاية أو يؤثر أثرا ينتفع به المسلمون فجائز أيضا ، ونقل أيضا عن مُحَمَّد بن الحسن الشيباني قال : لو حمل رجل واحد على الألف من المشركين وهو وحده لم يكن بذلك بأس إذا كان يطمع في نجاة أو نكاية في العدو ، تفسير القرطبي (٢ / ٣٦٤) .

ووجه الاستشهاد في مسألة الحمل على العدو العظيم لوحده وكذا الانغماس في الصف وتغرير النفس وتعريضها للهلاك أنها منطبقة على مسألة المجاهد الذي غرر بنفسه وانغمس في تجمع الكفار لوحده فأحدث فيهم القتل والإصابة والنكاية .

وقائع وحوادث تنزل عليها العمليات الاستشهادية

أولا مسألة التترس :

فيما لو تترس جيش الكفار بمسلمين واضطر المسلمون المجاهدون حيث لم يستطيعوا القتال إلا بقتل التُرس من المسلمين جاز ذلك ، قال ابن تيمية في الفتاوى (٢٠ / ٥٢) (٢٨ / ٥٣٧، ٥٤٦) قال : ولقد اتفق العلماء على أن جيش الكفار إذا تترسوا بمن عندهم من أسرى المسلمين وخيف على المسلمين الضرر إذا لم يقاتلوا فإنهم يقاتلون وإن أفضى ذلك إلى قتل المسلمين الذين تترسوا بهم .. اهـ ، وقال ابن قاسم في حاشية الروض (٤ / ٢٧١) قال في الإنصاف : وإن تترسوا بمسلم لم يجز رميهم إلا أن نخاف على المسلمين فيرميهم ويقصد الكفار وهذا بلا نزاع . اهـ

ووجه الدلالة في مسألة التترس لما نحن فيه:

أنه يجوز للتوصل إلى قتل الكفار أن نفعل ذلك ولو كان فيه قتل مسلم بسلاح المسلمين وأيدي المسلمين ، وجامع العلة والمناط أن التوصل إلى قتل العدو والنكاية به إنما يكون عن طريق قتل

التُرس من المسلمين فحصل التضحية ببعض المسلمين المتترس بهم من أجل التوصل إلى العدو والنكاية به ، وهذا أبلغ من إذهاب المجاهد نفسه من العمليات الاستشهادية من أجل التوصل إلى العدو والنكاية به ، بل إن قتل أهل التُرس من المسلمين أشد لأن قتل المسلم غيره أشد جرما من قتل المسلم لنفسه ، لأن قتل الغير فيه ظلم لهم وتعدٍ عليهم فضرره متعد وأما قتل المسلم نفسه فضرره خاص به ولكن أُغتفر ذلك في باب الجهاد وإذا جاز إذهاب أنفس مسلمة بأيدي المسلمين من أجل قتل العدو فإن إذهاب نفس المجاهد بيده من أجل النكاية في العدو مثله أو أسهل منه ، فإذا كان فعل ما هو أعظم جرما لا حرج في الإقدام عليه فبطريق الأولى ألا يكون حرجا على ما هو أقل جرما إذا كان في كليهما المقصد هو العدو والنكاية لحديث : (إنما الأعمال بالنيات)(١).

وفي هذا رد على من قال في مسألة الانغماس والحمل على العدو أن المنغمس يُقتل بأيدي الكفار وسلاحهم ! فنقول ومسألة التترس يقتل بأيدي المسلمين وسلاحهم ومع ذلك لم يعتبروا قتل المسلمين المتترس بهم من باب القتل الذي جاء الوعيد فيه .

ثانيا : مسألة البيات :

ويقصد بها تبييت العدو ليلا وقتله والنكاية فيه وإن تضمن ذلك قتل من لا يجوز قتله من صبيان الكفار ونسائهم ، قال ابن قدامة : يجوز تبييت العدو ، وقال أحمد : لا بأس بالبيات وهل غزو الروم إلا البيات ، وقال : لا نعلم أحداً كره البيات . المغني مع الشرح (١٠ / ٥٠٣) .

ووجه الدلالة:

أنه إذا جاز قتل من لا يجوز قتله من أجل النكاية في العدو وهزيمته فيقال : وكذلك ذهاب نفس المجاهد المسلم التي لا يجوز إذهابها لو ذهبت من أجل النكاية جائز أيضا ، ونساء الكفار وصبيانهم في البيات قتلوا بأيدي من لا يجوز له فعله لولا مقاصد الجهاد والنيات .

الخلاصة..

دل ما سبق على أنه يجوز للمجاهد التغرير بنفسه في العملية الاستشهادية وإذهابها من أجل الجهاد والنكاية بهم ولو قتل بسلاح الكفار وأيديهم كما في الأدلة السابقة في مسألة التغرير والانغماس ، أو بسلاح المسلمين وأيديهم كما في مسألة التترس أو بدلالةٍ تسبب فيها إذهاب

---

(١) صحيح البخاري (١) .

نفسه كما في قصة الغلام ، فكلها سواء في باب الجهاد لأن باب الجهاد لما له من مصالح عظيمة أُغتفر فيه مسائل كثيرة لم تغتفر في غيره مثل الكذب والخداع كما دلت السنة ، وجاز فيه قتل من لا يجوز قتله ، وهذا هو الأصل في مسائل الجهاد ولذا أُدخلت مسألة العمليات الاستشهادية من هذا الباب .

أما مسألة قياس المستشهد في هذه العمليات الاستشهادية بالمنتحر فهذا قياس مع الفارق ، فهناك فروق بينهما تمنع من الجمع بينهما ، فهناك فرق بين المنتحر الذي يقتل نفسه جزعًا وعدم صبر أو تسخطًا على القدر أو اعتراضًا على المقدور واستعجالاً للموت أو تخلصًا من الآلام والجروح والعذاب أو يأسًا من الشفاء بنفس خائفة يائسة ساخطة في غير ما يرضى الله وبين نفس المجاهد في العملية الاستشهادية بنفس فرحة مستبشرة متطلعة للشهادة والجنة وما عند الله ونصرة الدين والنكاية بالعدو والجهاد في سبيله لا يستوون، قال تعالى: ﴿ أفنجعل المسلمين كالمجرمين* مالكم كيف تحكمون ﴾(سورة القلم:٣٥-٣٦) وقال تعالى: ﴿ أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون ﴾(سورة الجاثية: ٢١) وقال تعالى : ﴿ أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون ﴾(سورة السجدة:١٨) .

نسأل الله أن ينصر دينه ويعز جنده ويكبت عدوه وصلى الله على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أملاه فضيلة الشيخ

أ . حمود بن عقلاء الشعيبي

٢ / ٢ / ١٤٢٢ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

نداء من فضيلة الشيخ حمود بن عقلاء الشعيبي إلى حكام العرب والمسلمين

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد.

فهذا نداء موجه لحكام العرب والمسلمين يتضمن تذكيرهم بما أوجب الله عليهم من الدفاع عن دينه وشرعه وحماية بلاد المسلمين وحريمهم من أن يعتدى عليهم أو تغتصب أراضيهم، فإن من أهم أولويات وأوجب الواجبات على الحاكم المسلم القيام بأمر الله ومن ذلك إعداد الجيوش وتدريبها وتسليحها بشتى أنواع الأسلحة، وقيادته لتلك الجيوش بشجاعة وعزيمة، إذا هوجم بلد من بلاد المسلمين من قِبَل أعداء الله وأعداء دينه وشرعه، حيث إن أقطارًا كثيرة في العالم الإسلامي تعاني من احتلال لأراضيها وقتل وتدمير وذل وإهانة وانتهاك للحرمات كما هو الواقع في جمهورية الشيشان المسلمة، فهذه الجمهورية منذ سنوات وهي تعاني من احتلال وتدمير من قِبَل روسيا الدولة الكافرة التي حشدت مئات الألوف من الضباط لقتال هذا الشعب المسلم القليل العدد والعدة، ومع أن المجاهدين من الشيشان وأنصارهم من العرب لا يألون جهدًا في مقاومة هذا الجيش الغاشم إلا أنهم يحتاجون إلى التأييد والدعم بالمال والرجال، غير أنهم مع الأسف لا يتلقون من المساعدة إلا القليل، مع أن روسيا مع قوتها مدعومة من قِبَل أمريكا وأروبا ودولة اليهود.

وكذلك الأمر في فلسطين التي ما زالت منذ أكثر من خمسين عامًا وهي تئن تحت وطأة الاحتلال الصهيوني، وتقاوم هذا الاحتلال بالحجارة والعدو يقتل ويشرد ويهدم البيوت والمساجد على أربابها، ولا أحد يثأر لهؤلاء المنكوبين فيمدهم بالسلاح والمال على الرغم من أن دولة اليهود مدعومة من قبل قوى الكفر بشتى أنواع التأييد، بالمال والسلاح والتأييد في المحافل السياسية، فلا يستغرب مثل هذا لأن الكفر ملة واحدة، وإنما الذي يستغرب تقاعس الحكام المسلمين عن نصرة إخوانهم وتأييدهم، فإن الشعوب المسلمة لم تر منذ النكبة حتى الآن من قادتهم سوى عقد المؤتمرات والندوات التي لا تسفر إلا عن التنديد بدولة اليهود والشجب والاستنكار. وقد أثبتت التجارب أن الشجب والإدانة والتنديد وعقد المؤتمرات واللجوء إلى هيئة الأمم الكافرة، ومجلس الخوف لا يجدي شيئًا في ردع المعتدين وإيقافهم عند حدهم، ولا يجدي في ذلك إلا الجهاد بأنواعه.

أيها الحكام ..

لقد بلغ السيل الزبى وتمادت دولة اليهود في جرائمها ضد الفلسطينيين ومقدسات المسلمين وأصبحت لا تبالي بأحد ولا تخشى عقابه على جرائمها، وقد سئمت الشعوب الإسلامية من هذه الأساليب العقيمة التي تمارس لمقاومة الاحتلال، واغتصاب المقدسات وتدنيسها برجس اليهود، تلك الأساليب التي تنحصر بالشجب والاستنكار والاستغاثة بالكفار وأصبح جليًّا أنه لا يجدي في مقاومة اليهود وطردهم من فلسطين إلا الجهاد المسلح، فإن ما أخذ بالقوة لا يعود إلا بالقوة، فلا بد من رفع راية الجهاد المسلح لمقاومة دولة الصهاينة وإيقاف غطرستها، وتدنيسها للمقدسات، لكن إعلان الجهاد يتطلب أمورًا منها:

الاتحاد والتكاتف والتعاون وترك الخلافات والنزاعات التي فرقت كلمة المسلمين ومزقت وحدتهم وأضعفت قوتهم، وقد أمرنا الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز بالاجتماع والاتحاد وحذرنا من الفرقة والاختلاف، قال تعالى: ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا ﴾(سورة آل عمران الآية:١٠٣)، وقال تعالى :﴿ ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات ﴾(سورة آل عمران الآية: ١٠٥)، وقال تعالى: ﴿ إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعًا لست منهم في شيءٍ إنما أمرهم إلى الله ﴾(سورة الأنعام الآية:١٥٩).

والرسول ﷺ حث أمته على الاجتماع والاتحاد وحذرهم من الاختلاف والتفرق فإن اتحد المسلمون وكانوا أمة واحدة مع كثرة عددهم، إذ إن المسلمين يزيدون على مليار ومائتي مليون، وعدوهم الصهيوني لا يتجاوز عدده بضعة ملايين، فلن تصمد دولة اليهود لمقاومة هذا العدد الهائل من المسلمين.

وكما أن العرب والمسلمين يتفوقون على اليهود من حيث العنصر البشري فإنهم يتفوقون عليهم من حيث المال إذ إن معظم الدول العربية من أغنى دول العالم، خزائنها ملأى تصب فيها أودية من الذهب من البترول والجمارك والضرائب والجزاءات والرسوم، فإذا توفر العنصر البشري والعنصر المالي، وانضم إلى ذلك اتحاد الكلمة والعزم والتصميم والتخلي عن الرفاهية والنعيم وترك التبعية للغير، فإن النصر متحقق بإذن الله.

وإذا كان إعداد الجيوش وتدريبها يحتاج إلى بعض الوقت فلا أقل من تسليح الشعب الفلسطيني بشتى أنواع السلاح ودعمه بما تتطلبه المعركة مع اليهود، بالمال والرجال والإعلام، كما يتحتم على

الدول العربية المجاورة لدولة الصهاينة فتح حدودها للمتطوعين من الشباب المتعطشين لمشاركة إخوانهم الفلسطينيين للتصدي لهؤلاء الصهاينة المجرمين وإيقافهم عند حدهم.

ومن أنواع الجهاد التي يجب القيام بها إعداد المقاطعة العربية وتفعيلها، تلك المقاطعة التي كانت تحرم الدولة اليهودية من ثلاثة مليارات دولار سنويًا.

كما أن من أنواع الجهاد ضد اليهود مقاطعة الدولة الكافرة التي تدعم اليهود الغاصبين بشتى أنواع الدعم، وهي أمريكا، تجب مقاطعتها اقتصاديًّا وتجاريًّا وثقافيًّا، وتقاوم مصالحها في البلاد العربية، إذ من المعلوم أن أمريكا تتمتع بامتيازات ومصالح كثيرة في كثير من البلاد العربية، كإقامة القواعد العسكرية وجلب الضباط والجنود من النصارى واليهود وإقامتهم في تلك القواعد التي ما فتئوا يشنون منها الغارات الجوية على الشعوب المسلمة، فإن هذه الدولة الكافرة إذا شَعُرت بما يهدد مصالحها فسوف تغير مواقفها من دولة الصهاينة، لأن مصالحها أهم عندها من دولة اليهود.

أيها القادة ..

إن لنا أخوات مسلمات في فلسطين ثكالى وأرامل يندبن ويستغثن وينادين برفع الذل والإهانة عنهن، فهل من غضبة معتصميّة ترفع عنهن هذا الذل وتعيد لهن كرامتهن؟ إن الخليفة العباسي المعتصم لما بلغه أن امرأة مسلمة أهينت من قبل النصارى وأنها استغاثت به قائلة: وا معتصماه .. هب لنجدتها ورفع الذل والعار عنها، فجهز جيشًا لغزو هؤلاء الكلاب، فهزمهم وأنقذ المرأة المسلمة من براثنهم ورد لها كرامتها وعزتها، على الرغم من محاولة الانخذاليين والمنجمين منعه من هذا الغزو بحجة أن النجوم والطوالع تدل على فشل هذه الحملة، ولكن لم يلتفت إلى هؤلاء وضرب برأيهم عرض الحائط فسجل له التاريخ هذه البطولة بأحرف من نور.

أما هذه المواقف الانخذالية والانهزامية فسيسجلها التاريخ بأحرف من (قار) أسود حالك السواد إن استمرت على هذا الحال.

أيها القادة ..

إن التجارب واستقراء التاريخ أثبت أن الدين الإسلامي لا يستقيم إلا بإقامة علم الجهاد، ولهذا أكد سبحانه وتعالى في كتابه العزيز حتمية الجهاد وحث عليه، ونبيه ﷺ أكد ذلك، قال تعالى :﴿ يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة ﴾ إلى قوله: ﴿ انفروا خفافًا وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ﴾(سورة التوبة آية:٤١-٣٨) وقال:﴿ إلا تنفروا يعذبكم عذابًا أليمًا ويستبدل قومًا غيركم﴾ (سورة التوبة آية:٣٩)

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم ﴾(سورة الأنفال الآية: ٦٠).

وكما أوجب الله سبحانه وتعالى الجهاد وحث عليه فقد بين فضله وثواب المجاهدين في آيات كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدًا عليه حقًا في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم ﴾(سورة التوبة آية: ١١١) وقال سبحانه: ﴿ يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم * تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون * يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم * وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين ﴾(سورة الصف آية:١٣-١٠) .

والنبي عليه الصلاة والسلام حثَّ على الجهاد ورغب فيه وحذر من القعود عنه، قال عليه الصلاة والسلام: «إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه عنكم حتى تراجعوا دينكم»(١). ففي قوله ﷺ: حتى تراجعوا دينكم إشارة إلى أن ترك الجهاد قد يكون كفرًا، قال عليه الصلاة والسلام: «من مات ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من نفاق»(٢).

والجهاد في سبيل الله على مراتب، تارة يكون بمقارعة العدو بالقوة المسلحة في جبهات القتال، وتارة يكون بالمال، وتارة يكون باللسان، وتارة يكون بالقلم، وأعلى هذه الدرجات وأفضلها الجهاد بالنفس؛ لأنه أشق على المقاتلين وأكثر تضحية ولأنه قد تترتب عليه الشهادة ومعلوم ما أعد الله للشهداء من الأجر والثواب؛ ولأنه أشد نكاية بالعدو مما سواه من أنواع الجهاد ولأن ما سواه من أنواع الجهاد مكمل له، والجهاد بالنفس هو الذي يرهب العدو ويحطم معنوياته، وهو الذي يتحقق به النصر غالبًا وتتم به حماية حوزة المسلمين، والذب عن حرماتهم، وقديمًا قيل:

السيف أصدق إنباءً من الكتب * في حده الحد بين الجد واللعب**

---

(١) سنن أبي داود (٣٤٦٢) وحكم الألباني صحيح .

(٢) صحيح مسلم (١٩١٠) .

أما الجهاد بالمال فلا يقل أهمية عن الجهاد بالنفس إذ بدونه لا يتمكن المجاهدون من الحصول على السلاح، وبدونه لا يستطيعون تأمين النفقات الأخرى التي تتطلبها المعركة، من دفع نفقات الجند وتكاليف علاج الجرحى وغير ذلك مما يحتاجه المجاهدون.

أما الجهاد في سبيل الله باللسان والقلم فالمراد به دور الإعلام من خطب وقصائد ودعاية للمعركة وإذاعة بانتصارات المجاهدين وهزائم أعدائهم، والإعلام له أثر كبير في تغيير موازين المعارك إذا كان القائمون عليه على مستوى المسئولية إذا خَلُص قصدهم، أما إذا كان القائمون على الإعلام في واد وقضايا المسلمين ومشاكلهم في واد آخر كما هو واقع الإعلام العربي والإسلامي اليوم، فإنه فضلاً عن أن يكون عونًا للمجاهدين فقد يصير ضررًا عليهم بحيث تأثره بالإعلام وتقليده في مضامينه وأساليبه.

وعندما أصاب إخواننا في فلسطين ما أصابهم من تقتيل وتشريد وهدم للمنازل والمساجد على من فيها على أيدي إخوان القردة والخنازير أيقنّا بأن الإعلام في الدول العربية والإسلامية سيشمِّر عن ساعديه ويترك أساليبه الهابطة التي كان يسير عليها، فإذا هو لم يعبأ بهذه الكوارث واستمر على الاهتمام بالأمور التافهة كالاهتمام بالحفلات الرياضية والحفلات الغنائية وعرض الصورة الخليعة المتهتكة والبرامج المنحطة كالمسلسلات الخليعة التي ما أقيمت إلا لإفساد عقائد المسلمين وأخلاقهم، وكذلك اهتم الإعلام بالإشادة بإنجازات الحكام التي لا وجود لها وكيل المدح والإطراء لهم بدون حياء ولا خجل، ومن المؤسف أننا عندما نستعرض جوانب الضعف في الأمة الإسلامية والعربية نجد أن من أبرزها الضعف الواضح في العدد والعدة فلا أسلحة ولا رجال.

وإن مما يؤسف له حقًّا بل يؤلمنا كثيرًا أننا كنا نسمع عبر وسائل الإعلام عن عقد صفقات أسلحة متطورة بأنواعها المختلفة من طائرات ودبابات وغيرها وقد رصدت لهذه الصفقات مليارات الدولارات والتي أعلن عنها في حينها، ومع أن هذه المبالغ الطائلة قد أرهقت بيت مال المسلمين ومع هذا فقد كان الكثيرون يستبشرون بعقد مثل هذه الصفقات ظنًا منهم أنها ستكون حصنًا واقيًا بعد الله تعالى لصد أي اعتداء على المسلمين وأراضيهم المقدسة، ولكن الذي حدث هو عكس ذلك تمامًا.

ودليل ذلك أن بعض الدول العربية عندما هوجمت من قبل إحدى الدول المجاورة لم تستطع الصمود أمام من هاجمهم، وذلك عائد إلى ضعف الاستعداد العسكري، فقد أثبتت خلو خزائن الأجهزة العسكرية في هذه الدولة من الأسلحة التي كان الناس يأملون بها، والتي عقدت لها الصفقات، كما

أن قلة الأسلحة صاحَبها شح واضح في الكفاءات البشرية المدربة، ولذلك كله لم تتردد هذه الدولة باستدعاء الدولة الكافرة لحمايتها والدفاع عنها غير مكترثين بالحكم الشرعي المترتب على ذلك.

أليس عار ما بعده عار وخزي ما بعده خزي أن نلجأ إلى طلب الحماية من دولة الكفر، نهيئ لهم الاستقرار في أراضينا التي حرم المصطفى ﷺ إقامتهم فيها وأمر بإخراجهم منها، مع توفر أسباب القدرة بأنفسنا على صد عدوان المعتدي.

أيها القادة ..

لقد أصبح الجبناء المنخذلون يكررون عبارة: (دولة اليهود دولة لا تقهر)، إن هؤلاء الذين يتعللون بهذه المقولة الجبانة (إن قوة اليهود قوة لا تقهر)، وهؤلاء المتخاذلون الانهزاميون يبررون تقاعسهم عن القيام بالحروب المسلحة ضد دولة اليهود بهذه المقولة، ولو نظر هؤلاء في التاريخ القديم والحديث لوجدوا أن هذه المقولة باطلة من أساسها، وسأذكر أمثلة تاريخية تسقط هذه المقولة وتبطلها:

المثال الأول:

كل من له أدنى إلمام بتاريخ المسلمين يعلم أن الصليبيين احتلوا بلاد المسلمين وأقاموا فيها أكثر من تسعين سنة يعيثون فيها الفساد ويسومون المسلمين سوء العذاب ولا أحد يتصدى لهم من الحكام والأمراء بحجة أن أوروبا ملوكها وجيوشها قوة لا تقهر، وتحملوا الذل والاستهانة والاستعمار بسبب هذه المقولة، ولما أراد الله للمسلمين الخلاص من هؤلاء الغاصبين المستعمرين قيض لهذه الأمة بطلاً مسلمًا هو صلاح الدين الأيوبي، فشن حربًا مسلحة بصدق وصبر وشجاعة على هؤلاء الصليبيين فهزمهم شر هزيمة فطهر بلاد المسلمين من شرهم ورجسهم وألقى بهم في البحر، فلم يثنِ عزمه كثرة عددهم وعدتهم، ولم يمنعه من شن الغارات المتواصلة على هؤلاء الطغاة المعتدين اعتقاد أن أوربا قوة لا تقهر.

المثال الثاني:

قبل سنوات كان الاتحاد السوفيتي دولة عظمى لا يماثلها في القوة؛ في العدد والعدة والتسليح إلا دولة أمريكا، ولما اعتدت على دولة الأفغان واحتلتها قام أبطال الأفغان بمقاومتها، ومع أن الشعب الأفغاني بالنسبة لعدده وتسليحه وتدريبه لا يساوي شيئًا بالنسبة للاتحاد السوفيتي الدولة العظمى، لكنهم هزموا هذه القوة وأخرجوها من بلادهم تجر أذيال الهزيمة والعار، ولم تقف هزيمة هذه الدولة الطاغية عند طردها من الأراضي الأفغانية، بل ترتب على هذه الهزيمة انحلال هذه الدولة وتفككها وسقوطها إلى الأبد إن شاء الله.

المثال الثالث:

قامت أقوى دولة عربية في العالم العربي وأكثر الدول العربية عددًا وأتمها عدة بالاعتداء على دولة عربية تعتبر من أضعف الدول العربية من حيث الموارد المالية ومن حيث التسليح والتعليم، لكن هذه الدولة الأضعف قاومت هذا الاحتلال بصبر وشجاعة وحطمت قوة الدولة المعتدية وهزمتها وأخرجتها من بلادها صاغرة تجر أذيال الخيبة والعار.

إن المتأمل لهذه الأمثلة الثلاثة التي ذكرتها يدرك أن القوة التي لا تقهر هي قوة الإيمان بالله والاعتماد عليه وتحمل المشاق والتضحيات بكل غال ورخيص، ثم إن من يتعلل بهذه المقولة الجبانة، (دولة اليهود قوة لا تقهر) لا يخلو من أحد رجلين:

إما أن يكون جاهلاً في تاريخ الشعوب ولا سيما في تاريخ الشعب اليهودي الذي جبل على الجبن والخور والذل والاستكانة، وإما أن يكون عميلاً لهذه العصابات اليهودية ومن ورائها من يدعمها من المصارف في أمريكا وأوروبا ليثبط من عزائم المسلمين ويبعث في نفوسهم الخوف والفزع بهذه المقولة.

ولقد أخبرنا الله في كتابه العزيز في مواضع كثيرة عن جبن اليهود وهلعهم وخوفهم من الحروب، قال تعالى حكاية عن موسى عليه الصلاة والسلام أنه قال لقومه: ﴿ يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين* قالوا يا موسى إن فيها قوما جبارين وإنّا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإنا داخلون ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ قالوا يا موسى إنا لن ندخلها أبدًا ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا فإنا هاهنا قاعدون ﴾(سورة المائدة آية:٢٤-٢١) ، قال سبحانه وتعالى: ﴿ ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس ﴾(سورة آل عمران الآية:١١٢)، وقال عز وجل: ﴿ لا يقاتلونكم جميعًا إلا في قرى محصنة أو من وراء جدر ﴾(سورة الحشر آية:١٤) إلى غير ذلك من الآيات التي تبين أن اليهود شعب ذليل.

ولم يعرف في التاريخ أن اليهود قادوا معركة ضد خصومهم علنًا، وإنما حروب اليهود دائمًا بالمكر والخداع والمؤامرات في الخفاء، وسأضرب مثلاً لجبنهم وخورهم وعدم قدرتهم على ملاقاة الخصم: قبل سنوات قام الجيش المصري الشجاع بحملة عسكرية اقتحم فيها الحواجز المائية والحواجز الرملية

و خط بارليف الذي زعمت دولة اليهود أنه ليس في العالم قوة تستطيع اقتحام هذا الخط، لكن الجيش المصري البطل اقتحمه بدقائق، وحين رأى الضباط والجنود من اليهود هذه الحملة الجريئة ولّوا مدبرين، وتركوا دباباتهم ومدافعهم كالجرذان التي أغرقها الماء، ولولا خيانة القيادة السياسية التي أصدرت أوامرها إلى الجيوش بالتوقف لاحتلوا دولة الصهاينة وقذفوهم في البحر، وصدق الله إذ يقول: ﴿ لا يقاتلونكم جميعًا إلا في قرىً محصنة أو من وراء جدر ﴾(سورة الحشر:١٤).

نسأل الله أن يقيم علم الجهاد وأن ينصر الإسلام والمسلمين، وصلى الله على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أملاه فضيلة الشيخ

أ . حمود بن عقلاء الشعيبي

١٤٢٢/٥/١٤ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

بيان في الحث على المقاطعة الاقتصادية ضد أعداء المسلمين

لفضيلة الشيخ حمود بن عقلاء الشعيبي

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد ..

يقول الله تعالى: ﴿ مُحَمَّد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار ﴾(سورة الفتح آية:٢٩) وقال تعالى في وصف المؤمنين: ﴿ .. أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ﴾ (سورة المائدة آية:٥٤) ويقول تعالى في مجاهدة الكفار: ﴿ وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد ﴾(سورة التوبة الآية:٥). ويقول تعالى: ﴿ ولا يطئون موطئًا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلاً إلا كتب لهم به عمل صالح .. ﴾(سورة التوبة الآية:١٢٠).

إن كل عصر وزمان له أسلحته الجهادية والحربية المستخدمة ضد الأعداء، وقد استخدم المسلمون أسلحة جهادية متنوعة في ذلك ضد أعدائهم بقصد هزيمتهم وإضعافهم، قال الشوكاني: وقد أمر الله بقتل المشركين ولم يعيّن لنا الصفة التي تكون عليها ولا أخذ علينا ألا نفعل إلا كذا دون كذا. اهـ (السيل الجرار ٤/ ٥٣٤)، وهذا يوافق عموم قوله تعالى: ﴿ وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد ﴾(سورة التوبة الآية:٥)، ومن الأساليب الجهادية التي استخدمها الرسول صلى الله عليه وسلم مع الأعداء بهدف إضعافهم أسلوب الحصار الاقتصادي وهو ما يسمى اليوم بالمقاطعة الاقتصادية، ومن الأمثلة على أسلوب حصار النبي عليه الصلاة والسلام الاقتصادي ما يلي:

١- طلائع حركة الجهاد الأولى وذلك أن أوائل السرايا التى بعثها الرسول ﷺ والغزوات الأولى التي قادها ﷺ كانت تستهدف تهديد طريق تجارة قريش إلى الشام شمالاً وإلى اليمين جنوبًا، وهي ضربة خطيرة لاقتصاد مكة التجاري قُصد منه إضعافها اقتصاديًا.

٢- قصة محاصرة يهود بني النضير وهذه مذكورة في صحيح مسلم: أنهم لما نقضوا العهد حاصرهم الرسول ﷺ وقطع نخيلهم وحرقوه فأرسلوا إليه أنهم سوف يخرجون، فهزمهم بالحرب الاقتصادية وفيها نزل قوله تعالى: ﴿ ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله وليخزي الفاسقين ﴾(سورة الحشر آية:٥) . فكانت المحاصرة وإتلاف مزارعهم ونخيلهم التي هي عصب قوة اقتصادهم من أعظم وسائل الضغط عليهم وهزيمتهم وإجلائهم من المدينة.

٣- قصة حصار الطائف بعد فتح مكة وأصل قصتهم ذكرها البخاري في المغازي ومسلم في الجهاد وفصّل قصتهم ابن القيم في زاد المعاد وذكرها ابن سعد في الطبقات ٢/ ١٥٨، قال:

فحاصرهم الرسول ﷺ وأمر بقطع أعناب ثقيف وتحريقها فوقع المسلمون فيها يقطعون قطعًا ذريعا، قال ابن القيم في فوائد ذلك: وفيه جواز قطع شجر الكفار إذا كان ذلك يضعفهم ويغيظهم وهو أنكى فيهم.

٤- قصة المقاطعة الاقتصادية للصحابي ثمامة بن أثال الحنفي ﷺ، وقد جاءت قصته في السير والمغازي، ذكرها ابن إسحاق في السيرة وابن القيم في زاد المعاد والبخاري في المغازي ومسلم في الجهاد، وقصته كانت قبل فتح مكة لما أسلم ثم قدم مكة معتمرًا وبعد عمرته أعلن المقاطعة الاقتصادية لقريش قائلاً: لا والله لا تأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن في ذلك رسول الله ﷺ -وكانت اليمامة في ريف مكة- ثم خرج إلى اليمامة فمنع قومه أن يحملوا إلى مكة شيئًا حتى جهد قريش، وقد أقره الرسول ﷺ على هذه المقاطعة الاقتصادية وهي من مناقبه ﷺ.

وهذه الحوادث وأمثالها تشير من الرسول ﷺ لأصل من الأصول الجهادية في مجاهدة الكفار في كل زمان ومكان.

وهذا الأمر اليوم في مقدور الشعوب الإسلامية أن يجاهدوا به، قال تعالى: ﴿ فاتقوا الله ما استطعتم ﴾(سورة التغابن آية:١٦) وهو من الجهاد الشعبي النافع المثمر حينما تخلى غيرهم عن مجاهدة الكفار بأصنافهم.

ولذا فإننا نحث إخواننا المسلمين إلى جهاد الأمريكان والبريطانيين واليهود واستخدام سلاح المقاطعة الاقتصادية المضعفة لاقتصادهم.

وإن كانت الشعوب الإسلامية ليس لديها قوة في الجهاد المسلح ضدهم فليس أقل من المقاطعة الاقتصادية ضدهم وضد شركاتهم وبضائعهم، قال عليه الصلاة والسلام: «وجاهدوا المشركين بأموالكم وأيديكم وألسنتكم»(١) رواه أحمد وأبو داود من حديث أنس.

كما أحث إخواننا المسلمين إلى المثابرة في هذا الجهاد والمصابرة قال تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا ﴾(سورة آل عمران آية:٢٠٠) أي لا يملوا أو يتكاسلوا فإن النصر مع الصبر، وأن يجتهدوا في مقاطعة الشركات والبضائع الأمريكية والبريطانية واليهودية مقاطعة صارمة وقوية وشاملة، قال تعالى: ﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ﴾(سورة المائدة الآية:٢)، وقال صلى الله عليه وسلم: «المؤمنون تتكافأ دماؤهم وهم يد على من سواهم»(٢) رواه أحمد من حديث علي بن أبي طالب.

---

(١) مسند أحمد (١٢٥٥٥) وسنن أبي داود (٢٥٠٤) وحكم الألباني صحيح.

(٢) مسند أحمد (٩٩١) وحكم شعيب الأرنؤوط صحيح لغيره.

وقد لمسنا ولله الحمد فيما سبق وفيما تناقلته وسائل الإعلام أثر المقاطعة الشعبية السابقة على الاقتصاد الأمريكي والبريطاني واليهودي.

وقد انتشر في الأيام الماضية قائمة ولائحة تحوي مئات المنتجات للشركات الأمريكية والبريطانية واليهودية، فنحث إخواننا على التجاوب والتضامن مع هذه القائمة، قال تعالى: ﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ﴾ ﴾(سورة المائدة الآية:٢) وقال عليه الصلاة والسلام: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا»(١).

وأمريكا وبريطانيا وراء محاربة الجهاد في كل مكان وهم وراء دعم الصهاينة في فلسطين ووراء الحصار الاقتصادي على دولة طالبان الإسلامية في أفغانستان ووراء دعم الروس في الشيشان ودعم النصارى ضد إخواننا المجاهدين في الفلبين وإندونيسيا وكشمير وغيرها، وهم وراء دعم أي توجه لإضعاف الجهاد الإسلامي وإضعاف المسلمين، ووراء محاصرة شعب العراق المسلم وشن الغارات اليومية عليه منذ عشر سنين ظلمًا وعدوانًا مع قطع النظر عن حكامه.

وقد صدق فيهم وفي غيرهم قوله تعالى: ﴿ ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ﴾(سورة البقرة الآية:١٢٠).

اللهم عليك بالأمريكان والبريطانيين واليهود وأعوانهم وأشياعهم، اللهم اشدد وطأتك عليهم واجعلها عليهم سنين كسني يوسف.

وصلى الله على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أملاه فضيلة الشيخ أ . حمود بن عقلاء الشعيبي

٢٨/ ١١/ ١٤٢١ هـ

---

(١) صحيح مسلم (٢٥٨٥).

بسم الله الرحمن الرحيم

بيان من أهل العلم في الحث على مقاطعة منتجات أعداء الإسلام كأمريكا وبريطانيا وغيرهما من دول الكفر المحاربة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله .. وبعد

فقد حث الله سبحانه المسلمين على الجهاد بأموالهم في سبيل الله، فقال تعالى: ﴿ وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ﴾(سورة التوبة آية:٤١) وقال تعالى: ﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ﴾(سورة التوبة آية: ١١١) ، وروى أحمد وأبو داود عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «جاهدوا المشركين بأموالكم وأيديكم وألسنتكم»(١)، وما ذلك إلا للأثر العظيم للمال على الجهاد، وكما أن بذل المال للمجاهدين جهاد فإن منعه عن الكفار إذا تقوّوا به في حربهم على المسلمين جهاد أيضًا، بل هو آكد من الأول لأن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح، وهذا النوع من الجهاد، وعمل به النبي ﷺ كما في حصره لبني النضير وقطعه وتحريقه لنخيلهم، وفعله الصحابة رضي الله عنهم أيضًا بتقرير النبي ﷺ كمنع ثمامة بن أثال رضي الله عنه الميرة عن كفار مكة، والأمثلة كثيرة على هذا النوع من الجهاد.

وقد علم المسلمون في هذا الوقت مدى عداوة أمريكا وبريطانيا وغيرهم للإسلام وأهله، وأنها أعلنت الحرب الصليبية علينا، فقتلت قسمًا كبيرًا من المسلمين، وظاهرت على قتل آخرين، وشردت أقوامًا، وحاصرت آخرين، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿ ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا ﴾(سورة البقرة آية:٢١٧) .

فإن احتج محتج بأن الرسول ﷺ لم يقاطع اليهود الذين كانوا في المدينة فالجواب أن يقال: إن النبي عليه الصلاة والسلام لم يقاطع اليهود في أول الأمر حين كانوا مسالمين لأنهم لم تظهر لهم نوايا ضد الإسلام والمسلمين، فلما ظهرت لرسول الله ﷺ نواياهم وخاف من شرهم وضررهم وقد نقضوا عهودهم قاطعهم وحاصر قراهم، فقد حاصر بني النضير وقاطعهم وقطّع أشجارهم ونخيلهم، فكانت محاصرتهم وإتلاف مزارعهم ونخيلهم التي هي عصب قوة اقتصادهم من أعظم وسائل الضغط عليهم وهزيمتهم وإجلائهم من المدينة، وكذلك فعل ﷺ مع بني قريظة لما علم خيانتهم مع الأحزاب، حاصرهم حصارًا محكمًا حتى نزلوا على حكم الله، فقتل مقاتلتهم وسبا نساءهم و ذراريهم.

---

(١) مسند أحمد (١٢٥٥٥) وسنن أبي داود (٢٥٠٤) وحكم الألباني صحيح.

ثم إن قياس حالة الأمريكان واليهود والنصارى وشركاتهم في وقتنا الحاضر على يهود المدينة الذين هم قلة بالنسبة للمسلمين، مع أنهم لم يعلنوا الحرب قياس فاسد، لأن الأمريكان واليهود والنصارى وشركاتهم لا يفتئون يشنون الحروب على الشعوب المسلمة، ويدعمون أعداء الإسلام في حروبهم ضد المجاهدين.

ومن المعلوم لدى الجميع أن قوام قوات أمريكا الصليبية وغيرها من دول الكفر يعتمد على اقتصادها، ومتى ضعف اقتصادها ضعفت قوتها، لذلك نحث جميع المسلمين على المقاطعة الشاملة لجميع المنتجات الأمريكية والبريطانية وغيرهما من دول الكفر المحاربة للمسلمين، والبدائل عنها بحمد الله موجودة، وفي هذا إسهام من المسلمين في جهاد أعداء الله وإضعاف لهذه الحملة الصليبية ومناصرة لإخوانهم المجاهدين، بل هو متأكد في حق جميع المسلمين لإضعاف العدو الأول الذي سام المسلمين في كل مكان سوء العذاب، فعلى المسلمين أن يبادروا في تجديد هذه الدعوى، والتطبيق للمقاطعة الشاملة التي هزت الاقتصاد الأمريكي خلال العام الماضي بفضل الله ثم بفضل مقاطعة شريحة كبيرة من المسلمين لمنتجاتها، وتكرار دعوتنا للمسلمين جميعاً بكل طبقاتهم وجنسياتهم أن يعملوا على مقاطعة هذا العدو الذي يتربص بالمسلمين الدوائر نسأل الله تعالى أن ينصر المجاهدين، وأن يعلي راية الدين، وأن يخزي الكفار أجمعين، وصلى الله وسلم على نبينا مُحَمَّد وعلى أله وصحبه أجمعين.

حمود بن عقلاء الشعيبي

علي بن خضير الخضير

مُحَمَّد بن فهد العلي

٢٦/ ١٠/ ١٤٢٢ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

فتوى الشيخ حمود بن عقلاء الشعيبي على تأكيد مقاطعة أعداء الإسلام ، ورد على فتوى بعض العلماء في تحريم ذلك .

فضيلة الشيخ حمود بن عقلاء الشعيبي
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أما بعد
فقد حضرتُ درسا في الحرم المكي لبعض العلماء وقد سئل عن حكم مقاطعة الأمريكان واليهود فأجاب : بأن مقاطعة هؤلاء لا تجوز شرعا ، لأن الرسول ﷺ لم يقاطع اليهود الذين كانوا في المدينة .

ولأن لدي إلمام ببعض الأحكام الشرعية فقد أشكل علي جواب هذا الشيخ ، فما حكم مقاطعة اليهود والنصارى حسب ما تقتضيه الشريعة الإسلامية ؟

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد

أولا : إن كنت متأكدا من أن هذا الشيخ أجاب بهذا الجواب الذي ذكرته فهو لا يعدو أحد رجلين :

إما أن يكون جاهلا بتاريخ الشريعة الإسلامية وأحكامها وحِكَمِها ، وإما أن يكون له قصد واتجاه هو أدرى به .

وعلى كلٍ فالنبي عليه الصلاة والسلام لم يقاطع اليهود في أول الأمر حين كانوا مسالمين لأنهم لم تظهر لهم نوايا ضد الإسلام والمسلمين ، فلما علم ﷺ نواياهم وخاف من شرهم وضررهم وقد نقضوا عهودهم قاطعهم وحاصر قراهم ، فقد حاصر بني النظير وقاطعهم وقطّع أشجارهم ونخيلهم ، واستمر حصاره لهم ﷺ إلى أن سلّموا وطلبوا الجلاء عن المدينة ، وقد ذكر الإمام مسلم رحمه الله تعالى في صحيحه قصتهم ، وذلك أنهم لما نقضوا العهد حاصرهم ﷺ وقطّع نخيلهم وحرقها ، فأرسلوا إليه أنهم سوف يخرجون ، فهزمهم بالحرب الاقتصادية ، وفيها نزل قوله تعالى (ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله وليخزي الفاسقين)(سورة الحشر آية:٥) .

فكانت المحاصرة وإتلاف مزارعهم ونخيلهم التي هي عصب قوة اقتصادهم من أعظم وسائل الضغط عليهم وهزيمتهم وإجلائهم من المدينة .

وكذلك فعل ﷺ مع بني قريظة لما علم خيانتهم وتمالئهم مع الأحزاب ، حاصرهم حصارا محكما حتى نزلوا على حكم الله ، فقتل مقاتلتهم وسبا نسائهم و ذراريهم .

ثم إن قياس حالة الأمريكان واليهود والنصارى وشركاتهم في وقتنا الحاضر على يهود المدينة الذي هم قلة بالنسبة للمسلمين ، مع أنهم لم يعلنوا الحرب قياس فاسد ، لأن الأمريكان واليهود والنصارى وشركاتهم لا يفتأون يشنون الحروب على الشعوب المسلمة في فلسطين وفي العراق ، ويدعمون أعداء الإسلام في حروبهم ضد المجاهدين ، كدعمهم الروس في قتالهم ضد المجاهدين في الشيشان ، وكدعمهم الفلبين في قتالهم ضد المسلمين هناك ، وكدعمهم للمقدونيين في قتالهم ضد الألبان المسلمين .

فهؤلاء حربيون لوقوفهم مع أعداء المسلمين الصهاينة في فلسطين ، فهم يدعمونهم بالمال والسلاح والخبرات ، ولولا دعمهم المتواصل منذ خمسين عام لدولة الصهاينة لما ثبتت لهم قدم في فلسطين ، لأن اليهود من أجبن خلق الله كما حكى الله سبحانه وتعالى عنهم ذلك في كتابه العزيز ، حيث قال (لا يقاتلونكم جميعا إلا في قرى محصنة أو من وراء جدر ..)(سورة الحشر الآية:١٤) ، وكذلك حكى سبحانه وتعالى عنهم أنهم لما قال لهم موسى عليه الصلاة والسلام (ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين)(سورة المائدة آية:٢١) ذكر الله سبحانه انهم أجابوه فقالوا (يا موسى إن فيها قوما جبارين وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإنا داخلون . .) إلى قوله تعالى (قالوا يا موسى إنا لن ندخلها ماداموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون)(سورة المائدة الآية:٢٤-٢٢) .

فلولا دعم الأمريكان والإنجليز والشركات اليهودية والنصرانية للصهاينة لما تمكنوا من الإقامة في فلسطين .

إذن قياس هؤلاء المحاربين للإسلام الحاقدين على المسلمين على حفنة من اليهود كانوا في المدينة تحت موادعة المسلمين قياس فاسد كما تقدم .

فإذا كانت الشعوب الإسلامية في الوقت الحاضر ليس لديها قوة في الجهاد المسلح ضدهم بسبب الخلاف القائم بين حكام المسلمين وتخاذلهم عن إعلان الجهاد وارتباط أكثرهم بالدول الكافرة فلا أقل من المقاطعة الاقتصادية ضدهم وضد شركاتهم وبضائعهم .

وبناءا على ما قدمته فإنني أحث إخواننا المسلمين في المثابرة والمصابرة على هذا الجهاد ، قال تعالى (يا أيها الذين أمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا ..)(سورة آل عمران الآية:٢٠٠) ، وأن لا يملوا أو يتكاسلوا فإن النصر مع الصبر ، وأن يجتهدوا في مقاطعة الشركات والبضائع الأمريكية والبريطانية واليهودية مقاطعة صارمة وقوية وشاملة ، قال تعالى (وتعاونوا على البر والتقوى ..)(سورة المائدة الآية:٢) ، وقال عليه الصلاة والسلام : (المؤمنون تتكافأ دماؤهم وهم يد على من سواهم)(١) رواه أحمد من حديث علي بن أبي طالب .

وقد لمسنا ولله الحمد فيما سبق وفيما تناقلته وسائل الإعلام أثر المقاطعة الشعبية السابقة على الاقتصاد الأمريكي والبريطاني واليهودي .

والحاصل أن أمريكا وبريطانيا وراء محاربة الجهاد في كل مكان ، وهم وراء دعم الصهاينة في فلسطين ، ووراء الحصار الاقتصادي على دولة طالبان الإسلامية في أفغانستان ، ووراء دعم الروس ضد المجاهدين الشيشان ، ودعم النصارى ضد إخواننا المجاهدين في الفلبين وإندونيسيا وكشمير وغيرها ، وهم وراء دعم أي توجه لإضعاف الجهاد الإسلامي وإضعاف المسلمين ، ووراء محاصرة شعب العراق المسلم وشن الغارات اليومية عليه منذ أكثر من عشر سنين ظلما وعدوانا ، مع قطع النظر عن حكامه .

وقد صدق فيهم وفي غيرهم قوله تعالى (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم)(سورة البقرة الآية:١٢٠) .

اللهم عليك بالأمريكان والبريطانيين واليهود والنصارى وأعوانهم وأشياعهم ، اللهم اشدد وطأتك عليهم واجعلها سنين كسني يوسف ، كما أسأله سبحانه أن يوفق علماء المسلمين إلى أن يصدعوا بالحق وألا يخشوا في الله لومة لائم .

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أملاه فضيلة الشيخ

أ . حمود بن عقلاء الشعيبي

٤ / ٤ / ١٤٢٢ هـ

---

(١) مسند أحمد (٩٩١) وحكم شعيب الأرنؤوط صحيح لغيره .

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

رسالة موجهةٌ من فضيلة الشيخ/ حمود بن عبد الله بن عقلاء الشعيبي إلى سماحة المفتي العام الشيخ/ عبد العزيز بن عبد الله بن باز– يرحمهم الله

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد..

فهذه رسالة موجهةٌ من فضيلة الشيخ/ حمود بن عبد الله بن عقلاء الشعيبي إلى سماحة المفتي العام الشيخ/ عبد العزيز بن عبد الله بن باز– يرحمه الله– في شأن الدفاع عن فضيلة الشيخ/ سليمان بن علوان عندما افترى عليه أعداؤه الحاقدين من الأكاذيب والافتراءات، حملهم على ذلك الحسد الذي أحرق صدورهم بسبب ما فتحه الله على فضيلة الشيخ/ سليمان من علمٍ ودراية. وهذا نص الرسالة:

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد..

من حمود بن عقلاء الشعيبي إلى سماحة الشيخ/ عبد العزيز بن عبد الله بن باز– حفظه الله– وأمدَّ في عمره على عمل صالح.

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.. وبعد:

لقد ساءني كثيرًا وأقلقني ما سمعته وبلغني من كتابات بذيئة واتهامات باطلة وتزويرات واضحة من دون بينةٍ وبرهان ممن يدَّعون الانتساب للعلم، والعلم وأهله بريئان ممن يسلكون هذه المسالك الباطلة ضد العلماء وطلبة العلم، ألا وهم من قاموا ضد الشيخ/ سليمان بن ناصر بن علوان من الحساد المغرضين.

سماحة الشيخ... إن الشيخ/ سليمان العلوان قد عرفه الجميع واستفاض ذكره، وهو ممن نعرفه منذ نعومة أظفاره بالاشتغال بطلب العلم وحفظه ومدارسته، حتى بدأت دروسه في علم العقيدة والحديث والفقه وأصوله في سائر الفنون، وانكبَّ على الحديث فصار الدليل قرينه في دروسه وفتاويه، وحرص على علم الجرح والتعديل وعلم الرجال حتى برع فيه، فقَلَّ أن يذكر حديثًا إلا ويخرجه، والحمد لله على ذلك. فكم شرَح من متْن وحفَّظَه من كل فن، وكم قُرىء عليه في دروسه من كتاب وفسره، وكم سُئل من مسألة فكتب فيها وأجاد. ومن دروسه– على سبيل المثال– وهي دائمة في الإجازات وغيرها ولا تتوقف بفضل الله إلا نادرًا، نسأل الله أن يزيدها ويبارك في الشيخ

وعلمه: درس بعد صلاة الفجر من كل يوم عدا الجُمَع في ستة متون من كتب العلم، وهي بلوغ المرام وكتاب التوحيد والرحبية وسنن أبي داود وتفسير البغوي ونخبة الفكر، ودروس بعد الظهر حتى قبل العصر كذلك وهي في صحيح البخاري والترمذي والموطأ وفي النحو وفي العقيدة والفقه وغيرها، وحديث العصر والعشاء في المسجد المجاور لمنزله في الفقه والأحكام وتوضيح الدين وبيانه، بل من فضل الله كل مجالسه عامرة بذلك.

ولا أنسى أن أُبيّن لسماحتكم ما يتميز به الشيخ/ سليمان من غيرةٍ لدين الله، وصدع بالحق وإنكار للمنكرات ومحبة للعلماء والدعاة الصادقين المخلصين، مما حدا بالحُساد والمغرضين والحاقدين أن يشوا به ويكتبوا فيه ما شاءوا مما تمليه عليه أهواؤهم.

سماحة الشيخ... إنني لا أريد في هذه الرسالة أن أترجم للشيخ/ سليمان حتى تعرفونه، فلربما عندكم عنه الشيء الكثير، وتسمعون عنه وعن جهوده العلمية ما يغني عن الإطالة وبسط الحديث، وما ذكرتُه عنه في هذه الرسالة إشارةٌ موجزة فقط حتى تتيقنوا أن ما يُكتَب عنه إنما هو من باب الحسد والحقد وإرادة الوقيعة به، من مثل هذا الكاتب ومن معه ووراءه، وما أُمَثِّل ما قاموا به ضد الشيخ إلا كما قال الشاعر:

وإذا أتتك مذمتي من ناقص ـــــــــــــــ فهي الشهادة لي بأني كامل

سماحة الشيخ... أيليق برجل من أهل العلم والفضل من أمثال الشيخ/ سليمان أن يُترَك لقمةً سائغة لهؤلاء الحاقدين المغرضين الذين ليس لهم إلا تتبع العلماء والإطاحة بهم والنيل من أعراضهم؟!! إن خطر هؤلاء على العلماء والدعاة كبير إذا تُركوا وما شاءوا.

سماحة الشيخ... إنني لا أريد في هذا الخطاب الدفاع عن الشيخ/ سليمان فقط، ولكن دفاعًا عن العلم والعلماء، لأن أمثال هؤلاء إن سُكِت عنهم تجرءوا على ما هو أشد وأكبر من ذلك، ويتجرءون على غيره من العلماء والدعاة، وأرجوا من سماحتكم رَدْع هؤلاء وذلك بما يلي:

أولاً: يُرَدُّ اعتبار الشيخ/ سليمان، لأن الذي جرأ هؤلاء على الكتابة على شكل مؤلف بلا شك أنهم يتحدثون به ويشتهرون بذلك في كل مجلس.

ثانيًا: محاكمة هؤلاء على ما قاموا به من الكذب والتزوير، فلا يخفى على سماحتكم خطر التزوير في أمور الدنيا ولو على الفساق فكيف بالعلماء.

ثالثًا: رمْي هؤلاء الشيخَ بالكذب واتهامه بالتكفير من أخطر الأشياء وأعظم الأمور، وقد ثبت في مسلم عن أبي هريرة ﷺ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أيما امرئ قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما، إن كان كما قال، وإلا رجعت عليه»(١)، فهل حُقِّق مع هؤلاء ونوقِشوا وطُلِب منهم إثبات الحقائق على ذلك وما مقصدهم من ذلك وإلى أي شيء يهدفون.

رابعًا: أرجو من سماحتكم أن تتكرموا بكتابة تزكيةٍ خَطِّية للشيخ/ سليمان وتسلية له لما يعانيه من أذى هؤلاء إحقاقًا للحق وإبطالاً للباطل ورد اعتبار للشيخ.

وفي الختام؛ جزاكم الله عنا وعن المسلمين خير الجزاء على ما تقومون به وتبذلون من جهود عظيمة لخدمة الإسلام والمسلمين، ونسأل الله أن يبارك في جهودكم، وأن يعينكم على أموركم، ويسدد خطاكم، وأن يجعلكم شجرةً مباركة، وأن يختم لنا ولكم بخير.

أملاه الشيخ/ حمود بن عقلاء الشعيبي

التاريخ ١٤١٧/٤/٣هـ

(١) صحيح مسلم تحت حديث رقم ١١١- (٦٠) .

بيان في الدفاع عن الشيخ عبدالكريم الحميد (١)

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، وبعد :

فإن فضيلة الشيخ عبد الكريم بن صالح الحميد – وفقه الله – من أهل العلم العاملين الذين أعطاهم الله بصيرة في الدِّين مِمَّن قَضَوا أعمارهم وأوقاتهم في نصر السُّنة والذب عن حياضها ، هكذا نحسبه والله حسيبه ولا نزكي على الله أحداً ؛ وقد اطَّلَعْتُ في الآونة الأخيرة على كثيرٍ من كُتُبِ ورسائل فضيلة الشيخ وهي في الرد على أهل البدع والأهواء وفي الرقائق وإنكار المنكرات ، انتهج فيها الشيخ عبد الكريم منهج أهل السنة والجماعة ، نسأل الله أنْ يزيده من فضله .

ومن هنا نحث الشباب وطلبة العلم أن يُكثروا من الاستفادة من عِلم الشيخ ومن كتبه وبحوثه ، وأن يلتزموا حَلْقَتَه ودَرْسَه إذ فيها نفع عظيم .

نسأل الله أن يَمُنَّ على فضيلة الشيخ عبد الكريم بالثبات على الإسلام ، والتوفيق ؛ وأن يزيده من العلم النافع والعمل الصالح إنه ولي ذلك والقادر عليه .

وصلى الله على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أملاه / حمود بن عقلاء الشعيبي

١٩ / ٥ / ١٤٢٢ هـ

---

(١) وجدت هذا البيان في موقع ملتقى أهل الحديث ضمن مقالة بعنوان: ترجمة مختصرة لفضيلة الشيخ عبدالكريم الحميد .

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

معالي الأخ العزيز مدير جامعة الملك سعود– رعاه الله ووفقه–

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته... وبعد

قد وقع في يدي صورة لمذكرةٍ تُدرَّس لطالبات كلية التربية الفنية، وهي إحدى المقررات على الطالبات، واسم المادة (فنون عصر النهضة والفنون الجميلة)، وفي الكتاب المقرر صور فاضحة عارية لرجال ونساء، وأسوأ من ذلك أنها تحوي صورًا لعدد من الأنبياء عليهم السلام، ويزيد الأمر سوءًا أن أستاذ المادة د./ مُحَمَّد الرصيص يعرض هذه الصور للطالبات ملونة عبر الشبكة التلفزيونية.

وفوق ذلك كله فالطالبات– وقد ضِقن ذرعًا بهذه المادة– يشتكين من عرض الأستاذ لصور أخرى خارج هذا الكتاب هي أشد قبحًا، مثل عرضه لصورة (الذات الإلهية) على شكل رجل سمين ذي لحية، قبيح المنظر، مما اضطر كثيرًا من الطالبات للخروج من القاعة كما جاء ذلك في الرسالة الموجهة من الطالبات والمرفقة لمعاليكم من المذكرات المقررة.

ومما يجدر ذكره أنه بلغني أن هذا الكتاب المقرر لا يُباع في المكتبات الخاصة ولا العامة، ولا يوجد إلا في قسم الممنوعات التي لا يُسمح بإعارتها بمكتبة الملك سعود برقم (٩٠٧/٢٠ ع ن ف).

معالي المدير... نعلم غيرتكم لدين الله وحرصكم على سمعة الجامعة، ونثق أنكم لا ترضون عن هذا الواقع، بل ولا يتفق ما يعرض من رسالة الجامعة وأهدافها...

لذا نهيب بمعاليكم سرعة النظر في هذه المادة، ومسائلة أستاذها، ومعاقبة من يتجرأ على عقيدة أهل هذه البلاد وقِيَمِهم، ونقترح على معاليكم تشكيل لجنة ممن تثقون به للنظر في عموم مناهج قسم التربية الفنية؛ فثمة مناهج أخرى من أمثال (فنون الغرب في العصور الوسطى والنهضة والباروك والعصور الحديثة)، ويدرس المادة د./ مُحَمَّد عبد الرحمن النملة، وفيها هي الأخرى صور فاضحة لا يليق عرضها على الطالبات والطلاب. ويحق لنا ولمعاليكم أن نتساءل: ألا يوجد في الفن الإسلامي بديل عن هذه الفنون المخلة بالعقيدة والأخلاق؟

سدد الله خطاكم في مسؤوليتكم، وكتب الخير على أيديكم، وأصلح الله الجميع معلمين ودارسين...

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أخوكم حمود بن عقلاء الشعيبي

الأستاذ (سابقًا) في قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة بجامعة الإمام مُحَمَّد بن سعود الإسلامية

القصيم – بُريدة ص. ب./ ٤٣٩٧ – هاتف/٠٦٣٢٥٣٩٩٦

بسم الله الرحمن الرحيم

رسالة من الشيخ حمود رحمه الله الى معالي الأخ الدكتور مُحَّمد بن أحمد الرشيد "وزير المعارف"

المملكة العربية السعودية

القصيم/بريدة

مكتب فضيلة الشيخ/ حمود بن عقلاء الشعيبي

التاريخ ٢٤/١٠/١٤٢٠هـ

الرقم/ ....

معالي الأخ الدكتور/ مُحَّمد بن أحمد الرشيد (وزير المعارف)- سلمه الله-...آمين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فنشير إلى وصول خطابكم المؤرخ في ١١/٩/١٤٢٠هـ، وإننا نشكر لمعاليكم تجاوبكم السريع مع ما تم طرحه من ملاحظات حول المدارس الأجنبية في المملكة، وما قمتم به- مشكورين- من إيضاحٍ لبعض الأمور المتعلقة بهذا الموضوع، وإننا لنُقَدِّر فيكم اهتمامكم وحرصكم. حفظكم الله وسدد خطاكم. والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

أخوكم حمود بن عبد الله بن عقلاء الشعيبي .

المقدمات وما إليها

كتاب الموثق "جمع لأحاديث الأحكام من الصحيحين"(١)

تقريظ فضيلة الشيخ العلامة حمود بن عقلاء الشعيبي

الحمدلله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين...

أما بعد:

فقد اطلعت على ما جمعه الشيخ صالح بن عبدالله الشقيق في كتابه المسمى (**الموثق**) الذي بناه على الأحاديث النبوية التي معظمها مما اتفق عليه الشيخان أو انفرد به أحدهما ، وقد رتبه على أبواب الفقه ، فوجدته كتاباً جيداً نافعاً حافلاً بالأدلة الشرعية، شاملاً لأبواب الفقه ، وهذا منحى ومنهج مبارك من ربط الناس على الاعتماد على الأدلة الشرعية في الأحكام الفقهية .

وإذا كان هذا المؤلف المبارك بهذه المنزلة من صحة أحاديثه ، وحسن تنظيمه ، وترتيب أبوابه ، وجمعه لمعظم الأحكام التي يحتاج إليها الطلاب ، فإني أنصح بأن يقرر بمعاهد العلمية أو ما يماثلها كمادة للحديث.

ونسأل الله عز وجل له التوفيق ولكتابه القبول.

وصلى الله وسلم على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أملاه

حمود بن عقلاء الشعيبي

١٤٢١/١٢/٢٠ هـ

---

(١) أنظر كتاب الموثق "جمع لأحاديث الأحكام من الصحيحين" ص١

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

كتاب حقائق في التوحيد (١)

تقديم سماحة الوالد العلامة الشيخ حمود بن عقلاء الشعيبي :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين ،وبعد:

فإن التأليف والتدريس والشرح في كتب التوحيد والعقيدة من أهم الأمور و أعظمها ، لأن هذا العلم هو من أفضل العلوم قال تعالى (فاعلم أنه لا اله إلا الله واستغفر لذنبك)(٢) ولاسيما في هذا العصر الذي اشتدت فيه الغربة وكثر فيه الجهل بالتوحيد والعقيدة إلا من رحم الله ، فنشرها الآن والاهتمام بذلك من أعظم القرب والجهاد ، لاسيما في هذا الزمن الذي بدأنا نسمع فيه الدعوات والصيحات من هنا ومن هناك في التزهيد في كتب التوحيد والعقيدة لاسيما في كتب الإمام العلامة الشيخ مُحَمَّد بن عبد الوهاب رحمه الله وفي كتب ورسائل أئمة الدعوة المباركة ، ولقد اطلعت على مؤلفات فضيلة الشيخ علي بن خضير الخضير الثلاثة في مجال التوحيد وهى كتاب الجمع والتجريد في شرح كتاب التوحيد الجزء الأول ،وكتاب الحقائق في التوحيد ،وكتاب التوضيح والتتمات على كشف الشبهات ،فوجدتها كتب مفيدة ونافعة في بابها ، فنسأل الله تعالى أن يكتب لها القبول والتوفيق ، كما أحث إخواننا المسلمين على الاهتمام بالتوحيد والعقيدة تعلما وعملا ودعوة ففي ذلك الفضل العظيم والنصر المبين

نسأل الله أن ينصر دينه ويرفع رآية التوحيد والجهاد وأن يخذل أعداء هذا الدين إنه ولى ذلك والقادر عليه ،وصلى الله وسلم على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أملاه فضيلة الشيخ العلامة حمود بن عقلاء الشعيبي

الختم

---

(١) أنظر كتاب حقائق في التوحيد ص ١

(٢) سورة مُحَمَّد : ١٩

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب التبيان لما وقع في الضوابط منسوباً لأهل السنة بلا برهان وكتاب إنجاح حاجة السائل في أهم المسائل (١)

تقديم الشيخ العلامة حمود العقلاء الشعيبي

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين

وبعد:

فقد اطلعت على كتاب: ((التبيان لما وقع في الضوابط منسوباً لأهل السنة بلا برهان)) جمع وإعداد الشيخ: أحمد بن حمود الخالدي وفقه الله، فوجدته كتاباً نافعاً فيما تحدث عنه في مسألة الأسماء والأحكام والشرك وقيام الحجة وما يتعلق بذلك ومسائل البدع والحجة فيها ومسائل الوعيد.

وهذه المسائل من المسائل المهمة في هذا العصر لمن وفقه الله في فهمها ومعرفتها حق المعرفة، فجزاه الله خيراً على ذلك.

كما اطلعت على رسالته المسماه: ((إنجاح حاجة السائل في أهم المسائل)) حيث لخص في هذه الرسالة المسائل السابقة في كتابه: ((التبيان))، وما أضاف إليها من ذكره لإصول في التوحيد والشرك والطاغوت وما إلى ذلك، فوجدته قد أجاد وأفاد وأحسن.

نسأل الله أن يوفقنا وإياه وإخواننا المسلمين إلى الصواب والحق والله الهادي إلى سواء السبيل.

وصلى الله على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه اجمعين

أملاه: حمود بن عقلاء الشعيبي

١٩ / ٦/ ١٤٢٢ هـ

(١) أنظر كتاب إنجاح السائل في أهم المسائل ص ١

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب التأصيل في مشروعية ما حصل لأمريكا من تدمير(١)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف النبيين والمرسلين؛ نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد:

فقد اطَّلَعْتُ على ما كتبه فضيلة الشيخ/ عبد العزيز بن صالح الجربوع- وفقه الله- في كتابه: (التأصيل في مشروعية ما حصل لأمريكا من تدمير)؛ حيث بنى كتابه- وفقه الله- على أصولٍ معينة ذكر فيها وجوب إعداد العدة المعنوية والحسية لقتال الكفار، وعدم جواز حمل الأمة على رأي واحد وإلزامها به إذا كان مخالفًا للشريعة، خصوصًا إذا كانت هذه الآراء مُسَيَّسة تخدم جهات معينة، وذكر أن الأصل مع الكفار الحرب. وتكلم عن مسائل عقد الهدنة وما يتعلق بها، وتكلم عن الهدنة الباطلة المخالفة للشريعة، وذكر مسألة مظاهرة الكفار وحكمها في الشريعة وهو الكفر والردة، ثم تكلم عن ما أصاب أمريكا من أحداث الدمار لصرحها الاقتصادي والعسكري، ثم بيَّن مشروعية هذا العمل لو قام به مسلمون وأنه من الجهاد في سبيل الله. ثم ختم كتابه باستعراض مجموعة من الشُبَه الباطلة التي يروجها وينشرها بعض المشبوهين والمنهزمين والصادّين عن سبيل الجهاد. وقد أحسن في استعراض الشبهة والرد عليها. فهو كتاب مفيد ونافع ننصح بقراءته، ويعتبر سلاحًا يتمسك به المسلم لمقاومة التيارات الحديثة الفاسدة. والشيخ/ عبد العزيز- وفقه الله- أبلى بلاءً حسنًا في مقاومة هذه التيارات والأقاويل الباطلة المنهزمة، وتصدى لها وبذل جهده ونصحه للإسلام والمسلمين. وهكذا ينبغي أن يكون العلماء والمشايخ في هذه الفترة: أن يكونوا يدًا واحدة قوية في النصح والصدع بالحق؛ لا يخافون في الله لومة لائم، ولا يجاملون أو يداهنون أو يتنازلون أو يتميعون. والله غالبٌ على أمره، ولا تزال طائفة من الأمة على الحق منصورة لا يضرها من خالفها.

نسأل الله أن ينصر المجاهدين في سبيله في كل مكان، وأن يخذل أمريكا ومن ظاهرها ووالاها، ويزيدهم تدميرًا إلى تدميرهم، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلى الله على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أملاه فضيلة الشيخ

أ./ حمود بن عقلاء الشعيبي

١٤٢٢/٩/١هـ

---

(١) أنظر كتاب التأصيل في مشروعية ما حصل لأمريكا من تدمير ص ١

كتاب التبيان في كفر من أعان الأمريكان (١)

تقديم ؛ سماحة الشيخ حمود بن عقلاء الشعيبي – حفظه الله تعالى –

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد...

فقد اطلعت على كتاب "التبيان في كفر من أعان الأمريكان" لفضيلة الشيخ ناصر بن حمد الفهد – حفظه الله تعالى – فوجدته من أحسن الكتب في بيان هذه المسألة، حيث اجتهد – وفقه الله – في جمع الأدلة وتوضيحها في هذه المسألة العظيمة اليوم؛ وهي كفر وردة من أعان وظاهر الأمريكان كما عنون – جزاه الله خيراً – بذلك كتابه. ولا شك أن هذه المسألة إجماعية وفاقية، وكان من الأمر العجيب ومن غربة الدين أن تكون هذه المسألة الواضحة وضوح الشمس مجال جهل أو التباس أو تمييع عند بعض العلماء فضلاً عن غيرهم ولا حول ولا قوة إلا بالله.ولذا فإنني أنصح جميع الطبقات من علماء وطلبة علم ودعاة وشباب الصحوة بقراءة هذا الكتاب واقتنائه وجعله سلاحاً يستفاد منه في مواجهة بعض الأقوال والآراء والتيارات المشبوهة اليوم التي يراد منها أن تروج وأن تستحوذ على أفكار الناس.

ولا تزال طائفة من هذه الأمة على الحق منصورة تجاهد وتصاول ضد الباطل وأتباعه، والله ناصر جنده وحزبه، قال تعالى:{وإن جندنا لهم الغالبون }(الصافات:١٧٣)، وقال تعالى:{والعاقبة للمتقين}(الأعراف:١٢٨)، وقال تعالى :{وأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض}(الرعد:١٧).

وإني أحث إخواننا العلماء خاصة أن يتقوا الله في هذه الأزمنة وأن يقوموا بما أوجب الله عليهم من الصدع بالحق والبيان للناس في الأمور المهمة والخطيرة، {وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه}(آل عمران:١٨٧)، وقال تعالى:{فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين }(الحجر:٩٤)، وأن يجاهدوا بالكلمة والبيان والفتوى ولا يراعوا في ذلك هوى حاكم، ولا دنيا زائلة ،{وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم}(مُحَمَّد:٣٨).

(١) أنظر كتاب التبيان في كفر من أعان الأمريكان ص ١

والشيخ ناصر الفهد – وفقه الله – له جهود مباركة، فقد ساهم وجاهد – وفقه الله – في مناصرة الحق وأهله، ودفع الباطل وأهله، وتصدى لهم في كتب ورسائل كثيرة معروفة، نسأل الله أن يكتب له الأجر والمثوبة وأن يثبته على ذلك.

نسأل الله تعالى أن ينصر المجاهدين في كل مكان، وأن يخذل الكافرين وأعوانهم في كل مكان.

وصلى الله على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أملاه؛ أ. حمود بن عقلاء الشعيبي

١٤٢٢/٨/٥ هـ

رسالة الشيخ حمود بن عقلاء الشعيبي للدكتور محسن العواجي ..

بخصوص منتدى الوسطية

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة الدكتور/ محسن العواجي- حفظه الله-

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. أما بعد :

(١) فإن الله سبحانه وتعالى أرسل محمدًا ﷺ بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون، ووفقنا لأن نحمل جزءًا من هذه الدعوة حتى نكون حلقةً توصيل الدين لمن خفي عليه أو جهله. وإذا كنا كذلك فقد أوجب علينا الله سبحانه وتعالى أن نتوخى القصد الحسن والعمل الصالح، ولا نتبع الأهواء ولا الشهوات حتى لا نضل عن سبيل رب العالمين.

وبما أن دعوتنا تُحاصَر من جهات عِدة من خلال القنوات الفضائية والصحف والمجلات والتلفزة والإذاعة والإنترنت وغير ذلك؛ نجد أن هناك من طلبة العلم المعدودين على الدعوة والغيرة على الدين، نجد منهم دعمًا لهذا التوجه وهذه الدعوة الجديدة لتمييع الدين ومحاولة تشتيت أفكار العامة وتشكيكهم ببعض مسلمات الدين، ومحاولة إقناعهم ببعض البدعيات والشركيات وببعض الأشخاص الحاملين لبعض اللوثات إما الفكرية أو العقدية.. حتى يجعلوا لما يُبث في تلك الجهات أرضية تتوافق هي وتلك الدعوات، حتى تنسلخ الأمة- كما هي في طريقها إلى ذلك- من العفة والغيرة، وتصبح الأمة أمةً ممسوخة لا تعي متطلبات الشريعة، ولا تعي ما يُراد منها، حتى يأتيَ يوم من الأيام- وبسبب هؤلاء الدعاة هداهم الله- فلا نجد لدعوتنا مُرّدِّدًا .

وقد تعددت عليّ الشكاوى على منتداكم "الوسطية"، وكنت أمتنع عن أن أصدر شيئًا حتى أطَّلِع بنفسي على ما يقوله الإخوة طلبة العلم، وأتبين من الأمر مِن قِبَلِكم، وقد اطلعت على جملة من المقالات المعروضة في الموقع.

واستعجبت أشد العجب من تلك المواضيع الغريبة، والتي هي في جملتها إما تشكيكٌ لمسلمات الدين وضروراته، أو محاولة إزالتها بالكامل من عقول المسلمين، أو نشر للبدعة، أو سبٌّ لعقيدة أهل التوحيد، ووصفُ أهلها بأوصاف لا ينبغي أن تنبعث من جهةٍ أنتم أصحابها، وقد تعاظمتُ ذلك في نفسي.

---

(١) بما أن الدكتور وفقه الله نشر هذه الرسالة بمنتداه وكانت خاصة به ، وكما يقول : (حتى تعم الفائدة) فنحن كذلك ننشرها حتى تعم الفائدة . أملاه حمود بن عقلاء الشعيبي ٢٠ / ٤ / ١٤٢٢ هـ .

وأريد الآن أن أعرض عليك ما يدور في منتداكم كما أطْلعه عليّ بعض طلبة العلم، وهو كما يلي:

أ– فيما يخص منهج أهل السنة والجماعة:

١– عدم الإمساك عما شجر بين صحابة رسول الله ﷺ، كما نُقِل في "الوسطية" تكذيب أبي الدرداء لمعاوية رضي الله عنهما.

٢– فتح باب الاجتهاد في المعتقد، وهذا غير جائز بإجماع أهل السنة.

٣– التعريض بأهل السنة لقيامهم ضد من قال بخلق القرآن.

٤– انتقاد التعصب لرأي أهل السنة والمطالبة بحرية الاعتقاد.

٥– التعرض لعقيدة الشيخ/ مُحَمَّد بن عبد الوهاب ولمزها بسيئ الأقوال.

ب– فيما يخص دعم منهج الفرق الضالة:

١– السماح للرافضة أن ينشروا دعوتهم لمنهجهم الرافضي، مثلما نُشِر عن إقامة محاضرة الصَّفَّار في أحاديثهم.

٢– التعرض لصحابة رسول الله ﷺ كما في نسبة عقيدة "الجبر" لمعاوية رضي الله عنه.

٣– السماح للكفار وللكتاب أصحاب التوجهات الملوثة أو غير المعروفين أن يدخلوا أماكننا لكي يبثوا معتقداتهم، وهذا خلاف ما عليه صحابة رسول الله ﷺ كما في قصة صبيغ لما ضربه عمر رضي الله عنه ،خاصة إن كان النقاش بحضرة العامة من الناس والذين قد يرتدوا عن الإسلام أو قد تتشتت أفكارهم، وقد ذكرتَ أنك لا تمانع من نقاش أي آدمي، وهذا مما لا يجوز فعله أو الرضا به.

٤– التشكيك في تضليل بعض الفرق والجماعات مثل المعتزلة والأشعرية والصوفية والماتريدية، وأنهم ثورة كما يقول منتداكم إسلامية فكرية.

ج– فيما يخص الخلافات الفقهية:

يردد– فيما عرض عليّ– كثيرًا قضية أن المسألة الفلانية فيها خلاف وما أشبه ذلك، وهذا المنهج المسار عليه في المنتدى وهو البحث عن الخلافات الفقهية أمام من لا يفقه الأمر من أكبر الأخطاء، خاصة أنه قد يدخل البعض فيشكك بمصداقية بعض الآراء كما شكك في معتقدات أهل السنة كما مر معنا، ولا أظنك يخفى عليك أن كثيرًا من الناس قد يتشتت بسبب ذلك. كل هذا في جهة وكون منتدى الوسطية يحاول أن يبحث ببعض الآراء التي هي من متطلبات المتحررين عن الدين والمطالبين بإخراج المرأة من عفتها وكرامتها وبيتها في جهة أخرى، وما ذكرتُه لك في أول الرسالة هو ما أعنيه في هذه النقطة، فإذا كان منتداكم "الوسطية" يطالب بتحرير بعض المسائل كغطاء المرأة وسماع الغناء والتصوير وغير ذلك، ونحن نعلم– كما يعلم غيرنا– ماذا يريدون بتلك

المطالبات، فإذا أثبتم أن ذلك من المباح؛ إذن فالقنوات الفضائية والتلفزة وقيادة المرأة وتصويرها وإخراجها من بيتها لتقف جنبًا إلى جنب مع الرجل في عمله وسوقه وغير ذلك مباح أيضًا، فإذا كان منتداكم بهذه الطريقة.. كان داعمًا وناصرًا للدعوات التحررية تلك التي مرت على الأمة الإسلامية قبل عدة عقود، وكنتم بذاك ناصرين و معاضدين لأفكار العلمانيين والحداثيين والماسونيين وترويج أفكارهم بين المسلمين، وقد وجدتك تقول:

(... وأنه من طلبة العلم المتميزين في الرجوع للدليل وبحث المسائل الفقهية وتحريرها بتجرد وتنقيحها مما قد يعلق بها من "لوثات المجتمع عبر السنين")، وقلتَ: (ألا يمكن أن تكون هناك مسائل أخرى تحتاج إلى مبادرات مماثلة لبحثها "كالرمي" في يوم النحر وأيام التشريق في غير أوقاته المعهودة، ومسائل "السفر" و"الديات" و"الجنايات" و"القضاء" و"النكاح" وغيرها..)، وهذه العبارات يُفهَم منها أن وراء الأكمة ما وراءها.

د- فيما يخص العلماء وطلبة العلم:

لفت نظري توجُّه منتداكم لتجريح وإلصاق التهم على بعض العلماء وطلبة العلم، ومحاولة تشويه صورتهم أمام الناس، ووصمهم بالتكفيريين والحروريين والغلاة وما أشبه ذلك، ولفت نظري أيضًا أنكم تحسنون الحديث مع الكفار وبعض أصحاب الأفكار المنحرفة، أما مع بعض المشايخ وطلبة العلم فمنتداكم من أشد الناس عليهم، وقد لاحظت الآتي:

١- وصف الشيخ/ سفر بالهوى وبعض الألفاظ غير اللائقة، وإن كنتَ أحرجت الشيخ/ سفر في عرض ذلك المقال الذي منعَتْه الصحف فهذا لا يسمح لك أن تجعل من الشيخ ألعوبةً بين بعض من لا فَهم لهم ولا فِقه ولا دعوة، حتى تصل إلى نفس ما يقوم به بعض المغرضين ضد الدعوة والخير.

٢- الشيخ/ عوض القرني وصَفَه منتداكم أن عباراته ضد تركي الحمد المرتد إنشائية لا تعرف الحيادية والإنصاف من قبيل ولا من دبير، وأن ذلك حَجْر فكري، وأن ذلك إصدار لصكوك الزندقة والضلال وغير ذلك، ما معنى كل هذا، وما مقصود منتداكم من هذا التشويه لأقوال الشيخ بمثل هذه الجمل السيئة، والتي يراد منها تشويه صور من قام ضد العلمانيين والحداثيين والعقلانيين؟!

٣- الشيخ/ ناصر الفهد وصفتموه بالحروري، كيف ثبت لكم ذلك؟ ما معنى الحرورية عندكم؟ الحرورية عند أهل السنة هم من يُكَفِّر بفعل الكبيرة، هل وجدتم الشيخ/ ناصر الفهد يفعل ذلك؟

بيِّنوا لنا ذلك حتى نصدر فيه فتوى بذلك، أما أن تقولوا قولاً وتتبنونه في منتداكم في إصدار الأحكام على طلبة العلم لكونهم لهم توجه غير توجهكم فهذا غير مقبول.

٤- الشيخ/ سليمان الخراشي أيضًا؛ لماذا تسمح لمنتداكم أن يصفه بتلك الأوصاف المشينة؟ بالتكفير والتبديع والتفسيق؟ كيف أثبتم ذلك؟ ما الداعي لأن تسمح لكُتَّاب موقعك الذين لم يُعرفوا لا بعلمٍ ولا فقه ولا نُصرة للدين أن يقوموا على الغيورين من طلبة العلم المعروفين بالدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والوقوف ضد بعض أصحاب التوجهات وبعض المشبوهين بأن يصدروا عليهم أحكامًا ملفقة؟ هل لكونهم لهم توجه غير توجهكم؟ وإن تماديتم في ذلك فلن نقبله ولن نرضاه ولن نسكت عنه. وفي مقابل ذلك- في موقعكم- تثنون على العلمانيين والحداثيين والمخالفين لسنن الإسلام المميعين للدين، الشانئين للسلفيين، كيف يكون هذا؟

هـ- الدفاع والثناء على العلمانيين والحداثيين والعقلانيين:

وفي مقابل ذم إخواننا طلبة العلم والعلماء نرى منتداكم يثني على العلمانيين والحداثيين وأصحاب التوجهات السيئة ويبحث لهم عن الأعذار والمبررات.

تركي الحمد المرتد الذي يستهزئ بكتاب الله ورسوله ودينه تدافعون عنه وتذمون منتقديه، و الغذامي أيضًا تبحثون له عن الأعذار، والكاتب جمال سلطان المعروف بوقوفه ضد العقلانيين والعلمانيين وغيرهم تصفونه بأنه إرهابي وغير ذلك.

مازلنا نظن فيك الخير يا دكتور/ محسن، ونتمنى أن تكون كما عهدناك آمرًا بالمعروف ناهيًا عن المنكر محبًا للخير والدعوة وأهلها، ونعيذك من أن تنزلق في طرق أهل العقل المزعوم والأهواء، المناهضين لعقيدتنا وديننا، ونصيحتنا لك أن تترك بعض أصحاب التوجهات الرديئة، أصحاب الأهواء، من يريدك أن تُنَفِّذ له مآربه. ونصيحتي لك ألا تجعل من نفسك سببًا للفُرقة بين طلبة العلم والدعاة والشباب بسبب أمرٍ من الممكن أن تتجاوزه، ونعيذك أيضًا أن تكون ممن قال فيه رسول الله ﷺ: (ما ضلَّ قومٌ بعد هُدى إلا أوتوا الجدل، ثم تلا ﴿ ما ضربوه لك إلا جدلاً ﴾) ...الحديث(١).

دع عنك مثل هذه المواقع واجعل غيرك ممن لا يفيد فيهم النصح ولا التوجيه أن يقوم به.

نسأل الله لنا ولك التوفيق والهداية واقتفاء هدي مُحَمَّد ﷺ. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أخوكم / حمود بن عقلاء الشعيبي

١١ / ٤ / ١٤٢٢ هـ

---

(١) المستدرك للحاكم (٣٦٧٤) وصححه الحاكم والذهبي.

بسم الله الرحمن الرحيم

رد الشيخ حمود بن عقلاء الشعيبي على رسالة أهالي مدينة حقل

فقد ورد إليّ سؤال من أهالي مدينة حقل في شمال المملكة هذا نصه :

فضيلة الشيخ حمود بن عقلاء الشعيبي حفظه الله من كل سوء .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد .

نحن أهالي مدينة حقل نعيش في المناطق القريبة والمعرّضة للبث الإعلامي المفسد للدين والخلق القادم من قنوات إسرائيل وما تعرضه من مفاسد كثيرة أخلاقية وعقائدية، ومثله القنوات الأخرى في الأردن ومصر. فما حكم مشاهدة ذلك ؟ وما نصيحتكم لأولياء أمور الأسر الذين يتساهلون في عرض هذه المفاسد في بيوتهم ؟

الجواب:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ومن والاه وبعد

مشاهدة البث الإعلامي المفسد للدين والخلق محرم لا يجوز، قال تعالى : { قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم}(سورة النور الآية:٣٠)، فأوجب غض البصر عن المحرمات . وقال تعالى :{ ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا } (سورة الإسراء الآية:٣٦)، فسوف يُسئل عما يسمع ويبصر من المحرمات. وقال تعالى : {يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور}(سورة غافر الآية:١٩)، وفي صحيح مسلم في كتاب القدر عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ (العينان زناهما النظر والأذنان زناهما الاستماع)(١).

أما مشاهدة ذلك عبر قنوات إسرائيل فهذا أخطر وأعظم لما هو معروف عن اليهود من الكيد لهذا الدين وأهله، والعداوة العظيمة ؛ قال تعالى : { لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا}(سورة المائدة الآية:٨٢)، وقال تعالى :{ود كثير من أهل الكتاب لو يردُّونكم} (٢) الآية . واليهود هم قتلة الأنبياء وقد حاولوا قتل نبينا محمد ﷺ، وناصروا الكفار ضد المسلمين في كل زمان ومكان، وغدروا وكادوا، وهم اليوم أشد مكرا وكيدا ومحاولة لإضلال المسلمين عبر قنواتهم الفضائية وإذاعاتهم وصحفهم .

---

(١) صحيح مسلم ٢١ – (٢٦٥٧) .

(٢) ورد في الأصل {ود كثير من أهل الكتاب لو يضلونكم}

ويحتمل انه قصد الآية (وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ) [سورة آل عمران ٦٩] .

وأما مشاهدة الكفريات والشركيات والإلحاد الذي يبثونه فهذا أخطر على دين المسلم ، قال تعالى :{وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذا مثلهم}(سورة النساء الآية:١٤٠)، وقال تعالى :{وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره}(سورة الأنعام الآية:٦٨) .

ومثل قناة إسرائيل أي قناة أخرى تبث الشر والمحرم سواء في الأردن أو مصر أو أي مكان في الداخل أو في الخارج في مشارق الأرض ومغاربها .

فساد الدين والخلق وفساد الحياة الزوجية وانتشار الجريمة والتعويد على السرقة والاغتصابات والاختطافات، والتعويد على انتهاك الأعراض ونشر السحر والشعوذة والكهانة والتنجيم، وتدريب الشباب والفتيات على المعاكسات والغزل والخيانة والدجل وتصوير الشر والفساد على أنه حضارة ورقي وتقدم، ونشر جرائم القتل والانتحار، وتعويد الناس على تمييع الدين . هذه بعض المفاسد .

فالواجب عليهم منع دخول التلفاز والفضائيات والمجلات والكتب المفسدة في بيوتهم ومحلاتهم، والمحافظة على أولادهم وبناتهم ونسائهم لأنهم مسئولون عن ذلك، قال تعالى : { يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة}(سورة التحريم الآية:٦) .وروى البخاري في كتاب النكاح ومسلم في كتاب الإمارة كلاهما عن ابن عمر واللفظ لمسلم قال : سمعت رسول الله ﷺ قال : (ألا كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته والرجل راع على أهل بيته وهو مسئول عنهم والمرأة رعيته على بيت بعلها وولده وهي مسئولة عنهم ..)(١) الحديث .

وترك الأب أو الأم أفراد الأسرة عند هذه القنوات خيانة لهم وغش وإعانة على إفسادهم، وقد روى البخاري في كتاب الأحكام، ومسلم في كتاب الإمارة كلاهما عن معقل بن يسار رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : (ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة)(٢) . وأفراد الأسرة رعية عند الأب والأم .

نهيب بمن له القدرة على أن يسلط أجهزة التشويش التي تمنع سماع أو رؤية ما يبث في هذه القنوات وأمثالها. أن يقوموا بوضع هذه الأجهزة لتحد من شر وفساد تلك القنوات الفاجرة .

وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين

أملاه فضيلة الشيخ أ. حمود بن عقلاء الشعيبي

١٤٢٠/٢/١ هـ

---

(١) صحيح مسلم ٢٠ – (١٨٢٩) .

(٢) صحيح مسلم ٢٢٧ – (١٤٢) .

بسم الله الرحمن الرحيم

رد الشيخ حمود بن عقلاء الشعيبي على الرسالة الموجهة إليه من بعض أهالي جدة.

وهذا نص الرسالة:

فضيلة الشيخ/ حمود بن عبد الله بن عقلاء الشعيبي– وفقه الله–

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد.

فإن الناظر في أحوال الحسبة اليوم، يرى ضعفها وخورها، بسبب تقليص كثير من صلاحياتها، والتقليل من جهودهم المباركة في إنكار المنكرات، ونقلهم إلى أماكن نائية إن هم أدوا دورهم الحقيقي، ووجود بعض المنافقين في صفوفهم؛ مما سبب الخور والضعف والتواني من بعض رجال الحسبة، وأصبحوا يرضون بقليل من الإنكار. فهل من كلمة إضافية شاملة من فضيلتكم لرجال الحسبة على وجه الخصوص، يثبت الله بها قلوبهم، ويسكن خائفهم، ويشرح الله بها صدورهم؟!!

وجزاكم الله خير الجزاء.

الجواب:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله من أعظم الواجبات وأهم المهمات، وهي من شعائر هذا الدين الظاهر ومن حقوق لا إله إلا الله، بل هي من أشرف مقامات الدين وفرائضه، قال تعالى: ﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ﴾(سورة آل عمران آية:١٠٤) . والأمة: الجماعة، قدر الكفاية كل حسب قدرته واستطاعته فإذا تركوه جميعًا أثموا وعوقبوا. فلا صلاح للعامة ولا الخاصة إلا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. واليوم أفلت شموس الإنكار إلا من رحم الله. وقد ذَمَّ الله تعالى من ليس فيهم بقية ينهون عن الفساد في الأرض، قال تعالى: ﴿ فلولا كان من القرون من قبلكم أولو بقيةٍ ينهون عن الفساد في الأرض إلا قليلاً ممن أنجينا منهم ﴾(سورة هود آية:١١٦) . والآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر هم الناجون، قال تعالى: ﴿ أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون ﴾(سورة الأعراف آية:١٦٥) . وهم اليوم القابضون على الجمر والغرباء، فإن غربة الدين قد اشتدت وآثاره طُمِست. قال ابن القيم– رحمه الله–: الغرباء في هذا العالم أهل هذه الصفة وهي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبقوله ﷺ: «بدأ الإسلام غريبًا

وسيعود غريبًا كما بدأ فطوبى للغرباء»(١)، قيل: ومن الغرباء يا رسول الله؟ قال: «الذين يصلحون إذا فسد الناس» (٢)، وفي حديث ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ ذات يوم ونحن عنده: «طوبى للغرباء» قيل: ومن الغرباء يا رسول الله؟ قال: «ناس صالحون قليل في ناس كثير، من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم»(٣) . فأهل الإسلام بين أكثر الناس غرباء، وأهل الإيمان بين أهل الإسلام غرباء، وأهل العلم في المؤمنين غرباء، وأهل السنة الذين تميزوا بها عن أهل الأهواء والبدع فيهم غرباء، والداعون إليها (أي السنة) الصابرون على أذى المخالفين لهم أشد غربة. ولكن وإن كانوا غرباء فهم أحق الناس بالحديث الذي رواه الطبراني عن أبي هريرة مرفوعًا: «المستمسك بسنتي عند فساد أمتي له أجر شهيد» ، بل أجره كأجر خمسين من السابقين كما جاء في الحديث(٤). أما قول السائل إن الناظر في أحوال الحسبة يرى ضعفها وخورها إلى آخره، فهذا صحيح، فإن لهذا الدين إقبال وإدبار، وإن من إدبار الدين أن تجفوا القبيلة– وإن شئت فقل المجتمع والدول بأسرها– حتى لا يوجد إلا القليل المستضعف وهم خائفون مضطهدون. أما ما يحصل للآمرين بالمعروف من الأذى والمضايقة والنقل فلهم أسوة بما حصل للأنبياء والرسل والمصلحين من الأذى والإهانة والسب ممن تعرض لهم ظلمًا وعدوانًا، يرفعهم الله بذلك ويُذِل ويفضح شانئهم ومضايقهم، قال تعالى: ﴿ ما يُقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك ﴾(سورة فصلت آية:٤٣) . وإذا عُلِم ذلك فالواجب على رجال الحسبة أن يحذروا من الخور والضعف والتواني، فإن ذلك من الشيطان يخوف أولياءه الفجرة الطغاة، قال الله تعالى: ﴿ إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافوني إن كنتم مؤمنين ﴾(سورة آل عمران آية:١٧٥) ، وقال تعالى: ﴿ إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾(سورة الرعد آية:١١) . وإياكم والنكوص، قال تعالى: ﴿ فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم ﴾(سورة التوبة آية:١٢٩) ، وقال تعالى: ﴿ فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم ﴾(سورة الصف آية:٥) . أخيرًا؛ ليعلم الجميع أن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله هي الجنة، لا تُنال إلا بالمكاره، وقد قال ﷺ: «حُفَّت الجنة بالمكاره»(٥) .

---

(١) صحيح مسلم (١٤٥) .

(٢) مسند أحمد (١٦٦٩٠) وحكم الألباني متوقف قي صحته. وأنظر السلسة الصحيحة (١٢٧٣) .

(٣) مسند أحمد (٦٦٥٠) وحكم شعيب الأرنؤوط حسن لغيره .

(٤) معجم الأوسط للطبراني (٥٤١٤) .

(٥) صحيح مسلم (٢٨٢٢) .

نسأل الله أن يوفقكم ويُعينكم ويشد عضدكم ويقوي قلوبكم، ويدحر ويُذِل معاديكم ومحاربكم، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون، وصلى الله على نبينا مُحَمَّد إمام المجاهدين والآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر وعلى آله وصحبه أجمعين.

أملاه فضيلة الشيخ حمود بن عقلاء الشعيبي

١٤٢١/٢/١٨هـ

كلمة الشيخ حمود بن عقلاء الشعيبي في مهرجان السنة النبوية

الذي أقيم في مدينة بريدة

تشرين الأول/أكتوبر من عام ١٩٩٢م

(الكلمة مفرغة من التسجيل الصوتي)

أيها الإخوة: أترككم مع كلمة لأحد مشايخنا، وهو شيخنا الشيخ حمود بن عقلاء الشعيبي فليتفضل.

بسم الله الرحمن الرحيم ..

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

إننا نرحب بإخواننا ونحييهم في بلدهم بلد العلم، وبلد العقيدة، وبلد الدعوة، فحياهم الله في بلدهم ومع إخوانهم، وإننا لنرجو الله أن يثيبهم، ويجازيهم على ما بذلوه من تعب وجهد في السفر من بلادهم إلى هذه البلد المباركة، وعلى ما تركوه من مشاغلهم، وجاءوا حباً للعلم ولأهله.

أيها الإخوان: إن الله سبحانه وتعالى قد منَّ على عباده بإرساله محمداً ﷺ إليهم، حيث قال: (لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ) [آل عمران:١٦٤] وإن أكبر نعمة أنعم الله بها على أهل الأرض هي إرساله محمداً ﷺ إليهم بالهدى ودين الحق.

وكثيراً ما يذكر سبحانه وتعالى بهذه النعمة في كتابه العزيز (وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ) [الأنفال:٢٦]

وقال سبحانه وتعالى:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ * وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا) [آل عمران:١٠٢ -١٠٣].

وقال سبحانه وتعالى: (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ) [الجمعة:٢] وإذا أراد الإنسان أن يعرف مدى هذه النعمة وعظمها؛ فعليه أن يلقي نظرة ولو سريعة على ما كان عليه العالم قبل بعثة النبي ﷺ؛ فإذا أدرك ذلك وعرفه، عرف مدى عظم النعمة الذي منَّ الله بها على عباده من وفقه منهم وهداه لاتباع النبي ﷺ.

كل واحد من هؤلاء الحاضرين يدرك ويعرف يقيناً الفساد والضلال والجهل الذي كانت عليه الأمم قبل بعثة النبي ﷺ وأن الخير ما حصل لهم إلا بالشريعة التي جاء بها مُحَمَّد ﷺ، فالعالم قبل الإسلام كانوا أمماً وثنية منها الأمم المتحضرة كالفرس والروم والأحباش وغيرهم، ولكن مع هذا هم يستعبدون شعوبهم، ويرون أنهم من جنس غير الجنس الذي منه الملوك والرؤساء.

بل يريدون منهم أن يقدسوهم ويعبدوهم، وهذا ثابت في التاريخ لكل ناظر ينظر فيه، ولهذا لما دخل رجل من الفرس على النبي ﷺ، وكان قد حلق لحيته، قال له النبي ﷺ: من أمرك بهذا؟ قال: أمرني ربي –يريد ربه الملك كسرى– فكانوا يؤلهون أنفسهم، ويرون أنهم أرباب لشعوبهم، وأنه لا يجوز لأحد أن يخرج عما يريدونه أو ما يأمرونه به، أو يشرعونه لهم.

أي: أن الشعوب عبيد والملوك آلهة، وهذا ظاهر لكل من ينظر في تاريخ الأمم السابقة قبل الإسلام، وما أشبه الليلة بالبارحة، هذه حالة أولئك، ولا أريد أن أشرح قولي: ما أشبه الليلة بالبارحة لأنه واضح، ولكن الله سبحانه وتعالى أراد بأهل الأرض خيراً فأرسل إليهم مُحَمَّداً صلى الله عليه وسلم، فدلهم على الخير، ونهاهم عن الشر، وقال بعض الصحابة عن النبي ﷺ، قالوا: {توفي النبي ﷺ وما من طائر يقلب جناحيه في الهواء، إلا وذكر لنا منه علماً}(١) .

وقال عمر رضي الله عنه: {خطبنا رسول الله ﷺ يوماً، فذكر بدء خلق الإنسان إلى أن دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، ولم يترك خيراً إلا دلنا عليه، ولا شراً إلا حذرنا منه}.

وقال عليه الصلاة والسلام: {تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك}(٢) وقال عليه الصلاة والسلام: {إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي كتاب الله وسنتي}(٣).

---

(١) معجم الكبير للطبراني (١٦٤٧) وحكم الألباني إسناده صحيح . أنظر السلسلة الصحيحة (١٨٠٣)

(٢) سنن ابن ماجة (٤٣) وحكم الألباني صحيح .

(٣) المستدرك للحاكم (٣١٩) وحكم الألباني صحيح . أنظر مشكاة المصابيح ١٨٦ – (٤٧) .

فعلى الأمة الإسلامية أن تقتدي بهذه النصوص والأخبار عنه ﷺ، وتعمل بها لأجل أن تنجو من الشرور المحدقة بها في الدنيا والآخرة، وإذا نظرنا إلى واقع المسلمين في هذا العصر وجدنا أن قوله عليه الصلاة والسلام: {يوشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة على قصعتها، قالوا يا رسول الله: أمن قلة نحن؟ قال: لا، أنتم كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل}(١).

وصدق ﷺ، المسلمون يبلغون ألف مليون في العالم أو يزيدون، ومع هذا لا تجد إلا القليل والقليل جداً من يتمسك بشرع النبي ﷺ، ويقتفي أثره في التشريع وفي الأحكام، بل اختاروا لأممهم وشعوبهم شرائع جاءوا بها من عند أعدائهم أعداء المسلمين، أعداء الإسلام الذين ما فتئوا يبحثون عما يضعف الإسلام، أو يقضي على الإسلام منذ بزغ نور الرسالة، وحتى يومنا هذا، ما زالوا يدبرون المؤامرات، ويدبرون الخطط لإضعاف الإسلام أو القضاء عليه، من بعثته ﷺ وحتى يومنا هذا، بالمؤامرات، بالحروب، بإحداث الأفكار المنحرفة السيئة، وكل هذه الأوقات والأزمنة التي مضت ما استطاعوا أن يحصلوا على مرادهم في القضاء على الإسلام، ولكن في عصرنا الحاضر جعلوا لهم أعواناً من المنافقين والملحدين والكافرين الذين اندسوا في صفوف المسلمين، وجعلوا لا يفتئون يفرقون صفوفهم، ويحدثون الخلافات بينهم، ويشككون نشء المسلمين في عقيدتهم وفي شرعهم.

وكانت لهم صولات وجولات في الكتابات، وفي الشعر، وفي التشريع، وفي المناهج كطريقة المنافقين الأولين، يفعلون أموراً يظهر منها الإصلاح وهم يريدون بها القضاء على الإسلام، يزعمون أنهم مصلحون وهم والله مفسدون يريدون القضاء على الإسلام، وينفذون أوامر أسيادهم في خارج بلاد المسلمين، وإلا فكيف يرضى المسلمون، كيف يرضى حكام المسلمين أن يتحاكموا إلى الطاغوت (إلى القانون) ويجعلونه دستوراً، وشريعة يرجع إليها أفراد الأمة وجماعاتها يتحاكمون إلى الطاغوت وإلى القانون في معظم بلاد المسلمين، وينسون أنه سبحانه وتعالى قال في كتابه العزيز: (وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ) [المائدة:٤٤].

هذا خبر منه سبحانه وتعالى عامٌ لا يقصد به أمة من أمة، ولا قوم من قوم، وإنما هو عام لجميع الناس، لجميع الأمم، من أعرض عن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وحكم غيرهما سواء حكمهما في كل شيء، أو حكمها في شيء دون شيء، فإنه داخل تحت قول الله سبحانه وتعالى:(وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ) [المائدة:٤٤].

---

(١) سنن أبي داود (٤٢٩٧) وحكم الألباني صحيح.

نرى أعداء الإسلام الكافرين، والملحدين، والعلمانيين، والحداثيين، ومن لف لفهم يصولون ويجولون في العالم الإسلامي، بقصائدهم، وكلماتهم، ومقالاتهم، ولا نرى أحداً يعترض لهم، أو ينقدهم، أو حتى يسمح لغيره أن ينقدهم أو يرد باطلهم، وأما غيرهم من المصلحين من الدعاة الذين يريدون تقويم الأمة، ويريدون تطبيق شريعة النبي ﷺ، وتعليم الكتاب والسنة، هؤلاء توضع العراقيل في طريقهم، ولا يتمكنون من تبليغ رسالات ربهم في معظم العالم الإسلامي، بل يحال بينهم وبين دعوتهم، وبينهم وبين ما يريدونه.

ولكن إذا رأينا هذه الصحوة – التي نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعل التوفيق رفيقها ومصاحبها، وأن ييسر لهم ما يهدفون إليه من تقويم الأمة، وتطبيق كتاب الله وسنة نبيه ﷺ– إذا رأينا ذلك فإننا نعلق آمالاً عظيمة على هؤلاء وعلى مناهجهم، وعلى طريقتهم في الدعوة إلى الله وإلى الجهاد، ومعلوم أن الجهاد ليس طريقه مفروشاً بالورد، ولكنه مفروش بالشوك، ومفروش بالمتاعب، ولا بد في ذلك من الصبر والتحمل، ولا بد من الإصرار على إعلاء كلمة الله سبحانه وتعالى، وتحكيم شرعه في جميع العالم الإسلامي على يد هؤلاء الشباب الذين نذروا أنفسهم ونذروا حياتهم للدعوة إلى الله سبحانه وتعالى، وإلى سبيله، وإلى نصرة كتابه وسنة نبيه ﷺ، نسأل الله أن يوفقنا جميعاً لما يحبه ويرضاه، والصلاة والسلام على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلم.

بسم الله الرحمن الرحيم

بيان من فضيلة الشيخ حمود بن عقلاء الشعيبي إلى عموم المسلمين عما يدور في فلسطين

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين .. أما بعد

فإن ما تقوم به عصابات يهود من مجازر فظيعة ومذابح مريعة ضد إخواننا في فلسطين مع فظاعتها ووحشيتها ومخالفتها لطباع البشر السليمة إن ذلك لا يستغرب لأمرين:

الأول : أن عصابات يهود جبلت على هذه الأخلاق الشريرة.

الثاني : أمن اليهود المحاسبة والمعاقبة من قادة العرب والمسلمين.

أما السبب الأول فإن من له أدنى إلمام بتاريخ هذه العصابات المجرمة فإنه يدرك أنهم يمتازون على سائر البشر بهذه الصفات القذرة التي هي الغدر والمكر والخيانة ونقض العهود والمواثيق وسفك دماء الأنبياء والرسل، فقد ثبت في التاريخ أنهم قتلوا كثيراً من أنبيائهم وحاولوا صلب المسيح وقتله صلوات الله عليه وسلامه .. إلا أن الله أنجاه من كيدهم وخلصه من مكرهم برفعه إليه.

وكذا نبينا مُحَمَّد ﷺ حاولوا قتله أكثر من مرة وسحروه إلا أن الله سبحانه صرف عنه كيدهم وخلصه من شرهم.

حتى إن رب العالمين سبحانه وتعالى لم يسلم من شرهم .. وقد آذوه ووصفوه بشتى أنواع النقائص والعيوب إذ قالوا إنه فقير وبخيل وموصوف بالعجز والتعب وأنه لما أغرق الطوفان أهل الأرض حزن وبكى حتى رمدت عيناه وزارته الملائكة .. فرد الله سبحانه وتعالى عليهم وكذبهم فيما نسبوه إليه من نقص وعيب فقال سبحانه: ﴿ وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء ﴾(سورة المائدة الآية:٦٤)، وقال سبحانه: ﴿ لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الأنبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق ﴾(سورة آل عمران الآية:١٨١). ولما قالوا إن الله أصابه التعب والإعياء لما خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استراح في اليوم السابع رد الله سبحانه وتعالى عليهم بقوله: ﴿ ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب ﴾(سورة ق الآية:٣٨).

ولو لم يأت في بيان شرهم وخبث طويتهم ولؤمهم إلا قوله تعالى: ﴿ قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت أولئك شر

مكانًا وأضل عن سواء السبيل ﴾(سورة المائدة آية: ٦٠) لكفى في الحكم عليهم بأنهم أخبث أهل الأرض .. فكيف والقرآن مملوء بمثل هذه الآيات .. علمًا أننا لم نستعرض كل ما جاء في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ.

أما السبب الثاني والذي من أجله لا يُستغرب ما تمارسه عصابات صهيون على أرض فلسطين من نقض للعهود والمواثيق وسفك لدماء الأبرياء العزل أطفالاً وشيوخًا إذ لم يكن ذلك إلا لأمنهم من معارضة حكام العرب والمسلمين ومعرفتهم لذلك مسبقاً عن طريق دراسة أحوالهم وسياساتهم فكانت النتيجة أن خرج الصهاينة بقناعة أنه لا خوف من هؤلاء الحكام ولا خشية من أن يقوموا بإخراجهم من فلسطين، أو أن يدافعوا عن أعراض المسلمين، وقد كشف هذا الخذلان من حكام العرب والمسلمين أمورًا منها:

١- اختلاف كلمتهم وسياساتهم تجاه موقفهم وعلاقتهم بالدول الكافرة.

٢- ركونهم إلى الدنيا ولذاتها وانغماسهم في نعيمها فلما كان كذلك كان الجهاد ومحاربة العدو من أصعب الأشياء عليهم فاكتفوا بالشجب .. وعقد المؤتمرات الموهمة .. وكان الجبن منهم أظهر سجية.

٣- قناعة حكام المسلمين أن اليهود الصهاينة قوة لا تقهر بامتلاكهم أعظم ترسانة نووية في الشرق الأوسط، وما علم أصحاب هذه المقالة الانهزامية أن قوة الإيمان بالله هي القوة التي لا تقهر، والمتمثلة بالصدق مع الله والتمسك بسنة نبيه مُحَمَّد عليه الصلاة والسلام، ولو استعرضنا التاريخ لوجدنا أنه حفظ لنا نماذج تبين أن القوة المادية مهما بلغت في قوتها لا تقاوم قوة الإيمان بالله سبحانه وتعالى.

ومن تلك النماذج:

أ- غزوة اليرموك كان عدد المسلمين فيها لا يتجاوز أربعين ألفًا، وقد كان سلاحهم بدائيًا يتمثل بالسيف والرمح وغيره، أما قوة الروم فكانت تبلغ مائتين وأربعين ألفًا، وسلاحهم من أحدث أنواع الأسلحة وأكثرها تطورًا كالمنجنيق وقاذفات اللهب وغيرها، ومع هذا كله انهزمت الروم هزيمة منكرة إذ لم تنفعها قوتها المادية.

ب- لما استولى الصليبيون على بلاد المسلمين وساموهم سوء العذاب في مدة تزيد على مائتي سنة لم يفكر أحد من حكام المسلمين وأمرائهم في مقاومته في ذلك الوقت بحجة أن أوربا وراء الصليبيين وأن أوربا قوة لا تقهر عندها قيض الله سبحانه وتعالى للمسلمين قائدًا شجاعًا ألا وهو

صلاح الدين الأيوبي رحمه الله ورضي عنه، فحارب الصليبيين وطرهم من بلاد المسلمين صاغرين ولم تجد عنه قوتهم المادية الهائلة.

ج- وفي عصرنا هذا كانت دولة الاتحاد السوفييتي أقوى قوة في العالم، وعندما اعتدت على دولة أفغانستان المسلمة تصدى لها أبطال أفغانستان مع مناصريهم من أبطال العرب .. هذا مع قلة عدد المسلمين وضعف عدتهم، فقد طردوا المعتدي فخرج ذليلاً وترتب على هذه الهزيمة أن انهار اتحادهم وتمزقت دولته.

ثم إنه لا يخفى ما للإعلام من أثر بالغ في نصرة القضايا الإسلامية إذا صلحت نية القائمين عليه وكانوا على مستوى المسئولية من طرح قضايا المسلمين ومشاكلهم .

والناظر في الإعلام العربي يجد أنه لم يهتم بشئون المسلمين وقضاياهم ولم يرفع بها رأسًا وكأن ما يحصل في العالم الإسلامي من حملات ظالمة من قِبَلْ دولة الكفر باغتصاب أراضيهم وانتهاب خيراتهم وتقتيل شعوبهم أن ذلك لا يعنيهم من قريب ولا بعيد، إنما المهم عندهم هو إقامة الحفلات الغنائية والمسلسلات الهابطة وعرض الصور الخليعة والمباريات الرياضية والهتاف والتصفيق للحكام وكيل المديح لهم والإشارة بمنجزاتهم وبطولاتهم التي لم يكن لها وجود إلا في أذهان من يقوم بهذا التصفيق وهذا الهتاف، أما على أرض الواقع فلا وجود لها.

إن من يستمع إلى إذاعات الدول العربية يجد أن المذيع قد يمكث ساعة في قراءة النشرة الإخبارية والتي معظمها في الثناء والمدح حتى يغلق المستمع جهاز الإعلام وهو لم يستفد شيئًا.

ومما يهتم به الإعلام العربي وخصوصًا في الإذاعات برامج مشاركات المستمعين والتي تمكث الساعات، وهي عبارة عن معاكسات وغزل وتغنج بين المشاركين والمذيع أو المذيعة مما يصك الأسماع ويؤذي المستمع .. هذه هي اهتماماتهم ولا أدري هل هذا عجز من القائمين عليها من إحداث برامج هادفة؟! أو أن هذا حب لهذه الممارسات؟!

أخيرًا ..

ليعلم أن التجارب التي مرت عبر السنين تثبت فشل الأساليب التي تتخذ لمعارضة استيطان اليهود في فلسطين سواء المؤتمرات التي تنعقد أو اللجوء للهيئات الكافرة كهيئة الأمم المتحدة ومجلس الأمن أو ما يسمى بهيئة حقوق الإنسان .. كل هذه الأساليب فشلت بل كان لها أكبر الأثر في ترسيخ استيطان الصهاينة في فلسطين. والأسلوب الناجع في تطهير أرض فلسطين من يهود يتمثل فيما يلي:

١- إعلان الجهاد من قِبَلْ العرب والمسلمين وفتح حدود الدول المجاورة لفلسطين للمتطوعين المجاهدين، وتسليح الشعب الفلسطيني الأعزل الذي لا يملك إلا الحجارة بكل أنواع الأسلحة، ومعلوم أن المسلمين يبلغ عددهم مليار ومائتي مليون نسمة فلو بصقوا على دولة يهود لأغرقوها، ولو نفخوا عليها لأطاروها.

٢- إذا جبن قادة المسلمين والعرب عن إعلان الجهاد تحتم مقاطعة دولة يهود دبلوماسيًا واقتصاديًا وتجاريًا.

٣- مقاطعة الشركات اليهودية الداعمة لدولة الصهاينة بالمال.

٤- وحيث إن أمريكا هي الداعم الأكبر لليهود فإنها تجب مقاطعتها مقاطعة كاملة .. اقتصاديًا وتجاريًا وثقافيًا، ومقاطعة كل ما تستورده منها الدولة الإسلامية والعربية من بضائع وسيارات وما شابه ذلك.

٥- استعمال سلاح البترول وذلك بإيقاف إنتاجه وتصديره إليها أو تخفيفه تخفيفًا يضر بها، وإذا خفف الإنتاج إلى النصف فإن الدول المنتجة لن تتضرر لأن ما ينقص من إنتاجها يعوض عنه ارتفاع الأسعار.

أسأل الله جلت قدرته أن ينصر الإسلام والمسلمين وأن يذل اليهود ومن أعانهم ووقف معهم إنه ولي ذلك والقادر عليه .. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

أملاه

فضيلة الشيخ أ . حمود بن عقلاء الشعيبي

١٤٢١/٨/١١ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

البيان الثاني من فضيلة الشيخ حمود بن عقلاء الشعيبي إلى عموم المسلمين عما يدور في فلسطين

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أما بعد:

فقد سبق أن أصدرت بيانًا يتعلق بالأوضاع في فلسطين وأوضحت فيه ما امتازت به عصابات صهيون من صفات خبيثة وطباع قذرة تخالف طباع البشر كلهم كالغدر والخيانة ونقض المواثيق وسفك دماء الأنبياء وأكل السحت كل هذه الصفات الذميمة جبلت عليها اليهود منذ تاريخهم القديم ، وهم من هذه الصفات الرذيلة متصفون أيضًا؛ بالجبن والخور والخوف من الآخرين كما بين ذلك المولى سبحانه وتعالى في قوله:﴿ لا يقاتلونكم جميعًا إلا في قرى محصنة أو من وراء جدر بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعًا وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون ﴾(سورة الحشر:١٤) .

فهم جبناء لا يستطيعون الدفاع عن أنفسهم إلا بدعم وتأييد من غيرهم كما بين ذلك سبحانه وتعالى في قوله: ﴿ ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس وباءوا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ﴾(سورة آل عمران:١١٢) ولولا حبل أمريكا ودعمها لهم بالسلاح والمال والخبرات لما استطاعوا ملاقاة الأطفال الفلسطينيين فضلاً عن الرجال المقاتلين.

وفي هذا البيان الثاني سوف أركز على أهمية الجهاد وإيضاح مكانته في الإسلام؛ إذ بدون الجهاد لا يستطيع المسلمون الدفاع عن بلادهم وحرماتهم ومقدساتهم. وقد أثبتت التجارب أن الشجب والإدانة والتنديد وعقد المؤتمرات واللجوء إلى هيئة الأمم الكافرة ومجلس الخوف لا يجدي شيئًا في ردع المعتدين، وإيقافهم عند حدهم لأن الكفر أمة واحدة ولا يجدي في ذلك إلا الجهاد بأنواعه التي سأذكرها فيما بعد.

إن المستعرض لكتاب الله وسنة نبيه محمد ﷺ يجد فيهما الكثير مما يحث على الجهاد ويبين فضله ويحذر من القعود عن الجهاد.

إن الجهاد في سبيل الله من أوجب الواجبات على المسلمين لا سيما إذا حاصر العدو بلاد المسلمين كحصار الروس قاتلهم الله لجمهورية الشيشان المسلمة، وحصار اليهود لفلسطين ومقدساتها، وحصار الهند لكشمير المسلمة، وكذا فعل النصارى ضد المسلمين في الفلبين، فإن

الجهاد والحال هذه تكون فرض عين على كل قادر عليه لأنه بدون الجهاد قد يجتاح العدو الكافر بلاد المسلمين فينتهك حرماتهم ويدوس مقدساتهم.

ومما يدل على أهمية الجهاد وعلو مكانته في الإسلام قوله ﷺ: «رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله»(١) فإذا كان الجهاد في الإسلام بمنزلة ذروة سنام البعير، ومعلوم أن ذروة السنام هي أعلى شيء في جسم البعير، عُلم أن الجهاد من أهم الواجبات وأعلاها.

ومما يستدل به على وجوب الجهاد قوله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلى قليل * إلا تنفروا يعذبكم عذابًا أليمًا ويستبدل قومًا غيركم ولا تضروه شيئًا والله على كل شيء قدير ﴾(سورة التوبة:٣٩-٣٨) وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ انفروا خفافًا وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ﴾(سورة التوبة:٤١) وقوله سبحانه وتعالى :﴿ يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين .. ﴾(سورة الأنفال :٦٥).

وقد أوضح سبحانه في كتابه العزيز أن القعود عن الجهاد من علامات النفاق والكذب على الله ورسوله حيث قال تعالى: ﴿ وجاء المعذرون من الأعراب ليؤذن لهم وقعد الذي كذبوا الله ورسوله .. ﴾(سورة التوبة :٩٠)، كما دل القرآن العزيز أيضًا على أن القعود عن الجهاد موجب للطبع على القلوب كقوله تعالى: ﴿ إنما السبيل على الذين يستئذنونك وهم أغنياء رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون ﴾(سورة التوبة:٩٣) والنبي ﷺ حذر من ترك الجهاد والقعود عن الغزو قال ﷺ: «إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه عنكم حتى تراجعوا دينكم»(٢) فيفهم من هذا الحديث الشريف أن الذي يترك الجهاد ويقعد عنه على خطر كبير من الخروج عن الدين، يفهم هذا المعنى من قوله ﷺ: «حتى تراجعوا دينكم» وقال ﷺ: «من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من نفاق»(٣) رواه مسلم.

وهذا طرف من النصوص التي تقتضي وجوب الجهاد وتحذر من تركه والتخلف عنه.

---

(١) سنن الترمذي (٢٦١٦) وحكم الألباني صحيح .

(٢) سنن أبي داود (٣٤٦٢) وحكم الألباني صحيح .

(٣) صحيح مسلم ١٥٨ - (١٩١٠) .

وأما فضل الجهاد والحث عليه فإن الكتاب العزيز والسنة المطهرة مملوءان من النصوص التي تدل على فضل الجهاد وتبين ثواب المجاهدين عند الله سبحانه وتعالى ولو لم يكن في فضل الجهاد إلا أنه سبب لحب الله سبحانه وتعالى ورضاه عن المجاهدين في سبيل قال تعالى: ﴿ إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفًا كأنهم بنيان مرصوص﴾(سورة الصف آية:٤) وقال تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم * تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون * يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ﴾(سورة الصف: ١٢-١٠) وقال سبحانه وتعالى :﴿ لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة ... ﴾(سورة الفتح الآية:١٨). وهم إنما بايعوه على الجهاد، وقال تعالى: ﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيَقتلون ويُقتلون وعدًا عليه حقًّا في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله ﴾(سورة التوبة:١١١) وقوله تعالى:﴿ فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل في سبيل الله فيُقتل أو يَغلب فسوف نؤتيه أجرًا عظيمًا﴾(سورة النساء :٧٤) وروي عنه ﷺ أنه قال: «مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم الذي لا يفطر والقائم الذي لا يفتر»(١) أو كما قال عليه الصلاة والسلام.

والجهاد في سبيل الله على مراتب؛ تارة يكون بمقارعة العدو بالقوة المسلحة في جبهات القتال، وتارة يكون بالمال، وتارة يكون باللسان، وتارة يكون بالقلم، وأعلى هذه الدرجات وأفضلها الجهاد بالنفس؛ لأنه أشق على المقاتلين وأكثر تضحية ولأنه قد ترتب عليه الشهادة، ومعلوم ما أعد الله للشهداء من الأجر والثواب ولأنه أشد نكاية بالعدو مما سواه من أنواع الجهاد ولأن ما سواه من أنواع الجهاد مكمل له، والجهاد بالنفس هو الذي يرهب العدو ويحطم معنوياته وهو الذي يتحقق به النصر غالبًا وتتم به حماية حوزة المسلمين والذب عن حرماتهم وقديما قيل:

السيف أصدق أنباءً من الكتب ــــــــــــــــــــ في حده الحد بين الجد واللعب

أما الجهاد بالمال فهو لا يقل أهمية عن الجهاد بالنفس؛ إذ بدونه لا يتمكن المجاهدون من الحصول على السلاح، وبدونه لا يستطيعون تأمين النفقات الأخرى التي تتطلبها المعركة من دفع نفقات الجند وتكاليف علاج الجرحى وغير ذلك مما يحتاجه المجاهدون.

---

(١) صحيح مسلم (١٨٧٨) .

أما الجهاد في سبيل الله باللسان والقلم فالمراد به دور الإعلام من خطب وقصائد ودعاية للمعركة وإذاعة لانتصارات المجاهدين وهزائم أعدائهم.

والإعلام له أثر كبير في تغيير موازين المعارك إذا كان القائمون عليه على مستوى المسئولية وخلص قصدهم، أما إذا كان القائمون على الإعلام في وادٍ وقضايا المسلمين ومشاكلهم في وادٍ آخر كما هو واقع الإعلام العربي والإسلامي اليوم فإنه فضلاً عن أن يكون عونًا للمجاهدين فقد يصير ضررًا عليهم بحيث تأثره بالإعلام الكافر وتقليده في مضامينه وأساليبه.

وعندما أصاب إخواننا في فلسطين ما أصابهم من تقتيل وتشريد وهدم للمنازل والمساجد على من فيها على أيدي إخوان القردة والخنازير أيقنا بأن الإعلام في الدول العربية والإسلامية سيشمر عن ساعديه ويترك أساليبه الهابطة التي كان يسير عليها فإذا هو لم يعبأ بهذه الكوارث واستمر على الاهتمام بالأمور التافهة كالاهتمام بالحفلات الرياضية والحفلات الغنائية وعرض الصور الخليعة المتهتكة والبرامج المنحطة كالمسلسلات الخليعة التي ما أقيمت إلا لإفساد عقائد المسلمين وأخلاقهم وكذلك اهتمام الإعلام بالإشادة بإنجازات الحكام التي لا وجود لها وكيل المديح والإطراء لهم بدون حياء ولا خجل.

والآن وحيث قد تبين أن ما يقوم به رؤساء الدول في العالم الإسلامي منذ وجدت عصابة يهود في فلسطين من أساليب موجهه ضد اليهود كالشجب والاستنكار والتنديد بما يقوم به اليهود المجرمون من تدنيس للمقدسات، وقتل للموطنين قد أثبتت فشلها، فإننا نهيب بهؤلاء الرؤساء أن ينبذوا خلافاتهم ويوحدوا كلمتهم ويتركوا هذه الأساليب العقيمة وأن يعلنوا الجهاد المسلح على عصابات يهود فإن ما أخذ بالقوة لا يعاد إلا بالقوة كما أنه يجب على الدول المجاورة لدولة اليهود أن يفتحوا حدودهم معها للمجاهدين المتطوعين لينضموا إلى إخوانهم من مجاهدي فلسطين والعرب، والمسلمون بعد توفيق الله وإعانته لهم لديهم أسباب النصر متحققة ؛ فالعنصر البشري متوفر إذ يزيد تعداد المسلمين على مليار نسمة، والأموال متوفرة لديهم إذ معظم الدول العربية تصب في خزاناتها أودية من الذهب من موارد متعددة كالبترول والضرائب والجزاءات والرسوم وغيرها، فيجب عليهم أولاً أن يسلحوا الشعب الفلسطيني بكل ما يحتاجه من سلاح وأن يسلحوا جيوشهم بأحدث أنواع السلاح لأن أموال بيوت المال في الدولة الإسلامية يتحتم صرفها على مصالح بلدانهم كتقوية وإعداد الجيوش وإقامة المشاريع، ودعم المجاهدين في جميع الجبهات التي تحارب أعداء الله سواء في فلسطين أو الشيشان أو الفلبين أو في كشمير أو في أي بقعة من بقاع المسلمين تجري فيها معارك بين المسلمين والكفار.

ومن المؤسف أننا عندما نستعرض جوانب الضعف في الأمة الإسلامية والعربية نجد أن من أبرزها الضعف الواضح في العدد والعدة فلا أسلحة ولا رجال، وإن مما يؤسف له حقًا بل يؤلمنا كثيرًا أننا كنا نسمع في ما مضى عبر وسائل الإعلام عن عقد صفقات أسلحة متطورة والتي أعلن عنها في حينها ومع أن هذه المبالغ الطائلة قد أرهقت بيت مال المسلمين ومع هذا فقد كان الكثيرون يستبشرون بعقد مثل هذه الصفقات ظنًا منهم أنها ستكون حصنًا واقيًا بعد الله تعالى لصد أي اعتداء على المسلمين وأراضيهم المقدسة ولكن الذي حدث هو عكس ذلك تمامًا ودليل ذلك أن بعض الدول العربية عندما هوجمت من قبل إحدى الدول المجاورة لم تستطع الصمود أمام من هاجمهم وذلك عائد إلى ضعف استعدادهم العسكري فقد أثبتت هذه الحرب خلو خزائن الأجهزة العسكرية من الأسلحة التي كان الناس يأملون بها والتي عقدت بها الصفقات، كما أن قلة الأسلحة صاحبها شح واضح في الكفاءات البشرية المدربة ولذلك كله لم تتردد هذه الدولة في استدعاء الدول الكافرة لحمايتها والدفاع عنها غير مكترثين بالحكم الشرعي المترتب على ذلك، أليس عارًا ما بعده عار وخزي ما بعد خزي أن نلجأ إلى طلب الحماية من دول الكفر نهيئ لهم الاستقرار في أراضينا التي حرم المصطفى ﷺ إقامتهم فيها وأمر بإخراجهم منها مع توفير أسباب القدرة بأنفسنا على صد عدوان المعتدي.

وبعد ما تقدم من بيان وجوب الجهاد عسكريًا فلا بد من أمور يجب على المسلمين والعرب فعلها حكامًا ومحكومين كلاً فيما يخصه:

أولاً: مقاطعة دول اليهود مقاطعة كاملة؛ دبلوماسيًا ممن لهم علاقات دبلوماسية مع دول الصهاينة، واقتصاديًا وتجاريًا ممن لهم ارتباط مع هذه الدولة الفاجرة بعلاقات اقتصادية أو تجارية أو ثقافية.

ثانيًا: مقاطعة الشركات اليهودية التي تدعم اليهود بالمال وحتى لو لم تكن الشركة يهودية وهي تدعم اليهود فتجب مقاطعتها وهذا يتم بالرجوع إلى نظام المقاطعة العربية التي كانت قائمة قبل خدعة الاتفاق السلمي المزعوم الذي ذهب أدراج الرياح وغير خافٍ ما ترتب على تلك المقاطعة من تضييق الخناق على دولة اليهود اقتصاديًا.

ثالثًا: تجب مقاطعة أمريكا مقاطعة كاملة وهذه المقاطعة تكون عن طريق الحكام والشعوب، فعلى الحكام منع التجار من استيراد المنتجات الأمريكية من أي نوع كانت ومنع تصدير البترول إلى أمريكا لأنها هي التي قامت دولة الصهاينة على دعمها وتأييدها سياسيًا واستمرت على مواصلة هذا الدعم فيجب على حكام الأمة الإسلامية أن يضيقوا الحصار على أمريكا بالحصار الاقتصادي بحيث يمنعوا الاستيراد منها ويوقفوا التصدير.

كما يجب على الشعوب المسلمة مقاطعة البضائع الأمريكية بجميع أنواعها.

هذا ونرجو من المولى عز وجل أن ينصر المجاهدين ضد أعداء الدين في كل مكان ويعلي كلمته ويعز دينه إنه على كل شيء قدير، وصلى الله على نبينا وعلى آله وصحبه أجمعين.

أملاه فضيلة الشيخ

أ . حمود بن عقلاء الشعيبي

٢٧ /٨/١٤٢١ هـ

رسالة إلى ابن باز بخصوص فتواه بالصلح مع اليهود(١)

إلى سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز – حفظه الله تعالى –:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد:

فقد سمعنا – كما سمع غيرنا – بالأنباء الكثيرة عن خطط غربية جديدة تهدف إلى انهاء حالة العداوة بين المسلمين واليهود في فلسطين باسم جهود السلام.

ونظراً لأن هذه القضية تتعلق بالأمة كلها، وتهم كل فرد في مشرق بلاد الإسلام ومغربها، وليست قضية خاصة أو متعلقة ببلد معين، رأينا من واجبنا الشرعي، الذي لا يسعنا التخلي عنه بحال من الأحوال؛ أن نقدم لكم اجتهادنا في المسألة، رجاء أن تتأملوه، ثم تقدموه لمن ترون مصلحة في تقديمه له.

وإنما حدا بنا إلى كتابة هذا الكتاب لسماحتكم الخوف من دخولنا تحت وعيد كتمان العلم الذي ائتمنا عليه.

ونلخص – سماحة الشيخ – اجتهادنا في النقاط التالية:

(١) الصلح المزعوم هو عبارة عن هدنة مطلقة غير محددة بمدة معلومة، وهذا لا يجوز، لأنه تعطيل لشعيرة الجهاد في سبيل الله، بل ذهب كثير من أهل العلم إلى أنه لا تجوز الهدنة أكثر من عشر سنوات – وهي المدة التي صالح عليها الرسول صلى الله عليه سلم قريشاً في الحديبية – وهي الحادثة التي يحتج بها الكثيرون من مؤيدي الصلح.

وبغض النظر عن هذا القول؛ فإنه مما لا شك فيه أنه لا يجوز عقد هدنة أبدية مع أي طائفة من طوائف الكفر – لا اليهود ولا غيرهم –

قال في المغني [١٣/١٥٤]: (... لا تجوز المهادنة مطلقاً من غير تقدير مدة، لأنه يفضي إلى ترك الجهاد بالكلية...).

---

(١) وجدت هذه الرسالة في موقع "منبر التوحيد والجهاد" .

(٢) إن تاريخ اليهود هو سجل حافل بالغدر والخيانة والتآمر، فقد خانوا عهدهم مع افضل الخلق ﷺ، فكيف يكون مع غيره.
يقول أحد زعمائهم – "مناحيم بيغن" – في كتابه "الثورة؛ قصة الأرجون" ،كما في كتاب "نظرية الأمن الإسرائيلي" [ص: ١٧]: (... لن يكون هناك سلام لشعب إسرائيل ولا في أرض إسرائيل، ولم يكون هناك سلام مع العرب ولا في أرض العرب، وستستمر الحرب بيننا وبينهم، حتى ولو وقع العرب معنا معاهدة صلح...)!
يقول تعالى: {أو كلما عاهدوا عهداً نبذه فريق منهم} [البقرة:١٠٠].
إنهم يفتعلون أكثر من مفهوم لأي بند، كما حصل في اتفاقيات "كامب ديفيد"، ثم يحققون ما يريدون على ضوء الفهم الذي فسروا به بنود الصلح.

(٣) إن هذا الاستسلام سيوقعه عن الأمة أناس لم تفوضهم الأمة به، وهم لا يمثلونها على مصالحها، لأن حكمهم قائم على عقائد ومبادئ مغايرة للإسلام، والحكومة الباطنية البعثية أوضح مثال على ذلك.

(٤) إن وراء جهود المصالحة خطة ابعد لإنهاء حالة العداء بين جميع الشعوب والأديان من منطلق بدعة "النظام العالمي الجديد"، الذي يفترضون فيه أن تنتهي الخوصمات والحروب بين الشعوب في ظل هيمنة العالم الغربي.

وسيترتب على ذلك نزع السلاح – خاصة من أيدي المسلمين – بحجة أنه لا مسوغ له بعد المصالحة.
كما سيترتب عليه – وهذا هو الأهم – جهود ضخمة للتطبيع، وتغيير المناهج الدراسية والسياسات الإعلامية وغيرها، لحذف كل ما يعتقدون أنه إساءة لليهود، ومنع الحديث عن هذه الأمور، باعتباره إساءة إلى إحدى الدول المجاورة أو القريبة، ويمكن مراجعة الوثاق الخطيرة المنشورة في كتاب "التطوير بين الحقيقة والتضليل"، وكتاب "التاريخ بين الحقيقة والتضليل" للدكتور جمال عبد الهادي.
وسيترتب عليه؛ رفع الحظر عن بضائعهم، وتبادل الخبرات والمصالح والمعلومات المتنوعة معهم.
ولذلك بدأت الصحافة تطالعنا بمقالات وتحقيقات وندوات تؤكد أنه لم يعد هناك أعداء للإسلام، وأننا يجب أن نقيم علاقتنا مع الجميع على ضوء المصالح المتبادلة فحسب!

(٥) الجلوس على مائدة المفاوضات مع اليهود، وعقد اتفاقيات الصلح الدائم معهم؛ هو اعتراف بدولتهم وحقهم في أرض فلسطين، ونزع لملكية الأمة المسلمة لهذه الأرض المباركة بغير حق، وبغير رضا أو قبول من اصحاب الحق – وهم المسلمون – وهذا لا يجوز.

وهو عقبة في وجه الأجيال التي ستعمل على تحرير بلاد الإسلام من الغاصبين، فإذا لم يتمكن المسلمون الآن من إعلان الجهاد على اليهود، فلا أقل من أن يفتحوا الطريق لمن يصنع ذلك.

وقد علمنا يقيناً من الحديث المتفق عليه عن ابن عمر؛ أن للمسلمين معركة حاسمة مع اليهود، يقول فيها الحجر والشجر: (يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي ورائي فاقتله)، وفي حديث نهيك بن صريم "على نهر الأردن"، نعم... هو نهر الأردن بالذات!

(٦) من هو الذي يملك – شرعاً – أن يعقد الصلح مع اليهود؟ إن النبي ﷺ حين أراد مصالحة غطفان على ثلث ثمار المدينة استشار السعدين – وهم أهل الأرض – فهل استشير الصالحون من أهل فلسطين في ذلك؟ ومن هو ولي أمرهم المتكلم باسمهم؟!

(٧) هل هناك معركة قائمة الآن بيننا وبينهم؟! أصحيح أن مثل هذا الخسف والهوان الذي يسمى "السلام" سيضع حداً لمعاناة المسلمين في فلسطين؟! أم أنه سيجعل كافة الأطراف ضدهم في آن واحد؟!

ومتى حدث في حقب التاريخ كلها؛ أن يستولي الكفار على دولة إسلامية، ثم يلتقي المسلمون على مائدة المفاوضات ليكتبوا لهم وثيقة اعتراف واستسلام، ويمنحوهم المزيد من المكاسب المادية والمعنوية؟!

إن النبي ﷺ حين هم بمصالحة غطفان لحماية أرض المسلمين ورد العدو حتى يتقوى المسلمون على قتالهم، وحين علم كراهية الأنصار لذلك؛ رفضه، فكان ذلك خيراً عظيماً للمسلمين في كسر شوكة الأحزاب وردهم بغيظهم لم ينالوا خيراً.

أما الاستسلام المعروض اليوم؛ فليس معه جهاد ولا إعداد ولا تقوية للمسلمين في المستقبل، ولم يتم ذلك عن مشورة المسلمين ولا عن موافقتهم.

(٨) **وأخيراً سماحة الشيخ**:

فإننا نعتقد أن الطريق الوحيد والمضمون لإحباط كيد اليهود وحقن دماء المسلمين ورد الفتن العامة والخاصة؛ هو الجهاد في سبيل الله وتربية الناس على ذلك وإعدادهم له.

وإذا لم نملك ذلك الآن؛ فيجب أن يبدأ التوجه الصادق لتحريك همم الشعوب الإسلامية وإعدادها مادياً ومعنوياً، {ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز} [الحج:٤٠].

وإذا لم نر مصلحة في أن ننكر هذه المصالحة ونردها، فلا أقل من أن يحفظ علماء المسلمين سمعتهم من أن تنالها الألسنة بسوء، نتيجة اجتهاد كانت الأمور كلها ستتم - والله أعلم - دون الحاجة إليه.

(٩) **سماحة الشيخ:**

إن نريد إلا الإصلاح ما استطعنا، وما توفيقنا إلا بالله، عليه توكلنا وإليه ننيب.

وفي المتفق عليه عن عمر ﷺ مرفوعاً: (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى)(١).

وفقنا الله وإياكم وسائر المسلمين إلى ما فيه مرضاته.

والحمد لله رب العالمين

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

المقدمون:

١- حمود عبد الله التويجري / ٢- عبد الله بن مُحَمَّد بن خنين

٣- عبد الله بن حسن القعود/ ٤- صالح بن مُحَمَّد الونيان

٥- **حمود بن عبد الله بن عقلا الشعيبي**/ ٦- إبراهيم بن مُحَمَّد الدبيان

٧- عبد الله بن عبد الرحمن بن الجبرين/ ٨- صالح بن مُحَمَّد السلطان

٩- عبد الله الحمد الجلالي/ ١٠- عبد المحسن بن ناصر العبيكان

١١- مُحَمَّد بن صالح المنصور/ ١٢- سعيد بن مبارك آل زعير

١٣- سلمان بن فهد العودة/ ١٤- سعد بن عبد الله الحميد

١٥- عبد الله بن حمود التويجري/ ١٦- مُحَمَّد بن سعيد القحطاني

١٧- ناصر بن عبد الكريم العقل/ ١٨- عبد الله بن إبراهيم الطريقي

١٩- عبد الله بن صالح بن عبد الله الخضيري/ ٢٠- عبد الوهاب بن ناصر الطريري

٢١- عائض بن عبد الله القرني/ ٢٢- سعيد بن ناصر الغامدي

٢٣- علي بن نخند الدخيل الله/ ٢٤- عبد الرحمن بن ناصر البراك .

---

(١) صحيح البخاري (١) .

بسم الله الرحمن الرحيم

حكم أخذ الجنسية للمكره من دولة كافرة

الاخوة الليبيين .... حفظهم الله تعالى

وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ، وبعد .

فقد اطلعت على رسالتكم الطويلة الموجهة إلينا ، التي تذكرون فيها حالتكم وما تعانونه من الملاحقة والمطاردة وعدم الأمن في بلادكم ولا في البلاد الأخرى ، وقد يُلجئكم ذلك إلى أخذ الجنسية البريطانية لكي تأمنوا بذلك في تلك البلاد وفي غيرها من البلاد إذا سافرتم باعتباركم من حاملي الجنسية البريطانية فلا تتعرضون لأذى ، وتسألون عن حكم ذلك ؟ ثم ذيلتم رسالتكم بعدة أسئلة تطلبون الإجابة عنها ؟

فنقول وبالله التوفيق يجوز حسب الحالة التي ذكرتم أخذ وطلب الجنسية البريطانية نظرا لحالتكم وما ذكرتم في السؤال ، ومما يدل على ذلك الأدلة الآتية :

١- قوله تعالى (من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدرا)(سورة النحل الآية:١٠٦) . فقد أجاز الله الكفر في حالة الإكراه إذا كان قلبه مطمئنا بالإيمان ، وطلب الجنسية المذكورة من هذا الباب ، فقد جاز لكم ذلك لأنه ألجأتكم ضرورة الإكراه إلى ذلك ، لكن بشرط أن يكون طالب الجنسية مبغضا للكفار معاديا لهم يرى البراءة منهم ، قائما بدينه بقدر ما يستطيع .

٢- قصة طلب الحماية والإجارة من الرسول ﷺ من المطعم بن عدي ، لما رجع من الطائف فلم يستطع أن يدخل مكة إلا بطلب الحماية من هذا الكافر ، وبهذه الحماية استطاع أن يدخل مكة ويأمن فيها .

وهي مروية في السير ، رواها ابن إسحاق في سيرته ، وابن هشام في تلخيصه ، وابن كثير في الفصول وفي البداية والنهاية .

٣- انتفاع الرسول ﷺ من حماية أبي طالب وبني هاشم وبني المطلب له ، حيث كانوا يحمونه ويذبون عنه رغم كفرهم .

٤- قصة حماية ابن الدغنة ـ سيد القارة ـ لما قام بحماية أبي بكر الصديق ﷺ ، لما خرج من مكة ، فأجاره هذا الكافر وأعاده إلى مكة آمنا .

٥- قصة الهجرة إلى الحبشة ، فإن الرسول ﷺ قال للمستضعفين في مكة : الحقوا بأرض الحبشة فإن فيها ملكا لا يظلم عنده أحد ، فاحتموا ببلاده حتى يجعل الله لكم مخرجا مما أنتم فيه .
٦- وقول ابن القيم رحمه الله لما تكلم عن تحريم الحيل قال : لاخلاف بين الأمة أنه لا يجوز الإذن في التكلم بكلمة الكفر لغرض من الأغراض إلا المكره إذا اطمأن قلبه بالإيمان اه اعلام الموقعين ١٩١/٣ .

ومن أقوال أهل العلم في هذه المسألة ما جاء عن الزهري رحمه الله فيما روى عنه ابن حزم رحمه الله في المحلى ، ويأتي نصه في كلام ابن حزم إن شاء الله .

ومن أقوال أهل العلم في هذه المسألة ما قاله ابن حزم رحمه الله في المحلى : قال (في باب المرتدين ، المسألة رقم ٢١٩٨)، لما تكلم عن من لحق بدار الكفر والحرب قال : وأما من فرّ إلى أرض الحرب لظلم خافه ، ولم يحارب المسلمين ولا أعانهم عليه ولم يجد في المسلمين من يجيره فهذا لاشيء عليه لأنه مضطر مكره ، وقد ذكرنا أن الزهري مُحَّد بن مسلم بن شهاب كان عازما على أنه إن مات هشام بن عبد الملك لحق بأرض الروم لأن الوليد بن يزيد كان نذر دمه إن قدر عليه وهو كان الوالي بعد هشام فمن كان هكذا فهو معذور ، وكذلك من سكن بأرض الهند والسند والصين والترك والسودان والروم من المسلمين فإن كان لا يقدر على الخروج من هنالك لثقل ظهر أو لقلة مال أو لضعف جسم أو لامتناع طريق فهو معذور . اه

ومما تقدم من الأدلة يتبين أنه يجوز لمثلكم أن يحمل الجنسية البريطانية ، بشرط أن تكونوا كارهين لهم ولدينهم مع عدم موالاتهم . قائمين بما تستطيعون من الدين

وأما ما ذكرتم من القسم أو التعهد عند أخذ الجنسية المذكورة ، فما دام أنهم يخيرونكم بين القسم و التعهد ولكم مندوحة عن القسم ، فتعملون بالتعهد وتضمرون الإيمان بقلوبكم بالله مع كراهيتكم لهم .

أما ما ذكرتم من مسألة التوقيع أو القسم أمام المحامي فلا حاجة لذلك ، وما ذكرنا لكم يكفي إن شاء الله .

وأما ما ذكرتم في السؤال الأخير من الاستفهام عن التفريق فلا فرق في ذلك .

هذا ما تبين لنا في ذلكم والله أعلم ،

ونسأل الله لنا ولكم التوفيق والتيسير والله يحفظكم .

أملاه فضيلة الشيخ أ . حمود بن عقلاء الشعيبي

٥ / ٦ / ١٤٢٢ هـ

حكم مشاركة الفتيات في الجنادرية

فضيلة الشيخ حمود بن عقلاء الشعيبي حفظه الله

ما حكم مشاركة المرأة فيما يقام من احتفالات في الجنادرية وما يماثلها من مناسبات .. من غناء ورقص وتمثيل. وما حكم أخذ الأجرة على الغناء والتدريب عليه. وجزاكم الله خيرًا ..

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين .. وبعد

فقد أجمع علماء الأمة إلا من شذ منهم على تحريم الغناء والعزف بأنواعه وجميع آلاته كالطبل والمزمار والعود وآلات الطرب وأشباهها. وهذا الحكم (أي التحريم) ثابت للغناء في أي مكان أقيم .. لا فرق بين أن يقام في الجنادرية ولا في غير الجنادرية، وسواء أدى الغناء من قبل النساء أو الرجال. ولا يستثنى من ذلك إلا ضرب النساء في العرس بالدف لورود السنة في ذلك.

ولثبوت تحريم الغناء في الكتاب والسنة وإجماع العلماء عليه أوجبوا كسر الآلات وقالوا لا ضمان على متلفها. قال تعالى: ﴿ ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا أولئك لهم عذاب مهين﴾(سورة لقمان آية:٦) قال ابن كثير في تفسيره: لما ذكر السعداء وهم الذين يهتدون بكتاب الله وينتفعون بسماعه كما قال تعالى: ﴿ الله نزل أحسن الحديث كتابًا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ﴾(سورة الزمر:٢٣) عطف بذكر حال الأشقياء الذين أعرضوا عن الانتفاع بسماع كلام الله وأقبلوا على استماع مزامير الغناء والألحان وآلات الطرب كما قال ابن مسعود في قوله تعالى : ﴿ ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله ﴾(سورة لقمان:٦) قال: هو والله الغناء،وقد صح عن ابن عمرو وابن عباس أن المقصود الغناء. قال القرطبي: ﴿ لهو الحديث ﴾ الغناء. وورد أن النبي عليه الصلاة والسلام قال: «من استمع إلى قينة صب في أذنيه الآنك يوم القيامة»(١). والآنك: هو الرصاص المذاب.

وفي البخاري من حديث أبي عامر الأشعري أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف»(٢)، وهذا الحديث صريح في ذم الغناء وتحريمه، قال الشافعي –رحمه الله–: وأما العود والطنبور وسائر الملاهي فحرام ومستمعها فاسق.

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر تحت ترجمه مُحَمَّد إبراهيم البغدادي (٦٠٦٤) وحكم الألباني حدبث باطل.
أنظر السلسلة الضعيفة (٤٥٤٩) .

(٢) صحيح البخاري (٥٥٩٠) .

وأما ما ابتليت به الأمة في الآونة الأخيرة من إقامة الحفلات الغنائية والإعداد لها وصرف الأموال للمشاركين فيها فهذا من الضلال والإضلال عن سبيل الله تعالى ومن أسباب غضبه وحلول عقوبته، روى البخاري في صحيحه عن أنس ﷺ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ليبيتن رجال على أكل وشرب وعزف فيصبحون على أرائكهم ممسوخين قردة وخنازير» وفي حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «يمسخ قوم من هذه الأمة آخر الزمان قردة وخنازير»، قالوا: يا رسول الله أليس يشهدون ألا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله؟ قال: «بلى، ويصومون ويصلون ويحجون»، قالوا: فما بالهم؟ قال:«اتخذوا المعازف والدفوف والقينات فباتوا على شربهم ولهوهم فأصبحوا وقد مسخوا قردة وخنازير». أما أخذ الأجرة على الغناء والتدريب عليه فهو كسب خبيث محرم لقوله عليه الصلاة والسلام: «إن الله إذا حرم شيئًا حرم ثمنه»(١). وكما بينت فيما سبق حكم الغناء بالنسبة للمغني فإن سماعه محرم، وكذا حضور المجالس التي يقام فيها، وصرف الأموال على إقامة هذه الحفلات محرم أيضًا لا يجوز، لأنه مساعدة لهم على الاستمرار في الفسوق والله سبحانه يقول: ﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ﴾(سورة المائدة آية:٢) .

ومن علم بإقامة هذه الحفلات الغنائية والمسارح .. ولديه القدرة على تغييرها ولم يفعل شيئًا فهو آثم وشريك للقائمين بها في المعصية. ولقوله عليه الصلاة والسلام:«من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان»(٢).

وأخيرًا أوصي أولياء أمور الفتيات اللاتي يردن أن يشاركن في هذه الحفلات من غناء ورقص ونحوه أن يأخذوا على أيديهن لقوله سبحانه وتعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم و أهليكم نارًا وقودها الناس والحجارة .. ﴾(سورة التحريم الآية:٦)، ولقوله عليه الصلاة والسلام: «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ..»(٣)الحديث. أما زيارة النساء مع محارمهن للتفرج على الحفلات التي ليس فيها غناء ولا رقص ولا نوع من أنواع المنكرات فلا بأس بذلك إن شاء الله.

ومما سبق يتبين للعاقل حرمة هذه الأعمال وحرمة المشاركة فيها بحضوره أو الدعوة إليه، أو حث الناس على الحضور، أو بيع بعض السلع في هذه الأماكن أو تأجير الأماكن لإقامة المشاركين فيها.

هذا ونسأل الله الهداية والتوفيق وصلى الله على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أملاه حمود بن عقلاء الشعيبي ٥/ ١١/ ١٤٢٠ هـ

---

(١) صحيح ابن حبان (٤٩٣٨) وحكم الألباني صحيح .

(٢) صحيح مسلم (٤٩) .

(٣) صحيح البخاري (٨٩٣) .

بسم الله الرحمن الرحيم

فتوى في تكفير الملحد تركي الحمد

السؤال فضيلة الشيخ حمود بن عقلاء الشعيبي .. سلمه الله ما رأيكم فيم يقول: مسكين أنت يا الله نحملك ما نقوم به من أخطاء.. ويقول: الله والشيطان واحد هنا .. وكلاهما وجهان لعلمة واحدة .. ومن يقول أين ربك حتى أضعه في الدرج وأقفل عليه .. ومن يستهزئ بالدين ويسب الأنبياء؟ وما رأيكم فيمن يدافع عن مثل هؤلاء ويحميه؟ .. وجزاكم الله خيرًا.

الإجابة : الحمد لله رب العلامين والصلاة والسلام على نبينا مُحَمَّد وآله وصحبه أجمعين .. وبعد .

فإن هذه العبارات التي وردت في السؤال لا تصدر إلا عن رجلين .. إما مجنون أو كافر بالله العظيم، لأن فيها سبًا لله سبحانه وتعالى واستهزاء بالدين، والساب لله ورسوله والمستهزئ بالدين إن كان عاقلًا لا يخلو: إما أن يكون كافرًا حربيًا أو كافرًا ذميًا أو مسلمًا يدعي الإسلام، فإن كان كافرًا حربيًا فحكمه القتل ولو لم يصدر منه سب لله أو رسوله أو استهزاء بالإسلام لأنه حربي، والحربي يقتل بكل حال. وأما الكافر الذمِّي إن فعل ذلك فعهده منتقض وأمانه يلغى ويجب قتله كما قال تعالى: ﴿ وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنه لا أيمان لهم .. ﴾(سورة التوبة الآية:١٢). فوصَفهم بأنهم أئمة الكفر، وإن كان مسلمًا يدعي الإسلام فإن بسبه لله ورسوله واستهزائه بالدين يرتد عن دينه فيجب قتله جادًا كان أو هازلًا أو ناقلًا مستحسنًا، لقوله تعالى: ﴿ ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون * لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم .. ﴾(سورة التوبة الآية:٦٦-٦٥). ولقوله عليه الصلاة والسلام «من بدل دينه فاقتلوه»(١) وعلماء الأمة متفقون قديمًا وحديثًا على أن من سب الله أو رسوله أو استهزاء بالدين فهو كافر يجب قتله بكل حال ولا يستتاب، يقول سليمان بن عبد الله آل الشيخ رحمه الله تعالى في تيسير العزيز الحميد: فمن استهزأ بالله أو بكتابه أو برسوله أو بدينه كَفَر، ولو هازلًا لم يقصد حقيقة الاستهزاء .. إجماعًا.

ويقول ابن عبد البر -رحمه الله تعالى-: ومن شتم الله تبارك وتعالى أو شتم رسوله ﷺ أو شتم نبيًا من أنبياء الله صلوات الله عليهم قتل إذا كان مظهرًا للإسلام بلا استتابة. ويقول القاضي عياض رحمه الله تعالى: لا خلاف أن ساب الله تعالى من المسلمين كافر حلال الدم. ويقول ابن حزم -رحمه الله تعالى-: أما ساب الله تعالى فما على ظهر الأرض مسلم يخالف في أنه كفر مجرد.

---

(١) صحيح البخاري (٣٠١٧) .

فيجب على من ولي أمر البلاد التي ينتمي إليها هذا المرتد أن ينفذ فيها حكم الله تعالى وهو القتل من غير استتابة، لأن في تركه إحداث مفاسد كبيرة:

أولًا: أن المسلمين يتأذون بفعله ويتألمون لما ينشره، فبقتله يرتاح المسلمون، ويرتدع كل من تسول له نفسه أن يتطاول على الله ورسوله أو دينه.

وثانيًا: أن في تركه بث لشبهاته وشكوكه بين المسلمين فيما ينشره من مقالات وروايات.

أما من يدافع عن مثل هذا ويحميه فهو مرتد مثله يجب قتله إن كان عالمًا بطريقته ومنهجه.

هذا ونسأل الله أن ينصر دينه ويعلي كلمته وصلى الله على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلم.

حمود بن عقلاء الشعيبي

بريدة؛ ٤/ ٨/ ١٤٢٠ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

حكم سب الله ورسوله والاستهزاء بالدين

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا مُحَمَّد عليه الصلاة والسلام وبعد:

فقد وردنا سؤالٌ من أهالي مدينة حقل في شمال البلاد عن حكم سب الله ورسوله والاستهزاء بالدين وهذا نص السؤال:

س: ما حكم الإسلام في ساب الدين أو ساب الله تعالى أو ساب الرسول ﷺ حيث ينتشر بكثرة لفظ لعن الدين على أفواه الكبار والصغار، وما حكم الاستهزاء بأهل الدين ودعاته؟

الجواب:

الحمد لله رب العالمين، لقد اتفق علماء الأمة قديمًا وحديثًا على أن سب الله أو سب أحد من رسله أو الاستهزاء بالدين كفر بالله العظيم مُخرج فاعله من ملة الإسلام فمن صدر عنه سب لله أو لأحد رسله فإنه مرتد عن دينه ومفارق للجماعة يقتل بكل حال ولا يستتاب، قال ﷺ:«من بدل دينه فاقتلوه»(١) وقال عليه الصلاة والسلام:«لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث ..»(٢) وذكر منها التارك لدينه المفارق للجماعة، والحكم بكفر هذا ووجوب قتله، يستوي فيه الجاد والهازل سواءٌ اعتقد حل ذلك أو لم يعتقده، قال الله تعالى: ﴿ ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون * لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم ﴾(سورة التوبة آية:٦٦-٦٥). **وقتل هذا المرتد يترتب عليه مصالح كثيرة:**

أولاً: إقامة الحد عليه وإقامة الحد أمرٌ مطلوب شرعًا، قال عليه الصلاة والسلام: «لحدٌ يقام في الأرض خيرٌ لها من أن تمطر سبعين خريفًا»(٣) أو كما قال عليه الصلاة والسلام.

ثانيًا:وبقتله تنتهي فتنته وتموت شروره ويسلم المجتمع من ضلاله وإضلاله.

ثالثًا:وبقتله يرتدع من تسول له نفسه التطاول على الله سبحانه وتعالى أو على أحد من رسله بالسب والاستهزاء لذا يجب على ولي أمر البلد التي ينتمي إليها هذا الساب أن ينفذ فيه حكم الله تعالى وهو القتل من غير استتابة وهذا الحكم الذي ذكرته بالنسبة للساب هو رأي كل من يعتد بقوله من العلماء وسأذكر طرفًا من أقوال الأئمة الذين حكوا الإجماع في هذه المسألة:

---

(١) صحيح البخاري (٣٠١٧) .

(٢) صحيح البخاري (٦٨٧٨) .

(٣) سنن ابن ماجة (٢٥٣٨) وحكم الألباني حسن .

أولاً:الإمام أبو عمر بن عبد البر قال: ومن شتم الله تبارك وتعالى أو شتم رسوله ﷺ أو شتم نبياً من أنبياء الله صلوات الله عليهم قتل إذا كان مظهراً للإسلام بلا استتابة.

ثانيًا:سليمان بن عبد الله آل الشيخ قال: فمن استهزأ بالله أو بكتابه أو برسوله أو بدينه ولو هازلاً لم يقصد حقيقة الاستهزاء كفر إجماعًا.

ثالثًا:القاضي عياض رحمه الله قال: لا خلاف أن ساب الله تعالى من المسلمين كافر حلال الدم.

رابعًا:أبو مُحَّد علي بن حزم قال: أما سب الله تعالى فما على ظهر الأرض مسلم يخالف في أنه كفر مجرد.

هذا ونسأل الله أن ينصر دينه ويعلي كلمته إنه على كل شيءٍ قدير وصلى الله على نبينا مُحَّد وعلى آله وصحبه وسلم.

أملاه الشيخ

حمود بن عقلاء الشعيبي

في ٦/ ٢/ ١٤٢١ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

فتوى في استعمال حق التقاضي لدى المحاكم الشرعية ضد المستهزئين بالدين والمنحرفين والزائغين في كل ما يخالف الشريعة ومن ذلك ما يقوم به مسلسل طاش ما طاش وغيره

الجواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد ..

لقد شرع الله سبحانه وتعالى طرقًا مختلفة لحماية الدين وأعراض المسلمين من السخرية والاستهزاء والتعدي فإذا لم ينفع الوازع الديني في الردع عن التعدي على حقوق الله ولم يقم الرادع السلطاني في كف التعدي عن ذلك فهناك طرق أخرى للحماية المشروعة وهي من الحقوق الرادعة وهي حق التقاضي أمام المحاكم الشرعية ضد المستهزئين بدين الله والضالين والمعتدين على الشريعة.

وهذا العمل قام به الصحابة رضوان الله عليهم والسلف من بعدهم لله تعالى في آثار كثيرة وحوادث مشهورة معروفة في مكانها ولنا فيهم أسوة حسنة.

وهذا الحق نوع من الاحتساب من المسلمين ضد المستهزئين بالدين والساخرين برجال الحسبة وبالحجاب والشعائر الإسلامية الأخرى، قال تعالى: ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ﴾(سورة آل عمران الآية: ١١٠). وقال ﷺ: «من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه ..» الحديث(١). وهذا التقاضي نوع من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر باللسان. وقال ﷺ: «ألا أخبركم بخير الشهداء الذي يأتي بشهادته قبل أن يُسألها»(٢). رواه مسلم من حديث زيد بن خالد الجهني، والحديث هذا في شهادة الحسبة في حق الله كما قال العلماء.

وقال المرداوي في الإنصاف ١١/ ٢٤٧ ما نصه: تصح دعوى حسبة من كل مسلم مكلف رشيد في حق الله تعالى. وقال في المبدع ١٠/ ٧٩: مسألة: تصح دعوى الحسبة من كل مسلم مكلف رشيد في حق الله تعالى وفي حق كل آدمي غير معين وتصح الشهادة بها.

---

(١) صحيح مسلم ٧٨ - (٤٩) .

(٢) صحيح مسلم ١٩ - (١٧١٩) .

ولذا فإنني أهيب بإخواني المسلمين كلٌّ بحسبه القيام بهذا العمل المبارك احتسابًا وغَيرة لله ضد هذا المسلسل الهابط الساخر بدين الله وشعائره وغيره من المسلسلات الزائغة، وكذا ما يبثه الإعلاميون والصحفيون وغيرهم ضد الدين والشريعة والاستهزاء بها، قال تعالى:﴿وتعاونوا على البر والتقوى﴾ (سورة المائدة:٢). لا سيما أن هذا المسلسل قد صدر ضده فتاوى وتكلم وحذر منه الصالحون منذ ستة أعوام ولا يزال هو وغيره مستمرًا من غير رادع ولاتغيير فلا حول ولا قوة إلا بالله.

نسأل الله أن يعز دينه وأن يذل المستهزئين بالدين وأهله إنه قوي عزيز.

وصلى الله على نبينا مُحَّمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أملاه فضيلة الشيخ

أ. حمود بن عقلاء الشعيبي

١٣/ ٩/ ١٤٢١ هـ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

رسالة في مشروعية قنوت النوازل

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف الأنبياء والمرسلين نبينا مُحَّد وعلى آله وصحبه أجمعين ..

إلى فضيلة الشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ حفظه الله .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وبعد.

[١] سبب الكتابة إليكم التوضيح والبيان وإبراء للذمة ، وذلك أنني قرأت أوراقا لكم فرغت من شريط منسوب لمعاليكم عن حكم القنوت في النوازل وقد لاحظت عليه عدة ملاحظات ، فإن كان صدر عن معاليكم فأرجو إعادة النظر فيما قلتموه وعرضه على كلام العلماء وموافاتي بذلك وإلا فسوف أضطر إلى نشره ، لا سيما وأنكم أظهرتم أن هذا القول لكم سوف تلزمونه أئمة المساجد باعتبارهم تحت ولايتكم كما قلتَ ذلك مرتين ، بل قلتَ إنك لن تتركهم يمضون على ماكان سابقا وهذا ينبئ عن خطر عظيم في مسألة القنوت للمسلمين في نوازلهم ومصائبهم ، إذ هو تقليص عظيم لهذه المسألة إن لم يكن محواً لذلك ، كما سوف ترون في مناقشة ما ذهبتم إليه ، وهو أمر لم تسبقوا إليه في هذه البلاد التي تبنى أهلها مساندة المسلمين في كل مكان ، ومن أقل ذلك القنوت لهم في نوازلهم وما أكثرها ، وقد نقل ابن القيم في كتاب الصلاة في فصل في صفة القنوت : قال إسحاق الحربي : سمعت أبا ثور يقول لأبي عبد الله احمد بن حنبل : ما تقول في القنوت في الفجر ، فقال أبو عبد الله : إنما القنوت في النوازل ، فقال له أبو ثور : أي نوازل اكثر من هذه النوازل التي نحن فيها ؟ قال : فإذا كان كذلك فالقنوت .

ونحن نقول اليوم : ما أكثر نوازل المسلمين فكيف يضّيق أمر القنوت لهم ويحجّم أو يُسيَّس والله تعالى يقول : (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض)(سورة التوبة آية:٧١) وقال تعالى (والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض)(سورة الأنفال آية:٧٢) .

علما بأن القنوت له مقاصد عظيمة كثيرة يختلف عن مجرد الدعاء لهم في السجود أو الخطب أو غيرها ، حيث إن من أهدافه ومقاصده المشاركة المعنوية وحفز الهمم والاهتمام بالمسلمين وإظهار

---

[١] لقد مضى اكثر من شهر ولم يأت الرد خلاله ولذا لزم نشره إعذارا وإبراء للذمة في ٢٨ / ١١ / ١٤٢١ هـ .

التعاطف والتعاون ، ويتقوى بذلك المجاهدون وهذا مشاهد وملموس وسمعناه كثيرا من المجاهدين أنهم يفرحون بدعاء إخوانهم المسلمين إذا كان علنا في القنوت بل إنهم دائما يطالبون بذلك ، قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى في فتح الباري في فصل القنوت : (وظهر لي أن الحكمة في جعل قنوت النازلة في الاعتدال دون السجود مع أن السجود مظنة الإجابة أن المطلوب من قنوت النازلة أن يشارك المأمومُ الإمام في الدعاء ولو بالتأمين ومن ثم اتفقوا على أن يجهرَ به)

والقنوت نوع استنصار ونصرة وقد صح عن علي بن أبي طالب لما قنت في حروبه قال : إنما استنصرنا على عدونا . رواه ابن أبي شيبه ١٠٣/٢ رقم ٦٩٨١ .

بل إن هناك من أهل العلم من قال بوجوب قنوت النوازل وقال إنه فعل الأئمة ، فقد ذكر ابن عبد البر في الاستذكار ٢٠٢/٦ بسنده عن يحي بن سعيد انه كان يقول : يجب الدعاء إذا وغلت الجيوش في بلاد العدو (يعني القنوت) قال : وكذلك كانت الأئمة تفعل .

وبعد ..

فسنذكر إن شاء الله تعالى المآخذ عليكم فيما ذهبتم إليه في مسألة القنوت .

أولا :

في المسألة الثالثة من كلامكم قلت : إنه ليس من مفهوم قنوت النازلة عند الصحابة والسلف إذا وقعت نازلة في طرف من بلاد المسلمين قنت الجميع .... وقلت أيضا : والصحابة رضوان الله عليهم لم يكن من هديهم أنه إذا وقعت نازلة في طرف بلاد المسلمين قنت جميع المسلمين ... وأن من تمام بحث المسألة أن قنوت النوازل لكل أهل بلد بحسبه . إهـ

ومقتضى هذا الكلام أنه إذا وقعت نازلة في المسلمين في أي طرف من أطراف البلاد الإسلامية أنه لا يقنت إلا أهل تلك النازلة ، لأن القنوت لكل أهل بلد بحسبه !!

ويَرِدُ على كلامكم هذا عدة أدلة :

أ – أين دليل التخصيص ومنع ماعدا أهل النازلة ، والمخصِّص مطالب بالدليل .

ب – يُرَدُّ عليكم باستدلالكم نفسه ، حيث استدللتم بقصة قنوت النبي ﷺ للقراء لما قتلوا ، والقراء قتلوا في أطراف الدولة الإسلامية ، بل قتلوا في مكان خارج ولاية الدولة الإسلامية ، مما يدل انه يُقنت لما هو ليس بأطراف الدولة الإسلامية فحسب بل ما هو خارجها .

ج – قصة قنوته ﷺ للمستضعفين في مكة (وكان ذلك بعد صلح الحديبية وفتح خيبر كما قاله ابن تيمية في الفتاوى (١٠٥/٢٣) فقد روى أبو هريرة ﷺ قال : وكان رسول الله ﷺ حين يرفع رأسه يقول : سمع الله لمن حمده يدعو لرجال فيسميَهم بأسمائهم فيقول : اللهم انج الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وعياش بن أبي ربيعة والمستضعفين من المؤمنين ، اللهم اشدد وطأتك على مضر ، واجعلها عليهم سنين كسني يوسف (١). متفق عليه .

قاله رسول الله ﷺ ومكة حينئذ دار كفر ، فقنت لأناس ليسوا في أطراف الدولة الإسلامية بل في بلاد الكفر .

د – قصة الخرمية ، وكانوا في أطراف الدولة الإسلامية في شمال فارس قرب أذربيجان ، فقد جاء في كتاب المغني لابن قدامة في فصل القنوت وقت النوازل قال الأثرم سمعت أبا عبد الله (أحمد بن حنبل) سئل عن القنوت في الفجر فقال : لو قنت أياما معلومة ثم يترك كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم . قال أحمد : أو قنت على الجرمية ، وذكر هذه الرواية ابن القيم في كتاب الصلاة فقال قال الاثرم : سمعت أبا عبد الله يقول : القنوت في الفجر بعد الركوع ، وسمعته قال لما سئل عن القنوت في الفجر فقال إذا نزل بالمسلمين أمر قنت الإمام وأمّن من خلفه ، ثم قال : مثل ما نزل بالناس من هذا الكافر ، يعني بابك الخرمي الخارجي إهـ . وقد قاتلهم المأمون ثم المعتصم فقضى عليهم . فهذه واقعة في أطراف الدولة الإسلامية . والقنوت كان في بلد الإمام احمد .

ومما يدل على العموم وأنه لكل نازلة في أي بلد من بلاد المسلمين أن الصحابة الذين رووا أحاديث قنوت النوازل ، وأشهر من روى ذلك أنس وأبو هريرة أنهما فعلا القنوت بأنفسهما ، بل وحثوا الناس على الاقتداء بهما كما فعل أبو هريرة وسوف يأتي إن شاء الله بعد قليل ، بل إنهما رويا أحاديث القنوت بألفاظ عامة تدل على العموم ، وقد جاء عن أنس فيما روى عنه ابن خزيمة قال إن النبي ﷺ كان لا يقنت إلا إذا دعا لقوم أو دعا على قوم (٢)، وهذه ألفاظ عموم ، وفي الصحيح عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ كان إذا أراد أن يدعو على أحد أو يدعو لأحد قنت (٣) وهذه الفظ عموم .

---

(١) صحيح البخاري (٨٠٤) .

(٢) صحيح ابن خزيمة (٦٢٠) قال الأعظمي: إسناده صحيح .

(٣) صحيح البخاري (٤٥٦٠) .

هـ – كلام أئمة المذاهب الفقهية المعروفة فإنهم كلهم يذكرون أنه إذا وقع نازلة بالمسلمين ويذكرون كلمة (بالمسلمين) بالألف واللام الدالة على العموم في أي طرف أو جزء من بلاد المسلمين وإليك نصوصهم :

١ – **الحنابلة** :

قال ابن قدامة في المغني : فصل فإن نزل بالمسلمين نازلة فللإمام أن يقنت في صلاة الصبح نص عليه أحمد . وتابعه علي هذا صاحب الشرح الكبير : المغني والشرح الكبير ٧٨٨/١ .
وقال في زاد المستقنع : ويكره قنوت في غير الوتر إلا أن تنزل بالمسلمين نازلة غير الطاعون فيقنت الإمام في الفرائض ، وجميع كتب الحنابلة تنص على لفظة (المسلمين) في النازلة ثم تذكر الروايات عن الإمام احمد فيمن يقنت وهي أربع روايات .

٢– المالكية :

ذكر ابن عبد البر في الاستذكار ٢٠١/٦ في باب القنوت في الصبح مذهب مالك وانه يرى القنوت ، وقال ابن رشد في بداية المجتهد في فصل أقوال الصلاة في المسألة التاسعة ، قال : ومذهب مالك أن القنوت في صلاة الصبح مستحب ١٣١/١ وذكر الزرقاني في شرح الموطأ في باب القنوت في الصبح أن هذا معتقد مالك القنوت في الصبح ٢٢٣/١ .
وجاء في المدونة الكبرى ١٠٣/١ وذكر مذهب مالك القنوت في الصبح بالدعاء على الكفار والاستعانة بالله عليهم . بل إن مالكا يرى دوام قنوت النوازل في الفجر كما قال ابن العربي في شرحه للموطأ في كتابه القبس ٣٤٨/١ في ذكر رأي مالك في قنوت النوازل ، قال ابن العربي : ورأي احمد بن حنبل أن قنوت النبي ﷺ إنما كان لسبب فيما كان ينزل بالمسلمين والأحكام إذا كانت معلقة بالأسباب زالت بزوالها ورأي مالك والشافعي أن ذلك من كَلَب العدو ومقارعته معنى دائم فدام القنوت بدوامه إهـ .

وقال ابن تيميه في الفتاوى ١٠٦/٢٣ :
قول مالك القنوت في النوازل مشروع دائما والمداومة سنة وان ذلك يكون في الفجر قبل الركوع بعد القراءة سرا . وهذا يدل أن المالكية يرون قنوتا دائما ولكل إمام جماعة في صلاة الفجر فما بالك بوقت النازلة بالمسلمين .

٣– الشافعية :

قال في المهذب : وأما غير الصبح من الفرائض فلا يقنت فيه من غير حاجة فإن نزلت بالمسلمين نازلة قنتوا في جميع الفرائض ، قال النووي في المجموع شرح المهذب على الكلام السابق ، قال : والصحيح المشهور الذي قطع به الجمهور إن نزلت بالمسلمين نازلة كخوف أو قحط أو وباء أو جراد ونحو ذلك قنتوا في جميعها وإلا فلا . ٤٩٣/٣ ، وذكر النووي نفس كلامه السابق في شرح مسلم في باب استحباب القنوت بجميع الصلاة إذا نزلت بالمسلمين نازلة والعياذ بالله اهـ . وقال الغزالي في الوسيط ١٣٣/٢ وإذا نزلت بالمسلمين نازلة و أرادوا القنوت في الصلوات الخمس جاز ، وقاله الشيرازي الشافعي في التنبيه ٣٣/١ وقاله الشربيني الشافعي في الإقناع ١٤١/١ . بل إن الشافعية من أوسع المذاهب في القنوت كالمالكية يرونه دائما في النوازل وغير النوازل .

٤– الحنفية :

قال ابن عابدين في حاشيته ١١/٢ في مطلب القنوت في النازلة ، قال : إن نزل بالمسلمين نازلة قنت الإمام في صلاة الجهر .... ونقل عن الطحاوي في القنوت إن وقعت فتنة أو بلية فلا بأس به (وراجع إعلاء السنن ٩٥/٦) . وقال في حاشية الطحطاوي على مراقي الفلاح ٢٥٢/١ : إذا نزل بالمسلمين نازلة قنت في صلاة الفجر ، وهو قول الثوري واحمد . وقال اللكنوي في كتابه التعليق الممجد ٦٣٦/١ ، قال : إن قول أبى حنيفة وأصحابه لا قنوت في شيء من الصلوات إلا في الوتر وإلا في نازلة . وقال في البحر الرائق للحنفية ٤٨/٢ : وإن نزل في المسلمين نازلة قنت الإمام في صلاة الجهر . وذكر التهانوي في إعلاء السنن ٨٤/٦ ، ٩٥ أن عين مذهب الحنفية والجمهور هو القنوت في النوازل مؤقتا . وبعض الحنفية يرى أن القنوت للنوازل منسوخ كالطحاوي في شرح معاني الآثار وينقله عن بعض أئمة الحنفية ٢٥٤/١ مع أن كلام الطحاوي هذا ناقشه التهانوي في إعلاء السنن ٩٦/٦ وبين اختيار المذهب وهو القنوت .

والخلاصة من هذا النقل من أقوال المذاهب التدليل على أن القنوت لكل نازلة تحصل في المسلمين أن يقنت الجميع ، وليس القنوت لكل بلد بحسبه ، وقد مر بك ألفاظ كلام العلماء الدالة على العموم وليس فيها أدنى كلام في تخصيص كل بلد بنازلته ، أما كلام العلماء المستقلين فقد قال ابن حزم في المحلى ٤/ ١٣٨وما بعدها ، المسألة رقم ٤٥٩ : إن القنوت فعل حسن . وقال الشوكاني في نيل الأوطار ٣٤٥/٢ : القنوت عند النوازل مشروع عند النازلة ، وقال في السيل الجرار ٢٢٩/١ : إن النبي ﷺ كان يفعله إذا نزلت في المسلمين نازلة فيدعو لقوم أو على قوم ، أما كلام

ابن تيميه وبن القيم فكثير فمنه مافي الفتاوى ١١١/٢٣ : والقنوت فيها إذا كان مشروعا كان مشروعا للإمام والمأموم والمنفرد . بل إن ابن تيميه له رسالة مستقلة في القنوت في مشروعيته وعموميته ، وكذا ابن القيم في زاد المعاد جعل فصلا مستقلا في هديه ﷺ في قنوت النوازل . وقال الصنعاني في السبل ٣٧٨/١ رقم ٢٨٨ قال : فالقول بأنه يسن القنوت في النوازل قول حسن . ومما يجمع خلاصة كلام المذاهب قول اللكنوي في كتابه التعليق الممجد ٦٣٦/١ : ولا نزاع بين الأمة في مشروعية القنوت ولا في مشروعيته للنازلة إنما النزاع في بقاء مشروعيته لغير النازلة ، ونقل ابن عبد البر في الاستذكار ٢٠٢/٦ عن يحي بن سعيد أن القنوت إذا دخلت جيوش المسلمين هو فعل الأئمة .

ثانيا :

ذكرتم في المسألة الثانية أن النبي ﷺ لما قنت لم يأمر مساجد المدينة بالقنوت – قنوت النوازل – ولم يأمر مسجد قباء ومسجد (زريق) ومسجد العالية .

والجواب : نفْيكم هذا يحتاج إلى إثبات خاص فهل هناك دليل صريح انه قال لهم لا تقنتوا أو انهم قنتوا فنهاهم ، فالنفي مثل الإثبات يحتاج إلى دليل لأن النفي قضية سلبية تحتاج إلى برهان كالقضية الموجبة وكون المستدل ليس لديه دليل على القضية المعينة لا يلزم منه انتفاء تلك القضية إذ قد تكون ثابتة بدليل لم يعلمه المستدل كهذه القضية إذ من المعلوم قطعا أن الصحابة ﷺ لا يخالفون قول الرسول ولا فعله ، وقد ثبت عنه انه قنت فلا بد أن يقتدوا به في ذلك القنوت ، يدل على هذا قصة استدارة أهل مسجد قباء حينما أبلغوا أن الرسول ﷺ استقبل الكعبة ففعلوا ذلك عندما علموا من غير أن يأمرهم رسول الله ﷺ بذلك.

ويقال أيضا لكم على وجه التنزل إذ لم يأت حديث بالأمر فأيضا لم يأت حديث بالنهي إنما هو شيء مسكوت عنه ، والمسكوت عنه يرجع فيه للقواعد والأصول ، والأصل أن الصحابة يقتدون بالرسول ﷺ ، قال تعالى (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة)(سورة الأحزاب آية:٢١) والأصل في الرسول انه مُتَبع ، وما فعله شرع يعمل به مالم يدل دليل على خصوصيته به وإلا على كلامكم يلزم منه لوازم باطلة تؤدي إلى تعطيل بعض الشرائع فيقال صلاة التراويح فعلها رسول الله ﷺ في مسجده بعض الليالي وفعلها عمر ﷺ في مسجد الرسول ﷺ ولا تفعل في المساجد الأخرى لأنه لم يرد دليل أن المساجد الأخرى أُمرت بذلك ، ومثلها صلاة الكسوف صلاها

الرسول ﷺ والخلفاء بعده ولم يأت دليل انه أَمر المساجد الأخرى ، وكذا صلاة الخوف ، فعلها رسول الله ﷺ فأين الدليل أنه أمر السرايا والجيوش الأخرى بصلاتها ، ويقال أيضا البلاد التي فتحها رسول الله ﷺ أين الدليل أنه أمر مساجدهم بإقامة الجمعة وغيرها من الشعائر الظاهرة ، وهكذا من اللوازم الباطلة التي ليس المخرج منها إلا أن يقال الأصل الاقتداء بفعله ﷺ ، والأصل أن الصحابة والمسلمين فعلوا ما فعله ﷺ إلا إذا جاء دليل خاص بالمنع أو النهي لا مجرد السكوت وعدم النقل.

ثالثا :

ذكرتم في المسألة الثانية قولكم إنما قنت هو عليه الصلاة والسلام شهرا ، ولهذا استدل به عدد من الأئمة منهم الإمام أحمد أنه إنما يقنت الإمام الأعظم في المسجد الأعظم ما يقنت كل مسجد ، وقلت أيضا إن السنة ظاهرة في انه لا يقنت في البلد الواحد إلا مسجد واحد فقط وهو المسجد الأعظم في البلد .

والجواب : ما هو الدليل أنه لا يقنت إلا الإمام الأعظم ؟!! وأنه لايقنت إلا مسجد الإمام الأعظم فقط !! بل إن فقه الصحابة ﷺ على أن القنوت ليس من خصائص الإمام الأعظم ومسجده فقط ، بل ثبت عن أنس بن مالك وأبي هريرة وابن عباس والبراء بن عازب ومعاوية وأبي موسى أنهم قنتوا ، وليسوا بالإمام الأعظم ومسجدهم ليس بمسجد الإمام الأعظم كما سوف نذكره إن شاء الله بعد قليل :

أ — فقد صح عن انس بن مالك ﷺ انه كان يقنت في صلاة الفجر رواه ابن المنذر في الأوسط ٥/ ٢٠٩ وغيره ، علما بأن أنسا ممن روى أحاديث قنوت النازلة فكان بفعله هذا يرى أنها ليست من خصائص الإمام الأعظم ولا مسجده ، بل صح عنه ﷺ أن بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قنتوا في صلاة الفجر فذكر هنا انه فعل جمع من الصحابة والمقصود بذلك قنوت النازلة .

ب — وجاء عن أبي هريرة ﷺ انه كان يقنت في الظهر والعشاء الآخرة وصلاة الصبح رواه الطبري في تهذيب الآثار مسند ابن عباس ١/٣٤٥ رقم ٥٧٦ فيدعوا للمؤمنين ويلعن الكفار ، وقال لأقرِّبن بكم صلاة رسول الله ﷺ متفق عليه (١) ، وفي رواية عند الطحاوي في شرح الآثار ١/٢٤١ (لأرينكم) ، فصلى بهم وقنت حتى يعلّمهم أن القنوت مشروع لكل إمام في النازلة ولذا

---

(١) صحيح مسلم ٢٩٦ - (٦٧٦)

قال : لأرينكم ، مع انه ليس بالإمام الأعظم ومسجده ليس بالمسجد الأعظم ، علما بأن أبا هريرة ﷺ ممن روى أحاديث القنوت للنازلة ، فهذا فهمهم ﷺ ، بل فعله هو بنفسه تدريبا لأصحابه عليها . قال ابن القيم في زاد المعاد : ولا ريب أن رسول الله ﷺ فعل ذلك (أي القنوت) ثم تركه ، فأحب أبو هريرة أن يعلمهم أن مثل هذا القنوت سنة . اهـ

ج – صح عن البراء بن عازب انه كان يقنت . رواه بن أبي شيبة ١٠٦/٢رقم ٧٠١٦ و صفحة ١٠٨ رقم ٧٠٣٤ ، وعبدالرزاق في مصنفه ١٠٩/٣وابن المنذر في الأوسط ٢٠٩/٥ والبيهقي في سننه ٢٠٦/٢ مع أن البراء ممن روى أحاديث قنوت النازلة .

د – صح عن ابن عباس ﷺ انه صلى الغداة في إمارته على البصرة فقنت . رواه بن أبي شيبه ١٠٥/٢ رقم ٧٠٠٣ وعبدالرزاق في مصنفه ١١٣/٣ وبن المنذر في الأوسط ٢٠٩/٥ علما بأن ابن عباس في البصرة كان أميرا لعلي بن أبي طالب ، فلما قنت علي بن أبي طالب ﷺ لما حارب أهل الشام قنت ابن عباس تبعا له ذكر ذلك الطحاوي في شرح معاني الآثار ٢٥٢/١ في باب القنوت ، وذكره التهانوي في إعلاء السنن ٦/ باب القنوت ، وقال الكاندهلوي في كتابه أوجز المسالك ١٧٥/٣ نقلا عن الدار قطني عن سعيد بن جبير ، قال أشهد أني سمعت بن عباس يقول : أن القنوت في صلاة الفجر بدعة . إلا إذا نزل بالمسلمين نازلة ، فانظر إلى كلام بن عباس هذا وما فيه من عمومية القنوت للنوازل ، بل لا يَبعد أن يكون هذا الكلام له حكم الرفع .

هـ – جاء عن معاوية ﷺ أنه قنت في صفين وما بعدها ، يقنت هو ومن معه مع أنه ليس الإمام الأعظم في ذلك الوقت ، وذكر قنوته الطحاوي في معاني الآثار وكذا الطبري في تاريخه ١١٣/٣ ، قال البيهقي في كتابه معرفة السنن في فصل القنوت : وقنت معاوية في الشام يدعو في صفين ، فأخذ أهل الشام عنه ذلك .

ز – وروى الطحاوي في شرح معاني الآثار عن أبي موسى الأشعري أنه قنت وذكره عنه ابن القيم في زاد المعاد ورواه بن أبي شيبة ١٠٥/٢ رقم ٧٠٠١ بسنده عن عبد الله بن معقل قال : قنت في الفجر رجلان من أصحاب رسول الله ﷺ علي وأبو موسى .

فهؤلاء ستة من أصحاب رسول الله ﷺ بعضهم ممن روى أحاديث قنوت النازلة وفعلها ، وكلهم يرون أن لغير الإمام الأعظم فعله ، فأين المخالف لهم من الصحابة ممن منع قنوت النوازل أو رأى انه خاص بالإمام الأعظم أو مسجده .

أما الخلفاء الراشدون فقد صح عن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ﷺ انهم قنتوا في النوازل فعن العوام بن حمزة سألت أبا عثمان عن القنوت فقال بعد الركوع قلت عمن ؟ قال عن أبي بكر وعمر وعثمان . رواه بن أبي شيبة ١٠٦/٢ رقم ٧٠١١ وابن المنذر في الأوسط ٢١٠/٥ وحسنه البيهقي في معرفة السنن ٧٩/٢وقال ابن تيميه في الفتاوى ١٠٨/٢٣ أن النبي عليه الصلاة والسلام قنت لسبب نزل به ثم تركه عند عدم ذلك السبب النازل ، فيكون القنوت مسنونا عند النوازل ، وهذا القول هو الذي عليه فقهاء أهل الحديث وهو المأثور عن الخلفاء الراشدين ﷺ .. ثم قال : فسنة رسول الله ﷺ وخلفائه الراشدين تدل على شيئين ، أحدهما : أن دعاء القنوت مشروع عند السبب الذي يقتضيه ، وقال ابن القيم في الزاد في هديه ﷺ في القنوت : إن المروي عن الصحابة في قنوت النوازل قنوت الصديق ﷺ في محاربة مسيلمة وعند محاربة أهل الكتاب ، (راجع كتاب إعلاء السنن ٨٣/٦) أما قنوت عمر فقد ذكره ابن تيميه في الفتاوى ١٠٨/٢٣ وابن القيم في الزاد انه قنت لما حارب النصارى . وقال ابن تيميه في الفتاوى ١٠٨/٢٣ وكان عمر إذا أبطأ عليه خبر جيوش المسلمين قنت ، ونقل الكاندهلوي في أوجز المسالك ١٧٦/٣ عن كتاب الآثار لمحمد بن حسن قال : كان عمر ﷺ إذا حارب قنت وإذا لم يحارب لم يقنت رواه الطحاوي وإسناده حسن .

وكذا علي بن أبي طالب ﷺ قنت لما حارب من حارب من الخوارج ، قاله ابن تيميه في الفتاوى ١٠٣/٢٣ ، وقنت أيضا لما حارب أهلَ الشام في صفين ، قال البيهقي في كتابه معرفة السنن في فصل القنوت أن عليا قنت في حرب يدعو فأخذ أهل الكوفة ذلك عنه .

فهذا هدي الخلفاء الراشدين والصحابة المرضيين ، بل لو قال قائل انه لا يعرف لهم مخالف لكان هو عين الصواب ، وهو مذهب الناس في زمن علي بن أبي طالب وعليه أهل الكوفة تبعا له ، و أهل البصرة تبعا لأبن عباس ، وأهل الشام تبعا لمعاوية فقد روى مُحَّد بن الحسن في الآثار عن إبراهيم النخعي بسند صحيح ، قال : إن أهل الكوفة إنما اخذوا القنوت من علي حينما حارب وأهل الشام اخذوا القنوت عن معاوية ، ذكره صاحب إعلاء السنن ٨٨/٦ ،وهو فعل الأمراء زمن انس ﷺ كما ذكر ذلك ابن حزم في المحلى ١٤١/٤ رقم ٤٥٩ وقال : فإن قيل فقد روي عن انس انه سئل عن القنوت : أقبل الركوع أم بعده ؟ فقال : قبل الركوع ، قال ابن حزم : إنما اخبر بذلك انس ﷺ عن أمراء عصره اهـ والشاهد أن فعل القنوت للنوازل من فعل أمراء عصر انس ﷺ وليس خاصا بالإمام الأعظم .

وقبل ذلك هو فعل الناس زمن عمر حيث قنت عدة مرات ،وهو فعل الناس زمن أبي بكر حيث فعله فيهم ، فأي إجماع اعظم من هذا وجاء في الاستذكار ١٧٠/٥ أن أبا عبدالرحمن السلمي قنت في الفجر يدعو على قطري بن الفجاءة الخارجي (وأبو عبدالرحمن هذا مقرئ الكوفة من أولاد الصحابة اخذ القرآن عن عثمان وعلي رضي الله عنهما ، ورواه ابن أبي شيبة ١٠٩/٢ رقم ٧٠٤٧ ، وقنت من التابعين أيضا نفر كثير ليسوا بأئمة ومساجدهم ليست بمسجد الإمام الأعظم ، وقال ابن عبدالبر في الاستذكار ١٧٢/٥ : (ومِن فعل الصحابة وجلة التابعين بالمدينة في لعن الكفرة في القنوت أخذ العلماء لعن الكفرة في الخطبة الثانية من الخطبة والدعاء عليهم) . وممن نقل الإجماع الكاندهلوي في أوجز المسالك في شرح موطأ مالك ٣/ ١٧٧ قال النيموي : تدل الأخبار على أن النبي ﷺ واصحابه لم يقنتوا في الفجر إلا في النوازل ، وقال اللكنوي في كتابه التعليق الممجد ٦٣٦/١ ولا نزاع بين الأمة في مشروعية القنوت ولا في مشروعيته للنازلة إنما النزاع في بقاء مشروعيته لغير النازلة ، ونقل بن عبدالبر في الاستذكار ٢٠٢/٦ عن يحي بن سعيد أن القنوت فعل الأئمة ، وذكر ابن أبي شيبة برقم ٧٠٠٦ بسنده عن ابن أبي ليلى قال : القنوت سنة ماضية ، وقال ابن تيميه في الفتاوى ١٠٨/٢٣ أن القنوت مسنون عند النوازل وهذا القول هو الذي عليه فقهاء أهل الحديث وهو المأثور عن الخلفاء الراشدين . وقال التهانوي في إعلاء السنن ٩٦/٦ واما دعوى نسخ القنوت في الفجر مطلقا فتردها آثار الصحابة وقنوتهم بعد وفاته صلى الله عليه وسلم أحيانا ، ونقل عن صاحب كتاب الحجة البالغة : وكان النبي ﷺ وخلفاءه إذا نابهم أمر دعوا للمسلمين وعلى الكافرين بعد الركوع أو قبله اهـ .

وبعد هذا يقال أيضا لماذا يخصص القنوت بالإمام الأعظم ومسجده مع أن اصل القنوت دعاء واستنصار ، فتكثير من يدعو من المقاصد الشرعية ، ومن أسباب قبول الدعاء لا سيما وانه قد يوجد في غير مسجد الإمام من هو اقرب للإجابة وافضل ، وقد قال ﷺ : وهل تنصرون إلا بضعفائكم ، بل قد يكون الإمام أو مسجده فيه من موانع قبول الدعاء ما يفوّت الهدف من القنوت وهو تحري الاستجابة ، ثم يقال ليس في تعدد مساجد القنوت ضرر في ذلك ، وليس هو مثل إقامة الحدود ونحوها التي في تعددها مفاسد ، ولذا تخصص بالإمام أو نائبه لمنع المفاسد .

ويقال أيضا : لو كان قنوت النازلة خاص لكان النبي عليه الصلاة والسلام لما قنت في قصة القراء لقال للصحابة بعد الصلاة إن هذا الدعاء خاص بالإمام أو نحو ذلك لأن تأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز ، فلو كان هناك مخصص لبينه المصطفى المبلغ عليه الصلاة والسلام .

ومن أعجب الأمور أنكم تقولون عند النوازل : ادعوا في الخطب والمحاضرات ولا تدعوا في الصلاة إلا بإذن الإمام فتمنع الناس مما هو مشروع لهم بالإجماع ثم تحثهم على أمر آخر وإن كان جيدا ومطلوبا لكن المشروع أولى منه ، وأخشى أن يجيء وقت لا قدر الله فيقال : وأيضا الخطب والمحاضرات لا يدعى إلا بإذن الإمام ، أو انه خاص بالإمام ولا حول ولا قوة إلا بالله .

رابعا :

قلتم في المسالة الثانية :

إن القنوت للإمام الأعظم استدل به عدد من الأئمة منهم الإمام احمد على أنه إنما يقنت الإمام الأعظم في المسجد الأعظم !

ويقال لكم إن الإمام احمد له عدة روايات في المسألة ، فقد قال المرداوي في الإنصاف ١٧٥/٢ لما ذكر عن احمد انه يقنت الإمام قال : وعنه يقنت نائبه بإذنه ، وعنه يقنت إمام جماعة ، وعنه كل مصل . اختاره تقي الدين ، وقال في المحرر وهل يشرع لسائر الناس ؟ على روايتين .

والله تعالى يقول (فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ)(سورة النساء:٥٩) ومن البحث السابق وعمل الصحابة يتضح اقرب الروايات للسنة وهدي الرسول ﷺ وصحابته العموم

ونفيد فائدة هنا وهي أن المتتبع لأقوال أهل العلم حسب اطلاعنا في الكتب المتيسرة بين أيدينا وحسب البحث السابق أن القول بأن قنوت النوازل خاص بالإمام الأعظم انه من مفردات الحنابلة في إحدى الروايات .

ثم اختياركم لهذا القول على خلاف مراد الإمام احمد ، فإن معنى الإمام الأعظم عند احمد وغيره هو الخليفة الواحد الذي يحكم المسلمين جميعا ، وهذه هي فائدة صفة الأعظم ، واليوم ليس إمام اعظم يحكم المسلمين كلهم ، فعلى هذا القول الذي اخترتموه وأردتم تطبيقه هذا اليوم على غير مراد الإمام احمد الذي اخترت قوله وهو إحدى الروايات يؤدي إلى تعطيل القنوت تماما ، وهذا القول لم تسبقوا إليه ولا حول ولا قوة إلا بالله .

واخيرا ..

نحن اليوم نعرف اختلاف أهواء الحكام وماهي توجهاتهم فربط القنوت للنوازل بهم يجعل قضايا المسلمين خاضعة للسياسة و مصالح الحكام ، وأنت ترى في الواقع اليوم تخاذل كثير من الحكام

وعدم نصرتهم للمسلمين في نوازلهم بل انهم يخجلون من دعم قضايا الجهاد والمجاهدين ، فكيف ينتظر منهم أن يأذنوا بالقنوت لهم إلا أن وافق مصالحهم وأهواءهم .
كتبت هذا لكم لكي تراجعوا أنفسكم فيما قلتم وتعودوا إلى هدي الرسول ﷺ والصحابة والعلماء بعده وتعلنوا للناس ذلك وإلا سوف نعلن هذا الرد للناس لبيان ما هو الحق في المسألة ونحن بالانتظار ..

نسأل الله لنا ولكم التوفيق والهداية .
وصلى الله على نبينا مُحَمَّد وعلى اله وصحبه وسلم .
أملاه فضيلة الشيخ
أ. حمود بن عقلاء الشعيبي
١٧/١٠/١٤٢١هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

خطاب الشيخ حمود لأحد المشايخ حول قنوت النوازل

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين. إلى فضيلة الشيخ/ ...– حفظه الله–

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته... وبعد

فقد وصلتني رسالتكم العتابية التي نقدتم فيها ردي على صالح بن عبد العزيز آل الشيخ في خطئه في منع القنوت في النوازل، وقد قرأت رسالتكم عدة مرات، ووقفت حائرًا عند عدة أسئلة:

أولاً: لماذا كتبتَ هذه الرسالة بعد مُضِيّ عدة أشهر، علمًا بأني قد زودتكم بنسخة من نقدي في تاريخه.

ثانيًا: هل من حَرر هذا الخطاب قرأ نقدي كاملاً؟ لا أظن ذلك؛ لضعفه علميًا وجهله بالقواعد الأصولية، ولِمَا وقع فيه من التناقض الصريح.

ثالثًا: لماذا لم يكن الرد من صالح بن عبد العزيز آل الشيخ وهو الذي انتقدته وهو المعْنِيّ بذلك؟ وقد جاء الرد من قِبَلِكم.

وكنت مترددًا في الإجابة على رسالتكم لمكانتكم عندي، لولا قولكم في آخر الرسالة: ينبغي أن تعتذر من صالح وتترك الإصرار، فلما سمعتُ هذه العبارة تمثَّلتُ بقول الشاعر العربي:

قرِّبا مربط النعامة مني * إن بيع الكرام بالشسع غالي**

فعزمت على الرد على رسالتكم مستعينًا بالله مبينًا ما فيها من أخطاء وملاحظات وهي ما يلي:

أولاً: قلت– وفقك الله– إن القنوت نُسِخ بعد حادثة بئر معونة في السنة الثالثة حين قنت النبي ﷺ شهرًا فيها ثم تركه، وإنما يُؤخَذ بالآخِر فالآخِر من فعله ﷺ، ثم ضربتَ أمثلةً في أشياء نُسخت فيما بعد، وهذا الكلام عليه ملاحظات وهي:

أ– أنك لم تُراعِ أصول وقواعد أهل العلم في النسخ، فمما يعرف أبسط طلبة العلم أن النسخ له شروط وهي على الاختصار: الأول: تَعَذُّر الجمع، الثاني: معرفة التاريخ، أو النص الصريح على النسخ، وهذه الواقعة خلت منها هذه الشروط، فلم تأت بنص صريح فيه المنع من القنوت يدل على النسخ، ولم يتعذر الجمع، بل ليس هناك تعارض حتى نحتاج إلى الجمع، وإنما ذكرت مجرد الترك، والترك ليس دليلاً على النسخ، الأمر الآخر: أنك ادعيت أن النسخ وقع بعد بئر معونة، مع أنه ثبت عنه عليه الصلاة والسلام أنه قنت بعد بئر معونة، فبطل ادعاؤك للنسخ في بئر معونة.

ب- أن رسول الله ﷺ قنت بعد بئر معونة بعد صلح الحديبية، وقد ذكرتُ ذلك في فتوى مشروعية القنوت، ولا أدري أقرأت ذلك حقيقةً أم لا؟ وذكرتُ فيها الدليل على ذلك. وإليك الدليل من نفس الفتوى؛ فقد روى أبو هريرة ﷺ قال: وكان رسول الله ﷺ حين يرفع رأسه يقول: سمع الله لمن حمده يدعو لرجال فيسميهم بأسمائهم فيقول: «اللهم أنج الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وعيّاش بن أبي ربيعة والمستضعفين من المؤمنين، اللهم اشدد وطأتك على مضر، واجعلها عليهم سنين كسنيّ يوسف»متفق عليه. وقصة قنوته ﷺ للمستضعفين في مكة كانت بعد صلح الحديبية وفتح خيبر كما قاله ابن تيمية في الفتاوى (٢٣/١٠٥).

ج- أنك قلت إن الرسول ﷺ ترك القنوت وجعلت مجرد الترك نسخًا، وهذا أمر مستغرب، ويلزم منه دعاوى باطلة وإبطال أحكام كثيرة بدعوى الترك، وكثير من الأحكام النبوية يفعلها الرسول ﷺ مرة ثم يتركها؛ فهل مجرد الترك نسخ؟ بل لا يلزم استمرار عمل الرسول ﷺ به حتى الموت لكي يدل أنه غير منسوخ، بل لو فعله مرة لدلَّ على الجواز، وإن لم يفعله مرة أخرى.

د- قلت إنه يؤخذ بالآخِر فالآخر من فعل الرسول ﷺ، ثم لم تذكر لنا نص الآخر من فعله، وإنما جعلت الآخِرَ تركًا مجردًا، ولم تذكر لنا فعلاً يمكن أن يُسمَّى الآخر، أنه مباح ثم مُنع بالنص، وأن زيارة القبور كانت ممنوعة ثم شُرِعت بالنص، وأن النياحة كانت مباحة ثم جاء النهي، وما ذكرتَه حقٌ وجاءت أدلة صريحة في النسخ ذكرتَ بعضها، لكن في مسألة القنوت استعملتَ الحيدة ولم تذكر نصًا صريحًا في النسخ كما ذكرتَ في النصوص قبلها.

ثانيًا: قلت إن مذهب أبي حنيفة يرى المنع مطلقًا ولم تذكر نصوصًا لكلامهم في هذا المعنى، مع أنني في الرسالة ذكرتُ مذهب أبي حنيفة في ذلك وذكرتُ نصوصًا من كلامهم تدل على أن مذهب أبي حنيفة القنوت، وإليك مذهبهم المذكور في الرسالة:

قال ابن عابدين في حاشيته (١١/٢) في مطلب القنوت في النازلة، قال: إن نزل بالمسلمين نازلة قنت الإمام في صلاة الجهر. ونقل عن الطحاني في القنوت: إن وقعت فتنة بلية فلا بأس به (وراجع إعلاء السنن ٩٥/٦). وقال في حاشية الطحطاوي على مراقي الفلاح (٢٥٢/١): إذا نزل بالمسلمين نازلة قنت الإمام في صلاة الفجر، وهو قول الثوري وأحمد، وقال اللكنوي في كتاب التعليق الممجد (٦٣٦/١): إن قول أبي حنيفة وأصحابه لا قنوت في شيء من الصلوات إلا في الوتر وإلا في نازلة، وقال في البحر الرائق للحنفية (٤٨/٢): وإن نزل في المسلمين نازلة قنت الإمام في صلاة الجهر، وذكر التهانوي في إعلاء السنن (٨٤/٦، ٩٥) أن عين مذهب الحنفية والجمهور هو القنوت في النوازل مؤقتًا.

والذي يظهر- والله أعلم- أنك أخذت كلام بعض الأحناف ممن قال بالنسخ وظننتَ أن هذا هو مذهبهم، وإنما هو قولٌ فيه، وقد ذكرتُ ذلك في الرسالة، وإليك ما ذكرتُ: وبعض الحنفية يرى أن القنوت للنوازل منسوخ كالطحاوي في شرح معاني الآثار وينقله عن بعض أئمة الحنفية (١/٢٥٤)، مع أن كلام الطحاوي هذا ناقشه التهانوي في إعلاء السنن (٦/٩٦) وبيَّن أن اختيار المذهب هو القنوت.

ثالثًا: أما قولك إن المنع مطلقًا قول مذهب الإمام مالك، فهذا لا مستمسك فيه، فيُقال: لماذا عدلت عن أصل مذهب مالك في القول بالقنوت إلى هذا القول إن صح، وقد ذكرتُ لك في الرسالة مذهب مالك في ذلك، وما ذكرته ما يلي:

ذكر ابن عبد البر في الاستذكار (٦/٢٠١) في باب القنوت في الصبح مذهب مالك وأنه يرى القنوت، وقال ابن رشد في بداية المجتهد في فصل أقوال الصلاة في المسألة التاسعة، قال: ومذهب مالك أن القنوت في صلاة الصبح مستحب (١/١٣١)، وذكر الزرقاني في شرح الموطأ في باب القنوت في الصبح أن معتقد مالك: القنوت في الصبح (١/٢٢٣).

وجاء في المدونة الكبرى (١/١٠٣) ذِكر مذهب مالك في القنوت في الصبح بالدعاء على الكفار والاستعانة بالله عليهم، بل إن مالكًا يرى دوام قنوت النوازل في الفجر كما قال ابن العربي في شرح الموطأ في كتابه القبس (١/٣٤٨) في ذكر رأي مالك في قنوت النوازل، قال ابن العربي: ورأي أحمد بن حنبل أن قنوت النبي ﷺ إنما كان لسببٍ فيما كان ينزل بالمسلمين، والأحكام إن كانت معلقة بالأسباب زالت بزوالها، ورأي مالك والشافعي أن ذلك من طلب العدو، ومقارعته معنى دائم فدام القنوت بدوامه. اهـ

وقال ابن تيمية في الفتاوى (٢٣/١٠٦): قول مالك: القنوت في النوازل مشروع دائمًا والمداومة سنة، وأن ذلك يكون في الفجر قبل الركوع بعد القراءة سرًا، وهذا يدل على أن المالكية يرون قنوتًا دائمًا.

رابعًا: على قولك بالنسخ يُقال: هذا يحتاج إلى إثبات خاص، فهل هناك دليل صريح على أن رسول الله ﷺ قال لهم: «لا تقنتوا؟»، أو أنهم قنتوا فنهاهم، أو قال: «كنت قد قنتُّ فلا تقنتوا بعدي»، أو نحو ذلك، فالنفي كالإثبات يحتاج إلى دليل؛ لأن النفي قضية سلبية تحتاج إلى برهان كالقضية الموجبة، وكون المستدِل يدعي النسخ لا يلزم من صحة وقوع النسخ حقيقة، إذ قد يكون ثابتًا بدليل لم يعلمه المستدل، وهذا هو الواقع، فإن الصحابة قنتوا بعد وفاة الرسول ﷺ وهم أعلم منا بمواقع النسخ.

خامسًا: قلتَ في رسالتك: إن الرسول ﷺ لم يقنت في غزوة مؤتة ولا يوم حنين ولا في الأحزاب.
والجواب على ذلك أن يقال: أما غزوة مؤتة فقد حصل فيها نصر مبين، فما وجه القنوت؟ وأما حنين فقد حصل للصحابة ما حصل في ضُحى ذلك اليوم ثم نصرهم الله، فما يُطلَب منهم في وقت ما حصل لهم ما حصل.. أن يتركوا القتال ويقنتوا ضُحى؟ ثم نصرهم الله بعد ذلك. وأما الأحزاب فلا يدل عدم القنوت فيها على النسخ، فقد قنت النبي عليه الصلاة والسلام بعد الأحزاب ودعا للمستضعفين كما ذكرنا ذلك سابقًا.
سادسًا: أما قولك أني حشدت أقوالاً كثيرة لأئمة المذاهب وبعض الصحابة وبعض العلماء وغيرهم، وأن أقوال الناس (تريد من حشدتُ له أقوالاً كثيرة) ليست بحجة؛ فهذا من العجب العجاب، كيف أحشد أقوال الصحابة ومنهم الخلفاء الراشدون وستة من الصحابة، بعضهم ممن روى أحاديث القنوت وفعل القنوت بنفسه، مما يدل على عدم النسخ، فهل هؤلاء ليس في أقوالهم حجة؟

ثم لبَّست بعض التلبيس حيث قلت: (وبعض الصحابة)، فهل هذا إيهام منك أن البعض الآخر يرى النسخ والمنع؟ ثم لماذا لم تذكرهم؟ بل إنني ذكرتُ في الرسالة أنه لا يوجد أحد من الصحابة- فيما أعلم- خالف مشروعية القنوت، بل يكفي إجماع الخلفاء الراشدين على مشروعية القنوت، وسوف أذكر لك نصوصهم بعد قليل، ثم قلتَ: إن الحجة في الكتاب والسنة، وهذا حق، ولكن الإجماع أيضًا حجة، وقد ذكرتُ لك نصوصَ مَن نقل مِن أهل العلم الإجماع على مشروعية القنوت، وتركتَ هذا كله، فهل الإجماع ليس حجة عندك؟ وهل إجماع الخلفاء الراشدين ليس حجة عندك؟

وإليك النصوص التي ذكرتُها في رسالة القنوت من فِعل الخلفاء الراشدين وإجماعهم عليه، وفِعل الصحابة الذين لا يُعرَف لهم مخالف فيما أعلم، وحكاية إجماع مَن حكى مِن أهل العلم، لعل وعسى في ذلك معذرة وبيانًا:

فعل الخلفاء الراشدين وإجماعهم على القنوت:

فقد صح عن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ﷺ أنهم قنتوا في النوازل، فعن العوام بن حمزة: سألت أبا عثمان عن القنوت فقال: بعد الركوع. قلت: عمَّن؟ قال: عن أبي بكر وعمر وعثمان، رواه ابن أبي شيبة (١٠٦/٢) رقم (٧٠١١)، وابن المنذر في الأوسط (٢١٠/٥)، وحسنه البيهقي في معرفة السنن (٧٩/٢). وقال ابن تيمية في الفتاوى (١٠٨/٢٣): إن النبي عليه الصلاة والسلام قنت لسبب نازل به ثم تركه عند عدم ذلك السبب النازل، فيكون القنوت مسنونًا عند النوازل،

وهذا القول هو الذي عليه فقهاء أهل الحديث، وهو المأثور عن الخلفاء الراشدين ﷺ... ثم قال: فسُنة رسول الله ﷺ وخلفائه الراشدين تدل على شيئين، أحدهما: أن دعاء القنوت مشروع عند السبب الذي يقتضيه، وقال ابن القيم في الزاد في هديه ﷺ في القنوت: إن المروي عن الصحابة في قنوت النوازل قنوت الصديق ﷺ في محاربة مسيلمة وعند محاربة أهل الكتاب (راجع كتاب إعلاء السنن (٨٣/٦))، أما قنوت عمر فقد ذكر ابن تيمية في الفتاوى (١٠٨/٢٣) وابن القيم في الزاد أنه قنت لما حارب النصارى. وقال ابن تيمية في الفتاوى (١٠٨/٢٣): وكان عمر إذا أبطأ عليه خبر جيوش المسلمين قنت، ونقل الكاندهلوي في أوجز المسالك (١٧٦/٣) عن كتاب الآثار لمحمد بن حسن قال: كان عمر ﷺ إذا حارب قنت، وإذا لم يحارب لم يقنت، رواه الطحاوي وإسناده حسن.

وكان علي بن أبي طالب ﷺ قد قنت لما حارب من حارب من الخوارج، قاله ابن تيمية في الفتاوى (١٠٣/٢٣)، وقنت أيضًا لما حارب أهل الشام في صفين، قال البيهقي في كتابه معرفة السنن في فصل القنوت إن عليًّا قنت في حرب يدعو فأخذ أهل الكوفة ذلك عنه.

فهذا هو هدي الخلفاء الراشدين، بل لو قال قائل إنه لا يعرف لهم مخالف لكان هو عين الصواب ، وهو مذهب الناس في زمن علي بن أبي طالب وعليه أهل الكوفة تبعًا له. وقيل ذلك هو فعل الناس زمن عمر حيث قنت عدة مرات، وهو فعل الناس زمن أبي بكر حيث فعله فيهم، فأي إجماع أعظم من هذا؟

وأحب أن أنبهك إلى أنك نفيتَ عن أبي بكر أنه قنت، وادعيتَ على عمر أنه لم يقنت، وهذا من الرجم بالغيب والادعاء على الأفاضل بغير برهان، وقد ذكرتُ لك سابقًا قنوت أبي بكر وعمر، وزِدنا لك قنوتَ عثمان وعلي ﷺ أجمعين.

نصوص من قنت من الصحابة:

أ- فقد صح عن أن أنس بن مالك ﷺ أن كان يقنت في صلاة الفجر، رواه ابن المنذر في الأوسط (٢٠٩/٥) وغيره، علمًا بأن أنس ممن روى أحاديث قنوت النازلة، فكان بفعله هذا يرى أنها مُحكَمة لم تنسخ، بل صح عنه ﷺ أنه نقل عن بعض أصحاب رسول الله ﷺ أنهم قنتوا في صلاة الفجر، فذكر هنا أنه فِعل جَمْعٍ من الصحابة، والمقصود بذلك قنوت النازلة.

ب- وجاء عن أبي هريرة ﷺ أنه كان يقنت في الظهر والعشاء الآخرة وصلاة الصبح، رواه الطبري في تهذيب الآثار مسند ابن عباس (٣٤٥/١) رقم (٥٧٦) فيدعو للمؤمنين ويلعن الكفار، وقال: لأُقرِّبن بكم صلاة رسول الله ﷺ، متفق عليه. وفي رواية عند الطحاوي في شرح الآثار (٢٤١/١):

(لأرينكم)، فصلى بهم وقنت حتى يعلّمهم أن القنوت مشروع لم يُنسخ، ولذا قال: لأرينكم، علمًا بأن أبا هريرة ﷺ ممن روى أحاديث القنوت للنازلة، فهذا فهمهم ﷺ، بل فعله هو بنفسه تدريبًا لأصحابه عليه، قال ابن القيم في زاد المعاد: ولا ريب أن رسول الله ﷺ فعل ذلك- أي القنوت- ثم تركه، فأحبَّ أبو هريرة أن يعلمهم أن مثل هذا القنوت سُنة. اهـ

ج- صح عن البراء بن عازب أنه كان يقنت، رواه ابن أبي شيبة (١٠٦/٢) رقم (٧٠١٦) وصفحة (١٠٨) رقم (٧٠٣٤)، وعبد الرزاق في مصنفه (١٠٩/٣)، وابن المنذر في الأوسط (٢٠٩/٥)، والبيهقي في سننه (٢٠٦/٢)، مع أن البراء ممن روى أحاديث قنوت النازلة.

د- صح عن ابن عباس ﷺ أنه صلى الغداة في إمارته عن البصرة فقنت، رواه ابن أبي شيبة (١٠٥/٢) رقم (٧٠٠٣)، وعبد الرزاق في مصنفه (١١٣/٣)، وابن المنذر في الأوسط (٢٠٩/٥)، علمًا بأن ابن عباس في البصرة كان أميرًا لعلي بن أبي طالب، فلما قنت علي بن أبي طالب ﷺ لما حارب أهل الشام قنت ابن عباس تبعًا له، ذكر ذلك الطحاوي في شرح معاني الآثار (٢٥٢/١) في باب القنوت، وذكره التهانوي في إعلاء السنن (٦/باب القنوت)، وقال الكاندهلوي في كتابه أوجز المسالك (١٧٥/٣) نقلاً عن الدارقطني عن سعيد بن جبير، قال: أشهد أني سمعت ابن عباس يقول: إن القنوت في صلاة الفجر بدعة إلا إذا نزل بالمسلمين نازلة، فانظر إلى كلام ابن عباس هذا وما فيه من ذكر عدم نسخ القنوت للنوازل، بل لا يبعد أن يكون هذا الكلام له حكم الرفع.

هـ- جاء عن معاوية ﷺ أنه قنت في صِفين وما بعدها، يقنت هو ومن معه، ذكر قنوته الطحاوي في معاني الآثار، وكذا الطبري في تاريخه (١١٣/٣)، قال البيهقي في كتابه معرفة السنن في فصل القنوت: وقنت معاوية في الشام يدعو في صِفّين، فأخذ أهل الشام عنه ذلك.

و- وروى الطحاوي في شرح معاني الآثار عن أبي موسى الأشعري أنه قنت، وذكره عنه ابن القيم في زاد المعاد، ورواه ابن أبي شيبة (١٠٥/٢) رقم (٧٠٠١) بسنده عن عبد الله بن معقل قال: قنت في الفجر رجلان من أصحاب رسول الله ﷺ: علي وأبو موسى.

فهؤلاء ستة من أصحاب رسول الله ﷺ بعضهم ممن روى أحاديث قنوت النازلة وفعلها كأبي هريرة وأنس، وكلهم يرون القنوت وأنه لم يُنسَخ، إذ لو كان منسوخًا لم يفعلوه بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، فأين المخالف لهم من الصحابة ممن منع قنوت النوازل أو رأى أنه منسوخ؟!

الإجماع:

مما يدل على مشروعية القنوت والذي تركتَ الاحتجاج به: الإجماع، ومن قول اللكنوي في كتاب التعليق الممجد (٦٣٦/١): ولا نزاع بين الأمة في مشروعية القنوت ولا في مشروعيته للنازلة، إنما النزاع في بقاء مشروعيته لغير النازلة، ونقل ابن عبد البر في الاستذكار (٢٠٢/٦) عن يحيى بن سعيد أن القنوت إن دخلت جيوش المسلمين هو فعل الأئمة. وممن نقل الإجماع الكاندهلوي في أوجز المسالك في شرح موطأ مالك (١٧٧/٣) قال النيموي: تدل الأخبار على أن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه لم يقنتوا في الفجر إلا في النوازل، وذكره ابن أبي شيبة برقم (٧٠٠٦) بسنده عن ابن أبي ليلى قال: القنوت سُنة ماضية، وقال ابن تيمية في الفتاوى (١٠٨/٢٣) إن القنوت مسنون عند النوازل، وهذا القول هو الذي عليه فقهاء أهل الحديث، وهو المأثور عن الخلفاء الراشدين. وقال التهانوي في إعلاء السنن (٩٦/٦): وأما دعوى نسخ القنوت في الفجر مطلقًا فتردها آثار الصحابة وقنوتهم بعد وفاته ﷺ أحيانًا، ونقل عن صاحب كتاب الحجة البالغة: وكان النبي ﷺ وخلفاؤه إذا نابهم أمرٌ دعوا للمسلمين وعلى الكافرين بعد الركوع أو قبله. اهـ

سابعًا: قلت في آخر الرسالة بعد ما ذكرتَ أن الصحابة لم يقنتوا، قلتَ: والصحابة أعلم منا بالشريعة، وقد باشروا الأمر في حياة النبي ﷺ، وعرفوا الوقائع .. والجواب عليه أن يقال: لو أنك قرأت رسالة القنوت قراءة فاحصة لما قلتَ هذا الكلام، فإني ذكرت في الرسالة أن الصحابة قنتوا بعد الرسول عليه الصلاة والسلام، والخلفاء الراشدين قنتوا، وهم أعلم منا بالشريعة، وقد باشروا الأمر بعد حياة النبي ﷺ، فقالوا بمشروعية القنوت وفق فهمهم وعملهم رضي الله عنهم، حيث إنهم أعلم منا بالشريعة، ولذا رأوا مشروعية القنوت، والواجب الرجوع إلى فهمهم.

ثامنًا: ذكرت في رسالتك فقلت: وكان بعض الصحابة لما سُئل عن القنوت في الفرائض قال: (أي بُنيّ بدعة)، وهذا الحديث مقلوب، والصحيح أنه سئل عن الجهر بالبسملة فقال أي بني بدعة.

وأخيرًا: وأما ما ذيلتم به رسالتكم من ذكر الإصرار وطلب الاعتذار لصاحبكم فأنت أولى بالاعتذار، لأنك خالفته مخالفةً تامة؛ فأنت في ادعائك النسخ في طرفي نقيض معه ، فهو يرى أن القنوت لم يُنسخ، ولكن قيّده في صورة واحدة وهي إذن الإمام أو مسجد الإمام، وأنت نقضْت فتواه ومنعت القنوت مطلقًا. ثم الاعتذار من ماذا؟ هل لأجل ذكري لهدي الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين والأئمة المهديين ومَن بعدهم في عملهم في القنوت؟ أوَ لأجل أننا رددنا عليه خطأه؟

نرجو من الله أن يحسن القصد والنية فيما نقول ونفعل، والله يحفظكم، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. أملاه أخوكم حمود بن عقلاء الشعيبي في ١٤٢٢/٣/١٩هـ

حكم تكريم بعض المنحرفين واستقبالهم والاحتفاء بهم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، ولا عدوان إلا على الظالمين، والصلاة والسلام على إمام المجاهدين الصابرين نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

أما بعد:

فقد ورد إلينا سؤال من بعض الاخوة حول حكم تكريم بعض المنحرفين واستقبالهم والاحتفاء بهم وفتح المجال لهم لينشروا فكرهم المنحرف وأدبهم الحداثي العفن، من أمثال:

محمود درويش الحداثي الفلسطيني وأحد أعضاء حزب ركاح الشيوعي في إسرائيل والذي يقول في أحد دواوينه (نامي فعين الله نائمة).

وسميح القاسم الدرزي الفلسطيني والعضو في الحزب المشار إليه والذي يقول في أحد دواوينه (ولأي كهف ينزوي الله المعفر بالغبار وبالدخان والشرر).

واليساري السعودي؛ تركي الحمد الذي يقول في روايته الكراديب (الانتحار نصر على الله).

وغيرهم من هذه الطائفة.

وسئلنا أيضا عن رأينا فيمن يقول عن هذه المقولات: (نصوص أدبية لا يحكم على الناس من خلالها). وقولهم: (حرية الفكر تقتضي عدم تكفير الناس وعلينا أن نكل أمرهم إلى خالقهم) .

فأقول مستعينا بالله تعالى:

جواب ذلك من وجوه:

أولا: تمكين هؤلاء من نشر أفكارهم وفتح المنابر الإعلامية والثقافية لهم ولأمثالهم منكر عظيم وفعل محرم، ومنع هؤلاء من نشر ضلالهم (فضلا عن أن يكون فيه سب لله أو رسوله ﷺ أو الدين وأهله) من أهم واجبات العلماء والولاة والمحتسبين بل وسائر المسلمين ولم يختلف في ذلك أحد من أهل العلم حسب علمنا. ومن المعلوم أن من تكلم بكلام كفري من سب الله عز وجل أو رسوله ﷺ أو لدين الإسلام يجب إقامة حد الردة عليه فورا بلا استتابة على قول كثير من أهل العلم لقوله عليه الصلاة والسلام: (من بدل دينه فاقتلوه)(١) وقوله: (لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث الثيب الزاني والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة)(٢) ، وقصة معاذ رضي الله عنه لما

(١) صحيح البخاري (٣٠١٧) .

(٢) صحيح البخاري (٦٨٧٨) .

جاء إلى أبي موسى في اليمن فوجد عنده رجلا موثقا فقال: ما هذا ؟ قال: أسلم ثم تهود، قال: (لا أجلس حتى يقتل؛ قضاء الله ورسوله)(١). وكل هذه الأحاديث في الصحيح.

فإذا كان الحكم فيه كذلك على قول كثير من العلماء فكيف يستساغ شرعا تكريمهم أو تمكينهم من نشر ضلالهم، ولا شك أن في ذلك مناهضة عظيمة لله تعالى ولشرعه الحكيم.

ثانيا: أن قائل!الكلمات الكفرية أو المتضمنة للبدعة والضلالة أو تلك التي تحوي الفسق والمجون ممن يجب الإنكار عليه باتفاق أهل العلم سواء حكمنا على قائل الكفر بكفره أو لم نحكم فالإنكار قائم بكل حال.

ومقولة أن هذه النصوص أدبية لا يمكن أن يحكم على الناس من خلالها فأحسن أحوال هذا القائل أن يكون جاهلا بشرع الله سبحانه وتعالى، ولا يجوز القول على الله بغير علم سيما في مثل هذه المسائل الخطيرة.

أما من يكتب هذه النصوص التي يسمونها أدبا وهي مشتملة على ما يوجب الكفر فلا يخلو من أن يكون معتقدا لما يقول قاصدا لمعنى ما يكتب أو أن يكون قال ذلك على سبيل وصف ما يختلج في النفس من مشاعر وتصويرها تصويرا إبداعيا كما يزعمون أو نحو ذلك من المقاصد.

فإن كانت الأولى فنحكم عليه من خلال مقولته وكتابته وهذا إجماع أهل العلم قاطبة وقد ذكرنا آنفا قول العلماء أن من سب الله تعالى أو الرسول ﷺ أو سخر من الدين فإنه مرتد يقتل فورا ولا يستتاب. وذكر العلماء في باب حكم المرتد وباب حد الردة وفي كتب العقائد ما يتعلق بهذه المسألة وما يخرج به المرء عن الإسلام، فنصيحتي لمن قال هذه المقولة ولأمثاله أن يرجع إلى أهل العلم قبل أن يقول على الله بغير علم.

وأما إن كان قائل ذلك وكاتبه إنما قال ذلك وكتبه على سبيل الصنعة الأدبية من هذا الباب وليس من جنس المسألة الأولى فإنه مؤاخذ بما كتب وقال، ويحكم عليه بنص القرآن الكريم: ﴿ ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم ﴾(سورة التوبة آية:٦٦-٦٥) فهذه الآية صريحة في الحكم على هؤلاء بالكفر من خلال حديثهم وإن كان على سبيل اللعب والتسلية كما ثبت في سبب نزول الآية.

فكيف يُعتذر بعد هذا لمن سب الله تعالى أو رسوله ﷺ أو استهزأ بشيء من شعائر الدين بأن هذا محض نصوص إبداعية وجدانية أو مجرد صنعة أدبية.

---

(١) صحيح البخاري (٦٩٢٣) .

ثالثا: أن دعوى حرية الفكر إذا كانت مفضية إلى حرية الكفر فهي باطلة بنص القرآن وإجماع الأمة وقد تقدم آنفا ذكر الآيات والأحاديث الدالة على ذلك، ولو كانت حرية الفكر المفضية إلى الأقوال الكفرية جائزة في الشرع لما كان لحد الردة معنى وهو الذي لم يخل منه كتاب من كتب الفقه ، بل إن الذمي والمعاهد إذا بدر منه سب لله أو لرسوله انتقض عهده ووجب قتله عند عامة أهل العلم.

أما من يقول دع الناس لخالقهم فهذا صحيح إذا لم يظهر منهم ما يوجب الإنكار، فالتفتيش عن نوايا الناس أو التنقيب عما في صدورهم أمر لا يجوز، وقد أمرنا الشارع الحكيم بأن نعامل الناس بما ظهر لنا منهم من قول أو فعل ويحكم عليهم من خلال ذلك، ولا تبرأ الذمة في ذلك إلا بالإنكار عليهم واستتابتهم وإقامة حد الردة عليهم إن ظهر ما يوجب ذلك، فإن تاب وأعلن رجوعه فحينئذ يدرأ عنه الحد ونكل أمره إلى الله، وإن لم نتحقق من صدق توبته، إلا إذا كان فعله أو قوله مما لا تؤثر فيه التوبة فإنه يقتل حدا في الدنيا وتوبته بينه وبين ربه كما هو رأي كثير من أهل العلم.

والله تعالى أعلم.

أسأل الله العلي القدير أن ينصر دينه ويعلي كلمته ويؤيد بالحق المجاهدين في سبيله الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر من أبناء هذا الدين إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

أملاه: حمود بن عبدالله بن عقلاء الشعيبي في ١٤٢١/١/١٥ هـ

فتوى الشيخ حمود بن عقلاء الشعيبي في كفر المغني عبدالله الرويشد

فضيلة الشيخ حمود بن عقلاء الشعيبي حفظه الله تعالى ..

لا زالنا يا شيخنا الفاضل نسمع من دهاقنة الفسق والضلال ما يدمي القلوب ويفت الأكباد من استهزاء بالله وبآياته وبرسوله، والذي من آخرها ما قام به الماجن الرويشد حينما غنى بسورة الفاتحة ، ومع ذلك لم نر لهؤلاء من يردعهم ويوقفهم عند حدهم ويقيم فيهم حكم الله تعالى نرجوا منكم يا فضيلة الشيخ أن تبينوا السبيل في هذه المعضلة، رفع الله قدركم وأعلى منزلتكم.

الجواب ..

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين .. أما بعد

فإن الاستهزاء بالله وآياته ورسوله خلق تخلق به أعداء الإسلام من يهود ونصارى ومنافقين وعلمانيين ومغنيين وصحفيين وزنادقة وغيرهم، وعمل هؤلاء على نشره عن طريق هؤلاء السفهاء الذين تبين كفرهم من فعله، والذي دفعهم لذلك حب الاشتهار وتكثير المال حتى أنزل الله فيهم كتابًا يتلى إلى يوم القيامة إذ يقول سبحانه: ﴿ ولئن سألتهم ليقولن إنما كان نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم ﴾(سورة التوبة آية:٦٦-٦٥) وسبب نزول هذه الآية في غزوة تبوك وقد نزلت في بعض المنافقين لما قالوا: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطونًا ولا أكذب ألسنة ولا أجبن عند اللقاء، يقول ابن عمر رضي الله عنهما كما في تفسير القرطبي: رأيت قائل هذه المقالة وديعة بن ثابت متعلقا بحقب ناقة رسول الله ﷺ يماشيها والحجارة تنكبه وهو يقول: إنما كنا نخوض ونلعب والنبي عليه الصلاة والسلام يقول: ﴿ قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون ﴾ ؟ ولا يشك عاقل أن ما يقوم به هؤلاء من تلحين وغناء لآيات كتاب الله سبحانه وتعالى من الكفر الصراح، إذ الأمة أجمعت على أن من استهزأ بشيء من الشرع إما بكتابة أو كلام أو غناء أو ما شابه ذلك أن ذلك ردة صريحة، ولو لم يعلم صاحبه أن ما فعله من الكفر، يقول ابن تيمية رحمه الله تعالى في الفتاوى (٧/ ٢٧٣) عند قوله تعالى: ﴿ لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم ﴾ يقول: فدل على أنهم لم يكونوا عند أنفسهم قد أتوا كفرًا، بل ظنوا أن ذلك ليس بكفر، فبين أن الاستهزاء بالله وآياته ورسوله كفر يكفر به صاحبه بعد إيمانه .. اهـ ويقول القاضي عياض رحمه الله تعالى في الشفاء (٢/ ١١٠١): اعلم أن من استخف بالقرآن أو المصحف أو بشي منه أو سبهما أو جحده .. فهو كافر عند أهل العلم بإجماع. اهـ، وعد البهوتي رحمه الله تعالى في كشف القناع (٦/ ١٣٧) من نواقض الإسلام امتهان القرآن أو إسقاط حرمته

وأن ذلك كفر. اهـ وذكر مُحَمَّد بن إسماعيل الرشيد الحنفي في رسالة ألفاظ الكفر (ص ٢٢) أن الاستخفاف بالقرآن أو بالمسجد أو بنحوه مما يعظم في الشرع أنه كفر. اهـ وقد كفر الله سبحانه هؤلاء مع أنهم خرجوا غزاة وقد تركوا أولادهم وأزواجهم وأهلهم وأوطانهم وفي وقت شديد الحر وشديد العطش ومع هذا لم يشفع ذلك لهم وحُكِم عليهم بالردة عن الإسلام، يقول الله عز وجل :﴿ وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا ومأواكم النار وما لكم من ناصرين* ذلكم بأنكم اتخذتم آيات الله هزوا وغرتكم الحياة الدنيا فاليوم لا يخرجون منها ولا هم يستعتبون ﴾(سورة الجاثية آية:٣٤-٣٥) ويقول تبارك وتعالى: ﴿ وإذا علم من آياتنا شيئًا اتخذها هزوا أولئك لهم عذاب مهين .. ﴾(سورة الجاثية آية:٩) والاستهانة بكتاب الله استهانة بقائله سبحانه وتعالى لأن كلام الله سبحانه صفة من صفاته، إذ الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات، يقول النووي رحمه الله تعالى في روضة الطالبين (٦٤/١٠): والأفعال الموجبة للكفر هي التي تصدر عن عمد واستهزاء بالدين صريح. ونقل القرطبي في تفسيره وهو يشرح موقف المستهزئين في غزوة تبوك قول ابن العربي إذ يقول: لا يخلو أن يكون ما قالوه من ذلك جادًا أو هازلا وهو كيفما كان كفر فإن الهزل بالكفر كفر ولا خلاف فيه بين الأمة، فإن التحقيق أخو العلم والحق، والهزل أخو الباطل والجهل. اهـ. وليُعلم أن الله سبحانه وتعالى مزق ملك الأكاسرة كل ممزق وأزال ملكهم لما سخروا بكتاب رسول الله ﷺ، فكيف بكتاب الله سبحانه وتعالى، وإن الساكتين عن إقامة حد الله تعالى بهؤلاء وهم قادرون على ذلك أنهم مثلهم وجدير أن يمزق الله حكمهم ويشتت شملهم كما فعل بغيرهم، وهم بفعلهم هذا شريكون في الإثم، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذن مثلهم .. ﴾(سورة النساء الآية:١٤٠).

وأخيرًا .. ليعلم الرويشد وغيره أنه بهذا الفعل ارتد عن الإسلام وثبت كفره، ويجب على ولي أمر البلد التي ينتمي إليها هذا المرتد وأمثاله أن ينفذ فيه حكم الله تعالى وهو القتل بلا استتابة، لأنه أصبح بفعله هذا زنديقًا والزنديق لا تقبل توبته عند العلماء ولأن النبي ﷺ أهدر دم القينتين اللتين كانتا تغنيان بهجائه عليه الصلاة والسلام. وإننا نهيب بعلماء الشريعة أن يقفوا صفًا واحدًا لإقامة حد الله في هذا الطاغوت وأمثاله وألا يتساهلوا في ذلك.

نسأل الله جلت قدرته أن ينصر من نصر الدين وأن يخذل من خذل الدين، إنه وحده القادر

وصلى الله على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أملاه فضيلة الشيخ أ. حمود بن عقلاء الشعيبي ١/ ١/ ١٤٢٢ هـ

محادثة الشيخ حمود رحمه الله مع الأستاذ مُحَمَّد المليفي(١)

ما هو الحديث الذي دار بينك وبين العلامة الشعيبي ؟

اتصل بنا علامة القصيم فضيلة الشيخ حمود العقلا الشعيبي صاحب الفتوى الشهيرة بهدر دم المطرب عبدالله رويشد ودار بيننا الحوار التالي :

السلام عليكم ورحمة الله يا ولدي معك أخوك أبو عبد الله حمود العقلا الشعيبي! فقلت له يا شيخ لي الشرف والله وكان الأولى أن تخبر تلاميذك لأتصل أنا بك،فرد علينا متواضعاً بقوله :لا فرق يا أخ مُحَمَّد بيني وبينك إلا فارق السن فقط !

فعل باطل ومشين بحق بن عمير

وأنا أتصل بك بعدما قرأ علينا الطلبة عندي مقالاتك الطيبة في الذب عن دين الله،ولقد قرأوا علي آخر مقالين كتبتهما عن مُحَمَّد العوضي،وأنا أود أن أستفسر منك هل صحيح أن مُحَمَّد العوضي قد قال عن الصحابي الجليل (مصعب بن عمير) ﷺ أنه كان مائعاً وعرض في عرضه؟ فقلت له الأمر ليس كذلك يا شيخ حمود..ولكن العوضي قال للناس في حلقة مخصصة عن المخنثين بأنه في الحلقة القادمة وما دمنا نتكلم في ساعة صريحة سوف أفصح عن سفير عربي كان في قمة النعومة .. وما دمنا في فضائية كويتية فلسوف أقول لكم أيضاً أنه سفير خليجي أيضاً ! ، ثم أنه بعد أن انتظر الناس أسبوعاً كاملاً يتلهفون سماع خبر هذا السفير .. قال أنه مصعب بن عمير! فقال الشيخ حمود العقلا أعوذ بالله هذا تعريض صريح بسمعة هذا الصحابي وهذا الفعل باطل ومشين .. فقلت له ولكن العوضي اعتذر عن فعلته هذه وقال في حلقاته المقبلة بأنه قصد الإثارة ولكنه لم يكن موفقا البتة في تلك الحلقة وأنه نادم ويستغفر الله على ما بدر منه بخطأ غير مقصود وأن مقام الصحابة محفوظ .

لا يجوز محاورة المخنثين واللوطيين

وتابع الشيخ حمود العقلا : وهل صحيح أن العوضي أتي بالمخنثين واللوطيين وأخذ يحاورهم علناً أمام الناس وكان يتلطف معهم ويمازحهم؟ فقلت له نعم والله صحيح، وهو يقول بأن هذه ظاهرة

(١) المصدر: مجلة الأيام والناس – العدد العاشر- اغسطس ٢٠٠١ م – ص ٤٦-٤٧.

موجودة في مجتمعنا الكويتي ويجب معالجتها ! فقال الشيخ حمود العقلا الشعيبي ولكن فعله هذا ليس معالجة بل طريقته هذه هي إشاعة لهذا المنكر وهو تأليف للناس على وجود هذا المنكر بينهم ، وديننا الإسلامي ليس فيه مناقشة أمور الفاحشة والحرام والرذيلة أمام الناس وهذا لا يجوز في دين الله أبداً والله تعالى يقول في سورة النساء : (وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِۦ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا)[سورة النساء ٨٣]

تحذير شديد اللهجة

لا يجوز لمحمد العوضي أن يخرج على الناس عبر هذا الجهاز المرئي ويقول لهم إن الناس قد هلكت بهذه المنكر ثم يجالس أهل هذا المنكر الذين ليس لهم دواء في ديننا الإسلامي إلا أن يرموا من شاهق الجبل ، نعم والله لا يجوز له أن يهلك الناس ويشيع بينهم الحديث عن تفاصيل هذا الفعل بحجة أن بعض الأخباث قد ابتلوا به ثم يجعل هذا المنكر شائعا بين الناس والحديث الصحيح يقول (من قال هلك الناس فهو أهلكم)(١) فبارك الله فيك يا أخ مُحَّد المليفي أخبر العوضي على لساني وقل له يقول لك حمود العقلا الشعيبي إن لم تكف عن نهجك هذا فلسوف أصدر بياناً فيك نحذر الناس من ضلالك وانحرافك ! فقلت للشيخ هل تسمح لي أن أنقل وعيدك له عبر الصحيفة فقال نعم والله اسمح ولسنا نخشى والله في قول الحق لومة لائم .. ثم سلم علينا وغلق الهاتف .

---

(١) صحيح مسلم ١٣٩ – (٢٦٢٣) .

دم الرويشد... حوار مع الشيخ العقلا

بقلم: مُحَمَّد العوضي- (٢٠٠١/٧/١١)(١)

اتصل بنا بعض طلبة العلم والدارسين في جامعة الإمام مُحَمَّد بن سعود ـ فرع القصيم ـ يبلغونا رسالة شفوية وعتباً من فضيلة الشيخ حمود العقلا الشعيبي، أحد فقهاء القصيم والرئيس السابق لقسم العقيدة في جامعة الإمام، وصاحب الفتوى المشهورة في المغني عبدالله الرويشد، وفي تمام الساعة (٥)،٣٠ أمس الثلاثاء، هاتفت الشيخ العقلا، وبعد تبادل السلام، وقبل ان اسأله عن شبهة واشاعة اهدار الشيخ لدم الرويشد بدأت بنفسي وطلبنا سماع نصيحة الشيخ وملاحظاته التي نقلها لنا بعض تلامذته للإستفادة منه ونفي بعض ما وصل الشيخ من ملاحظات غير صحيحة وللعلم فإن الشيخ العقلا في الثمانين من عمره، ومكفوف البصر، لكنه مطلع بشكل جيد على الامور بشكل أكثر من كثير من المبصرين.

قال الشيخ بكل تواضع، اننا نسمع عنك كل خير، وعن مواقفك المشرفة في نصرة الإسلام، لكن اساءنا ما بلغنا عن ذكرك مصعب بن عمير في حلقة «الجنس الثالث» في التلفزيون، شكرت الشيخ على غيرته وعلى نصحه وحرصه على أحد ابنائه، لكني طلبت من فضيلته أن أشرح له الصورة الكاملة للموضوع قال تفضل: فقلت: ترجع أهمية طرحي لموضوع «الجنس الثالث» لأسباب عدة:

١ ـ لأن قنوات فضائية عدة طرحت الموضوع بشكل حواري من غير حسم وكشف لعوار هذه الفئة وكأن وجود هذه الشريحة السيئة أمر طبيعي وغير مستهجن وبعضهم أخذ صيغة تبريرية وغيَّب فيها الحكم الشرعي عن المشكلة.

٢ ـ الظاهرة آخذة في الانتشار.

٣ ـ أصبحوا يعلنون عن أنفسهم مجاهرة وصار لهم مطاعم خاصة، واستراحات وحلاقون وعيادات وبعض الاسواق.

٤ ـ لأنهم انتقلوا من العمل التلقائي الى عمل تنظيمي.

٥ ـ لأنهم مسنودون في بعض البلاد العربية من مراكز النفوذ.

٦ ـ لانه لا توجد أحكام أمنية وقانونية لردعهم،،، الخ، ثم ذكرت للشيخ اننا طرحنا المسألة بشيء من التفصيل مع حكم الشرع فيهم وكلام الفقهاء .

---

(١) أصل المقالة نشر في جريدة الرأي العام الكويتية في تاريخ ٢٠٠١/٧/١١ ولكن العدد أحترق!!! ثم وجدته منشور في منتدى "سوالف للجميع" بعنوان (بين الشيخ حمود العقلا الشعيبي و الشيخ مُحَمَّد العوضي – حفظهما الله)

وبينا اننا لم نقل ان الصحابي كان من الجنس الثالث، ولكن الخطأ وقع في طريقة العرض والاثارة بأن سفيرا مترفا في جزيرة العرب سنذكره كيف تحول في حياته إلى شيء آخر،،، هذا اللبس الذي أربك البعض مع اننا ذكرنا قصة مصعب ﵁ وجهاده وشرفه وكيف ان العقيدة كفيلة ان تجعل الإنسان ينتقل من حياة النعيم والدلال الى الجهاد وشظف العيش،،، وأكثر ما اثلج قلب الشيخ اخبارنا له: بأننا اعتذرنا مرتين في مقالتين نشرت أحداهما جريدة «الرأي العام» والثانية في «الشرق» القطرية كما اننا أعلنا مرتين في التلفاز عن هذا الخطأ واستغفرنا الله تعالى من عدم الاتقان في عرض القصة، فقال الشيخ مشجعا: هذا يحسب لك، وتكلم الشيخ عن معركة الاسلام الحالية مع المدرسة العقلية والصحافية ووجوب توحيد الجهود في ذلك.

دم الرويشد :

ولم اترك فرصة حديثي مع الشيخ تمر، بل أحببت ان ازيل لبسا في الساحة الكويتية، وهي الاشاعة التي تقول ان الشيخ أهدر دم الرويشد، قال الشيخ: ان فتواي لا تتضمن هذا الامر اطلاقا بل لا يجوز لأحد ان يعتدي على آحاد الناس بأي حجة وأن هذا واجب السلطات، كما بين الشيخ لبسا آخر وقع فيه بعض من تصدى لموضوع الاقتباس والتضمين لآيات الله في الشعر، فقال الشيخ: هذا اجازه الفقهاء ان كان المعنى المقصود من الشعر حسنا، لكن لم يقل احد من فقهاء الامة بجواز تضمين الآيات في مجال التلحين والغناء، شكرت الشيخ على منحه لنا بعضا من وقته الثمين وستكون لنا زيارة قريبة له بإذن الله للاستفادة من علمه وخبرته في الحياة.

بسم الله الرحمن الرحيم

الجواب على خطاب خطباء الجوامع بالجزائر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

إلى الإخوة خطباء الجوامع من أهل السنة في مدينة الجزائر- حفظهم الله-

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته... وبعد...

تذكرون في خطابكم الذي بعثتموه إليّ ومؤرخ بتاريخ ٤ من جمادى الآخرة عام ١٤٢١هـ، والمرفق به عرض وبحث علمي، والواصل إلينا بتاريخ ١٤٢١/٩/٩هـ: أنكم أُبتليتم أنتم أئمة مساجد مدينة الجزائر وأُجبرتم على بدعة محدثة في الدين وهي إقامة درسٍ بين يدي خطبة الجمعة، وتذكرون أنكم مجبرون على فعله وإلا فُصلتم من الخطابة، وأن هذه الخطة كانت من أجل إلجاء خطباء أهل السنة - وهم كثيرون في العاصمة- إلى الاستقالة- من أنفسهم- عن الخطابة ليحل مكانهم أهل البدع.

وأنكم طرحتم القضية فيما بينكم فكان رأيكم أن تلتزموا بالدرس حفاظًا على عقيدة الأمة وحفاظًا على المنابر التي يعتليها أهل البدع والإلحاد والشرك، وأنكم بنيتم اختياركم هذا على أدلة شرعية من نصوص نقلتموها عن بعض الصحابة كتميم الداري وأبي هريرة بإقرار الصحابة المعاصرين لهم بالتذكير والدرس بين يدي الخطبة، وأنه فِعْل بعض العلماء من السلف وذكرتم أسماءهم.

وبنيتموه أيضًا على قواعدَ وأصولٍ في الموازنة بين المصالح والمفاسد استنادًا إلى ما قرره شيخ الإسلام ابن تيمية في كتبه كالفتاوى واقتضاء الصراط المستقيم والاستقامة، وأنكم كتبتم ذلك إلينا بخطابكم المذكور تطلبون بذل مشورتنا، وهل أصبتم في اختياركم، فنقول: نفيدكم أنه بناء على ما ورد من الآثار وما تقتضيه القواعد الأصولية التي تبحث في الموازنة بين المصالح والمفاسد فالذي يتضح لنا أن رأيكم الالتزام بهذه الأمور موافق للصواب. وأنه- وإن كان مخالفًا لبعض آراء فقهاء الأمة- إلا أنه يترتب عليه مصالح أكبر من المفاسد... والله أعلم.

وصلى الله على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أملاه فضيلة الشيخ/ حمود بن عقلاء الشعيبي

الأستاذ- سابقًا- بجامعة الإمام مُحَمَّد بن سعود الإسلامية بالقصيم

١٤٢١/٩/١٤هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

فتوى في حكم الصلاة على الميت الغائب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد .

فقد وردنا سؤال من بعض شباب المدينة المنورة هذا نصه :

ما حكم الصلاة على الميت الغائب ؟ وإذا كان في المسألة خلاف فنرجوا بيانه ، مع ذكر الراجح من أقوال العلماء في المسألة ؟ والله يحفظكم ..

الجواب:

الحمد لله ، لقد أختلف علماء الأمة في حكم الصلاة على الميت الغائب على أقوال سأبينها إن شاء الله فيما يأتي ، لكن ينبغي أن يُعلم أن الأصل في مشروعية الصلاة على الميت الغائب فعله ﷺ في صلاته على النجاشي ، القول الأول من أقوال العلماء مشروعية الصلاة على الغائب مطلقا سواء أديت عليه الصلاة حاضرا أو لم يصلى عليه مطلقا ، وهذا عليه طائفة من العلماء ، منهم الإمام ابن حزم وغيره حيث قال في المحلى ١٦٩/٥ رقم ٦١٠ قال : ويصلى على الميت الغائب ، وقد صلى رسول الله ﷺ على النجاشي ، وصلى معه أصحابه صفوفا ، وهذا إجماع منهم لا يجوز تعديه ا هـ . وقال أيضا في المحلى ١٣٩/٥ رقم ٥٨٠ بعدما ذكر صلاة الرسول صلى الله عليه وسلم على النجاشي وأنه أمر بها قال : فهذا أمر رسول الله ﷺ وعمله وعمل جميع أصحابه فلا إجماع أصح من هذا . ا هـ

والقول بمنع الصلاة على الغائب مطلقا خلاف السنة و خلاف عمل الصحابة ، قال ابن حزم في المحلى (١٣٩/٥ رقم ٥٨٠) : ولم يجئ قط عن أحد من الصحابة أنه زجر عن هذا أو أنكره (أي الصلاة على الغائب) اهـ .

وهذا هو الذي عليه العمل القديم وهو عمل الصحابة ولكن حدث خلاف بين التابعين فيما بعد في ذلك على ثلاثة أقوال كما تقدم .

القول الأول : الصلاة مطلقا على كل غائب صلي عليه أو لم يصل عليه وهو قول الشافعي وأحمد رحمهما الله وأصحابهما (الفتح الرباني ٢٢٢/٧ ، نيل الأوطار ٥٥/٤ ، مجموع النووي ٢٥٣/٥ ، الإفصاح لابن هبيرة ١٨٧/١) .

القول الثاني : أنه خاص بالنبي ﷺ ولا يكون لأحد بعده ، فمنعوا الصلاة على الغائب مطلقا ، وهو قول مالك وأبي حنيفة رحمهما الله واصحابهما (المراجع السابقة) .

القول الثالث : التفصيل وهو الصلاة على الغائب إذا لم يصل عليه ، وهذا القول هو القول الراجح الذي تدل عليه الأدلة وهي:
(١) أنه فعل الرسول ﷺ في صلاته على النجاشي وصلاة الصحابة معه .
(٢) إجماع الصحابة وعدم منعهم من الصلاة على الغائب ، إذ لو كانت خاصة بالرسول صلى الله عليه وسلم لمنعوا ذلك ، قال ابن حزم في المحلى : ولم يجئ قط عن أحد من الصحابة أنه زجر عن هذا أو أنكره (أي الصلاة على الغائب) . اهـ

أما القول بالخصوصية فهذا خلاف الأصل ، إذ إن الأصل عدم الخصوصية بل التأسي والاقتداء به ، قال تعالى (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة)(سورة الأحزاب الآية:٢١) ، وقال صلى الله عليه وسلم : (صلوا كما رأيتموني أُصلي)(١) ، وقد رأيناه يصلى على غائب لم يصل عليه ، فنُصلي على الغائب الذي لم يصل عليه فقط .
أما القول الأول وهو الصلاة مطلقا فيرده أن الرسول ﷺ توفي بأبي هو وأمي فلم يصل عليه صلاة الغائب وكذا الخلفاء الراشدون والعلماء المرضيون والأئمة المهديون ،قال ابن القيم رحمه الله : ولم يكن من هديه وسنته الصلاة على كل ميت غائب ، فقد مات خلق كثير من المسلمين من الصحابة وغيرهم وهم غُيّب فلم يصل عليه اهـ (زاد المعاد ١/١٤٤) ، وقال ابن التركماني في الجوهر النقي ٤/٥١ قال : أنه لم ينقل أن النبي صلى على من مات من أصحابه ولم ينقل أنه صلى المسلمون على الخلفاء الأربعة وغيرهم .
والقول الثالث الذي رجحناه قال به واختاره من العلماء أبو داود صاحب السنن حيث قال في سننه من كتاب الجنائز باب الصلاة على المسلم يموت في بلاد الشرك ، واختاره الخطابي حيث قال في معالم السنن ١/٢٧٠ : النجاشي رجل مسلم قد آمن برسول الله ﷺ وصدقه على نبوته إلا إنه كان يكتم إيمانه والمسلم إذا مات وجب على المسلمين أن يصلوا عليه إلا إنه كان بين ظهراني أهل الكفر ولم يكن بحضرته من يقوم بحقه في الصلاة عليه فلزم رسول الله ﷺ أن يفعل ذلك إذ هو نبيه ووليه وأحق الناس به ، فهذا والله أعلم هو السبب الذي دعاه إلى الصلاة عليه بظهر الغيب ،

---

(١) صحيح البخاري (٦٠٠٨) .

فعلى هذا إذا مات المسلم ببلد من البلدان وقد قُضي حقه في الصلاة عليه فإنه لا يصلى عليه من كان ببلد آخر غائباً عنه فإن علم أنه لم يصل عليه لعائق أو مانع عذرٍ كانت السنة أن يصلى عليه ولا يترك ذلك لبعد المسافة .. ثم رد على من خصص الفعل برسول الله ﷺ قائلا : لأن رسول الله ﷺ إذا فعل شيئاً من أفعال الشريعة كان علينا متابعته والاقتداء به والتخصيص لا يُعلم إلا بدليل ، ومما يبين ذلك أنه ﷺ خرج بالناس إلى المصلى فصف بهم فصلوا معه فعلمتَ إن هذا التأويل فاسد . اهـ .

واختاره أيضا شيخ الإسلام ابن تيميه فيما نقله عنه ابن القيم في زاد المعاد ١٤٥/١ قال : قال ابن تيميه : الصواب أن الغائب إن مات ببلد لم يصل عليه فيه صُلي عليه كما صَلى النبي صلى الله عليه وسلم على النجاشي ، لأنه مات بين الكفار ولم يصل عليه ، وإن صُلي حيث مات لم يصل عليه صلاة الغائب ، لأن الفرض سقط بصلاة المسلمين عليه اهـ وهي رواية عن الإمام احمد في الإنصاف ٥٣٣/٢ : وقيل يصلى عليه إن لم يكن صلي عليه وإلا فلا ، اختاره الشيخ تقي الدين وابن عبدالقوي وصاحب النظم ومجمع البحرين اهـ واختاره أيضا ابن القيم .

أما ما يُروى عن النبي ﷺ أنه صلى على الصحابي معاوية ابن أبي معاوية فلا يصح ، قال ابن القيم في زاد المعاد ١٤٥/١ : وما روي أنه صلى على الصحابي معاوية ابن أبي معاوية صلاة غائب فلا يصح ، وقال ابن عبدالبر والبيهقي والذهبي : إن أسانيد أحاديث صلاته على معاوية بن أبي معاوية ليست بالقوية (عون المعبود ١٩/٩) .

ومن المعلوم أن المقاصد الشرعية من الصلاة على الغائب هي الدعاء والاستغفار له كما روى أبو هريرة قال : نعى رسول الله ﷺ النجاشي لأصحابه ، ثم قال : استغفروا له ، رواه أحمد (المسند ٢٤١/٢ ، ٥٢٩) ، وقال ابن القيم في زاد المعاد ١٤١/١ : ومقصود الصلاة على الجنازة هو الدعاء للميت اهـ . ولكن مما أُحدث في الأزمنة المتأخرة وهو جعل صلاة الغائب صلاة مدح وتكريم وصلاة مجاملة وتأييد ، فخرجت عن مقاصدها الشرعية التي شُرعت من أجلها إلى هذه الأمور المحدثة ، وقد قال ﷺ : (من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد)(١) بل صُلي على من أمر الله بعدم الصلاة عليه ، كما قال تعالى (ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره)(سورة التوبة الآية:٨٤) ، قال ابن رشد : أجمع العلماء على ترك الصلاة على المنافقين مع تلفظهم بالشهادة اهـ (بداية المجتهد ٢٣٩/١) .

---

(١) صحيح مسلم (١٧١٨) .

وصُلّي على من حارب الله ورسوله وصد عن سبيل الله وحكم بغير شرعه ووآلى أعداء الإسلام ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، ولو كان من مقاصد صلاة الجنازة التكريم والمدح والثناء وإظهار المكانة لكان أولى الناس بها المصطفى ﷺ عند موته والخلفاء الراشدين من بعده والأئمة المهديين من بعدهم .

هذا ونسأل الله أن يهدينا لما اختلف فيه من الحق بإذنه إنه على كل شيء قدير ، وصلى الله على نبينا مُحَّد وعلى آله وصحبه أجمعين ..

أملاه فضيلة الشيخ

أ. حمود بن عقلاء الشعيبي

١٨/ ١١/ ١٤٢١ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حكم النوادي النسائية

فضيلة الشيخ حمود بن عقلاء الشعيبي حفظه الله من كل سوء

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

تتوجه أقلام مجموعة بالية مدسوسة .. تكيد لنسائنا وبناتنا وأبنائنا .. لتخرج نسائنا وبناتنا من بيوتهن المملوءة بالخير والعفة إلى مواقع الرذيلة والانسلاخ من العفة .. تلك هي النوادي النسائية المزعومة .. فلو أتحفتنا يا شيخنا الفاضل برسالة عامة تزيل بها الغمة وتدرأ بها الفتنة .. نفع الله بك يا شيخنا .. وجعل ما تقوله في ميزان حسناتك .. آمين .

الجواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .. أما بعد.

فإنه لا يخفى على الجميع تلك الثورة الفاسدة المفسدة التي يقوم بها أهل العلمنة والإفساد .. والذين ما فتئوا يبحثون عن أي طريق يسلكونه حتى يدخلوا بها على نسائنا لإفسادهن وإخراجهن من بيت العفة والفضيلة .

والمتعين على أهل العلم والدين ألا يدعوا لهؤلاء الفرصة بأن يقضوا على الدين باسم الدفاع عن المرأة .. وإني لأعجب من عموم المسلمين كيف يتركون هؤلاء وما يريدونه .

ولا يخفى أن النوادي الرياضية النسائية التي يطالب بها هؤلاء هي إحدى الطرق المسلوكة من قبل أولئك السّقط لإظهار المرأة المسلمة بصورة المرأة الغربية قلبا وقالبا ، أولئك النفر الذين يريدون إخراجها إلى مواطن الفساد والبغاء باسم تحريرها ، وأن يجعلوها سلعة يتزايد بها الفجار لقضاء رغباتهم وشهواتهم البهيمية ، وأي كرامة وأي حرية وأي إعزاز للمرأة بإخراجها إلى تلك النوادي المفسدة ، نوادي التفسخ والاختلاط والانحطاط ؟ ما هو الربح من أن نجعل المرأة المسلمة العفيفة عارية مختلطة بالأجانب ؟!! روى أبو داود رحمه الله أن الرسول ﷺ قال : (ما من امرأة تخلع ثيابها في غير بيتها إلا هتكت ما بينها وبين الله تعالى)(١) .

ولا شك أن المقصود من إخراجها إلى هذه النوادي الفاسدة مخالفة لمقصود الشارع من صيانة المرأة عما يشينها . ولا يخفى أن الله سبحانه وتعالى أسقط الواجبات عنها التي أناطها بالرجل من أجل

---

(١) سنن أبي داود (٤٠١٠) وحكم الألباني صحيح .

أن ييسر لها صلاحها .. مع العلم أننا نرى الشباب اليوم خصوصا في الرياضة يعتريه ما يعتريه مما لا يخفى على الجميع من التعري والنزول إلى بعض المنكرات التي لا ترضي الله .. فكيف تقحم المرأة في ذلك ونحن نعلم ضعفها وسهولة مخادعتها والإغرار بها .. فهل المرأة في زماننا بلغت مبلغا عظيما فلم ينقصها شيء إلا أن تقحم في هذه البؤر المنتنة .

وقد احتج من يقول ما لا يفقهه أن عائشة ﵂ كانت تسابق الرسول ﷺ .

واستدلالهم على إفسادهم المرأة بهذا الحديث مردود لأمور :

١- أن عائشة ﵂ لم تسابق إلا زوجها ﷺ ، مع العلم أنه عليه الصلاة والسلام أمر أصحابه أن يتقدموا حتى لا تقع أبصارهم عليها .

٢- أن تلك المسابقة لو كانت مقصودة للرياضة لوصلنا أن عائشة وغيرها من نساء المسلمين كن على ذلك المنوال المتكرر من المسابقة ، مع العلم أن سباق الرجال بالخيل وغيره مشهور عند العرب في الإسلام وقبله .. ولم يجيء أنها ﵂ كررتها إلا مرة واحدة . وهذا يبين أن الرياضة لم يكن مقصود سباقها مع رسول الله ﷺ .

٣- لو كان السباق مشروعا للمرأة ، لأمرت المرأة أن ترمل في المطاف والمسعى مثل الرجال .

ومع ذلك نرى نساء المسلمين يشتكين ممن يؤذيهن بالمعاكسات والمضايقات في أسواقهن .. فكيف لو خرجن إلى النوادي ؟؟!!

وأخيرا .. يقول الله عز وجل لنساء نبيه عليه الصلاة والسلام {وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى}(سورة الأحزاب آية:٣٣) وهن العفيفات الطاهرات المبرآت من كل سوء . ويقول عليه الصلاة والسلام : (المرأة عورة فإذا خرجت استشرفها الشيطان)(١) رواه الترمذي .

فعلى المرأة المسلمة أن تهتم بكتاب الله فتقرأه و تتدبره .. وتدع عنها ما يكاد لها وما يراد منها .. وعليها أن تهتم بأبنائها و بيتها وبعلها وتدع عنها الاهتمامات التي تروّج لها عن طريق أعداءها .. ولْتعلم أن الله عز وجل أمّنها أمانة سيسألها عنها يوم القيامة فلا تضيعها .. وعليها أن تقوم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الأماكن التي لا يصل إليها الرجال .

نسأل الله عز وجل أن يرد كيد أعداء الدين إلى نحورهم .. وأن يمكر بهم كما مكروا بنساء المسلمين .. وصلى الله على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أملاه أ. حمود بن عقلاء الشعيبي ١٤٢١/٦/١١هـ

---

(١) سنن الترمذي (١١٧٣) وحكم الألباني صحيح .

حكم تهنئة الكفار بأعيادهم وفوزهم بالانتخابات

سئل فضيلة الشيخ / حمود بن عبدالله بن عقلاء الشعيبي عن حكم تهنئة الكفار بأعيادهم وفوزهم بالانتخابات .

الجواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .. وبعد

فإن تهنئة الكفار والتبريك لهم بمناسبة إعتلائهم المناصب أمر محرم شرعا لأن ذلك ركون إليهم وموالاة لهم ، ومناقض للولاء والبراء الذي هو أصل من أصول الدين لأنهم أعداء لله ودينه ورسله ، لا سيما إن كان الكافر الذي ترفع له التهاني مجرم حرب ما زالت يداه تقطر من دماء المسلمين كالطاغية رئيس الاتحاد الروسي الذي والعياذ بالله يتحدى رب العالمين قائلا (سنستمر في الحرب ولو لزم الأمر محاربة الله لحاربناه) فيجب على كل مسلم بغض هذا وأمثاله ومعاداتهم وبذل الغالي والنفيس في سبيل حربهم وجهادهم والبعد عن الركون إليهم وموالاتهم لأن في الركون إليهم تعرض لغضب الله وعقابه .

قال تعالى { ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون }(سورة هود آية:١١٣) . والقرآن الكريم مليء بالآيات التي تحذر من موالاة الكافرين والركون إليهم وتحكم على من تولاهم أنه منهم ، قال تعالى : { يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم }(سورة المائدة آية:٥١) . والبراءة من الكافرين أمر لا يستقيم إيمان العبد إلا بتحقيقه . لأجل ذلك تبرأ أبونا إبراهيم عليه السلام من أبيه وقومه ، قال تعالى : { وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون * إلا الذي فطرني فإنه سيهدين }(سورة الزخرف آية:٢٧-٢٦) وقال تعالى : { قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا بُرَآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدأ بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده }(سورة الممتحنة آية:٤) . وأمثال هذه الآيات في القرآن كثيرة فكيف يقْدم المسلم مع هذه الآيات على تقديم التهاني والتبريكات لأعداء الله ورُسُله وأعداء الإنسانية والضمير ؟!

هذا ونسأل الله أن يعلي كلمته وينصر جنده إنه ولي ذلك والقادر عليه وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أملاه فضيلة الشيخ أ. حمود بن عقلاء الشعيبي

١٤٢١/١/١هـ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حكم المشاركة في احتفالات الألفية

فضيلة الشيخ حمود بن عقلاء الشعيبي ...... حفظه الله من كل سوء

ما حكم المشاركة في الاحتفالات الألفية وعيد مولد المسيح عليه السلام، وما حكم تحري هذه المناسبة لافتتاح المشاريع والمحلات التجارية، وهل يجوز مشاهدة هذه الحفلات عبر وسائل الإعلام، وهل تجوز المشاركة في المسابقات المعدة لهذه المناسبة .... وجزاكم الله خيرا

الجواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا مُحَّد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد ..

اعلم أولا أن من أكبر أهداف اليهود والنصارى في بث مثل هذه الحفلات تنصير المسلمين وصرفهم عن دينهم الإسلام، والهيمنة عليهم، ومن المؤسف تهافت الكثيرين من المسلمين لتقليد اليهود والنصارى وتعظيم أيامهم وأعيادهم وعاداتهم مع أنها كلها باطلة في شرعنا، في حين أن أحدا منهم لم يعظم شرعنا ويقلدنا في إقامة أعيادنا مع أنه هو الدين الصحيح .

وأما المشاركة في إقامة مثل هذه الأعياد والحفلات المذكورة حرام .. لا يحل لمسلم يؤمن بالله ويدين بشريعة مُحَّد ﷺ أن يشارك فيها بأي شكل من أشكال المشاركة سواء أكان بالحضور والاجتماع معهم أو بتبادل التهاني والتبريكات والهدايا .. كل هذا حرام لا يحل لمسلم أن يفعله حاكما كان أو محكوما، لأن مشاركتهم في حفلاتهم وأعيادهم تتضمن الركون إليهم وموالاتهم وحبهم، وهذه الأمور محرمة في ديننا بالإجماع . قال تعالى: { ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار }(سورة هود الآية:١١٣)، وقال تعالى: { يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء}(سورة الممتحنة الآية:١) .

وليعلم أن في مشاركة المسلم لليهود والنصارى في أعيادهم ذل وإهانة للإسلام وحط من كرامة المسلمين، وما تقوم به بعض الحكومات الإسلامية والعربية من استعدادات على قدم وساق لبث هذه الحفلات والأعياد في شتى وسائل الإعلام منكر يجب منعه.

وأعياد اليهود والنصارى تشبه أعياد الجاهلية، وفيها أوثان تعبد من دون الله .. تلك الصلبان التي تقام في مكان هذه الأعياد والتي يتقلدونها هم، وأعياد الجاهلية حرمها رسول الله ﷺ ونهى عنها فمن ذلك أن رجلا سأله فقال يا رسول الله: إني نذرت أن أنحر إبلا ببوانة. فقال عليه الصلاة والسلام: (هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد؟ قال: لا، قال: هل كان فيها عيد من

أعيادهم ؟ قال: لا، قال أوف بنذرك)(١) ، ومفهوم الحديث أنه لو كان فيها عيد من أعياد الجاهلية لم يجُز لهذا الرجل أن ينحر إبله في هذا المكان .

ثم إن كان المسلم المشارك لليهود والنصارى في أعيادهم يعتقد أنها عبادة صحيحة فهو على خطر الوقوع في الكفر لاعتباره أن أديانهم صحيحة، ودين الرسول ﷺ قد نسخها وأبطلها، قال تعالى: { إن الدين عند الله الإسلام }(سورة آل عمران آية:١٩) ، وقال { ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه }(سورة آل عمران الآية:٨٥). ولما رأى رسول الله ﷺ في يد عمر بن الخطاب رضي الله عنه نسخة من التوراة غضب وقال: (والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية .. والذي نفسي بيده لو أن موسى ﷺ كان حيا ما وسعه إلا أن يتبعني)(٢).

ثم إن الله سبحانه أعز المسلمين بأن شرع لهم أعيادا بدلا من أعياد الجاهلية، ومواسم للعبادة حددها بالأشهر الهلالية، قال تعالى: {يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج }(سورة البقرة الآية:١٨٩) .

وأما حكم تحري هذه المناسبة لافتتاح المشاريع والمحلات التجارية وحكم مشاهدة هذه الحفلات عبر وسائل الإعلام والاشتراك في المسابقات المعدة لذلك حرام لا يجوز فعله .. و مرتكبه مرتكب لمنكر يجب منعه.

نسأل الله أن يعز الإسلام والمسلمين وينصرهم على أعدائهم .. وصلى الله على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلم .

أملاه

أ. حمود بن عقلاء الشعيبي

١٤٢٠/٩/١هـ

---

(١) سنن أبي داود (٣٣١٣) وحكم الألباني صحيح .

(٢) مسند أحمد (١٥١٥٦) وحكم الألباني حسن .أنظر إرواء الغليل (١٥٨٩) .

حكم بطاقة المرأة

فضيلة الشيخ حمود بن عقلاء الشعيبي حفظه الله من كل سوء.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد .

فمنذ سنوات والصحف المحلية تثير بين حين وآخر موضوع بطاقة المرأة. وفي هذه الأيام طفحت كثير من الصحف بمقالات ومقابلات عن هذا الموضوع، والملاحظ أنها تطرح من طرف واحد ، طرف المؤيد بل المتحمس لها. وهذا له خطورته من جهتين:

احداهما : ما فيه من التلبيس على الناس أن هذا هو الصواب الذي لا مرية فيه ولا مجال للنقاش فيه. والأخرى : كونه يلقي في روع القارئ أن هذا هو رأي جميع الناس وأنه لايمكن لأحد أن يواجهه أو يخالفه.

لهذا نرجو من فضيلتكم أن تبينوا لنا ولعامة المسلمين الحكم الشرعي فيما يخص بطاقة المرأة .

الجواب :

وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله .

ان منح المرأة بطاقة تحمل صورتها منكر لايجيزه الشرع يترتب على ذلك مفاسد عظيمة دينية وخلقية واجتماعية وفيما يلي أبين بعض هذه المفاسد:

أولا: التصوير والكلام فيه معلوم ومشهور وهو محرم باتفاق العلماء ، فقد جاءت الأحاديث الكثيرة عن النبي ﷺ في الصحاح والمسانيد والسنن دالة على تحريم تصوير كل ذي روح آدميا كان أوغيره وقد جاء الوعيد للمصورين بأنهم أشد الناس عذابا يوم القيامة ، ومن الأحاديث الصحيحة الواردة في حق المصورين: ما جاء في الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ:(قال الله تعالى : ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي فليخلقوا ذرة أوليخلقوا حبة أوليخلقوا شعيرة)(١) لفظ مسلم. ولهما أيضا عن أبي سعيد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:(ان أشد الناس عذابا يوم القيامة المصورون)(٢) ولهما عن ابن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:(ان الذين يصنعون هذه الصور يعذبون يوم القيامة يقال لهم أحيوا ما خلقتم)(٣). لفظ البخاري.

---

(١) صحيح مسلم ١٠١ – (٢١١١) .

(٢) صحيح مسلم ٩٨ – (٢١٠٩) .

(٣) صحيح البخاري (٥٩٥١) .

وعن ابن عباس ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:(من صور صورة في الدنيا كلف أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ)(١) متفق عليه .

ثانيا: كشف المرأة وجهها عند ارادة تحقق شخصيتها اذا لا يتسنى في كل حال أن يتم ذلك من قبل نساء وفي هذا من الفتنة ما لا يخفى.

ثالثا: يتأكد المحذور المتقدم في الطرق الطويلة فهل يتولى الأمر رجال؟ أم يوظف نساء شرطيات؟ واذا وظفن فهل سيعملن جنبا الى جنب الرجال في تلك المواقع النائية؟ أم سيكون محارمهن معهن؟ ان الخيار الأخير يظهر أنه على ضوء الظروف الراهنة بعيد جدا، وعلى أي حال أفلا نأخذ عبرة مما هو حاصل في بعض القطاعات التي يعمل فيها نساء بجنب الرجال، وكيف يحصل فيها أمور يندى لها الجبين

رابعا : مما يلفت النظر ويقوي التخوفات أن المتحمسين لهذا الطلب والمتصدين للكتابة عنه في الصحف أكثرهم أناس مشبوهون قد ارتبطت أسماؤهم بالمطالبة بأمور منكرة كالدعوى أن يتولى النساء تدريس البنين وكالمطالبة بانشاء نوادي رياضية للبنات والدعوى الى مشاركة المرأة للرجل في عمله والدعوى الى قيادة النساء للسيارات والاعتراض على كون القوامة للرجل .

ومع أن هذه المفاسد التي تترتب على حمل المرأة البطاقة الشخصية التي تعتمد على صورة في الاثبات فإن هناك أمور سلبية كثيرة تضعف من دلالة هذه البطاقة على شخصية حاملها منها :

أولا : سهولة التغيير واحلال صورة مكان أخرى أو جواز مكان آخرأو وثيقة مكان أخرى .

ثانيا : تقادم الصورة فلا تصبح دقيقة تبين ملامح الوجه اذا كبر الانسان وتغيرت ملامح وجهه .

ثالثا : تغير السمات الشخصية مثل اعفاء اللحية أوحلقها ونحوه .

رابعا : تغير الصفات الخلقية عبر الجراحة العارضة أو الجراحة التجميلية .

وبعد أن ثبت فشل وسائل الاثبات الدارجة وتراجع فعاليتها وخصوصا أمام التطور السريع والمتلاحق في صناعة الجريمة ، كان لابد من بروز وسيلة أخرى تضيق الفرصة أمام العابثين وتحد من انتشار الجريمة والتسارع الهائل في انتهاك الحدود وتجاوز العابثين بالأنظمة فكانت بطاقة البصمة هي البديل للبطاقة التقليدية التي تعتمد في الدلالة الثبوتية على هوية الشخص بواسطة الصور الفوتوغرافية التي يحملها صاحب البطاقة.

---

(١) صحيح البخاري (٢٢٢٥) .

ولبطاقة البصمة مميزات تنفرد عن البطاقة التقليدية التي تعتمد على الصورة الفوتوغرافية في اثبات الهوية منها :

أولا : أن تقليد البصمة أوتزويرها أمر مستحيل لأن الله سبحانه وتعالى خلق البشر مختلفي البصمات فكل فرد من أفراد البشر بصمته تختص به لا يشبهها شيء من بصمات الآخرين .

ثانيا : دقة المعلومات وقوة الدلالة الثبوتية واستحالة التزوير والتقليد كما سبق .

ثالثا : تمتاز بالدقة في التنظيم وتخزين المعلومات المهمة عن الأفراد وهذه ميزة لاتتوفر في البيانات الشخصية التي تعتمد على الأوراق .

رابعا : الحد من التزوير واذا كان التزوير أحد أسباب فشل وسائل التعرف على الشخصية التقليدية فان التزوير لايمكن البتة مع البصمة كما تقدم .

كيفية استعمال البصمة :

ان استعمال بطاقة البصمة سهل ميسر لا يستغرق أكثر من عدة ثواني . وذلك بأن تخزن بصمة ابهام الشخص الذي يحمل البطاقة في بطاقته .

فاذا أريد كشف هويته فما على المسؤول الا أن يأمره بوضع بصمة ابهامه على جهاز مخصص لذلك ثم يقارن بين البصمة المخزنة في البطاقة والبصمة التي توضع على الجهاز فاذا تطابقتا ثبتت هوية حامل البطاقة ، وهذه الطريقة مستعملة في كثير من دول العالم عند مداخل المطارات ومنافذ الحدود وبوابات مراكز السجون وغيرها

وبعد فقد أوضحت في هذه الفتوى الأضرار والمفاسد الدينية والخلقية والاجتماعية وذكرت الأمورالسلبية التي تقدح في دلالة البطاقة التي تعتمد على الصورة وتضعفها كما ذكرت بديلا للبطاقة التقليدية يتم به المقصود من غير أن تحقق فيه الأضرار والمفاسد التي تعرض للبطاقة التقليدية كما لا تتطرق اليه الأمور السلبية التي تضعف دلالته على الهوية ألا وهو بطاقة البصمة .

هذا وأسأل الله أن يوفق الجميع لما يحبه ويرضاه وصلى الله على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أملاه

أ. حمود بن عقلاء الشعيبي

١٤٢١/٣/٢٥هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة صاحب السمو الملكي وولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء المحترم– وفقه الله–

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته... وبعد

فانطلاقًا من قوله ﷺ: «الدين النصيحة، الدين النصيحة» قيل: لمن يا رسول الله؟ قال: «لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»(١)؛ انطلاقًا من هذا الحديث الشريف أتقدم إلى سموكم بهذه النصيحة حول منح المرأة البطاقة الشخصية. موضحًا أضرارها ومفاسدها، ومبينًا السلبيات التي ترد عليها فتضعف دلالتها الثبوتية على هوية حاملتها، ومبينًا في نفس الأمر البديل لها وهي بطاقة البصمة، وأوضحت مزايا هذا البديل وكيفية استعماله.

صاحب السمو... منذ سنوات والصحف المحلية تشير بين حين وآخر إلى موضوع بطاقة المرأة. وفي هذه الأيام طفحت كثير من الصحف بمقالات ومقابلات عن هذا الموضوع، والملاحظ أنها تُطرَح من طرف واحد، طرف المؤيد بل المتحمس لها. وهذا له خطورته من جهتين: أما إحداهما فهي من التلبيس على الناس أن هذا هو الصواب الذي لا مرية فيه ولا مجال للنقاش فيه، والأخرى كونه يلقي في روع القاريء أن هذا هو رأي جميع الناس، وأنه لا يمكن لأحدٍ أن يواجهه أو يخالفه، ولخطورة الأمر واستباقًا لما يحدث من أمور يصعب استدراكها أو علاجها؛ وجهت هذه النصيحة لسموكم راجيًا أن تلقى العناية والاهتمام.

صاحب السمو: فيما يلي بيانٌ لبعض ما يترتب على منح المرأة البطاقة الشخصية من مفاسد:

أولاً: التصوير، والكلام فيه معلوم ومشهور.

ثانيًا: إضعاف قوامة الرجال على النساء، والعلاقة بينهما واضحة. وفي إحدى المقابلات مع عدد من النساء المؤيدات للبطاقة قالت معدة التقرير قبل أن تورد كلامهن بالتفصيل: (إن أقوال أكثرهن مبنية على كون البطاقة تخلص من تسلط الأزواج) [جريدة المدينة، ١٤٢٠/٨/١٠هـ]. بل بلغ من ظهور العلاقة بين بطاقة المرأة وقوامة الرجل إلى أن إذاعة لندن (BBC بي بي سي) قالت في ضوء تعليقها على خبر تصريح أحد المسئولين بشأن بطاقة المرأة ما نصه: (ومن المعروف أن النساء السعوديات يُسجَّلْن حاليًا في بطاقات لأسرهن أو أزواجهن باعتبارهن تحت الولاية الشرعية للأب أو الزوج). وفي إضعاف قوامة الرجل من الشرور والمفاسد وتوسع فرص الفساد ما لا يخفي،

(١) صحيح مسلم (٥٥) .

ومعلوم ما عليه الحال الآن من تمرد بعض النساء على أزواجهن وما ترتب على ذلك من مفاسد، منها كثرة حالات الطلاق، وقد ذكرت صحيفة الشرق الأوسط في تاريخ ١٤١٧/١/٢١هـ أن معدل حالات الطلاق في الرياض هو حالة كل ثلاث ساعات، فكيف يكون الحال عند حصول البطاقة؟!!

ثالثًا: كشف المرأة عن وجهها عند إرادة التحقق من شخصيتها، إذ لا يتسنى في كل حال أن يتم ذلك من قِبل نساء، وفي هذا من الفتنة ما لا يخفى، خاصة وأن الذي يتولى التحقق من الهويات كثير منهم من الشباب، فإذا كانت المرأة حسناء وفي سن الشباب أُستضعِف محرمها لصغر سنه أو غير ذلك، وهذا باب للشيطان ليغري بالتعرض لها، و"الدفع أوهن من الرفع والوقاية خير من العلاج".

رابعًا: يتأكد المحذور المتقدم في الطرق الطويلة، فهل يتولى الأمر رجال؟ أم تُوظَّف نساء شرطيات؟ وإذا وُظِّفن فهل سيعملن جنبًا إلى جنب الرجال في تلك المواقع النائية؟ أم سيكون محارمهن معهن؟ إن الخيار الأخير يظهر- على ضوء الظروف الراهنة- بعيدًا جدًا، وعلى أي حال؛ أفلا نأخذ عِبرة مما هو حاصل في بعض القطاعات التي يعمل فيها نساء بجنب الرجال وكيف يحصل فيها أمور يندى لها الجبين؟!

خامسًا: كثير من الفتيات لن يُصوَّرن إلا وقد ظهرن بأجمل ما يقدرن عليه، وغالبًا ما يكون هذا مجال تنافس بينهن ومدعاة لتبادلهن صورهن، على سبيل الذكرى أو غير ذلك، مما قد يحصل معه تسرب صورهن ووصولها إلى الرجال.

سادسًا: أن فتح هذا الباب- ونعوذ بالله أن يحصل ذلك- سيُلزَم الجميع به- إلا أن يشاء الله-، فيشمل الصالحات وبنات الصالحين الذين حرصوا واجتهدوا في تنشئة أولادهم على الحشمة والحياء، ولو قيل في بداية الأمر أنه أمر اختياري لمن ترغب فما إن يُبدَأ به حتى يُلزَم به الجميع- إلا أن يشاء الله- بطريق مباشر أو غير مباشر، كأن تُربَط الدراسة وإنجاز المعاملات وتقديم الخدمات بوجود البطاقة. وما قد يوضع من ضوابط مثل أن يقال من حق المرأة أن ترفض الاستجابة لمن يتحقق من شخصيتها إذا كن رجلاً، أو يقال يجب أن تقتصر الصورة على الوجه فقط دون الشعر والكتفين وسائر أجزاء البدن، أو غيره من الضوابط فإنها- إن وُضعت- لا تلبث أن تسقط، ويبقى أصل المسألة مجردًا من الضوابط.

سابعًا: من حجج المطالبين باستقلال المرأة بالبطاقة: الحاجة إلى إثبات شخصيتها عند التعاملات المالية لدى البنوك، عند الصرف وبطاقة الصرف الإلكتروني ذات الرقم السري الذي يختص لمعرفته

صاحب البطاقة، كما فيه من التحقق من شخصية صاحب الحساب ومن ثَمّ إتمام عملياته المطلوبة. ويمكن تطوير هذه الخدمة إذا احتاج الأمر ذلك لتعميم خدمة شبكة السعودية التابعة لمؤسسة النقد لتشمل فروع البنك حيث هي الآن مقتصرة على مكائن الصرف والمحلات التجارية، فحينئذٍ تسحب المرأة المبلغ الذي تريده دون تقييده بمبلغ معين. واستطرادًا نقول أن التزوير وانتحال الشخصية يحصل ويتكرر في صفوف الرجال بالرغم من وجود البطاقات الخاصة لهم.

ثامنًا: ومن الحجج أيضًا: الحاجة إلى البطاقة لحفظ الحدود والمنافذ ومعرفة من يدخل ومن يخرج، ومعروف لدى الجميع أن جوازات السفر عامة للرجال والنساء.

هذا ولا نزعم أن الحاجة منحصرة في الصورتين المتقدمتين، لكن نقول: أنه عند الموازنة بين المصالح والمفاسد يظهر رجحان المفاسد بشكل جلي، فالمفاسد الناجمة من البطاقة أكثر في عددها وأخطر في نوعها من المفاسد الحاصلة من عدمها.

تاسعًا: مما يلفت النظر ويقوي التخوفات أن المتحمسين لهذا المطلب و المتصدين للكتابة عنه في الصحف أكثرهم أناسٌ مشبوهون قد ارتبطت أسماؤهم بالمطالبة بأمور منكرة؛ كالدعوة إلى أن يتولى النساء تدريس البنين، وكالمطالبة بإنشاء نوادي رياضية للبنات، والدعوة إلى مشاركة المرأة للرجل في عمله، والدعوة إلى قيادة النساء للسيارات، والاعتراض على كون القوامة للرجل. ومع هذه المفاسد التي تترتب على حمل المرأة البطاقة الشخصية التي تعتمد على الصورة في الإثبات فإن هناك أمورًا سلبية كثيرة تُضعِف من دلالة هذه البطاقة على شخصية حاملها، منها:

أولاً: سهولة التغيير وإحلال صورةٍ مكان أخرى أو جواز مكان آخر أو وثيقة مكان أخرى.

ثانيًا: تقادم الصورة فلا تصبح دقيقة تبني ملامح الوجه إذا كبر الإنسان وتغيرت ملامح وجهه.

ثالثًا: تغير السمات الشخصية مثل إعفاء اللحية و حلقها ونحوه.

رابعًا: تغير الصفات الخَلقية عبر الجراحات العارضة أو الجراحة التجميلية.

خامسًا: ضرورة تجديد البطاقة الشخصية بشكل دوري لتحديث الصورة والمعلومات.

سادسًا: الضياع والفقدان للبطاقات والجوازات والأوراق الثبوتية.

سابعًا: نسيان الأوراق الثبوتية.

ثامنًا: تلف الوثائق.

وبعد أن ثبت فشل وسائل الإثبات الدارجة وتراجع فعاليتها وخصوصًا أمام التطور السريع والمتلاحق في صناعة الجريمة، كان لابد من بروز وسيلة أخرى تضيق الفرصة أمام العابثين وتحِدُّ من انتشار الجريمة والتسارع الهائل في انتهاك الحدود وتجاوز العابثين الأنظمة، فكانت بطاقة البصمة

هي البديل للبطاقة التقليدية التي تعتمد على الدلالة الثبوتية على هوية الشخص بواسطة الصورة الفوتوغرافية التي يحملها صاحب البطاقة.

ولبطاقة البصمة مميزات تنفرد بها عن البطاقة التقليدية التي تعتمد على الصورة الفوتوغرافية في إثبات الهوية، منها:

أولاً: أن تقليد البصمة أو تزويرها أمر مستحيل؛ لأن الله سبحانه وتعالى خلق البشر مختلفي البصمات، فكل فرد من أفراد البشر بصمته تختص به لا يشبهها شيء من بصمات الآخرين.

ثانيًا: دقة المعلومات وقوة الدلالة الثبوتية واستحالة التزوير والتقليد كما سبق.

ثالثًا: تمتاز بالدقة في التنظيم وتخزين المعلومات المهمة عن الأفراد، وهذه ميزة لا تتوفر في البيانات الشخصية التي تعتمد على الأوراق والصور.

رابعًا: الحد من التزوير، وإذا كان التزوير أحد أسباب فشل وسائل التعرف على الشخصية بالطرق التقليدية فإن التزوير لا يمكن البتة مع البصمة كما تقدم.

خامسًا: الحد من الفساد الأخلاقي الذي يتخذه عدم وجود البطاقة النسائية التي تثبت هوية المرأة في مجتمعنا السعودي سبيلاً له. حيث يمكن بهذه الطريقة التثبت من هوية المرأة في أي وقت ومكان عند الحاجة فيتم ضبط ذلك في المطارات ومراكز التفتيش والفنادق وغيرها.

سادسًا: ضبط دخول وخروج الحجاج والمعتمرين إلى المملكة العربية السعودية، حيث يأتي الكثير منهم للحج أو العمرة ثم إذا دخل أو استقر في مكة أتلف جوازه ووثائقه وأقام بصورة غير نظامية، وإذا قُبِض عليه وأراد الرجوع إلى بلده سلَّم نفسه للسلطات فأودع في السجن حتى يتم ترحيله، ويعود بعد فترة بجواز آخر.

سابعًا: التقدم العلمي، فالتقنية الحالية بشقيها الفني والتكنولوجي قدمت للعالم مخترعات علمية فعالة في مجالات كثيرة، وأسهمت في تطوير وسائل الكشف عن الهوية باستخدام البصمات، واعتمادها على نظريات علمية حديثة في تحديد هويات الأفراد.

كيفية استعمال بطاقة البصمة : إن استعمال بطاقة البصمة سهل ميسر لا يستغرق أكثر من عدة ثوانٍ، وذلك بأن تُخزَّن بصمة إبهام الشخص الذي يحمل البطاقة في بطاقته. فإذا أُريدَ كشف هويته فما على المسئول عن ذلك إلا أن يأمره بوضع بصمة إبهامه على جهاز مخصَّص لذلك، ثم يقارن بين البصمة المخزنة في البطاقة والبصمة التي توضع على الجهاز، فإذا تطابقتا ثبتت هوية حامل البطاقة، وهذه الطريقة مستعملة في كثير من دول العالم عند مداخل المطارات ومنافذ الحدود وبوابات مراكز السجون وغيرها.

صاحب السمو... لقد أوضحت في هذه النصيحة الأضرار والمفاسد الدينية والخُلقية والاجتماعية ، وذكرتُ الأمور السلبية التي تقدح في دلائل البطاقة التي تعتمد على الصورة وتضعفها، كما ذكرت بديلاً للبطاقة التقليدية (ألا وهو بطاقة البصمة) يتم به المقصود من غير أن تتحقق فيه الأضرار والمفاسد التي تعرض للبطاقة التقليدية، كما لا تتطرق إلى الأمور السلبية التي تُضعِف الدلالة على الهوية.

لهذا آمل من سموكم الكريم أن تهتموا بها شخصيًا ولا تكلونا لغيركم، إلا إذا رأى سموكم إحالته لأصحاب الفضيلة رئيس وأعضاء مجلس هيئة كبار العلماء لتقييمها وإعطائكم نتيجتها لأهميتها

حفظكم الله.

مُقدِّمُه

أخوكم/ حمود بن عقلاء الشعيبي

الأستاذ (سابقًا) في جامعة الإمام مُحَّد بن سعود

القصيم – بريدة

١٤٢٠/١٠/٢٤هـ

فتوى في حكم التصوير(١)

فتوى الشيخ حمود بن عبد الله العقلاء الشعيبي رحمه الله

س: ما حكم التصوير وما حكم اتخاذ الصور وهل هناك فرق بين ماله ظل من الصور وما لا ظل له في الحكم؟

(.......الجواب : الحمدلله: التصوير : مصدر صور الشيء يصوره تصويرا إذا عمل له شكلاً ومثلاً سواء أكان المصور تمثالاً أو غيره قال في لسان العرب : ومثل لاشيء بالشيء سواء وشبهه به وجعله مثله وعلى مثاله .اهـ.

هذا تعريف التصوير في اللغة وأما حكمه شرعاً فسأبينه بعد ذكر طرف مما ورد في ذم التصوير والمصورين فقد استفاضت الأحاديث عنه ﷺ في ذم التصوير وبيان عقوبة المصورين ومن ذلك:

أولاً: ما أخرجه البخاري ومسلم رحمهم الله عن أبي هريرة رضي الله عنه قال :قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" "قال الله تعالى: "ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي فليخلقوا ذرة أو ليخلقوا شعيرة(٢).

ثانياً: عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: "أشد الناس عذاباً يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله" متفق عليه(٣).

هذه النصوص التي ذكرتها لو لم يرد سواها في تحريم التصوير لكفت فكيف وقد روي في هذه المسألة عنه ﷺ ما يزيد على أربعين حديثاً كلها نصوص صريحة بعضها في الصحيحين وبعضها في السنن وبعضها في المسانيد وكلها تتضمن لعن المصورين وأنهم أشد الناس عذاباً يوم القيامة وانهم من أظلم الناس كما تقدم فلا يحل لإمريء يؤمن بالله واليوم الأخر ان يغفلها ويعرض عنها ويفتي بإباحة بعض أنواع التصوير.

والتصوير لا يخلوا من أن يكون لذوات الأروح كالإنسان والحيوان وغير ذلك فإنه محرم تحريماً مغلظاً سواء أكانت الصورة مجسمة أي لها ظل كالصورة المركبة أو المنحوتة أو ليست مجسمة كالتي يتم تصويرها بالنقش أو الرسم أو الآلة الفوتغرافية وهذا محل إجماع بين من يعتد بقوله من علماء المسلمين فالكل متفقون على أن تصوير ذات الأرواح محرم لا فرق فيه بين أن يكون لها ظل أو لا (.....

---

(١) هذا ما وجدته من الفتوى في منتديات "بريدة ستي" بعنوان "هاااام :إلى من إستشكل عليه حرمة الصور والتصاوير"

(٢) صحيح البخاري (٥٩٥٣) (٣) صحيح البخاري (٥٩٥٤)، ومسلم ٩١ - (٢١٠٧)

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

فتوى فضيلة الشيخ حمود بن عقلاء الشعيبي في لعبة البوكيمون

فضيلة الشيخ حمود بن عقلاء الشعيبي حفظه الله من كل سوء ..

ظهر في الآونة الأخيرة لعبة تسمى (البوكيمون) وهي لعبة أُعجب بها الأطفال فصارت شغلهم الشاغل، وهذه اللعبة تروّج علَم اليهود وصلبان النصارى ورموز الديانات المنحرفة .. ما حكم شرائها واللعب بها، وما حكم شراء أو بيع بعض السلع التي تروِّج لهذه الكروت؟ وما الإجراء المتخذ تجاه هذه الشركات التي قامت بالدعاية لهذه اللعبة؟ أفيدونا مأجورين.

وجزاكم الله خيرًا ..

ابنكم المحب .... الرياض

الجواب ..

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد ..

فإن المسلمين في هذه الأزمان لا يفتأون أن يَخْرجوا من فتنة إلا ويُدخَلوا في أخرى، ولا يزال أعداء الإسلام من يهود ونصارى وعلمانيين وحداثيين وماسونيين وغيرهم في محاولاتهم المتكررة في إفساد عقائد وأخلاق المسلمين، ولن يطيب لهم بال حتى يخرجوهم من دينهم الذي ارتضاه الله لهم إلى عقائد الانحلال والتفسخ، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء .. ﴾(سورة النساء الآية:٨٩)، والمطلع على أحوال هؤلاء المضللين يرى أنهم في محاولات جادة لتنشئة أبنائنا وتربيتهم على عادات الحضارات الكافرة الفاشلة، وما اللعبة المسماة بـ(البوكيمون) إلا إحدى طرقهم في تسيير أبنائنا إلى الطرق الإلحادية، إذ تقوم فكرة هذه اللعبة على النظرية الإلحادية (داروين) التي تقول إن الإنسان كان قردًا، حتى وصل إليّ أن بعض من يلعبها من الأطفال انتشر على ألسنتهم أن الصور الموجودة في هذه اللعبة تتطور وتنتقل من مخلوق إلى آخر وهذه هي نظرية داروين تمامًا.

والمتابع لهذه اللعبة يجد أنها لم تنتشر من أجل التسلية أو الترفيه كما يفهم البعض بل المعروف أن وراء هذه اللعبة أيد خفية منظمة تعمل في الخفاء لنشر أفكار هدامة عبرة تلك الرموز والشعارات الموجودة فيها، هذا عوضًا عن ظهور الوثن النصراني فيها المسمى بـ(الصليب) والمجمع على تحريم رفعه، والشعارات اليهودية كالنجمة السداسية ورموز الماسونية المنحرفة ورموز المعتقد الياباني القائم على أن في الكون إله آخر مع الله، تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا، وعوضًا عن أنها تؤدي إلى

البغضاء والشحناء وصرف الأبناء عما ينفعهم وكونها مشابهة للكفار والنبي عليه الصلاة والسلام يقول:«من تشبه بقوم فهو منهم»(١) ومن أكل أموال الناس بالباطل يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ﴾(سورة البقرة آية:١٨٨) ومن القمار والميسر المحرمين يقول سبحانه وتعالى: ﴿ إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون ﴾(سورة المائدة آية:٩١) .

فالمتحتم في هذه المسألة تحريم بيع هذه اللعبة التي تبني في عقول أبنائنا الانسلاخ من الإسلام ويتحتم أيضًا تحريم الدعاية لها، فعلى أولياء أمور الأبناء وعلى المعلمين أن ينتبهوا لهذا الأمر وأن يمنعوا لعب وتداول الأطفال لهذه اللعبة، وعلى الشركات التي تقوم بالدعاية لها أن تخاف الله سبحانه وتعالى وألا تنشر مثل هذه المحرمات، وعلى الجميع مقاطعة الشركات والسلع التي تقوم بالدعاية لهذه اللعبة.

نسأل الله بمنه وكرمه أن يعز الإسلام وأهله وأن يذل الكفر وأهله إنه وحده القادر.

وصلى الله على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أملاه فضيلة الشيخ

أ. حمود بن عقلاء الشعيبي

١/ ١٢/ ١٤٢١ هـ

---

(١) سنن أبي داود (٤٠٣١) وحكم الألباني : حسن صحيح .

حكم كفالة من مات أبوه وقد تجاوز سن البلوغ

فضيلة شيخنا الشيخ حمود بن عقلاء الشعيبي .. حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. وبعد

نرى في بعض الهيئات والمؤسسات والمبرّات الخيرية أن بعضهم يكفل من مات أبوه في بند كفالة يتيم ولربما كان ذلك المكفول يسمى يتيمًا وهو قد تجاوز سن البلوغ حيث يبلغ من العمر سبعة عشر عامًا أو أكثر، فما رأي فضيلتكم في ذلك؟

والله يحفظكم .. ابنكم .... في ١٠/ ٢/ ١٤٢٢ هـ

الجواب ..

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين .. أما بعد.

لقد حث الإسلام على اليتيم وكفالته ورعايته، قال تعالى:﴿ يسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير ﴾(سورة البقرة آية: ٢٢٠) وقال ﷺ:«أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا»(١) رواه البخاري. وقد حذر الإسلام من غمط حق اليتيم وإضاعته قال تعالى: ﴿ إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلمًا إنما يأكلون في بطونهم نارًا وسيصلون سعيرا ﴾(سورة النساء آية: ١٠) وقال سبحانه وتعالى :﴿ فأما اليتيم فلا تقهر) ﴾(سورة الضحى آية: ٩) .

وقد ذكر أهل اللغة أن اليُتم هو فقدان الأب حتى يبلغ الحلم، فإذا بلغ زال عنه اسم اليُتم وقد ذكر أبو داود في السنن قال: باب ما جاء متى ينقطع اليُتم وساق حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: حفظت من رسول الله ﷺ: «لا يتم بعد احتلام»(٢)، قال النووي: حديث ثابت، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «رفع القلم عن ثلاث: الصبي حتى يحتلم»(٣)، رواه أبو داود والترمذي والنسائي، وفي رواية: «الصبي حتى يكبر»، وعلى ذلك فلا يستحق اليتيم إذا بلغ ما هو مرصود في بند الكفالة لزوال الوصف عنه إلا إذا كان فقيرًا فإنه يستحق الكفالة بوصف الفقر والمسكنة من غير بند كفالة اليتيم، وصلى الله على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه.

أملاه فضيلة الشيخ أ . حمود بن عقلاء الشعيبي

١٢/ ٢/ ١٤٢٢ هـ

---

(١) صحيح البخاري (٦٠٠٥) .

(٢) سنن أبي داود (٢٨٧٣) وحكم الألباني صحيح .

(٣) سنن أبي داود (٤٤٠١) وحكم الألباني صحيح .

حكم قيادة المرأة للسيارة

فضيلة الشيخ/ حمود بن عقلاء الشعيبي .. حفظه الله ومتعه بالصحة والعافية.

ظهر في الآونة الأخيرة منشورات تطالب بقيادة المرأة للسيارة فما هو رأيكم فيها؟ وما حكم قيادة المرأة للسيارة؟

فأجاب فضيلته:

الحمد لله رب العالمين القائل: ﴿ يا نساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولا معروفًا (٣٢) وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى ..﴾(سورة الأحزاب الآية:٣٣) والصلاة والسلام على نبينا مُحَّد القائل:«ما تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرُّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ»(١) صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين ساروا على نهجه وتمسكوا بأهداب شريعته وتعاليم دينه فرضي الله عنهم وأرضاهم .. أما بعد.

فإن سؤالك ذو شقين الأول عن رأيي في المنشورات التي وزعت والتي وجهها كاتبوها إلى (فتاة المطالب!) كما يسمونها، والشق الثاني عن حكم تمكين المرأة عن قيادة السيارة.

أما الجواب عن الشق الأول: فإن تلك الورقة المشار إليها تتضمن أفكارًا نتنة تفوح بالعلمانية والحداثة والنفاق والإلحاد، لأن خلاصتها الاستهزاء بالشريعة ووصفها بالرجعية المقيتة، والاستهزاء بعلماء الشريعة وقادتها، وهذا يفضي بصاحبه إلى الكفر لأنه لا يقلّ استهزاء بالشريعة وحملتها عن مقالة المنافقين الذين قالوا: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطونًا ولا أكذب ألسنة ولا أجبن عند اللقاء؛ يعنون رسول الله ﷺ وصحابته، وقد كفرهم الله بتلك المقالة حيث قال: ﴿ لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم .. ﴾(سورة التوبة الآية:٦٦). حينما جاءوا يعتذرون إلى النبي صلى الله عليه وسلم عن مقالتهم وأنهم ما تحدثوا بذلك الحديث إلا ليقطعوا به الطريق.

أما الشق الثاني: وهو حكم تمكين المرأة من قيادة السيارة: فاعلم أن هذه الضجة الكبرى التي شغلت وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية حول المطالبة بتمكين المرأة من القيادة، ليس الهدف منها الإذن للمرأة في قيادة السيارة فحسب وإنما الغرض منها تحقيق هدف سيئ طالما راود أحلام العلمانيين ومن هم على شاكلتهم منذ زمن ليس بالقصير ألا وهو إخراج المرأة من البيت الذى نشأت فيه وتربت على الفضيلة والعفة والطهر وفق تعاليم الدين الحنيف الذي منح المرأة حقوقها كاملة في حدود صلاحياتها وانتشلها من الضياع الذي كانت تعيشه في الجاهلية، حيث

---

(١) صحيح البخاري (٥٠٩٦).

كانت المرأة من سقط المتاع توهب وتورث وليس لها أي وجود في مرافق الحياة سوى الخدمة والاستمتاع بها، وانتشلها الإسلام من هذا الضياع وأعطاها كامل حرياتها التي تليق بها ومكنها من ممارسة حقوقها وأعاد لها كرامتها التي كانت ممتهنة قبل الإسلام، فأصبحت ترث بعد أن كانت تورث وتملك بعد أن كانت لا مِلْك لها، إنما يريد هؤلاء إخراجها من بيت العفة والطهر إلى مجتمع يكثر فيه الضياع فتصبح سلعة رخيصة تمتهن كرامتها وينتهك عرضها وتنزلق في حمأة الرذيلة.

ولتمكين المرأة من القيادة مفاسد عظيمة منها:

أولا: أن هذا الأمر إذا تحقق أصبح ذريعة ووسيلة للفساد، وعلماء الشريعة اتفقوا على أن الوسيلة المفضية إلى غاية محرمة تأخذ حكم تلك الغاية، فحرموا الوسائل التي تفضي إلى غايات محرمة، ومما لا شك فيه أن خروج المرأة بسيارتها وحدها وتجولها في الأماكن العامة والطرقات الطويلة وسيلة إلى تحرش مرضى القلوب والفسّاق بها ومراودتها عن نفسها، وبهذا يتحقق الهدف العلماني في إخراج المرأة من بيتها وتدمير الأسرة المسلمة، وإهمال البيت والأطفال وفتحهم على أبواب الضياع كما هو حاصل في الغرب، ولا شك أن في تحقيق هذه تهيئة الجو للفساد الأخلاقي الذي عم وطم وبدأ يتطاير شرره، فتزداد معاكسة النساء بصورة لم يسبق لها مثيل وتتيسر سبلها أكثر وخاصة مع كثرة الشباب غير الملتزم.

ثانيًا: إن تحقق قيادة المرأة يترتب عليه ترك الحجاب الذي أمر الله به ورسوله، وعلى الرغم من ادعائهم إمكانية القيادة بالحجاب فهذا وإن تم في أول الأمر ستكون النهاية ترك الحجاب .. قال تعالى:﴿ يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورًا رحيمًا ﴾(سورة الأحزاب آية:٥٩) .

وأخيرًا نهيب بأولياء أمور النساء سواء كانوا آباء أو إخوانًا أو أزواجًا أن يتقوا الله فيهن وأن يحولوا بينهن وبين ما يفضي إلى تعرضهن للضياع والفساد، فيمنعوهن من مخالطة الرجال في أي مجال من المجالات ويراقبوهن في جميع الأحوال، لأن المرأة وإن كانت عفيفة ملتزمة إلا أن للفساق من مرضى القلوب أساليب وطرق شريرة يستطيعون بها إخضاع المرأة واستجابتها لمطالبهم البهيمية ولنزواتهم الشهوانية .. ويحسن ختام هذه الفتوى ببيتين للقحطاني رحمه الله في نونيته وهما قوله:

إن الرجال الناظرين إلى النسا____________ مثل الكلاب تطوف باللاحمان

إن لم تَصن تلك اللحوم أسودها____________ أُكلت بلا عوض ولا أثمان

نسأل الله سبحانه أن ينصر دينه ويعلي كلمته ويقمع أهل الباطل ويرد كيدهم إلى نحورهم.

هذا وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين. كتبه: حمود بن عقلاء الشعيبي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حكم قراءة دعاء ختم القرآن في الصلاة وغيرها

فضيلة الشيخ/ حمود بن عقلاء الشعيبي .. حفظه الله من كل سوء.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

السؤال:ما حكم قراءة دعاء ختم القرآن في الصلاة وغيرها أفتونا مأجورين.

الجواب:

وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته .. الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين ..

اعلم أولا: أن العبادات توقيفية تتوقف صحتها على تحقيق شرطين اثنين.

أحدهما: أن تكون العبادة خالصة لوجه الله سبحانه وتعالى.

الثاني: أن تكون وفق سنة رسول الله ﷺ فإذا فقد هذان الشرطان أو أحدهما فالفعل مبتدع باطل، وقراءة دعاء ختم القرآن في الصلاة لم يثبت فيه شيء عن النبي ﷺ ولا عن صحابته رضوان الله عليهم وكل الآثار التي وردت في هذا الباب لا يصح رفع شيء منها إلى النبي ﷺ مع أنها مع عدم ثبوتها عن الرسول ﷺ ليس فيها ذكر حصول الدعاء في الصلاة وأصح ما ورد في هذا الباب ما رواه ثابت البناني عن أنس أنه كان إذا ختم القرآن جمع أهله وولده فدعا لهم.(١) فيتبين من هذا أن دعاء القارئ لختم القرآن خارج الصلاة وحضور الدعاء أمر مأثور عن السلف الصالح أما ختم القرآن من إمام أو منفرد قبل الركوع أو بعده في التراويح أو غيرها فلا يعرف ورود شيء فيه أصلاً عن النبي ﷺ ولا عن أحد من صحابته كما تقدم.

الخلاصة:أنه قد تقدم أن العبادات لا تثبت إلا بنص من القرآن أوالسنة ولأن دعاء الختم في الصلاة لم يرد في القرآن ولا في السنة فعلى هذا يكون فعله بدعة ولا يجوز فعلها.

وصلى الله عن نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أملاه فضيلة الشيخ/ حمود بن عقلاء الشعيبي

في ١/ ٩/ ١٤٢٠ هـ

(١) سنن الدارمي (٣٥١٧) وحكم حسين سليم أسد إسناده صحيح وهو موقوف على أنس .

ملحق

في رثاء والدفاع عن

الشيخ العلامة حمود بن عقلاء الشعيبي رحمه الله تعالى

رسالة الشيخ ابن باز إلى الشيخ حمود بن عقلاء الشعيبي

مكتب المفتي العام

تاريخ ٢٦/١٠/١٤١٥هـ

من عبد العزيز بن عبد الله بن باز.. إلى حضرة الأخ المكرم صاحب الفضيلة: الشيخ/ حمود بن عبد الله العقلاء- وفقه الله وزاده من العلم والإيمان-.. آمين.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. أما بعد:

فلا يخفى على مثلكم حاجة الطلاب في هذا الوقت إلى تدريس كتب أهل السنة والجماعة من كتب العقيدة، وكتب الحديث الشريف والفقه.. فأرجو العناية بذلك.

ومن ذلك: الصحيحان وتفسير ابن كثير وكتب شيخ الإسلام/ ابن تيمية كالتدمرية والحموية ومنهاج السنة والواسطية، وكتب شيخ الإسلام- في عصره-/ مُحَمَّد بن عبد الوهاب وأحفاده وغيرهم من أهل السنة والجماعة.

فأرجو العناية بذلك واحتساب الأجر في تعيين دروس في هذه الكتب أو بعضها.

شكر الله سعيكم ونفع بكم عباده... إنه سميع قريب.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

المفتي العام للمملكة العربية السعودية

عبد العزيز بن عبد الله بن باز

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تكذيب أمانة كبار العلماء لجريدة عكاظ

المملكة العربية السعودية

رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء

مكتب المفتي العام

سعادة رئيس تحرير جريدة عكاظ– وفقه الله–

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. وبعد

فإشارةً إلى ما نُشِر في الصفحة السادسة من جريدتكم في عددها رقم ١٢٨٣٣ والصادر بتاريخ ٢٨/٧/ ١٤٢٢هـ بعنوان (أمانة كبار العلماء لعكاظ الأسبوعية (حمود عقلاء الشعيبي لم يشتغل بالإفتاء واجتهاداته لا يُعتَدُّ بها).. وبعد عرض هذا الخبر على الأمانة العامة لهيئة كبار العلماء أفادت الأمانة أن ما صدر من الأمانة هو أن فضيلة الشيخ/ حمود العقلاء ليس عضو إفتاء في رئاسة البحوث العلمية والإفتاء، وسبق له التدريس في المعاهد العلمية وفي كلية الشريعة فقط، وذلك إجابةً لسؤال من محرر الجريدة عبر الهاتف عن الشيخ، أما ما عدا ذلك مما نُسِب إلى الأمانة ونُشر في ثنايا الخبر فكله إضافات وتخرصات من محرر هذا الخبر عبد الله العريفج، ونسبته إلى أمانة هيئة كبار العلماء كذب وبهتان.

نرجو من سعادتكم نشر هذا التعقيب والتوضيح في نفس الصفحة التي نُشر فيها هذا الخبر من دون نقص، وأن يُكتَب عنوانه بنفس البنط الذي كُتب به بنط الخبر المنشور.

كما أرجو التأكيد على محرر هذا الخبر بعدم اختلاق وإضافة أية معلومات لم يصرح بها، وذلك لتحقيق المصداقية في نقل الأخبار لقراء الجريدة.

وفق الله الجميع لكل خير. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

مدير إدارة العلاقات العامة والإعلام برئاسة

إدارة البحوث العلمية والإفتاء

سليمان بن مُحَمَّد أبو عباه

١/٨/١٤٢٢هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

دفاعا عن الشيخ حمود بن عقلاء الشعيبي

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

فقد قرأت ما نقلته جريدة عكاظ الأسبوعية، في عددها [١٢٨٣٣، المؤرخ في ٢٨/ رجب/١٤٢٢ هـ] عن مصادر في أمانة هيئة كبار العلماء وما قالوا عن شيخنا العلامة حمود بن عقلاء الشعيبي حفظه الله تعالى من كل سوء وما جاء في هذا البيان من كذب وافتراء وزور وهمز ولمز وقذف في حق شيخنا حفظه الله.

والله تعالى يقول: {والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ماكتسبوا فقد احتملوا بهتانا وإثما مبينا}، وفي الحديث مرفوعا (إن أعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا) [متفق عليه]. وفي الحديث مرفوعا (اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة) [رواه مسلم]. وفي الحديث مرفوعا (من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب) [رواه البخاري].

وقد تضمن هذا التصريح من تلك المصادر الأمور التالية:

١) محاولة تجريد شيخنا حفظه الله تعالى وإبعاد صفة كونه من العلماء؛ وهذا لا يضره عند الله ولا عند المؤمنين وقد شهد له بالعلم والاجتهاد القريب والبعيد ولله الحمد. وفي الحديث مرفوعا (أنتم شهداء الله في الأرض).

وإنما هذه سنة اليهود البهت إذا غضبوا على علمائهم وأفاضلهم الذين كانوا يسمونهم من قبل علماء فإذا غضبوا عليهم سلبوهم هذا الاسم وقالوا فلان أو المدعو فلان، ففي قصة عبد الله بن سلام وكان حبر من أحبارهم وعالم من علمائهم فلما أسلم قال لهم رسول الله صلى عليه وسلم: (ما تقولون في ابن سلام) قالوا: سيدنا وابن سيدنا وحبرنا وعالمنا فلما علموا إسلامه كذبوه ووقعوا في عرضه وتكلموا فيه والقصة معروفة. وفي الحديث مرفوعا (لتتبعن سنن من كان قبلكم...)، ثم قال: (اليهود والنصارى).

وشيخنا ولله الحمد وضع الله له القبول في الأرض والثناء وهذا ملموس مشاهد من ثناء الناس عليه وتطلعهم إلى فتاويه وتسابقهم إليها من العلماء قبل غيرهم.

وفي الحديث مرفوعا: (ثم يوضع له القبول في الأرض).

بل إنه تتلمذ على يديه كثير من أعضاء هيئة كبار العلماء فهل هذا من الإعتراف بحق المشايخ على طلابهم، وفي الحديث مرفوعا: (من صنع إليكم معروفا فكافئوه) [متفق عليه] وليس؛ (اتهموه). وفي الحديث المرفوع أيضا: (تواضعوا لمن تَعلّمون منه) [رواه الطبراني عن أبي هريرة]. وكما قال الشاعر:

أعلمه الرماية كل يوم فلما اشتد ساعده رماني

٢) اعتبارهم أن فتوى الشيخ حمود لا يؤخذ ولا يعتد بها؛ وهذا من ظلم أهل الحق وغمطهم حقوقهم واستصغارهم. وفي الحديث مرفوعا (الكبر بطر الحق وغمط الناس) أي؛ احتقارهم، [رواه مسلم]. وفي الحديث مرفوعا (المسلم أخو المسلم لا يحقره) [رواه مسلم]. وفي الحديث مرفوعا: (ليس منا من لم يعرف شرف كبيرنا) [رواه أبو داود وصححه الترمذي]، وفي رواية صححها الحاكم: (ويعرف حق كبيرنا). وعند أحمد بسند حسن: (ويعرف لعالمنا). وعند الطبراني (ويُجل كبيرنا).

بل هذا زور وبهتان وفي الحديث مرفوعا (ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ثلاثا – ثم ذكر – شهادة الزور وقول الزور) [متفق عليه]. قال تعالى: {واجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور}.

وهل لا يصلح للإفتاء والاجتهاد وليس مؤهلا لذلك من دَرَّسَ على مدى أربعين سنة في العقيدة والحديث والفقه وأصول الفقه والنحو والتفسير ثم ترقى إلى أن وصل إلى درجة أستاذ كرسي وتسمى في الدراسات العلمية "برفسور" في التدريس الجامعي وأهل الاختصاص يعرفون ماذا تعني الأستاذية.

وهل يقال فيمن تخرج على يديه جمع من العلماء منهم أعضاء في هيئة كبار العلماء منهم المفتي وغيره وجمع يبلغ العشرات من قضاة التمييز ومثله في العدد من الدكاترة ورؤساء محاكم ووزراء وغيرهم ولولا خشية الإطالة لسردنا اسماءهم، علما بأن اسماءهم مذكورة بنصها في مقدمة كتاب شيخنا واسمه: "القول المختار في حكم الاستعانة بالكفار". وموجودة في سيرة شيخنا الذاتية في موقعه حفظه الله على شبكة الإنترنت.

وهل يقال ذلك لمن كلفته وعمّدته الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة حينما طلبت منه النظر في نتاج وكتب بعض العلماء المشهورين وتقييم ذلك تمهيدا لترقيتهم لدرجة الأستاذية وهم؛ الشيخ عبد القادر شيبة الحمد، والشيخ أبو بكر الجزائري، والشيخ ربيع المدخلي. كما كلفت الجامعة الإسلامية شيخنا حفظه الله بالنظر في كتاب الشيخ مُحَمَّد أمان الجامي الذي أعده للدكتوراه للنظر

عن مدى مناسبة استحقاقه للطبع أم لا. وأيضا طلبت جامعة الإمام من شيخنا حفظه الله النظر في بعض نتاج وكتب الشيخ؛ مُحَمَّد بن صالح العثيمين رحمه الله وتقييمها تمهيدا لترقيته لدرجة الإستاذية.

فهل كل من طُلب منه تقييم تلك الأعمال السابقة لعلماء مشهورين يقال عنه بأنه غير مؤهل ولا يصلح للإفتاء وليس مؤهلا للاجتهاد وليس من طلبة العلم؟! سبحانك هذا بهتان عظيم.

٣) أما الكذب الذي فيها، فقد قالوا إنه أُحيل للتقاعد لبلوغه السن القانوني؛ فشيخنا حفظه الله تعالى إنما انتقل إلى التقاعد المبكر بناء على رغبته وطلبه.

٤) وقولهم: (تلك الفتوى التي أهدر فيها دم...): وهذا كذب وبهتان وزور فإن فتوى الشيخ في المغني الرويشد ليس فيها إهدار دم، إنما بين فيها حكم الله في كفر من غنى بالقرآن وطالب حكومته بإقامة حكم الله فيه وفي أمثاله من المرتدين. وكأن هؤلاء لا يفرقون بين هذا وذاك!!

٥) وقولهم: (لم يسبق له أن اشتغل بالإفتاء): وهذا كذب أيضا وافتراء، فقد كلفه سماحة العلامة الشيخ مُحَمَّد بن إبراهيم بالإفتاء والتدريس في الحرم المكي أثناء الحج من عام ١٣٨٠ هـ إلى ١٣٨٤ هـ.

وكذا كلفه سماحة العلامة الشيخ عبد العزيز بن باز بالتدريس في خطابه المؤرخ في ٢٦/١٠/١٤١٥هـ بالجلوس للتعليم والتدريس.

وقد اختاره ورشحه الشيخ مُحَمَّد بن إبراهيم للقضاء، ولكن تدخل شيخ شيخنا مُحَمَّد الأمين الشنقيطي وطلب من الشيخ مُحَمَّد بن إبراهيم إعفاءه من القضاء وتركه يدرس في الكلية نظرا لقدراته العلمية وقوة قدرته في التدريس والشرح والتفهيم وقوة حافظته.

٦) ومن الكذب وعدم الفقه والمعرفة لمضمون فتاوى الشيخ أو التحامل عليه!! قولهم: (إن الشيخ حمود يفتي بردة من يتعامل مع أهل الكتاب)؛ وهذا افتراء عظيم سيسألون عنه يوم القيامة.

وفتوى شيخنا حفظه الله كانت في حكم من ظاهر الأمريكان ضد طالبان المسلمة المجاهدة وفقها الله. وهذا يعني أنهم لا يفرقون بين التعامل والمظاهرة ولا يعرفون الفرق بينهما؟ وكما قيل؛ رمتني بدائها وانسلت.

أما الكذب والافتراء الضمني المبطن ومحاولتهم التلميح والتلويح بأنها موجودة في شيخنا حفظه الله، فقولهم: (والفتوى لا تصح إلا من طالب علم مؤهل لديه الإلمام التام بالأحكام ومعرفة الأدلة)، وقولهم: (وجوب التعقل والتثبت وترك الأمور لأهلها).

وقد قال القائل قبلهم مثل قولهم فقال: {أم أنا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين} تشابهت قلوبهم.

٧) وأما قذفهم للشيخ حفظه الله في هذا الباب فقولهم إن عليه مآخذ سلوكية!!

فماذا يعني هذا الكلام؟ وهل هذا إلا قذف صريح مقيت خبيث يستحق إقامة الدعوى عليهم ومقاضاتهم شرعا يؤخذ به حق الشيخ الخاص وحق طلابه وحق أهله وحق عامة المسلمين. وهذه من البذاءة وفحش الكلام، وفي الحديث مرفوعا: (الحياء من الإيمان والبذاء من الجفاء) [صححه الترمذي وابن حبان]. وفي رواية أخرى (والبذاء شعبة من النفاق) [رواه الترمذي]، وفي الحديث مرفوعا: (إن الله يبغض الفاحش البذيء) [صححه الترمذي].

وختاما:

فقد وقعوا في عرض شيخنا وشهدوا زورا وكذبوا عليه وهمزوه ولمزوه، وفي الحديث مرفوعا: (من شهد على مسلم شهادة ليس لها بأهل فليتبوأ مقعده من النار) [رواه أحمد عن أبي هريرة].

وهل هذا جزاء من صدع بالحق ورفع لواء جهاد الكلمة وقول الحق، وفي الحديث مرفوعا فقد سئل ﷺ أي الجهاد أفضل؟ قال: (كلمة حق عند سلطان جائر) [رواه النسائي بسند صحيح].

أقلوا عليهم لا أبا لأبيكم من اللومأ و سدوا المكان الذي سدوا

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حسود

قال البربهاري في شرح السنة [رقم ١٤٣]: (إذا رأيت الرجل يحب أبا هريرة وأنس بن مالك وأسيد بن حضير فاعلم أنه صاحب سنة إن شاء الله. وإذا رأيته يحب أيوب وابن عون ويونس بن عبيد وعبد الله بن إدريس الأودي والشعبي ومالك بن مغول ويزيد بن زريع ومعاذ بن معاذ ووهب بن جرير وحماد بن سلمة وحماد بن زيد ومالك بن أنس والأوزاعي وزائدة بن قدامة وأحمد بن حنبل فاعلم أنه صاحب سنة. وإذا سمعت الرجل يذكر ابن أبي دؤاد وبشر المريسي وثمامة البصري – من رؤوس المعتزلة – وأبا الهذيل المعتزلي وهشام الفوطي – من دعاة الاعتزال – أو أحدا من أتباعهم وأشياعهم فاحذره فإنه صاحب بدعة).

نعوذ بالله من البهت والافتراء.

وصلى الله على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين

كتبه؛ علي بن خضير الخضير

٢٩ / رجب / ١٤٢٢ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

رد جماعة من العلماء على افتراءات جريدة الوطن

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد :

فقد اطلعنا على ما نقلته جريدة الوطن الأفاكة حُبالة الشيطان ودهليز الضلال والافتتان في عددها {٤٧٨} المؤرخ الأحد ١٤٢٢/١١/٦هـ من كلامها على الشيخ العلامة الإمام حمود بن عقلاء الشعيبي واتهامها له بالكذب والتنقص والسخرية والهمز واللمز والتغفيل والسذاجة وهذا نفاق وضلال وقالوا كما قال أسلافهم وأئمتهم من قبل من المنافقين الذين قالوا في علماء الصحابة (ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أكذب ألسنا ولا أجبن عند اللقاء ولا أكبر بطونا) فأنزل الله في حقهم (ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون) وساروا على الطريقة الفرعونية (أم أنا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين) تشابهت قلوبهم !! وعن ابن مسعود الأنصاري ﷺ قال قال رسول الله ﷺ (إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستح فاصنع ما شئت) .

ولا سيما وقد انتقل إلى رحمة الله تعالى تغمده الله بواسع رحمته ، وعن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ (لا تسبوا الأموات ...).

وانطلاقا من قوله ﷺ (من رد عن عرض أخيه رد الله عن وجهه النار يوم القيامة)رواه الترمذي .

وكما في حديث البراء رضى الله عنه قال أمرنا رسول الله ﷺ بسبع وذكر منها (نصرة المظلوم).

ويجب حماية عرض من قام لله وقام في نصرة دينه الذي شرعه وارتضاه ونصر السنة وقمع البدعة وناصر الجهاد والمجاهدين ورفع لواء الصدع بالحق وأحياه للأمة ، ويخشى على من تخاذل عن ذلك العقوبة كما في حديث جابر بن أبي طلحة رضى الله عنه قال ﷺ ما من امرئ مسلم يخذل امرأ مسلما في موضع تنتهك فيه حرمته وينتقص فيه من عرضه إلا خذله الله في موطن يحب فيه نصرته) رواه أبو داود .

وإن هذه الجريدة لو تكلمت بسب أحد الأمراء لأزيلت عن جذورها ولكن كما قيل :

يقاد للسجن إن سب المليك وإن سُب الإله فكل الناس أحرار

ونحن إذ نبرأ إلى الله مما قالته هذه الصحيفة الجائرة فإننا ندعو إخواننا المسلمين إلى الأمور التالية :

مقاطعة هذه الصحيفة مقاطعة تامة من ناحية البيع والشراء والقراءة والنشر وجميع أنواع المقاطعة .

السعي في محاكمة هذه الصحيفة وإقامة دعوى ضدها من أهل الشيخ رحمه الله ومن طلابه ومن أهل الغيرة والصلاح .

الدعاء على هذه الصحيفة ومن كتبها وأمر بها ومن رضي وأذن بذلك فقد ظلمت وبغت وفي الحديث (اتقوا دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب) وقد دعا نفر من الصحابة على ظالميهم كما دعا سعيد بن زيد وسعد بن أبي وقاص رضى الله عنهما على من ظلمهما في أحاديث معروفة.

الاتصال بهذه الصحيفة والإنكار عليها .

نسأل الله أن يتغمد الشيخ بواسع رحمته وأن يغفر له ويرحمه ، وأن يخذل أهل الباطل والساعين فيه وأن ينصر المجاهدين في كل مكان وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

حرر في ١٤٢٢/١١/٧هـ

محمد بن فهد بن علي الرشودي

علي بن خضير الخضير

صالح بن عبد الله الشقيق

خطاب الملك فهد للشيخ حمود العقلاء وأخوانه من أهالي القصيم(١)

[....](٢)الأخوان الكرام من أهالي القصيم ، الشيخ حمود العقلاء وأخوانه الذين رفعوا لنا كتابهم سلمهم الله.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :

فقد قرأت كتابكم وفهمت ما عرضتم فيه من أستيائكم من عدوان العراق باجتياح الكويت وترويع أهلها وما ترتب على ذلك من قتل ونهب وتشريد وتخريب ، وما أوضحتم بإنكم تفدون دينكم بالانفس والاموال واستعدادكم للجهاد، وهذا أمر لا يستغرب منكم فإن ابناء هذا الشعب هم عدته وجنده وهم الذين بنوا كيان هذه الدولة تحت قيادة مؤسسها الملك عبدالعزيز رحمه الله ورحم أخوانه الذين ساعدوه وأيدوه حتى حقق الله اجتماع الكلمة وترسيخ الأمن والعدل ، ونرجو الله أن يديم علينا نعمة الاستقرار ويكفينا شرّ الاشرار وكيد الاعداء الحاقدين، ونشكركم أيضا على نصائحكم الدالة على غيرتكم وحبكم للتعاون على البر والتقوى ، ويسرنا قيام أخواننا وابنائنا بمعاودة النصائح الهادفه المتأنيه بعد النظر والتثبت وملاحظة مناسبة الأحوال ، والناس لا يزالون بخير ما دامو متفاهمين ومتعاونين على البر والتقوى ومتصفين بالتناصح، والنصائح إذا كانت مقصوره على الناصحين وولي الأمر ولم تنشر على العامة كانت نافعه ومفيده ، وولي الأمر محتاج لمن يعينه بالتذكير لإن الذكرى تنفع ، جعلنا الله جميعا من المؤمنين ، وولي الأمر قد يعرض له من المشاكل الأمة المعقدة ما يشغله عن بعض الأمور فإذا وفق الله الرجال الصادقين لمعاونته وتذكيره دلّ ذلك على صدق النيه، ولا يخفى أن النصح في السر هو الأنفع والأقرب لحصول أثره ، وكل ما ذكرتم كان موضع أهتمامنا وسوف نولي ذلك ما يستحقه ونعالجه بعد النظر بما يحقق لبلادنا الخير في دينها ودنياها ان شاء الله ، وبلادنا ما قامت ألا على اساس العقيدة التي دافع عنها الاباء حتى سلموها لنا صافية مشرقه، وسوف نحافظ عليها بحول الله ولا نسمح بإن ينتقصها عدو مغرض وسوف تسمعون وترون كل ما يسرّ كل مؤمن أن شاء الله ، وأنتم تعلمون أن بلادنا محسودة على

---

(١) المصدر:حساب بريدة عبر التاريخ في موقع تويتر، اسم المستخدم @hooay_najjd ، تاريخ :١٤٣٦/١٠/٨ هـ . نص التغريدة:خطاب #الملك_فهد (للاخوان) والشيخ حمود العقلاء الشعيبي يشكرهم على النصحية ومشاعرهم واستعدادهم للجهاد أيام غزو الكويت الرابط: http://t.co/Y٥Uxwp٥xp٦

(٢) لم تتضح لي الكلمة، أنظر إلى صورة الخطاب ص ٩٤٣ .

ما فيها من أمن وإستقرار وكثرة خيرات وتماسك بين الأمه ، واعداؤنا كثير ولا يتّم التغلّب عليهم الا بالتعاون ورفض كل ما يسبب الشر أو يبذر بذوره سلمكم الله والسلام عليكم .

اخوكم فهد بن عبد العزيز ال سعود

صور الخطاب

(١)

فهد بن عبد العزيز آل سعود

حضرة الإخوان الكرام من أهالي القصيم الشيخ حمود العقلا وإخوانه الذين
وقعوا على كتابهم سلمهم الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد:

فقد قرأت كتابكم وفهمت ما عرضتم فيه من استيائكم من
عدوان العراق باجتياح الكويت وترويع أهلها وما ترتب على
ذلك من قتل ونهب وتشريد وتخريب. وما أوضحتم بأنكم تفدون
دينكم بالأنفس والأموال واستعدادكم للجهاد وهذا أمر لا يستغرب
منكم فإن أبناء هذا الشعب هم عدته وجنده وهم الذين
بنوا كيان هذه الدولة تحت قيادة مؤسسها الملك عبدالعزيز
رحمه الله ورحم إخوانه الذين شدوا عضده وأيدوه حتى حقق
الله اجتماع الكلمة وترسيخ الأمن والعدل. ونرجو الله
أن يديم علينا نعمة الاستقرار ويكفينا شر الأشرار وكيد
الأعداء الحاقدين.

ونشكركم أيضاً على نصائحكم الدالة على غيرتكم وحبكم للتعاون
على البر والتقوى. ويسرنا قيام إخواننا وأبنائنا بمعاودة
النصائح الهادفة المتأنية بعد النظر والتثبت وملاحظة

فهد بن عبد العزيز آل سعود

مناسبة للأحوال . والناس لا يزالون بخير ما داموا متفاهمين
ومتعاونين على البر والتقوى ومتصفين بالتناصح، والنصائح
إذا كانت مقصورة على الناصحين وولي الأمر ولم تنتشر على
العامة كانت نافعة ومفيدة . وولي الأمر محتاج لمن يعينه
بالتذكير، إن الذكرى تنفع . جعلنا الله جميعاً من
المؤمنين ، وولي الأمر قد يعرض له من المشاكل الأمة
المعقدة ما يشغله عن بعض الأمور فإذا وفق الله الرجال
الصادقين لمعاونته وتذكيره دل ذلك على صدق النية
ولا يخفى أن النصح في السر هو الأنفع والأقرب لحصول
أثره ، وكل ما ذكرتم كان موضع اهتمامنا وسوف نولي
ذلك ما يستحقه ونعالجه بعد النظر بما يحقق لبلادنا
الخير في دينها ودنياها إن شاء الله ، وبلادنا ما قامت
إلا على أساس العقيدة التي دافع عنها الآباء حتى سلموها
لنا صافية مشرقة وسوف نحافظ عليها بحول الله ولا نسمح

بأن ينتقصها عدو مغرض وسوف تسمعون وترون كل
ما يسر كل مؤمن إن شاء الله . وأنتم تعلمون أن بلادنا

(٣)

فهد بن عبد العزيز آل سعود

محسود على ما نحن فيه من أمن واستقرار وكثرة خيرات
وتماسك بين الشعب. وأعداؤنا كثير ولا يتم التغلب
عليهم إلا بالتعاون ونبذ كل ما يسبب الشر وأمر يبذر
بذوره سلمكم الله والسلام عليكم

أخوكم
فهد بن عبد العزيز آل سعود

بسم الله الرحمن الرحيم

الإعلام الجائر على الشيخ حمود بن عقلاء الشعيبي

حفظه الله

٢١ / ١ / ١٤٢٢ هـ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ،نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد .

فإن مما ابتليت به الأمة اليوم ما أخبرنا به النبي ﷺ أن يوسد الأمر إلى غير أهله ، فإعلامنا المقروء و المسموع قد أُوكل إليه أسافل القوم ممن لا يشهد لهم بصلاح ولا استقامة إلا ما ندر ، وإن أتيت على كثير منهم وجدتهم يرددون مالا يفقهون تقليداً للغرب الكافر و تطبيقا لسنة المغلوب المتبع للغالب اتباعا للهوى و الشهوات ولا حول ولا قوة إلا بالله ، ولما كان هؤلاء على ماهم عليه من نفورٍ عن الدين كانت ضراوتهم على أهل الدين اعظم واعظم ، لأن موالاة أهل الإسلام العاملين له يتنافى مع تقاليد الغرب الغالب على هؤلاء ، وتطالعنا ساحة العفن الإعلامي في هذا الوقت وبعد مضي زمن طويل من متابعتها لنشر العربدة والعري والتخلف ونشر الفساد وانحلال الأخلاق وتشتيت عقائد الناس تطالعنا بمدح وثناء لفساق القوم ومروجي الخنى والعهر ممن تغني بآيات الله البينات وبأعظم سورة في القرآن ، يُدَنْدَنُ عليها بأوتار العود ، هذه المعازف والغناء التي قال الله عنهما (ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله) ، فهي ضلال عن سبيل الله ، والمعازف والأغاني بريد الزنا ، ومصدر من مصادر الفسق والفجور ، ثم تجتمع هذه المعزف بآيات الله وكلماته التي أنزلها على عباده سبحانه ، وأي كرامة وأي فضل أن ينزّل الله تعالى كلامه بين عبادة يتلونه أناء الليل وأطراف النهار ثم يأت عربيد عاش بين أوكار الفسق فيتغنى بآياته سبحانه ... !! ، إنه جرم عظيم لا يشعر به إلا من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبيا ورسولاً ، ولم يستنكر على هذا المعتدي عبد الله الرويشد لما تغنى بآيات الله أحد ممن ينتمي إلى هذه الساحات العفنة إلا ما ندر ، والذين لا يستغرب منهم تركهم الدفاع عن شريعة رب العالمين ، لكن المستغرب أن ينخدع من هو محسوب على الخير وأهله خلف شعارات جائرة وعناوين براقة بأسلوب تلوح فيه قلة الأدب ، و ليتهم سكتوا عن شيخ جليل علّم العلم الشرعي ودرّسه ، وخرّج على يديه علماء ووزراء ومسؤولين ودعاة ، دافع عن كتاب الله وتحمل اجتماع أهل الأرض قاطبة عليه إلا ما رحم ربك ، وهذه سنة من هذا العالم المجاهد لله دره ، احتذى بها عن سيد المرسلين وخاتم رسل رب العالمين مُحَمَّد عليه افضل الصلاة والسلام الذي رمته العرب عن قوس

واحدة فصلى الله على نبينا مُحَمَّد وعلى آله ومن تبعه إلى يوم الدين ، وقد خطّأ هؤلاء السفهاء الشيخَ حمود وشنعوا عليه وتجرأوا على أحد أعلام المسلمين إما بجهل أو بخبث ، فلا حول ولا قوة إلا بالله ، وليُعلم أن من أقل الواجب على شباب الإسلام (جيل الصحوة) أن يقفوا مع علمائهم يدافعون عنهم بما أوتوا من قوة ، ولا يفتئوا عن الذب عن أعراضهم في زمن قل فيه النصير إلا من رب العالمين ، وليُعلم أن من أقل ما يبتغى عند الخلاف هو العدل والإنصاف والصدق في القول ، حتى مع غير المسلمين ، فكيف بعلماء المسلمين .

إن إعلام القوم الذي تعودنا منه الافتراء على دين رب العالمين والدفاع عن أهل الفسق وعلى الكذب والدجل على عوام المسلمين .. لا يستغرب منه أن يفتر على أحد رجال الإسلام ، وقد صب جام غضبه على الشيخ الكريم لأنه كفر من أساء للإسلام والمسلمين ، و تحركت من ساسة تلك الساحة العفنة أقلام لم يعهد منها أن تتحرك لنصرة الدين أو الوقوف مع مصالح المسلمين ، إلا مع قلب الحقائق والتلفيق واصطناع المواقف ، فلم تتحرك تلك الأقلام عندما تغنى بالقرآن الكثير من المغنين عليهم لعنة الله !! أين تلك الأقلام عن جراحات المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ؟ أين هي عن مجازر المسلمين في جزر الملوك ؟ أين هي عن نصرة المسلمين في الشيشان ؟ أين هي عن دماء المسلمين في الفلبين ؟ أين هي عن كشمير المستضعفة ؟ أين هي عن نصرة طالبان والتي تعلن صباح مساء أنها على استعداد لنشر الإسلام وسحق الزندقة والإلحاد ؟ أين هي عن إصلاح عقائد الناس وما داخلها من تغير و تشتت في المعتقد وغيره ؟ نسأل الله العفو والعافية .. ولأن الشيخ ثبت على قوله ولم يتزعزع رأينا كيف تجرأ عليه بعض الكّتاب ، لقد ظهروا على حقيقتهم وبان زيفهم وخداعهم ، مهما قدموا من حجج ومهما استبسلوا في الدفاع عن رعونتهم وحماقتهم .

أفتى الشيخ حمود ، قلتم : أين البينة ؟ قلنا : هذه البينة : وهي شهادة الشهود وما نشر في أكثر من جريدة ، قلتم : لا يكفي ، لأنه كلام جرائد ، والشهود مجهولو العدالة ، قلنا : وهذا مقطع من الأغنية المذكورة بصوت المذكور ، قلتم : قد تكون منتحلة ، ومن يثبت أنه الرويشد فعلا ؟ قلنا : هؤلاء يشهدون أنه الرويشد ، قلتم : إن كانوا يسمعون الغناء فشهادتهم باطلة لأنهم فساق ، وإن كانوا لا يسمعون فكيف يشهدون ؟ قلنا : وها قد اعترف الرويشد نفسه بالأغنية ، قلتم : ومن قال إنها نفس الأغنية ؟ قلنا : ها قد ذكر كلاماتها ، قلتم : ولو .. من يثبت إن الرويشد هو المعترف هذا كلام جرائد ؟ ولو قلنا : ها قد خرج الرويشد في التلفاز والقنوات وقد احتضن العود ويغني الفاتحة .. لقلتم : مدبلج ...الدبلجة سهلة ، ولو قلنا : ها قد جاء الرويشد أمام القضاء

واعترف بأنه غنى الفاتحة ، لقلتم : جني تلبس بصورة الرويشد ،والجن يتلبسون بصورة الإنس ، ولو قلنا : جئنا بقارئ يقرأ على (الرويشد) وينفث عليه حتى تأكد أنه ليس جنيا ؟ لقلتم : هذا القارئ مؤيد لفتوى الشيخ (حمود) لذلك لم يقرأ جيدا ، ولو قلنا : وهذا ولي أمر (الجن) قابلناه وسألناه عن (الرويشد) الموجود هل هو أحد رعاياه من (الجن) أو هو (الرويشد المغني) فنفى أن يكون جنيا ، لقلتم : قاله ولي أمر الجن بلا بينة ولا إثبات كفتوى الشيخ حمود ، ولو قلنا قال الله قال رسوله : لقلتم ، ولو قلنا : لقلتم ، ولو قلنا : لقلتم ، فمادام الإسلام موجود سنقول وتقولون ولن تكفوا عن قولكم حتى ينتهي الإسلام ولن ينتهي الإسلام إلا عند قيام الساعة ، مهما قلنا ستقولون ، ورجعنا عودا على بدء .

ومن الذين تكلموا على الشيخ حمود بجهل وخبث وسوء طوية ظهرت في ثنايا ما سطره رئيس تحرير جريدة الرياض (تركي السديري) ، ذلك الاسم القبيح ، والذي إن أردت أن تعرف عنه شيئا فأذكر اسمه في مجلس ما ، وسوف تجد كل من في قلبه إيمان يتغير وجهه ويدعوا عليه ويصفه بأوصاف الخبث والعداء للدين وأهله ، ومقاله هذا الذي تكلم فيه عن الشيخ واضح وضوح الشمس في صورة عداءه للإسلام وقد وصف شباب الصحوة بقوله : من يسمون أنفسهم بجيل الصحوة ، هذا هو العداء للدين حقيقةً .. وقد خول نفسه بأن ينتقد العلماء ويقبل من يشاء ويرفض مِن من يشاء ، وقد رد عليه أبو مُحَّمد جزاه الله خير من الرياض بهذا المقال الذي نشر على الشبكة العالمية الأنتر نت ، لأن صحفنا تحتكر المنبر الصحفي ، وهذا دليل على ضعفهم العلمي وعجزهم عن المجادلة في الحق ولو بلغوا أعلى المناصب ونالوا على أعلى الشهادات ، والشواهد كثيرة .

قال أبو مُحَّمد جزاه الله خيرا:

السفهاء يتطاولون على العلماء

مصيبة أن يخرج علينا من ينتسب إلى الإسلام ويسخر به بل وبكتابهم المقدس.. وتزداد المصبية إذا خرج من ينتسب إلى الإسلام ويدافع عن هذا الجريمة وبكل وقاحة .. تتجلى هذه المصائب في موقف : تركي السديري . مع قضية فتوى العلامة الشيخ : حمود بن عقلا الشعيبي مع المطرب الكويتي : عبد الله الرويشد ، فقد خرج علينا هذا الكاتب مجاهراً بسفهه وجهله مع العلماء في صحيفة الرياض بعددها (١١٩٧٨) في يوم الثلاثاء الموافق : ١٦ / محرم / ١٤٢٢هـ . ومخولاً نفسه حكماً عليهم بكل جرأة ، فلا غرابة .. فهذه من علامات الساعة التي أخبر عنها نبينا_عليه

الصلاة والسلام ـــ من علو الأسافل ونطق الرويبضة ، ففي الوقت الذي يستنكر فيه هذا الكاتب أن يخَول أحد نفسه للفتوى. نجده قد خول نفسه للرد على علم من أعلام المسلمين .ولكن السحاب لا يضره نبح الكلاب.

ولو أني بليت بهاشمي ـــ خؤولته بنو عبد المدان

صبرت على أذاه لي ولكنـــ تعالوا فانظروا بمن ابتلاني

فتاريخ العلامة : حمود بن عقلا الشعيبي حافل بالعلم والتعليم والمجاهدة و المصابرة وقد تخرج من مدرسته ومن بين يديه كبار العلماء وهو ليس بحاجة إلى شهادة أحد ، ويكفيه أنه معلم وشيخ المشايخ ، فقد تخرج من بين يديه العلامة : مُحَّد بن صالح العثيمين رحمة الله – وفضيلة الشيخ : عبد العزيز آل الشيخ مفتي عام المملكة و فضيلة الشيخ : صالح اللحيدان ، وفضيلة الشيخ صالح الفوزان ومعالي الدكتور : عبد الله التركي أمين رابطة العالم الإسلامي ومعالي الشيخ عبدالله آل الشيخ وزير العدل ، فشيخ هؤلاء تلاميذه ، أيقال عنه أنه شخص غير مخول للفتوى؟!! وليتك لم تلغُ في علْم وشموخ الشيخ واكتفيت بتصفيف الأوراق وقراءة الكاريكاتير .. أما الأمور الشرعية فمالك ومالها .. ((قد علم كل أناس مشربهم)) ، وفي هذه المقالة يستنكر : تركي السديري أن تصدر فتوى بتكفير أمثال تركي الحمد وعبد الله الرويشد ..

وباختصار شديد نقول :

إن التكفير حق لله ورسول ، فلا يجوز لأحد أن يقدم على تكفير أحد إلا من كفرة الله ورسوله ألا وإن ممن كفرة الله ورسوله المستهزئين بدين الله جل وعلا . يتبين ذلك بالنفر الذين خرجوا مع النبي صلى الله علية وسلم ـــ للجهاد ثم تلفظوا بألفاظ لم يقصدوا بها الكفر وإنما قالوها ليقطعوا بها عناء السفر فقالوا : ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطوناً وأكذب ألسناً وأجبن عند اللقاء ، فنزل الوحي بتكفير هؤلاء ونزلت آيات تتلى إلي يوم القيامة: ((قل أبا الله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم)) . نزل تكفيرهم وهم خارجون في الجهاد مع رسول الله ضد الكفار .. لا في حفلة موسيقية ماجنة. ولكنه حكم الله .. ((لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم)) أتعيب على الشيخ أن صدع بحكم الله جل وعلا ؟!.. وأنا أكاد أجزم جزماً تاماً أنك لا تفقه في أحكام المرتد في الفقه الإسلامي شيئاً ولكن ظننت المسألة إبداء رأي كما تبديه في الصفحات الفنية والرياضية ورسوم الكاريكاتير ، فمن الجميل أن تعرف قدرك وتلزم حدك و العجب أنك ترد هذه الفتوى من أجل أمرين :

الأول :- أن بعض فقهاء العرب يرفضون هذا التسرع .

فأقول لك : العبرة بالكتاب والسنة وإذ أقام الدليل على تكفير شخص كفره العلماء . ثم أن بعض هؤلاء الفقهاء الذين ذكرت وتحتج بهم استنكروا هدم الأصنام بل حمَلوا أنفسهم عناء السفر من أجل المحافظة على رموز الكفر والشرك ، وبعضهم يقول : إن اليهود والنصارى أخوان لنا ، فإن أردت أن تحتج فاحتج بالكتاب والسنة .

الثاني :- قولك : أن هذا الحكم يعرضنا عبر وسائل الإعلام إلى سخرية الآخرين. فأقول : ليتك سكت واكتفيت ما سبقت الإشارة إلية ، أبمثل هذه الخزعبلات والأحاجي ترد أحكام الله ؟!...أتردها حتى لا تسخر بها بعض وسائل الإعلام .؟!! فمتي كانت هذا الوسائل حكماً على حكم الله ورسوله ؟ والناس أجمعين يعرفون اتجاهات وأهداف بعض هذه الوسائل أما قولك : ولست أفهم ماذا تعني عبارة (جيل الصحوة) .فليتك إذا لم تفهم سكت . ولكنك وضعت عقلك في طبق ودعوتنا لمشاهدته فلم نرى فيه إلا العفن والتطاول على العلماء ، والتحامل على جيل الصحوة ، وعدم الفهم . ثم أعلم أن الشهرة لا تنال على أكتاف العلماء .

إلى القراء : قسوة العبارة جزاءً وفاقاً كما قال تعالي: ((لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم وكان الله سميعاً عليماً)) انتهى .. كتبه أبو مُحَمَّد – الرياض – ١٨ / ١ / ١٤٢٢هـ

المقالات السوداء والخطاب الاقصائي

قال جزاه الله خيرا :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه إلى يوم الدين ، أما بعد : –

فإن المقالات السوداء هي تلك المقالات التي ينتصب كاتبوها لجعل ورثة الأنبياء غرضا يصوبون إليهم سهامهم بحجج واهية ، نهاية مؤداها إسقاط فتوى أهل العلم وفتح باب السخرية بالدين على مصراعيه ، وهذه الحجج لاتقف عند حد لأنها من وحي الشياطين وما زال الشياطين يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا ، فمن قائل : مستعجل ، ومن قائل : فتوى فردية ، ومن قائل تدخل في شؤون الدول الأخرى ، ومن قائل : هذا مخالف للقانون الدولي ، والقائمة لا تنتهي ، إلا أن المتابع يرى أن الجامع بين هذه المقالات أغفلت من صدرت في حقه الفتوى ولم تتعرض له بشيء . ولدى كتابها من الأعذار ما يقولونه ،كما يلاحظ المتابع أن الكلام كان منصبا على من أفتى لا من سكت ، و يلاحظ أن هذا النوع من الفتاوى هو محل النقد ، وأيضا يلاحظ أن غالب هذه المقالات صدرت من أناس ليس لهم سابقة في نصرة هذا الدين أو عرف عنهم التمكن

من علوم الشريعة متدثرين بعبارات منمقة ، وألفاظ رنانة ،ومصطلحات فضفاضة، ناسين أو متناسين أن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم ، وسيلاحظ المتابع الكثير والكثير ،ومما قرأته مقالة عبد الرحمن بن مُحَمَّد اللاحم عنون لها بعنوان الفتاوى السوداء ،كانت بحق هي المقالة السوداء ، وأنا لن أنتصب هنا في مقام المدافع عن الشيخ حمود وفقه الله ونفعنا بعلومه لأمور منها:- أنه ليس في موقف ضعف بل هو يستند إلى قال الله فال رسوله ﷺ ،أن الله قد تكفل بالدفاع عنه والانتقام من شانئيه قال تعلى (إن الله يدافع عن الذين آمنوا ....) الآية ، وقوله : من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب ، إن جميع من كتبوا ينتقدون فتواه ما مقالاتهم هذه إلا ردة فعل لفتواه التي هي ردة فعل لما قام به من صدرت في حقه الفتوى ، فأي الفريقين أحق بالأمن ؟ فأنا في مقام الشفقة على المنتقدين أقرب مني من مقام المدافع عن الشيخ ، وقد عنونت هذه المقالة بهذا العنوان الذي قد لا يكون مرغوبا فيه من البعض لاعتبارات من أهمها :-

١- مقابلة لعنوان اللاحم آنف الذكر ليعلم أن هذا النوع من التعبير كل يجيده ولكن العبرة بالدليل الشرعي .

٢- إذا كانت الفتوى التي صدرت من عالم هو شيخ لبعض المشائخ المعروفين توصف بأنها فتاوى سوداء فإن وصف ما دونها من المقالات ومن ناس نكرات أحق بالمقالات السوداء .

٣- إذا كانت الفتوى التي خرجت مخرج الغيرة على دين الله والذب عن كتابه من شخص فاسق توصف بهذا الوصف المستهجن فإن ما خرج مخرج الذب عن هذا الفاسق هو أحق بوصف السواد .

٤- إذا كانت الفتوى التي اشتملت وبنيت على قال الله قال رسوله وضمنت كلام العلماء من شخص متخصص توصف بالسوداء فإن مالم يشتمل على ذلك ولم يبنى إلا على الهوى والتّخرص أحق بهذا الوصف ، وسيتبين فيما يلي قدر السواد الذي في هذه المقالة (ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فماله من نور) .

قال اللاحم:

قوبلت فتوى الشيخ حمود العقلاء المتضمنة تكفير الفنان عبدالله الرويشد باستغراب من العلماء والمفكرين ورجال الإعلام، وأصبحت الفتوى مادة إعلامية دسمة للصحف السيارة وشبكات التلفزة في الفترة الماضية إلا أنني أعتقد أنه لا مجال للاستغراب من تلك الفتوى . أهـ

وأقول :

هذه مقدمة ولج منها اللاحم لما يصبوا إليه في مقالته ظنا منه أن التقديم بمثل هذه المقدمة سيهيئ القارئ لتقبل اللون القاتم الذي وصفت به هذه الفتوى وأن هذه نظرة العلماء والمفكرين والإعلاميين فيجب عليك أيها القارئ الانضمام للقافلة فلست في الطريق وحدك .

لكن اللاحم فاته ما يلي :-

نسي أن يبين للقارئ من أي الأصناف هو ؟ هل هو من العلماء ومن المراد بالعلماء هل هم علماء الشريعة أم غيرهم ؟ أم هو من المفكرين ؟ أم هو من الإعلاميين؟ أنا لا أظن أن اللاحم من هذه الأصناف كلها . بدليل أن هذه الأصناف قابلت الفتوى باستغراب أما هو فلم يحصل منه الاستغراب بل ليس للاستغراب لديه مجال ، إلا أن يكون فاتهم برتبه.ثم منهم علماء الشريعة الذين هم في مقام الشيخ وكان منهم الاستغراب وأين وجدت كلامهم وما دليلهم من كلام الله وكلام رسوله ﷺ ؟ هذا باعتبار أن العلماء الذين ذكرت أنهم قابلوا الفتوى باستغراب هم من علماء الشريعة ، ولا أظنك تعنيهم بدليل أنك حشرت معهم المفكرين والإعلاميين في فتوى شرعية لا ناقة للإعلاميين فيها ولا جمل وماذا يعني استغراب المفكرين والإعلاميين . في مسألة أنت تنكر على عالم جليل الحديث فيها. مع تحفظي الشخصي على مصطلح مفكرين في هذا السياق ثم هب أن هذا الكلام كان صحيحا وأنا أقول انه صحيح في حق من ذكر، - ما عدا العلماء الربانيين- فإن استغرابهم لا يزيدنا إلا يقينا بديننا وبصحة الفتوى فقد أخبرنا من لا ينطق عن الهوى أن الدين بدأ غريبا وسيعود غريبا كما بدا ، وغربة الدين قديمة وقد تكلم عنها من مضى .

ذكر اللاحم ما نصه:

وعليه فإن المتتبع لفتاوى الشيخ السابقة يلمس بجلاء الخطاب الإقصائي واللغة الأحادية، وبالتالي فإنه لا يستغرب صدور هذه الفتوى من الشيخ حمود،لأنها حلقة جاءت بتسلسل منطقي وهي مهيأة للاستمرار لحالة قد تطال إذا ما ألجمت رموزاً داخل المؤسسة الدينية ذاتها أو قوى اجتماعية أخرى .قد ذكر اللاحم هنا بعض المغالطات التي سنبينها تباعا في المقالات القادمة إن شاء الله .ولكن ما يهمنا هنا قوله (وعليه فإن المتتبع لفتاوى الشيخ السابقة يلمس بجلاء الخطاب الاقصائي واللغة الأحادية) أقول رمتني بدائها وانسلت ، فإن مقالتك هذه هي الإقصائية وأحادية اللغة .

وإليك البيان:

*أولا - هذه العبارة لم تكن مستعملة بين العلماء وإنما كثر الحديث عنها والتعبير بها حديثا من أناس يحملون أفكارا منبوذة مخالفة لما عليه المجتمع لا يستطيعون نشرها في أوساطه مادامت الأبواب

موصدة في وجوههم ، وحيث أن العلماء هم الحصن المانع والدرع الواقي لمعتقد الأمة ينفون عنه انتحال المبطلين لم يجد أصحاب هذه الأفكار إلا مثل هذه الأساليب التي يقصد من ورائها فتح المجال لهم لبث أفكارهم المشبوهة ، ولذا تجد أنها تكثر في خطاب العلمانيين والحداثيين ويكثر تداولها في الصحافة ، ثم سرت هذه العبارة إلى بعض من يسمون بالمفكرين والكتاب المتدينين إحسانا منهم بهذه العبارة رغم أن ما يعنيه هؤلاء الكتاب غير ما يعنيه أولئك العلمانيين ، ولعل اللاحم دخلت عليه هذه العبارة من هذا الباب . ومع ذلك فإننا نقول أن هذا النوع من الوصف لا نهابه ولا ننكره بالجملة فموقفنا منه التفصيل . نعم نقصي الآخرين إذا كانوا دعاة باطل ومروجي فساد ولا نسمع لهم حفاظا على أسماعنا من الحرام وعقولنا من الشبه . وهذا هو منهج سلفنا مع أهل البدع ،بل هو أمر ربنا سبحانه وتعالى (والذين لا يشهدون الزور) ولا يهمنا أن نرمى بهذه الصفة أبدا .أما إن كان المخالف يملك دليلا شرعيا فإن الواجب مناقشته ومحاورته ومعرفة ما لديه وهذه كتب العلماء قديما وحديثا مليئة بهذا النوع من النقاشات والسؤال الآن من أي هذين النوعين ما رميت به الشيخ ؟ أم هناك نوع ثالث فتذكره لنا .وما هو الرأي الأخر الذي أقصاه الشيخ ؟ فلعلك تقصد من يقول أن الله والشيطان وجهان لعملة واحدة . أعيذك من ذلك . وللحديث بقية إن شاء الله ..

ثم رد جزاه الله خيرا على غير هذا فقال :

قال الكاتب :

(ومحصل كلام هؤلاء الفقهاء أن الزنديق هو من يسر الكفر ويظهر الإسلام كيدا للإسلام)

فأجاب قائلا :

ليس الأمر كما توهمت ، فكلام العلماء ليس محصورا في أن الزنديق هو من يسر الكفر ويظهر الإسلام كيدا للإسلام بل كلامهم أشمل من ذلك وإليك البيان :

١- يطلق بعض العلماء لفظ الزنديق على من يقول بخلق القرآن :

(حدثنا سليمان بن أحمد ثنا الحسن بن إسحاق التستري ثنا يحي بن خلف بن الربيع الطرسوسي وكان من ثقات المسلمين وعبادهم قال كنت عند مالك بن أنس ودخل عليه رجل فقال يا أبا عبدالله ما تقول فيمن يقول القرآن مخلوق فقال مالك زنديق اقتلوه فقال يا أبا عبدالله إنما أحكي كلاما سمعته فقال لم أسمعه من أحد إنما سمعته منك وعظم هذا القول) حلية الأولياء .

-٢يطلق بعض العلماء لفظ الزنديق على من أنكر صفة من صفات الله غير الكلام:

(أخبرنا إسماعيل بن إسماعيل في كتابه أخبرنا أحمد بن تميم اللبلي ببعلبك أخبرنا أبو روح بهراة أخبرنا مُحَمَّد بن إسماعيل أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أحمد بن مُحَمَّد الخفاف حدثنا أبو العباس السراج إملاء قال من لم يقر بأن الله تعالى يعجب ويضحك وينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا فيقول من يسألني فأعطيه فهو زنديق كافر يستتاب فإن تاب وإلا ضربت عنقه ولا يصلى عليه ولا يدفن في مقابر المسلمين) سير أعلام النبلاء .

-٣يطلق بعض العلماء لفظ الزنديق على من يسب الصحابة كالرافضة:

(أخبرنا أبو منصور مُحَمَّد بن عيسى الهمذاني ثنا صالح بن احمد الحافظ قال سمعت أبا جعفر أحمد بن عبدل يقول سمعت احمد بن مُحَمَّد بن سليمان التستري يقول سمعت أبا زرعة يقول إذا رأيت الرجل ينتقص أحدا من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق وذلك أن الرسول ﷺ عندنا حق والقرآن حق وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنن أصحاب رسول الله ﷺ وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة والجرح بهم أولى وهم زنادقة) الكفاية في علم الرواية ص٩٧

-٤يطلق بعض العلماء لفظ الزنديق على من سب أصحب الحديث:

(سمعت أبا الحسين مُحَمَّد بن احمد الحنظلي ببغداد يقول سمعت أبا إسماعيل مُحَمَّد بن إسماعيل الترمذي يقول كنت انا وأحمد بن الحسن الترمذي عند أبي عبد الله احمد بن مُحَمَّد بن حنبل فقال له احمد بن الحسن يا أبا عبد الله ذكروا لابن أبي قتيلة بمكة أصحاب الحديث فقال أصحاب الحديث قوم سوء فقام أبو عبد الله وهو ينفض ثوبه فقال زنديق زنديق زنديق ودخل البيت)انظر مجموع الفتاوى٤/٩٦

-٥بل إن بعض العلماء أطلق لفظ زنديق على من عبد الله بالحب وحده:

(وقال بعضهم من عبد الله بالحب وحده فهو زنديق ومن عبد الله بالخوف وحده فهو حروري ومن عبده بالرجاء وحده فهو مرجئ ومن عبده بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن موحد) مجموع الفتاوى ١٠ / ٨١

-٦بل من ادعى في أمر مختلف فيه هل هو حرام أم مباح ؟ أنه قربة لله فهو زنديق:

(ومعلوم في كل عمل تنازع المسلمون فيه هل هو محرم أو مباح ليس بقربة أن من جعله قربة فقد خالف الإجماع وإذا فعله متقربا به كان ذلك حراما بالإجماع كما لو تقرب بلعب النرد والشطرنج وبيع الدرهم بالدرهمين وإتيان النساء في الحشوش واستماع الغناء والمعازف ونحو ذلك مما للناس فيه قولان التحريم والإباحة لم يقل أحد إنها قربة فالذي يجعله عبادة يتقرب به كما يتقرب بالعبادات قد فعل محرما بالإجماع وهذا يشبه التقرب بالملاهي والمعازف فإن جمهور المسلمين على أنها محرمة

وبعضهم أباحها ولم يقل أحد إنها قربة فقائل ذلك مخالف للإجماع وإنما يقول ذلك زنديق) مجموع الفتاوى ٢٧ / ٢٢٩ . فكيف بمن تقرب لله بالتغني بآياته ؟

فهذه عدة اطلاقات للفظ زنديق أطلقها العلماء الأوائل غير ماذكر الأخ . انتهى

وكتب الشيخ الداعية عبدالرحمن بن مُحَمَّد الهرفي جزاه الله خيرا ردا أيضا على المدعو اللاحم فقال :

الأخ عبدالرحمن اللاحم :

لقد أسأت للشيخ حمود حفظه الله في مقالك بالهمز واللمز و أسأت العبارة حتى إنني عجبت من الأخوة القائمين على المنتدى كيف سمحوا بها ، خاصة ذلك العنوان الأسود ولكني سأقف معك فيما كتبت فأقول وبالله التوفيق :إن عامة العلماء وكثيرا من طلبة العلم يعرفون من هو الشيخ حمودالعقلاء ـ حفظه الله ـ فهو شيخ لكثير من كبار علماء المملكة العربية السعودية ـ حفظهم الله تعالى ـ . فهو معروف بعلمه وفضله ـ أسكنه الله الجنة ... آمين ـ .

قلتَ:

قوبلت فتوى الشيخ حمود العقلاء المتضمنة تكفير الفنان عبدالله الرويشد باستغراب من العلماء والمفكرين ورجال الإعلام، وأصبحت الفتوى مادة إعلامية دسمة للصحف السيارة وشبكات التلفزة في الفترة الماضية .

وأقول :

أما إنها قوبلت بهذا الاستغراب من المفكرين ورجال الإعلام فهذا أمر طبعي فمتى عرف هؤلاء بحرصهم على الدين ؟؟ والنفاح عنه ؟؟ أو معرفتهم بأصوله وقواعده ؟؟وأنا أضرب لرجال الفكر بفهمي هويدي مثلا الذي يطالب أن يتفاهم مع من يسب الله ودينه ونبيه ولا يعجل بالحكم عليه وارهابه !! ـ زعم ـ أما العلماء فمن تيقن منهم أن الصوت الذي نشر في الشبكة العالمية هو للرويشد فهو بلا شك سيقول بكفره ، حيث لا عبرة بالمقصد هنا ، ولا عبرة بقصد الكفر أيضا ، وهذا معلوم لطلبة العلم ، وقد قابلت العديد من القضاة وأساتذة الجامعات والمثقفين ؛ وكان قولهم هو نفس قول الشيخ ـ حفظه الله ـ وإن كان هناك عددا ممن توقف في المسألة لسبب واحد وهو عدم ثبوت أن المغني هو الرويشد فقط ـ عند هذا المتوقف ـ . أما كونها مادة إعلامية دسمة ـ كما قلت ـ فلأن الأمة الإسلامية قلّ فيها من يقوم بأمر الله تعالى ـ ولم تعدم ، ولن تعدم بإذن الله تعالى ـ و قد كثرت الفتاوى المميعة للدين والمتسامحة مع من يحارب الله ورسوله ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ ـ .

قلتَ :

إلا أنني أعتقد أنه لا مجال للاستغراب من تلك الفتوى لأنها جاءت ضمن نسق فكري مطرد فهي لا تعدو أن تكون سوى وثبة هوائية من عدة وثبات عودنا الشيخ الجليل أن يتحفنا بها بين الفينة والأخرى وعليه فإن المتتبع لفتاوى الشيخ السابقة يلمس بجلاء الخطاب الإقصائي واللغة الأحادية .

وأقول :

الشيخ الجليل ؟ !!!!! لو كان جليلا عندك لما وصفت فتاواه بالسوداء ، والتأدب مع العلماء واجب وهو لا يلغي النقد المؤدب الرصين، الخطاب الإقصائي واللغة الأحادية عبارات يستعملها بعض الناس للتهويل والتخويف فيقول لك : أنت صاحب لغة أحادية أنت صاحب خطاب إقصائي أنت إرهابي وكل هذا ليدخلك في دوامة الدفاع المستميت عن نفسك ، ويدخلك من حيث تدري أو لا تدري في قفص الاتهام ، فيجعل منك مجرما ، وهيهات أن تنجو منه .

قلتَ :

فتلك الفتوى كانت نتاجاً طبيعياً للدّعاوى التي مازال البعض يطلقها حول تحصين بعض الاطروحات من النقد وتجريم من يتجرأ عليها بالمناقشة أو يهم بالحوار مع أربابها، فهم أضفوا قداسة عليها وعلى أصحابها مما استتبع معه ضمور أدبيات الحوار في بنيتنا الفكرية بوجه عام .

وأقول :

قلت لك فيما سبق إن طرح الفكرة والحوار حولها لا يبغضه أي منصف ، ولكن هو أسلوب الطرح

ووقت النقد، فكثيرون ممن نقد الشيخ خاصة في منتديات الشبكة العالمية كان نقدهم هل تثبت الشيخ ؟؟وهل أدلته كافية ؟؟ فكنت أقول للكثيرين : إن الطرق التي تثبت بها الشيخ كانت كافيه له للحكم ، وأدلته كانت كافيه له . حفظه الله . وكثير منهم خلط بين الفتوى والقضاء خلطا عجيبا ولا قداسة لأحد عندنا معاشر أهل السنة ، ولكن احترام العلماء واجب ، وتقديمهم دين ،والحوار في ديننا له ضوابط وحدود وآداب . ففي ديننا لا يمكن أن تحاور كل شيء وأي شيء مادمت مسلماً ، بخلاف الكافر الذي تدعوه للإسلام فقد تحاوره في وجود الله مثلا ولكن من حاور في هذا من المسلمين كفر . وأخالك تعرف هذا جيدا . والسؤال للمتعلم يختلف عن الحوار والمناظرة .

قلتَ :

ولا يخفى أن في ذلك إيماءة إلى دول قدمت نموذجاً لسيادة الشريعة بأسلوب حضاري، ولكنها لم توافق القالب المترسخ لدى الشيخ في مفهوم الدولة فنزع عنها مجرد الانتماء للشريعة متجاهلاً الأضرار التي قد ينتجها ذلك الخطاب على أمن تلك الدول مما ينعكس سلباً على نسيجها الاجتماعي

وأقول :

العالم الذي يفتي يلاحظ الأضرار بمعناها الأعم الأسمى ، ويراعي قواعد الشرع المطهر ، فلا معني لحفظ النفس وقد ذهب الدين ، وعلى هذا فقس . فمثلا : مهما كانت الأضرار التي سوف تحدث في أمن تلك الدول لا تعادل تحكيم الشرع المطهر ، والأمر كما قال الله تعالى : "والفتنة أكبر من القتل " قال مجاهد : والفتنة هنا الكفر . فأيها أعظم في ميزان الشرع ؟؟؟

قلتَ :

وأعتقد أن الإشكالية العظمى في منهج الفتاوى الفردية أنه يورم الأفراد على حساب المؤسسات والتي هي قوام المجتمع المدني الحديث حيث إن مثل تلك القضايا ذات البعد الجنائي البحت ينعقد الاختصاص في الفصل فيها للمؤسسات القضائية في الدولة حتى يتمكن الطرف المجني عليه في تلك الفتوى من إبداء دفاعه أو يثبت انتفاء التهمة من الأساس ويحفظ حقه المدني بملاحقة المتسبب فيها

بالتعويض عن الأضرار التي لحقت به من جرّاء تلك الفتوى الجائرة .

وأقول:

بلا شك أن الفتاوى الصادرة عن المؤسسات هي أقوى ـ في العموم ـ من الفتاوى الصادرة من أشخاص ، خاصة في هذه الأزمنة التي قل فيها العلماء الموسوعيون ـ كما يقال ـ . ولكنك وقعت فيما وقع فيه غيرك من الخلط حيث إن الشيخ عالم مفتى وليس قاضيا فلا يلزمه ما يلزم القضاة أو دور القضاء ، فهذه الدور لها تنظيماتها الإدارية التي تعمل بمقتضاها . ثم انه سبق وأن صدرت فتاوى بكفر أشخاص من دار الفتوى والقضاء أيام حياة سماحة مفتى الديار الشيخ مُحَمَّد بن إبراهيم آل الشيخ ومن بعده الإمام عبدالعزيز ابن باز ـ رحمهما الله وغفر لهما ـ . فمثلا راجع فتاوى سماحة الشيخ مُحَمَّد بن إبراهيم كتاب المرتد لتعلم أنه كفر أشخاص قالوا عبرات هي أقل مما قال الرويشد،وراجع رد الشيخ عبدالعزيز ابن باز على مجلة عكاظ وكيف وصف كاتب المقال والقائمين على الجريدة،أم أنهما أيضا أصحاب فتاوى جائرة وسوداء ؟؟؟ وصدقتي قد لا أعجب منك إن قلت : نعم ، أما وصفك بأنها فتوى جائرة فهو جور منك وظلم بين ولكن على من ؟؟ على

نفسك التي بين جنبيك فأنت طوال المقالة تهمز وتلمز الشيخ ولم تقل كلمة ردع ولا زجر للرويشد !!!يا أخي هب أن الشيخ أخطأ ، هل خطؤه يقارن بخطأ الرويشد ؟؟؟ أي ظلم ظلمت به نفسك ؟؟إن فعلك هذا يجرئ الرويشد وغيره على التمادي في أفعالهم ، على الأقل يقال : إن فعله خطأ وسيئ يستحق معه التأديب والزجر ، لكنه لم يكفر مثلا، ولكن دافعت عن الرويشد فهنيئا له دفاعك .

قلتَ :

إلا أن الفتوى الفردية تضع ذلك المسكين بين خيارين إما أن يعلن أمام الملأ عن توبته عن جرم هو يعتقد أنه لم يقترفه أو يحزم حقائبه ويهاجر إلى دولة لا تصلها بنادق المحتسبين ..

وأقول :

ألا تجد معي أن الخيارين لهما فوائد ، هب أنه تاب على الملأ ألا يجعل هذا غيره يتأدب ؟؟ ويفكر عدة مرات قبل الخوض في آيات الله ؟؟ ولو أنه حزم حقائبه فإن الله تعالى له بالمرصاد ، ولا يخفاك أين كان رشاد خليفة ، ولكن الله كان له بالمرصاد .ولا يخلوا بلد مسلم من رجل يحب الأجر ويرجو الجنة .كثر المحتسبين على أهل الفجور.

قلتَ :

بل إن صاحب الفتوى قصر الخيارات على خيار أوحد فأغلق باب التوبة وأبى إلا أن يؤتم أبناءه ويرمل امرأته " التي بانت منه بمجرد الفتوى " فقضى عليه بالقتل بلا استتابة !!! .

وأقول :

مسألة استتابة المرتد مسألة خلافية بين العلماء فأوجز لك فيها القول: الإجماع على أن ساب النبي ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ ـ لا يستتاب ، لأنه حق بشر .وقع الخلاف في غيره فذهب الجمهور إلى أن غير ساب النبي يستتاب ، فأن تاب وإلا قتل وفصّل غيرهم فقالوا : إن كان فعله يوصله لحد الزندقة فلا يستتاب ، وإلا يستتاب وهناك من ذهب لعدم استتابة المرتد مطلقا لحديث آبي موسى الأشعري ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.والذي يظهر لي أنك لم تفهم معنى لا يستتاب حيث قلت : فأغلق باب التوبة . وهذا شيء مضحك !!لأن الاستتابة معناها : أن يقال له تب من فعلك وإلا قتلناك أما باب التوبة بينه وبين الله فمفتوح لا يغلق إلا بالغرغرة أو خروج الشمس من المغرب أما المشهد العاطفي الذي ذكرته فلا قيمت له في الشرع ، حيث إنه لو اعتبر لما أقيم حد على أحد من الناس فللقاتل أبناءٌ وزوجةٌ مسكينةٌ وكذا المحارب ، بل حتى الحربي الذي يقاتل المسلمين .والأصل عندنا معاشر المسلمين هو قول الله تعالى :" ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم

تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين" أما كون زوجته بانت منه فقد بانت بفعله هو لا بفعل الشيخ .

قلتَ ـ أصلحك الله ـ :

وإذا قرأنا فتوى الشيخ حمود من خلال قواعد القانون الدولي ، فإننا نجد فيها قفزاً على مسلمات وأعراف دولية، فنجد أن من أهم قواعد القانون الدولي الاعتراف لكل دولة مستقلة بالسيادة بكل أبعاد ذلك المصطلح سواءً كانت سيادة تشريعية أو قضائية أو سياسية فالفنان عبدالله الرويشد يقطن في دولة لها مؤسساتها وعلماؤها ومرجعيتها .

وأقول :

وهذه هي الطامة الكبرى!! فإن القانون الذي تذكره سماه سماحة الشيخ عبدالعزيز ابن باز طاغوتا لما ذكروا أن الإمارات تنوى محاكمة إيران له ، فارجع لذلك إن شئت ، وكل قانون لا يصدر عن شرع الله فهو طاغوت ، وقد سمى سماحة الشيخ مُحَمَّد بن إبراهيم القوانين الأمريكية والفرنسية وغيرها بالقوانين الكفرية، ولكن قد يكون الشيخان أصحاب فتاوى سوداء جائرة مثل تلميذهما —عند الكاتب – ثم إن سماحة الشيخ حمود طلب من دولة هذا الرجل أن تنفذ فيه حكم الله ، ولم يتعد السيادة القضائية كما تزعم ، فقد قال ـ أسكنه الله الفردوس العلى من الجنة ـ : ((ويجب على ولي أمر البلد التي ينتمي إليها هذا المرتد وامثاله أن ينفذ فيه حكم الله تعالى وهو القتل)) وكم من عالم أفتى بفتاوى تعلق بدول أخرى ، ولم يجد من يعارضه ولا يتعداه ، فمثلا أفتى كثيرين بمنع هدم أصنام بوذا وهي واقعة تحت حكم دول طالبان فلماذا لم يشنع عليهم ؟؟ ولماذا لا يقال أنه تدخل في سياسة دولة لها دور القضاء والفتوى ؟؟ ولكنه الكيل بمكيالين ..

قلتَ :

وإنّ تجاوز كل تلك الأمور كفيل بأن يسمم علاقة بين قطرين اتسمت بالحميمة طوال عقود مضت

وأقول :

الذي أجزم به أن بين المملكة العربية السعودية وهي بلد الشيخ المفتي حمود ودولة الكويت وهي بلد الرويشد علاقة أقوى من أن تسمم بسبب مثل هذه الفتوى ،فلا عليك اطمأن .

قلتَ :

إن صدور مثل تلك الفتوى إنما ينم عن وجود تيار عريض ما زال عاجزاً عن الانخراط في المجتمع المدني ومؤسساته،وأضحى حبيساً لجزر فكرية داخل الدول ذاتها .

وأقول :

وجود تيار لا يريد الانخراط في المجتمع المدني ليس خطأ محضا فقد يحبذ بعض الناس اعتزال المجتمع بكل مؤسساته ، وقد ورد مثل هذا في السنة المطهرة ، وقد يجب اعتزال الناس في بعض الأزمنة والأحوال .

قلتَ :

وهنا يأتي دور رجال الشريعة وعلماء النفس والاجتماع في التصدي لمثل تلك الإشكالية التي قد تعرقل مسيرة التنمية والتطور الحضاري للدول وتبعث من جديد جماعات كنا نظن أنها أصبحت في ذاكرة التاريخ .

وأقول :

بلا شك على رجال الشريعة واجب عظيم في التصدي لمثل هذه الردة الجماعية الني تنكب بها الأمة بين الفينة والأخرى ،وعلماء النفس والاجتماع ممن ترى على الشرع . لا على نظريات دارون . عليهم واجب كبير في معالجة أصحاب الأمراض النفسية ممن يبحث عن الشهرة وراء الرد على الناس بقصد إسقاطهم ، وغيرهم من أصحاب الأمراض الأخرى التي تبعد أصحابها من دين لله جل وعلا .

في ختام المقالة آمل من الكاتب أن يتحلى بقليل من الإنصاف ، وليته لم يلمز واكتفى بالرد العلمي وكذا لو تناول فعل الرويشد بشيء من البيان لخطره على الرويشد وعلى الأمة الإسلامية . انتهى

وكتب الأخ الفاضل أبو علي الأزدى ردا قال فيه:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

هذه بعض الاستدراكات والمآخذ المعتبرة على ما كتبه عبد الرحمن المسلم من نقد لفتوى الشيخ العلامة حمود العقلاء حفظه الله في تكفير المغني الرويشد :

يقول عبد الرحمن المسلم كاتب المقال :

" وأنا هنا أتساءل هل هذا سؤال أما جواب كامل !!!! "

الجواب : من حق صاحب السؤال أن يطرح سؤاله بالصيغة التي يراها الأنسب لما يتضمنه السؤال ، والاعتراض على ذلك تسلط لا يليق !!

قال :

" وهل يجرؤ من ألقي إليه السؤال بهذه الصيغة أن يرد على صاحبه بما لايوافقه" .

الجواب : يرد بمالا يوافقه إن كان يراه على خطأ ، أما وهو يراه ينطق بالحق فكيف يرد عليه ما يراه هو نفسه وصفا صحيحا ؟؟ ورحم الله الإمام مالك عندما قال لما سئل عن الغناء :((إنما يفعله عندنا الفُسَّاق)) وسماه الإمام الشافعي دياثةً فقال ((هو دياثة ، فمن فعل ذلك كان ديُّوثاً))
فكيف إذا انظم مع الفسق الاستخفاف بشيءٍ كلام الله ؟؟

قال :

لست أدري كيف خلط الشيخ هنا بين اليهود والنصارى و المنافقين والعلمانيين والزنادقة ، وبين المغنين " .

الجواب : أولا : الشيخ لم يخلط بل ذكر أن الاستهزاء بالدين لا يصدر إلا عمن ذكرهم ، وهو أمر مشاهد معروفٌ حتى قبل أن يذكره الشيخ . ثانيا : لا أدري كيف غفل الكاتب أو تغافل عن قول الشيخ " من يهود.. الخ " وكل من له إلمام باللغة يعرف أن (من) هنا في كلام الشيخ هي التبعيضية.. أي بمعنى أن بعض المغنيين والصحفيين يستهزئ بالله وآياته ورسوله.

قال :

" فهل كل مغنٍ هو مستهزئ بالله وآياته ورسوله !!!!!!!! " .

الجواب : أولا : كيف تلزم الشيخ بأن كل مغنٍ هو مستهزئ بالله وآياته ورسوله ؟؟ وقد قدمت لك أن (من) في كلام الشيخ هي التبعيضية !! ثانيا : وبناء عليه ، فهذا الإلزامٌ باطلٌ ، وهو إلزام للشيخ بمالا يلزمه أبدا ، وكل ما قاله الشيخ أن الاستهزاء لا يصدر عادة إلا ممن ذكرهم ، ولا يعني هذا أبدا عند العقلاء العارفين بلغة العرب أنه يلزم منه أن جميع المغنين مستهزئين !!

قال :

" والأغرب من ذلك هو ضم الصحفيين لتلك الطوائف " . ويجاب عن هذا الكلام بما ذكر أعلاه ، كمالا ينكر منصفٌ وجود الاستهزاء عند بعض الصحفيين صريحا كان أو غير صريح .

قال :

فكيف أصبح الاستهزاء بالله وآياته ورسوله خلق تخلق به الصحفيون " .

الجواب : قد أوضحت لك أن (من) في كلام الشيخ هي التبعيضية وهذا الخطأ هو تكرارٌ لما تقدم ، وهو مبني على الفهم الخاطئ والمتسرع لكلام الشيخ .

قال :

وليته يخبرنا ماذا تعني الألف واللام في قول(الصحفيين) !!!!!

الجواب : أولا : أقول لعبد الرحمن المسلم : اتق الله !! وانقل كلام الشيخ كما ورد في الفتوى بدون تحريف أو إضافة !! والشيخ إنما قال : (وصحافيين) ولم يقل (الصحفيين) فمن أين جئت بالألف واللام التي حشرتها من عندك ؟؟ ثم رحت تسأل الشيخ عن معناها ؟؟ ولو كان ما جاء في فتوى الشيخ ورد بهذه الصيغة : (فإن الاستهزاء بالله وآياته ورسوله خلق تخلق به أعداء الإسلام اليهود والنصارى والمنافقين والعلمانيين والمغنين والصحافيين ..) لكان لكلام المعترض وجهٌ من الصحة ، وبما أن الأمر عكس ذلك ، فإن ما ذكره المسلم هو تقويلٌ للشيخ بمالم يقله ، وإلزام باطلٌ بما لا يلزمه ، فليتق الله !!

قال :

من هم هؤلاء الذين عملوا على نشره ؟؟ ومن هم هؤلاء السفهاء ، الذين تبيّن كفرهم من (فعلهم)

الجواب : ألحظ على هذه الأسئلة (التسدُّج) المتعمد !! وإلا فكلام الشيخ واضح بحمد الله وهو أن أعداء الإسلام الذين يتربصون به الدوائر لم ينفكوا عن التشجيع على نشر الإلحاد والكفر والاستهزاء بشعائر الدين ، فضلا عن التمكين لأهل الفسق ودعاة الرذيلة من مغنين وغيرهم ، وأن من هذه

صفتهم فإن لهم التمكين والصدارة في كثير من البلدان .

ثم قال :

والذي دفعهم لذلك حب الاشتهار وتكثير المال دفع من ؟؟ ثم إن مسألة حب الاشتهار مسألة قلبية

الجواب : أما كون حب الاشتهار مسألة قلبية فهذا صحيح لكنها كلمة حقٍ أريد بها باطل !! وإلا فإن لم يكن هؤلاء المستهزؤون من المغنين بدين الله يعملون ما عملوه بدافع حب الاشتهار وتكثير المال ، فبأي دافعٍ إذا تجرؤا على ذلك ؟؟

ثم قال :

(حتى انزل الله فيهم كتابا يتلى إلى يوم القيامة إذ يقول سبحانه (ولئن سألتهم ليقولون إنما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم).. أنزل في من ؟؟؟

الجواب : واضح لطالب الحق أنها نزلت في كل مستهزئ ساخرٍ بشيء من دين الله ، فلمَ السؤال ، وكلام الشيخ في الفتوى واضح مفصلٌ في ذلك ؟!

ثم قال :

: ثم إن من أنزلت فيهم الآيات ، ما كانوا يريدون الاشتهار وتكثير المال " .

الجواب : لو قرأت كلام الشيخ كما ينبغي لما قلت ذلك !! وبيان الأمر لك أن الشيخ بعدما تكلم عن السفهاء من المغنيين الذين تبين كفرهم من فعلهم باستهزائهم بشيء من دين الله ، ثم ذكر أن ما يدفعهم لذلك هو حب الاشتهار وتكثير المال (كما هو مشاهد في الواقع) قال الشيخ عقب ذلك : " حتى انزل الله فيهم كتابا يتلى إلى يوم القيامة " فقوله " فيهم " الضمير يعود على من ؟؟ لا يتردد منصفٌ في أنه يعود على كل مستهزئ بدين الله إلى يوم القيامة مغنيا كان أو غير مغني ، والآية العظيمة التي ذكرها الشيخ وإن كان المخاطبون فيها هم أولئك النفر ، إلا أن حكمها دائم إلى يوم القيامة فكل من استهزئ بشيء من دين الله فهو كافر سواء كان الدافع له هو البغض لدين الله أو اللهو واللعب ، أو الاشتهار ، أو طلب حضوض الدنيا أو غير ذلك .

إلى أن قال :

(ولا يشك عاقل أن ما يقوم به هؤلاء من تلحين وغناءٍ لآيات كتاب الله سبحانه وتعالى من الكفر الصراح) من هم هؤلاء ؟ هل يقصد العلمانيين واليهود والنصارى والصحفيين والمغنين الذي سبقت الإشارة إليهم في أول الكلام ؟؟!! .

الجواب : قد عاد عبد الرحمن المسلم إلى تكلف التسذّج للإيحاء بعدم وضوح كلام الشيخ ، وإلا فإن أي عاقل يقرأ قول الشيخ " من تلحين وغناءٍ لآيات كتاب الله " يدرك وبجلاء من يقصد الشيخ بقوله الفائت !!

ثم قال :

وإنما محل النزاع هو ما حكم غناء أبيات ضمت بعض آيات من القرآن الكريم ؟؟؟؟ " .

والجواب : هذا الكلام ليس بصحيح وليس بمحل نزاعٍ بين العلماء بل هو محل إجماع !!ومعلومٌ أن المغني قد افتتح الأغنية والآلات الموسيقية تصدح بجواره بموّال يبدأ بآيتين تامتين ، وهما الآيتان الثانية والخامسة من سورة الفاتحة والتي عدد آياتها سبعٌ كما هو معلوم، وقد أجمع أهل الإسلام علىوجوب احترام كلام الله وتعظيمه وصيانته عن كل عيب ونقص ومن أسقط حرمته ومهابته فهو كفرصريح والعياذ بالله ، ولا يشك من رزقه سلامة البصيرة أن من أعظم أنواع الاستخفاف بالقرآن والاستهانة بحرمته افتتاح الغناء بالات اللهو ببعض آيات من القرآن ، قال تعالى (إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ (١٣) وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ (١٤)) فكل من اتخذ شيئاً من آيات القرآن للهزل والغناء والرقص والطرب فقد اتخذها هزواً ولعباً .

ثم قال :

فهو لم يغن القرآن بل غنى أبياتاً ضمّنت بعض آيات القرآن وهي آية واحدة ، إياك نعبد وإياك نستعين " .

الجواب: سبق الرد على أول الكلام بما يغني عن إعادته ، أما قولك بأنها آية واحدة فهذا الكلام ليس بصحيح ، وهذا أمر عجيب للغاية أن يخطئ مسلم في عد آيات الفاتحة !!!

ثم قال :

بمعنى اعتبار القصد هنا .... الخ " .

الجواب :القصد المعتبر شرعا في التكفير هو قصد الفعل المكفر لا قصد الكفر به ، وهو ما عبر عنه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بقوله (وبالجملة فمن قال أو فعل ما هو كُفْر كَفَرَ بذلك، وإن لم يقصد أن يكون كافراً، إذ لا يقصد الكفر أحدٌ إلا ما شاء الله) .

ثم قال :

وهو جاهل بحكم غناء الأبيات التي ضمّنت آياتٍ من القرآن ، فهل مثل هذا حقه أن يكفر ويخرج من الملة ويوضع في صف اليهود والنصارى ، أم كان حقه أن يعلّم وينصح ؟؟؟؟؟؟" .

الجواب : أكتفي في الرد على هذا الكلام بما قاله الإمام مُحَّد بن عبد الوهاب رحمه الله . كما في الدرر السنية . عمن نطق بكلمة الكفر ولا يعرف أنها تكفّره : (وأما كونه لا يعرف أنها تكفره، فيكفي فيه قوله «لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم» التوبة ٦٦، فهُم يعتذرون من النبي صلى الله عليه وسلم ظانين أنها لا تكفرهم . والعجب ممن يحملها على هذا وهو يسمع قوله «وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا» الكهف ١٠٤، «إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون أنهم مهتدون» الأعراف ٣٠، «وإنهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون » الزخرف ٣٧، أيظن هؤلاء ليسوا كفاراً؟، ولا تستنكر الجهل الواضح لهذه المسائل لأجل غربتها) .

ثم قال :

لا يصح وصف المغنى الفاسق بالزنديق " .

الجواب :قد ذكر الشيخ في الفتوى أنه اصبح بفعله هذا أي بغناءه ببعض آيات الفاتحة زنديقا ،والزنديق هو من يظهر الإسلام ويبطن الكفر ، وهذا ما عمله الرويشد فقد أنكر في البداية أنه تغنى بالفاتحة ، وادعى أنه مسلم ، ثم عاد بعد مدة فأقر بذلك وزعم أنه لم يكن يقصد ذلك .. ثم بعد ذلك زعم أنه تاب .. الخ !! فهذا هو الزنديق وهو الذي ظهر لنا مما يخفي مما ينقض دعواه بأنه مسلم ، ارجع إلى ص ١٠

ثم قال :

ثم إن القول بأن الزنديق لا تقبل توبته عند العلماء ،كلمة لا خطام لها ولا زمام فالعبارة فيها تعميم مخل بالمعنى فالتوبة تقبل مالم يغرغر أو تخرج الشمس من مغربها فإن أراد لا تقبل عند الناس ،، فهذا

تدليس لا يليق "

الجواب :بل كلامك والله هو الذي لا خطام ولازما، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : (والفقهاء متنازعون في قبول توبة الزنديق فأكثرهم لا يقبلها وهو مذهب مالك وأهل المدينة ومذهب أحمد في أشهر الروايتين عنه وهو أحد القولين في مذهب أبي حنيفة ووجه في مذهب الشافعي والقول الآخر تقبل توبته وقد اتفقوا على أنه إذا قتل مثل هذا لا يقال قتل ظلما) أهـ فليس المقصود من التوبة ما توهمته أنها التوبة التي بين العبد وربه ، بل المقصود هو : هل تقبل منه التوبة إذا ادعاها ؟؟

والشيخ حفظه الله اعتمد ما عليه الأكثر . كما أشار إليه شيخ الإسلام . فكيف يقال له مثل هذا الكلام السيئ ؟؟ ولو أنصفنا ، فكلامك هو الأحق بهذا بوصف أنه لازمام له ولا خطام ، وأنه تدليس لا يليق !! فضلا عما في عبارة " فهذا تدليس لا يليق " من تعريض وسوء أدب لا يليق أن يقال لعالم جليل تكلم بعلم وحجة !!

ثم قال :

أليس في التضمين شبة ؟؟ أليس في الجهل شبهة ؟؟ والنبي ﷺ يقول : ادرأوا الحدود بالشبهات "

الجواب :الحكم بردة من ثبت استخفافه بكلام الله هو حكم شرعي واجب التطبيق وليس حدا ، وإنما الحد هو قتله ، وطالما أنه قد ثبت فعله لما أجمع أهل العلم أنه كفر وردة فوجب على من بيده السلطة أن ينفذ فيه حكم الشرع ، ولو سلمنا جدلا بصحة كلامك : فلماذا لم يدرأ النبي صلى الله عليه وسلم الحكم بالكفر عن الذين قالوا للنبي ﷺ وأصحابه : (ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطوناً ولا أكذب ألسناً ولا أجبن عند اللقاء) مع أن ظاهر الآية التي نزلت في بيان كفرهم يدل أنهم كانوا من قبل مؤمنين فكفروا بالاستهزاء الذي يعلمون حرمته ولكن لم يظنوه كفراً .((لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم)) هذا مع انهم خرجوا غُزاة وقد تركوا أولادهم و أزواجهم وأهلهم وأوطانهم وفي وقت شديد الحر وشديد العطش ، ومع هذا لم يشفع ذلك لهم وحُكِم عليهم بالكفر الأكبر ، وقد كانوا أولى بالعذر من غيرهم لكن مع ذلك كفَّرهم الله من فوق سبع سموات ، ولم

يشفع لهم اعتذارهم بالجهل أن ما فعلوه من الكفر ، وعدم قصدهم للكفر ، وأنهم إنما كانوا يخوضون ، ويلعبون فحسب !!

وفي الختام : أنصح عبد الرحمن المسلم أن يتقي الله ولا يتسرع بالانتقاد إلا بعلم ، وإدراك وفهم لكلام من ينتقده ، كما أسأل الله عز وجل أن يبارك لنا في عمر العلامة الشيخ حمود العقلاء وعلمه ، والله تعالى أعلم ، وصلى الله على نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم ... أبو علي الأزدي .. انتهى

وهذا بيان من طلاب الشيخ حمود حفظه الله حول تكذيب الرويشد والإعلام للأغنية والتي ظهرت وسمعها الناس ..

بسم الله الرحمن الرحيم

بيان من طلاب الشيخ حمود بن عقلاء الشعيبي حول تكذيب الرويشد وافتراء الصحف وغيرها

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد

فقد حاول ضعاف النفوس وجمع من المنهزمين والمتخاذلين وبعض من الصحف المغرضة الشانئة تشويه سمعة الشيخ المجاهد شيخنا العلامة حمود بن عقلاء الشعيبي حفظه الله ، كما حاول بعض الجهلة من خلال شبكة الإنترنت وغيرها من وسائل الإعلام في الداخل والخارج توظيف ما جرى حول تكذيب الفتوى في محاولة للنيل من الشيخ حفظه الله ، بترديد لأباطيل وأقاويل تلوكها ألسنتهم وتخطها أقلامهم والله سبحانه يقول (ولتعرفنهم في لحن القول) من وصف قيام شيخنا بما أوجب الله عليه وعلى غيره من العلماء من الصدع بالحق ومبادرته في التصدي لأهل الباطل وأخذه زمام الإقدام في ذلك ، يقول سبحانه وتعالى (وإذ اخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون) .، ووصفهم لجهاد الشيخ الذي لا يروق لهم .. أن ذلك من الاستعجال وعدم التثبت ، والله سبحانه يقول (ولولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا وقالوا هذا أفك مبين) ويقول سبحانه (ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم) الآية .

وما قام به الشيخ حفظه الله تعالى هي منحة منحاها الله سبحانه إياه من التوفيق إلى أن يقوم بجهاد الكلمة وبشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهي سنة الله سبحانه في المجاهدين الصادقين ، وهذا الطريق لابد فيه من الأذية ، قال تعالى (لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا)

وإن من سنن الله سبحانه وتعالى التمييز بين أهل الحق والباطل يقول عز وجل (ماكان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب) .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في أول الجواب الصحيح : ومن أعظم أسباب ظهور الإيمان والدين وبيان حقيقة أنباء المرسلين ظهور المعارضين لهم من أهل الإفك المبين ، قال تعالى : (وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الأنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون) إلى أن قال : وذلك أن الحق إذا جحد وعورض بالشبهات أقام الله تعالى له مما يُحق به الحق ويُبطل به الباطل من الآيات البينات بما يظهره من أدلة الحق وبراهينه الواضحة وفساد ما عارضة من الحجج الداحضة .. اهـ .

وإن من حكم الله العظيمة أنه سبحانه إذا أراد لأحد من المخلصين رِفْعة يسر له أسباب العزة والرفعة من حيث لا يشعر ولا يحتسب ، ولله في خلقه شؤون ، يقول سبحانه وتعالى (إن الذين جاؤا بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم ..) .

أما بعد ..

فإن الأدلة التي حكم الشيخ من خلالها بردة المغني الرويشد ثابتة صريحة ، وهي ما يلي :

١ – من خلال الشهود الذين رأوه وهو يتغنى بالقرآن في القناة الكويتية الرابعة وذلك في يوم الثلاثاء ٢٨ / ١١ / ١٤٢١ هـ قبيل منتصف الليل بربع ساعة .

٢ – من خلال التسجيل الصوتي والذي شهد به الثقات ممن يعرف صوته أنه هو .

٣ – ما نشر في جريدة الوطن الكويتية في ١ / ١٢ / ١٤٢١ هـ بقلم الكاتب الصحفي مبارك شافي الهاجري جزاه الله خيرا حيث شاهد واستمع للمغني وهو يقوم بذلك ، ثم كتب مقالا بعنوان (هذا غناء القرآن إن كنتم تعقلون) مطالبا بإيقاف هذا العبث .

٤ – ما نشر في صحيفة الأنباء الكويتية بتاريخ ٢٨ / فبراير / ٢٠٠١ م ، وقد حذر الكاتب فيه من مغبة تغني الرويشد لآيات سورة الفاتحة .

٥ – ما نشر في جريدة النخبة عدد ١٣٣ في ٢٢ / ١٢ / ١٤٢١ هـ حيث طالبت الصحيفة وفق الله أهلها للخير ، واستنكرت تغني الرويشد بالقرآن .

٦ – سماعنا للأغنية من خلال شريط الكاسيت بصوته وهو يغني على العود صدرا من سورة الفاتحة .

أخيرا ..

نبشر الشيخ حمود حفظه الله تعالى بأن الله رفع منزلته بتصديه لأهل الباطل وقمعه إياهم ، فحُق له ما قيل فيه من أنه سلطان العلماء وتاج المجاهدين وأسد الفتاوى ، قال تعالى (.. وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير) وقال تعالى (إن الله يدافع عن الذين آمنوا) وقال تعالى (وإن جندنا لهم الغالبون) وقال تعالى (كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز) .

نسأل الله سبحانه إن يعزه ومن ناصره وأن يخذل الحاقدين والمنهزمين وأعداء هذا الدين .

وصلى الله على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين

كتبه طلاب الشيخ في الداخل والخارج

٧ / ١ / ١٤٢٢ هـ

انتهى ما كتبه طلاب الشيخ ..

ولئن وقف بعضهم مع زعامات العلمنة في خندق واحد للدفاع عن الطواغيت وامثالهم فإن ذلك في احسن أحواله سذاجة وجهل واضح ، إن الرجوع للحق وعدم التمادي والتكابر ليعد مفخرة لمن تنكب هذا الطريق ، وليس من الغريب على من تعلم الشريعة أن يكون ديدنه عدم التمادي في الباطل ، ولكن الغريب أن يقف في صف من عرف عنه الصد عن دين الله واتباع الأهواء والشهوات ، وإننا بهذا التوضيح لنرجوا من الله العلي القدير أن يوفق الشيخ حمود وغيرَه من العلماء لما يحبه ويرضاه ، وأن يجعلهم ممن يقولون كلمة الحق لا يخافون في الله لومة لائم ، وأن يجعلنا هداة مهتدين غير ضالين ولا مضلين ، وأن يهدينا إلى ما اختلف فيه من الحق بإذنه إنه على كل شيء قدير ، ونسأل الله تعالى أن يهدي ضال المسلمين وأن يرده إليه رداً جميلاً ، وأن يهدي ويصلح من وقف ضد الشيخ ، وأن ينصر دينه ويعلي كلمته إنه على كل شيء قدير ، وصلى الله نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين

٢١ / ١ / ١٤٢٢ هـ

اعتذار جريدة الرياض للشيخ حمود بن عقلاء الشعيبي(١)

إنقاذ لقرار اللجنة الابتدائية للنظر في المخالفات الصحفية رقم ٥٨ لعام ١٤٣٠هـ وخطاب وزارة الإعلام رقم٣٤٥٣٩ وتاريخ ١٤٣٦/١٢/٢٨هـ .

تعتذر جريدة الرياض للشيخ حمود بن عبد الله بن عقلاء الشعيبي عما ورد في مقالين المنشورين في الجريدة بعنوان (الإرهابيون و الفتاوى الطالبانية) بتأريخ ١٤٢٧/٦/٣ و(ليس تطرفا ولكنه تكفيرا) بتأريخ ١٤٢٧/٦/١٠ واللذين تضمنا تعريضا بالشيخ وانتقاصا من قدره ومكانته العلمية والاجتماعية كما تضمنا نقدا غير مبرر وتحاملا في الطرح على الشيخ رحمه الله .

حيث من المعلوم أن الشيخ قد أفنى عمره في تعلم العلم الشرعي وتعليمه على مذهب السلف الصالح من أهل السنة والجماعة لما يزيد على خمسين عاما ودرس على يديه معظم أعضاء هيئة كبار العلماء .

وامتدادا لهذا الاعتذار تعتذر جريدة الرياض لعائلة الشيخ رحمه الله عما سببه هذان المقالان من جرح لمشاعرهم وسبب لهم الضيق والحرج .

---

(١) نشرت جريدة الرياض البيان في تاريخ: ١٤٣٧/١/٧ هـ

سؤال حول قول الشيخ حمود " ترك الجهاد كفر"

في لقاء قديم أجراه الشيخ عبد الرحمن الهرفي مع الشيخ العلامة حمود بن عقلاء الشعيبي جاء فيه.
ما حكم ترك الجهاد الذي نراه في هذا الزمان واتهام المجاهدين أنهم ارهابيين ؟
ترك الجهاد كفر لقوله ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ ـ .... حتى تراجعوا دينكم " فهذا يدل على أن ترك الجهاد كفر ـ والعياذ بالله ـ ثم إن الأمة إذا تركت الجهاد وأعرضت عنه وتركت الأعداء يعيثون في بلاد المسلمين الفساد ثم لم تقم ولم تجاهد فهؤلاء خرجوا عن دينهم لأن الرسول ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ ـ قال : حتى يراجعوا دينهم ، فالجهاد لم يوصم من قبل المسلمين في العصور السابق بأنه إرهاب أو اعتبروا المجاهدين إرهابيون والسبب لا يخف على من له أدني بصيرة .
هل من توجيه لكلام الشيخ رحمه الله؟
حيث سيستغل بعض مرضى القلوب من ادعياء السلفية مثل هذه الأقوال و يقولوا عن الشيخ أنه خارجي تكفيري.... كما هو معلوم.

الجواب على كلام الشيخ رحمه الله على أوجه :

الأول : أن الشيخ حمود رحمه الله مسبوق بقول ابن النحاس في التكفير بترك الجهاد (مشارع الاشواق ١/ ١٠) قال رحمه الله : ودل قوله ﷺ (حتى ترجعوا إلى دينكم) على أن ترك الجهاد والإعراض عنه والسكون إلى الدنيا خروج عن الدين ومفارقة له وكفى به ذنبا وإثما مبينا . اهـ

الثاني : التذكير بنقل ابن تيمية للإجماع على أن الطائفة الممتنعة عن شريعة من شرائع الإسلام فإنها تقاتل عليها وذكر منها الجهاد ، فالطائفة ذات الشوكة والمنعة إذا امتنعت عن إقامة شعيرة الجهاد فإنها تقاتل عليها ، والخلاف في النوافل فقط .

الثالث : كلام الشيخ الشعيبي في كفر العموم ، وهذا التكفير تجده في مسائل أخرى أقل من مسألة الجهاد ، والاحناف من أكثر الناس تساهلا في ذلك ، وقد عدوا من قال (مسيجد ومصيحف كافر) وصاحب الإقناع أوصل مسائل التكفير التي يكفر صاحبها إلى أربعمائة مكفر (الدرر السنية ٨ / ١٨٩ ، ١٠/٨٥) .

أما الأفراد بأعيانهم فلا يكفرون حتى تكتمل الشروط وتنتفي الموانع ، كما ذكر أئمة الدعوة ان الشخص بعينه في الطائفة الممتنعة لا يحكم بكفره لأحتمال عجزه عن الهجرة أو ما شابه ذلك ، أما في القتال والمال فداخل معهم . وانظر (الدرر السنية ٨ / ٤٥٦ ، ١٠ / ١٤٥ ، ١٧٦) ،(منهاج أهل الحق لابن سحمان ص ٧٥ وما بعدها).

الرابع : وهذا للاستئناس ، أن الشيخ حمود العقلاء رحمه الله في وصفه بالتكفير ألحق ذلك بالعموم كما في النص السابق وقد قال : (فهؤلاء خرجوا عن دينهم) .
فتبين ان قول الشيخ في تكفير تارك الجهاد على العموم وليس على الاعيان ، وقوله بالتكفير في ترك الجهاد كقوله بالتكفير على ترك الصلاة دون التعيين ، فتقول مثلا تارك الصلاة كافر ، لكن جارك الذي لا يصلي في المسجد ليس بكافر لاحتمال انه يصليها في البيت ، وعلى ذلك قس .
وفق الله الجميع لما يحب ويرضى .

(كتبه الشيخ عبد الرحمن الجفن في موقع الألوكة تاريخ ٥/٤/٢٠٠٩)(١) .

---

(١) https://al-maktaba.org/book/٣١٨٨٨/١١٢٩١

حنين وتذكرة بكبار علماء الزهد والتواضع في الجزيرة

خباب الحمد | ١٤٣٣/١/٢٩ هـ

مقال في موقع صيد الفوائد.

عشت في بلاد الحرمين مدَّة طويلة، شهدت فيها العديد من المواقف والأحداث.... لعل الله تعالى يُيسِّر لي تدوين شيء منها، ففيها من المواقف والطرائف، والعجائب والغرائب، والنوازل والحوادث، والأفراح والأتراح الشيء الكثير...

مِمَّا رأيته هنالك عند بعض أهل العلم الكبار - وكنت أحب القراءة عليهم أكثر من غيرهم - حالة غريبة من الزهد والتواضع وكراهة الشهرة، والبعد عن الأضواء.

ولعلي أذكر في هذه المقالة المتواضعة طرف يسير، وبداية خيط في الحديث عن سيرتهم، لعلَّ الله تعالى يفتح علي لأكتب عنهم ما أعرفه، فلقد شرَّفني الله تعالى بالجلوس معهم والقراءة عليهم، وكثير منهم قارب أو جاوز ٧٠ عاماً وقت قراءتي عليهم، ولربما جاوز بعضهم الآن التسعين عاماً، منهم من توفاه الله تعالى فرحمة الله عليه ورضي عنه، ومنهم من بقي على قيد الحياة سائلاً المولى عزَّ وجل أن يحفظهم ويبارك فيهم، ومن هؤلاء العلماء الأجلاء الزهاد.

شيخنا العلامة الرَّباني: حمود بن عقلاء الشعيبي - رحمه الله رحمة واسعة - ، وقد كتبت عنه بعد وفاته مقالة بعنوان: (الصفات العمليَّة لشيخ الجزيرة العربية حمود بن عقلاء الشعيبي)، أتذكر أنَّها نُشرت في بعض المنتديات والمواقع، إلا أنني بحثت عنها ولم أجدها وضاعت مني ويا للحسرة!!

وقد ضمَّنتها عدداً من مواقفي الشخصيَّة معه، وحديث عن مدى زهد الرجل مع أنَّه من أهل الثراء والغنى، وكرمه وجوده، وحبه لبلادي (فلسطين) حتَّى أنَّه أفردني - جزاه الله خيراً - بدروس لم يفردها لغيري مِمَّن هم أكبر مني سناً وأعلى قدراً من طلبة العلم الأجلاء في السعودية، وكان ذلك بسبب محبته لفلسطين، كما كان يُسرُّ إليَّ!

لقد رأيت منه عجباً عجاباً في تواضعه، فدروسه التي كانت تُعقد في مزرعته الواسعة، تكون في (خيمة الشعر) وقد ترى في أطرافها خيوط العنكبوت، وتراه لابساً لباساً نظيفاً إلاَّ أنَّه لا يأبه بأن يكون الثوب أو غطاء الرأس - الغُترة - مكوياً.

لقد رأيت في شيخنا حمود العقلاء رحمه الله مظهراً جليلاً من مظاهر التواضع، وعدم تقليله من شأن طلبته، ولو كانوا صغاراً، بل ربَّما سألهم لاستزادة معلوماته.

وأذكر في هذا الصدد أنَّ الشيخ حمود — رحمة الله عليه - سئل عن جماعة (الأحباش)، فقال: معلوماتي عنهم ضئيلة، ثمَّ سأل أحد طلبته الذين يصغرونه بخمسين عاماً على الأقلّ، وقال له

حدِّثنا عنهم فلقد سمعت أنَّك معتنٍ بأخبارهم، فخجل ذلك الشاب وذكر طرفاً يسيراً مِمَّا يعرفه احتراماً لقدر شيخه وجلالته.

ومن مظاهر تواضعه العجيب الذي انبهرت منه، أنَّني كنت أقرأ عليه في مزرعته كتاب: (تجريد التوحيد المفيد) للإمام المقريزي رحمه الله، وكنا بصيف شديد الحرارة جداً، حتَّى أنني وقت قراءتي عليه كنت آخذ معي مروحة من قش أُرَوِّحُ بها عنه؛ لكي يتحرك الهواء من شدَّة الحر، وحينما كنت أقرأ عليه – وكان ضريراً – قام من مجلسه وذهب ما يقارب أربعة أمتار فقلت له:

شيخنا ... أحسن الله إليك ... هل من خدمة أقدمها إليك؟

فقال لي باللهجة النجدية: (خلِّك جالس)...

ثم قام فشرب ماء وأتى لي بكأس ماء بارد وقال لي اشرب فالجو حار..... قام الرجل وهو أعمى وشرب ماء ولم يطلب مني أن آتي له بالماء ثمَّ أتي لي بكأس ماء فما أجمله وأجمل تواضعه ....

قدَّس الله روحه ونوَّر ضريحه وصبَّ عليه من شآبيب برِّه....

من مسيرة جبل (ذكريات مع فضيلة الوالد العلامة حمود بن عبدالله العقلاء)(١)

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

لم أكن أظن في يوم من الأيام أن أنال بسهولة شرف التتلمذ على العلامة الجهبذ الشيخ حمود بن عبد الله بن عقلاء الشعيبي. وكان مايدور في ذهني ومخيلتي أن علم الشيخ ووقته مبذول فقط لكبار طلبة العلم وأساتذة الجامعة... ولكن مسألة علمية دار نقاش حولها مع أحد الإخوة الفضلاء نصبنا في نهايتها شيخنا العلامة مرجعاً نحتكم إليه إذ أن البحث العلمي لم يؤدي بنا إلى نتيجة مرجحة لأحد الطرفين (ولعل ذلك لقلة العلم). المهم ونحن في الطريق إلى الشيخ جالت في ذهني أول مرة رأيته فيها في مزرعته والتي نحن في الطريق إليها الأن كان لقاء عابراً لم يأخذ أكثر من السلام والتعريف بالإسم فقط مما زاد في مهابة الشيخ رحمة الله في صدري وأكبرت تلك الأنفة والهيبة أيما إكبار ... المراد أننا وصلنا إلى الشيخ في مزرعته وعرفناه بأسمائنا وعرضنا عليه ما أتينا بصدده ثم دار الحديث حول بعض القضايا والأمور الدائرة في ذلك الوقت (وأهمها قضية سجن المشائخ إذ كانت لازالت ساخنة بعد)والجهود المبذولة وما إلى ذلك ... وما خرجنا من عند الشيخ إلا وقد رتب لنا يوماً للقراءة عليه...

في الواقع لم أتوقع أن الأمر سيكون بكل هذه السهولة والسلاسة واليسر ... كما لم أتوقع أن نقابل بكل تلك اللباقة والدماثة ومراعاة الخواطر من الشيخ رحمه الله . إذ أننا نسمع عن صرامة الشيخ وجديته وحدته والذي ورثها كصفات من شيخه الأول العلامة مُحَمَّد بن إبراهيم رحمه الله .ولكن ما أدركته فيما بعد أن كلا الصورتين صحيح فبمقدار الشدة والحدة والصرامة مع المفسدين والمتلاعبين كان أرق من نسمة الفجر وأطهر من حبة المطر لأبنائه من صلبه ومن طلابه ولإخوانه من العلماء .وبعد هذا اللقاء تكررت اللقاءات وزاددت أواصر المحبة والارتباط فكانت هذه الذكريات.

تنبيه: لست بصدد السرد أو كتابة مذكرات أوسيرة وإنما هي اشارات ووقفات وشيخنا له من الحق علينا الشيئ العظيم ولن نوفيه حقه في ذلك إلا في اثنتين هما:

(١) الاستمرار في طريق الدعوة والجهاد والتعليم والاصلاح.

(٢)الدعاء له.

---

(١) نقلت هذا المقال من منتديات المشكاة وأصل هذا المقال في منتدى ملتقى الساحات .

قبل البدء في تقليب دفتر الذاكرة أنبه إلى أني أعفيت نفسي من الترتيب الزمني وذلك أني كتبت هذه الذكريات البسيطة في فورة من مشاعر الحزن على فقد الوالد والشيخ والمربي رحمه الله تعالى وكنت أزمعت على أن أكتبها في الأيام الأولى لوفاة الشيخ إلا أني رأيت أن التريث في كتابتها والتأخر في نشرها حسن وذلك اننا ومن منطلق العادة البشرية فسوف يخف الكلام والتأبين والثناء على الشيخ تدريجياً(وهذا ما كان)حتى لايكاد يذكر إلا في الأوساط التي تتدول البحث العلمي والرأي الشرعي بحكم أن شيخنا من أرباب ذلك ، فقلت إذا ما كان ذلك أخرجت هذه الذكريات لعلها تذكر بالراحلين عن أعيننا ولما يرحلوا من حبنا وتقديرنا وعرفاننا بالفضل والجميل لهم من هذا المنطلق سجلت بعض الأوراق في فيما ذكرت أعلاه و لكن للأسف الشديد أن تلك الأوراق فقدتها أثناء ترتيب مكتبتي إلا ورقتين من أولها

ولهذه فليلتمس لنا أحبتنا العذر في التقصير والزلل.

(١) أذكر أننا في بداية الأمر طلبنا من الشيخ القراءة عليه في الأصول الثلاثة والقواعد الأربع وذلك من باب التدرج في سلم الطلب (مع أننا قد حفظنها على بعض مشائخنا قبل المجئ إلى الشيخ) إلا أنه رفض ذلك بحجة وجيهة جداً تدلك على سعة أفق الشيخ وسعة إدراكه وخبرته في التربية والتعليم وتلك الحجة كانت أننا نستوعب معنى هذه المتون وجميع ما فيها من مسائل قد وعيناه وحفظناه من طرق شتى كما أن حفظنا لها قد قطع عنا نصف الطريق (وكان الشيخ من الحريصين والحاثين والمرغبين في حفظ المتون ولكن من غير إلزام أو إجبار)رحمه الله كم كان برا رحيما مربياً حكيما.

وكذلك كان الأمر بالنسبة لكشف الشبهات .

فبدأنا في كتاب التوحيد للمجدد مُحَمَّد بن عبد الوهاب رحمه الله مع شرحه فتح المجيد للعلامه والمجدد الثاني عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ رحمه الله .

فكنا نأتي لصلاة العصر مع الشيخ ثم بعد الصلاة والسلام على الشيخ نبدأ بالتسميع ثم يعلق الشيخ ما فتح الله به عليه على متن كتاب التوحيد نقرأ في فتح المجيد ويعلق عليه الشيخ بما تيسر . وكان مما استرعى نظرنا وسرق إعجابنا أن شرح الشيخ على كتاب التوحيد يأتي طبق الأصل لما في فتح المجيد حتى رأيت أنا وصاحبي الأخر الإكتفاء بقراءة فتح المجيد مباشرة وذلك استغلالاً للوقت كيما يتسنى لنا كتابة أكبر قدر ممكن من تعليقات الشيخ على الفتح وذلك لما في تلك التعليقات من نفاسة ومتانة.

وبالطبع كان ذلك بعد إذن الشيخ والذي نزل عند رغبتنا كما لو كنا نحن الشيوخ وهو التلميذ.

ثم بعد ذلك نقرأ في النحو في الآجروميه ثم في شرحها لخالد الأزهر ثم يعطي الشيخ كل واحد منا نصاً من أية أو أبياتاً شعرية لإعرابها. رحمه الله كم كان ذا خلق نادر وعلم وفضل.

(٢)في يوم من الأيام ارتج على الشيخ ونسي نصاً من كتاب التوحيد في الأبواب المتقدمة واستحيينا أنا وأخي الأخر أن نرد على الشيخ من حفظنا إجلالاً وتقديرنا لفضيلته وتأدباً مع أهل العلم وقلبنا الكتاب حتى نعثر على النص المراد إلا أن الشيخ استدرك وتذكر ما نسي ثم تكلم على المسألة موضع الحديث ... ثم أطرق الشيخ برأسه وقال:

يا فلان(وكنت أنا القارئ)أخر مرة قرأت فيها فتح المجيد قبل ثلاثين سنة فزاد إعجابنا بحافظة الشيخ وحضور ذهنه رغم سنه المتقدمه وتطاول السنين على مراجعته للكتاب. ثم استطرد قائلاً: كنت أحفظ عن ظهر قلب :الأصول الثلاثه والقواعد الأربع وكشف الشبهات وكتاب التوحيد وبلوغ المرام وزاد المستقنع وألفية بن مالك والمعلقات والكثير الكثير من القصائد كاسمي ولم أجاوز بعد العشرين من عمري.

كان الشيخ محباً للشعر قارضاً له وأذكر أنه قال لي ذات مرة أنه ألف في صباه قصيدة فيها شيئ من الغزل إلا أنه تجاوز ذلك وتركه ولم يكن مكثراً وكان شعره خاصاُ به وحد فقط ولايطلع عليه أحد كما ذكر لي رحمه الله .

وفي سياق ذلك أذكر أن أتيت إليه بمقابلة في إحدى الصحف السعوديه مع صاحب الفضيلة الشيخ إبن باز رحمه الله وكا ن أحد شيوخه الثلاثه فقط الذين أخذعنهم (وهم مع ابن باز مُحَمَّد الأمين الشنقيطي صاحب أضواء البيان والعلامة ابن إبراهيم المفتي السابق) المهم أني بدأت أسرد على الشيخ أسئلة المقابلة فقط (طلباً للوقت) والتي كانت طويلة ولم يتوقف الشيخ رحمه الله إلا مع إجابه الشيخ ابن باز حول سؤال عن الشعر وهل كان الشيخ ابن باز يقرض الشعر ويتذوقه مما يدل على حب في الشيخ حمود للشعر وحب لتتبع بعض المواضع الخاصة في سيرة شيخه ابن باز رحم الله الشيخ ووفق أبنائه وطلابه لكل خير.

(٤) في الحقيقة بلغ كرم الشيخ الغاية ولم أرى أجود منه فقد كان ذا سخاء وعطاء رحمه الله تعالى. في مرة من المرات أتى رجل من العامة وأخذ يضرب على منبه السيارة خارج المسجد فقال لي الشيخ رحمة الله قم وانظر من الرجل فقمت وذهبت إليه وإذا هو رجل أبكم لا يتكلم فرجعت إلى الشيخ وأخبرته بالحال فقال نعم فقام الشيخ ودخل المنزل قليلاً ورجع وأعطاني في يدي بشكل خفي مجموعة من النقود وقال أعطه هذا واعتذر له ،هذا المتيسر الأن . ومن باب الفضول (أسال الله المغفرة) عددت النقود وهي داخل يدي ولم أجرؤ على عدها علانية احتراماً وتقديراً للشيخ

رحمه الله تعالى وكانت خمس أو ست أوراق ولما وصلت الرجل قام بكل سذاجة العامي وعد النقود فإذا هي (٢٥٠٠ريال) وقد كاد الرجل يجن من شدة الفرح لدرجة أنه كاد أن يقبل يدي. المهم رجعت إلى الشيخ وقلت في نفسي لعل الشيخ غلط أو شيئ من هذا فقلت :من هذا الرجل يا شيخ لو رأيت فرحه لعجبت فقال رحمه الله :هذا واحد من أهل حائل جاء أمس وطلب مساعدة أو صدقة فأعطيته ما تيسر قلت: هل تعرفه يا شيخ قال: لا .

(٥) من طرائف الشيخ: = في مرة من المرات أتيت إلى الشيخ مسلماً في رمضان. وكان عنده بعض الضيوف فلما خرجوا هممت بالخروج معهم فاستبقاني الشيخ رحمه الله وقال: ما سولفنا معك اجلس حتى نفطر سويه فقلت :ياشيخ اليوم موعد الجدة قال: أدامك وصلت هنا خل الجدة في الغد قلت: لعلك تعذرن ياشيخ قال: خير ان شاء الله فأخذ الشيخ في الحديث وصار يسرد بعضاً من ذكرياته ويعرج مرة أخرى على بعض المواقف وأخرى على بعض الإشارات التربوية والعلمية وهكذا حتى أتى بعض أبناء الشيخ رحمه الله . فقال الشيخ رحمه الله تعالى:إن كانك صادق اطلع هالحين فأسقط في يدي. فقال: نبي نكسب أجرك اليوم والجدة له أجر الغد فتناول الشيخ سماعة الهاتف و أمليت له الرقم ثم سلمني سماعة الهاتف واعتذرت من الجدة التي لهجت بالدعاء والثناء على الشيخ وحملتني السلام له. وكان الشيخ يشاغلني بالحديث حتى يقرب وقت الآذان مما يضطربي إلى المكث... كان محباً لطلابه مقدراً لهم أيما تقدير رحمه الله تعالى.

مرة من المرات جاء أحد عمال المزرعة إلى الشيخ ومعه مجموعة من البراغي فقال للشيخ نريد من هذه مجموعة فأخذها الشيخ وتلمسها بأنامله وقال يوجد لدينا من هذه كذا ومن تلك كذا أما هذه فقل للسائق يأتي لك بما تريد. فعجبنا لدقة الشيخ ونباهته وذكائه ومعرفته بأدق الأمور. = ومرة دخل علينا ابنه الأستاذ عزيز (وكان ذلك بعد الانتهاء من الدرس) فقال مخاطباً والده: ماشاء الله متى سلكتوا السخانة فرد الشيخ : اليوم فقال الأستاذ عزيز :الكهربائي من بريدة فقال الشيخ :لا ... أنا الذي سلكتها والشيخ أعمى ياإخوة ولكن التميز والإبداع وقهر المستحيل عادة عند البعض...

(٦) في يوم من أيام الشتاء وكان يوم خميس على ما أذكر أزمعت أنا وثلة من الأحبة على تناول طعام الغداء في الهواء الطلق وفي طريقنا إلى(ملف العائلة – المكان المفضل في ذلك الوقت–) توقفنا أمام أسواق الفاخرية في حي الفاخرية وبعد شراء بعض الحاجيات واثناء خروجنا من الأسواق كانت أمامنا مجموعات متناثرة من الأوراق صغير ةالحجم والتي تعودنا على رؤيتها في تلك

الأيام اذ كانت عبارة عن منشورات إما من المسعري أو غيره التقطت واحدة منها وكانت عجيبة غريبة ....

اذ كان فحوى تلك الورقة عبارة تهنئة لولى الأمر بمناسبة استأصال شأفة الشر والإجرام والمتمثل في تنفيذ القصاص في أحد المفسدين في الأرض

وليس هذا مكمن الغرابة وإنما مكمنها أن الموقعين على تلك التهنئة هم:

العلامة الشيخ حمود العقلاء

العلامة الشيخ مُحَّد المنصور

الدكتور الشيخ صالح الونيان

الدكتور الشيخ سليمان العودة

والذي يجعلك توغل في الغرابة أكثر أن المجرم المفسد في الأرض كان :

الفاضل عبد الله الحظيف أسال الله الكريم بمنه وفضله أن يجعله في عداد الشهداء

المهم لما كان من الغد وجاء وقت الدرس الخاص عند فضيلة الشيخ وجدنا الشيخ رحمة الله به أثر من مرض فجلس معنا الشيخ رحمه الله لتداول الرأي حول تلك الورقة المزعومة وما هي الا برهة من الزمن حتى أقبلت سيارة فيها ثلاثة من الشباب (كان ذلك قبل بناء السور على منزل الشيخ) فقال لي الشيخ يا فلان قم وأدخلني البيت واعتذر لي من الإخوة لأني متعب وقمت ممسكاً بيد الشيخ و اثناء الطريق إلى باب المنزل قال لي الشيخ من القادم فقلت له (فلان) قال الشيخ أبو عبدالله أرجعني يستاهل من يجلس له فرجعنا إلى المجلس و قد وصل أصحاب السيارة في تلك الأثناء وسلموا على الشيخ واستقبلهم بحفاوة بالغة وقلت لهم ان الشيخ به عارض صحي ولكن أبى إلا لقياكم لحبه لكم (كل ذلك رجاء الا يطيلوا المكث عند الشيخ كي لايتعب من الجلوس)

المهم دار الحديث مباشرة عن تلك الورقة وكان الشيخ رحمه الله يضحك كثيراً منها وفي أثناء الحديث مال أبو عبد الله(هذا) إلي وقال لما لانحاول اقناع الشيخ بإخراج ورقة تنقض هذه التهنئة فقلت له إن الشيخ سوف يتكلم في درس التدمرية في جامع الجاسر عن هذه الورقة فقال أبو عبدالله لايكفي فقلت اذا استعنا بالله فتكلمت مع الشيخ بهذا الصدد وآزرني صاحبي الآخر كذلك تكلم بعدنا أبو عبدالله إلا أن الشيخ لم ير اصدار بيان أو تكذيب إلا بعد التروي والمشورة مع بقية المشائخ لعله أن يصدر تكذيب مشترك ...التفت الشيخ إلى أبي عبد الله هذا وقال يا شيخ فلان أوردوا(يقصد الذين كتبوا التهنئة) أثر لم يسبق أن مر على(وهو إقامة حد خير من أن

تمطر الأرض أربعين سنة) هل مر عليك فقال نعم أورده ابن كثير في البداية وفيه مقال ... بعد ذلك قلت للشيخ لعلك تعبت لو ترتاح قليلاً فقال الشيخ صدقت (اقضب يدي) فقمنا مع الشيخ حتى دخل البيت وغادرنا مزرعة الشيخ رحمه الله

وفي يوم الأحد(في درس التدمرية) تكلم الشيخ عن تلك الورقة كلاماً قوياً جريئاً صريحاً مدوياً والقى باللائمة مباشرة على المباحث والدرس مسجل بحمد الله تعالى

رحم الله الشيخ كم كان قوياً لايخاف في الله لومة لائم

(٧)

الشيخ والسجن

كان اعتقال الشيخ رحمه الله تعالى في يوم السبت الموافق السبت ١٤١٦/١/٥ الساعة التاسعة والنصف ليلاً تقريباً وقد مضى على اعتقال المشائخ تقريبا ثمانية أشهر وأيام وكان الأعتقال في سجن الحائر بالرياض ، تضافرت الجهود من العلماء والمشائخ وإخوان الشيخ وأبنائه لفك أسر الشيخ رحمه الله.

للشيخ محمد بن عثيمين وقبله الشيخ الوالد عبد العزيز بن باز جهود لاتنكر في ذلك أما الشباب فبيض الله تلك الوجوه الغضة التي ما وجدت سبيلا مفتوحاً إلا سلكته في ذلك الصدد أما أسرة الشيخ فليس مستغربا على أسرة أخرجت أمثال الشيخ أن تهب كا الضياغم لفك أسر درتها ودرتنا جميعا العلامة الشيخ حمود رحمه الله لن أسرد هنا تحليلاً لسجن الشيخ ولن أذكر أسبابا الكثير يعرفها وإنما هي ذكريات ومواقف سمعتها من الشيخ عن فترة إعتقاله منها ما يلي:

داهم مزرعة الشيخ عدد كبير من فرق الشرطة والمباحث فاق عدد السيارات التسع على ما أذكر اقتيد الشيخ مباشرة إلى الرياض قبل التفتيش دامت عملية التفتيش أكثر من ست ساعات

سجن الشيخ رحمه الله في فيلا ضمن مجمع سجون الحائر كانت قبل وصول الشيخ بفترة بسيطة مأهوله من قبل أحد الأمراء المساجين من قبل الأمير سلمان كم أخبر الشيخ بذلك من قبل الحارس والمرافق له

وصل خبر سجن الشيخ إلى المشائخ المعتقلين فور وصوله إلى مقر إقامته المؤقت في الحائر ، دخل أخو الشيخ وهو ضابط كبير وأخوه محمد (أبوعبدالله) جار الشيخ في المزرعة على الأمير نايف واستقبلهم استقبال طيب ووعدهم خيراً ولما حدثوه عن الناحية الصحية للشيخ قال إني أشرف على تغذية الشيخ بنفسي هذا ما قاله لي الشيخ حمود رحمه الله

الشيخ تكرم على السجن بأن قام بتأبير (تلقيح) النخل الموجود في فناء الفيلا التي سجن فيها = كان الذي يقوم على خدمة الشيخ عريف أطلق عليه الشيخ لقب (قنيفذ) من باب التندر والتلطف مع هذا الرجل ،وضعوا عند الشيخ مذياع استمع من خلاله لكثير من برامج(أم بي سي اف ام) وقد استاء الشيخ جدا منها وضاق صدره من هذا الإفساد المتعمد للشباب ، كانت المعاملة مبنية على التقدير والاحترام بل والتبجيل وطبعا هذه أوامر عليا وذلك لما يعرف من مكانة الشيخ عند العلماء والشباب والعامة في الداخل والخارج، سئل الشيخ رحمه الله في التحقيق عن ما يحدث من فتنة الجامية والتي كانت مستعرة في ذلك الوقت فتكلم الشيخ بكل يكتب بماء الذهب بين فيه خطر مثل هذا التوجه ووضع الحلول والبدائل ونا إلى ذلك ولو كان الوقت يسمح لذكرت طرفاً مما أذكر من كلام الشيخ في هذا الصدد ، ختم الشيخ القرآن الكريم (٤٢) مرة في كل يوم ختمة وكانت مدة سجنه (٤٣) يوما ، خرج الشيخ من السجن في يوم الأحد الموافق ١٤١٦/٢/١٨ الساعة (١٢)ليلاً مكث عند ابنه في الرياض قليلاً ثم رجع إلى بريدة سريعاً في نفس تلك الليلة ، توافدت جموع كثيرة لاتحصى للسلام على الشيخ وتهنئته بسلام الوصول من كافة طبقات المجتمع بلا استثناء.

أظني نسيت الكثير ولكن حسبي من الثوب ماستر

ختاماً

مع آفول شمس هذه الذكريات والتي علم الله كم آذتني اذ ذكرتني برجل افتقدته كوالد قبل أن أفتقده شيخاً لايسعني هنا إلا الدعاء للشيخ بالرحمة والمغفرة وأن يخلفنا خيراً منه إنه ولي ذلك والقادر عليه. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

إلى ذلك القمر الذي توارى في مغربه وذلك الحسام الذي عاد إلى غمده وذلك الأسد الذي آب إلى عرينه وودع العالم بصمت

إلى الإمام المجاهد العلامة فضيلة الشيخ / حمود بن عقلاء الشعيبي رحمه الله رحمةً واسعة

أسعداني يا مقلتي وجودا * وابكيا عالم الزمان حمودا**

وأفيضا دمًا إذا شح دمع * علّه أن يريح قلباً كميدا**

ما عسى الشعر أن يقول وهل * من عبقريّ يفي الإمام الفقيدا**

قمر غاب في زمان رهيب * تاركًا بعده الليالي سودا**

أسد ودع العرين خلاء * وهزبر وما أقل الأسودا**

أشرق الكفر بالحجاج واعياً * كل فحل وأخرس التلمودا**

وغدت أمة النصارى حيارى * كل يوم تخشى بيانًا جديدا**

ودعت دولة الصليب بويل * من فتواه لا تطيق مزيدا**

يرجم الشيخ إفكهم برجوم * من نجم تفتت الجلمودا**

ومضى الفذّ ثابتاً لا يبالي * بنفاق ولا يهاب وعيدا**

واثقاً لا يخاف في الله لوما * يتحدى من الطواغيت كيدا**

وأتاه اليقين وهو على الحق * فلا أدرك الجبان الرقودا**

إنما الشيخ حجة الله في الخلق * في زمان من الهوان مديدا**

نوَّر الله بقعة حل فيها * وسقاها ومدها الله بيدا**

أي حلم ضممته أيها اللحد * وعلم آثاره لن تبيدا**

وإباء حويته ومضاء * وثباتًا و عزة وصمودا**

لوعلمت الأيام علم يقين * من حواليك لاحتقرت اللحودا**

كم صدور تنفست صعداء كان * غمًا لها وخصمًا عنيدا**

وسطور تنفس الحقد منها * غردت يوم موته تغريدا**

ولئام تربصته بسوء * وترى أن موته كان عيدا**

وترى أن موته كان عيدا * أيها الشامتون موتوا بغيظ**

إن لله أمة وجنودا *** أمة الدين لا تزال فتاة

وعلى الدهر لا تزال ولودا *** كلما ودع السماء هلال

ولدت بعده هلالاً وليدا *** لو رأيتم مسيرة السبت لما شيعوه

ودفنه المشهودا *** ووداعًا له يذيب حشاكم

وولاء يفت منكم كبودا *** فاسألوا السبت ما رأى من جموع

شيعوه واستشهدنَّ الشهودا *** جحفل لا يناله الطرف

إلا رد حيران يعجز التحديدا *** يتراءى يوم القيامة لما

أجلب الناس واستتموا ورودا *** يزحف الجمع والخلائق صور

تتراءى جثمان الممدودا *** فوق نعش تقاذفته أكف

فى خضم تخاله العين طودا *** قل لمن بالعمى يعيب عليه

قل لمن بالعمى يعيب عليه *** ساء عبد تنقص المعبودا

نور عينيك ما أفادك إلا *** حيرة القلب والضلال البعيدا

أيها الشانئون مهلاً فإنا *** معشر لا نحاذر التفنيدا

لا يسر المصاب في الدين إلا *** ملحداً أو مهتكًا عربيدا

ليس قينان غير قن وقين *** وعبيد لعبد عبد يهودا

و(النقيدان) نقد غشّ زيوف *** نقد الشيخ يستزيد نقودًا

إن طعن القتيل ما عاد فخرًا *** فلماذا تمزقون الجلودا

ومن اللؤم أن يهان الأسارى *** والأسارى يعالجون القيودا

يا عبيدًا ما تنقمون عليه *** غير أن قام يستثير العبيدا

ينكر الأرمد الضياء ولا *** يألف إلا ظلامه المنكودا

إن عود الحقوق يبغى جهودًا *** وجهادًا من الشعوب جهيدًا

رُب عيش أعز منه ممات *** يوم يلقى أقزامنا التأييدا

أيها الراحل العظيم وداعًا *** أنت من جدد الهدى تجديدا

فلئن مُت ما بموتك عار *** قمة الفخر أن تموت شهيدا

فلقد عشت في الحياة عزيزًا *** فلذا كنت في الممات حميدا

ولقد كنت في الهداة سني البرق * وقد كنت للعداة رعودا**

كنفًا للدعاة ظلاً ظليلاً * ولأهل النفاق كنت جليدا**

ولأنت الإمام فردا لك الذكر * على صفحة الزمان خلودا**

رب هول وقفت فيه وحيدًا * ومقام ينهنه الصنديدا**

واقفاً موقف النبيين صبرًا * حاكيًا في اليقين نوحًا وهودا**

محييا ملة الخليل بوقت * عز فيه من حقق التوحيدا**

شامخًا لا تزال تسمو صعودًا * وعلوًّا حتى سكنت الصعيدا**

ولأنت الحسام أغمد قبرًا * بعد أن سلّك الإله حديدا**

هل لعين تذوق بعدك غمضًا * وترى بعدك الوجود سعيدا**

همام اليمامي

ذو القعدة ١٤٢٢

بسم الله الرحمن الرحيم

رثاء .. وعزاء

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد.

رحل العالم البصير .. البصير بأحوال أمته وما يُحاك ضدها .. البصير بأحوال المجرمين ومذاهبهم ..!

رحل العالم المجاهد .. رفيق المجاهدين .. وشيخهم وعالمهم .. في حين تنكر لهم كثير من أهل العلم .. وممن لهم صلة بالعلم ..!

رحل الشيخ الحبيب .. ولا نعلم عنه إلا أنه يحب الله ورسوله .. ويحب الجهاد والمجاهدين .. ولأجل ذلك أحببناه .. ولا نزكيه على الله!

رحل الشيخ الحبيب .. صاحب المواقف المشرِّفة النبيلة .. والذي كان آخرها موقف يتمثل بتوجيه بيان نصرة وتأييد لأمير المؤمنين الملا مُحَمَّد عمر .. ومن معه من المجاهدين المخلصين .. وبيان إلى علماء الباكستان يحثهم فيه على نصرة الجهاد والمجاهدين .. أنعم بهما من بيانين!

إذا ذُكر الصدع بالحق في وجوه الطغاة الآثمين .. ذُكر الشيخ .. لا يُثنيه عن بيان الحق ترغيب ولا ترهيب ..!

رحل الشيخ الحبيب .. مربي الأجيال .. مربي العلماء والدعاة ..!

رحل الشيخ الحبيب .. والأمة عنه راضية .. والمجاهدون عنه راضون .. وشهداء الله في الأرض عنه راضون .. وهذا من مبشرات الخير الدالة على حسن الخاتمة إن شاء الله!

الكل يثني على الشيخ خيراً .. ويدعو للشيخ بالخير: اللهم ارحم الشيخ .. اللهم اعفُ عن الشيخ .. اللهم تجاوز عن الشيخ .. اللهم آمين!

رحل الشيخ الحبيب أبو عبد الله حمود بن عقلاء الشعيبي .. إلى رحمة ربه وجواره إن شاء الله .. بعد منتصف ليلة السبت في الخامس من ذي القعدة، لسنة ١٤٢٢ هـ .. داعين له الله تعالى أن يتغمده برحمته وعفوه، وأن يتجاوز عن سيئاته .. وأن يُسكنه فسيح جناته .. وأن يُبارك له في حسناته .. وأن يجعل قبره روضة من رياض الجنة .. وأن يبلغه منازل الشهداء والمجاهدين المخلصين .. في الفردوس الأعلى كما كان يحب الجهاد وأهله .. وينصر الجهاد وأهله!

ومن كرامات الشيخ التي تُذكر .. والبشارات الدالة على الخير .. أنه إلى الساعة لم يثنِ عليه ظالم معروف .. أو صاحب بدعة معروف ببدعته .. أو شيخ متهم .. بل ولم تذكر خبر وفاته إذاعة

رسمية .. ليس لأن الشيخ دون أن يُذكر .. لا .. بل لأن الشيخ كان غصة في حلوقهم .. وعقبة كأداء أمام باطلهم .. ما عرفوا متى يستريحون منها .. وهذه مفخرة عظيمة تُذكر للشيخ!

وإلى آل الشيخ وأهله .. وتلامذته وأحبابه: أحسن الله عزاءكم .. وآجركم خيراً على مصابكم .. وأخلفكم خيراً منها .. فلله ما وهب وما أخذ، وإن من شيء عنده إلا بأجل .. ولا نقول إلا ما يُرضي الرب عز وجل .. إن القلب ليحزن، وإن العين لتدمع .. وإنا على فراقك يا شيخنا محزونون .. أنتم السابقون، ونحن اللاحقون .. وإنا على دربك ـ في الجهاد والصدع بالحق إن شاء الله ـ ماضون .. غفر الله لنا ولكم .. وإنا لله وإنا إليه راجعون .. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

١٤٢٢/١١/٧ هـ. عبد المنعم مصطفى حليمة

٢٠٠٢/١/٢٠ م. أبو بصير

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مات الإمام

يا عينُ جودي، فإن القلبَ منفطرُ .... وليسَ يشفيه غير الدمعِ ينهمرُ

وكيف يُشفى من الأحزان ذو كَمَدٍ؟ .... أم كيف يُطفى لهيبُ النار تستعرُ

وهل ترد الدموعُ فجعَ غائلةٍ؟ .... أم يصرفُ النائباتِ الحزنُ والسهرُ؟

هي المنايا على المُنى مُحكمةٌ، .... فلذةُ العيشِ شاب صفوها الكَدَرُ

والموتُ حق على العباد مُنحتمٌ، .... فلا التوقِّي يرده ولا الحذرُ

كم من فتىً مُصبحٍ في بحر غفلته، .... وموتُه الليلَ في الكتابِ مستطرُ

وجامعٍ دنس الدنيا لِوارثه، .... والقبرُ عمَّا قليل سوف يُحتفر

وخائضٍ في الدنى، ولا نصيبَ له .... مِن زادِ أُخراه، والرحيلُ منتظرُ

كم من ظنون أحان الموتُ زخرفَها، .... والظنُّ يخرسُ حينَ ينطقُ القدرُ

* * * *

مات الإمامُ، فسورُ العلم منثلمٌ، .... والحقُّ باك، وعَظمُ الدينِ منكسرُ

مات الإمام، فصارمُ الجهادِ به .... فلٌّ، وعينُ الهدى في الدمعِ تنغمرُ

مات الإمام، فمن للكفرِ يردعه؟ .... ومن لِداء النفاقِ حين ينتشر؟

من للضلالِ يميط ظلَّ سدفتِه .... كما يزيلُ سوادَ الدجلةِ القمرُ ؟

من للجهالات بالبرهان ينسفها .... فتُسلم الروحِ، لا عينٌ ولا أثرُ؟

من للكلاب من الأحجار يُلقِمها؟ .... والكلبُ يخرسه – إذا عوى – الحَجَرُ

من للأعادي إذا ما ذرَّ قرنهمُ؟ .... من للأُلى جاهروا بالفسق أو كفروا؟

مات الإمام، وكان حجةً عَلَما .... بحرًا من العلم لا يشوبه الكدر

قد كان يُبصَر عند كل معتركٍ .... ليثاً، إذا استأسد النعامُ والحُمُرُ

وكان يُقصد عند كل نائبةٍ، .... فيَجترِي، إن تولَّى مَن به خَوَرُ

وكان بالعلم يُحيي سُنَّةً دَرَست .... كما يغيثُ مواتَ البَلقَعِ المطرُ

وكان تُرجى الفتاوى منه زاهرةً .... كالدرِّ في اللمعان، بل هي الدُّرر

المجد غايتُه، والحق رايته .... والعُرْف عادته، وكُتْبه غُرر

وصَدعُه بالهُدى صِرفاً، وإن رَعدتْ .... له أنوفٌ، بكلِّ الكون مُشتهِرُ

* * * *

إنَّا إلى اللهِ راجعونَ، فاصْطبري .... يا نفسُ، ما فاز إلا المَعشرُ الصُّبُرُ

مات الإمام، وما ماتت مواقفُه .... والفكرُ يبقى إذا ما غابتِ الصُّوَرُ

فلست أرثيهِ، إنما الرثاءُ لمن .... فؤادُه بالهوى والغَيِّ مُنصَهرُ

الشيخ عصام البشير المراكشي المغربي

الخميس ١٠/١١/١٤٢٢

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

رحلَ القلبُ الشجاع

قد يكون العلم في قلب جبانْ ....قد يكون العلم مقروناً ..

بأعباء الزمانْ ....قد يظل العلمُ جهلاً ..

كلما زلَّ اللسانْ ! ....قد مضى القلبُ الشجاعْ

ومضى في ساعةِ العسرةِ ....في يومِ الطعانْ

قد مضى رحبُ الذراع........... ساعةَ البحثِ عن الهادي ..

مضى الحادي ....فحارَ الركبُ في تلك الصحاري والبقاعْ

وبكت كلُّ الجموعْ ....وغدا كل الرعايا ..

ينهبون الأرضَ بحثاً ....عن بقايا من شموعْ

وادلهم الليلُ .. واسوَدَّ المكان ....واكتسى القومُ الخداعْ

حينما ازدان لهم لون السرابْ ....غرهم حسنٌ له ..

عندما يبدو جميلاً كالشهابْ ....فتلاشى

وتلاشوا خلفَهُ ....وتلاشتْ معه آمالهم

ثم تاهوا في بلاد اللهِ ....لا زادَ لهم ..

ولا أيُّ شرابْ ....ها هم الآنَ يعيشون الضياعْ

إن بكينا أيها الشيخُ ....فليس الموتُ يبكينا

فكلُّ الناس موتى ....إنما الموتُ مماتٌ في الحياة

موتُ حسٍّ وشعورٍ ....وضميرٍ ضلَّ عن رفع الجباه

ظل في دوامةٍ للخزي والعارِ ....أسيراً ..

يستحي من وجهِ مَن أخزاهُ ....لا يبدي السِنانْ

باتَ مهزوماً ومأسوراً ....ويخشى أن يرى الميدانَ

في يوم الملاحمْ ....وتنحَّت عنه أفعالُ المكارمْ

امضِ يا شيخُ ....فإنَّ الموتَ أرحمْ

إنَّ هذا العصرَ أبكم ....لم يعد للعلمِ صاحبْ

لم يعد للمجدِ طالبْ ....أصبحَ العلمُ متاعاً

تُبتغى فيهِ المكاسبْ ....لم تمتْ يا شيخُ

إنَّ النعيَ كاذبْ ....كلهم موتى ..

وهذا النعيُ كاذب ....فرح الباطلُ

وانزاح عن كاهلهِ همُّ المراقبْ............. وابتسامُ الخبثِ في وجه الرغائبْ

شمِتَ العاذلُ والكافرُ............. واستبشر بالنعي المنافقْ

فهنيئاً للمنافقْ ....الذي ظنَّ بأنَّ الشمسَ

قد يحجبها غربالُ حاجبْ ....إنه الحقُ

فنورُ الشمسِ يطغى ....فوقَ أنوارِ الكواكبْ

فوداعاً أيها الشيخُ الجليل ....ووداعاً صاحبَ الرأيِ الجميلْ

ووداعاً أيها القلبُ الشجاع ....أيها الشيخُ المجاهدْ

كلنا ثكلى ....وإنَّ الله شاهدْ

أحمد الطارش

١٤٢٢/١١/٧هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

وسأرثيهِ ..

ثم سأروي للعالمين قصتي مع حبيبنا وشيخنا الشامخ المُبجل

حديثنا اليوم عن هذا الهزبر ..! وحيدر زمانه وضرغام عصره .. وأسد المنابر .. وصدق الإمام ابن القيم في قوله (لكل له من إسمه نصيب) وأقسم أنه قد استقى من إسمه أكبر نصيب حتى غدا علماً بسيرة عظيمة محمودة إنه العلامة (حمود) .. وويح جده (الشُعيبي) .. لو كان حياً لما وسعه إلا أن يفتخر بحفيده الذي هو بألف ألف حفيد ..! أنه حمود بن عبد الله بن عقلاء الشُعيبي ..! وليت شعري يا حمود لم يجافيك غير أهل رفضٍ وأحفاد عاد وثمود .. وعلى رحيلك زغردة مومسات اليهود ولله درُ من قال فيك :

ذاك الإمامُ حمــودُ لهفي لهفةً * * * لفراق داهيــةٍ من الأطوادِ

علمٌ هوى فاهتزّ قلبي هــزةً * * * وأصابني سـهمٌ فشقَّ فؤادي

يا ويح قلبي كم تكابد أمـةٌ * * * قرحى العيونِ جريـحة الأكبادِ

اللهُ يشــهد أنني لفراقـهِ * * * في كربةٍ عظمى وسـقمٍ بادي

شيخٌ كفيفٌ غـيرَ أنَّ فؤادَهُ * * * نبعٌ يجودُ لكل قلبٍ صــادي

قبل ستة أشهر .. رن هاتف المنزل عندي فرفعته .. وإذ على الطرف الآخر صوت متحشرج مُتهدج .. وفي نبرته فحولة وفي نغمته إنكسار الكهولة ..! قال : أهذا منزل كاتب صحيفة الوطن مُحَمَّد المليفي ؟ قلت نعم .. ومحدثك هو المليفي بشحمه ولحمه ! ولكن عفوا من المتحدث ؟ فقال أنا أخوك حمود العقلا الشعيبي ..!! فقلت الله أكبر يا شيخنا الفاضل ولِمَ هذا العناء يا أيها الوالد الكريم .. ليتك أخبرت طلابك ليخبروني بأنك تريدني .. كي آتيك بنفسي إلى بيتك فقال لا فرق بيننا يا ولدي اللهم إلا إني أُكبرك في العمر فقط ..! فقلت أقسم أن تواضعك قد قصم لي ظهري وليس لي ما أقوله لك يا والدي إلا أنه لي الشرف أن يتصل بنا أمثالك .. فأمرني يا أبتِ بما تريد .. فقال كلاماً مطولاً عن مقالاتنا المتواضعة وليس الآن وقت الحديث عن ذلك الحِوار ..وقد نشرته مجلة ((الأيام والناس)) في ذلك الوقت كاملاً غير منقوص .. بدءا من السلام عليكم .. إلى أستودعك الله يا ولدي ، ولكنه والحق أقول ما أن أغلق الهاتف مني قائلاً (أستودعك الله يا ولدي) حتى أحسست بالصغار في نفسي .. ثم بشعورٍ غريب وهو إحساسي بأني لن أسمع هذا الصوت مجدداً .. فلقد كان يختبئ خلف صوته نوائب من الحزن وأخاديد من الهم ..وكيف لا ..

وهو يحمل هم هذا الإسلام منذ أن عرفه الناس وصدح بينهم إسمه وعلمه .. لقد كان الحوار شرعيا .. ولكني من هيبته.. شعرت وكأني لا أجيد الحديث بالعربية..فضلاً عن مجاراته في الحديث !
اتصلت بعدها على الفور بصاحبي القصيمي الذي يسكن في مدينة بريدة .. وعتبت عليه كثيراً لماذا أعطى رقمي للشيخ ليتصل بي ولم يعطني أنا رقمه لأتصل به بنفسي .. فضحك ملئ فيه ..! فقلت له ويحك وتضحك أيضاً !؟ فقال أضحك لأنك لا تعرف هذا الشيخ يا أخي مُحَّد ! أنه يتصل بالجميع ويتفقد الكُل .. ويسأل عن الشباب دوماً ونحن لا نجد من يُحفزنا ويشجعنا ويذكرنا مثله أبداً ..ووالله لولا البياض الظاهر في عينه لقلنا أن يتعامى وليس بأعمى ..! فهو يشعر بنا جميعاً ويسلم على الجميع بإسمه وكأنه يراه..! إنه شيخ الجميع ووالد الجميع وكذلك صديق الجميع ..! إذا أصاب أحد منا هم أو ألَّم به غم أو طاف به حُزن .. ذهب إلي الشيخ حمود .. وما هي إلا لحظات حتى يجد أثر بلسمه وقد أصاب قلبك .. وفيض حديثه يخترق سمعه فيشرح صدره .. فهو إما مفسراً لآية أو معلقاً على حديث أو حاكياً لسيرة الرجال ومآثرهم.. ووالله لم نرى مثله رديفاً للحق وصاحباً له .. وكلما رأيناه ذكرنا حديث رسول الله ﷺ وهو يتحدث عن صفة المؤمن الحق الذي (لا يخشى في الله لومة لائم) .. فقلت له والله يا صديقي القصيمي لو كنت بينكم لغسلت له قدميه .. وقبلت في كل رؤية له رأسه ويديه ..
إن للفجائع اختلاف فيما بينها وتباين بين مراتبها لكن من أشدها لذعاً وأعظمها وقعاً .. تلك الفجيعة التي أحرجت صدور قوم مؤمنين .. فلقد كان (الشُعيبي) للدين ركناً مُشتداً وللعِلم شِهاباً لا يخبو .. ولقد ذكرت طرفاً من سيرته العطرة وترجمته الرائعة على صدر صحيفة الوطن ((http://www.alwatan.com.kw/first.asp?id=٥٠٠٩٠)) قبل أيام وأبرزت له صورة يتيمه .. وذكرت في تأبينه على الصفحة الأولى علاقته الحميمة مع العِلم وأهله .. وكيف أنه من أوائل من نال الأستاذية في الشريعة في شقيقتنا الكبرى المملكة .. وذكرنا كيف أن قد تخرج على يديه الكثير من طلاب العلم والمشايخ .. بل أن الشيخ الراحل العلامة ابن عثيمين رحمه الله كان يستفتيه في بعض مسائل العِلم كيف لا وهو من قرنائه وأخدانه فعليهم جميعاً من الله وسلوان ورضوان ورحمه ..
والعجيب في سيرة هذا الجهبذ حقاً أنه حفظ القرآن قبل أن يبلغ الحُلم .. بل أتم حفظ كتاب الله حتى بعد أن أصابه مرض الجُدري بالعمى ولم يثنه فقد عينيه عن مواصلة تعلمه أبداً ..! وليت شعري يا أيها السادة القراء كأني أراه وهو في السابعة من عمره .. وعينيه قد ابيضتا من الحُزن على فقدها وليس لديه ما يلهو به بين الأطفال إلا ما تبقى له من ذكريات في الظلام ..!

وكأني أرى هذا الطِفل الأعمى وهو متوركاً في ساحة المسجد يهز رأسه وهو يتحفظ ويتلو آيات القرآن .. فلقد طوّح به الزمن مصائبه وشدَّ على رأسه همومه ..! وكأني أسمع المرض صارخاً به بعد أن سلب منه عينيه ونور بصره قائلاً له : يا حمود .. أنـت رجـل منذ هذه الساعـــة ..!! وليس لـك من الطفولة إلا سبع سنوات مضت ..!

عجباً ..! فلقد كان أبوه فقيراً لا يجد من يساعده في الحرث والحقل إلا هذا الطفل الكفيف ..! فهاهو يقول عن نفسه في آخر لقاء معه في أحد المجلات الإسلامية : لقد كنت أعمل مع أبي في الحقل بما أقدر عليه وكنت ألقح النخل وأصلح الزرع ..! يا الله ..! مـاذا أبقيت لشبابنا ورجـالنا يا أيها الطفل الكـفيف ..! بأبي أنت وأمي يا أيها الشيخ الجليل ..! فلكأن المداد يسيل بسيرة رجل من السلف الصالح وليس ببقية من السلف الصالح..! ولكن صدق رسول الهدى وإمام الرحمة ﷺ عندما قال (إن الله لا ينزع العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس .. ولكن يقبض العلم بقبض العلماء..) وصدق رسول الله (خيركم من طال عُمره وحسُن عمله) ولقد ودعنا هذا الشيخ الجليل وهو في الثمانين من العُمر .. بدئها بحفظ القرآن وختمها بمسك متضوع فكان وتداً في الحق ومِثالاً سامياً للصدع بدين الرحمن .. فلله دره من رجل أعاد أمجاد جدنا الإمام العِز بن عبد السلام ..!

فاللهم تقبله في الصالحين..وتقبلنا معه وأعف عنا وعنه ..واحشرنا وإياه مع من نحب مع الرسول وآله وصحبه الأطهار..

معـــــاشر النبلاء ..

إنه مما يدمي القلب حقاً ويحزنه .. ويمزق الفؤاد ويكلِمُه أن ترى أمثال هذا الإمام يرحل عن دنيانا فلا نرى له من عزاء بين الناس إلا ما ندر ..! بينما لو كان الهالك فناناً أو راقصة له تاريخها الحافل مع الهز .. لسُطِرت في سيرتها العطرة ! عشرات الصفحات ولأفردت لها زوايا خرِبة وأقلام مكسورة .. ولرُوِي للعالمين قصتها مع أمجادها الحافلة .. وكيف كان يفتلها إيقاع الطبلة ..!

فأي زمن أغبر هذا الذي يرتفع فيه اسم الثرى .. وتخبو فيه الثريا..! ولكن صدق الصادق المصدوق .. (بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدء .. فطوبى للغرباء ..) فلله درك يا إمام الغرباء في عصرنا .. يا من صدقت الله فيما عاهدت عليه حتى قضيت نحبك ولم تبدل تبديلا ..

الكاتب بجريدة الوطن الكويتية ..

محمد يوسف المليفي .

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وانطفأ السِراج

كتب الأخ مُحَمَّد بن يوسف المليفي (الكاتب بجريدة الوطن الكويتية)

بعد أن صليت الفجر .. اقترب مني شاب في العشرينات من عمره .. قال لي جئتك زائراً من المملكة السعودية .. فقلت له حياك الله وبياك .. ولكني لم أتشرف بمعرفتك بعد .. فقال أنا أخوك (سعد) ابن الشيخ سعيد آل الزعير ..!

الحق أقول .. بأن مثلي يتشرف أن يجالس أشبال هذا الأسد .. كانت الجلسة حميمية .. إيمانية .. ثم بعد أن أفطرنا .. ودعني ورحل إلى وجهة هو موليها .. فلقد عرفت أنه ممن يستبق الخيرات أثابه الله ..

وجدت متسعاً من الوقت لأتفقد بريدي الاكتروني .. قبل أن أتوجه إلى عملي .. كانت الرسائل كثيرة كالعادة ، ولكن لفت انتباهي منها رساليتن .. الأولى من شاب يتوقد حماساً ويلقب نفسه بوحش الجهاد .. كانت رسالته ثناء عطراً ، وأقسم أني لا أستحق قطرة منه .. ولكنه يحسن الظن بي كثيراً وأسأل الله أن أكون خيراً مما يظن وأن يغفر لي ما لا يعلم .. ولو أنه علِم بحالي لما أثنى ولو بحرف واحد .. فالله المستعان وهو أرحم الراحمين ..

وأما الرسالة الثانية .. فلقد كانت مفاجئة لي .. حيث أنها من أخت فاضلة .. زكا بها نسبها .. وحسبها .. ودينها.. كيف لا ؟ ومن بيت أبيها يخرج الورع .. إنها الأخت الفاضلة نورة بنت العلامة حمود بن عقلاء الشعيبي .. رحمه الله وأسكنه فسيح جناته .. آمين .

كانت الرسالة عبارة عن مرثية عطرية .. ورثاء معطر من بنت ابيها .. وقد تقدمت في مقدمة هذه المرثية بطلب مني ، أثقلت به كاهلي المثقل .. حيث اني لا أملك تنفيذه وعاجز عن تحقيقه والله تعالى يعلم لو أني استطعت إلى تلبيته سبيلاً ما تأخرت عنه فتيلا .. ولكن الله المستعان ..

لقد طلبت مني الأخت الفاضلة أن أضع رثائها في زاويتي بجريدة الوطن الكويتية .. ولكن كيف لي أن أضعه وقد منعت الجريدة أصلاً رثائي أنا فيه ..!؟ فلقد فوجئت بالقائمين على الصحيفة يخبروني بأنهم لا يريدون ان يحرجوا أنفسهم مع (جهات خارجية) !! .. وتلك الجهات لا تريد أن يكتب في حق هذا الشيخ ثناء عطراً ورثاء .. ! فما كان مني إلا أن نقلت رثائي فيه قبل أسابيع إلى الساحة .. ليندثر بعد ساعات بين أكوام المواضيع .. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .. وإني إذ أُقدم إعتذاري العريض لهذه السيدة الفاضلة .. فإني لا اجد حرجاً من نقل

مرثيتها المباركة في ساحتنا التي يدخل الناس عليها أفواجا .. فلعلها أن تصل إلى اسماع محبي هذا الشيخ الجليل وأبصارهم .. ويتحقق ولو شيئاً قليلاً من المقصود .. وأسأل الله القبول والرضوان .. والآن اضع بين يديكم الكريمة رسالتها اليتيمة كما جائتني ..

بسم الله الرحمن الرحيم

الأخ الكاتب مُحَمَّد بن يوسف المليفي .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :

أرجو إذا كان بالإمكانِ نشر هذه المقالة في صحيفة الوطن الكويتية وجزاك الله خيراً والتي هي بعنوان ((وانطفأ السِراج))

الله أكبر .. هل إنهد الجبل الشامخ .. الله أكبر .. هل اختفى القمر الساطع .. الله أكبر .. هل انثلم الإسلام .. الله أكبر .. هل انهدم حصن الدين ..!؟

الله أكبر .. هل ترجل الفارس الهمام .. الله أكبر .. هل دنى وقت رفع العلم بقبض أرواح العلماء ..الله أكبر .. هل انطفأت شمس الحق ..

الله أكبر .. هل رحل الشيخ الإمام العلامة مالئ الدنيا وشاغل الناس .. نعم أقولها وقلبي يعتصر بالحزن والألم .. نعم أقولها بكل فخر واعتزاز .. نعم أقولها إيماناً بالقضاء والقدر ..

نعم رحل الشيخ : (حمود بن عبد الله بن عقلاء الشعيبي) ..

رحل وترك الدنيا وزينتها.. رحل وترك كتب العقيدة والتوحيد بل كتب الدين كلها تبكي رحيله ..

رحل وترك محبيه في ذهول لعظم المصيبة .. رحل وترك مسجده يئن لفقده ..

رحل الشيخ ففرح كل مبتدع لموته ولم يستطع الصبر فأخرج كرهه الدفين وسمه الزعاف فقط حينما مات ، ولسان حال الفقيد يقول :

إذا أتتك مذمتي من ناقص ... فهي الشهادة لي بأني كامل ..

رحل حبيبي ونور عيني ... رحل من كنت أرى الدنيا من خلاله وبرحيله أظلمت الدنيا في وجهي ولم يعد لها طعم بعده .. ولكن عزائي فيك يا والدي الحبيب وشيخي المبجل :

أن من صلى عليك وشيعك لا يُحصون لكثرتهم ...أن كبار العلماء من أقرانك قد حزنوا لفقدك وأتوا لتعزيتنا من كل فج عميق أن العلماء وطلبة العلم وجمع غفير من داخل المملكة وخارجها قد ساروا خلف جنازتك التي عدّها أعدائك قبل أصدقاؤك من أكبر الجنائز مشهداً... أن رنين الهاتف من جميع أصقاع الأرض لم يهدأ لتعزيتنا فيك ...

لقد عزى فيك المشايخ والعلماء ... لقد عزى فيك الأمراء والوزراء ... لقد عزى فيك الرجال والنساء ...عزائي فيك يا والدي الحبيب نور وجهك الساطع وابتسامتك المضيئة حين موتك راجيةً أن تكون دليلاً على حسن خاتمتك ... عزائي ياوالدي الرؤى التي رآها الناس فيك قبل موتك وبعده فعبرها المعبرون أنك قُبضت على خير وأنك صرت إلى خير أحسبك والله حسيبك ولا أزكيك على الله ... عزائي فيك يا والدي أنك كنت دائما تتلو قوله تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ } .. فلقد نصرت الله حيّاً فنصرك حيّاً وميتاً ..

وأخيراً سأتسلى بقول الذي لا ينطق عن الهوى حبيبي وقرة عيني رسول الله ﷺ (اللهم آجرني في مصيبتي واخلف لي خيراً منها) وقوله بعد وفاة ابنه إبراهيم (إنا لله وإنا إليه راجعون ، إن العين لتدمع وإن القلب ليحزن وإنا على فراقك .. ياوالدي لمحزونون) ....

فاهنأ بقبرك يا والدي فلقد بلغت الرسالة ، وأديت الأمانة ، ونصحت الأمة وأبرأت الذمة ، وأقمت الحجة ، وصدعت بالحق ، وأعذرت إلى الله ولم تخش فيه لومة لائم .. أحسبك كذلك ولا أزكي على الله أحداً ..

ابنتك المكلومة / نورة بنت حمود الشعيبي ..

قصيدة ذهب الذين أحبهم

الله حسبي حينما تترجلُ ---- والصبرُ أجبرُ للفؤادِ و أجملُ

والله حسبي حينما يجتالني ---- أسفٌ عليك و حرقةٌ و تململُ

والله حسبي حين أجترع الأسى ---- غصصا، ودمعي في ركابك يهملُ

و الله حسبي كلما صالت بنا ---- برحى المنية صولةٌ لا تمهلُ

ذهب الذين أحبهم في جحفلٍ ---- يتلوه في عين المصيبة جحفلُ

يا شيخنا العقلا : رحلت!! وأمتي ---- ثكلى.. يصارعها العدو الأرذلُ

أرحلت والأحداثُ تفهقُ بالردى؟ ----- و على رحيلك أمةٌ تترحلُ

يفديك قومٌ قُصّرت أعمارهم ----- فاخلد بإرثك.. إن عمرك أطول

يفديك من ملأ الترابُ عيونه ---- فاهنأ .. فمجدُك في الزمان مؤثلُ

يفديك كلُّ منافقٍ متفيهقٍ ----- من دينهم عاريّةٌ و تسولُ

أسفي على العلم المرسّخ مثلما ---- يأسى على نور العيون المسملُ

علماؤنا نور البلاد وعزُّها ---- حرسُ الفضيلة و السياجُ الأطولُ

تُستنزل الرحمات من عبراتهم ---- و رؤى الحياة بجودهم تتهلّلُ

الموصلون إلى النجاة إذا طغى ---- موجُ الحياة و للسفين تميّلُ

الراسخون الثابتون على الهدى ---- إن أنكر الإشراق طرفٌ أحولُ

المصلحون بهمّةٍ نبويّةٍ ----- في الله لا تخبو و لا تتبدّلُ

زمر الملائك في مجالس ذكرهم --- فالقلب يخشعُ و العطايا تنزلُ

زمر الملائك في مجالس ذكرهم ---- إن كان للشيطان قِدْماً جحفلُ

هذي الحياة شواهدٌ مقروءة ---- ومنازل غرّارةٌ تتحوّل

حقّا رحلت !! وأمتي مكلومةٌ ---- و كأن في لب الحشاشة مرجلُ

اذهب إلى الله الكريم وفضله ---- فلعل في لقياه ما تتأمل

والله حسبي حين ينثر مهجتي ---- سهم الردى فيمن أحبُّ و أحفلُ

والله حسبي في جليل مصائبٍ ---- مما مضى منها وما يُستقبلُ

صالح علي العمري- الظهران

بسم الله الرحمن الرحيم

قصائد وصلت لموقع الشيخ حمود رحمه الله

قصيدة : أحقا مات عقلانا ؟

وداعا حبيب الناس ودعّت دنيانا * أحقا عباد الله قد مات عقلانا؟؟**

تموت المعاني في حروفي وتشتكي * من الغصص الألفاظ فالخطب أعيانا**

رحلت وفي نجد عليك مناحة * حمائم بيت الله تبكي وأقصانا**

وفي طيبة الغراء المآذن تشتكي * مدامع عشاق العلا سلن وديانا**

رحلت وفي كل القصيم مناحة * وكم من أسير للأسى بات حيرانا**

حبيبي فلا أدري أبعدك أنتشي * بعيدٍ إذا لا بارك الله نشوانا**

حبيبي فما بعد الفراق لمهجتي * سوى الدمع من عيني ينساب هتانا**

وداعا وداعا لا لقاء اليوم بعدهُ * سوى إن يشاء الله في الخلد تلقانا**

وداعا حبيب الناس ما كنت خائنا * لقومك والإسلام ما كنت خوانا**

وداعا ومالي سلوة بعد بُعدِكم * أيمكننا نفديك؟ قد كان ما كانا**

أموتا بمشفاهم فليس سوى أذى * دواء ولكن يوصل القبر مرضانا**

ويحي النصارى في بلادي صليبهم ***فكيف يداوي القاتلون جرحانا؟

وكيف يداوينا الصليب رماحهم * تمزقنا يا للأسى ضج بركانا**

ويا للأسى يا قوم هل من مشمر * لنخرج أهل الكفر فالشر أعيانا**

رجال ولكن لا أرى مثل خالد * نساء ولكن لا أرى مثل أولانا**

فيا أمة المختار جرحك ثاعب * ويا أمة المختار الله يرعانا**

ويخرج ربي للظلام مشاعلا * لتخسأ أمريكا فما مات عقلانا**

في رثاء سلطان العلماء

سمو في المبادىء والصفات .... وعز في الممات وفي الحياة

وعلم لم تدنسه الدنايا .... وجل عن الهوى و المغريات

ومدرسة من الأسلاف عاشت .... تعلمنا الثبات إلى الممات

فرات سائغ ما كدرته .... من التقوى دلاء الأعطيات

إذا سكتوا تصدى للفتاوى .... ليعلنها بإعلان الثقات

ويصدع بالحقيقة في شموخ .... ويأنف من دهاليز السبات

وفي هذا الزمان بلا مراء .... إمام أئمة الحق الهداة

بموتك يفرح الأعداء لما .... رأوا في موتكم فرح الطغاة

رأوا في موتكم موت المعالي .... وعيش أراذل ورويبضات

رضينا بالقضاء وما جزعنا ..... فكل مقدر لا بد آت

قصيدة " أسد الفتاوى "

وهذه قصيدة لا يعرف صاحبها، يقول فيها:

أسد الفتاوى عالم تروى له *** سير سرت قدمًا مع الركبان

سير بها عبر تجلت إنما *** سير العلا تروى بكل لسان

هو منبر ما أجلبت آراؤه *** خطب تشن لزمرة الطغيان

هذا لأن الحق منهجه الذي *** من حاد عنه يصاب بالخذلان

أقواله درر سمت وأدلة *** من سنة المختار والقرآن

ما كان مرجعه الهوى إن الهوى *** يهوى بمن يهواه في النيران

إن الهوى من سامه ألفيته *** بين الورى في ذلة وهوان

فتن أتت وتفننت في نشرها *** أذناب كل مكابر فتان

فأتت جهود الشيخ تكشف زيفها *** بالرد والإفصاح بالبرهان

إن الدفاع عن المبادئ عزة *** شرف بذاك عساكر الإيمان

يا شيخنا قد غظت كل منافق *** وكبت كل مجازف علمان

وهتكت أستار الطغاة وأرعبت *** فتواك عبد معازف وقيان

ووقفت كالجبل الأشم مناضلاً *** ومنازلاً لجحافل الصلبان

فقضيت دهرك يا إمام مجاهدًا *** ومساندًا للحق دون توان

ترثيك ساحات الجهاد وأسدُها *** يرثيك كل مهند وسنان

يرثيك جيش الحق لا جيش الذي *** قد باء بالتنكيل والخسران

ترثيك جند مُحَمَّد أسد الشرى *** حصن العقيدة في ربى الشيشان

يرثيك من باعوا الحياة رخيصة *** لله من عرب ومن أفغان

ترثيك كشمير اليتيمة حيث قد *** باتت تجرع غصة الأحزان

ترثيك غزة والخليل وقدسنا *** ترثيك كل معقل الإيمان

ترثيك يا شيخ القصيم أئمة *** عرفوا خطاك فكنت ذا رجحان

حظيت سماحتكم بخير شمائل *** وتبوأت في الخلق خير مكان

أفبعد فضلك يستطيل المفتري *** حاشاك مما قيل من هذيان

تبت أياديهم وما فقهوا الذي *** في غاية التوضيح والتبيان

فالله يجزي شيخنا خير الجزى *** ويثيبه الفردوس خير جنان

إن العين لتدمه وإن القلب ليحزن ولا نقول إلا ما يرضي ربنا وإنا لفراق الشيخ لمحزونون

{إنا لله وإنا إليه راجعون}

قال الطائر المهاجر :

وارحمتاهُ لحرقةٍ بفؤادي ... لوفاةِ ركنٍ ثابتِ الأوتادِ

ذاك الإمامُ حمودُ لهفي لهفةً ... لفراق داهيةٍ من الأطوادِ

علمٌ هوى فاهتزّ قلبي هزةً ... وأصابني سهمٌ فشقَّ فؤادي

يا ويح قلبي كم تكابد أمةٌ ... قرحى العيونِ جريحة الأكبادِ

اللهُ يشهد أنني لفراقهِ ... في كربةٍ عظمى وسقمٍ بادي

أبناؤهُ حتى وإنْ فُجعوا بهِ ... تُسلي مواساةٌ لأهلِ ودادي

وأقاسي اللوعاتِ وحديَ حاملاً ... في القلبِ شعلةَ مارجٍ وقّادِ

اللهُ يعلم مذْ علمتُ وفاتهُ ... وكأنَّ عينيَ كُحلتْ بقتادي

قسماً برب المروتينِ لَفَقْدُهُ ... عندي كفقدِ أبي أو الأجدادِ

اللهُ من نبأٍ أقضَّ مضاجعي ... وأرى الفؤادَ عرائكَ الآبادي

فليهنأ الشيخُ الإمامُ فإنهُ ... قد عاشَ ينشرُ علمه وينادي

لم تُغرهِ الدنيا ولا طلابها ... كلاَّ ولا فيها الإمامُ يعادي

لم يجنِ في هذي الحياةِ على امرىءٍ ... فحياتهُ في المتنِ والإسنادِ

شيخٌ كفيفٌ غيرَ أنَّ فؤادَهُ ... نبعٌ يجودُ لكل قلبٍ صادي

يا ربنَا فارحمهُ واجمعنا بهِ ... أنت الكريم وأجودُ الأجوادِ

واختم لنا بالصالحاتِ فإننا ... نشكو القصورَ وقلةً في الزادِ

بسم الله الرحمن الرحيم

يَا مَنْ رَأَى العُلَمَاءَ كَيْفَ تَسُودُ !!

رثاء في الشيخ حمود الشعيبي رحمه الله :

يَا نَائِبَاتِ الدَّهْرِ مَالَكِ سُودُ !! .... فِي كُلِّ يَومٍ عَالِمٌ مَفْقودُ !!

مَا إِنْ أَفَقْتُ مِنَ الرَّزِيَّةِ قَبْلَهُ .... حَتَّى دَهَانِي النَّعْيُ : مَاتَ حُمُودُ

خَبَرٌ يعِزُّ عَلَى المَسَامِعِ حَرْفُهُ .... تُنْعَى بِهِ الأَسْفَارُ وَالتَّجْويدُ

يَا دَمْعُ مَالَكَ فِي المَحَاجِرِ جَامِدٌ ؟! .... يَا دَمْعُ ! كُلُّ تَصَبُّرٍ مَرْدُودُ

رَحَلَ (الشعِيبِيْ) فَالمَحَاسِنُ بَعْدَه .... رَحَلَتْ وَأَعْقَبَ حُسْنَهَا التَّنْكِيدُ

لُفَّتْ شُمُوسُ الفَضْلِ فِي أَكْفَانِهِ .... وَبَكَى التُّقَى وَبَكى عَلَيهِ الجُودُ

وَعَلَتْ بَواكِي المَجْدِ فِي طُرُقَاتِهِ .... وَاليَومَ يَومٌ كَاسِفٌ مَكْدُودُ !

يَا أُمَّةً فِي شَخْصِهِ شَاهَدْتُهَا .... حُمِلَتْ عَلَى الأَعْنَاقِ وَهْيَ تَجُودُ

يَا مَنْ رَأَى الأَبْطَالَ كَيْفَ نُبُوغُهَا .... يَا مَنْ رَأَى العُلَمَاءَ كَيْفَ تَسُودُ !!

هَذِي جنَازَةُ شَيْخِنَا ؛فِي حَشْدِهَا .... نَبَأٌ بِأَنَّ كَرَامَتِي سَتَعُودُ

بَيْنَ الصَّدُوقِ وَبَيْنَ كُلِّ مُدَاهِنٍ .... يَوْمَ الجَنَائِزِ ؛ شَاهِدٌ مَشْهُودُ

عِزٌّ يَرَى الجَوْزَاءَ مِنْ شُرُفَاتِهِ .... شَرَفٌ – لَعَمْرِي – مَا عَلَيهِ مَزِيدُ

لَو كَانَ يَرْجِعُ بِالفُؤَادِ فَدَيْتُهُ .... يَا لَيْتَ شِعْرِي لَو فَعَلْتُ يَعُودُ !!

المَوتُ حُكْمٌ مِنْ إِلَهٍ عَادِلٍ .... مَا لامْرِىءٍ بَيْنَ الأَنَامِ خُلُودُ

كَمْ عَالِمٍ بَيْنَ الأَنَامِ كَمَيِّتٍ !! .... كَمْ مَيِّتٍ يَحْيَا بِهِ التَّوحِيدُ

لَو جَازَ لِي ؛ لَوَقَفْتُ أَسْأَلُ نَعْشَهُ .... يَا شَيْخَنَا ! بِاللهِ أَيْنَ تُرِيدُ ؟!

هَلْ ضَاقَتِ الدُّنْيَا لِقَولِكَ عِنْدَمَا .... صَمَتَ الجَمِيعُ وَبُورِكَ التَّنْدِيدُ

فَذَهَبْتَ تُسْمِعُ فِي الحَفَائِرِ أُمَّةً .... كَانَتْ لَهَا فِي المَشْرِقَيْنِ رُعُودُ

الخَطْبُ أَعْظَمُ مِنْ قَصِيدَةِ شَاعِرٍ .... أَقْسَمْتُ : أَنْتَ الصَّارِمُ المَغْمُودُ

نظم: أبي معاذ الضربي

القصيم

بسم الله الرحمن الرحيم

ورحل درع الإسلام

بقلم/ مُحَمَّد بن إبراهيم الصمعاني

الحمد لله الذي يهدي من يشاء ويضل من يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء بيده الخير وهو على كل شيء قدير والصلاة والسلام على إمام المجاهدين وقائد الغر المحجلين وسيد الأنبياء والمرسلين عليه افضل الصلاة وأزكى التسليم وبعد.

فهذه الأسطر تتحدث عن أحد أئمة الدعوة وهو الإمام حمود بن عبد الله بن عقلاء الشعيبي رحمه الله ولا غر أن يكون إماما فبالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين لقد فقد بصره عند سن التمييز وحفظ القرآن قبل البلوغ وشرع في طلب العلم بعد حفظ القرآن وكان جادا في طلبه ، وتتلمذ على الشيخ عبد اللطيف آل شيخ وسماحة الشيخ مُحَمَّد بن إبراهيم وسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز والشيخ مُحَمَّد الشنقيطي وغيرهم من العلماء الأجلاء وكان من زملاءه في رحله طلب العلم سماحة الشيخ مُحَمَّد المنصور رحمه الله واستمرا على الزمالة طيلة حياتهما ثم بعد ذلك شرع الشيخ حمود في التدريس وتتلمذ على يديه ثلة من العلماء والقضاة وأعضاء هيئة التدريس في الجامعات وغيرهم من المشايخ الأفاضل.

ولعل من أبرز ما يتلهف إلى سماعه هو الحديث عن مواقف الشيخ وصدقه وإخلاصه فقد كان الشيخ نحسبه والله حسبنا وحسيبه أنه كان صادقا في تعامله مع الآخرين محبا الخير للمؤمنين مبغضا للكفر والكافرين حربا على من حارب الدين سلما للإسلام والمسلمين كان رحمه الله عطوفا على فقراء المسلمين فطالما أتى الفقراء إليه عندما نكون في الدرس تأتي الأم مع أولادها وتشكو للشيخ سؤ حالها فيسأل الشيخ عن عددهم فيعطي الأم والأولاد ما كتب الله أن يعطيهم فلا أذكر يوما أنه رد أحدا من المحتاجين مع كثرتهم وإلحاحهم فكنت أقول في نفسي لو كانت هذه النفقات في غير وجوه الخير لنفد ما عند الشيخ وهذا ما أطلعني الله عليه فماذا عما لم اعلم عنه اسأل الله أن يكون ذلك سياجا له عن النار ملحقا إياه في الفردوس مع الأبرار أما من جانب صبره وتجلده فقد كان جبلا في الصبر وأذكر مره أني أتيت للدرس فلم أجد الشيخ في المسجد فطرقت عليه الباب في بيته فلم يجبني أحد فصبرت قليلا إذا بي اسمع الشيخ قادما وفجأة إذا بالشيخ يسقط على الجدار فبدأت أنادى الشيخ واذكر اسم الله عليه ثم قليلا إذا الباب يفتح قفله فعندما فتحت الباب

إذا بالشيخ ساقطا على الأرض ففزعت إليه أريد حمله للمستشفى فرفض الشيخ بشده وقال ليس بي شي فمن كان محتسبا الأجر عند الله رفض أن يبث شكواه لغير الله ومن صبره انه كان ينتظر طلابه في المسجد ولا ينصرف حتى يأتوا إليه وكان مراعيا لظروفهم إن تأخروا وكان رحمه الله دقيقا في المواعيد محافظا عليها ولا اذكر انه تكلم عن دقة المواعيد ووجوب الحرص عليها ولكن قد ترجم عن ذلك بفعله رحمه الله وهذا بخلاف من يتكلم والفعل ينقض وكان رحمه الله ابعد الناس عن الدنيا وزخرفها وكان سجوده على التراب متذكرا بذلك سرعة الانتقال إليه قال تعالى (منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى) وكان يرفض عيش المنعمين المترفين ويدخر ذلك في جنات النعيم وكان مراقبا لله تعالى شديد الخوف منه شديد الخوف من الريا فطالما قدمت له القهوة والتمر بعد العصر وهو صائم فيبدي للحاضرين انه محجوب عنها وكان رحمه الله واقفا عند حدود الله شديد الخوف منه اسأله بعض الأحيان عن بعض الأسئلة فيجيب عن بعضها وقد يقول بعض الأحيان الله اعلم ولا يجد في ذلك غضاضة بل لا تستغرب عندما أقول لك أنه رجع عن قوله في أحد المسائل عندما ناقشه عنها أحد طلابه وسئل أحد الأيام هل ستقف عن الفتوى يا شيخ فقال قد أتحمل ما يصيبني في الدنيا مهما عظم ولكني لست مستعدا أن أتحمل كيه واحده من النار وقال في موضع آخر أن البس لجام من نار فسجل أيها التاريخ سجل هذه الكلمات العظيمة من رجل عظيم فالتاريخ لا يسجل إلا العظماء سجلها كما سجلت (أنا جنتي وبستاني في صدري) و(إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة) ومن قال (كيف استعبدتم العباد وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا). وكان الشيخ دائما ما يوصي بالصبر والإخلاص وأذكر أني كنت في موعد معه لزيارة الشيخ مُحَمَّد المنصور رحمه الله يوم أن كان مريض في المستشفى فعندما أتيت في الموعد المحدد إذا بالشيخ حمود ينتظرني فذهبنا سويا إلى الشيخ مُحَمَّد فعندما التقى الشيخين سأل كل واحد منهما عن حال الآخر قليلا ثم انتقل الحديث سريعا عن أحوال المسلمين وعن المنكرات وكل واحد منهما يناشد الآخر ماذا صنعت وماذا ستصنع وأنا أبصرهما أتذكر قوله تعالى (وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) وكان رحمه الله شديد الغضب عندما يسمع مخالفه للشرع المطهر وكان يحذر من القول بالرأي والهوى ويوصي بالرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وكان رحمه الله قوي البصيرة وان كان أعمى البصر كما قال تعالى (فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور) وكان قوي الإحساس بمن حوله حتى أن بعض أبناءه وأحفاده يحاولون التسلل من المنزل إلى المزرعة عن طريق المسجد في غير وقت اللعب فكان رحمه الله يشعر بهم فيصدهم إلى المنزل وكان يحفظ الطريق ويعلمه اشد من معرفة المبصر وأذكر انه كان سيأتي للشيخ جماعة من طلاب

العلم والمشايخ وقد ضاع مفتاح المجلس فذهبت أنا والشيخ نبحث عنه فكان الشيخ هو الذي يدلني على الطريق فإذا وصل إلى المكان الذي يعتقد أن المفتاح به يقول أبصر هذا المكان بل لا تستغرب إذا قلت لك أني أسير أنا والشيخ وكان الشيخ مسرع فأردت إيقافه لأن أمامه درج فسبقني الشيخ ونزل وهو مسرع واحد المرات سألني هل الغيوم في السماء كثيرة أم قليلة فقلت في نفسي وما يدريك أن في السماء غيوم وأنت أعمى فسبحان من ابصر الأعمى ما لم يبصره المبصرون وكان رحمه الله متقنا لحفظ كتاب الله بل كان يقرا عليه أحد الاخوة من خارج البلاد بقراءة ورش ويرد عليه الشيخ بإتقان وكان بارعا في النحو مهتما بالإعراب اكثر من اهتمامه بالقواعد وكان عارفا بعلم العروض متقنا له وقد قرء عليه رحمه الله في هذه الفنون أعداد من الطلاب وقرء عليه بفنون أخرى كالفقه وأصوله والحديث والسيرة ومن ابرز ما قرء عليه بكثرة بالعقيدة فقد كان بحرا لا ساحل له في علم العقيدة حافظا لكتب الشيخ مُحَمَّد بن عبد الوهاب رحمه الله هاضما لفتاوى شيخ الإسلام ابن تيميه بل في الفتوى الحمويه والتدمريه كان يوقف القاري ويقول هذه اللفظة لا اذكرها ثم نقف قليلا إذا بالطبعة جديدة ولعل من ابرز ما عرف عن الشيخ هو دفاعه عن الدين وعن قضايا المسلمين فكان كالأسد الذي يذود عن عرينه تسلل المعتدين فكان الشيخ رحمه الله لا يقر له قرار ولا يهدا له بال إذا تكلم بدين وانتقص منه فكان سياجا من العقيدة للمسلمين وسدا منيعا في وجوه المعتدين وبذلك يحق لنا جميعا أن نطلق عليه لقب [درع الإسلام بن عقلاء] وكان شجاعا لا يخاف غير الله كما كان لا يرجو غير الله وكان نبيها ذكيا حذقا لا ينطلي عليه تحايل وكذب وكان قوي الحجة مفحما للخصوم ولعل ذلك راجعا إلى تعلقه بالكتاب والسنة ومعرفته بردود الأئمة على الخصوم وكان لا يعرف المجاملة في دين الله لا لشريف أو وضيع ولا لكبير أو رضيع ولذلك كان مهيبا يهابه العظماء ويحبه الفقراء والضعفاء وكان حريصا على تحريك قضايا المسلمين في انفس المسلمين وخصوصا العلماء فكان يستدعي العلماء والدعاة ويعاتبهم على تقصيرهم في الدفاع عن الإسلام وقضاياه وكان يرسل طلابه لتحريكهم أو يتصل عليهم إذا لم يحضروا ويذكرهم بأحوال المسلمين حتى انه اتصل مره على أحدا العلماء وأنا بجواره وقال له أي مهزلة هذه يا شيخ تسقط عمارتين فتقوم الدنيا ولا تقعد ويبيت شعب كامل بين التهجير والإبادة وكأن الأمر عادي لابد أن نقف موقف صارم فقلت في نفسي إذاً ماذا يقول غيرك من العلماء إذا انك أنت لم تقف موقفا صارما فرحم الله الشيخ رحمة واسعة فلعمر الله أن اعظم من فجع بالشيخ وسيفقده هم المجاهدون المرابطون على ثغور المسلمين الذين سهروا لينام المسلمون وجاعوا ليشبع المسلمون وقتلوا ليحيا المسلمون وسيفقده رجال الحسبة الذين كان الشيخ

بجلسة ومهاتفه وبرقية ينكر مالا ينكره مئات المسلمين سيفقده العلماء الذين قال منصفهم أن الشيخ حمود حمل عنا حملا لا نستطيع حمله سيفقده المظلومون الذين وجدوا عند الشيخ القدرة على استرجاع حقوقهم ووجدوا عنده صدرا منشرحا في استقبال قضاياهم وباختصار سيفقد الشيخ كل مسلم مخلص صادق وبالمقابل سيفرح بموت الشيخ كل شيطان وفاسق ولكننا نقول لهؤلاء الذين فرحوا إن الجولة لم تنتهي بعد بل هناك جولة قادمة وهي قريبة بوعد الله لنا قال تعالى (وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا) فبعد قيام القيامة سيقوم الأشهاد وستأتي كل نفس معها سائق وشهيد ويكون النصر في تلك الساعة للمؤمنين الصادقين قال تعالى (من كان يظن أن لن ينصره الله في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب إلى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ) و قال (إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد) في هذه الساعة سيكون النصر للمؤمنين وسيأتي الظالمون الذين قتلوا المسلمين في فلسطين والبوسنة كوسوفا والشيشان وكشمير والفلبين وأفغانستان والذين فرحوا بموت العلماء وفرحوا ببقاء المنكرات سيأتي هؤلاء الظالمون وسيعتذرون لما بدر منهم ولكن هل يقبل اعتذارهم (يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سؤ الدار) إن النصر الحقيقي والسعادة الحقيقة ليست لمن بقي في الدنيا الفانية وطال بقاؤه بل هي لمن كانت له عقبى الدار ويا ويل من كانت له سؤ الدار فلعمر الله لهذه هي الخسارة الحقيقية وأما من انقص من قدر الشيخ بمقال الحاقد فيقال له لا يضر السحاب نبح الكلاب ودأب الصعاليك انتقاد الأئمة من أجل الشهرة وقد انتقد هذا الصعلوك إمام أهل السنة أحمد بن حنبل رحمه الله وأثنى على إمام المعتزلة أحمد بن أبي دؤاد الذي كان يقول للمعتصم اقتل ابن حنبل ودمه في رقبتي وذلك بمقال سابق له ويقال لذلك الساخر ابشر بسوء الخاتمة فهذه حال من تكلم بالعلماء الربانيين وعودا على بدء فالشيخ حمود رحمه الله قد شهد له عباد الله الصادقين بتبليغ الرسالة واكنوا له الحب العميق وأحبه المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها وما أدل على ذلك من رسائل العزاء التي وردت من القاصي والداني بل وجنازته رحمه الله كان لها مشهدا عظيما تذكرنا موقف القيامة الرهيب فصلى على الشيخ أعداداً لا يعلمهم إلا خالقهم وبعد الصلاة عليه ساروا به إلى المقبرة فإذا بالمقبرة ممتلئة قبل الوصول إليها والشوارع مكتظة بالمسلمين والناس على أسطح المنازل وعلى جدران المقبرة والأبواب لا تسع الداخلين لها فكان الناس يقفزون من الجدران وصلي على الشيخ في الطريق وداخل المقبرة ولم يستطيعوا إيصاله إلى قبره إلا بعد مشقة بالغة وكاد البعض أن يهلك من الزحام ثم بعد قبره لم يتمكن من حثي التراب عليه إلا نفر قليل بالنسبة للحاضرين واستمر الناس يتوافدون على قبره ويصلون عليه ويترحمون عليه أياما وقد رُئي الشيخ يُقتل شهيدا

في أرض الجهاد ولعل ذلك بيانا لقوله ﷺ : (إن في المدينة أقواما ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا إلا كانوا معكم حبسهم العذر)) وقوله عليه الصلاة السلام : (من سأل الله الشهادة خالصا من قلبه بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه ..)

و والله إننا بقدر ما نحزن على فراق الشيخ رحمه الله يجب أن نفرح بأمر مهم وهو أن الشيخ مات على ما هو عليه من صدق وثبات فماذا الحال لو تذبذب وتراجع لكانت اعظم فجيعة على المسلمين أولا وعليه ثانيا فنحمد الله على هذه النعمة العظيمة وفي حقيقة الأمر أن الشيخ لم يمت بل هو لازال حي بكلماته الخالدة ومواقفه المشرفة وبما ترك من علم مازال حيا لأن كل واحد منا قد نقش على صدره [درع الإسلام بن عقلا].

بسم الله الرحمن الرحيم

وقفات ومواقف من حياة شيخنا العلامة المجاهد

الحمد لله وحدة والصلاة والسلام علي نبينا مُحَّد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم وبعد :

أن العلماء هم السراج الذي ينير لهذه الأمة طريقها ...

فهم ورثة الأنبياء كما اخبر النبي ﷺ : ((ان العلماء ورثة الأنبياء وان الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهما بل ورثوا العلم))

ومن حفظ الله لهذا الدين أن جعل لهذه الأمة علماء ربانيين ينشروا العلم النافع ويصدعون بالحق ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ..

ومن هؤلاء العلماء شيخنا العلامة المجاهد / حمود العقلا الشعيبي – رحمه الله – نحسبه كذلك والله حسيبه ولا نزكى على الله أحداً ..

ومن فضل الله علي أني جالست الشيخ واستفدت منه فوائد لو وزنت بالدنيا و ما فيها ما عدلت ربع ما أستفدته من شيخنا رحمه الله ..

ولقد صعقت بهذه المصيبة وهي وفاة شيخنا رحمه الله ،،

ومن اقل الواجب في حق الشيخ رحمه الله ذكر بعض الوقفات والمواقف التي رايتها بنفسي او التي سمعتها من طلبه الشيخ ،،

وليعذرني القارئ الكريم فكيف أستطيع أن أكتب عن جبل العقيدة ....من انا حتى أتكلم عنه .. ان اليد ترتجف عند محاولة ذكر فضائله والبيان يعجز عن ذكر مآثره والشعر يعجز عن ذكر مناقبه والقلب يحزن على فراقه والعين تدمع لودعاه ..

الوقفات والمواقف ..

في البداية لابد من جعل وقفة في حياة الشيخ – رحمه الله – وهي جديرة بالانتباه من كل شيخ وطالب علم بل من كل مسلم ، إلا وهي إذا كان معك الحق لا يضرك كثرة من خالفك ، فشيخنا – رحمه الله – كثر أعداءه من علمانيين ومشايخ السوء و عصرانيين وطلاب الدنيا وكل من في قلبه هواء ...

ومع ذلك ثبت شيخنا رحمه الله ولم يداهن او يجامل – رحمه الله - .

وقفة مع فتواه الشهيرة في غناء الرويشد للقرآن :

كلنا يذكر تلك الفتوى التي كانت فاجأت الجميع ..

الشيخ أفتى بردة الرويشد لغناءه بسورة الفاتحة ،، و أفتى بهذه الفتوى وهو يعرف ان هناك من سوف يعترض ويطعن وينتقد هذه الفتوى ومع ذلك لم قالها صريحة ..

فهل ندم في اصدارها الشيخ – رحمه الله –

الجواب / لا

بعد هذه الفتوى خرج الرويشد في وسائل الإعلام ونفى انه قد غنى بسورة الفاتحة وأنها كذب ..

فهاجم شيخنا – رحمه الله – الناس في وسائل الأعلام من صحافة وتلفاز ونحوه ..

و يا ليت الأمر توقف على هذا الوضع بل كتب في المنتديات في الإنترنت بعض المنتسبين للعلم واخذوا يدافعون عن هذا المجرم (الرويشد) وقالوا : تسرع العقلا الشعيبي في الفتوى !!

مثل هذه الفتاوى المفترض الا تصدر من العلماء الكبار ..!!

العقلا الشعيبي تكفيري ..

العقلا الشعيبي جاهل بالعقيدة ..

العقلا الشعيبي لا يؤخذ منه الفتوى لأنه لا يمثل جهة رسمية ...الخ من الكلام القبيح ..

وعندما وضعنا مقطع لصوت الرويشد وهو يغني بالفاتحة في المنتديات قام من تكلم وطعن بالشيخ و أنكروا وظهر ورعهم البارد فقالوا : اتقوا الله ...لا يجوز وضع الغناء !!

لماذا تضعوا الموسيقي ....هذا حرام !!

سبحانك ربي ..

وهل الطعن في العلماء حلال ..

وهل نبز العلماء جائز ،،

وهل اتهام العلماء بالباطل واجب !!

وبعد فترة صرح الرويشد انه غنى سورة الفاتحة ..

فما كان من هؤلاء ممن دافع عن هذا الزنديق الا أن سكتوا ولم يكتبوا اعتراف او رجوع عن كلامهم او اعتذار للشيخ – رحمه الله – وكأنهم يقولون / ما ألذا لحوم العلماء ... وما أطيبها ..

وبعد ذلك اصبح الرويشد لا يتنقل الا بحرس وجنود حتى لا يصاب بسوء ولا يعترض له أحد ..

وبعد ذلك ..

ظهر في إحدى القنوات الفضائية ووجهه محمر ومصفر وقال في هذا اللقاء :

ماذا يريدون مني ؟؟
لقد تعبت نفسياً ...
انا غير مرتاح ..
حتى أولادي في المدرسة يقول لهم زملائهم : يا ابن الكافر ..
بل ان الأمر لم يتوقف على ذلك بل اخبرني أحد الإخوة بالكويت ان مُحَمَّد العوضي اتصل عليه وقال له :
اتصل على الشيخ / حمود واطلب منه أن يوافق على أن يزوره الرويشد ويعتذر له ..
فاتصل على شيخنا فما كان من شيخنا إلا أن رد بالرفض وقال أنا أفتيت بحكم الشرع فيه فلا ياتي لي ..
أين الرويشد وشهرته ..
اين ملايين الأموال التي يملكها ..
أين المعجبين فيه ..
أين المصفقين والمطبلين له ..
أدعوكم اخوتي للتأمل ..
شيخ ضرير اعمى البصر (لكنه نير البصيرة)تجاوز الثمانين عاماً في مزرعته خارج المدينة ليس صاحب منصب ..
بل ليس له صلاحيات ولا مميزات حتى انه ممنوع من القاء الدروس .
.يصدر ورقة واحدة فتوى ...ورقة واحدة !!
اهتز لها العالم. .. حتى أن وكالات الأنباء العالمية طلبت زيارته ليأخذوا لقاء له و تصريحات .
أليس هذا دليل إخلاص الشيخ رحمه الله ..(نحسبه كذلك)
كم من مفتي او شيخ اصدر فتوى كان مصيرها النسيان ..
كم من مفتي ليس لفتواه ثقل ولا وزن ..
رحمك الله يا شيخنا فقد ذكرتنا بشيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – .
زار شيخنا مجموعة من الاخوة وكان من ضمن الحديث سؤال لأحدهم للشيخ ..
فقال : يا شيخ نخاف عليك أن تسجن ..
فماذا تظنون الشيخ قائل !!
هل خاف الشيخ من السجن !!

قال – رحمه الله – : ما بعد الثمانين شيء ..

والمقصود :

ان الشيخ يقول عن نفسه ان تجاوز الثمانين عاماً وما بعد الثمانين شيء ..أي يقصد اقترب رحيله من الدنيا ..

فلم يأبه لأحد لانه كان يريد ان يلاقى ربه وقد أدى ما عليه ..

هذه وقفه لكل من با ع دينه بدنياه ..

وقفه لمن اشترى الدنيا بالآخرة ..

وقفة لمن خاف وداهن ..

وقفة لكل من أراد زينة الحياة الدنيا وترك جنان الآخرة ..

رحمك الله يا شيخنا ...فقد ذكرتنا بالعز بن عبد السلام – رحمه الله –.

كلما أتيت للشيخ – رحمه الله –كان يذكر المجاهدين بخير ويدعو لهم ويدعوا لنصرتهم وللذب عن عنهم بل وللخروج معهم في الجهاد في سبيل الله ..

وكان يقول : لولا العذر لخرجت معهم ..

رحمك الله يا شيخنا .. فقد كنت شيخ المجاهدين .

كنا في بعض الأحيان نأتي للدرس في الموعد المحدد ..

فما نجد الا الشيخ خرج ومعه أحد أبناءه ، فقلنا للشيخ : هل لنا درس اليوم ؟

فقال الشيخ : اعتذر يا أخوان .. فأنا مسافر للرياض لأقابل الشيخ ابن باز – رحمه الله –لأكلمه عن موضوع قيادة المرأة للسيارة ...... ومرة قال لبطاقة المرأة... الخ

كان رحمه الله ينكر بما يقدر عليه وكان يكلم ويراسل الشيخ ابن باز – رحمه الله – وكان بينهما ود واخوة عظيمة .

رحمك الله يا شيخنا فقد بلغت و أوفيت وكفيت ..

كان يكرر كثيرا رحمه الله قصيدة القاضي الجرجاني :

يقولون: لي فيك انقباض، وإنما * * * رأوا رجلا عن موقف الذل أحجما

أرى الناس من داناهم هان عندهم * * * ومن أكرمته عزة النفس أكرما

وما كل برق لاح لي يستفزني * * * ولا كل من لاقيت أرضاه منعما

وإني إذا فاتني الأمر لم أبت * * * أقلب طرفي إثره متندما

ولكنه إن جاء عفواً قبلته * * * وإن مال لم أتبعه لولا وربما

وأقبض خطوي عن أمور كثيرة * * * إذا لم أنلها وافر العرض مكرما

وأكرم نفسي أن أضاحك عابساً * * * وأن أتلقى بالمديح مذمما

ولو أن أهل العلم صانوه صانهم * * * ولو عظموه في النفوس لعَظّما

ولكن أهانوه فهان ودنسوا * * * محياه بالأطماع حتى تجهما

أأشقى به غرساً وأجنيه ذلة؟ * * * إذن فاتباع الجهل قد كان أحزما

فالشيخ – رحمه الله –كان يكرر هذه الابيات وكانه يقول هذا منهجي وطريقي ..

رحمك الله يا شيخنا ..

وهذا موقف حدث لي مع الشيخ – رحمه الله – :

كان أحد الاخوة قد دعا الشيخ لوليمة في مزرعته بعد صلاة العشاء وكان في الوليمة مجموعة من المشايخ وطلبه العلم وانشغل صاحب الوليمة فلم يستطيع إحضار الشيخ للمزرعة فكلمنا لنحضر الشيخ ..

فذهبت مزرعته الشيخ وكما هو معروف ان مزرعة الشيخ خارج مدينة بريدة وتبعد حوالي ثلاثين كيلو او تزيد..

وقدر الله قبل هذه الوليمة بأيام ان يطمس بعض الأطفال حروف لوحة سيارتي فلما ذهبت للشيخ كان هناك نقطة تفتيش فانتبه العسكري للوحة المطموسة فحرر لي مخالفة و قام باحتجاز السيارة ونقلها إلى حجز السيارات الذي يبعد عن مزرعة الشيخ أربعين كليو تقريبا ..

حاولت أن أفهمهم أني مرتبط مع أحد المشايخ و أني سوف أقوم بتعديل اللوحات وان المسالة لا تستدعي حجز السيارة ..ولكن لقد أسمعت لو ناديت حياً ..

فلما وصلنا للحجز وضعوا السيارة في مكان حجز السيارات ثم قالوا : انصرف ..

فقالوا : دبر حالك ..؟؟؟

تخيلوا أيها الأحباب رجال الأمن يحجزون سيارة مواطن في إحدى الطرق البعيدة عن المدينة وفي مكان مقطوع ويقولون : دبر حالك !!

الشاهد .. تأخر علي الوقت والشيخ ينتظر و تأخرت على صاحب العزيمة ..

ويسر الله لي سائق أجرة فركبت معه وذهبنا مباشرة لمزرعة الشيخ فلما وصلت طرقت الباب فخرج لي الشيخ – رحمه الله – فقال لي : لماذا تاخرت ؟

فأخبرت الشيخ بما حدث ..

فما كان من الشيخ –رحمه الله – إلا ان ادخل يده في جيبه واخرج من جيبه النقود وقال : خذ أعطى الحساب لسائق الأجرة ..

قلت : يا شيخ لا .. عفا الله عنك ..

فأقسم الشيخ فما كان الا أن قبلت بعد قسم الشيخ ..

ثم طلب الشيخ من سائقة أن يجهز السيارة وقال لي : اركب معنا ..

وفي الطريق تمتعت بحديث الشيخ وعلمه وكلامه الذي يقطر كالعسل ..

فلما اقتربنا من بريدة قال لسائقة : اذهب إلى إدارة مرور بريدة ..!!!

قلت : يا شيخ عفا عنك لماذا ؟

قال : حتى نخرج سيارتك ..

فقلت له : لكن الاخوة ينتظروننا والمشايخ موجودين ..

فقال : أنت تعبت وأتيت من اجلي فلذلك سأذهب وان نخرج من عندهم الا ومعك سيارتك ..

أصابني إحراج شديد ...و تعلثم لساني ..

حينها أخذت انظر للشيخ واستغرب ..

هل أحد من المشايخ بهذا الكرم الفياض والخلق الرفيع !!

ثم فكرت وتذكرت الاخوة والمشايخ الذين ينتظرون الشيخ –رحمه الله – .

وبعد جهد جهيد ..أقنعت الشيخ أنني سوف أراجعهم وإذا أشكل علي شيء سوف ارجع له ..

فوافق الشيخ بهذا الشرط ..

ثم ذهبنا للاخوة ولما وصلنا للمزرعة ونزلنا اخذ الشيخ يمدحني ويثني علي ويدعو لي بما لا استحقه .. هذه موقف اذكره للشيخ – رحمه الله – بإجلال ...

أحبتي ..ما كتبته اعتبره دردشة وليس مقال او رثاء للشيخ ..

أحببت ان أشارك به..

رحمك الله يا شيخنا ..

اللهم اني اشهد ان عبدك حمود العقلا الشعيبي قد ابرىء ذمته

اللهم اني اشهد ان عبدك حمود العقلا الشعيبي قد ابرىء ذمته

اللهم اني اشهد ان عبدك حمود العقلا الشعيبي قد ابرىء ذمته

النعمان

منتدى الدفاع عن السنة

شَيْخُ الطَّبَقَةِحُمُوْدُ العُقْلاء رَحِمَهُ اللهُ تَعَالى

المولود (١٣٤٦)، المتَوَفَّى (١٤٢٢/١١/٥)

عَنْ عُمُرٍ يُنَاهِزُ السَّبْعَةَ والسَّبْعِيْنَ .

الشيخ/ذِيَابُ بنُ سَعْدٍ آلُ حَمْدَانَ الغَامِدِيُّ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيْمِ

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ، والصَّلاةُ والسَّلامُ عَلَى عَبْدِه ورَسُوْلِه الأمِيْنِ . أمَّا بَعْدُ :

فأشْكُرُ اللهَ تَعَالَى أنْ خَصَّنِي بكَبِيْرِ فَضْلِه، وعَظِيْمِ حِلْمِه؛ حَيْثُ أوْصَلَنِي بصِلاتٍ لا تُعَدُّ ولا تُحْصَى؛ فَكَانَ مِنْها : قِرَاءةُ هَذا السِّفْرِ القَوِيْمِ، والعِلْمِ العَظِيْمِ المزْبُوْرِ تَحْتَ مَجَامِيْعِ (فَتَاوَى ورَسَائِلِ) شَيْخِ الطَّبَقَةِ، وحَسَنَةِ الوَقْتِ، الشَّيْخِ الهُمَامِ، فَارِسِ المنْقُوْلِ والمعْقُوْلِ، فَضِيْلَةِ الشَّيْخِ العَلامَةِ : أبي عَبْدِ اللهِ حُمُوْدِ بنِ عَبْدِ اللهِ العُقْلاءِ الشُّعَيْبِيِّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى .

فعِنْدَها؛ سِيْقَتْ إلَيَّ (رَسَائِلُهُ وفَتَاوَاهُ) رَجَاءَ النَّهْلَ مِنْ عِلْمِها، والثَّبَاتَ عَلَى فِعْلِها، لأتَفَيَّأَ ظِلالَهَا، وأجْنِيَ ثِمَارَها؛ فَكَانَ ذَاكَ ! فحَمْدًا؛ حَيْثُ زُفَّتْ إلَيَّ هَذِه المجَامِيْعُ فِي أثْوَابٍ حِسَانٍ، وعُقُوْدٍ جُمَانَ، قَدْ تَلألأتْ صَفَحَاتُها، وأضَاءتْ كَلِمَاتُها بنُوْرِ الوَحْيَيْنِ، ومَاءِ العَيْنَيْنِ، حَيْثُ تَضَوَّعَ مِسْكُها، وفَاحَ شَذَاهَا ... لِذَا؛ كَانَ حَقًّا عَلَى المؤْمِنِيْنَ أنْ يُسَلِّي بَعْضُهُم بَعْضًا بأنَّ الزَّمَانَ وَلاَّدُ، والأيَّامَ جِيَادُ ... بعُلَمَاءَ أجِلاءَ، وأعْلامٍ نُبَلاءَ، كالشَّيْخِ العُقْلاءِ، فِي أيَّامٍ أظْلَمَ نَهَارُها، واغْبَرَّتْ سَمَاؤُها، فالحَمْدُ للهِ عَلَى بَقَاءِ الطَّائِفَةِ المنْصُوْرَةِ، عَلَى رُغْمِ مُكَاثَرَةِ الطَّغَامِ، وفَسَادِ أهْلِ الزَّمَانِ !

أمَّا تَذْكِيْرُ بَعْضِ سِيْرَةِ شَيْخِ الطَّبَقَةِ، فَشَيْءٌ آخَرُ، لِمِثْلِه تُطْرَبُ الأسْمَاعُ، وتُعَطَّرُ المجَالِسُ، وتُقَادُ نَجَائِبُ العِلْمِ، وتَنْجَرُّ سُلالَةُ سِيَرِ الصَّالِحِيْنَ .

فحَنَانَيْكَ حَنَانَيْكَ؛ لَوْ اسْتَقْبَلَ مُؤَرِّخُ الإسْلامِ (الذَّهَبِيُّ) خَبَرَ الخَالِفِيْنَ، لَمَا اسْتَأخَرَ سَاعَةً فِي ذِكْرِ (العُقْلاءِ) فِي أعْلامِ (سِيَرِهِ)، أو طِبَاقِ حُفَّاظِ (تَذْكِرَتِه)، فالعِلْمُ رَحِمٌ بَيْنَ أهْلِه، ووَرَثَةُ الأنْبِيَاءِ قَائِمُوْنَ حُجَّةً فِي كُلِّ زَمَانٍ !

فَلا يَهُوْلَنَّكَ مَا هُنَا؛ فالشَّيْخُ الشُّعَيْبِيُّ رَحِمَهُ اللهُ عَالِمٌ عَامِلٌ، وزَاهِدٌ عَابِدٌ، ومُحَقِّقٌ مُدَقِّقٌ، ومُجَاهِدٌ رَبَّانِيٌّ ... فشُهْرَتُه تُغْنِي عَنِ الإطْنَابِ فِي ذِكْرِه، والإسْهَابِ فِي أمْرِه، فَقَدْ طَبَّقَ ذِكْرُه جَمِيْعَ الأمْصَارِ، وشَاعَ عِلْمُه فِي نَوَاحِي الدِّيارِ؛ لِذَا اسْتَغْنَيْنَا عَنِ التَّعْرِيْفِ بسِيْرَتِه[١] .

---

[١] . لَقَدْ كُتِبَتْ رَسَائِلُ، ومَقَالاتٌ فِي سِيْرَةِ الشَّيْخِ حُمُوْدِ الشّعَيْبِي رَحِمَهُ اللهُ فكَانَ مِمَّا وَقَعَ فِي يَدِي مَا سَطَّرَه أخِي الشَّيْخُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الجِفْنُ حَفِظَه اللهُ؛ حَيْثُ ذَكَرَ سِيْرَتَه ذِكْرًا وَافِيًا، مِمَّا يُشَجِّعُ عَلَى مُطَالَعَتِه ومُذَاكَرَتِه، تَحْتَ عُنْوَان "إيْنَاسِ النُّبَلاءِ فِي سِيْرَةِ شَيْخِنا العُقْلاء" فَجَزَاهُ اللهُ خَيْرًا!

فهُوَ البَحْرُ مِنْ أيِّ النَّوَاحِي جِئْتَه، والبَدْرُ مِنْ أيِّ الضَّوَاحِي أتَيْتَه، لَمْ يَرْضَ بغَايَةٍ، ولَمْ يُقْضَ لَهُ بنِهَايَةٍ، رَضَعَ العِلْمَ مُنْذُ فُطِمَ، وطَلَعَ الصُّبْحُ ليُحَاكِيَهُ فلُطِمْ، وَصَّلَ النَّهَارَ باللَّيْلِ دَائِبَيْنِ، واتَّخَذَ العِلْمَ والعَمَلَ صَاحِبَيْنَ؛ حتَّى لَحِقَ بالسَّلَفِ بهُدَاه، وأنْأى الخَلَفَ عَنْ بُلُوْغِ مَدَاه .

فرَحِمَهُ اللهُ؛ كَمْ جَادَلَ أهْلَ زَمَانِه، وجَدَّلَ خُصُوْمَه فِي وَسَطِ مَيْدَانِه، وفَرَّجَ مَضَايِقَ البَحْثِ بأدِلَّةٍ قَاطِعَةٍ، ونَصَرَ أقْوَالَه فِي ظُلُمَاتِ الشُّكُوْكِ بالبَرَاهِيْنِ السَّاطِعَةِ، كأنَّ السُّنَّةَ عَلَى رَأسِ لِسَانِه، وعُلُوْمَ الأثَرِ مُسَاقَةٌ فِي حَوَاصِلِ جِنَانِه، وأقْوَالَ العُلَمَاءِ مَجْلُوَّةٌ نُصْبَ عَيَانِه فَمَا أسْبَقَ اسْتِحْضَارِه، ومَا أسْرَعَ إحْضَارِه!

فلا جَرَمَ أنَّه كَانَ فِي أرْضِ العُلُوْمِ حَارِثًا هَمَّامًا، وعَلَى مِنْبَرِ الحَقِّ مُنْذِرًا مِقْدَامًا!

فَقَدْ سَمِعَ مِنْ جَمَاعَةٍ كَثِيْرَةٍ، وعَلَى رَأسِهِم : الشَّيْخُ الحَافِظُ المفَسِّرُ الأُصُوْلِيُّ قُدْوَةُ الخَلَفِ وبَقِيَّةُ السَّلَفِ مُحَمَّدُ الأمِيْنِ الشِّنْقِيْطِي رَحِمَهُ اللهُ، وكَذَا سَلِيْلُ الدَّعْوَةِ السَّلَفِي الفَقِيْه نَاصِرُ السُّنَّةِ، وقَامِعُ البِدْعَةِ مُحَمَّدُ بنُ إبْرَاهِيْمَ آلُ الشَّيْخِ رَحِمَهُ اللهُ، فَحَسْبُك بِهِما مِنْ إمَامَيْنِ : فَهُمَا السَّمْعُ والبَصَرُ، فَعِنْدَ ذَلِكَ بَرَعَ الشَّيْخُ الشُّعَيْبِيُّ فِي العَقِيْدَةِ، والفِقْهِ، والتَّفْسِيْرِ، والنَّحْوِ، والأُصُوْلِ، والخِلافِ، فِي حِيْنَ كَانَ يَتَوَقَّدُ ذَكَاءً، قَوَّالاً بالحَقِّ، نَاهِيًا عَنِ المنْكَرِ، مُجاهِدًا فِي ذَاتِ اللهِ بنَفْسِه، ويَدِه، ولِسَانِه .

كَمَا تَتَلْمَذَ عَلَيْه شُيُوْخُ العَصْرِ، ووُجَهَاءُ المِصْرِ، مَا يَقْضِ بإمَامَتِه وإجْلالِه، فَكَانَ حَقًّا شَيْخَ الطَّبَقَةِ[١]، كَمَا كَانَ لَهُ وَجَاهَةٌ وإجَابَةٌ عِنْدَ العَامَّةِ والخَاصَّةِ، وهَيْبَةٌ وإمَامَةٌ عِنْدَ الرَّاعِي والرَّعِيَّةِ، ورِضًى وقَبُوْلٌ عِنْدَ القَاصِي والدَّانِي!

فأمَّا كُتُبُه فَهِي أشْهَرُ مِنْ أنْ تُذْكَرَ؛ فَقَدْ سَارَتْ مَسِيْرَ الشَّمْسِ فِي الأقْطَارِ، وامْتَلأتْ بِهَا البَلادُ والأمْصَارُ، فَمَنْ نَظَرَ فِيْها لا سِيَّمَا "مُخْتَصَرُ عَقِيْدَةِ أهْلِ السُّنَّةِ والجَمَاعَةِ"، و"البَرَاهِيْنُ القَاطِعَةُ عَلَى حَتْمِيَّةِ الإيْمَانِ باللهِ والدَّارِ الآخِرَةِ"، و"القَوْلُ المخْتَارُ فِي حُكْمِ الاسْتِعَانَةِ بالكُفَّارِ" وغَيْرُهُا؛ عَلِمَ أنَّ الشَّيْخَ قَدْ رُزِقَ حِفْظًا وَاسِعًا، وفَهْمًا وَافِرًا، لكَأنَّه يَنْزَعُ مِنْ صَخْرٍ، ويَنْهَلُ مِنْ بَحْرٍ!

أمَّا فَتَاوَاه، ورَسَائِلُه؛ فَقَدْ سَارَ بِهَا الرُّكْبَانُ، وطَارَتْ بِلا جَنَاحَيْنِ، كَمَا أنَّهَا سَابَقَتِ الزَّمَانَ، وسَادَتِ المكَانَ، تَرِدُ إلَيْه الفَتَاوَى ولا يَرِدُهَا، وتَفِدُ عَلَيه فيُجِيْبُ عَلَيْها بأجْوِبَةٍ كَأنَّه كَانَ قَاعِدًا لَهَا يُعِدُّها !

وأمَّا مَاجَرَيَاتُ هَذَا الإمَامِ فَكَثِيْرَةٌ عَدِيْدَةٌ، فَلَمْ يَظْهَرْ فِي ذَلِكَ لِمُعَانِدِيْه فِيْمَا ادُّعِيَ به عَلَيْه بُرْهَانٌ، غَيْرُ تَنْكِيْدَاتٍ رَسَخَتْ فِي القُلُوْبِ مِنْ ثَمَرَاتِ الشَّنَآنِ، وحُبِّ السُّلْطَانِ، وقُصَارَى ذَلِكَ أنَّه اتُّهِمَ وأوْذِيَ فِي غَيْرِ مَا يُعَابُ بِه ويُشَانُ . وهَذَا كُلُّه مِنْ فَسَادِ أهْلِ الزَّمَانِ؛ حَيْثُ تَصَدَّى له : إمَّا

---

[١] أهْلُ السِّيَرِ والتَّرَاجِمِ والطَّبَقَاتِ كَانُوا لا يُلَقِّبُوْنَ الرَّجُلَ بشَيْخِ الطَّبَقَةِ إلَّا إذَا كَانَ أكْثَرُ طُلابِهِ عُلَماءَ، وهَذَا مَا يَنْطَبِقُ على الشَّيْخِ حُمُوْدٍ الشّعَيْبِي!

جَاهِلٌ يَدَّعِي أنَّه عَالِمٌ، أو مُنَافِقٌ يَدَّعِي أنَّه نَاصِحٌ، فَقَدْ أوْذِيَ رَحِمَهُ اللهُ؛ حَتَّى أعْلَى اللهُ مَنَارَه، وجَمَعَ قُلُوْبَ أهْلِ الحَقِّ عَلَى مَحَبَّتِه، والدُّعَاءِ لَه، وكَبَتَ أعْدَاءهُ، فَهُو أكْبَرُ مِنَ أنْ يُنَبَّهَ عَلَى سَيْرَتِه مِثْلِي!

وهَكَذَا؛ مَا زَالَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللهُ رَافِعًا رَأسًا فِي العِلْمِ والتَّعْلِيْمِ، والدَّرْسِ والتَّدْرِيْسِ، مُنْقَطِعَ النَّظِيْرِ، مَعَ مَا يُمْلِيْه مِنَ الرَّسَائِلِ والفَتَاوَى هُنَا وهُنَاكَ ... حَتَّى إذَا أزِفَتِ الآزِفَةُ، وأقْبَلَتِ الفِتَنُ فِي مَسَارِبَ مُهْلِكَةٍ، مُنْقَادَةً لتُعِيْدَها حَرْبًا صَلِيْبِيَّةً عَلَى الإسْلامِ والمسْلِمِيْنَ فِي بِلادِ أفْغَانِسْتَانَ، بأمْرٍ مِنْ إمْرِيكا وحُلَفَائِها، وتَعَاوُنٍ سَافِرٍ مِنْ (مُتَأسْلِمَةِ) العَصْرِ، حُكَّامًا كَانُوا أو مَحْكُوْمِيْنَ، فعِنْدَها بَرَدَ الحَقُّ، ومَرَدَ البَاطِلُ، وسَكَتَ أكْثَرُ العُلَمَاءِ، ونَطَقَتِ الرُّوَيْبِضَاتُ، كُلُّ ذَلِكَ تَحْتَ أصْوَاتِ العِلْمَانِيِّيْنَ، وصَرِيْفِ أقْلامِ الإعْلامِيِّيْنَ، فَكَانَ اللَّتَيَّا والَّتِي ... حَتَّى إذَا سَكَنَ اللَّيْلُ بظَلامِه، ورَفْرَفَ البَاطِلُ بأعْلامِه؛ جَاءَ الشَّيْخُ الشُّعَيْبِيُّ رَحِمَهُ اللهُ مُزَمْجِرًا فِي وُجُوْهِ الأعْدَاءِ بصَوْتِه، ضَارِبًا البَاطِلَ بِكُلِّ قُوَّتِه، كَاشِفًا أقْنِعَةً خَرْقَاءَ بصَوْلَتِه ... حَيْثَ كَشَفَ زَيْفَ الضَّلالَةِ، بحُجَجٍ رَوَاسِخَ، فأقْدَمَ حِيْنَها إذْ كَانَ فِي الإقْدَامِ أخْطَارٌ، وبَرَزَ للنِّزَالِ حَيْنَ وَلَّى الفُرْسَانُ بالفِرَارِ، فَكَانَ مِنْه رَحِمَهُ اللهُ الثَّبَاتُ والإقْدَامُ فِي رَفْعِ أعْلامِ الحَقِّ، وتَسْوِيْقِه فِي زَمَنٍ كَسَدَ طُلابُه، وخَافَه جُلابُه! فَدُوْنَكَ مَا كَتَبَهُ الشَّيْخُ (رَحِمَهُ اللهُ) فِي مَجَامِيْعِه هَذِه لِتَرَى بأمِّ عَيْنَيْكَ مَا أرَى، ولتَعْلَمَ أنَّ الحَقَّ لَهُ رِجَالاتٌ لا تُلْهِيْهِم مَنَاصِبُ سُلْطَانِيَّةٌ، ولا ظُنُوْنٌ شَيْطَانِيَّةٌ، فَرَحِمَ اللهُ الشَّيْخَ إذْ لَمْ يَفْتَأ يُنَافِحُ عَنِ الحَقِّ حَتَّى آخِرَ حَيَاتِه، و"الأعْمَالُ بالخَوَاتِيْمِ"، و"يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْه"، واللهُ حَسِيْبُه!

حَتَّى إذا كَانَ لَيْلَةُ السَّبْتِ لخَمْسٍ خَلَوْنَ مِنْ شَهْرِ ذِي القَعْدَةِ سَنَةِ ألْفٍ وأرْبَعْمائةٍ واثْنَتَيْنِ وعِشْرِيْنَ مِنَ الهِجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ عَلَى صَاحِبِها أفْضَلُ الصَّلاةِ والسَّلامِ، فَارَقَ الشَّيْخُ الدُّنْيا بَعْدَ سِتَّةٍ وسَبْعِيْنَ سَنَةٍ مَدِيْدَةٍ، قَضَاهَا بَيْنَ عُلُوْمٍ مُفِيْدَةٍ، وأعْمَالٍ مَشِيْدَةٍ؛ تَارِكًا وَرَاءه كُنُوْزًا عِلْمِيَّةً، وسِيْرَةً مَرْضِيَّةً؛ فرَحِمَهُ اللهُ رَحْمَةً وَاسِعَةً، ورَفَعَ ذِكْرَه فِي الدُّنْيا والآخِرَةِ، ونَفَعَ بعُلُوْمِه وفَتَاوَاه، وبَلَّ بالرَّحْمَةِ مَثْوَاه، وجَعَلَ جَنَّةَ الفِرْدَوْسِ مَأوَاه، آمِيْنُ!

والحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ، والصَّلاةُ والسَّلامُ عَلى رَسُوْلِه الأمِيْنَ، وعَلَى آلِهِ، وصَحْبِهِ، ومَنْ تَبِعَهُ إلى يَوْمِ الدِّيْنِ. تَمَّتْ كِتَابَتُه فِي عَصْرِ اليَوْمِ العِشْرِيْنَ مِنْ رَبِيْعِ الأوَّلِ لعَامِ ألْفٍ وأرْبَعْمائة وأرْبَعَةَ عَشَرَ مِنَ الهِجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ

وكَتَبَهُ ذِيَابُ بنُ سَعْدٍ آلُ حَمْدَانَ الغَامِدِيُّ

الطَّائِفُ (١٤٢٤/٣/٢٠)

نقلا عن موقع فضيلة الشيخ ذياب الغامدي

بسم الله الرحمن الرحيم

مشاهدات من جنازة الشيخ رحمه الله

إنا لله وإنا إليه راجعون

اللهم اجرنا في مصيبتنا واخلف لنا خيرا

إن العين لتدمع والقلب ليحزن ولا نقول إلا ما يرضي ربنا وإنا لفراقك يا أبا عبد الله لمحزونون في يوم مشهود ..

ودعت الأمة عالمها الأجل.. وداعيتها الأمثل.. وأحد أئمة الهدى ومصابيح الدجى ..

أحد الذين تكلموا يوم أن سكت الكثير .. أحد الذين تكلموا ولم يخشى في الله لومة لائم ..

أحد الذين أوقفوا أنفسهم لخدمة هذا الدين والقيام بأمر هذا الدين والدعوة لهذا الدين ؛ فأرخصوا في ذلك كل غالٍ ونفيس ..

أحد الذين بذلوا أنفسهم وجاههم وسلطانهم للجهاد وأهله وحاملي لوائه ..

فلله دره من إمام تعجز الكلمات عن الوفاء بحقه !

ولله دره من مجاهد سُطرت حياته بمداد من ذهب !!

إنه الشيخ الإمام والعالم المجاهد حمود بن عبد الله بن عقلا الشعيبي . رحمه الله .

وهذه المشاهدات أكتبها هنا ليسجلها التأريخ .. وليسير بها الركبان .. وليعلم الجميع أن لهذا الدين رجاله .. وأن يوم الجنائز يوم موعود بين أهل الحق وأهل الباطل ...

وليعلم المسلمون أجمع أنه لن يصلح أمر هذه الأمة إلا بما صلح أولها ..

وهذه الأمة بفضل الله أمة معطاء .. الخير فيها كثير لا ينقطع .. والجهاد فيها باق إلى قيام يوم القيامة ومن لوازم بقاء الجهاد بقاء أهله و(الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة) .. وكلما مات سيدٌ جاء سيدُ .. فهي أمة ولود وأرحام النساء فيها لم ولن تعقم.

فإلى هذه المشاهد أنقلكم .. وعن هذا اليوم أحدثكم . .

أفواج السيارات تدفقت إلى حي الخليج من كل مكان.

منذ وقت مبكر لوحظ تواجد المصلين في المسجد.

الكثير من العلماء وطلبة العلم ومحبي الشيخ قدموا من كل مكان إلى مدينة بريدة لأداء الصلاة على الشيخ.

السيارات ملأت مداخل الحي وشوارعه.

مشهد مهيب للجموع وهي تسارع الخطى للوصول إلى جامع حي الخليج في مدينة بريدة ،
صاحب أحد المنازل الكبيرة ـ للمنزل باب من الأمام وباب من الخلف ـ فتح أبواب منزله ليعبر الناس إلى المسجد.

امتلأ المسجد بطابقية وفنائه بالمصلين حتى غصّ بهم.

امتلأت الشوارع المحيطة بالمسجد والشوارع القريبة من المسجد والأراضي الفضاء بالمصلين.

بعض أصحاب المنازل فتح أبوابه للصلاة في فناء المنزل.

أمّ المصلين فضيلة الشيخ الدكتور صالح بن مُحَّد الونيان ـ حفظه الله ـ

ذهبت الجموع الكبيرة في منظر مهيب إلى مقبرة (الموطا) غرب بريدة ، وأكثرهم بل جلهم مشياً على الأقدام.

اصطف المئات على جنبات الطريق المقابل للمقبرة.

امتلأت سطوح المباني ـ تحت الإنشاء ـ المقابلة للمقبرة.

تأخر وصول جنازة الشيخ للمقبرة.

بعض العلماء وصل مبكراً إلى المقبرة ووقف منتظراً وصول الجنازة.

الأعداد التي حضرت لتصلي على الشيخ في المقبرة كبيرة جداً وكان تواجدها في المقبرة مبكراً.

صلي على الشيخ في الشارع القريب من المقبرة وفي المقبرة أكثر من مرة !

قام البعض بالنزول إلى المقبرة من فوق الأسوار.

تزاحم الناس تزاحماً شديداً للوصول إلى نعش الشيخ وحمله.

الزحام عند قبر الشيخ لا يوصف.

أحداث سريعة تمر ولا يمكن رصدها.

العلماء وطلبة العلم تقبلوا العزاء قبل وصول الجنازة وبعدها.

أجواء حزينة تخيم على أقارب الشيخ رحمه الله وعلى العلماء وطلبة العلم.

فضيلة الشيخ علي بن خضير الخضير ـ حفظه الله ـ كان في وسط دائرة كبيرة من المعزين ورغم وقاره وصبره إلا أن الإجهاد والتعب واضح عليه.

فضيلة الشيخ الدكتور ناصر بن سليمان العمر ـ حفظه الله ـ ذهب به بعيداً عن مكان القبر بشق الانفس من كثرة الناس حوله خوفاً من الإجهاد.

فضيلة الشيخ سلمان بن فهد العودة ـ حفظه الله ـ كان هادئاً صابراً والناس تأتيه وتعزيه وهو لا يستقر في مكان واحد.

فضيلة الشيخ العلامة عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين أحاطت به الجموع من كل مكان والغبار يملأ الأنوف ولكن الشيخ أبى أن يخرج حتى يشارك في دفن الشيخ الإمام.

العلماء وطلبة العلم الذين حضروا لا يعدون من كثرتهم.

تم رصد الجموع الكبيرة بواسطة الفيديو.

ازدحمت شبكة الهاتف الجوال .. وكان نتيجة محاولة الاتصال (الشبكة مشغولة) .

الجموع كانت كبيرة جداً.

. ومشاهدات أخرى .. لعل غيري يسجلها لكم .

اللهم ارحم شيخنا ووالدنا وارفع درجته في المهديين واخلفه في عقبه في الغابرين وبلغه منازل الصديقين والشهداء والصالحين واجمعنا به في الفردوس العالية من الجنة واغفر لنا وله يا رب العالمين.

اللهم صلي وسلم على نبينا مُحَمَّد .

الفهرس

مقدمة..٢

لقاء مع فضيلة الشيخ العلامة حمود بن عقلاء الشعيبي

مولد فضيلة الشيخ ونشأته..٤
زملاء الشيخ في التدريس..٦
من تلاميذ الشيخ..٦
طريقة التدريس عند الشيخ مُحَمَّد بن إبراهيم...............................٧
الاختصاص بالشيخين مُحَمَّد ابن إبراهيم و مُحَمَّد آمين الشنقيطي..........................٧
طريقة الحفظ...٨
طريقة تدريس الشيخ حمود للطلاب في الجامعة.............................٨
البحوث والمؤلفات للشيخ..٨
المناظرات العلمية..٩
مناقشة الشيخ حمود مع الشيخ الشنقيطي حول المجاز في القرآن.............١١
كلمة توجيهية..١٢

السيرة ذاتية لسماحة الشيخ حمود بن عقلاء الشعيبي

مقدمة...١٥
نبدأ بالحديث معكم يا فضيلة الشيخ ونود أن تحدثوننا عن نسبكم ومولدكم ونشأتكم ١٦
هل كان لوالدكم –رحمه الله– أثر في تربيتكم...............................١٧
شيخكم في الكتّاب لو حدثتمونا عنه..١٧
ما هي طريقة الدراسة في الكتّاب...١٧
هل تذكرون بعض زملائكم في الكتّاب ممن طلب العلم وبرز..................١٨
هل تذكر أحداً ممن زاملكم في الدراسة وبرز على الشيخ مُحَمَّد بن إبراهيم والشيخ عبد اللطيف........١٨
ما هي طريقة الدراسة على الشيخ مُحَمَّد......................................١٨
هل الطلاب الذين درسوا في المعهد هم أنفسهم الذين التحقوا بالمعهد..............١٩
لو تذكرون لنا حفظكم الله بعض من درسكم في تلك الفترة......................١٩
لو تذكرون لنا بعضاً ممن تتلمذ على يديكم في تلك الفترة سواء في الكلية أو المعهد؟..............٢٠

هل أشرفتم على رسائل للماجستير والدكتوراه..٢١
هل شاركتم في تقويم أعمال بعض المشايخ لترقيتهم....................................٢٢
متى كان اشتغالكم بالمحاماة؟..٢٣
سنذكر لكم أسماء بعض المشائخ ونحب معرفة اتصالكم بهم..............................٢٤
ولماذا هذه العناية بالدراسة على الشيخ الشنقيطي بالذات؟...............................٢٥
سمعنا أن الشيخ عندما جاء للحج لم يكن على عقيدة أهل السنة فهل هذا صحيح ؟ وكيف انتقل لإعتقاد أهل السنة ؟...٢٦
هل كان لكم إهتمام بالأدب واللغة عموما والشعر على وجه الخصوص ؟....................٢٦
لو حدثتمونا عن مؤلفاتكم؟..٢٦
ما رأيكم – رعاكم الله– في الانتساب للجماعات الإسلامية؟..............................٢٧
ما رأيكم في الدخول في البرلمانات ؟..٢٨
سماحة الشيخ حمود العقلاء الشعيبي زكيتم حكومة طالبان الإسلامية تزكية مطلقة ؟...............٢٨
بعض الناس قد يقع في كفر ويعتذر أنه يخشى من الإكراه، فما الفرق بين الإكراه وخوف الإكراه؟...٢٩
بعض حكومات الدول الإسلامية تقول لو طبقنا الشريعة نخشى أن نقتل أو نقاتل فهل هذا عذر في ترك تطبيق الشريعة واستبدالها بالقوانين؟..٢٩
ما حكم ترك تحكيم الشريعة ؟...٣٠
ما حكم ترك الجهاد الذي نراه في هذا الزمان واتهام المجاهدين أنهم إرهابيون ؟....................٣١

إيناس النبلاء في سيرة شيخنا العقلاء

مقدمة...٣٣
مولد الشيخ ونسبه ونشأته...٣٥
بداية طلبه للعلم...٣٥
انتقاله إلى الرياض..٣٥
ملازمته للشيخ مُحَمَّد بن إبراهيم رحمه الله...٣٦
ملازمته للشيخ مُحَمَّد الأمين الشنقيطي رحمه الله...٣٧
التحاقه بالمعهد وكلية الشريعة...٣٩
مشايخه..٣٩
بعد تخرجه من كلية الشريعة..٣٩
ميوله لتدريس اللغة العربية...٣٩

اهتمامه بطلابه.. ٤٠
تلامذته... ٤٢
مؤلفاته... ٤٣
قوته في الحق ورباطة جأشه.. ٤٤
مبايعة الملك فيصل بن عبد العزيز.. ٤٦
عباداته... ٤٨
الشيخ رحمه الله وقضايا المسلمين وأخبارهم... ٤٩
مواقف المخالفين مع الشيخ... ٤٩
أحواله الخاصة في بيته ومزرعته.. ٥٠
أبناء الشيخ... ٥٢
وفاته رحمه الله.. ٥٢

ترجمة الشيخ في كتاب روضة الناظرين في مآثر علماء نجد.................. ٥٥

ترجمة الشيخ في كتاب الحنابلة خلال ثلاثة عشرة قرن...................... ٥٧

يقول الشيخ صالح الصيخان عن العلامة حمود................................ ٥٨

شيوخه وتلاميذه... ٦١

أهم أعماله ووظائفه.. ٦٣

من جهود ومشاركات الشيخ حمود رحمه الله.................................. ٦٣

بعض الرسائل الجامعية التي أشرف عليها فضيلة الشيخ حمود رحمه الله........ ٦٧

آثار الشيخ حمود بن عقلاء الشعيبي المفقودة.................................. ٦٩

شرح شروط لا إله إلا الله

مقدمة.. ٧٢
الفصل الأول : معنى الإله... ٧٣
الفصل الثاني : أركان لا إله إلا الله.. ٧٥
الفصل الثالث : إعراب لا إله إلا الله.. ٧٦
الفصل الرابع : شروط لا إله إلا الله... ٧٨
الشرط الأول العلم بمعناها نفيا وإثباتًا.. ٧٩
الشرط الثاني اليقين المنافي للشك.. ٨٠
الشرط الثالث القبول المنافي للرد.. ٨١
الشرط الرابع الانقياد والتسليم لها ظاهرًا وباطنًا................................. ٨١
الشرط الخامس الصدق فيها المنافي للكذب.................................... ٨٢
الشرط السادس الإخلاص المنافي للشرك....................................... ٨٣
الشرط السابع المحبة المنافية للكراهية... ٨٣
الشرط الثامن الكفر بالطاغوت.. ٨٥
الشرط التاسع الموت عليها... ٨٦
مسألة.. ٨٦

مختصر عقيدة أهل السنة والجماعة

مقدمة.. ٨٧
باب الإيمان يزيد وينقص ٨٨
باب الإيمان بالله.. ٨٩
باب الإيمان بالملائكة.. ٩٠
وظائف الملائكة... ٩٢
باب الإيمان بالكتب... ٩٣
باب الإيمان بالرسل والأنبياء.. ٩٤
باب الإيمان باليوم الآخر.. ٩٥
باب الإيمان بخروج المهدي.. ٩٥
باب الإيمان بخروج الدجال.. ٩٦
باب الإيمان بنزول عيسى عليه السلام... ٩٦
باب الإيمان بخروج يأجوج ومأجوج.. ٩٦

باب الإيمان بخروج الدابة.......... ٩٧
باب الإيمان بطلوع الشمس من مغربها.......... ٩٧
باب الإيمان بفتنة القبر وعذابه ونعيمه.......... ٩٧
باب الإيمان بالنفخ في الصور.......... ٩٩
باب الإيمان بالبعث والحشر.......... ٩٩
باب الإيمان بالحساب.......... ١٠٠
باب الإيمان بالميزان.......... ١٠٠
باب الإيمان بالصراط.......... ١٠١
باب الإيمان بالحوض.......... ١٠١
باب الإيمان بالشفاعة.......... ١٠٢
باب الإيمان بالجنة.......... ١٠٣
باب الإيمان بالنار.......... ١٠٤
باب الإيمان بالقدر.......... ١٠٤
ونؤمن بأن الإيمان بالقدر على أربع مراتب.......... ١٠٥
باب الإيمان برؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة.......... ١٠٦
باب الإيمان بالحكم بما أنزل الله.......... ١٠٧

باب الإيمان بصفات الله عز وجل

الإيمان بالوجه.......... ١٠٨
الإيمان باليد.......... ١٠٨
الإيمان بأصابع الله تعالى.......... ١٠٩
الإيمان بكلام الله تعالى.......... ١٠٩
الإيمان بالعلو والفوقية.......... ١١٠
الإيمان بالاستواء على العرش.......... ١١٠
الإيمان بالعينين.......... ١١١
الإيمان بالغضب.......... ١١٢
الإيمان بالضحك.......... ١١٢
الإيمان بالحب والرضا.......... ١١٢
الإيمان بصفتي السخط والكراهية لله تعالى.......... ١١٣
الإيمان بالنفس.......... ١١٤

الإيمان بالنزول والإتيان والمجيء.. ١١٤
الإيمان بالقدرة.. ١١٥
الإيمان بالإرادة والمشيئة.. ١١٥
الإيمان بالعجب.. ١١٦
الإيمان بالسمع والبصر.. ١١٦
الإيمان بالعلم.. ١١٧
الإيمان بالمعية.. ١١٨
باب مسائل في التكفير.. ١١٨
باب موالاة المؤمنين من الإيمان.. ١١٩
باب معاداة الكافرين من الإيمان.. ١٢٠
باب الإيمان بكرامات الأولياء.. ١٢١
باب من الإيمان محبة آل البيت وصحابة رسول الله ﷺ.. ١٢١
باب الإيمان بالوعد والوعيد.. ١٢٢
باب من الإيمان.. ١٢٣

البراهين المتظاهرة على حتمية الإيمان بالله واليوم الآخر

مقدمة.. ١٢٤
الإيمان بالله.. ١٢٥
إثبات وجود الخالق عن طريق التأمل في مخلوقاته.. ١٢٦
عجز الطبيعة عن الإبداع والخلق.. ١٢٨
الصدفة لا تخلق.. ١٣١
حدوث الكائنات برهان قاطع على وجود الخالق.. ١٣٤
ما يجب لله من صفات الكمال.. ١٣٥
منهج السلف في أسماء الله وصفاته.. ١٣٦
الجهمية.. ١٣٦
المعتزلة.. ١٣٧
الأشاعرة والكلابية والماتريدية.. ١٣٨
المشبهة.. ١٣٩
الإيمان بالمعاد.. ١٤٠

البعث..١٤٢
طريقة القرآن الكريم في إثبات البعث والرد على منكريه..............................١٤٣
مذاهب الناس في البعث والجزاء يوم القيامة...١٤٦
مواقف القيامة..١٤٨
الصراط..١٤٨
اختلاف المفسرون في معنى الورود..١٤٩
عقائد الناس في الصراط...١٥٠
الميزان..١٥١
هل الوزن للأعمال أو للصحائف...١٥٣
الجنة والنار..١٥٤
الجنة والنار موجودتان الآن...١٥٤
خلاف المعتزلة في وجود الجنة والنار قبل يوم القيامة.................................١٥٥
مناقشة أدلة المعتزلة...١٥٦
خلود الجنة والنار وآراء الناس في ذلك..١٥٧

مقدمات اليوم الآخر

أشراط الساعة...١٥٩
أقسام أشراط الساعة...١٦١
١- المهدي...١٦١
٢- الدجال...١٦٢
٣- نزول عيسى ابن مريم عليه السلام...١٦٣
٤- يأجوج ومأجوج...١٦٣
٥- دابة الأرض..١٦٤
٦- طلوع الشمس من مغربها..١٦٥
٧- الدخان...١٦٦
البرزخ...١٦٦
١. سؤال الملكين في القبر...١٦٧
٢. عذاب القبر ونعيمه..١٦٨
الروح وحقيقتها...١٧٠
الخلاف في حدوث الروح...١٧١

مناقشة أدلة القائلين بقدم الروح..١٧٣
الخلاف في سبق الروح للبدن في الحدوث أو تأخرها عنه..........................١٧٤
مناقشة الأدلة...١٧٤
الفرق بين الروح والنفس...١٧٥
هل تموت الروح أو الموت خاص بالبدن..١٧٦
مناقشة الأدلة...١٧٧
الرأي الثاني في هذه المسألة...١٧٧
خاتمة...١٧٨
مراجع...١٨٠

شرح العقيدة الطحاوية

المقدمة...١٨١
المنهزمون والحروب الصليبية..١٨٢
سيرة مختصرة للشيخ حمود العقلاء الشعيبي.....................................١٨٥
من المآخذ على متن الطحاوية ما يتعلق بالإيمان والكفر........................١٨٦
أقسام التوحيد...١٨٧
طريقة المبتدعة في تنزيه الله تعالى...١٨٨
طريقة السلف في تنزيه الله تعالى...١٨٩
خلاف الناس في تسلسل الحوادث...١٩٠
التفريق بين قول ابن تيمية والفلاسفة في تسلسل الحوادث......................١٩١
أقسام الصفات...١٩٢
ابن تيمية يحتج على الأشاعرة بدليلهم العقلي.....................................١٩٣
أنواع الإرادة...١٩٤
قوله : لا تبلغه الأوهام ولا تدركه الأفهام...١٩٥
قوله : خالق بلا حاجة ، رازق بلا مؤونة..١٩٦
طريقة السلف في تفسير (ليس كمثله شيء ..)...................................١٩٧
طريقة السلف في إثبات صفات الكمال...١٩٨
طبقات القدرية...١٩٩
قوله : وقدر لهم أقداراً وضرب لهم آجالاً..١٩٩

الإرادة والمشيئة نوعان.. ٢٠٠
مشيئة العبد والرد على الجبرية.. ٢٠١
أنواع الهداية.. ٢٠١
مناظرة عبدالجبار الهمذاني للاسفرائيني.. ٢٠٢
الفرق بين الرسول والنبي.. ٢٠٤
الأجماع على أن مُحَمَّد ﷺ خاتم الأنبياء وكفر من إدعى النبوة........................ ٢٠٤
حديث (سيكون في أمتي كذابون ثلاثون) للحصر.................................. ٢٠٥
الرد على المعتزلة في نفيهم كرامات الأولياء.. ٢٠٥
مذاهب الناس في كلام الله سبحانه... ٢٠٦
الخلاف بين الأشاعرة والكلابية والماتريدية خلاف لفظي............................ ٢٠٧
هل الأشاعرة الأقرب إلى أهل السنة ، وتعليق الشيخ ٢١١
إثبات الأشاعرة للصفات السبع على غير طريقة أهل السنة........................... ٢١٢
رؤية الله يوم القيامة.. ٢١٢
رؤية الله في المنام وتوجيه الشيخ حمود لكلام ابن تيمية............................... ٢١٥
هل اختلف السلف في المعتقد... ٢١٥
مخالفة المؤولة لأهل اللغة في معنى قوله تعالى (إلى ربها ناظرة)...................... ٢١٧
قول الطحاوي (وتفسيره على ما أراده الله) وملاحظة الشيخ حمود..................... ٢١٧
أقسام المفوضة.. ٢١٨
هل كيفيات الصفات من المتشابه.. ٢١٩
الحكمة والتعليل.. ٢٢٠
التأويل في أصول الدين لا يقبل.. ٢٢١
لم يثبت لفظ نفي التشبيه في الكتاب والسنة... ٢٢٢
جواز وصف الله بالفرد والفردانية من باب الإخبار.................................. ٢٢٢
ملاحظة الشيخ على قول الطحاوي : (تعالى عن الحدود والغايات ..) ٢٢٣
الكلام في الجسم والجهة والتحيز.. ٢٢٣
الإسراء والمعراج.. ٢٢٤
هل الإسراء والمعراج كان يقظة أم مناما... ٢٢٥
تضعيف رواية شريك في المعراج.. ٢٢٦
الحوض و الكوثر.. ٢٢٧

أنواع الشفاعة.. ٢٢٨
الميثاق هو ما أودعه الله ونصبه من الدلائل والبراهين........................ ٢٣٢
مراتب القضاء والقدر... ٢٣٣
افتراق الناس في القضاء والقدر.. ٢٣٤
نشأة بدعة القدر... ٢٣٤
القدرية لا يرون النصوص حجة على مسائل المعتقد.............................. ٢٣٦
الخالق في اللغة له عدة اطلاقات.. ٢٣٦
قوله : وكل ميسر لما خلق له.. ٢٣٨
الجبرية الطائفة الإبليسية... ٢٣٩
الخاتمة هي مناط السعادة والشقاوة.. ٢٣٩
القضاء والقدر مترادفان.. ٢٤٠
أول واجب على المكلف.. ٢٤١
كفر من رد حكم الكتاب.. ٢٤٢
تعريف العلم المفقود والعلم الموجود...................................... ٢٤٢
أيهما خلق أولا : العرش أم القلم.. ٢٤٣
الألباني لم يفهم مقصود ابن تيمية في مسألة بدء الخلق......................... ٢٤٤
الإيمان بأن الله كتب القضاء والقدر في اللوح المحفوظ......................... ٢٤٦
نفاة القدر كأنهم يخاصمون الله... ٢٤٧
معتقد أهل السنة في العرش.. ٢٤٨
صفة الخلة والرد على منكريها... ٢٤٩
ردا على المعتزلة : ليس كل كلام يحتاج إلى لسان وأسنان....................... ٢٥١
الجواب على قول الشاعر : إن الكلام لفي الفؤاد.............................. ٢٥٢
مُحَمَّد عبده وتأويله للملائكة بأنهم قوى.................................. ٢٥٣
أيهما أفضل الملائكة أم صالح البشر..................................... ٢٥٤
الفرق بين النبي والرسول... ٢٥٥
التفريق بين المعجزة والكرامة والخارق الشيطاني............................. ٢٥٦
هل يوصف النبي بالعبقري.. ٢٥٧
رجل واحد يتحدى أمة.. ٢٥٧
الإيمان بالكتب المنزلة إجمالاً وما نزل على مُحَمَّد ﷺ تفصيلاً.................. ٢٥٨

الإيمان بالنسخ الأحكام والفرق بينها وبين التخصيص.. ٢٥٩
ليس كل من أدى أركان الإسلام صار مسلما دائما.. ٢٦٠
من حكم القوانين الوضعية فهو كافر حتى لو صام وصلى.. ٢٦١
كل حكام المسلمين يحكمون بالقانون.. ٢٦١
الكلام على محاكم فض المنازعات التجارية.. ٢٦١
مسمى الإيمان عند أبي حنيفة هو التصديق فقط.. ٢٦١
القول عند الأحناف ركن لكن ليس من الإيمان.. ٢٦١
الإسلام تعريفه في اللغة والشرع.. ٢٦٢
ذم الخوض في ذات الله والنهي عن الجدال بالباطل.. ٢٦٣
مذاهب الناس في معنى أن القرآن كلام الله.. ٢٦٥
مناظرة الكناني للمريسي عند المأمون.. ٢٦٦
اختلاف الناس في كلام الله.. ٢٦٧
خلاف الناس في التكفير بالكبيرة.. ٢٦٩
الأصول الخمسة عند المعتزلة.. ٢٧٠
الرد على المعتزلة في نفيهم الشفاعة.. ٢٧١
معنى الخزي في قوله تعالى (فقد أخزيته) أي سببت له الخجل.. ٢٧١
أحوال مرتكب الكبيرة عند أهل السنة.. ٢٧١
طبقات المرجئة.. ٢٧٢
اتفاق الصحابة على جلد قدامة بن مظعون مع كونه متأولا.. ٢٧٢
الإيمان عند الطحاوي يضعف لكن لا ينقص.. ٢٧٣
الخلاف في تعلق الثواب والعقاب بالعمل.. ٢٧٣
الشهادة للمعين بالجنة أو النار لا يكون إلا بالنص.. ٢٧٦
ملاحظة الشيخ على الطحاوي في مسألة كفر الجحود.. ٢٧٩
اختلاف الطوائف في مسمى الإيمان.. ٢٨٠
العطف لا يقتضي المغايرة دائما.. ٢٨١
حقيقة الإيمان شرعا ووجه ارتباطه لغة.. ٢٨٢
الأحناف يقيد إرجاؤهم بإرجاء الفقهاء أو أرجاء أهل السنة.. ٢٨٣
ابن أبي العز حاول أن يجمع بين قول الطحاوي في الإرجاء وأهل السنة.. ٢٨٣
الخلاف بين أهل السنة والأحناف في الإيمان خلاف معنوي.. ٢٨٣

من يقيد الكفر بالاعتقاد فهو مرجئ..٢٨٤
تكفير المحكّم للقانون الوضعي والرد على المرجئة..٢٨٤
ملاحظة الشيخ على قول الطحاوي : الإيمان واحد وأهله في أصله سواء........................٢٨٤
النطق باللسان عند الأحناف لا يدخل في الإيمان..٢٨٤
إيمانك وإيمان أبي بكر عند الأحناف سواء..٢٨٤
الإيمان عند الأحناف يقوى ويضعف لكن لا يزيد ولا ينقص..٢٨٤
معنى الإيمان بالله..٢٨٦
الإيمان بالملائكة..٢٨٧
الاشتغال بالتفضيل بين الملائكة وصالح البشر شغل وقت دون فائدة........................٢٨٧
تحكيم بعض الشريعة من الإيمان ببعض والكفر ببعض..٢٨٨
تعريف الكبيرة وضابطها..٢٨٩
الشرك الأصغر لابد فيه من تطهير صاحبه بالنار..٢٩٠
منشأ مذهب الخوارج والمرجئة..٢٩٠
طريقة تولي الإمام للحكم..٢٩١
حكم الصلاة على الحاكم المرتد..٢٩٢
القول الراجح في مسألة الصلاة خلف الإمام الفاسق..٢٩٢
سبب ذكر السلف لبعض مسائل الفقه في كتب العقائد..٢٩٢
الحكم على المعين بالجنة أو النار وخلاف أهل العلم في ذلك..٢٩٣
الحكم على المعين بالكفر أو الإسلام منوط بما يظهر منه..٢٩٥
متى يحل دم المسلم..٢٩٦
الخروج على الحاكم المرتد يكون عند الإمكان..٢٩٦
أئمة اليوم لا أحد منهم ينطبق عليه حديث (ما أقاموا فيكم الصلاة)........................٢٩٧
اطلاقات السنة لغة..٢٩٧
الكثرة غالبا تكون بخلاف الصواب..٢٩٨
جذور البدع وجدت في زمن النبوة..٢٩٩
بغض الإمام لا يفهم منه الخروج عليه..٣٠٠
المسح على الخفين وسبب إدخال السلف له في المعتقد..٣٠١
وجوب الجهاد مع كل إمام براً كان أو فاجراً..٣٠٢
الجهاد ركن من أركان الإسلام..٣٠٣

حالات وجوب الجهاد على الأعيان... ٣٠٣
جماعة التبليغ ، ومؤامرات الانجليز للوقوف ضد الجهاد.................. ٣٠٣
الملائكة الكاتبين والملائكة الحفظة... ٣٠٥
قوله : (يتعاقبون فيكم ملائكة). ولغة أكلوني البراغيث..................... ٣٠٦
الجمع بين قوله تعالى (الله يتوفى الأنفس) وقوله (قل يتوفاكم ملك الموت).......... ٣٠٧
دلالة الكتاب والسنة على عذاب القبر ونعيمه.................................. ٣٠٨
عذاب القبر يكون للمقبور وغير المقبور.. ٣١٠
العذاب والنعيم في القبر هل هو للروح أو للجسد أو لكليهما.................. ٣١٠
البعث في اللغة يطلق على معنيين... ٣١٢
ذكر خلاف الناس في البعث بعد الموت.. ٣١٣
الأدلة العقلية على البعث بعد الموت... ٣١٣
قوله تعالى (الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا) وعلاقتها بالبعث........ ٣١٤
السبب في تكرار القرآن لأدلة الإلوهية والبعث................................ ٣١٦
الرد على شبهة الفلاسفة في أن غير مُحَمَّد من الأنبياء لم يتكلم في البعث......... ٣١٦
الجزاء يوم القيامة على ثلاثة أنواع... ٣١٨
قوله (وقراءة الكتاب)... ٣١٩
مسألة ارتباط الثواب بالعمل ومذاهب الناس في ذلك.......................... ٣٢٠
اختلاف السلف في وصف الصراط.. ٣٢١
تفسير قوله تعالى (وإن منكم إلا واردها) وان الراجح عدم دخولها............ ٣٢٢
إيراد المعتزلة لشبهتين في إنكار الميزان والجواب عليهما....................... ٣٢٢
الوزن يوم القيامة للعمل والعامل والصحف................................... ٣٢٣
كلام الشيخ حول اختصاره شرحه متن الطحاوية............................. ٣٢٤
تعريف الجنة والشواهد اللغوية... ٣٢٤
تعريف جهنم لغة وأن أصلها فارسي... ٣٢٧
الجواب على شبه المعتزلة في إنكارهم وجود الجنة والنار........................ ٣٢٧
فناء النار والجنة ومذاهب الناس.. ٣٣٠
رأي ابن تيمية وابن القيم رحمهما الله في فناء النار.............................. ٣٣١
القول بفناء النار مسألة اجتهادية.. ٣٣٢
الاستطاعة عند أهل السنة ومتى تكون.. ٣٣٣

خلق أفعال العباد وخلاف الناس ٣٣٦
رد شبهة القدرية بإلزامهم بصفة العلم لله.. ٣٣٧
الإجابة على شبهة المعتزلة في تعدد الخالقين من وجهين.................................. ٣٣٧
الأدلة السمعية عند أهل الكلام ليست حجة على مسائل الأصول....................... ٣٣٩
مسألة الكسب عند الطحاوي هو فيها على مذهب أهل السنة.......................... ٣٤٠
الأشاعرة جبرية محضة.. ٣٤١
إثبات الكسب ونفي الفعل مستحيل عقلا... ٣٤١
الإجابة على شبهة الجبرية في نفي فعل العبد... ٣٤٢
تفسير قوله تعالى (وما رميت إذ رميت) وأن لها معنيين................................ ٣٤٣
ملاحظة الشيخ على الطحاوي في قوله (ولا يطيقون إلا ما كلفهم)...................... ٣٤٣
الجواب على مقولة القدرية في عجز الله عن الظلم...................................... ٣٤٤
قاعدة السلف في سؤال عن أفعال الله.. ٣٤٥
مسألة إهداء ثواب القُرَب ومذاهب الناس فيها.. ٣٤٦
الراجح في مسألة إهداء ثواب القرب.. ٣٤٨
الجواب على كلام الفلاسفة في عدم فائدة الدعاء.. ٣٤٩
إجابة الدعاء له شروط وموانع.. ٣٥٠
شروع الطحاوي في الرد على معطلة الصفات.. ٣٥٢
مذاهب الناس في إثبات ونفي الصفات.. ٣٥٢
ردا على الأشاعرة : إذا كان العقل لم يثبت صفات الفعل فإنه لم ينفيها................. ٣٥٤
المفوضة ليسوا من فرق الإثبات والنفي للصفات.. ٣٥٥
المفوضة ليس لهم تأويل سائغ.. ٣٥٥
كل الصحابة عدول بتعديل الله ورسوله لهم... ٣٥٥
الناس في مسألة موالاة الصحابة على ثلاث فرق.. ٣٥٧
خلافة أبي بكر كانت بالاختيار والانتخاب.. ٣٥٨
ترتيب الصحابة في الخلافة هو الذي يترتب عليه التضليل وعدمه....................... ٣٦١
الرافضة منافقون.. ٣٦٢
ابن عربي والتلمساني .. يرون أن الولي أفضل من النبي................................. ٣٦٣
شروط ثبوت الكرامة للأولياء.. ٣٦٤
أنواع كرامة الأولياء... ٣٦٤

أقسام أشراط الساعة........ ٣٦٦
أحاديث المسيح الدجال تبلغ حد التواتر........ ٣٦٦
ابن صياد ليس هو المسيح الدجال........ ٣٦٧
عيسى بن مريم عليه السلام ينزل ويبطل القوانين والطواغيت........ ٣٦٧
طلوع الشمس من مغربها........ ٣٦٧
خروج دابة الأرض من موضعها........ ٣٦٧
الجواب على شبهة بعض المعاصرين في إنكاره يأجوج ومأجوج........ ٣٦٨
الدخان من أشراط الساعة........ ٣٦٨
تحريم تعلم السحر وتعاطيه........ ٣٦٩
الاتفاق على قتل الساحرة ولو لم يصل سحره إلى الكفر........ ٣٧٠
انتهاء استراق السمع........ ٣٧١
معنى قوله (ونرى الجماعة حقا وصوابا والفرقة زيغاً وعذاباً)........ ٣٧٢
قول الطحاوي (دين الإسلام) طريقة من طرق الحصر........ ٣٧٣
تحريم تحكيم شريعة التوراة والإنجيل........ ٣٧٣
الطحاوي يبرأ من دين المشبهة والجهمية والجبرية والقدرية........ ٣٧٤

رسالة في حكم الخلاف في أصول الإيمان

تعريف الإيمان ومسلك المرجئة فيه........ ٣٧٥
أدلة المرجئة بإختصار........ ٣٧٥
الجواب عنها........ ٣٧٦
تعريف الإيمان و مسلك جمهور السلف فيه........ ٣٧٦
نتيجة الاختلاف مسمى الإيمان........ ٣٧٧
الأصل الأول الإيمان بالله........ ٣٧٧
نهج ابن القيم في الاستدلال على وجود الله سبحانه وتعالى........ ٣٧٨
نهج علماء الكلام في الاستدلال على وجود الله تعالى........ ٣٧٨
تفاوت المعترفين بالصانع........ ٣٧٩
تعليق على قول الإمام مالك في الاستواء........ ٣٧٩
أقسام مذاهب الناس في الصفات........ ٣٨٠
مذاهب الناس في حكم مرتكب الكبيرة........ ٣٨١

التمسك بالكتاب والسنة...٣٨٢

حكم القول بفناء النار...٣٨٣

صفة العلو وحكم الصلاة خلف من أنكرها

علو الله سبحانه ثابت في الكتاب...٣٨٥
الأحاديث الدالة على علو الله على خلقه...٣٨٦
العقل يدل على علو الله...٣٨٧
حكم من أنكر علو الله...٣٨٧
حكم إمامة من ينكر علو الله...٣٨٨

الولاء والبراء ووجوب نصرة طالبان وحكم من ظاهر الأمريكان عليها

الولاء في اللغة...٣٨٩
الولاء في الشرع...٣٩٠
البراء تعريفه لغة...٣٩٠
البراء في الشرع...٣٩٠
منزلة الولاء والبراء في الإسلام...٣٩٠
حكم مظاهرة الكفار على المسلمين...٣٩١

نصرة طالبان لهدمهم الأوثان

سؤال وجواب عن مشروعية فعلهم...٣٩٤
الأدلة من كتاب الله على وجوب كسر الأصنام...٣٩٦
ومن سنة رسول الله ﷺ...٣٩٧
سراياه ﷺ في ذلك...٣٩٨
فعل السلف و من بعدهم والملوك والمجاهدين...٣٩٩
الإجماع...٤٠٠
ثم يقال لهؤلاء المشككين...٤٠١
الرد على من يقول إن المحرم من التماثيل هو ما صنعه المسلمون...٤٠١
ثم نقول لمن أثار هذه الشبه على المسلمين...٤٠٢

بيان للرئيس الحالي لمنظمة المؤتمر الإسلامي وأعضائه بشأن تحطيم حكومة طالبان الإسلامية للأصنام........ ٤٠٤

القول المختار في حكم الاستعانة بالكفار

سيرة المؤلف........ ٤٠٦

مقدمة........ ٤٠٨

تمهيد........ ٤١٠

تعريف الجزيرة........ ٤١٤

الجواب عن هذين الدليلين........ ٤١٦

حكم إقامة اليهود والنصارى والمشركين في الجزيرة العربية........ ٤٢٠

ذكر طرف من أقوال العلماء في إجلاء اليهود والنصارى من جزيرة العرب........ ٤٢٣

حكم الاستعانة باليهود والنصارى وسائر الكفار........ ٤٢٤

الولاء تعريفه في اللغة........ ٤٢٦

منزلة الولاء والبراء في الإسلام........ ٤٢٨

ومن الأحكام الدينية........ ٤٣٥

البراء تعريفه في اللغة والاصطلاح........ ٤٣٦

مكانة البراء في العقيدة الإسلامية........ ٤٣٧

فصل – الاستعانة بالكفار

أولاً؛ استعانة المسلمين بالدولة الكافرة على دولة كافرة........ ٤٤٠

مناقشة أدلة من جوز الاستعانة بالكفار من العلماء........ ٤٤٤

ثانياً؛ حكم الاستعانة بالكفار على الدولة المسلمة أو الطائفة المسلمة –كأهل البغي........ ٤٥٧

الاستعانة بالكفار في غير مباشرة القتال

الحالة الأولى: الاستعانة بهم في الأعمال الكتابية والحسابية والإدارة ونحو ذلك........ ٤٦٠

الحالة الثانية: استعانة المسلمين بالكفار في الخدمة........ ٤٦٢

استعانة الدولة المسلمة بأموال الدولة الكافرة وما يترتب عليه........ ٤٦٢

حكم الاستعانة بالكفار في الأمور المعنوية........ ٤٦٣

خاتمة........ ٤٦٥

حكم إقامة اليهود والنصارى في جزيرة العرب وتملكهم العقارات واستثمارها........٤٦٦

فتوى في الحاكم الذي يحكم بغير ما أنزل الله

الأولى: مسألة التشريع..٤٦٩

الثانية: مسألة الحكم...٤٧٠

فتوى في التحاكم إلى القوانين الوضعية

مقدمة..٤٧٢

دلالة آية (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون)...........................٤٧٣

الجواب عن رواية ابن عباس: (كفر دون كفر)...٤٧٣

انتفاء الإيمان عمن لم يحكّم شرع الله..٤٧٣

سبب نزول آية ﴿ ألم تر إلى الذين يزعمون...)...٤٧٤

بيان أن المحكم للقوانين الوضعية كافر..٤٧٥

أقوال العلماء والأئمة في كفر محكّمي القوانين..٤٧٦

الرد على افتراءات العنبري وبيان فساد أصل مذهبه في الإرجاء

مقدمة..٤٧٨

الافتراء الأول...٤٧٨

الافتراء الثاني...٤٧٩

الافتراء الثالث..٤٨٠

الجواب على الإفتراءات..٤٨٠

افتراؤه على شيخنا مُحَمَّد الأمين الشنقيطي..٤٨٢

افتراؤه على الإمام ابن كثير...٤٨٣

موقف العلماء من الحكم بالقوانين الوضعية...٤٨٤

كلمة حق في سيد قطب...٤٨٦

تحذير الشيخ من تكفير مرتكبي المعاصي من المسلمين..............................٤٨٨

حكم الدعوة إلى وحدة الأديان..٤٩٠

فتوى في طائفة النصيرية..٤٩٣

فتوى الشيخ حمود في حسن بن فرحان المالكي

أولاً : طعنه في الصحابة..٤٩٥

ثانياً : عدم إثباته لبعض من الصفات..٤٩٦

ثالثاً : تركيزه على أن عقيدة أهل السنة صنعها الصراع السياسي..٤٩٦

رابعاً : لمزه أئمة أهل السنة..٤٩٦

خامساً : قدحه في أئمة الحنابلة..٤٩٧

سادساً : قدحه في كتب العقيدة عند أهل السنة..٤٩٧

سابعاً : دفاعه عن أهل البدع والضلال..٤٩٧

ثامناً : جراءته في الكذب على الأئمة..٤٩٨

تاسعاً : جهله بمعاني الحديث..٤٩٨

عاشراً : أسلوبه في كتاباته خبيث..٤٩٨

الحادي عشر : سعيه الحثيث على تشويه حقائق التاريخ..٤٩٨

الثاني عشر : اتهامه الأمة بأنها لم تقاتل لأجل الدين..٤٩٩

الثالث عشر : لديه تقية وغموض في طرحه..٤٩٩

الرابع عشر : تشكيكه للعامة بالحق..٤٩٩

الخامس عشر : تعميم خطأ الفرد على الجميع..٤٩٩

السادس عشر: إنكاره لوجود البطل القعقاع بن عمرو..٥٠٠

افتراؤه على الإمام مُحَمَّد بن عبد الوهاب..٥٠٠

وبناءً على ما تقدم فإنه يتعين أن يتخذ فى حقه ما يلي..٥٠١

رسالة نقد (الثمار الشهية)..٥٠٣

رسالة نقد حول (الثمار الشهية)..٥٠٥

رسالة نقد حول (الثمار الشهية).. ٥٠٧

تسهيل الوصول إلى فهم علم الأصول

مقدمة.. ٥٠٩
أصول الفقه.. ٥١٠
الأحكام الشرعية.. ٥١٢
أقسام الحكم التكليفي.. ٥١٢
أقسام الحكم الوضعي.. ٥١٥
أقسام الكلام.. ٥١٧
تقسيم الكلام إلى خبر وإنشاء.. ٥١٨
تقسيم الكلام إلى حقيقة ومجاز.. ٥١٩
أقسام العلاقة.. ٥٢٢
الأمر.. ٥٢٣
الحكم الذي تقتضيه صيغة الأمر عند الإطلاق.. ٥٢٤
الأمر بالشيء أمر به وبما لا يتم إلا به.. ٥٢٥
استعمال صيغة الأمر في غير معناها الأصلي.. ٥٢٥
تكرار المأمور به أو عدم تكراره.. ٥٢٦
الأمر المطلق يقتضي فعل المأمور به على الفور.. ٥٢٦
من يدخل في خطاب التكليف ومن لا يدخل.. ٥٢٧
النهي.. ٥٢٨
أحوال النهي.. ٥٢٩
اقتضاء النهي فساد المنهي عنه.. ٥٢٩
الأدلة على اقتضاء النهي الفساد.. ٥٣٠
العام.. ٥٣١
نصية النكرة في العموم وظهورها فيه.. ٥٣٢
دلالة اللفظ العام واستعمالاته.. ٥٣٣
عموم حكم الخطاب الخاص به ﷺ.. ٥٣٣
العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.. ٥٣٤
الحكم على المفرد بحكم العام لا يسقط عمومه.. ٥٣٤

الخاص.. ٥٣٥

المخصصات

التخصيص بالاستثناء.. ٥٣٦

التخصيص بالشرط.. ٥٣٧

التخصيص بالصفة.. ٥٣٨

التخصيص بالغاية.. ٥٣٨

التخصيص ببدل البعض.. ٥٣٩

المخصصات المنفصلة

أولاً: التخصيص بالنص عن الكتاب أو السنة... ٥٣٩

ثانيا: الإجماع... ٥٤٠

ثالثًا: القياس... ٥٤٠

رابعًا: الحس... ٥٤٠

خامسًا: العقل... ٥٤٠

أقسام اللفظ من حيث الدلالة... ٥٤١

المجمل والمبين

أولاً: المجمل.. ٥٤٢

ثانيا: المبين.. ٥٤٤

تأخير البيان عن وقت الحاجة إليه.. ٥٤٥

النسخ... ٥٤٦

نسخ الرسم والحكم.. ٥٤٧

النسخ إلى غير بدل... ٥٤٨

النسخ إلى بدل... ٥٤٨

نسخ الكتاب أو السنة بكتاب أو سنة.. ٥٤٩

نسخ المتواتر والآحاد بمتواتر وآحاد.. ٥٤٩

الإجماع... ٥٥٠

دليل حجية الإجماع... ٥٥١

عصر الإجماع... ٥٥٢

هل انقراض عصر المجمعين شرط في انعقاد إجماعهم أو لا ؟............................... ٥٥٢

ثمرة الخلاف: ينبني على الخلاف في هذه المسألة شيئان.................................. ٥٥٣

مستند الإجماع.. ٥٥٣
أقسام الإجماع.. ٥٥٣
الأخبار.. ٥٥٤
تقسيم الخبر باعتبار وصفه بالصدق والكذب.. ٥٥٥
تقسيم الخبر إلى متواتر وآحاد
المتواتر.. ٥٥٥
الآحاد.. ٥٥٦
التعبد بأخبار الآحاد.. ٥٥٧
تقسيم الآحاد من حيث رواته قلة وكثرة.. ٥٥٧
أقسام الآحاد من حيث القبول أو الرد.. ٥٥٧
أما الأصوليون فإنهم يقسمونه من حيث اتصال السند وانقطاعه إلى قسمين:
أولاً: المسند.. ٥٥٨
ثانيا: المرسل.. ٥٥٨
تصرف الراوي في نقله للخبر.. ٥٦٠
الشروط المعتبرة في الراوي.. ٥٦٠
صيغ الأداء.. ٥٦١
مراتب ألفاظ الرواية من غير الصحابي.. ٥٦١
أفعال الرسول ﷺ وتقريراته
أولاً: أفعاله عليه الصلاة والسلام.. ٥٦٢
ثانيا: تقريراته ﷺ.. ٥٦٣
القياس.. ٥٦٤
أركان القياس.. ٥٦٥
شروط القياس.. ٥٦٥
تقسيم القياس.. ٥٦٦
تقسيم القياس باعتبار التصريح بالعلة وعدمه.. ٥٦٧
تقسيم العلة باعتبار مجاري الاجتهاد فيها.. ٥٦٧
مسالك العلة.. ٥٦٩
ترتيب الأدلة.. ٥٧٠
الترجيح.. ٥٧٣

الاجتهاد والتقليد

أولاً: الاجتهاد.......... ٥٧٤

ثانيا: التقليد.......... ٥٧٧

المفتي والمستفتي.......... ٥٧٧

آداب المفتي والمستفتي.......... ٥٧٨

بيان عما حصل من لبس في شروط الإفتاء.......... ٥٨٠

الإمامة العظمى

مقدمة.......... ٥٨٣

الفصل الأول في الحالة السياسية في الجزيرة العربية قبل الإسلام

المبحث الأول: تقسيم سكان الجزيرة إلى بدو وحضر.......... ٥٨٨

المبحث الثاني: الواقع السياسي للقبائل البدوية.......... ٥٨٨

المبحث الثالث: الواقع السياسي لمجتمعات الحضر في مكة على وجه الخصوص.......... ٥٨٩

المبحث الرابع: مناصب قريش في مكة قبل الإسلام.......... ٥٩٠

المبحث الخامس: مكة المكرمة لم تعرف نظامًا سياسيا قبل الإسلام.......... ٥٩١

المبحث السادس: ممالك الجزيرة العربية قبل الإسلام.......... ٥٩٢

الفصل الثاني في نشأة الدولة الإسلامية

المبحث الأول: ظهور الكيان السياسي الإسلامي.......... ٥٩٣

المبحث الثاني: ممارسة الدولة الإسلامية لوظائفها.......... ٥٩٤

الفصل الثالث في الإمامة والخلافة

المبحث الأول: تعريف الإمامة والخلافة لغة واصطلاحًا.......... ٥٩٥

المبحث الثاني: في الفرق بينهما وبين الملك.......... ٥٩٦

الفصل الرابع في حكم نصب الإمام الأعظم

المبحث الأول: وجوب نصب الإمام.......... ٥٩٨

المبحث الثاني: في خلاف المعتزلة مع الجمهور في حقيقة المقتضي لوجوب نصب الإمام.......... ٦٠٢

الفصل الخامس في عقد الإمامة

المبحث الأول: صفة العقد.......... ٦٠٤

المبحث الثاني: طرق تولية الإمام
المطلب الأول: طريقة الاختيار..٦٠٥
المطلب الثاني: طريقة العهد..٦٠٨
المطلب الثالث: طريقة القهر والغلبة..٦١١
المطلب الرابع: ترجيح طريقة الاختيار...٦١٢
المطلب الخامس: إمامة أبي بكر الصديق...٦١٥
المطلب السادس: العهد إلى الأبناء...٦١٨
المبحث الثالث: رأي الشيعة في الإمامة...٦١٩
الفصل السادس في أهل الحل والعقد
المبحث الأول: الصفات المعتبرة في أهل الحل والعقد...............................٦٢١
المبحث الثاني: الشروط المعتبرة في الإمام الأعظم...............................٦٢٢
المطلب الأول: الإسلام...٦٢٢
المطلب الثاني: الذكورية...٦٢٢
المطلب الثالث: العدالة...٦٢٢
المطلب الرابع: العلم...٦٢٣
المطلب الخامس: الكفاءة..٦٢٤
المطلب السادس: النسب القرشي..٦٢٤
الحكمة في اشتراط القرشية..٦٢٥
هل يجوز العدول عن قريش في عقد الإمامة..٦٢٨
المبحث الثالث: فقدان الشروط عند العقد وبعده.................................٦٣٠
الفصل السابع في البيعة...٦٣١
المبحث الأول: صفة البيعة ومعناها..٦٣٢
المبحث الثاني: تعدد البيعة لأكثر من إمام.......................................٦٣٣
المطلب الأول: رأي الجمهور مع أدلته...٦٣٤
المطلب الثاني: رأي الماوردي..٦٣٥
المطلب الثالث: رأي ابن حزم..٦٣٦
المطلب الرابع: رأي أبي بكر الباقلاني...٦٣٧
المطلب الخامس: رأي أبي المعالي الجويني..٦٣٨
المطلب السادس: مناقشة آراء الكرامية في هذه المسألة............................٦٣٩

الفصل الثامن واجبات الإمام وحقوقه

المبحث الأول: واجبات الإمام..٦٤٠

المطلب الأول: مسئولية الحاكم أمام الله..٦٤٠

المطلب الثاني: مسئولية الحاكم أمام الأمة..٦٤٢

المبحث الثاني: حقوق الإمام..٦٤٦

الفصل التاسع توليات الإمام

المبحث الأول: في تعريف الوزارة..٦٤٦

المبحث الثاني: تقسيم الوزارة..٦٤٨

المبحث الثالث: وزارة التفويض..٦٤٨

المبحث الرابع: تقليد الوزارة..٦٥١

المبحث الخامس: وزارة التنفيذ..٦٥٢

المبحث السادس: المقارنة بين وزارتي التفويض والتنفيذ..٦٥٤

المبحث السابع: وحدة الوزارة..٦٥٤

الفصل العاشر القيم السياسية في نظام الدول الإسلامية..٦٥٥

المبحث الأول: الشورى في الإسلام

المطلب الأول: تعريف الشورى..٦٥٦

المطلب الثاني: أدلة حجية الشورى في القرآن الكريم..٦٥٧

المطلب الثالث: الشورى في السنة النبوية..٦٥٨

المطلب الرابع: نطاق الشورى..٦٦٠

المطلب الخامس: مدى إلزام الشورى..٦٦١

الصحيح هو التزام الحاكم بتنفيذ ما تنتهي إليه الشورى..٦٦٢

المبحث الثاني: العدل..٦٦٤

المطلب الأول: تحريم الظلم..٦٦٥

المطلب الثاني: العدل بين النظرة الإسلامية والنظرة الغربية المعاصرة..٦٦٦

المطلب الثالث: الالتزام بالعدل غير قاصر على الحكام..٦٦٧

المبحث الثالث: الحرية..٦٦٨

المطلب الأول: حرية الرأي والفكر..٦٦٩

الحرية من الفطرة..٦٧٠

المطلب الثاني: سيرة الرسل تؤكد حرية الرأي..٦٧١

المطلب الثالث: القرآن والسنة يقرران حرية الرأي........................... ٦٧١
المطلب الرابع: العلماء المسلمون وحرية الرأي السياسي........................ ٦٧٣
موقف العز بن عبد السلام مع الملك الصالح................................... ٦٧٩
المبحث الرابع: في المساواة... ٦٨١
المطلب الأول: المساواة في الإسلام... ٦٨٢
المطلب الثاني: المساواة في الحقوق والمسئوليات.............................. ٦٨٣
المساواة في تولي الوظائف والتعيين في المناصب والأعمال..................... ٦٨٣
المطلب الثالث: المساواة في المثول أمام القضاء.............................. ٦٨٤
خاتمة البحث في عزل الإمام
المعيار الأول... ٦٨٨
المعيار الثاني... ٦٨٩
المراجع.. ٦٩١

سؤال عن شرعية حكومة الطالبان

تقييم الدول والحكم عليها بالشرعية وعدمها يتوقف على أمور...................... ٦٩٣
من أعظم ما امتازت به حكومة طالبان المسلمة................................ ٦٩٤
وفي الختام... ٦٩٤

مذكرة النصيحة

رسالة الى الشيخ عبدالعزيز ابن باز... ٦٩٦
رسالة الى خادم الحرمين... ٦٩٨
مقدمة النصيحة.. ٦٩٩
دور العلماء والدعاة... ٧٠١
واقع دور الدعاة والعلماء حالياً.. ٧٠٣
سبيل الإصلاح... ٧٠٤
الأنظمة واللوائح.. ٧٠٦
واقع الأنظمة من خلال بعض الأمثلة والشواهد................................ ٧١٢
سبيل الإصلاح... ٧١٤
القضاء والمحاكم... ٧١٦

واقع القضاء والمحاكم.. ٧١٨
سبيل الإصلاح.. ٧٢١
حقوق العباد.. ٧٢٥
الوضع الإداري.. ٧٢٩
الواقع الإداري... ٧٣١
سبيل الإصلاح.. ٧٣٢
المرافق الاجتماعية.. ٧٣٤
واقع المرافق الاجتماعية.. ٧٣٦
سبيل الإصلاح.. ٧٣٧
المال والاقتصاد.. ٧٣٨
واقع المال والاقتصاد.. ٧٤٠
سبيل الإصلاح.. ٧٤٣
الجيش.. ٧٤٤
واقع الجيش.. ٧٤٤
سبيل الإصلاح.. ٧٤٦
الإعلام... ٧٤٧
الواقع الإعلامي.. ٧٥٢
العلاقات الخارجية.. ٧٥٤
واقع العلاقات الخارجية.. ٧٥٦
سبيل الإصلاح.. ٧٥٧
أسماء الموقعين... ٧٥٩

البيان الثلاثي في الرد على الهيئة وبيانها بشأن مذكرة النصيحة.................... ٧٦٣

حكم ما جرى في أمريكا من أحداث.. ٧٦٧
الشبهات والجواب عنها من عدة أوجه... ٧٦٩
سؤال للإخوة الذين يطلقون كلمة [الإرهاب] على ما حصل في أمريكا...................... ٧٧٠
ثم نقول لهؤلاء ماذا تقصدون بالأبرياء... ٧٧١
ومن كلام أهل العلم في جواز الانتقام بالمثل...................................... ٧٧٢

وفي الختام..٧٧٣

خطاب من المشايخ الفضلاء إلى أمير المؤمنين الملا مُحَمَّد عمر..........................٧٧٥

خطاب المشايخ الفضلاء إلى كافة علماء باكستان...............................٧٨١

بيان إلى القائدين رباني وسياف...٧٨٤

أخي القائد حكمتيار..٧٨٦

حكم الجهاد واستئذان الوالدين

الجواب..٧٨٨

أنواع الجهاد وأعداءه...٧٨٩

طرفاً من الآيات في الجهاد والحث عليه..٧٩٠

أما الأحاديث في ذلك فمنها...٧٩١

حكم الجهاد في وقتنا الحاضر ومتى يكون الجهاد فرض عين..........................٧٩٢

أهمية الجهاد بالمال والإعلام...٧٩٣

وجوب مقاطعة الصهاينة والأمريكان...٧٩٤

استئذان الوالدين في الخروج للإعداد أو الجهاد.......................................٧٩٥

حكم استئذان الوالدين في الخروج للجهاد..٧٩٦

بيان في دعم الإمارة الإسلامية وتعجيل الزكاة لها................................٧٩٧

معنى الإرهاب وحقيقته

نماذج مما قيل في تعريف الإرهاب...٧٩٨

١- تعريفه من حيث اللغة العربية..٧٩٩

٢- تعريف مفهوم الإرهاب في الشرع ٨٠٠

مفهوم الإرهاب عند هؤلاء الكفرة...٨٠١

أهداف الصليبيين.. ٨٠١

حكم القتال مع اخواننا في الشيشان

لمحة قصيرة تبين مكانة الجهاد في الإسلام وفضله............................ ٨٠٣

الجواب على السؤال من شقين.. ٨٠٤

أهمية الجهاد بالمال والإعلام... ٨٠٥

الموقف الشرعي تجاه الجهاد في الفلبين... ٨٠٦

حكم العمليات الاستشهادية

سؤال والجواب عنه.. ٨٠٨

الأدلة من القرآن والسنة... ٨٠٩

الإجماع.. ٨١٠

مسألة التترس ووجه الدلالة.. ٨١١

مسألة البيات ووجه الدلالة.. ٨١٢

الخلاصة.. ٨١٢

نداء إلى حكام العرب والمسلمين.. ٨١٤

بيان في الحث على المقاطعة الاقتصادية ضد أعداء المسلمين.................. ٨٢٢

بيان من أهل العلم في الحث على المقاطعة.................................... ٨٢٥

الرد على من أفتى بعدم جواز المقاطعة الاقتصادية............................ ٨٢٧

رسالة إلى الشيخ عبد العزيز بن باز في الدفاع عن الشيخ سليمان العلوان......... ٨٣٠

بيان في الدفاع عن الشيخ عبدالكريم الحميد.................................. ٨٣٣

إلى معالي الأخ العزيز مدير جامعة الملك سعود........................ ٨٣٤

رسالة إلى وزير المعارف.. ٨٣٥

المقدمات وما إليها

تقريظ للكتاب الموثق "جمع لأحاديث الأحكام من الصحيحين"................... ٨٣٦

مقدمة للكتاب حقائق في التوحيد.. ٨٣٧

مقدمة للكتاب إنجاح السائل في أهم المسائل................................ ٨٣٨

مقدمة للكتاب التأصيل في مشروعية ما حصل لأمريكا من تدمير................ ٨٣٩

مقدمة للكتاب التبيان في كفر من أعان الأمريكان.............................. ٨٤٠

رسالة إلى الدكتور محسن العواجي

مقدمة.. ٨٤٢

فيما يخص منهج أهل السنة والجماعة...................................... ٨٤٣

فيما يخص دعم منهج الفرق الضالة....................................... ٨٤٣

فيما يخص الخلافات الفقهية... ٨٤٣

فيما يخص العلماء وطلبة العلم... ٨٤٤

الدفاع والثناء على العلمانيين والحداثيين.................................... ٨٤٥

رد الشيخ حمود رحمه الله على رسالة أهالي مدينة حقل...................... ٨٤٦

رد الشيخ حمود رحمه الله على رسالة أهالي جدة حول الحسبة................ ٨٤٨

كلمة الشيخ حمود رحمه الله في مهرجان السنة النبوية........................ ٨٥١

بيان الأول إلى عموم المسلمين عما يدور في فلسطين

أسباب وحشية الصهاينة.. ٨٥٥

أسباب خذلان حكام العرب و المسلمين.................................... ٨٥٦

نماذج لأنتصارات قوة المؤمنين بالله على القوة المادية..٨٥٦
واقع الأعلام العربي..٨٥٧
الأسلوب الناجع في تطهير أرض فلسطين من يهود...٨٥٨

بيان الثاني إلى عموم المسلمين عما يدور في فلسطين

أهمية الجهاد وإيضاح مكانته في الإسلام...٨٥٩
فضل الجهاد ومراتبه...٨٦١
تفاهة الأعلام العربي...٨٦٢
واجب رؤساء الدول في العالم الإسلامي...٨٦٢
جوانب الضعف في الأمة الإسلامية...٨٦٣
وجوب مقاطعة اليهود والأمريكان...٨٦٣

رسالة إلى ابن باز بخصوص فتواه بالصلح مع اليهود

نلخص اجتهادنا في النقاط التالية..٨٦٥
وأخيراً سماحة الشيخ...٨٦٧
المقدمون..٨٦٨

حكم أخذ الجنسية للمكره من دولة كافرة..٨٦٩

حكم مشاركة الفتيات في الجنادرية..٨٧١

فتوى في تكفير الملحد تركي الحمد...٨٧٣

حكم سب الله ورسوله والاستهزاء بالدين...٨٧٥

فتوى في استعمال حق التقاضي لدى المحاكم الشرعية ضد المستهزئين بالدين........٨٧٧

رسالة في مشروعية قنوت النوازل

مقدمة...٨٧٩

أولاً: قلت : إنه ليس من مفهوم قنوت النازلة عند الصحابة والسلف إذا وقعت نازلة في طرف من بلاد المسلمين قنت الجميع ٨٨٠
١ – الحنابلة.. ٨٨٢
٢ – المالكية.. ٨٨٢
٣ – الشافعية.. ٨٨٣
٤ – الحنفية.. ٨٨٣
الخلاصة.. ٨٨٣
ثانياً: ذكرتم في المسألة الثانية أن النبي ﷺ لما قنت لم يأمر مساجد المدينة بالقنوت.............. ٨٨٤
ثالثًا: ذكرتم في المسألة الثانية قولكم إنما قنت هو عليه الصلاة والسلام شهرا.................. ٨٨٥
رابعًا قلتم في المسالة الثانية إن القنوت للإمام الأعظم.. ٨٨٩

خطاب الشيخ حمود لأحد المشايخ حول قنوت النوازل

مقدمة.. ٨٩١
أولاً: قلت إن القنوت نُسِخ بعد حادثة بئر معونة.. ٨٩١
ثانياً: قلت إن مذهب أبي حنيفة يرى المنع مطلقًا.. ٨٩٢
ثالثًا: قولك إن المنع مطلقًا قول مذهب الإمام مالك.. ٨٩٣
رابعًا: قولك بالنسخ.. ٨٩٣
خامسًا: قلتَ في رسالتك: إن الرسول ﷺ لم يقنت في غزوة مؤتة ولا يوم حنين ولا في الأحزاب... ٨٩٤
سادسًا: قولك أني حشدت أقوالاً كثيرة لأئمة المذاهب وبعض الصحابة........................ ٨٩٤
فعل الخلفاء الراشدين وإجماعهم على القنوت.. ٨٩٤
نصوص من قنت من الصحابة.. ٨٩٥
الإجماع.. ٨٩٧
سابعًا: قلت بعد ما ذكرتَ أن الصحابة لم يقنتوا، قلتَ: والصحابة أعلم منا بالشريعة............. ٨٩٧
ثامنًا: ذكرت في رسالتك فقلت: وكان بعض الصحابة لما سُئل عن القنوت في الفرائض........... ٨٩٧

حكم تكريم بعض المنحرفين واستقبالهم والاحتفاء بهم

أولا: تمكين هؤلاء من نشر أفكارهم منكر عظيم.. ٨٩٨
ثانيا: قائل الكلمات الكفرية يجب الإنكار عليه.. ٨٩٩
ثالثا: دعوى حرية الفكر إذا كانت مفضية إلى حرية الكفر فهي باطلة........................ ٩٠٠

فتوى الشيخ في كفر المغني عبدالله الرويشد..٩٠١

محادثة الشيخ حمود رحمه الله مع الأستاذ مُحَمَّد المليفي.................................٩٠٣

مقالة دم الرويشد... حوار مع الشيخ العقلا..٩٠٥

الجواب على خطاب خطباء الجوامع بالجزائر..٩٠٧

فتوى في حكم الصلاة على الميت الغائب..٩٠٨

فتوى في النوادي النسائية..٩١٢

حكم تهنئة الكفار بأعيادهم وفوزهم بالانتخابات....................................٩١٤

حكم المشاركة في احتفالات الألفية..٩١٥

فتوى في حكم بطاقة المرأة...٩١٧

حضرة صاحب السمو الملكي وولي العهد..٩٢٠

فتوى في حكم التصوير...٩٢٥

فتوى الشيخ في لعبة البوكيمون..٩٢٦

حكم كفالة من مات أبوه وقد تجاوز سن البلوغ.....................................٩٢٨

حكم قيادة المرأة للسيارة...٩٢٩

حكم قراءة دعاء ختم القرآن في الصلاة..٩٣١

ملحق في رثاء والدفاع عن الشيخ العلامة حمود بن عقلاء الشعيبي رحمه الله

رسالة الشيخ ابن باز إلى الشيخ حمود بن عقلاء الشعيبي.........................٩٣٣

تكذيب أمانة كبار العلماء لجريدة عكاظ..٩٣٤

دفاع عن الشيخ حمود رحمه الله تعالى...٩٣٥

رد جماعة من العلماء على افتراءات جريدة الوطن...............................٩٣٩

خطاب الملك فهد للشيخ حمود العقلاء وأخوانه من أهالي القصيم....................٩٤١

الإعلام الجائر على الشيخ حمود بن عقلاء الشعيبي...............................٩٤٦

اعتذار جريدة الرياض للشيخ حمود بن عقلاء الشعيبي.............................٩٦٩

سؤال حول قول الشيخ حمود " ترك الجهاد كفر"...................................٩٧٠

حنين وتذكرة بكبار علماء الزهد والتواضع في الجزيرة.............................٩٧٢

ذكريات مع فضيلة الوالد العلامة حمود بن عبدالله العقلاء.........................٩٧٤

قصيدة (إلى ذلك القمر الذي توارى في مغربه)..................................٩٨١

رثاء .. وعزاء..٩٨٤

مات الإمام..٩٨٦

رحلَ القلبُ الشجاع...٩٨٨

سأرثيهِ .. ثم سأروي للعالمين قصتي مع حبيبنا وشيخنا الشامخ المُبجل...............٩٩٠

وانطفأ السِراج..٩٩٣

قصيدة : ذهب الذين أحبهم...٩٩٦

قصيدة : أحقا مات عقلانا ؟...٩٩٧

قصيدة : سمو في المبادىء والصفات وقصيدة " أسد الفتاوى "......................٩٩٨

قصيدة الطائر المهاجر...١٠٠٠

يَا مَنْ رَأَى العُلَمَاءَ كَيْفَ تَسُودُ !!...١٠٠١

ورحل درع الإسلام..١٠٠٢

وقفات ومواقف من حياة شيخنا العلامة المجاهد.....................................١٠٠٧

شَيْخُ الطَّبَقَةِ " حُمُوْدُ العُقْلاء " رَحِمَهُ اللهُ تَعَالى...١٠١٣

مشاهدات من جنازة الشيخ رحمه الله...١٠١٦

الفهرس..١٠١٩